مجلة الأزهر

١٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

١٠٤

المجلد الرابع والسبعون ـ القسم الثاني
السنة ١٤٢٢هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail: info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

●●●

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

الإسراء آية (١)

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ..٥٧٨٦١ - ٨٥٧٦٢٠٠

رجب ١٤٢٢هـ - أكتوبر ٢٠٠١م - الجزء السابع - السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

ثقافة الداعية المعاصر

لا نجد عصرا تجسدت فيه أسباب الشك حتى تكاد تُلمس باليد كهذا العصر، إذ وُجدت فيه من ضروب العلم وأفانين المعرفة ما ساعد على زعزعة كثير من القواعد الراسخة فى العقول، ثم جاء الفن الأدبى بشعره وقصصه ومسرحه وتمثيله، فساعد على تأكيد هذه البلبلة مساعدة طائشة، لأن أكثر القائمين بالتمثيل والإخراج قد ألهاهم الكسب الرخيص فأخذوا يستهوون النفوس بما يعرضون من مغريات هابطة وليس لديهم من الحصانة الخُلُقِّية فى أكثرهم الغالب ما يزجرهم عن هذا الاستهواء الآثم، ومن وُجد لديه بعض السمو فحاول الارتقاء بفنه رأى نفسه متخلفا غير سابق فى دنيا الربح والاتجار، ومصيبة التأثر بالفن أكبر هولا من مصيبة التأثر بالعلم، لأن العلم فى كتبه الخالصة وفروعه الدقيقة ومسائله المتشعبة، وقف على الخاصة من المثقفين أما الفن المسرحى بعد ذيوع الراديو والتليفزيون فقد أخذ يغشى كل منزل وأصبح ضروريا لا كماليا، إذ أن قضاء السهرات أمام الروايات التليفزيونية صار عادة متبعة لا سبيل إلى الخلاص منها، فماذا تقول فى تأثير هذا الروايات على مستواها الفسيح إذا شحنت بضروب الملهيات، وملئت بشتى مظاهر الإسفاف! تلك مأساة دامية يدعى فيها الصبر، ويتحتم الإسراع بالعلاج.

ونعود إلى الشك الذى أحدثه ما يدعى بالتقدم العلمى فى هذا العصر فنقول :إن العلوم الحديثة فى وضعها الجديد، قد مالت بالعقل إلى الزعزعة الخلقية، لأن أوربا المعاصرة فى دراستها المتعددة لهذه العلوم لم تشأ أن تربط بينها وبين الخلق الكريم، بل جعلتها فى كثير من أمورها، تصطدم بما تقرره قواعد الأخلاق من مثل، بل إن بعضها يعد المثل الأعلى خرافة مضحكة يشتغل بها البلهاء! وقد ازدهرت هذه العلوم ازدهارا كبيرا، وأصبحت مادة الدراسة فى الكليات والمعاهد، وباب القراءة فى الصحف والمجلات، وميدان البحث النظرى فى الكتب والمحاضرات، والداعية المعاصر مضطر تمام الاضطرار إلى أن يلم بهذه العلوم كى يقنع هذه العقول المتشككة،

فإذا اقتصر على الكتب الدينية وحدها جوبه بما لا يستطيع الثبات أمامه من اعتراضات، وأصبح داعية السذج من العوام، وهؤلاء مؤمنون أصلا بفطرهم السليمة لا يحتاجون إلى جهد جبار فى الدعوة إلى الرشاد. وهو بمعاودة إرشادهم لا يضيف أرضا جديدة للإسلام، وإن كان عمله لا يخلو من نفع واضح فى تأكيد العقيدة وتثبيت القلوب على الإيمان، ولكن الأهم من ذلك كله أن يرتقى بنظره إلى الخاصة ممن درسوا علوم العصر فتعرضوا لزعازع الشك، وفيهم من أراح نفسه حين استكان إلى الإلحاد جهلا وقصورا ومن لم يسلك هذا السبيل قد صار فى مهب العواصف لا يدرى أين يتجه، فإيمانه الموروث يدعوه إلى الثبات والصمود، وزعازع العلوم المعاصرة تهب عليه من كل سبيل، فتزعزع الرواسخ من قواعد هذا الإيمان ولابد من أن يتجه الداعية إلى دراسة هذه العلوم ليميز الخبيث من الطيب ويجذب إليه نفوسا تريد أن تتلمس وسائل الإرشاد النافع فتضل السبيل.

إن من أول هذه العلوم القوية التأثير فى بذر الشك الدينى ما يعرف بعلم النفس، إذ اتجه هذا العلم إلى دراسة ما يسمى بالعقل الباطن، فاهتدى إلى أن الانحراف والشذوذ والتسفل نتائج محتومة لغرائز طبيعية تعمل عملها، ولا حيلة فى مصادمتها، ومن ثم أغار على الفضائل النبيلة غارات مكتسحة حين ردها كلها إلى دواع هابطة من حب الظهور والإغراق فى الأنانية، فالمجاهد الذى يستشهد فى سبيل الله مثلا، هو لدى علماء النفس إما أنانى يحب نفسه أكثر من اللازم فيدفع بها إلى الاستشهاد ليحدث له دورا بعد استشهاده حين يتحدث الناس عن بطولته، ويعطرون المجالس ببسالته، وإما أن يكون معذبا فى حياته فيحاول الخلاص منها انتحارا فى ميدان القتال، فيندفع إلى المعركة لا حبا للعقيدة، ولا دفاعا عن الوطن بل للنجاة من مضايق كريهة يصلاها سرا دون أن يشعر بها أحد سواه، والجواد الكريم حين يتبرع بماله لا يريد وجهه الله قدر ما يريد حسن الأحدوثة وجمال الإطراء وإعظام العامة والخاصة، والداعية الذى يهدى الناس إلى الصراط القويم، لا يبتغى وجه الله فى صميم عمله، بل يريد وجاهة بين العامة والخاصة، ويحرص على مظاهر التبجيل والتعظيم، وهكذا تعرضت الفضائل الإنسانية فى أكثر أمورها إلى تفسير خاطئ يجعلها ظواهر لأمراض خلقية، بل إن حب الوالد لولده والأم لابنها حب مغرض، لا ينبعث فى منطق هؤلاء عن رحمة حانية وإشفاق نبيل، بل ينبعث عن حب للذات حين يريد الوالد أن يكون الأبناء عامل نفع فى الحياة فيساعدوا الآباء فى زمن الكبر والشيخوخة، وحين يكونون عامل تذكار لهم بعد الموت، إذ يحملون أسماءهم ويخلدون آثارهم! وإذا كان هذا الشعور الأبوى الصادق مريبا فى تحليله النفسى، فماذا نقول إذن فيما دونه من مشاعر الصداقة والأخوة وظواهر التعاون والتماسك والإيثار!!

نترك علم النفس إلى علم الاجتماع، لنجده قد أوقع الإنسان فى جبرية محتومة لا سبيل إلى

الخلاص منها، لأن الفرد رهن بالوراثة من ناحية، وبالبيئة من ناحية أخرى، فعامل الوراثة يدفعه إلى سلوك معين يمليه عليه كيانه الداخلى بما ورث من أعصاب وانفعالات وما يصيب كيانه العضوى من صحة ومرض وعامل البيئة يخضعه إلى ظروف خاصة تغله بقيودها الثقيلة، فالمناخ الجوى والمناخ الاجتماعى والمناخ الاقتصادى وسائر ما يحيط بالمرء فى مجتمعه يسيره تسييرا آليا بحيث لا يكون الانحراف عنه إلا موضعا للشذوذ الطارئ، أما القاعدة العامة فهى التى تحتم السير نحو ما توجبه أوضاع البيئة، ولهذا الكلام وجاهته إذا روعى كل شئ بقدر، فيعرف للوراثة أثرها، وللبيئة ضرورتها كما يراعى للإنسان من ناحية ثانية تفكيره وتميزه، وقدرته على تمييز الطيب، ورفض الردئ وسلوكه النابع من هذا التمييز، وهذا ما يحدث فعلا، لأن الإنسان فى صميم نفسه يتمتع بقدر كبير من الحرية يهديه سواء السبيل، ويريه سبيلى الخير والشر، تصديقا لقول الله عز وجل:

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾

سورة الشمس (٧ : ١٠)

والطفل الصغير ذو إرادة معقولة تجعله يصحب من يحب ويبتعد عما يكره، ويأكل ما يستطيب ويتجنب ما يرفض، وهو بعد طفل لم يكتمل إدراكه كل الاكتمال وكذلك الحيوان الأعجم يفهم اتجاهه ويتجنب شرور ما يتوقع، ويحتال إلى الوصول لما يريد، فهو ممتع بمقدار كبير من الحرية، ولكن نفرا من علماء الاجتماع يحاولون أن يجعلوا الإنسان كما قال الشاعر القديم:

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له

إياك إياك أن تبتل بالماء

وواجب الداعية أن يدرس هذا العلم ليجابه ما يعترض الناس من شكوك، وليظهر رأى الإسلام مدعما بالحجة العقلية والنص القرآنى معا، وما ورد فى الصحاح من آثار.

أما علم الاقتصاد فقد ساء حظه لدى الدارسين، الذين التزموا الوجهة الأوربية فى التحليل والتعليل لأن المعسكر الرأسمالى يدفع أساطينه إلى نوع خاص من التفكير المالى يغلب عليه الحرص، وتسوده الرغبة فى الابتزاز والانتهاز حتى لكأن الأسواق المالية غابات تتصارع فيها الوحوش لينهض كل وحش بما يستطيع الوثوب عليه من ضحايا وفرائس، وإذا وجدت ضوابط حافظة فهى للوقاية من الاصطدام لا لرعاية الحقوق وتقديس الواجبات، أما المعسكر الشيوعى فقد بنى سياسته المالية على إثارة الحقود، وتأليب الطبقات وإحداث المنازعات بحيث لا يخلو المجتمع من حاقد ومحقود عليه، وادعاء الاشتراكية أصبح من الزيف فى مجال التطبيق بحيث لا

الأستاذ/ محمد فريد وجدى
ترك مؤلفات تثرى ثقافة الداعية

يصدقه من يرى الرؤساء فى العالم الشيوعى يعيشون عيشة الأباطرة، ويزعمون أنهم يرعون حقوق الطبقات الكادحة، ويناصرون العمال والفلاحين، ويسهمون فى تكوين مجتمع عالمى ينتفى فيه الحسد وتنعدم البغضاء! وإذا صح ذلك فمالنا نرى الدول الشيوعية تصطدم وتتنازع، ولا يقل الصراع السياسى بينها عن صراع المعسكر المقابل! وإذا كانت هذه التيارات المتقابلة قد وجدت دعايتها البراقة فى المجتمعات الإسلامية فلابد أن يفتح الداعية المسلم عينيه على هذه الهزات التى تزلزل أرضه زلزالا عميقا، والتى تحتاج منه إلى تسكين وتمكين.

وأما العلوم السياسية فقد اتجهت الوجهة الميكافيلية بحث أصبحت الغاية تبرر الوسيلة، وأصبحت الدولة المنتصرة هى صاحبة الحق مهما قام انتصارها على البغى! وقد ساد منطق القوة بين الشعوب المتأخرة، ولا عجب أن يسود فى عالم غابت عنه رسالة السماء، ولكن العجب أن يجد من علماء السياسة من يشيدون بالاتجاه الميكافيلى ويرونه دليل النجاح! مهما قام على البغى والاعتداء، لأن الحصول المبكر على الثمرة الناضجة هو الهدف المنشود ولا يعنى هؤلاء أن يكون هذا الحصول عن طريق السرقة والاغتصاب أم عن طريق الكسب المشروع وللسياسة كتبها ودعاتها ولها بريقها الخادع ولكن ذلك كله بعيد عن منطق الإيمان.

ولعل العلم الطبيعى بعد ظهور (دارون) وشيوع نظرية أصل الأنواع لم يعد خافيا على الناس بما أحدث من بلبلة دينية، وقد يكون من الحق أن نذكر أن فضلاء من الباحثين قد مزقوا الأسطورة الدروونية كل ممزق بما اهتدوا إليه من الحق الصريح، ولكن من الحق أن نقول: إن مؤيدى هذه النظرية لا يقفون عند مدلولها العلمى المعقول بل يتعدونها إلى شكوك تتجه نحو عالم الغيب، وفيهم من تشربته المادية تشربا جعلته يكفر بكل ما جاءت به الأديان السماوية جميعها من يهودية ومسيحية وإسلام! ومن حسن الحظ أن اللغة العربية لم تعدم كتبا علمية ذات سلاح باتر يهدم هذه النظرية، ويظهر عوارها الخادع، وعلى الداعية الإسلامى أن يقرأ ويدرس ليحارب العلم بالعلم، ويفل الحديد بالحديد، **ومن أشهر ما كتب فى هذا المجال مؤلفات الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى رئيس تحرير مجلة الأزهر الأسبق.**

على أن سلوك الداعية فى تصديه للنقاش، ومبادرته للدفاع، يجب أن يكون فى مستوى الأستاذ الموجه، والقائد المرشد، لأن سلوكه الإنسانى يقدم النموذج الأتم للمسلم المكتمل، ومهما برع علما وفاق حجة فالسلوك الأمثل مناط التأثير وموضع الانصياع، ولا نريد بالسلوك سلوك الحياة فى أسلوب معيشتها وحده. بل نضيف إليه سلوك الداعية حين يقوم بأعباء الدعوة، مناقشا ومجيبا ومعترضا وموافقا، فإن سبيل الهداية يحتاج إلى سعة صدر، ورحابة أفق، قدر ما يحتاج إلى قوة بصيرة وغزارة علم، وعمق خبرة، إن سعة الصدر عنصر قوى من عناصر النجاح إذ بها يمتص الداعية كل غضب، ويتغلب على عوامل الشطط والجموح حين يصدران من المناقش اللجوج، ولذلك قال الله - عز وجل - فى محكم كتابه:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

سورة النحل (١٢٥)

أعرف أن الإنسان كبشر يضيق بالتعسف واللجاج، ويرى المشتط فى تعسفه إنسانا مريضا يحتاج إلى علاج، والعلاج لدى الداعية هو الحلم الكاظم والصبر الصفوح، إذ يجب عليه أن يتوقع كل شطط، وأن يعلم أن الريح ستهب من كل اتجاه تحمل الغبار الثائر، وتطمس وجه الأفق وقد يعقبها رعود وبروق وأمطار، يعلم ذلك ويقدره ويراه غير غريب، حتى إذا جوبه به، ملك زمام تفكيره وأخذ يتصرف أمام مناوئه كما يتصرف الأب المجرب أمام ولده المراهق النزق، يعرف أنه مخطئ متسرع. ولكنه بحنانه يدفعه إلى أن يبتسم وأن يهدى للتى هى أقوم، بصبر راسخ وحلم رشيد.

قد يجابه الداعية أقسى ما يتوقع من انكار لوجود الله، ومن إنكار لبعثة الرسل ومن إنكار ليوم البعث، وعليه حينئذ أمام هذه الدواهى المنكرة أن يتسلح بالابتسام ليرى من صفحة وجهه ما يدل على السماحة والرفق حتى إذا ملك زمام نفسه بدأ بالرد فى رفق ولين.

أسوق تجربة واعية لداعية أمين. ووجه بالإنكار الصارم لهذه المسائل الثلاث، مسألة وجود الله، ومسألة البعث الأخروى. ومسألة إرسال الرسل، فلم يعبس فى وجه صاحبه، بل رحب بما سأل مبتسما ثم قال فى رفق غفور، متجها إلى المعارض فى حنو وكأنه يعاتب صديقا من أعز الأصدقاء.

قال الداعية فى سماحة لصاحبه:

إن ما سمعته منك لم يكن مستغربا لدى، فقد عصفت بى العواصف، كما عصفت بك، ومضى علىّ زمان وقفت فيه فى مهب الأعاصير، أشك ولا أوقن، وأضل ولا اهتدى، وأثور ولا اهدأ، ولكنى كنت أطلب العون من عقلى دائبا مفكرا، فرأيتنى أزيح ما تراكم فى عينى من الغيوم شيئا فشيئا بطول النظر وإمعان الفكر حتى صفا الجو وأشرقت الشمس فى الآفاق.

لقد نظرت إلى نظام هذا الكون حيث تسير الحياة فى نسق مطرد

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

سورة ياسين (٤٠)

ينزل المطر فيروى الأرض، وينشق الجماد عن نبات أخضر يحمل رزق العباد! يتكون الإنسان جنينا فعلقة فمضغة ثم يصير طفلا يرى الوجود فى وقت معلوم، وقد جهز بآلات وقف العلم أمامها حائرا وسار على نظام لا يختل ولا يعتل! يولد الحيوان كما يولد الإنسان ليؤدى دوره الطبيعى فى الحياة، تزدحم الأكوان بالكواكب والنجوم والأفلاك دون أن تتصادم، تجرى البحار بالمياه، وتكن آلاف الأسماك والحيتان لتكون رزقا للناس! أيكون هذا الإبداع فى السماء والأرض والإنسان والحيوان قد جاء اعتباطا دون أن يقوم على أمره إله!

أى عقل يقبل أن ينهض بناء أرضى كمنزل أو مدرسة أومصنع دون أن يقوم به أناس يفكرون ويعملون! وإذا استحال أن يُبنى منزلٌ صغيرٌ بدون بان، فكيف تنتظم أمور الكون دون موجد يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

إلى هنا - يا أخى - وجدت طبقة من الغيم تنزاح من فوق عينى، فآمنت بإله خلق الكون، وأبدع الكائنات، فزالت الكربة الأولى.

ثم جعلت أفكر فى أمر القيامة وساءلت نفسى: أحقا سيقوم الناس لرب العالمين؟ أحقا سينفخ فى الصور يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة؟ أحقا ستنشق السماء فهى يومئذ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية؟ أحقا سيخرج الناس من الأجداث كأنهم إلى نصب يوفضون، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى يوعدون؟

جعلت أسأل نفسى هذه الأسئلة؟ فوجدتنى اتجه إلى هذا الخالق الذى أبدع

الكائنات جميعها وقد اعترفت بوجوده، وأصبحت لا أشك لحظة فى قيامه على أمر السموات والأرض، فقلت فى نفسى أيجوز أن يخلق الله هذا الكون وأن يجعل الإنسان خليفته فى الأرض، ثم يدع الناس كما شاءوا دون ثواب أو عقاب؟ لو جاز أن يكون ذلك ما صلح نظام وما استقام أمر، لابد أن الذى خلق الناس وهداهم بالعقل قد كفل لهم رسالة حية يؤدونها على ظهر البسيطة فإما أن يكونوا أخياراً بررة، فيلقوا ثوابهم وأما أن يكونوا أشراراً فجرة فيلقوا عقابهم:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

سورة المؤمنون (١١٥)

وإذا اعترفنا بأن مبدع الكون مصور حكيم فإن من حكمته البالغة أن يجزى بالمعروف معروفاً وبالمنكر منكرا وليس من الحكمة أن يودع الإنسان عقلا حصيفاً وإدراكا مستنيراً ثم يتركه كالسائمة!! وإذن فما نفع الحياة؟ إذا كانت مجرد حياة وفناء!! دون أن تؤدى إلى بقاء دائم، لتذهب إذن إذا كانت دورتها الأولى فى الأرض هى كل شىء، لأن الإنسان مهما عاش فسيموت، ولن يجديه العيش نفعا إذا انتهت حياته بموته أما إذا استقبل حياة أخرى، فإن البقاء بها اكتمال لحكمة الوجود، وتنفيذ لمشيئة خالق الكون ذى الجلال والإكرام.

قلت فى نفسى ذلك، وأخذت أفكر فيما أقول، فوجدت الحياة بدون جزاء عبث لا يفعله إله، ورأيت لدىّ يقينا جازماً باليوم الآخر حين يتم الثواب والعقاب، فشعرت أن طبقة أخرى من الغيم قد زالت عن عينى، وأنى صرت أومن بيوم الجزاء كما آمنت من قبل بوجود الله.

بقيت الثالثة: وهى إرسال الرسل! فماذا أقول فيها؟

لقد قرأت ما يقول الملحدون عن الرسل، فعرفت اتجاههم نحو هؤلاء، إذ هم فى رأيهم مصلحون أذكياء، رأوا العالم فى فساد، ففكروا فى هدايته، وكان لهم من ثاقب النظر، وعمق التفكير، وصفاء البصيرةما حبب إليهم النضال من أجل سعادة الإنسان! وحين عرفوا أنهم على الحق زادوا إيمانا بواجبهم الإصلاحى، وتغلغل هذا الإيمان لديهم حتى اعتقدوا أنهم مسيرون لا مخيرون وأنهم مرسلون من الله! هذا ما يقوله من يحترم الأنبياء، والرسل ويشك فى صلتهم بالسماء!

ولكن النظر إلى الرسالات السماوية، يهدى إلى أنها جاءت بما فوق طاقة البشر أن يأتوا به، فمهما بلغ الرسل من الذكاء والفصاحة فهو لا يستطيع أن يخترع كتاباً سماوياً، لدينا مثلا كتاب الله - عز وجل - وهو القرآن أيجوز أن يأتى به بشر؟ وقد تحدى الله جميع الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا! أيجوز أن يكون قد صنعه محمد ﷺ؟ إننا نقرأ الحديث الشريف ونعرف أسلوب الرسول فيما ترك من خطب وقصص ورسائل وفيما قال من حديث! أيوجد أدنى تشابه بين الأسلوبين: أسلوب القرآن وأسلوب الحديث، وإذا تعذر أن يوجد تشابه ما بين الأسلوبين، فأسلوب القرآن منفرد بالإعجاز، ولن يكون إلا من لدن حكيم عليم.

ثم إن العقل البشرى مهما زاد اكتمالا، وعلا سموا، وائتلق ضياء، فله حد يقف عنده!

أفيجوز أن يصنع كتابا سماويا يتحدث عن الغيب؟ وتأتى الأيام بما يصدق هذا الحديث، لن يعرف الغيب إلا عالم الغيب والشهادة فكيف يرتقى إليه الإنسان كائنا من كان!

هنا وجدت الغشاوةجميعها تنزاح عن عينى وعدت مبصراً أرى الحياة سعيدة تأتلق بنور الإيمان.

هذه خلاصة ما واجه به الداعية صديقه المفكر، وقد جذبه إلى معتقده بما ساق من حجج وما اعتصم به من سلوك رشيد، فعلى الدعاة أن يكونوا على مستوى الكلمة من الهداة، لتتأكد الثقة بهم فى نفوس المستمعين والقارئين، كما أن على الداعية إذا وفق إلى اجتذاب الناس ألا يشمخ مزهوا فالله ولى التوفيق، وفى دراسته الواعية لما اعتصم به السابقون من الدعاة من تواضع مخلص، ورضا هادىء وحنو صادق، ما يجعله يخفض لمستمعيه جناح الذل من الرحمة ليبلغ بهدايتهم ما يريد.

د./ محمد رجب البيومى

مع سورة الإسراء
في ذكرى الإسراء والمعراج

بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج تقدم مجلة الأزهر هذه الآيات الكريمة من تفسير سورة الإسراء احتفاء بالذكرى العطرة.

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى -:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

الإسراء آية رقم (١)

افتتحت سورة الإسراء بتنزيه الله - تعالى - عن كل ما لا يليق بجلاله، كما يدل على ذلك لفظ ﴿سُبْحَانَ﴾ الذى من أحسن وجوه إعرابه، أنه اسم مصدر منصوب - على أنه مفعول مطلق - بفعل محذوف، والتقدير: سبحت الله - تعالى - سبحانا أى تسبيحا، بمعنى نزهته تنزيها عن كل سوء.

قال القرطبى: وقد روى طلحة بن عبيد الله الفياض أحد العشرة - أى المبشرين بالجنة

- أنه قال للنبى ﷺ: ما معنى سبحان الله؟ فقال: «تنزيه الله من كل سوء»[1].

وقوله: ﴿أَسْرَىٰ﴾ من الإسراء، وهو السير بالليل خاصة.

قال الجمل: يقال أسرى وسرى، بمعنى سار فى الليل، وهما لازمان، لكن مصدر الأول الإسراء ومصدر الثانى السرى - بضم السين كالهدى - فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول، وإنما جاءت التعدية هنا من الباء. ومعنى أسرى به، صيره ساريا فى الليل[2].

والمراد ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ خاتم أنبيائه محمد ﷺ، والإضافة للتشريف والتكريم.

وأوثر التعبير بلفظ العبد، للدلالة على أن مقام العبودية لله - تعالى - هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها، إذ لو كان هناك وصف أعظم منه فى هذا المقام لعبر به، وللإشارة - أيضا - إلى تقرير هذه العبودية لله - تعالى - وتأكيدها، حتى لا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية، كما التبسا فى العقائد المسيحية، حيث ألهوا عيسى - عليه السلام - وألهوا أمه مريم، مع أنهما بريئان من ذلك..

قال الشيخ القاسمى نقلا عن الإمام ابن القيم فى كتاب «طريق الهجرتين»: أكمل الخلق أكملهم عبودية لله - تعالى -، ولهذا كان النبى ﷺ أقرب الخلق إلى الله - تعالى - وأعظمهم عنده جاها، وأرفعهم عنده منزلة، لكماله فى مقام العبودية. وكان ﷺ يقول: «أيها الناس ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى. إنما أنا عبد». وكان يقول: «لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله».

وذكره - سبحانه - بسمة العبودية فى أشرف مقاماته: فى مقام الإسراء حيث قال:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾

وفى مقام الدعوة حيث قال:

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾..[3]

وفى مقام التحدى حيث قال:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾.[4]

وقوله: ﴿لَيْلًا﴾ ظرف زمان لأسرى.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل؟.

قلت: أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير، تقليل مدة الإسراء، وأنه أسرى به بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية..».[5]

١- تفسير القرطبى جـ ١٠ ص ٢٠٤.

٢- حاشية الجمل جـ ٢ ص ٦٠٨.

٣- سورة الجن الآية (١٩).

٤- تفسير القاسمى جـ ١٠ ص ٣٨٨٤ والآية من سورة البقرة (٢٣).

٥- تفسير الكشاف جـ ٢ ص ٤٢٦.

وقوله:

﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾.

بيان لابتداء الإسراء وانتهائه.

أى: جل شأن الله - عز وجل - وتنزه عن كل نقص، حيث أسرى بعبده محمد ﷺ فى جزء من الليل، من المسجد الحرام الذى بمكة إلى المسجد الأقصى الذى بفلسطين.

ووصف مسجد مكة بالحرام، لأنه لا يحل انتهاكه بقتال فيه، ولا بصيد صيده، ولا بقطع شجره.

ووصف مسجد فلسطين بالأقصى، لبعده عن المسجد الحرام، إذ المسافة بينهما كان يقطعها الراكب للإبل فى مدة شهر أو أكثر.

قال الآلوسى: ووصفه بالأقصى - أى الأبعد - بالنسبة إلى من بالحجاز. وقال غير واحد: إنه سمى به لأنه أبعد المساجد التى تزار من المسجد الحرام وبينهما زهاء أربعين ليلة. وقيل - وصف بذلك -: لأنه ليس وراءه موضع عبادة فهو أبعد مواضعها..(٦)

وظاهر الآية يفيد أن الإسراء كان من المسجد الحرام، فقد أخرج الشيخان والترمذى والنسائى من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا فى الحجر - وفى رواية - فى الحطيم، بين النائم واليقظان، إذ أتانى آت فشق ما بين هذه إلى هذه، فاستخرج قلبى فغسله ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه»..

وقيل أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب، فيكون المراد بالمسجد الحرام: الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به. فعن ابن عباس - رضى الله عنهما -: الحرم كله مسجد.

ويمكن الجمع بين هذه الروايات، بأن الرسول ﷺ بقى فى بيت أم هانئ لفترة من الليل، ثم ترك فراشه عندها وذهب إلى المسجد، فلما كان فى الحِجْر، أو فى الحطيم بين النائم واليقظان أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلا. ثم عاد إلى فراشه قبل أن يبرد - كما جاء فى بعض الروايات.

وبذلك يترجح لدينا أن وجود الرسول ﷺ فى تلك الليلة فى بيت أم هانئ، لا ينفى أن الإسراء بدأ من المسجد الحرام، كما تقرر الآية الكريمة.

وقوله:

﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ صفة مدح للمسجد الأقصى.

أى: جل شأن الله الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذى أحطنا جوانبه بالبركات الدينية والدنيوية.

أما البركات الدينية فمن مظاهرها: أن هذه الأرض التى حوله، جعلها الله - تعالى - مقرا لكثير من الأنبياء، كإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى.

قال - تعالى -:

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾(٧).

٦- تفسير الآلوسى جـ ١٥ ص ٩.

٧- سورة الأنبياء الآية (٨١).

وقال ـ سبحانه ـ فى شأن إبراهيم:

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾(٨).

والمقصود بهذه الأرض: أرض الشام، التى منها فلسطين.

وأما البركات الدنيوية فمن مظاهرها: كثرة الأنهار والأشجار والثمار والزروع فى تلك الأماكن.

قال بعض العلماء: وقد قيل فى خصائص المسجد الأقصى: أنه متعبد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، ومعراجه إلى السموات العلا.. وأولى القبلتين وثانى المسجدين، وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه.(٩)

وقوله ـ سبحانه ـ:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ إشارة إلى الحكمة التى من أجلها أسرى الله ـ تعالى ـ بنبيه ﷺ فقوله:

﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ متعلق بـ ﴿ أَسْرَىٰ ﴾.

و« من » للتبعيض لأن ما رآه النبى ﷺ وإن كان عظيما إلا أنه مع عظمته بعض آيات الله بالنسبة لما اشتمل عليه هذا الكون من عجائب.

أى: أسرينا بعبدنا محمد ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله، ثم عرجنا به إلى السموات العلا، لنطلعه على آياتنا، وعلى عجائب قدرتنا، والتى من بينها: مشاهدته لأنبيائنا الكرام، ورؤيته لما نريد أن يراه من عجائب وغرائب هذا الكون.

ولقد وردت أحاديث متعددة فى بيان ما أراه الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ فى تلك الليلة المباركة، ومن ذلك ما رواه البخارى عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال:

« ... ووجدت فى السماء الدنيا آدم فقال لى جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه ورد علىّ آدم السلام فقال: مرحبا وأهلا بابنى، فنعم الابن أنت.. »

وفى رواية الإمام أحمد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « لما عرج بى ربى ـ عز وجل ـ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون فى أعراضهم.. ».(١٠)

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية الكريمة بما يدل على سعة علمه، ومزيد فضله فقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

أى: إنه ـ سبحانه ـ هو السميع لأقوال عباده: مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم. بصير بما يسرونه ويعلنونه،

٨- سورة الأنبياء الآية ٧١.

٩- تفسير القاسمى جـ ١٠ ص ٣٨٨٥.

١٠- تفسير ابن كثير المجلد الخامس ص ٨ طبعة دار الشعب.

وسيجازى كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب، بدون ظلم أو محاباة.

هذا وقد ذكر المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية جملة من المسائل منها:

١- أن هذه الآية دلت على ثبوت الإسراء للنبى ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما العروج به ﷺ إلى السموات العلا فقد استدل عليه بعضهم بآيات سورة النجم، وهى قوله - تعالى -:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾(١١).

وقد ساق الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية أحاديث كثيرة بأسانيدها ومتونها، وقال فى أعقاب ذكر بعضها:

قال البيهقى: وفى هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسرى به - ﷺ - من مكة إلى بيت المقدس، وهذا الذى قاله هو الحق الذى لا شك فيه ولا مرية.(١٢)

وقال القرطبى: ثبت الإسراء فى جميع مصنفات الحديث، وروى عن الصحابة فى كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه، وذكر النقاش ممن رواه عشرين صحابيا.(١٣)

٢- قال بعض العلماء ما ملخصه: ذهب الأكثرون إلى أن الإسراء كان بعد المبعث، وأنه قبل الهجرة بسنة. قاله الزهرى وابن سعد وغيرهما. وبه جزم النووى، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه. وقال: كان فى رجب سنة اثنتى عشرة من النبوة.

واختار الحافظ المقدسى أنه كان فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب.(١٤)

والذى تطمئن إليه النفس أن حادث الإسراء والمعراج، كان بعد وفاة أبى طالب والسيدة خديجة - رضى الله عنها -.

ووفاتهما كانت قبل الهجرة بسنتين أو ثلاثة. وفى هذه الفترة التى أعقبت وفاتهما اشتد أذى المشركين بالنبى ﷺ فكان هذا الحادث لتسليته ﷺ عما أصابه منهم، ولتشريفه وتكريمه.

٣- من المسائل التى ثار الجدل حولها، مسألة: أكان الإسراء والمعراج فى اليقظة أم فى المنام؟ وبالروح والجسد أم بالروح فقط؟

وقد لخص بعض المفسرين أقوال العلماء فى هذه المسألة فقال: اعلم أن هذا الإسراء به

١١- سورة النجم الآيات من ١ - ١٢.

١٢- تفسير ابن كثير المجلد الخامس ص ٧ طبعة دار الشعب.

١٣- تفسير القرطبى جـ ١٠ ص ٢٠٥.

١٤- تفسير القاسمى جـ ١٠ ص ٢٨٨٨.

ﷺ المذكور فى هذه الآية الكريمة زعم بعض أهل العلم أنه بروحه دون جسده، زاعما أنه فى المنام لا فى اليقظة لأن رؤيا الأنبياء وحى.

وزعم بعضهم أن الإسراء بالجسد، والمعراج بالروح دون الجسد.

ولكن ظاهر القرآن يدل على أنه بروحه وجسده ﷺ يقظة لا مناما، لأنه قال:

﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ والعبد مجموع الروح والجسد.

ولأنه قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناما لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه.

ولأنه لو كان رؤيا منام لما كان فتنة، ولا سببا لتكذيب قريش له ﷺ لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار لأن المنام قد يرى فيه ما لا يصح.

ولأنه - سبحانه - قال:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ والظاهر أن ما أراه الله - تعالى - لنبيه إنما كان رؤيا عن طريق العين ويؤيده قوله - تعالى -:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾(١٥).

ولأنه ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن الرسول ﷺ قد استعمل فى رحلته البراق، واستعماله البراق يدل على أن هذا الحادث كان بالروح والجسد وفى اليقظة لا فى المنام.

وما ثبت فى الصحيحين عن طريق شريك عن أنس - رضى الله عنه - أن الإسراء المذكور وقع مناما، لا ينافى ما ذكرنا مما عليه أهل السنة والجماعة، ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أنه كان يقظة وبالروح والجسد، لإمكان أنه ﷺ رأى الإسراء المذكور مناما، ثم جاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح، فأسرى به يقظة تصديقا لتلك الرؤيا المنامية.(١٦)

هذا، ومن العلماء الذين فصلوا القول فى تلك المسألة تفصيلا محققا، القاضى عياض فى كتابه: «الشفا» فقد قال - رحمه الله - بعد أن ساق الآراء فى ذلك:

«والحق فى هذا والصحيح - إن شاء الله - أنه إسراء بالروح والجسد فى القصة كلها، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس فى الإسراء بجسده وروحه حال يقظته استحالة..(١٧)

وما قاله القاضى عياض - رحمه الله - فى هذه المسألة هو الذى نعتقده، ونلقى الله - تعالى - عليه.

١٥- سورة النجم الآية (١٧، ١٨).

١٦- تفسير أضواء البيان جـ ٣ ص ٣٤٨ لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الأمين الشنقيطى.

١٧- راجع «الشفا» للقاضى عياض جـ ١ ص ١٤٥، وما بعدها.

جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي

للأستاذ الدكتور / صابر عبد الدايم يونس

● إن جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى تتعدد وجوهها.. وتتنوع طرائقها، ولكن الأثر الباقى فى النفس الإنسانية المؤمنة برسالة الإسلام، والتى تعمق فيها الإحساس بعظمة الشخصية المحمدية وعبقريتها.. هذا الأثر الباقى هو الإحساس بجمال المنطق، وحلاوة التعبير وشرف المعنى وصحته، وسمو قصده وحكمته..

● والأسلوب هو الرجل - كما يقول النقاد فى العصر الحديث - وجمال الفطرة والخلق الذى تحلى به المصطفى ﷺ.. هو منبع أسرار الجمال فى أساليبه وأحاديثه الناطقة بكل معنى عظيم وعن خصال الجمال والكمال التى تحلى بها (محمد) ﷺ.. يقول «القاضى عياض»:

«اعلم أيها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان:

(أ) ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا.

(ب) ومكتسب دينى، وهو ما يحمد فاعله، ويقرب إلى الله زلفى.

● وهذا المكتسب الدينى على فنين أيضا:

.منها ما يتخلص لأحد الوصفين، ومنها ما يتمازج ويتداخل.

فأما الضرورى «الدنيوى» المحض.. فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب «بل فطرة وطبعا» مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقلة، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه، وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه.

● وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهى التى جماعها «حسن الخلق».

ثم يؤكد القاضى عياض أن هذه الخصال الجمالية الكمالية التى ينبع منها المنطق الجميل، والفعل الجميل والأسلوب الجميل.. كان لنبينا« ﷺ شرف التحلى بها جميعا فهو الأسوة الحسنة فى الأقوال.. وفى الأفعال.. وفى الخَلقْ والخُلُق».

يقول: «إذا كانت خصال الكمال والجلال– ما ذكرناه ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له فى كل عصر– إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم، أو حلم أو شجاعة أو سماحة، حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال، ويتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب أثرة وعظمة».

فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال، إلى مالا يأخذه عد، ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء، والرؤية والقرب، والدنو والوحى، والشفاعة والوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذى العرش، والطاعة والأمانة والهداية، ورحمة العالمين، وإعطاء الرضى والسؤال والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الإصر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة، والسبع المثانى والقرآن العظيم، وتزكية الأمة والدعاء إلى الله، وصلاة الله – تعالى– والملائكة، والحكم بين الناس بما أراده الله، ووضع الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه وإجابة دعوته، «وتكليم الجمادات والعجم، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشاق القمر، ورد الشمس، وقلب الأعيان، والنصر بالرعب، والاطلاع على الغيب وظل الغمام، وتسبيح الحصى وإبراء الآلام، والعصمة من الناس، إلى مالا يحويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك، ومفضله به، لا إله غيره إلى ما أعد له فى الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القدس، ومراتب السعادة والحسنى وزيادة، التى تقف دونها العقول، ويحار دون إدراكها الوهم« .. إنه المصطفى ﷺ ولامرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق، وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة، مع عجب شمائله، وبديع سيرته، فضلا عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه، لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه»(١).

● وهذا الجمال الشمولى النابع من شخصية المصطفى ﷺ . ليس جمالا نسبيا، ولا رأيا ذاتيا، ولا ميلا تعصبيا، إنما هو حقيقة ساطعة باهرة.. لم تنطفئ شمسها على توالى العصور وتعاقب الأزمان.

(١) انظر الشفا للقاضى عياض. و«السيرة النبوية فى مفهوم القاضى عياض د/ أحمد جمال العمرى، (من ٢٠٥–٢١٠).

● فبيان المصطفى ﷺ مسكون بالجمال الإنساني.

● ومنطقه نابع من إنسانيته، ووحى الله- عز وجل- وحتى قبل أن يهبط عليه الوحى.. كان منطقه جميلا.. أمينا صادقا.. لأن الحق- سبحانه- يعده لتبليغ الرسالة العظمى، وأداء الأمانة المثلى.. «وإذا احتكمنا إلى آراء علماء الجمال نجد أن فريقا منهم يرى أن الجمال هو الصفة المستقرة فى ذات الشئ، فحقيقة الجمال مستقرة في ذلك الشئ ومنهم «شوبنهاور»و«هيدجر» أما الفريق الآخر فيرى أن الجمال هو الشعور الذى ينبع من نفس الإنسان تجاه شئ ما..، وحينئذ تكون حقيقة الجمال مستقرة فى نظرة الإنسان من خلال ما يشعر به نحو ذلك الشئ..، ومنهم «كانت» و«كاسيرر» الفيلسوفين الألمانيين(٢).

فجمال منطق المصطفى ﷺ .. طبيعى مكتسب لأن الله فطره على ذلك..، ومن وصاياه الكريمة التى من أسباب النجاة من المهالك.. ومن فتن الحياة قوله ﷺ لمن سأله عن أسباب النجاة:

«أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»(٣).

وقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(٤).

أولا «هند بن أبى هالة وتصويره لمنطق المصطفى ﷺ».

● وأبلغ شاهد على جمال المنطق النبوى.. ما قاله هند بن أبى هالة حينما سأله الحسن بن على- رضى الله عنهما- عن منطق رسول الله ﷺ فأجاب:

«كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فضلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافى ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لايذم شيئا، لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، واذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسر، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام(٥).

● وتفيض الأوصاف السابقة بصفات الجمال والجلال والكمال.. التى تحلت بها شخصية المصطفى ﷺ وهى لم ترو عن بعد.. ولم يبدعها وجدان محب للمصطفى ﷺ، وإنما هن حقائق واقعية رآها..

---

(٢) انظر الظاهرة الجمالية فى الإسلام ص ٢٥ صالح أحمد الشامى.

(٣) أخرجه الترمذى.

(٤) أخرجه البخارى ومسلم.

(٥) انظر تاريخ آداب العرب للرافعى ص٢٩٠ . ٢٩١.

وعاصرها.. وشهد بها واحد من الذين كرمت أبصارهم.. وأضيئت بصائرهم بمشاهدة وجه النبى الكريم الذى كرمه الله- عز وجل- فى قوله:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٦).

وفى قوله - سبحانه - مخاطبا أشرف الخلق

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٧).

ويروى عن ابن عباس «أن النبى ﷺ كانت روحه نوراً بين يدى الله- تعالى- قبل أن يخلق آدم بألفى عام. يسبح ذلك النور، وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه، فقال رسول الله ﷺ: «فأهبطنى الله إلى الأرض فى صلب آدم، وجعلنى فى صلب نوح، وقذف بى فى صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الكريمة، والأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من أبوى، ولم يلتقيا على سفاح قط»(٨).

● والمناقب التى أضفاها: هند بن أبى هاله، على رسول الله ﷺ لا مبالغة فيها، ولا تكلف، ولا مجاملة ولا رياء ولا تخالطها عاطفة مشبوبة، ولا عصبية مفرطة فى الهوى، وإنما هى مناقب صادقة، وليست أحوالا طارئة ولا انفعالات خاصة، وتواصل الأحزان فى حياة المصطفى ﷺ لا ينبئ عن ضعف أوعدم رضا بالقضاء والقدر، أو اعتراض على مراد الله وعلمه، ولكنه حزن المسؤولية الجسيمة، والملقاة على عاتقه، مسؤولية هداية الناس إلى منهج الله وتبليغهم رسالة رب العالمين، وقد أمره الحق سبحانه بتبليغ الرسالة فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم.

ففى سورة المائدة يجئ الأمر صريحا، وحاسما، وفيه صيغة الإنذار، وفى قوله عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٩).

ويخفف الرحمن الرحيم الأحزان عن نبيه ومصطفاه.

فينادى الحبيب المصطفى، نداء حانيا كريما مطمئنا قلبه ووجدانه، وموحيا إليه أن لا يترك الحزن يتراكم فى نفسه فى سبيل الحرص على هداية الناس أجمعين، قال تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١٠).

فكم يتعاظم حزن المصطفى- عليه الصلاة والسلام- وهو يشاهد مسلما يرتد عن الإسلام، وأمنا فقا يبطن الكفر ويظهر الإسلام، أو فاسقا ينهك حدود ما حرم الله.... يقول الله عز وجل مطمئنا مصطفاه وحبيبه:

(٦) سورة الأنبياء آية (١٠٧).
(٧) سورة القلم آية (٤).
(٨) الشفا فى أحوال المصطفى، للقاضى عياض ص:٨١ نقلا عن «السيرة النبوية فى مفهوم القاضى عياض» د. أحمد جمال العمرى. والحديث فى المطالب العالية للحافظ ابن حجر ٤/١٧٧ برقم ٤٢٥٦.
(٩) سورة المائدة آية (٦٧).
(١٠) سورة القصص آية (٥٦).

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ
قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ
هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ
وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١١).

وفى سورة «الأنعام» نقرأ الحزن فى حياة الرسول حقيقة مشاهدة وواقعة انعكاسا لمواقف الجاحدين المعاندين المستكبرين فيقول الله عز وجل مؤكدا واقع الحزن فى حياة المصطفى ﷺ:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(١٢).

ومما يضفى سمة الإيجابية على «صفة الحزن» فى شخصية المصطفى- عليه الصلاة والسلام- أنه دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم.

وهى صفات تجمع بين الجمال والجلال، لتعلن عن خاصية «الكمال»... وكان سكوته ﷺ على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير. وفى وصف هند لطريقة كلام الرسول فى أحاديثه بأنه «يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه» ويتكلم بجوامع الكلم« تفسير لجمال الأداء وجلال فى منطق الرسول عليه السلام»

فمدلول هذه الصفة أنه« كان يستعمل جميع فمه للتكلم، ولا يقتصر على تحريك الشفتين، وذلك من قوة النطق والصوت والمعنى، وحضور الذهن واجتماعه وهذ الطبيعة السوية فى المنطق والآداء الجميل كان مظهر فضل وتفوق عند العرب، فقد كانت العرب تتمادح بسعة الفم، وتذم بصغره، لأنه السعة أدل على امتلاء الكلام وتحقيق الحروف وجهارة الآداء، وإشباع ذلك فى الجملة، ولأن طبيعة لغتهم ومخارج حروفها تقتضى هذا كله، ولا تحسن فى النطق إلا به ولا تبلغ تمامها إلا أن يبلغ فيها، وهو بعد مزيتها الظاهرة فى أفصح أساليبها، إذ كانت الفصاحة راجعة إلى حسن الملائمة بين الحروف باعتبار أصواتها ومخارجها، حتى تستوى فى تأليفها على مذاهب الإيقاع اللغوى.

فكانت محاسن هذا الباب فى النبى ﷺ طبيعية لأنها عن أسباب طبيعية.

فقد برأ الله رسوله عن عيوب المنطق الخلقية التى لا تتفق مع جلال الرسالة ومهابة

---

(١١) سورة المائدة آية (٤١).

(١٢) سورة الأنعام آية (٣٣).

التبليغ، حيث برئ الأداء النبوى فى منطقه من عيوب النطق «مثل التعتعة، والفأفأة، وغيرها، وبرئ أسلوبه من تنافر الحروف، ومن التعقيد والمماطلة، ومن الغرابة المستكرهة، ومن الألفاظ الوعرة والوحشية فى غير قصد أو غرض كما برئ المصطفى -ﷺ- من عيوب النطق التى تصدر عن مبالغة وتكلف كسبا لرضا المستمعين، واستجلابا لثنائهم، مثل: «التنطع، والتمطق، والتفيهق، وغيرها» ....

فالتنطع فى الكلام هو رمى اللسان إلى نطع الفم أى الغار الأعلى... مبالغة من المتكلم فى إظهار الكلام والتأثير فى المستمعين.

والتمطق: هو ضم الشفتين ورفع اللسان إلى الغار الأعلى للفم.

والتفيهق: هو الكلام من أقصى الفم.

وهو العيوب التى تصيب حاسة النطق عند كثير من الخطباء والعلماء وعامة الناس، قد سلم منها حديث النبى ومنطقه، وهو عليه السلام يقول مؤكدا رفضه للتكلف فى المنطق، والمبالغة الممقوتة فى طريقة إخراج الحروف: «أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون»(١٣)، وكان- عليه الصلاة والسلام- يقول: «إياكم والتشادق»(١٤).

فلا جرم كان منطقه عليه- الصلاة والسلام- على أتم ما يتفق فى طبيعة اللغة ويتهيأ لها إحكام الضبط وإتقان الأداء، لفظ مشبع، ولسان بلبل، وتجويد فخم، ومنطق عزب، وفصاحة متأدية، ونظم متساوق، وطبع يجمع ذلك كله، مع تثبيت وتحفظ وتبين وترسل وترتيل(١٥).

ويقول القاضى عياض.. فى معرض إشادته بفصاحة المصطفى ﷺ: «فجمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة، ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهى الذى مدده الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشر».

قالت أم مبعد فى وصفها له: «حلو المنطق، فصل لا نزر، ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن وكان جهر الصوت حسن النغمة ﷺ(١٦).

● ويروى عن قتادة أنه قال:

«ما بعث الله نبيا إلاحسن الوجه، حسن الصوت، وكان نبيكم ﷺ حسن الوجه، حسن الصوت».

---

(١٣)، (١٤) رواه الترمذى عن جابر.

(١٥) انظر: تاريخ آداب العرب للرافعى: ٢٩٥، ٢٩٦.

(١٦) السيرة النبوية فى مفهوم القاضى عياض ص: ٢١٤، د. أحمد جمال العمرى وانظر: الشفا بتحقيق حقوق المصطفى للقاضى عياض.

وقد صاحب جمال المنطق وجلاله فى شخصية المصطفى ﷺ كمال الخلق وجمال الصورة. وحين نتأمل مدلول الجمال عند علماء اللغة وعند أئمة المسلمين ندرك أن المصطفى ﷺ تجسدت فيه كل القيم الجمالية، الظاهرة والباطنة، القولية والفعلية.

قال ابن سيده: الجمال: الحسن يكون فى الفعل والخلق. وقال ابن الأثير: الجمال يقع على الصور والمعانى.

وفى كتاب «الفروق فى اللغة» يوضح أبو هلال العسكرى الفرق بين الحسن والجمال فيقول: «والحسن فى الأصل للصورة، ثم استعمل فى الأفعال والأخلاق، والجمال فى الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة، ثم استعمل فى الصور.

والإمام أبو حامد الغزالى، يضع تعريفا للجمال فى صدد حديثه عن معنى الحسن والجمال: فيقول: «حسن كل شئ فى كماله الذى يليق به» ثم يقول: «كل شئ فجماله وحسنه فى أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو فى غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها قلة من الحسن والجمال بقدر ما حضر».

والإمام ابن القيم يوضح الأمر، ويزيده جلاء، ورؤيته للجمال تقترب من الرؤية الشمولية الكونية للجمال، وهى رؤية تقترب من جمال الخلق والخلق، وجمال القول والفعل، وجمال الأداء والسلوك، فى شخصية المصطفى ﷺ.

يقول ابن القيم:

«اعلم أن الجمال ينقسم إلى قسمين: ظاهر وباطن. فالجمال الباطن: هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة.

وأما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض، وهى من زيادة الخلق التى قال الله تعالى فيها:

﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾(١٧).

قالوا: هو الصوت الحسن والصورة الحسنة(١٨).

وهذا المدلول لحقيقة الجمال، يتفق مع الآثار التى وردت فى الإشادة بالشمائل المحمدية، وقد اتفق هذا المدلول مع ما روى عن قتادة الذى ورد سابقا، أنه قال: ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه وحسن الصوت

(١٧) سورة فاطر آية (١).

(١٨) انظر: الظاهرة الجمالية فى الإسلام من ص:١١٤-١١٧ صالح أحمد الشامى.

وكان نبيكم عليه الصلاة والسلام حسن الوجه، وحسن الصوت.

وما أصدق قول أم معبد، وما أجمله في وصف منطق المصطفى- ﷺ. بأنه: حلو المنطق، فصل، لانزر ولا هزر، كأن منطقه خزرات نظمن.

ومما يكون الصورة العامة لجمال النبوة وجلالها وكمالها ما ورد في وصف هيئة الرسول- عليه الصلاة والسلام- فلقد كان رسول الله ﷺ فخما مفخما يتلألأ وجهه كوجه القمر ليلة البدر، إذا سره شئ يمتلئ بشرا، أزج الحواجب أى دقيقها، وبين الحاجبين فرق، وفى هذا الفرق عرق يظهر إذا غضب ﷺ من شئ، ولرسول الله نور يعلوه هالة من الضياء، وتشع من فوقه، شديد سواد العينين، واسع الفم، سهل الخدين، أى لا يوجد فى أحد خديه علو أو بثور أو ورم، مفلج الأسنان، أى أن أسنانه مستوية بينهما مسافات قليلة، دقيقة، عريض الصدر ما بين المنكبين، عنقه فى صفاء الفضة، وفى ظهره خاتم النبوة الذى تحدثت عنه الكتب السماوية السابقة، وكان رسول الله أحسن الناس وجها، وأعظمهم خلقا، إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، وإذا صافحه أحد امتلأت يد المصافح برائحة ذكية كأنها العطر، فقد كانت رائحة رسول الله أطيب من العطر، وكان عرق رسول الله ﷺ أزكى من العطر، وكانت رائحة رسول الله ﷺ تسبقه إلى أى مكان يذهب إليه.

وكان- كما يصفه- هند بن أبى هالة: خافض الطرف نظره إلى الأرض، أطول من نظره إلى السماء، يبدأ من يلقاه بالسلام متواصل الحزن، دائم الفكر، طيب الرائحة، لا يتكلم فى غير حاجة.

ولقد ترك رسول الله ﷺ من نفسه ثلاثة أمور الرياء والإكثار، ومالا يعنيه. وترك الناس فى ثلاثة أمور: لايذم أحدا، ولا يعير أحدا، ولا يطلب عور أحد، إذا تكلم سكت جلساؤه، وإذا سكت تكلم أصحابه كل حسب دوره، لا حسب مكانته، لا يقاطع أحدهم الآخر. ولا يقاطع رسول الله ﷺ أحدهم، وكان صبورا حليما، صبراعلى الغضب، وحلما على الجهل، وكان حازما فى رد النفاق، وكان صبيح الوجه، حسن الصوت- عليه الصلاة والسلام.

***

الإسلام والعلاقات الاجتماعية

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

لقد ربط الإسلام بين جوانب المجتمع الإسلامى بروابط وثيقة، وشد بين علاقات الأفراد والجماعات بوشائج من القوة بمكان، بحيث لا تنفصم لها عُرى، لأنها تنبع من قاعدة ثابتة قوية، هى الإيمان بالله وحده لا شريك له.. وجانب التصديق فى الإيمان، لابد معه من جانب التطبيق فى العبادات، وهى بدورها، وعلى أساس الإيمان، تثمر فى حياة المسلم السلوك المستقيم، والعلاقات الاجتماعية القوية.

وتختلف العلاقات الاجتماعية، فى المجتمع الإسلامى، عن غيرها فى المجتمعات الأخرى اختلافاً واسعاً فى الأساس، وفى البناء، وفى الهدف والنتيجة.

أما اختلاف العلاقات الاجتماعية الإسلامية فى الأساس عن غيرها، فهذا واضح فى أن عقيدة المجتمع الإسلامى هى التوحيد الخالص، الذى لايتجه معه المسلم إلا إلى الله الواحد، وهذا الأساس يجعل العلاقات محكومة بضوابط الدين ومبادئه، ولايصدر الناس عنها فى أى عمل من الأعمال إلا بما كان متفقاً مع روح هذا الإيمان.

وهذا على عكس العلاقات فى مجتماعات غير المسلمين، فهذا الأساس غير موجود فيها، وبالتالى فهى علاقات لا أساس لها من الإيمان الذى يعصم من الخطأ، ويحذر من الوقوع فى الشرور والمخالفات..

ومما لا شك فيه أن من أسس بنيانه على الإيمان ثبتت دعائمه، ونهض بناؤه ومن لم يؤسس بناءه، أو أسسه على طرف جانب مشرف على السقوط، فهو فى ضياع وخسران، يقول الله - تعالى -

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(١).

وأما اختلاف العلاقات فى المجتمع الإسلامى عن غيرها فى المجتمعات الأخرى فى الطريق والبناء، فإننا نجد أن الإسلام قام على خمس دعائم:

أولاً: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله:

وفى هذا توحيد لله وإقرار بالرسالة التى بعث بها رسوله هادياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، وعلى أساس ذلك فلا نأخذ إلاما جاء به القرآن وما جاءت به السنة، لأن صاحبها رسول الله ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى.

فلا يأخذ المجتمع الإسلامى قوانين علاقاته من شرق أو غرب، أومن فكر بشرى متضارب، قابل للخطأ والصواب، ولكن يأخذها من كتاب ربه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومن السنه المطهرة التى جاءت مفصلة وموضحة للقرآن الكريم.

ثانياً: إقام الصلاه:

بأدائها على أكمل وجه، واستمرار القيام بها، وهى لقاء متكرر كل يوم خمس مرات، ليظل الإنسان على صله دائمة بربه، متذكراً له، مطيعاً مخلصاً، وهى تعمل عملها فى كف صاحبها عن كل منكر، وتطهيره من الذنوب والدنايا، كما قال الله - تعالى -.

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(٢).

وفى أدائها فى جماعة، تأليف للقلوب، وغرس لأصول الوحدة والتواصل بين المسلمين، وجمعهم على كلمة واحدة، يتجهون فيها إلى الله الواحد سبحانه وتعالى -

ثالثاً: أداء الزكاة:

وفى أداء الزكاة تقوية للرابطة الإنسانية والاجتماعية بين المسلمين، وتطهير للمال وتطهير للغنى من الشح وتطهير للفقير من

(١) التوبة: ١٠٩.

(٢) العنكبوت: ٤٥.

الحقد، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾(٣).

رابعاً: صوم رمضان:

وفى الصيام تربية للإرادة، وغرس لفضائل الصبر والاحتمال، والتعاطف والإحسان إلى المحتاجين، وبالجملة الوصول إلى تقوى الله ـ تعالى ـ كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٤).

خامساً: الحج إلى بيت الله الحرام:

وفى الحج تعبير عن الإخلاص لله، وأداء لركن هام، ولقاء على أكبر مستوى بالجماعة الإسلامية لإصلاح أمور دينهم ودنياهم، وإرساء لقواعد التقوى وتطهير من كل آفات الشر كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(٥).

وهذه الأركان يجمعها الحديث الصحيح:

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»(٦).

وأما عن اختلاف العلاقات الإسلامية فى الهدف والنتيجة عن غيرها، فذلك قائم على أن مرجع العلاقات الاجتماعية الإسلامية، يتركز فى مرضاة الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإذا أحب المسلم أخاه المسلم، فإنه لا يحبه إلا لله، وهو بهذا يكون ضمن من يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله، وفى الحديث:

« .. ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ..(٧) وفى الحديث الآخر:

« .. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله .. »(٨).

أما فى المجتماعات الأخرى المادية، فلا نجد تلك العلاقات الحميمة القائمه على الإخلاص لله وحده، نتيجة فقدان العقيدة الصحيحة فيها، ولذا تقوم العلاقات فى تلك المجتمعات المادية على أساس مادى بحت، وفى وسائل وغايات مادية، يسعى ـ خلالهاـ الأفراد والجماعات للمصلحة الشخصية، والمنفعة الذاتية ،وتخيم فيها الأثرة والأنانية وحب الذات، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى :فإنها لما لم تقم على أسس دينيـــة، وخلت من الوازع الدينى، أصبحت تلك العلاقات مضطربة فى مهب الفتن، تذيبها الأهواء والشهوات، وتنحرف بها الأغراض والنزعات.

---

(٣) التوبة: ١٠٣.

(٤) البقرة: ١٨٣.

(٥) البقرة: ١٩٧.

(٦) رواه الإمام البخارى فى صحيحه.

(٧) رواه الإمام أحمد (٢/٤٣٩).

(٨) مجمع الذوائد(١/٥٥. ٥٦).

وهكذا يتضح أن العلاقات الاجتماعية فى الإسلام تقوم على أساس التوحيد، وينهض بناؤها على دعائم الإسلام، التى تثمر العلاقة النقية المخلصة، والسلوك المستقيم، والخلق الرفيع.

فالإيمان أساس، والعبادات طاعة وتطبيق، ومكارم الأخلاق فى المعاملات وغيرها غايات ونتائج وثمرات وأهداف.

وإذا قام المسلم بذلك، ولكن بقى منطوياً على الشر، منحرفة علاقاته مع الآخرين، وتسرب منه الأذى للناس، فإنه حينئذ بعيد عن الإيمان، لم تثمر عباداته الثمرة المطلوبة من تهذيب العلا قات ومكارم الأخلاق. وقد روى عن الرسولﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها!

فقال:« هى فى النار». ثم قال: يارسول الله، فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذى جيرانها ؟قال:« هى فى الجنة»[٩].

ومما سبق يتبين أن العلاقات الاجتماعية فى الإسلام قامت على أساس ونهضت بدعائم واستهدفت غايات.

ولكى تأخذ تلك العلاقات صورتها المتحدة وتتشكل فى دائرة مضيئة تصان فيها الحقوق، أحاطها الإسلام برباط الأخوة الإسلامية، ليشعر كل فرد أو مجتمع أن فى أعماقه ودمه صلة قوية، ورباطاً وثيقاً يلزمه بتحمل التبعة والمسئولية بالنسبة لإخوانه المسلمين. يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١٠].

لقد نادى الإسلام بتنقية العلاقات من كل الأفات، ودعا إلى التقريب بين قلوب المسلمين وتصفية الود بينهم، فأمر بالإصلاح، ونهى عن الخصومة، وحذر من السخرية واللمز، والتنابز بالألقاب، وسوء الظن، كما نهى عن التجسس، والغيبة والنميمة..

وحث على التعارف لتتسع مجالات العلاقات الاجتماعية، ويكون لها إشعاعها المضىء فى شتى المواقع، حتى تتصل البيئة الإسلامية، وتتلقى روافدها المترعة بالفضائل والتعاون والخير.

لقد نظم الإسلام كل العلاقات، وأقام بناءها على أساس الإيمان، وشمل تنظيم الإسلام للحياة كل ما يتصل بالفرد والأسرة، وصان حرمة النفس

---

(٩) رواه الإمام أحمد.

(١٠) الحجرات: ١٠:١٣.

من الاعتداء عليها وصان الأعراض من الفاحشة أو الا عتداء عليها، وحافظ على أموال اليتامى، ونظم علاقة البيع والشراء، والأمانة فى الكيل والميزان، ونادى بالعدالة التامة، وبالوفاء بالعهد، أما ما يتصل بتوحيد الله وعدم الإشراك به، وما يتصل بالوالدين والإحسان لهما، وعدم الاعتداء على الأبناء مخافة الفقر، وصيانة الأعراض والمحافظة على النفس فى ذلك، يقول القرآن:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١١).

وأما ما يتصل بالمحافظة على مال اليتيم، وتنظيم العلاقات التجارية فى البيع والعدل، والوفاء بعهد الله، فى ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١٢).

ولما كانت المعاملات المالية، تعتبر محور الكثير من العلاقات الاجتماعية، ولما كان للمال حبه عند الناس، وشدة الرغبة فيه فإن الإسلام قد حذر من أكله بالباطل فقال الله ـ تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾(١٣)

ومن أكل أموال الناس بالباطل: أخذ الرشوة، وقد لعن رسول الله ﷺ: «الراشى والمرتشى والرائش» والرائش هو الذى يقوم بالتوسط بين المرتشى والراشى وقد كان للإسلام فضل السبق على سائر النظم الحديثة، فى تشريع قانون الكسب المشروع، قانون: « من أين لك هذا؟ »..

« عن أبى حميد الساعدى أنه قال: استعمل النبى ﷺ رجلاً من الأزد، يقال له: ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدى إلىّ، قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإنى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله، فيأتى فيقول: هذا لكم، وهذا هدية أهديت لى، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه، حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ؟ والله لايأخذ أحد منكم شيئاً بغير حله إلا لقى الله يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحداً منكم لقى الله يحمل بعيراً له رغاء، أوبقرة لها خوار أو شاة تيعر (أى تصيح واليعار صوت الغنم) ثم رفع يديه حتى رُئى بياض إبطيه، يقول: اللهم قد بلغت »(١٤).

وإن معالم العلاقات الاجتماعية فى الإسلام، مصونة بالكتاب والسنة، ففيهما أسس الحياة الكريمة للفرد والجماعة وللأمم والشعوب.

---

(١١) الأنعام: ١٥١.

(١٢) الأنعام: ١٥٢ . ١٥٣.

(١٣) النساء: ٢٩.

(١٤) رواه الشيخان.

الإسراء والمعراج
تأملات جديدة فى حادث قديم

(١)

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

جلس إلىّ صاحبى متسائلاً كأنه يتهكم أو متهكماً كأنه يتساءل: مامعنى عنوان مقالك تأملات جديدة فى حادث قديم؟! ولماذا تكتب عن الإسراء والمعراج؟ كأنك أصبحت موسمياً، تكتب فى المناسبات، تكتب فى كل مناسبة خطبة أو مقالا؟!!

أما كانت لك فسحة فى أصول الفقه، تيسر وعره وتقرب معنى شاردا منه؟ وتشرح غامضه وتذيعه يسيراً متاحاً محبباً للطلاب؟!

قلت لصاحبى وأنا فرح مسرور: ذكرتنى ببيت من الشعر قديم كنا نتراشق به فى عهد الصبا أيام الطلب فى الأزهر على سبيل المزاح والمشاكسة.

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى ... فلما قال قافية هجانى

لست موسمياً ياصديقى، ولست من خطباء المناسبات ولا أحب أن أكون كذلك، ولا أحب أن يكون المسلمون موسميين فمثلاً تراهم فى رمضان ركعاً سجداً يهرعون إلى المسجد فى كل صلاة، فإذا مضى رمضان كأنهم لايعرفون المساجد أو كأن أقدامهم ضلت تلك الطرقات. فلا يكادون يعرفونها، وتراهم فى مناسبة المولد النبوى الشريف، يتغنون بسيرة النبى ﷺ ويملأون الفضاء مديحاً وغناء وضياءً وتراهم فى سلوكهم كأنهم نسوا السنة ونسوا الاقتداء

برسول الله ﷺ على أن المناسبات ليست كلها مرفوضة، ولا خطباء المناسبات كلهم بغيض، وإن كان بعضهم كذلك. ولعلك تتفق معى أن بعض المناسبات جدير بالحديث عنه والاحتفاء والتذكير به، وأن بعض خطب المناسبات شيق وجميل ومقبول، ومن هذه المناسبات الجليلة ذكرى الإسراء والمعراج.

ولست أحب أن أسرد لك القصة سردا، نمطيا أنت تعرفه، لكن لى تأملات فيها أحسبها جيدة ونافعة، وجديرة بالتأمل منك وعلها تلقى عندك ارتياحا وعند الله ورسوله رضاً وقبولاً.

فليس همنا أن نسرد قصة الإسراء والمعراج، فهى ثابتة ومثبتة فى كتب الحديث والسيرة، إنما الذى نحب أن نتحدث فيه أنت وأنا عدة نقاط:

أولا: إنه لامعنى للهراء الممجوج أو الشغب المرفوض بأن الإسراء كان بالروح ذلك لأن الأمر كان مستغربا مستبعدا من أهل مكة ومن بعض الذين آمنوا وصدقوا برسالة النبى ﷺ ولو أن الأمر كان بالروح لما كان هناك وجه للاستغراب على أن أصحاب العقول الضعيفة الذين ينسبون الخوارق للبشر لما علم الله ذلك منهم بدأ الآية بقوله:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١).

وكلمة ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ للتنزيه والتعجب من حال المنكرين المكذبين لتنزيهه ـ سبحانه وتعالى ـ والتعجب إذن فى الآية كما نحسب ـ ممن يستحيلون على قدرته تعالى ـ أن تأتى بخوارق العادات، فمثلا بعض الناس ينسبون الأشياء لمن جرت على أيديهم، وينسون أن الفاعل فى الحقيقة لكل شئ هو الله جلَّ جلاله.

والأمر الخارق للعادة الذى يجريه الله على يد نبى قبل البعثة يسمى إرهاصا، وإن كان بعد البعثة يسمى معجزة، وإن جرى على يد رجل صالح يسمى كرامة، ولادخل للنبى ولا للولى فى الفعل وإنما الفعل لله وحده فى جميع الاحوال ولما كان الأمر كذلك فإن ضعفاء العقول والقلوب نسبوا الفعل للمخلوق لذلك استبعدوا حدوث الأمر الخارق للعادة على يديه فكأنهم نسبوا العجز لله لهذا بدأ القرآن القصة بقوله:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾..

تنزه الله جل جلاله عن العجز، وعن كل صفة من صفات النقص فهو القادر الذى لايعجزه شئ، الذى خلق جميع الكائنات، وخلق السموات بغير عمد، هو الله جل جلاله الذى أسرى بحبيبه محمد ﷺ وقال «أسرى بعبده» والعبودية تقتضى الروح والجسد فالتنزيه لله والتعجب ممن ينسبون الفعل لغيره تعالى.

ثانيًا: لقد زعم وشغب بعض الناس فى إسرائه ﷺ ومعراجه، لأنهم كما قلنا نسبوا الفعل للنبى ﷺ وهم كذلك ينكرون كرامة الأولياء، لأنهم ينسبون الفعل للولى وهم بذلك

١ـ الإسراء «١».

ينسبون الفعل للمخلوق، مع أن الفاعل فى كل شئ والفاعل لكل شئ هو الله - سبحانه وتعالى- كما سبق أن قلنا- الله - سبحانه وتعالى - نسب الفعل اليه ولم ينسبه للنبى لكن رغم ذلك ضل من ضل وهلك من هلك، وذلك يجعلنى أتساءل، لماذا كل هذا اللغط قديماً وحديثًا حول إسرائه ﷺ مع أنه جاء فى القرآن الكريم ماهو أشد استبعاداً فى الوقوع- فى زعم من زعم، وفى مقاييس هؤلاء المنكرين- حادث الإسراء، ومع ذلك لم ينكر أحد حدوثه وذلك قوله تعالى: حكاية عن سيدنا سليمان وعرش بلقيس والرجل الصالح الذى نسب إليه هذا الفعل على سبيل الكرامة - لم ينكر أحدٌ ذلك- فلماذاكل هذا اللغط وإنكار إسرائه؟ هل لأنهم يكرهون محمداً ﷺ؟ أم يستبعدون أن يسرى الله به؟ ويسلمون برجل صالح ينقل عرش بلقيس؟ ياسبحان الله!!! يقول الله - سبحانه وتعالى - على لسان سيدنا سليمان:

﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾(٢).

وقد يقول قائل: إن العفريت والرجل الصالح الذى عنده علم من الكتاب زعما القدرة على الإتيان بالعرش لكنهما لم يفعلا، لكن الله - سبحانه وتعالى- حكى فى القرآن الكريم أن العرش انتقل إلى سليمان، وأن بلقيس لما حضرت إلى سليمان- عليه السلام - رأت العرش ولما سئلت عنه قالت: كأنه هو، قال الله تعالى- حاكياً كل ذلك:

﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾(٣).

أحبك أن تتأمل أن الطلب من سيدنا سليمان موجه للعفريت والرجل الصالح، وأن الفعل منسوب إليهما، وسليمان - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- نسب الأمر إلى الفاعل الحقيقى وهو الله - سبحانه وتعالى - فقال:

﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾(٤) قلت لصاحبى: لماذا لم ينكر أحد هذا الفعل الذى تم بنقل العرش من اليمن حيث بلقيس إلى الشام حيث سيدنا سليمان، وهو أبعد مسافة من مكة إلى بيت المقدس وأن العرش والصرح أكبر حجماً وجرماً من جسده الشريف ﷺ فلماذا لم تسمع أو أسمع منذ نزول القرآن إلى وقتنا هذا رواية واحدة أو شغباً محدوداً حول إنكار هذا الحدث واسأل نفسك لماذا كثرت الأقاويل والروايات فى نفى الإسراء والمعراج به ﷺ فى حين أن فعل الإسراء والمعراج نسبه الله- تعالى- إلى نفسه حيث قال:

٢ـ النمل «٣٨».

٣ـ النمل «٤٠ - ٤٢».

٤ـ النمل «٤٠».

﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ وأن نقل عرش بلقيس نسبه الله إلى الرجل الصالح باعتبار أنه ظهر على يديه، قل لى بربك أيهما أولى بالانكار؟! واسأل نفسك من وراء كل هذا؟! قال صاحبى: عجيب أمر هذا الحدث وصدقت فى تأملاتك الجديدة، قلت لصاحبى: الحمد لله كأنك قد أجبت على تساؤلك فى أول المجلس على أننى أود أن أضيف إليك شيئاً آخر

ثانيًا: تعددت الروايات عن السيدة عائشة، ونسبت إليها – رضى الله عنها – رواية تقول: مافقد جسد رسول الله ﷺ أو مافقدت جسد رسول الله ﷺ وفى رواية: وأن فراشه لم يبرد.

ولست أناقش الحديث من حيث السند، حيث إنى لست من أهل هذا الفن، ولكن أناقش المتن، فأقول: إن حادث الإسراء كان قبل الهجرة، ولم تكن السيدة عائشة – رضى الله عنها – زوجاً للنبى ﷺ.

فالثابت أنه دخل بها بعد الهجرة فى المدينة المنورة وعلى هذا فرواية (مافقدت) غير مقبولة سنداً ومتناً رواية ودراية – كما يقول أهل الاختصاص.

لكن يمكن أن تقبل الرواية الأخرى (مافقد) بالبناء للمجهول. وعلى هذا فيكون هذا القول حكاية عمن أخبرها، ولم تبين ولم تذكر الرواية من الذى أخبرها أما الرواية التى تقول: (وإن فراشه لم يبرد) والتى يتعلل بها المنكرون للإسراء والمعراج، بأن السيدة عائشة حكت عمن أخبرها بأن فراشه لم يبرد يتخذون ذلك ذريعة لإنكار الإسراء والمعراج، فنقول: إن السيدة عائشة – رضى الله عنها– حكت ماروى لها بأمانة وصدق ماحدث، وتلك أمانة النقل عند المسلمين ولو أنها قالت وحكت أن فراشه برد لكان فى ذلك تشكيكاً فى المعجزة. هذا رأينا قال صاحبى– مقاطعاً–: كيف تحفل بقولها وفراشه لم يبرد، مع أن الذين تمسكوا بهذا القول يزعمون به أن هذا القول هو نفى للإسراء والمعراج حيث إن هذا القول يثبت أن جسد رسول الله ﷺ لم يبرح الفراش بزمن يمكن أن يبرد فيه فراشه بما يسمح له بالذهاب والعودة فى زمن يجعل الفراش يبرد، فقلت لصاحبى: مستوضحاً إياه– ماذا تعنى بقولك هذا؟ قال: إن عبارة « فراشه لم يبرد » لاتؤيدك فكيف تتمسك بها؟ قلت لصاحبى: أتمسك بها لأنها تدل على صدقها فيما حكت – رضى الله عنها. لأنها تدل على الواقع حيث إن الإسراء والمعراج تم فى « لازمن » لأن الله – سبحانه وتعالى – قديم وفعله قديم والزمن حادث ولايمكن أن يحتوى الحادثُ القديم، فلو أنها قالت: إن فراشه برد على فرض قولها لم يكن ذلك معجزة لأن الإعجاز فى أن الحدث تم فى « لازمن » أى: خارج نطاق الزمن فالله – سبحانه وتعالى – نسب الفعل لنفسه فيكون الفعل خارج نطاق الزمن تأمل معى قوله – سبحانه وتعالى – :

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾(٥)

٥ـ النحل «١».

فإن أمر الله – تعالى – هنا هو يوم القيامة وهو لم يجئ بعد، لكن الله– سبحانه وتعالى– لما نسب الفعل إلى نفسه، أخبر عنه بالماضى، وهو يدل على أن الفعل خارج نطاق الزمن!!! نعم. قال المفسرون: إن الفعل جاء فى الزمن الماضى للدلالة على تحقق الوقوع، لكن هذا لاينفى ماقلناه وإن كا ن قاصراً عنه، وفى رأينا أن ماحكته السيدة عائشة من أن فراشه لم يبرد أقرب إلى التصديق مع الفهم السليم والقلب السليم حيث إن الرواية تدل على افتقاد جسده الشريف وحدث ذلك فى «لازمن» حتى إن الفراش لم يبرد وهنا المعجزة، تأمل معى قول الله – تعالى – فى آيات كثيرة من القرآن الكريم حين ينسب الله – سبحانه وتعالى – الفعل إلى نفسه، نجد أن الفعل يأتى فى الزمن الماضى ومنها قوله تعالى:

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾(٦).

مع أن الحدث لم يقع، وليس ذلك لتحقق الوقوع فقط إنما لأن فعل الله – تعالى – لايحده زمن، فالزمن حادث والله سبحانه قديم وهكذا– فيما يبدو لى فى كل آى القرآن، حيث أننى لم أقم بالإحصاء بعد.

بعد هذا قلت لصاحبى: تعال معى إلى درس من عالم ربانى– رضى الله عنه– نفعنا الله به– حكى قصة الإسراء والمعراج لا أقول بأسلوب جذاب ولكن أقول: فاضت الكلمات من قلب عامر بحب رسول الله ﷺ وأدب مع الله فانسابت تسكب الإيمان فى قلوب احبابه. قال رضى الله عنه:

بينما النبى ﷺ مضطجع – فالنوم الوارد فى بعض الروايات معناه الاضطجاع والمراد نوم من غير غفلة لأنه لو كان مستغرقاً فى النوم لما رأى انفراج السموات ونزول الملائكة. فى بعض الروايات بينما هو نائم فى بيت أم هانى وفى بعضها فى شعب أبى طالب أو فى حجر اسماعيل ولاتنافى بين هذا وذاك إذ انفتح السقف. وفى هذا إشارة إلى أنه سوف يحصل فى هذه الليلة أمور خارقة للعادة– و جاء جبريل وميكائيل – عليهما السلام – وحملا النبى ﷺمن بيت أم هانى إلى حجر اسماعيل و فى هذا إشارة إلى تكريم النبى ﷺ بحمله على الأعناق ثم إلى زمزم وتولى جبريل – عليه السلام – شق صدره الشريف. هل كان ذلك بآلة أو بغير آلة؟ الإجابة: هذه عملية يراها بعينه سيد الخلق ﷺ ولايتكلم ولاينزعج دلالة على أنه أقوى خلق الله.

ورد فى بعض الروايات أن جبريل – عليه السلام – شق قلبه الشريف وأخرج منه علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان منك.

هنا مواطن الزلل.

بعض العلماء – عفا الله عنهم وعنا – يذكرون ذلك ويقولون هل حصل هذا – أى إخراج العلقة – مرة أو مراراً ويقولون: إن جبريل يخرج علقة سوداء ويقول هذا حظ الشيطان منك

٦ـ الفجر «٢٢».

فإذا كان أخرجها أول مرة فلم تكرر ذلك وهل يعقل هذا؟ فالطبيب الذى يجرى عملية جراحية إذا كررها مرة ثانية يسقط من نظر الأطباء ، فهل جبريل – عليه السلام – يجرى العملية عدة مرات لأنها لم تنجح أول مرة؟

الأمر من أصله والله أعلم ليس كذلك.

فالله – سبحانه وتعالى – قادر على أن يفيض الكمالات على قلب حبيبه ﷺ بدون هذه العملية– إذا فلم كانت؟ ومامعنى إخراج العلقة السوداء التى هى حظ الشيطان؟ ولماذا تكرر الشق أربع مرات وقيل خمس مرات؟

بعض العلماء تأول إخراج العلقة السوداء أى على أنه لوكان للشيطان عليه سبيل فرضاً وكأنه أى هذا البعض خشى أن يُرَد عليه بقول الله – تعالى – عن الشيطان:

﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٧).

أولاً: هذه الآية الكريمة تنفى نفياً باتاً تسلط الشيطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون– ومن باب أولى الأنبياء ومن باب أولى سيد الأنبياء والرسل، وهذه الآية أيضاً تنفى نفياً باتاً كل مانسب إلى سيدنا آدم – عليه السلام – من اتباعه للشيطان وتستوجب تأويل آية:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا ﴾(٨).

ثانياً: شق الصدر حصل أربع مرات وقيل خمس مرات والطبيب الذى يتمرن على عملية ثم يحتاج إلى إعادتها تسوء سمعته ولكن تأمل معى الحكمة فى هذا التكرار. المرة الأولى حصل شق الصدر للنبى ﷺ فى ديار بنى سعد ولم يبلغ الخامسة من عمره بعد وشأن الأطفال فى هذه السن العبث واللعب فقط ولكن أراد الله أن يظهر فضل النبى ﷺفى الملأ الأعلى(٩) مع صغر سنه ويبين أنه كامل وعظيم وشجاع بدليل أن جبريل يأخذه ويشق صدره وهو ينظر إليه بدون خوف ولا وجل ثم فى سن العاشرة وقد وصل الطفل فى هذه السن إلى أوائل سن المراهقة وقد تتغلب شهوته على عقله فأراد الله أن ينفى ذلك عن النبى ﷺ ويبين للملأ الأعلى أنه فى هذا السن كامل العقل والقوة والشجاعة وأنه أهل لكل كمال وجلال.

والمرة الثالثة: عند بعثته ﷺ يعنى أنه قد جاوز مرحلة الامتحان وإظهاراً لفضله وتوضيحاً لمكانته ﷺ و مثال ذلك أن تتوجه بسؤال لشخص أمام الناس – وأنت تعلم أنه عالم – لكى يجيب على السؤال أمامهم فيظهر بذلك علمه وفضله عليهم.

والحق أن كل مايقع للأنبياء من العوارض البشرية إنما هو لإرشاد الخلق ومنفعتهم ومن هذه العوارض شق الصدر.

٧- النحل «٩٩».

٨- البقرة «٣٦».

٩- لعل فى قوله الشيخ «أن يظهر فضل النبى ﷺ.. الخ إشارة إلى قصة خلق آدم، وجعله خليفة واعتراض الملائكة على ذلك، وقد ورد فى كثير من الأحاديث أن الله يباهى بعباده الصالحين الملائكة فذلك مثله أيضا، والله أعلم.

وقد قال الله – تعالى – لرسوله ﷺ :

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾(١٠).

أى أن المسئولية الملقاة عليك عظيمة جداً.

وقد يكون الشخص شجاعاً وعالماً وعظيماً ومتمكناً من نفسه ولكنه إذا ولى منصباً قد يتبخر كل ذلك و يفقد شجاعته وينسى علمه ولهذا فإنه بعد بعثته ﷺ أراد الله أن يظهر لجبريل والملائكة والملأ الأعلى والملأ الأسفل أن النبى ﷺ عظيم وكفء وشجاع ومتين وأنه أهل لأن يقال فيه:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾(١١) فى أحرج المواقف وأصعبها وأنه ﷺ كامل كل الكمال وهذا كله ليشير لنا ويبين للأمة المحمدية أنه بقدر مايكون الإنسان نظيفاً طاهراً يقدر مايكون استعداده للترقى طيبا – وبقدر التخلية تكون التحلية – يعنى لايتفق الكبر مع التواضع ولايكون حب الخير للناس مع وجود الحسد فى القلب ولابد لمن يدخل حضرة القدوس ألا يكون من أرباب النفوس فإن القلب لاتنزل عليه تجليات الحق وأنواره حتى يتخلى عما فيه من الأغيان والأغيار وأنك إذا أردت أن تعرج روحك إلى الطباق وما فوق الطباق فاهجر أرض الشهوات وطهر قلبك من الظلمات ولايتسنى لك أن تترقى وأن ترى الملائكة وأنت مكبل بالحظوظ والغايات.

أما حظ الشيطان فلا يعقل أن يكون فى قلبه ﷺ حظ للشيطان وقد قال الله تعالى للشيطان:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾(١٢)

وهذا سيد الخلق وما أكرم الله – تعالى – من أكرمه إلا بسببه ﷺ فكيف يقال ذلك بالنسبة له؟ الإجابة والله أعلم أن المقصود كما قدمنا هو إظهار قو ته وفضله ﷺ ذلك بأن الله – تعالى – أمر جبريل – عليه السلام – بشق الصدر وإذا تم ذلك على يده فإن النبى ﷺ يخبر به و يحدث به فيتناقل هذا الحديث المسلمون والمؤرخون وحديث النبى صادق ومصدق فيعلمون أن النبى ﷺ الذى واجه هذه العمليات لايخاف من تبليغ الرسالة ولايتزحزح عن أمر ربه ولايتزعزع مهما قابلته الصعاب ولا ييأس مهما قابلته الشدائد وهو ينشر دين الله.

قلت لصاحبى وقد بدا مشدوها لما يسمع: لعلك وقد رأيت بعض قوة جنان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض فضله، قارن ذلك بقول الله - تعالى - لسيدنا موسي - عليه السلام - لما القى عصاه وصارت ثعبانا: ﴿ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾(١٣).

قال صاحبى: زدنى من رحيق شيخك.

قلت: لك ما تريد فى جلسة قادمة إن شاء الله تعالى.

«يتبـــــع»

١٠- المزمل «٥».

١١ النجم «١٧».

١٢- الحجر «٤٢».

١٣- القصص «٣١».

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ سورة الإسراء آية (١).

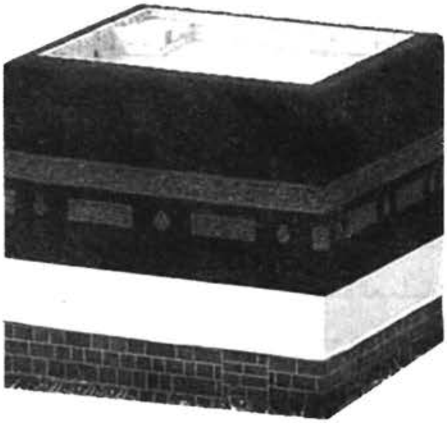

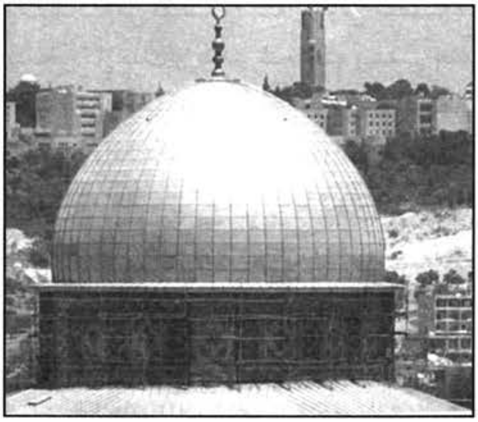

الإسراءُ والمعراجُ

لفضيلة الأستاذ الشيخ / يوسف الدجوى (*)

نشر هذا الموضوع فى شهر رجب سنة ١٣٥٣هـ «بمجلة الأزهر» أى منذ سبعين عاما، وقد أشار الكاتب إلى أمور كونية يراها قريبة التحقيق، وقد تحققت فعلا بعد صدور المقال كالنزول على القمر، ونحن نختاره للنشر بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج فى هذا الشهر الكريم.

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

(*) عضو جماعة كبار العلماء.

إن الناس اليوم يقدسون عقولهم، ويسيرون وراء ما يمليه عليهم علمهم القاصر ونظرهم الضعيف، وكل من سار وراء عقله ووزن كل ما جاء عن الرسول بميزان فكره فقلما يؤمن إيمانا صحيحا. وإذا راقك منه ما يشقشق به فى بعض الأحيان لم تلبث أن يسوءك منه ما يهذى به فى وقت آخر، ولا غرو فالجهل حليف الإنسان، والضعف لازم من لوازم البشرية، وقصور العلم من صفاتها الذاتية وأعراضها اللازمة. وكل من لم يصدق إلا بما وصل إليه عقله وبلغته حدود علمه، فليس مؤمنا بالرسول على الحقيقة، وإنما هو مؤمن بعقله «لا بالرسول».

وما جاءت الرسل إلا لتخبرنا عما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه العقول التى لا تستمد معلوماتها إلا من المحسوسات، وما تنتزعه منها من المعقولات الثانية مما هو راجع إليها ومتوقف عليها، ومقدورات الله لا نهاية لها، وعوالمه لا حد لها؛ ولكل عالم ناموس يخصه.

ومن الغلط البين الحكم على عالم من العوالم بأحكام عالم آخر. وإذا كنا نرى من بعض أنواع الحيوان ما لا يعيش إلا فى الماء، ومن بعضها ما لو مكث فى البحر لمات، ومن بعضها ما يقتله الكربون كالإنسان، ومنها ما يقتله الأكسوجين ككثير من الحيوانات الدنيا «ولعلنا كنا لا نصدق بذلك قياسا على أنفسنا لولا مشاهدتنا إياه» فكيف بما لم نقف له على عين ولا أثر من العوالم الأخرى التى تحس والتى لا تحس؟

وإنى لأعجب لهم كيف يتبجحون هذا التبجح ويحكمون فى كل شئ بالأحكام الجازمة اعتمادا على بضع نواميس وصلوا إلى ظواهرها من نواميس هذا الكون التى لا يحصيها إلا الله ولا يدرى كنهها غير مبدعها الذى لا حد لقدرته ولا نهاية لعلمه.

وليت شعرى بعد ذلك كله أى عقل نحكمه فيما ورد عن الشارع: أهو عقل الأفراد أو عقل الجماعات؟ وما هو الضابط إذا اختلفت العقول، وليس هناك نوع من الأنواع وقع التفاوت فيما بين أفراده مثل نوع الإنسان الذى هو مظهر المتناقضات ومجمع العجائب والغرائب؟ وقد خاطب الله الخلق جميعا بقوله:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(1).

ويقول فى حق الإنسان:

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(2).

ولقد نرى فى تخبطه وتناقضه وارتباكه فى أحواله واضطرابه فى أعماله الدليل الساطع على أنه مخلوق من الطيش والجهالة والعجز والقصور. فعلام تلك الكبرياء وهو من الضعف بحيث يرثى له ويشفق عليه؟!

الموضوع:

لا يستند هؤلاء المنكرون إلا إلي الاستبعاد العقلى، وقياس الشاهد على الغائب، وإرجاع مالم يعلموا إلى ما علموا؛ والجاهل لا يعرف قدر نفسه ولا قدر العلم؛ ويعتقد أن كل ما خرج عن دائرة علمه فهو فى دائرة العدم:

١- الإسراء «٨٥».

٢- الأحزاب «٧٢».

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾(٣) .

ومن الغريب الذى يؤسف له أنهم إذا سمعوا أن بعض الأوربيين يريد الوصول إلى القمر ويفكر فى إعداد العدة لذلك لم يتحرك منهم ساكن؛ بل ربما انتصروا لما سمعوا وقالوا: إن العلم يلد العجائب والاكتشاف يأتى بالغرائب. ولكن إذا سمعوا أن الرسول عرج به إلى السماء قامت قيامتهم، وهدرت شقاشقهم، وظهر كل ما فى نفوسهم الضعيفة من خبث وإلحاد. وسنتكلم معهم بما يخضعون له إذا سمعوه عن ساداتهم الأوربيين «الذين لم يعلموا علمهم ولا أحسنوا تقليدهم»:

أما الكلام فى الموضوع من الجهة النقلية فأظن أنه لا يعنيهم كثيرا، ولا يقنعهم لا كثيرا ولا قليلا. ومع هذا فنقول فيه كلمة موجزة من أجل الفريق الثانى الذى ينتسب للعلم ولا يمكنه الخروج عن الكتاب والسنة، ولكنه يؤول ويحرف اغترارا ببعض الروايات، إجابة لنزعة عنده وعقيدة لديه لا تبتعد كثيرا عن عقيدة الماديين، وإن كان مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فنقول:

إن من قال: إن الإسراء بالروح تمسك ببعض روايات مطعون فيها، كالرواية عن عائشة التى ردها الحفاظ وقالوا: إنها غير صحيحة من وجوه عديدة لا نطيل بها؛ وكرواية شريك بن أبى نمر التى طعن فيها الحفاظ بما يطول شرحه. وليس الغرض إلا أن نشير إلى ذلك إشارة خفيفة يعرفها ذلك الفريق من إخواننا المتفيهقين من الشيوخ. والعالم كل العالم من لا يتأثر بكل ما رآه أو يتشوش بكل ما رواه، بل العالم كل العالم من يعرف المقبول المردود، والضعيف والصحيح، ومن يجمع بين الروايات المختلفة إذا أمكن الجمع، أو يرجح الراجح ويسقط المرجوح إذا تعذر التوفيق.

وما أدرى كيف يقبل الذوق السليم أن الإسراء كان بالروح بعد ما يقول الله تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٤) .

فها أنت ذا ترى الآية الكريمة قد افتتحت بـ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ المشعر باستعظام ما كان من الأمر والتعجب منه لجلالته؛ وهو لا يصح موقعه و لا يتناسب وبلاغة القرآن الكريم الحكيم إلا إذا كان ذلك أمرا غير معهود ولا مقدور لأحد من البشر.

ولو كان هذا الإسراء بالروح فقط لم يكن ثمة ما يقتضى هذا الاستعظام وذلك التعجيب، إذ لا خطورة فى إراءة النبى ﷺ آيات ربه فى منامه، فإن هذا أمر عادى يجوز أن يقع لكل أحد، بل قد يرى الإنسان فى منامه رب العزة الذى هو أكبر من كل شئ؛ وإنما يظهر وجه الاستعظام والتعجيب لو قلنا: إن ذلك الإسراء كان بالجسد والروح، كما هو ظاهر لكل ذى فطرة طاهرة وعقل سليم.

ثم تراه يقول: ﴿أَسْرَىٰ﴾ وهو لا يقال فى

٣- يونس «٣٩».

٤- الإسراء «١».

النوم كما قال القاضى عياض، لأن ما يقع فى النوم إنما هو تخيل وضرب مثل لا غير، ولا يحسن أن يعبر عن ذلك بأنه أسرى به، وإنما يحسن ذلك إذا أسرى به ليلا سيرا حسيا على ما هو المعهود المعروف.

ثم يقول: ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ وهو نص قاطع فى الموضوع، لأن العبد لا يطلق فيما تعرفه العرب إلا على الشخص بجملته المكون من الروح والجسد؛ ولم يعهد فى لغة العرب إطلاقه على الروح فقط؛ فهم لا يعرفون من العبد إلا الشخص المحسوس المنظور، كما فى قوله تعالى:

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾(٥).

وقوله:

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾(٦) إلى غير ذلك.

ثم يقول:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ ويقول فى سورة النجم:

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾(٧).

ولا شك عند من له ذوق سليم أن هذه الآيات الكريمة تدل على أن النبى ﷺ أسرى به إلى بيت المقدس، وأنه عرج به إلى السموات العلا بجسمه وروحه، وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى.

وإنى أستحلفك بعلمك وذوقك وإنصافك أن تنظر معى لقوله:

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ ثم قل لى بعد ذلك ماذا ترى: أفيسهل عليك أن تسلم أن المراء والجدال كانا فى رؤية منامية؟ وهل يكون فى رؤية الروح وحدها فى المنام جحود ومجادلة؟ وهل لذلك وقع عند القائل أو السامع حتى تذكر فيه تلك الآيات، وتحصل به تلك الحركات والمجادلات، وينوه بشأنه فى القرآن هذا التنويه العظيم؟ وهل عهد مثل ذلك فى الرؤى المنامية؟ وهل ينكرون على أنفسهم ذلك حتى ينكروه عليه ﷺ؟

لا شك أن مناكرتهم ومجادلتهم ما كانت إلا لعلمهم أنه يدعى أن ذلك كان يقظة لا مناما؛ فهذا هو محل الاستبعاد والاستنكار، فإنه غير معهود لديهم، ولا من متناول قدرتهم.

أما منامات الأرواح فيجوز أن تقع لكل أحد حتى المشركين أنفسهم. وهل ينكر الله عليهم إنكارهم بقوله:

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ ويقرعهم على مجادلتهم بالباطل، ويقسم على أن صاحبهم ما ضل وما غوى، ويقول: إنه رأى ولا يليق أن تماروه فيما رآه، هل يكون كل ذلك لرؤيا منامية؟ وهل يقول:

٥- العلق «٩، ١٠».

٦- الجن «١٩».

٧- النجم «١٢:١٨».

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾

وينوه بأمر هذه الرؤية ويقول إنها عند سدرة المنتهى ويجعلها مرة أخرى لرؤيا منام؟ وهل يقول المنكر: إن رؤية جبريل فى المرة الأولى التى جاءت فى الحديث الصحيح حين رآه ﷺ بحراء على صورته التى خلقه الله عليها قد سد الأفق، هل يقولون إن ذلك كان مناما أيضا، أم يفرقون بينهما والقرآن لم يفرق وجعل الرؤية فى المرة الأخرى عند سدرة المنتهى كالرؤية الأولى فى الأرض بلا فرق؟

فهل يقال إذا كانت إحدى الرؤيتين فى المنام والأخرى فى اليقظة؟ وهل يحسن أن تجعل الضميرفى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ لروح النبى دون جسده وتغاير بينه وبين ما قبله وما بعده من الضمائر العائدة على شخصه ﷺ لا على روحه فقط؟ وهل يسهل عليك أن تقول: إنها رؤيا منامية مع قوله تعالى:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾؟ وهل يقال ذلك فى أحلام النائمين؟ اللهم إن ذلك لا يقال إلا فى أوهام الواهمين.

وهل يقال فى الرؤيا المنامية:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾(8)؟.

ومتى كانت رؤيا المنام فتنة لأحد؟ فإن كل إنسان يرى بروحه من الكون ما شاء الله أن يرى، فماوجه الإفتتان وما معناه؟

وأما التشبث بلفظ الرؤيا دون الرؤية فقد رده أهل اللغة واستشهدوا عليه: ورؤياك أحلى فى الجفون من الغمض.

على أنه جاء فى القصة ما هو قاطع فى الموضوع: فإن النبى ﷺ لما أخبرهم بذلك هاج هائجهم وقامت قيامتهم، فمنهم الواضع يده على رأسه تعجبا، ومنهم المصفق، ومنهم القائل له: ولقد كان أمرك أمما (أى قريبا) قبل هذا. حتى ورد أنه ارتد بعض من دخل فى الإسلام. فهل ترى - أيدك الله - أن ذلك كله كان من أجل رؤيا منامية؟

بل فى القصة ما هو أكثر من هذا، وهو أنهم سألوا النبى ﷺ عن عيرهم التى كان فيها تجارتهم، فأجابهم ﷺ بأنه مر بها، وقد ند منها بعير فانكسر، وأنه مر بعير أخرى قد ضلوا ناقة لهم، وكان معهم قدح من الماء فشربه ﷺ. وقد سألوهم عند ما قدموا مكة فصدقوا ذلك كله. وفى القصة أكثر من هذا. فهل ترى أن الروح شربت الماء من القدح؟ وهل يمكننا أن نقبل أنهم يسألونه عن عيرهم وعن بيت المقدس وأبوابه وكل ما يتعلق به إذا كانت الرؤيا منامية؟ وأى علاقة بين رؤيا المنام وبين عيرهم التى تجىء من الشام، وقد رأى لهم عدة قوافل من تجارتهم وأخبرهم عنها؟

ولا نزال نقول: أى معنى لقصة قدح الماء إذا كانت الرؤيا منامية؟ وأظن أن هذا القدر كاف للمنصف. ولو شئنا لأطلنا.

8- الإسراء «60».

الفريق الأول الذى يتمسك بالشبه العقلية

يقول هذا الفريق: إنه يستحيل العروج إلى السماء لأن بيننا وبينها كرة نارية كما قرره الفلاسفة الأقدمون. ونقول له: إن ذلك خيال لم يقم عليه برهان؛ والفلاسفة العصريون ينفون ذلك بتاتا. فهذا كاف فى إسقاط ذلك الزعم. وستسمع عن ذلك جوابا آخر مشتركا دافعا للشبه كلها.

ويقول العصريون فى استحالة ذلك: إن الهواء يرتفع عن الأرض مقدار بضعة آلاف من الأمتار فإذا وصل الإنسان إلى ذلك الحد لم يمكنه أن يعيش، لأنه لا يجد من الهواء ما يتنفس به، فلابد أن يموت، وقد وصلوا بطياراتهم إلى ما يقرب ذلك فخرج الدم منهم بهيئة منكرة لفقد الضغط الجوى.

ونقول فى دفع هذه الشبهة: إن ذلك مسلم ولا نمارى فيه، ولكن هناك قوانين أخرى لا يعرفهاالماديون، ومحال أن يصل إليها الطبيعيون: ذلك أن الأرواح الإنسانية من عالم آخر لا تسرى عليه قوانين هذا العالم؛ فإذا غلبت على الإنسان روحانيته كان الحكم للروح لا للجسد، فكان السائد عليه هو النواميس الروحانية لا الجسمانية؛ ومتى ساد سلطان الروح سلطان البدن كان الحكم للروح لا للبدن، فيمكنه أن يطوى المسافات البعيدة فى لحظة قصيرة، ويمكنه أن يرى المغيبات على حد محدود، ويمكنه أن يخترق الجدران ويقتحم المهالك من غير أن يحصل له ضرر أو يلاحقه ألم. ومن هنا جاءت كرامات الأولياء. وإذا كنا نصدق بذلك فى الجن، وأرواح النوع الإنسانى أعظم لطافة وأقوي نفوذا وأشد قربا من الملأ الأعلى، فلماذا نستبعد ذلك فى خواص البشر الذين غلبت عليهم الروحانية حتى صاروا كأنهم من الملأ الأعلى، وبذلك تنخرق لهم العادات ولا تحكم عليهم نواميس المادة؟

براهين عصرية على ذلك

وما لنا نذكر كرامات الأولياء أو معجزات الأنبياء وبعض العصريين لا يقتنعون بذلك، ولعلهم يعدونه من الخرافات والترهات؟ فلنسق لك ما هو أقرب إلى إقناعهم وأليق باستعدادهم، فنقول:

قد ثبت ثبوتا لا شك فيه أن المنوم تنويما مغناطيسيا يسأل عما فى البلاد البعيدة فيجيب عنها بأجوبة صحيحة ، فهل يمكن تعليل ذلك بالتعاليل المادية؟

وقد قالوا: إن المنوم (بصيغة اسم فاعل) إذا أمر المنوم (بصيغة المفعول) أن يخوض النار وأفهمه أنها ليست نارا، خاضها ولم تؤثر فيه، لأنه تحت سلطان الروح فله حكمها، والأرواح لا تؤثر فيها النيران ولا تحكم عليها هذه النواميس (وسلطان الروح فوق سلطان المادة) .

وقد قالوا: إنهم جاءوا للمنوم بالنوشادر المركز الذى إذا شمه أحدمات لوقته فلم يؤثر فيه أدنى تأثير، فقام بعض الأطباء وقال: إن ذلك غش وخداع. فأخذ النوشادر المركز وشمه فخر ميتا. وأعجايب التنويم

المغناطيسى أصبحت لمس اليد ورأى العين. وسرها ماذكرنا من أن سلطان الروح فوق سلطان المادة.

وإذا ثبت هذا فلتعلم أن النبى ﷺ عند العروج كان على غاية ما يكون من الروحانية، بل كانت روحانيته إذ ذاك فوق روحانية جبريل -عليه السلام- ولذلك ورد أن جبريل تأخر عنه بعد سدرة المنتهى وقال له: لو تقدمت أنملة لاحترقت. فإذا وصل النبى ﷺ إلى ذلك الحد الذى يتخلخل فيه الهواء أو ينقطع بالكلية، وقد غلبت عليه الروحانية من كل جهاته، لم يكن لذلك تأثير فيه ولا ضرر عليه لما قررناه.

ويمكننا أن نستشهد على ذلك بما أصبح معروفا لا ينكر، وهو أن بعض الهنود يوضع فى صندوق باختياره أو يدفن فى موضع من الأرض عشرين يوما وثلاثين يوما وأكثر من ذلك، ثم يخرج ويعمل له ما يرجعه إلى حسه ولا تفارقه الحياة مع أنه كان لا يتنفس أصلا فى تلك المدة. فكيف ينكر مثل ذلك على رسول الله ﷺ وهو سيد الروحانيين وأفضل الخلق أجمعين؟

وهذا تنزل يقتضيه الحال وقوانين الجدال، وإلا فلست أدرى كيف يقيسون عالم الملكوت على عالم الملك، وأحكام الأرواح على أحكام الأشباح، مع أنهم لم يتقنوا علومهم المادية، وكثيرا ما تخبطوا فيها فنقضوا ما أبرموا. وهو شأن هذا النوع الضعيف منذ خلقه الله إلى أن تقوم الساعة!

ولقد أقام العالم ثمانية عشر قرنا يدين نظرية (بطليموس) صاحب كتاب (الماجسطى) فى الأرض والشمس ودورتها، وغيرها ذلك من النظريات الفلكية؛ حتى جاء دور الانقلاب العلمى فى القرن السادس عشر ونادى العلامتان (كوبرنيق) و(كبلر) الألمانيان والبحاثة (غاليلى) الإيطالى بعكس نظرية السابقين، وأثبتوا فرضا مخالفا لفروضهم؛ ثم جاء إينشتين فى عصرنا هذا فرد عليهم وقلب نظرياتهم رأسا على عقب. ولا ندرى ماذا يجىء به الغد.

الخلاصة:

والخلاصة أن الإسراء لو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولا استبعده الكفار ولا كذبوه فيه، ولا ارتد بعض ضعفاء من أسلم وافتتنوا به، إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر.

ويؤكد ذلك مجىء جبريل له بالبراق، وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال: ومن معك؟ فيقول: محمد ولقاؤه الأنبياء فيها وترحيبهم به، وخطبهم فى بيت المقدس ورده عليهم، وصلاتهم وراءه، وتعيين محل كل واحد منهم والإخبار عنه بخبر خاص؛ وحديث فرض الصلاة ومراجعة موسى فى ذلك، وقوله: «ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام» وأنه وصل إلى سدرة المنتهى. إلى غير ذلك مما جاء فى القصة.

وهل عهد مثل ذلك فى رؤيا المنام؟ وهل يقال فى رؤيا المنام:

﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ أو ينوه بشأنها هذا التنوية كله؟ وهل يحسن أن يكون فرض الصلاة

وهى عمود الإسلام فى المنام على حين أن غيرها كان فى اليقظة؟

ولست أفهم إلا أن هذا إنكارلقدرة الله ، وإذا فتش عن إيمان ذلك المنكر وجد ضعيفا به خلل وفيه دخل. وما أدرى ماذا يصنع فى مثل قوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[9].

وقوله:

﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[10].

وقوله:

﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ ﴾[11].

إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات؟ وإن الإيمان بذلك كله سهل لدى من يعتفد أن الله على كل شىء قدير، وأننا أوتينا من العلم إلا قليلا.

ولنرجع للموضوع فنقول بالاختصار:

لو كان مناما لم يكن فيه آيه؛ مع أن الله يقول:

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[12].

ولو كان المعراج فى النوم عند عائشة – رضى الله عنها – عنهما كما يزعمه بعضهم لما أنكرت رؤيته ﷺ ربه. فهى لم تنكرها إلا لفهمها أن ذلك كان يقظة لا مناما، لأن رؤية المنام لا تنكر من عائشة ولا من غيرها.

وبعد: فقد عرج به ﷺ ليستبين بذلك العروج أن مقامه فوق مقامات الأنبياء، حيث ارتفع عليهم جميعا حتى سمع صريف الأقلام، وكانت مناجاته فوق السموات العلا على غير ميعاد ولا رياضة سابقة لكمال استعداده ﷺ، ليعلم ما بينه وبين غيره من الفرق فى التقريب والاصطفاء.

وكأن العلو الحسى مستتبع للعلو المعنوى، فكلما ارتقى فى درجات السموات وما فوقها كان يرتقى فى درجات الروحانية والاستغراق فى جلال الله وعظمته: ولا غرو فالأماكن لها خصائص ومميزات. وانظر إلى الكعبة وما اختصت به من الرفعة والتعظيم ونزول الرحمات والبركات حتى استحقت أن تسمى بيت الله وحرم الله.

ولتعلم أن قصة الإسراء والمعراج قد وردت عن كثير من الصحابة، عد منهم فى المواهب اللدنية ستة وعشرين. [illegible]ر القلم على الوقوف عند هذا الحد ففيه مقنع وكفاية [illegible]ن أراد الله هدايته.

أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم: صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا بمنه، وكرمه.

٩- النمل «٤٠».

١٠- البقرة «٧٣».

١١- البقرة «٢٦٠».

١٢- النجم «١٨».

من تاريخ التشريع الإسلامى

مساجلة بين فقيهين كبيرين

٢

للدكتور / حمدى فتوح والى

عرفنا كيف تدفق الإمام الليث كالسيل عند رده على الإمام مالك، فى عبارات واضحة وحجج ظاهرة، وشواهد دامغة، دون أن ينسيه ذلك كله مكانة صاحبه وهيبته، وفضله وإمامته.

ورسالة الإمام الليث شاهدة على ما كان يتمتع به علماؤنا من أدب جم، وخلق فاضل، وذوق رفيع، فبرغم عظمة القضية، وجدية الحوار، وثقة كل طرف من صحة رأيه وسداد فكره، فإن أحدا منهما لم يحاول النيل من أخيه بتلميح أو تصريح، ولم نلمس فى أسلوب الإمامين الكبيرين ما يوحى من قريب أو بعيد بشئ من حظ النفس، من رغبة فى القلب أو حب الظهور، أو غمز أو لمز، وإنما هى الطهارة فى القول، والنزاهة فى التفكير، والأدب فى الحوار، والشرف فى الخصومة والتجرد الكامل للوصول إلى الحق. بل إن الأمر ليصل فى هذه المساجلة إلى ما هو أبعد من مجرد الوصول إلى الحقيقة، فنحس نوعا من الأخوة الصادقة، والمودة الخالصة، والحب العميق.

فالإمام الليث يبدأ رده على رسالة صاحبه بهذا الدعاء الرقيق: «عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة فى الدنيا والآخرة» وهو دعاء جامع لخيرى الدنيا والآخرة، وهل يطلب العاقل أفضل من المعافاة فى الدنيا وحسن العاقبة فى الآخرة، وينتقل من الدعاء له إلى إظهار سروره بما بلغه من صلاح حاله، معاوداً الدعاء له بدوام تلك الحالة الطيبة وتمامها، راجيا الله له العون على شكره، وأن يزيد من إحسانه وبره.

ومن استقصاء ردود الإمام الليث نلاحظ ردا على أمور لم ترد فى رسالة الإمام مالك، مما يعنى رسالة الإمام مالك التي بين أيدينا ليست كل ما كتب الإمام، وإنما سقط منها أجزاء من فعل الرواة، وكان الظن برسالة الإمام مالك ألا يسقط منها شئ نظرا لعناية تلاميذه بتدوين

مـذهبـه وعنايتـهـم بـكـل مـا يـكـتـب، وكـثـرة المحـيطين بـه، وخـاصـة فى قـضـيـة مـشـهـورة كمناظرته مع إمام مصر. وكان المتوقع أن يكون النقص فى رسـالة الإمـام اللـيـث، نظرا لعـدم انشـغـالـه بالتـدوين وعـدم عناية تلامـيـذه بتسجيل آثاره. لكن يبدو أن القضـيـة لقيت عناية من الإمام الليث ومن أهل مصر، نظرا لخطورتها، وعظم ما يترتب عليها، فضلا عن التوفيق الكبير الذى أصابه الإمام الليث بردوده على الإمام مالك، مما عد حدثا عظيما استحق من أهل مصر كل عناية وتقدير.

والمتتبع لردود الإمام الليث لا يملك نفسـه من الإعجاب بهـذا الأدب العالى، وهذا الخلق الرفيع، فبرغم علو مكانته فى قومه ورسوخ قدمه في علمه، واستبحار سلطانه، وعظم منزلته لدى خليفة المسلمين هارون الرشيد، فإنه يبدو فى رسالته أشد ما يكون تواضعا ولينا، إذ لا يجد فى نفسـه حرجا من إنكار الإمـام مـالك عليـه، وتحـذيره إياه، بل إنه يرى ذلك حقا له على أخيه، أن يسارع إلى تنبيهه إن غـفـل، وتذكـيره إن نسى، وإلى تقـويمـه إن رأى فيه اعوجاج.

وهو فى تواضعه يفصح عن خلق آخـر لا يتمتع به إلا المخلصون من أولى العلم والأئمة الأعلام فى كل عصر وهو خلق الإنصـاف من النفس والاعتراف بالفضل لأهله، وقديما قيل: «لا يعـرف الفـضـل لأهل الفـضـل إلا ذووه». ويظهر خلق الإنصاف واضحا فى إقراره أخاه فيما وصف به أهل المدينة من الإمامة والسبق، وأن الناس تبع لهم. ويقره فيما بلغه عنه من أمر الفتيا قائلا: «وذكرت أنه بلغك أنى أفتى بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وأنى يحق علىَّ الخوف على نفسى لاعتماد من قبلى على ما أفتيهم به، وأن الناس تبع لأهل المدينة التى إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذى كتبت به من ذلك إن شاء الله - تعالى - ووقع منى بالموقع الذى تحب».

ومن مظاهر تواضعـه التى لا تتـأتى إلا للنفوس العظيمة والقلوب الكبيرة، ما نلاحظه عند كلامه عن نفسه فى معرض التحدث عن العلم: إذ نراه لا يصف نفسه بالعلم ولا يدخل نفسـه فى دائرة العلمـاء وإنما يجـعل العلم منسوبا إليـه من الناس فى قوله: «وما أجد أحدا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا، ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه منى».

أما عند حديثه عن إخوانه من أهل المدينة فيقول علماء أهل المدينة، وهو خلق فاضل لا يعرفه إلا أفاضل العلماء وأكابرهم، ممن خلت نفـوسـهم من الحـقـد، وبرأت من الهـوى، وتطهرت من العجب والكبر، فليت سادتنا من علماء هذا الزمان يفقهون عن أئمتنا وعلمائنا هذا الخلق الفاضل، وينهجون فى خلافهم هذا المنهج القويم.

ويواصل الإمـام الليث إنصـافـه لأخـيـه، واعترافه له بما ذكر، وإقراره بصواب ما ذهب إليه بقوله: «وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة، ونزول القـرآن بهـا عليـه بين ظهرانى أصحابه، وما علمهم الله منه، وأن

الناس صاروا تبعا فيه فكما ذكرت . . » .

حتى إذا وصل إلى ما ينبغى الرد عليه، وما يقتضى إبداء الرأى فيه، وإظهار ما خفى على أخيه منه انبرى يوضح ذلك فى جزالة وفصاحة وبيان . لا يصرفه عن قصده هوى، ولا يشغله عن بلوغ الحق شاغل، ولا يعوقه عن إظهار ما يرى من الحق عى أو جهل أو عجز أو سفسطة أو مراء فيقول :

« وأما ما ذكرت من قوله الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١) .

فإن كثيرا من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد فى سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، فجندوا الأجناد واجتمع إليهم الناس، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه ولم يكتموهم شيئا علموه، وكان فى كل جند منهم طائفة يعلمون كتاب الله وسنة نبيه، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره القرآن والسنة . وتقدمهم عليه أبوبكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم .

ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون فى الأمر اليسير لإقامة الدين، والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه، فلم يتركوا أمرا فسره القرآن أو عمل به النبى صلي الله عليه وسلم أو ائتمروا فيه بعده إلا علموه، فإذا جاء أمر عمل به أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق على عهد أبى بكر وعمر وعثمان، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا لم يأمروهم بغيره، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرا لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين له .

وواضح ما فى كلام الإمام الليث من وجاهة، وما فى حججه من قوة لا تترك زيادة لمستزيد، فانتقال أصحاب رسول الله ﷺ إلى أقطار الأرض فاتحين، واجتماع الناس بهم، والتفافهم حولهم، واستماعهم لهم، وأخذهم لفتياهم، واستقرار أمور الناس على ما أخذوه من كتاب الله وسنة رسول الله، وما أفتى به أصحاب رسول الله ﷺ وعملوا به على عهود الراشدين الثلاثة أبى بكر، وعمر، وعثمان وهم من هم غيرة على الدين، وشدة فى الحق، ودقة فى اتباع رسول الله ﷺ . وحرصا علي كل أمر من أمور الدين مهما كان يسيرا، كل ذلك يجعل اتباع أهل المدينة وحدهم أمرا عسيرا.(٢)

١- التوبة (١٠٠).

٢- أورد الطبرى روايتين فى كتابه «ذيل المذيل» صـ ١٠٧، إحداهما عن الخليفة المهدى، والأخرى عن الخليفة أبى جعفر المنصور، كلاهما يطلب منه أن يضع كتابا يحمل الناس على العمل به فى جميع الأمصار، لكن مالك لم ير ذلك.

أنظر ذلك بالتفصيل فى البحث الذى أعده الدكتور محمد كامل حسين فى مقدمة كتاب «الموطأ» تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى.

ثم يصل الإمـــام الليث عن طريق هذه المناقشة الهادئة العميقة المستندة إلى العقل والشـرع وواقع الحـال إلى إبداء رأيه رافضـاً مطلب الإمام مالك أن يجعل المسلمين جميعا تبعـا لما يراه أهل المدينة وألا يخالفوهم فى شىء مما أجمعوا عليه.

قائلا: «فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمـرا لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا فى الفتيا فى أشياء كثيرة، ولولا أنى قد عرفت أن قد علمتها كتبت بها إليك».

ونلاحظ أدب الإمام الجم وذوقه الرفيع عند إبداء رأيه رغم قوته ووجاهته إذ لا يعمد إلى تنقيص أو تجريح، بل لا يحدد أحدا بعينه وإنما يكتـــفى بقـــوله: «لا يجـــوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا أمرا لم يعمل به سلفهم من أصحـاب رسول الله ﷺ والتـابعين لهم» وواضح أن المقصود بأجناد المسلمين هم الإمام مـالك وأصحـابه، ولكن أدب الإمـام الليث يمنعه عند حديثه عن إحداث أمر يخالف ما عليـــه المسلمـــون أن ينسب ذلك إلى أهل المدينة وإنما يجعله عاما دون تحديد لأهل بلد أو مذهب أوجهة . أدبا منه ولطفا، وكياسة وورعـــا، ويبلغ الإمـــام الغـــاية فى الإقناع بقضيته، وإبراز وجه الحق فى دعواه عندما يقدم أمثلة من الاختلاف بين التابعين وتابعى التابعين، حتى يصل إلى أمور من الاختلاف وقعت بين يدى صاحبه، وربما كان طرفا فيها، أو على الأقل شاهدا عليهـا، والإمام الليث كان حاضرا تلك المناقشات أيضا فيقول: «ثم اختلف الذين كانوا بعدهم فحضرتهم بالمدينة ورأسهم يومئذ ابن شهاب وربيعة بن عبدالرحمن، وكان من خلاف ربيعة لبعض من قد مضى ما عرفت وحضرت، وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه، وإذا كـاتبه بعضنا فربما كتب إليه فى الشىء الواحد - على فضل علمه ورأيه - بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضا، ولا يشعر بالذى مضى من رأيه فى ذلك، فهذا الذى تدعونى إلى ترك ما أنكرت تركى إياه».

وهكذا تصل القضية إلى نهايتها، ويصل الإمام الليث وبصاحبه وبالقارىء إلى الإقناع التام، على جسر من الحب الصادق، والود الخالص، والأدب الجم، والخلق الرفيع.

وبرغم أن القضية بذلك قد انتهت فإن رسالة الإمام الليث لم تنته، فما أن انتهى من رده على دعوى صاحبه حتى تحول من الرد إلى النقد، ومن الدفاع إلى الهجوم، فأحصى على الإمام مالك أمورا خالف بها إجماع أهل المدينة من أصحـــاب رســول الله ﷺ ومن التابعين، وقد أحصيت تلك الأمور فى رسالة الإمام الليث، فبلغت عشر مسائل من أهم قضايا تراثنا الفقهى المجيد.

فلسفة خطاب الإعلام العربى بين التبرير والتغيير

١

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

يلعب الإعلام المعاصر، من خلال وسائل الحضارة التكنولوجية، دورا مهما أكثر من أى عصر مضى، فى تكوين أفكار الناس، وتحريك عواطفهم، وتوجيه حياتهم، وتشكيل عقائدهم، ولقوته العظمى يؤثر على أسلوب حياتنا، ومعيشتنا، على أفكارنا السياسية، وعلى أخلاقنا بل وعلى مصيرنا.

من هنا: يقع الإنسان المعاصر، تحت وطأة وسائل الإعلام وشراستها، فأينما يكون توجيهها تكون وسيلته، فهى التى تحرره إن كانت حرة فى اتجاهاتها، وهى التى تستعبده وتسخره إن كانت استبدادية النزعة، لذلك كانت وسائل الإعلام هى عنوان الأمم وعنوان رقيها وتحضرها، هى السفير المعتمد الذى يرسم وسائل الاتصال بين الشعوب.. وبين الدول ومواطنيها.. ويقيم علاقاتها برباط شديد أواصره، من الوطنية والأخلاق والدين.. ولا نجد وسيلة أقوى وأشد فعالية فى وحدة الأمة من الإعلام، فيه تلتقى الإنسانية على صعيد الحكمة، لذلك يجب أن تكون الكلمة مؤسسة على أشرف المبادىء وأسماها، تلتقى لقاء إنسانيا، لا يعكره ما صنعته الظروف من الحواجز المصطنعة، تنوب فيه الإقليمية، والجغرافية والعنصرية، والمذهبية، وبه أيضا تتعرف الشعوب على مجريات الأحداث أينما كانت، وعلى ثقافاتها وخصائصها ومتطلباتها ومشاكلها وتغيراتها.

لذلك تدرك الأمم الحية الراقية أن نهضتها، وبعثها الحضارى، ورفعة شأنها بين الأمم تتوقف على وسائلها الإعلامية، وعلى نوع

ما تقدمه للأمة، وأفرادها، فهناك نوعان من الإعلام:

نوع من الإعلام، يساعد الأمة على بناء شخصيتها حضاريا وثقافيا ـ من خلال ما يقدمه لها من نماذج حضارية، وتاريخية، فيربى فيها القيم الفاضلة والعادات الحسنة فيزودها بعظيم القيم الأخلاقية من الوفاء والصدق والإخاء، والأمانة في المعاملات، والانضباط فى العمل، وتقديس الوقت واحترامه، ويعينها على التفتح الذهنى الذى يعى المتغيرات الحضارية والثقافية وينمى فيها حاسة التذوق الجمالى.

ونوع من الإعلام: يعمل على صنع جيل، بما يقدمه من نماذج سيئة يشوبها التبعية، والانتهازية فيصنع جيلا متكاسلا، لا يبالى بالحياة ولا بالقيم، مهزوزا متوترا غير واثق من نفسه، يفضل أن يكون تابعا لغيره، عالة على مجتمعه، اقتصاديا، وسياسيا، غير واع لظروفه الحضارية ولا متغيراتها، لا يحسن إنتاج أى شىء، يتقلب مع الهوى لايثبت على رأى، يجرى وراء كل ناعق.

من هنا: أطرح قضية خطاب الإعلام العربى الإسلامى، إذا أردنا تحضرا وحضورا للإنسان العربى على الساحة العربية الدولية، وأردنا الخروج مما وقعنا فيه، تحت وطأة ظروف استثنائية فرضت علينا لونا من ثقافة،ونمطا من سلوك، تخدم أهدافا غير أهداف الأمة وتصنع مجتمعا تعلوه الذلة، والاستكانة، يسلم قيادة نفسه لغيره حتى تروضه لقابلية الوصاية والتبعية.: ويصبح أداة طيعة تلعب به نزوات الحكام. من هنا وقفنا بين فلسفتين:

فلسفة الذين يستمدون تزييفهم من قراءات مشوهة للتاريخ، أنه لا سبيل إلى التحضر والنهضة الإصلاحية، ومن تلاقى الظروف الاستثنائية التى وقعت فيها الأمة إلا إذا خف ضغط القوى العالمية التى تريد لشعوب العالم الثالث أن تكون كذلك، وقادهم تأويلهم المتعسف.

لأحداث الخمسينيات والستينيات.. حين بدأت الثورة فى بداياتها الأولى بالميل نحو الاعتماد على النفس ، حين أعلنت مبادئها الإصلاحية.. ومن أهمها ضرب الاستعمار.. وإقامة حكم وطنى ديمقراطى.. الخ.

أدت تلك المحاولات الاستقلالية كما يذهب أصحاب فلسفات التبعية إلى الاصطدام بالقوى الخارجية صاحبة المصلحة فى المنطقة العربية التى خشيت على مصالحها وبسبب ذلك تعرضت الأمة لتلك النكسات المتكررة والخطيرة، فأحدثت شرخا فى كيان الوطن والأمة والشخصية.. واتخذ تيار التبعية الجارف الذى أخذ يشيد بفلسفة التبعية متخذا من ذلك الاصطدام وزعزعة الثقة فى الاعتماد على النفس، وعدم جدوى التحدى،والميل إلى المهادنة.. لذلك أرفض مثل تلك الفلسفات التى تربى فى الأمة العجز، وتغيب الأمة عن رعيتها وتعفيها عن تحمل مسئولياتها أمام الله والوطن والتاريخ.. وبدلا من تدعيم فلسفة الاعتماد على الذات لمواجهة قصورها وتقصيرها.. تشيع بين الأمة، زعزعة إيمانها بالتحدى مفضلة عليه الميل إلى المهادنة.

وإذا تفشى هذا الشعور فى جسد الأمة المناقض للشعور بتحمل المسئولية تنشأ علتان خطيرتان فى جسد الأمة إحداهما: العجز وضعف النفس.. وثانيهما: عدم الوعى وسوء الإدراك ولاشك أن التهرب من المسئولية الذاتية والتمادى فى إلقاء التبعية علي الآخرين من أسوأ الأمراض الاجتماعية.. فما أكثر ما نجد أبناء المجتمع العاجز يشتكون من كل شيء إلا من أنفسهم، ويحملون على الشعوب الخارجية، والنظام والحكومة والطبيعة وكل ما عداهم ناسين أو متناسين قسطهم من المسئولية ونصيبهم من التبعة وهذه النزعة إذا استفحلت استفحل معها قصر النظر، وخداع النفس والجبن، والتخاذل وعملت على ترسيخ العجز ومضاعفة شروره، فى حين أن الحاجة الماسة هي النهوض منه والتغلب عليه.

فمصدر العلتين: هو: اللامسئولية ومعالجتها تكون بالجهد الدائب لتنمية روح الانضباط والعدالة فى النظر والفكر والسلوك، والتروض علي استقصاء التبعية الذاتية وتحمل أعبائها،وهو ضيق شاق ولكنه الضيق الواجب اتباعه إذا أراد الفرد أن يحقق قابلياته التحررية وأراد المجتمع أن يحرز القوة والقدرة والكرامة حتى لا يكون ملهاة للعبث به، على الساحة الدولية فلا سبيل أمامه سوى أن يتحمل مسئوليته أمام التاريخ نتيجة غفوته.

وتلك قوانين التاريخ التى لا يوجد فيها عطاء دون جزاء أبدا.

لذلك أرى أن إعلامنا العربى مطالب باجتياز هذه العقبات وتلك الفلسفات وقبول التحدى التى أفرزتها التحديات والأحداث التاريخية والتغيرات الدولية حتى تأخذ الأمة العربية مكانتها القومية والدولية فى إطار صبغة من صبغ التوحد إذا أردنا أن نحتل مكانتنا الدولية فى إطار النظام العالمى الجديد.. وإلا سوف نغدو أمة مشتتة وموزعة لا نملك من أمر أنفسنا شيئا، تتحكم فينا وفى مصيرنا ومصير أجيالنا قوى التحكم فى توجهنا وتوجهاتنا، فلا خلاص لنا إلا إذا قمنا بترتيب بيتنا العربى وتفهم همومه وتحديد مهامه وتمسكنا بفلسفة التحدى فيها نكون أو لا نكون.

وأننى أضع أمام الخطاب الإعلامى العربى تلك المهام القومية والإسلامية لفلسفة التحدى الحضارى إذا أردنا أن نمهد لإحياء التضامن العربى على شكل إيجابى فعال:

الأولى:

الدعوة إلى إلغاء التميزات الإقليمية

ظهرت التميزات الإقليمية، التى هى فى الأصل مناطق نفوذ للاستعمار فى الوقت الذى كانت الساحة الإسلامية تزخر بالدعوات الإصلاحية لوضع تخطيط جديد يجمع شمل العرب بنفس مقتضياته المعاصرة، فدعا بعضهم إلى فكرة الجامعة الإسلامية، وبعضهم إلى فكرة الجامعة العربية.. ولم تذهب تلك الدعوات أدراج الرياح، وإنما تمت تلك الأفكار تحت فكرة التضامن العربى التى تمخضت فى

الأربعينيات عن مؤسسة الجامعة العربية وميثاقها، وكان ذلك قبل أن تتخذ الأمم المتحدة طريقها إلى الوجود.

وكنا نتوقع من الجامعة العربية أن تسمو بمفهوم التضامن العربى من الشكل إلى المضمون السياسى، والثقافى والاجتماعى، الذى يبين عن أمة عربية تتحدث عن تاريخ مشترك، وجامعة إسلامية واحدة، وتاريخ ثقافى واحد لكن التميزات الجغرافية التى رسمتها السياسة الاستعمارية إبان تصارعها حول توزيع «تركة الرجل المريض» ثم تصالحت على توزيعها فيما بينها تحت اسم استعمارى كريه «مناطق نفوذ» من ذلك اليوم أصبح لكل دولة استعمارية منطقة نفوذها فى الشرق الأوسط، قضت هذه التميزات على وظيفة الجامعة العربية، وعلى نمو فكرة التضامن العربى وعاقتها عن أن تتطور إلى وعى كامل بها، وأتاحت الفرص لكل دولة على تنمية الفروق، بين النزعات القبلية، والخصائص المحلية للظهور، كاللهجات اللغوية، والعادات والتقاليد حتى المذهبية البيئية تمت على حساب وحدة الكيان العربى الإسلامى الفكرى والعقلى، فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب الإعلامى العربى بأن يذيب فوارق تلك الإقليمية؟

الثانيـــة:

تطويع المزاج العربى لقابلية المؤثرات الحضارية

كان من الطبيعى أن ينتج عن التميزات الإقليمية عدم وحدة الميول إلى التقليل الحضارى، وعدم قابلية صيغة عامة للفكر، فهذا يحب لونا من الفكر، وذلك يفضل لونا آخر، وثالث ينظر إلى الإعلام من حيث بيئته المذهبية.. ولا شك أن ذلك التعدد وذاك التباين فى الفكر أدى إلى سريان موجة الاندفاع إلى الدفاع عن الأوضاع الثقافية وفقا لتمايزات الإقليمية وميولها، ومذهبيتها الدينية، ويرافق الدفاع عادة هجوم شرس من جانب آخر، على الحرية الثقافية، وعلى الرؤية الحضارية الإسلامية الواسعة التى لا تلتزم بالمذهبية الدينية البيئية، وقد يوهم تعدد ألوان الفكرعلى الساحة الثقافية بوجود حرية ثقافية لأنه فكر يحمل طابع التميزات الإقليمية، يضل ولا يهدى، يشتت ولا يجمع، واشتغل بقضايا التجزئة الإقليمية ومحسناتها المحلية،و لم يستطع أن يؤهل ذاته لحمل رسالة الأهداف القومية والإسلامية التى نكن لها أعظم التقدير وأجل الامانى.. و التى إذا ما ظهرت على الساحة لا تلقى إلا صمتا يحمل معنى السلبية الأليمة والانسحاب فى هدوء، وحسبنا أن نغطيها بأغطية التكافل وكأنها دعوة تائهة فى أرض الغربة، لتظل الساحة الفكرية غاصة بالأنماط الثقافية الإقليمية مع أنماط النظم المحلية، وتظل الساحة تزخر بلغو فكر محلى جدا غير قابل للتطور، وغير قابل للتفاهم معه أو حتى تفهمه، وكأنه عملة أهل الكهف، غير قابل للتعامل..تسوده نزوات انفعاليةملىء بالفحش والتنابز.. صيغته العامة الصراع مع كل فكر له أهداف قومية عليا، إقليمى يحمل عصبيات إقليمية.

.. تلك هى مهمات الفكر العربى، تقع بين قيم إقليمية متناقضة فإذا ما أرادت الأمة العربية أن تنهض نهضة حقيقية وترفع من شأنها بين الأمم، ويكون لها خطرها، فلا سبيل إلا بصحوة الخطاب الإعلامى العربى لينبهها إلى سبيل التوحد الحقيقى بأى شكل من أشكال التوحد المعروف فى النظم السياسية، ولتكن صيغة التوحد كما تكون حتى تعمل على تدارك الأزمات كما حدث فى أزمة الخليج، ويقى الأمة من النزعات الفردية، ونزعات التسلط، ونزعات التآمر الغادر.. ولا يتم ذلك إلا بالمصالحة بينها وبين صيغ العصر الحضارية، والمفهوم الإسلامى للأمة الإسلامية، فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب العربى الإعلامى تلك الرسالة فى تنمية وحدة الميول لتقبل التوجهات الحضارية؟.

الثالثة:

الإسلام والعروبة وجهان لحضارة واحدة

يشيع على الساحة الفكرية نوع من الضلال الثقافى الذى تشيع أنماطه فى عصرنا بين طائفة من المثقفين، كثيرا ما يفتعلون نقاشا غير مجد سوى قضايا أساسية صاغت تاريخنا وحضارتنا، وليس ذلك فحسب، بل هى التى صنعت هوية الإنسان العربى وصاغت سلوكه وقيمه وماتزال، ومن لغوهم ما يثيرونه من جدل مفتعل، حول: «قضية الخيار بين الإسلام والعروبة».. وكنا نرى فى ذلك الجدل لغوا وتزييفا لاطائل من ورائه سوى العبث فى شئون الثقافة وشئون الفكر والتاريخ.. فمتى كان الإسلام ضد العروبة؟ ومتى كانت العروبة ضد الإسلام؟ ومتى كان التوحد الإسلامى يعمل ضد العروبة؟ ومتى كانت الوحدة العربية تعمل ضد الإسلام؟

فمن الضلال الثقافى أن ترى أمر الإسلام بيننا بات محل نقاش فى تأصيل الوحدة العربية. ومن العجب أن تلقى الثقافات الوافدة استقبالا عظيما وتوقيرا لدى دعاتها الذين يدعون إليها ولايرضون لأنفسهم وصفا إلا وصف أنفسهم برواد التنوير، وهم فى حقيقة الأمر ليسوا إلا مقلدين، فاتخذوا معيبات التبعية مزية ثقافية.. ومن مزيتنا الحضارية، معيبات ثقافية، يجوز حولها النقاش والجدل، فلا إسلام من غير عروبة، ولا عروبة من غير إسلام كيف تحدث جدلا حول مزية العربى الثقافية والحضارية؟ فأين كان العربى قبل الإسلام؟ وأين العرب الآن، بعد ما غابوا أو غيبهم الاستعمار عن الإسلام.

لاشك أن الفصل بينهما لعبة استعمارية بغيضة، تريد أن تضرب الوحدة الروحية فى صميمها، فيبوء قوم باسم الإسلام، ويبوء آخرون باسم العروبة. وتقسمنا الطائفية من جديد. ولكن بشكل مر وأليم، وهذا بلا شك تآمر على الإسلام قبل أن يكون على العروبة وعدم وعى بهويتنا وتاريخنا، فليس من المعقول أن نضع الإسلام أمام خيار العروبة، وليس من المعقول أن نضع العروبة أمام خيار الإسلام.

إننا فى حيرة شديدة من تفجير قضية العروبة والإسلام وانقسام المفكرين حولها.. إنها غربة عانى منها المجتمع وعانت منها الوحدة الثقافية حين عصفت بها تيارات الأعاصير.. فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب الإعلامى العربى برفع تلك الغشاوة عن أعين المثقفين ليعيد إلى الأذهان عوامل انصهار الوحدة العربية ويقيم شأن التضامن الإسلامى؟

بين

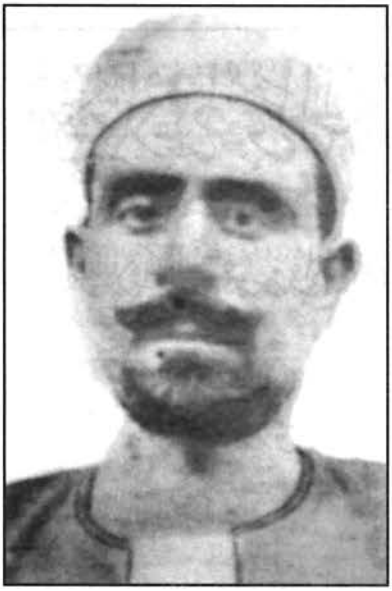

الخضر حسين و علي عبد الرازق

قضية وكتابان

٣

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

الإسلام وأصول الحكم

بحث في

الخلافة والحكومة في الإسلام

تأليف

على عبد الرازق

من خريجى الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية

« الطبعة الثالثة »

سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م

« حقوق الطبع محفوظة »

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم

تأليف

السيد

محمد الخضر حسين

أحد مدرسي جامع الزيتونة وقضاة المحاكم الشرعية

بتونس سابقاً

القاهرة

فى رد الشيخ محمد الخضر حسين -بكتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)- على الشيخ على عبد الرازق- عندما أصدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) سنة ١٩٢٥م- ألقى الشيخ الخضر الأضواء على دور التغريب، والإعجاب المفرط بالحضارة الغربية، فى ذلك الانحراف الفكرى، الذى جعل الشيخ على عبد الرازق يصور الإسلام: مسيحية يدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله!.. ويجعل الخلافة الإسلامية: دولة دينية -بالمعنى الكهنوتى الغربى- مثلت سلطان الاستبداد الدينى بالشعوب التى حكمتها..

يبصر الشيخ الخضر هذا العامل وهذا السبب من عوامل وأسباب هذا الانحراف الفكرى.. فينبه عليه.. ويتصدى لتفنيده بوعى وأدب واقتدار!..

ولم يكن خلاف الشيخ الخضر مع هذا «النهج التغريبي» مجرد استمساك بفضيلة الاستقلال الفكري، وفرط أنفة من التبعية لقوم غير مسلمين، كما قد يفهم البعض خطأ وقصر نظر..! وإنما كان وراء هذا الموقف.. فضلا عن أن فضيلة الاستقلال الفكرى هى السبيل الوحيد لرؤية الخصائص التى تمايز بين الحضارات، ومن ثم فإنها السبيل الوحيد لتحصيل الحقيقة وإدراك الصواب- كان وراء هذا الموقف المعادى لهذا «النهج التغريبي» «موقفا وطنيا» يدرك وظيفة هذا النهج التغريبي فى تكريس التبعية السياسية والعسكرية والاقتصادية المفروضة على وطن العروبة وعالم الإسلام من قبل أبناء الحضارة الغربية الغزاة المستعمرين.. فالتبعية الفكرية، هنا، تلعب دورا فاعلا وفعالا فى تأييد وتأبيد الاستعمار الذى يحول بين المسلمين وبين الحرية والنهضة والتقدم إلى الأمام!..

لقد كان الخضر: «شيخا- مجددا- مناضلا»..

فهو عالم ملتزم بأصول الشريعة ومقاصدها.. وهو مجدد، جعله تجديده مهتما بواقع المسلمين المعاصر، معنيا بالحلول الكافلة للأمة تجاوز سلبيات الواقع الذى نعيش فيه -وهو مناضل يدرك دور الشريعة والتجديد فى التصدى لأعداء الأمة، الذين يفرضون عليها القهر والعبودية والتخلف، ويحولون بينها وبين الحرية والقوة والانطلاق..

● **فهو، فى تونس، قد ناهض الاستعمار، الذى اضطره إلى الهجرة من وطنه الأول إلى الشام..**

● **وهو، فى الأستانة، يشارك فى العمل السياسى، ويضطلع بمهام فى السفارات الخارجية، تجعله على دراية بما يصنع الغرب وما يبيت لعالم الإسلام.**

● **وهو فى دمشق، يناضل الاستبداد، ويدخل السجن.. ثم يضطره الاستعمار الفرنسى- الذى هجّره من تونس- إلى الهجرة من دمشق إلى القاهرة.**

● **وفى القاهرة -وبصدد كتاب (الإسلام وأصول الحكم) -أبصر الرجل كم هى جليلة تلك الخدمة التى يقدمها للاستعمار كل من يدعو إلى تجريد الإسلام من طابعه ودوره السياسى، وتجريد الدولة، فى وطن المسلمين، من صبغتها الإسلامية، وتقديم الإسلام «دينا لا دولة، ورسالة روحية لا شرع فيها ولا سياسة.. ذلك أن المسلمين، فى ظل الاستعمار، إذا اهتموا «بمالله»، «وتركوا ما لقيصر لقيصر»، كان المستفيد الأول من ذلك هو الأجنبى، لأن «قيصر» هنا هو الاستعمار!.. «فعلمنة الإسلام» هى -فى حقيقتها- وبصرف النظر عن النوايا- تشريع يمنع الحرج والإثم عن ضمير المسلم. إن هو خضع لسلطان أجنبى أو سلطة غير إسلامية.. ومن ثم فإن اشتراط «أسلمة الدولة» و«أسلمة القانون» هو -فى الحقيقة- دعوة للمسلمين كى يثوروا فى سبيل حريتهم وتسويد شريعة الإسلام فى الوطن الذين يعيشون فيه!..**

أبصر الشيخ الخضر هذه الحقيقة الجوهرية، ونبه إليها وهو يرد دعوى الشيخ على عبدالرازق: «علمانية الإسلام»!

فهو عندما ينبه على تهافت أدلة الشيخ على عبدالرازق وحججه، يشبهها -ساخرا- بوعود الدول الاستعمارية وعهودها؟!.. فيقول عنه: «إنه تشبث بأوهى من عهد دولة استعمارية؟!»(1)

---

(1) الباب الثانى من الكتاب الثانى [ص١٥٢ من طبعة الأصل].

وعندما يستدل على عبدالرازق على أن محمدا ﷺ، كان رسولا مبلغا، ولم يكن حاكما منفذا، بأن «الرسالة» غير «الملك»، وبكلمة المسيح ـ عليه السلام ـ : «اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، وبأن يوسف ـ عليه السلام ـ كان عاملا فى دولة لا تدين بدينه، ينبه الشيخ الخضر على مغايرة النهج الإسلامى لما سبقه من نهج فى هذا الأمر.. ويشير إلى الخطر البادى من استغلال هذه الدعوى فى تكريس انفراد «القيصر» المعاصر، الاستعمار، بالسلطة والسلطان فى عالم الإسلام.. فيقول: «لم يرض محمد بن عبدالله ﷺ أن يقيم تحت سلطان غير سلطان الله، ولم يرض لمعتنقى دينه الحنيف أن يستكينوا لسلطة غير إسلامية، وفرض الهجرة والجهاد على ما نقول شهيد. وما ينبغى للمؤلف -[على عبدالرازق]- أن يحشر فى غضون كتابه مثل هذه الكلمة -(اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)- التى تقضى حاجة فى نفس المخالف المتغلب، وتبقى فى النفوس أثر الاستكانة إلى أى يد تقبض على زمامها»[2]؟!.. «إن محمداً بن عبدالله، صلوات الله عليه، لم يعترف بسلطة دار الندوة بمكة، وحاربها حتى خضد شوكتها واستأصل جرثومة فسادها، ولم يعترف بسلطة قيصر، وأخذ يعد ما استطاع من قوة ليدفع شره ويقوض دعائم ملكه..»[3].

كذلك، فإن الادعاء بأن الإسلام دين ليست به شريعة لسياسة الدولة والمجتمع، هو -وعينا أم لم نع- دعوة تمنح المشروعية لسلطان الأجنبى المتغلب وفلسفة قانونه الغريبة عن روح الأمة وهويتها الحضارية، ذلك أن «الإسلام يقصد من تأسيس الدولة الإسلامية أمرين:

أحدهما: إجراء أحكامه العادلة ونظمه الكافلة بسعادة الحياة، إذ لا يقوم عليها بحق إلا من آمن بحكمتها وأشرب قلبه الغيرة على تنفيذها.

ثانيهما: الاحتفاظ بكرامة أوليائه وإعزاز جانبهم حتى لا يعيشوا تحت سلطة مخالف يدوس حقوقهم، ويرفع أبناء قومه أو ملته عليهم درجات»؟![4].

والذين يجعلون الإسلام «دينا» لا «شرعا» سيهدرون، ضمن ما يهدرون، من «مقاصد الشريعة» مقصد «الجهاد»، الذى تجاوز كونه سبيلا «لحفظ الدين»، وأصبح، فى مواجهة الاستعمار الأجنبى السبيل الأول لحفظ مقاصد الشريعة كلها؟!.. ذلك «أن المقاصد التى تقصدها الشريعة السماوية ترجع إلى حفظ النفس، والدين، والعقل، والعرض، والنسب، والمال.

فالقصاص، مثلا، مشروع لحفظ النفس، وحد الزنا لصيانة النسب، وحد القذف لصيانة العرض، وعقوبة شارب الخمر لصيانة العقل، والجهاد لحفظ الدين. بل الاستعمار الأجنبى دل على أن الجهاد مشروع لحفظ الدين والنفس والعرض والمال»، ويرشد إلى هذا قوله تعالى:

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[5].

فللشريعة الإسلامية، فى الواقع الإسلامى، دور تحريرى.. وهى ليست مجرد نصوص!

---

(٢) الباب الثانى من الكتاب الثانى [ص١٣٦، ١٣٧ من طبعة الأصل].

(٣) الباب الثانى من الكتاب الأول [ص٣٤ من طبعة الأصل].

(٤) الباب الثانى من الكتاب الثانى [ص١٤٦ من طبعة الأصل].

(٥) الباب الأول من الكتاب الثالث [ص٢٠٠ من طبعة الأصل]، والآية من سورة التوبة (٨).

ولقد كان طبيعيا للرجل الذى أدرك دلالة سيادة الشريعة وأحكامها على استقلال الأمة ودولتها، أن يبصر دلالة سيادة «الشريعة» الاستعمارية فى بلادنا على خضوعنا لهذا الاستعمار.. فأحكام الشريعة الإسلامية هى قانون الأمة الطبيعى، وفى سيادتها، بدلا من الفلسفة القانونية للحضارة الغازية، مظهر من مظاهر الاستقلال.. «وإذا كانت القوانين الوضعية لا يخضع لها المسلمون بقلوبهم، ولا يتلقون القضاء القائم عليها بتسليم، كان تقريرها للفصل بينهم غير مطابق لقاعدة الحرية، إذ المعروف أن الأمة الحرة هى التى تساس بقوانين ونظم تألفها وتكون على وفق إرادتها أو إرادة جمهورها. فالشعوب الإسلامية لا تبلغ حريتها إلا أن تساس بقوانين ونظم يراعى فيها أصول شريعتها، وكل قوة تضرب عليها قوانين تخالف مقاصد دينها فهى حكومة مستبدة غير عادلة. فالذين ينقلون قوانين وضعها سكان رومة أو لندرة أو باريز أو برلين، ويحاولون إجراءها فى بلاد شرقية، كتونس، ومصر أو الشام، إنما هم قوم لا يدرون أن بين أيديهم قواعد شريعة تنزل من أفق لا تدب فيه عناكب الخيال أو الضلال، وأن فى هذه القواعد ما يحيط بمصالح الأمة حفظا، ويسير بها فى سبيل المدنية الراقية عنقا[٦] فسيحا. ولو قيّض الله لشعوب هذه الأمة الإسلامية رؤساء يحافظون على قاعدة حرية الأمم لألفوا لجانا ممن وقفوا على روح التشريع الإسلامى، وكانوا على بصيرة من أحوال الاجتماع ومقتضيات العصر، وناطوا بعهدتهم تدوين قانون يقتبس من أصول الشريعة ويراعى فيه قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد. وبغير هذا العمل لا يملك المسلمون أساس حريتهم، ولا يسيرون فى سبيل سعادتهم آمنين»[٧]!

فسيادة أحكام الشريعة فى الأمة، وهيمنتها وهيمنة فلسفتها بالمؤسسة القضائية الوطنية قسمة من قسمات «الاستقلال الحضارى»، بدونها ستظل سيادة الأمة منقوصة، وحريتها ناقصة، حتى ولو حققت «الاستقلال السياسى»، فأصبح لها «علم» و«نشيد»؟!..

ومن هذه «الزاوية النضالية»، وبهذا «المنطق التحريرى» أبصر الشيخ الخضر مهمة «الخلافة» الإسلامية، ودورها التوحيدى للأمة، ومردود هذا الدور وفعاليته فى مواجهة التحديات التاريخية التى فرضها الاستعمار الغربى على عالم الإسلام.. «فالخلافة لا تزيد على ما يسمى دولة، إلا أنها رابطة سياسية تجعل شعوبا مختلفى العناصر والقومية يولون وجوههم شطر رايتها بعاطفة من أنفسهم واختيار. ومن هذه الوجهة ينظر إليها بغاة الاستعمار بعين عابسة، ويحاول الغرّ الذى ينخدع ببهرج آرائهم، أن يطوى رايتها ويمحو أثرها[٨]»؟!..

لقد كانت الحصن الذى جمع المسلمين، على امتداد تاريخهم الطويل، فى مواجهة الغزاة.. وحتى فى لحظات ضعفها ومرضها، كانت «الرمز» الذى ظل الاستعمار على عدائه له وسعيه لمحوه، مخافة أن يتداركها التجديد والإصلاح فتعود حصنا للمسلمين، يجمع وحدتهم، ويحول بين الاستعمار وبين التهام أوطانهم واستنزاف ثرواتهم واحتلال عقلهم بفكرية التغريب!..

هكذا أدرك الشيخ الخضر خطر دعوى «علمانية الإسلام» على قضية القضايا بالنسبة للأمة.. قضية: رفضها لسلطان الأجنبى، ونهوضها لانتزاع حريتها من الاستعمار.

---

(٦) العَنَق- بفتح (العين والنون): هو السير السريع.

(٧) الباب الثالث من الكتاب الثالث [ص٢٤٣، ٢٤٤ من طبعة الأصل].

(٨) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص٨٧ من طبعة الأصل].

محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين

٧

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

كنا قد أشرنا فى نهاية المقال السابق إلى أننا اكتفينا بما تقدم فى المقالين الأخيرين، فى الرد على مقولة المستشرقين: «إن محمداً صادق، لكن رسالته كاذبة»!

لكننا تلقينا رغبات من بعض القراء والمعارف، باستمرار الرد على هذه المقولة؛ لأنها أغرب فرية يفترونها على رسالة محمد ﷺ.

ونزولاً على هذه الرغبات نواصل الحديث فى هذا المقال، وربما الذى يليه، على دحض هذه الفرية الغريبة بكل اعتبار.

ومدخلنا فى الحديث فى الرد عليها الآن، هو المقارنة بين حديث القرآن (رسالة محمد) وحديث الكتاب المقدس بعهديه، عن مواضيع اشترك كل من الكتب الثلاثة فى الحديث عنها.

التوراة - الأناجيل - القرآن، ولن نحتكم إلا إلى العقل والواقع، فى إثبات صدق رسالة محمد ﷺ سواء فى ذلك مواضع الاتفاق بين الكتب الثلاثة، ومواضع الاختلاف بين القرآن (رسالة محمد) وبين العهدين القديم والجديد. وسوف نرى أن الصدق - دائماً - هو ما ورد فى القرآن، إذا كان ما فى عهدى الكتاب المقدس يخالف ما ورد فى القرآن وذلك بدلالة العقل الحاسمة، والواقع المُشَاهد والمحسوس.

متى يكون البعث؟..

لتكن هذه « الفكرة » هى موضوع المقارنة الآن بين ما ورد عنها فى « الأناجيل » وما ورد فى « القرآن » أما التوراة وملحقاتها، فلا يكاد يرد فيها شىء عن الحياة الآخرة عموما، فضلا عن الحديث عن البعث والنشور، فلننح التوراة وملحقاتها جانباً من هذا المجال.

أما الأناجيل فهى محط المقارنة لنا بين ما ورد فيها وما ورذ فى القرآن.

●●●

والذى ورد فى الأناجيل عن: متى يكون البعث؟ فهو الآتى:

« هؤلاء الإثنا عشر، أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفى ما أنتم ذاهبون كرروا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات.. إن الحق أقول لكم لا تكملوا مدن إسرائيل، حتى يأتى ابن الإنسان ».. إنجيل: ١٠: ٥-٧-٢٣[1].

« الحق أقول لكم: إن من القيام ها هنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته ».. إنجيل متى: ١٦-٨، وإنجيل مرقص: ٩-١، وإنجيل لوقا: ٩-٢٧.

بحسب ما ورد فى هذه الفقرة فى الأناجيل الثلاثة المذكورة فإن المسيح عيسى - عليه السلام - كان يجزم أن نهاية العالم ستأتى، وبعض من كان يعيش حين قال المسيح هذه العبارة سيدرك فى حياته نهاية العالم، وهذا ما يفيده قوله:

« إن من القيام ها هنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته »؟!.

وليس ما تقدم هو كل ما فى هذه الأناجيل الثلاثة عن اقتراب فناء العالم فى حياة المسيح فى أقل من مائة سنة، بل إن هذه الأناجيل روت فقرات أخرى أكثر وضوحاً فى هذا المعنى.

فقد جاء فى الأناجيل الثلاثة الفقرة الآتية:

« فيما هو جالس على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ - يعنى الحواريين - على انفراد قائلين: قل لنا: متى يكون هذا، وما علامة مجيئك وانقضاء الدهر، فأجاب يسوع وقال للوقت بعد ضيق تلك الأيام، تظلم الشمس، والقمر لا يعطى ضوءه،

(١) مجىء ابن الإنسان فى العهد الجديد (الأناجيل) كناية عن نهاية العالم. وكذلك مجىء «ملكوت الله».

والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماء تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير.

الحق أقول لكم: لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله»[٢].

ومعنى هذا: أن المسيح ـ عليه السلام ـ حسب هذه الروايات حدد نهاية العالم بأقل من أعمار الجيل الذى كان يعيش وقت أن قال هذا الكلام، وبمقتضى هذه التنبؤات الإنجيلية كان ينبغى أن يفنى العالم، وتزول الحياة الدنيا، وتحل محلها الحياة الآخرة منذ تسعمائة وألف سنة مضت على الأكثر؟؟!...

ولكن الحياة الدنيا ماتزال قائمة حتى الآن، وإلى أجل لا يعلمه إلا الله علام الغيوب.

ومن الملاحظ لمن له اطلاع على الأناجيل أن إنجيل يوحنا قد خلا تماماً من هذه التنبؤات التى وردت فى الأناجيل الثلاثة: (متى ـ مرقص ـ لوقا) فهل لذلك من سر يا ترى؟!..

الجواب فى العبارة الآتية:

«أما إنجيل يوحنا، فقد كان هو الوحيد الذى تجنب هذا المأزق الخطير، لأن هذا الإنجيل كُتِبَ فى مطلع القرن الثانى (الميلادى) بعد أن تبين للناس عدم عودة المسيح سريعاً إلى الأرض»[٣].

لقد استفاد يوحنا من أخطاء سابقيه، وإنجيله آخر الأناجيل تدويناً، ولما رأى أن تنبؤات متى ومرقص ولوقا لم تتحقق، عزف عن محاكاتهم فلم يذكر هذه التنبؤات فى إنجيله، ولو كان قد أثبتها لكان خطؤه أفحش من أخطائهم، لأنهم أسبق زمنا من تَوَقُّعْ حدوث نهاية العالم، ويوحنا كتب إنجيله بعد زمن تَوَقُّعْ حدوثها. فهو مكره لا بطل، والقديس بولس كان يعتقد هذا الاعتقاد قبل متى ومرقص ولوقا، واضعى الأناجيل الثلاثة المسماة بأسمائهم، كان يعتقد أن نهاية العالم ستحدث وهو حى. وفى ذلك يقول:

«إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجىء الرب (يعنى: المسيح) لا نسبق الراقدين (يعنى الأموات)؛ لأن الرب نفسه (يعنى: (المسيح) سوف ينزل من السماء، والأموات فى المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقون سنخطف جميعاً معهم لملاقاة الرب فى الهواء»[٤].

كل هذه النصوص (المقدسة) قد أجمعت على أن نهاية العالم كانت ستكون فى القرن الأول الميلادى ومضى ـ حتى الآن ـ عشرون قرناً ميلادياً، والعالم موجود، بل هو يزداد وجوداً قرناً بعد قرن، ولم يحط، ولن يحيط بنهاية العالم أحد.

تعقيبات على تلك الروايات

إن الغربيين أنفسهم، قبل أى مخالف لهم فى العقيدة، قد نقدوا روايات الكتاب المقدس (الأناجيل) التى تقدم ذكرها. وهذا أمر طبيعى،

(٢) متى: (٢٤/٣ – ٣٤/٢٩) مرقس: (١٣/٣ – ٣٠/٢٤) لوقا: (٢١/٧ – ٢٢/١٥).

(٣) الإسلام والأديان الأخرى (١٣٥) لواء مهندس/ أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٤) رسالة تسالونيكى لبولس (٤/١٥ – ١٧).

لأن كتاباً يوصف بأنه «مقدس» ينبغي أن يخلو تماماً من الأخبار أو التنبؤات الباطلة. وإليك نموذجين من ذلك النقد، فهذه دائرة المعارف البريطانية تكتب تعقيباً على ما جاء في أناجيل متى ومرقص ولوقا، من روايات عن السيد المسيح ـ عليه السلام ـ بفناء العالم في القرن الأول الميلادى فتقول:

«إن الاعتقاد في المجيء الثاني للمسيح، كان دائماً هو المعتقد الشرعي للمسيحيين. وبالرغم من ذلك فإن نهاية العالم لم تحدث!!..

وحتى لو حدثت الآن، فإنها لن تكون تحقيقاً لما هو مكتوب في العهد الجديد، لأن ما كان منتظراً هو النهاية الوشيكة، للعالم»[(٥)].

هذا النقد ـ على قصره ـ ذو مغزى خطير الشأن وتأمل قول الدائرة:

«وحتى لو حدثت الآن، فإنها لن تكون تحقيقاً لما هو مكتوب في العهد الجديد».

وذلك لأن الأناجيل الثلاثة حددت لنهاية العالم عمر جيل واحد، هو الجيل الذي كان فيه المسيح ـ عليه السلام ـ ولكن الزمن تجاوز هذا التحديد، الذي نسبته الأناجيل الثلاثة لعيسى ـ عليه السلام ـ وبهذا فقدت تنبؤات تلك الأناجيل محتواها. وأصبح وجودها مسطوراً في أسفار العهد الجديد آفة خطيرة، بالنسبة لـ «قدسية» تلك الأناجيل.

ويقول (وليم باركلي) تعليقاً على كلام القديس بولس هذا: «عندما كتب بولس هذا، فمن الواضح أنه كان يتوقع المجيء الثاني للمسيح أثناء حياته (يعني حياة بولس) وحياة أولئك الذين كان يكتب لهم، وهو يكتب في الرسالة الأولى لأهل تسالونيكي (٥/٢٣) أنه يصلي لله لكي تحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء الرب يسوع (المسيح).

إن الشيء ذا المغزى الخطير هنا هو ذكر الجسد، فمن الواضح إذاً توقع بقائهم في الجسد عند عودة المسيح، أي أنه توقع عودة المسيح أثناء حياتهم وحياته»[(٦)].

وباركلي وإن لم يكن حاسماً في التعليق على كلام القديس بولس، فإن عبارته:

«إن الشيء ذا المغزى الخطير هنا، هو ذكر الجسد».. وباركلي كتب هذا الكلام سنة ١٩٥٨م. في لندن. ومعنى هذا أنه كان يريد تسجيل ذلك الخطأ الواضح الذي وقع فيه القديس بولس. ولعل كلامه هذا هو الذي أوعز إلى كتبة الأناجيل الثلاثة: (متى ومرقص ولوقا) بذكر التنبؤات التي مر بنا ذكرها من قبل، ولا غرو فإن بولس هذا قد أحدث إضافات كثيرة في الإيمان المسيحي. حتى عده بعض علماء اللاهوت، صاحب مسيحية جديدة، مغايرة لمسيحية عيسى ـ عليه السلام.

●●●

هذه هي فكرة «نهاية العالم» في «العهد الجديد» شطر الكتاب المقدس، ويجوز لنا أن

---

(٥) دائرة المعارف البريطانية (٥٢٣/٢) وانظر: (الإسلام والأديان الأخرى (١٣٧) لواء مهندس/ أحمد عبد الوهاب.

(٦) يُنْظَر (الإسلام والأديان الأخرى) .. مرجع سبق ذكره.

نسميها: «رسالة المسيح ـ عليه السلام ـ كما رسمتها الأناجيل، فى مقابلة رسالة محمد ﷺ التى يصفها المستشرقون بأنها رسالة كاذبة!!..

والفكرة كما عرضتها الأناجيل الثلاثة: متى ومرقس ولوقا إذا عرضناها على حكم العقل والواقع، حكما برفضها بلا تردد.

وعيسى ـ عليه السلام ـ رسول صادق مصدق، لا يمكن أن يصدر عنه أخبار أو تنبؤات غير صادقة، حاشا لله.

وهذا يسلمنا إلى نتيجة لا مفر منها، وهى أن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يصدر عنه ما نسبته إليه الأناجيل الثلاثة، لأنه لا يقول إلا حقاً وصدقاً.

وهذه النتيجة ملزمة لكل من كان له عقل، وملزمة لرجال اللاهوت المسيحى، وهى من عويصات المشكلات لديهم، وكان حرياً بالمستشرقين، الذين وصموا رسالة محمد ـ ﷺ بالكذب، أن يقفوا أمام هذه «المشكلات الخطيرة» التى تتصل بالنصوص المقدسة عندهم.

أجل: إنها مشكلة عويصة؛ لأنها إذا ظلت تذكر فى أسفار العهد الجديد، كانت سُبَّة فيه.

وإذا حذفوها كان هذا إقراراً منهم بأن «الكتاب المقدس قد ناله التحريف».

أمران أحلاهما مر، إن كان فيهما «أحلى».

فكرة نهاية العالم فى رسالة محمد ﷺ

رسالة محمد ﷺ هى «القرآن» ولما وصف المستشرقون رسالة محمد بأنها رسالة كاذبة، كانوا يقصدون القرآن!!..

وها نحن قد فرغنا من فكرة نهاية العالم فى الأناجيل (رسالة المسيح كما تصورها أسفار العهد الجديد) وعرفنا حكم العقل فيها: أنها لا يمكن أن تكون صادقة، ونفى الصدق عنها لا يرجع إلى رسالة عيسى الحقة، كما أرسله الله بها، ولكن باعتبار الأقوال المنسوبة إليه افتراء عليه.

ونريد هنا أن نذكر ما قاله القرآن الكريم عن نهاية العالم الدنيوى، لنرى هل ورد فيه ما ليس حقاً ولا صدقاً، بمقياس العقل، والواقع، وحقائق الإيمان الصحيح.

نذكر النصوص القرآنية فى هذا الشأن، أو بعضاً منها، ثم نواجه المستشرقين. الحاقدين الذين أعماهم العناد، وسيطر عليهم الحقد، فألبسوا الحق ثوب الباطل، وألبسوا الباطل ثوب الحق، وألغوا عقولهم لينالوا من القرآن. وهيهات هيهات ما يريدون:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٧).

فى هذه الآية إلحاح من الناس، فى سؤال محمد ﷺ عن الساعة متى تكون؟.

وفيها توجيه من الله لرسوله أن يكون جوابه على هذا السؤال الذى كرره السائلون، هو نفى أن يكون هو عالماً بها. وأن من يعلم بها هو الله وحده.

---

(٧) الأعراف (١٨٧).

وقد ورد هذا المعنى مؤكداً مكرراً:

﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾.

﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾.

﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾.

﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾.

إسناد علم الساعة إلى الله وحده جاء فى هذه الآية مؤكداً بأسلوبين من أساليب التوكيد فى البيان العربى.

أولهما: التكرار أربع مرات.

والثانى: أسلوب القصر فى ثلاثة مواطن:

﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ فعلم الساعة مقصور، وكونه عند ربى مقصور عليه.

﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ فتجلية وقت الساعة مقصور و «هو» مقصور عليه.

﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾ فعلم الساعة متى تكون، مقصور، و ﴿ اللَّهِ ﴾ مقصور عليه.

وجميع أساليب القصر عادة من جملتين:

الجملة الأولى تفيد نفى المعنى عن شىء. والجملة الثانية تفيد إثبات ذلك المعنى لشىء آخر.

وفى جمل القصر الثلاث تحقق هذا البيان، فكل جملة منها تنفى عن «غير الله» أن يكون له علم بالساعة متى تكون، ثم تثبت هذا المعنى لله على جملة «الاختصاص» الذى لا يقبل اشتراك أى طرف آخر فيه.

هذا خلاصة القول فى آية الأعراف وبقيت آيات أخرى كثيرة، معناها معنى آية الأعراف. منها قوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾(٨).

أجملت هذه الآية ما فصلته آية «الأعراف» حيث قصرت العلم بوقت ومجىء الساعة على الله وحده دونما سواه من جن أو إنس، أو ملائكة.

ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾(٩).

فى هذا الحوار الحكيم، ألقن القرآن منكرى البعث حجرا غليظا، ودحض شبهاتهم فى إنكار البعث ثم ترى هؤلاء الخصوم قد سألوا صاحب الرسالة سؤالا تفوح منه رائحة السخرية والامتعاض يسألون صاحب الرسالة: متى تكون تلك الإعادة؟

وإذا بالجواب يأتيه من علام الغيوب:

﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾.

---

(٨) الأحزاب (٦٣).

(٩) الإسراء (٥٠، ٥١).

مُبهْمة مخيفة، مبهمة لأنها لم تحدد مثلما تورط كتبة الاناجيل لم تحدد الزمن الذى تكون فيه.

ومخيفة، لإنها لوحت باحتمال قربه، لكن هذا القرب ـ نفسه ـ محوط بسحابة كثيفة من الضباب القاتم، لا لشىء، إلا لأن علم قيام الساعة لا يحيط به إلا الله ـ عز وجل ـ ولا ينبغى لأحد غير الله أن يكون لديه إدراك له.

وقوله عز وجل:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾(١٠).

وفى هذه الآيات ينفى القرآن أن يكون لمحمد ﷺ أدنى معرفة بوقت قيام الساعة. ثم يعود البيان القرآنى إلى حسم الموضوع فيقول:

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾.

وهو تركيب قصر طريقه التقديم والتأخير: تقديم ما حقه التأخير، وهو «إلى ربك» ثم تأخير ما حقه التقديم، وهو «منتهاها» لأنه مسند إليه «مبتدأ» فحقه التقديم، ولكنه أخر.

و﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ مسند (خبر) وحقه التأخيرفقُدِّم وكان الأصل أن يقال: منتهاها إلى ربك، لكن حدث ما حدث فى نظام بناء الجملة، ليكون المعنى: إلى ربك لا إلى غيره منتهاها.

ولو قيل: منتهاها إلى ربك، ما أفاد هذا المعنى القصرى، الذى تقدم بيانه.

هذا هو موقف رسالة محمد ﷺ من وقت قيام الساعة متى يكون لم تحدد هذه الرسالة المعصومة من الخطأ زمنا معينا لقيام الساعة، ونهاية العالم.

ولم يقتصر هذا على ما ورد فى القرآن وحده، بل إن السنة النبوية الشريفة «الحديث النبوى» نهجت منهج القرآن فى متى تقوم الساعة.

ونكتفى ـ منها ـ بالحديث الذى رواه عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الذى مثل فيه جبريل أمام النبى ﷺ مثول المتعلم من العالم، وأخذ يسأله والرسول يجيب، ليعلم الناس دينهم كما ورد فى الحديث فى هذا الحديث الجامع سأل جبريل ـ عليه السلام ـ محمداً ﷺ فيما سأل ـ:

«متى الساعة؟ فقال ﷺ: ما المسئول عنها

(١٠) النازعات (٤٢:٤٤).

بأعلم من السائل. المسئول هو محمد ﷺ والسائل، هو جبريل ـ عليه السلام ـ.

والأصل فى السائل أن يسأل عن أمر هو به جاهل، أما المسئول فهو من يعتقد السائل أنه عالم بما السائل به جاهل.

ولما كان جواب المسئول، وهو محمد ﷺ «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» أفاد هذا الرد البليغ أن كلا من المسئول «النبى» والسائل «جبريل» يستويان فى عدم العلم بالمسئول عنه، وهو: وقت قيام الساعة، ونهاية الحياة الدنيا وهكذا تتفق مصادر رسالة محمد ﷺ، وهما الكتاب والسنة، فى تبهيم الوقت الذى تقوم فيه الساعة، وتنتهى الحياة الدنيا:

فلا القرآن حدد لها زمنا معينا.

ولا الحديث النبوى حدد لها زمنا معينا وبذلك سمت رسالة محمد فوق كل طعن أو نقد. ولم توقع أتباعها فى حرج حاد كالسيف يطيح بالأعناق ولم تترك ثغرة لمثل دائرة المعارف البريطانية فى تسجيل أخطاء، أو رصد أكاذيب ولا لمثل وليم باركلى ناقد رسائل القديس بولس ولا أحوجت أتباعها لوضع رؤوسهم فى الرمال حرجا وخزيا، وسيظل هذا شأنها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

والآن، وقد فرغنا من هذه المقارنة الحاسمة بين ما ورد فى رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ كما صورتها الأناجيل، ووضع أسسها القديس بولس وبين رسالة محمد ﷺ، كما وردت فى كتاب الله العزيز، وفى حديث رسوله الكريم.

جرت هذه المقارنة حول وضع قيام الساعة ونهاية العالم فى الرسالتين.

وبعد هذه المقارنة نوجه إلى السادة المستشرقين الذين وصموا رسالة محمد ﷺ بالكذب نتوجه اليهم ـ بكل هدوء ـ بهذا السؤال، دون أن ننتظر منهم جوابا:

أين تجدون الكذب فى الإخبار عن نهاية العالم؟

نترككم تسمعون أنفسكم «الجواب»، أما نحن فلسنا فى حاجة أن نسمع منكم شيئاً.

***

كتاب الشهر

سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

لابن إسحاق

للدكتور

محمود على مراد

٣

عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

يؤكد الدكتور مراد بما قدمه فى رسالته العلمية، وتقوم على نقد كتاب ابن إسحاق فى سيرة الرسول ﷺ أنه يعنى بالنقد تلمس الأخطاء والعيوب، فإن لم يجد ما يملأ به صفحات الرسالة اخترع من الأكاذيب ما يتمكن به من جعله عيوبا وأخطاء، فهو إنما يقصد إلى هدم الكتاب من مبتدئه إلى منتهاه، ليحقق الغاية المطلوبة منه، وهى نسف السيرة النبوية، كما أوضح ذلك فى كتابه المرسل إلى الاستاذ الدكتور إبراهيم عوض، والذى سبق التنويه به فيما تقدم.

ولكى يحقق الدكتور ذلك رفض، من غير أى سند، أن تبدأ الدعوة إلى الإسلام سرا ورفض أن يعانى محمد من حرب قريش له، ورفض أن ينهض أبو طالب ليحمى ابن أخيه، ورفض أن يقبل محمد ﷺ حماية عمه.. إلى آخر تلك القائمة المستفيضة من المرفوضات، التى لا سند له فى واحد منها سوى أن عقله لا يقبل ذلك، وأن خياله لا يستطيع أن يراه، فكل ذلك إنما اخترعه ابن إسحاق ليدعم حكم العباسيين بتعظيم بنى هاشم، الذى يعنى بالضرورة، كما يرى، الحط من شأن الأمويين.

ومن هنا بذل جهدا كبيرا ليختلق الفروض الخيالية التى تدعم تلك الرحلة الرافضة مع كتاب ابن إسحاق.

الحماية دستور قبلى.. يحترمه الجميع

وكان من أبرز ما رفضه عقل الدكتور أن ينهض أبو طالب بحماية ابن أخيه، على الرغم من بقائه على دين آبائه!

ولو أن الدكتور ـ وهو فى مجال البحث العلمى ـ حلق بعقله بعيدا عن جنيف أو باريس، وأطل من عليائه على المجتمع المكى فى زمن البعثة، لعرف أن مبدأ الحماية والإجارة ـ فى أبعاده المختلفة ـ كان من أهم القيم القبلية التى تقوم عليها الحياة، فكان دستورا غير مكتوب، يدين به الجميع دون أى تردد، وأنه يعنى التزام القبيلة بحماية أبنائها، وحماية من يستجير بواحد من أبنائها، أيا كان هذا المجير فى القبيلة، وأيا كان المجار، بحيث ينهض المجير بإعلان ذلك، حتى يلتزم الآخرون من قبيلته ومن القبائل الأخرى بعدم الاعتداء عليه، بل وبحمايته من أى عدوان، وإلا كان التقاطع الذى قد يؤدى إلى نشوب الحرب.

ولعرف أن هذه القيمة القبلية هى التى أفرزت الوصاة المأثورة: « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » التى جاء الإسلام فعدل من مفهومها فيما بعد.

ولتبين له أن من هذا المنطلق القبلى جاءت عبارة أبى طالب لمحمد حين صادفه متلبسا بالصلاة هو وعلى فى أحد شعاب مكة: « اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشئ تكرهه أبدا »، مؤكدا أن مكانه منه ومن عشيرته لم يتغير بسبب ما جاء به.

وأن أبا طالب لم يكن وحده ـ بين قريش ـ هو الملتزم بهذا المبدأ الدستورى، فقد تضمنت سيرة ابن إسحاق مواقف عديدة تشبه موقف أبى طالب

مع ابن أخيه، فقد ذكر أن رجالا من مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد ـ حين أسلم أخوه الوليد، وسلمة بن هشام، وعباس بن ربيعة، وجمع آخر ـ فقالوا له وقد خشوا شره: إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى أحدثوا، فإنا نأمن بذلك فى غيرهم. قال: هذا فعليكم به فعاتبوه، وإياكم ونفسه: ثم قال: احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلا. فقالوا: اللهم ألعنه، من يُغرر بهذا الحديث؟ فوالله لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلا، فتركوه ونزعوا عنه[1] فإن الدارس العقلى المنصف حين يتلقى مثل هذا الخبر لا يملك إلا أن يسلم بأن القوم جميعهم كانوا على تلك القيمة ـ أو المبدأ الدستورى ـ التى تفرض عليهم حماية أبنائهم من أى معتد، لأن فى الاعتداء عليه امتهانا للقبيلة نفسها، وعدوانا صريحا عليها، يمكن أن ينشأ عنه خلل فى البناءالاجتماعي، واضطراب فى النظام العام، تشتعل بسببه حروب وقلاقل لا حدود لها، مهما كان الدافع لهذا الاعتداء.

بل إن قيمة الحماية لم تكن وقفا على حماية القبيلة أبناءها، إذ كانت تمتد للالتزام بحماية من يجيره واحد من أفرادها، والعرب جميعهم كانوا يرون هذه القيمة من أبرز القيم التى يعتزون بها، ويحافظون عليها بشتى الطرق، ويفخرون بها، حتى كانوا يأنفون من رفض إجارة من يطلب الإجارة، أنفة تبلغ بهم درجة الانتقاص والعيب، حتى إنه ليكفى أن يجير الواحد منهم إنساناً، ليصبح هذا الإنسان المجار فى مأمن تام، كأنه واحد من أفراد قبيلة المجير، دون نظر إلى معتقده، أو سلوكه الشخصى. كما كان يكفى أن يطلب الواحد من شخص إجارته، فلا يملك أن يرفض طلبه، حتى لوكان على خلاف معه، إذ يعد ذلك شينا له، وانتقاصا من مكانته، وجبنا عن حماية من يستجير به.

١ـ فهذا عثمان بن مظعون، المسلم العائد من الحبشة، يتوقع ماينتظره على أيدى سفهاء قريش، فيدخل فى جوار الوليد بن المغيرة– ونعلم جميعا من يكون الوليد بن المغيرة فى محاربة الإسلام والمسلمين– ويظل فى أمان من أى معتد إلى أن يرد على الوليد جواره، فيذهب الوليد عندئذ إلى مجتمع القوم ليعلنهم بذلك، كما أعلنهم من قبل أنه أجاره[2].

٢ـ وهذا أبوسلمة بن عبدالأسد يدخل فى جوار أبى طالب، فيعلن أبوطالب حمايته إياه، حتى إن رجالا من مخزوم مشوا إليه قائلين: ياأباطالب ماهذا؟ منعت منا ابن أخيك محمداً، فما بالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بى، وهو ابن أختى، وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى.

فقام أبولهب فقال: يامعشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ– يعنى أباطالب– ماتزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه، والله لتنتهُن عنه أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه،

(١) سيرة النبى لابن هشام: ٣٤٢/١ ـ ٣٤٣.
(٢) السابق: ٣٩١/١.

حتى تبلغ ماأراد. فقالوا: بل ننصرف عما تكره ياأباعتبة– يعنون أبالهب– وكان لهم وليا ناصرا على رسول الله ﷺ(٣).

٣ـ وهذا أبوبكر حين خرج مهاجرا إلى الحبشة، ثم بدا له العود، دخل فى جوار ابن الدغنة– أخى بنى الحارث بن بكر– فلم تمتد له يد بأذى، إلى أن ضج القرشيون من صلاته فى مسجده خارج منزله، وخشوا أن يؤثر فى صبيانهم ونسائهم– فمشوا إلى ابن الدغنة يطلبون منه أن يكف أبابكر عما يصنع... إلى آخر القصة(٤).

ترى.. لم يقف الدكتور مراد على هذه الاستجارات والإجارات، فلم يقف على مكان ذلك من القبيلة، أم وقف عليه، وضمه إلى حماية أبى طالب لمحمد ﷺ فى ضمن ما اصطنعه ابن اسحاق واختلقه من الأحداث والمواقف، استجابة لفلسفته العباسية– أو تزويره العباسى– وأن ولاءه لأبى جعفر المنصور كان دافعه إلى تزوير ذلك ليخفى به أكاذيبه.

إن ابن اسحاق إذا كان فى تزويره على هذه الدرجة من الوعى، والقدرة على التمويه لهو أبرع من معدى السيناريوهات الأمريكان، الذين يشهد لهم جميع العاملين فى الحقل السينمائى والسياسى بالبراعة والتفوق.

أم لعلك ترى أن أثر الفلسفة العباسية على ابن اسحاق كان مقصورا على اختراعه قصة أبى طالب وحمايته ابن أخيه على وجه الخصوص؟!

واضح جلى أنه لا هذا ولاذاك، وإنما هو إفراز التوجه الصليبي، وأثر فلسفة التتلمذ على المستشرقين الاستعماريين، ومحصلة الافتتان بمناهج الأوربيين المتعصبين فى معالجة التاريخ الإسلامى والقضايا الإسلامية معالجة تقوم على طمس الحقيقة وإنكارها ـ أو التشكيك فيها ـ بشتى الحجج الواهية، المتظاهرة بالمنهج العلمي، والمتخفية فى ثوب الدفاع عن الحقيقة، والبحث العلمى الجاد وتجلية الإسلام الحق.. إلى غير ذلك من الشعارات.

إن حماية أبى طالب وعشيرته لابن أخيه ـ مع بقائهم على دين آبائهم ـ مثل حماية هشام بن الوليد لأخيه، مثل حماية الوليد بن المغيرة لعثمان ابن مظعون مثل حماية أبى طالب لأبى سلمة، مثل مناصرة أبى لهب لأخيه فى ذلك، مثل حماية ابن الدغنة لأبى بكر.. كلها سلوك قبلى مفروض، يصدر فيه الفرد والجماعة عن قيمة مقررة، لها مكان الدستور غير المكتوب من نفوسهم جميعا، بحيث يدرك كل فرد منهم أنه لو قصر فيها لحقه من المذمة والعار ما يظل عالقا به طوال حياته، ويظل يلاحقه ويلاحق عشيرته بعد مماته.

ولكن يعمى البصر ويصم الأذن، ويغفل العقل، فلا يرى إلا حماية أبى طالب ابن أخيه، ولا يسمع إلا عبارته لمحمد، ولا يتنبه إلا إلى موقف أبى طالب وحده مع محمد على طريق تلك القيمة القبلية، فيتعجل ليلصق بابن إسحاق تهمة الاختلاق والتزييف!

---

(٣) السابق: ١/٣٩٣.

(٤) السابق: ١/٣٩٤.

ولو قصد الحقيقة لتأني، فرأى، وسمع، وعرف أن ما نسبه ابن إسحاق إلى أبى طالب ليس فيه خروج على المألوف، ولا شذوذ عن القاعدة العامة، ولا افتئات على العرف السائد.

ابن إسحاق عميل عباسى أم علوى؟!

وقبل أن نواصل النظر فيما وقف أمام عقل الدكتور مراد دون قبول حماية أبى طالب ابن أخيه.. نعرض لأمر عجيب - وكل أمور الدكتور فى رسالته تثير العجب - كان من الأسباب التى جعلت الدكتور يرفض تلك الحماية، وبعدها من مخترعات ابن إسحاق.. وذلك أنه يرى أن ابن إسحاق اخترع ذلك - فى ضمن ما اخترع - ليدعم الحكم العباسي، ويروج له.

ويرى أن ذلك المخترع كان من الأهمية لابن إسحاق بمكان، حيث جشم نفسه عناء التمهيد له بعدة مخترعات أخرى، بادئا باختراع سرية الدعوة، واضطهاد قريش لمحمد، وسعيهم لمنعه من مواصلة دعوته ثم الوصول إلى اضطرار أبى طالب لحمايته، والعمل على تضخيم دور أبى طالب فى حماية ابن أخيه، حتى يخيل إليّ أن دكتورنا الفاضل يهيئ ابن إسحاق لنيل الجائزة العالمية فى الإبداع القصصي، والإخراج السينمائي، إذ كيف ساغ الدكتور وأساتذته أن ينسبوا كل تلك الأحداث إلى افتراءات وأكاذيب ابن إسحاق، مغفلين أن ابن إسحاق هذا لم يكن منقطعا عن أمته - بما تضم فى هذه الآونه من علماء جادين يبحثون فى شتى مجالات العلم خدمة للقرآن والسنة - ولا كان فارق الزمن بين وقت وقوع هذه الأحداث ووقت تلفيقها واسعا للدرجة التى لا يتوقع معها وجود من يكشف كذبه، حيث لم يثبت أن أحدا تحدث عن هذا الزيف، أو ناهض هذا الاختلاق، إلى أن ظهر الدكتور مراد بعد أكثر من اثنى عشر قرنا ليكشف ذلك التزوير والاختلاق بمعاونة أستاذه السربوني، بعد أن ظل عاجزا عن إتمام رسالته الأولى خمسة وعشرين عاما!

ولو أن الدارس أنصف نفسه، وسعى إلى التعرف على الحقيقة ليقدم دراسة يستحق بها درجة الدكتوراه... لرأى أن هذه الفرية التى أبى إلا أن يلصقها بابن إسحاق، تحمل إعلانا بارزا يصرخ: إن من يدعى على ابن إسحاق فرية الاختلاق، هو نفسه المختلق المزيف، وأن ابن إسحاق ما ذكر إلا الصواب، لأن قصة الحماية لو كانت من اختلاق ابن إسحاق لجلبت عليه غضب أبى جعفر المنصور وصحبه، ولعرضته لأخطر أنواع العقاب، إذ كيف يعيش فى كنف العباسيين، ويوهمهم بأنه يخترع قصصا لدعم سلطانهم - مستهينا بغضب صاحب السيرة ﷺ فإذا بتلك القصص لدعم العلويين الخصوم الماثلين للعباسيين فى ذلك الوقت، حيث يتجشم كل هذه العقبات ليصنع قصة من نسج الخيال تقول إن فضل حماية الرسول ﷺ يرجع إلى أبى طالب جد العلويين أو ليس أبو طالب هذا والد على بن أبى طالب، والد

العلويين الذين كانوا يمثلون - فى ذلك الوقت - القوة الأخطر على العباسيين، فهم الذين كانوا ينازعونهم السلطة، بعد التخلص من الأمويين؟!

أم إن الدكتور مراد يرى أن أبا جعفر المنصور ومن معه من قادة العباسيين كانوا من الغفلة بالدرجة التى لا يستطيعون معها كشف ما فى مخترعات ابن إسحاق من التنويه بأحقية العلويين فى الخلافة، ودفعهم إلى مقارعة العباسيين لانتزاع حقهم المسلوب - مادام لجدهم وحدهم فضل حماية محمد ﷺ - خصوصا أن العلويين لم يكونوا بعيدين عن ساحة الصراع فى تلك الآونة، لدرجة أن العباسيين كانوا يترصدونهم، ويحسبون لهم ألف حساب.

ألم يخطر ببال الدكتور مراد وأستاذه المشرف أن ابن إسحاق لو كان داعية عباسيا يختلق من القصص والأحداث ما يدعم الحكم العباسى لجعل العباس بن عبد المطلب، عم محمد وجد العباسيين - هو القائم على حماية محمد، بدلا من أبى طالب، خصوصا أن العباس هو الذى ورث من أبيه عبدالمطلب ولاية زمزم، وسقاية الحجيج على ما ذكره الدكتور مراد من قبل - وما كان ذلك بمجشم مؤلف القصة عناء، ولابمضيف إليه مزيد مشقة، فكل ما عليه أن يجعل العباس مكان أبى طالب، بل إن ذلك كان جديرا بأن يضفى على القصة ما يقنع القارئ ويمتعه، وينهى القصة نهاية تريح المتلقين، حيث يموت حامى محمد ﷺ على الإسلام.

أم إن ابن إسحاق فى تقدير الدكتور وأستاذه - لم يكن فنانا بارعا فى اختيار أشخاص قصصه، للدرجة التى لا يستطيع معها الوقوع على أبطال قصصه التى يحقق بها الغاية المكنونة فى نفسه؟!

لو أن ابن إسحاق - بمقدرته على تزييف التاريخ كما يقول الدكتور - أراد إرضاء أبى جعفر المنصور، وخدمة الفلسفة العباسية، والدعاية لها، لبذل جهده الخلاق هذا فى اختراع حدث ينسب للعباس بن عبدالمطلب، يرفع به قدره على أبى طالب، حتى يحقق هذا التزييف التاريخى الذى فرغه العباسيون لخدمة فلسفتهم، والدعاية لدولتهم.. خصوصا أن العباس - وكان لايزال على دين قومه - أبى إلا أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له ليلة العقبة، فلما جلس كان أول متكلم، فقال: يا معشر الخزرج - وهو إطلاق يشمل الأوس والخزرج - إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عز من قومه، ومنعة فى بلده... الخ هذا الحديث المستفيض(٥).

ألا يرى الدكتور مراد أن ابن إسحاق المزور الكذاب لم يكن من البراعة إذن حين نسب إلى أبى طالب حماية محمد من قريش ونسب إلى العباس حماية محمد من تقلب الخزرج، لأنه لو كان بارعا فى التلفيق، أو لو

(٥) سيرة النبى لابن هشام: ٢/٤٩ .

كان مخلصا لبنى العباس لنسب الحمايتين للعباس فنال رضا العباسيين حقا، دون أن يعرض نفسه لأى مؤاخذة؟!

ولكن ـ بمنطق الدكتور مراد ـ يبدو أن ابن إسحاق لم يكن على هذا القدر من البراعة فى التزييف، أو أنه لم يكن مخلصا الإخلاص الحق للعباسيين، أو أن بنى العباس لم يكونوا على ذلك القدر من البصر والذكاء الذى يكشف لهم تلاعب ابن إسحاق بهم ـ أو ضعفه الإبداعى ـ حيث دعا للعلويين وهو يوهمهم أنه يدعو للعباسيين.

ولماذا حرم جعفر من حماية أبيه؟

ومما يقف أمام عقل الدكتور عائقا دون قبول حماية أبى طالب لمحمد ﷺ هجرة جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة فرارا من تعذيب قريش أو اضطهادها، أو تنفيذا لقرار قريش بنفى هذه المجموعة من المسلمين.

فالدكتور مراد حين تلقى عن ابن إسحاق نبأ هجرة جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة وجد فى ذلك فرصته للتأكيد على تزييف حماية أبى طالب لمحمد ﷺ، حيث رأى فى هجرة جعفر إلى الحبشة فرارا من الاضطهاد دليلا على أن أباه كان عاجزا عن حمايته من قبيلته ذاتها، وإلا لكان أولى به أن يحمى ابنه أولا ثم يحمى ابن أخيه.

ولكى يصل الدكتور إلى هذه النتيجة أبى إلا أن يجعل هجرة جعفر فرارا من الاضطهاد، وإلا أن يجعل هذا الاضطهاد متمثلا فى رؤية جعفر قبيلته تعذب أبناءها المسلمين، وذلك حتى يصل إلى النتيجة التى قصد فرضها فى البداية، وهي: كيف يحمى أبو طالب ابن أخيه، فى الوقت الذى لم يستطع فيه أن يحمى ابنه؟!

وغاب عن الدكتور هنا سؤال أرى أنه أول ما يجب أن يتبادر إلى ذهن الباحث الجاد، وهو السؤال عن السر الذى جعل جعفرا يستشعر خطر الاضطهاد، فيبادر بالفرار إلى الحبشة، ولم يجعل عليا أخاه يشاركه هذا الشعور، ويصحبه فى الفرار، خصوصا أنه يرى أباه عاجزا عن تحقيق الحماية لأخيه؟!

ثم إذا كانت هجرة جعفر لأنه خشى من اضطهاد بنى عبدالمطلب للمسلمين، كما اضطهدتهم القبائل الأخري(٦) فهل يظن الدكتور أن سذاجة جعفر وسطحيّة تفكيره جعلته يظن أن فراره هو ـ فى تلك الهجرة ـ يمكن أن يكون سبيلا لامتناع بنى عبدالمطلب عن اضطهاد المسلمين؟!

وإذا كان هذا هو اعتقاد الدكتور فى جعفر، فهو إذن لم يهاجر لحاجته إلى الحماية المفقودة فى مكة، وبالتالى فإن أبا طالب كان يكفل الحماية لابنه جعفر، كما كان يحمى

(٦) سيرة رسول الله للدكتور مراد: ٦٢.

ابن أخيه، لكن جعفرا هاجر لغاية أخري، وهي - كما يقول الدكتور - خشيته على المسلمين من اضطهاد بني عبدالمطلب.

وهكذا.. نرى أن حرص الدكتور على نفى حماية أبى طالب لابن أخيه، جعله يتخبط فى تصوراته، ويتخبط فى افتراضاته فى شأن جعفر، كما حدث فى الشئون الأخرى، بحيث يبدو واضحا - بكل جلاء - أن وراء كل ذلك السعى إلى نفى حماية أبى طالب بأى وسيلة.

ولاشتغال الدكتور مراد بهذه الغاية غفل عن دوافع هجرة الكثيرين إلى الحبشة، فلم ير إلا دافع الفرار من التعذيب، ولو أنه اعتصم بأناة العلماء - أو لو أن أستاذه كان جادا فى توجيهه - لرأى للهجرة إلى الحبشة وظيفة أخرى، وهى فرار المحميين والأقوياء من تضييق قريش عليهم سبل الدعوة إلى الإسلام، ومنعهم بكل الوسائل من الاتصال بالآخرين ممن يفدون إلى مكة، فلم يكن إلا الإذن منه ﷺ فى الهجرة لتحقيق الغايتين معا، ويكفى النظر إلى أسماء المهاجرين إلى الحبشة، ليلفته إلى أن من بينها أسماء أشخاص ذوى مكانة مرموقة مهابة بين عشائرهم مثل: عثمان بن عفان من بنى أمية، والزبير بن العوام من بنى أسد، وعبدالرحمن بن عوف من بنى زهرة، وغيرهم، وغيرهم، ممن ذكرهم ابن إسحاق، ويكادون ينتمون إلى أكثر قبائل قريش ولرأى أن أبا بكر - بماله من مكانة بين قريش - ما كان ليفكر فى الهجرة إلى الحبشة أو إلى غير الحبشة فرارا من أذى واقع أو متوقع، ولكنه السعى إلى كسر الحصار القرشى المضروب على الدعاة إلى الإسلام!

ولقد كان هذا المسعى من أبى بكر وراء عودته ثانية، فبعد طول تفكير فى الأمر رأى أن بقاءه بجوار الرسول ﷺ فى مكة أجدى على الإسلام والدعوة إليه، خصوصا أنه أحس فى نفسه بالاطمئنان إلى أن من سبقه من المسلمين إلى الحبشة يقومون بدور الداعية فى ظل ملك لا يظلم عنده أحد كما جاء فى توجيهه ﷺ(٧).

ولو أن الدكتور كلف نفسه مراجعة أسماء أول من هاجر إلى الحبشة - فيما رواه ابن إسحاق - لتبين أن جعفر بن أبى طالب لم يكن بينهم، ولكنه لحق بمن سبقوه إلى الحبشة - وكانوا عشرة يمثلون تسع قبائل - لسبب آخر بعيد كل البعد عن الفرار من التعذيب، فقد خرج إلى الحبشة، ولم يؤثر أن أحدا ناله فى شخصه بأى أذى، اللهم إلا غلق المنافذ التى تمكن المسلم من الاتصال بالوافدين إلى مكة

ثم لو أنه أضاف إلى ذلك النظر فى تاريخ عودة جعفر من الحبشة، إذن لتأكد له أنه خرج

(٧) سيرة النبى لابن إسحاق: ٣٤٣/١.

داعية، ولم يخرج فرارا من أذى قريش ولا خرج نفيا، وإلا فما السر فى بقائه بالحبشة - بعد استقرار المسلمين فى المدينة - وعودة أكثر من كانوا معه - واستمراره هناك إلى أن استدعاه رسول الله ﷺ هو ومن معه - وكانوا ستة عشر رجلا وزوجاتهم وأبناؤهم - فأرسلهم النجاشى فى سفينتين، حيث وصلوا يوم خيبر فى السنة التاسعة من الهجرة(٨).

ولكن الدكتور لا يكتفى بإغفال هذه الجوانب المهمة، بل يحاول أن يصرف الآخرين عن النظر فيها، فيزعم أنه فى أرض الجزيرة العربية الواسعة من الجبهات التى تستقبل الدعوة إلى الإسلام ما كان يغنى هؤلاء المسلمين عن السعى إلى الحبشة، وفتح جبهة للدعوة فيها، على ما فى ذلك من عناء، ومشقة، وذهاب إلى المجهول.

ولو تذكر الدكتور ما كان بين قبائل العرب وبين قريش من المصالح المشتركة، وما استلزمته تلك المصالح من الأحلاف والعهود التى تسمح لقريش باستعادة هؤلاء الخارجين - على نحو ما حاولوه مع النجاشى الذى أبى أن يسلم من التجأوا إليه، واحتموا فيه - لما ساق هذا الادعاء فى طريق إصراره على دعواه فرار جعفر من أذى قريش، ونفى دوره فى الدعوة.

فالذى يهم الدكتور أن ينقب عن أى حدث أو موقف ورد فى كتاب ابن إسحاق، ثم يعلن أنه اختلقه، وكذب فى إيراده، ثم يبحث فى مخيلته عن أى وهم يدعم به وصمة الاختلاق والكذب، دون أن يتلفت حواليه، أو يفكر فى الأمر التفكير العلمى الجاد

ولو لم يكن هذا حال الدكتور لتوجه بنظره إلى رأى من سبق ابن إسحاق فيما يشك فيه، فلو رجع إلى ما ذكره عروة بن الزبير(٩) وما ذكره محمد بن شهاب الزهرى(١٠) وابن حزم(١١) وما كان لواحد من هؤلاء من صلة بالعباسيين - لوجد أنهم نسبوا إلى جعفر بن أبى طالب ما نسبه إليه ابن إسحاق.

ولكن هو الغرض يعمى الأبصار والبصائر، ويصم الآذان، ويوقع فى الخلط والاضطراب

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾(١٢)

ولذا فلنا لقاء آخر إن شاء الله مع الدكتور وأباطيله

(يتبــــع)

---

(٨) السابق: ٣١١ : ٣١٣.

(٩) مغازى رسول الله: ١٠٤، ١١١ :١٢٧.

(١٠) المغازى النبوية لابن شهاب: ٩٦.

(١١) جوامع السيرة النبوية لابن حزم: ٨٤/١ : ٨٦، ٩٢.

(١٢)الحج (٤٦).

مواقف إسلامية

المبادئ فوق المنافع

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

أصاب «عبدالرحمن بن مدين» مالا كثيرا - وكان رجل صدق - فجهز سبعين مملوكا بدوابهم، وأسلحتهم إلى هشام بن عبدالملك ثم أصبحوا معه يوم الرحيل.

فلما استوى بهم في الطريق نظر إليهم وقال:

ما ينبغي لرجل أن يتقرب بهؤلاء.. إلى غير الله!!

ثم قال لهم:

اذهبوا.. فأنتم أحرار وما معكم لكم!!

تمهيد

قيل لواحد من الزهاد:

مالك تمشي على عصا ولست بكبير ولا مريض؟

فقال:

انى أعلم أني مسافر.. وأن الدنيا دار قلعة.. وأن العصا من آلة السفر.

حملت العصا: لا الضعف أوجب حملها
عليّ.. ولا أني تحنيت من كبر
ولكنني ألزمت نفسي حملها
لأعلمها أن المقيم على سفر

ولقد كان «عبدالرحمن بن مدين» واحدا من مدرسة هؤلاء السائلين.. السائرين مع دنياهم أنى سارت.. والذين يحسبون العمر بالساعات لا بصالح الطاعات.

وفى لحظة صدق أفاق.. ليكون من مدرسة هذا العابد الزاهد.. الذى عاشت الآخرة فى وجدانه.. فلم تبق للدنيا فى قلبه موضعا.

وموقفه هذا الذى نتأمله اليوم – رسالة موجهة إلى المستغرقين فى لذاذات الدنيا نقول لهم:

«إن الله تعالى سخر لكم الدنيا.. فلا تسخروا أنفسكم لها». وقسم حظوظكم منها بحكمته.. فلا تنافسوها:

فإن كان لكم حظ فهو آت.

وإن لم يكن حظ.. كان عليكم وزر التقاتل.

وسوف تعلمون غداً: أن ملذات الدنيا.. لم تكن تستأهل كل هذا السرور.. وأن كل آلامها.. لم تكن تستأهل هذه الأحزان.

لقد خسر المترفون كل شئ.

بل ما كانت الدنيا برمتها شيئا.. وما راهنوا فيها على شئ: إنها كانت صفرا.

وإذا كان من أدب الإسلام: أقلوا من الدخول على الأغنياء.. فرارا مما يغركم من الدنيا.. فنحن مأمورون فى نفس الوقت:

أن تعيش الآخرة فى وعينا.. إلى الحد الذى يكسر من فتنة الدنيا الهاجمة.

وهذا ما فعله «عبدالرحمن بن مدين» والذى نفصله فى عدة وقفات.

ونتساءل أولاً:

كم من شبابنا يعرف «عبدالرحمن بن مدين»؟

ألا ما أكثر «عبيد» الرحمن فى حياتنا.. ولكننا نعرفهم إذا كانوا فنانين.. أو نجوم الملاعب..

أما الأتقياء الأنقياء.. فهم غرباء فى أوطانهم.. ولا بأس:

فإذا لم يعرفهم أحد.. فإن ربهم – سبحانه – يعرفهم.. ثم يعرّفهم إلى عباده بهذا الموقف الأثير، وما يحفل به من أسرار.

لقد كان «عبدالرحمن بن مدين» واحدا من أهل الدنيا.. وإذا كانت الدنيا أمه.. فلا بأس أن يحبها.. ولكن بمقدار.. لقد كان يعيش «الأنا».. آملا فى حظوة لدى الخليفة بهذه الهدية الغالية.

وبينما تناوشه رؤى المستقبل الوردى فى ظل الخليفة.. إذا بالنبع الصافى.. يتفجر من داخله.. فيجرى نهرا دافقا أخصب به الله الوادى على شاطئيه.

لقد انتقل من ضيق «الأنا» إلى رحابة «نحن».. وأحس بأنه لم يخلق لنفسه وإنما لغيره.. وأن سعادته الحق فى أن يسعد الآخرين.

وما أبعد المسافة بين الأنا.. ونحن:

واقرأ فى بيان ذلك قوله –تعالى– على لسان موسى عليه السلام:

﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾[1].

لم يقل لتغرقنى.. وإنما لتغرق أهلها.. فقد كانت همته معلقة بالثريا.. حريصا على حياة الآخرين.. والذين لا حياة له إلا بهم.. ومعهم.

وكذلك كان «عبدالرحمن».

(١) الكهف: ٧١.

لقد أعلن عبدالرحمن انفصاله عن طلاب الدنيا.. من رفاق الأمس.. من سمار الليالى.. هؤلاء الذين يجرون وراء سحابة فى السماء.. دون جدوى.

وإذا كان الناس من حوله يتعاملون بالعضلات.. والثروات فقد قرر هو أن يرتفع إلى أفق آخر.. نتعامل فيه بالعقول والقلوب.

لقد كان بين يديه سبعون مملوكا بأسلحتهم ودوابهم.. كتيبة عسكرية يمكن أن يكون بها شيئا مذكورا.. ولكن البريق الخلاب لم يخدعه.

وفى لحظة صدق مع النفس.. ومع الله - تعالى - اتخذ قراره العظيم.. مؤكدا أن لحظة صدق واحدة.. هى أغنى من عشرات السنين.. عجاف: بلا عمل.. وبلا أمل.

أجل إن لحظة واحدة مباركة هى أكثر بركة على الأمة من أعمار طوال خواء من عمل الخير.

وذلك ما يعنيه قول المجربين:

مات فلان فى سن الثمانين..

ولكنه عاش عشرين سنة فقط

لان العشرين هى عمره الحقيقى الذى أثمر أينع الثمرات.. وما سواها من السنوات: ظاهر رواء.. وباطن خواء!

لقد كانت مهمته سهلة لو كان عند مرحلة «الهم».. والتى كان من الممكن أن يتغلب على نفسه عندها.

لكنه استوى على الطريق فعلا، وأصبح قاب قوسين من تحقيق آماله لدى الخليفة بهذه الهدية السنية.

لكنه استطاع أن يتحرك تحت هذا الضغط العالى.. بل وأن ينهض ثم يحول وجهته إلى الله - تعالى - بينما فتنة الدنيا تناوشه من قريب.. وأوهام المستقبل الواعد تطل عليه من كل أفق.

ولو كان عبدا واحدا.. لم تكن هناك صعوبة فى الاستغناء عنه.. لكنهم كانوا سبعين!

ومع ذلك فقد أخذ موقع المسلم الذى يقف على مفترق الطريق يواجه أمرا..

إنه يقف.. ثم يفكر:

فإن كان لله.. مضى.

وإن كان لغيره.. تأخر.. ولقد تأخر عبدالرحمن مغيرا وجهته.. حين تبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.. فجاء قراره فى النور.. فلم يبطله بندم أو تحسر!

لقد كانت المعركة فى كيان «عبدالرحمن» ضارية.. بين غريزة حفظ الذات.. وبين المحافظة على القيم.. ولكنه انتصر فيها.. ولئن كان قد حرم من بعض ما يملك.. أو من كله.. لكنه كسب مرضاة ربه.

ولئن كان قد خسر العبيد السبعين.. فقد كسبهم المجتمع كتيبة من الأحرار.. تسرى اليوم فى عروقهم دماء الحرية.

التى ترفع من قيمة أحدهم ليساوى ألفا من الرجال... فصار رائدا من رواد التحرير.. على مستوى العالم.. ولئن لم يجد إعلاما يتنادى بأمجاده فيكفيه أن ربه - سبحانه - يقدر عمله قدره.. حين حرر هؤلاء العبيد... العبيد الذين يمارسون الحرية اليوم واقعا.. وليس ادعاء.

وصحيح أنه سوف يخسر حب الخليفة.. هشام.. بيد أنه سوف يفرض عليه احترامه حين

أعلن بعمله أن هناك ما هو أغلى مما يتقلب فيه الخليفة.. وإن خطف الأبصار.. وأسال لعاب الطامعين وإنما يبكى على الحب النساء!

وربما كان «هشام».. أسعد بعبد الرحمن.. حين وجد فيه رجلا يملك قراره.. وإن أمة تتألف من مثله لهى أمة جديرة بالبقاء.

وإذا كان هناك من يجلس على كرسى الإدارة.. مزهوا بنفاق أتباعه الذى يضيفون من حساب كرامتهم إلى حسابه إذا وجد من يفعل هذا.،. فقد كان هشام سعيدا.. حين يجد نفسه أميرا على أمة من الأحرار.. لا من الأصفار!

لقد أسهم عبد الرحمن بسخائه فى حل مشكلة اجتماعية متوطنة ولئن بدا شكلا أنه حرم الخليفة من هديته.. فإنه بتصرفه قد صبها فى محيط المجتمع الكبير.

وإذن فهو تصرف مواطن صالح.. دل على حل ماله بتوجيهه الوجهة الصالحة.. وكان فى علاقته بالخليفة على ما قيل:

صديقى: من يقاسمنى همومى

ويرمى بالعداوة من رمانى

ويحفظنى إذا ما غبت عنه

وأرجوه لنائبة الزمان

وإذا كانت هناك نماذج رديئة تصل بالنفاق إلى درك الشرك حين تقول:

ما شئت.. لا ما شاءت الاقدار.

فقد كان الخليفة أو هكذا يجب أن يكون كان سعيدا بمواطن صالح.. يمكن أن يكون امتداد حياته بعد مماته وهو جزء من عمله حين وقف هذه الوقفة التى آثر فيها ما يبقى على ما يفنى..

وكان هذا المؤمن الذى كان شعاره دائما

يا رب

لا نيأس.. وأنت الغفار

ولا ننكشف.. وأنت الستار

ولا نجزع.. وأنت الرزاق

ثم نرضى.. لأنك أنت الحكيم ولو تصورنا أن «عبد الرحمن» صار بهذا السخاء فقيرا فهل هو حقا كذلك؟!

أبداً.. إن الفقير حقا من ملك نفسا تستغنى عمن استغنى عنها.

وما أكثر الأغنياء الذين يعيشون فى الدنيا عيشة الفقراء.. ثم يحاسبون غدا حساب الأغنياء.

وتلك هى القضية التى ضلت فيها أفهام وزلت أقدام ألا وأن لكل من الغنى والفقير: بنك ورصيد ولا فرق بين الغنى والفقير إلا فى نوعية البنك.

الغنى: يأخذ من رصيده.. بالبطاقة.. وبحساب.

ولكن الفقير: يرفع يديه إلى السماء.. ويداه بطاقته ولن يرد الله يديه.. بطاقته.. لن يردها صفرا بل لابد أن يعطيه ربه.. عطاء.. بغير حساب.

أما رصيد بنوك الدنيا.. فأحيانا: لا يسمح الرصيد!!

واجب المسلم اليوم

أن يزين جوارحه بطاعة ربه –سبحانه وتعالى– قبل أن تكون هى أول شاهد عليه..

وأن تتجه منه الأشواق دائما إلى المبادئ.. لا إلى «المبالغ» يجاهد فيما يطيق.

ويهفو إلى مالا يطيق.. فلعله واصل إليه في بعض مراحل الطريق.

ونذكر هنا دليل عمله من نصيحة أبى حازم للخليفة الذى سأله: ما هو الواجب؟ قال:

أن تنظر إلى ما عندك: فضعه فيما هو حق وما عند غيرك.. فلا تأخذه بغير حق.

لا تسخر ما تملكه لاغتصاب موقع معد لغيرك!.

قال الخليفة: التكليف صعب.. ومن يستطيع ذلك؟!

فقال أبو حازم:

ولهذا ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين.

فقال الخليفة: وما المخرج: قال:

أن تلجأ إلى الله -تعالى- أطلب منه حاجتك.. أطلبها ممن يقدر عليها فإن أعطاك.. شكرت.. وإن زوى عنك.. صبرت.

وتلك هى القدوة الحسنة.. الصورة الإيجابية التى تعكس حياة الناس بنبلها.

وليست هى القدوة السيئة التى تعكس حياتهم بمشاعر الازدراء.

إن سائح الدنيا يتقلب فى الأرض يضرب فيها بينما يصحب دنياه معه.

اما المؤمن فسياحته فرار من الدنيا إلى الله -تعالى-

إلى الحصن الذى لا يرام، والعين التى لا تنام آخذا فى اعتباره قيمة لا يفرط فيها.. وهى قيمة الوقت قيمة يومه الذى سوف يكون عليه شهيدا.

منطلقا مما قرره الفاقهون:

إن الوقت لا يحترم أحدا.. فلا تتركه ينصرم من بين يديك.

الليل والنهار يعملان فيك.. فلم لا تعمل فيهما؟

إنه صحيح مملكتك لكنك لا تستطيع التصرف فيها بزيادة أو نقصان.

إن الوقت مطيتك وما مضى مخصوم من عمرك بل شاهد عليك إنما الليل نهار الأريب.

وهناك من يعمق زمانه فلا يعمل

ألا وإن فى الليل حقا لا يقبل بالنهار

وفى النهار حقا لا يقبل بالليل

وإذا كان الوقت نعمة سوف نسأل عنها.. فإن مرحلة الشباب قمة هذه النعمة.

وإذا سئل الإنسان عن عمره بعامة فسوف يسأل عن شبابه بخاصة.

لأن الفتى بعد الفراغ من عمله اليومى يجد:

الصحة.. والفراغ، ومن الممكن أن يستفيد من الصحة.. لكنه لا يكاد يفعل.. كما أن بإمكانه أن يستثمر وقت فراغه.. لكنه أيضا لا يفعل.. وإذن.. فهو مغبون.. ظالم لنفسه

وهو مطالب بأن ينصف نفسه من نفسه.

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها

هوانا بها.. كانت على الناس أهونا

الإنفاقُ فى سَبيلِ اللّٰه

٢

لفضيلة الشيخ / فوزى فاضل الزفزاف

لقد اشتهر سيدنا أبوبكر الصديق - رضى الله عنه - بين العرب - قبل الإسلام وبعده - بالعقل الراجح والفكر الثاقب، والنظر السديد، كما اشتهر بالنجاح فى التجارة لصدقه وأمانته.

غير أن المال لم يشغل أبا بكر - رضى الله عنه - ولم يستحوذ على فكره، ولم يجعله بؤرة اهتمامه، ولم يجعله الغاية والهدف، بل جعل - رضى الله عنه - المال وسيلة لخدمة الدعوة الإسلامية، وفى نصرة الحق والخير مهما كلفه ذلك ولو أدى إلى إنفاق كل ما يملك فى سبيل الله.

وسجل لنا التاريخ مواقف رائعة لسيدنا أبى بكر- رضى الله عنه- تدل على مدى حبه للخير، وعلى أن إنفاق المال فى سبيل الله كان طبعه وسجيته، فعندما رأى كفار مكة يؤذون العبيد الأرقاء الذين دخلوا فى الإسلام، ويعذبونهم لدرجة الموت. سارع بشراء هؤلاء المستضعفين من ماله الخاص، ثم أعتقهم - بعد الشراء - ابتغاء وجه ربه الأعلى، وقد ذكر بعض المؤرخين أن الذين اشتراهم سيدنا أبوبكر- رضى الله- عنه بماله ثم أعتقهم كانوا سبعة من الذكور والإناث منهم: الصحابى الجليل بلال بن رباح- رضى الله عنه- الذى كان عبدا مملوكا لأمية بن خلف، وبعد أن أعلن بلال إسلامه عذبه أمية عذابا لايتحمله بشر، فكان يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة، ثم يأمر بصخرة عظيمة فتوضع عليه ثم يقول أمية لبلال: لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. فكان بلال- رضى الله عنه- يقول: أحدٌ أحد. فتوجه سيدنا أبوبكر إلى أمية بن خلف وهو يعذب بلالا واشتراه بخمس أواق من الذهب ثم أعتقه، فقالوا لأبى بكر: لو أبيت شراءه إلا بأوقية واحدة لبعناك إياه! فيرد عليهم سيدنا أبوبكر قائلا: لو أبيتم إلا أن تبيعوه بمائة أوقية لاشتريته.

وكانت زئيرة الرومية - من الإماء اللاتى أسلمن فأخذ سيدها يعذبها عذابا شديدا حتى

كف بصرها، فقال بعض المشركين: ما أصابها بالعمى إلا الات والعزى!! فقالت: والله ما هو كذلك، وما يدرى اللات والعزى من يعبدها، وربى قادر على أن يرد علىّ بصرى، فرد الله عليها بصرها، فقال المشركون: هذا من سحر محمد ﷺ وبلغ ذلك أبا بكر فاشتراها وأعتقها.

وكان بعض المشركين يقول: لو كان دين الإسلام حقا ما سبقتنا إليه زئيرة. فأنزل الله- تعالى- قوله:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴾(١).

وفى أبى بكر الصديق وفى أمثاله الذين بذلوا أموالهم من أجل معاونة الأرقاء وتحرير رقابهم من الظلم والاستعباد- رضى الله عنهم- أجمعين نزل قوله تعالى:

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴾(٢).

وأبو بكر الصديق- رضى الله عنه- الذى عرفه المجتمع المكى - قبل الهجرة - جوادا سخيا فى الخير، سباقا إلى بذل المال والعطاء فى سبيل الله، ينفق ماله فى خدمة الدعوة الإسلامية، وفى خدمة أصحابه الفقراء، وفى إعتقاق الفقراء والإماء الأرقاء بعد شرائهم بماله ابتغاء وجه الله- تعالى- ورضاءه، هو نفسه أبوبكر الصديق- رضى الله عنه- الذى عرفه المجتمع المدنى على وجه خاص والمجتمع الإسلامى على وجه عام - بعد الهجرة - كريما سخيا بماله يبذله فى سبيل الله من غير تردد.

أراد الرسول ﷺ بعد وصوله إلى المدينة المنورة. أراد أن يبنى المسجد كى يجتمع المسلمون فيه للعبادة وإقامة الصلاة، وقضاء مصالح المسلمين.. فأرسل إلى جماعة من بنى النجار وقال لهم:

يا بنى النجار، ثامنونى بحائطكم هذا - أى قولوا لى كم ثمن هذا المكان لكى أبنى فيه مسجدا؟ فقالوا: لا والله لانطلب ثمنه إلا من الله، فأبى ذلك رسول الله ﷺ(٢) واشتراه منهم بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر- رضى الله عنه-.

وعندما دعا الرسول ﷺ أصحابه إلى بذل أموالهم للجهاد فى سبيل الله جاء أبوبكر الصديق- رضى الله عنه- بجميع أمواله، فقال له الرسول ﷺ: «ماذا أبقيت لأولادك يا أبا بكر؟» قال: يا رسول الله لقد أبقيت لهم الله ورسوله.

هذا هو سيدنا أبوبكر الصديق- رضى الله عنه- الجواد الكريم الذى لم تشغله الدنيا بمالها، ولم تفتنه بمتاعها، بل كان ينفق ماله فى سبيل الله فتاجر مع الله فاستحق أن يبشره النبى ﷺ بالجنة، ففى الصحيحين عن أبى هريرة- رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق فى سبيل الله نودى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد،

١- الأحقاف (١١).

٢- الليل (١٧:٢١).

ومن كـان من أهل الصيـام دعى من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، فـقـال أبوبكر: يارسـول الله هل يدعى أحـد من تلك الأبواب كلهـا؟ قـال: نعم وأرجـو أن تكون منهم»، وروى الترمذى عن ابن عمر- رضى الله عنهـمـا- أن النبى ﷺ قـال لأبى بكر: «أنت صاحبى فى الغار، وأنت صاحبى على الحوض»، وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى- رضى الله عنه- أن رسـول الله ﷺ قـال: «إن من أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لايبقين فى المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبى بكر».

رضى الله عنك ياسيدنا يا أبا بكر فقد زهدت فى مال الدنيا ومتاعها وزينتها، وحرصت على التمسك بزهدك حتى فى الشىء الوحيد الذى يخرج به الإنسان من الدنيا عند مماته ويلازمه فى قبره ـ سوى عمله ـ وهو الكفن، فقد أوصى- رضى الله عنه- قبل وفاته أن يكفنوه فى ثوبين قـديمـين ولايكفنوه فى ثيـاب جـديدة، لأن الإنسان الحى أحوج إلى الثياب الجديد من الميت.

ولا أجـد فى هذا المقـام أفـضل وأعظم من الكلمات التى قالها سيدنا على بن أبى طالب فى رثاء سيدنا أبى بكر- رضى الله عنهما- من هذه الكلمات قوله:

«رحمك الله يا أبا بكر، كنت والله أول القوم إسلاماً، وأصدقهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، فجزاك الله عن الإسـلام وعن رسـول الله ﷺ وعن المسلمين خيراً، لقد صدّقت رسول الله ﷺ حين كذّبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، كنت والله للإسلام حصناً وعلى أعدائه عذاباً، كنت كالجبل الذى لاتحركه العواصف، ولا تزعزه القواصف، كنت ـ كما قال رسـول الله ﷺ ـ ضعيفاً فى بدنك، قوياً فى دينك، متواضعاً فى نفسك، عند اللّه، جليلاً فى الأرض، كبيراً عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى، فالضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له، والقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، فلا حرمنا اللّه أجرك ولا أضلنا بعدك».

وإذا كان سيدنا أبوبكر- رضى الله عنه- قد حاز فضل إنفاق ماله فى سبيل اللّه، وزهده فى دنياه، فقد شاركه فى ذلك سيدنا عثمان بن عفان- رضى الله عنه- فقد كان نموذجاً رائعاً للبذل والعطاء، ومثالاً يحتذى به فى الإنفاق فى سبيل اللّه، وقدوة حسنة فى التبرع بالمال فى جميع أوجه الخير، يصدق فيه قول الرسول ﷺ: «إن للّه عباداً اختصهم اللّه بقضاء حوائج الناس حببهم فى الخير وحبب الخير إليهم إنهم الآمنون من عذاب اللّه يوم القيامة»[٣].

وكان سيدنا عثمان- رضى اللّه عنه- ينظر إلى الآخرة دار القرار والخلود فيعمل لها، ولا يلتفت إلى الدنيا دار المرور والفناء فهو زاهد فيها، ويؤمن بأن ما عند اللّه هو خير وأبقى.

ورغم أن سيدنا عثمان كان من الصحابة الذين جاءتهم الدنيا راغمة، وبارك الله له فى ماله، وكان ذا حظ كبير فى تجارته إلا أنه كان زاهداً فى

٣- رواه الطبرانى عن ابن عمر (الجامع الصغير).

الدنيا والمال: يرتدى الملابس الخشنة الرخيصة، وينام على الحصى، ويطعم أولاده الزيت والخل بينما يطعم الناس طعام الإمارة.

وكان سيدنا عثمان- رضى الله عنه- من الذين يتاجرون مع الله تجارة لن تبور، وكان يجعل نصْب عينيه قول الله - تعالى -:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٤).

وليس أدل على ذلك من موقفه من جيش العسرة، فقد خطب النبى ﷺ فحث على التبرع لتجهيز جيش العسرة فى غزوة تبوك، فقال عثمان ابن عفان- رضى الله عنه- علىّ مائة بعير بأحلاسها «الحلس كل مايوضع على ظهر الدابة تحت السرج» وأقتابها «جمع قتب أى الرحل»، ثم نزل رسول الله ﷺ مرقاه من المنبر، ثم حث، فقال عثمان- رضى الله عنه-: علىّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، فأشار رسول الله ﷺ بيده قائلاً: ما على عثمان ما عمل بعد هذا (٥).

وأخرج الدارقطنى وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان- رضى الله عنه- قال: بعث النبى ﷺ إلى عثمان- رضى الله عنه- يستعينه فى جيش العسرة، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار، فصبت بين يديه، فجعل النبى ﷺ يقلبها بين يديه ظهراً وبطناً ويدعو له ويقول: «غفر الله لك ياعثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، مايبالى عثمان ماعمل بعد هذا».

ومن أعمال سيدنا عثمان بن عفان- رضى الله عنه- التى سجلها له التاريخ فى أعمال البر والإحسان وإنفاق المال لنفع المسلمين قيامه بشراء بئر رومة، فقد أخرج ابن عساكر عن بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها «رومة» وكان يبيع منها القربة بمد، فقال رسول الله ﷺ للغفارى: تبيعها بعين فى الجنة؟

فقال الغفارى: ليس لى يارسول الله عين سواها، لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان- رضى الله عنه- فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبى ﷺ فقال: أتجعل لى مثل الذى جعلت له عينا فى الجنة إن اشتريتها، قال: نعم، قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين، وأخرج الحاكم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: اشترى عثمان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين: يوم رومة، ويوم جيش العسرة.

ولم يترك سيدنا عثمان بن عفان- رضى الله عنه- بابا من أبواب الخير إلا وولجه، ولا ميدانا من ميادين الإنفاق فى سبيل الله إلا واقتحمه، فحينما دعا المصطفى ﷺ إلى توسعة المسجد وقال: من يزيد فى مسجدنا؟ سارع عثمان- رضى الله عنه- واشترى موضع خمس سوار فزاده فى المسجد.

ولذلك وجدنا الإمام على بن ابى طالب - كرم الله وجهه - يقول عن سيدنا عثمان: كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا و الله يحب المحسنين.

٤- البقرة (٢٧٤)

٥ - أخرجه الإمام أحمد.

رضى الله عنك ياسيدنا عثمان بن عفان، ياذا النورين، ويا صاحب الهجرتين، ويا من استحت منك الملائكة، ياصاحب الخلق الكريم والفضل العظيم، يامن تاجرت مع الله تجارة لن تبور، يامن انفقت مالك فى سبيل الله فنلت حب رسول الله وفزت بدعائه لك بالمغفرة والبشرى بدخول الجنة، يامن جمعت الأمة على قراءة واحدة للقرآن الكريم فأغلقت باب فتنة لايعلم مداها إلا الله، يامن نلت الشهادة وأنت صائم استجابة لدعوة الرسول ﷺ اليك: فقد أخرج الحاكم عن ابن عمر- رضى الله عنهما - أن عثمان - رضى الله عنه - أصبح فحدث فقال: إنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام الليلة فقال: ياعثمان افطر عندنا، فأصبح عثمان صائما، فاستشهد فى يومه- رضى الله عنه- وكان صائما.

إن الحديث الشريف عن الصحابة- رضوان الله عليهم- الذين تاجروا مع الله تجارة لن تبور فأنفقوا أموالهم عن طيب خاطر فى سبيل الله، لايترددون فى البذل والعطاء، بل يسارعون إلى التبرع بأموالهم فى أوجه الخير ابتغاء وجه الله، حديث طويل لا ينتهى.

ومن هؤلاء الكرام الصحابى الجليل سيدنا عبدالرحمن بن عوف- رضى الله عنه- التاجر الصادق الأمين، الذى رزقه الله البركة فى تجارته، والنماء فى ماله، والكسب الحلال فى ربحه، والتوفيق فى إنفاقه، فسخر ماله لخدمة الدعوة الإسلامية، فكان يوزع نصف ماله على فقراء المسلمين ويتجر فى النصف الآخر، فإذا جد ربح جديد استمر فى عطائه، سعيدا بما يفعل، هنيئا بما ينفق، شاكرا الله على ماحباه به من خير وبركة فى التجارة جعلت ينابيع الثراء تتدفق من بين يديه..

وعندما أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة كانت تلك الهجرة بالنسبة لسيدنا عبدالرحمن بن عوف موضع تضحية كبيرة لاحد لها، فهو سيترك داره وأقاربه، وماله الوفير، وتجارته الواسعة الكاسبة. ولكن متى كان عبدالرحمن بن عوف عبدا للمال؟ المال فى يد عبدالرحمن وسيلة لاغاية، فالتضحية به هيّنة فى سبيل الله.

وتمت الهجرة إلى المدينة المنورة، ودخلها سيدنا عبدالرحمن بن عوف خالى اليدين من المال، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى - وكان مشهورا بالكرم والسخاء - فعرض سيدنا سعد على سيدنا عبدالرحمن أن يقتسم ماله نصفين، فاعتذر سيدنا عبدالرحمن وقال له: بارك الله لك فى مالك، فعرض سيدنا سعد إحدى زوجتيه ليطلقها ويتزوجها سيدنا عبدالرحمن، فاعتذر أيضا وقال له: بارك الله عليك فى مالك وأهلك فهما لك وحدك. ولا أريد شيئا، ومعى صحتى وعقلى، دلنى على السوق فأنا تاجر وسيرزقنى الله، لأنه عودنى دائما على الكسب الحلال. ودخل سيدنا عبدالرحمن بن عوف السوق لايملك شيئا، فجعل يشترى الشئ بالدين ثم يبيعه بالمكسب القليل فيرد الدين لصاحبه. ثم يشترى من جديد وهكذا.. وفى زمن قليل صار سيدنا عبدالرحمن بن عوف ذا مال وفير، ومن أصحاب التجارة الواسعة فى المدينة المنورة. وأخذ ينفق أمواله فى سبيل الله، يساعد المحتاج، ويعطى الفقير، ولم يكتف بإخراج حق الله فى زكاة المال

المفروضة، . بل جعل يتصدق بنصف ماله ويتاجر في النصف الثانى فيعود إليه أكثر مما تصدق به . فيكرر نفس العمل وهكذا . . فصدق فيه قول الله- عز وجل-:

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٦).

ولقد سجل التاريخ مواقف كثيرة لسيدنا عبدالرحمن بن عوف تدل على كرمه وسخائه، وعلى أن حب الخير ساكن فى قلبه، وعلى أن الإنفاق فى سبيل الله هدفه وغايته، فعندما حث النبى ﷺ المسلمين على التبرع لتجهيز جيش العسرة فى غزوة تبوك تبرع سيدنا عبدالرحمن بن عوف بمائة أوقية من الذهب الخالص «هى نصف ماله» فقال له رسول الله ﷺ: «ماذا تركت لنفسك؟» قال: بقى عندى مثل ماتبرعت لايزيد ولا ينقص، فقال ﷺ: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت» . . وفى هؤلاء الكرام نزل قول الله- عز وجل-:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٧).

ومن مواقفه المشهودة أنه حين مرض فى بعض أوقات علاته أخرج ثلث ماله فتصدق به بمرأى ومسمع، يعطى كل محتاج ما يكفيه، فقيل له توصى بالمال فيفرق بعد وفاتك، فقال: لأن تعطى وأنت صحيح شحيح تخاف الفقر، وترجو الغنى فهذا أفضل، لا أن تنتظر حتى يأتى الرمق الأخير فتقول هذا لفلان وهذا لفلان . . ، وحين أعطى الفقراء وبقى لديه المال قال: يا أصحاب رسول الله من كان من أهل بدر فله أربعمائة دينار، فجاء أهل بدر وأخذوا ما أعطاهم، ثم جاء عثمان بن عفان- رضى الله عنه- ليأخذ نصيبه لأنه بدرى، فقال له بعض الناس: ألست غنيا يا ابن عفان؟ فقال: هذه صلة لأهل بدر، ولو كانت صدقة ما تقدمت، فكان مبلغ ما أعطى عبدالرحمن بن عوف فى هذا اليوم مائة وخمسين ألف دينار، ومرت أعوام وقد شفى عبدالرحمن من مرضه واستأنف تجارته وربح ربحا جزيلا .

وفى يوم من الأيام سمعت السيدة عائشة- رضى الله عنها- رجة فى المدينة فسألت: ما هذا؟ فقالوا: قافلة تجارة عبدالرحمن بن عوف تحمل من كل شئ وقد قدمت من الشام، وكانت سبعمائة بعير محملة بأوساقها، فقالت السيدة عائشة- رضى الله عنها-: عبدالرحمن سيدخل الجنة حبوا، وتبلغ مقولة السيدة عائشة- رضى الله عنها- سمع سيدنا عبدالرحمن فقال: إنى أرجو أن أدخلها قائما لا حابيا، وثمن ذلك أن أجعل القافلة كلها فى سبيل الله، وأوقف الجمال وأنزل ما عليها وجعل يفرق ما حملت على الفقراء .

٦- البقرة (٢٤٥).

٧- البقرة (٢٦٢).

ومع كل هذه الصدقات كان سيدنا عبدالرحمن بن عوف يبكى متألما ويقول: أخاف أن يكون الله- عز وجل- بما أملك من مال قد عجل لى الثواب فى الدنيا، وأخذت عيناه تدمعان، فقال أحد جلسائه: ما يبكيك يا أبا محمد؟ فقال لقد مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، وها أنا آكل الخبز باللحم؟

كما أتى مرة بطعام شهى وكان صائما فلما رأى اللحم والمرق رفع يديه، وقال لجلسائه: قتل مصعب بن عمير وهو خير منى وكفن فى بردة إن غطت رأسه بدت رجلاه وإن غطت رجليه بدا رأسه، وقتل حمزة بن عبدالمطلب وهو خير منى فلم يوجد ما يكفن به، وها نحن أولاء بقينا لنأكل ونلبس ونتنعم وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا.

رضى الله عنك يا سيدنا عبدالرحمن بن عوف، يا أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد المبشرين بالجنة، يا صاحب الهجرتين، يا من نلت رضا رسول الله ﷺ فدعا لك بالبركة والخير، يا من كنت موضع ثقة سيدنا أبى بكر الصديق، وموضع ثقة سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب، يا من قضيت على الفتنة عند اختيار خليفة المسلمين بعد مقتل سيدنا عمر بن الخطاب فأخرجت نفسك من المرشحين للخلافة ودعوت بالبيعة لسيدنا عثمان بن عفان، يا من سخرت مالك لخدمة الدعوة الإسلامية وجعلته حقا لكل محتاج وفقير.

ما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى أمثال أبى بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف ليقدموا أموالهم فى سبيل الله لإنقاذ الشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة من حرب الإبادة التى يتعرض لها من اليهود الفجرة، وتقديم العون والمساعدة لهم فى كفاحهم ونضالهم وجهادهم ضد الغزاة المحتلين أعداء الله وأعداء الدين، وتخليص المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الأسير الآن فى أيدى اليهود القتلة السفاحين.

ما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى أمثال أبى بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف ليقدموا أموالهم لإعانة المسلمين الواقعين تحت ظلم وقهر الملحدين أعداء الإسلام والمسلمين فى الفلبين والشيشان وكشمير وكوسوفا والبلقان.

إن العالم الإسلامى فيه آلاف الأغنياء الموسرين الذين يملكون من المال ملايين الملايين لو أخرجوا زكاة أموالهم فقط ووجهوا بعضها لتحرير فلسطين والأقصى لتم ذلك وعلت كلمة الله، فما بالنا لو اتخذوا أبا بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف قدوة ومثلا وتجاوزوا الزكاة المفروضة وأنفقوا فضلا من أموالهم فى سبيل الله!!! نأمل ونرجو.

قصة العدد

لا أستجير بغير الله

للأستاذ / شوقى محمود أبو ناجى

كان الحنين إلى الأحباب أقوى من كل مشاعر الخوف لدى العائدين من مهجرهم «أرض الحبشة» ولهذا لم يستجيبوا للرأى الذى نادى بضرورة العودة أدراجهم - إلى جوار النجاشى - مادامت قريش لا تزال على عنادها وكفرها، وتعذيبها لكل من يشرح الله صدره للإسلام، مع أنهم قطعوا أياما وليالى رحلة العودة فى فرح غامر، وإن بعضهم ليود لو أوتى جناحين يطير بهما إلى الأعزة فى أحب أرض الله إلى الله (مكة المكرمة). وإن الخيال ليصور لبعضهم أن رقة اكتنفت الوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبى معيط، وأبا جهل بن هشام، وأبا سفيان، وغيرهم من صناديد قريش بعد دخولهم الإسلام - كما أشيع فى أرض مهجرهم «الحبشة» - وقد يسرف أحدهم فى تصوراته، فيتخيل أبا لهب بغير رايات الحمر، وأسماء بنت مخربة (أم أبى جهل) وقد بدأت تنافس السيدة خديجة فى تعضيد الدعوة.

فما أن أبصروا اليابسة من السبيعة – مرفأ مكة – حتى تواثبوا يدفعهم الشوق إلى الأرض الجبيبة، يسجدون شكرا لله ثم يغذون السير إلى القرية التى انبثق منها نور الهداية، ولم تمض ساعة من نهار حتى انقبضت القلوب التى كانت ترقص بين الضلوع، وتحول شعور البهجة إلى ضيق ممض، وتسمرت الأقدام التى كانت تنهب الأرض منذ قليل، وأطلت الحيرة من المحاجر، فقد لقوا ركبا قادما من مكة وسألوهم عن قريش فأخبروهم أن العداوة بين قريش والمسلمين قد ازدادت شدة، وازداد المشركون ضراوة، وما كان الخبر الذى سمعوه فى الحبشة عن إسلام قريش– بعد نزول الوحى بسورة النجم– إلا شائعة أطلقها عمرو بن العاص ليعيد بها المسلمين من مهجرهم الآمن إلى قريش لينالوا أنصبتهم من الاضطهاد والعذاب بعد فشله فى استعداء النجاشى على المسلمين، وعودته يلوك مشاعر الخيبة.

كان لابد من المشاورة فى هذا الأمر الجلل، وصاح أكثر من صوت يدعو إلى ضرورة العودة إلى حيث الأمن فى الحبشة، ولكن تيار الحنين الجارف كان أشد فى الدعوة إلى المغامرة بدخول مكة لإرواء غلة الشوق بمرأى الأحبة من الأهل والخلان، وتسللوا مستخفين إلى الدور، حتى لا تبصرهم أعين فتنكل بهم قبل إطفاء نار الشوق إلى الأحبة.

جلس عثمان بن مظعون شاردا لا يكاد يتنبه إلى إلحاح زوجه– خولة بنت حكيم– عليه أن يتناول لقيمات يقمن صلبه:

– يا عثمان.. إنك لم تتناول طعاما من البارحة، وسهرت طول ليلتك تتهجد، وقد بلغ منك التعذيب مبلغا كبيرا، وأنت فى حاجة إلى أن تتقوى على العبادة واحتمال الإيذاء.. أرجوك.. لا ترد يدى بهذه القطعة الصغيرة من اللحم.

واحتملت خولة الطعام دون أن يصيب منه عثمان، وعادت لتجلس إلى جواره لعله يفضى إليها ببعض همومه، وبعد فترة من الصمت لا تدرى أطالت أم قصرت، تحركت شفتاه، وبدأ يتكلم فى هدوء:

– ما رأيك ياخولة لو دخلت فى جوار الوليد بن المغيرة؟

كانت الفكرة مفاجأة لها، فهى تعلم مدى اعتزاز زوجها بعقيدته وكراهيته الاستعانة بمشرك، ولكنها أجابت فى سرعة وهى تخشى أن يغير عثمان رأيه:

– نعم الرأى يا عثمان.. وقد دخل كثير من إخوانك فى جوار بنى عمومتهم من المشركين.. كان أبوسلمة فى جوار أبى طالب.. وأبوسلمة مخزومى كما تعلم، حتى أبوبكر الذى كان سيد بنى تيم محتلا مكانة عبدالله بن جدعان.. هل تتصور أنه دخل فى جوار ابن الدغنة؟.. على بركة الله قم.. قم يا عثمان حتى نحس الأمن ولو لأيام إلى أن يعز الله دينه.. قم.

وذهب عثمان بن مظعون إلى الوليد بن المغيرة ليجيره، فأخذه الوليد من يده وانطلق به إلى الحرم ينادى:

– يا معشر قريش.. إنى أجرت عثمان بن مظعون، فلا يتعرض له أحد إلا بخير.

مضى عثمان أياما يسير فى طرقات مكة، ويختلف إلى أسواقها ويطوف حول الكعبة آمنا

دون أن يتعرض له أحد من المشركين بأذى، ولكنه حز فى نفسه أن ينظر إلى أخوانه من المستضعفين وقد اشتد المشركون فى تعذيبهم، وتجرع مرارة الحزن على نفسه، إذ شعر أن دخوله فى جوار مشرك ما هو إلا هروب من التضحية فى سبيل العقيدة، فلم يهرب من المواجهة ولو تلقى ألوان الاضطهاد؟.. أهو أقل من إخوانه إيمانا أو احتمالا للأذى، ليس من الإيمان ولا من المروءة أن يكون بمنجى مما يلاقيه المسلمون من محن.. وإذا برجليه تسوقانه إلى دار الوليد بن المغيرة ليقول له:

– وفت ذمتك. وقد رددت إليك جوارك

فيتعجب الوليد قائلا:

– يا ابن أخى.. لعلك لقيت من أحد من قومى أذى، فسأكفيك ذلك.

– والله ما لقيت أذى من أحد... ولكننى أرضى بجوار الله– عز وجل– والله لا استجير بغيره.

– إذا فانطلق إلى الحرم ورد على جوارى علانية أمام الناس كما أجرتك علانية.

– وانطلقا إلى الحرم ليعلن عثمان بن مظعون فى شجاعة:

– قد رددت جوارالوليد بن المغيرة، وقد وجدته وفيا كريم الجوار ولكنى لا أستجير بغير الله.

جلس لبيد بن ربيعة متصدرا الحلقة فى أحد نوادى قريش ينشدهم من شعره:

ألا كل شئ ما خلا الله باطلُ

فيقول له عثمان فى إعجاب:

– صدقت

فيترنم لبيد بعجز البيت:

وكل نعيم لا محالة زائل

فيصرخ فيه عثمان:

– كذبت.. نعيم الجنة لا يزول.

فيغضب لبيد ويلتفت إلى السادة الذين يجلسون حوله، وإلى الشباب المعجبين بشعره:

– يا معشر قريش.. ما كان يُؤذى جليسكم.. فمتى حدث هذا فيكم؟

فيشير أحد الجالسين إلى لبيد معتذرا:

– معذرة يا لبيد فإنه سفيه.. وإنه لسفاهته فارق ديننا واتبع محمدا فيما جاء به، فلا تجدن فى نفسك.

– بل أسلمت لله رب العالمين وتركت عبادة الأصنام الشوهاء التى لا تعدو كونها أحجارا صما لا تضر ولا تنفع.

فقام هذا الرجل محنقا ولطم عثمان لطمة شديدة على عينه.. والوليد بن المغيرة ينظر متعجبا ويذكر عثمان بما كان يلقاه من منعة فى جواره:

– والله يا ابن أخى لقد كانت عينك عما أصابها لغنية، ولقد كنت فى ذمة منيعة فرددتها، وما كان أغناك عما لقيت.

فينظر إليه عثمان ليقول فى ثبات:

– بل كنت إلى الذى لقيت فقيرا.. والله إن عينى الصحيحة التى لم تلطم لفقيرة إلى ما أصاب أختها فى الله– عز وجل– ولى فيمن هو أحب إلىّ منكم أسوة.. وإنى لفى جوار من هو أعز منك.

طريق الحق شائك

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

كثيرا ما يجد بعض الناس غرابة وعجبا فى أمور تأتى فى عكس ما كانوا يتوقعونه وينتظرونه، فيعجبون مثلا حين يجدون شخصا مؤمنا صالحا مستقيما كانوا يتوقعون أن يسبغ الله عليه من النعم الظاهرة، وأن يمتعه من الدنيا بما يحرم منه آخرون، فإذا هم يجدون هذا المؤمن الصالح المستقيم غارقا فى البلاء أحيانا، مثقلا بالمصائب والمكاره أحيانا أخرى.

ويجدون شخصا جادا فى الدعوة إلى الله، مجتهدا فى حفز الناس إلى عمل الخير، وقد يكون مضحيا فى سبيل إقامة مشروعات دينية وخيرية تضحيات يشق على غيره أن يتحملها، فيتوقعون أن يذلل الله له سبيله، وأن يحميه من أى أذى يصيبه، وأن يعطف نحوه قلوب الناس ليؤازروه إن كان فى حاجة إلى مؤازرة، ويدافعوا عنه إن كان فى حاجة إلى دفاع، ولكنهم يجدونه فى عكس ما كانوا يتوقعون، يجدونه أحيانا غارقا فى البلاء من الله، وأحيانا غارقا فى الأذى من الناس.

وهكذا فى أمور كثيرة يرى فيها عامة الناس حيرة للعقول، وتناقضا مع ما يتوقعون، وقد يقول السفهاء من الناس: لماذا يصب الله البلاء على المؤمنين؟ ولماذا يتركهم عرضة للأذى والاضطهاد من الناس فى كثيرمن الأحيان؟ ولماذا يمتع الله غير المؤمنين أو غير المستقيمين بما يشتهون من متاع الدنيا؟

وقد يوغل بعض السفهاء فى جهلهم وسفاهتهم فيظنون السوء بمن يصيبهم البلاء من المؤمنين والخيِّرين، وقد تذهب ظنونهم فى هذا كل مذهب، من نحو أن ينشروا ويشيعوا بين الناس أن هؤلاء الذين كنتم تظنون بهم الخير، وترونهم يتمسحون بالدين، أو تجدونهم يتخفون وراء مشروعات الخير، إن هم إلا شياطين مردة، ومجرمون محترفون، ثم يتبارون فى أن يلصقوا بهم ما يشاءون من أوصاف السوء، وكثير من الناس ينخدعون بما يشيعه هؤلاء الموغلون فى الجهالة، لأن عامة الناس

يتأثرون بما يلقى فى أسماعهم أكثر مما تحكم به عقولهم، لأنهم فى أغلب الأمر لا يلجأون أصلا إلى العقول، وإنما ينقادون لما يلقى فى آذانهم، كما يقول أحمد شوقى عن هذا القطاع من الناس: (ياله من ببغاء عقله فى أذنيه) ومن الأمثلة القريبة الشائعة فى هذا المعنى أنه حين يلم الفقر بأحد الأغنياء، أو يصاب شخص بكارثة أو مصاب، فمهما يكن من إيمان هذا الشخص أو ذلك الغنى، ومهما يكن نزوعهما إلى الخير، فيندر أن يقال: إنه ابتلاء أو امتحان من الله، بل قد نسمع أنه انتقام من الله، وقد يتبارى بعض الناس فى استعراض حياة الذى أصابه البلاء ليستخرج منها مايراه أخطاء ليزعم أن هذه الأخطاء هى التى كانت سببا فيما أصابه، ولا يتحرج بعضهم من أن ينسج من خياله ما يشاء ليضخم هذه الأخطاء أو يضيف إليها ما يريده أو يختلق منها ما يحلو له.

وإنما يوصف الذين يصدرون أحكامهم تلك على الذين يصيبهم البلاء، ويظنون بهم الظنون بأنهم موغلون فى الجهالة لأنهم لم يرجعوا فى أحكامهم وظنونهم إلى دين أو حكمة أو تجربة.

فأما عن الحكمة والتجربة، فلأنه لا ارتباط واقعيا بين الغنى أو كل متاع الدنيا وبين المقومات الذاتية فى الإنسان، فكم من ساذج أحمق تفيض عليه الدنيا من أموالها ومظاهرها، بينما أصحاب الفكر والعلم والفضل يرزحون تحت أعباء الفقر والحاجة فى أغلب الأحيان، وقديما قال المعرى:

لو كانت الأرزاق تجرى على الحجا
هلكن إذن من جهلهن البهائم

والحجا هى بالعقول، بمعنى أن الأرزاق لو كانت توزع بمقدار العقول لماتت البهائم جوعا حيث لا عقول لها، وكذلك كل ما يتنافس الناس فى الوصول إليه لا يجرى عليه منطق عقلى، فحتى المناصب التى يفترض أن تسند إلى من هم كفء لها، كثيرا ما نرى فيها من لا يصلح لها، بل ولا يصلح لأى شئ ذى قيمة، وقد نجد موظفا صغيرا فى أدنى درجات المؤسسة التى يعمل فيها وهو أكفأ وأصلح للمنصب الذى يشغله أعلى شخص فيها.

والناس يعرفون هذا وماهو أكثر من هذا، ويتحدث به كثير منهم على أنها أمور عادية مألوفة لا تحتاج إلى عميق فكر لاستنباطها، ولا إلى دقيق خبرة لاكتشافها، ولكنهم لا يتدبرونه، ولا يستفيدون منه فى نظرتهم إلى الأمور ليربطوها بمصدرها الحقيقى وهو قدر الله، الذى يقدر كل شئ، كبيره، وصغيره، خيره وشره، لحكمة بالغة، تعلو فوق عقول البشر، فهم إذن لم يرجعوا إلى حكمة أو تجربة، ولم يردوا الأمور إلى مصدرها الحقيقى.

وأما أنهم لم يرجعوا فى أحكامهم وظنونهم إلى الدين، فإن جهالتهم فى هذا الجانب أدهى وأمر، حيث كان ينبغى أن يعلموا أن المكاره والآلام هى طريق المؤمنين، ونصيب الصالحين من مكاره الحياة هو النصيب الأوفى، بينما نصيب الفاسدين والمفسدين من نعيم الدنيا ومتاعها بالعكس هو النصيب الأوفى.

والأنبياء وهم قمة البشر منزلة وفضلا عند الله هم أشد الناس ابتلاء كما فى الحديث

الشريف (أشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)[1] بمعنى أن البلاء مرتبط بعلو المنزلة عند الله شدة ويسرا، والأنبياء هم أعلى الناس منزلة، فبلاؤهم أشد البلاء، ثم الذين يلون الأنبياء فى الفضل يلونهم فى نصيبهم من البلاء وهكذا، وحتى الأنبياء كان نصيب كل منهم من البلاء بمقدار منزلته بين النبيين، فحيث كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد بلغ درجة أن يصفه الله ـ سبحانه ـ بأنه خليله كما فى القرآن الكريم:

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[2].

فقد تعرض لأنواع من البلاء سواء من جانب الله مباشرة، أو من جانب الناس لم يتعرض لها نبى سواه، فأما ما كان من جانب الله مباشرة فقد كانت قمته ابتلاؤه بأن يؤمر بذبح ابنه الوحيد بيده وليس بيد غيره. ورغم أنها رؤيا منام إلا أنه يعلم أن منام الأنبياء كاليقظة:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾[3].

ويهم إبراهيم بالذبح دون تردد على ما فى هذا من إيلام لا تعبر عنه الكلمات ولا فيض الألفاظ، لولا أن الله أمره بالتوقف عن ذبح ابنه:

﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[4].

وأما ابتلاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ من جانب الناس ممثلين فى أصحاب السلطات فقد كانت قمته أن يحكموا عليه بالموت، أى بالقتل، وليس قتلا عاديا فى أية صورة من صور القتل المألوف، وإنما حرقا بالنار، وليس أيضا حرقا عاديا بنار تشعل فيه فتحرقه أو تلاحقه، وإنما بنار مستعرة فى آتون من الجحيم، بأن يبنى بناء تكدس فيه أكوام من الخشب، ثم تشعل النار فى هذا الآتون:

﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾[5].

ولكن الألم النفسى لإبراهيم منذ صدور الحكم بإعدامه، ثم باختيار النار لتكون هى الوسيلة للإعدام، ثم البناء الذى يرى إبراهيم ويعلم أنه سيعد ليكون موقع الإعدام، وإبراهيم بشر، فلاشك أن هذا كله سيكون زيادة فى إيلامه نفسيا، ولكن إيمانه وثباته أمام البلاء كان أقوى وأعظم من كل ما حوله، ومن كل ما أعدوه لإعدامه، وألقوه فعلا فى الجحيم، وهم دون ريب يتمنون أن يتراجع عن صموده على دعوته ليطلقوا سراحه، بل ويقدموا إليه ما يتمنى، ولكنه لم يتراجع ولم يتردد، بل أقدم على الجحيم ثابتا مطمئنا، متقبلا كل ما ينتظره من ألم وعذاب بدنى بشع، ولكن الله ـ سبحانه ـ كما رفع عنه البلاء فى اللحظة الأخيرة قبل ذبح ابنه، فكذلك دفع عنه البلاء فى اللحظة الأخيرة قبل أن تلتهمه النار وهو فى قلب الجحيم:

---

(١) المستدرك (٣/٣٤٣) اتحاف السادة المتقين (٨/١٢١، ٥٥٩، ٥٦٠).

(٢) النساء (١٢٥).

(٣) الصافات (١٠٢).

(٤) الصافات (١٠٧).

(٥) الصافات (٩٧).

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(٦).

فبمقدار منزلة إبراهيم كان ابتلاؤه من الله ومن الناس، وعن شدة بلاء إبراهيم يقول سبحانه:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾(٧).

والتعبير يتضمن ما يعرف فى البلاغة بأسلوب القصر، أى أن ما تعرض له إبراهيم من البلاء هو الذى يوصف وحده بأنه بلاء مبين، وما دونه من أنواع البلاء لا تنطبق عليه هذه الصفة، ويؤكد القرآن هذا بلام التأكيد ﴿ لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ .. ﴾.

ولولا أن الناس هجروا القرآن كما يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾(٨).

لولا هذا لكان واضحا لديهم أن القرآن يؤكد فى كثير من محكم آياته أن الابتلاء فريضة كتبها الله على المؤمنين، وأنه سنن من سنة الله الثابتة فى كل العصور والأجيال، ومن ذلك خطاب الله لرسوله وللمؤمنين بأسلوب التأكيد:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٩).

بل إن الله يسوق هذا المعنى فى أسلوب الاستنكار، أى أن الله ينكر على الذين يتصورون أن الله يقبل ادِّعاء الإيمان دون أن يختبر مدى صدق المدعين للإيمان فى هذه الدعوى؟ والآية التالية لها تزيد المعنى وضوحا وتأكيدا:

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(١٠).

وكان من التطبيق العملى لهذه السنة أكثر من موقف فى حياة المسلمين على عهد رسول الله ﷺ، ومن ذلك موقعة «أحد»، التى هزم المسلمون فيها هزيمة مرة غير متوقعة، فقد كان المسلمون خارجين من النصر المدوى فى موقعة «بدر»، ثم كانوا فى «أحد» أضعاف عددهم فى «بدر»، ومعهم رسول الله، ففى ظاهر الأمر كيف ينهزمون خصوصا وأن الرسول يكرر لهم وعد الله إياه بالنصر؟ ولكنهم كانوا حينذاك هم الأساس الذى سيبنى عليه صرح الإسلام، فلو أنهم انتصروا فى «أحد» بعد نصرهم فى «بدر» لتدافع ضعاف الإيمان والطامعون نحو الإسلام ودخلوا فى الأساس الذى ستقوم عليه أمة الإسلام فيكون حينئذ أساسا واهيا ضعيفا، ولكن الله يريد أن يمحصهم حتى لا يبقى فى الإسلام حينئذ ولا يدخل فيه إلا الصادقون المخلصون، ليتحقق قوله تعالى:

﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١١).

---

(٦) الأنبياء (٦٩).
(٧) الصافات (١٠٦).
(٨) الفرقان (٣٠).
(٩) البقرة (١٥٥).
(١٠) العنكبوت (٣).
(١١) آل عمران (١٤١، ١٤٢).

وإذن فالمؤمنون والدعاة إلى الإيمان، والصالحون والدعاة إلى الصلاح، وأهل الخير والدعاة إلى الخير هم العرضة للبلاء والشدائد، وهم الذين تزرع فى طريقهم الأشواك والآلام، وهم الذين ينالهم الأذى من سفهاء الناس وشرارهم، ومن الموغلين فى الجهالة والغى، ليكون هذا الأذى هو الغربال الذى يميز الأصالة عن الحثالة، فأما ذوو الأصالة، والإيمان فيثبتون، وأما الحثالة فتسقط إلى قرارها المهين، كما يقول تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾(١٢).

وحتى لا يجد الناس فى نفوسهم حيرة أو عجبا فإن الله ـ سبحانه ـ جعل سنن الدين تسير على منهجهم الذى يألفونه فى حياتهم ولا ينكرونه، ومنه منهج الابتلاء والاختبار، فلو أن طالبا يريد أن يحصل على شهادة بالنجاح فى أية مرحلة تعليمية فكيف يحصل عليها بدون امتحان؟ وهل يوجد مكان فى العالم كله يبيح منح هذه الشهادة بدون امتحان؟ بل إن الامتحان شرط فى الشهادة بالنجاح فى أية مهنة كالنجارة أو الحدادة أو السباكة أو غير ذلك، فكيف الحصول على الشهادة العظمى وهى الإيمان بدون اختبار؟

وقد يقال: فإن بعض المؤمنين قد يبتلون ثم يعود إليهم البلاء، وقد يتعرضون للابتلاء بالأذى مرة أو مرات متكررة، أفلم يكن الابتلاء الأول كافيا؟ والجواب أنه أيضا لو أراد طالب أن يتدرج ويترقى فى مراحل التعليم فهل يكفيه امتحان واحد؟ أم لابد من تكرار الامتحان كلما انتقل إلى مرحلة أعلى وأراد أن يجتازها؟ وكذلك من يريد أن يتدرج فى القرب من الله، وأن ترتفع منزلته عنده، يتعرض للاختبار عند كل درجة يريد أن يرتفع إليها.

وليس معنى ذلك أن كل ما يصيب الناس من مكاره وأذى هو ابتلاء، بل قد تكون هذه المكاره انتقاما من الله وعقابا، وآية الابتلاء وعلامته أن من يتعرض للابتلاء من المؤمنين يكون صابرا صامدا لا يتزعزع فى أثناء الابتلاء، فإذا انكشف البلاء عاد المؤمن قويا ثابتا كأن لم يصبه شئ، ولذلك نلحظ أن القرآن الكريم يختم الحديث عن البلاء غالبا بالصبر، سواء أكان البلاء من الله مباشرة كقوله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١٣)

---

(١٢) الحج (١١).

(١٣) البقرة (١٥٥).

أم كـان البـلاء عن طريق الناس كـالذى يصيب الدعاة إلى إتيان المعروف والانتهاء عن المنكر ويلاحقهم من أذى الناس كقوله تعالى على لسان لقمان:

﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾(١٤)

والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم من الدعاة، وهم الذين ينتظرون عادة الأذى، وكما أن علامة الابتلاء الصبر والثبات، فإن علامة العقاب انهيار المعاقب وعدم استطاعته الثبات أو استعادة ما كان عليه قبل العقاب، والحديث الشريف يرسم صورة فنية رائعة للفارق بين المبتلى والمعاقب عند حلول الابتلاء أو العقاب، وهى (مثل المؤمن كالخامة من الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، ومثل الفاجر كالأرزة الصماء لاتزال حتى يقصمها الله إذا شاء)(١٥) والخامة من الزرع المراد بها النبات اللين العود كالقمح والشعير، تظل الريح تكفئه فيعتدل، وتكفئه فيعتدل، ولكنه لا يسقط، وإنما يعود معتدلا، وهكذا حال المؤمن، يظل البلاء يكفئه فيعتدل، ثم يكفئه فيعتدل، وهكذا، ولكنه لا ينهار ولا يسقط، وأما الفاجر المغاضب لله فإن الله يتركه شامخا كشجر الأرز المعروف فى الشام بانتصابه وعلوه فى الفضاء، ويظل هكذا، ولكنه حين يسقط لا يمكن أن يعتدل مرة أخرى، فالله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

ومن ناحية أخرى فإن الواقعين تحت البلاء من المؤمنين حين يثقل عليهم البلاء ويقسو ويتراءى لهم شبح اليأس، حينئذ يظهر الفرج، من باب قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾(١٦).

وإذن فطريق الخير والإيمان شائك، كما أن طريق الشر جذاب براق، وهذا مضمون الصياغة الحكيمة الموجزة: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)(١٧).

***

(١٤) لقمان (١٧).

(١٥) رواه أحمد (٦، ٣٨٦).

(١٦) يوسف (١١٠).

(١٧) رواه أحمد (٢/ ٢٦٠، ٣٠٨).

﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾
التوبة (٤١)

من قادة الفتوحات الإسلامية

عدى بن حاتم الطائى

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾(١).

كلمات كريمة من آى الذكر الحكيم ترددت أصداؤها فى أرجاء جزيرة العرب كأنها صدى لصوت رسول الله ﷺ وهو يحطم أصنام قريش فى مكة.. كلمات بثت الرعب والفزع فى قلوب رؤوس الكفر فى سائر أرجاء الجزيرة العربية.

ومن هؤلاء كان رجلنا (عدى بن حاتم الطائى) الذى نتركه يروى لنا رحلته من الضلال إلى الهدى: يقول رضى الله عنه :- « ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى، أما أنا فكنت امرءا شريفا، وكنت نصرانيا، وكنت أسير فى قومى بالمرباع(٢)، فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكا فى قومى لما كان يصنع

(١) الإسراء (٨١).

(٢) أى آخذ ربع الغنائم لأنى سيدهم.

بى. فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لى: لا أبا لك، أعدد لى من إبلى أجمالا ذللا[٣] سمانا فاحتبسها قريبا منى، فإذا سمعت بجيش لمحمد وقد وطىء هذه البلاد فآذنى، ففعل، ثم إنه أتانى ذات غداة فقال: يا عدى ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد، فاصنعه الآن فإنى قد رأيت رايات فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد »[٤].

وذعر عدى فحمل أهله وولده على الابل التى أعدها سلفا وقال فى نفسه: « الحق بأهل دينى من النصارى بالشام ».

ابنة حاتم الطائى

ويأسر رجال رسول الله ﷺ ابنة حاتم الطائى، وقدموا بها على رسول الله ﷺ فأكرمها رسول الله ﷺ وفك إسارها وما لبث أن شرح الله صدرها للاسلام وطمعت فى إسلام شقيقها فغادرت المدينة بعد أن استأذنت من رسول الله متجهة إلى الشام باحثة عن أخيها تعرض عليه أمر الإسلام آملة أن يشرح الله صدره فلما التقت به عاتبته قائله: « القاطع الظالم.. احتملت بأهلك، وولدك، وتركت بقية والدك عورتك (تقصد نفسها) فقال لها عدى: أى أخية، لا تقولى إلا خيرا، فوالله مالى من عذر، لقد صنعت ما ذكرت. ثم سألها: ماذا ترين من أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تذل وأنت أنت. قال: والله إن هذا الرأى ».

وهكذا نجحت شقيقة عدى فى أن تلين قناة أخيها وتجمعه برسول الله ﷺ عسى الله أن يشرح صدره للإسلام.

والله ما هذا بملك

فخرج عدى بن حاتم من الشام حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل عليه وهو فى المسجد فسلم عليه، فقال رسول الله ﷺ: « من الرجل؟ » فأجابه قائلا: عدى بن حاتم؛ فقام رسول الله ﷺ فانطلق به إلى بيته، وفى الطريق استوقفت امرأة ضعيفة رسول الله ﷺ، فوقف لها النبى طويلا تكلمه فى حاجتها، فقال عدى فى نفسه والله ما هذا بملك؛ ثم واصلا المسير إلى بيت رسول الله ﷺ فدخلا، وتناول الرسول وسادة

---

(٣) الجمل السهل الذى قد ريض.

(٤) ابن هشام ١/٥٧٨.

من أدم محشوة ليفا فقدمها لعدى قائلا: أجلس على هذه؛ فقال له عدى: بل أنت فاجلس عليها، فقال له الرسول ﷺ: بل أنت، فجلس عدى عليها، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض. فقال عدى في نفسه: والله ما هذا بأمر ملك. ثم قال له رسول الله ﷺ: «إيه يا عدى بن حاتم ألم تك ركوسيا[٥] قال عدى: بلى قال رسول الله ﷺ: أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع؟ قال عدى: بلى. قال رسول الله ﷺ: فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك. قال عدى: أجل والله. فقال له رسول الله ﷺ: لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم (يقصد المسلمين) فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم. وأيم الله ليوشكن أن تسمع القصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم»[٦].

عندها أسلم عدى ونطق الشهادتين بين يدى رسول الله ﷺ ليكسب الإسلام رجلا وأى رجل.

وينتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وترتد العرب عن الإسلام ويرفض الخليفة الصديق أن يهادن أى مرتد ويصر على حربهم جميعا.

ويرسل الصديق خالد بن الوليد لحرب «بنى أسد» حيث كان طليحة بن خويلد الأسدى قد ادعى النبوة، ويخرج خالد بجيشه قاصدا بنى أسد، وكان فيمن خرج معه عدى بن حاتم الطائى الذى ثبت على إسلامه وقدم على أبى بكر بالمدينة بإبل الصدقة فيرسل طليحة إلى «جديلة» و«الغوث» أما طىء ذاتها فكانت قد ارتدت عن الاسلام، فقصدها خالد بن الوليد.

وعلم عدى بما كان من قومه فاستمهل خالداً أياما ليثنى طيئا عن ردتها وأفلح فى ذلك بل ونجح فى استرجاع خمسمائة فارس أرسلتهم (غوث) لمساندة طليحة.

فاستبشر المسلمون وحمدوا الله أن عادت طىء إلى الإسلام بغير قتال ولكن بقيت «جديلة» عندها أدرك خالد مالعدى من تأثير فى قومه فقرر أن يستفيد من هذا التأثير فخاطب عديا قائلا: يا أبا طريف ألا

---

(٥) قوم لهم دين بين النصارى والصابئة..

(٦) ابن هشام ٥٧٩/١.

نسير إلى جديلة؟»

فقال له عدى: يا أبا سليمان لا تفعل، أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة؟

فقال خالد: بل يدين فأجابه عدى: فإن جديلة إحدى يدى.

فكف خالد يده عن جديلة، وأوفد إليهم عدى بن حاتم آملا أن يجرى الله الخير على يديه فدعاهم عدى إلى الإسلام فأسلموا، فحمد الله، وسار بهم إلى خالد وهم فى أهبة الحرب، فلما رآهم خالد فى عدتهم ظن أنهم جاءوا لحربه فنادى فى جيشه، فقيل: إنما هى جديلة أتت تقاتل معك، ففرح خالد بهم وضمهم إلى جيشه وعقد لواء طىء وغوث وجديلة لعدى بن حاتم الطائى، وكانت جملتهم ١٠٠٠ مقاتل بكامل عتادهم وسلاحهم فارتفع عدد جيش خالد من أربعة آلاف إلى خمسة آلاف.

اجعل قومى مقدمة أصحابك

وسار خالد بالجيش يقصد بنى أسد فلما اقترب منهم قال عدى لخالد: «يا أباسليمان اجعل قومى مقدمة أصحابك» كان عدى مطمئنا تماما إلى حسن إسلام قومه، وكان هناك حلف يربطهم ببنى أسد، فإذا ما انهزموا قيل اختارت طىء حلفها مع طليحة وبنى أسد، على الإسلام فتلحقها معرة ما بعدها معرة وهكذا أصبح مطلوبا من بنى طىء أن ينتصروا فقط، دفاعا عن الإسلام أولا، وعن كرامتهم وشرفهم ثانيا، أدرك عدى هذا فألح على خالد بأن يجعل قومه فى المقدمة فقال له خالد: «يا أبا طريف إن الأمر قد اقترب، وأنا أخاف أن أقدم قومك فإذا لحمهم القتال انكشفوا فانكشف من معنا، ولكن دعنى أقدم قوما صبرا لهم سوابق، وهم من قومك «يقصد المهاجرين والأنصار» فقال له عدى: «الرأى ما رأيت» وبدأت المعركة، وأبلى قوم عدى بن حاتم البلاء كله فى القتال.

وهكذا حقن عدى دماء قومه فى حروب الردة وحفظهم للإسلام جندا مظفرة كان لهم الفضل أكبر الفضل فى فتوح فارس.

(يتبع)

***

فدائية تستشهد (١)

بقلم/ أبو حسام

صــعــدت روحــهــا إلى عــالم الغــيب كــعطرٍ يفــوح بين الزهور

لم تكدْ تنتــمى إلى الخلد حــتى — لاح فى ثغــره ابتــسام الســرور

الطيــور الرخيــمــة الشــدو غنت — فى ابتــهــاج، أحــببْ بشــدو الطيــور

والعناقــيــد فى الكروم أكف — صــافحــتــهــا فى نشــوة الخمــور

تلك حــبــاتهــا النضــيــدة صــارت — لؤلؤا فى إكليلهــا المضــفــور

خطرتْ كــالنســيم طاف على الرو — ض فأضحى مضــمّخــا بالعبــير

زيّن الخلد أوجــه حــين وافــتــه — ببــدرٍ يتــيــه بين البــدور

أخــذت نايهــا الحــزينَ وغنّت — بين أترابهــا بلحن مــرير

ســألوهــا: أفى الجنان نواح — وعــويل «يهــيج حــرَّ» الصــدور؟

فأجابتْ شــهــيــدة «تطلب الثــأ — ر حــثــيــثــا لقلبــهــا الموتور

ليــس ينســى فــؤادها فى فلســطين أنينا يذيــب صــمّ الصــخــور

يا لحــسناءَ فى ربى الخلد تبكى — بين جــمــع من فــاتنات الحــور

ذكــرتْ مــصــرع العــدالة فى دنيــا — أحــيطت بجــاثمــات الشــرور

كلمــا شع من سنا الحق ضــوء — يتــوارى فى حــالك الديجــور

---

(١) هى الشهيدة: حياة بلابسى.

طالما غَامَرَتْ مع الإخوة الغا ... دين تحت الدجى كليث هصور
رفعت راية البطولة فأعجب ... للواء فى كف ظبى غرير !
تبصر القاذفات تهوى مع ... الموت، وتمضى لها بقلب جسور
تبرىء الجرح، تَغْسِلُ الدمع، تزكى ... فى بنى قومها لهيب الشّعور
ما أجل النضال تلبسه الغيد ... وشاحا مرصّعا بالزهور
أبتغى أن أصوغ فيه قريضى ... فتضيق اللّغى عن التعبير
الكفاح المرير غال صباها ... لهف نفسى على صباها النضير
فتحت للرصاص صدرا وضيئا ... يتراءى كصفحة البللور
تهبط السهل، تعتلى الحزن، تعدو ... فى ظلام الدجى ووقد الهجير
صوّرتْ رحلة المصاعب منها ... شبحاً فرّ من وراء الدهور
سمعتْ فى الدجى البهيم أنينا ... لجريح يئن تحت الصخور
بحثتْ عنه وحدها فرأتْه ... أبتر الساق، ذا جناحٍ كسير
حملته رغم الضنى وتولّتْ ... فى شهيق من الأسى وزفير
فإذا العاصف المدمر يهوى ... طائر العدو كالشهاب المغير
وإذا الغادة النبيلة ذرّا ... تٌ تلاشى كيانها فى الأثير
رقدتْ والجريح فى ساحة ... الموت تعب الكرى بطرف قرير !
من مجيرى من اللظى يلهب الصدر ... إذا ما ذكرتها، من مُجِيرى؟
زهرة تبهر العيون على الغصن ... وفى الكف نسجها من حرير
سُلط المنجل الرهيب عليها ... فطواها الثرى ليوم النشور
فإذا الروض مأتم تتباكى ... فى روابيه نادبات الطيور
لم أرِدْ أن أصوغَ فيها رثاء ... تلك والله نفثة المصدور

القدس الماضي والحاضر

من ديوان أغاني السحر

للشاعر: عبدالفتاح الطاهر الخطيب

أكرم بهواها في نفسي ... ونفوس العرب بلا لبس
أرض الإسراء بأحمدنا ... ما أعظم قدرك يا قدسي
يا مهبط وحي رسالات ... جاءت بالخير إلى الإنس
فيك الزيتون غدا رمزا ... وحمائم توحي بالأنس
ما كانت أرضك في يوم ... أرض الطغيان أو الرجس
حتى احتلتك شراذمهم ... برعوا في الفتنة والدس
والغرب يبارك دولتهم ... في ليل ينبيء بالنحس
والحقد الأسود يملأهم ... وشعور الفارق في الجنس
زرعوا في أرضك ويحهمو ... حبات الحنظل والبؤس
وغدا يجنون حصادهمو ... أشجار النقمة واليأس
ما أسوأ عاقبة الباغي ... سيذوق المر من الكأس
من بعد غرور كذاب ... يلقى منا أقسى درس
وتعود القدس لأمتنا ... ويكون لقانا في عرس
عرس للنصر يصافحنا ... وسيشرق دوما كالشمس
ومواكب أفراح كبرى ... وعدوك في خزي يمسي
يا قدس الحاضر والماضي ... يحميك الله من البأس
ويصون ترابك من شر ... بنضال الأبطال الخمس؟؟
ويعيدك للوطن الغالي ... فيعود الجسم إلى الرأس
ونغني أخلد أغنية ... ما أحمد عودك يا قدسي
يا مهبط وحي رسالات ... جاءت بالخير إلى الإنس

ما أحمد عودك يا قدسي
ما أحمد عودك يا قدسي

إسرائيل من الداخل

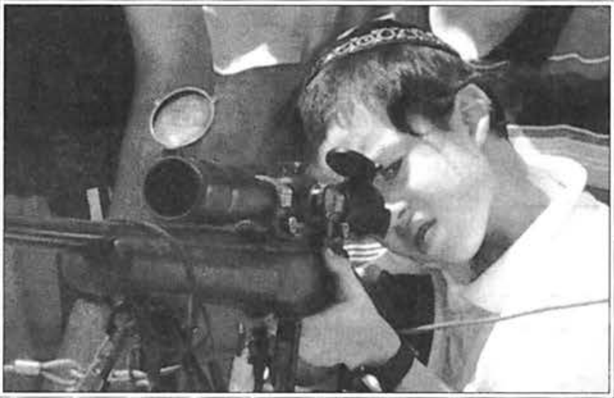

القدس .. بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

القدس فى قلب كل مسلم، ولم لا؟!.. فإليها أسرى بالنبى محمد ﷺ وبها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، الذى أحاطه الله بالبركة حيث قال:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

وأكدت السنة الشريفة على قدسيته، قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، الكعبة ومسجدى هذا والمسجد الأقصى». أخرجه الدارمى.

لهذا فإن للقدس مكانتها التى لا تدانيها أى مكانة، ولكن ما تعانيه المدينة المقدسة اليوم من مؤامرات لتخريبها وتدميرها ومعاناة شعبها وتدنيس أرضها ألهب أقلام الكتّاب على مر الأزمان والعصور، نقدم نماذج منها لنعطى للقارىء صورة لما يعانيه الشعب الفلسطينى وما تضج به الأرض المقدسة من مؤامرات تحاك لأجل اغتصاب الأرض والمقدسات.

عروبة القدس

من مقال الأستاذ الدكتور/ حسن على خاطر.. مدير عام موسوعة القدس، وعضو المجلس الوطنى الفلسطينى والذى نشرته جريدة «الأسبوع» بتاريخ ٢٧/٨/٢٠٠١ نقدم هذه المقتطفات التى ضمنها بعض خطوات يرى أن فيها الحفاظ على عروبة القدس والمسجد الأقصى:

أقول بصوت عال: إن هذا الرمز الإسلامى، رمز المقاومة ورمز الشهادة ورمز القداسة أصبح فى ظل تزايد الهجمات والمؤامرات بحاجة إلى حماية أكبر ليس من أبناء

(١) سورة الإسراء (١).

فلسطين فحسب، وهم الذين يشهد العالم أنهم لم يبخلوا عليه بدمائهم وأرواحهم وأموالهم وإنما أيضاً من أبناء الأمة العربية والإسلامية.

إعمار المسجد الأقصى: كثير من المسلمين فى العالم لا يعرفون حقيقة مبانى ومرافق المسجد الأقصى.

وكثر منهم لا يعرفون إلا القبة الذهبية اللامعة التى تظلل الصخرة المشرفة، وهى فى الحقيقة تعد من أبرز وأجمل معالم المسجد، لهذا فهى التى تهيمن فى وسائل الإعلام على مفهوم الأقصى، ولكن الذى يجهله الكثيرون وتتجاهله وسائل الإعلام هو أن ساحات المسجد التى تحيط بهذه القبة المذهبة هى فى معظمها مليئة بالأوساخ وبالأحجار والأتربة، ولا يستطيع أحد من المصلين الصلاة فى معظم الأحيان فى هذه المساحات الشاسعة.

والسؤال الذى يحيرنى ويحير رواد الأقصى جميعاً هو: لماذا لا تتكفل جهات عربية إسلامية باستصلاح أو لنَقُل بتأهيل ساحات الأقصى وتجهيزها بالرخام من أولها إلى آخرها لتصبح جزءاً حقيقياً وفعلياً من الأقصى، يمكن للمصلين أن يصلوا فيها دون حرج ودون مشقة؟!.. فالمساحة داخل أسوار الأقصى معروفة ومحددة بالسنتيمترات وهى حوالى مائة وأربعة وأربعين ألف متر مربع فقط، فهل تعجز مؤسسات التمويل المهتمة بشئون المقدسات الإسلامية فى العالم الرسمية والشعبية أن تتولى هذه المهمة وأن تقوم بإعمار هذه المساحات كما ينبغى؟.. وأنا أحب أن أقول للأمة الإسلامية جمعاء إن نسبة الخراب داخل المسجد الأقصى ومرافقه هى أكبر من الأجزاء المعمورة، فلمصلحة من تنتشر هذه المساحات الخربة داخل أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول ﷺ.

والحقيقة الأخرى التى يجب على أبناء الأمة العربية أن يفهموها بصورة جيدة هى أن الخراب المهيمن على أجزاء كبيرة من الأقصى هو فقط الذى يخلط مفهوم الأقصى ويشتت وحدته فى أذهان المسلمين فى هذا العصر، فالسبيل الوحيد لتجسيد معنى الأقص بمفهومه الكامل هو إعمار هذه المساحات الخربة لتكون بذلك جسماً واحداً متصلاً مع المرافق الأخرى المعمورة كمبنى القبة، ومبنى المسجد وغيرها من المبانى الأخرى، خاصة وأنا أعلم وكثيرون آخرون يعلمون أن المصلى المروانى الموجود تحت الساحة الشرقية الجنوبية للمسجد الأقصى كان يوشك أن يحول إلى كنيس يهودى لولا أن سارع عدد من الإخوة الأفاضل إلى إنقاذه عن طريق الإعمار.

الخطوة الثانية :

تشكيل لجنة علمية مختصة لإعادة تسمية مرافق المسجد الأقصى بأسماء إسلامية أكثر وعياً بأبعاد اللعبة السياسية المعاصرة، وذلك لتفويت الفرصة على استغلال الاحتلال لسذاجة المنطلقات الإسلامية القديمة فى تسمية العديد من معالم ومرافق المسجد، فالمتجول فى ساحات الأقصى ومبانيه يجد الكثير من الأسماء التى توحى بارتباط هذا المكان بداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ

وكذلك ببنى إسرائيل، أمثال: باب الأسباط، قبة النبى داود، محراب داود، قبة السلسلة، قبة الأرواح أو الألواح، اسطبلات سليمان.. والقائمة طويلة.

ونحن كمسلمين نجل أصحاب هذه الأسماء ونشعر بالانتماء إليهم أكثر من انتماء اليهود إليهم، ونعترف بنبوتهم فى حين أن اليهود لا يعترفون بذلك، ولكن يجب ألا نسمح باستغلال الأسماء لتغيير الحقائق وتزوير الهوية.

الخطوة الثالثة:

العمل على تأسيس مؤسسة دائمة داخل الحرم الشريف تحمل اسم «مؤسسة رعاية الأقصى» أو أى اسم آخر يتفق عليه. وتكون لها مهمات أساسية واضحة ومحددة، وتقوم على عاتق فريق كامل من المتخصصين والمتفرغين بصورة كاملة، ويتحمل القائمون عليها مسئولية كاملة عن تنفيذ برامجها والقيام بمهامها أمام المؤسسات والشخصيات الإسلامية المعنية بالأقصى فى الداخل والخارج، على أن تضم هذه المؤسسة عدداً من الأقسام تتوزع على جميع الحاجيات المفترضة والمتجددة لهذا المسجد، والعمل بشكل مستمر على رصد ومتابعة وفضح مخططات الاحتلال ومساعيه الرامية إلى النيل من هذا المكان الطاهر، ووضع استراتيجية إعلامية مستقبلية لتمتين العلاقة الإسلامية بأولى القبلتين، ومتابعة كل جهة ـ شخصية أو اعتبارية ـ تفكر أو تعمل للمساس بهذا المكان، وهذا من شأنه إحاطة المسجد بهالة قانونية واعية وفاعلة تحول إلى حد كبير بين المسجد وبين كل من تسول له نفسه التفكير فى الاعتداء عليه بأى شكل من الأشكال.

وأخيراً، بخصوص المؤسسات الموجودة حالياً فى داخل الأقصى أو المعنية بشئونه، فأحب أن أقول: إن الكثيرين من القائمين عليها هم من الشخصيات الإسلامية الفاضلة، وقد قدم العديد منهم خدمات جليلة لهذا المسجد العظيم، كما كان لهذه المؤسسات والقائمين عليها دور بارز فى مؤازرة هذا المسجد فى محنته المستمرة منذ ما يقرب من قرن من الزمان، ولكن الذى لا يختلف عليه اثنان ممن يعرفون هذه المؤسسات والقائمين عليها، أنها مؤسسات وليست مؤسسة واحدة، وأن مرجعياتها السياسية تختلف، بل وتتناقض فى كثير من الأحيان، كما أن التنافر وعدم الانسجام يطغى كذلك على العلاقة بين الشخصيات القائمة على هذه المؤسسات وهذا يفقدها التعاون والتنسيق فيما بينها بصورة مقبولة، وقسم منها مؤسسات رسمية تغرق فى دوامة الروتين والشكليات الوظيفية، والأهم من هذا كله أن جُل هذه المؤسسات تفتقر إلى رؤية مستقبلية واستراتيجية فى علاقتها بالأقصى، والقسم الأكبر منها يعانى أزمات مالية خانقة لا تساعده على تنفيذ شيء من مخططاته وبرامجه إن وجدت أصلاً، وفوق ذلك فإن قسماً كبيراً من هذه المؤسسات بسيطة جداً فى تركيبتها وتسيير أمورها

واتخاذ قراراتها، حيث تطغى عليها الفردية فى هذا كله، رغم أن قسماً منها يحمل أسماء ذات دلالات جماعية عميقة مثل « جمعية . . » أو « هيئة . . » أو « رابطة . . » »، وهذا فى اعتقادى لا يمس مكانة الأشخاص القائمين عليها ولا بجهودهم الطيبة التى يبذلونها منذ عقود، إلا أن هذه هى الحقيقة. ومصلحة الأقصى يجب أن تكون فوق جميع الاعتبارات والمجاملات، وإلا فإن الأقصى سيبقى فى خطر!!! . . .

●●●

دماء فلسطينية

وفى جريدة الوفد الصادرة بتاريخ ٢٩ من أغسطس ٢٠٠١ كتب الأستاذ/ حسن عبد ربه المصرى . . مقالاً طيباً تحت عنوان : « دماء فلسطينية تقاوم الأسطورة » . . يقول فيه :

● فى مقالة نشرتها صحيفة « يديعوت أحرونوت » يوم ١٩ أكتوبر عام ٢٠٠٠ أى بعد ثلاثة أسابيع فقط من بدء انتفاضة الأقصى، قال الكاتب يرمياهو يوبيل : « من الوهم أن نقنع أنفسنا بأننا قادرون على التحدث إلى الطرف الآخر لأننا غير قادرين على التحدث إلى أنفسنا، ويجب علينا قبل أن نخطط لدفع السلطة إلى الإذعان إلى مطالبنا أن نتفق معاً على ما هو فى صالحنا ضد هذه المصلحة « مشيراً إلى اختلاف الجانب الإسرائيلى حول ما وعد إيهود باراك بالتنازل عنه عبر محادثات كامب ديفيد الثانية . . وهى تنازلات وهمية كما تشير معظم التحليلات التى تصدت لها مؤخراً » .

وأياً كان حجم الزيف فيما يتعلق بالوعود الإسرائيلية إلا أن تبادل الاتهامات بين اليمين واليسار الإسرائيلى حول هذه المفاوضات وحول الادعاء بأنها كانت ستؤدى حتماً إلى « انهيار كامل للأحلام الصهيونية » يدل على أن رئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاك كان بإصراره على الاحتفاظ لإسرائيل بالسيطرة الكاملة على المسجد الأقصى وأحياء سكنية من القدس الشرقية يريد أن يبعد شخصه السياسى عن غضبة اليمين العنصرى الإسرائيلى الانتهازى الذى يسير نحو مخططات تحقيق أحلام الشعب اليهودى الأسطورية وعلى رأسها إعادة تشييد « هيكل سليمان » بخطى حثيثة بغض النظر عن هوية الحكومة التى تسير دفة الأمور فى تل أبيب ليكودية كانت أم عمالية .

الهيكل، أو هيكل سليمان أسطورة يهودية ورد ذكرها فى كتب التوراة التى دون البعض منها أحبار اليهود بأيديهم لترسيخ المطالبة بوضعها موضع التنفيذ على أرض الواقع على امتداد السنين، وقامت الصهيونية حتى من قبل تيودور هيرتزل بصبغ هذه الأسطورة بصبغة سياسية ونجحت فى أن تجعل منها مدخلاً لدعاوى تؤسس دولة تقوم على القوة الغاشمة حرصاً منها على تحويل الخطاب الدينى المتطرف إلى فلسفة عمل تجمع بين ما هو دينى وسياسى وعنصرى ويتحقق من ورائها إعادة « بناء الهيكل على النسق الذى أقامه عليه أول مرة النبى سليمان بن داود » .

● وتعترف وسائل الإعلام الإسرائيلية بأن الأثريين اليهود والأوروبيين لم يعثروا حتى يومنا هذا على أى أثر يدل على وجود بقايا أثرية لهيكل سليمان الثانى الذى دمر عام ١٣٥ ميلادية تحت قواعد وأساسات المسجد الأقصى.. كما يقرر مؤرخو إسرائيل بأن الاستمرار فى مثل هذه الحفريات لن يساهم فى تحقيق الحلم.

● **يقول حجاى هوبرمان فى صحيفة «هتسوفيه» يوم ٣٠ من الشهر الماضى:**

إنه على الرغم من محدودية عدد أعضاء جمعية أمناء الهيكل «إلا أن تأثيرهم فى الجانب الدينى للمجتمع يتعاظم، خاصة بعد أن اقتنع السياسيون فى نهاية المطاف بضرورة الدمج بين ما هو دينى وما هو سياسى».. مشيراً بذلك إلى قرار المحكمة العليا بالسماح لهذه الجمعية بوضع حجر أساس إعادة بناء الهيكل. ولا يكتفى الكاتب بذلك، بل يسخر من تمسك المسلمين بما يصفونه بالأماكن الإسلامية المقدسة فى القدس ويتساءل: «لماذا لا ترتفع صيحات الدفاع عن المقدسات الإسلامية فى القدس إلا بعد أن تبدأ إسرائيل فى العناية بها على نفس المستوى من العناية بمقدسات اليهود داخل المدينة؟.. وأين كانت علاقاتهم الدينية القوية بهذه الأماكن قبل الآن؟..»!!..

ومن أسف، لن تجد حكومة شارون العنصرية المتطرفة من يتصدى لها سوى صدور أبناء فلسطين وإيمانهم بقضيتهم وبالمسجد الأقصى وكنيسة القيامة وبتراب وطنهم!!..

صدمة فى إسرائيل

أما جريدة (الشرق الأوسط)، فقد تناولت ما يلاقيه القدس على أيدى جماعة عنصرية تمارس الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطينى.. فكتبت تحت عنوان: (صدمة فى إسرائيل بعد إدانة ٣ آلاف منظمة دولية غير حكومية لها بالعنصرية).. فى عددها الصادر فى ٣ من سبتمبر ٢٠٠١ تقول:

يعمل الوفد الإسرائيلى ـ المنخفض المستوى إلى المؤتمر العالمى لمكافحة العنصرية الذى ترعاه الأمم المتحدة فى مدينة ديربان بجنوب أفريقيا ـ على اتجاهين، أحدهما محاولة تخفيف حدة لهجة مشروع القرار الذى تتبناه المجموعة الإسلامية ضد إسرائيل فى المؤتمر، والاتجاه الثانى التشاور مع ممثلى الدول الغربية، بشأن الانسحاب الجماعى إذا ما فشلت الجهود لجعل نص القرار الختامى أكثر اعتدالاً.

ووصف بيان المنظمات غير الحكومية الذى وقعت عليه حوالى ٣ آلاف منظمة دولية، إسرائيل بأنها «دولة عنصرية ترتكب بطريقة منظمة جرائم ضد الإنسانية وتمارس الإبادة الجماعية والتطهير العرقى ضد الشعب الفلسطينى». ودعا البيان فى بنده الثمانين إلى «وقف فورى لهذه الجرائم العنصرية».

وأصاب البيان إسرائيل والجماعات اليهودية المشاركة بالصدمة. فقد اتهم شيمعون بيريز وزير الخارجية الإسرائيلى،

المنتدى العالمى للمنظمات غير الحكومية بالتحريض على الكراهية للسامية. وأما رئيس الوفد الإسرائيلى نعوم كاتز فقد اعتبره تحريضاً صريحاً «غرضه الوحيد نزع الشرعية عن الدولة اليهودية وشعبها».

وأعلن رئيس الوفد الإسرائيلى أن مؤتمر الأمم المتحدة حول العنصرية يمثل «منعطفاً حاسماً» فى العلاقة الإجمالية بين إسرائيل والأمم المتحدة، وهو أمر «يقلق كثيراً إسرائيل».

وقال: إن «الاتصالات والمساعى الدبلوماسية مستمرة، ولم نستنفذ جميع الاحتمالات حتى الآن، لكننا وصلنا إلى نقطة يتحتم علينا عندها أن نتساءل إن كان يجدر بنا مغادرة المؤتمر؟.».

●●●

وكان لمجلة الأزهر دورها البارز على مر تاريخها الطويل وكان، لكُتَّابها العديد من المقالات التى سجلت الحقائق التاريخية بأمانة تامة وصدق، ننشر منها هذا المقال للأستاذ الدكتور/ إسحاق موسى الحسينى.. عضو مجمع البحوث الإسلامية ـ رحمه الله.

الآثار الإسلامية فى بيت المقدس

(١) قبل الفتح العمرى

عن عطاء الخرسانى قال: «بيت المقدس بنته الأنبياء، وعمرته الأنبياء ووالله ما فيه شبر إلا وقد سجد فيه نبى» وهذه العبارة على إيجازها تختصر تاريخا طوله نحو أربعة آلاف سنة.

ولا يعرف التاريخ مدينة تركزت فيها الديانات السماوية الثلاث: الموسوية والمسيحية والإسلام كمدينة بيت المقدس.

وبالتالى لا يعرف التاريخ مدينة مثلها عمرت بالكنس(٢) والكنائس والمساجد والديارات والزوايا والتكايا والمدارس والمقابر وما إلى ذلك من أماكن مقدسة.

وأراد المؤمنون أن يعبروا عن مشاعرهم الروحية نحو هذه المدينة فاستعانوا بالفن، وأطلقوا يده يزركش ويزخرف وينقش حتى أضحت المساجد والكنائس آيات فنية غاية فى الروعة.

ولسنا نعرف الصورة التى كان عليها هيكل مسجد سليمان – عليه السلام – ولكن إذا قسنا الماضى بالحاضر تبين لنا أن الموسويين كانوا أقل عناية بالتعبير الفنى عن مشاعرهم الدينية من المسيحيين والمسلمين فالكنس الموجودة فى بيت المقدس وفى غيرها من بلاد العالم، معابد بسيطة جدا أشبه بمساجد المسلمين فى دورها البدائى، وليس فى ظاهرها ما يميزها ويدل عليها كما هو الحال فى المساجد والكنائس فلا مآذن ولا أبراج ولا أجراس ولا زخارف معينة، وربما يسترعى النظر فيها ضخامة الحجارة

---

(٢) بوزن فعل بضمتين: جمع كنيس وهو معبد اليهود.

والأعمدة.

وجميع الكنس فى بيت المقدس واقعة داخل المدينة القديمة المحاطة بسورها التاريخى الذى جدد زمن السلطان سليمان القانونى فى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى وأقدمها يرجع إلى بداية القرن الثامن عشر.

وعلى ذلك يصح القول أن معظم الآثار الموسوية فى بيت المقدس قد درس، وأضحى بحق كباقى الوشم فى ظاهر اليد على أن الإسلام حافظ على ما بقى منها بعد أن عدها من آثار أنبياء الله المرسلين وبالتالى من آثار الإسلام نفسه، الذى ترجع أصوله إلى أبى الأنبياء إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - وهذا موقف خليق بالتأمل فالقرآن الكريم جاء مصدقا لما سبقه من الكتب المنزلة ومحمد ﷺ جاء خاتم الأنبياء منذ بداية النبوة إلى زمن عيسى بن مريم - عليهما السلام - وهذا سر ما يتصف به الإسلام من سماحة وسجاحة.

فالمسلم يؤمن بموسى وعيسى ويؤمن بكتبهما الصحيحة، ويحترم أثر من آثار الأنبياء بقدر ما يحترم كل آثاره هو.

ومن أقدم الآثار الموسوية التى رعاها المسلمون وعدوها جزءا من تراثهم الدينى مسجد داود وسليمان - وهو المعروف عند المؤلفين الغربيين بهيكل سليمان - ومما يسترعى النظر فى صحن الحرم قبة السلسلة المجاورة لقبة الصخرة من جهة الشرق وهذه السلسلة تنسب إلى سليمان ابن داود وقد كتب فوق محرابها:

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾(٣)

وأبلغ من ذلك دلالة أن المسلمين أنشأوا مسجدا فى مكان يسمى «مقام النبى داود» على ربوة جبل صهيون، سدنته أسرة مسلمة كبيرة هى آل الداودى نسبة إلى داود «والآن تعرف بالدجانى»، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن فى هذا المقام قبر النبى داود، وشمس الدين المقدسى، ومجيد الدين الحنبلى وعبد الغنى النابلسى، وفى داخل الحرم الذى يضم المسجدين العظيمين الأقصى والصخرة جامع يسمى جامع قبة موسى وجامع يسمى جامع كرسى سليمان، وكلاهما تؤدى فيه الصلاة وهذا عدا الآثار التى تقع خارج بيت المقدس ومن أشهرها مقام نبى الله إبراهيم فى المدينة المسماة باسمه (الخليل) وفيه مسجد كبير.

ولم يتبين المسلمون أثرا من آثار السيد المسيح مع ما له من مكانة فريدة نص عليها القرآن الكريم ويرجع ذلك إلى أن الأماكن المسيحية المقدسة كانت وقت الفتح الإسلامى فى حوزة المسيحيين أنفسهم، ونصت العهدة العمرية التى كتبها عمر بن الخطاب لبطريرك بيت المقدس «أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من

(٣) سورة ص آية ٢٦.

صلبهم ولا من شىء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم».

ويظهر أن الاحترام بين عمر بن الخطاب والبطريرك كان عظيما فقد كانت كنيسة القيامة أول معبد زاره عمر بعد الفتح وأراد البطريرك أن يكرم عمر فعرض عليه أن يصلى داخل الكنيسة حين أزفت ساعة الصلاة ولكنه أبى حتى تبقى الكنيسة خالصة لأصحابها.

ونصت العهدة على مسألة أخرى خليقة بالنظر وهى «أن لا يسكن بإيلياء بيت المقدس معهم أحد من اليهود» ولم هذا النص؟ الواقع أن المسيحية أبطلت «العرقية» النسبة إلى جنس معين التى كان يؤكدها بنو إسرائيل ويتفاخرون بها.

فقد قال السيد المسيح: «لا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا، لأنى أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم» متى ٣ / ٩.

وأكد ذلك بولس الرسول بقوله: ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعا أولاد. بل بإسحق يدعى لك نسل، أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا.»

والمقصود بالموعد مجىء السيد المسيح - رسالته إلى أهل رومية ٩ / ٦.

وقال: «إن الذين يؤمنون بالله هم أبناء إبراهيم، فالذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن» - رسالته إلى أهل غلاطية ٣ / ٩.

وأكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله:

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

ومن هنا كانت القطيعة التى نص عليها عهد عمر بن الخطاب بطلب من البطريرك فى أغلب الظن، ونخلص إلى حقيقتين الأولى أن الديانات لا تقوم على العرق فالحنيفية أو الموسوية ليست دين جنس معين من البشر والمسيحية ليست دين أمة معينة والإسلام ليس للعرب وحدهم، وإلا كانت الديانات السماوية حواجز تحول دون التقاء الشعوب، فى حين كان أعظم ما قصدته تجميع الناس على خير المثل العليا وأنبلها. والحقيقة الثانية أن الإسلام هو الوريث الشرعى لتراث الأنبياء، لأنه آمن برسائلهم وآخى بينهم وبالتالى ورث المسلمون فى بيت المقدس المقدسات الموسوية وحافظوا عليها جزءا لا يتجزأمن تراثهم الروحى والعودة إلى التراث الموسوى وإظهاره أشبه بهدم الطابق السفلى من البناء، أو قطع جذور شجرة بحجة المحافظة عليها. فليتأمل فى ذلك اليوم المتأملون ولا سيما أولئك الذى يبغون هدم المسجد الأقصى بحثا عن أنقاض هيكل سليمان!.

---

(٤) سورة آل عمران آية (٦٨).

(٢) بعد الفتح العمرى

١- فتح المسلمون بيت المقدس سنة ١٧هـ ٦٣٨م، وخف إليها أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - من المدينة ليتسلمها من أهلها، قاطعا على نفسه عهد الله أن يصون أموالهم وكنائسهم ويرعى حقوقهم ويحقق لهم الأمن والسلامة.

ومنذ الفتح العمرى إلى اليوم والمسلمون يحتضنون المدينة المقدسة احتضان الأم وليدها ويحنون عليها حنو المرضعة على فطيمها.

ولا نعرف فى تاريخ الإسلام بل فى تاريخ الأديان السماوية جميعها مدينة ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس وتكريم وحراسة وقد أولاها الخلفاء والأمراء والعلماء والصالحون كامل رعايتهم فأنشأوا المساجد والزوايا والتكايا والأربطة والسبل والمدارس والمقابر وأوقفوا عليها معظم الأراضى المجاورة، وزينوا وزخرفوا وجددوا قديما، وأسسوا جديدا، حتى أضحت تحفة منقطعة النظير.

ولم ذلك؟

أولاً: لأنها موطن إبراهيم خليل الله ومقر الأنبياء ومهبط للوحى ومبعث عيسى كلمة الله التى ألقاها إلى مريم.

وثانياً: لأنها ثانى القبلتين وثالث الحرمين استقبلها المسلمون زهاء عام ونصف عام. بعد هجرة الرسول الكريم إلى المدينة.

وثالثا: لأنها مسرى رسول الله ﷺ بنص القرآن الكريم.

ورابعًا: لأنها مفتاح الكعبة وقبر الرسول من حازه تمكن من الأردن وما وراءه من بلاد، لارتفاعها ومناعتها وقد حدث سنة ٥٧٨هـ بعد أن نفذ الإفرنج من فلسطين إلى الأردن أن قصد المقيمون منهم بالكرك والشوبك من مدن الأردن المسير إلى مدينة الرسول لينبشوا قبره الشريف وينقلوا جسده الكريم إلى بلادهم، ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل «ضريبة»، فأنشأ البرنس أرناط صاحب الكرك سفنا حملها إلى بحر القلزم «البحر الأحمر» وركب فيها الرجال وسارت الإفرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة (الأنس الجليل ج١ / ٢٨٠) ولكن الناصر صلاح الدين أرسل من هزمهم وأحبط مسعاهم.

وخامسًا: لأنها عاصمة فلسطين ومتحف آثارها الدينية التى تجمعت مدة ثلاثة عشر قرنا وصلة الأصل بين الأقطار العربية والمنارة - بحق - التى يشع منها نور الهداية والخير.

روى أبو عبد الله المقدسى فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم». أنه فضل القدس على مدن الدنيا فى مجلس عقد فى العراق، فاستهول الناس قوله، ولكنه علل حكمه بقوله: وأما الفضل فلأنها عرصة القيامة ومنها المحشر وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبى، ويوم القيامة يزفان إليها، فتحوى الفضل كله.. فاستحسنوا ذلك منه وأقروه» (ص١٦٥).

٢- لم تمر بالمدينة المقدسة مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامى على اختلاف دوله

إلا أقام المسلمون فيها بناء جديدا، أو أصلحوا بناء قديما.

ففى عهد الخلفاء الراشدين أقام عمر ابن الخطاب مسجدا وقد بلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة أن أزال بيده ما تراكم عليها من تراب وأقام عليها مصلى.

وفى العهد الأموى بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ونقش اسمه على القبة مع تاريخ البناء سنة ٧٢هـ ثم توالى الخلفاء والأمراء فجددوا وزخرفوا حتى أضحى المسجد، بشهادة أحد المؤرخين الغربيين (من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة) لا بل أجمل الآثار التى خلدها التاريخ.

وبنى عبد الملك المسجد الأقصى وأتمه ابنه الوليد وتوالى على تجديده وتزيينه بالنقوش والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء والأمراء آخرهم الملك المغربى المجاهد محمد الخامس الذى فرش مسجد قبة الصخرة بالسجاد الفاخر وفيه تلقى خطبة الجمعة فتجيش القلوب وتفيض العيون بالدموع.

وبنى عدد من المسلمين قببا فى صحن الصخرة، وبجوارها، كقبة المعراج، ،وقبة محراب النبى، وقبة يوسف، وقبة موسى، وقبة سليمان، وقبة الخضر، ومحراب داود.

وبنوا فى الحرم وحوله مآذن وأروقة وسبلا وصهاريج للاستسقاء وكل واحد منها أثر تاريخى عليه نقش أو شاهد وله سمة عصره من زخرف وخط ودعاء.

وبنوا فى مختلف العهود مساجد بلغت ٣٤ مسجدا معظمها فى داخل المدينة القديمة.

وبنوا عددا كبيرا من الزوايا يؤمها الحجاج من مختلف البلدان الإسلامية كالزاوية النقشبندية للحجاج الوافدين من أزبكستان، وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند، والزاوية القادرية للحجاج الوافدين من الأفغان وفى كل زاوية مسجد، غرف للنوم ولها أوقاف.

وأنشأوا عددا من المقابر الأثرية التى تضم رفاة الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء ومجاهدين وحكام وفى (الأنس الجليل) أسماء من توفى ودفن فيها، نذكر من الصحابة والتابعين: عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وفيروز الديلمى وسلامة بن قيصر وذا الأصابع وأبا محمد البخارى.

وأنشأوا مدارس لطلب العلم بلغ عددها ٥٦ مدرسة حفلت بالعلماء من أهل المدينة وخارجها وقصدها الوافدون من المشرق والمغرب وأوقفوا عليها المصاحف والمخطوطات النادرة ولا تزال معظم هذه المدارس قائمة حول الحرم بأبوابها الحديدية الكبيرة ونقوشها المزخرفة وساحاتها الواسعة وكان المسجد الأقصى نفسه يحتوى على مكتبة كبيرة كما كان الحال فى جامع قرطبة والأزهر والقيروان، وكان العلماء يقصدونه من الأندلس والمغرب ومصر والعراق وفارس للدرس والتدريس وفى المتحف الإسلامى اليوم صندوق كبير يضم مصحفا مخطوطا كتبه بيده أحد ملوك المغرب خصيصا للمسجد الأقصى.

٣- إن الكثرة العظمى من هذه الأماكن الإسلامية التى ذكرناها - عدا المقابر - قائمة فى المدينة القديمة المحاطة بسورها الأثرى الذى جلاه آخر مرة السلطان سليمان القانونى فى القرن العاشر الهجرى، وإذا علمنا أن المدينة القديمة صغيرة إذ تبلغ مساحتها ٨٦٨ دونم أى ٨٦٨ ألف متر مربع يشغل منها الحرم القدسى وحده ٢٦ دونم تبين لنا صحة القول أن المدينة أضحت مع الزمن متحفا أثريا غنيا بالأبنية والنقوش والزخارف والقناديل النادرة التى لا تقدر بثمن ولا يمكن أن يوجد لها بديل.

كان سكان القدس القديمة حسب إحصاء سنة ١٩٤٧ نحو ٣٣,٦٠٠ عربى مقابل ٢,٤٠٠ يهودى أى نحو ١٤ : ١، لا يملكون إلا نسبة ضئيلة جدا منها أقل كثيرا من نسبة عددهم لكون معظم البيوت والحوانيت وقفا إسلاميا، ولتحريم القانون فى العهد العثمانى البيع لليهود، وتركز معظم اليهود فى حى واحد اسمه حى اليهود الذى يوجد فيه كنيسهم الأكبر ويدعون أن لهم حقوقا فيما يزعمونه «حائط المبكى» وهو بزعمهم جزء من سور كان حول الهيكل، ولكن المسلمين ينازعونهم فى الحائط لأنهم يعدونه جزءا من الحرم الشريف الذى يضم مسجدى الصخرة والأقصى كما يعدونه مربط البراق الذى أسرى به الرسول، وهو فوق هذا وذاك وقف إسلامى لا ينازع فيه، ولكن الصهيونيين غالوا فى تقويم المبكى لإثارة المشاعر الدينية لأسباب سياسية محضة والدليل على ذلك أن اللجنة الدولية التى تكونت سنة ١٩٢٩ للنظر فى الخلاف حول ملكية المبكى والعبادة فيه لم تقر وجهة النظر الصهيونية، وحكمت بعد دراسة وافية للوثائق بإبقاء الحال على ما هو عليه ومنع اليهود من إدخال تغيير فيه والتسامح الإسلامى هو الذى حدا بالمسلمين إلى تيسير زيارة اليهود لتلك البقعة الإسلامية المقدسة.

والخلاصة: أن الآثار الإسلامية تجعل من هذه المدينة المقدسة التى لم يفتأ المسلمون فى جميع عصورهم يرعونها بالإجلال والتعظيم ويتعهدونها بالتعمير والتجديد مدينة أعظم شأنا فى نظرهم من «أورشليم» التاريخية فى نظر اليهود بل يمكن أن تقف فى صف واحد مع مكة والمدينة وفى حديث للرسول ﷺ أنها رابع مدن الجنة، ومن الناحية المادية والحضارية ليس لليهود أثر يذكر بشهادة جميع العلماء مسلمين ومسيحيين، ولذا فإن التفريط بهذه المدينة المقدسة هو تفريط بأقدس مقدسات المسلمين وحرمان من ممارسة شعائرهم الدينية التى كفلتها جميع الشرائع والقوانين، وخطر على سائر مقدساتهم فى مكة والمدينة وافتئات على الأوقاف الإسلامية والملكية الفردية، لا يمكن أن يصبر عليها المسلمون مهما تذرعوا بالحكمة وضبط النفس.

بروتوكولات حكماء صهيون (*)

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

فى هذا المقال سأحاول قدر جهدى إلقاء الضوء على إحدى إفرازات التلمود، ألا وهى: بروتوكولات حكماء صهيون.

وأود أن أشير إلى أن هذا الفكر الصهيونى الذى تشربوه طوال تاريخهم من حاخاماتهم، وصبغوه بصبغة دينية، لم يأت من فراغ، حيث يقول الفيلسوف « غوستاف لوبون » فى كتابه « اليهود فى تاريخ الحضارة »:

« لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أى شىء تقوم به حضارة. واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت فى تشييد المعارف البشرية، واليهود لم يجاوزوا قط رحلة الأمم شبه المتوحشة التى ليس لها تاريخ ».

وانتهى إلى أن « قدماء اليهود لم يجاوزوا أطوار الحضارة السفلى التى لا تكاد تميز من طور الوحشية، وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدينة منذ زمن طويل فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما فى حضاراتها، أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارية وخرافاتها ».

(*) اعتمدنا فى إعداد هذا المقال على:

(١) بروتوكولات حكماء صهيون.

(٢) غوستاف لوبون، اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى.

(٣) عبدالحليم محمود، العارف بالله بشر بن الحارث الحافى.

(٤) ا.د. حسن ظاظا، السيد محمد عاشور، سرية الحرب عند اليهود.

(٥) عبدالوهاب المسيرى، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونة.

وبروتوكلات حكماء صهيون هى التجربة العملية للفكر التلمودى وهى عبارة عن مذكرات أو رسائل أوقرارات كتبها بعض علماء اليهود وكبار ساستهم ليخططوا بها كيف يحكمون العالم.

ويقال: إن هذه البروتوكلات قد كتبت فى نفس العام الذى عقد فيه المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بازل بسويسرا ١٨٩٧، وتذكر البرتوكلات البالغ عددها أربعة وعشرين أن حاخامات اليهود وقادتهم قد عقدوا مؤتمرا سريا بهدف وضع خطة محكمة للتعاون مع الماسونيين ومع الليبراليين لإقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة يهودية عالمية يكون مقرها القدس.

وقد بلغت البروتوكلات قمة رواجها فى الفترة الواقعة بين الحربين عندما حاول كثير من الألمان تبرير هزيمتهم على أنها طعنة من الخلف قام بها اليهود والمشتركون فى المؤامرة الكبرى أو العالمية.

والفكرة الأساسية فى البروتوكلات هى فكرة الحكومة اليهودية العالمية ومفهوم السياسة لديهم يختلف عن مفهومه لدى العالم أجمع وما يفعله «شارون» وجيشه من ضرب كل القيم الإنسانية والأخلاقية ليس بجديد على فكرهم فقد ورد فى البروتوكول الأول مانصه:

«إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شىء، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع، ولابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء».

فقد ورد فى البروتوكول الأول ما نصه:

« يكفى أن يعطى الشعب الحكم الذاتى فترة وجيزة، لكى يصير هذا الشعب رعاعا بلا تمييز، ومنذ تلك اللحظة تبدأ المنازعات والاختلافات التى سرعان ما تتفاقم، فتصير معارك اجتماعية، وتندلع النيران فى الدول.. وفى النهاية ستقع فى قبضتنا».

وهذا أول بروتوكول يحاولون تطبيقه عمليا على أول شعب استعمروه وحكموه على مدى تاريخهم الطويل وهو الشعب الفلسطينى، وتراهم يصرون بوقاحة على إعطائه الحكم الذاتى رغم أنهم أصحاب الأرض الشرعيين.

وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولته لا يختلف عليه أحد أما الفكر الصهيونى الشارونى الذى نهل من التلمود وحفظ البروتوكلات عن ظهر قلب، فالحق بالنسبة لهم يختلف حيث ورد ما نصه:

«إن حقنا يكمن فى القوة، وكلمة «الحق» فكرة مجردة قائمة على غير أساس، فهى كلمة لا تدل على أكثر من: أعطنى ما أريد لتمكننى من أن أبرهن لك بهذا على أننى أقوى منك».

وورد أيضا ما نصه:

«يجب أن يكون العنف هو الأساس ويتحتم أن يكون ماكرا خداعا.. ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة فى أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا فى تحقيق غاياتنا».

نظرة اليهود للجوييم (الأغيار) من خلال بروتوكلات حكماء صهيون

لقد وضعت البروتوكلات المخططات الخاصة بمعاملة «الأغيار» وسنحاول إلقاء الضوء على بعضها.

لقد ورد فى البرتوكول الخامس ما نصه:

«قد يتمكن الأغيار من أن يسوسونا، ولكننا مع ذلك لسنا فى حاجة إلى الخوف من أى خطر ما دمنا فى أمان بفضل البذور العميقة لكراهيتم بعضهم بعضا. وهى كراهية لا يمكن انتزاعها».

وورد أيضا ما نصه:

«لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد ونجده فى جميع أغراض الأغيار الشخصية والقومية بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا. كل هذا تقرره حقيقة: هى أن حكومات منفردة لن تجد لها سندا من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضمنيا».

وكلنا نتابع يوميا المسلسل الدموى غير المتكافئ الذى يحارب فيه جيش منظم شعبا أعزل معظمه من الشيوخ والنساء والأطفال، بأحدث الدبابات والطائرات والصواريخ الموجهة من الطائرات المروحية، وتتساقط جثث المدنيين الذين لاحول لهم ولا قوة فى كل اتجاه، حرب ضروس تحرق الأخضر واليابس على مسمع ومرأى من العالم كله. كل هذا لم يأت من فراغ.

فقد ورد فى البروتوكول ما نصه:

«ما أبعد نظر حكمائنا القدماء حينما أخبرونا أنه للوصول إلى غاية عظيمة حقا، يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل، وألا نعتد بعدد الضحايا الذين يجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية، لم نعتد قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأغيار».

أما موت العجائز والنساء والأطفال من غير اليهود لا يعيروه أدنى اهتمام، الفكر تلمودى والسياسة الشارونية حفظت البروتوكلات عن ظهر قلب حيث ورد فيها:

«كل إنسان لابد أن ينتهى حتما بالموت، والأفضل أن نعجل بهذه النهاية للناس الذين يعوقون غرضنا».

وهذا الصلف اليهودى الصهيونى نابع مما غرسه فيهم حاخاماتهم بأنهم الشعب المقدس، شعب الله المختار، وأن العالم خلق لهم وبهم، ولولاهم ما خلقت السموات والأرض، وأن خلق الإنسان على صورتهم، كى يكون جديرا بخدمتهم، وكل من هو غير يهودى، فهو فى منزلة البهائم.

وقد ورد هذا المعنى صراحة فى البرتوكول الخامس عشر حيث يقول:

«عقل الأغيار، ذو طبيعة بهيمية محضة، غير قادر على تحليل أى شئ وملاحظته. وهذا الاختلاف التام فى العقلية بيننا وبين الأغيار هو الذى يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله، وأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية، حين نقارن بالعقل الفطرى البهيمى عند الأغيار».

وورد أيضا فى البروتوكول الرابع عشر ما نصه:

«الأجيال القادمة ستصغى إلى تعاليمنا على دين موسى الذى وكل إلينا.. بعقيدته الصارمة راجية إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا».

وهذه هى الفكرة الأولى التى حاول التلمود أن يغرسها فى عقلية كل يهودى وقد أكد هذا المعنى الحاخام (فابيوس) فى عيد رأس السنة اليهودية عام ١٨٤٣م حيث قال: إن الدين اليهودى أفضل من جميع الأديان لأنه يحتوى على أسرار بخلاف الدين المسيحيى فإن قواعده مبنية على الجنون.

وقد ورد فى التوراة الموجودة بين أيديهم: «اسمع يا إسرائيل الرب الهنا إله واحد».

لن نبيح قيام أى دين

وقد فسر حاخامات اليهود هذه العبارة التى تتلى عند كل صلاة. أن الله المختص باليهود إله واحد بينما آلهة غير اليهود متعددة، وهذا تعصب منهم فالله واحد للجميع فهو إله البشر جميعاً - تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً.

وقد ورد فى البروتوكول الرابع عشر:

«عندما نصبح سادة الأرض - لن نبيح قيام أى دين غير ديننا. أى الدين المعترف بوحدانية الله الذى ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم».

وكى يقضوا على حكم الأغيار بعد أن يمزقوهم بالخلافات والفتن والحروب والجوع والإفلاس.

«فسوف يصرخون هاتفين.. اخلعوا حكامنا وأعطونا حاكما عالميا واحداً يستطيع أن يوحدنا ويمحق كل أسباب الخلاف وهى الحدود والقوميات والأديان والديون الدولية.. حاكما يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة اللذين لا يمكن أن يوجدا فى ظل حكومة رؤسائنا وملوكنا وممثلينا».

ويقولون أيضا:

«نحن أقوياءجدا، وعلى العالم أن يعتمد علينا وينيب إلينا وإن الحكومات لا تستطيع أبدا أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سرا».

وكم من: المعاهدات والاتفاقيات التى أبرموها مع الجانب الفلسطينى برعاية الدول العظمى وتنصلوا منها وضربوا بها عرض الحائط، والكل يتساءل لماذا؟؟

والإجابة ببساطة.. أن هذا الفكر ليس بجديد عليهم فقد ورد فى البروتوكول السابع مانصه:

«يجب علينا أن ننطوى على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات».

كما ورد أيضا:

«يجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة بإعلان الحرب على ما يجاورنا من بلاد.. وإذا غدر هؤلاء الجيران فقرروا الاتحاد ضدنا، فالواجب علينا أن نجيب على ذلك بخلق حرب عالمية».

فقد نصبوا شباك تدميرهم بعدة وسائل منها ماورد فى البروتوكول الخامس عشر ما نصه:

«الأغيار يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ونحن نوزعها جزافا بلا تحفظ، ولهذا نتركهم يظفرون بنجاحهم لكى نوجهه لخدمة مصالحنا».

«وإن الإداريين من الأغيار يؤشرون على الأوراق من غير أن يقرءوها ويعملون حبا فى المال أو الرفعة لا للمصلحة الواجبة».

وورد كذلك:

«كى نبعد الأغيار عن أن يكتشفوا أى خطط عمل جديدة لنا سنلهيهم بأنواع شتى من الملاهى والألعاب وهلم جرا، وسرعان ما سنبدأ الإعلان فى الصحف داعين الناس إلى الدخول فى مباريات شتى من كل الأنواع.. وهذه المتع الجديدة ستلهى ذهن الشعب عن المسائل التى سنختلف فيها معه».

وورد فى البروتوكول التاسع ما نصه:

«إن الأغيار كقطيع من الغنم وإننا الذئاب فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة».

وآخر ما لجأوا إليه هو تصفية الكوادر الفلسطينية المميزة نذكر على سبيل المثال مصطفى العلى أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

فقد ورد فى البروتوكول الخامس عشر:

«لاشئ أخطر من الامتياز الشخصى، فإنه إذا كانت وراءه عقول فربما يضرنا أكثر مما تضرنا ملايين الناس الذين وضعنا يد كل منهم على رقبة الآخر ليقتله».

حاخامات اليهود والإعلام

وقد ركز حاخامات اليهود على الإعلام والاقتصاد فى البرتوكولات حيث ورد ما نصه:

«إن الصحافة التى فى أيدى الحكومة القائمة هى القوة العظيمة التى بها نحصل على توجيه الناس.. إن تحقيق حرية الكلام قد ولد فى الصحافة ولم تعرف الحكومات كيف تستغل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت فى أيدينا. ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذا وبقينا وراء الستار، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب».

وورد كذلك:

يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأغيار بما يقال له الآراء العامة، التى دبرناها نحن فى الحقيقة من قبل متوسلين بأعظم القوى جميعا وهى الصحافة، وأنها جميعا

لفى أيدينا إلا قليلا لانفوذ له ولا قيمة يعتد بها ».

ولم يخف على أحد أهمية الصحافة فقد ركزوا عليها وأفردوا لها البرتوكول الثانى عشر تقريبا حيث ذكر فيه:

« فى الصف الأول سنضع الصحافة الرسمية للدفاع عن مصالحنا لأن نفوذها على الشعب ضعيف نسبيا.

وفى الصف الثانى: سنضع الصحافة شبة الرسمية وواجبها استمالة المحايد وفاتر الهمة

وفى الصف الثالث: سنضع الصحافة التى تتضمن معارضتنا.. كى نكشف أوراق أعدائنا ».

وورد كذلك:

« ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة.. من ارستقراطية وجمهورية وثورية بل وفوضوية أيضا ».

ويقول الدكتور عبدالحليم محمود ـ رحمه الله ـ:

« لقد رسموا لإفساد الإنسانية منهجا أخذوا فى تنفيذه عن طريق وسائل الإعلام ودور النشر وعن طريق المسرح والسينما، عن طريق كل كاتب مأجور وكل كاتب مغفل ».

وقد رسموا فى تخطيطهم الاستيلاء على كراسى علم النفس وعلم الاجتماع فى جامعات أوربا وأمريكا، وذلك ليفسدوا عن طريق هذين العلمين على الناس عقائدهم وأخلاقهم، وقد نفذوا مخططهم فاستولوا على ما يقرب من ٩٠٪ من هذه الكراسى، وأصبح من الدراسة الجوهرية فى هذين العلمين موضوعات:

أصل الدين. مصدر الوحى. كيف نشأت الاخلاق. مرد الاخلاق. التفسير النفسى للوحى. التفسير النفسى لعقيدة الألوهية. التفسير الاجتماعى لعقيدة الأولوهية. التفسير النفسى للأخلاق. التفسير الاجتماعى للأخلاق.

والأغيار يرسلون أبناءهم ليتعلموا هذا الإلحاد، ثم ليبشروا به عند عودتهم فى أقطارهم والغريب أنهم يؤمنون بهذا الباطل وينشرونه فى أقطارهم ليفسدوها وهم بذلك أبواق لليهود، دعاة لهم عن سذاجة وعن غفلة.

إنهم يعلنون أنهم تبنوا آراء اليهودى « فرويد » الذى يفسر كل شئ فى سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية.

ماركسى.. نيتشة.. دارون

وتبنوا آراء اليهودى « كارل ماركس » الذى أفسد على الكثيرين قلوبهم وضمائرهم وعقولهم، وألغى الأديان وهاجم عقيدة الألوهية.

وتبنوا آراء « نيتشة » الذى ألغى الأخلاق وأباح لكل إنسان أن يفعل مايؤدى الى استمتاعه ولو كان القتل أو إسالة الدماء أو التخريب وتبنوا آراء (دارون) ذلك المهرج الكبير الذى يعلن عن نظرية ينقصها الإثبات وهى نظرية الحلقة المفقودة!

تبنوا كل هذه الآراء برغم زيفها ليفسدوا العالم ويسيطروا عليه ».

وقد ورد هذا المعنى فى البرتوكول التاسع:

« لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأغيار،

وجعلناه فاسدا متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها »

وورد أيضا:

« إذا كنا توصلنا فى الأحوال الحاضرة إلى الظفر بإدارة مجتمع الأغيار إلى حد أنه يرى أمور العالم خلال المناظير الملونة التى وضعناها فوق أعينه »

وورد أيضا:

« إن الحاجة اليومية إلى الخبز ستكره الأغيار على الدوام كى يقبضوا ألسنتهم ويظلوا خدمنا الأذلاء » .

ويطمع اليهود من خلال فكرهم التلمودى وبروتكولاتهم المعادية للعالم أجمع فى السيطرة على اقتصاد العالم .

حيث ورد فى البروتوكول العشرين ما نصه:

« إن الأزمات الاقتصادية التى دبرناها بنجاح باهر فى بلاد الأغيار قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول، فتراكمت ثروات ضخمة وسحب المال من الحكومة التى اضطرت بدورها الى الاستنجاد بملاك هذه الثروات لاصدار قروض، ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات أعباء ثقيلة اضطرتها الى دفع فوائد المال المقترضة مكبلة بذلك أيديها » .

وفى البروتوكول التاسع ورد مانصه:

« لقد ضجت الشعوب بضرورة حل المشكلات الاجتماعية بوسائل دولية وإن الخلافات بين الأحزاب قد أوقعتها فى أيدينا، فإن المال ضرورى لمواصلة النزاع والمال تحت أيدينا » .

وورد أيضا فى البروتوكول العاشر مانصه:

« لقد اعتاد الرعاع أن يصغوا إلينا نحن الذين نعطيهم المال لقاء سمعهم وطاعتهم، وبهذه الوسائل سنخلق قوة عمياء إلى حد أنها لن تستطيع أبدا أن تتخذ أى قرار دون إرشاد وكلائنا الذين نصبناهم لغرض قيادتها » .

وجاء فى البروتوكول الثامن مانصه:

« إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين وهذا هو السبب فى أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسى الذى يعلمه اليهود . وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك وأصحاب الصناعات وأصحاب الملايين . . وسوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم » .

وجاء فى البروتوكول السادس مانصه:

« ضرورى أن تستنزف الصناعة من الأرض كل خيراتها وأن تحول المضاربات كل ثروة العالم المستفادة على هذا النحو إلى أيدينا » .

أليس هذا ما يحدث الآن؟!

ألم يحقق الصهاينة ما تعلموه من حكمائهم بعناية!

أما فيما يتعلق بعداوة اليهود تجاه المسيحيين أود أن أنوه إلى أن هذه العداوة تشمل كل من هو غير يهودى، وهم يخصونهم بالذكر دائما لأن الأمم المسيحية أكثر وأقوى مما عداها، وإذا انتصر اليهود عليهم ملكوا زمام سائر الاغيار .

وقد ورد فى البروتوكول الرابع ما نصه:

« لكى نحول عقول المسيحيين عن سياستنا، سيكون حتماً علينا أن نبقيهم منهمكين فى الصناعة والتجارة، وهكذا

ستنصرف كل الأمم الى مصالحها ولن تفطن إلى عدوها المشترك، ولكي تزلزل الحرية حياة الأغيار الاجتماعية زلزالاً، وتدمرها تدميراً، يجب علينا أن نضع التجارة على أساس المضاربة»

وورد أيضا فى البروتوكول الخامس ما نصه:

«إن الجماعة المعروفة لنا ويمكن أن تنافسنا فى هذه الفنون ربما تكون جماعة اليسوعيين، ولكننا نجحنا فى أن نجعلهم هزوا وسخرية فى أعين الرعاع الأغبياء وهذا مع أنها جماعة ظاهرة بينما نحن أنفسنا باقون فى الخفاء محتفظون بمنظمتنا سراً.. ما الفرق بالنسبة للعالم بين أن يصبح سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية أو أن يكون طاغية من دم صهيون؟

وورد به ايضا:

«بكل هذه الوسائل سنضغط على المسيحيين، حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دوليا.، وعندما نصل إلى هذا المقام، نستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم فى جميع أنحاء العالم وأن نشكل حكومة عالمية عليا».

بعد كل هذا أليست الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية وكيف نجح اللوبى الصهيونى فى التأثير على الولايات المتحدة الأمريكية كى ترفض موضوعين فى غاية الأهمية فى مؤتمر العنصرية الذى نظمته الأمم المتحدة فى ديربان فى جنوب أفريقية ألا وهما:

١ـ اعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية.

٢ـ حق الشعوب أو بعض الجماعات التى خضعت للممارسات العنصرية من قبل الجيوش المتحاربة فى الحصول على تعويضات مادية أو معنوية معقولة.

وقد اعتبرت إسرائيل قرارات دربان انجازاً للدبلوماسية الإسرائيلية.

ورحم الله الرئيس الراحل محمد أنور السادات الذى ألقى خطابه فى الأمم المتحدة فى ٢٩ / ١٠ / ١٩٧٥ وكان لصدى خطابه ولموقف مصر الشامخ القرار رقم ٣٣٧٩ الذى جاء فيه:

«إن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى» وأيد القرار وقتها ٧٢ عضوا ورفضه ٣٥ منها أمريكا وإسرائيل ودول السوق الأوروبية المشتركة .

أخلاق اليهود.. وأخلاق العرب

ووجه المقارنة بين أخلاق اليهود وأخلاق العرب قد عبر عنها غوستاف لوبون حيث يقول:

كيف لايكون من الإهانة للعربى أن يقاس باليهودى، ومبدأ اليهود كما ورد فى سفر يسوع:

«أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير.. وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار»

مع أن مبدأ العرب كما جاء فى وصية أبى بكر الصديق:

«لاتخونوا ولاتغلوا ولا تمثلوا، ولاتقتلوا طفلاً صغيراً ولاشيخاً كبيرا ولا إمرأة، ولاتقطعوا نخلاً ولاتحروقوه، ولاتذبحوا شاةً ولابقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة».

نصرت يا مسجد الإسراء

للشاعر:
السيد الصديق حافظ

«نقضت قريش وحلفاؤها عهد الحديبية، وغدروا بحلفاء النبي ﷺ. فأسرع «عمرو بن سالم» الخزاعي إلى المدينة ناشدا مستنجدا فبشره رسول الله ﷺ بالفتح والنصر القريب قائلا «نصرت يا عمرو ابن سالم» وقد مزجت نشيدي بنشيد «عمرو» رجاء النصر والبركة للمجاهدين بحجارة أرضهم».

إن اليـــهـــودَ أخلفـــوك الموعـــدا
«وقـــتَّلونا ركَّـــعـــاً وسُـــجَّـــدا»
«وبيَّـــتُـــونَا بالمُصَلَّى هُجَّـــدَا»[1]
والمسـجـد الأقـصى غـدا مسـتـعـبَدا
يبكى ويسـتـبكى الملا مُـسـتـنجـدا
الصـوت مـخنوق ومـذبوحُ الصـدَى
«هيَّـا عـبـادَ الله وأتوا مَـدَدَا»
«فى فَـيْلقٍ كـالبـحـر يجـري مُـزْبدا»
لا تتـركـونى خـائفـا مـهـدَّدا
إن اليـهـوديَّ الجـبـانَ اسـتـأسَـدا
لما رأى سـيـفَ الجـهـادِ مُـغْـمَـدا
لا تـأمـنوا شـرَّ اليـهـود أبدا
لن يهـدءوا حـتى يَهُـدُّوا المسـجـدا
والهـيكل المزعـوم يغـدو مـعـبـدا
يامـسـجـد الإسـراء كلنا فـدى
نفـديك لا نألو ونعم المفـتـدى
الموت فـيك اليـوم يعنى المولدا
نحـيا به فى المجـد عُـمْـرا سَـرْمَـدَا
والقـاعـدون اليـوم من خـوف العِـدا
مـوتى وإن عـاشـوا على الدنيـا مـدى
قـد أغـضـبـوا «عـيـسى» وآذواْ «أحـمـدا»
واسـتـبـدلوا بالنور وجـهـا أسـودا

(١) بيَّتونا: هاجمونا ليلاً ونحن نصلى التهجد.

مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

بيانات وإحصائيات مهمة

تدلنا إحصائيات النشر العلمى لخريطة العلمى الدولى الأكثر اعتباراً ـ من واقع بيانات معهد المعلومات العلمية ISI فى فيلادلفيا بأمريكا ـ على أن جملة مايمكن انتقاؤه من بين ٧٠,٠٠٠ (سبعين ألف) دورية علمية متخصصة هو فقط ٣١٠٠ دورية علمية، وذلك استناداً إلى الاستشهاد العلمى بأبرز هذه الدوريات Periodicals وأكثرها اعتباراً على مستوى العلم السائد عالميا Mainstream Science. واتضح أن ٢٪ فقط، أى ٦٢ دورية من الدوريات المختارة تصدر فى الدول النامية التى ينتمى إليها دول العالم الإسلامى، وأن الإنتاج العلمى فى العالم الثالث يمثل ٥,٨٪ فقط من الإنتاج العالمى، وأن الإنتاج العلمى فى مصر ـ مثلا ـ أقل من إنتاج كلية الطب فى جامعة هارفارد الأمريكية.

من ناحية أخرى، تشير أبحاث المؤتمر السابع للوزراء المسئولين عن التعليم العالى والبحث العلمى فى الوطن العربى ـ المنعقد فى الرياض بالمملكة العربية السعودية فى أبريل ١٩٩٩م تحت شعار «التعليم العالى والبحث العلمى لمواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين» ـ إلى أن عدد الأبحاث التى ينشرها عضو هيئة التدريس فى الوطن العربى لايزيد فى المتوسط على بحث واحد كل ثلاث سنوات، والغالبية العظمى من هذه الأبحاث تنشر فى دوريات محلية ولاترقى إلى المستوى الأكثر اعتباراً عالميا.

وعندما أجرت «اليونسكو» إحصاء للأربعين دولة الأكثر تقدما فى العالم فى التعليم الأساسى لم يكن من هذه الدول فى العالم الإسلامى إلا الكويت وإيران. وجاء ضمن هذه الأربعين دولة كوريا واليابان وسنغافورة وبلاد أوربا كلها والولايات

(*) عميد كلية العلوم ـ جامعة القاهرة.

المتحدة الأمريكية بطبيعة الحال. ويكفى أن نعلم على سبيل المثال أن تكلفة إعداد التلميذ بالتعليم الأساسى فى سويسرا تبلغ ١٢٠٠٠ دولار، وفى أمريكا ٨٠٠٠ دولار، وفى إسرائيل ٣٥٠٠ دولار، وفى مصر ١٧٠ دولاراً، وأن المعدل العام لتكلفة طالب التعليم العالى السنوية فى العالم العربى أقل من ٧٢١ دولاراً، بينما نجد أن التكلفة فى أعلى خمسة بلدان فى العالم تصل إلى ٩٥٧٦ دولاراً.

وإن نظرة فاحصة إلى واقع العلم والبحث العلمى فى العالم الإسلامى - من خلال ماتشير إليه هذه الإحصائيات الإجمالية - توضح لنا أن اجتياز حالة التخلف العلمى والتقنى يجب أن يصبح هدفا عزيزا على الأمة بأكملها، ولايمكن أن يتحقق هذا الهدف إلا إذا آمنت الأمة بكل مشاعرها ووجدانها بدور العلم والتقنية فى صنع التقدم، ودعت إلى الأخذ بهما بِنْيةً ومنهجاً وأسلوب حياة، انطلاقا من تعاليم الإسلام الحنيف الذى حث على طلب العلم من المهد إلى اللحد، وجعله فريضة على كل مسلم. والأمة التى تعطل أداء فريضة واجبة هى أمة تلقى بأيديها إلى التهلكة. وإذا كان علماء الدين يصنفون العلوم الطبيعية Natural Sciences ضمن الفروض الكفائية التى يحتاجها المسلمون، فليست الكفاية أن يوجد فقط من يعرف هذه العلوم، بل فى وجود العدد الكافى لتلبية الاحتياجات اللازمة للأمة. والتخصصات العلمية المختلفة ضرورية لكل مجتمع، والإخلال بأحدها يؤدى إلى الإخلال بالواجب الأعظم، وهو عبادة الله حق عبادته، وإعلاء كلمته فى الأرض. وأداء فريضة العلم طلب توفير المؤهلين الأكفاء للنهوض بالواجبات الكفائية كأحسن ما يكون الأداء بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة على أسس ثابتة. وإذا عجزت الأمة الإسلامية عن توفير كل الإمكانات التى سخرها الله فى الكون لإعزاز الإسلام والمسلمين، فإنها تكون قد قصرت فى أداء الأمانة أيما تقصير.

أسس فكرية ومفاهيم ضرورية

مما لاشك فيه أن العلم والتقنية Science and Technology من النشاطات الإنسانية التى لايمكن ازدهارها إلا إذا حظيت بالرعاية والأولوية على ما عداها فيما يتعلق بتحقيق القفزة الحضارية لمواكبة حركة العصر. ومن المتعارف عليه أن كل إنجاز تقنى يمر بعمليات تطوير متلاحقة يصبح بعدها صالحا للاستخدام على نطاق واسع، ثم يأخذ هذا الانجاز التقنى بعد ذلك فى التراجع والانحسار حتى يتقادم ويندثر بعد أن تكون هناك تقنية جديدة أرقى وأفضل قد حلت محله ويمكن ملاحظة هذه المراحل من «أجيال» أو «موجات» التقنية فى العديد من التقنيات السائدة حاليا مثل المجاهر (الميكروسكوبات) والحاسبات الالكترونية وغيرها ولاشك أن هذه الظاهرة أصبحت تؤثر بصورة مباشرة على مجالات البحث العلمى

المختلفة، وخاصة فى الدول النامية التى ترفع شعار «نقل التقنية» باعتباره إحدى وسائل اللحاق السريع بركب الحضارة المعاصرة. وهنا يأتى التدريب على أجيال التقنيات المتعاقبة فى مقدمة المشكلات التى تعترض مسيرة البحث العلمى فى هذه الدول باعتباره مهنة تستوجب الإعداد الجيد للباحثين والفنيين.

ولما كان العلم كمنهج ونشاط اجتماعى يعتبر بمثابة المحرك الضرورى لعملية النمو الاقتصادى والاجتماعى فى كل بلد متقدم، فإن حدوث اكتشافات علمية مهمة بين الحين والحين لايؤثر فقط فى طبيعة فهم الإنسان ورسم تصوراته بالنسبة للعالم من حوله، بل يؤدى أيضا إلى كشف مناطق جديدة من المعلومات والاحتمالات التطبيقية التى سرعان ما تتحول إلى وسائل وأدوات تقنية جديدة للإنتاج والخدمات. ومن هنا أصبحت التقنية تمثل المقدرة على تحويل الإبداع العلمى إلى أهداف اجتماعية مفيدة. وفى ضوء هذه المعانى ينبغى فهم رسالة العلم فى أحد جوانبها المهمة على أنها أداة أساسية لنقل التقنية إلى قوة عاملة وفعالة فى تطوير حركة المجتمع نحو الأفضل.

ولما كانت العلاقة بين العلم والتقنية عبر تاريخها الطويل علاقة متبادلة، أخذاً وعطاءً، على فترات متباعدة فى بادئ الأمر، ثم متقاربة تدريجيا بعد ذلك، فإن الناظر لطبيعة هذه العلاقة فى عصرنا يجد أنها أصبحت أكثر التحاما من ذى قبل. ذلك أن التقنية Technology ـ بحكم مقطعيها فى المقابل الأجنبى ـ أصبحت تستخدم بمعنى «علم التطبيقات العملية» ـ أى دراستها المنظمة وفق أسس وقواعد ومناهج علمية، بالإضافة إلى استخدامها للتعبير عن عملية الإنتاج التقنية. وهذا يعنى أن التقنية أصبحت قائمة على العلم Science Based Technolgy وهو تصحيح للمفهوم الشائع عن التقنية التقليدية المتضمنة فى «المهارات الحرفية» وهكذا يكون الفهم الدقيق لثنائية العلم ـ التقنية، والإلمام الواعى بالخصائص المميزة لكل من عنصريها، من المطالب الأساسية عند وضع أى استراتيجية لتنمية القدرات العلمية والتقنية.

ويقودنا فهم طبيعة العلاقة بين العلم والتقنية على النحو الذى أوضحناه إلى أهمية تفنيد مقولة «نقل تقنية العصر»، باعتبارها مقولة مضللة يظل الآخذون بها مجرد سوق استهلاكية لتصريف ماينتجه الآخرون من تقنيات متعاقبة. ذلك أن عملية نقل التقنية أصبحت من أكثر العلاقات بين الدول المتقدمة والدول النامية خطورة، وأبعدها أثراً، وأكثرها مدعاة للحذر والوعى والرقابة. وينبغى عند البحث عن سبل التنمية فى الدول النامية أن يبدأ التخطيط لإنتاج التقنية باتباع أسلوب وسط يعمل على بناء القدرة التقنية الذاتية ودعمها وتطويرها، وذلك من خلال انتقاء التقنية الملائمة المنقولة وتطويعها، مع تطوير التقنية

المحلية، وتشجيع الإبداع التقنى، على أن يتم ذلك كله فى مرحلة من التحول التقنى تحدد معالمها نظرية عامة رشيدة للبحث العلمى والتقنى كجزء لايتجزأ من استراتيجية التنمية الشاملة. وبهذا يكون تطبيق شعار «نقل التقنية أفقياً ورأسياً» من أهم عوامل الإسراع باستيعاب ما تتطلبه التنمية من أحدث التقنيات التى توفر الوقت والجهد، وعندئذ فقط يبدأ الطريق الحقيقى نحو إنتاج التقنية وتوطينها وتجديدها وتكاثرها.

تنمية القدرات العلمية والتقنية

إذا ماقبلنا الأساس الفكرى الذى عرضنا ملامحه من خلال تعريف ثنائية «العلم - التقنية»، وتحديد الطريق إلى إنتاج التقنية وتوطينها، فإن الخطوات العملية لتحقيق تنمية القدرات العلمية والمهارات التقنية من خلال التدريب المستمر يمكن إنجازها فيما يأتى:

١- فتح قنوات التدريب المستمر وتبادل الخبرة المتميزة فى مختلف التخصصات العلمية والتقنية بين الخبراء الأكفاء فى البلدان الإسلامية وخارجها.

٢- تقويم موضوعى مستمر لجدوى الدورات التدريبية التى تعقد للتدريب على تقنيات متقدمة ومعقدة.

٣- إنشاء مراكز خاصة لتطوير التقنية فى الشركات ومصانع الإنتاج يكون تمويلها من الجهود الذاتية، وهو أمر يختلف عن ما يتم فى الجامعات ومراكز البحوث التى تعنى بالبحوث الأساسية والتطبيقية، وهذان يختلفان تماما عن مراكز تطوير التقنية. وهذا التوجه ضرورى، ليس فقط لملاحقة أجيال التقنية، ولكن أيضا لإنتاج تقنيات جديدة ذات صلة مباشرة لقطاعات الإنتاج والخدمات فى كل دولة على حدة.

ويجمع بين هذه الأساليب هدف مشترك يتمثل فى تحقيق السيطرة التقنية مروراً بمرحلتين:

الأولى: السيطرة على التقنيات السائدة والقدرة على تكرارها ذاتيا، مثل تصميم بعض الأجهزة العلمية وصيانتها.

والثانية: السيطرة على الأجيال المتقدمة من التقنيات الأكثر تطوراً دون إهمال نقلها خلال المرحلة الأولى.

وفى حقيقة الأمر يوجد ارتباط وثيق بين المرحلتين. ذلك أن نشر التقنيات السائدة فى المرحلة الأولى يتم ضمن عملية إعادة الإنتاج الموسعة أفقيا، بينما تكون المرحلة الثانية ضمن عملية إعادة الإنتاج الموسعة رأسيا. فالدخول إلى التقنية المتطورة، دون السيطرة على التقنية السائدة، وبدون وجود قاعدة عريضة من المهارات والخبرات والكوادر العلمية، وبدون قاعدة صناعية عريضة سيكون محفوفاً بمخاطر عديدة بسبب عدم المقدرة الفعلية على الاستيعاب الكامل لأجيال التقنية المتقدمة، وعلى تكرار إنتاجها.

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾

سورة يسن الآية (٦٨)

الإعجاز الطبى في القرآن

هرمون « دهيا » ترياق الشيخوخة

DE HYDRO EPI ANDEROSTERONE

D.H.E.A.

للدكتور / السيد الجميلى

ما من أحد منا إلا وهو كثير الحنين إلى أيام الصبا، وحلاوة الشباب، ومرح التصابي.. شديد التأثر بذكرياته وتشوفاته وجميل أوقاته.. إنه زمن القوة والفتوة والطموح والتشوف والأمل والأحلام الوردية.

إن سلوى الشيوخ والكبار لا يمكن أن تقوى على نسيان كل هذه الذكريات الجميلة التى تستروح النفس فترة بعد أخرى، وتتأوب الروح فينة بعد فينة، فهى لا تنفك تتضيف الخوالج والخواطر كنسمة الصيف الباردة على الأفئدة المحرورة والصدور الحرجة فتترسل عليها بردا وسلاما وأمنا وأمانا.

قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾(١).

قال العلماء: ﴿ مِّن ضَعْفٍ ﴾ أى من منى. والمعنى أن الله -تعالى- خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة، وجعلكم تتقلبون فى أطوار «الجنين فالوليد فالرضيع فالمفطوم» وهى كلها أحوال في غاية الضعف.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ أى من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ أى من بعد قوة الشباب ضعف ووهن الهرم والشيخوخة.

والله -سبحانه وتعالى- يخلق ما يشاء من ضعف وقوة ومن شباب وشبيبة إلى شيبة وهرم وكهولة (٢).

يقول الإمام العلامة الطبيب الفيلسوف الفقيه المتكلم الفخر الرازى فى «مفاتيح الغيب»:

﴿ خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ أى مبناكم على الضعف، والشيبة هي تمام الضعف(٣).

---

(١) سورة الروم الآية ٥٤.

قال أبو حيان: وجعل الخلق من ضعف لكثرة ضعف الإنسان أول نشأته وطفولته، ثم حال الشيخوخة والهرم، والترداد في هذه الهيئات شاهد على قدرة الصانع وعلمه ا. هـ. البحر المحيط ٧/ ١٨٠ بتصرف.

(٢) مفاد هذا المعنى ومؤداه فى تفسير الإمام الزمخشرى، إذ يقول: هذا الترديد في الأحوال المختلفة من هيئة الى هيئة، ومن صفة إلى صفة، أظهر دليل، وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر». اهـ. بتصرف من الكشاف ٣/ ٢٢٧.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ١٣٧.

ويقول الحق - أيضا - جل شأنه :

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾(٤).

أى : ومن نعمره نرده إلى أرذل العمر(٥).

والمعنى : ومن نطيل عمره نقلبه فى أطوار منتكسا فى الخلق، فيصير كالطفل لا يعلم شيئا(٦).

يقول الإمام الزمخشرى :

﴿ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ نقلبه فيه، فنخلقه علي عكس ما خلقناه من قبل، وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم، ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال، ويرتقى من درجة الى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستوى، ويستكمل قوته، ويعلم ماله وما عليه.. فإذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبى وضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله(٧).

قال تعالى :

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾(٨).

وفى هذا توضيح وبيان لا مزيد عليه.

إن أجمل ما ورد من المأثور الجليل في هذا المقام أن على الإنسان أن يستثمر عهد الشباب وهو وقت الطلب في تحصيل العلم وتمكين الذات، وتعميق الفقه بالدين والإحاطة والإلمام بفنون الثقافة والمعارف المختلفة متى كان ذلك ميسورا ومتاحا كليا أو جزئيا وعلي قدر المستطاع.

ثم إنه من المقطوع به والمجزوم بصدقه أن من لم يأت بالواجب زمان الإمكان (أى وقت الطلب) ما كان ليأتى به زمان الإزمان (والإزمان : كناية عن الهرم والزمنى : هم المبتلون بالزمانة).

ومن أنسب ما قيل في تفسير الرازى فى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ ﴾(٩).

قطع للأعذار بسبق الإنذار، ثم إنه لما قرر ذلك وأتمه شرع فى قطع عذر آخر(١٠).

---

(٤) يسن الآية ٦٨.

(٥) قال قتادة : يصير إلى حال الهرم الذى يشبه حال الصبا، فطول العمر يُصَيِّرُ الشباب هرما، والقوة ضعفا والزيادة نقصا.

(٦) قال ابن جزى : القصد من ذلك الاستدلال علي قدرته تعالى على مسخ الكفار، كما قدر علي تنكيس الإنسان إذا هرم، راجع التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٣٢٩/٣.

(٧) الكشاف ٢٣٩/٤.

(٨) النحل ٧٠.

راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ٧٣/٢٠ ومختصر ابن كثير ٣٣٦/٢ وجامع البيان للطبرى ١٣٦/١٤ وزاد المسير لابن الجوزى ٤٦٨/٤ وفيه : قال عكرمة : من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. اهـ.

(٩) يس: ٦٠.

(١٠) التفسير الكبير ١٠٣/٢٦، ١٠٤.

● منذ زهاء إحدى وأربعين سنة وبالتحديد سنة ١٩٦٠م وعن طريق المصادفة البحتة العجيبة أمكن للبروفيسور أميل بوليو Prof. Dr. A. Polio أن يكتشف هرمون (دهيا) De hydro epi anderos-terone وهو المشار إليه بالمختصر .D.H.E.A وهذا الهرمون تفرزه الغدة فوق الكلوية فى الإنسان[11] Suprarenal Glandوفى الجسم يتم تحويل هذا الهرمون إلى اثنين من أهم الهرمونات الجنسية والتناسلية الأول : هرمون التستوستيرون (الهرمون المذكر) Testosterone Hormone

الثانى : هرمون الاستروجين (الهرمون المؤنث) Estrogen Hormone.

ولوحظ أن إفراز هذا الهرمون يبلغ الذروة من مستواه فى الدم Utmost Blood Level فيما بين الخامسة والعشرين إلى الثلاثين من العمر[12].

ثم يبدأ في الانخفاض عن هذا المعدل بعد ذلك تدريجيا .Gradually Decreases With Aging

ولفت نظر الباحثين في هذا الصدد أنه مع الانخفاض التدريجى (مع تقدم العمر) لهذا الهرمون يزداد تعرض الجسم إلي الإصابة بأمراض القلب Cardiac Diseases لا سيما أمراض الشريان التاجى Coronary Artery Diseases وكذلك مرض السرطان .Cancer

لكن المثير المدهش فى الأمر والذى لم يتوقف عنده الباحثون ونأمل أن يتوسعوا فيه هو أنه مع تساوى مخايل وتوازن البشر في مواجهة زيادة تركيز هذا الهرمون إلا أنهم يتباينون ويختلفون اختلافا جذريا فارقا بمسافات شاسعة شطون فى حالة نقصه .

وهذا التميز الفارق لابد أن يكون مرجوعا ومعزوا لعناصر ودوافع عضوية أو هرمونية علي الأرجح وعلى الأغلب، لكنا نرى هذا الأمر محتاجا مزيدا من التحقيق البحثى والاستقصاء التجريبى، والمتابعة المختبرية .

فعلا لقد أحسن الدكتور بوليو ووفق توفيقا مذهلا باكتشافه سلفات (الدهيا) D.H.E.A. Sul-phate إذ فتح بابا من أهم أبواب البحوث العلمية فى عالم الهرمونات والغدد .

لقد بدأت الدراسات العملية Clinical Studies علي هذا الهرمون بادي الرأى (كما هو العرف السائد فى القضايا الطبية) علي الحيوان حتي إذا ما تم تقويم دور الهرمون في جسم الحيوان وحتي تتم إزاحة الستور والغدائف والأسجاف وإماطة اللثام عن احتمال وجود أخطار وأضرار جانبية مؤذية ضارة من عدم ذلك – يعمد الباحثون فى المرحلة التالية على الإنسان في حرص بالغ، وحذر شديد، وتربص فائق.

لقد بلغت التجارب على الإنسان بخصوص هذا الهرمون ذروتها منذ زهاء خمس سنوات أو يزيد قليلا (زهاء سنة ١٩٩٥م) .

كان مدار الأمر ومناط البحث والتحرى حول محور العلاقة بين هرمون الدهيا والشيخوخة وقد

---

(١١) ووجد كذلك من مفرزات الغدة فوق الكلوية فى حيوانات التجارب كالقردة والفئران.

(١٢) تبلغ نسبته فى الشباب اربعة اضعاف ٤ folds نسبته فى الرجال والنساء بعد سن الستين.

لوحظ تأثير هرمون الدهيا على الشيوخ المسنين إذ إنه بإعطائهم جرعة من هذا الهرمون تقدر بخمسين ملليجراما (وقد تصل إلى مائة ملليجرام) يوميا لوحظ معها تراجع عوارض ومخايل وعلامات الشيخوخة المتقدمة لكن لا يتحقق هذا الناتج إلا بعد الانتظام على هذه الجرعة لمدة ستة أشهر على الأقل، وقد تستمر لمدة عام كامل.

ثم إن الثابت أن القلب أبدى ارتياحا ونشاطا ملحوظا مع انتعاش جهاز المناعة، وزيادة المقاومة للأمراض المعدية ولا سيما الفيروسية مع سرعة التئام الجروح.

إن التراجع الظاهر لعلامات الشيخوخة Regression of Senility Manifestations إنما هو دليل معتبر وإقرار صريح لقوة فعالية هذا الهرمون فهو ينشط جهاز المناعة Immuno stimulant فضلا عن تنشيط الذاكرة والتذكر وعلاج النسيان الذى يلازم الشيخوخة المتقدمة عادة Treat Senile Remote and Recent Amnesia وهى تشكل مشكلة معقدة في أغلب الأحيان والمثير للدهشة اللافت للنظر أن تجاعيد جلد الكبار سرعان ما تختفى مع الاستمرار على هذا الهرمون بالجرعة ٥٠٠ مجم يوميا لمدة ستة أشهر. وهذا هو المبتغى المقصود، والمراد المستهدف عند الكثير من الناس لا سيما النساء.

بيد أن تأثيره الظاهر في تحسين القدرة الجنسية وزيادة الرغبة Amelioration of Sexual Ability and Sexual Desire إنما هو مجرد رصد لمظاهر التأثير الهرموني لكن ميكانيكية التفعيل Mechanism of Action لا تزال مجهولة Uptill now still unknown وغير معروفة الكيفية علي وجه الدقة والتحديد.

إلا أنه لا يمكن اعتباره بديلا للفياجرا Not Alternative to Viagra وذلك لأسباب عديدة يطول شرحها ولا مجال لبسط القول فيها الآن. أما عن الأخطار المرصودة والمتوقعة التى تلابس هذا العقار، وتجعل استعماله لا يخلو من الحرج بل فى أشد الاحتياج إلى التحفظ وإجالة النظر مع وجوب إخضاع العلاج به إلى الاخصائيين من الأطباء المعالجين، وذلك لخطورة العلاج العشوائى غير المنضبط.

أهم أخطار هذا العقار إمكان تعرض الإنسان لسرطان الكبد Hepatoma وتضخم البروستاتا Senile Prostate (Hypertrophy) وسرطان الثدى Breast Cancer وسرطان البروستاتا Cancer Prostate.

لكن على أى حال فإنه لا ضير ولا مشاحة فى إعطاء هذا الهرمون بجسارة وبدون أدنى تردد أو تقاعس وبلا مخافة أي من هذه المضاعفات والأضرار الجانبية فى حالة العلاج التكميلى لاستكمال النقص فى الهرمون إذا كانت الغدة فوق الكلوية عاجزة عن الوفاء بالقدر المطلوب للمستوى الطبيعى فى الدم Replacement Theraphy Due to Supra renal Failure.

هذا الانتقال بالإنسان من مرحلة الضعف ثم إلى طور القوة والفحولة، ثم الانتهاء بالوهن والضعف الأشد، هذه الأطوار الثلاثة تختلف في توصيفها وأحكامها وقوانينها.. وكل ذلك بتقدير القادر، وإبداع الخالق البارئ المصور الذى أحسن كل شئ خلقه.

والحمد لله رب العالمين.

من قارة إلى قارة

طارق بن زياد فى طريقه إلى الأندلس

للشاعر المهندس/ على محمود طه(١)

أشباحُ جنٍ فوق صدر الماء ** تهفو بأجنحةٍ من الظلماءِ ؟
أم تلكَ عُقْبان السماء وثَبْنَ من ** قُننِ الجبالِ على الخضم النائى ؟
لا ، بل سفينٌ لحُنَ تحت لواء ** لِمَن السفينُ تُرى وأىُّ لواءٍ ؟
ومَن الفتى الجبَّارُ تحت شراعها ** متربصا بالموج والأنواءِ
يُعْلى بقبضته حمائلَ سيفه ** ويَضُم تحت الليل فضل رداءِ
ويُنِيلُ ضوءَ النجم عالى جبهةٍ ** من وسْمِ «إفريقية» السمراءِ
ذهَبٌ ببوتقة السّنَى من ذوبه ** مَسَحَتْ مُحيَّاه يدُ الصحراءِ

(١) اشتهر بشعره العاطفى والوجدانى والتاريخى وهذه نفحة من شعره، والقصيدة نقلا عن ديوان الشاعر ص ٥٠٣ دار العودة ببيروت.

لونٌ جلتَ فيه الصحارَى سحرهَا ** تحت النجوم الغُرِّ والأنداء
وسماءِ بحر ما تطامنَ موجُهُ ** من قبلُ لابن الواحة العذراءِ
بحرٌ أساطيرُ الخيال شطوطُهُ ** ومسابحُ الإلهامِ والإيحاءِ
ومدائنٌ سحْريَّةٌ شارفنَهُ ** بنَخيلها وضفافها الخضراءِ
ومعابدٌ شمٌّ، وآلهةٌ على ** سُفُنٍ ذواهبَ بينهنَّ جوائى
أبطالُ «يونانٍ» على أمواجه ** يطوون كل مفازةٍ وفضاءِ
يتجاذبون الغارَ تحت سمائه ** يتناشدون ملاحمَ الشعراءِ
مازال يرمى «الرُّوم» وهو سليلهم ** ويُديلُ من «قرطاجة» العصماءِ
حتى طلَعْتَ به فكنت حديثهُ ** عجباً ! وأىُّ عجائب الأنباء
ويسائلونَ بكَ البروق لوامعاً ** والموجَ فى الإزبادِ والإرغاءِ
من علَّمَ البدوىَّ نشر شراعها ! ** وهَداهُ للإبحار والإرساءِ !
أين القفارُ من البحارِ وأين من ** جنِّ الجبالِ عرائسُ الدأماءِ ؟
ياابن القِبَاب الحُمر ويحك ! من رمَى ** بكَ فوق هذى اللجّة الزرقاء ؟
تغزو بعينيك الفضاءَ وخلفَهُ ** أُفُقٌ من الأحلامِ والأضواءِ
جُزُرٌ منوَّرَةُ الثغور كأنها ** قطرات ضوءِ فى حفاف إناءِ
والشرقُ من بُعْدٍ حقيقةُ عالمٍ ** والغربُ من قُربٍ خيالةُ رائى

ضحكت بصفحته المُنى وتراقصتْ ** أطيافُ هذى الجنَّةِ الخضراءِ

ووَثبْت فوق صخورها وتلمَّست ** كفَّاكَ قلباً ثائرَ الأهواءِ

فكأنما لك فى ذُرَاها مَوعِدٌ ** ضرَبَتْهُ أندلسيَّةٌ للقاءِ!

ووقفت والفتيانُ حولكَ، وانبرتْ ** لكَ صيحةٌ مرهوبة الأصداء

هذى الجزيرةُ إنْ جهلتم أمرَها ** أنتمْ بها رهطٌ منَ الغُرباءِ

البحرُ خلفى والعدوُ إزائى ** ضاعَ الطريق إلى السفين ورائى!!

... وتلفَّتُوا فإذا الخضمَّ سحابةٌ ** حمراءُ مُطبِقةٌ على الأرجاء

قد أحرقَ الرُّبانُ كلَّ سفينةٍ ** من خلفهِ إلا شراعَ رجاءِ

ألقى عليه الفجرُ خَيطَ أشعَّة ** بيضاءَ فوقَ الصخرة الشمَّاءِ

وأتى النهارُ وسار فيه طارقٌ ** يبنى لِمُلكِ الشرق أيَّ بناءِ

حتى إذا عَبرَتْ ليالٍ طوَّفَتْ ** أحلامُه بالبحر ذاتَ مساءِ

يرعى على الأفقِ المُرصَّع قريةً ** أعظِمْ بها للغزو من ميناءِ

مَدَّ المساءُ لها على خُلجانها ** ظِلاً، فنامتْ فوق صدرِ الماءِ!

***

أصول القصة الشعرية على ضوء الخصائص العامة للقص

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

١

من المعروف أن الشعر بدأ قاصا، وأن القص بدأ هو الآخر شاعرا. وذلك فى الملاحم اليونانية القديمة.. وإذن فعودة الشعر إلى القص تعد عودة إلى الجذور، مع تفاوت مؤكد بالطبع بين الملحمة والقصة الشعرية، لأن الملحمة تتألف من مجموع من القصائد الطويلة، التى تتسم إلى مدى بعيد بالموضوعية، والسعة، بحيث تضم بين جوانحها حضارات أمة، كما أنها تعكس فعل القوى الطبيعية واللاطبيعية، وتجسد الخارق وغير المألوف، وتصور الحرب والغزو.. كما يقول «فنسنت» فى كتابه: «نظرية الأنواع الأدبية».

أما القصيدة القصصية. فتتكون من وحدة عضوية واحدة، وتغوص فى الواقع، أو فى التاريخ، أو فى الخيال، بمنطق الشعر وليس بمنطق هذه الأطر، فإن بدأت من الوسط، أو من النهاية، استرجعت رحلة الحدث فى إيماء غير مصرح إلى ما سيتم، ولم تقع فى رصد التفاصيل والجزئيات لأنها منوطة بالعبور فوقها، وإن ذكرتها وظفتها لغاية فنية إيحائية، وليس لمجرد كونها جزءا من الحدث، ثم هى تعمل على توحيد بطلها.. أى جعله واحدا.. ما استطاعت، أما الشخوص الثانويون فيأتون من خلال تداعيات الشخصية البطلة، أو سرد الشاعر، أو استدعاء الحدث، إلى آخر ما يرد من هذه السمات.

٢

وإذا كانت القصة النثرية تتناول فترة كاملة من حياة خاصة، أو مجموعة من الحيوات.. وكانت الأقصوصة النثرية تتناول شريحة أو موقفا من الحياة.. فإن هذا التصنيف يمكن أن ينسحب على القصة الشعرية، واللوحة الشعرية كذلك، فيقال: إن القصة الشعرية هى التى تغطى مرحلة من مراحل الحياة خاصة، أو مجموعة من الحيوات.. بينما تكتفى اللوحة الشعرية بالتركيز على شريحة حياتية، أو موقف من الحياة.. على أن نسلم بأن هناك فرقا بدْئياً بين طبيعة القصة النثرية، وطبيعة القصة الشعريةوأيضا بين طبيعة الأقصوصة النثرية، وطبيعة اللوحة الشعرية.. فإذا كان منطق الحبكة، أو منطق التسلسل الطبيعى أو الحتمى، يحكم أحداث القصة النثرية.. وكان منطق العلاقات القائمة بين الشخوص، وتصويرها من الداخل، والتركيز فيها على وحدة التأثير، يحكم سياق الأقصوصة النثرية.. فإن القصة الشعرية تتعالى على تواتر الربط المنطقى، وأيضا على نمطيته، وتبدع لنفسها- من خلال لغة الشعر المليئة بإمكانات التصوير، والتشكيل، والإيقاع- منطقها وروابطها.. وكذلك تبدع اللوحة لنفسها علاقات وعوالم وتأثيرات خاصة، من خلال لغتها الشعرية المليئة بإمكانات التناقض، والرمز، وإشاعة الإيحاء حتي فى المتعين والمحدود.. ثم هما- أعنى القصة النثرية والأقصوصة النثرية من جهة.. والقصة الشعرية واللوحة الشعرية من جهة أخرى- يلتقيان فى محاولات نقل المتلقى إلى قلب الفعل القصصى، والولوج به إلى العالم المموه الخاص بالقص، ووضعه على صعيد الإحساس بإمكان حدوث ما يحدث، وإمكان وجود من يحدث الحدث، أى إمكان حدوث ما يرى، وإمكان وجود من يرى.

٣

وإذا كان القص النثرى لا ينقل الواقع كما هو، بل ينتخب منه ما يفسر هذا الواقع على ضوء خبرة القاص التقنية، وليس على ضوء تعينات هذا الواقع وواقعيته، فإن القص الشعرى بألوانه: «القصصية.. واللوحية.. والحوارية» ينتخب من هذا الواقع المنتخب، أى أنه يقوم بعملية تقطير للواقع حتى يستصفى منه جواهر الأشياء وجواهر العلاقات.. وعلى قدر ما يحقق القص الشعرى لذاته من قدرة على فك تركيب هذا الواقع، وإعادة تركيبه من جديد، أى من خلال رؤية شعرية خاصة، فإنه مطالب بأن يبقى فى القصة واللوحة والحوارية على إحساس ما بواقعية الواقع المصور، محورًا، ومموًّها، لا يهم.. لأننا كما نشترط فى القص أساسية الخيال المبتكر، ،نشترط فيه كذلك واقعية الحدث، وواقعية الشخوص، من خلال تصميم فنى يدمج هذه العناصر دمجا طبيعيا ومدروسا معا، فقد يوجد الخيال الفج، أو الواقعية الحرفية غير الفنية، أو التقنية المحلقة فى خواء غير الواقعى، ويستحيل معها وجود العمل القصصى الحقيقى، لغياب التصميم الفنى الذى هو شرط الوجود لهذا العمل المنشود.

٤

ثم إن الشاعر القاص مطالب بأن يقنعنا- وهو يتحدث عن جزء من الحياة- بأنه يتحدث عن الحياة كلها، وهذا الفعل الفنى يستلزم أن يكون الشاعر على خبرة فائقة بتجربته شكلا ومضمونا، وأيضا على خبرة فائقة بطبيعة الواقع الحيوى، حتى يحقق هذا الشمول من خلال هذا التعين.

٥

ولا ينبغى أن ننسى أن لغة القصة النثرية هى إلى مدى ما «لغة توصيلية» مهما بالغ القاص فى تأنيقها وتجميلها.. بينما تظل لغة الشعر القصصى «لغة تشكيلية» مهما حاول الشاعر الاقتراب بها من منطق الحدث. أم من منطق الشخوص، أى من منطق الواقع، لأنها أساسا لغة مقصودة لذاتها، وإن كانت تتأدى إلينا من خلال حدث وشخوص وأجواء معينة.

٦

وكما تلوح الحبكة فى القصة النثرية مقيدة بسببية الربط، وتسلسل الوقائع، فإنها تلوح فى القص الشعرى غير مقيدة إلا باللغة القادرة على تخييل الواقع، وإقناعنا بأن مشعَّث هذا الواقع مجتمع، ولا معقوله معقول، ونعنى باللغة هنا اللغة الشعرية التى تحمل فى ذاتها مبرر وجودها الجميل، والتى تستعيض عن خلق «السببية» بخلق «المشاعر» وعن تجسيد «التناغم فحسب» بتجسيد «التناغم فى التناقض»وبينما يتحتم على القاص الناثر أن ينقل تجربته مجسدة فى حوادث وشخوص وصراع، على نحو من الصفاء والوضوح والصدق والواقعية، يتحتم على القاص الشاعر أن ينقل تجربته مجسدة كذلك فى حوادث وشخوص وصراعات وواقعية، ولكن على نحو من التظليل والرمز والإيحاء بشرط أن لا يستحيل كل أولئك إلى نوع من الغموض الحاجب لجوهر ما يعنيه الشاعر من هدف نهائى.

٧

وتعد الشخصيات فى العمل القصصى محورا من أهم محاوره الصميمة، فهى التى تنهض بعبء الأحداث، وتتفتح عن كنوزالمعارف النفسية، والاتجاهات السلوكية، والقدرات العقلية، والاستجابات التى لا تنتهى.. وقد تكون الشخصية القصصية نمطية تحمل خصائص الشخصية الإنسانية من غير تحديد، ومثل هذه الشخصية يمكن أن تقبل فى القصة الشعرية أكثر مما تقبل فى القصة النثرية.. وقد تكون شخصية لها خصوصيتها، ومثل هذه الشخصية يمكن أن تقبل فى القصة النثرية أكثر مما تقبل فى القصة الشعرية.. لأن القصة فى الشعر تعنى بالتكثيف والرمز.. بينما تعنى القصة فى النثر بالتفصيل والتحليل.. كما أن من حق القاص أن يتدخل فى رسم الشخصية هنا وهناك، أو يظل مراقبا لها ويدعها هى التى تنهض بمهمة الكشف عن عواطفها وميولها، أو يترك للشخصيات الأخرى عملية التعليق على الشخصية المحور، وعلى ما تلقاه من أحداث وصيرورة ونتائج.

٨

وكما يتمايز القص النثرى والقص الشعرى من خلال كثير من خصائصهما الفنية كما رأينا، فإنهما يلتقيان كذلك فى كثير من الملامح والخصائص: فهما يشتركان مثلا فى الحرص الدائب على تطوير الحدث والشخصية من خلال احتكاك الشخصية والحدث بالعالم الخارجى المحيط، عبر سلسلة من التقاطعات والتوازيات والتأزم والانفراج، بحيث يبقى المتلقى فى حالة ترقب دائم.. وهما يفعلان ذلك من خلال اختيارهما لطريقة السرد، وخلق اللغة الفنية المواتية، وتكثيف الحركة المساعدة على إبراز عضوية السياق، وكما يكون التكثيف فى الحركة البسيطة يكون فى الحركة المعقدة، ،وكما يتحقق فى إشباع المتلقى يتحقق كذلك فى مماطلته ومراوغته.. ويلعب القاص فى ذلك على عنصر الوعى، أو التداعى، أو المنولوج الداخلى، أو تكرار الشخصيات، أو الشخصيات الثانوية التى تمثل الجو، أو تضئ الشخصية الرئيسية، أو تعلق على الحوادث والشخصيات.. على أن يحرص القاص في كل أولئك علي سببية الانتقال من موقف إلي موقف، أو سببية الربط بين الحدث والمحدث فى القص النثرى، وعلى الإيهام بذلك فى القص الشعرى، إلا إذا أراد القاص لشخوصه أن يتحركوا من خلال قدرية معينة، أو عفوية معينة، على ما بين ذلك من فروق.. ويتعامل القص النثرى والقص الشعرى جميعا مع الحبكة ذات الموضوع الواحد، والحبكة ذات الموضوعات المتراكبة، بشرط أن نحس فى الحبكة ذات الموضوعات بأن كل موضوع يرشح على الموضوع الآخر، ويؤثر فيه ويتأثر به، بيئة وشخوصا وأحداثا.. كذلك يبدو أنهما معا يستطيعان صياغة هذه الحبكة فى أى شكل شاءا: سردا، أو ذكريات، أو رسائل.. ولكن يبدو أن الذكريات، أو الوعى، أقرب إلى طبيعة الشعر منها إلى طبيعة النثر، لأن الشعر فن يتحرر بالضرورة من السببية والمنطقية وحرفية الواقع، فالخواطر التى يصغى إليها الشاعر لا تجئ مرتبة، ولا منطقية، ولا ملتزمة قواعد اللغة اليومية، بل تجئ هادرة ومتلاطمة ومتداخلة ومنسابة، وهنا لابد للبطل أن يتردد من الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل، بلا تخلف، على أن يتم ذلك فى حضور من الواقع دائما، وإن كان هذا الحضور الواقعى يمكن أن يظل على مسافات من الفعل القصصى الشعرى بالذات.. وينبغى للنوعين معا أن يحافظا على إيقاع العمل القصصى، وأن يضبطا حركته بين الإسراع والإبطاء، وأن يجيدا كيفية دفع أمواج القص إلى الجيشان، وقصرها على الريث والأناة، كلما دعت حاجة السياق إلى مزيد من الجيشان أو إلى مزيد من الريث، وقد تدعو الحاجة إلى زواج الريث والجيشان فى لحظة واحدة، ليشعلا نوعا من التناقض أو نوعا من التوتر المنشود فى موقف معين.. ومن حق كل نوع من النوعين كذلك، أن يستخدما فى قص ما خدث ضمير المتكلم، أو ضمير الغائب، وفى الحالتين يمكن الإحالة على الماضى، والمضارع ، والمستقبل، وعلى الشخوص الرئيسية والشخوص الثانوية، وعلى المكان المسرح والمكان المناخ، وعلى الحادثة المحور والحوادث الرافدة.. إلى آخر ما يمكن إيراده من خلال هذه الصيغة الفنية.

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

بين ضيف ومضيف

أضاف رجل آخر فأطال فى زيارته حتى أمسى الليل، وأظلم البيت، فقال الضيف: يا صاحبى أين السراج فقد أظلم البيت؟

فقال المضيف: إن الله –تعالى– يقول:

﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ ﴾(١).

كنت .. فبنت

لما بنى الحجاج على هند بنت المهلب، علم قبل الدخول بها أنها تزوجته على كرهٍ منها إلى حد أنها أضمرت له السوء، فطلقها وقدم لها على يد رسول نفقتها الشرعية، وقال الرسول على لسان الحجاج: إن الأمير يقرئك السلام ويقول لك: «كُنْتِ .. فبِنْتِ». فقالت هند بنت المهلب للرسول: قل للأمير: والله كنا فما فرحنا، وبنَّا فما ندمنا، وهذا المال الذى جئت به إلينا ثمنا منا لهذه البشرى.

جواب .. مسكت

دخل أبوحنيفة على المنصور فى مجلسه، وكان فيه أبوالعباس الطوسى وهو سيىء الظن فى أبى حنيفة، وبيّت النية على إحراجه، فقال له: يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يأمر الرجل بضرب عنق الرجل، وهو لا يدرى شيئا، أيضرب عنقه؟، فقال أبو حنيفة: يا أباالعباس: أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل؟ فقال أبوالعباس الطوسى: إنما يأمر بالحق

فقال أبوحنيفة: أنفذ الحق حيث كان، ولا تسأل عنه؛ فألجمه، وأفحمه.

وقال: لقد حاول أبوالعباس أن يوثقنى فربطته.

حقيقة

قال رجل لحكيم: كيف حال أخيك، وكان مريضاً، فقال الحكيم: إن أخى قد مات، قال الرجل: وما سبب موته؛ فقال الحكيم: حياته.

(١) سورة البقرة الآية (٢٠).

عبادة الله

إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار.

وإن قوما عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد.

وإن قومنا عبدوا الله شكرا، فتلك عبادة الأحرار.

أنت أمير الشعراء غداً

قال البحترى: قال لى أبو تمام بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم فأنشدنى شيئا منه، فأنشدته. فقال لى: كم أعطوك؟ فقلت: كذا، فقال لى: لقد ظلموك، وما وفوك حقك والله، فإن بيْتاً منها خير مما أخذت، ثم أطرق قليلا فقال: لعمرى لقد مات الكرم، وذهب الناس، وغاضت المكارم وكسدت أسواق الأدب، أنت والله يا بنى أمير الشعراء غدا بعدى، فقمت فقبلت رأسه ويديه، وقلت: والله إن هذا القول أسّر إلى مما وصل منهم.

حقاً

وكل كسر فإن الله يجبره
وما لكسر قناة الدين جبران

أصعدت الغرف؟!

قال رجل من العرب: رأيت البارحة الجنة فى منامى، فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟ فقيل لى: إنها للعرب. قال له رجل من الموالى: أصعدت الغرف؟ قال: لا.. قال: تلك لنا.

لماذا لا تخالط الناس؟!

سئل إبراهيم بن أدهم: «لماذا لا تخالط الناس؟»

فقال: إن صحبت من هو دونى آذانى بجهله، وإن صحبت من هو فوقى تكبَّر علىَّ، وإن صحبت من هو مثلى حسدنى.. فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملل ولا فى وصله انقطاع، ولا فى الأنس به وحشة.

دعاء

يا أكرم الخلق ما لى مَنْ ألوذ به
سواك عند حدوث الحادث العمم

الأسرة ومكانتها في الإسلام

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

(١) أكتب عن الأسرة ومكانتها فى الإسلام، لما نراه اليوم من أحداث وخيانات أسرية، ولما نقرؤه من حض على السير وراء دعوات التحرر من كل قيود الدين والأعراف الاجتماعية والأخلاق الإنسانية.

وتقف الأسرة المسلمة اليوم فى مهب الريح والعواصف، حين تخرج عن أحكام الدين وتقلد النظم الغربية فى البناء الاجتماعى الذى أدى فى الغرب إلى تفكك الأسرة، وضياع الأبناء، وحيرة الشباب، وفقدان الانتماء.

إن الأسرة هى الدعامة القوية للوطن وهى الخلية الأولى فى جسم الأمة، وإصلاح الأسرة إصلاح للوطن جميعه، شبابه وشيوخه، رجاله ونسائه، آبائه وأبنائه.

ولقد عنى الإسلام بالأسرة عناية كبيرة وحددت التشريعات الإسلامية كل الحقوق والواجبات لكل فرد فى الأسرة، ووضحت المسئوليات الملقاة على كل إنسان فى الأسرة، ونظمت الحقوق والالتزامات التى لا غنى لهذا البناء الأساسى والنسيج البشرى عنها، مما يكفل سلامة الدعائم وقوة البنيان، والحياة الطيبة المباركة للفرد والأسرة والمجتمع، ليكون كل فرد من أفراد الأسرة عضوا سليما صالحا، يؤدى وظيفته فى الحياة أداء كاملا.

والتشريعات الإسلامية للأسرة من زواج وطلاق ونفقة وهبة تعالج أمورا سداها ولحمتها العاطفة والشعور والإحساس الوجدانى العميق، وتقوم أكثر ما تقوم على الاختيار السليم البعيد عن الإكراه والجبر، والعماد فى ذلك كله على الإيمان والخلق الكريم والعقيدة الراسخة، وتقوية الوازع الدينى فى نفوس أبناء الأسرة، ومحاربة النزعات الفاسدة والرغبات الآثمة وعلى الدعوة إلى اتباع تعاليم الإسلام، وإرشادهم إلى سواء السبيل.

٢

والأسرة فى الإسلام نسيج واحد لا تباين بين ما يضمه هذا النسيج، وما يحتويه هذا البناء وميزته قيامه على الشرف والعفة والطهارة، وعلى الصدق والتعاون والحب والألفة والمودة والأمانة والإخلاص، ومراقبة الله فى كل عمل وكل حركة أو سكون.

والزواج شريعة الحياة والإسلام، وبداية للتكوين الأسرى والاجتماعى وأمل يطوف بخلد الأبناء، بنين وبنات، وفى الزواج دعم للأسرة، وتجديد لنسيجها وحفاظ على كيانها البشرى الإنسانى، ويرى أكثر الفقهاء والأئمة أن الزواج سنة محكمة وفريضة واجبة، على كل من يستطيعه، وإذا خاف الشاب الفتنة والانحراف أصبح الزواج أمرا حتما، وشريعة لازمة أما الذين يأنسون إلى العزوبة ويرجئون الزواج فهم الذين تمردوا على سنة الحياة وفطرة الإنسان.

وآيات الكتاب الكريم، وأحاديث السنة النبوية الشريفة، مملوءة

بالدعوة إلى بناء الأسرة وإرساء قواعدها على العطف والتعاون، للقضاء على فوضى الانحراف والفساد، وفوضى الاختلاط الذميم، وتهيئة الحياة الهانئة السعيدة لأبناء الأسرة ولشتى أفرادها، فى جو من المودة والتراحم والخلق الشريف، والطاعة لأوامر رب العالمين.

وظاهرة زواج المسلم بغير المسلمة من الكتابيات ظاهرة مؤسفة اليوم كل الأسف ولا خلاف بين أئمتنا فى أن هذا الزواج مذموم.

وحق الزوج على الزوجة كبير حتى لتقول أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – : سألت رسول الله ﷺ : أى الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال صلوات الله عليه «زوجها[(١)]».

وبرواية إلى أبى هريرة ومعاذ وعائشة وغيرهم أن رسول الله «ﷺ» قال: «لا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدى حق زوجها»[(٢)].

وما شرع الزواج إلا ليكون وسيلة إلى تكوين أسرة تكفل لأفرادها المودة والسكن والتراحم، ويقوم رب الأسرة بأداء ما عليه من واجبات نحوها، وتقوم الزوجة خير قيام بواجبها نحو أبنائها ونحو زوجها ونحو من تضمه جوانب بيت الأسرة والإسلام ينهى عن كل ألوان الفساد التى تهدد كيان الأسرة بالتفكك والانهيار، من اختلاط ذميم، وسفور فاحش، وخيانات زوجية محرمة.

وأمامنا الكاتبة الأمريكية مارجريت ماركوس التى أسلمت وسمت نفسها «مريم جميلة» والتى أعجبها أكثر ما أعجبها فى الإسلام حرصه على الطهارة والشرف والعفة والأمانة التى تسود جو الأسرة المسلمة، وهى تندد بدعاة تحرر المرأة المسلمة فى العالم الإسلامى، وتأخذ عليهم فهمهم الخاطىء لمعنى الحرية والتحرر، على أنه الإباحية المطلقة للنساء فى الاختلاط بالرجال، حيث شئن وأنى ذهبن، وفى اختيار الأزياء الخارجة وغير المحتشمة، وفى الخروج إلى جو الحياة العامة دون ما داع يدعوها إلى ذلك، مما مزق من أواصر الروابط فى الأسرة وأدى إلى انتهاك حرمات العفة والشرف والطهارة.. وهذه الكاتبة

---

(١) المستدرك (٤/ ١٥٠ ، ١٧٥).

(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٥٦) ، المستدرك (٤ / ١٧٢).

الأمـريكيـة فى نظرتهـا هذه تقـتـبس من روح الإسلام وتعاليمه النبيلة مع أنها ولدت وعاشت قبل إسلامها حياة حرة طليقة من كل قيد وكم هى إنسانة سامية حية تدعو بإخلاص الى أن تعرف النساء المسلمات نعمة الله عليهن بهذا الدين العظيم دين الإسلام.

ويندد الدكتور الكس كاريل فى كتابه «الإنسان ذلك المجهول» بالمرأة الغربية، وانصرافها إلى مباذلها ومطامحها الخاصة ونزواتها الآثمة، وارتيادها المسارح ودور السينما واللهو بشراهة، مما قضى على الروابط الأسرية، وعلى وحدة الأسرة واجتماعاتها التى يتعلم الطفل منها الكثير من المعارف والثقافات.

إن كل نظام يساعد على هجر الأسرة أو التنفير من الزواج أو الخروج على وحدة الأسرة والروابط القوية بين أفرادها هو نظام لا يقره الإسلام الذى يفرض على المرأة أن تتعلم أحكام دينها وتشريعاته وعباداته وأن تتخذ منها منهجا لحياتها وحياة أبنائها.

ويدعو المفكر الإنجليزى برتراند راسل فى كتابه «الأخلاق والزواج» إلى دعم الحياة الزوجية بالبعد عن النظم التى تسمح بالمخالطة والمصادقة بين المتزوجين من الرجال والنساء، فى مختلف المناسبات والحفلات وما شابه ذلك، لأن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من الرجال والنساء خارج دائرة الحياة الزوجية هى سبب شقاء الأزواج وكثرة حوادث الطلاق، وليس عسيرا إحصاء أمثلة كثيرة من البيوت التى انهارت بسبب اتصال الأزواج والزوجات بغير شركائهم فى الحياة الزوجية فى مختلفة المناسبات الاجتماعية.

٣

لقد وضع الإسلام الحدود، وفصل الأمور ووضح الغوامض، ولم يبق لبس فى كل مسائل الأسرة، من زواج وطلاق وإرث وهبة ووصية ونفقة وغيرها، وقد ألزم المسلمة بكل ماشرعه من أحكام وآداب وحقوق وواجبات ومسئوليات والتزامات.

وتزعم بعض المتحررات بأن الإسلام ظلم المرأة بتشريع الطلاق وإباحة تعدد الزوجات، وبجعل المرأة نصف الرجل فى الإرث وفى الشهادة.. وهذه الدعوات كلها سفه وبعد عن الحكمة والصواب.

وإلا فلماذا أخذ الغرب يشرع الطلاق، وتعدد الزوجات أعظم وأسمى من أن يتخذ الرجل له خليلات لا يحصيها العدد.. والمرأة نصف الرجل فى الإرث لأن المرأة ليس عليها أى التزام مالى نحو الأسرة إلا إذا كان الزوج معسرا والمرأة عندها مال، فحينئذ تنفق المرأة على الأسرة من مالها ويصبح ما تنفقه دينا يلتزم الزوج بسداده عند المقدرة.. المرأة معفاة من كل التزام مالى والرجل هو المطالب بالنفقة وبكل ما تحتاجه الأسرة، فإذا أخذت نصف ما للرجل فى الميراث فلا ضير فى ذلك على الإطلاق.

إن تشريعات الإسلام للأسرة لم يصل إلى مستواها تشريعات أى دين من الأديان، أو مذهب من المذاهب فى القديم والحديث، وعدالة الإسلام فى معاملة المرأة فوق كل شبهة أو تساؤل.

٤

ولقد جاء الإسلام والمرأة ذليلة مهينة، مهيضة الجناح، مهضومة الحقوق، فرفع شأنها، وأعز مكانتها، وكفل لها أهلية كأهلية الرجل سواء بسواء، بعد أن كانت أشبه شيء بالرقيق، تورث ولا ترث، بل إن الإسلام قد فرض لها من الحقوق ما يتلاءم مع فطرتها، وحملها من المسئوليات ما هى أهل للقيام به.. وقامت أحكامه على أصل ثابت هو المساواة بين الرجل والمرأة، وإذا كان هناك شيء من الفروق اليسيرة، فإنه لم ينشأ عن كونها امرأة، وإنما نشأ عن اعتبارات حقة أخرى لا صلة لها باختلافهما فى الجنس، فأحكام التشريع الإسلامى قد خلقت من المرأة المسلمة خلقا آخر غير الذى كان من قبل، ونفخت فيها روح العزة والكرامة، وجعلتها تحس بكيانها وشخصيتها، وتدرك أن لها وضعا متساويا مع وضع الرجل، وأن لها حقوقا يلتزم بها المجتمع ورب الأسرة، وأنها كما تسعى إلى كسب الحقوق تعمل على تحمل التبعات والمسئوليات.

وحينما شعرت النساء المسلمات فى عصر الرسول بأن الرجال قد غلبوهن على المعرفة ومجالس العلم والتعليم لم يطقن صبرا على تحمل هذا الحرمان، ولم يرضين بهذه الغلبة، فذهبت إحداهن إلى رسول الله « ﷺ » وقالت له: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه، تكلمنا مما علمك الله، فاستجاب لذلك، وحدد لهن يوما يجتمعن فيه ويأتيهن رسول الله فيعلمهن مما علمه الله.

ولما فرض الجهاد على الرجال دفاعا عن الدين والوطن قالت النساء: لقد فاتنا واجب الجهاد وأجره، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا، وذهبت وافدة النساء الى رسول الله « ﷺ » تقول له: إنى وافدة النساء إليك، وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهى تهوى مخرجى إليك، الله رب الرجال والنساء وإلههن، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أثروا، وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ فأرشدها صلوات الله عليه إلى أن أعمال المرأة فى بيتها كزوجة وكأم تعدل فى الطاعة أعمال الرجال المجاهدين فى سبيل الله.

هذا قليل من كثير، وهذا الحوار بين النساء ورسول الله « ﷺ » لا يمكن أن يكون إلا لامرأة تعيش فى ظل تشريع ملأ نفسا عزة وكرامة وبنى لها شخصية كاملة، وفهمت من روح أحكامه المعنى السامى الصحيح للمساواة بين الرجل والمرأة.

ولكن الله - عز وجل - قد أراد أن تبتلى المرأة المسلمة فى آخر الزمان ببعض النساء اللواتى يرون الرقص مدنية والاختلاط الجنسى بين الرجل ومعشوقته حرية وتمدينا، وإهمال الأسرة والأبناء والجرى وراء الشهوات تحررا، ولو علمن ما فى شريعة الإسلام من الخير كل الخير للرجال والنساء وللأسرة والأبناء على السواء، بل وللمجتمع كله كافة، لوقفن عند تعاليمه، والتزمن بكل أحكامه، ولكنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

٥

على أنه لا تعرف مكانة المرأة فى الإسلام، فتاة ، وزوجة، وأما، وربة أسرة، على حقيقتها إلا بعد معرفة موقف الحضارات الأخرى والتشريعات السابقة والمعاصرة منها.

لقد كانت المرأة عند الفرس والإغريق متاعا للبيع والشراء وكان الرجل هو صاحب السلطة عليها، أبا أو زوجا، ولا أهلية لها للتصرف وفى الهند كان حقها فى الحياة ينتهى بوفاة الزوج فتحرق مع جثته، وإلا عاشت منبوذة ملعونة طول حياتها.

وفى الجاهلية العربية رأينا وأد البنات كما رأينا الابن يرث زوجة أبيه بعد وفاته، كما يرث متاعه، ويتحكم فى تصرفاتها وفى حياتها وفى القانون الرومانى كانت المرأة قاصرة لا تستقل بحقوق منفصلة عن زوجها، ولا تتصرف فى أموالها إلا بإذنه.

وفى ظل الرهبنة كانت المرأة تصور على أنها منبع المعصية والرذيلة، وجمالها سلاح إبليس الذى لا يوازيه سلاح.

وفى أوروبا إلى ما قبل عدة قرون كانت المرأة تعتبر مصدر الشرور والآثام، وخليفة الشيطان، وليس لها حق التصرف فى مالها، وكان الفلاسفة ورجل الكنيسة يتحاورون حول كون المرأة شيئا أو شخصا، وهل لها روح إنسانية كالرجل، وهل تستحق مثله الحياة الأخرى وانتهت حواراتهم إلى أن المرأة خلقت لخدمة الرجل .

وأوروبا الحديثة تبالغ فى ادعاء منح المرأة الحرية التامة دون مراعاة الالتزام، فهى حرة فى الحياة مع رجل دون زواج، وهى حرة فى ارتياد المراقص والملاهى كما تشاء، وهى حرة فى مصادقة الرجل الأجنبى عنها، ومخاللته كما تريد، وهى حرة فى أن تقف عارية فى واجهة المجلات ليتمتع الرجال بالنظر إلى جسمها نظير قروش معدودات.

أهذه هى الحرية كل الحرية التى تسعى إليها المرأة؟حرية ولا التزام من دين أو أخلاق أو عرف أو قيم إنسانية أو أعراف اجتماعية ويسمونها حرية، تدعو إليها الداعيات والداعون أبناء وبنات المسلمين، لتكون الحياة فى رأيهم مرعى للآثام والرذيلة وفقدان الذات.. أليست هذه تجارة بالمرأة أسوأ من تجار ةالرقيق؟

ومن يمن الحظ للأسرة المصرية أن تكون كل التشريعات الخاصة بها قائمة على ركيزة قوية من أحكام الإسلام وتشريعاته السامية.

إن العفة والطهارة والشرف والعرض والأنساب المصونة، انتهت من الغرب ومن أمريكا من زمن غير قصير، بل وانقرضت من شعوب كثيرة فى العالم تعيش فى ظلال المناهج الغربية.

لقد أصبح أمر الباحث عن الفضيلة وسط هذه الموجات من مذاهب العرى والشذوذ والرذيلة والفساد كأمر الباحث عن إبرة سقطت فى البحر.

سلام على من اتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ عبدالفتاح الزيات

● **السؤال من السيد / محمد عبدالعزيز جاسر .**

توفى رجل عن زوجة - أم - أخوة - أخوات - وترك شقة تمليك باسمه يسدد ثمنها على أقساط ثم مات قبل أن يقوم بتسديد باقى أقساط الشقة علما بأن زوجته كانت تشارك زوجها فى تسديد أقساط الشقة مناصفة بينهما «حسب تقدير الزوجة» .

والسؤال هو : هل تشارك الزوجة فى ملكية الشقة وبأى نسبة .

هل يتم تقدير قيمة الشقة بوقت شرائها أم بسعر اليوم .

●● **الجواب :**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ .

وبعــد :

فنجيب بالآتى : ما تركه الزوج من تركة يوزع علي الأم والزوجة والإخوة والأخوات للزوجة الربع فرضا وللأم السدس والباقى للأخوات والإخوة تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين، أما بالنسبة للشقة المذكورة تقدر قيمتها بسعر اليوم وبالسعر السارى أما ما دفعته الزوجة من الاشتراك فى تسديد الأقساط يكون دينا يقوم بسداده جميع الورثة بشرط أن تثبت الزوجة لهم بأنها شاركت زوجها فيما دفعته ويكون ذلك بالدليل الفعلى فإذا تم تقديم الدليل على صحة ما تدعيه لابد من أذن بموافقة جميع الورثة ورضاهم بذلك فإذا لم يرض الورثة بذلك قسمت بينهم التركة كما ذكر أولا .

والله أعلم

● السؤال من السيد / مصطفى السيد على خزبك / الحلمية ـ أبوحماد شرقية

رجل أساء معاملة زوجته لدرجة استحالة دوام العشرة بينهما فرفعت أمرها للقضاء فطلق لها القاضى طلقة بائنة، أستأنف الزوج حكم الدرجة الأولى فأيد الاستئناف حكم الدرجة الأولى، فلجأ الزوج إلى النقض ومزالت القضية معروضة أمام النقض والزوجة تسأل هل يحق لها الزواج بعد مضى ما يزيد على العدة المشروعة خصوصا وأنها تخشى على نفسها وتحتاج إلى إعفاف نفسها بالزواج؟.

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله

وبعـد

فإن الذى طلق هذه الزوجة إنما هو القضاء كما فهم من فحوى السؤال و لا يصح لهذه الزوجة أن تتزوج بزوج آخر إلا بعد أن يعتبر الحكم الصادر بالطلاق حكما نافذا غير قابل للطعن شرعا وقانونا وحيث إن قاضى النقض قد قبل القضية شكلا وأعادها للتحقيق فى محكمة النقض فإن هذا الحكم لا يعتبر نافذا إلا بعد حكم محكمةالنقض وبشرط أن يؤيد النقض حكم الدرجة الثانية وبالتالى فحكم درجة ثانية وهو الاستئناف كأن يؤيد الحكم أول درجة بالطلاق وبعد تأييد النقض لهذا الحكم كما ذكرنا يصبح لها أن تتزوج بزوج أخر طالما كان الحكم مؤيدا للطلاق لأن ولاية القاضى هى التى يؤخذ بقرارها والقاضى ولى من لا ولى له شرعا وقانونا.

هذا إذا كان الحال كما ذكره السائل.

والله ولى التوفيق

● السؤال من السيد / مصطفى محمود أحمد

ماحكم عمل المرأة فى محلات الكوافير وحكم المال الذى تتقاضاه وحكم إخراج الزكاة عليه؟

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله.

وبعـد

فإن عمل المرأة فيما يسمى بالكوافير إذا كان عملها فى وسط النساء بشرط أن لاتغير شيئا من خلق الله وبحيث لا يكون واصلة ولا واشمة ولا مفلجة للسن ولا مغيرة لخلق الله وبحيث لا يترتب على عملها أى إغراء أو غش يكون أجرها فى حدود العمل الحلال وإن كان على عكس ما سبق كان ما تتقاضاه حراما.

أما عمل الرجل فى الكوافير الخاص بالنساء فهو حرام مطلقا وما يترتب عليه من أجر حرام كذلك.

وأما بالنسبة للزكاة فإن تجمع لديهم مبلغاً يساوى نصابا وحال عليه الحول وجبت فيه الزكاة بمعدل ٢,٥٪ ونصاب الزكاة بما يساوى ثمن ٨٥ جراما ذهبيا بسعر العملة السائدة عيار ٢١.

وهذا وبالله التوفيق

● السؤال من السيد / سعد عبدالهادى

تقوم شركات صيانة الأجهزة المنزلية بالنصب على العملاء من حيث أن قيمة البضاعة التى تقوم بتركيبها تحاسب على أن ثمنها ٤٠٠ جنيها فى حين أن ثمنها الأساسى ٣٦ جنيهاً. فهل هذا العمل حرام أم حلال؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعــد

فنفيد بأن الشركة حينما تقول للعميل بأن ثمن البضاعة كذا والثمن فى الحقيقة غير هذا فيعتبر هذا العمل كذباً وأكلا لأموال الناس بالباطل وهو سحت وهذا الكذب من علامات المنافق الذى أخبر عنه الرسول ﷺ بقوله : «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف واذا أوتُمِنَ خان» فيجب على هذه الشركات أن تكون صادقة فى أقوالها وأفعالها لأن الصدق هو الذى ينجى الإنسان فى الدنيا والآخرة ففى الأثر «الصدق منج والكذب مرد»

والله أعلم

● تلقينا خطابا من طالب فى كلية الشريعة والقانون- جامعة الأزهر. يسأل فيه عن حكم الرجوع عن الخطبة ويقول فى خطابه : إنه من المتفق عليه فى الشريعة الإسلامية بأن قراءة الفاتحة بين أهل العريس والعروس تعتبر عقدا، فإذا ما اتضح بعد ذلك لأهل العروس سوء سلوك الخاطب وشراسة طباعه وإقدامه على بعض الأفعال التى لا يقره عليها أحد، بأدلة قاطعة، وقد أدى ذلك كله إلى فسخ هذه الخطبة، فهل هناك مسئولية شرعية تترتب على هذا الفسخ وما حدودها ؟

●● الجواب :

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فنفيد بأن السائل قد فهم خطأ حكم الخطبة، وغاب عنه وجهها الشرعى فقد جاءت الخطبة فى القرآن الكريم، وذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾(١).

ومن هذا يفهم أن الخطبة لا تخرج عن كونها اتفاق مبدئى على الرضا بالتزويج، سواء أعلن ذلك فى حفل أو لم يعلن، وهى بذلك لا تأخذ حكم العقد الشرعى الذى حددته الشريعة الإسلامية، إذ الوضع الوجودى والشرعى والعرفى للخطبة غير الوضع الشرعى والوجودى والعرفى للعقد. بمعنى أن الخطبة لا تبيح للخاطبين ما يبيحه العقد الشرعى بين الزوجين، ولعل ذلك ما يوقع بعض الناس فى خلط شديد يؤدى فى النهاية إلى حرج بين الطرفين ناتج عن السماح لهما بالاختلاط والخروج منفردين.

(١) البقرة ٢٣٥ .

وما يترتب على ذلك من قيل وقال وكثرة التساؤلات وعلامات الاستغراب.

وشريعة الإسلام لم تترك الأمر على إطلاقه للخاطبين بل وضعت لذلك ضوابط وحدود، إذ أباحت الرؤية الكريمة، والكلمة المهذبة، والفعل الملتزم والجلوس بين الأهل والأقارب، وكل ذلك فى غير إفراط.

أما العدول عن هذه الخطبة أو فسخها لأسباب تعود إلى سوء سلوك الخاطب وشراسة طباعه وتصرفاته المشينة، فإنه يكون أمرا مطلوبا شرعا، بل هو واجب حتمى حرصا على صيانة الحياة الزوجية من عبث صبيانى أو تصرف طفولى، إذ أن مراعاة الأخلاق وبناء حياة زوجية سليمة خالية من أية شائبة تشوبها، لمن أهم ما يعنى به الشارع الحكيم فى تكوين الأسرة المسلمة، والحفاظ على استمراريتها فى ظل الأسرة المسلمة الكبيرة وقد أباح الشارع الحكيم للإنسان أن يحنث فى يمينه إذا تبين له أن المصلحة والخير فى نقضه من ذلك قوله ﷺ: «من حلف على شئ يمينا فرآى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير».

فإذا كان ذلك فى اليمين، فإنه من باب أولى - يجوز فى الاتفاق هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال.

والله أعلم

● السؤال من بدر الدين حافظ

تزوجت بامراة ومعها بنتان وقمت برعاية أولادها مع أولادى فكانت دائمة المشاكل معى إلى أن ألقيت عليها ثلاث طلقات منفصلة فى عدة أعوام وقامت بالاتفاق مع أحد أقاربها بعمل محلل وتزوجت وفى اليوم الثاني للزواج طلقت وبعد أشهر/ العدة راجعتها إلى عصمتى ومنذ ذلك اليوم والبركة نزعت من بيتي فهل هذا العمل حرام أم حلال برجاء الإفادة وشكرا..

●● الجواب:

ما دمت قد طلقت زوجتك ثلاثا فلا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك زواجا شرعيا معتبرا فإذا طلقها الثانى أو مات عنها جاز لك أن تتزوجها بعد انقضاء عدتها من الثانى أما إذا اتفق الزوج الثانى مع الزوج والزوجة أو أحدهما ليطلقها لتعود للأول بما يعرف بالمحلل فإن الزواج يكون باطلا للأول والثانى

والله أعلم

***

خطبة الجمعة :

المسلمون والقدس

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله ـ عز وجل ـ دعا إلى الحق، وأمر بالصدق ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾(١)**. أشهد أن لا إله إلا الله، يحق الحق بكلماته، ويزهق الباطل بآياته:**

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾(٢).

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، كان الحق شعاره، والصدق دثاره، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٣).

(١) سورة النساء آية (١٢٢). (٢) سورة الأنبياء آية (١٨). (٣) سورة المؤمنون آية (١١).

يا أتباع محمد ﷺ :

نشرت مجلة الوكالة الصهيونية فى لندن منذ حين مقالا تزعم فيه مزاعم تضليلية كبرى يراد منها ومن أمثالها تزييف التاريخ، وتحريف الحقائق، والافتراء على الله وعلى الناس، ومن أضاليل هذا المقال أنه يزعم أن عناية المسلمين بالقدس (وهى بيت المقدس) وبالمسجد الأقصى لم تظهر إلا أخيرا، بعد التنافس بين المسلمين واليهود فى فلسطين، وهذه محاولة صهيونية وقحة لستر الشمس الساطعة بيد حقيرة نجسة، فإن المسلمين يعنون بالقدس وبفلسطين كلها منذ بزغت شمس الإسلام، ومنذ أكرم الله رسوله محمدا ﷺ فخصه بمعجزة الإسراء والمعراج، وسجل ذلك فى تنزيل إلهى لا يبلى ولا ينسى، فقال :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٤).

وبذلك كان المسجد الأقصى أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن على التصريح باسمهما، وأولهما هو المسجد الحرام وفيه الكعبة المشرفة وهذه العناية موجودة منذ قال سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدى فى المدينة، والمسجد الأقصى »(٥). ولقد ألقى الإسلام رداء الهيبة والكرامة والقداسة على المسجد الأقصى، فجاء عن الرسول ﷺ أن الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة فى غيره من المساجد، باستثناء المسجد الحرام والمسجد النبوى.

وجاء فى الفقه الإسلامى أنه يستحب الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس، للحديث الذى يقول : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه »(٦).

ومن مظاهر عناية المسلمين القديمة الموصولة بالقدس وبالمسجد الأقصى وبفلسطين كلها، أنهم خلال عصور التاريخ المتوالية لم يدعوا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بهذه الأماكن إلا تحدثوا عنها أحاديث التفصيل والتحليل والتمجيد والتخليد، وأودعوا هذه الأحاديث مؤلفات وكتبا ضخمة ألفها علماء الإسلام ومؤرخوه منذ قرون، ومنها كتاب « فضائل القدس » لابن الجوزى وكتاب « الأنس فى فضائل القدس » لابن هبة الله الشافعى، وكتاب « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » لابن سرور المقدسى، وكتاب « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلى، وكتاب « الجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى » لابن عساكر، وكتاب « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » لابن قاضى الصلت، واستمر تاليف الكتب عن فضائل القدس، وفضائل المسجد الأقصى، ومكانة فلسطين عند المسلمين، حتى العصر الحاضر، حيث نجد كتبا كثيرة فى هذا المجال من بينها كتاب « تاريخ الحرم القدسى » و« المفصل فى تاريخ

---

(٤) سورة الإسراء آية (١).

(٥) أخرجه الدارمى، والبخارى.

(٦) أخرجه ابن ماجه.

القـدس» وهمـا لعـارف العـارف الرجل المسلم المكافح. ولكن أليس من الإنصاف أيها الإخوة أو من نقد الذات أن يهمس بعضنا لبعض فيقول: هل قرأنا هذه الكتب أو بعضها؟ هل فكرنا في إصلاح خطئنا بالإقدام على قراءة بعضها؟ هل أدركنا على الأقل أن نكبة الاحتلال الصهيوني تستدعي أن نتعرف إلى حقنا، وأن ندرس تفاصيل تاريخنا، وأن نقف على قيمة تراثنا؟ يهمس بعضنا لبعض ونرجو ألا يبلغ الهمس آذان أعدائنا الآثمين وإلا اتخذوه حجة علينا، ورددوا ضدنا قول شاعرنا:

إذا أنت لم تعـرف لنفـسك حـقـهـا

هوانا بهـا كـانت على الناس أهونا

ويزعم المقال الآثم أن الشعور بأن «القدس» مكان مقدس لم يُقل عند المسلمين إلا فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين وهذا كذب وزور. لأن المسلمين ظلوا خلال العصور والدهور يشدون رحالهم إلى القدس لزيارة المسجد الأقصى بنية العبادة لله، ولإقامة شعيرة من شعائر الإسلام، وللاهتداء بهدى الرسول ﷺ، ولو قيل: إن مزيدا من العناية والاهتمام قد بدا بين المسلمين فى القرن العشرين بشأن القدس وفلسطين، لكان من الواجب تفسير ذلك تفسيرا حقيقيا صادقا، فنعلله بأن الاغتصاب البريطانى لفلسطين، مع تواطؤ انجلترا والصهيونية العالمية، ومن خلفهما أمريكا، لتهويد فلسطين، هو الذى فجر ما كان مطويا فى صدور العرب والمسلمين منذ مئات السنين، من حرص على فلسطين وخوف من مصيرها المؤلم على أيدى الصهيونية والاستعمار ولنتذكر على سبيل المثال أن اليهود حاولوا بشتى الطرق فى سنة ١٩٠١ أن يحملوا السلطان عبدالحميد على أن يفتح لهم الباب أمام سكناهم فى فلسطين، وعرضوا عليه الملايين والخدمات الضخمة التى كان محتاجا إليها، ولكن السلطان عبدالحميد رفض ذلك وقال: «إنى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين، فهى ليست ملكا لى، بل ملك شعبى الذى ناضل فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا فرقت إمبراطوريتى يوما فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حى فإن عمل المبضع فى بدنى لأهون علىّ من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتى، وهذا أمر لن يكون، فإنى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة».

يا أتباعَ محمد ﷺ:

إن الصهيونية قد كسبت أكثر ما كسبت من مغانمها الآثمة الظالمة بطول الدعاية وسعتها، فهى تروج للباطل ثم تروج ثم تروج، حتى يبدو فى أنظار الجاهلين والغافلين كأنه الحق، ونحن لا نعنى بتوضيح حقنا للناس هنا وهناك فلا يحسون به ولا يتحمسون له، فلنقرأ تاريخنا، ولنتعرف إلى حقوقنا، ولنتعرف بها، وليكن من وراء الدرس والمعرفة إيمان ومن وراء الإيمان عمل وإتقان، ومن وراء الإتقان يقين وإحسان، وما ضاع حق وراءه مطالب، والله ولى الصابرين واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

ألقيت هذه الخطبة فى يوم الجمعة الموافق ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٦٧

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان (*)

رسالة هذا العدد وردت من القارئ س.ص.ع تتضمن مشكلة خاصة به يقول عنها:
عقدت قرانى على فتاة وبعد أربعة أشهر عاشرتها معاشرة الأزواج قبل الزفاف وبعد عدة أيام من المعاشرة اعترفت لى بأنها لم تكن عذراء، فتغيرت نفسى وغضبت لذلك، ثم وجدت نفسى أميل إلى الستر عليها خاصة أنى لم أشعر أثناء المباشرة أنها ليست بكراً، وهى التى أخبرتنى بذلك من باب الأمانة.
والسؤال هو: هل فى الإسلام ما يمنع من الاستمرار معها؟ وما حكم الشرع فى هذا العقد الذى شابه هذا التدليس؟ فهل يفسخ العقد بهذا التدليس؟ وهل يلزم عقد جديد؟ وإذا انصرفت نفسى عنها وافترقنا، فما هى الحقوق المترتبة لكل من الطرفين على الآخر؟

●● وقبل الرد على هذه الرسالة أشكر الأخ القارئ على حسن الظن بمجلة الأزهر والقائمين عليها وعلى ثقته بى شخصيا حيث طلب أن أرد على رسالته، جعلنى الله عند حسن ظنه بى ووفقنا جميعا لخدمة العلم والدين.

وبداية أقول للأخ صاحب المشكلة إن الإسلام قد دعا وأكد على التحرى فى اختيار الزوجة وقد قال رسول الله ﷺ فى هذا المقام: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»(1) وتأمل كلمة «فاظفر» التى توحى بالبحث الدءوب ثم الوقوع على الضالة المنشودة بعد

(*) الأمين المساعد للثقافة الإسلامية بمجمع البحوث الإسلامية.

(1) أخرجه ابن ماجة.

طول البحث والتحرى.

وهذا التحرى يقى الإنسان من الانخداع والوقوع فى حبائل النساء لكن قدَّر الله وما شاء فعل، وهذا يا أخى قدرك وحظك. وكما قالوا: «لن يغنى حذر من قدر» ولعل الخير كل الخير فى هذا الذى قدره الله لك فما يدرى الإنسان منا مخبآت الزمان وقديماً قال الشاعر.

ولا أدرى إذا يممت أرضا

أريد الخير أيهما يلينى

أ الخير الذى أنا أبتغيه

أم الشر الذى هو يبتغينى

فطب نفسا يا أخى والخيرة فيما اختاره الله لك.

ثم إن الأعراف المرعية خاصة فى مصر تحظر مباشرة الزوجة أو الدخول بها قبل الزفاف وهذا أمر يحبذه الشرع ويرعاه ويدعو إليه حفاظاً على سمعة الأسر وكيانها فمع أن ما فعلته بمن عقدت عليها لا يعتبر زنا، إلا أنه أمر غير مرغوب فيه، وما كان ينبغى لها أن تمكنك من هذا لكن أعود فأقول، قدر الله وما شاء فعل.

ثم إن اعتراف زوجتك لك بأنها لم تكن عذراء بادرة خير تنبئ عن رغبتها فى تكوين أسرة طيبة معك مؤسسة على الصراحة والأمانة كما قلت.

ثم إن نفسك مالت إلى الستر عليها كما ذكرت، وهذا خير كبير يدل على نفس سمحة تميل إلى الخير، وهذا الستر يدعو إليه الدين ففى الحديث (إن الله حيى ستير)[٢] أى كثير الستر وقد دعانا الرسول ﷺ إلى التخلق بأخلاق الله - تبارك وتعالى - وقد دعا الدين شاهد الزنا إلى الستر وجعله أفضل فى كثير من الأحيان، منها ما جاء فى الأثر: (لو ألقيت عليهما ثوبك لكان أفضل) كل هذا فى الزنا فما ظنك إن كان مع واحدة معقود عليها، ثم لا تنس أنك شريك فى هذه الفعلة.

●● وبعد هذه المقدمات التى لابد منها نخلص إلى الاجابة عن أسئلتك وأبادر فأقول: إنه ليس فى الإسلام ما يمنع من استمرار هذا العقد، وليس ثمة ما يدعو إلى فرقة زوجتك إذا تابت توبة نصوحا وندمت على ما فعلته قبلك وأعتقد أن اعترافها لك بما لم تشعر أنت به ينبئ عن ذلك، لكن إذا لم تتب ولم تقلع عن الحرام فمن حقك أن تطلقها، بل

(٢) أخرجه أحمد وأبو داوود وغيرهما.

قال بعض الفقهاء: إن الطلاق واجب فى هذه الحالة.

أما عن سؤالك: هل هذا التدليس يفسخ العقد أم لا؟ فأقول لك: إن الفسخ غير الطلاق فالفسخ ينهى العلاقة الزوجية فى الحال ولا يترتب عليه ما يترتب على الطلاق من حق الرجعة فى الأولى والثانية فى العدة.

وقد قال العلماء: إن الرجل إذا عقد على امرأة وتبين له أنها أخته من الرضاع أو ما شاكل ذلك فذلك أمر يوجب الفسخ.

أما العيوب التى توجب فسخ عقد النكاح فقد قال المالكية: إنها بالنسبة للمرأة: البرص، والجذام، والجنون، والقرن، وهو عيب فى المرأة يمنع الإيلاج وبالنسبة للرجل أن يكون مجبوبا، أو عنينا، وزاد ابن القيم - رحمه الله - فجعل العمى والخرس والطرش وقطع اليدين والرجلين أو إحداهما مما يوجب الفسخ إذا كان الزوج لا يعلمه قبل العقد، أما إذا كان يعلمه فلا فسخ أما إذا انصرفت نفسك لأى سبب عنها وافترقتما وحدث طلاق فلها كل الحقوق التى تترتب على الطلاق من مؤخر صداق والمتعة ونفقة العدة ولك عليها حق المراجعة فى الطلقة الأولى والثانية ولك عليها أيضا ألا تبرح منزل الزوجية أثناء العدة فقد عاشرتها معاشرة الأزواج وقد قرر العلماء أن مجرد الخلوة الشرعية للمعقود عليها يوجب لها كل الحقوق السابقة من مهر ومتعة ونفقة العدة.

والخلوة الشرعية هى أن يكون الزوج والزوجة فى مكان آمن، فلا يدخل أحد عليهما وثمة أمر أرى لزاماً علىَّ أن أنبهك إليه، فلعل هذا الأمر ترتب عن زواج سابق فأنت لم تذكر فى رسالتك هل سألتها عن سبب ذهاب البكارة أم لا. ثم إن الأطباء قد قرروا أن البكارة قد تذهب بلا جماع، وذكروا بعض الأسباب لذلك كحمل شئ ثقيل أو الضرب على الظهر، فلعل البكارة قد ذهبت من زوجتك لسبب من هذه الأسباب.

هذا والله أعلم

***

فى رياض الأمل

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

أثبتت الدراسات الحديثة أن الطريقة التى تنظر بها إلى الحياة تحدد الأسلوب الذى تتعامل به مع الآخرين والكيفية التى تواصل معها رحلة العمر متعاوناً مع الآخرين لأجل مستقبل زاهر. وتفصيل ذلك أنك فى حال توقعك لأمور طيبة ونتائج حسنة تكون قد قطعت نصف الطريق نحو النجاح والعكس صحيح أيضاً. فهناك فيما يبدو علاقة طبيعية يحكمها قانون السبب والنتيجة فى مسألة التفاؤل والتشاؤم. فكلا الأمرين يمثل قوتين هائلتين تدفع إحدهما بالإنسان إلى الأمام والأخرى إلى الخلف لكن الأمر يتوقف على اختيار الشخص فكل منا عليه اختيار الطريقة التى يصوغ بها مستقبله ونظرته للأشياء.

والدنيا كما نعلم مليئة بالخير والشر وهما للإنسان فتنة واختبار. قد تملأ الأقدار قلبه بالأحزان وقد تصبح كأسه مترعة بالسعادة والهناء. قد يغمره الفرح والسرور أو يعتصره الألم والأسى فإن كان بساماً ضاحك السن ارتفعت معنوياته وتغلب على معاناته وإذا استسلم للهموم ودك الجزع حصونه القوية كان لاشك ضحية المعنويات المنهارة التى تشى بإيمان ضعيف وعقيدة واهية تنص على أن الله حين خلق العبد أمر الملك بكتب أربع كلمات :- رزقه وأجله وعمله و شقى أو سعيد. وقد دعانا رسول الله ﷺ إلى أن نكون مؤمنين بالله نتعامل مع الأمور بشكل هادئ رصين ومنهج معتدل قويم فقد كان ﷺ فى حياته محباً للمؤمنين حريصاً على تمنى الخير لهم وايصال البر إليهم. ولم يكن فاحشاً ولا بذيئاً ولا صخابا فى الأسواق وكان يحل المشاكل بالفطرة النقية والبساطة التى عهدها الكثيرون لديه، أعداؤه قبل أصدقائه حتى قال عنه أحدهم: لوكان محمد موجوداً فى عصرنا لحل مشاكل الدنيا وهو يحتسى فنجاناً من الشاى، فالقرار إذا قرارنا إما أن نعقد الدنيا فتسود فى وجو هنا وإما أن نواجهها بصدر منشرح وقلب وعقل مفتوح

فتهون الصعاب ويصبح العسير يسيراً والقليل كثيراً. واسمع معى إلى ذلك الأعرابى الذى يدعو ربه طالباً الرزق كيف كان طويل النفس فى دعائه مطمئن البال فى طلبه ملتمساً كل الوسائل الممكنة واللغة المتاحة فى طلب رزقه وكأنه يهيئ لاستجابة دعائه الأبواب فيفتح الله له الأسباب، إنه يدعو من ثقة وإشراق نفس فيقول «اللهم إن كان رزقنا فى السماء فأنزله، وإن كان فى الأرض فأخرجه وإن كان بعيداً فقربه وإن كان قريباً فأدنه وإن كان قليلاً فكثره وإن كان كثيراً فبارك لنا فيه» فأى روح وثابة تلك التى تتمسك بأهداب الأمل وتتشبث بحبال الرجاء وتتبع نور اليقين ولوكان بصيصاً من ضوء.

إننى وكل مؤمن رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالقرآن كتاباً ودستوراً نرى فى اليقين منبعاً ثراً وموردا تحلو به الحياة وتطيب فتصبح كوثراً معسولاً يروى به شاربه ويهنأ به طالبه شريطة أن تتوفر النية الخالصة والقصد السليم وتعال معى إلى الدوحة النبوية لابل حتى قبل أن يبعث الرسول ﷺ لترى كيف كانت بساطته سبباً لنشر السلام بين القبائل وحقن الدماء بين الأخوة فبعد أن تم بناء الكعبة بجهد جهيد اختلف العرب وكادوا أن تتملكهم الشحناء وتدب بينهم البغضاء لاختيار من يضع الحجر الأسود مكانه وأخذوا يتلاومون وكل منهم يذكر مآثره ويجسم مفاخره حتى وصلوا إلى طريق مسدود.

ولكن شاء الله أن ينجيهم من عثرة الرأى ويلهمهم الرشد والصواب وهو أمر يفوق شجاعة الشجعان.

فقد اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب الكعبة فيما شجر بينهم وكان الداخل لحسن حظهم هو محمد الذى كان معروفاً لديهم بالصادق الأمين فحكموه قائلين رضينا به حكماً وكان الحل السهل البسيط الذى ينبع من نفس غمرها الحب وملأها الود لكل إنسان فهى نفس تعشق الفطرة وتحب السلوك السوى إذ يفرش الأمين رداءه ويضع الحجر الأسود عليه ويأمر شيخ كل قبيلة أن يمسك بأحد أطراف الثوب ثم يأخذ هو الحجر ويضعه بيده الشريفة فى مكانه ويحسم الخلاف ويحل الوئام مكان الخصام ويزول الاختلاف بالائتلاف فأى قلب هذا الذى أفعم بالحكمة وازدهى بالنصفة فدانت له القلوب وأصبح متوجاً على عرشها الذى يبقى بعد زوال كل العروش والتيجان إننا نريد أن نعلى فى الناس كل جانب إيجابى مثمر خلاق ونجنبهم شتى مظاهر السلبية واللامبالاة، ولايحتاج ذلك منا إلى كثير من أموال ولاحتى إلى جاه عريض إنما يحتاج إلى

أناس يختارون هم بإرادتهم الحرة المطلقة أن يستثمروا أمرين اثنين: التفاؤل المستند إلى الإيمان، والنفس المحبة للخير إلى آخر مدى وأبعد حد ونحن بهذا لانقول إننا نعيش فى دنيا وردية اللون خلت من كل المشاكل وامتلأت بشتى المباهج فالدنيا مليئة بالأمرين معاً وعلى الإنسان أن يختار ويصر على اختيار يخلق منه إنساناً سوياً متوازناً قوياً أمام الصدمات لاتبطره النعمة ولايطغيه الجاه كما لاتيئسه الحاجة أو يبئسه الحرمان فالدنيا بأجمعها لاتساوى عند الله جناح بعوضة وإلا ما سقى كافراً منها شربة ماء وإن كان لابد للدنيا أن تزن عند المؤمن شيئاً وتمثل لديه قيمة وهى لاشك كذلك فالمطلوب إذاً هو شخصية متوازنة متماسكة تعطى وتأخذ تتفاعل مع من حولها باعتدال ورزانة ورسوخ قدم ولن يكون ذلك إلا بحسن الخلق الذى يبلغ حاجته فى الإسلام درجة الصائم القائم، وطريق تحقيق ذلك الهدف السامى والغاية العظمى هو أن تلين جانبك لمن تتعامل معهم.

إن تجارب الحياة توضح للمنصفين أن جوانب الخير فيها تفوق بكثير جوانب الشر فلم لا تسعى إلى الخير سعياً يستدعى فى الإنسان أجمل مافيه ويوظف فى المسلم أطيب ماوهبه الله من فضائل ومكرمات، إن الاستمساك بالتفاؤل ليس مطلباً من مطالب الرفاهية ولا دعوة إلى تضييع الوقت فيما لايفيد إنما هو فى جوهره ضرورة تستوجبها الحياة ويمليها الأمل المبنى على العمل الذى يبعد بصاحبه عن الملل، أما الأفكار السلبية المتخاذلة إن عششت فى قلب إنسان فسرعان ماتبيض وتفرخ ويغذى بعضها بعضاً حتى تخلق حول الإنسان حلقة من اليأس تجعل الدنيا فى عينيه سجناً كبيراً وصحراء قاحلة كلما حاول منها فكاكاً غاصت قدماه فى كثبانها ومازال لأنه تخلى عن الأمل أو تخلى عنه الأمل الذى لولاه ما أرضعت أم وليدها ولا ألقى فلاح بذرة فى أرضه أو سقا زارع زرعه. الأمل الراسخ إذاً مصباح يضيئ لصاحبه الطريق وينير له الدرب ويكون له فرقان يفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال.

فهل رأيت كيف يكون الأمل المبنى على عمل صالح، المستند إلى إخلاص نو راً وهادياً ودليلاً، فالإخلاص نور الدنيا وعطر الوجود يجعل للتفاؤل معنى وللتمنى مغزى صاحبه يمشى على هدى ويدعو إلى الله على بصيرة لايخبط خبط عشواء ويدرك أن الإخلاص بين العبد وربه لايطلع عليه ملاك فيكتبه أو شيطان فيفسده إنه يجعل الحياة متناغمة، إن الدعوة إلى التفاؤل والأمل والعمل دعوة تتناسب تماماً مع صريح الإيمان.

إن للكلمة المتفائلة تأثير السعد ولذا أكد ﷺ على حبه للفأل الحسن أما الأمل فى الله فقد أكدته نبوته ﷺ التى تنبعث من نفس زالت عنها الحجب وتستشرف الغيب وتتلمس النور رغم كثافة الظلمة وهول الموقف. أكد ﷺ على ذلك المعنى فى أثناء حفر الخندق، والمدينة محاصرة يحدق الخطر بها من كل مكان ويحيطها الأعداء من كل حدب وصوب حين اعترضت أصحابه- رضى الله عنهم- صخرة قوية لم يستطيعوا معالجتها فتصدى هولها ففتتها وكان فى كل ضربة يفتح باباً للأمل وطريقاً للعمل الجاد فقد بشرهم بأنه ﷺ أوتى مفاتيح اليمن والشام ومدائن كسرى وفارس. إنها النبوة التى تغرى فى الإنسان أسس الأمل فى المستقبل الواعد والتى تنفض عن الآدميين غبار اليأس لتستثمر أجمل ما أودع البارى فى عباده من طاقات خلاقة وعزائم متينة وهمماً ناهضة، انها مبادئ تربى عليها وأشرب صفوها رجال أشداء على الكفار رحماء بينهم يؤمنون إيماناً جازماً أن العجلة لايمكن أن تعود إلى الوراء أبداً وأن التقدم الإنسانى حتم لابد منه وأن الدنيا قنطرة إلى الآخرة وأن العمل الصالح فيها لايذهب هباء والمعروف جزاؤه المعروف وأن هذه سنة الله والدستور غير المكتوب:

وسنة الله التى لاتتخلف أن يستل النور من قلب الظلام وأن اليأس مهما ازدادت دوائره وتكاثرت دواماته فهى مهترئة هشة مآلها إلى الزوال طال الزمن أو قصر وانظر سدد الله على طريق الحق خطاك مثلاً إلى شخص ولد فى بيئة فقيرة معدمة جاهلة أو على الأقل أمية يسودها المرض والفقر ثم ولكى يتم البلاء يولد ذلك الشخص ضريراً إنها صورة شديدة القتامة لكن اللطيف الخبير سرعان مايحبو ذلك الشخص بلطفه فيتبدل الفقر إلى غنى وستر وكفاية والجهل علماً وفقهاً وذكاء والمرض صحة وعافية، هل كان أحد يصدق أن هلين كلير الصماء العمياء البكماء ستتعلم وتحصل على أرقى الشهادات.

وبعد فإن الله عز وجل امتن على نبيه بقوله:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾(١).

فالتفاؤ ل التفاؤل والأمل الأمل والعمل العمل.

---

(١) الضحى ٦ : ٨.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

تطلعات قارىء

للشباب طموحه وتطلعاته التى يشعر بالألم حين لا تتحقق على الوجه المنشود وهذه كلمة من الشاب الطامح / هانى محمد عبدالراضى - خريج تجارة المنصورة، التقطناها من بين أحاديث الذكريات التى أرسل بها إلى المجلة - ونأمل أن تستقر عواطفه إلى حيث يحمد المصلحون.

يقول القارىء:

كنت فيما مضى ألمس فى نفسى من المواهب والقدرات ما يحملنى على الظن بعبقريتى، والتنبؤ بمجد أدبى ينتظرنى .. لكن نوبات الإحباط والعجز التى اكتنفتنى فيما تلا ذلك من السنين قد خففت من غلواء هذا الشعور وأرغمتنى على أن أقنع من الانتصارات الأدبية المرجوة بحس نقدى عميق، أخوض به فى الأثرالفنى خوض العارف الخبير ، وأتعرف به مواضع الجمال والروعة، وأجمع به ما عسى أن يستخرج من بحره من الكنوز، والأمر الذى لفت نظرى إلى هذه النعمة الجليلة، ورفع كفى إلى السماء بطلبها ، هو ما كنت أستشعره من الدهشة لدى مطالعتى دراسة نقدية عن عمل أدبى ما، فكنت أجد الناقد ينتزع من صلب القصة معان ومقاصد خفية، وأفكارا أخرى فلسفية، لم تخطر لى على بال وكل هذا كفيل أن يعذب شخصا مثلى باليأس، ويسود الدنيا أمام عينيه.

على أن هذا الشعور بالعجز سرعان ما ينقلب سخرية مريرة عندما ألقى أصدقائى، وأتعرف على ما تكنه عقولهم من أفكار، وما تضمره نفوسهم من مشاعر ، فأشعر إزاءهم بالتفوق الذى يمنعنى من التمادى فيه شعور العجز السابق، وكثيرا ما أتصور نفسى إزاء أقرانى صرصورا وسط جماعة من النمل، فلا غرو أن يعد الصرصور فى موقف كهذا عملاقا، لكنه فى نهاية الأمر « . . . » .

وأعتقد كذلك فى شبه يقين أننى أختلف حتى عن أقرانى الذين ينزعون بطبعهم إلى الأدب، فأنا فى كتابتى أنشد أسلوبا عربيا سليما، أحاكى فيه قدر استطاعتى الأدباء القدامى الذين أعشقهم، أما الكثرة الغالبة من الأدباء والمتأدبين ، فبعضهم يحبذ الأسلوب الصحفى الهزيل لقربه من أفهام الناس.

والبعض الآخر يصوغ عباراته صوغا عجيبا، مترعا بتركيبات لغوية وتعبيرات، تواضع عليها المثقفون فيما بينهم ، وجهلها سواهم.

أما أنا فلا أرضى بهذا ولا بذاك ، على أننى كلما أخذت أصوغ الجملة فى ذهنى ، غلبتنى العبارة العامية التى اعتادها لسانى، وألفتها أذنى.

ووجدت نفسى مسوقا بلا وعى منى إلى تنظيم أفكارى وصوغ عباراتى بطريقة يأباها الذوق العربى السليم.

لقد تصفحت ذات يوم بعض الفقرات التى أنشأتها ، واستعرضت الأفكار فى تتابعها وانسيابها، فوجدتنى فيها كمن يقفز درجات السلم ثلاثا، وذلك راجع لا ريب إلى قلة ثروتى من المعانى، وقلة نصيبها من العمق. ذلك أنى امرؤ ضحل الثقافة، جاف القريحة، سقيم الخيال.

إن الحيرة التى ألاقيها فى فهم حقائق الحياة، وتنظيم حوادثها فى عقلى، تشبه الحيرة التى تدهم القارىء يطالع قطعة إنشائية غير مشكولة الحروف، خالية من الفواصل والنقاط، لدرجة اختلطت معها الكلمات وتصادمت العبارات.

فلا هو يميز للعبارة بداية من نهاية، ولا هو يعرف لها فاعلا من مفعول.

وقد وقعت من حياتى على كتاب شبيه بهذا الكتاب، فرحت أنفق الجهد والعمر فى ضبط الحروف ووضع العلامات ، وكلما أنجزت من ذلك شيئا طرت فرحا وصفقت

جـــذلا فليس أحب إلى قلبي من رؤية العبارات متراصة في انتظام، مشكولة في وضوح. ويبدو أن العمر سينقضي وأنا غارق في عملي، وسأمضي إلى القبر تاركا ورائي الكتاب ولما أقرأ منه حرفا.

وقد توصلت إلى بعض الملاحظات التي ربما لا يرى فيها المرء شيئا جديدا غير مألوف، لكن حسبه أن يعلم أنني أحرقت أعصابي وأيامي حتى أدركت هذه الملاحظات، وسكبتها في عبارات.

ومن هذه الملاحظات :

- أتعجب كثيرا من الناقد الذي يخبرك عن رواية ما أنها تدعو إلى كذا وكذا من الأفكار الفلسفية والمذاهب الاجتماعية.

في رأيي أن العمل الأدبي عاجز عن إيصال هذه المذاهب لمن لا يعرفها، إنما هو يخاطب شخصا على وعي مسبق بها بقصد دعم إيمانه.

وقد اكتشفت من مطالعاتي أنني لا أستطيع استقراء تفصيلات العمل الأدبي، وتنظيمها في عقلي، قصد الانتهاء إلى فكرة كلية لم أكن أعلمها.

إنما الذي يحدث هو أنني أقبل على العمل بالفكرة حاضرة في ذهني، حتى إذا آنست لها صدى فيما أقرؤه، شرعت أطبقها على دقائقة وتفصيلاته.

وقريب من هذا ما لاحظته في الوصف الذي يتخلل ثنايا الروايات، وصف الأماكن أو وصف المشاعر البشرية.

فأنا عاجر عن تمثل هذا الوصف ما لم يسبق لي رؤية المكان، أو إدراك الشعور موضوع الوصف.

وهذا الوصف لا يعلمنا مجهولا، أو يطلعنا على جديد، إنما يسوق لنا (المعروف) في عبارة واضحة وخيال بديع.

قد ينبهنا الوصف إلى أشياء رأيناها ولم نلحظ دقائقها، أو مشاعر أدركناها ولم نكتنه خوافيها، لكنه أبدا لا ينشيء لدينا معرفة ما لم يكن لدينا منها أساس.

وبعد، فما النتيجة التي ننتهي إليها من هذا الحديث؟

لا شيء إلا أنني امرؤ بحكم تكويني النفسي والعقلي قادر على التقاط عناصر الفوضى والعشوائية الكامنة في ظواهر الحياة، منته إلى اليأس والإحباط بسبب ذلك.

المحـــــرر:

أنت ياعـزيزى القـارىء نبـتـة ضـربـت جـذورها فى أرض الأدب وسـاعـدك على ذلك العـزلة التى فـرضت عليـك، فـرب ضارة نافـعة وأحبك أن تعلم أن مـخـالطة الناس ليست كلها خيـر والعزلة فى حد ذاتها ياعزيزى ليست عيبا ، فنحن نعزل أنفـــسنا بإرادتنا طلبـــا للراحـــة والاســتـجـمـام، ونعـتـكف فى العـشـر الأواخـر من رمـضـان طلبـا لمرضـاة الله - تعـالى - ولكن المشكلة أن تكون العـزلة بلا سبب ، أو تكون مطلوبة لذاتهـا، لأن الله - تعـالى - خلقنا لنعـمـر الكون لا لكى ينعزل كلٌ فى جانب.

غيـر أنه يتضح من كلماتك أنك مغرم بتـعـذيب النفس وهو مـالا نـرضـاه لك، فـأنت إذا نجـحت تجـحـد هذا النجـاح !! وغيـرك يتباهى بأدنى من ذلك بكثيـر.. فعجبا لك!!

وأراك ياعــزيزى القــارىء كـمـن وضع سترا، وبنى خلفه بيتا ، فإذا ما أتم البناء ، تردد فى إزالة هذا الستـر خوفا من آراء الناس وراقك أن يبـقى مـا بنيت سـرا لا يطلع عليـه أحـد لكنى أقـول لك أيهـا القـارىء الكريم : لقـد طيـر سرَّك نسـيمُ أسلوبك حين داعب هذا السترَ فأبان عن ملامح وأبعاد ذاك البناء الذى يتراءى لنا من بعيد.

وإننـى أدعـــوك أن تطرح حـــديث الذكريات جانبا وترفق برسالتك القادمة مقـالا تتخيـر له موضوعـا محببـا لديك تعالج فيـه بعض القـضايا التى تشغلك أو تهم المجتمع.

ولدى اعتقاد كبير أن كلماتك ستلقى طريقـهـا إلى النشـر كـمـا أنهـا سـتنال إعجاب القراء بإذن الله..

ولعلهـــا تكون أولى خطواتك على طريق الأمل، وأكبـر قـفـزاتك بعـيـداً عن العزلة التى أنتجت منك نبتة أديب قادم.

والله من وراء القـصـد ، وهو يهـدى السبيل.

***

بين الجد والفكاهة

حين كان الطالب محمد حسين عبدالحليم بين طلاب كلية اللغة العربية بالقاهرة، اقترض من زميله الطالب عبداللطيف الحديدى جنيها، وللجنيه المصرى قيمته إذ ذاك، فشكره بهذه الأبيات الرقيقة التى أرسلها لنا **الدكتور عبداللطيف الحديدى** لتكون الطرفة الثالثة مما ننشره من مقطوعات الدكتور محمد حسين عبدالحليم عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

عليك بخالص التقدير أثنى
فشكرك فى الحقيقة فرض عين
بعثت لى الجنيه فخذه شعرا
ولا تطلبه، ذاك هو التجنى
وكيف أرده لك يا صديقى
أبينك يا أخى فرق وبينى
وكنتُ غرقت فى زيت وفول
فصرت أعوم فى عسل وسمن
فإن أشكر جنيهك مستريحا
فإنى يا أخى إياك أعنى

المحرر:
لقد أظهرت هذه الأبيات الفرق الشاسع بين جنيه الأمس الذى يتقدم إليه الشاعر بخالص الشكر وبين جنيه اليوم الذى يقف على استحياء ثمنا لأربع بيضات أو خمس على أحسن تقدير!!

المعاكسات التليفونية
انتهاك للحرمات

القارئ/ عبدالهادى محمد أحمد سليم - منشأة الجمال/ الفيوم يتحدث عن سلوك بغيض يقوم به بعض الشباب بهدف التسلية، وهم لا يدرون أنهم محاسبون على كل ذلك إذ يقول فى رسالته:

إن من نعم الله علينا فى هذه الأيام نعمة «التليفون» تلك النعمة التى توفر الجهد والمال بدلاً من السفر وقطع المسافات البعيدة فتستطيع أن تتصل الآن بأقصى شرق وغرب العالم من بيتك فى المدينة أو القرية ومن واجبنا تجاه النعم أن نشكر المنعم الذى تفضل علينا بها فيزيدنا بالكثير منها لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾
«سورة إبراهيم آية/ ٧»

فمن دواعى شكر الله على هذه النعمة أن لا نستخدمها فى معصيته سبحانه وتعالى ـ بل نستخدمها فيما يفيد الناس ومصلحتهم ولكن نرى البعض يستخدمها فى إضرار الآخرين بتلك المعاكسات التى تسبب الكثير من المشاكل بين الناس وقد يحدث مالا يحمد عقباه.

ولقد قال الإمام الجنيد ـ رضى الله عنه ـ «حقيقة

الشكر أن لا تستخدم نعم الله فى معصيته »، فهؤلاء المعاكسون لو علموا حقيقة هذا القول الطيب من هذا العالم الجليل لاستخدموا نعمة التليفون استخداما يليق بشكر الله على هذه النعمة لانها فى حقيقتها ما جعلت إلا لنجدة الملهوف وغوث المحتاج وتوفير الجهد والمال وبهذه المعاكسات التى يقومون بها يتسببون للناس فى العديد من المشاكل ولأنفسهم فى الوقوع فى خطر الكفر بنعمة الله وألا يعلم هؤلاء أنهم يخدشون الحياء ومن لا حياء فيه لا خير فيه.

وهؤلاء يفرضون أنفسهم على أصحاب البيوت متجردين من كل أدب إسلامى، وعرف وتقاليد تعود الناس عليها منذ الأزل، كما أنهم بتعودهم هذه العادة السيئة يكونون قد خالفوا حقيقة الإسلام التى دعا إليها النبى ﷺ.

وأخيرا.. فإن الواجب على كل مسلم أن يحفظ حرمة أخيه ويستخدم التليفون وغيره من أدوات يسرها الله لنا فيما يرضى الله - تعالى - ويجب علينا أن نأخذ على أيدى المعاكسين وعلينا أن نربى أبناءنا على حسن استخدام هذا الجهاز وغيره.

المحرر: نذكر هؤلاء اللاهين بقول النبى ﷺ لمعاذ ابن جبل وقد سأله: أو نحن محاسبون بما نقول؟

فيجيبه الرسول ﷺ: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس علي وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم؟!

أخرجه الترمذى

وقوله ﷺ: « الحياء شعبة من شعب الإيمان ».

أخرجه البيهقى

القناعة من منظور إسلامى

ومن رسالة القارىء / محمد محمد عبدالحى الشافعى - بلقينا - المحلة الكبرى

نقدم هذه الكلمات عن القناعة حيث يقول:

من يتأمل دنيا الناس فى عصرنا الحالى يرى الألسنة قد انطلقت بالشكوى فقلما نجد إنساناً راضياً قانعاً بعطية الله له بينما نجد على الصعيد الآخر ناساً لا يبثون شكواهم إلا لله.

وقد أعجبنى قول الإمام ا لشافعى وهو يعالج هذا المعنى قائلاً:

وجدت القناعة رأس الغنى
فصرت بأذيالها ممتسكْ
فلا ذا يرانى على بابه
ولا ذا يرانى به منهمكْ
فصرت غنياً بلا درهم
أمر على الناس شبه الملكْ

فالسعيد من عاش على قناعة بقسمة الله، مع السعى والاجتهاد فى طلب العيش فهى قناعة بالتوكل لا بالتواكل.

المحرر:

يذكرنا قول الامام الشافعى ـ رضى الله عنه بقول رسول الله ﷺ: « من بات معافا فى بدنه آمنا فى سربة عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » أخرجه البخارى.

من ابداعات القراء :

وصلت زفرات ملتهبة بمناسبة مأساة القدس، ويهمنا أن ننقل للقراء الكرام نماذج من هذه الزفرات.

أنــا القــدس

د/ نجاح عبد العليم أبو الفتوح - كلية البنات الإسلامية أسيوط

أنا القـــــدس لا أنحنى للطغـــــاة ... أنا القـــــدس أرضى مـــــلاذُ الأباه
أنا ثالث الحـــرمــــين الأُلى ... بهم قــد تنور وجـــه الحـــيـــاه
أتانى ابن مــــريم نوراً فلم ... يلينوا لفـــيـــض أتى من رباه
وقـــالوا قلوب أرينت فــلا ... مــفـــاتح تجـــدى ولا جند شـــاه
وجـــاء الكريم العـــزيز الذى ... أضـــاء الوجـــود سناً من ضـــيـــاه
ليــرقى الوجـــود فــيـــرقى به ... أمـــيـــر الهـــداة وتاج الحـــيـــاة
وأن الشـــمـــوس إذا مـــا ارتقت ... تجلت فـــأبدى سناها مـــداه
هـلمـــوا إلىَّ جنود الهـــدى ... فـــعندى العـــلاء وعندى ذراه
هنا ملتــقى جـــمـــعـــهم للردى ... وهاقـــد دنا الوعـــد من منتـــهـــاه
فكم من غـــشـــوم أتى واهمـــاً ... ليطفئ نورى فـــيـــلقى رداه
صـــلاحٌ لدينٍ وقـــدسٌ أنا ... فـــهل من (صـــلاحٍ) يبـــيـــد الطغـــاه

رسالة من إيمان «شهيدة الأقصى»

شعر/ جابر عبد العليم مصطفى - سوهاج

لا تحسبن شهور عمرٍ عشتُها ... أبْغى قـــراراً أو أريد خلودا
فـــأنا خلقت لكى أكون شـــهـــيـــدة ... بئس القـــرار لمن أراد قـــعـــودا
فى نصف عـــام قـــد رأيت عـــجـــائبـــاً ... مـــا بال قـــوم يلبـــســـون قـــيـــودا
أوقـــاتهم صـــارت جـــحـــيـــمـــاً دائمـــاً ... يلقـــون بأســـاً يذهل المولودا

***

فــسئمت عــيـشــاً فى الحـــيــاة وأهلهــا ... واخـــتـــرت دار الخلد دار رفـــاقى
من ذا الذى لبس الشـــجـــاعـــة معطفـــاً ... فـــيـــروح يثـــأر للدم المهـــراق
عـــارٌ وجـــرمٌ أن نزل بقـــســـوةٍ ... ولنا ســـجـلٌ مـــاجـــد الأعـــراق

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / محمد الشرقاوى

من بشائر الانتفاضة المباركة

أكد الباحث الاقتصادى الفلسطينى « أمجد التميمى » فى دراسة نشرتها جمعية البنوك فى فلسطين أن الإقتصاد الصهيونى عاش سنوات من الانتعاش والاستقرار حقق خلالها معدلات نمو سنوية مرتفعة حتى جاءت الانتفاضة فى سبتمبر من العام الماضى لتعصف به وبانتعاشه وهى الأزمة التى وصفها اقتصاديون صهاينة بأنها الأطول والأسوء فى تاريخ الاقتصاد الإسرائيلى وقالوا : إن الخسائر التى منى بها اقتصادهم تقدر بأكثر من مليارى دولار وهوما يعادل ٢٪ من الناتج القومى الصهيونى ؟

وقال الباحث : إن النمو الاقتصادى تراجع هذا العام نتيجة الانتفاضة ليصل إلى ٢,٥٪ بعد أن كان ٦٪ العام الماضى . وأرجع مسئول ببنك « هافوعليم » أكبر البنوك الصهيونية السبب فى هذا التراجع الشديد إلى الأزمة التى تمر بها الدولة الصهيونية نتيجة الانتفاضة الفلسطينية وتوقع تقرير حديث لوزارة المالية الصهيونية أن يشهد الاقتصاد الصهيونى تراجعا أكثر وأن التضخم سيظل دون المستوى الذى تستهدفه الحكومة الإسرائيلية .

وأضاف الباحث فى تقريره أن أعداد السياح إلى إسرائيل تراجعت بشكل ملحوظ حيث وصلت إلى ٥٠٪ منذ أواخر العام الماضى وأن حجم التراجع فى إشغال الغرف الفندقية زاد على ٦٠٪ وأدت هذه الخسائر إلى إغلاق ٢٥ فندقا وهو ما اضطرت معه مؤسسات سياحية أخرى إلى إقالة ٢٨ ألف موظف يعملون بها وفى المجال التجارى سجلت الغرف التجارية الصهيونية تراجعا هو الأول منذ عام ١٩٨٩ حيث اقتصرت على ١,٥٪ مقابل ٦,٥٪ العام الماضى وأن العجز التجارى الخارجى قفز إلى ١,٠٥٧ مليار دولار مقابل ٧٨٢ مليون دولار فى نفس الشهر من العام الماضى وهو أكبر عجز تسجله إسرائيل منذ عام ١٩٩٩م كما وصل العجز فى الربع الأول من العام الحالى إلى ٣,٠٦٧ مليار دولار مقابل ٢,٥٤٦ مليار دولار فى نفس الوقت من العام الماضى ؟

وأكدت الدراسة أن التصدير الإسرائيلى للولايات المتحدة انخفض بنسبة ١٤,٨٪ قياسا بنفس الفترة

من العام الماضى بينما ارتفع حجم الاستيراد الصهيونى من الولايات المتحدة بنسبة ٢,٥٪.

وفى المجال الصناعى انخفض الإنتاج بنسبة ٤٪ عن العام الماضى وأن ٤١٪ من المصانع قلصت إنتاجها و٣٥٪ قلصت عمالها.

وفى المجال الزراعى قدرت الخسائر بـ ١٥٠ مليون شيكل؟

وفى رد فعل قام الصهاينة لعدم ثقتهم فى اقتصادهم بسحب مليارى دولار من البنوك والمصارف فى شهر مايو فقط بينما وصل مجموع ما سحبوه خلال الخمس شهور الماضية إلى ٨,٥ مليار دولار.

آفاق عربية

٢٠٠١/٩/٦

مضايقات للمسلمين على الإنترنت

أقام عدد من المسلمين الأمريكيين دعوى قضائية فيدرالية ضد شركة «إيه. أو. إل» الأمريكية للإنترنت يتهمون فيها الشركة بعدم اتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية المسلمين من المضايقات وبث روح العداء للمسلمين فى «غرف الدردشة» على الإنترنت وهو ما يعتبره المسلمون انتهاكاً لقانون الحقوق المدنية الذى يمنع التفرقة القائمة على الدين.

ويطالب أصحاب الدعوى بمراقبة غرف الدردشة التى تقوم بهذا النوع من النشاط وتطبيق اللوائح التى تحظر على الأعضاء ارسال رسائل لا تحترم قيم المجتمع.

الأهرام

٢٠٠١/٩/١

هجوم يهودى ضد موقع إسلامى على الإنترنت

تعرض موقع إذاعة (طريق الإسلام) على الإنترنت إلى هجوم ضار من اللوبى اليهودى فى كندا الذى طالب بإغلاق الموقع باعتباره موقعاً إرهابياً على الرغم من أن الموقع هو أفضل موقع إسلامى تبعاً لتصنيف (إليكسا) العالمى.

ومن الجدير بالذكر ان الموقع يزوره يومياً اكثر من ٣٤ ألف زائر ويوجد بقائمة البريد الخاصة به أكثر من ٥٠ ألف مشترك.

وكان أحد المذيعين بالتليفزيون الكندى اتصل بإدارة الموقع وعبر عن رغبته فى مساعدة الموقع باستضافة احد مسئولى الموقع فى مواجهة أحد مسؤلى جمعية «بناى بريث» وهى الجمعية التى شنت الحملة ضد الموقع وهى أكبر الجمعيات اليهودية العالمية ولكن المذيع اتصل بعد عدة ساعات قليلة متراجعاً عن عقد اللقاء بعد أن رفضت نفس الجمعية التعليق على الخبر كما قام نفس المذيع بالاتصال بالشرطة الكندية التى أخبرته أن الادعاء الموجه ضد موقع إذاعة طريق الإسلام غير حقيقى والموقع غير واقع تحت أى مسؤلية وأن ساحة الحوار الخاصة به مفتوحة للجميع.

أكتوبر

٢٠٠١/٨/٢٦

طابع بريد إسلامى أمريكى

لأول مرة تصدر هيئة البريد الأمريكية طابع بريد إسلامياً جديداً عن عيدى الفطر والأضحى فى اطار سلسلة الطوابع التذكارية التى تصدرها احتفالاً بأعياد طوائف دينية مختلفة.

ويعد الطابع الذى يبلغ ثمنه ٣٤ سنتاً أول طابع بريد أمريكى يحمل كتابة عربية ذات صبغة اسلامية وأكد المدير الاقليمى لهيئة البريد بمدينة « سانتا آنا » بكاليفورنيا أن إصدار مثل هذا الطابع يعد مصدر اعتزاز وفخر لهيئة البريد و للطائفة الاسلامية والأمريكية بشكل عام.

الأهرام

٢٠٠١/٩/٦

تجنيد ثلاثة ملايين هندوسى لإبـــادة مســلمى كشــمير

أعلنت منظمة هندوسية متطرفة تطلق على نفسها اسم « فيشوا هند وباريشاد » أنها ستقوم بتجنيد ٣ ملايين شاب هندوسى من كل أنحاء الهند بدءا من الشهر الحالى لمواجه من أسمتهم « بالثوار الأصوليين » وقال أمين عام المنظمة لوكالة « برس ترست » الهنديه إن اسلوب مكافحة الإسلاميين فى كشمير سيكون من خلال تدريب هذا العدد لمواجهتهم وقد بدأت المنظمة بالفعل فى تدريب ٣٠٠ ألف هندوسى كمرحلة أولى.

ومن ناحية اخرى وصلت إلى الهند أول دفعة عسكرية من القوات الصهيونية إلى منطقة « لداخ » الكشميرية للمشاركة فى الأعمال العدوانية التى ترتكبها قوات الاحتلال الهندوسى ضد المسلمين فى كشمير. وقال « موقع المجاهدين » على شبكة الإنترنت إن شهود عيان أكدوا أن « ٥٠ » سيارة جيب كانت تقل أكثر من « ٢٠٠ » خبير صهيونى وصلت إلى منطقة « ترتك ». وفى إحصائية نشرها موقع « ليلة القدر » أصدرتها احد المراكز الإعلامية التابعة للمقاومة الاسلامية فى كشمير جاء فيها: أن القوات الهندية قامت خلال شهر أغسطس الماضى بقتل « ٥٠٢ » مواطن كشميرى أعزل وقالت الإحصائية إن بين القتلى « ٤٢٥ » شخصاً معظمهم من الشباب و « ١٧ » امرأة و « ٥ » أطفال اضافة إلى استشهاد « ٥٥ » شابا تم اعتقالهم وتعذيبهم فى عدد من مراكز التفتيش التابعة للمخابرات الهندية.

وأشارت الاحصائية إلى أن الغالبية العظمى من جثث هؤلاء الشباب لا تسلم إلى أهاليهم أما عدد المعتقلين فبلغ حتى الآن خلال الشهر الماضى فقط « ١١٠٠ » معتقل ووصل عدد الجرحى الى « ٦٨٩ » مدنياً

- ليت المسلمين والعرب يفعلون هذا لإسترداد الأقصى.

شبكة المعلومات الدولية « الأنترنت »

موقـــع المجاهديـــن
موقـــع ليلـــة القـــدر

السلطات الأمريكية تشن حملة أمنية واسعة على شركات نظم المعلومات التى تتعامل مع المسلمين

تشن السلطات الأمنية الأمريكية حملة واسعة النطاق على شركات نظم المعلومات التى تتعامل مع العرب والمسلمين. وكان آخر هذه المداهمات تلك التى كانت على شركة « انتركوم » فى مدينة تكساس الأمريكية وشاركت فى هذه المداهمة سبع هيئات أمنية أمريكية وأرجعت السلطات سبب هذه المداهمات إلى أن هذه الشركة تتعامل مع جهات إسلامية وعربية إرهابية.

هيئة الإذاعة البريطانية

B.B.C

٢٠٠١/٩/٨

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

فى اجتماع الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة:

الإمام الأكبر يؤكد: علينا أن ندعم إخواننا فى فلسطين لمواجهة الهجمة الصهيونية الشرسة

عقدت الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة اجتماعها الثالث عشر بالقاهرة برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى الفترة من ٣-٤ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ وبحضور معالى الشيخ جاسم يوسف الحجى نائب رئيس المجلس، ومعالى الأستاذ كامل الشريف -الأمين العام للمجلس- وأصحاب المعالى والسعادة والفضيلة أعضاء هيئة رياسة المجلس، ورؤساء اللجان المتخصصة ورؤساء المنظمات الإسلامية العالمية الأعضاء بالمجلس وعددهم ٧٣ هيئة إسلامية عالمية أعضاء، و٣٠ هيئة بصفة مراقب من بينهم البنك الإسلامى للتنمية، وجامعة الدول العربية.

وافتتح الاجتماع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بكلمة قال فيها: إننى أدعو الأمة العربية والإسلامية إلى التعاون الجاد والبنَّاء والتضامن القوى لمواجهة التحديات التى تمر بها فى هذه المرحلة المهمة من حياتها، والتعاون إذا كان مطلوبا فى جميع الأوقات فإنه فى هذا الوقت من أشد الواجبات لما تعانيه الأمة من آلام ومشكلات تتطلب وحدة الصف ونبذ الخلافات واستعادة قوة الأمة وتماسكها لتعود كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وقال: إن علينا أن نؤازر ونساعد وندعم إخواننا فى فلسطين بكل أنواع الدعم المادى والمعنوى لمواجهة الهجمة الصهيونية الشرسة ضدهم، وإذا لم نفعل ذلك وإذا لم يفعل المسلمون فى كل مكان ذلك نكون مقصرين وسيحاسبنا الله -عز وجل- على ذلك.

وقال فضيلته: إن قوة الصهيونية العالمية فى أنها تجد من يساندها ويتعاون معها ويمدها بالسلاح، والإسرائيليين اعتادوا على الاعتداء على الأرض والأموال والأعراض والمقدسات، ولهذا فمن حق إخواننا فى فلسطين أن نؤيدهم ونساعدهم ونساندهم.

وقال: إننى أدعو إخواننا فى فلسطين إلى الثبات، والثبات هو الدعاء الذى كان يتغنى به المجاهدون وهم يقبلون على نصرة دينهم وعلى التغلب على الأعداء.. فالعدو يقاتل من أجل الاعتداء والاغتصاب والظلم، والفلسطينيون يقاتلون من أجل الحق ومن أجل استعادة أرضهم وديارهم؛ فهم على الحق والله لا بد وأن ينصر الحق «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

وفى ختام الاجتماعات التى استمرت على مدى يومين، أصدرت الهيئة التأسيسية للمجلس عدة قرارات وتوصيات منها: دعم حق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم وأراضيهم، والتعويض عن الأضرار التى أصابتهم وتحميل إسرائيل المسئولية الكاملة عما ارتكبته من أعمال عدوانية وإرهابية أدت إلى مشكلة اللاجئين، كما أكدت الهيئة دعمها الكامل لسوريا فى نضالها لتحرير الجولان، وكذلك للبنان فى العمل لتحرير مزارع شبعا، وطالبت الأمة الإسلامية بالوقوف بحزم لاسترداد الأراضى المغتصبة، وطالب المجلس قادة الأمة العربية وشعوبها ومؤسساتها بدعم الشعب الفلسطينى لتمكينه من الاستمرار فى انتفاضته التى تعتبر السلاح الفعال فى وجه الصهيونية وأن تحرير القدس فرض عين على كل مسلم.

الإمام الأكبر يستقبل القضاة الألبان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفد القضاة الألبان برياسة السيد المستشار دالب لوشن رئيس محكمة وعضو مجلس القضاء الأعلى بألبانيا وقضاة ورؤساء المحاكم الألبانية.

رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف شارحا لهم دور القضاة فى ظل الشريعة الإسلامية التى تقوم على العدل مستدلا على ذلك من كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأوضح فضيلته مسئولية هذا المنصب الخطير الذى يحتاج إلى العدل فى القول والعدل فى الشهادة والعدل الذى يترك خلفه الأمن والامان والاطمئنان مما يعود على الفرد وعلى الأمة بالنفع والرقى والتقدم، وبين أن الله ـ عز وجل ـ حرم الظلم على نفسه وحرمه على عباده لأن الظلم ظلمات يوم القيامة وشريعة الإسلام تقوم على العدل فى الأقوال وفى الأحكام وفى الشهادة والعدل مطلوب مع الصديق ومع العدو وإذا استقام سعدت الأمة.

كما أجاب فضيلته عن اسئلة واستفسارات السادة الضيوف وكانت تدور حول الذمة المالية للزوجة فى الشريعة الإسلامية، وحقوق المرأة فى الإسلام، وحقوق الزوج على الزوجة، وتحدث فضيلته عن زواج المسلم بغير المسلمة من أهل الكتاب. كما أجاب عن أسئلة حول مسائل الطلاق.

الموافقة على عرض فيلم محمد خاتم الأنبياء

عقد مجمع البحوث الإسلامية جلسة خاصة برياسة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يوم الإثنين غرة جمادى الأولى ١٤٢٢هـ وذلك لمشاهدة فيلم (محمد خاتم الأنبياء) وبعد مشاهدة الفيلم أبدى عدد من أعضاء المجلس ملاحظاتهم حول بعض مشاهده، ولكنهم أجمعوا

على أنه ليس فى الفيلم ما يخالف الثابت من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى، أو ما يناقض أمرا معلوما من الدين بالضرورة.

لذلك قرر المجلس الموافقة على عرض الفيلم ودعوة الذين قاموا بإخراجه إلى بذل المزيد من الجهد لإخراج أفلام أخرى تعرض صورة الإسلام، وحضارته، وتشريعه، وأخلاقه، العرض الموضوعى الذى يظهر مضمون رسالته الإنسانية الخيرة، التى تنير العقول، والنفوس، وترد عنه عادية التشويه والتزييف اللذين لم تخل منهما أعمال فنية أخرى.

الإمام الأكبر يكرم حفظة القرآن الكريم

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوزيع الجوائز المالية على حفظة القرآن الكريم من طلبة وطالبات المعاهد الأزهرية وطلبة جامعة الأزهر الشريف وطلبة مكاتب تحفيظ القرآن الكريم والمحفظين فى احتفال كبير وذلك بقاعة المؤتمرات الكبرى بمدينة نصر، وقد بلغت المبالغ التى تم توزيعها على الطلاب والطالبات كجوائز مبلغ ثمانية ملايين، و٣٤٩٦٠٠ جنيه، وتقدم للمسابقة ١٠٣٠٠٠ متسابق ومتسابقة على مستوى الجمهورية تم تصعيد ١١٦٦٠ طالبا وطالبة، وحصل الحافظ لثلاثين جزءاً ودرجاته ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ على ٢٠٠٠ جنيه والحاصل على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ حصل على ١٧٠٠ جنيه، والحاصل على ٨١٪ وحتى ٨٩٪ حصل على ١٢٥٠ جنيه، والحافظ لـ ٢٥ جزءا من القرآن ودرجاته من ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ حصل على ١٦٠٠ جنيه، والحاصل على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ حصل على ١٣٥٠ جنيها والحاصل على ٨١٪ وحتى ٨٩٪ حصل على ١٠٠٠ جنيه، والحافظ لـ ١٨ جزءاً من القرآن الكريم ودرجاته من ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ حصل على ١٣٥٠ جنيها، والحاصل على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ حصل على ١١٠٠ جنيها، والحاصل على ٨١٪ وحتى ٨٩٪ حصل على ٨٠٠ جنيها.

ومن بين أوائل هذه المسابقة: شريف محمد أبوالوفا، فاطمة محمد محمد خفاجى (مصر)، حميدو تيجاف فلاته (النيجر) حبيب الله تورى (مالى).

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة هنأ فيها الفائزين وحثهم على بذل الجهد فى الحفظ والمثابرة والمتابعة حتى يكونوا دائما من الفائزين، وأوضح أن الأزهر الشريف يولى عناية خاصة بحفظ القرآن الكريم، وأن تكريم حفظة القرآن الكريم والمحفظين للقرآن الكريم إنما هو تكريم لمن كرمهم الله -عز وجل- والأزهر منذ أنشىء أسس على تقوى من الله وقد اتخذنا شعارا (ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم) ولن يستطيع الداعية أن يؤدى وظيفته على الوجه الأكمل إلا إذا كان حافظا للقرآن الكريم حفظا جيدا وأيضا السنة النبوية المطهرة. شهد الحفل الأستاذ الدكتور / يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة واستصلاح الأراضى، والدكتور / مختار خطاب وزير قطاع الأعمال وفضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف.

محاضرة للإمام الأكبر عن دور الإعلام وأهميته

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأعضاء الدورة البرامجية العامة للعاملين بالإذاعة.

وقد ألقى فضيلته محاضرة عن (دور الإعلام ومكانته السامية وأهميته القصوى) وخاصة فى هذا الزمن الذى نعيش فيه بعد أن أصبح العالم كله أشبه ما يكون بقرية صغيرة نظرا لتطور وسائل الاتصال الحديثة، موضحا بأن الإعلام وجد فى هذه الدنيا منذ وجود الرسل والمصلحين الذين يبلغون رسالات الله مستدلا بذلك بالأدلة من القرآن الكريم؛ فالرسل كانوا مبشرين ومنذرين لرسالات الله - عز وجل - وقد ناقشوا وحاوروا قومهم وأجابوهم بالردود التى تقنع العقول السليمة. ولكى يكون الإعلام واضحا ويصل إلى قلوب الناس وعقولهم لا بد أن يكون مبنيا على الصدق الذى هو أساس الإعلام، وهناك أربع صفات ضرورية يجب أن تتوفر ويتحلى بها رجل الإعلام، وهى : (الصدق - الأمانة - التبليغ - الفطانة)، وذلك ليكسب ثقة الناس سواء فى الإذاعة المسموعة أو المرئية أو المقروءة أو عن طريق الإنترنت، وهذه الصفات أودعها الله - عز وجل - فى الأنبياء والرسل وتحلوا بها لأنها صفات كريمة ويجب أن تتوفر فى القائمين على وسائل الإعلام.

ثم أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة الحضور والتى دارت حول الإعلام الإسلامى، وبخاصة فى الدول الأفريقية. وقد أوضح أن الأزهر الشريف يرسل علماءه فى بعثات إلى معظم دول العالم فى أفريقيا وفى آسيا وفى أوروبا وفى أمريكا وفى أستراليا، وذلك لتعليم وتوضيح الإسلام لأبناء المسلمين فى تلك البلاد، كذلك من خلال المنح الدراسية؛ فالأزهر لديه طلاب وطالبات من أكثر من ٩٤ دولة يقيمون فى مدن البعوث الإسلامية فى القاهرة والإسكندرية، يتلقون العلم فى الأزهر الشريف منذ المرحلة الابتدائية حتى التخرّج من جامعة الأزهر الشريف، موضحاً بأن الإعلام يجب أن يكون متمشياً مع مصلحة الدولة، كما أجاب فضيلته عن أسئلة حول التعامل بين المرأة والرجل، ومسائل حول الطلاق، وحكم الشرع فى نقل الأعضاء، وفى تأجير الأرحام ورأى مجمع البحوث الإسلامية، وأسئلة عن التعامل مع البنوك، وعن زواج المسلم من أهل الكتاب، وعن أداء الحج العُمرة عن طريق التقسيط.. إلى غير ذلك من الأسئلة.

شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء وحسن الحفاوة وعلى الاستفادة والاستزادة من العلم النافع.

الإمام الأكبر يستقبل سفير الهند بالقاهرة

استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد / ساتنام جيت سنج سفير الهند بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات الطيبة بين البلدين منذ قديم الأزل، وهى علاقات قائمة على الأخوة والمودة والتعاون المثمر والمحبة الخالصة.

أشاد الضيف بمكانة الأزهر الشريف العالية والعالمية والتى يحظى بها بين شعوب العالم، وأوضح أن دولة الهند تكن لمصر وللأزهر الشريف عظيم الاحترام والتقدير والاهتمام، كما أشاد بنهج الأزهر فى الوسطية والاعتدال فى دراسته، والتسامح والبُعد عن التعصب، وأن الهند بصدد إعداد منهج تنتهجه يماثل منهج الأزهر الشريف وطلب الضيف زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء الهند للدراسة فى الأزهر الشريف، كما وجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الهند فى أقرب فرصة.

ويستقبل سفير بروناى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الشريف بمكتبه السيد / دا توحاجى على بن حسن سفير بروناى بالقاهرة، يرافقه الملحق الثقافى للسفارة بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى الأزهر الشريف مشيدا بعمق الروابط بين مصر وأزهرها الشريف وسلطنة بروناى وقدم فضيلته الشكر والتقدير لما قدمته سلطنة بروناى لإنشاء معهدين أزهريين بالقاهرة، تابعين لمدينة البعوث الإسلامية وقد صمما على أحدث النظم، والمعاونة فى تدعيم دار الكتب الأزهرية كدلالة طيبة على أعمال الخير لخدمة الإسلام وأبناء المسلمين الذين يدرسون فى الأزهر الشريف من جميع دول العالم ومنهم أبناء دولة بروناى.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا أبوعجور الأمين العام لمجمع البحوث، وفضيلة الشيخ أحمد خليفة رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الشريف.

وكيل الأزهر يستقبل نائب رئيس مجلس النـــواب الأندونيســى

استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، السيد / أ. م فتوى نائب رئيس مجلس النواب بجمهورية أندونيسيا وأعضاء وفد البرلمان الأندونيسى.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف، مشيدا بعمق الروابط القديمة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أندونيسيا موضحاً بأن اكثر من ٢٥٠٠ طالب وطالبة من أندونيسيا يدرسون بالأزهر الشريف، كما قام فضيلته بشرح موجز لتطور العملية التعليمية بالأزهر الشريف كما شرح للوفد المواد التى يدرسها الأزهر فى مختلف المراحل موضحا بأن الدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والتوسط والبُعد عن التعصب لمذهب دون آخر ويدرس جميع المذاهب الإسلامية، والأزهر يستقبل طلاب من ٩٤ دولة من دول العالم الإسلامى ويصل عدد الطلاب فيه إلى أكثر من ٢٥ ألف طالب وطالبة بعضهم يدرس على منح الأزهر الشريف وبعضهم يدرس على نفقته الخاصة، كما أن الأزهر يرسل علماءه فى بعثات لدول العالم لتعليم أبناء المسلمين العلم النافع ولينشروا دعوة الإسلام بتلك الدول ويصل عدد العلماء الذين يرسلهم الأزهر كل عام إلى أكثر من ألف عالم لأن الأزهر الشريف هو بيت المسلمين جميعا.

قنصل ملاوى يطلب زيادة المنـــح الدراسية لدولتـه

كما استقبل فضيلته السيد / عبدالمالك نديلة قنصل دولة مالاوى بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيف ودار الحديث حول الدراسة فى الأزهر الشريف العالمى وحول الطلاب المالويين الذين يدرسون بالأزهر الشريف على منح ويقيمون بمدينة البعوث الاسلامية ثم يعودون إلى بلادهم ليكونوا رسل سلام ويقومون بتعليم إخوانهم وأبنائهم فى بلادهم.

وأبدى الضيف رغبته فى زيادة المنح الدراسية موضحاً بأن ٥٠٪ من السكان من المسلمين والمدارس تقوم بتعليم القرآن الكريم والمواد الأخرى حتى يرتفع مستواهم العلمى وطلب تطبيق مناهج الأزهر فى مدارس مالاوى.

الفهـــرس

● افتتاحية العدد: ثقافة الداعية المعاصر
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٠٩٠
● مع سورة الإسراء.
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٠٩٨
● جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم ١١٠٤
● الإسلام والعلاقات الاجتماعية
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١١١٢
● الإسراء والمعراج.. تأملات جديدة (١)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١١١٧
● الإسراء والمعراج
لفضيلة الشيخ/ يوسف الدجوى ١١٢٤
● مساجلة بين فقيهين كبيرين
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١١٣٢
● فلسفة خطاب الإعلام العربى
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١١٣٦
● بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١١٤١
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١١٤٦
● سيرة رسول الله ﷺ لابن اسحاق للدكتور على مراد
عرض الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١١٥٤
● المبادئ فوق المنافع
للأستاذ الدكتور/محمود عمارة ١١٦٣
● الإنفاق فى سبيل الله
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١١٦٨
● قصة العدد: لا أستجير بغير الله
للأستاذ / شوقى محمود أبوناجى ١١٧٥
● طريق الحق شائك
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ١١٧٨
● عدى بن حاتم الطائى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١١٨٤
● فدائية تستشهد (قصيدة)
بقلم/ أبوحسام ١١٨٨
● القدس الماضى والحاضر
للشاعر/ عبدالفتاح الطاهر الخطيب ١١٩٠
● إسرائيل من الداخل ١١٩١
● القدس بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١١٩٢
● بروتوكولات حكماء صهيون
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٢٠٣
● نصرت يا مسجد الاسراء «قصيدة»
للشاعر/ السيد الصديق حافظ ١٢١١
● مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٢١٢
● هرمون «دهيا» ترياق الشيخوخة
للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ١٢١٦
● من قارة إلى قارة «قصيدة»
للشاعر المهندس/ على محمود طه ١٢٢١
● أصول القصة الشعرية
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٢٢٤
● طرائف.. ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٢٢٨
● الأسرة ومكانتها فى الإسلام
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٢٣٠
● إستفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ١٢٣٥
● خطبة الجمعة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٢٣٩
● رسالة.. و .. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٢٤٢
● فى رياض الأمل
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٢٤٥
● بين المجلة.. والقارىء
إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة ١٢٤٩
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٢٥٦
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ١٢٥٩

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

سورة البقرة آية: ١٤٤

الاشتراك السنوي

- داخل مصر .... ١٨ جنيهًا مصريًا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارًا أمريكيًا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارًا أمريكيًا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارًا أمريكيًا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ..٥٧٨٦١ - ٨٥٧٦٢٠٠

شعبان ١٤٢٢هـ - نوفمبر ٢٠٠١م - الجزء الثامن - السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

لابد للعلـ

وسائل البحث العلمى

أعدت دراسات متنوعة عن وسائل البحث العلمى لتفيد من ينشط إلى الاتجاهات العقلية فى البحث والتحليل وقد أشبعت هذه الدراسات ما هدفت إليه من إيضاح هذه الوسائل، حيث أسهبت فى الحديث عن قوة الملاحظة والقدرة على الاستنتاج وتصميم التجارب وترتيبها، وتنوع المصادر، ومعاودة التجاريب، ووفرة المادة، ومراعاة الوضوح، وضرورة التركيز، مما لابد منه للباحث، ولكن الجانب الخلقى لدى الباحث العلمى لم يجد حظه لدى كثير من الكاتبين، إذ مروا عليه مروراً عابراً، فلم يقفوا طويلاً عندما يلزم الباحث العلمى من مراعاة الأمانة حيث ينسب كل رأى لصاحبه، ومن وجوب الإخلاص حيث لا يخفى بعض ما اهتدى إليه من حقائق تتطلب المناقشة والحوار، ومن الصدق البالغ حيث يكون الحق وجهته فى البحث، دون أن يعتقد شيئاً يمليه الهوى ويحاول أن يظهره فى مظهر الحق الصريح، مع الاعتراف بفضل سابقيه من العلماء ممن وضعوا المقدمات وساروا فى الطريق خطوات كانت مصدر نفعه، ولعل ذلك كله مما يجوز أن يندرج تحت عنوان «الضمير العلمى».

والحق أن موضوع «الضمير العلمى»، كان مصدر لجاج صاخب لدى من يفرقون بين العلم والخلق حيث ذهب نفر من الباحثين إلى أن وظيفة العلم أن يحلل ما كان، خيراً كان أو شراً، ووظيفة الخلق أن يشير إلى ما يجب أن يكون، وبذلك أصبح العالم فى رأيهم غير مرتبط بنفع الإنسانية فيما يكشف من اختراع، ويبدع من نظريات، فتلك وظيفة رجل الأخلاق، وإذا كانت هذه وجهة نفر من الماديين، فإن الإسلام ينكرها كل الإنكار، إذ يجعل الأعمال بالنيات ويثيب كل امرئ على ما نواه، فلابد من نزاهة الغرض وسلامة الاتجاه والحرص على النفع العام، إذ لا يمكن أن ينفصل الخلق عن العلم فى منطلق الإسلام.

ـــم من خلق عاصم

التقـــدم العلمـــى

وقد كان التقدم العلمى الظافر فى هذا العصر مصدر إزعاج خطير لمن رأوا نتائج العلم توجه إلى الدمار المبيد فى الحروب الطاحنة، حتى قام نفر من الدعاة يعلن جناية العلم الحديث على البشرية، ويدعو إلى الرجوع إلى عهود البساطة والتقشف، لأن ما أتاحه العلم من تقدم حضارى لم يتم للإنسان سعادته، بل زاده قلقاً وتوتراً، حيث أصبح الكمالى ضرورياً من أجله، فهو يحرص عليه حرصاً شديداً، فإذا تعذر الحصول عليه أصبح موضع لهفة وتطلع، وقد كان أجدادنا السالفون ينعمون بالضرورى نعمة سابغة، ويعيشون فى هدوء مطمئن بعيداً عن التطلع الطامع، والحرص المستوقر، وما كثرت حوادث الانتحار إلا فى بلاد التقدم المادى المفرط، حيث تثقل أعباء الحياة على من يريدون التمتع بكل شئ، ينظرون إليه فى أيدى معارفهم، أو يقرأون عنه فى الصحف والمجلات فإذا أضيف إلى ذلك ما جلبه التقدم العلمى فى الحروب المعاصرة من دمار مبين، كانت النتيجة فادحة، وأصبح الخطر مما يتطلب العلاج.

والحق أن الذين ينظرون هذه النظرة المتشائمة يخلطون بين الوسائل والغايات، وبين العلل والمعلول إذ ليس فى قوانين البحث العلمى، ما يجعل غازاً من الغازات متحتم البلاء، فيسخر فى الدمار والتخريب، ولكن الإنسان هو الذى ينحرف بالقانون ليستخلص منه شر النتائج، والسموم قد تكون دواءً إذا أخذت بحذر للقضاء على بعض الميكروبات، ولكنها تقتل الإنسان قتلاً إذا قصد بها الإهلاك، فالعلم ليس خطراً فى نفسه، إنما الخطر كل الخطر فى مجافاة العلم للخلق، إذ لو سيطر الخلق الدينى على الباحث العلمى لمنعه أن يستجيب لبحوثه على اختراع المبيدات الكاسحة للعمران، ولوقف بعلمه لدى النفع العام حين يجتنب ما يؤدى البشرية من وسائل التدمير والإفناء.

وإذا كانت بذرة الضمير الإنسانى تكمن فى كل نفس فإن هذه البذرة الكامنة قد جعلت بعض من اخترعوا القذائف المدمرة يحسون بقارص الندم، وفيهم من تعاظمه سوء ما صنع، فاختلط عقله وتسلمته المصحات العقلية، ولو كانت الرقابة الخلقية قائمة لدى من يصنعون هذه المدمرات ما استجابوا إلى رؤسائهم من الساسة، هؤلاء الذين يريدون أن يسيطرون على الشعوب بوسائل الفتك، ويرون فى انتصار بلادهم عزة قاهرة، فيرصدون الميزانيات الضخمة لرجال العلم كى يبدعوا ما يفتك ويدمر، ولن يتم هذا التآمر المنكر إلا حين تنفصل السياسة عن الدين، وحين يصبح رجل العلم آلة فى يد دكتاتور رهيب.

نظرتـــان مختلفتـــان

واجه رجال الدين فى أوروبا قضية الخطر العلمى كما واجهها رجال الإسلام فى كتب التراث، ولا نستطيع فى مقال موجز أن نبسط وجهات النظر على نحو فسيح، ولكننا نشير إلى أن السؤال الحائر: (إلى أى حد يجوز لنا أن نفعل الشر لنحصل منه على الخير)؟

قد وجد جوابه لدى أسقف (درهام) بانجلترا (الدكتور هنش) حين ضرب المثل بتشريح الحيوان الحى، فاستعرض آراء من يذهبون إلى إباحته للحصول على نتائج صحية تفيد الإنسانية، ومن يذهبون إلى تحريمه باعتباره مصدر ألم مفرط لحيوان برئ حساس، وانتهى إلى أن الحكم يرجع إلى النتيجة النهائية، إذ ننظر: هل يأتى التشريح بفائدة عظمى يهون لديها ألم الحيوان الحى؟ أو أن الفائدة أقل وأضأل من أن يتعذب لها حيوان ضعيف دون مبرر؟ وإذا أمكن تخدير الحيوان لدى التشريح فهو أولى لدى الأسقف إلا إذا كان التخدير مما يضر بقية البحث العلمى، وقد وجد الأسقف الفاضل من عارضه من زملائه ذاهبا إلى أن ألم الحيوان الحى مما يجب ألا يهتم به فى هذا المجال!

فإذا انتقلنا إلى رأى علماء الإسلام فى التشريح، نجدهم يمنعون منعا باتا أن يشرح الحيوان الحى، إذ للحيوان حرمة الإنسان تماما، وتلك نظرة إنسانية يصدر عنها التشريع الإسلامى فى كل اتجاه، أما الميت، فالحيوان يؤكل بعد ذبحه، ولا خلاف فى جواز تشريحه، أما تشريح الإنسان الميت، فللفقهاء احتياط بالغ فى شأنه عبر عنه الإمام الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم فى فتواه المنشورة «بمجلة الأزهر»[1] إذ استعرض أقوال أئمة المذاهب

(١) مجلة الأزهر السنة التاسعة (رجب ١٣٥٧ هـ) ص ٤٦٨، وكان الشيخ مفتيا للديار المصرية فى هذا التاريخ.

الشيخ/ عبدالمجيد سليم

الأربعة فى شق بطن من ماتت وولدها حى فى بطنها، حيث أجازوا شق البطن حرصا على الولد، لأن الحى أفضل من الميت، وانتهى من بحثه الفقهى إلى قوله: «والذى يقتضيه النظر الدقيق فى قواعد الشريعة وروحها أنه إذا كانت هناك مصلحة «راجحة» فى شق البطن وتشريح الجثة، من إثبات حق القتيل قبل المتهم، أو تبرئة المتهم من القتل بالسم مثلا، أنه يجوز الشق والتشريح بعد المحاكمات.

هذا الحذر الدقيق فى إثبات حرمة الإنسان حيا أو ميتا يسيطر عليه الدافع الخلقى الذى فرضه الإسلام فى تشريعاته الدقيقة، ولو كان الدافع الخلقى قانونا مسيطراً على العلماء ما كان العلم التجريبى مصدر خطر كبير.

التكتم العلمى

كان المرتقب المنتظر من رجال البحث العلمى أن يكونوا ذوى صلات قوية، توجب تبادل الزيارات، وتعاقب اللقاءات ليعرض كل فريق ما استطاع أن يصل إليه فى جامعته من نتائج، كما يقدم من نماذج دقيقة لصعوبات يجدها فى طريقه، فقد تكون هذه الصعوبات مما أمكن تذليلها لدى فريق آخر، ولكن المشاهد أن المؤتمرات العلمية تنعقد فى عواصم الدول المتقدمة بصورة دائمة لا لتكشف الجديد من المخترعات، بل لتكون ستارا خادعا، وامتحانا متفرسا، حيث يتربص كل معسكر بعلماء المعسكر المقابل، فهم يتبادلون النقاش فى حذر مفرط، ثم تنتهى اللقاءات ويفاجأ الناس باكتشاف جديد، أعد فى ظل رهيب من الكتمان، فإذا طلب المؤتمرون بحث هذا الاكتشاف حيل بينهم وبين ما يشتهون، إذ أنه فى المنطق المادى وقف على من اكتشفه، وعلى الذين يحاولون الوصول إليه أن يبذلوا الجهد دون استعانة بمن انتهوا إلى غايتهم من اكتشافه.

وإذا كان هذا مانشاهده سافرا دون نقاب، فما معنى تكرار المؤتمرات العلمية إذا كانت لا تبيح التبادل الحقيقى؟ وإذا كان التوق السياسى مدعاة الحرص على هذا التكتم البغيض،

فإن هذا التكتم لا يقف عند القوة الحربية وحدها، بل يمتد إلى شتى الميادين، فالذين يحرزون تقدما اقتصاديا فى عالم الصناعة يحتكرون السوق العالمية لمدة طويلة فترتفع الأسعار ارتفاعا يعود بالربح على الدولة المكتشفة وحدها، وأخطر ما يكون ذلك فى مواد العقاقير الطبية حيث لا تتكلف غير الهين اليسير، ولكن اختفاء سرها يجعلها مصدر ربح خرافى يظل موردا للدولة المكتشفة حتى يهتدى الباحثون إلى السر العلمى فتهوى القيمة، ومازلنا نسمع عن دواء يباع عند اكتشافه بخمسة دنانير ثم يهوى إلى نصف دينار.

ولو تركنا الجانب الخلقى ناحية، ونظرنا إلى الربح المادى وحده فإننا نرى أن إذاعة هذه الأسرار توفر كثيرا من الجهود، وتدعو الفريق الآخر إلى أن يبرز ماعنده، فيتلاقى الجميع على النفع العام، وذلك أمل لا تبشر الأحداث المشاهدة بتحقيقه فى وقت قريب، فما زال الشره الطامع محدود الرواق، ولعل الذين يتبجحون بتقدم الحضارة الأوربية ينسون أن الإسلام يمنع كتمان العلم، ويعده جريمة نكراء، إذ فرض الله على ذوى الدراية من العلماء أن يبرزوا ماعندهم للناس، وللعلم زكاة كالمال.

مثـــال تاريخـــى

تحدث من أرخوا حياة الإمبراطور (فردريك الثانى) أنه كان يترك أمور السياسة إلى شئون العلم ليظهر براعته العلمية التى لا ظل لها من الحقيقة، وقد دعا رجلين بريئين إلى الغداء، وأطعمهما حتى امتلآ، وبعث بأحدهما لينام، وبعث بالآخر ليصيد وفى المساء أمر بشق بطنيهما حيين، ليعرف أيهما كان أحسن هضما؟ من أكل ونام أو أكل واشتغل، وقد نافقه علماء بلده، فأظهروا إعجابهم بيقظته العلمية النادرة، وأذاعوا عنه أنه أسهم فى تقدم البحوث الطبية إسهاما حقيقيا، ولو وجد الإمبراطور مستشارا أمينا لأعلمه أن كرامة الإنسان محترمة، وأن من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا، وأن من الوسائل العلمية ما يقوم مقام تجربته الشنيعة دون إجرام.

إن الذين يبحثون عن صلاح المجتمع الإنسانى، ويحرصون على سلام الشعوب، لن يشعروا بتقدم حقيقى إذا تخلى العلم عن الخلق وعاش العالم بلا ضمير.

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - :

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

سورة البقرة آية : ٢٢٨

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ ﴾

معطوف على ما قبله لشدة المناسبة وللاتحاد فى الحكم وهو التربص الذى سبقت الإشارة إليه فى قوله:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾

والتربص: التأنى والتريث والانتظار.

والقروء: جمع قرء ـ بضم القاف وفتحها.

قال الطبرسي: وأصله في اللغة يحتمل وجهين.

أحدهما: الاجتماع ومنه القرآن لاجتماع حروفه. فعلى هذا يقال أقرأت المرأة فهي مقرئ إذا حاضت، وذلك لاجتماع الدم في الرحم.

والوجه الثاني: أن أصل القرء الوقت الجاري في الفعل على عادة، يقال: هذا قارئ الرياح أي وقت هبوبها »[1].

والمعنى: أن على المطلقات أن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء بدون نكاح ثم لها أن تتزوج بعد ذلك إن شاءت.

والمراد بالمطلقات هنا المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل، لأن غيرهن قد بين ـ الله تعالى ـ عدتهن في مواضع أخرى.

والمتوفى عنها زوجها بين الله عدتها بقوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[2].

ومن لا يحضن ليأس من الحيض، أو لأنهن لم يرين الحيض فقد بين الله ـ تعالى ـ عدتهن بقوله:

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ﴾[3].

أي: واللائي لم يحضن فعدتهن كذلك ثلاثة أشهر.

وذوات الحمل بين الله ـ تعالى ـ عدتهن بقوله:

﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[4].

وغير المدخول بها لا عدة عليها لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾[5].

وقوله:

﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ جملة خبرية اللفظ إنشائية المعنى أي(ليتربصن) وإخراج الأمر في صورة الخبر ـ كما يقول الزمخشري ـ « تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعه إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء: « رحمك الله » أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة. كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل توكيد ولو قيل: « ويتربص المطلقات » لم يكن بتلك الوكادة »[6].

وفي قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾

ما فيه من الإبداع في الإشارة والنزاهة في العبارة والسمو في المعنى، وذلك لأن المرأة المطلقة كثيرا

---

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي جـ ٢ ص ٢٢٦.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٤.

(٣) ، (٤) سورة الطلاق الآية (٤).

(٥) سورة الأحزاب الآية (٤٩).

(٦) تفسير الكشاف ١/٢٧١.

ما تشعر بعد طلاقها بأنها فى حاجة إلى أن تثبت أن إخفاقها فى حياتها الزوجية السابقة ليس لنقص فيها، أو لعجز عن إنشاء حياة زوجية أخرى وهذا الشعور قد يدفعها إلى التسرع والاندفاع من أجل إنشاء هذه الحياة، وهنا تبرز طريقة القرآن الحكيمة فى معالجة النفوس، إنه يقول للمطلقة: إن التطلع إلى إنشاء حياة زوجية أخرى ليس عيبا، ولكن الكرامة توجب عليها الانتظار والتريث، إذ لا يليق بالحرة الكريمة أن تتنقل بين الأزواج تنقلا سريعا.. وأيضا فإن نداء الفطرة، وتعاليم الشريعه توجبان عليها الانتظار مدة ثلاثة قروء، لكى تستبرئ رحمها، حتى إذا كان هناك حمل نسب إلى الأب الشرعى له.

وفى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ إشعار بأن هذا التربص يجب أن يكون من ذات أنفسهن وليس من عامل خارجى، فشأن الحرة الكريمة المؤمنة أن تحجز نفسها بنفسها عن كل ما يتنافى مع الكرامة والشرف، فقد تجوع الحرة ولكنها لا تأكل بثديها ـ كما يقولون.

وقد أشار صاحب الكشاف إلى المعنى بقوله: فإن قلت وما معنى ذكر الأنفس ـ هنا ـ؟

قلت: فى ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث، لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن. وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال. فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح، ويجبرنها على التربص»[(٧)].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ نصب ثلاثة على النيابة على المفعول فيه، لأن الكلام على تقدير مضاف، أى مدة ثلاثة قروء، فلما حذف المضاف خلفه المضاف إليه فى الإعراب.

هذا وللعلماء رأيان شهيران فى المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾:

فالأحناف والحنابلة ومن قبلهم عمر وعلى وابن مسعود وغيرهم يرون أن المراد بالقروء هنا الحيضات والمعنى عندهم: أن المطلقات عليهن أن يمكثن بعد طلاقهن من أزواجهن مدة ثلاث حيضات بدون زواج ثم بعد ذلك لهن أن يتزوجن إن شئن.

ومن أدلتهم: أن النبى ﷺ قد فسر القرء بمعنى الحيض فقد جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود والنسائى عن فاطمة بنت أبى حبيش أن رسول الله ﷺ قال لها: «دعى الصلاة أيام أقرائك»[(٨)].

ولا شك ان المراد بالقرء فى هذا الحديث الحيض، لأنه هو الذى لا تصح معه الصلاة أما المالكية والشافعية ومن قبلهم عائشة وعبدالله بن عمر وزيد بن ثابت والزهرى وغيرهم فيرون أن المراد بالقروء هنا الأطهار، أى الأوقات التى تكون بين الحيضتين للنساء.

ومعنى الآية عندهم: أن على المطلقات أن يمكثن بعد طلاقهن من أزواجهن ثلاثة أطهار بدون زواج ثم بعد ذلك يتزوجن إذا شئن.

---

(٧) تفسير الكشاف ٢٧١/١.

(٨) تفسير الآلوسى ١٣١/٢.

ومن أدلتهم: أن الله - تعالى - يقول:

﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ وقد بينت السنة النبوية أن الطلاق لا يكون فى الحيض، فلا يتصور أن يكون الطلاق فى العدة إلا إذا فسرنا القرء بالطهر لا بالحيض، وروى عن عائشة أنها قالت: «هل تدرون الأقراء؟ الأقراء الأطهار[٩]».

قال صاحب المنار: قال الأستاذ الإمام: والخطب فى الخلاف سهل، لأن المقصود من هذا التربص العلم ببراءة الرحم من الزوج السابق، وهو يحصل بثلاث حيض كما يحصل بثلاث أطهار، ومن النادر أن يستمر الحيض إلى آخر الحمل فكل من القولين موافق لحكمة الشرع فى المسألة[١٠].

ثم قال - تعالى -:

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾

أى: ولا يحل للنساء المطلقات أن يكتمن أمانة الله التى خلقها فى أرحامهن من ولد لكى ينسبنه إلى غير أبيه، أو من حيض أو طهر لكى تطول العدة، ويمتد الإنفاق من الأزواج عليهن فإن هذا الكتمان كذب على الله، وخيانة للأمانة التى أودعها الله فى أحشائهن وأمرهن بالوفاء بها، سيحاسب الله من يفعل ذلك منهن حسابا شديدا ويعاقبه عقابا أليما.

وقوله: ﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾.

تحريض لهن على عدم الكتمان وعلى الإخبار الصادق حتى تستقيم الأحكام، وتتقرر الحقوق، وتحذير لهن من الكتمان ومن اتباع الهوى والشيطان أى: أن على المطلقات ألا يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن إن جرين على ما يقتضيه الإيمان، إذ الإيمان يبعث على الصدق ويدعو إلى المحافظة على الأمانة، فإن لم يفعلن ذلك وكتمن ما خلق الله فى أرحامهن، كن ممن لا يؤمن بالله وباليوم الآخر إيمانا حقيقيا، لأن من شأن المؤمنات الكاملات فى إيمانهن ألا يفعلن ذلك.

قال الإمام الرازى: أما قوله:

﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾.

فليس المراد أن ذلك النهى - عن الكتمان - مشروط بكونها مؤمنة، بل هذا كما تقول للرجل الذى يظلم: إن كنت مؤمنا فلا تظلم. تريد إن كنت مؤمنا فينبغى أن يمنعك إيمانك عن ظلمى، ولا شك أن هذا تهديد شديد للنساء.. والأية دالة على أن كل من جعل أمينا فى شئ فخاف فيه فأمره عند الله شديد»[١١].

هذا وقد قرر الفقهاء أن القول فيما يتعلق بعدة المرأة ابتداء وانتهاء مرجعه إليها، لأنه أمر يتعلق بها ولا يعلم إلا من جهتها، إلا أنهم مع ذلك قرروا مدة ينتهى قولها عنده، ولا يعمل بقولها إن نقصت على تلك المدة، فلو ادعت - أنها قد انقضت عدتها بعد شهر من طلاقها لا يقبل قولها.

وللفقهاء كلام طويل فى هذه المسألة مبسوط فى كتب الفقه فليرجع إليه من شاء ذلك ثم قال - تعالى -:

---

(٩) تفسير الفخر الرازى ٦/٩٤.

(١٠) تفسير المنار ١/٢٧١.

(١١) تفسير الفخر الرازى ٦/٩٨.

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ﴾

قال القرطبى: البعولة جمع البعل وهو الزوج، سمى بعلا لعلوه على الزوجة بما قد ملكه من زوجيتها، ومنه قوله - تعالى - :

﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ أى ربا، لعلوه فى الربوبية، والبعولة أيضا مصدر البعل وبعل الرجل بيعل - كمنع يمنع - أى صار بعلا والمباعلة والبعال: الجماع، ومنه قوله ﷺ لأيام التشريق: «إنها أيام أكل وشرب وبعال»[١٢].

والمعنى: وأزواج المطلقات طلاقا رجعيا أحق بردهن ومراجعتهن فى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أى فى وقت التربص قبل انقضاء العدة:

﴿ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ﴾ أى إن أرادوا بهذه المراجعة الإصلاح لا الإضرار، كما سيأتى فى قوله - تعالى - :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ ﴾

قال القرطبى: «وأجمع العلماء على أن الحر إذا طلق زوجته الحرة وكانت مدخولا بها تطليقة أو تطليقتين، أنه أحق برجعتها مالم تنقض عدتها وإن كرهت المرأة، فإن لم يراجعها المطلق حتى انقضت عدتها فهى أحق بنفسها وتصير أجنبية منه، ولا تحل له إلا بخطبة ونكاح مستأنف بولى وإشهاد ليس على صفة المراجعة، وهذا إجماع من العلماء»[١٣].

وفى هذه الجملة الكريمة بيان لبعض الحكم السامية التى أرادها الله - تعالى - من وراء مشروعية العدة فالله - تعالى - جعل للمطلق فرصة - هى مدة ثلاثة قروء - لكى يراجع نفسه ويتدبر أمره، لعله خلال هذه المراجعة وذلك التدبر يرى أن الخير فى بقاء زوجته معه فيراجعها، رعاية لرابطة المودة والرحمة التى جعلها الله - تعالى - بين الزوجين.

وقوله - تعالى - :

﴿ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ﴾ شرط المقصود منه حض المطلق على أن ينوى بإرجاعه لمطلقته إصلاح أحوالهما، بإرشادها إلى ما من شأنه أن يجعل حياتهما الزوجية مستمرة لا منقطعة، أما إذا راجعها على نية الكيد والأذى والمضارة ففى هذه الحالة يكون آثما وسيعاقبه الله على ذلك بما يستحقه.

قال الآلوسى: وليس المراد من التعليق اشتراط جواز الرجعة بإرادة الإصلاح حتى لو لم يكن قصده لا تجوز، للاجتماع على جوازها مطلقا، بل المراد تحريضهم على قصد

---

(١٢) تفسير القرطبى ١١٩/٣ بتلخيص.

(١٣) تفسير القرطبى ١٢٠/٣.

الإصلاح حيث جعل كأنه منوط به ينتفى بانتفائه »[١٤].

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله :

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

أى : وللنساء على الرجال مثل ما للرجال على النساء فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه نحوه بالمعروف .

والمراد بالمماثلة ـ كما يقول الآلوسى ـ المماثلة فى الوجوب لا فى جنس الفعل، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل لها مثل ذلك . ولكن يقابله بما يليق بالرجال »[١٥].

أى أن الحقوق والواجبات بينهما متبادلة، وأنهما متماثلان فى أن كل واحد منهما عليه أن يؤدى نحو صاحبه ما يجب عليه بالمعروف أى بما عرفته الطباع السليمة ولم تنكره، ووافق ما أوجبه الله على كل منهما فى شريعته فالباء فى قوله :

﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ للملابسة .

وقد بين النبى ﷺ فى أحاديث متعددة حقوق الرجال على النساء، وحقوق النساء على الرجال، ومن ذلك ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبدالله أن رسول ﷺ قال فى خطبته فى حجة الوداع « اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله . واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه . فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

وروى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لا مرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » .

وأخرج أبو داود عن معاوية بن حيدة قال : قلت يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟

قال : « أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا فى البيت » .

ولقد قام السلف الصالح بأداء هذه الحقوق على أحسن وجه فقد روى عن ابن عباس أنه قال : « إنى لأحب أن أتزين لامرأتى كما تتزين لى لأن الله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ » .

أى : أن يحب أن يؤنسها وأن يدخل السرور على قلبها كما أنها هى تحب أن

---

(١٤) تفسير الآلوسى ٢/١٣٤.

(١٥) تفسير الآلوسى ٢/١٣٤.

تفعل له ذلك ولكن لا يفهم أحد أن المراد بهذا المثلية المساواة من كل الوجوه قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ والرجال: جمع رجل. يقال: رجل بين الرجلة أى القوة. وهو أرجل الرجلين أى أقواهما وفرس رجيل أى قوى على المشى. وارتجل الكلام أى قوى عليه من غير حاجة فيه إلى فكرة وروية، وترجل النهار اى قوى ضياؤه. فأصل كلمة الرجل مأخوذة من الرجولية بمعنى القوة.

والدرجة فى الأصل: ما يرتقى عليه من سلم ونحوه، والمراد بها هنا المزية والزيادة أى: لهن عليهم مثل الذى لهم عليهن وللرجال على النساء مزية وزيادة فى الحق، بسبب حمايتهم لهن، وقيامهم بشئونهن ونفقتهن وغير ذلك من واجبات.

قال بعض العلماء: وإذا كانت الأسرة لا تتكون إلا من ازدواج هذين العنصرين ـ الرجل والمرأة ـ فلابد أن يشرف على تهذيب الأسرة ويقوم على تربية ناشئتها وتوزيع الحقوق والواجبات فيها أحد العنصرين.

وقد نظر الإسلام إلى هذا الأمر نظرة عادلة، فوجد أن الرجل أملك لزمام نفسه، وأقدر على ضبط حسه، ووجده الذى أقام البيت بماله وأن انهياره خراب عليه فجعل له الرياسة، ولذا قال ـ سبحانه ـ:

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾

هذ هى الدرجة التى جعلها الإسلام للرجل، وهى درجة تجعل له حقوقا وتجعل عليه واجبات أكثر، فهى موائمة كل المواءمة لصدر الآية، فإذا كان للرجل فضل درجة فعليه فضل واجب »(١٦).

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أى غالب فى انتقامه ممن عصاه، حكيم فى أمره وشرعه وسائر ما يكلف به عباده فعلى الرجل والمرأة أن يطلبا عزهما فيما شرعه الله فهو الملجأ والمعاذ لكل ذى حق مهضوم، وعليهما كذلك أن يتمسكا بما كلفهما به، لأنه ما كلفهما إلا بما تقتضيه الحكمة، ويؤيده العقل السليم.

«يتبـــــع»

***

(١٦) تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة مجلة لواء الإسلام، السنة السادسة، العدد (٣).

دعوة القرآن الكريم إلى بناء المجتمع

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن دعوة الإسلام إلى بناء المجتمع المثالى، لا تقتصر على ما فرضه من حدود على الجرائم والشرور، لتنقية المجتمع منها فحسب، ولا على النواهى والتحذيرات التى تحرم على المسلم ارتكاب الرذيلة أو فعل القبيح أو الإهمال فيما وجب عليه فقط، كما لا تقتصر على ما شرعه الله - تعالى - من عبادات ومعاملات وجهاد لا غير.. ولا تقتصر كذلك على ما جاء من الفضائل أو الأخلاق فى ذروتها كالإيثار، والإحسان إلى من أساء وغير ذلك.. بل إن دعوة الإسلام تضمنت مع كل هذا وذلك « الأسوة الحسنة » التى تمثلت فى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وبلغ فيها أسمى الدرجات، فلا يكفى للرائد والمعلم أن يلقى توجيهاته دون أن تكون أعماله وسلوكه مصوغة على أعلى المستويات فيما يأمر أو ينهى عنه.

والمعلوم أن فى الإنسان فطرة خيرة كريمة، ونزعة بشرية مقابلة وكل واحدة من هاتين تحاول اجتذاب الإنسان إلى صفها، فمن زكى نفسه فقد أفلح، ومن أهملها فقد ضل ضلالاً مبيناً:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[1].

ولكى يكون السلوك دائم النقاء، موصول الخير، مأموناً عليه من الانزلاق فى وحل المعصية، والشرور، جاءت توجيهات الإسلام لتخاطب الظاهر والباطن، ولتستحث فى الإنسان فطرته الطيبة وتحرك أشعتها مضيئة صوب الحق والخير.

ولا يجعل الإسلام الحساب على مجرد شكل العمل وصورته، بل على روحه ونية فاعله، قال ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»[2] وقال ﷺ : «إنما يبعث الناس على نياتهم»[3] وهنا يتجلى ما يتضمنه الدين من بعث لقوى الخير الكامنة، وإطفاء لنزعات الشر الطائشة فى داخل النفس الإنسانية إن قوانين الدنيا قد يفلت البعض منها بحيلة ما، فلا يقع تحت طائلة العقاب أما بالنسبة للقوانين الإلهية فمهما أخفى العبد جريمته، فلن تخفى على علام الغيوب الذى يعلم السر وأخفى.

ولهذا كان الإسلام فى دعوته يجمع كل صفات الظاهر والباطن ويغرس فى النفس الإنسانية روح المراقبة ومعانى الخير الكاملة: وينقى القلب دائماً ويجعله على صلة وثيقة بالله وبالناس.. وسنرى كيف نادى الكتاب العزيز والسنة الشريفة إلى كل هذا وكيف كانت تقوى الله - تعالى - هى أهم الركائز، وعلى ضوئها تنبثق كل الفضائل والأخلاق.

فلقد أرسى الإسلام قاعدة المثالية، بالنسبة للأفراد والجماعات، والأمم والشعوب وعلى ضوئها يقوم بناء المجتمع المثالى، هذه القاعدة القرآنية هى قول الله - تعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4].

فالمجتمع المثالى هو الذى أخذ التقوى شعاراً، وطبقها سلوكاً، فآتت ثمارها حقيقة. وقد وضح القرآن الكريم سمات هذا المجتمع الرفيع، وبين أنه هو الذى يجعل القرآن هداه:

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[5].

ويرسم القرآن صورة هذا المجتمع المتكامل فى مبادئه، بأنه صحيح العقيدة فى دينه، متعاون فى معاشرته، مهذب النفس فى سائر معاملاته وعلاقاته.

١- أما صحة العقيدة: فتكون بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.

---

(١) الشمس «٧ : ١٠».

(٢) أخرجه ابن ماجة.

(٣) أخرجه ابن ماجة.

(٤) الحجرات «١٣».

(٥) البقرة «٢ : ٤».

٢–وأما تعاونه فى المعاشرة: فيكون بإيتاء المال – مع حبه له– لأصحاب الحقوق والمحتاجين، فقد روى مسلم بسنده– عن أبى هريرة– رضى الله عنه –قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «أما وأبيك لتنبأنه: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان».

٣–وأما تهذيب النفس فى سائر المعاملات والعلاقات: فيكون بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر فى كل الأحوال وفى أوقات الشدائد،وعند لقاء العدو.

إن من يجمع هذه المبادىء فقد صار صادقاً فى دينه، واتباعه للحق، وطلبه للبر، وهو بحق تقى.. والمجتمع الذى يتسم بها هو المجتمع المثالى الفاضل ويجمع محسنين كانوا قليلاً من اليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ضم هذه المبادىء كلها قول الله – تعالى:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(٦).

وفى موطن آخر من سورة «الذاريات» يصور القرآن الكريم صورة المجتمع المثالى بأنه مجتمع تقى بلغ فى رُقيه وتقاه إلى درجة الإحسان التى أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٧) وقبل أن يذكر ملامح هذا المجتمع يبين جزاء أصحابه، وما أعده الله – تعالى – من جنات وعيون وما هم عليه من رضا تام، وقبول حسن لما آتاهم ربهم، فيقول الله – تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾(٨).

إن درجة الإحساس التى أشارت إليها الآيات السابقة، لهى أمان للمجتمع، فوق مالها من منزلة، وما لأصحابها من أجر وافر عند الله، هى أمان من الخوف والفزع والقلق النفسى، وهى أمان من الحزن الذى يصاب به غير المحسنين فى أعمالهم وعباداتهم. قال تعالى:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٩).

وتفسر الآيات الشريفة درجة الإحسان فى التقوى والعمل، بأنها ترقى بالمجتمع إلى الدرجات العلا..

(٦) البقرة «١٧٧».

(٧) البخارى ١/٢٠.

(٨) الذاريات «١٥ : ١٩».

(٩) البقرة «١١٢».

١-إنهم يهجعون فى طائفة قليلة من الليل، ويقضون سائر الليل فى العبادة.

٢-ومع قلة هجوعهم، وكثرة تهجدهم ينهضون فى الأسحار ويستغفرون ربهم وكأنهم لم يقضوا الليل فى العبادات.. فهم يصلون فى الرقى بالعبادات من نوع إلى آخر ولا يركنون لما قدموا من طاعة أو سهر وتهجد بل مع هذه الاجتهادات يكثرون من الاستغفار وكأنهم مذنبون.

٣-ثم يقدمون بعد هذا الدليل على صدق الإيمان، وإحسان الطاعة، وذلك بالبذل والإنفاق ولا يقصرون البذل والعطاء على السائل الذى يسأل، بل يبذلون وينفقون على من لا يسأل، كالمحروم وهو: المستجدى، والمتعفف الذى يظنه بعض الناس غنياً لعدم سؤاله فيحرم الصدقة، ومصداق ذلك فى موطن أخر، قول الله – تعالى:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٠).

وإذا كان القرآن الكريم قد بين جزاء قيام الليل بهذه الصورة:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

فقد أكدت السنة الشريفة عظمة هذا الجزاء: عن أبى هريرة– رضى الله عنه– عن رسول الله ﷺ قال:

قال الله – تعالى – :

« أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾(١١).

وأما جزاء الاستغفار وثمرته: فواضح فى قول الله – تعالى:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾(١٢).

ويقول الرسول ﷺ: « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب»(١٣).

وأما فضل الإنفاق وجزاؤه، فقد قال تعالى:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١٤).

وقال تعالى:

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(١٥)

(١٠) السجدة «١٦، ١٧».

(١١) رواه البخارى.

(١٢) نوح «١٠ : ١٢».

(١٣) رواه ابوداود.

(١٤) النساء «١١٤».

(١٥) سبأ «٣٩».

وعن أبى هريرة– رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «إن ملكاً بباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجز غدا. وملكا بباب آخر يقول: اللهم أعط منفقاً خلفاً وعجل لممسك تلفا»(١٦).

هذه العناصر الثلاثة: من قيام الليل، وعدم الاتكال على ذلك فيكثر من الاستغفار، ثم إقامة البرهان على الصدق فى جميع الفضائل بالإنفاق، كما قال الرسول ﷺ: «.. والصدقة برهان»(١٧). هذه كلها تشكل عناصر الإحسان الذى هو عنوان المجتمع المثالى الذى أخذ نفسه بتوقى الله – تعالى – والإحسان فى عباداته ومعاملاته:

والناس فى نظرهم للمثالية يختلفون، وينقسمون إلى قسمين:

أحدهم: يراها فى حب الشهوات، وهؤلاء هم حزب الشيطان وعشاق الدنيا الذين غرتهم الأمانى وغرهم بالله الغرور.

والآخر: يراها فى تقوى الله – تعالى – وهؤلاء هم حزب الله:

﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١٨).

وقد بين القرآن الكريم أن القسم الثانى هو الذى على حق، وهو الذى قد أعد له ربه جزاء عمله على نوعين:

الأول: جسمانى نفسى، وهو الجنة والأزواج المطهرة.

والثانى: روحانى عقلى، وهو رضوان الله – سبحانه وتعالى – ويصور القرآن الكريم النوعين من المجتمعات فى قوله تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤) ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(١٩).

ثم تبرز لنا الآيات الكريمة سمات هذا المجتمع العظيم :

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٦) ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾(٢٠).

إنهم رتبوا طلب المغفرة على الإيمان ، وابتهلوا إلى الله بصدق إيمانهم ليغفرلهم.

كما أنهم صابرون، والصبر ضياء، وقد قال الله – تعالى – فى جزاء الصابرين:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢١).

---

(١٦) رواه أحمد بإسناد صحيح، وابن حبان فى صحيحه، والطبرانى فى الأوسط.

(١٧) أخرجه أحمد ٥/٣٤٢، ٣٤٣.

(١٨) المجادلة «٢٢».

(١٩) آل عمران «١٤، ١٥».

(٢٠) آل عمران «١٦، ١٧».

(٢١) الزمر «١٠».

وقال تعالى:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(٢٢).

وقال ﷺ : «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»(٢٣).

ثم يصفهم بعد ذلك بالصدق، والصدق يكون فى القول والعمل، وقد قال الله - تعالى - فى جزاء الصادقين:

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢٤).

وقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(٢٥).

وقال رسول الله ﷺ فى ثمرة الصدق ونتيجته، وعاقبة الكذب ونهايته: «إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»(٢٦).

وحين يصفهم بالعبادة يصفهم بالمداومة عليها، والحرص على روحها ولبابها لا على الشكل والمظهر فحسب، فيصفهم «بالقانتين»

وأما الصفتان التاليتان وهما: الإنفاق، والاستغفار بالأسحار فقد سبق بيانهما. .إلا أن بعض المفسرين يرى أن المراد بالاستغفار هنا الصلاة وقت السحر،

وقد أمر الله - تعالى - عباده بأسباب المغفرة والجنة، ووجههم إلى المسارعة فى ذلك، ولكن الأمر والتوجيه جاء بصيغة تقتضى تحقق هذا الجزاء العظيم الذى أعد لهم لأنهم اتقوا ربهم حق تقاته، وقدموا الجزاء أولاً، ليبين أنه المتكفل به والضامن له، ثم ذكر- بعد ذلك - سماتهم وأوصافهم.. ثم يختم ببيان الجزاء، ليوضح أنه إنما جاء وفق إيمانهم وعملهم، لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، وليوضح - أيضاً - أنه مؤكد عند الله - سبحانه وتعالى -

وفى معرض تعداد أوصاف المتقين، الذين سموا فى أعمالهم إلى مراقى الفلاح، والذين كونوا بمثاليتهم الفذة أرقى مجتمع إنسانى على ظهر الأرض فى معرض تعداد الأوصاف، ذكر نوعين من الأعمال، عليهما تدور سعادة الأمة التى ينتمون إليها كالإنفاق، والسعادة النفسية للعامل ذاته هذان النوعان هما:

١-العمل البدنى كالإنفاق.

---

(٢٢) الشورى «٤٣».
(٢٣) رواه مسلم.
(٢٤) الزمر «٣٣ : ٣٥».
(٢٥) التوبة «١١٩».
(٢٦) متفق عليه.

٢-والعمل النفسى كعدم الإضرار.

هذه الملامح السابقة يصورها قول الله - تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾(٢٧).

وهكذا تطلعنا هذه الآيات الكريمة على خمس سمات إذا تحققت تكاملت بها صورة المجتمع المثالى:

أولاً: قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾(٢٨).

أى فى حالة الرخاء وفى حالة الشدة، والسراء من السرور أى فى الحالة السارة التى يستشعر فيها الإنسان السعة واليسر و«الضراء» من الضرر أى فى الحالة الضارة التى يستشعر فيها الإنسان الضيق والعسر، وقد روى عن ابن عباس تفسيرهما باليسر والعسر.

وهنا لفتة إلهية حكيمة، حيث بدأ صفات المتقين بالإنفاق، وذلك لسببين:

١-لمقابلته بالربا الذى نهى عنه فى الآية السابقة فى قول الله - تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢٩).

فإذا كان فى الربا استغلال من الغنى للفقير، وانتهاز لحاجته وفاقته لأكل ماله بغير وجه حق.. فإن فى الصدقة مساعدة للفقير وعوناً له، لايبتغى من الفقير جزاء ولا شكورا.

٢-للإنفاق فى جميع الحالات- اليسر والعسر- دلالة على صدق الإيمان، وبرهان على قوة اليقين.. وهذا هو شأن المتقين، لا يجرهم اليسر إلى البطر، ولا يوقعهم العسر فى القنوط، فهم لا يقتصرون فى تعاونهم على حالة الرخاء والنعمة بل هم فى الحالين سواء، فلما كان الإنفاق أدل على التقوى، وأعظم نفعا للمجتمع الإنسانى من سائر الأعمال الأخرى استهلت الآية الشريفة موكب المتقين بالإنفاق.

ثانياً: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ وهم الذين يحبسون غيظ نفوسهم بالصبر عندما يهضم لهم حق من الحقوق مادية كانت أو

(٢٧) آل عمران «١٣٣ : ١٣٦».

(٢٩) آل عمران «١٣٠».

(٢٨) آل عمران «١٣٤».

معنوية، وهذه الصفة تقتضى ضبط النفس وكبح جماحها، حتى لا تنزلق فى الشر فتكون فتنة.

وقد بين الرسول ﷺ درجة كظم الغيظ وثمرته فى قوله: «من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء»(٣٠).

ثالثاً: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ وهنا يرقى الإسلام بنفس المسلم، فبعد أن أطفأ جذوة الشر التى تكاد تندلع بها النفس الإنسانية، وذلك بكظم الغيظ، انتقل بالمسلم إلى درجة أسمى، فيها معالجة للنفس وارتفاع إلى مرتبة أسمى من السابقة، فقد يكظم الإنسان غيظه ولا يزال فى قلبه شىء من الضغينة، أما العفو فيمسح ما بقى من شر حتى يعود القلب نقياً.

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك وتصل من قطعك»(٣١).

رابعاً: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، إذا كان العفو منزلة فوق العدل كان - عند بعض العلماء - إحساناً، وعلى هذا فمعنى ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أى الذين أحسنوا فى معاملتهم وعفوهم.

ولكننى أرى أن قوله - تعالى-:

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٣٢).

صفة رابعة، زائدة على ما سبق، وقد جاء فى صيغة تبرز بكونه محبوباً عند الله - سبحانه - فهي درجة زائدة بلغ أصحابها فى مثاليتهم مدى عظيماً، بحيث لا يكتفون بكظم الغيظ والعفو فحسب بل إنهم يحسنون إلى من أساء إليهم، روى أن بعض السلف الصالح غاظه غلام له غيظاً شديداً فهم بالانتقام منه، فقال الغلام:

﴿ وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ فقال كظمت غيظى.

قال الغلام:

﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾(٣٣). قال: عفوت عنك.

قال الغلام:

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾. قال: اذهب فأنت حر لوجه الله.

---

(٣٠) أخرجه ابن ماجة.

(٣١) رواه الطبرانى.

(٣٢) آل عمران «١٣٤».

(٣٣) آل عمران «١٣٤».

خامساً : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾(٣٤).

وهذه الصفة، تكشف عن الطبيعة البشرية وأنها عرضة للخطأوالزلل، فالمسلم التقى إذا اقترف معصية فى حالة ضعف نفسى يبادر بالرجوع إلى ربه مستغفراً تائباً.. وإن سماحة الإسلام لا تدع أمثال هذا النمط فى مؤخرة القافلة، بل ترفعهم إلى مصاف المتقين ما داموا قد ذكروا ربهم، واستغفروه، ولم يصروا على ما فعلوا.

ومما سبق يمكننا أن نبرز هنا سمات هذا المجتمع المثالى لتكون بمثابة الأضواء الكاشفة للأمة الإسلامية حتى تترسم الخطى الصحيحة التى أشار إليها الإسلام فى القرآن والسنة، وهذه السمات:

أ- منها ما يتعلق بصحة العقيدة: وهذا عن طريق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.. وما يستلزمه من عبادات ومعاملات.

ب- التعاون والتكافل الاجتماعى، وهذا عن طريق التعاون والإنفاق فى جميع الأحوال.

جـ - تهذيب النفس الإنسانية وترويضها، وكبح جماحها وفتح سبل الخير والحق لها..

وهذا عن طريق :

١- الصلاة.
٢- الزكاة.
٣- الصوم.
٤- الحج للمستطيع.
٥- الوفاء بالعهد.
٦- الصبر فى جميع الأحوال.

د- سموهم فى العبادة والقرب من الله..

وهذا عن طريق:

١- قيام الليل.
٢- الاستغفار فى الأسحار.

هـ- علاقتهم بالله وبالناس وسمو المجتمع بهم وهذا عن طريق:

١- الصدق.
٢- القنوت.
٣- كظم الغيظ.
٤- العفو عن الناس.
٥- الإحسان إلى من أساء إليهم.
٦- الرجوع إلى الله - تعالى.

وهذه هى ختام الصفات الكريمة، وهى تبين أنهم دائما يذكرون ربهم ولا ينسونه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾(٣٥).

---

(٣٤) آل عمران «١٣٥».

(٣٥) الأعراف «٢٠١».

تعظيم القرآن

للأستاذ الدكتور / أحمد عبدالواحد

صنف الإمام الحافظ أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحليمى - المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة - كتابا سماه (المنهاج فى شعب الإيمان) جمع فيه من الكلام فى حقيقة الإيمان، وشرح ما جاء عن النبى ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[(١)] وتفصيل هذه الشُعَب واحدة واحدة، والكلام عنها بما يكشف عن حقيقتها - ما أمَّل أن يعظم نفعه وتكثر فائدته، وسماه (المنهاج) إذ كان إبانة لما نهجه الله - تعالى - لنا من الدين، وهدانا إليه من الصراط المستقيم، وقد قال سبحانه: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[(٢)].

وقسّمه عشرة أقسام فى عشرة أبواب، أولها: فى البيان عن حقيقة الإيمان، وعاشرها: فى شعب الإيمان.

وفي بيان التاسع عشر من شعب الإيمان، ذكر أنه تعظيم القرآن - كتاب الله العزيز - بكل وجه من وجوه الإجلال والتكريم، ومنها تعلُّمه، وملازمة تلاوته، وإحضار القلب عند قراءته، والتفكُّر فيه، وتكرير آياته وترديدها واستشعارها بما يهيج الخشية من مواعظ الله ووعيده فيه.

ومنها أن يرتّل القراءة - أى يتأنى فيها - ويحسّن صوته بها، ويفتتح قراءته بالاستعاذة، ويقرأ فى أول كل سورة - عدا سورة التوبة - بسم الله الرحمن الرحيم.

ومنها أن يزداد من القراءة فى شهر رمضان.

ومنها أن يعلّم القرآن من يرغب إليه فى تعلّمه، ولا يترفّع عنه بل يحتسب الأجر فيه ويغتنمه.

(١) أخرجه الحافظ أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحليمى.

(٢) المائدة (٤٨).

ومنها أن يستشفى قارىء القرآن بما يجيئه منه ويتبرّك بقراءته على نفسه وعلي غيره مريضا أو حزينا أو خائفاً أو مغتماً أو مسافرا ويُتْبِعَه الدعاء والمسألة من الله.

ومنها أن يفرح بما آتاه الله من القرآن فرح الغنى بغناه وذى السلطان بسلطانه ويستعظم نعمة الله عليه به ويحمده عليه.

أما تعلُّم القرآن فهو أول وجوه تعظيمه، لأن ترك التعلم إغفالٌ له وتضييع، والتعلُّم ولوعٌ به وحِرْصٌ عليه وعِرْفانٌ بقدره، وعن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ: «خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه»(٣) وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين»(٤).

فإن من القرآن ما تجب قراءته فى الصلاة، ومنه ما تُسَنُّ قراءته فيها، وفيه أحكام تعبُّد الله بها خلْقَه، وفيه وعْدٌ ووعيد ومواعظ وقصص، ولا يخلو كل واحد منها من أمر يُخَاطَب به الْعَبْد، فمن لم يتعلّم القرآن لم يعْلَمْه، ومن لم يعلَمْه لم يعمل بما فيه، ولم يمكنه امتثال ما أَمَر ولا الانتهاء عما نهى، ولا التصرُّف بما صرَّف، ولا الاستبشار بما بشَّر، ولا التهيُّب بما هيَّب، ولا الاتعاظ بما وعظ، ولا القيام بفرْض التلاوة أو سنتها، فصَحَّ أن التعلُّم هو أول ما يجب من حقوق القرآن.

وكيف يتيسَّر للمؤمن عبادة إذا لم يتعلَّمه ويحفظ منه والله - سبحانه - يقول لنبيِّه:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ ﴾ أى: اسْهَرْ به وقتاً من الليل فى صلاة وقراءة ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ أى: كرامة من الله لك

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾(٥).

وقد سمَّى الله القرآن ذكراً، وتوعَّد مَنْ أعرض عنه ونسيه:

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾(٦).

وقال بعد ذلك:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٧).

ومع أن القرآن إنما نزل ليُعمل به، فإن من معانى التقرّب إلي الله بقراءته أنه خطابُ الحقّ

---

(٣) أخرجه البخارى.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) الإسراء (٧٩).

(٦) طه (٩٩ - ١٠٠).

(٧) طه (١٢٤ - ١٢٦).

سبحانه، وكتابُه الجامع، وبيانُ ما يرضاه لعباده وما لا يرضاه لهم، وما هو جاز لهم به إن أساءُوا أو أحسنوا، ومن أَمْحَلِ الْمُحَالِ أن يخاطب الربُّ عباده على يدى رسوله فلا يُقْرأ كتابه ولا يُعْلَم خطابهُ، بل إن الخطاب به لما كان قائما إلى قيام الساعة فإنه يقتضى إدامة قراءته، وتعليم الآباء أبناءَهم إياه، واستيداع الكبار الصغارَ ما حُمِّلُوه منه، وأن يؤدَّى من البعض إلى البعض، ومن المتقدم إلى المتأخر.

ولو لم يكن فيه إلا أنه كلام الله ـ تعالى ـ نزل به الروح الأمين على النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه لكان من حقه أن يُقْرأ ويُدْرَس تشرُّفاً وتبرُّكا وشكرا لنعمة الله، جل ثناؤه – فيما خلق لنا من اللسان وعلَّمنا من البيان – بقراءة كلامه.

وأما إحضار القارىء فى قلبه ما يقرؤه والتفكرّ فيه، فلأنه خطاب الله ـ تعالى ـ الذى يخاطب به عباده، فمن قرأه ولم يتفكرّ فيه ولم يتدبَّرْه كان كمن لم يقرأه، لأنه لم يصل إلى غرض القراءة من قراءته، فالقرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق، ومن ترك التفكرّ فيما يقرأ استوت الآيات كلها عنده، فلم يعرف لشىء منها حقه، ولم يتزود منها ما يتخشّع به قلبه، وتزكو به نفسه:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾(٨).

قال القاسم: رأيت سعيد بن جبير قام لَيْلَهُ يصلى وهو يقرأ:

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾(٩).

فرددها بضعا وعشرين مرة، وكان يبكى بالليل حتى عَمِش – أى ضعف بصره وسال دمعه – وكان عمر – رضى الله عنه ـ يصلى بالناس فبكى فى قراءته حتى انقطعت قراءته وسُمِع نحيبه من وراء ثلاثة صفوف، وقرأ ابن عمر ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾(١٠) فلما أتى على الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١١) بكى حتى انقطع عن قراءة ما بعدها.

وأما ترتيل القراءة – أى التأنى بها وتجويد التلاوة – فلقول الله عز وجل:

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾(١٢) ولأن التفكر أمْكَنُ عند الترتيل، عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه قال: «يُقال لصاحب القرآن – أى الملازم لتلاوته وتدبّره والعمل به والتأدّب بآدابه –

---

(٨) ص (٢٩).
(٩) البقرة (٢٨١).
(١٠) المطففين (١).
(١١) المطففين (٦).
(١٢) المزمل (٤).

اقْـرَأْ وارْتَقِ – أى: اصْـعَـدْ في دَرَج الجنة – ورتِّلْ كما كنتَ ترتِّل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(١٣).

وأما تحسين الصوت بالقرآن ففيه ما روى عن أبى هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن»(١٤) أى: يقرؤه على خشية من الله ـ تعالى ـ ورقة من فؤاده. وقد فسَّر أبو هريرة التغنِّى بالقرآن بأنه الجهْر به، وسئل الليث بن سعد فقال: يتحزّن به، والذى يظهر – بدلالة الأخبار – أن يكون المراد بالتغنىّ أن يحسِّن القارىء صوته به – مكان ما يحسّن المغنىّ صوته بغنائه – إلا أنه يميل به نحو التحزّن دون التطريب، فإن قراءة القرآن لا يدخلها من النغم وفضول الألحان وترديد الصوت ما يَلْبس المعنى ويقطِّع أوصال الكلام ويُلْهى عن التدبّر وينافى الخشوع، إنَما يليق حُسْن الصوت والتحزَّن دون ما عداهما.

وأما تعليم القرآن ففيه ما رُوىَ عن عثمان بن عفان عن النبى ﷺ أنه قال: «خيركم من تَعلَّم القرآن وعلمَّه»(١٥)، وتعليم القرآن أمانة فى الدين، فهو كتَلْقين الكافر الشهادة ليُسْلم، وهو بر وقُرْبَةٌ من صالح ما يُتَقَرَّب به إلى الله – تعالى – فإن علْم القرآن فَضْل، وتعليمه مَنْ لا يُحْسنه إفادة من فضل العلم، فلا يختلف عن إعطاء الفقير وإطعام الجائع وكُسْوة العُرْيان، وكل ذلك إذا جُعل لوجه الله تعالى كان بِراً وقُرْبة، وقد كان النبى ﷺ أوَّلَ من علَّم القرآن فى أمته، فكيف يكون لأحد أن يترفَّع عن تعليمه أو يستحقر من يَتصدَّى للتعليم؟.

ان القرآن نعمة، وقد سماه الله نورا وشفاء ورحمة، وجعله مباركا وهدى للمتقين، فمن يَسَّره الله له ليعْلَمه ويعمل بما فيه فليعظِّم نعمة الله عليه، ولتكنْ عنده أكبر وأسْنى قدرا من الأموال والأولاد

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(١٦).

وقد قال – عز وجل – لنبيّه تنويها بنعمة القرآن

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(١٧).

وقال لنساء النبى ﷺ:

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾(١٨).

أى: اذكُرْن موضع النعمة، إذ صيّركن الله في بيوت تُتْلَى فيها آيات الله والحكمة، اذكُرْن آيات الله واقْدرْنَ قدرها، وفكِّرْن فيها حتى تكون منكن على بَال لتتَّعْظن بمواعظ الله ـ تعالى ـ ومن كان هذا حاله ينبغى أن تَحسن أفعاله.

فلا يصح – فى ديار الإسلام – أن يخلو بيت لمسْلم من تلاوة القرآن، وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذى تُقرأ فيه سورة البقرة»(١٩).

اهـ

(١٣) أخرجه أبوداود والترمذى.
(١٤) متفق عليه.
(١٥) أخرجه البخارى.
(١٦) يونس (٥٨).
(١٧) النساء (١١٣).
(١٨) الأحزاب (٣٤).
(١٩) أخرجه مسلم.

المعيار المعتبر لقبول الرواية عند المحدثين

للدكتور / أحمد محمود أحمد شيمى (*)

مما لاريب فيه أن أحاديث النبى ﷺ عليها مدار الكثير من الأحكام الشرعية، وذلك ببيان هذه الأحكام وتوضيحها ومعرفة المقصود منها، ومايترتب عليها مما أمر الله به أو نهى عنه.

وهذا المعنى يتضح من قول الله - تعالى -:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١).

وقد بوب الإمام البخارى - رحمه الله تعالى - فى صحيحه قال: باب قول الله - تعالى -:

﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾(٢) **قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - فكأن التقدير أطيعوا الله فيما نص عليكم فى القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن، وما ينصه عليكم من السنة، أو المعنى أطيعوا الله فيما يأمركم به من الوحى المتعبد بتلاوته، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحى الذى ليس بقرآن (٣).**

ومن أجل هذا اتجهت أنظار الأمة إلى العناية بثبوت السُنة النبوية: فاشتغلوا بها حفظاً ودراسة وتحقيقاً وتخريجاً وجرحاً وتعديلاً.

وإذا كان لكل فن أهله، ولكل علم رجاله، فقد تأهلت جماعة من الأمة الإسلامية وعكفوا على دراسة السُنة والذب عنها ضد تحريف الغالين

(*) مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.

(١) سورة الحشر/٧.

(٢) النساء (٥٩).

(٣) ينظر كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٣/ ١١٩، ط/الريان.

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[٤]، وذلك عن طريق القواعد والموازين التى وضعوها لقبول الراوى والمروى، والمتأمل فى هذه القواعد والضوابط يرى أن المحققين من أهل هذا الشأن كانوا يعتبرون المقياس الحقيقى والمعيار الرئيسى عندهم لقبول روايتى الراوى هو سلامة الدين الذى، يظهر منه سمته وصلاحه وبيان حاله، دون اعتبارات أخرى من جَاه أو سلطان، أو غير ذلك.

يروى الحافظ البيهقى عن إبراهيم النخعى الذى يقول: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وإلى صَلاته وإلى حاله ثم يأخذون عنه[٥].

ومن المعلوم أن الرجل المقصود فى قول النخعى هو الراوى من أهل الحديث، وأما ما يأخذونه عنه فهو حديث رسول الله ﷺ.

وروى مسلم في صحيحه[٦] عن مجاهد قال:

« جاء بشير العدوى، إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس -رضى الله عنهما- لايأذن لحديثه، ولا ينظر إليه فقال: يابن عباس: مالى لا أراك تسمع لحديثى؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولاتسمع؟

فقال ابن عباس:

إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذَّلول[٧] لم نأخذ من الناس إلا مانعرف.

فانظر إلى حبر الأمة وترجمان القرآن وأحد العبادلة ابن عباس -رضى الله عنهما- وهو يدقق ويحقق ممن يسمع منه الحديث ولما خشى أن يكون الرجل ممن لايميز الصواب من الخطأ ولا الحسن من القبيح ترك حديثه ولم ينظر إليه.

ومع العلم أن بشير العدوى هذا الذى كان يحدث ابن عباس وثقه النسائى والدارقطنى والحاكم وغيرهم كما بين ذلك الحافظ ابن حجر فى كتابه النفيس تهذيب التهذيب[٨].

---

(٤) أخرجه ابن عبدالبر فى التمهيد (٥٩/١) وابن أبى حاتم فى «تقدمة المعرفة (١٧/٢) ونصه: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» وإسناده حسن بمجموع طرقه وضعفه بعضهم.

ومعنى تحريف الغالين أى تغيير المتجاوزين الحد، ومعنى انتحال المبطلين أى: ادعائهم لأنفسهم مالغيرهم.

(٥) المدخل إلى سنن الإمام البيهقى ١٢/١، وانظر تدريب الراوى.

(٦) صحيح مسلم، المقدمة ١١٩/١ ط/ مؤسسة قرطبة.

(٧) وأصل الصعب والذَّلول فى الإبل فالصعب: العسر المرغوب عنه، والذلول: السهل الطيب المحبوب المرغوب فيه.

فالمعنى: سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم.

قال الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ فى شرحه علي صحيح مسلم ١٢٥/١: وحاصله: أنه لايقبل رواية المجهول وأنه يجب الاحتياط فى أخذ الحديث، فلا يقبل إلا من أهله، وأنه لاينبغى أن يروى عن الضعفاء.

وانظر أيضا المعجم الوجيز مادة: صعب، ومختار الصحاح مادة: ذلل.

(٨) ج٤٣١/١، وبُشير بضم الموحدة مصغراً، ينظر تقريب التهذيب ١٣٣/١.

إلا أن ابن عباس أراد فى مثل هذه الظروف أن يتأكد من الرجل لأنه خبير بنقد الرجال وقبول الأخيار، ويدرك تماماً أن حديث النبى ﷺ ليس كلأً مُباحاً لكلِ من « هبَّ ودبَّ » ومن هنا ندرك أن تقييم الرواة ـ أو تعديلهم وتجريحهم أمر أصيل فى نشأته وأن الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- كانوا هم أول من وضع قواعد وأُسُس هذا العِلم.

أقول: ولم يكن المحققون من أهل العلم بالحديث يَحيدون عن هذه الضوابط التى وضعوها لقبول الحديث، حتى ولو كان المتحدث من أبناء الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- وهُم مَنْ هُمْ.

تأمل معى هذا الأثر الذى يرويه الإمام الشافعى- رحمه الله تعالى ـ عن يحيس بن سعيد الأنصارى قال: سألت ابناً لعبد الله بن عمر عن مسألة فلم يقل فيها شيئاً، فقيل له: إنا لنعظم أن يكون مثلك ابن إمامى هُدى يسأل عن أمر ليس عندك فيه علم فقال: أعظم والله من ذلك عند الله وعند من عرف الله وعند من عقل عن الله أن أقول بما ليس لى به علم أو أخبر عن غير ثقة(٩).

إن المتأمل فى هذا النص يرى أن المسئول هو أحد أبناء عبدالله بن عمر بن الخطاب- رضى الله عنهما-.

وعبدالله بن عمر أتدرى مَنْ هو، إنه الذى امتدحه أسعد الخلق ﷺ بقوله: إن عبدالله رجل صالح(١٠).

وقال عنه الزهرى: لانعدل برأيه أحداً(١١).

وقال أبونعيم الحافظ: أعطى ابن عمر القوة فى الجهاد والعبادة والمعرفة بالآخرة والإيثار لهما، وكان من التمسك بآثار النبى ﷺ بالسبيل المتين ومامات حتى أعتق ألف إنسان أو أزيد(١٢).

ويقول عنه الحافظ ابن حجر: أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر(١٣).

وأبوه من؟ إنه عمر -رضى الله عنه- الذى قال عنه النبى ﷺ « وأشدهم فى أمر الله عمر(١٤) .. الحديث. ولقبه بالفاروق.

وروت عائشة -رضى الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال:

---

(٩) تدريب الراوى صـ ١٩٨.

(١٠) حديث أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب المناقب باب مناقب عبدالله بن عمر بن الخطاب ١١٣/٧ (٣٧٤١).

(١١) ينظر: تهذيب التهذيب ٢٩١/٥ ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(١٢) المصدر السابق ٢٩٢/٥.

(١٣) ينظر تقريب التهذيب ٥١٦/١ ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(١٤) أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب المناقب ٦٦٥/٥ (٣٧٩١) وقال: حديث حسن صحيح.

« قد كان فى الأمم قبلكم مُحَدَّثون فإن يكن فى هذه الأمة أحد فعمر ابن الخطاب »[١٥].

وقال على بن أبى طالب- رضى الله عنه-: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر[١٦].

فـهل لأجل هذه المكانة العظمى والمنزلة السامية التى بلغها عبدالله بن عمر وأبوه عمر يحدث أحد أبنائهما بما لا يعلم أو يخبر عن غير ثقة اتكالاً على منزلة أبيه وجده فى الإسلام؟! لا والله، إنه أبى أن يحدث إلا عن علم أو أن يخبر إلا عن نفسه، وما ذلك إلا لمعرفته لخطورة الحديث عن النبى ﷺ، ولذلك روى البيهقى فى المدخل من طريق الشعبى عن ابن عمر عن عمر قال: « كان يأمرنا أن لانأخذ إلا عن ثقة »[١٧].

وليس هذا عيباً فى العالم ولا نقصاً من مكانته ومنزلته، بل إنه من أعظم الأمانات التى ينبغى على العلماء ومن على شاكلتهم أن يتحلوا بها، حتى تحصل بركة العلم ويطمئن الناس إلى محدثيهم وعلمائهم ومرشديهم.

ولقد أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فى الراوى الذى يحتج بروايته أن يكون عدلاً فى دينه ضابطاً لما يرويه[١٨].

والعدل عند أهل الحديث هو أن يكون الراوى للحديث مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة.

والمراد بخوارم المروءة على ما حققه الشيخ زكريا الأنصارى[١٩]- رحمه الله -فى شرحه على ألفية الحافظ العراقى قال: وَمِنْ « خَرْم المروءَة » وهى التخلق بخلق أمثاله فى زمانه ومكانه فالأكل فى السوق، والمشى مكشوف الرأس وإكثار حكايات مضحكة، ولبس فقيه قبا أو قلنسوة حيث لايعتاد يسقطها[٢٠] قلت: فلابد من هذه الآداب النفسانية التى تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، والتخلق بأخلاق الصالحين وسمات الطيبين.

وروى الشافعى قال: قال سعد بن إبراهيم: لايحدث عن النبى ﷺ إلا الثقات[٢١].

---

(١٥) حديث أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب ٥٢/٧ رقم (٣٦٨٩).

(١٦) كتاب تهذيب التهذيب ٣٧١/٧.

(١٧) ينظر المدخل إلى السنن الكبرى للإمام البيهقى ٢٢/١.

(١٨) ينظر كتاب تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للإمام السيوطى صـ١٩٧.

(١٩) هو زين الدين أبويحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصارى الخزرجى، ثم القاهرى الأزهرى الشافعى، شيخ الإسلام وأحد أئمة الحديث الأعلام المتوفى سنة ٩٢٦هـ.

(٢٠) ينظر كتاب فتح الباقى بشرح ألفية العراقى لأبى زكريا الأنصارى صـ٢٣٧ ط/دار ابن حزم.

(٢١) أخرجه مسلم بسنده فى مقدمة الصحيح ١٢٩/١ ط/مؤسسة قرطبة.

وعن ابن سيرين قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[٢٢].

والمتأمل فيما قدمناه يقف على تلك الحقيقة المهمة وهى أنه لايؤخذ العلم وبخاصة حديث النبى ﷺ عن أىٍّ أحد مهما كانت وجاهته ومهما كانت منزلته سواء العلمية أو الأدبية، وذلك لأن حديث النبى ﷺ لا مجال فيه للمجاملة أو المحاباة، وإنما الأساس فى هذا هو القواعد والضوابط التى وضعها أهل العلم بالرواية.

فلا عبرة عندنا بعالم لايسند الأحاديث ويبين مَخْرجها ودرجتها مهما بلغت منزلته العلمية[٢٣].

وقد بوب علامة الشام جمال الدين القاسمى قال: بيان أنه لا عبرة بالأحاديث المنقولة فى كتب الفقه والتصوف مالم يظهر سندها وإن كان مصنفها جليلاً.

ثم قال: قال العلامة مُلا على القارى فى رسالة الموضوعات «حديث: من قضى صلاته من الفرائض فى آخر جمعة من رمضان، كان ذلك جابراً لكل صلاة فاتته فى عمره إلى سبعين سنة باطلٌ قطعاً، ولا عبرة بنقل صاحب النهاية وغيره من بقية شراح الهداية (٢٤)، فإنهم ليسوا من المحدثين ولا أسندوا الحديث إلى أحد المَخرِّجين.

وقال السيوطى فى مِرقاة الصعود إلى سنن أبى داود على حديث «نهى أن يمتشط أحدنا كل يوم..» فإن قلت «إنه ﷺ كان يُسرّح لحيته كل يوم مرتين».

قلت: لم أقف على هذا بإسناد، ولم أر مَنْ ذكره إلا الغزالى فى الإحياء، ولا يخفى ما فيه من الأحاديث التى لا أصل لها أ.هـ.

وظاهر أنهم لم يوردوا ما أوردوا مع العلم بكونه موضوعاً، بل ظنوه مروياً، ونقدُ الآثار إنما هو من وظيفة حَمَلة الأخبار، إذ لكل مقام مقال، ولكل فن رجال فانظروا رحمكم الله كيف كان معولهم فى قبول الأخبار، إنه العلم بالحديث وبيان مخرجه ورجال إسناده.

فلهذه الدرجة بلغت عنايتهم بالسنة وتحرِّيهم فى الراوى حتى يقبلوا مايقول.

هذا التحرى وهذه الدقة فى وقت كان يتخرج فيه كل يوم جهْبَذاً من جهابذة الحديث ونقاد الرجال وحملة الأخبار، لاسيما والشَرع قائم والأمور مستقرة.

فما بالنا بهذا الزمان الذى أطلت فيه الفتنة برأسها، فصرنا نسمع من آن لآخر عمن ينكر السُنة بالكلية أو ينكر كثيراً من أحاديثها بدعوات لاتنم إلا عن حقد وسفه وسوء نية وفساد طوية.

والله الموفق، وهو الهادى والمعين.

---

(٢٢) صحيح مسلم، المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين ١٢٦/١.

(٢٣) ينظر كتاب قواعد التحديث صـ١٨٢. ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(٢٤) الهداية، كتاب فى الفقه الحنفى لمؤلفه الإمام برهان الدين أبوالحسن على بن أبى بكر بن عبدالجليل الفرغانى المَرْغينانى ـ أحد علماء القرن السادس الهجرى ـ رحمه الله تعالى.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ سورة الإسراء : آية (١)

الإسراء والمعراج

تأملات جديدة فى حادث قديم

٢

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

جلس إلىّ صاحبى هاشًا باشًا يكاد يقطر فرحا تطل المحبة من عينيه مشوقا إلى الحوار. ودون أن يترك لى فرصة حتى للترحيب به. قال: أين الوعد الذى تواعدناه باستكمال حديث شيخك عن الإسراء؟

قلت لا تثريب عليك يغفر الله لى ولك. لك ما تريد إن شاء الله.

ثم شجعنى بكلمات مجاملة لطيفة.

قلت لصاحبى: إننى كنت أرغب فى أن أجعل مقالى حول الكريم القادم الذى يستبق فيه المسلمون فى الخير وتفتح فيه أبواب الجنة وتصفد فيه الشياطين.. حتى أهيىء نفسى والقراء الكرام لاستقباله والاستعداد له والتخلية القلبية من الأدران للتهيىء للتحلية بفيوضات الله ونعمه فى الشهر الكريم. أحببت يا صاحبى أن يكون مقالى فى هذا الجو المبارك علنى أوقظ نفسى الوسنانة أو أنبه قلبى الغافل وأن أشمر عن ساعد الجد. لكنك بادرتنى بموعدنا وأنا أكره خلف الوعد والمخلفين. فلم يكن بد من إجابتك وفاء لوعدك وأذكر كلمة تجرى على لسان الصوفية يقولون إذا أراد الله شيئا هيىء له الأسباب. فكأن الله ـ تعالى ـ أراد ما طمحت إليه من تهيئة واستعداد لرمضان لكنه جعل طريقها فى استكمال ما بدأناه عن حديث الإسراء فالحديث فيه فيض صوفى صادق أحسب أننى فى حاجة إليه.

كنا انتهينا إلى حديث أو واقعة شق صدره الشريف وملئه حكمة وإيمانا.

قال صاحبى مقاطعا: لماذا كل هذا؟ ألم يكن الله ـ تعالى ـ قادرا على أن يملأ قلب حبيبه ﷺ حكمة وإيمانا من غير هذه العمليات الجراحية. ولماذا لم يفعل ذلك مع باقى الأنبياء؟

قلت لصاحبى: بلى إن الله قادر ومختار أيضا. فلماذا سألت عن القدرة ولم تسأل عن الاختيار؟ فأكاد أشم من كلامك رائحة إنكار لما حدث ولما روى، وتلك آفة القلب المرتاب سلمنى الله وإياك من كل ريب لكن عليك أن تعتقد أن الله ـ تعالى ـ مختار يفعل ما يشاء هو لا ما نريد نحن بالطريقة التى يريدها وفى الوقت الذى يشاء ويريد.

وتأمل معى دعوة رسول الله ﷺ فى يوم الهجرة يوم أن كان سراقة بن مالك يتبعه هو وأبابكر ـ رضى الله عنه ـ:

قال صاحبى: ماذا قال ﷺ وبماذا دعى ربه؟

قلت لصاحبى: دعوة فيها تفويض الأمر كله لله ـ تعالى ـ والرجاء فيه.

قال: «اللهم اكفنا شر سراقة بما شئت وكيف شئت.. وأنى شئت» منتهى التسليم والتفويض لله وكذلك تأمل معى دعوة سيدنا أيوب ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ قال كما جاء فى القرآن:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(1).

هل لامس قلبك هذا التفويض المطلق مع هذا الرجاء الواسع، كل هذا لنتعلم التفويض والتسليم وأن الأمر لله، فالله ـ سبحانه ـ اختار هذه الكيفية وهذه الطريقة لعل فيها تمثيلا للمعنوى بالمحسوس حتى ندرك نحن بنى الإنسان، على أن تمثيل المعنوى بالمحسوس واقع فى القرآن الكريم وواقع فى كلام الحكماء والعلماء والمعلمين وذلك لتقريب معنى بعيد أو لتوضيح ما قد يخفى على بعض الأفهام.. تأمل معى قوله تعالى:

---

(1) الأنبياء (٨٣).

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾(٢).

قال صاحبى مقاطعا: هذا تشبيه وبابه فى اللغة واسع كبير وفيه يتفاوت العلماء وليس ذلك من قبيل ما نحن بصدده.

قلت: لا بأس عليك، فما بالك بقوله ـ تعالى ـ ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾(٣).

فأين الميزان الذى نزل مع الأنبياء وماذا يزنون به؟ بل كيف يزنون؟. وتأمل معى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(٤).

وإذا تأملت قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ ﴾(٥).

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾(٦).

فما هو الشىء الذى يوزن يوم القيامة» إنها الأعمال فهل الأعمال لها ثقل مادى.؟؟

أليس ذلك من قبيل تمثيل المعنوى بالمحسوس حتى ينجلى الأمر ويتضح المقصود.. ومثل ذلك فى القرآن كثير.. وفى اللغة.. وأظن فى أى لغة مادام هناك فكر بشرى على أن مثل ذلك ـ أى تمثيل المعنوى بالمحسوس.

قال صاحبى مقاطعا فى لجاجة ظاهرة؟ ولماذا لم يحدث ذلك مع بقية الأنبياء أو أحد منهم؟

قلت لصاحبى بلا مواربة أو استجداء: وهذا ليس تساؤلا منطقيا، إنها لجاجة وريب فهل لو حدث شق الصدر للأنبياء أو واحد منهم كنت تقبله وترضاه؟ ولماذا؟

ألم أقل لك من قبل: إنك بهذا تنفى الاختيار عن الله ـ تعالى ـ فهو فى مقولتك التى مازلت ترددها تثبت له القدرة وتنفى عنه أن يختار ما يشاء ـ كأنك تريد أن يختار الله ـ تعالى ـ ما يرضيك حتى تقتنع.. وأظنك لن ترضى ولن يعجبك أى اختيار ما لم تسلم لله ما يختار سبحانه وتعالى.

ولم أكتف بهذا بل تماديت وقلت لصاحبى:

اسمح لى أن أضيف لك أنه من منطق التسليم باختيار الله ـ تعالى ـ وأن اصطفاءه لأنبيائه وأوليائه محض كرم وفضل وامتنان منه ـ سبحانه وتعالى ـ فلا يتطلب التماثل فى خصال الخير والفضل بين كل الأصفياء المقربين، ولايلزم أن يكون الأفضل حوى كل ما حازه من دونه. فالنبى ﷺ أفضل الخلق وأفضل الرسل – أقول – من منطلق ما سبق أجدنى غير شغوف بباب فى أكثر كتب الشمائل النبوية سطروا فيه أن رسول الله ﷺ قد أجرى الله على يديه معجزات كل الأنبياء السابقين عليه.

ورغم تسليمى بما ورد من بحوث جاءت فى هذا الشأن إلا أننى أزهد فى عملية المقارنة والقياسات بين الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وأنه ﷺ غنى عن كل معجزة تنسب إليه فهو بذاته الشريفة محل كل تنزلات الأنوار وأكمل الكمالات ﷺ ولهذا المعنى الجليل لم يستطع واضعو صيغ

---

(٢) إبراهيم (٢٤: ٢٦). (٣) الحديد آية (٢٥). (٤) الأنبياء (٤٧).
(٥) الأعراف (٩). (٦) الأعراف (٨).

الصلوات عليه ﷺ كتمان ما يجدون من هذه المعانى فيأتوا بعبارات تضيق عنها عقول ـ أو قل قلوب ـ بعض العوام ممن يزعمون أنهم (عقلانيون)!!

على أن تمثيل المعنوى بالمحسوس ورد قولا وعملا عن النبى ﷺ فالقولى ما حكاه ﷺ عن رب العزة فيمن يدخل الجنة بغير حساب فقيل: سبعون ألفا ثم استزاد الله فزاده سبعين ألفا مع كل واحد. ثم استزاده فزاده ثلاث حثيات ـ يعنى ثلاث دفعات لا يعلم عددها إلا الله يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث ـ إن شئت ـ راجعه فى البخارى. نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

هذا حكاية عن ربه فهو تمثيل قولى. وأما تمثيل المعنوى المحسوس فقد ورد فعلا عن الرسول ﷺ لما شكا أبوهريرة الرسول الله ﷺ النسيان فى حفظ الحديث. فقال له النبى ﷺ أبسط رداءك. فقبض النبى ﷺ بيده الشريفة وبسطها فى ثوب أبى هريرة وقال: «اضمم رادئك» والحديث فى البخارى أيضاً.

فلم ينس بعدها قط.

فتجسيم المعنى واقع كما رأيت. تجد ذلك فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية.

قال صاحبى: وماذا عن الإسراء؟ قلت: فى الإسراء رأينا أن جبريل طلب من النبى ﷺ أن ينزل فيصلى فى عدة أماكن وكان النبى يستجيب فيصلى، فكان جبريل الأمين يقول للنبى: انزل فصل وبعد أن يصلى يقول له جبريل :أتدرى أين صليت فيقول: لا فيخبره الأمين بالمكان.

ولى على هذا عدة ملاحظات:

الأولى: أن النبى ﷺ كان يستجيب فى كل مرة دون أن يسأل عن المكان.

الثانية: أن الأمين كان يسأل الرسول ﷺ سؤالا واحدا أتدرى أين صليت؟ فيقول: لا. ثم يخبره

الأمين أين كانت الصلاة.

الثالثة: أن الصلاة تكررت خمس مرات ولنا على تلك الملاحظة تعليلات نحسبها مقبولة إن شاء الله:

أولاً: هل كان النبى ﷺ يعرف مكان الصلاة؟

وإذا كان يعرف، فلماذا يجيب بـ« لا » الواقع أن النبى ﷺ يعرف المكان، لكن كمال الأدب أن يطلب العارف الاستزادة من الخبر، فلعل جبريل يكون عنده علم لا يعلمه وهذا منتهى التواضع الحقيقى منه ﷺ. والامتثال عملا بقوله تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٧).

ثانيًا: فى كون المرات التى صلى فيها النبى كانت خمسا إشارة إلى أن الصلاة تفرض خمسا.

ـ أما عن الأماكن التى صلى فيها رسول الله ـ ﷺ ـ فقد وضح السبب، فى المرة الأولى وهى طيبة

(٧) طه (١١٤).

وأن إليها تكون الهجرة، والصلاة الثانية كانت بمدين حيث استظل سيدنا موسى عليه السلام لما خرج من مصر فارا من فرعون، والثالثة فى طور سيناء حيث كلم الله موسى، والرابعة فى بيت لحم حيث ولد عيسى ـ عليه السلام ـ والخامسة فى بيت المقدس حيث نهاية الإسراء والصلاة إماما بالأنبياء.

أليس فى هذا إشارة إلى الأنس بأماكن نزل بها الصالحون من عباد الله والتبرك بآثارهم وإن رحلوا عن دنيا الناس؟

أو قل لى بربك تعليلا لما حدث غيرمعاند أو مكابر!!

ثم قال صاحبى: هل انتهت تأملاتك الجديدة ؟

قلت: تبقى واحدة فى جملتها تتعلق بلقاء سيدنا موسى فى السماء السادسة، وفرض الصلاة، وقاطعنى صاحبى: قال: نعم.. نعم. إن فى نفسى شيئاً من هذا الذى يروى فى حديث الإسراء، وأرجو أن تجيبنى عنه.

قلت: هات ما عندك. قال: لا أفهم لقاء سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ ومراجعته لرسول الله ﷺ، ورجوعه إلى ربه حتى نهاية الموقف. قلت لصاحبى: لا عليك.. افتح لى قلبك، وأصغ إلىّ، إن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ أوقف رسول الله ﷺ فى السماء السادسة، رغم أن أبا الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى السابعة، ولم يوقفه، اعتقد ـ والله أعلم ـ لأن موسى ـ عليه السلام ـ طلب الرؤية، ولم يحظ بها، فلما رأى رسول الله ﷺ، بادية عليه تجليات اللقاء الكريم، وفيض أنوار الرؤية تغمره ﷺ، تعلق قلبه به، وتمنى ألا يفارقه، فكان ما كان.

أما عن مراجعته ﷺ لربه، فأرجو أن تتذكر الإشارة الكريمة التى كانت فى عدد المرات التى نزل فيها النبى ـ ﷺ ـ للصلاة، فقد كانت خمسا، ولم يكن ذلك صدفة ـ كما يقول الطبيعيون فى خلق العالم ـ بل كان الأمر كما يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾(٨).

فهو إشارة لإظهار ما فى علم الله ـ تعالى ـ وأنه سيكون.

أما ما كان من مراجعة سيدنا موسى لرسول الله ﷺ، فما هو فى رأينا إلا لبيان شفقة سيدنا موسى على الأمة المحمدية، كما أنه إظهار لتواضعه ﷺ، فبرغم أنه أفضل رسل الله، وأحب خلق الله إلى الله، إلا أنه استمع إلى نصح من هو أقل منه، وعمل به، وكان فى كل مرة يرجع إلى حيث يرجو ربه، ويتضرع إليه، فقبل الله رجاءه وتضرعه، فليس فى الأمر تردد منه ـ سبحانه وتعالى ـ عما يقولون علوا كبيرا، أما ما سمعه النبى ﷺ من قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(٩).

فى نهاية المراجعة، وإن كان فى ظاهره أنه قد كان فى الأمر تبدل، فليس كذلك، لأن الأمر كله موافق للقاعدة الإسلامية، فى الثواب والعقاب:

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(١٠).

فلا تبديل، فالأمر جرى وفق هذه القاعدة، ولعل ما حدث من شفقة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ على أمة محمد ﷺ، وطلب التخفيف عنهم، وهو فى البرزخ، لعل فيه إشارة إلى جواز زيارة الصالحين من عباد الله، وتشفعهم فى من يزورونهم، فقد ورد أن للمؤمن ـ العادى ـ شفاعات فى أهله وجيرانه.

ثم تنهد صاحبى طويلا، ولم يزد أن قال: جزاك الله خيرا.

قلت: وجزاك

وإلى حديث آخر إن شاء الله

---

(٨) الرعد (٨). (٩) ق (٢٩). (١٠) الأنعام (١٦٠).

سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

لابن إسحاق

للدكتور

محمود علي مراد

٤

للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

والدكتور فى رحلته - أو رسالته - التكذيبية لابن إسحاق، لا يكتفى - فى نفى حماية أبى طالب لابن أخيه - بدعوى أن أبا طالب لم يكن الرجل الذى يستطيع القيام بتلك الحماية، لأنه لم يكن سيدا فى قومه، ولا كان غنيا، ولأنه لم يستطع حماية ابنه جعفر حين قررت قريش نفيه إلى الحبشة.

ولكنه يضيف إلى ذلك دعوى: أن محمدا ﷺ - مع حماية ربه - لم يكن فى حاجة إلى حماية هذا العم الوثنى الكافر.!

الحمايـة الربانيـة.. وسـائلها.. أبعادهـا.. مظاهرهـا

والدكتور يبنى رفضه احتياج محمد ﷺ إلى حماية عمه على أسباب من أبرزها: أنه ﷺ كان يعلم ولاشك أنه تحت حماية من هو أقوى من عمه ومن قبيلته، شأنه فى ذلك شأن جميع الأنبياء، وأنه كان يعلم أيضا - وهذا مبدأ أساسى من مبادئ الدين الذى كان يدعو إليه - أنه ما كان يجب أن يخشى أحدا غير الله، وأن القرآن الكريم قد نهاه عن اتخاذ أولياء سوى خالقه، وأنه لم يرد فى أى موضع من القرآن أى حديث عن حماية منحت للرسول ﷺ من قبيلته، وأنه ﷺ لو لم يكن يشعر بأنه أقوى من خصومه، ولو لم يكن يعلم أن بوسعه الاستغناء عن كل حماية من جانب الكفار لتردد فى إبلاغهم بالقرآن الذى تخاطبهم آياته بصرامة بالغة. وأن الأنبياء السابقين لم يحمهم إلا الله - تعالى -(١).

وهذا يعنى - ابتداء - أن قدرات الدكتور اللغوية قد وقفت به عند حدود المعانى الحرفية للألفاظ القرآنية، أو أنه يدرك ما وراءها ولكنه عن قصد تكذيب ابن إسحاق يتعمد الوقوف بالألفاظ القرآنية عند المعنى الظاهرى القريب، ليخدع قارئه، ويقنعه بأضاليله حتى يصل إلى غايته. أيا ما يكن حاله فهو إعلان صريح بأن أسبابه الكثيرة هذه لا صلة لها بالحقيقة، فلا يصح أن يقيم عليها إنسان عاقل رفضه أمرا تفرضه الطبيعة البشرية، ويقرره الواقع الحى، ويسلم به الإجماع المتواتر من العلماء والمؤرخين.

إن أى مسلم لايشك لحظة أنه ﷺ كان فى حاجة إلى حماية ربه منذ درج فى الحياة، وأنه - سبحانه و- تعالى - أمده بتلك الحماية فى أنسب الأوقات، وبأنسب الوسائل، حتى تحمل عبء الرسالة، ونهض بتبليغها على الوجه الذى أراده الله، فأوصل الإسلام - هو وأصحابه - مشرق الأرض ومغربها فى أقل من خمسة وعشرين عاما.

وإن أى إنسان يؤمن بأن له وللكون كله ربا خالقا مدبرا، لايشك لحظة أن هذا الرب الخالق المدبر هو الذى يكفل له أسباب الحياة وما تتطلبه من صحة ورزق، ونمو.. إلى غير ذلك.

---

(١) سيرة رسول الله للدكتور مراد: ٦٢، ٤٨٦ - ٤٨٩.

لكن كيف يحقق الله - سبحانه - وتعالى - ذلك كله للإنسان - فى عمومه - ولمحمد ﷺ على وجه الخصوص؟!

إن الذى قال:

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾(٢).

وإن الذى قال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(٣).

هو ذاته الذى قال:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(٤).

وإن إبراهيم - عليه السلام - حين قال:

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾(٥).

أكان يعنى - كما تريدنا أن نفهم - أن الذى خلقه يشخص له ليأخذ بيده فيسير به فى طريق الهدى، وأنه هو الذى يضع الطعام في فمه، فإذا ظمئ سارع إليه بالماء ليسقيه، وأنه هو الذى يحمل وسائل الطبيب ليشفيه مما قد يصيبه من مرض؟!

فإذا قبل عقلك ذلك، فهل يقبل أن الذى خلق إبراهيم قد عهد إليه - مرة أخرى - وإلى إسماعيل معه أن يقوما بتطهير بيته فقال:

﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(٦).

أم لعلك ترى أن الذى عهد إلى إبراهيم بذلك آخر غير الذى خلق إبراهيم؟!

إننا قصدنا بذلك أن نلفت نظرك إلى الكيفية التي تقرأ بها القرآن الكريم، والكيفية التى تحصل بها من الآية الكريمة على ما يريد المولى - سبحانه - أن نقف عليه، حتى لا تقع فيما وقعت فيه مع محمد ﷺ من فهمك الآيات على ظاهرها الحرفى، اللهم إلا إن كنت قاصدا من وراء ذلك الفهم المعوج تزييف الحقائق، حتى تنجح فى تحقيق ما وعدت به من نسف السيرة النبوية عن طريق الطعن فى ابن إسحاق.

ثم إن كل عاقل فى عصرنا هذا - حتى من لا يؤمن بوجود إله - يقر بأن الكون الذى يضمنا يقوم على نظام محكم خاضع لقانون الأسباب والمسببات، اللهم إلا فى بعض الحالات التى يطلق عليها المؤمن صفة المعجزة، ويطلق عليها الملحد صفة الشذوذ عن القاعدة.

أعتقد أن الدكتور الفاضل لو لم يكن مدفوعا وراء تكذيب ابن إسحاق، وتزييف ما رواه، لما رفض احتياج محمد إلى الأسباب التى توفر له تلك الحماية، أيا كانت تلك الأسباب، ولما وقف بتلك الأسباب عند نوع واحد منها، إذ الأسباب

(٢) الذاريات «٢٢».
(٣) الذاريات «٥٨».
(٤) الملك «١٥».
(٥) الشعراء «٧٨: ٨٠».
(٦) البقرة «١٢٥».

تتنوع وفقا للظروف والملابسات، حيث تتطور وتختلف وتتباين حسب الموقف، كما يحدثنا تاريخ محمد ﷺ، فهو حين كان فى حماية عمه، إنما كان فى معية الله – تعالى –، كما كان في معية الله حين أوى هو وصاحبه إلي الغار تخفيا من طالبيه:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾(٧).

ولعل الدكتور حين يقف على من سُخِّر لحماية موسى عندما كان في المهد، يقتنع أن وسائل الحماية متنوعة، وأنها قد تكون من كافر مثل أبى طالب، فقد سخر الله – تعالى – فرعون – الذى أمر بتذبيح الأطفال الذكور ليأمن على ملكه – سخره ليكون هو الراعى، والكافل والحامى لموسى، حتى يبلغ أشده، وينهض بعبء الرسالة، ويواجه فرعون نفسه بدعوته، وفي ذلك يحدثنا القرآن الكريم بقوله:

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾(٨).

فبالمحبة التى ألقاها الله على موسى الطفل، سلم من بطش فرعون وزبانيته، بل وقام هو برعايته وكفالته وحمايته.

إن لله جنودا أخرى لا ترى بالعين، ولا تلمس باليد، ولكنها تؤدى الدور المطلوب منها، من هذه الجنود: المحبة، والمعية، والتوفيق، والسكينة، والوقاية، والحفظ.. إلخ تلك النوعية غير المحسوسة من الأسباب، مما لا يتسع المجال لاستيعابه.

كما إن له – تعالى – جنودا تُرى بالعين، وتلمس باليد، يسخرها الله – تعالى – لتحقيق مراده، سواء كانت تؤمن به، أو كانت تكفر به، ترى نماذجها المؤمنة في نحو قوله – تعالى –:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾(٩).

كما رأيت آنفا نماذجها الكافرة فى فرعون مع موسى عليه السلام، وكما وضحها رسول الله ﷺ في قوله: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»(١٠).

وأعتقد أن الدكتور لو لم يكن واقعا تحت سيطرة ما أقام عليه عمله من الحكم على ابن إسحاق بالكذب والتزييف.. إلخ، إذن لتنبه إلى أن هناك مدبرا مُسببًا هو الله – تعالى – وأن هناك أسبابا هى وسائل وجنود تنفذ أمر الله المدبر المسبب، مثل الملائكة، والجن، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والريح، وأبى طالب، وأبى القيس بن الأسلت(١١).

---

(٧) التوبة «٤٠».

(٩) الأنفال «١١».

(١١) أحد بنى الأوس. السيرة النبوية لابن إسحاق: ١/ ٣٠٠.

(٨) طه «٣٨، ٣٩».

(١٠) هذا جزء من حديث طويل رواه البخارى: ٤/ ٨٨.

ولكن اشتغال الدكتور بالبحث عن أى شئ يدعم به زعمه فى ابن إسحاق صرفه عن التنبه إلى ذلك، وأعجله إلى إيهام قارئه أن حرص ابن إسحاق على إرضاء بنى العباس كان أقوى من حرصه على تقديم الصورة الصادقة للحقيقة الإيمانية عند محمد ﷺ فانزلق إلي تقديمه صلي الله عليه وسلم فى تلك الهيئة الغافلة عن اللياذ بالله -سبحانه و- تعالى -- حيث اختلق قصة احتمائه فى عمه أبى طالب الوثنى الكافر، بدلا من طلبه الحماية من ربه.!

والخروج إلى الطائف.. افتراء؟!

ويستمرئ الدكتور لعبة التكذيب - فى سبيله لهدم السيرة النبوية - فيأبى أن يترك حادثة ذكرها ابن إسحاق دون أن يثير حولها الشكوك، حتى لو لم يجد للشك فيها غاية تدفع ابن إسحاق إلى اختراعها وتلفيقها، كما نراه فى وقوفه أمام قصة خروجه ﷺ إلي الطائف رجاء اهتداء بعضهم أو تعاطفه معه، حيث يقف الأستاذ الدكتور أمام هذا الخبر ناثرا شكوكه المتمثلة فى تساؤله عن السر فى تخصيص هذا الحدث بالذكر، دون غيره، مما لابد أن مكة اهتــزت له خـلال تلك السنة التى تلت موت أبى طالب، وعن سبب إغفاله ذكر جميع السور التى نزلت خلال هذه الفترة، وعن السر فى عرضه علينا محمداً نهبة للشعور بالخطر المحدق به، والحاجة إلى الحماية، مع أن الذى أرسله للناس هو الله ذو القوة، ومع أن القرآن نهاه عن اتخاذ عاصم أو ولى من البشر.. إلى غير ذلك من التساؤلات الغريبة والعجيبة التى لا تعنى إلا الإيهام بأن حول الحادثة تساؤلات وشكوكا. وبتعبير أوضح: التى لا تعنى إلا عناد المتسائل وتحكمه، وخروجه على كل ضوابط البحث العلمى[١٢] فما أيسر أن ينطلق اللسان بالسؤال تلو السؤال فى مواجهة أى خبر يسمع به، دون أن تكون هناك مقاصد حقة لهذه الأسئلة.

وإلا.. فأنَّى يأتى الشك فى القصة لتضمنها خروج محمد ﷺ وحده إلى الطائف، أو لعدم تضمنها أحداثا أخرى واكبت خروجه ﷺ؟!

قد يكون خروجه ﷺ وحده باعثا على البحث عن سر ذلك، وقد يعنى تجاوز القصة بعض الأحداث نقصا فيها، أو حرصا على إحكام سياقها.. لكن لا يمكن بأى حال أن يكون شئ من ذلك مثيرا للشكوك فى صدقها.!

هذا إلى أن الدكتور لم يذكر سببا يجعل ابن إسحاق يكذب أو يختلق قصة خروجه ﷺ، كما علل تكذيبه إياه من قبل بقصد تعظيم أسرة بنى عبد المطلب وبنى هاشم.. اللهم إلا إذا كان الدكتور يرى أن ابن إسحاق رجل يتنفس الكذب كما يتنفس الهواء، فهو يختلق القصص لسبب ولغير سبب.

والدكتور - فى هذا الموقف المعاند - يستمر على غفلته فى التعامل مع ابن إسحاق - أو تغافله - فلا يتنبه إلى أن عروة بن الزبير سبق ابن إسحاق إلى ذكر قصة خروجه ﷺ إلى الطائف، وتعرضه للإهانة والرمى بالحجارة، واضطراره إلى الالتجاء لبستان ابنى ربيعة، ولقائه غلامها عداسا النصرانى، ومادار بينهما من حوار[١٣].

(١٢) سيرة رسول الله للدكتور مراد: ٣٥٧ - ٣٥٨.

(١٣) مغازى رسول الله ﷺ: ١١٨ - ١١٩.

فليس إذن ابن إسحاق هو مخترع القصة ومصطنعها كما توهم الدكتور مراد، مما يدفعنا إلى أن نتساءل عن مقصد الدكتور من تكذيب قصة خروجه ﷺ إلى الطائف، إذا كان ابن إسحاق ليس هو أول من ذكرها، وإذا كانت القصة لا تتضمن ما يرفع أقدار بنى عبدالمطلب وبنى هاشم، الذى يسوقه الدكتور سببا فى تلفيق القصص، بقصد ممالأة بنى العباس.

ويبدو أن الدكتور أدرك – بنفسه أو بواسطة أستاذه – أن تكذيب ابن إسحاق فى هذه القصة يحتاج سببا آخر يدعمه، فصرح أن القصة مكذوبة لأنها تقدم محمدا ﷺ محتميا بغير الله ذى القوة الذى أرسله، غير مستجيب لما نهاه الله – تعالى – عنه، حيث نهاه عن اتخاذ عاصم أو ولى من البشر، فلم ينته، وتوجه صوب الطائف

ولا ندرى من الذى أراد أن يقدم محمدا ﷺ فى هذه الهيئة؟ أهو ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥٠ هـ، أم عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٣ هـ، أم كلاهما أراد ذلك، أم أنهما لم يريدا ذلك، ولكنهما اختلقا القصة ولم يتنبها إلى ما تعنيه، حتى جاء الدكتور مراد فاكتشف ذلك الخطأ، فانطلق من إيمانه العميق يرفض أى حدث أو قصة تشكك فى قوة إيمانه ﷺ ؟!

لو أن الدكتور – حين اشتبه عليه الأمر – رجع إلى كتاب الله – تعالى – بعقله الواعى المجرد عن الغرض، لو جد أن الله – تعالى – لم ينه المسلمين عن موالاة غير المؤمنين وبرهم، على وجه الإطلاق، ولكنه نهاهم عن موالاة الذين قاتلوهم فى الدين وأخرجوهم من ديارهم، كما فى قوله – تعالى – :

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(١٤).

وبالتالى.. لوجد الدكتور أن الله – تعالى – إنما ينهى عن اتخاذ ولى من دون الله – تعالى – بخلاف اتخاذ ولى من البشر بتقديره وسيلة أو سببا يحقق الله – تعالى – به مراده ومشيئته؛ فكل المخلوقات جنود الله:

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١٥).

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(١٦).

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾(١٧).

ومع هذا وذاك، أعتقد أن الدكتور لو كان يقصد الحقيقة لما وجد فى القصة كما وردت فى كتاب ابن إسحاق تلك الشبهة، فعبارة ابن إسحاق واضحة الدلالة فى أنه ﷺ خرج إلى الطائف يلتمس نصرة أهلها على قومه، آملا أن يجد منهم استجابة إلى الإسلام، حيث يقول:

---

(١٤) الممتحنة «٨، ٩».

(١٥) الفتح «٤».

(١٦) الفتح «٧».

(١٧) المدثر «٣١».

« فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله – عز وجل – فخرج إليهم وحده.. فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له، من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه »[18].

فمن أين وجد الدكتور فى عبارة ابن إسحاق عرض محمد نهبة للشعور بالخطر المحدق به، والحاجة إلى الحماية.. الخ؟!

لايجد أحد عذرا للدكتور فى ذلك، إلا قصد تكذيب ابن إسحاق عن طريق التلاعب بعبارته، كما تلاعب بالقرآن من قبل، أو إلا أن ضعفه فى الوقوف على دلالة اللغة واستعمالاتها هو الذى أوقعه فى ذلك.

كلا الاحتمالين قبيح ما كان يليق أن يقع فيه عالم يتتلمذ على عالم فى السربون للحصول على الدكتوراة!

ولقد كان يكفى الدكتور أن يقرأ فى أثناء القصة قول ابن إسحاق: « فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال – فيما ذكر لى –: اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى، أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل علىَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولاقوة إلا بك »[19].

نعم.. كان يكفى الدكتور أن يقرأ هذا ليتردد ألف مرة، قبل أن ينسب إلى ابن إسحاق شيئا مما نسبه إليه فى حق محمد ﷺ!

وبيعة العقبة.. من اختلاق ابن إسحاق!

ومع إصرار الدكتور مراد ومعاونيه على نسف السيرة النبوية، والاستمرار فى تكذيب ابن إسحاق، واصل رحلته الاختلاقية تارة، والتشكيكية تارة أخرى، مستعينا بالسيل الغامر من التساؤلات والافتراضات الوهمية، والمعتمدة على التلاعب بآيات القرآن الكريم، والاستهانة بعقول المتلقين، والمنطلقة من سذاجة التأويل اللغوى.. إلى غير ذلك من الأسس التى بنى عليها رسالته.

وأستأذن الدكتور فى أن أستعير منه أسلوبه الافتراضى، فأقول: وبعد أن ظن الدكتور أنه نجح فى تكذيب قصة خروجه ﷺ إلى الطائف.. لابد أنه فكر فى أن يتبع ذلك بتكذيب لقاءى العقبة وما دار فيهما من أحداث، لعل أبرزها البيعتان. ولابد أنه بحث عن علة يقيم عليها تكذيبه، فلما أعياه البحث لجأ إلى أستاذه – وربما ضم إليه آخرين – ليعينوه فى الوصول إلى ذلك السيل الجارف من العلل والتفاسير. ولابد أن هذه اللقاءات تكررت. ولابد أنهم تنبهوا إلى أن تلفيق هذه القصة لا يرتبط بممالأة بنى العباس، فطالت حيرتهم فى البحث عن علة تجعل ابن

(١٨) السيرة النبوية لابن إسحاق: ٢/٢٨.

(١٩) السيرة النبوية لابن إسحاق: ٢/٢٩ – ٣٠.

إسحاق يخترع هذه القصة ولو لم تكن متعلقة بممالأة العباسيين. ظنا منهم أن القارىء لن يبحث عن ذلك، فالمهم هونقض هذه الحادثة من أحداث تاريخ محمد ﷺ، كما نُقضت الأحداث الأخرى، ليتحقق نسف السيرة النبوية كلها. ولابد أن بعض المعاونين للدكتور صاح فجأة: وجدتها.. عليك أن تذكر أن ابن إسحاق اخترع لقاء العقبة الأولى ثم الثانية ليحط من شأن أهل مكة، ويرفع من أقدار أهل المدينة التى ولد ونشأ فيها. وتذكر أن ابن إسحاق فى سبيله إلى ذلك وقع فى أخطاء تكشف كذبه.

ومن بين هذه الأخطاء أنه سمى مسلمى المدينة (الأنصار)، فجعل عنوان هذه الفترة (إسلام الأنصار)، وهى تسمية غير سليمة؛ لأن كلمة (الأنصار) مقصورة فى القرآن على فئة من المسلمين محددة بدقة؛ فهو لقب أنعم به على فئة من المسلمين الذين استوفوا شرطين هما: نصر المهاجرين، واتباع الرسول فى ساعة العسرة، كما يوضحه نحو قوله - تعالى -:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٢٠).

وقوله - تعالى -: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢١).

فالذين كانوا فى العقبتين لاينطبق عليهم وصف الأنصار الوارد فى الآيات المذكورة.

والخطأ الثانى: أن عبارة ابن إسحاق عن العقبتين صدرت بقوله: «فلما أراد الله - عز وجل - إظهار دينه، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار..»، وهذه العبارة صريحة فى أن هذا اللقاء كان نقطة تحول فى تاريخ الرسول والإسلام؛ فالدين الجديد لم يعرف قبل هذا اللقاء سوى الهزيمة، أما بعده فكان النصر، والرسول قبله كان مهانا، أما بعده فقد عز. كما أنها تعنى أن ابن إسحاق ادعى العلم بإرادة الله - تعالى.

والخطأ الثالث: قوله إن لقاء الستة بالرسول ﷺ كان أول اتصال لأهل المدينة بالإسلام، يناقض ما قاله قبل ذلك: «فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ فى العرب، وبلغ البلدان، ذكر بالمدينة، ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر وقبل أن يذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود.

والخطأ الرابع: فى تقدير الدكتور مراد - أن ابن إسحاق قال: «إن مسلمى مكة كانوا قليلا مستضعفين»، فهو بهذا يناقض ماذكره من قبل أن عدد المسلمين فى مكة قبل ثمانى سنوات قد بلغ ثلاثة وخمسين، ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالا.. إلى آخر ما عده الدكتور من أخطاء

---

(٢٠) الأنفال «٧٤».

(٢١) التوبة «١١٧».

وملاحظات أو صلها إلى خمس عشرة ملاحظة[٢٢] لايتسع المجال لتفنيدها كلها، فلا نملك إلا أن نوجز ذلك بتفنيد هذه الأربعة، خصوصا أن باقى الملاحظات قريبة الشبه بتلك.

فالدكتور مراد يرى ابن إسحاق مختلقا كذابا، ارتكب كل الخلال الذميمة، حتى تلاعب بالقرآن الكريم من أجل رفع شأن أهل المدينة على أهل مكة، ليجامل أهل المدينة الذين فرضت الظروف أن يكون جده أسير خالد بن الوليد مواليا لهم، وأن يولد هو – أى ابن إسحاق – وينشأ بينهم.

أى إن وفاء ابن إسحاق لأهل المدينة كان أقوى تأثيرا على نفسه من وفائه لمحمد ﷺ، وأقوى من إيمانه بالله، وأقوى من إجلاله القرآن الكريم، وأقوى من اعتزازه بخلائق الصدق، والأمانة؛ فانطلق معربدا باختلاق لقاءى العقبة، وتزييف ما حدث فيهما، والكذب على رسول الله ﷺ، بما اصطنعه من أحداث وأحاديث لفقها ونسبها إليه ﷺ.

ويبدو أن الدكتور استشعر خطر وصم ابن إسحاق بهذا كله، فراح يتلمس فى عباراته الأخطاء، متوهما أن جعل ابن إسحاق يقع فيها يدعم موقفه منه، فأوصل ملاحظاته على نص ابن إسحاق إلى خمس عشرة ملاحظة - إيغالا منه فى إيهام قارئه بأن ابن إسحاق كذاب – كما أشرنا من قبل.

ويبدو أن الدكتور غفل عن أن حط ابن إسحاق من شأن المكيين لحساب المدنيين كفيل بأن يثير عليه العباسيين الذين اصطنعوه لأنفسهم، واستأجروه للدعاية لهم وتعظيم شأنهم.. خصوصا إذا كان كلام ابن إسحاق مبنيا على أكاذيب مختلقة، اللهم إلا أن يكون العباسيون – فى تقدير الدكتور – من السذاجة والغفلة بالدرجة التى لايكشفون معها كذب عميلهم ابن إسحاق عليهم، واستغفاله إياهم بتقديمه ما يسىء إليهم تحت اسم الدعاية لهم.

أو لعل الدكتور رأى أن وفاء ابن إسحاق لأهل المدينة، كان أقوى تأثيرا على نفسه من بطش العباسيين به الذين استأجروه للدعاية لهم.

ويبدو أن الدكتور – كذلك – غفل عن أن ابن إسحاق لم يكن هو أول من ذكر لقاءى العقبة، وبيعتيها، فقد سبقه إلى ذلك عروة بن الزبير بن العوام، الهاشمى المكى[٢٣]، وتابعهما فى ذلك ابن حزم، مع مزيد تفصيل وإيضاح[٢٤]، دون أن يتنبه إلى ما تنبه إليه الدكتور مراد من قصد ابن إسحاق تزوير السيرة النبوية لمجاملة أهل المدينة، على الرغم مما عرف به ابن حزم من الدقة، والنزوع التحررى الاستقلالى العقلى، الذى أقام عليه مذهبه فى كل ما قدم.

وهنا لا أملك إلا أن أذكر الدكتور بالحكمة القائلة: إذا كنت كذوبا فكن ذكورا. ولاحول ولاقوة إلا بالله. وإلى لقاء آخر مع الدكتور وكتابه(*).

---

(٢٢) سيرة الرسول للدكتور مراد: ٣٦٧ – ٣٧٦.

(٢٣) مغازى رسول الله ﷺ: ١٢٥ – ١٢٧.

(٢٤) جوامع السيرة النبوية: ١/١٠١ – ١٠٥.

(*) تلقت المجلة ردًا من الأستاذ الدكتور محمود على مراد وسيتم نشره فى الأعداد المقبلة بإذن الله تعالى.

مواقف إسلامية

موقف الإسلام من أهل الكتاب

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

سأل سائل بعذاب واقع.. واقع به هو أسفا على السلام الذى لم يلتزم به الإسلام: يقول:
إذا كان الإسلام دين السلام والتسامح والأخوة فكيف نفسر الآية الكريمة المذكورة فى سورة المائدة والتى تقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١).

ونقول وبالله التوفيق:

عندما يقرأ الكتابى هذه الآية الكريمة فلسوف يجد لها فى حسه وقعا أليما.

وهذا الإحساس وارد.

ولكن مما يخفف هذا الإحساس -ولا نطمع فى إزالته- إدراك الظروف التى نزلت فيها الآية الكريمة:

ففى مستهل الدعوة وفى عهدها المدنى.. كانت هناك علاقات تحالف وتناصر بين بعض المسلمين وبعض اليهود.

من إفرازات هذا التحالف

استغل اليهود هذا التحالف فتسللوا من خلاله

(١) المائدة (٥١).

فى محاولات مكرورة لاختراق الصف المؤمن إرادة خلخلته.

وقد استطاع الإعلام اليهودى أن يحقق بعض مآربه حين صور اليهود بأنهم قوة لها وزنها.

الأمر الذى ظهرت آثاره فعلا.. لدى بعض ضعاف الإيمان الذين ظلوا على ولائهم القديم لليهود «راغبين فى موالاتهم: خوفا من صروف الزمان. وتقلب الأحوال. وحاجتهم إلى معونتهم».

وهو ما تشير إليه الآية الكريمة التالية لهذه الآية.. وهى قوله تعالى:

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾(٢).

ولاحظ من قسوة الموقف: أن مرضى القلوب يسارعون فيهم.. إنهم ذلك الفراش الحائر.. الفزع.. الذى ينطلق هلوعا.. لا يلوون على مال أو ولد.. ليكونوا هذا الهباء الذى يندس فى الكيان الكبير.. محتميا به.. ذائبا فيه.. فإذا هو لا شىء.

وفى الوقت الذى تتبجح فيه الوثنية فى مكة معلنة:

(لنا ديننا.. وليس لكم دين.. ومن حقنا أن نعبد الأوثان.. وليس من حقكم أن تعبدوا الواحد الديان)!

فى الوقت الذى يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾(٣).

يقول المشركون:

﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(٤)

فى هذا الوقت الذى فيه يرضى القتيل وليس يرضى القاتل.. والذى يتنادى فيه ذلك التحالف بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.. كان لابد من حسم القضية.. والقضاء على هذه التبعية.. بتحديد معالم الشخصية الإسلامية. التى لابد أن تكون مستقلة متميزة.. غير قابلة للذوبان فى قومية أخرى. وأمة أخرى لا تدين بدينها.

ذلك بأن المسلم يقيم حياته على هدى القرآن.. وهو من القران فى واحد من موقفين.. لا ثالث لهما:

فالقرآن: حجة له.. أو حجة عليه.. أما الاحتمال الثالث.. وهو اللعب على الحبال: لا له ولا عليه.. فهو الاحتمال المرفوض.. من حيث كان ميوعة تأباها إيجابية المسلم المنتسب إلى أمة الوسط.. الشاهدة على الناس..

من أجل ذلك كان لابد من حسم القضية بهذه الآية الكريمة لتظل أمة الإسلام.. فى وسط الدائرة.. لا فى طرفها.

وقفة بين يدى الآية الكريمة

ونبادر أولا فنوضح معنى الولاية المنهى عنها:

---

(٢) المائدة (٥٢).

(٤) فصلت (٢٦).

(٣) التوبة (٦).

تقول كتب اللغة:

الولاية: النصرة، والتحالف.

تقول: توليت فلانا: اتبعته ورضيت به.

ومعنى ذلك أننى كمسلم: منهى عن ولاية من لا يدين بدينى؛ لأن من تولى قوما على غير ملته.. فهو: متبع لهم.. بل هو راض عنهم..

وبالتالى: إذا رضى عنهم. فقد رضى عن دينهم.

من هم الذين نهينا عن ولايتهم؟!

بنص الآية الكريمة: اليهود والنصارى.

ولكن من حق البحث العلمى النزيه أن يسأل الباحث القرآن نفسه وقد رضيه حكما ودليلا.. ليقول له: إن المطلق هنا.. يحمل على المقيد هناك.. وفى الآية السابعة والخمسين من السورة نفسها وهى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٥).

ومن صور هذا الاستهزاء ما حكته الآية التالية:

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(٦).

إذن.. فمن حق الأمة الإسلامية ألا توالى إلا الله ورسوله.. وأن ترفض مولاة.. منْ؟

ليس الأمر على إطلاقه.. وإنما هى ممنوعة من الثقة بمن لا يثق بها.. ممن يستهزىء بدينها ومقدساتها.

ومن المفيد هنا أن نشير إلى ما قرره المفسرون من تحميل اليهود كبر هذه الحملة الظالمة.. دون النصارى، **يقول القرطبى**:

«نهاهم الله أن يتخذوا واليهود والمشركين أولياء. وأعلمهم أن الفريقين اتخذوا دين المؤمنين هزوا ولعبا»(٧).

وقيل المعنى:

لا تتخذوا المشركين والمنافقين أولياء. بدليل قولهم: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾(٨).

والمشركون كلهم كفار. لكن يطلق فى الغالب لفظ الكفار على المشركين فلهذا فُصل ذكر أهل الكتاب عن الكافرين(٩).

بل إن بعض العلماء يقول:

الموصوف بالهزؤ واللعب فى هذه القراءة: اليهود لا غير.

والمنهى عن اتخاذهم أولياء: اليهود والمشركون(١٠).

ومع هذا فنحن منهيون أن نتخذ من لا يدين بديننا أولياء.. مهما كان دينه أو مذهبه.

وإذا دخل اليهود والنصارى فى هذا العموم.. فإنهم لا يدخلون بوصف كونهم «أهل الكتاب».

وإنما مُنعنا من موالاتهم لصفات فيهم اقتضت ذلك.. وهذا هو السر كما أشار المفسرون: (ونكتة

---

(٥) المائدة (٥٧).

(٦) المائدة (٥٨).

(٧) جـ ٢٥/٢٢٢٠.

(٨) البقرة (١٤).

(٩، ١٠) نفس المرجع والموضع.

التعبير عنهم باليهود والنصارى دون أهل الكتاب هي :

إن مواقفهم تلك من الإسلام.. إنما كانت بحسب جنسياتهم السياسية لا من حيث إن كتابهم يأمرهم بذلك)[11].

الصـــداقة..والولايـــة

ولابد من الاعتراف بأننا مختلفون.

ذلك بأن الاختلاف هو قدر البشرية المحتوم.. لكن الاختلاف.. لا يمنع الإنصاف.. ومن الإنصاف.

إننا نتزوج منهم.. وطعامهم حل لنا.

ثم نحافظ على كرامتهم ومشاعرهم أن تهان حتى إنه كان من مقررات الإسلام أن من آذى كتابيا لم يشم رائحة الجنة.

المهم أنه لا تكون مولاة في العقيدة.. ولا في النظام التشريعي.

إن من حق الحزب السياسي اليوم أن يحتفظ بكيانه وأسراره.. لتظل شخصيته عصية على الذوبان في حزب آخر.. بل إن النادي الرياضي في أوروبا يرفض أن يلعب له لاعب لايدين بمذهبه.

وإذن.. فمن حق الأمة الإسلامية أن تفعل كل ما يحفظ كيانها.. وأن تتجنب كل ما يهز ذلك الكيان..

والمنهي عنه في الآية الكريمة ليس هو «الصداقة» كما فهم الباحث.. وإنما هو الولاء بمعناه الذي أشرنا إليه.

أهــل الكتــاب والكفــار

ولا بأس أن نشير في النهاية إلى أن سياسة الإسلام مع أهل الكتاب غير سياسته مع مشركي العرب كما يقول صاحب المنار :

«ولذلك أجاز في هذه السورة – المائدة، وهي آخر ما نزل من القرآن ـ أكل طعامهم ونكاح نسائهم، وشرع في سورة التوبة إقرار الجزية منهم وإقرارهم على دينهم. ونهى في سورة العنكبوت عن مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن وفي الآية : تمييزهم على المشركين في إطلاق اللقب : إذ خص أهل الكتاب في المقابلة بلقب : أهل الكتاب ولقب المشركين بالكفار».

وجاء في المنار أيضاً[12] :

«إن جميع المشركين لا يتخذون أولياء بحال من الأحوال وأما أهل الكتاب :

فإنما يُنهى عن موالاتهم لوصيف فيهم ينافي هذه الموالاة كاتخاذهم الإسلام هزوا ولعبا».

وحتى على رواية أن المستهزئ كان نصرانيا.. فإن النهي عن ولايته لا بسبب دينه.. وإنما لما ارتكبه من مخالفة.

لقد انتصر المسلمون.. وصارت لهم دولة فرضت احترامها على العالم كله.. وعندما تعطي ولاءها لغيرها فإنها تضيف إلى غيرها قوة تخصم أساسا من حسابها.. كما وأن فيها إقرارا بشرعية مذهب من انتصرت عليه.. وثقة به تناقض حقائق دينها.

وإذا كان ولابد من ولاية فبعضهم أولياء بعض لاتحاد ملتهم وتطابق وجهات نظرهم على الأقل :

إذا كان الطرف الآخر هو الإسلام

وإذا كان هناك من المسلمين على مدار التاريخ من تنكب طريق الإسلام فلم يلتزم بسماحته ومودته.. فإنه من الظلم أن نحمل الإسلام وزر من أساء إليه.

---

(11) المنار ـ ٣٦٨.

(12) جـ ٦ عدد ٦٣٨/٢٩.

الإسلام في دراسات أكاديمية غربية

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

لا يستطيع أحد أن ينكر ما بين الجامعات الغربية وأجهزة الاستخبارات من صلة وثيقة. مرجعها إلى طبيعة تلك الجامعات ونظم البحث العلمى فيها من حيث توجيه البحوث العلمية فى كافة أوجه النفع بغض النظر عمن سيكون المنتفع من تلك البحوث. فتمويل البحث العلمى فى الجامعات الغربية - لاسيما جامعات الولايات المتحدة - هو الذى يحدد مسار تلك البحوث والقضايا التى تبتغى جهة التمويل التوصل إلى نتائج بشأنها.

ومن هذا المنطلق، فإن المتأمل للموضوعات المدروسة فى رسائل جامعية متعلقة بالإسلام يلاحظ ضمن ما يلاحظ الحقائق الآتية:

أولاً: الاهتمام بتأثير الإسلام فى الدول المختلفة:

ينصب اهتمام كثير من الدراسات الأكاديمية فى جامعات الغرب على رصد التأثير الذى يحدثه الالتزام بالإسلام -أو يمكن أن يحدثه مستقبلاً- فى الشعوب والنظم والمؤسسات المختلفة فى الدول ذات الأغلبية المسلمة.

فعلى سبيل المثال، اهتمت دراسة دكتوراه -فى جامعة شيكاغو- تقع فى ٦٣٥ صفحة عام ١٩٨٨ بفكرة (المعرفة فى الإسلام ومضامينها التربوية وتأثيرها فى نظم التربية فى البيئة الماليزية) حيث يذهب الباحث فى هذه الدراسة إلى أن أهمية الإسلام -بوصفه قوة دينية ثقافية سياسية- أصبحت واضحة فى العقود الأخيرة من القرن العشرين ممايتعين معه -كما يقول الباحث- أهمية النظر من جديد إلى الإسلام لا بوضعه ديناً شعائرياً، بل بوصفه قوة فاعلة للتغيير الاجتماعى. ويركز الباحث فى نظرته تلك على ماحدث فى إيران من تغيير بتأثير الدين. وأهم مظاهر هذا التغيير العودة إلى الذات المسلمة التى تستطيع المحافظة على ذاتيتها الحضارية، فلا تتآكل أمام قوة الحضارة الحديثة. إن القوة التى تتمتع بها الشخصية المسلمة الملتزمة بتعاليم دينها أصبحت مثار قلق الغرب الذى يود أن يعيش المسلمون فى صراع دائم بين تعاليم دينهم وبين الاندماج الثقافى فى الحضارة الحديثة. غير أن الواقع يشهد بأن الدين الإسلامى لا يصادم الحضارة الحديثة بل على العكس يستوعبها ويطوعها لتكون سلاحاً إسلامياً وهذا مثار القلق الغربى منذ استطاعت الثورة الإسلامية فى إيران أن تجد لنفسها مكاناً فى سوق العصر الراهن المفتوح دون أن تنزوى على نفسها.

وفى المجال نفسه -أعنى تأثير الدين فى حياة المسلمين- نجد دراسة أخرى حصل بها صاحبها على درجة الدكتوراه عام ١٩٨٥ من جامعة أكسفورد حول (الصفوة المسلمة «الانتلجنسيا» فى البنغال من ١٩٣٧ - ١٩٧٧) وتقع فى ٤٢٦ صفحة.

حيث اهتم الباحث بمناقشة دور رجال الفكر (الصفوة، النخبة) المسلمين البنغال فى السياسة والتغيير الاجتماعى والارتباط بالقيم الثقافية المستمدة من الدين الإسلامى.

وقد تناولت الدراسة البنغال بوجه عام من ١٩٣٧ - ١٩٤٧ وفيما بعد ١٩٤٧ اقتصرت على شرق البنغال فقط. ونظراً لكبر حجم هذه الدراسة فقد تم تقسيمها إلى سبعة فصول، تناول الفصل الأول منها ظهور وتطور النخبة (الانتلجنسيا) من رجال الفكر المسلمين وأصولهم الاجتماعية وتوجهاتهم التربوية تجاه نظام التعليم الإنجليزى الذى كان سائداً فى شبه القارة الهندية بوجه عام آنذاك. والصراع الذى كان ملحوظاً بين مناصرى التعليم الإنجليزى المرتبط بسياسات التوظيف. وبين أعدائه من حماة الهوية الوطنية.

واهتم الفصل الثانى بدراسة العلاقات الثقافية بين المسلمين وغير المسلمين. فى حين اهتم الفصل الثالث بتأكيد الذات لدى المفكرين المسلمين الذين دافعوا عن دينهم وهويتهم ضد طغيان الهندوس خلال الأحداث التى انتهت بقرار التقسيم الشهير عام ١٩٤٧ حين ظهرت الحدود بين الهند وباكستان وإقليم البنغال الذى أصبح دولة بنجلاديش.

وفى الفصل الرابع تتبع الباحث تطور مسيرة أهل الفكر (الصفوة) فى مرحلة ما بعد التقسيم ومحاولاتهم التأثير فى القاعدة العريضة من المسلمين لا سيما الفقراء منهم.

وبذل المفكرون المسلمون جهداً كبيراً فى التوفيق بين الدين ومطالب الحياة العصرية.

وفى الفصل الخامس عرض الباحث صورة المفكرين المسلمين البنغال كما أدركها الرأى العام العالمى بعد قرار التقسيم ١٩٤٧.

وخصص الباحث الفصل السادس من رسالته للتوتر أو الصراع بين التدين والرغبة فى الاندماج العصرى فى الحضارة الحديثة وعما إذا كان هناك صدام داخل النفس المسلمة بين ما هو دينى وما هو دنيوى.

ثم جاء الفصل السابع (الأخير) خاتمة للبحث يؤكد فيها الباحث أن الحياة الدنيوية للناس مثل الأعراف الاجتماعية وقوانين الأسرة ومكانة المرأة والفنون الجميلة وغيرذلك يرتبط ارتباطاً كبيراً بالدين الإسلامى، حيث من الممكن استخلاص مبادىء تنظيم حياة الناس وشئونهم جميعاً من خلال القرآن والسنة.

والدراسة الثالثة فى هذا المجال نفسه كانت رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة نيويورك عام ١٩٨٨ وتقع فى ٢٥٨ صفحة وكان موضوعها (أصول القومية الباكستانية من خلال شخصية العلامة الشاعر محمد إقبال) وقام بها طالب باكستانى تحت إشراف البروفيسور كارل ماركس كورتبيتر.

وقدناقشت هذه الدراسة تكاسل مسلمى الهند فى تطبيق قواعد ونظم التعليم الغربية فى مرحلة ما قبل ظهور سيد أحمد خاله المصلح التربوى المسلم المعروف، الذى على

يديه بدأ ظهور الشخصية المسلمة المتفردة كهدف رئيسى من أهداف التعليم حيث شهدت بداية القرن العشرين الميلادى ارتفاعاً ثابتاً فى تطور القومية الإسلامية. وقد تناولت الرسالة حياة الشاعر الإسلامى المجاهد محمد إقبال الذى تلقى فى بدء حياته تعليماً ذا طابع أوربى، ثم ما لبث أن تحول إلى مناضل من أجل إحياء الشخصية الإسلامية، وسخّر كل إخلاصه للإسلام وكتاباته من أجل تحقيق هذا الهدف من خلال الدعوة إلى الانفصال عن الثقافة الأوروبية السائدة فى شبه القارة الهندية. وقد سار على هذا النهج القائد الباكستانى العظيم محمد على جناح. وركزت الدراسة على دور محمد على جناح فى تحقيق انفصال باكستان عن الهند. بعد الشعور بالإذلال وخيبة الأمل التى كابدها المسلمون تحت الحكم البريطانى، مما أدى شيئاً فشيئاً إلى نمو الشخصية القومية الباكستانية المسلمة.

ثانيا: أوضاع غير المسلمين فى البلاد الإسلامية:

من القضايا التى تهتم بها الأوساط السياسية والاستخبارية فى الغرب: قضية أوضاع الأقليات غير المسلمة فى البلاد الإسلامية وتحت دعوى حماية حقوق الأقليات تسمح الدول الغربية لنفسها بالتدخل فى شئون الدول الأخرى. وباسم الشعار الزائف: «حماية حقوق الإنسان» تستحل الدول الغربية حرمات الدول المسلمة، فى حين تنتهك على أراضيها كثير من حقوق الأقليات المقيمة بها دون أن يملك أحد حتى مجرد توجيه اللوم إليها.

وفى هذا الإطار نفسه تسير جامعات الغرب فى دراستها الأكاديمية حول الإسلام.

● وسنعطى فيما يلى نموذجين لدراسات من هذا النوع:

الدراسة الأولى: تقدم بها صاحبها عام ١٩٨٩ إلى جامعة أدنبره فى بريطانيا ونال عنها درجة الدكتوراه. وهى رسالة ضخمة تقع فى ٤٣٧ صفحة. وموضوعها «وضع الذمى فى الشريعة الإسلامية».

وقد اهتمت هذه الدراسة بفحص وتحليل كتابات المؤلفين المسلمين فى مجال الشريعة والقانون للتعرف على الوضع الحقيقى لأهل الذمة فى المجتمعات المسلمة. ففى الفصل الأول من الدراسة تم تحليل الرؤية الإسلامية لدار الحرب ودار السلام وطبيعة علاقات الدولة المسلمة بغيرها من الدول غير المسلمة. وفى الفصل الثانى تناولت الدراسة واجبات الذمى الذى يعيش فى دولة مسلمة وما يتصل بذلك من مفاهيم الجزية والخراج والعُشر ومدى حاجة أهل الذمة للتعايش مع القوانين (الشريعة) الإسلامية. وتناول الفصل الثالث مظاهر التسامح مع غير المسلمين فى الدول الإسلامية وهو فصل يتميز بقدر معقول من الإنصاف. وفى الفصل الرابع نوقشت حالة الذميين فى مجال التشريع الجنائى الإسلامى وكذلك فيما يتعلق بالأحوال الشخصية (الزواج والطلاق والميراث.. إلخ) لغير المسلمين كما تنظر

إليها الشريعة الإسلامية. أما الفصل الخامس فقد تناول الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية لأهل الذمة فى المجتمعات المسلمة وبخاصة ما يتعلق بحرياتهم الشخصية وحقوقهم المدنية. والدراسة بوجه عام تتميز ببعض الإنصاف مقابل الكثير من التحامل والتجنى.

والدراسة الثانية: على الرغم من صغر حجمها (١٥٢ صفحة) بالقياس إلى الدراسة السابقة، فإنها أشد خطراً لما جاء فيها من افتراءات على الإسلام ومعلومات عن التنصير وخططه، وقد أجريت هذه الدراسة عام ١٩٨٧ فى المعهد العالى لدراسة اللاهوت فى جامعة برنستون بالولايات المتحدة من الباحث ريتشارد، س. نيفيس. وموضوعها (تنمية فهم المسيحيين لأنفسهم) وتناول فيها أوضاع النصارى الذين يقيمون كأقليات فى الدول ذات الأغلبية المسلمة. ويشبههم الباحث المتعصب بأنهم يعيشون كالموتى الأحياء تعبيراً عن معاناتهم. ومن أول سطور دراسته يزعم الباحث أن النصارى ممنوعون من ممارسة عقائدهم فى بلاد الأكثرية المسلمة. ويسعى الباحث فى دراسته هذه إلى إعداد دليل يستخدمه أولئك النصارى لتسهيل حياتهم فى ظل تلك المعاناة من خلال تنمية شخصياتهم للتغلب على القيود المفروضة عليهم.

ويعرض الباحث توجيهات المجلس الاستشارى الإنجيلى الذى يحدد لكل أسقفية إنجيلية ست أو ثمانى قضايا تدرسها لتناقش فى المؤتمرات التى يعقدها المجلس، ويعرض الباحث تقريراً قام هو نفسه بإعداده للأسقفية المحلية التى ينتمى إليها ويتضمن هذا التقرير مشروعاً تم تنفيذه من خلال مجموعة من الأفراد النصارى فى أبراشية سرية فى الخليج العربى استهدفت جمع المعلومات والإجابات والتقارير المعدة عن أوضاع النصارى فى البلاد العربية كما كُلفت تلك المجموعة السرية التى تعمل فى الخليج بعمل أبحاث وتقارير عن الديانات المختلفة لا سيما الإسلام. ودراسة المذاهب المختلفة فى الإسلام وما بينها من خلافات ومدى ما يمكن استثماره من تصادم بين بعض تعاليم الإسلام وحياة الناس اليومية.

وبعد هذا، ينتهى البحث بفقرات تحاول تجميل صورة البحوث الأكاديمية المنحازة فى الجامعات الغربية، حيث يوصى البحث بما يسميه بـ (مزيد من الحوار) بين المسيحية وكل من اليهودية والإسلام بوصفها جميعاً ديانات سماوية.

ثالثًا: دراسات اهتمت بتدريس اللغة الإنجليزية للمسلمين:

ونظرا لإدراك المؤسسات الغربية لمدى حاجة المسلمين إلى إتقان اللغة الإنجليزية التى أصبحت ضرورة عصرية. ومن ثم فإن تدريسها للمسلمين سواء فى بلادهم الأصلية، أو حال كونهم مبعوثين فى البلاد الغربية أصبح أمرا جديرا بالدراسة، حيث من الممكن استغلال حاجة المسلمين إلى هذه اللغة ودراستها فى بث مفاهيم خاطئة لدى دارسيها

بأساليب غير مباشرة تستهدف تشكيكهم فى دينهم أو غرس قيم وعادات تخالف عقائدهم من أجل تطبيعها فى نفوسهم. ذلك أن اللغة وعاء الثقافة؛ فتدريس اللغة الإنجليزية يستلزم بالضرورة الاندماج -أو على الأقل تقبل- الثقافة الغربية التى تعبر عنها تلك اللغة، ومن ثم فإن الجامعات الغربية يهمها التعرف على اتجاهات دارسى اللغة الإنجليزية نحو الثقافة الغربية.

ومن أمثلة تلك الدراسات دراسة دكتوراه قدمت إلى جامعة اكستر فى بريطانيا عام ١٩٨٨ موضوعها (الأبعاد الثقافية لدى عينة من دارسى اللغة الإنجليزية المسلمين فى بريطانيا) حيث تناولت الدراسة أهمية معرفة المسلم للغة مهمة كاللغة الإنجليزية، ودرست أحوال عينة من المتعلمين الذين جاءوا إلى بريطانيا من دول إسلامية يحملون قيما ثقافية مخالفة للقيم السائدة فى بريطانيا ولذا فإن المتوقع أن يتعرضوا لدى إقامتهم فى بريطانيا إلى نوع من عدم الانسجام وربما الصراع بين الثقافتين: الوافدة المسلمة، والأصيلة غير المسلمة.

وتساءلت الدراسة عن الدور الذى تقوم به المراكز الإسلامية المقامة فى الدول الغربية من أجل حل ذلك الصراع الثقافى الذى ينشب فى نفوس القادمين الجدد من المسلمين بوصف تلك المراكز هى المعنية برعاية قضايا المسلمين، وقد اعتمدت هذه الدراسة على آراء عينة من المسلمين يمثلون ٤٨ مؤسسة تدرس اللغة الإنجليزية فى جميع نواحى المملكة المتحدة (إنجلترا- ويلز- اسكتلندا) وتوصلت الدراسة إلى نتائج أبرزها أن الاتصال الثقافى أثر تأثيرا واضحا فى شخصيات المسلمين المتعلمين.

وهناك دراسة أخرى أجريت فى جامعتى بنسلفانيا فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٧ كدراسة انثوجرافية للتعرف على كيفية مساعدة المعلمة لتلاميذها السود والمسلمين الذين يدرسون فى المدرسة السنية الخاصة والمسلمين من خلال تعليم اللغة لكى يتعايشوا مع واقعهم كسود أو كمسلمين يعيشون فى الولايات المتحدة بقيم مستمدة من دينهم تتعارض أحياناً مع قيم الثقافة التى يعيشون بين ربوعها.

وقد أجريت الدراسة على عينة من الطلاب السود المسلمين السنيين واستخدمت عدة أدوات لقياس تقدير الذات لدى أولئك الطلاب، بالإضافة إلى قياس اتجاهاتهم نحو القراءة واستخدام اللغة الإنجليزية الفصحى وظهر من الدراسة عزوف أولئك الطلاب عن استعمال الفصحى الإنجليزية خوفاً من الوقوع فى الخطأ. كما اتضح عدم رضا بعض الطلاب عن دينهم الإسلامى.

وخلاصة ما سبق:

١- أن الدراسات المتعلقة بالدين الإسلامى فى الجامعات الغربية لا تعطى صورة حقيقية عن الإسلام.

٢- وأن تلك الدراسات موجهة لخدمة وجهات نظر معينة.

٣- وأنها تسعى لتكريس أفكار مضادة لوجهة النظر الإسلامية الصحيحة.

٤- وأنها تستخدم كمقياس (ترمومتر) لمدى اقتناع المسلمين بدينهم. ومدى قدرتهم على التكيف مع الحضارة الحديثة.

٥- وأن تلك الدراسات تهدف أيضاً إلى زعزعة ثقة المسلمين بدينهم وقيمهم ومحاولة إيهامهم بوجود صراع بين الإسلام والثقافة الحديثة.

٦- كما اتضح أن المؤسسات المعنية بالتنصير تعمل فى سرية تامة لتحقيق أهدافها ومن بين تلك الأهداف بث بذور الشقاق والفتنة فى نفوس المسلمين.

لذلك فإن من الواجب على الإعلام الإسلامى بوجه عام، والإعلام العربى بوجه خاص إثارة هذه القضايا من حين لآخر حتى لا يُنظر إلى الدراسات الأكاديمية الغربية بنوع من الاحترام المطلق الذى يكاد يصل إلى حد التقديس عند بعض قصار النظر أو المنبهرين بحضارة الغرب.

المراجع:

1- WAN DAUD, WAN MOHD NOR BIN, "The Concept of Knowledge in Islam, and its Implications on the national system of Education in the MALAYSIAN CONTEXT". PH. D. Thesis submitted to Chicago University. 1988.

2- MURSHID, TAZEEN MAHANAZ, "The Bengal Muslim Intelligentsia, 1937-1977: The Tension between the religious and the secular (INDIA)". PH. D Thesis, Oxford University, 1985.

3- KHATANA, MANZOOR. H." Foundations of Pakistani Nationalism". PH. D Thesis New York University, 1988.

4- ABO-AL-RAHMAN, AWANG." The status of the DHIMMI in Islam law" PH. D Thesis University of Edinburgh, 1988.

5- NEVIUS, RICHARD. C. "Developing Christian self-understanding in catacomb situation" DMIN Degree. In Princeton Theolgical Siminary, 1987.

6- ABU-ESHY, ABDULLAH ALI," Muslim Learners of England in BRITAIN: The Cultural dimension" PH. D Thesis university of Exeter, 1988.

7- SHELTON, ESTHER, D." An Ethnographic study of how A Teacher helps her students value being black and being Muslim Through language and literacy instruction in A sunset Muslim school" EDD dagger university of pennsylvania. 1987.

محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين

٨

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

بقى لنا فى الرد على أكذوبة المستشرقين، أو بعض المستشرقين لنكون منصفين: أن «محمدا ﷺ صادق، ولكن رسالته كاذبة»! بقى لنا فى الرد عليها جولتان:

إحداهما: حديث القرآن، وهو أصل رسالة محمد، عن السنن الكونية. وموعدها العدد القادم بإذن الله.

والثانية: حديث القرآن «رسالة محمد» عن المنهج العلمى، الذى يُعتبر هؤلاء المستشرقون أساتذة فيه، ونعالج واقعيات هذا الحديث فى هذا العدد الماثل بين يدى القراء الكرام واختيارنا لهذين الموضوعين فى الرد على تلك الأكذوبة تأتى من حرصنا على أن الرد فى مجالات نؤمن بها نحن والسادة المستشرقون أنفسهم لا أن نفرض عليهم أمورا لا تخص الإيمان إلا من طرف واحد.

وأصول المنهج العلمى السليم، الذى تسلم مقدماته وخطواته ثم تسلم نتائجه، ويفرض صدقه واحترامه على القلوب والعقول. هذا المنهج منهج قرآنى أقرته رسالة محمد ﷺ، وهو المعمول به الآن فى مشارق الأرض ومغاربها لدى كل الباحثين والدارسين، مستشرقين وغير مستشرقين وحين وردت أصول هذا المنهج العلمى السليم فى رسالة محمد «القرآن» قضى على آفات كثيرة كانت تسود فى مجالات المعرفة الإنسانية. وترتب عليها كثير من الأخطاء والأضرار فى مقدمتها خطران جسيمان:

● إلباس الحق بالباطل أو ضياع المعرفة الحقة.

● ثم قتل المواهب الإنسانية، والجناية على العقول وكفى بهذين ضررا.

فقد كان فى منهج البحث العلمى، أو بعبارة أدق، فى منهج الحصول على المعرفة بوجه عام، كان فى ذلك المنهج آفات وعيوب ترتب عليها أمران:

– إما حجب المعرفة تماما، وإحلال الخطأ محل الصواب والكذب محل الصدق، والباطل محل الحق.

– وإما الحصول على معرفة مشوبة بالجهل، أو معرفة ناقصة يؤدى العمل بها إلى خلل فى دنيا الناس.

فجاء منهج البحث عن المعرفة فى رسالة محمد «القرآن» ثورة على تلك الآفات والعيوب، ومن تلك الآفات التى قضى عليها القرآن:

التقليد:

من أخطر آفات البحث عن المعرفة التقليد، لأنه يدعو إلى التواكل وقتل المواهب، وتعطيل ملكات العقل والإدراك، وشيوع السلبية، وسرعة التسليم بكل ما هو واقع، والإسراف فى الثقة العمياء للكبار، أو من يرون أنهم كبار، أو متقدمون فى العمر وفى الزمان من الأسلاف.

نزل القرآن وكان التقليد سائدا فى البيئات البشرية وورثه جيل عن جيل، واستسلم له الناس وجعلوه حجة يقاومون به كل جديد، حتى لو كان هذا الجديد وحيا من عند الله، يبلغه رسول معصوم.

حارب القرآن الحكيم «رسالة محمد» هذه الآفة الشديدة الخطورة على التفكير المعرفى، فى سياق حديثه عن المحاورات التى دارت بين الرسل وبين أقوامهم.

وكان مشركو العرب قد ورثوا هذه الآفة عن الأمم الغابرة، فواجهوا بها محمداً ﷺ، كما واجهت الأمم الغابرة بها رسلهم.

وكان قوم إبراهيم ﷺ أكثر الأقوام لجاجة فى هذا الشأن، ومن ذلك ما حكاه القرآن عنهم فى الحوار الآتى:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١)

وقص القرآن هذه القصة فى موضع آخر، وكان مما ورد فيه:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

وحاربه القرآن فى ما قصه عن عاد قوم هود ـ عليه السلام ـ لما دعاهم إلى عبادة الله وحده، ورد هود عليهم فى الحوار الآتى:

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾(٣).

وحارب القرآن التقليد، واستبعده من وسائل حصول المعرفة فيما قصه علينا من احتجاج مشركى العرب لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى

(١) الشعراء [٦٩ – ٧٧].

(٢) الأنبياء [٥١ – ٥٤].

(٣) الأعراف [٧٠ – ٧١].

توحيد الله ـ عز وجل ـ وذلك فى مواضع متعددة نكتفى منها بما يأتى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(٤).

فى الآيات التى أثبتناها ينكر القرآن أن يكون التقليد، وهو الاقتداء الأعمى الذى لا ينظر المقلد فى دليله، ينكر القرآن أن يكون هذا التقليد طريقا من طرق المعرفة، وبخاصة فى مجال الاعتقاد والتشريع والأخلاق التى يُبنى عليها سلوك الفرد أو الجماعة، مع ملاحظة أن الآيات مقصورة على تقليد الخلف للسلف، وكلمة الآباء فيها تشمل الأجداد الأولين قربوا أو بعدوا ويتصل بخطر تقليد السلف عن صحة المعرفة والاعتقاد خطر آخر أشد ضررا من تقليد السلف، لأن تقليد السلف جفت منابعه الآن، ولا يكاد يوجد.

أما الخطر الآخر، الأشد ضررا من تقليد السلف، فهو قائم الآن.

إنه تقليد السادة والعظماء، ويعبر عنهم القرآن بالكبراء، وهم أصحاب الجاه والسلطان، ومُلاك الدنيا.

وهم جميعا لا وزن لما يقولون أو يقررون إذا لم يكن لما يقولونه ويقررونه سند أو برهان لذلك ينكر القرآن تقليدهم ومتابعتهم، وإلا كانت العاقبة وخيمة.

فقد حكى القرآن ما سيدور بين الكبراء ومقلديهم من خصومات، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٥).

وقوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾(٦)

وقوله سبحانه:

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾(٧).

(٤) البقرة [١٧٠].
(٥) سبأ [٣١ - ٣٣].
(٦) الأحزاب [٦٧ - ٦٨].
(٧) إبراهيم [٢١].

هذا هو القرآن « رسالة محمد » يهيء السبيل للحصول على معرفة سليمة، يطمئن إليها القلب، ويقنع بها العقل، ويستبعد من وسائل الوصول إلى المعرفة آفتين ضارتين بالفكر والتفكير، وهما:

● التقليد الأعمى للسلف

● التقليد الأعمى للكبراء والسادة وملاك الدنيا، وبهذا قضى على عيوب منهج البحث عند القدماء، الذين كانوا يربطون بين الحق أو الصواب، وبين منازل الرجال عندهم، وحظوظهم من الدنيا.

وهو (أعنى القرآن رسالة محمد ﷺ) الذى فتح باب النقد على مصراعيه أمام السادة المستشرقين وغيرهم من المشتغلين بالبحث العلمى. وللمستشرقين قدم راسخة فى هذا المجال، وجُل عملهم يكاد أن يكون نقدا وتمحيصا ولو من وجهة نظرهم، لكل ما كتب وما قيل، وما يكتب الآن وما يقال:

يعيدون النظر فيه، ويسيرون فى دراسته فى حرية واسعة.

إن هذا الانطلاق من قيود التقليد، وتقديس القدماء الذى قضى عليه الإسلام، إنما هو ثمرة حلوة المذاق من رسالة محمد ﷺ فكيف ـ إذن ـ يصح قولهم: « إن محمدا صادق، ولكن رسالته كاذبة؟!

ثم يخطو القرآن « رسالة محمد » خطوة أخرى، ليحرر المعرفة من العلل القادحة فى صحتها وقبولها. وفى هذه الخطوة يستبعد الظن من حقل الوسائل الموصلة إلى العلم والإدراك.

وترد فى هذا الصدد آيات حكيمات، منها قوله عز وجل:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾(٨).

وقوله:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٩).

وقوله جل شأنه:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(١٠).

---

(٨) النساء [١٥٧].

(٩) الجاثية [٢٤].

(١٠) الأنعام [١٤٨].

ثم قوله :

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾(١١) .

وإنما استبعدت رسالة محمد « القرآن » الظن من دائرة الاستدلال على العلوم والمعارف، لأن الظن تردد بين طرفين متقابلين، والمعارف التي تصلح مادة للاعتقاد، ومنهجا للعمل، ينبغي أن تخلو من احتمالات النفي والإثبات .

والمعرفة التي يكون طريق تحصيلها الظن غير موثوق بها . لذلك استبعدت رسالة محمد ﷺ أن يكون الظن أداة يطمأن إليها في اكتساب العلوم والمعارف .

والمناهج الحديثة في البحث العلمي في الشرق والغرب، تأخذ بهذا المبدأ، والمستشرقون ما أكثر ما أخذوا به في أبحاثهم ودراساتهم، وها هم قد وجهوا بأن هذا المبدأ أو القاعدة من صحيح رسالة محمد ﷺ فهي - إذن - رسالة صادقة كصاحبها، وليست كاذبة كما يزعم المستشرقون .

ثم تخطوا رسالة محمد ﷺ خطوة أخرى في تهيئة السبيل لصفاء المعرفة من الشوائب فتستبعد التأثير العاطفي من اتخاذه وسيلة من وسائل تحصيل العلم، وترد في القرآن تحذيرات شديدة من الاعتماد على الهوى في الحكم وتكوين الرأي أيا كان مجاله ونكتفي من تلك الآيات بما يأتي :

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ﴾(١٢) .

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(١٣) .

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾(١٤) .

﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ ﴾(١٥)

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾(١٦) .

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(١٧) .

إن تدخُّل الهوى في الحكم وفي تكوين الرأي مفسد للحكم وللرأي معا، لأنهما يتلونان بألوان العواطف الشخصية، والهوى هو أم العواطف،

(١١) يونس [٣٦].
(١٢) ص [٢٦].
(١٣) الكهف [٢٨].
(١٤) النجم [٢٣].
(١٥) الروم [٢٩].
(١٦) المؤمنون [٧١].
(١٧) القصص [٥٠].

وليس له معيار ثابت، بل هو متقلب فى كل اتجاه.

لذلك استبعد القرآن الحكيم «رسالة محمد» أن يكون الهوى مصدرا للمعرفة، لأنه لا يصدر فى أحكامه إلا عن المؤثرات الوقتية الطارئة، والسادة المستشرقون، الذين يتهمون رسالة محمد ﷺ بالكذب هم أشد الناس نقدا لكل عمل فكرى يعتمد على الرؤى الشخصية المهزوزة.. فكان حريا بهم، لو كانوا مخلصين بعيدين عن الأهواء، أن يشيدوا بصدق رسالة محمد ﷺ، التى حررت الفكر والعقل من كل القيود التى تعوق منهج البحث العلمى، وتعرض نتائجه للرفض والإهمال.

ومن الآفات المضرة فى مجال الحكم وإبداء الرأى، التى نَحَّتهاَ رسالة محمد ﷺ - عن دائرة الاستدلال التعصب للعقيدة، أو القرابة، أو المذهب، وقضت ببطلان كل ما استند إلى ذلك التعصب مهما كان مصدره وبواعثه والتعصب نوع من أنواع الهوى المذموم.

ولذلك حذَّر منه القرآن «رسالة محمد» وشدد عليه النكير وفى ذلك نزل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ﴾(١٨).

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(١٩).

هاتان الآيتان، وإن كانتا فى معرض القضاء والحكم فهما فى معرض البحث وإبداء الرأى، لأن القضاء والحكم هو فى الأساس - أى، بيد أنه مقرون بإيجاب التنفيذ فى الحقوق العينية والأدبية، فما كان محظورا فيه كان محظورا كذلك فى مجال البحث عن المعرفة، ثم إعلانها على الناس. ولا نخال أن السادة المستشرقين، الذين وصموا رسالة محمد ﷺ تغيب عنهم أضرار التعصب فى مجال البحث والرأى، وإن كانوا هم يمارسون هذا التعصب - سلبا وإيجابا - فى ما يقولون وما يكتبون عن الإسلام، إلا من عصم الله منهم.

وأيا كان موقفهم من التعصب، فهم ملزمون بأن يجزموا بصدق رسالة محمد، ولا مناص لهم من ذلك.

وكانت رسالة محمد ﷺ سباقة على كل النظم فى مجال تحصيل المعرفة، بما سبقت الإشارة إليه، وبمبادىء أخرى أسهمت فى بناء منهج محكم للبحث العلمى:

من ذلك أن القرآن الحكيم «رسالة محمد» ترفض كل الرفض الآراء والمذاهب التى تخلو من دليل يقضى بصدقها، فأزاح من دائرة المعرفة كل الأقوال المرسلة، التى لا تستند على ما يرشحها للقبول، أو الإلزام ويسمى هذه

---

(١٨) النساء [١٣٥].

(١٩) المائدة [٨].

الأقوال مجرد نطق بالأفواه، لا طائل تحتها، ويطالب كل صاحب قوله، أو رأى، أو مذهب بالبرهان الذى استند إليه.

والقرآن حافل بالآيات التى تقرر هذا المبدأ العظيم ومن ذلك ما يأتى:

﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٢٠).

هذه المقولة صدرت عن اليهود، وعن النصارى كل منهما ادعاها لنفسه:

اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا.

والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، واجه القرآن هذه المقولة بشقيها فى خطوتين:

● **الأولى**: حيث عقَّب عليها بأنها من أمانى النفس الكاذبة.

● **الثانية**: مطالبتهم معا أن يوردوا برهانا على صدق ما قالوا. وهم «اليهود والنصارى» لا برهان لهم فى الواقع على صدق هذه المقولة.

وكل منهما جعل الوصف الطائفى سببا فى دخول الجنة فاليهودى – عند اليهود – يستحق دخول الجنة بوصفه يهوديا فحسب؟

والنصرانى – عند النصارى – يستحق دخول الجنة بوصفه نصرانيا فحسب؟.

وبعد أن أعجزهم القران بمطالبتهم ببرهان هم لا يملكونه عاد فى الآية التالية لهذه الآية، وأبطل أصل الدعوى من أساسه فقال:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢١).

إن رضا الله لا ينال بالجنس أو اللون، وإنما ينال بالإيمان الصادق وإسلام الوجه لله، مهما كان وضعه فى الحياة الدنيا، رئيسا أو مرءوسا، غنيا أو فقيرا، شريفا عند الناس أو وضيعا، نابها عند الناس أو خاملا، وكذلك واجه القرآن «رسالة محمد» مشركى العرب حين عكفوا على عبادة أصنامهم وأوثانهم آلهة من دون الله. وكان مما واجههم به:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٢٢).

مشركو العرب اتخذوا أصنامهم آلهة من دون الله، هذه دعواهم. فطالبهم القرآن بالدليل والبرهان الذى يصحح هذه الدعوى؛ فإما أن يحددوا جزءا من الأرض خلقه ما يدعون من دون الله، أو يحددوا أن لهم شركاء فى السموات. فإن حمقوا وادعوا ذلك، فعليهم أن يقيموا الدليل والبرهان، فإما أن يأتوا بكتاب أنزله الله قبل القرآن فيه

(٢٠) البقرة [١١١].
(٢١) البقرة [١١٢].
(٢٢) الأحقاف [٤].

إقرار بأن الأصنام خلقت جزءا من الأرض أو لها شرك فى السموات.

فإذا عجزوا عن الإتيان بهذا الكتاب، وهم لا ريب عاجزون، فعليهم أن يأتوا بأمارة من علم يقينى أو دليل واقعى.

وإذا عجزوا ـ وهم قطعا عاجزون ـ فقد قامت عليهم الحجة لله. ويترتب على ذلك واحد من أمرين: فإما أن يذعنوا للحق وينقذوا أنفسهم من سوء المصير وإما أن يعلموا بأن ما أعده لله للمعاندين من الخلود فى العذاب واقع بهم.

وتخطو رسالة محمد ﷺ خطوة صاعدة فى إرساء مبادىء وأصول المنهج العلمى المثمر فى دنيا الناس وفى هذا الميدان يُدْخل القرآن الملاحظة والمشاهدة والتجربة أدوات فعالة فى تحصيل المعارف الصافية النقية من كل الشوائب والعلل.

بدأ القرآن هذه الخطوة فى مجالى المعرفة التأملية والمعملية.

فى المعرفة التأملية لا نكاد نحصى الآيات فى يسر التى تدعو إلى فتح آفاق جديدة فى البحث العلمى السليم، ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾(٢٣).

بل إنه يدعو إلى تكرار الملاحظة والتجربة، كأداة لإدراك الواقع كما هو:

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(٢٤).

أما فى المعرفة العملية، فقد دعا القرآن إلى الرحلة فى طلب العلم، والضرب فى الأرض وتفجير ما فى الكون من ذخائر ومنافع.

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(٢٥).

كما أمرنا بالسير فى الأرض وفحص ما فيها من أسرار

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾(٢٦)

ويقص علينا تجربة عملية أجراها الله بين يدى رسوله إبراهيم ـ عليه السلام ـ نقلته من المعرفة الإيمانية القولية، إلى المعرفة الإيمانية العملية. وذلك فى قوله الحكيم:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٧).

---

(٢٣) الأعراف [١٨٥].

(٢٤) الملك [٣ - ٤].

(٢٥) الملك [١٥].

(٢٦) العنكبوت [٢٠].

(٢٧) البقرة [٢٦٠].

ويبلغ كمال المنهج العلمى مبلغه فى رسالة محمد ﷺ، وذلك بإخضاع ذلك المنهج بكل أصوله ومبادئه للعقل، لكن فى مجال العلوم العملية المادية، أو بالعبارة المعروفة، فى مجال الكائنات المدركة بالحواس، لا فى مجال ما وراء الطبيعة، لأن للعقل مجاله الذى يعمل فيه، وهو «الطبيعة» المحسوسة، أما ما وراء الطبيعة، أو حقائق الإيمان الغيبية فأدوات العلم بها هى كتب الله المنزلة على رسله الكرام، أو القرآن الذى حفظه الله من التحريف.

والفعل فى هذا المجال له دور ولكن تحت رقابة الوحى الآمين.

وإذا كان العقل يسمو فوق مبادىء المنهج العلمى التى تقدمت. فإن الوحى فى حقائق ما وراء الطبيعة، يسمو على أدوات المعرفة النظرية والعملية

والإشادة بالعقل ودوره فى تمحيص المعرفة، والحكم عليها بالقبول أو الرفض، إحدى خصائص البيان القرآنى، والقرآن يسمى ما ينتهى إليه العقل فى الحكم على أنماط المعرفة «سلطان» تشبيها له بمن بيده سلطة عليا تجعله نافذ الكلمة، ومطاع الأمر.

ومن إشادة القرآن بالعقل إيجابا وسلبا الآيات الآتية:

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢٨).

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢٩).

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٣٠)

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٣١).

هذه هى أصول منهج البحث العلمى، قد أرستها رسالة محمد ﷺ، وكل ما أضيف إلى هذا المنهج الآن فى الدراسات الحديثة، كالجداول الإحصائية وتحقيق النصوص، والموازنات، والاستنباط، إنما هى إجراءات تضمنتها الأصول المتقدم ذكرها وهى أصول وإجراءات معمول بها فى الشرق والغرب فهل يصح بعد هذا أن يصر المستشرقون على أن محمدا صادق، ولكن رسالته كاذبة؟ وللإنصاف نقول إن هذه التهمة لم يوجهها الجيل الحاضر من المستشرقين، ولكنها قيلت فى الجيل الماضى، وبقاؤها فى مؤلفاتهم، وبعضها ترجم أو ترجمت مقاطع منها إلى اللغة العربية وهذا هو مكمن الخطر.

(٢٨) البقرة [٤٤].
(٢٩) آل عمران [١١٨].
(٣٠) الملك [١٠].
(٣١) الرعد [٤].

فلسفة خطاب الإعلام العربى بين التبرير والتغيير

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

الرابعـــة:

الإســـلام.. لا العلمانيـــة

لاشك أن ما نعيشه على الساحة الثقافية ليس جدلا فى جدل كما يبدو للبعض أن يصوره ليس الأمر كذلك إنما هم يبغونها عوجا، يبغون من ورائها تمهيدا يهيىء المضمون الثقافى ليتقبل النشاط العلمانى، الذى يضع الدين موضع الجدل والنقاش، وتلك صورة تكونت لدى الداعين إليها منذ عصر التنوير وموقفهم من الدين والدولة.. ففصلوا بين الدين والدولة وقالوا: مقولة السيد المسيح: «ما لقيصر لقيصر، وما لله لله».. بينما الدين الإسلامى ليس فيه مثل هذا النص، وليس هو ذاته سمح لوضع شأنه كوضع كهنة أوربا، فالبون بينهما شاسع لقد استبد الكهنة بشئون المجتمع الأوربى باسم الدين فصادروا المعرفة التى تؤدى إلى البحث عن الحقيقة، وحجرت على العقل من أن يفكر إلا فيما أباحته الكنيسة وصادرت حرية العلماء فيما أرادوا التفكير فيه، حتى النظر فى الكتاب المقدس حرمت تدواله فيما بينهم.. وغير ذلك كثير مكنها من هيمنتها على المجتمع وارتكبت ألوانا من المخالفات التى لايرضى عنها الدين ولا القوانين الوضعية العادلة فكم أذلت وأحرقت وشردت أناسا لم يرتكبوا جرما سوى أنهم أرادوا أن يمارسوا حرية التفكير.

من هنا كانت سيطرة الكهنة واستبدادهم بشئون المجتمع من أهم أسباب قيام الثورة عليها فى أوربا.

من هنا تبنت أوربا الحديثة العلمانية نظاما لها إلى التنوير وأقامتها على أسس ليس الدين منها وهى:

● النظرة المادية القائمة على منهج التجربة فى دراسة العالم الطبيعى.

● استبعاد المعرفة غير المادية.. وعزو القيمة الحقيقية فى المعرفة إلى الرؤية العلمية القائمة على المنهج الحديث.

● تعميم النظرة المادية والتفكير المادى على كل شئون المجتمع حتى القيم الأخلاقية..

وأن تخضع العلاقات الإنسانية لمجموعة مبادىءالفلسفة المادية..

وكان من أكبر جنايات العلمانية: أن سيطرت السيادة المادية على الإنسان والفكر، وتحول مفهوم الإنسان من مفهوم له أبعاده الدينية والأخلاقية إلى كتلة مادية قابلة لعمليات التغيير والتشكيل، ومن إنسان له عقله وروحه ووجدانه، إلى كتلة مادية صماء عمياء تعبث به الفلسفات.

إن العلمانية هى سيادة المادية على المجتمع البشرى، وإقصاء كل ما هو إلهى لتحل محله الفلسفة المادية بكل مذاهبها بدلا من سيطرة الدين.

وليس معنى مكافحتنا العلمانية، أننا نكافح العلم أو النظرة العلمية، وليس الأمر كذلك لأن العلم هو التجريب فى مجال الطبيعة وذلك يدخل فى نطاق التفكير البشرى، وتلك نظرة عادلة ومستقيمة وناضجة بل وضرورية، ما دامت محصورة فى مجالها التطبيقى الطبيعى فهذا ملحظ مهم ويجب التنبيه عليه، ولانختلف فيه ولا عليه ولانقبل التشويش على دعاة الإصلاح، وعلى كل من يحارب العلمانية .ومعنى أن تسيطر العلمانية على المجتمع الإسلامى أن تقوم الدولة على غير أساس من الدين، لاشك أنها اتجاهات تنم عن حالة صراع فى الفهم عميقة، تعصم الإنسان العربى عن إسلامه، فهو يود أن يوازن بين معتقده الإسلامى الذى يود أن يعيش به حضارته وبين صبغه بالحياة ذات النمط الغربى فهو ضياع تاريخى.

فهل من الممكن أن يتكفل الإعلام بحمل مسئولية التأكيد على خصائص الأمة. وأن الإسلام هو أهمها وفيه حياتنا؟

الخامسة:

التصالح بين الرأى السياسى والرأى الفكرى

مازال الفكر العربى يعانى حالة الانفصام التى بينه وبين المؤسسة السياسة فالرأى السياسى فى جانب وهو المسيطر.

والرأى الفكرى فى مقابله وهو المنبوذ، وليس منبوذا فقط بل يعتبر فى نظر الرأى السياسى خارجا على حدود الشرعية، وقابلا لوصفه بالتطرف، وقت الضرورة، فهو أحق بالمنازعة، والرفض والتتبع بالتشنيع عليه وعلى صاحبه.

مازال الرأى السياسى فى الوطن العربى، يهاب تعدد الآراء، مع أن تعدد الآراء يعبر عن رؤى ثقافية متعددة تصنع مساحة ثقافية مشتركة تتلاقى حولها الآراء والأفكار التى تساعد على صنع القرار الذى يخدم الوطن والمواطن، وتهيىء الأذهان لتقبله بحرية وقابلية.

تعمل قابلية القرار المبنى على المشورة والشورى، على توجيه المواطن إلى تبنية الدعوة إليه والقناعة به، وتلك هى المساحة الثقافية المشتركة بين صانعى القرار ، وأطراف الأمة المشتركة فى المصالح القومية، فضلا عن أنه يصنع

جوا من الحرية التى تصنع المصالحة بين الرأى السياسى والرأى الفكرى القومى.

من هنا: كانت أزمتنا أننا نهاب الآراء المتعددة خوفا من صراعها، مع أنه من الممكن أن تصنع المؤسسة السياسية الإطار العلمى النزيه الذى يضمن لها تفاعلها الحر النزيه، إذ ليس ميثاق وصاية على الحقيقة فالله وحده هو مالكها، فكل إرهاب يقع على كل رأى غير السياسى فهو يصنع تمزقا وتمزيقا بين وحدة الفكر ويصيب الولاء القومى بالازدواج.

ولقد شاهدنا من خلال أحداث الخليج، أن الغرب يحرص دائما أن ينطلق الفكر العربى من الفكر السياسى قد يتآزران وقد لايلتقيان.. ومن خلال ذلك الجدل الفكرى والحوار السياسى تتهيأ الأذهان لأبعاد القضية من حيث زواياها وجدواها ونتائجها. وتخرج القرار وله سنده الفكرى وشرعيته السياسية والقومية.. ولم تكن شرعية القرار السياسى مسوغا لإعلان الوصايا على الرأى المخالف، أو إرهاق المخالفين بتهم الخروج على الشرعية أو مدعاة لوصفهم بالتطرف الفكرى.

ولن تتأثر الوحدة الحقيقية بين القرار السياسى والرأى الفكرى فى دارنا العربية إلا بإتاحة الحرية التى تصنع نفسها وتصوغ المواطن فى قالب الانتماء القومى وتطبيق مبدأ الشورى الإسلامى الذى يصنع إطار الوحدة القومية.

لقد أدى الانفصام بين القرار السياسى، والرأى الفكرى إلى علاقة متوترة قائمة على الخوف والحذر المفرط إلى تفاقم مشكلات الاغتراب لدى المثقفين المخلصين لثقافتهم لاستبعادهم عن صنع القرار، وعزلهم عن المشاكل الفعالة فى توجيه الحياة الفكرية ما لم يكن الفكر تبريرا لمتطلبات السلطة الحاكمة.

من هنا أحس أهل الفكر بمشاعر الاغتراب تحتويهم من فرط إحساسهم، بأن قمع السلطة جعلهم يعيشون على هامش مجتمعهم، وليس من ذنب اقترفوه فى حق مجتمعهم سوى أنهم أخلصوا لفكرهم والوطن والوطنية. وكذلك أدى الانفصام بين الرأى السياسى، والرأى الفكرى، إلى شيوع قضية التطرف.

فهل من الممكن أن يتكفل خطاب الإعلام العربى بالتصالح بين الرأى الفكرى والقرار السياسى؟

السادس:

التضليل الثقافى والإعلام الغربى

يعزى الإعلام الغربى انتصاراته فى الميادين السياسية، والعسكرية، والثقافية، والحضارية إلى العلمنة، لذلك جند أجهزته الإعلامية للدعوة إليها بما ألبسها لبوس العلم، وصبغها بمظهره، فى الوقت الذى صور فيه الدين على أنه أمر شخصى، لاشأن له بالحياة والمجتمع ابتغاء فصله عن توجيه الحياة.

وكان هدفه من وراء ذلك هو: إذابة الشخصية الإسلامية، وإلغاء خصائصها الذاتية.

ولايبقى سوى أمة ممسوخة الهوية، مشوهة التاريخ، ولقد لعب الإعلام الغربى دوره فى إقامة صراع محتدم كما رأينا؛ بين العروبة والإسلام.. ولاشك أن ذلك هو الضلال الثقافى بعينه وذلك حين قابلنا بين المسألة الدينية والمسألة الثقافية.. فهل هى مساومة ثقافية، أو مساومة دينية. أم هو عين التآمر على الإسلام والعروبة وعلى التاريخ..

ولقد استمد الإعلام الغربى رسالته تلك من صورتين:

صورة وضع ملامحها أكاديمية الاستشراق الأولى حين كانت فى مواكبة الاستعمار، وصورة رسمتها العلمانية المناهضة للإسلام.

وكان من أثر تغلغلها أن أيقن المجتمع الإسلامى أن الصراع ليس بين العلمانية والإسلام إنما هو بالدرجة الأولى صراع من أجل السيطرة الغربية على شخصيات الشعوب، صراع بين تحقيق الذات الإسلامية والعربية وبين إلغائها ولقد استطاع الإعلام الغربى من خلال حملاته الإعلامية أن ينفذ مخططاته بين مستويات الأمة الثلاث:

- مستوى الأمة.
- مستوى القادة.
- مستوى مفكريه.

أما بالنسبة للأمة فلقد استطاع من خلال حملاته الإعلامية المنظمة أن يشوه الإسلام وأن يباعد بينه وبين الأمة وإسلامها حتى أصبحت لاتعى منه إلا رسمه.

وأما القادة: فهم فى صراع بين ما يتوجهون إليه من أيدلوجيات ذات انتماءات مختلفة وبين أمانى شعوبها فى تطبيق الإسلام وهو مطلب نكن له أطيب المنى.

وأما المفكرون: فلقد تقطع أمرهم بينهم شيعا تقاسمتهم الفلسفات، وتنازعوا أمرهم بينهم وكل منهم يطلب مذهبا يخالف ما عليه قومه.. ويضيف به صراعا جديدا إلى صراعات الأمة المتعددة بينما توحيد الأمة لاينبع إلا من وحدة الفكر.

وبعد:

فلقد استحضر الرسول ﷺ تلك الصورة التى تردى إليها المجتمع الإسلامى حين قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله؟

قال: لا، بل أنتم كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن.

قالوا: وما الوهن يارسول الله؟

قال: حب الدنيا وكراهية الموت.

تركز حديث الرسول «ﷺ» على أن فلسفة التغيير تنبع أساسا من إرادة الإنسان أو هى إرادة إنسانية قبل كل شىء مهما تقدمت وسائل الحضارة.. فدائما يبقى العنصر البشرى هو الأساس فى عملية التغيير والبناء.. قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١).

وتلك هى مسئولية الإعلام فى توحيد توجهات الأمة فى مرحلته الجديدة وذلك هو الشرط الأساسى لنهضة الأمة العربية والإسلامية والخروج مما وقعت فيه الأمة من أمراض اجتماعية وتكاسل وتدهور وتفىء إلى إسلامها الصحيح، وفهمه فهما رشيدا واعيا، ويترابط إيمانها بسلوكها وقولها بعملها.

---

(١) سورة الرعد الآية (١١).

الإسلام دين السلام

لفضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف(*)

الحمد لله الذى جعل السلام اسما من أسمائه الحسنى

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١).

والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله القائل: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »(٢). والقائل: « من آذى ذميا كنت خصيمه يوم القيامة ».

لقد تعرض الإسلام منذ القرون الأولى من الهجرة لحملة شرسة من أعدائه لاسيما بعد الفتح الإسلامى لقارتى أفريقيا وآسيا وامتداده إلى قارة أوروبا وقضائه على أكبر إمبراطوريتين كانتا تحكمان العالم عند إشراقة نور الإسلام وهما إمبراطورية الفرس وامبراطورية الروم.

قاد هذه الحملة أحد اثنين:

١. إما حاقد عمى بصره عن الحق، وامتلأ قلبه بالبغض والكراهية لدين الإسلام فاتهمه ظلماً وعدواناً بالاعتداء وانتشاره بالقوة وحد السيف.. الخ ما ورد فى كتب بعض المستشرقين.

٢. وإما جاهل بشريعة الإسلام وفرائضها وأحكامها فى العبادات، والمعاملات، والحدود، والجهاد فى سبيل الله فأثار الشبهات حول بعض تشريعاته التى لم يفهم الحكمة والغاية(٣) منها.. أوقعه فى هذا جهله باللغة العربية.. لغة القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ التى لا يتسنى لغير المتمكن من معرفة اللغة العربية وبلاغتها معرفة هذا الفهم والإدراك(٤)، واعتماده فى معرفة الإسلام، واستقاء المعلومات عنه على كتب غير عربية مصادرها غير إسلامية.

(*) وكيل الأزهر السابق ورئيس لجنة الحوار بين الأديان.

(١) الآية ٢٣ من سورة الحشر.

(٢) متفق عليه.

(٣) مثل إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام، ونصيب المرأة فى الميراث نصف نصيب الرجل.. وإباحة الطلاق، والجهاد فى الإسلام، وآيات القتال.

(٤) تعبيرات القرآن الكريم والأحاديث النبوية مليئة بالتشبيهات والاستعارات، والمجاز والكناية، والألفاظ المشتركة، والألفاظ المترادفة.. إلخ وفهم معانيها والإحاطة بمقاصدها لا يتأتى إلا للمتمكن من اللغة العربية.

وظلت هذه الحملة الظالمة مستمرة ضد الإسلام من أعدائه: أحياناً بالكلمة وأحياناً بالقتال، والكتب المؤلفة فى هذا المجال، والحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين أصدق دليل على ذلك.

غير أن هذه الحملة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين ازدادت ضراوتها فى السنوات الأخيرة وخاصة فى العقد الأخير من القرن العشرين وبعد سقوط الشيوعية وزاد من خطورة هذه الحملة التى تغذيها وتوقد نارها بعض الدول الحاقدة على الإسلام والمسلمين أنها تتم بتخطيط محكم وذكاء ماهر حيث اختلقوا شعارات ومسميات أطلقوها للتمويه وتغطية هدفهم الحقيقى وهو القضاء على الإسلام والمسلمين ووضع كل المعوقات أمام انتشاره الذى أفزعهم مثل: التطرف - الإرهاب - الأصوليين.. الخ هذه الشعارات والمسميات حتى يتجنبوا المواجهة الصريحة بالعداء للإسلام كدين:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(٥).

ووقع كثير من غير المسلمين الذين لا يعرفون الإسلام على حقيقته الغراء السمحة التى فيها خيرى الدنيا والآخرة، وقعوا فى مصيدة وفخ إفك هذه الدعاية التى استغلت قيام بعض من يسمون أنفسهم بالإسلاميين بارتكاب جرائم بشعة تقشعر منها الأبدان ويرفضها العقل السليم فى بعض البلاد مثل مصر، الجزائر، وأفغانستان.. والدين الإسلامى برىء من هذه الجرائم ولا يقرها ولا تمت بصلة إلى تعاليمه السمحة التى تدعوا إلى السلام والمحبة والإخاء والتعاون البناء بين الأفراد والشعوب.

ثم وقعت حوادث الإرهاب المشئومة فى مدينة نيويورك على مركز التجارة العالمى، وفى مدينة واشنطن على مبنى وزارة الدفاع الأمريكية يوم الثلاثاء ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م فقامت الدنيا ولم تقعد.. وانتهزت الصهيونية العالمية هذه العمليات الإرهابية - التى هى أصلاً من اختراعها وصنعها وتنفيذها وأول من نفذها فى العالم - وإذا كان العالم قد نسى العمليات الإرهابية الإجرامية للصهيونية فلننشط ذاكرته ونسأله: من الذى قتل الكونت برنادوت فى فلسطين؟ ومن الذى نسف فندق الملك داوود؟ ومن الذى قام بمذابح دير ياسين؟

الكونت برنادوت مبعوث الأمم المتحدة لفلسطين ومساعده الكولونيل سيرو فى نعوشهما بعد أن اغتالهما اليهود فى ١٩٤٨/٩/١٧م

---

(٥) الآية ٣٢ من سورة التوبة.

في الأكياس رجال الصليب الأحمر يعبئون ما تبقى من جثث آلاف القتلى في صبرا وشاتيلا .. ترى هل شاهد بوش هذه الصورة

ومن الذى نفـذ جـريمة مدرسة بحر البقر؟ ومن الذى قـام بمذابح صبـرا وشاتيلا وقانا؟ ومن الذى يغتـال علنا ويصـفى جسـديا الزعـمـاء الفلسطينيين وهم فى بيوتهم ومكاتبهم؟ ومن الذى يهدم المنازل ويهدم المساجد والكنائس؟ ومن الذى يقوم بتـجـريف الأراضى الزراعيـة التى هى مصـدر رزق وعيش الشعب الفلسطينى؟؟ ومن؟ ومن؟ ومن؟.

انتهزت الصهيونية العالمية هذه العمليات الإرهابية فجندت وسائل الإعلام العالمية التى تملكها وتسيطر عليها واستماتت فى سرعة توجيه الاتهام إلى الإسلام والمسلمين بالقيام بهذه العمليات الإرهابية.. واستغلت شعور الغضب لدى الشعب الأمريكى ودول أوروبا ضد مرتكبى هذه الحوادث - التى لم تتحدد هويتهم حتى الآن - فى تعبئة الرأى العام العالمى ضد الإسلام والمسلمين، بل وفى الاعتـداء على المسلمين الأبرياء، وفى منع أولادهم من الذهاب إلى المدارس، وفى الاعتداء على السيدات المسلمات، وتعدى ذلك إلى إعلان الولايات المتحدة الأمريكية عن تكوين حلف دولى لضرب قواعد الإرهاب فى أى مكان فى العالم.

وهذه دعوة حق أريد بها باطل، فقد انكشف المستور فى لحظة التعبير عما فى العقل الباطن، وظهرت النوايا الحقيقية للولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب، وبان الهدف الأصلى المقصود من تكوين هذا الحلف حين عبر الرئيس الأمريكى جورج بوش عن هدف الحلف قائلاً: إنها حرب صليبية.

وهكذا يلتقى فكر وهدف الرئيس الأمريكى جورج بوش مع فكر وهدف الرئيس الأمريكى الأسبق نيكسون عندما ألف كتابه الشهير: الفرصة السانحة، وتحدث فيه صراحة عن أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط الشيوعية صار العدو الأول الآن أمام أمريكا والغرب هو الإسلام.

ويعنينا الآن فى المقـام الأول أن نوضح ونبين بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة التى لا تقبل الجدل والمناقشة لعدم الشك فى صحتها: أن الإسلام هو دين السلام، وأن الإسلام دين يرفض الإرهاب ويقاوم الاعتداء، حتى نبطل دعوى من يتهم الإسلام والمسلمين بالإرهاب.

الإسـلام والسـلام

إن السلام يرتبط بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، سواء من ناحية المادة الأصلية للحروف التى تتكون منها كل كلمة فكلتاهما من مادة: السين واللام والميم، أو من ناحية المعنى فكلتا الكلمتين تدلان على السلامة والأمن والأمان والاطمئنان.

والسلام فى الإسلام هو الأصل والقاعدة الأساسية فيه، أما الحرب فى الإسلام فهى استثناء تفرضها ظروف الدفاع عن النفس، وظروف أخرى سأوضحها فيما بعد ولقد وردت كلمة سلام فى القرآن الكريم[٦]. فى ثلاث وثلاثين آية متفرقة فى أربع وعشرين سورة، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على مدى اهتمام الإسلام بالسلام، وحرصه على أن يسود وينتشر بين البشر جميعاً.

وإذا تتبعنا العبادات والمعاملات فى الإسلام نجد أن السلام عامل أساسى مهيمن ومسيطر على المسلم فى كل خطوة من خطواته، وفى كل تصرف من تصرفاته، وفى كل تعامل من معاملاته سواء مع نفسه، أو مع الفرد، أو مع الجماعة بصرف النظر عن جنس أو لون أو لغة أو دين من يتعامل معه.

قال تعالى:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٧].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[٨].

السـلام تحيـة الإسـلام

وتحية الإسلام هى السلام يلقيها المسلم ويرددها كل يوم عدة مرات مع من يلقاه أو يقابله قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[٩].

وقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[١٠].

ويقول ﷺ: «السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه فى الأرض فأفشوه بينكم. فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم»[١١].

---

(٦) ارجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للأستاذ/ محمد فؤاد عبدالباقى ص٤٥٢ طبعة دار الحديث.

(٧) آية ١١٢ من سورة البقرة.

(٨) رواه أبو داود والترمذى.

(٩) رواه مسلم.

(١٠) رواه الترمذى.

(١١) الترغيب والترهيب جـ٣.

وبلغ من حرص الإسلام على إفشاء السلام والترغيب فى نشره وتعميمه، أنه أثاب من يلقى السلام بعشر حسنات، وتدرج فى زيادة الحسنات التى ينالها ويثاب بها فتكثر كلما زاد من كلمات السلام فعن عمران بن الحصين ـ رضى الله عنه ـ قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبى ﷺ: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد فجلس، فقال عشرون، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد فجلس، فقال ثلاثون، ثم أتى آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فقال: أربعون، قال: هكذا تكون الفضائل»(١٢).

بل إن رسول الله ﷺ يعلمنا آداب السلام ومن يبدأ به حيث يقول: «يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير»(١٣). وفى رواية البخارى والصغير على الكبير.

ولتأكيد معنى السلام وارتباطه بالإسلام أن المسلم يردده ويدعو به فى فريضة الصلاة اليومية التى تتكرر فى اليوم الواحد خمس مرات، بخلاف صلاة السنن والنوافل، يردده المصلى فى التشهد، ويختم وينهى به كل صلاة مرتين مرة عن يمينه ومرة عن يساره، بل إن المسلم مطالب أن يلتزم بالسلام قولاً وعملاً وفعلاً حتى مع الجاهلين الذين يسيئون إلى المسلمين قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾(١٤)

ثم يتصعد هذا السلوك من الفرد والجماعة ليصل إلى الدولة فيسيطر السلام على الدولة الإسلامية فى علاقاتها وتعاملاتها مع الدول غير الإسلامية حيث يطلب الإسلام من المسلمين أن يعيشوا فى سلام وحب وتعاون وإخاء مع غير المسلمين ما داموا لم يقاتلوا المسلمين أو يعتدوا عليهم أو يسلبوا أرضهم قال الله تعالى:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(١٥).

البقية فى العدد القادم

---

(١٢) الترغيب والترهيب جـ٣. (١٣) متفق عليه. (١٤) آية رقم ٦٣ من سورة الفرقان.

(١٥) الآيتان ٨، ٩ من سورة الممتحنة.

أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها

للشاعر الكبير الأستاذ / أحمد محرم

سيد الرسل وأم المؤمنين ... بشرا الأبطال بالنصر المبين
خرجت فى الجيش ترجو ربَّها ... عصمة الراجى، وعون المستعين
ينصر الحق، ويقضى أمره ... إن رماه كل أفاك مهين
إصبرى إن جل أمرٌ، إنها ... يا ابنة الصديق دنيا الصالحين
أرأيت الأرض لما رجفت ... إذ هوى عقدك؟ بل لا تشعرين[1]
اقشعرت، وتمنت لو هوى ... كل عال من رواسيها مكين
أنت فى شأنك إذ تبتغينه ... وهى فى هم وغم وأنين
سوف يبدى الخطب عن روعته ... بعد حين، فاصبرى حتى يحين

***

رفعوا الهودج، والظنٌ بها ... أنها فيه، وساروا مدلجين[2]
وانجلى الليل عن الخطب الذى ... غادر الإصباح مسودَّ الجبين

(١) كان العقد من جزع - خرز ظفار، وهى قرية من قرى اليمن، قيل إنه كان يساوى اثنى عشر درهماً وقد وجدته - رضى الله عنها - فى ذلك المكان.

(٢)من أدلج إذا سار بالليل.

أيـن غـــــــابـت أىَّ أرض نـزلـت كـيـف غُـم الأمــر؟ هل من مــســتـبين؟
يا رســـول الله صـــبـــراً إنهـــا فـى زمـــــام الله رب العـــالمين
يـــا أبـــا بـــكـــر رويـــداً، إنـــنـــا لنـراها فـى حـــــمى الروح الأمـين

***

رجــــــــعت والـلـيـل فـى بـردتـه دائم الإطـراق كـــالشـــيخ الـرزين
ذهب الجـــيش، وأمــــست وحــــدها غـــيـــر أصــداءٍ من الوادى الحـــزين
خطرت فى الجـــو من أنفـــاســـهـا خـطـرات لـلأسـى، مــــا ينقـــضـين
مـــاج كـــالبـــحـــر طغتْ أثبـاجـه وارتمت أهـواله حــــول الســـفـين[3]
نـام عـنـهـــا الـهـمُّ لما رقـــــدت فـــهـــو فى الأحـــشـــاء مكتـــوم دفين
وأتـى صـــــفـــوان مـــا يـبـــدو لـه غـــيـــر شىء مــــا ثـل لـلناظرين
يـرسل الـطـرف، ويمشى نـحـــــوهـا مـــــشـــيـــة المرتاب فى رفق ولـين
عـــرف الخطب، فـــمــا أصــدقـــه حين يدعــو دعــوة المســـتـرجـعين
دعـــوة رنَّتْ، فلو قـــيل: اســـمـعـــوا لســـمــــعنا اليـــوم ترداد الرنـين
أيـقـظت عـــائشـــة من نـومـــهـــا مـــثلمـــا يـوقظهـــا صـــوت الأذين[4]
جـــفَلتْ منه، فـــغطت وجـــهـــهـــا وهى فى ســــتـــرين من عـــقـل ودين
يـصـــرف اللحظ كـليـــلا دونـهـــا خـــاشع القلب، كـــدأب المتــقين
قـــرَّب الـنـاقـــة منـهـــا، ودعـــا إركـــــبـى أمـــــاه، ملِّـيت البـنين[5]
أخــــذ المقـــود يمنـاً، ومـــضـى يتـــبـع الماضين من أهل اليـــمين
ينـتـــحـى يـشـــرب بـالنـور الـذى يملأ الدنـيـــا، ويُعـــيى المطفـئين[6]

***

نـشـــروا الإفك فـــســـاداً وأذى وعلى الله جـــزاء المفــســدين
لا يـنـــال الحـق فـى سـلـطـانـه كـــذب الحـــمقى، وإفك المرجــفين

(٣) أعاليه جمع ثبج.
(٤) المؤذن.
(٥) متعت بطول حياتهم معك.
(٦) ينتحى بقصد.

يالهـا من عـصـبـة فـاسـقـة | هاجـهـا للشـر شـيخ الفـاسـقين[٧]
وجـدت فـيـه زعـيـمـا حـاذقـا | وإمـامـا بارعـاً للمـفـتـرين

***

هـكـذا يـا ابـن أبـيِّ هـكـذا | لا يكـن شـأنك شـأن المسلمين
انفث السمَّ، وخـضـهـا فـتنة | تـتـلـظى نارها لـلخـائضين

***

يا ابنة الصـديق صـبـراً، ليـتـه | ألـمُ المرضى وهم الموجـعين[٨]
يـالهـا من علـة لو تعلمين | إنـهـا أبرح مما تشـتكين
أعـقب البـشـرَ عُـبـوسٌ وبدا | من رسـول الله مـا لا ترتضين[٩]
كـيف تيكم ليس من عـاداته | كـيف تيكم؟ يالهم من مـجـرمين
غـيـروه، فلوى من عطـفـه | وطوى من لطفـه مـا تعـهـدين
وهو يخـفى لك مـا لا ينقـضى | من هوى صـاف، وشـوق وحنين
سَـجَنَ السِّـرَّ وكم من روعـة | لك يا أمـاه فى السـرِّ السجين

***

أنصـتى، فـالليل مـصغٍ، أنصـتى | وقع الخطبُ، فـمـاذا تصنعين؟
جـاشت النفس، ولجت رعـدة | لـم تـدع فـى القـلـب مـن ركـن ركين
مـسطحٌ، لا قـر عـيناً مـسطحٌ | شـبـهَّـا ناراً تهـول المصطلين[١٠]

---

(٧) عبدالله بن أبى.

(٨) مرضت بعد قدومها المدينة شهراً، والناس يفيضون فى الإفك وهى لا تعلم.

(٩) كان يريبها انقباض النبى كلما جاء يعودها وقوله: كيف تيكم؟ ثم لا يزيد.

(١٠) خرجت مع أم مسطح خالة الصديق لقضاء حاجتها ليلا فعثرت أم مسطح فى إزارها فقالت: تعس مسطح، فقالت لها: بئسما قلت. أتسبين رجلا شهد بدراً؟ قالت يا هنتاه(أى يا هذه) ألم تسمعى ما قال؟ وأخبرتها بحديث أهل الإفك. وكان مسطح منهم، فأخذتها حمى نافضة وأصبحت تبكى.

فضحته عشرةٌ من أمه ... فانظرى كيد ذويك الأقربين

لا تلوميها إذا ما غضبت ... إنها تعلم ما لا تعلمين

أرسلتها دعوة واحدة ... ليتها زادت على حد المئين

تعس الشعلب ما أخبثه ... فدعى بدراً وآساد العرين

***

رجعت فى غمرة من همها ... لم تبت منها بليل الراقدين

لوعة مشبوبة فى سقم ... فى شآبيب من الدمع السخين

يا رسول الله هل تأذن لى؟ ... إن بيتى بمصابى لقمين(١١)

مر، ودع همى لأمى وأبى ... إنما استأذنت خير الآمرين

بان حسن الصبر، والعزم انطوى ... وأرى السقم مقيما ما يبين

قال: ما شئت، هلمى فافعلى ... لك يا صاحبتى ما تؤثرين

***

ذهبت، يحزنها أن لم تكن ... طوَّحَ الدهر بها فى الذاهبين

ثم قالت وهى تبكى: عجباً ... لك يا أماه، ماذا تكتمين؟ (١٢)

أفلا نبأتنى ما زعموا؟ ... ويحهم: ما حيلتى فى الزاعمين؟

ظلمونى، ما رعوا لى حرمة ... رب كن لى - ما أقل المنصفين

***

---

(١١) دخل عليها النبى ﷺ وهى تبكى، وقال: كيف تيكم؟ على عادته. فقالت: أتأذن لى أن آتى بيت أبوى؟ فأذن لها. والقمين: الخليق والجدير.

(١٢) قالت لأمها: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، وأنت لا تخبريننى بشىء! قالت: يابنية هونى عليك، قالت: وهل علم أبى؟ قالت نعم. قالت: ورسول الله؟ قالت: نعم. فاستعبرت، وبكت، وباتت لا يرقأ لها دمع.

جـــــزع الـصـــــديـق مما نـابـه ... إنـه خـطـب يـهـــول الأكـــــرمـين[١٣]

قـــــال : أف لـك مـن داهـيـــــة ... مـــا رمـــينـا بك فى مـــاضى السـنين

أفـلـمـــــا زانـنـا ديـن الـهــــدى ... ســـاءنا غـث حـــديث لا يـزيـن ؟

***

كـــيف تيكم ؟ يالهـــا صـــاعـــقـــةً ... أُرسِلت من فم خـــيـــر المرسـلين

كـــيف تيكم ؟ كـــيـف تيكم كلمـــا ... جـــاء ، إن الله مـــولى الصـــابرين

إصـــبـــرى يا ربة العـــقـــد الذى ... زيِّن من عـــينيك بالدر الثـــمـين

***

أوجـــعـــتـــهـــا من علىٍّ شـــدة ... هـــى مـــن دأب الأبـــاة الأولـــين[١٤]

سلط الضـــرب على مـــولاتهـــا ... أى ســـرٍ عندها للضـــاربين؟؟

أقـــســمت صـــادقـــة مـــا علمت ... غـــيـــر مـــا يدفع دعـــوى الواهمين

التـــقى والبـــرُّ فى تاجـــيـــهـــمـــا ... هـل رأى التـــاجين أعلى المالكين؟

***

مـــرحـــبـــاً بالحق ، يحـــمى جنده ... مـــا اســـتـبـــاحت تُرَّهات المبطلين[١٥]

مـــرحـــبـــاً بالوحى ، يجلو مـــا طوت ... ظـلمـــات الشك من نور اليـــقين

---

(١٣) قال:ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم مادخل على. والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا يعبد الله أفيقال لنا فى الإسلام؟

(١٤) عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ استشار الصحابة فى أمرها، فقال له عمر: من زوجها لك يا رسول الله؟ قال:الله - تعالى، قال: أفتظن أن الله دلس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، وقال أسامه بن زيد: أهلك يا رسول الله فما نعلم إلا خيراً، فأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإنك لتقدر أن تستحلف وأن تسأل الجارية بريرة تصدقك وجاءت بريرة فقالت: والذى بعثك بالحق ما علمت عليها من شىء يعاب. فقام إليها على يضربها ضرباً شديداً ويقول لها: اصدقى رسول الله، فتقول: والله ما علمت إلا خيراً.

(١٥) إشارة إلى نزول الآيات الشريفة فى براءتها.

مرحباً بالروح يلقى من علٍ ... رحمة الله، تغيث المؤمنين

فتنة جلت، فلما انكشفت ... أزلفوا الشكر وراحوا راشدين

وتجلت غمرة الهادى فلا ... ريبة تغشى، ولا ظن يرين(١٦)

يا ابنة الصديق طيبى وانعمى ... ذاك حكم الله خير الحاكمين

ضرب القوم بماضٍ مخذم ... من مواضيه، فولوا مدبرين(١٧)

سقطوا صرعى، عليهم غبرة ... من قتام البغى تخزى الظالمين

***

أمسك الصديق من معروفه ... ينكر الغدر، وينهى الغادرين(١٨)

وطوى عن مسطحٍ نعمته ... ليرى حق الكرام المنعمين

عاله دهراً، فلما خانه ... راح يجزيه جزاء الخائنين(١٩)

سنة العدل، قضاها من قضى ... سنة الرحمة بين الراحمين

نزل الذكر بها قدسية ... فعفا الناقم وارتاح الضنين

***

اجعل الخير قرينا إن أبى ... كل غاو، إنه نعم القرين

جل ربى وعلا، كل امرىءٍ ... بالذى يكسب من أمر رهين

***

---

(١٦) ران الشىء على القلب: غلب عليه وكان له كالصدأ ونحوه.

(١٧) المخذم السيف القاطع.

(١٨) كان مسطح يتيما فى حجر أبى بكر، يتولاه برعايته وينفق عليه لفقره، وقرابته منه فلما قال ما قال من الإفك غضب عليه، وقيل: إنه أخرجه من منزله وقال له: لا وصلتك بدرهم أبداً فأنزك الله– تعالى:

﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور آية ٢٢). فرجع أبو بكر – رضى الله عنه – ينفق على مسطح.

(١٩) عاله أنفق عليه.

الأخلاق والاقتصاد

للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى (*)

تمهيد:

إن الأخلاق وحسن السلوك والمعاملة الحسنة هى أساس الحياة كلها، حتى قيل بحق (الدين المعاملة). وحين أثنى الله - تعالى - على رسوله خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ وصفه بأنه على (خلق عظيم). وحين أراد الرسول ﷺ أن يلخص رسالته الخاتمة والعالمية لخصها بقوله «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(1) فهو لم يبعث لنشر الأخلاق الكريمة فحسب وإنما بعث ليتمم مكارمها سواء بقوله أو سلوكه، وعلى رأسها مراقبة الله وإسلام الوجه له، فهما جوهر التدين والذروة من مكارم الأخلاق. وصدق الله العظيم

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(2).

ونعرض لموضوع دراستنا عن (الأخلاق والاقتصاد) باختصار فيمايلى:

أولا: بيان موجز لكل من مصطلح (الأخلاق) ومصطلح (الاقتصاد)

ثانيا: بيان العلاقة بين (الاقتصاد) و(الأخلاق).

ثالثا: بيان الأسس الاقتصادية التى انفرد بها الإسلام، لضمان حُسن الأخلاق.

فأولاً: من حيث مصطلح (الأخلاق) ومصطلح (الاقتصاد)

من حيث مصطلح (الأخلاق) نجد البعض يعرف الإنسان بأنه (كائن أخلاقى) أى أن له

(*) عضو مجمع البحوث الإسلامية.

(1) سنن البيهقى ١٠/١٩٢.

(2) الأنعام (١٦٢).

قيما يلتزم أو يُلزم نفسه بها. ويعرفه البعض بأنه (كائن اجتماعى) أى أنه لا يستطيع أن يعيش منفردا وإنما مع آخرين يتأثر بهم ويؤثر فيهم. بينما يعرفه البعض بأنه (كائن متدين) لأنه لا يوجد على ظهر الأرض كائن له خاصية التدين سوى الإنسان، وباعتبار أيضا أن قوام الأخلاق الحسنة هو التدين من خلال الإحساس العميق بالله – تعالى – وخشيته ومراقبته فى كل حركة أو معاملة.

وأيا كانت هذه التعريفات مع تعددها أو تنوعها، فإنه تجمعها صفة واحدة، وهى أن الأخلاق تقوم على قيم محددة تصوغ عقل الإنسان وتكيف نفسيته، وبالتالى تحدد سلوكه. ومن هنا كان الاهتمام بالمناخ أو القيم التى تسود أى مجتمع، لأنها هى التى تصوغ فكر أفراده وتحدد سلوكهم. وأنه كلما ارتفعت واستقرت هذه القيم فى عقول ونفوس أفراد كل مجتمع، كلما ارتفع وتقدم هذا المجتمع وساده السلام والسعادة. والعكس صحيح كلما غابت أو هبطت هذه القيم، كلما ساد الفساد والتخلف فى المجتمع وحكم على نفسه بالانهيار والضياع.

ومن هنا كانت رسالات السماء، وجهود المفكرين العظماء على مدى التاريخ، فى إزالة العقبات وتصويب المسارات والتوعية الرشيدة بالقيم الرفيعة، وصولا إلى أمن الإنسان وراحته.

* * *

أما مصطلح (الاقتصاد) فيختلف باختلاف كل مجتمع، فهناك الاقتصاد الرأسمالى الذى يوجه النشاط الاقتصادى وفقا لأصوله من حيث سيادة الحرية الاقتصادية وحماية الملكية الخاصة والسوق الحر، وما يستتبع ذلك من استئثار أقلية بخيرات المجتمع والتفاوت الشديد فى توزيع الثروات، وغيره من المفاسد. وهناك الاقتصاد الاشتراكى الذى يوجه النشاط الاقتصادى وفقا لأصوله من حيث غلبة تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى وسيادة الملكية العامة والتعقيدات الحكومية، وما يستتبع ذلك من تأميم وقمع للحرية، وغيره من المفاسد.

أما الاقتصاد الإسلامى فهو الذى يُوجه النشاط الاقتصادى وفقا لأصوله من حيث ضمان حد الكفاية لكل فرد، وعدالة التوزيع وحفظ التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع ودول العالم، متجنبا عيوب ومساوىء كل من الاقتصادين الرأسمالى والاشتراكى.

ثانيا – بيان العلاقة بين (الاقتصاد) و(الأخلاق)

ما سبق كلمة موجزة عن مصطلح (الأخلاق) ومصطلح (الاقتصاد). ذلك أن كلا منهما يتأثر ويؤثر فى الآخر.

فإنه إذا كانت الأخلاق الطيبة تؤدى إلى معاملات اقتصادية سليمة والعكس صحيح، فإنه أيضا الاقتصاد السليم يؤدى إلى أخلاق طيبة والعكس صحيح.

ويكفى أن نتساءل ماذا ننتظر من مجتمع هابط أو شخص عديم الأخلاق، إلا الانتهازية والعدوان، وبالتالى إفساد المجتمع. وبالمثل ماذا ننتظر من اقتصاد متخلف أو شخص جائع مضيع، إلا الحقد أو العنف، وبالتالى إفساد المجتمع.

وخلاصة القول أن (الأخلاق) لا تستغنى عن (الاقتصاد)، كما أن (الاقتصاد) لا يستغنى عن الأخلاق، فكلاهما يكمل الآخر.

وعليه فإنه، إذ صح أنه لا أخلاق بدون اقتصاد سليم يقوم على كفاية الإنتاج، وتكافؤ التبادل، وعدالة التوزيع، وترشيد الاستهلاك.. فإنه أيضا لا اقتصاد ولا تنمية بدون صحة الأخلاق وصدق المعاملة.

لقد تواترت الأحداث، وكشفت العصور الماضية عن عجز مختلف المذاهب والنظم الوضعية فى أن تحقق للمجتمعات البشرية أمنها وسعادتها. ولقد عاصرنا اضطراب دول وشعوب عالمنا المعاصر، بين المذهب الفردى ممثلا فى الرأسمالية بمختلف درجاتها، وبين المذهب الجماعى ممثلا فى الاشتراكية بمختلف أنواعها، وتوزعت بينهما فى العديد من النظم الاقتصادية التى تبيّن عجزها عن أن تحمل مسئولية التوجيه والعطاء.

* * *

ولقد ثبت أن السبب الرئيسى لفشل مختلف النظم الوضعية، هو إغفالها العنصر الأخلاقى أو بعبارة أخرى الجانب الروحى فى الإنسان، متصورة أن الإنسان مادة فحسب. فقامت مختلف النظم الوضعية على أساس البعد الواحد، وهو بعد المادة والإشباع الاستهلاكى، ناسية أو متناسية البعد الأخلاقى أو الروحى مما أفقد الإنسان توازنه وسكينته.

ولقد عبر عن ذلك بعضهم بقوله: «إن الرجل الأبيض -يعنى الأوروبى والأمريكى- قد انتهى، لا لأنه فرغ من العلم والتقدم المادى، ولكنه انتهى لأنه فرغ من الإيمان والمثل». كما كان البعض الآخر أكثر صراحة وتحديدا بقوله: «إن حضارة الغرب قد رفعت الإنسان إلى القمر، بينما هى غائصة إلى ركبتيها فى الأوحال». ويضيف البعض: «إن البشرية اليوم لفى أشد الحاجة إلى الأخلاق والإحساس بالله – تعالى – وخشيته للخروج من أزماتها». وصدق الله – العظيم –:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾(٣).

وقوله تعالى:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾(٤)

وصدق الله العظيم:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾(٥).

ثالثا – الأصول الاقتصادية التى انفرد بها الإسلام لضمان حسن الأخلاق

ما سبق كلمة موجزة عن الرابطة الوثيقة بين كل من (الأخلاق) و(الاقتصاد)، وأن كلا منهما يؤثر ويتأثر بالآخر، بحيث لا قوام لأحدهما بدون الآخر، وأن قوام الأخلاق الرفيعة هو التدين من خلال الإحساس بالله تعالى وخشيته والتوكل عليه.

---

(٣) الحشر (١٩).
(٤) طه (١٢٣).
(٥) فاطر (١٥).

إنه حين طالب الإسلام الناس بالعبادة وذكر الله، علله فى القرآن بقوله تعالى:

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾(٦).

فأساس العبادة فى الإسلام والسبيل إليها، هو تأمين الناس فى حياتهم المعيشية، حتى إن سيدنا موسى – عليه السلام – حين دعا الله – تعالى –:

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾(٧).

قرنه بقوله تعالى:

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾(٨).

ومن هنا تأكيدنا بأنه لا قيمة لحضارة متقدمة أو تقنية متفوقة بدون أخلاق ومثل وارتباط بالله وخشيته – تعالى – وإلا فإن هذه الحضارة وتلك التكنولوجيا، ستصبح بدون صمام أمان، وبالتالى لا بد أن تطغى وتنتهى إلى أن تكون عنصر فساد وتدمير. كذلك لا غنى لمثل طيب وتطلعات روحية أو تعبدية، عن الاقتصاد وتعمير الكون، وإلا فإن هذه الأخلاقيات ستصبح بدون عناصر بقائها واستمرارها، وبالتالى لا بد أن تضعف وتضمر.

* * *

وبذلك ننتقل إلى النقطة أو المسألة الأخيرة والهامة من دراستنا، وهى بيان بعض الأصول الاقتصادية التى حرص الإسلام على تأكيدها أو بعبارة أدق انفرد بالدعوة إليها، ليتوصل بذلك إلى أخلاق طيبة وسلوك سليم.

(١) ولعل من أهم هذه الأصول والتى ينفرد بها الإسلام، هو مفهوم أن الإنسان هو خليفة الله فى أرضه، بقوله تعالى:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٩).

وقوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾(١٠).

وأنه بحكم هذه الخلافة كلف الإنسان بإعمار الأرض بالخير المادى والمعنوى من أجل خير البشرية جمعاء، بقوله تعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(١١).

أى كلفكم بعمارتها. ويلخص الرسول ﷺ حقيقة الدنيا ورسالة الإنسان فيها بقوله: «إن الدنيا حلوة نضرة، وإن الله استخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون»(١٢)، وقوله ﷺ: «ما عُبد الله بمثل عمل صالح» وفى رواية أخرى «ما عُبد الله بشىء أفضل من فقه فى دين»(١٣).

---

(٦) قريش (٣، ٤).
(٧) طه (٢٥، ٢٦).
(٨) طه (٣٣، ٣٤).
(٩) البقرة (٣٠).
(١٠) الأنعام (١٦٥).
(١١) هود (٦١).
(١٢) أخرجه مسلم.
(١٣) سنن الدارقطنى، والجامع الصغير للسيوطى.

ولعل الإسلام باعتباره خاتم الأديان، هو الوحيد بين كافة الأديان و المذاهب ومختلف النظم الوضعية، الذى يجيب بكل وضوح وإقناع، على ذلك السؤال الأزلى الذى تاهت فيه الأفهام وتعددت فيه المذاهب وضلت فيه المسالك، وهو: لماذا خلقنا أو إلى أين.

(٢) هذا ومن أهم هذه الأصول الاقتصادية والتى ينفرد بها الإسلام أيضا، مفهوم أن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه. بمعنى أن كل ما بيد البشر من مال، هو ملك لله أصلا بقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(١٤).

فهو تعالى المالك الحقيقى للمال باعتباره تعالى خالقه وهو واهبه ورازقه، وأن البشر مستخلفون فيه بقوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(١٥).

وقوله تعالى:

﴿ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾(١٦).

وأنه بالتالى لا يجوز للبعض دون الآخر أن يستأثر بهذا المال، لقوله تعالى:

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾(١٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾(١٨).

وعليه فإن اختصاص البعض بالمال، هو فى الإسلام ليس امتلاكا كما تصور خطأ البعض، وإنما هو أمانة ومسئولية يلتزم فيها بتعاليم الإسلام بقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾(١٩).

وهى مسئولية يحاسب عليها بقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾(٢٠).

وفى تفسيره لقوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(٢١).

يقول الإمام الزمخشرى فى تفسيره الكشاف الجزء الثانى ص٤٣٤: «يعنى أن الأموال التى فى أيديكم، إنما هى أموال الله بخلقه وإنشائه، وإنما مولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها، فليست هى أموالكم فى الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فأنفقوا منها فى سبيل الله... ... وليهن عليكم الإنفاق منها، كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره».

ويروى المؤرخ الخطيب فى مؤلفه تاريخ بغداد: «أن أبا حنيفة كان يجمع ربح التجارة عنده من سنة

---

(١٤) النجم (٣١).
(١٥) الحديد (٧).
(١٦) البقرة (٢٥٤).
(١٧) النور (٣٣).
(١٨) آل عمران (١٨٠).
(١٩) المؤمنون (٨).
(٢٠) التكاثر (٨).
(٢١) الحديد (٧).

إلى سنة، ثم يشترى بها حوائج الشيوخ والمحتاجين من الكسوة والقوت وغيره، ثم يدفع إليهم باقى الدنانير من الأرباح ويقول: أنفقوا فى حوائجكم، ولا تحمدوا إلا الله - تعالى - فإنى ما أعطيكم من مالى شيئا، ولكنه من فضل الله على».

(٣) كذلك يتميز الإسلام عن سائر المذاهب والنظم الوضعية، فى نظرته، وموقفه بالنسبة للملكية الفردية، فهو لا ينكرها شأن النظم الاشتراكية، كما أنه لا يطلقها شأن النظم الرأسمالية. وإنما هو يقيدها بعدة قيود، ليس فحسب كالعادة والمعروف من حيث اكتسابها ومجالاتها، وإنما أساسا من حيث استعمالها مما لا نجد له مثيلا فى أى من التشريعات الوضعية، وبحيث يحيلها الإسلام فعلاً وفقاً لرؤياه، إلى أمانة ومسئولية ومجرد وظيفة شرعية، ومن قبيل ذلك:

أ - أنه لا يجوز للمسلم أن يكنز ماله أو يحبسه عن التداول والإنتاج، وإلا حق عليه عذاب أليم، بقوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢٢).

ب- وهو لا يملك أن يصرف ماله على غير مقتضى العقل، وإلا اعتبر بنص القرآن سفيها وحق الحجر عليه، بقوله تعالى:

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾(٢٣)

جـ- وهو لا يستطيع أن يعيش عيشة مترفة، وإلا اعتبر بنص القرآن مجرما، بقوله تعالى:

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾(٢٤).

د - وهو مطالب دائما بأن ينفق كل ما زاد عن حاجته فى سبيل الله سواء فى صورة إنفاق مباشر على المحتاجين أو فى صورة استثمارات تعود بالنفع على المجتمع، بقوله تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾(٢٥).

وقوله تعالى:

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٢٦).

(٤) كذلك انفرد الإسلام دون سائر المذاهب والنظم الوضعية، بأنه لا يسمح بالثروة والغنى إلا بعد القضاء على الفقر والحاجة من خلال ضمان (حد الكفاية) لا مجرد (حد الكفاف) لكل فرد، أى ضمان المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان والمكان، والواجب توافره لكل مواطن يعيش فى مجتمع إسلامى، أيا كانت ديانته وأيا كانت جنسيته، أى بوصفه إنسانا وباعتبار ذلك حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق. وهو يوفره لنفسه بجهده وعمله، فإذا عجز عن ذلك لسبب خارج عن إرادته كمرض أو شيخوخة، انتقلت مسئولية

---

(٢٢) التوبة (٣٤).
(٢٣) النساء (٥).
(٢٤) هود (١١٦).
(٢٥) البقرة (١٩٥).
(٢٦) آل عمران (٩٢).

ذلك إلى بيت مال المسلمين أى خزانة الدولة. وذلك إعمالا لقوله تعالى:

﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾(27).

وقول الرسول ﷺ: «من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلىّ وعلىّ»(28)، وفى رواية أخرى: «من ترك كلا فليأتنى فأنا مولاه» أى من ترك ذرية ضعيفة فليأتنى بصفتى الدولة فأنا مسئول عنه كفيل به.

وقد روى أبو يوسف فى كتابه الخراج ص١٥ وكذا أبو عبيد فى كتابه الأموال ص٤٦، كيف أن الخليفة عمر بن الخطاب دهش حين رأى شيخا يتكفف الناس فسأله: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودى، فسأله: وما الجأك إلى هذا؟ قال: الجزية والحاجة والسن، فأمر عمر بطرح جزيته وأن يعان من الزكاة باعتباره مسكينا!، وأرسل إلى خازن بيت المال بقوله: «انظر إلى هذا وضربائه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرَمْ». كما يروى البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان ص١٢٥، كيف مر الخليفة عمر بن الخطاب وهو بأرض الشام على قوم مرضى مجزومين لا حول ولا قوة لهم، فأمر أن يعطوا من الزكاة وأن يجرى عليهم الطعام بانتظام أيا كانت ديانتهم. فضمان (حد الكفاية) لكل فرد، هو فى الإسلام أمر مقدس باعتباره حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق، وإن فى إنكاره أو إغفاله تكذيب للدين بقوله تعالى:

﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾(29).

ولذلك لم يكتف الإسلام بتأكيد حق كل إنسان فى مستوى لائق للمعيشة مما نعبر عنه بضمان حد الكفاية لا مجرد حد الكفاف، وإنما أنشأ لذلك ولأول مرة فى التاريخ الإنسانى، مؤسسة مستقلة بأموالها وعمالها والمستحقين فيها، ألا وهى مؤسسة الزكاة التى هى مؤسسة الإسلام لمواجهة مشكلة الفقر وتحقيق الضمان الاجتماعى. وكما هو معروف إذا لم تكف أموال الزكاة بمقاديرها المحددة أى نسبة ٢٫٥٪ من رأس المال بالنسبة للأموال المنقولة كعروض التجارة، وما بين ٥٫١٠٪ من الدخل بالنسبة للأموال الثابتة كالأراضى الزراعية والعمارات المستغلة وكسب العمل ونسبة ٢٠٪ من الركاز كالبترول، فإن للحاكم أن يوظف كل أموال الأغنياء بقدر ما يكفى الفقراء والمحتاجين. وفى هذا المعنى يقول الخليفة الرابع سيدنا على بن أبى طالب: «إن الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم» [انظر ابن حزم فى الجزء السادس من كتابه المحلى ص٢٢١]، ويقول الإمام الماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية ص١٢٢: «فيدفع إلى الفقير والمسكين من الزكاة ما يخرج به من اسم الفقر والمسكنة إلى أدنى مراتب الغنى». كما يقول: «تقدير العطاء معتبر بالكفاية». ويقول الإمام السرخسى فى الجزء الثالث من كتابه المبسوط ص١٨: «وعلى الإمام أن يتقى الله فى صرف الأموال فى المصارف، فلا يدع فقيرا إلا أعطاه من الصدقات -أى الزكاة- حتى يغنيه وعياله، وإن احتاج بعض المسلمين وليس فى بيت المال من الصدقات شىء، أعطى الإمام ما يحتاجون إليه من بيت المال».

(27) الذاريات (19).
(28) أخرجه البخارى ومسلم.
(29) الماعون (1:3).

ومن هنا جرى المثل العربى : « صيانة النفس فى كفايتها » . كما أوضح الفقهاء القدامى وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية، سبب اهتمام الإسلام بضمان حد الكفاية لكل فرد فى المجتمع من خلال مؤسسة الزكاة، بأنه لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الأخلاق إذا لم يطمئن الفرد فى حياته ويشعر أن المجتمع الإسلامى يقف معه ويؤمنه عند العجز أو الحاجة، حتى إن الإمام ابن حزم فى الجزء السادس من كتابه المحلى المسألة رقم ٧٢٥ يقرر أن للجائع عند الضرورة أن يقاتل من يمنعه حقه فى الطعام الزائد عن غيره : « فإن قتل الجائع فعلى قاتله القصاص، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله ولا دية له لأنه منع حقا وهو طائفة باغية » . وكلنا يذكر مقولة الخليفة الأول أبوبكر الصديق : « والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة »، وللإمام الشافعى عبارة فقهية دقيقة مشهورة عنه بقوله : « إن للفقراء أحقية استحقاق فى مال الغنى، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير » . وذهب الفقيه أحمد بن على الدلجى فى كتابه الفلاكه والمفلوكين أى الفقر والفقراء ص١٦ إلى أبعد من ذلك بقوله : « إن من حق المحروم أن يرى النعم التى بأيدى الناس مغصوبة، والمالك المستحق يطالب باسترداد ماله من أيدى الغاصبين » .

(٥) كذلك انفرد الإسلام دون سائر المذاهب والنظم الوضعية، على تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع ودول العالم، وذلك إعمالا لقوله تعالى :

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾(٣٠) .

بمعنى أنه لا يجوز أن يكون المال متداولا بين فئة قليلة من الناس أو دول معينة، بل يجب أن يعم الخير الجميع.

وإذا كان الناس يتفاوتون فى كفايتهم وفى مقدار ما يبذلون من جهد، فإنه من الطبيعى أن يتفاوتوا فى مقدار ما يحصلونه من دخل ويكونونه من ثروة، فالتفاوت فى الدخول والثروات هو مما يقره الإسلام باعتباره أمرا طبيعيا تبعا لاختلاف المواهب والقدرات، وباعتباره أيضا حافزا على الجد والعمل إذ لو حصل كل الأفراد على دخول متساوية أو متقاربة لما غنى أحدهم بإتقان عمله أو زيادة جهده . كما أن التفاوت والتنوع فى الدخول والثروات على المستوى الإقليمى أو العالمى، هو أمر ضرورى للتعارف والتعاون، وصدق الله العظيم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾(٣١) .

إلا أن التفاوت فى الثروة والدخول، الذى يسمح به الإسلام، هو التفاوت المنضبط أو المتوازن أى بالقدر الذى على المستوى الفردى يُحفز على العمل والإتقان، وعلى المستوى الإقليمى أو العالمى يحقق التكامل لا التناقض والتعاون لا الصراع . وبعبارة أخرى بالقدر الذى لا يكون فيه التفاوت فاحشا بما يخل بالتوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع ودول العالم ويمحق تماسكها، وإلا تعين شرعا على الحاكم أو ولى الأمر التدخل لإعادة هذا التوازن عند افتقاده . والأمثلة على ذلك عديدة ومعروفة سواء فى عهد الرسول ﷺ أو فى عهد الخلفاء الراشدين.

والواقع أن مشكلة الاقتصاد الوطنى فى المرتبة الأولى هى فى اختلال التوازن فى توزيع الثروات والدخول بين

---

(٣٠) الحشر (٧).

(٣١) الحجرات (١٣).

أفراد المجتمع. كما أن مشكلة الاقتصاد العالمى اليوم، هى فى الفجوة المتزايدة بين الدول الغنية المتقدمة وبين الدول الفقيرة النامية. ولا يستهدف حاليا أى تغيير أو إصلاح أو أى نظام اقتصادى جديد، سوى فى المرتبة الأولى تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع على المستوى المحلى، وتحقيق التوازن الاقتصادى بين دول العالم على المستوى العالمى. الأمر الذى نبه إليه الإسلام منذ خمسة عشر قرنا بقوله تعالى:

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾(٣٢).

بمعنى ألا يكون المال متداولا بين فئة قليلة تستأثر به دون غيرها سواء كان ذلك على مستوى أفراد المجتمع أم على مستوى دول العالم، الأمر الذى يؤدى إلى تهميش الأغلبية وسلبيتها أو إلى اغترابها وإثارة حقدها وثورتها وكافة المساوىء.

خاتمة:

كل ما تقدم هو بعض الأصول الاقتصادية التى انفرد بها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، وذلك لضمان تحقيق حسن السلوك ومكارم الأخلاق، باعتبار ذلك هو غاية الغايات والمستهدف من كافة صور العبادة ومختلف أركان العقيدة الإسلامية. ذلك أن الله - تعالى - غنى عن عباده، والمراد من مختلف أحكام الإسلام سواء كانت عبادات أم معاملات، هو نفع الخلق أنفسهم لتستقيم بهم الحياة الدنيا، فلا يعانون فيها، باعتبارها فى حقيقتها وكما كشف عنه لنا الإسلام (دار اختبار وابتلاء). وصدق الله العظيم:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾(٣٣).

وقوله تعالى:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٣٤).

وقوله تعالى:

﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾(٣٥).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٣٦).

والتقوى فى الإسلام هى جماع الأخلاق الإسلامية، ذلك أنها بنصوص القرآن تشمل كافة القيم الرفيعة من إيمان وعمل وعدل، وخدمة الناس وابتغاء وجه الله - تعالى - ومراعاته وخشيته والتوكل عليه فى كل ما نقوم به من عمل أو نباشره من نشاط، حتى إنه كما أوضحنا بكتابنا (ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية) يتميز بل ينفرد الاقتصاد الإسلامى دون سائر المذاهب والنظم الاقتصادية باعتباره (التقوى) أحد عناصر الإنتاج بل أهمها وأن عائدها هو البركة بقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٣٧).

وصدق الله العظيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٣٨)

نسأله تعالى السداد والتوفيق.

---

(٣٢) الحشر (٧). (٣٣) فاطر (١٥). (٣٤) النساء (١١٤). (٣٥) الحج (٣٧).
(٣٦) الحجرات (١٣). (٣٧) الأعراف (٩٦). (٣٨) الرعد (١١).

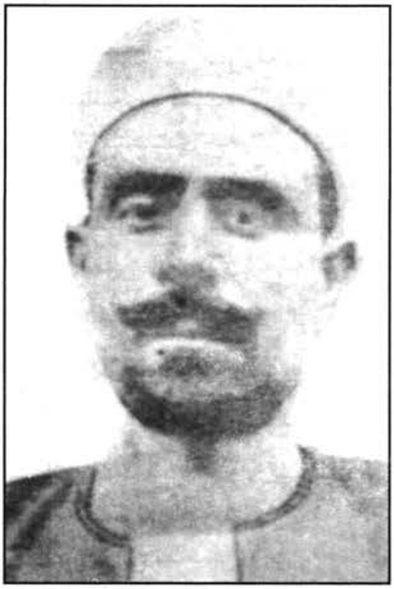

بين

الخضر حسين و على عبد الرازق

قضية وكتابان

٤

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

الإسلام وأصول الحكم

بحث في

الخلافة والحكومة في الإسلام

تأليف

علي عبد الرازق

من خريجي الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية

« الطبعة الثالثة »

سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م

« حقوق الطبع محفوظة »

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم

تأليف

السيد

محمد الخضر حسين

أحد مدرسي جامع الزيتونة وقضاة المحاكم الشرعية بتونس سابقاً

القاهرة

١٣٤٤

المطبعة السلفية ومكتبتها

لصاحبيهما: محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

وإذا كان كتاب « الإسلام وأصول الحكم » قد ذهب فى تشويه صورة « الخلافة » الإسلامية تاريخيا، إلى حد الافتراء الذى جعلها قهرا مسلحا واستبدادا بالأمر، من دون الأمة، باسم الله فإن كتاب الشيخ الخضر قد برئ من « رد الفعل » الذى يبيض وجه هذه الخلافة دائما، حتى ولو كان ذلك بالزور والبهتان!.. بل إن الرجل لا يرغب فى إدارة المعركة حول اسم النظام وعنوانه.. فالدولة الإسلامية هى المطلب.. وليست « الخلافة » هى الشكل الوحيد ولا الاسم المفرد لهذه الدولة الإسلامية.. وفارق بين أن ننتقد تراثنا فى نظم الحكم لنقترب من مقاصد الإسلام فى « الدولة الإسلامية » وبين أن يكون هذا النقد سبيلا إلى التخلى عن شروط « أسلمة الدولة » وتجريد الإسلام من شرعه ومدخله فى السياسة وتنظيم المجتمعات..

«فلم يدع أحد قط أن صلاح شأن الرعية وصيانة شعائر الدين مربوطان باسم الخلافة، وأن لقب الخليفة كالرقية النافعة، يذهب بها كل بأس، أو الدعوة المستجابة، ينزل عندها كل خير، والذى نعلمه ويعلمه أشباه العامة من المسلمين أن الخلافة لا تريك آثارها وتمنحك ثمارها من منعة وعزة وعدالة إلا إذا سارت على سنة العزم فى الأمور والحكمة فى السياسة»(١).

وإذا كان العصر الحديث قد ألح ويلح على إعلاء مكانة الأمة فى تسيير شئون الدولة والمجتمع، فليس هناك، فى نهج الإسلام السياسى، ما يعارض هذا الاتجاه.. بل إن هذا هو نهج الإسلام الأصيل فى هذا الباب «فالقوة المشروعة للخليفة لا تزيد على القوة التى يملكها رئيس دولة دستورية، وانتخابه فى الواقع إنما كان لأجل مسمى وهو مدة إقامته قاعدة الشورى على وجهها، وبذله الجهد فى حراسة حقوق الأمة، وعدم وقوفه فى سبيل حريتها...(٢) وشكل بعض الحكومات القائمة على خليفة ووزراء ومجلس نيابى يجرى انتخابه تحت ظلال الحرية التامة لا يخالف الشكل الملائم للخلافة الحقيقية بحال»(٣) بل لقد ذهب الإسلام السياسى فى شروط الخليفة إلى الحد الذى يجعل من دولته «الواقع» القريب من «مثال» «المدينة الفاضلة»! .. فلقد «قرر جمهور أهل العلم فى شروط الخليفة أن يكون بالغا فى العلم رتبة الاجتهاد، وأن يكون ذا رأى وخبرة بتدبير الحرب والسلم، وأن يكون شجاعا لا يرهب الموت الزؤام فما دونه، وأن يكون عادلا لاتأخذه فى الحق لومة لائم. وتعرف مزية العدل باختبار سيرته فيما كان يتولاه من أعمال قبل منصب الخلافة أو بما تدل عليه التجارب والمشاهدة الطويلة من استقامته وشرف همته وإنكاره ما يفعل الظالمون بغيرة وحماسة»(٤).

وليست صحيحة ولا دقيقة ولا صادقة تلك الصورة الشوهاء التى عممها صاحب «الإسلام وأصول الحكم» على مجمل نظام الخلافة الإسلامية عبر التاريخ الإسلامى.. «فلقد أتى عليها حين من الدهر وهى لا تنتضى حسامها ولا تلمع بإنذارها ووعيدها إلا فى وجه عدو يتربص بالمؤمنين الدوائر، أو ثائر عصفت به ريح الأهواء وماله من أولى الألباب ولى ولا عاذر. وأدركها زمن بعدت فيه عن حقيقتها، فخلطت عملا صالحا وآخر سيئا، وربما كان إثمها فى بعض الأحيان أكبر من نفعها»(٥) فالتعميم فى تصوير الخلافة بصورة «القهر المستبد باسم الله» غريب على المنهج العلمى فى دراسة التاريخ.

أما الصورة العثمانية للخلافة، والتى أتاحت لأعداء «الدولة الإسلامية» تشويه صورة

---

(١) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٩٠ من طبعة الأصل].

(٢) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٣ من طبعة الأصل].

(٣) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٤ من طبعة الأصل].

(٤) البالب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٢ من طبعة الأصل].

(٥) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٦٤ من طبعة الأصل].

الخلافة، بإطلاق وتعميم ، فإن الإسلام السياسى حجة عليها وعلى سلاطينها، وليست هى بالحجة على هذا الإسلام!.. «ولو أن المتأخرين من سلاطين آل عثمان أعطوا للخلافة شيئا من حقوقها، وراعوا ما أمر الله به من وسائل استقامتها لما انفرط عقد هذه الممالك الإسلامية وأصبحت كل قطعة منها تحت سلطة أجنبية تستبد عليها فى حكمها وتتصرف فى رقاب شعوبها وأموالهم كيف تشاء»(٦).

لكن المرض لا يبرر الإعدام.. والفساد لا يستدعى اليأس من الإصلاح.. فإذا.. كانت الخلافة الإسلامية لا تعدو: «الدولة الإسلامية الجامعة»، «فليس إصلاح شأنها.. «إذا فسد»..وإعادتها إلى سيرتها المثلى ممن يغارون على مصلحة الشرق واتحاد شعوبه ببعيد»(٧)؟!

هذا عن الخلافة فى التاريخ..

***

لقد كانت الفكرة الجوهرية والمحورية لكتاب «الإسلام وأصول الحكم» هى دعوى أن الإسلام دين لا دولة، ،ورسالة لا حكومة، ويا بعد ما بينه وبين السياسة وتنظيم المجتمعات!.

وبعض الذين تصدوا لنقد هذا الكتاب بلغوا فى معاداة هذه الدعوى مبلغ «رد الفعل»، حتى لقد بدت فى أقوالهم رائحة تصور الحكومة الإسلامية «حكومة دينية» تشبه تلك التى عرفتها أوروبا حاكمة «بالحق الإلهى».. ذلك أنهم تحدثوا عن «وحدة» الدين والدولة، مقابل دعوى «الفصل» بينهما!.. لكن هذا الموقع.. موقع رد الفعل» الغريب عن روح الإسلام وجوهره.. لم يكن هو الموقع الفكرى للشيخ الخضر عندما نقض كتاب الشيخ على عبد الرازق.. فهو قد تبنى موقف علماء الكلام المسلمين، من مختلف تيارات فكر أهل السنة، الذين قرروا أن «الخلافة – الإمامة– الدولة» ليست من أصول الدين ولا أركانه ولا عقائده، وأنها من الفروع.. ومن ثم فلا حجة لمن يدعى «علمانية الإسلام» بسبب خلو القرآن من الآيات التى تنص على «الخلافة ـ الإمامة ـ الدولة» فمكان الفروع، ليس بالضرورة هو القرآن الكريم.. واستمرارا لهذا النهج الإسلامى العريق قال الشيخ الخضر: «إن الخلافة ليست من نوع العقائد...(٨) وبحثها يرجع إلى النظر فى حكم علمى لا فى عقيدة من عقائد الدين. ومما يترتب على الفرق بين الأحكام العملية والعقائد أن الأحكام العملية يكتفى فيها بالأدلة المفيدة ظنا راجحا، وأما العقائد فإنها لا تقوم إلا على براهين قاطعة.. فلا غضاضة على حكم الخلافة إذ لم يرد به قرآن يتلى ، إذ ليست الخلافة زائدة على إمارة عامة تحرس شعائر الدين وتسوس الناس على طريق العدل، ولم يكن وجه المصلحة من إقامة هذه الإمارة بالخفى الذى يحتاج إلى أن يأتى به قرآن صريح.. فالقرآن لم يصرح بحكم الإمارة العامة اكتفاء بما بثه فى تعاليمه من

(٦) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٧ من طبعة الأصل].

(٧) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٦٤ من طبعة الأصل].

(٨) الباب الثانى من الكتاب الأول [ص ٣٣ من طبعة الأصل].

الأصول التى تبينها السنة ويرجع إليها الراسخون فى العلم عند الحاجة إلى الاستنباط، ولأن الأمر بإطاعة أولى الأمر عبرة لأولى الألباب . . !(٩) فإذا استدل علماء الإسلام على وجوب «الخلافة - الإمامة - الدولة الإسلامية» بضرورتها، لأن ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق الجامح ولا يزعهم عن الباطل وازع، يفضى إلى تبدد الجماعة، وإضاعة الدين، وانتهاك حرمة الأموال والنفوس والأعراض، فإنهم -«بهذا الاستدلال»- إنما يطبقون قاعدة شرعية، وهى قاعدة «الضرريزال» أو قاعدة «ما لا يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدورا، فهو واجب . .»(١٠).

ومن هذا الموقع الفكرى، الذى يرى وجوب «الدولة الإسلامية» - وليس أى دولة - دون أن تكون هذه الدولة عقيدة من عقائد الدين أو ركنا من أركانه - أنكر الشيخ الخضر إسلامية الصورة التى صور بها الشيخ على عبدالرزاق الخليفة المسلم، ورفض ما قاله صاحب «الإسلام وأصول الحكم» عن طبيعة سلطات الخليفة فى الإسلام . . لقد قال على عبدالرازق عن الخليفة: «إن ولايته عامة ومطلقة، كولاية الله - تعالى - ورسوله الكريم» . . وعلق الخضر على هذه العبارة فقال: «إنها من مبالغاته التى تضع للخلافة فى نفوس المستضعفين من الناس صورة مكروهة، ولو كان المؤلف «على عبد الرازق» يمشى فى بحثه على صراط سوى لتحرى فيما ينطق به عن المسلمين أقوالهم المطابقة . وهم لم يقولوا إن ولاية الخليفة عامة ومطلقة كولاية الله، فإن الله يفعل ما يشاء فيمن يشاء، ولا يسأل عما يفعل، والخليفة مقيد بقانون الشريعة، ومسئول عن سائر أعماله . وكذلك رسول الله ﷺ(١١).

وفى صراحة وحسم يقرر الشيخ الخضر أن الأمة الإسلامية هى مصدر السلطات التى فوضت بعضا منها للخليفة والإمام، فلا علاقة لطبيعة سلطاته بتلك التى زعمتها الكهانة والدولة الدينية للأباطرة والملوك الذين جعلوا سلطانهم مستمدا من الله . . لقد زعموا نيابتهم عن الله . . بينما الخليفة الإسلامى نائب عن الأمة ووكيل عنها . . «ولم نعثر على كلمة - «فى فكر علماء الإسلام» تنبىء - ولو بطريق التلويح . . أن سلطان الخليفة مستمد من سلطان الله، وقصارى ما يستنتج من كلماتهم عنها ومباحثهم فيها أن الله أوجب على الناس إقامة إمام، وأن ولايته تنعقد إما بمبايعة أهل الحل والعقد أو بعهد من الخليفة قبله، وأنه إذا سعى فى السياسة فسادا كان للأمة انتزاع زمام الأمر من يده ووضعه فى يد من هو أشد حزما وأقوم سبيلا . .»(١٢).

فالإسلام يوجب «الدولة الإسلامية» التى تسوس الناس بشريعته، وتحفظ بيضته . . وفى ذات الوقت ينكر مزاعم القائلين بسلطان إلهى لرأس هذه الدولة . .

---

(٩) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٧٤، ٧٥ من طبعة الأصل].

(١٠) الباب الثانى من الكتاب الأول [ص ٢٦ من طبعة الأصل].

(١١) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٠ من طبعة الأصل].

(١٢) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٤ من طبعة الأصل].

فلا هى « العلمانية » التى تفصل « الدين » عن « الدولة » ولا هى « الكهانة - والدولة الدينية - والحكم بالحق الإلهى - ونيابة الحاكم عن الله » .. وإنما هى الدولة « المدنية » الحاكمة والمحكومة بشريعة الإسلام .. وبعبارة الشيخ الخضر: « إن شارع الإسلام يقصد إلى أن يكون للمسلمين دولة ذات صبغة دينية(١٣) .. ورياسة غير منفصلة عن الدين .. وإمارة مرتبطة بالدين(١٤) .. فالإسلام دين وشريعة وسياسة، وعلى الدولة أن تضع سياستها فى صبغة إسلامية(١٥) .. لأن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام اجتماعى، فهو بالنظر إلى أصول العقائد التى هى باب الإيمان به، إنما يدعى إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، إذ لا يمكن لبشر أن يدخل فى قلب بشر عقيدة إلا أن يقرنها بما يثبتها فى النفس من برهان أو إقناع. وأما الشرائع والنظم الاجتماعية، فإن التجربة فى القديم والحديث، دلت على أنها لا تقوم فى أمة ولا يطرد نفاذها إلا أن تكون شدة البأس بجانبها والسيوف من ورائها. فلابد للإسلام من دولة ذات شوكة لتقوم على إجراء هذه الشرائع والنظم وتحول بينها وبين قوم لا يبصرون .. »(١٦).

وإذا كانت دعوى صاحب « الإسلام وأصول الحكم » أن الرسول ﷺ كان « مبلغا » فقط ، لم يكلف « بالتنفيذ » هى دعوى متهافتة لم يقلها قبله قائل، من الشرق أو الغرب، من المسلمين أو من غيرهم ، فإن الشيخ الخضر يتحدث عن ولاية الرسول، رافضا أن تقتصر على القلوب دون الأجسام.

وهى دعوى على عبدالرازق ــ ويقول: « إن النظر يقضى بأن الولاية على القلوب لا تكفى فى صيانة الحقوق وحفظ النفوس والأموال والأعراض، وأنه لابد من ولاية يكون شأنها تنفيذ قوانين المعاملات والعقوبات فيمن يطغى به الهوى أو يتخبطه الغضب وإن كان من المؤمنين. فولاية الرسول ﷺ، كانت على القلوب ثم على الأجسام، وكانت ولاية هداية وتدبير لصالح الحياة، وكانت رياسة دينية وسياسية وكلاهما من عند الله، ولا بعد بين السياسة والدين إلا فى نظر قوم لايكادون يفقهون حديثا(١٧). لقد كان الرسول الأعظم مظهر السلطة التشريعية، ومصدر السلطة التنفيذية، فالحكمة تجرى على لسانه، ودم النفوس الخبيثة يجرى على سنانه، يرسل الموعظة الحسنة تحت مثار النقع، ويسن القانون العادل وهو يقاتل وحوشا غابها الرماح، ولقد كان فى تشريعه الحكيم أو عزمه النافذ عبرة لأولى الألباب(١٨).

---

(١٣) الباب الأول من الكتاب الثالث [ص ٩٧ من طبعة الأصل].

(١٤) الباب الثانى من الكتاب الثالث [ص ٢٢١ من طبعة الأصل].

(١٥) الباب الثالث من الكتاب الثالث [ص ٢٤٤ من طبعة الأصل].

(١٦) الباب الثانى من الكتاب الثانى [ص ١٤٣ من طبعة الأصل].

(١٧) الباب الثالث من الكتاب الثانى [ص ١٦٧ ، ١٦٨ من طبعة الأصل].

(١٨) الباب الأول من الكتاب الثانى [ص ١١٢ من طبعة الأصل].

قصة العدد

إسلام بغي(*)

للأستاذ / محمود غنيم

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

ـ إليّ يا فتى، إليّ يا فتى.

ـ إليك عنى أيتها الفتاة البغى، أين ما ذهبتُ أريده مما تدعيننى إليه؟ إننى ذاهب إلى حيث أغسل نفسى من أوضار الوثنية وأدرانها، وأقطع ما بينى وبين الجاهلية من أسباب، إننى ذاهب لأصل حبالى بحبال محمد بن عبدالله.

ـ رويدك يافتى، إن كنت تعنى الإسلام فقد سبقتك إليه، وما دعوتك ـ يعلم الله ـ لريبة، فقد قطعت ما بينى وبين الريب، وطهرت نفسى من أدران الوثنية قبل أن تفعل، وخلصت من آثام الجاهلية منذ علقت حبالى بحبال ابن آمنة الزهراء، اذهب إليه ـ إن شئت ـ فى دار ابن أبى الأرقم بجوار الصفا عن يسارك حيث يختبىء هو وأصحابه الأطهار فيقيمون شعائر دينهم خفْية خِيفة أشرار قريش.

ولكن الفتى لم يذهب، بل وقف جامداً لا يريم، كأنما سمر فى مكانه، ثم قال فى همس: أنت يا «فتنة»؟ أنت يا «فتنة» سبقتنى إلى الإسلام؟

حدق الفتى «ورقة» فى وجه الفتاة فإذا علامات الجد والصراحة، وإذا أمارات الحشمة والوقار، وإذا ما كان يبدو من جسد الفتاة كاس مستتر، وإذا صوتها المتكسر عميق متزن النبرات نفاذ إلى أعماق القلوب، وإذا الفتاة خلق جديد، لا يتصل حاضره بماضيه بوشيجة من الوشائج، وإذا هى فى ثوب الوقار الذى ارتدته أجمل منها فى ثوب الخلاعة الذى نضته.

حدق الفتى ورقة فى وجه الفتاة، فلم يرعه منها اليوم ما كان يروعه منها بالأمس، لم يرعه

(*) مجلة الثقافة ٢٨/١/١٩٤١.

قدها الممشوق، أو شعرها الأثيث الفاحم، أو عيناها الدعجاوان، لم ترعه مفاتن جسمها التى كانت تنم عنها ثيابها، وإنما راعه بريق يشع من عينى الفتاة، ونور يتألق من جبينها، وروح غريبة تشيع فى جسمها، وما كان له عهد بذلك من قبل.

عجباً! أهذه فتنة، أمة «ابن جدعان» التى كانت تتقلب كل يوم بين ذراعين جديدتين، وتستبدل كل ليلة رفيقاً برفيق؟ ما هذه المعجزة التى جعلت من هذا الماخور محراباً، ومن تلك الشقية الداعرة إنسانة لها قدس الملائكة، وطهر القديسات؟

كان الفتى فى ربيع حياته، يتدفق دم الشباب حاراً فى عروقه، ولكنه كان عزوفاً عن النساء، لا يألف كما يألف غيره من شباب مكة التردد على دور البغايا، وإن دورهن لكثيرة تنبث فى أنحاء مكة عن كثب من المسجد الحرام، وإن هذا النوع من تجارة الرقيق الأبيض لنافق فى ذلك البلد الأمين أي نفاق ليس فى مزاولته عار كبير.

وماذا يرى القوم فى هذه التجارة غير أنها منبع من منابع الثروة يستغله كثير من عليتهم؟ أليس من هؤلاء النخاسين «زمعة بن الأسود»؟ أليس منهم «صفوان بن أمية»؟ أليس منهم «العاص بن وائل»؟ .أليس كل هؤلاء وغير هؤلاء يزاولون تلك التجارة النكراء، فلا يرون فيها. ما يندى له الجبين، أو يدعو العين إلى الإغضاء، أو إلى الإطراق؟

ولكن الفتى ورقة كان يعزف عن ذلك كله، ولم لا يفعل؟ أليس ربيب القديس المتحنث ورقة ابن نوفل؟ ربيب الطاهرة البتول خديجة زوجة الرسول؟ ثم ماذا؟ ثم هو يذكر أن أمه «تماضر» كادت تقع فى يوم من الأيام فريسة بين أيدى هؤلاء الطغام، لقد كانت تماضر أمه أمة عبدالله ابن جدعان نفسه صاحب فتنة، عبدالله بن جدعان حامل لواء الدعارة فى مكة، والذى تدار باسمه عدة دور للبغاء، والذى لم تمنعه مزاولة هذه المهنة الوضيعة أن يكون من أجواد العرب، له فى قريش مكان مرموق، وله فى دار ندوتهم صوت مسموع، ذلك هو عبدالله بن جدعان التيمى ابن عم خديجة زوجة الرسول، وابن عم أبى بكر حوارى الرسول.

كان الفتى يعزف عن النساء، ويعاف تلك التجارة النكراء كلما ذكر أن أمه كادت تكون إحدى هؤلاء الساقطات، لقد استقدمها ابن جدعان من تخوم لحيان لم تتجاوز أربعة عشر ربيعاً، وأرادها على احتراف البغاء، واعتد لها منزلاً علق عليه الراية البيضاء [1]، واعتد لهذا المنزل ما يثير النشوة فى نفوس المترددين عليه من صبوح وغبوق، وما هو إلا أن تصل الفتاة، فيتسامع بها مجان قريش، فيهرع إليها فريق منهم على رأسه أبو سفيان بن حرب، غير أن الفتاة الغريرة لم تأنس بتلك الوجوه الغريبة، ولم ترتح إلى تلك الشوارب المسبلة واللحى المدلاة، وجعلت تتفرس فى القوم بعين زائغة، ونفس واجمة، وصدر منقبض، وما هو إلا أن يدنو منها أبو سفيان حتى ترى ـ دون أن تعى ـ يديها

(١) كانت هذه شارة متواضعا عليها تعلق على بيوت الموسات.

تتعاورانه باللطم، وقدميها تحملانها وتسرعان الخطا إلى حيث لا تعلم.

دق باب السيدة خديجة بنت خويلد فى الهزيع الأخير من الليل، فابتدره غلامها ميسرة، فإذا تماضر أمة ابن جدعان آبقة من سيدها لاجئة إلى سيدته، وإذا هى فى حرز حصين يحول بينها وبين العابثين. أمنت الفتاة على نفسها بعد أن نُقد سيدها ثمنها من مال السيدة الخديجة، ثم تزوجت زواجاً صالحاً أنجبت منه الفتى ورقة بن العفيفة.

●●●

قال ورقة لفتنة: حدثينى يا فتنة كيف وجد الإسلام إلى قلبك سبيلا، لقد كنت أظن أن طرازك من النساء آخر من يصيخ إلى دعوة محمد، ويستجيب لندائه.

أما تذكرين يوم كنت تتعرضين لمحمد وأتباعه فى الطريق بحركاتك الخليعة تارة، وبضحكاتك الساخرة تارة أخرى؟ أما تذكرين شعرك الداعر، وأناشيدك الفاجرة التى كنت تطليقينها فى وجوههم مقدمهم لكل صلاة ومنصرفهم منها؟

قالت الفتاة: أى وأيم الله، أذكر ذلك ولا أنساه، لقد كان يغرينى بذلك سفهاء قريش، وعلى رأسهم أبو سفيان وعقبة بن أبى معيط، وأبو الحكم بن هشام، طالما اجتمعوا تحت سقف منزلى هذا وغنيتهم ما لقنونى إياه من هجاء محمد وأصحاب محمد، وكم أطلقت هذا النداء فى وجوه القوم، غير أننى وأيم الله ما فهت به فى وجه رسول الله، وكم هممت ولم أفعل، لقد كنت أعرض له فى طريقه فتتخاذل ساقاى حتى لا تكادا تحملانى، ويجمد لسانى حتى لا يكاد يبين، فيمضى هو لطيته، وأنصرف أنا خاسئة أقتلع رجلى من الأرض اقتلاعاً.

وما هو إلا أن تتكرر غدوات الرسول وروحاته علىّ، حتى يسترعى انتباهى ما يشع فى جبينه من النور، وما تنم عنه قسماته من الطهر والقداسة، فجعلت أوازن بين رسول الله وبين أعداء الله الذين يترددون على منزلى، وما كنت أعرف عن الإسلام إلا ما تلتوى به ألسنتهم، وما تلغط به أفواههم، حتى علمت أن محمداً لا يقول بالفحشاء، وأن دينه يحرم البغاء، علمت أنه نصير المرأة، وأن دينه يقرر مصيرها، علمت أنه يمقت الرق وأن دينه يتشوف إلى الحرية وقد كنت برمت بهذا النوع من الحياة الذى أحياه، فجعلت أنظر إلى محمد بغير العين التى أنظر بها إلى تلك الذئاب البشرية. أدركت أنه هو المنقذ الأعظم، وأن خلاصى لن يكون إلا على يديه.

قالت الفتاة: وبينما أنا ذات يوم جالسة أفكر فى أمر محمد إذا بالباب يدق، فابتدرته، فإذا عدو الله عقبة بن أبى ربيعة دخل علىّ سادراً فى خيلائه، ضاحكاً ملء فيه، فقلت: ما الخبر؟ قال: أصبت ابن أبى قحافة يخطب، فانتضيت نعلى فأدميت بها شفتيه، ثم تركته يزيل ما علق بثيابه من آثار الدماء.

قالت الفتاة: فثار الدم فى عروقى حاراً، وسمعتنى أهتف بكلام لا أدرى أين كان معينه من نفسى، ثم قلت: اخرج يا عدو الله وآليت لأعطرن فضل ردائى بدم الصديق، ولأمسحن عن شفتيه الطاهرتين، ولأعلنن له إسلامى... وقد فعلت.

مضى الفتى ورقة لطيته، وظلت الفتاة واقفة بالباب هنيهة، وإنها لكذلك إذ أحست خفق نعلين وهمس تسبيح يقطعان سكون الطريق، فدارت برأسها نحو مصدر الصوت، فإذا رسول الله يغذ السير كأنما ينحط من منحدر، متفضلا في ملبسه، عليه ثوب أبيض قصير مشقوق القبة إلى رأس الفؤاد، قصير الذيل حتى لا يكاد زيله يتجاوز ركبتيه، يتمنطق بحزام من الكتان، وفوق ثوبه رداء واسع مسبل على كتفيه إلى ما فوق عقبيه، وعلى رأسه عمامة كثيرة الألفاف، وشعره مدلى على قذاله، وفى رجله نعل بقبالين.

رأت الفتاة رسول الله فلم تضحك ضحكاتها الساخرة، ولم تنشد أناشيدها الداعرة، بل أكبت على يديه الشريفتين تمطرهما لثماً وتقبيلاً، وصاحت تجدد إسلامها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك يا ابن آمنة رسول الله، ورسول الله يبتسم لها فى رقة، ويدعو لها بخير، ولكنه لا يكاد يوليها ظهره حتى تتناثر على سمعه الشريف قذائف من القذف والسباب، وعلى رأسه الطاهر قذائف أخرى من الروث والحصباء، هذا الصوت عدو الله أبى الحكم بن هشام (أبى جهل) ينال من الرسول، وهذه يده الآثمة تمتد إليه بالسوء. لقد ترسم خطواته، وعدا خلفه حتى أدركه فى هذا المكان، ولكن رسول الله ينكب عنه جانبه، فلا يعيره أذناً أو يوجه إليه نظرة، بل يأخذ سمته إلى دار ابن أبى الأرقم بعد أن ينفض أذنيه من ذلك الفحش والبذاء، ورأسه مما علق به من الروث والحصباء.

أية قوة عارمة أثارت الفتاة؟ وأية حرارة أغلت دمها فى عروقها؟ وأى جبار شديد المراس تقمص جسم الفتاة اللدن فاندفعت - فى غير شعور - إلى طاغية قريش، لا لتنيله مراشفها كما تعود من قبل، بل لتعمل يديها فى قذاله صفعاً، وأظفارها فى وجهه خمشاً!

سالت دماء طاغية قريش على ثيابه، وارتج على لسانه فلم يحر قولا، وبهت فلم يستطع عن نفسه دفاعاً، ففر يلتمس النجاة، وانهزم باطله أمام حق الفتاة.

لقد كانت فتنة آخر من يتوقع أن يهاجمه، وآخر من يتوقع أن ينتصر لمحمد، ولعله ما فعل ذلك إلا ابتغاء الزلفي إليها، وإلا إظهاراً لصولته على فتى قريش أمامها، فكيف استباها محمد فأصبحت درعاً تقيه ونصلاً يذب عنه؟ ويح محمد ودعوة محمد! إنها تنفث سحر بابل فى النفوس، وتخلف الظنون، وتأتى بما ليس فى الحسبان.

فر أبو الحكم من وجه الفتاة، حتى إذا أصبح بنجوة منها وجد لسانه فقال: ويحك يا داعرة! ما كنت أعرف أن لك فيه هوى!

قالت الفتاة: صه يا عدو الله، أنه للطاهر الذيل، العف الإزار، وإن تراب نعليه لأطهر من هامتك، وإنه لسيد أهل الجنة، وإنك لأحقر من فى النار.

وهكذا انصرف أبو جهل خاسئاً مدحوراً أمام فتاة لا تجيد امتشاق الحسام أو تسديد السهام. لكنه الحق أنطقها وأخرسه، وأحال ضعفها قوة وقوته ضعفاً وألبس الطاغية العملاق ريش النعام، والفتاة الناعمة لبدة الأسد الضرغام!

انصرف أبو جهل وما زال صدر الفتاة يعلو ويهبط، وعيناها تقدحان الشرر، وإنها لواقفة تلهث من أثر العراك، إذا بها تبصر شبحاً يلوح من بعيد آتياً من جبل أبى قبيس. أمعنت النظر فإذا رجل ربعة، أسود العينين، عريض ما بين المنكبين، تجلله الهيبة والوقار، وقد تقلد سيفاً،

وتوشح قوساً، واستظهر كنانتين، وقد اغبر وجهه من آثار الصيد ومطاردة الوحوش، وما إن تبينته الفتاة حتى صاحت بملء فيها: هذا أسد قريش، هذا حمزة بن عبدالمطلب.

اعترضت الفتاة طريق القادم، وأخذت بعنان فرسه فوقفته، ثم انطلقت تتكلم فى حماس، وكأنما كل جارحة من جوارحها فم يفصح، وكل عضلة من عضلات وجهها لسان يبين:

ـ ويحك يا أبا عمارة! من أين أقبلت؟ وكم أصميت من الأرانب والوعول! إنك لتطارد الوحوش فى البرية بسهامك، وابن أخيك هنا غرض تتعاوره السهام، وا ضيعة النجدة فيكم يا بني هاشم إذا كان بنو مخزوم يسومونكم الضيم والهوان! غضوا أبصاركم، وألصقوا معاطسكم بالتراب، ما دمتم خذلتم محمداً فأصبح يطمع فيه من لا يدفع عن نفسه، ويحك يا أبا عمارة لم تمتشق هذا السيف إن لم تدفع عن ابن اخيك؟ هب أنك علي غير دينه، ألك نسب غير نسبه؟ ألا يجرى فى عروقكما دم هاشم بن عبدمناف؟ أكان يرضى أخاك لو كان حياً أن يرى الألسنة البذيئة تتطاول على ابنه بالسفه، والأيدى الذليلة تمتد إليه بالإيذاء؟ وماذا يجديك أن تكون أسد قريش وابن أخيك تنوشه ذئاب الحى وثعالبه؟ إذا كان الأمر يشق عليك فضع وزره عن كاهلك، والتمس السلامة والعافية، وكِلْ عبء الدفاع عن ابن أخيك إليّ، إليّ أنا المرأة الضعيفة، حتى أنضح عنه، وأذود عنه الأذى كما فعلت اليوم مع أبى الحكم بن هشام.

أو تدرى ما فعل أبو الحكم بن هشام؟

انطلق حمزة يهدر كالبعير، وصدره يغلى غليان المرجل، وما أجج الحماس فى صدور الرجال مثل كلام النساء.

انطلق حمزة: إلى الكعبة، لاليطوف بها كعادته مقدمه من كل سفر، بل ليثأر لابن أخيه من أبى الحكم بن هشام، حيث كان جالساً هناك مع فتية من بنى مخزوم، يقص عليهم حديثه من محمد وهم يضحكون ويطربون.

قال قائل منهم: هذا أبو عمارة قد أقبل، وإن فى عينيه لشراً، أتراه غضب لابن أخيه؟

قال أبو الحكم: دعوه فإنه ينقم عليه، وإنه على غير دينه.

قال حمزة: كذبت يا عدو الله، بل أنا على دين محمد منذ اليوم، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وإن ابن أخى محمداً رسول الله، ثم أنحى على أبى جهل بقوسه فشج بها رأسه شجة منكرة أسالت منه الدماء.

استخذى أبو جهل أمام أسد قريش، واستخذى فتيان بنى مخزوم بادئ الأمر، حتى إذا رأوا دماءه وتثور الفتنة لولا إشارة من أبى جهل حسمت النزاع. تلطخ ثيابه، هم بعضهم بامتشاق الحسام، وكان يتفاقم الخطب

وما أصبح الصباح حتى كان إسلام حمزة حديث أندية القوم، تردد صداه بطحاء مكة، وتصبه الأفواه فى الآذان، فيتقاعس كفار قريش، ويشتد أزر المسلمين وتدخل دعوة الإسلام فى دور جديد(٢).

---

(٢) مصادر المقال: بعض كتب السيرة وبعض كتب التفسير، وباب القمر لإبراهيم رمزى، وحياة محمد لهيكل باشا، ومحمد، لتوفيق الحكيم.

﴿ انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

التوبة (٤١)

من قادة الفتوحات الإسلامية

عدى بن حاتم الطائى

٢

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

وكما أفرزت حروب الردة قادة مبرزين أمثال: خالد بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وعاصم بن عمرو، وجرير بن عبد الله، والمثنى بن حارثة، أفرزت كذلك عدى بن حاتم الطائى، قائدا مقداما أعاد بنى طيء إلى صوابهم، وحفظهم للإسلام ذخرا، ومضى بهم مجاهدا فى سبيل الله، بعد أن عقد له خالد بن الوليد لواءهم.

وكان مستغربا من خالد بن الوليد، وهو القائد المحنك أن يجعل عدى بن حاتم من كبار قادة جيشه فى عملياته العسكرية بالعراق، فعلى ميمنة الجيش كان عاصم بن عمرو التميمى، وعلى المقدمة كان المثنى بن حارثة الشيبانى، وفى القلب بجوار خالد كان القعقاع ابن عمرو التميمى، فى حين كان عدى بن حاتم الطائى قائدا لميسرة الجيش فى سائر العمليات العسكرية بالعراق.

فعدى حتى ذلك التاريخ لم يكن صاحب إنجاز عسكرى يذكر، ولكن خالدا أعجب بأسلوبه الذى يميل إلى تجنب سفك دماء

المسلمين والحفاظ على وحدتهم وقوتهم والعمل بقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1].

فهو نموذج للقائد الداعية الذى يجب أن يكون فى مقدمة الصفوف، ومن هنا كان سر إعجاب خالد به

وخالد كان مدرسة فى فن الحرب، حرص على أن ينقل فنه وعلمه وتجربته إلى تلاميذه وكان يسره أن يراهم يتخرجون فى مدرسته الحربية فرشحهم للقيادة، ومنحهم ثقته وأتاح لهم الفرصة ليثبتوا حسن رأيه فيهم، ومن هؤلاء كان عدى بن حاتم الطائى، الذى وإن كان من المبرزين المشهورين كزعماء فى أقوامهم ولكنهم لم يشتهروا كقادة حرب حتى أظهرهم أولا تمكن الإسلام فى نفوسهم، وخبرة معلم عسكرى من طراز فريد مثل خالد بن الوليد ثانيا.

ولم يخيب عدى بن حاتم الطائى ظن خالد بن الوليد فيه فى كل المعارك التى خاضها بجواره على مدار عام كامل فى عملياته بالعراق اعتبارا من المحرم عام «١٢» للهجرة، وحتى ١٥ من ذى القعدة للعام نفسه، ففى هذه الفترة كان عدى هو البطل المبرز فى كل ما خاضه خالد من حروب فى ذات السلاسل، والمذار، والولجة، وأليس، وأمغيشيا، والمقر، والحيرة، والأنبار، وعين التمر، ودومة الجندل، وحصيد، والخنافس، والمصيخ، والثنى، والزميل، والفراض؟ ففى معركة المذار مثلا والتى وقعت فى غرة صفر أبلى عدى بن حاتم البلاء كله عندما تمكن من قتل أحد أبرز قادة جيش الإمبراطورية الفارسية «قباذ» قائد ميمنة الفرس[2].

وعندما يقرر الخليفة الصديق أن الشأم أصبح فى حاجة إلى جهود خالد بن الوليد كتب إليه.. «.. أن سر بنصف الناس حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك،.. واستخلف على العراق المثنى بن حارثة فى النصف الباقى»[3] وشرع خالد فى تنفيذ تعليمات الخليفة ولكنه اصطفى لنفسه الرجال المبرزين وكان عدى بن حاتم فى طليعة من تمسك بهم خالد مما أثار حفيظة المثنى فتنازل له خالد عن بعض رجاله ولكنه أبى إلا أن يصحب عديا معه إلى الشام.

وفى الشام أبدى عديا من ضروب الشجاعة والبسالة ما كان مضرب الأمثال، فى كل

---

(١) النحل ١٢٥ .

(٢) الطبرى، أحداث عام ١٢ هـ.

(٣) الطبرى، أحداث عام ١٢ هـ.

الوقائع التى خاضها تحت إمرة خالد بن الوليد.

غير أن الوضع فى العراق أصبح سيئا إذ بعد رحيل خالد ورجاله تحرج موقف المثنى فى العراق فى مواجهة الفرس الذين ألقوا بقضهم وقضيضهم لاستعادة العراق، فكتب المثنى إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة يسأله المدد، وبذل الخليفة كل ما استطاع من جهد فى حشد الناس لنجدة المثنى، وقال قولته المشهورة: «والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب»(٤).

ويذهب عدى بن حاتم إلى الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ محملا بالغنائم من حروب الشام، وكان أمير المؤمنين مهموما يفكر فى المثنى ورجاله بالعراق.

فلما قدم عدى على أمير المؤمنين كأنه رأى منه شيئا أو جفاء فقال: «يا أمير المؤمنين.. ما أظنك تعرفنى» فقال عمر: «كيف لا أعرفك! أكرمك الله بأحسن المعرفة، وأول صدقة بيضت وجه أصحاب رسول الله ﷺ صدقة طيء، أعرفك والله، آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذا أدبروا، ووفيت إذ غدروا» فقال عدى: «حسبى يا أمير المؤمنين حسبى»(٥).

وينظر أمير المؤمنين إلى عدى بن حاتم ويكرر مقولته: «والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب»، وكان عدى فى طليعة من وقع اختيار الخليفة عمر بن الخطاب عليهم ليغيث بهم المثنى.

وينضوى عدى بن حاتم مع قومه من بنى طيء تحت لواء جرير بن عبدالله البجلى الذى بلغ العراق فانضم إليه المثنى، وعند «دير هند»(٦) كان اللقاء فى مواجهة جحافل الفرس، وأبلى عدى بن حاتم فى هذا اللقاء البلاء كله بعد أن تضعضعت صفوف جيش المسلمين فى مواجهة فيلة الفرس، وثبت القادة العظام جرير، والمثنى، وعدى يجوبون صفوف المسلمين يحرضونهم على القتال، وصاح عدى يحض أهل الميسرة بقوله: «قاتلوهم التماس إحدى الحسنيين. ولا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو منكم» ومثله فعل جرير والمثنى.

فتداعى المسلمون وتحاضوا وثاب من كان انهزم، ووقف الناس تحت راياتهم ثم زحفوا

---

(٤) الطبرى، أحداث عام ١٣ هـ.

(٥) اسناده صحيح، ورواه أحمد (٤٥/١)، ومسلم (١٩٥٧/٤)، والبخارى (١٠٢/٨)، وابن الأثير فى أسد الغابة (٣٩٣/٣)، وابن عبدالبر فى الاستيعاب (١٤٢/٣).

(٦) مكان قرب الحيرة بنته أم عمرو بن هند، على طريق النجف ويسمى (دير هند الكبرى)، وفى الحيرة كذلك (دير هند الصغرى) وبنته هند بنت النعمان بن المنذر (الأخبار الطوال) ص١١٤.

فحمل المسلمون على العجم حملة صدقوا الله فيها فأحرزوا النصر المبين وولى الفرس الأدبار منهزمين.

ولكن الفرس أعادوا تنظيم جموعهم من جديد فأرسل الخليفة جيشا جديدا بقيادة سعد ابن أبى وقاص، وجعله قائدا على فتوحات العراق، وفارس[٧].

ومع سعد بن أبى وقاص شهد عدى بن حاتم الطائى مجد الإسلام ليس كشاهد عليه فقط بل وصانع له ـ بإذن الله ـ اندحرت جيوش الفرس فى القادسية، وسقطت الحيرة والمدائن، ووقف عدى أمام إيوان كسرى وكان أول من بلغه من المسلمين. وقف عدى يتذكر قول رسول الله ﷺ: «ليوشكن أن تسمع بالظعينة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت «مكة» لا تخاف. ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز.. وليفيضن المال حتى يهم الرجل من يقبل صدقته»[٨].

وقف عدى أمام إيوان كسرى تخنق العبرات كلماته الفرحة بنصر الله وتأييده وصدق وعد رسوله ووقف عدى يقول: «رأيت اثنتين: الظعينة، وكنت فى أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة»[٩] وتنساب الدموع غزيرة من عينى عدى، وهو يسمع سعد بن أبى وقاص وهو يكبر ويتلو قول الله ـ عزل وجل ـ :

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[١٠].

ومضى عدى بن حاتم الطائى مجاهدا فى سبيل الله لا يبغى إلا وجهه ورضوانه.

ومما يحكى عن عدى بن حاتم الطائى أنه لما سكن الكوفة أرسل إليه الأشعث بن قيس يستعير منه قدور حاتم الطائى، فملأها له عدى، وحملها الرجال إليه، فأرسل إليه الأشعث بن قيس: «إنما أردناها فارغة!» فأرسل إليه عدى: «إنا لا نعيرها فارغة»[١١].

وكان رضى الله عنه يفت الخبز للنمل ويقول: «إنهن جارات ولهن حق»[١٢].

وقيل إنه توفى وقد ناهز المائة وعشرين عاما. رضى الله عنه وأرضاه.

(٧) الأخبار الطوال ص ١١٤، ١١٥.

(٨) ابن هشام (٢١٢/٤).

(٩) ابن عبدالبر، الاستيعاب (١٤٢/٣)، أسد الغابة (٣٩٣/٣).

(١٠) سورة الدخان، آية (٢٥): (٢٩).

(١١) ابن عبدالبر، الاستيعاب (١٤٢/٣) أسد الغابة (٣٩٣/٣).

(١٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب (١٤٢/٣) أسد الغابة (٣٩٣/٣).

الشهيد

للأستاذ الدكتور/ صابر عبد الدايم (*)

إلى الشهيد الطفل محمد الدرة

وإلى كل شهيد عطر بدمه الطهور أرض الإسراء والمعراج

صعودا.. إلى سدرة المنتهى

فإن السلام السراب... انتهى!!

دماؤك طوفان عزمٍ ومدٍ ... وملحمة الثأر أشعَلْتَها

وكفاك للشمس مرفوعتان ... وراياتُك الخضرِ أعليتها

وأشعلت فينا ... فتيل الجهاد ... وكل المخاوف بدَّدْتها

دم القدس يجرى ...بأصلابنا ... ومن دمك الحر روَّيتها

وما قتلوك ... وما صلبوك ... وإن الأمانة ... ما خنتها

رفعت الجهاد ... لنا رايةً ... بوشم فلسطين شكَّلتها

نقشت عليها حروف الكفاح ... وعمرك ... ملحمةٍ صُغتَها

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق

صـــعــــودا.. إلى ســـدرة المنتــــهى

فــإن الســـلام الســـراب... انتـــهى!!

وصـــهـــيـــون يســرق تاريخنا   ويقـــتل فـــينا رؤى عـــشـــتـــهـــا

نهــرول ... نعـــدو ... إلى غـــاصبٍ   يرانا دُمىً ... أدمنت صــمـــتـــهـــا

وتصـــهل خـــيلُ الجـــدود ضـــحىً   ولكنهم ... مـــزقـــوا صـــوتهـــا

بمرج الزهور ... دمـــاء العـــصـــور   تفـــور ... وترشـــقـــهم مـــقـــتـــهـــا

فلسطين قـــصـــة أمـــجـــادنا   ولكـــنهم أعلـــنوا مـــوتهـــا

فـــياليت كـــانت ... ويا ليت كنا ...   وهل تنفع الآن ... يا ليـــتـــهـــا؟

دفنا تواريخنا جـــهـــرة   ومن دمك الحـــر أحـــيـــتـــهـــا

ومـــا قـــتلوك ... ومـــا صلبـــوك   وإن القـــضـــيـــة ... مـــا خُنْتَـــهـــا

فـــهل تطلق الآن أســـرارها؟   وكل الســـراديب فـــتـــشـــتـــهـــا!!!

وهل تجـــمـــع الآن أشـــلاءها؟   وكل الملفـــات فـــجـــرتهـــا!!!

رفـضت زمـان الهـزيمة فـابـ ... ـدأ حـيـاتك ... إذ أنت حـررتهـا
وعش فى صـدور الألى ... يرفـضـون ... حـيـاة الهـوان التى عـفـتـهـا
وعش فى الحـقـول جـذور إباءٍ ... بأرض القـداسـات ألقـيـتـهـا
وسـر فى الشـرايين ... نهـر حـيـاة ... من التـيـه والوهم ... أيقظتـهـا
وفـى الأفـق ... ألمـح أنـشـودةً ... وكم أنت للقـدس غنيـتـهـا
«أخـى جـاوز الظـالمون المدى»[1] ... وإن السـلام الذبيـح انتـهى!
فـأطلق خـيـولك من أسـرها ... وأنقـذ مـرابع ... شـيـدتها
«وجـرِّد حـسـامك من غـمـده» ... لتُـحْـيِىَ أرضًـا ... محـوا سمـتـهـا
إليـهـا «مـحـمـد» أسـرى ... ومنهـا ... عـروجـا ... إلى سـدرة المنتـهى
وبورك فـيـهـا ... ومـا حـولهـا ... وسـراقـهـا ... شـوهوا ذاتهـا!!
«وجـاسـوا خـلال الديار ببـأسٍ» ... وهـم يعـلـنون.. لـنـا مـوتهـا
أنتـركـهـم يغـصـبـون السـلام ... وأرضـا ... يعـدون تـابوتهـا؟!
فـقم يا شـهـيـد السـلام ... وأسـرج ... خـيـولا ... إلى القـدس وجِّـهـتـهـا!
تغـيـر صـبـاحـا ... وتعـدو ضـبـاحـا ... وأنت إلى الفـتح ... قـد قُـدتهـا
فـمـا قـتلوك ... ومـا صلبـوك ... وإن القـضـيـة ... مـا خُنتـهـا
فـعش فى الحـقـول جـذور إباء ... بأرض القـداسـات ألقـيـتـهـا
وسـر فى الشـرايين نهـر حـيـاة ... من التـيـه والوهم أيقظتـهـا
دم القـدس يجـرى بأصـلابنـا ... ومـن دمك الحـرِّ روّيتَـهـا

---

(١) من قصيدة أنشودة فلسطين للشاعر ـ على محمود طه.

الصهيونية وأرض الميعاد

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م

من المعلوم أن الصهيونية هى حركة سياسية وجدت تربة مناسبة لنموها فى «الجيتوات» حيث يعيش اليهود فى عزلة فى بلاد الشتات، وقد رفضت الاندماج اليهودى فى المحيط الإنسانى الذى ولد فيه اليهود، ونشأوا به بهدف لم شمل الراغبين منهم، فى الهجرة، فى أرض الميعاد. ويزعم الصهيونيون السياسيون أن المسألة اليهودية هى مشكلة الفائض السكانى اليهودى غير القادر على الاندماج فى دول الشتات، ولا يمكن حل هذه المسألة اليهودية إلا بأن يصبح اليهود شعبا مثل كل الشعوب، ولن يتيسر ذلك إلا بتهجير اليهود إلى فلسطين ليعيشوا فى وطن يهودى تحكمه دولة صهيونية ولقد ظهرت أول دعوة إلى القومية اليهودية أو الصهيونية السياسية فى عام ١٨٣٤ عندما أفتى الحاخام «يهودا ألكلاى» بإقامة مستوطنة يهودية فى فلسطين، فقد أصدر كتيبا فى نفس العام بعنوان «اسمعوا يا بنى إسرائيل» قال فيه: «إن التمهيد الضرورى للخلاص، والعودة يتمثل فى إقامة مستوطنات يهودية على أرض فلسطين».

هرتزيل

بلفور

روز فلت

إن فكرة القومية اليهودية أو الصهيونية السياسية كانت فى ذلك الوقت فكرة طارئة تماما على التاريخ اليهودى، ولم يكن لها أى مقومات قبل عصر نهضة القوميات فى أوربا، ولكنها أرادت أن تركب الموجة العامة لنهوض القوميات، إلا أن الصهيونية كانت مختلفة تماما عن الدعوات القومية. فالقوميات التى ظهرت فى تلك الفترة كانت تناضل من أجل السيادة السياسية فوق أرض صلبة تقف عليها بالفعل، ولها لغة خاصة بها تتحدثها بالفعل، أما الصهيونية فعند قيامها، كانت بلا أرض، وبلا لغة خاصة تتكلم بها. ولأنها بلا أرض فقد شغل فكرها منذ البداية فكرة الاستيطان، أو إقامة المستوطنات فى أرض غير أوروبية وهى أرض فلسطين، وعلى الرغم من علمانية الصهيونية السياسية، فقد رأى الصهيونيون السياسيون أنها ستضرب بسهم وافر فى إحكام قبضة القيم الدينية على الوجدان اليهودى، فشعارها «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة (توراة) إسرائيل» ومن رواد الصهيونية السياسية نذكر الحاخام «كاليشر» والحاخام الروسى الصهيونى «صمويل موهيلفر»، والكاتب الروسى الصهيونى «جاكوب كلاتزكين»، و«نوردو» وفكرة العودة إلى فلسطين هى الفكرة المحورية للحركة الصهيونية، وقد ظل حلم العودة إلى أرض الميعاد يراود اليهود فى المنفى، وتحطمت على صخرته حركة التنوير، أو حركة اندماج اليهود فى المجتمعات الأخرى التى يعيشون فيها، وصارت الصهيونية ردا جذريا ضد حركة التنوير «الهسكلاة»(١).

ولقد قدمت الصهيونية نفسها باعتبارها الحل الأمثل «للمسألة اليهودية»، والمنقذ من اضطهاد يهود العالم، فالاضطهاد الذى كان يتعرض له اليهود فى المجتمعات الأوروبية لم يواجه، من قبل اليهود، بالتمرد عليه، بل بإخلاء هذه المجتمعات منهم بتهجيرهم

(١) حسن محمد مى، رؤية دينية للدولة الإسرائيلية صـ ١٤.

خارج أوربا، لأن الحل يتمثل فى خلق « جيتو » أكبر، وأشد عزلة يسمى « الدولة اليهودية »(٢). ولا ينتهى تاريخ الصهيونية بإقامة « دولة يهودية » فى أرض الميعاد، فمنذ أيام هرتزل « مؤسس الصهيونية السياسية » تعتبر إقامة هذه الدولة فى فلسطين أحد المطالب الصريحة أو الضمنية للحركة الصهيونية، فبسبب اضطهاد اليهود فى أوربا أصبحت الدولة اليهودية المستقلة أحد الشروط الضرورية لبلوغ الهدف الثانى للصهيونية، وهو تجميع يهود الشتات فى أرض الميعاد، ولذلك لم يجر حل جميع المؤسسات الصهيونية الرئيسية عقب قيام « دولة إسرائيل »، وبات ينظر إليها فى علاقتها بشعار العودة لكل يهود العالم إلى « أرض الميعاد »، وبذلك استمرت المنظمة اليهودية العالمية، والوكالة اليهودية، والصندوق القومى اليهودى فى أداء مهام حيوية داخل إسرائيل ليس بوصفها « دولة فى طور التكوين » بل كتعبير، وأداة للأيديولوجية الصهيونية فيما يتصل بالدولة.(٣) وهذا يؤكد ديمومة الصهيونية فى أداء دورها الحيوى فى حشد المزيد من يهود العالم داخل الكيان الصهيونى الذى صنعته الصهيونية بيدها لزيادة الكثافة اليهودية لتعزيز الصلة بين الحركة الصهيونية أرض الميعاد المدعى بها زورا وبطلانا.

وقد أصدرت الدولة الصهيونية العديد من القوانين، وأقامت الكثير من الهيئات المختلفة لترجمة مفهوم الشعب اليهودى إلى واقع قائم وملموس، وجاء قانون العودة مانحا يهود العالم الحق فى مغادرة مسقط رأسهم فى بلاد الشتات، والعودة إلى أرض الميعاد، بينما تقوم المنظمة الصهيونية العالمية على دعم الوحدة اليهودية بين يهود الشتات ويهود إسرائيل، دونما أى مراعاة للحدود الوطنية لدول الشتات، وجاء ميثاق هذه المنظمة ليحدد مهامها فى: « لم شمل المنفيين اليهود فى أرض إسرائيل التاريخية، ودعم وحدة الشعب اليهودى »(٤).

وعن الصهيونيين البارزين الذين كان لهم دور حيوى فى تاريخ الصهيونية وأسهموا فى إرساء فكرها يتحدث « الفريد ليلنتال » فى كتابه « ماذا تساوى إسرائيل » فيقول: « إن دعاة الصهيونية الأوائل كانوا ثلاثة: هم « موسى هيس » الذى بادر بتقديم أول عرض للصهيونية فى كتابه « روما والقدس » عام ١٨٦٢، وبعد ذلك بعشرين عاما أصدر المفكر الثانى للصهيونية « ليوبنسكر » كتابه: « التحرر الذاتى » الذى رأى فيه أن اليهود يشكلون عنصرا فريدا يصعب اندماجه وذوبانه فى مجتمعات الشتات التى يعيشون فيها »(٥). ويأتى المفكر الصهيونى الثالث « هرتزل » « أبو الصهيونية السياسية » ليقدم كتابه: « الدولة اليهودية » الذى دعا فيه إلى إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، وبذلك حلت حركة سياسية هى الصهيونية محل المسيح المنتظر فى إعادة اليهود إلى أرض الميعاد. وقد أكد « ناحوم سوكولوف » فى كتابه « تاريخ الصهيونية » عام ١٩١٩ أن « الدولة اليهودية » لم تكن فى برنامج الصهيونية، بل إن اللورد « بلفور » نفسه

---

(٢) سالكسندر شوكش، وآخرون، الفلسطينيون عبر الخط الأخضر صـ ١٣، ١٤.

(٣) نفس المرجع السابق صـ ٤٩، ٥٠.

(٤) عبدالوهاب محمد المسيرى، الأيديولوجية الصهيونية، عالم المعرفة، عدد يونيو/ يوليو ١٩٨٨، صـ ١٨٨.

(٥) سامى محمد عبدالحميد، القدس فى اليهودية والمسيحية والإسلام صـ ١٨.

الذى أصدر وعده المشهور فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧، فسر عبارة « وطن قومى » التى وردت ضمن نص الوعد بأنها مركز روحى ثقافى، لهذا فقد كان المفهوم هو أن تكون فلسطين ملاذا لحماية اليهود المضطهدين، لا أن تكون دولة يهودية يسيطر فيها شعب على شعب آخر(٦). لكن الصهيونية استغلت مأساة اليهود فى بلاد الشتات لإنشاء دولة يهودية، رغم أن اليهود لم يكونوا وحدهم ضحايا الاضطهاد حيث نشأت مشكلة النازحين فى نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد نزحوا من دول شتى مثل النمسا، وألمانيا، وبولندا، والمجر، ورومانيا، ودول البلطيق، وكانوا من أتباع ديانات شتى حيث كان بينهم كما يقول ليلنتال: « نحو ٥٠٠ ألف كاثوليكى، و١٠٠ ألف بروتستانتى، و٢٢٦ ألف يهودى وكان الرئيس الأمريكى « روزفلت » يرى ضرورة إسهام كل دول العالم الحر فى استيعاب اللاجئين، لكن الوكالة اليهودية رفضت هذا الاقتراح لأنه لا يتفق مع حق اليهود فى الهجرة وإنشاء الدولة(٧) وعن الوعد الإلهى الذى يتمسك به اليهود كسند لهم يرتكزون إليه لإقامة دولة لهم فى فلسطين، يأتى يهودى لامع يعرفه يهود اليوم هو الكاتب « يهو شواع » ليكتب عن الوعد الإلهى فيقول: « إن فكرة الوعد الإلهى بامتلاك فلسطين، فكرة لا يقبلها المنطق السليم إذ أنه من الغريب أن العلمانيين يستندون إلى هذا الوعد رغم عدم تطبيقهم تعاليم التوراة، وكأنهم يختارون ما يحلو لهم من هذه التعاليم، مع أن المبرر الدينى يفرض على من يستندون إليه أن يطبقوا الدين فى كل شىء، وفوق ذلك فإن الوعد الإلهى بأرض الميعاد المشار إليه فى التوراة لا يمكن أن يلزم إلا المؤمنين بالتوراة وليس له معنى أخلاقى عند اتباع الأديان الأخرى، كما أن الاستناد إلى الوعد الإلهى لتأسيس الحق فى الأرض قد يكون له معنى عند الرجل المتدين لكنه يخلو من أى قيمة أخلاقية بالنسبة لليهودى غير المتدين، وليست له أى قيمة من باب أولى عند غير اليهود »(٨). ويكفينا فى مجال الحديث عن الوعد الإلهى بامتلاك اليهود لفلسطين ما قاله بصراحة أحد كبار معسكر الحمائم فى إسرائيل وهو من الكتاب اليهود البارزين وهو « يهو شواع » الذى أكد فيما سبق رفضه للوعد الإلهى بعد أن فنده من جميع الجوانب وأشار إلى أنه لا يعنى العرب من غير اليهود، وغير ملزم لهم، ولا يرتب أى حق لليهود فى فلسطين.

وعن الدولة اليهودية التى تحكمها الشريعة والتوراة يمكن تقسيم القوى الدينية إلى ثلاثة تيارات وفقا لموقفها من الصهيونية: -

التيار الأول: هو التيار الذى تمثله الأحزاب الصهيونية الدينية، إذ تتعايش أحزاب هذا التيار تماما فى إطار « دولة علمانية » تحكمها عقيدة علمانية هى الصهيونية القائمة على التوراة والشعب وأرض الميعاد « صهيون ».

التيار الثانى: هو التيار الحريدى « الدينى المتحفظ » الذى يمثله الأحزاب الرافضة للصهيونية كعقيدة، ويؤمن أتباعه بأن الصهاينة قد تحدوا الرب بإقامة دولة إسرائيل لأن قدوم المسيح هو وحده الذى يمكن أن يقودهم إلى أرض الميعاد.

التيار الثالث: هو التيار الحريرى « الدينى المتعصب » المعادى للصهيونية، وأتباعه يرفضون

(٦) نفس المرجع السابق صـ ٢٢.

(٧) نفس المرجع السابق صـ ٢٢.

(٨) القدس فى اليهودية والمسيحية والإسلام، مرجع سابق صـ ٢٨.

الاعتراف بوجود دولة إسرائيل، وأن العودة إلى صهيون «أرض الميعاد» لا يمكن أن يتحقق إلا بمجيء المسيح فى آخر الزمان. وبذلك يتبين أن معظم التيارات الدينية فى إسرائيل الآن ترفض الصهيونية كعقيدة سياسية ولا تعترف بوجود دولة إسرائيل لأنها من صنع البشر، ولم تنشأ بأمر إلهى على يد المسيح، من المنظور اليهودى، لذلك تمثل هذه التيارات الدينية المناوئة لدولة إسرائيل عقبة أمام الحزب الحاكم فيها، ودائما تحاول مثل هذه الأحزاب الحاكمة أن تخطب ودها لاحتوائها. وما يقال عن علاقة يهود الشتات بدولة أرض الميعاد (إسرائيل) وعلاقتهم بأوطان الشتات الذى يعيشون فيها نجد هنا «أن الشتات يعود إلى الصيغة الصهيونية الثقافية التى تنظر إلى إسرائيل بوصفها المركز الثقافى الروحى لليهودية الذى تعيش فيه الروح اليهودية خالصة، ولذلك تستخدم صهيونية الشتات مقياسين: الأول للحياة العلمانية العادية فى المنفى،

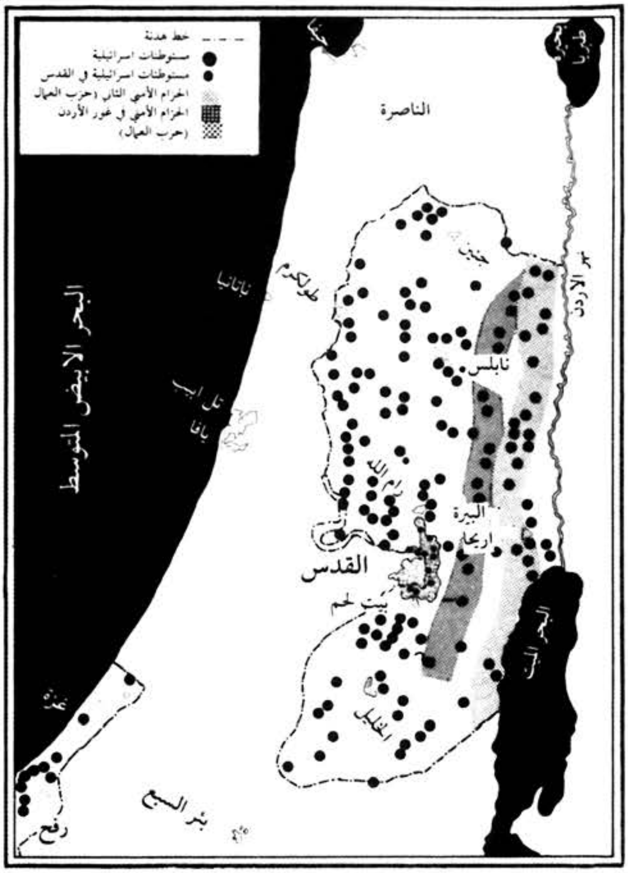

المستوطنات الإسرائيلية والأحزمة الأمنية فى الضفة الغربية وقطاع غزة

والثانى للحياة المقدسة فى أرض الميعاد، لذلك نجد كثيرا من اليهود الأمريكيين الذين يعيشون فى بلد علمانى ويدافعون عن فصل الدين عن الدولة يستنكرون – فى الوقت ذاته – الحياة العلمانية فى إسرائيل، والطابع غير اليهودى للدولةالصهيونية» أى أن صهيونية الشتات تأخذ شكلين أساسيين هما الضغط السياسى من أجل تشجيع الهجرة اليهودية إلى الكيان الصهيونى، وجمع الأموال لهذا التجمع الصهيونى بحيث لا يمتد ليشمل الاستيطان ويشير الكاتب اليهودى «يهوشواع» إلى طبيعة هذه العلاقة فيقول: «إن الشعب اليهودى لم يخلق فى فلسطين، وأن العلاقة المادية والأولية بين الشعب ووطنه ليست علاقة طبيعية، ومن هنا فإن الشتات اليهودى، كبوتقة صهر لليهود تسللت إلى أعماق الوجود اليهودى وأكثر من ذلك لقد أعطيت التوراة لهذا الشعب فى الصحراء فى منطقة وسط بين الشتات وفلسطين» وهذا القول الذى جاء على لسان يهودى بارز يؤكد أن فلسطين ليست وطن اليهود وأن بلاد الشتات «المنفى» هى وطنهم الأم.

الإرهاب الصهيونى فى الأدب العبرى

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

لقد استطاع الإعلام الصهيونى وطوال حقبة زمنية طويلة أن يزرع بذور كراهية الإسلام والمسلمين فى ربوع أمريكا وأوروبا، مستخدما كل الوسائل المتاحة من فكر وأدب وصحافة، وجميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ومسخراً صفوة عقوله المتخصصة فى تشكيل الرأى العام ومنهم (صموئيل هنيتجتون) الأستاذ الجامعى وصاحب نظرية (صدام الحضارات) وحدد أولوية الصدام بين الغرب والإسلام، وأن الإسلام هو عدو للغرب بديلا عن الشيوعية.

والسؤال المطروح فى الشارع الإسلامى: هل حان الوقت لوضع هذه النظرية موضع التطبيق؟ وهل إحراق بعض المساجد فى أوروبا وغيرها والضغط على العرب هو تمهيد لتطبيق هذه النظرية فى المسلسل الأمريكى (ضد الإرهاب) الذى عرضت أولى حلقاته يوم الأحد الموافق ٧ / ١٠ / ٢٠٠١؟

وإذا كان الأدب هو مرآة الشعوب، ونتيجة لازدياد الثقة بالوثيقة الأدبية وجدارتها، فقد اتجهت مجموعات من الباحثين فى أوضاع المجتمعات الحديثة والمعاصرة إلى الاعتماد على الظاهرة الأدبية فى الكشف عن مختلف الأوضاع فى هذه المجتمعات.

فقد هاجر الأدباء اليهود إلى فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر مع بدء الهجمات اليهودية الحديثة. وكان من الطبيعى أن يتناولوا هذا العالم الجديد فى أعمالهم وقد احتلت شخصية العربى مكانة بارزة فى القصص العبرية التى تدور حول حياة اليهود فى فلسطين منذ بداية القرن.

وقد تناول عديد من الأدباء الإشكناز والسفارد الشخصية العربية فى كتاباتهم لكن الأديب « موشيه سميلانسكى » قد انفرد بين هؤلاء بالتركيز على تناول عالم الإنسان العربى فى مجموعة من قصصه أوردها بالكامل للحديث عن هذا الإنسان العربى.

وقد أطلق أحد المفكرين الصهاينة مع مطلع الحركة الصهيونية مقولة: الأرض الفراغ. فقد قال (زينجويل) : « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »

وعندما اكتشف العالم أجمع زيف هذه المقولة، خرجت علينا وسائل الإعلام الصهيونية بمقولة جديدة هى مقولة « الحقل المهجور » وهى مقولة الهدف منها تحقير العربى، ورسم صورة متدنية لشخصية تصل إلى نزع الصفات الإنسانية عنه لتسهيل القضاء عليه، لأن الحقل المهجور ملىء بالأشواك والنباتات البرية والوحوش والأفاعى والحشرات السامة، والمهمة المطروحة على صاحب الحقل « العائد » هى مهمة شاقة تتطلب منه تطهير الحقل، وقد وجه الأدباء المادة الخصبة فيما أسموه « الحقل المهجور »، وظهر العربى فى الأدب العبرى الحديث يحمل صفات التخلف والمكر والخداع والخبث والغدر والجبن مشفوعة بملامح وبصفات الحيوانات. وأصبحت هذه هى الصورة المزيفة للشعب الفلسطينى والعرب عموما، كى يصبح فريسة سهلة للإرهاب فى العقل الصهيونى والغربى، باعتباره العدو اللدود الذى تصدى لأهدافهم الإمبريالية، بالإضافة إلى أنه يمثل صورة غير اليهودى فى جميع أنحاء العالم وباختصار وظفت الإمبريالية الصهيونية الأدب العبرى لخدمة هدفها الأساسى

وهو الاستيلاء على الأرض وإقامة الدولة وإبادة الشعب الفلسطينى، ونحن إذ نتصدى لهذا الموضوع ليس باعتباره سجلا صادقا يعبر عن العرب ولكنه كشف لأبعاد العقلية اليهودية فى تناولها للشخصية العربية، وسأحاول إلقاء الضوء على بعض النماذج الأدبية التى كتبها كبار أدباء اليهود، كى يكون القارىء العربى على دراية بما يحيكه له أدباء اليهود.

وكما سبق أن أشرت أن جميع الأعمال الأدبية العبرية مترجمة لجميع لغات العالم الحية، فى محاولة منهم لغسل العقول، وإضفاء الشرعية على الأعمال الإجرامية التى يقومون بها، والمسلسل الدموى حلقاته قديمة، نفس القصة، ،ونفس الموضوع مع تغيير فى الشخصيات والمخرج.

وقد يتعاطف البطل اليهودى فى أحيان قليلة مع العرب، ولكنه فى النهاية مغلوب على أمره، ينفذ أوامر المؤسسة العسكرية الصهيونية كما حدث فى رواية (خربة خزعة ١٩٤٩) للأديب « يزهار سميلانسكى » وهو أول أديب صهيونى يولد فى فلسطين.

والقصة ذات حبكة بسيطة جدا، تدور حول مجموعة من الجنود الإسرائيليين صدرت إليهم الأوامر باحتلال قرية عربية أثناء حرب ١٩٤٨ وإجلاء سكانها عنها، وكان لقيام الدولة أثر كبير على هؤلاء الجنود، جعلهم لا يعيرون المزارعين العرب المسنين والأطفال والنساء الذين طردوا من بيوتهم وحقولهم أدنى اهتمام، بل قاموا ضدهم بأعمال قاسية بلا داع وبلا سبب أمنى أو عسكرى، الأمر الذى أثار الكاتب لما يراه من مظاهر الفوضى والعنف والتكسير والقتل والصراخ وهدم القرية على البقية الباقية من سكانها ومع هذا فقد استمر الجنود فى بث الرعب.

وكذلك قصة (الأسير) ١٩٤٩ لنفس الأديب، والتى تصف عمل مجموعة من الجنود اليهود فى إحدى القرى العربية أثناء هدوء حرب ١٩٤٨، والحبكة القصصية تدور حول أسر راعٍ عربى بسيط والتحقيق معه، ويبرز الأديب مدى الأسلوب الإجرامى فى المعاملة القاسية للأسيرحيث يقول: «إن القبض على الراعى الضعيف والمسكين أصبح كعمل حربى كبير، كمحاصرة كتيبة كبيرة للعدو.. والتحقيق معه شىء قاس: ضرب وركلات وإهانة».

والعربى دائما أسير، حيث صوره الأديب الصهيونى «إسحق أورباز»[1] فى القصة الواقعية التى عاشها الأديب، والتى تحكى قصة أسير عربى وقع بين يدى إسحق أورباز نفسه وهو يتجول قرب قطاع غزة عندما كان يؤدى الخدمة العسكرية، وقد أسماها «على سن الطلقة» (عَل حُودو شِل كادُور) ١٩٥٩.

وتحكى عن عربى بسيط يختبىء فى مغارة، فأسره الأديب وأمره أن يرفع يديه فوق رأسه

---

(١) ولد فى روسيا عام ١٩٢٣، وهاجر إلى فلسطين سنة ١٩٣٨، وعمل فى مجال الزراعة والتدريس، وخدم كضابط بالجيش النظامى. بدأ فى نشر قصصه عام ١٩٥١.

ويسير أمامه، وهو يوجه إليه السباب والضرب حيث يقول القاص:

« أمرته أن يرقد على وجهه ويديه ممدودتين ومبسوطتين وضربته بحذائى على مؤخرته »

وكى يؤكد مقولة « الحقل المهجور » فإنه يصف الخربة عندما اقترب منها ومعه الأسير: الأراضى خربة، والأراضى الزراعية قاحلة، والمنازل مهدمة.

وعندما يصلا إلى خيمة ضابط المخابرات « شموليك » الذى صاح على أحد جنوده وأمره أن يأخذ العربى ويحبسه، ويأخذ البندقية من العربى والتى كان يحملها معه ليرى إذا كان صالحة أم لا، وفعلا أخذ الجندى البندقية، ولكن بدلا من أن يجربها فى الهواء فإنه جربها فى العربى فأرداه قتيلا »[٢].

ويقول « يهودا بورلا » فى قصة « سحر ا لوطن ».

والتى تحكى عن أسرة من المهاجرين الطلائع حيث يقول على لسان القاص ابن هذه الأسرة: إن عمه (ناتان) قد سافر مع صديق له من مستوطنة « عتيدوت » إلى إحدى القرى المجاورة، فانقض عليه العرب وسرقوا حصانه[٣].

وكى يزيد بورلا من شحنة الانفعال ويستدر العطف، يصور لنا كيف حفر الأخ قبر أخيه، بل يقول كذلك بأنه كان أول قتيل فى القرية وفى المشهد التالى يقول الطفل القاص:

« وتخيلت أن يخرج أهل القرية للتنكيل بالعرب لأنهم غجر وغرباء وأجانب فى فلسطين فقد سمعت من الكبار بأنه قد حدثت على أيدى العرب اغتيالات فى أماكن أخرى وأن ما أقدم عليه السفاحون لهول حقير[٤].

وعندما سأل الطفل والده أجاب:

« بين العرب كثير من القتلة وسافكى الدماء، وبسبب الجهل والحماقة التى غلفتهم سنوات عديدة، يقومون بأعمال الاغتيال والنهب، ولقسوة قلوبهم يغتالون خيرة الرجال »

فيرد الطفل: « وكان عمى لا يريد أن يصبح هدفا لطلقة عربى همجى »[٥].

وهكذا يصور الأديب الصهيونى يهودا بورلا فى العديد من أعماله العرب وكأنهم قبائل بدائية نزعت الرحمة من قلوبهم، لا يفرقون فى أعمالهم التخريبية بين الصغار والكبار، وهذا ما سنعرفه من رسالة (ميخا) اليهودى إلى بطرس المسيحى العربى حيث يقول له فيها:

« لقد سمعت عن المصيبة التى حلت بنا فى حادث « الأتوبيس » فقد أصيب تسعة من الرجال. معظمهم بإصابات بالغة، كما قتل خمسة بينهم طفلان »[٦].

---

(٢) إسحق أورباز: (عل حودو شل كادور) على سن الطلقة ١٩٥٩. عم عوبيد.

(٣) يهودا بورلا: سحر الوطن صـ ٢٤ (مصدر عبرى).

(٤) المصدر السابق ص٣٥.

(٥) المصدر السابق ص٢٦.

(٦) يهودا بورلا: (حَزُون بطرس) رؤية بطرس ص.٢٧٠.

والقتل شيء طبيعي لديهم حتى وإن قتل الابن أباه، وقد طرح لنا بورلا هذا المفهوم في رواية «البرعم الأول» حيث يقول:

«وفي سكون الليل، دوى صوت عيار ناري في فضاء البيت الكبير وبعده صوت عويل مخنوق، ويخرج أهل البيت مذعورين، وعلى الفور عرف الأمر، فإن «مصطفى حمدى» أطلق النار على والده «محمود شكرى» ولا ينسى بورلا أن يقول:

«كانت الرغبة لدى الجميع عدم إبلاغ الشرطة، فمثل هذه الأمور اعتاد أهل البيت معالجتها سرا»(٧).

أما إذا قتل المسلم يهوديا، ماذا ستكون النتيجة، هذا ما سنعرفه من المشهد التالي في رواية «مغامرات عقبيا» حيث يقول:

وقبل أن ينتقل عقبيا إلى المنزل الجديد سمع عن حادثة بشعة وقعت في المنزل الذي سينتقل إليه، فقد اغتيل يهودي فقير وزوجته وجرح اثنان من أبنائهم فعرف أنه المقصود، وأن الذي استأجر القتلة هو المسلم الشرير (فياد) الذي ضربه «عقبيا» منذ ثلاث أو أربع سنوات، وقد تأكدت الطائفة من القاتل وطلبت من (عقبيا) أن يكتم الموضوع، لأن المسلم إذا قتل يهوديا فالنتيجة «معروفة»(٨).

ووصف العربي بأنه قذر ومقيت وحقير.. إلى آخر هذه الأوصاف، عمدت السلطات الإسرائيلية أن تغرسه في وجدان الجندي اليهودي، حتى ينفذ أوامرها دون أن يفكر لحظة أنه يقتل بشرا.

ففي قصة «صفية المسيحية يصورها الكاتب «أشر براش» وهي تجري وراء أخيها وتقول: «إنه أخي. كلب قذر. عربي حقيقي إنه أهانني».

وفي قصة (تراب الطريق) للأديب (ناتان شاحم) حين يصف أحد الشباب العرب، فيقول: شاب مخيف قذر.

وفي قصة (خربة خزعة) وصفهم (يزهار) قائلا:

«هناك أيضا زأر أحدنا وهو يشير إلى حقل آخر كانوا يركضون فيه كالنمل».

ووصف أحد الجنود وهو يسوق العرب أمامه «كما لو كان يهش سربا من الدجاج».

ووجه حديثه إلى أحد العرب قائلا:

توقف أيها الكلب.. إنهم كالحيوانات(٩).

وأود أن أشير إلى أنه لا يوجد مفهوم إسرائيلي واحد للشخصية العربية، وقد حاولت الشرزمة الإسرائيلية المعاصرة والممسكة بزمام الأمور أن تصور الشخصية العربية بأنها تتسم بعدوانية أصيلة، وتحب الصراع والحرب، وأن هذه العدوانية حسب زعمهم تعود إلى دين الإسلام الذي نادى بسمو المسلمين على غيرهم بالإضافة إلى أنه دين نزعة حربية وهذا افتراء صارخ لا يقبله المسلمون

(٧) يهودا بورلا: (سنونيت ريشوناه) البرعم الأول ص٣٢.

(٨) يهودا بورلا (عليلوت عقبياه) مغامرات عقبيا.

(٩) د. محمود صميدة: استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب ص١١٩.

هكذا حال الإنسان العربى فى فلسطين كما يصوره الواقع والأدب الصهيونى

فى بقاع الأرض ويقول (ف . لوفسكى) : بأن الرسول محمد تأثر بالأفكار المسيحية وأن كل جزء فى القرآن به إشارة إلى اليهود وأنه توعدهم بالعبودية والضياع والشتات واتهمهم بأنهم اتبعوا الشيطان وقتلوا الأنبياء . . . وأن النار مأواهم فى الآخرة وأن رسول المسلمين هو الذى بذر الكراهية فى قلوب المسلمين نحو اليهود »(١٠) .

وقد عمدت المؤسسات الصهيونية المختلفة إلى ترسيخ هذا المفهوم، وأن الشخصية العربية تعانى من أزمة الهوية!!

وأود أن أشير إلى أن الجاليات اليهودية المتحدة، هى مؤسسة تمثل ١٨٩ اتحادا يهوديا، بالإضافة إلى ٤٠٠ جمعية مستقلة فى قارة أمريكا، والاتحاد اليهودى لأمريكا الشمالية، والوكالة اليهودية من أجل إسرائيل .

وللعلم فقد تبرع للجاليات اليهودية المتحدة فقط فى العام الماضى ٧٠٠ ألف متبرع قدموا ٨٢٦ مليون دولار بالإضافة إلى ١,٢ مليار لصندوق المنح والهبات .

فماذا قدم العرب والمسلمون لدعم الحملات الإعلامية العربية بالخارج ضدما يحيكه لهم النازيون الجدد، أو لدعم الانتفاضة .

(١٠) F. Lovsky, Antisemitisme et Mystere D Israel P.243.

مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية

٣

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

اقتحـــام مجـــالات جديـــدة

إذا كانت بداية الإصلاح تبدأ بنظام التعليم ومناهجه لإعداد الباحث الجيد القادر على إحراز قصب السبق فى سوق التنافس العالمى، فإن التحدى الذى يواجه التعليم هو الارتقاء بقدرته على الاستجابة للمتغيرات العصرية، واستشراف آفاق المستقبل وتوقعاته والتعامل معه والتخطيط له والتأثير فيه، فالتعليم يجب أن ينمى فى النشء قدراته على نحو يستطيع معه أن يفكر بطريقة جديدة عما ألفناه ونألفه، وأن يستنبط البدائل المناسبة على الدوام.

من ناحية أخرى إلى جانب العمل على إصلاح التعليم وتطويره، تقتضى مواجهة التحديات المعاصرة عملا موازيا لاقتحام مجالات جديدة، فهناك قضايا ومشروعات علمية وتقنية عملاقة جديرة بالاهتمام والرعاية.. تحتاج إلى البدء فى التصدى لها، حيث إن الأوان لم يفت بعد لتدارك ما فاتنا منها، ولم يعد مقبولا بأى حال من الأحوال أن نتركها أو نغفلها -وقد حقق غيرنا فيها سبقا ملحوظا- حتى تتزايد تكلفة حلها، فالمواجهة المبكرة تدعم الحل، وتقرب الفجوة. وإن إتاحة الفرصة للعقلية الإسلامية الإبداعية بدخول مثل هذه المجالات الرحبة سوف ينمى الشعور بالثقة والندية وكسر الاحتكار فى توفير تقنيات متقدمة جديدة.. ومن أمثلة هذه القضايا والمشروعات العلمية والتقنية العملاقة التى ينبغى البدء فى التخطيط لها واقتحام ميادينها ما يلى:

١- تقنيات المعلومات والاتصال:

لقد دخلنا مع بداية القرن الحادى والعشرين عصرا جديدا للمعلومات والاتصال يسمى «كوم - كوم» Computer-Communication (COM-COM)، فقد أصبحت تقنيات المعلومات والاتصال وجهين لعملة واحدة، على أساس أن ثورة تقنية الاتصال قد سارت على التوازى مع ثورة تقنية المعلومات التى

(*) عميد كلية العلوم - جامعة القاهرة.

تدفقت نتيجة للتفجر المعرفى وتضاعف الإنتاج الفكرى فى مختلف المجالات ولظهور الحاجة إلى تحقيق أقصى سيطرة ممكنة على فيض المعلومات المتدفق، وإتاحته للباحثين والمهتمين ومتخذى القرارات فى أسرع وقت وبأقل تكلفة وجهد، عن طريق استحداث أساليب جديدة فى تنظيم المعلومات تعتمد بالدرجة الأولى على الحاسب « الكمبيوتر » واستخدام تقنية الاتصال لمساندة مؤسسات المعلومات ودفع خدماتها لتصل عبر القارات.

والواقع أن تعريف « تقنية المعلومات » ينطوى على معنى هذا التزاوج، إذ ينص فى إحدى صيغه على أنه « اقتناء واختزان المعلومات وتجهيزها (معالجتها) فى مختلف صورها وأوعية حفظها، سواء كانت مطبوعة أو مصورة أو مسموعة أو مرئية أو ممغنطة أو معالجة بالليزر، وبثها وتبادلها ونقلها باستخدام (توليفة) من المعلومات الإلكترونية ووسائل أجهزة الاتصال من بعد ».

وهكذا لا يمكن الفصل بين تقنيات المعلومات والاتصال، فقد جمع بينها النظام الرقمى Digital الذى تطورت إليه نظم الاتصال، فترابطت شبكات الاتصال مع شبكات المعلومات، وهو ما نلمسه واضحا فى حياتنا اليومية من التواصل بـ« الفاكس » عبر شبكات « التليفون »، وفى بعض الأحيان مرورا بشبكات أقمار الاتصالات، وما نتابعه على شاشات التليفزيون من معلومات تأتى من الداخل أو الخارج.

وها نحن نرى أن العالم اليوم يقف على عتبة الجيل الثانى من الشبكة الدولية للمعلومات، حيث يتزايد الاهتمام بإنتاج تقنيات المعلومات نظرا لما لها من دور واضح فى تعزيز التنمية ودعم التطور، بعد أن تزايد اعتماد الإنسان عليها مؤخرا. ويكفى أن نعلم أن العمل فى مجال الحاسب « الكمبيوتر » وبرمجياته أصبح فى مقدمة ميادين النشاط التقنى عموما، وتعطى إحصاءات النمو لأكبر الشركات العالمية نتائج تؤكد تزايد أهمية الدور المستقبلى للصناعات المعلوماتية Informatics مقارنة بغيرها من الصناعات المهمة كالسيارات والطائرات والمواد الكيميائية واللدائن وغيرها. ويكفى أن نعلم أن الهند -على سبيل المثال- عندما أعطت اهتماما خاصا لتقنية المعلومات زاد نمو صادراتها من البرمجيات على نموها السكانى بأكثر من ١٦ ضعفا، وعلى نمو دخلها القومى بأكثر من عشر مرات، وعلى نمو مجمل صادراتها بأكثر من مرتين ونصف. كما تدل الإحصائيات على أن بين العشرين شركة الأكثر نموا فى العالم يوجد عشر شركات تعمل فى مجال تقنيات المعلومات، وعشر شركات أخرى تعمل فى باقى القطاعات مجتمعة، مما يؤكد أهمية الفرص التى تمنحها تقنيات المعلومات للقطاع الخاص، فضلا عن تأثيرها الإيجابى فى تطوير إمكانات اقتصادية جديدة تحتاج إليها الدول لتعزيز نمو الدخل القومى.

وليس هناك من شك فى أن الأمة الإسلامية تمتلك حاليا من القدرات العلمية والتقنية ما يجعلها تحتل منزلة متقدمة فى صناعة المعلومات.

٢- علوم وتقنيات الفضاء:

من أمثلة القضايا والمشروعات العلمية والتقنية التى ينبغى اقتحامها والتخطيط لها

إنشاء وكالة إسلامية لعلوم الفضاء Islamic Space Agency (ISA) .. ذلك أن البشرية تعيش اليوم أعظم نتائج التحدى لبرامج ارتياد الفضاء وتطوير البحث فى عالمه الفسيح، ولم يعد هذا التحدى مقتصرا على الدول الكبرى، ولكنه شمل أيضا بعض الدول التى سعت إلى اللحاق بركب المتقدمين، مثل الهند وجنوب أفريقيا وإسرائيل. ولم يعد خافيا على أحد خطورة التأخر فى اقتحام هذا الميدان نظرا لأهميته الكبرى التى انعكست على مختلف مجالات التقدم العلمى والتقنى والصناعى. وعلى الأمة الإسلامية إن رغبت فى اللحاق بهذا الركب أن تسعى إلى البدء فى برنامج خاص لعلوم وتقنيات الفضاء والإفادة منه فى الأغراض السلمية. ومن الأهمية بمكان اعتبار عامل الوقت فى تنفيذ هذا المشروع، حيث إن أعداد الأقمار الصناعية التى تجوب الفضاء تزداد بسرعة رهيبة مما سيعجل بسعى الدول الكبرى إلى فرض حظر يسد الطريق أمام الطارقين الجدد لهذا المجال.

ولعل ما نراه من قيود مختلفة تصل إلى حد الحظر فى مجال نقل التقنيات بصورة عامة، وامتلاك الطاقة النووية بصورة خاصة، يجسد أهمية الوقت، ناهيك عن أن مثل هذا الحظر المرتقب سوف يسبقه أو يصاحبه احتكار يرفع كثيرا من تكلفة استخدامات الفضاء بالنسبة للدول التى لا تشترك فيه، أو على الأقل الدول التى لا تطلق أقمارا خاصة من صنعها.

إن إنجاز هذا التحدى ليس بالأمر العسير على الأمة الإسلامية التى يتوفر بها حاليا الإمكانات البشرية والعلمية والفنية، بالإضافة إلى القدرات المادية المتمثلة فى توفر الصناعات الأساسية اللازمة لاستخدام تلك التقنيات الجديدة، ومشاركة العالم فى صنع المستقبل. ولعل الإسراع فى إنشاء «وكالة الفضاء الإسلامية» ISA يكون البداية السليمة على هذا الطريق. ويقترح أن يتم فى البداية تشكيل هيئة عليا من أهل الاختصاص فى جامعات العالم الإسلامى والهيئات ذات الصلة للإشراف على إعداد برنامج متكامل ودراسة جدوى فنية بعد حصر الإمكانات البشرية والمادية المتوفرة حاليا وبيان كيفية الاستفادة منها على الوجه الأمثل. وبعد التأكد من توفر مستلزمات البنية الأساسية لوكالة الفضاء الإسلامية وتدبير التمويل اللازم لمراحل إنشائها ينظر فى اتخاذ القرار الخاص بذلك حتى تكون البداية على أساس علمى سليم إن شاء الله.

ويمكن عند صدور القرار ببدء برنامج إسلامى للفضاء، وإنشاء وكالة إسلامية للفضاء، أن تكون الهيئة العليا أهل الاختصاص نواة لها، على غرار ما حدث عندما تحولت الجمعية القومية الاستشارية للملاحة الفضائية إلى «وكالة ناسا» NASA التى تتولى شئون الفضاء فى الولايات المتحدة الأمريكية. كذلك يمكن البدء بإنشاء «مركز إسلامى لعلوم وتقنيات الفضاء» يختص بمتابعة ما ينشر وما يستجد

فى هذا المجال، وما يمكن الحصول عليه من نتائج رحلات الفضاء فى دول العالم المختلفة.

إن مثل هذا المشروع الإسلامى العملاق ينبغى أن يهدف إلى وضع مجموعة من البرامج التى تحقق إطلاق أقمار صناعية بتصميم وتنفيذ إسلامى فى أقرب وقت ممكن. وتؤدى إلى توفير القدرات العلمية اللازمة لإجراء البحوث فى العديد من المجالات الحيوية مثل:

دراسة التغيرات المناخية والبيئية -الكشف عن الثروات الطبيعية- التنبؤ بحدوث الكوارث الطبيعية - رسم الخرائط المساحية و«الجيوديسية» الدقيقة للأغراض المدنية - زيادة القدرة على إجراء الاتصالات ونقل المعلومات محليا ودوليا - رصد ودراسة مصادر الطاقة فى الكون - تقوية الإرسال التليفزيونى والإذاعى وإعادة بثه، مما ييسر على القنوات الفضائية الإسلامية تقديم إعلامها بتكلفة أقل وكفاءة أكبر دون تحكم خارجى، بل والحصول على دخل كبير بتسويق بعض القنوات لدول أخرى. ومن الواضح أن الجهات ذات الصلة بكل هذه المجالات وغيرها سوف تحرز تقدما كبيرا عند الاستفادة من التطورات المنتظرة لأنشطة «وكالة الفضاء الإسلامية» على المدى القريب والبعيد.

وهناك -بطبيعة الحال- أمثلة أخرى عديدة لمشروعات علمية وتقنية كبرى يمكن للأمة الإسلامية أن تخطط لاقتحامها وإحراز قصب السبق العالمى فيها. مثال ذلك: التقنية الحيوية Biotechnology -علوم المواد- صناعة الدواء- تطوير تقنيات الليزر - إنتاج الطاقة الشمسية وغيرها من صور الطاقات الجديدة والمتجددة.

أهم المراجع:

١- محمد عبدالسلام، البعد العلمى للتنمية، سلسلة منشورات أكاديمية العالم الثالث للعلوم (١)، تريستا، إيطاليا ١٩٨٦م.

٢- د.زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر، كتاب الأمة (٢٠)، الكويت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

٣- د.أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، سلسلة قضايا إسلامية (٢٠)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٤- المؤتمر السابع للوزراء المسئولين عن التعليم العالى والبحث العلمى فى الوطن العربى، مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرياض: ١-٥ محرم ١٤٢٠ هـ - ١٧-٢١ أبريل ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية.

٥- دليل دوريات الجامعات العربية، المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى، اتحاد الجامعات العربية، القاهرة ١٩٩٦م.

٦- د.شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال - المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾

سورة آل عمران آية (٣٤)

الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم

للدكتور / السيد الجميلى

ما قرأت آية فى كتاب الله - تعالى - وأجلت النظر فيها وأدرته فى لطائفها، وتأملت معانيها وتجلّيت أسرارها - إلا لمست فى كل حرف وفى كل كلمة وعبارة من الروعة والجلال والعظمة والجدة المطلقة والإشراق المتجدد ما يذهل الأفهام ويأخذ بالألباب، ويستولى على مجامع القلوب.

إنه كلما راجعت كتاب الله الكريم مرة بعد مرة، وجدْت خصيصة تميز بها هذا الكتاب وانفرد بها ألا وهى المتاع بقراءته والتلذذ من تلاوته أو كأنك تقرؤه لأول مرة وهذه الخاصية الحسية والنفسية ويُقرُّ ويشهدُ بها الناس كافة، حتى من غير المسلمين.

ولعل أخصر وأجمع ما ورد فى القرآن الكريم من آيات وأشراط الإعجاز الطبى فى الكتاب العزيز - إنما يتمثل فى قوله تعالى:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(١) وينضوى تحت هذه الآية ويساير مدلولها ويتساوق مع إشارتها البليغة كل تحقيق وإنجاز طبى على أرفع وأسمى المقامات والدرجات.

منذ بضعة أسابيع كنت فى رحلة خارج القطر وعُرضت علىَّ بمحض المصادفة حالة (بصفتى طبيباً) وهى من الحالات النادرة التى تنطوى على أسرار وراثية فى جوهرها.

(١) الذاريات، الآية ٢١.

أبٌ وأمٌ يعانيان حالةً نفسيةً بالغة القسوة تهضبُ عيناهما، وتكف دموعهما، وتتقاطر وتْرفَضُ وتتحدرُ عبراتهما مهمومان قد فدحهما الداء، وعمدهما وتخونتهما لوعةٌ وحسرةٌ تألماً على ابنهما الوحيد الذى وُلِدَ « قزما » DWARF فهما يبكيان حظهما العاثر، ويعرضان التضحية بكل نفس ونفيس لقاء علاجه من هذه الحالة.

ولئن كان حالُ الأبوين الوقيذين صعباً عنيفاً، مهما قيل لهما- مع اطمئنانهما لذلك تماما- أن هذا من قدر الله - تعالى - غير المدفوع ولابد من الصبر عليه؛ لأنه لا مندوحة عن التصبر، إلا أن الفطرة البشرية من ناحية، وعاطفة البنوة والأبوة من الناحية الأخرى تجهض كل محاولة للتسرى أو السلوان.

ولا يعرف قدر السلامة والعافية والهبات الإلهية والمنح الربانية إلا المحرومون منها.

ثم إن المشايحة من كثير من الأمراض الوراثية المعقدة فى كثير من الأحيان- لا موجب لها ولا مساغ لها على الإطلاق من حيث إن هذه الإشاحة لا تجدى فتيلاً فى تغيير الواقع المحتوم الذى صار بحكم الطبيعة مفروضاً، وليس أمام العقلاء إلا التسليم المطلق للمكتوب المطبق، احتساباً للأجر وطمعاً فى ثواب الصابرين.

العجيب فى أمر هذه الحالة ما وقع بين الأبوين حيث تُبُودلت الاتهامات بين أسرتى الأبوين حيث زعم أهل الأب أن هذا الابن القزم أخذ قصر القامة من أمه التى هى قصيرة نسبياً.

وزعم أهل الأم أنه ورثها من جدته لأبيه التى تعانى القصر نسبياً.

وتداخلت اللجاجات والمداخلات السوفسطائية، كل فريق ينحى باللائمة على الآخر بأنه المسئول عن هذه الطفْرة غير المتواردة فى باقى أفراد كلتا الأسرتين.

هذه الشكايات لا تغير ولا يمكن أن تغير شيئا من الحق والواقع والأصول المتفق عليها.

ولما كان أصل هذه الحالة وراثياً، أى تأثراً بالآباء والأجداد، وهذا إجماع من أهل العلم من الأطباء، من غير نكير ولا معارض- تذكرت إشارة القرآن الكريم فى عديد من المواضع إلى دور الوراثة فى نقل الصفات من السلف إلى الخلف، حيث تتحدر وتتقاطر وتتحلب تلك الخصائص فى الجينات GENES من السالفين إلى الخالفين تحمل التراكيب التشريحية ANATOMICAL STRUCTURES أو العيوب الخلقية التشريحية ANATOMICAL ANOMALIES وتظل تسرى فى الأجيال من جيل إلى جيل.

قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾.

قال المفسرون: أى اصطفاهم متجانسين فى الدين والتقى والصلاح[(٢)].

وكلمة التجانس التى أشار إليها المفسرون تضاهى وتشاكه وتحاكى التماثل عند علماء الطب.. لكن دقة تصوير الآية وروعة بلاغتها يأخذ بمجامع القلوب أخذا مذهلا.

(٢) راجع أقوال العلماء مبسوطة فى التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ٣٩/٨ والقرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ٦٤/٤ والطبرى ٣٨٦/٦ والبحر المحيط ٤٣٥/٢ وكشاف الزمخشرى ٤٢٤/١.

وقال أيضا :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾(٣).

وقال تعالى أيضاً :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾(٤).

ومن أورع ما ورد قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾(٥).

قال ابن عباس : إن الله ـ عز وجل ـ ليرفع ذرية المؤمن معه فى درجته فى الجنة، وإن كان لم يبلغها بعمله، لتقر بهم عينه... وتلا الآية(٦).

قال الإمام العلامة الزمخشرى : يجمع الله لأهل الجنة أنواع السرور بسعادتهم فى أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماع أولادهم(٧).

وقال الألوسى : ... وثبوت ذلك على العموم لا يبعد من فضل الله ـ عز وجل ـ ، وما قيل لعله مخصوص ببعض دون بعض تحجير لإحسانه الواسع جل شأنه، وقد يستأنس للتخصيص(٨).

وهذا أبوبكر يدعو الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾(٩).

قال العلماء : وإصلاح الذرية إنما هو من كمال السعادة البشرية(١٠).

ومفاد هذا مذكور مبسوط عن أئمة المفسرين وأكابر أهل العلم.

وقد ذكر الألوسى فى هذه الآية : أجابه الله ـ تعالى ـ [أى أبا بكر] فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً(١١).

ثم يقول الحق جل وعلا :

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾(١٢).

---

(٣) سورة الحديد ، الآية ٢٦ وهى فى معرض الحديث عن نوح وإبراهيم ـ عليهما السلام ـ وفى الآية إشارة بليغة إلى أن ذريتهما توارثت منهما الصلاح والتقوى والإيمان الذى يؤهلهما للنبوة والرسالة، ونرجو مراجعة البحر المحيط ٢٢٦/٨ وتفسير البيضاوى ٤٥٦/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل ٩٩/٤، ١٠٠ والتفسير الكبير ٢٤٠/٢٩ والكشاف ٦٧/٤ وروح المعانى للألوسى ١٨٩/٢٧.

(٤) العنكبوت، الآية ٢٧.

راجع تفسير القرطبى ٣٣٦/١٣ والطبرى ٩٠/٢٠ والكشاف ٢٠٤/٣ والتفسير الكبير ٥٧/٢٥.

(٥) سورة الطور، الآية ٢١. راجع الطبرى ١٥/٢٧، ١٦ والقرطبى ٦٦/١٧، ٦٧ والكشاف ٢٤/٤.

(٦) التفسير الكبير ٢٥٠/٢٨ وانظر القرطبى ٦٦/١٧.

(٧) الكشاف ٢٧٢/٤.

(٨) روح المعانى ٣٢/٢٧، ٣٣.

(٩) سورة الأحقاف ، الآية ١٥.

راجع تفسير القرطبى ١٩٤/١٦ والطبرى ١١/٢٦، ١٢ والتفسير الكبير ١٣/٢٨ والكشاف ٥٢١/٣.

(١٠) انظر مؤدى هذا فى حاشية البيضاوى ٣٣٦/٣ بتصرف.

(١١) روح المعانى ١٩/٢٦.

(١٢) سورة غافر ، الآية ٨.

يقول ابن كثير: أى اجمع بينهم وبين ذرياتهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع فى الجنة بمنازل متجاورة(١٣).

وما ورد فى السنة المطهرة من إشارة دقيقة ظهر جليا فى قوله ﷺ: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم» قالوا: من يارسول الله، قال: «يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم»(١٤).

إن صفات يوسف المتوارثة عن أبيه وأبى أبيه وجده الأكبر الخليل إبراهيم أبو الأنبياء – هى التى تحدرت من أصلابهم فتكونت وتشكلت منها طبيعته فكان أريحى الطباع، محمود الفطرة، صدوق المعجم، حر الطينة، نقى الجوهر.

●●●

توارث الصفات المرتبطة بالجنس(١٥)
Sex Linked Traits

من الأمراض التى تتوارث صفاتها من خلال الجنس، والمتأثر بها وراثيا، أو المتأثرة به كذلك وراثيا.. إذ إنها تتحدر وتتحلب وتتقاطر من الآباء إلى الأبناء والأحفاد.

نضرب مثلا على ذلك مرض العمى اللونى Colour Blindness وهو الذى يظهر فى بعض الأشخاص، وهؤلاء لا يستطيعون أن يميزوا اللون الأخضر من اللون الأحمر.

وهذه صفة متنحية مرتبطة بالجنس X-Linked Recessive Trait وهى التى يعانى منها حوالى ٨٪ ثمانية فى المائة من الذكور، ونادرا ما تحدث فى الإناث، بل قلما تحدث فيهن إلا عند وجود جينين متنحيين عندهن two recessive genes (2).

وقرر علماء الوراثة أن هذه الحالة من العمى اللونى يكون الجين المسبب للمرض فيها متنحيا Recessive Gene والجين المتبادل Alternative Gene يكون سائدا Dominant Gene.

ثم إن الجدير بالذكر أن الجين الذى يحمل هذه الصفة إنما يوجد على الكروموسوم الجنسى X Sex Chromosome فقط، بيد أن الإجماع معقود على أن نظير هذا الكروموسوم الجنسى الآخر Y Sex - Chromosome لا يحمل أية صفة وراثية.

ولذلك فإنه عند تزاوج رجل مصاب بالعمى اللونى من أنثى سليمة، فإن الجيل الأول الناتج منهما تكون الذكور كلها سليمة أما الإناث فتكون حاملة للمرض فقط Females are Carriers وهى بالطبع لا تكون مصابة.

أما إذا تزوج رجل سليم من أنثى مصابة بالمرض، فإن الجيل الأول الناتج منهما تكون فيه الذكور كلها مصابة بالمرض، ولكن الإناث حاملة فقط.

---

(١٣) ورد فى روح المعانى ٤٨/٢٤: وقرأ عيسى: «ذريتهم» بالإفراد. أهـ. راجع أيضا فى تفسير الآية مختصر ابن كثير ٢٣٦/٣ والتفسير الكبير ٣٨/٢٧ والكشاف ٤١٦/٣ والبحر المحيط ٤٥٢/٧.

(١٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند عن ابن عمر، وكذلك من حديث أبى هريرة ٩٦/٢ والبخارى ٤٦٨٨/١٤٤/٦ و٣٣٨٢/٢٩٤/٤، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير ٦٤٥٩/٢٥٥/٢.

(١٥) - Harris H: The Principles of Human Biochemical Genetics, 3rd edit., New York, 1980.
- Lewin B: Genes, 2nd edit. New York, Wiley, 1985.

وإذا تزوج رجل سليم من أنثى حاملة للمرض، فإن الجيل الأول الناتج منهما يكون فيه نصف الذكور « ٥٠٪ منهم » سليما، والنصف الآخر « ٥٠٪ منهم » مصابين بالمرض.

أما إذا تزوج رجل مصاب من أنثى حاملة للمرض فإن نتاجهما يكون نصف الذكور فيه مصابا، والنصف الآخر سليما ونصف الإناث مصابة، بينما نصفهن الآخر حوامل للمرض.

مرض الدحدحة، أو نقص التعظم الغضروفى
Achondroplasia
أو مرض السّقل الغضروفى الجنينى
Chondro dystrophia Foetalis

هذا هو مرض الدحدحة، أو نقص التعظم الغضروفى، ويحلو لبعض العلماء أن يطلق عليه اسم مرض السغل الغضروفى الجنينى.. وهو تشخيص الحالة المعروضة علينا سلفا والتى أشرنا إليها آنفا، ونوجز هنا أهم الاعتبارات والمداخلات التى تعترى هذه الحالة وتكتنف وجودها.

هذا المرض الوراثى يظهر عادة فى الطفولة الباكرة، حيث ثبت بالأدلة القواطع والبراهين الثوابت أن الوراثة تلعب فيه دورا مشهودا غير منكور.

والراجح الذى عليه أقوال أكثر العلماء أن توارث نقص التعظم تتم من خلال السيادة المندلية Mendelian Dominance.(١٦).

لكن لوحظ بعض من هذه الطرز قد تنوقلت من خلال خصوصية التنحى Recessive Character.

إن ثمة خللا فى تعظم العظام فى الغضاريف حيث شوهدت معيبة مشوهة، بيد أن قبو القحف الجمجمى Vault of Skull والعظام الشوكى Spinal Bones ترى سليمة وطبيعية.

لكن اليدين والقدمين والساقين تكون قصيرة قصرا ملحوظا أدنى من الطبيعى، وهى فى هذا تشابه وتشاكه وتحاكى الدَّهْشَنْد Dachshund (وهو كلب ألمانى صغير) طويل الجسم، قصير القوائم.

وهذه هى القزامة (Dwarf Dwarfism) أو الإزْب.

إن قامة القزم «ارتفاعه» قد يبلغ زهاء أربعة أقدام، لكن الجذع يكون طبيعيا Normal Trunk ولكن اليدين والساقين تكون قصيرة.

اللافت للنظر أن منظر الجمجمة يرى شاذا مشوبا بالتشوه الشكلى حيث يظهر قبو الجمجمة كبيرا إذا ما قورن بالوجه الذى يكون صغيرا مع اغورار قنطرة الأنف Sunken Bridge of the Nose.

لكن الجهاز العضلى Musculature ينمو نموا حسنا جيدا، بيد أن اليدين تكونان صغيرتين، كما تكون الأصابع كلها متساوية فى الطول.

إن أكثر الأقزام مليصون، جهيضون،

---

(١٦) راجع:

Mckusick VA: Mendelian Inheritance in Man: Catalogs of Auto somal Dominant, Autosomal Recessive, and X-Linked Recessive Phenotypes, 6th edit.
Baltimore. John Hopkins, 1983.

سـقـيطون، حـيث يـولـدون مـوتـى Aborted OR Stillborn أو يموتون حال ولادتهم أو فور الولادة.

لكن الذين يولـدون أحـيـاء منهـم يعـيـشـون أعـمـارهـم عـادية لا تتأثـر حيـاتهـم طولا أو قـصـرا بسبب قزامتهم.

جدير بالذكر أن هذه الحالة لم تصادف علاجا نافعا حتى يومنا هذا، وما إخال المستقبل القريب قد ينطوى على مفاجآت علاجية فى هذا الصدد.

●●●

إن البـعـد النفسى هو أخطر ما يـدهـم الأبوين، بل يحطمهم تحطيما وهما يريان قزمهما يتعثر فى قزامته، فنرى الأب مردوعا، وجيع البدن والنفس من غير مرض عضوى، وكذلك يكون حال الأم الموصبة لا يتقارّ بدنها المتهالك على الفراش مما ألم بها من ألم مخامر وداء معضل لا يزايل الروح وخوالج النفس فى كل جزئيات الزمان.

وكـلا الأبوين المهـمـومـين عـاجزان عن السلوان والصبر والاحتساب، وذلك من أقوى الأدلة وأعظم البراهين على استيلاء النقص على جملة البشر.

●●●

سألنى صديق قديم ذات مرة: قرأت فى إحدى المجلات أن زواج الأقـارب مـدعـاة لإنجـاب أبناء مـشـوهين مـصـابين بآفات وعاهات وراثية فـمـا رأيكم؟

وكان جوابى عنه: إن الخطأ الشائع والتبرير غير الصحيح، والتأويل المغلوط قد يتبادر إلى الأذهان بمساغات باطلة قد يتقبلها الناس، فيؤمنون بها وتصبح قواعد مفروغا من سلامتها، وهى فى حقيقتها وواقعها ما هى إلا محض أساطير، وأوهام لا ظل لها من الحق والحقيقة.

وهذه المقولة القديمة قال فيها شاعر العرب القديم:

فـــتى لم تلده بنت عم قـــريبـــة
فـيـضـوى وقـد يضـوى سليل الأقـارب

فاحتجوا بهذا البيت الشعرى على أن زواج الأقارب يسبب ضعف السلالات ووهنها.

ولو أنهم تأملوا قول الشاعر «وقد يضوى» فإن دخول «قد» على الفعل المضارع يفيد الشك أو احتمال الوقوع وفى أحيان يفيد التقليل، أو يفيد التكثير.

مـفـاد هذا ومؤداه أن «قـد يضـوى» لا تفـيـد حتما وقوع ذلك.

وزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «اغتربوا لا تضووا» لكن لم نجد هذا الحديث فيما بين أيدينا من مصادر الحديث المعتبرة.

فإذا كان ذلك كذلك، فماذا يثمر زواج الأقارب، وما مدى تأثيره على نتاج الأبناء إيجابا وسلبا؟

نقول: إن الصحيح أن زواج الأقارب يقوى ويمكن الصفات الحميدة الحسنة، وهو بنفس الدرجة والنسبة تقريبا يقوى ويمكن ويظهر النقائض لها من نقائص الصفات ومستهجناتها.

وأكبر دليل على قولنا هذا أن النبى ﷺ تزوج من ابنة عمته السيدة زينب بنت جحش، وأن هذا نراه تدليلا على سلامة مذهوبنا أنه ﷺ زوج عليا بن أبى طالب «ابن عمه» من ابنته فاطمة ـ رضى الله عنها ـ «بأمر الله تعالى على ما ثبت فى مصادر التاريخ الوثيقة تفصيلا مبسوطا» فكان

ثمرة هذا الزواج المبارك سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ وهما من هما علما وفضلا وسلامة.

فلو كان زواج الأقارب يضعف السلالات لما وقع شيء من ذلك.

إن الصفات المتنحية عندما تكون موجودة فى الأبوين تكون كامنة غير ظاهرة مظهريا، لكنها تظهر فى السلالة بعد تزاوجهما.

●●●

كلنا فى الأغلب قرأنا رحلات جلفر لمؤلفها الإنجليزى المعروف – فى فترة ما، وهى تحكى عن جلفر وإحساسه عندما كان عملاقا وسط الأقزام، ثم يتحول بغتة إلى قزم من الأقزام فى بلاد العمالقة.

ومن المثير العجيب أن يكون القزم فى ذكائه عاديا لا يتأثر سلبا ولا تراجعا عن مستوى الذكاء فى الشخص العادى، ولا أنسى ذلك الشيخ الوقور ذو اللحية الذهبية –منذ ما ينيف على خمس وثلاثين سنة– والذى لا يزيد طوله على أربعة أقدام، وهو يلبس الزى الأزهرى كاملا متأبطا كتابا ضخما ربما يضاهى نصف وزنه.. وكان يبتسم دائما.. منبسط الأسارير طلق الوجه مشروح القسمات.

كان هذا الرجل الطيب محط الأنظار لا يكاد يمر من مكان أو على طائفة من الناس على اختلاف الأعمار إلا نظروا إليه بدهشة وهو يسمع تندر الأطفال وغمز الكبار ولمز الجهال.. ولم يكن ليضيق بشيء من هذا، ربما لأنه تعود على هذه المواقف، أو لأنه نفض يديه منهم أيضا.

وعمدت إلى الاقتراب من هذا الرجل فألفيته حاصلا وقتها على الثانوية الأزهرية فقط، ولم يكمل تعليمه، وعرفت أنه كان يعمل مأذونا شرعيا..

لمست فيه روحا خفيفة، وثقافة واسعة، ومروءة وعلما مدهشا.. وأعجب ما أذهلنى أنه كان هو الآخر يتندر على أولئك الغامزين المغموزين فى نفس الوقت. فكان يقول: ترى الفتيان كالنخل.. وما يدريك ما الدخل؟

وكان يقول: أجسام البغال وأحلام العصافير..

فهو ينعى على البعدين.. بعد الطول.. وبعد البدانة والترهل، وهو بطبيعة الحال منزه عن كلا البعدين.

وأذكر أننى قلت له: إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه فانشرح صدره وسر سرورا عظيما.

وكنت مؤيدا له فى نظرته العميقة للحياة والأحياء ومفادها أن يحول الإنسان عوائقه إلى وسائل حافزة لتقويم شخصيته وسلوكياته، ويتراقى إلى عالم المعرفة والأخلاقيات والثقافة الجادة والمروءات وبهذا يعرف الرجال.

ولو كانت المسألة مصروفة على الجرم ثقلا وطولا لكان أكثر الحيوانات أولى بالتكريم من الإنسان ولكان الفيل أمير الأمراء.

لابد من النزول إلى الواقع فى حالات الضرورة، لاسيما إذا كان مرضا، أو حالة وراثية مكينة يعجز الطب عن علاجها أو تقويمها.. والله ـ سبحانه وتعالى ـ وعد الصابرين المحتسبين بجزيل الأجر وعظيم الثواب.

والحمد لله رب العالمين.

القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

١

البناء القصصى - فى شكله المطلق - ينهض على عدة محاور، لعل من أبرزها: (الحدث) و(الشخصية) و(المعنى) و(الحلّ).

وكل حدث قصصى له بداية (أى موقف)، ووسط (أى عقدة) ونهاية (أى حلّ) بشرط أن تتلاحم هذه الدوائر تلاحماً عضويا نامياً يتطور من خلاله الحدث، ولا يكتفى فيها بأن تكون مجرد أخبار متجاورة تجاوراً سكونياً.

وكل شخصية قصصية لابد أن تحمل فى تضاعيفها الدوافع التى حركتها إلى الفعل، والكيفية التى فعلت بها هذا الفعل كذلك، أى أن مهمة العمل القصصى تكمن أساسا فى تصوير هؤلاء الشخوص فى حالة فِعْلٍ حقيقى. أى وهم يعملون.

وكل معنى قصصى لابد أن يكون نابعاً من سياق الحدث القصصى، وأن يظل هذا المعنى غير حيادى، وغير ساقط على الحدث من الخارج، حتى ولو كان هذا الخارج هو الرؤية الخاصة للمؤلف، وإنما ينبغى أن يكون معنى نابعاً من قاع الحدث، ومتطوراً معه ومتحققاً من خلال شخوصه القصصّيين.

وكل حل قصصى لابد أن يشكل المرحلة التى تنتهى إليها كل خيوط الفعل الحَدَثِىّ، وهى المرحلة التى تعطى لكل المراحل مضمونها النهائىّ.

أما النسيج القصصى - فى شكله المطلق كذلك - فينهض هو الآخر على عدّة محاور، لعل من أبرزها، (اللغة) و(الوصف) و(الحوار) و(السرد).

واللغة هنا تعنى ليس مطلق اللغة، وليس لغة القاصّ كذلك، وإنما لغة الشخوص والأحداث، بحيث تتواءم جدلياً مع كل مراحل العمل القصصى ومستويات شخوصه... ويعنى الوصف ليس مطلق الوصف، وليس الوصف المحايد كذلك، وإنما

الوصف الذى ينقل الحدث من طور إلى طور، وينمّي جدل العلاقات بين أطراف العمل القصصى من جوانبه المادية والإنسانية والزمانية... ويعنى الحوار ليس مطلق الحوار، وإنما أن يكون مشتقاً من طبائع الشخوص وطبائع الفعل القصصى، فلا يكون أعلى أو أدنى من مستوى البوح الذي ينبغى أن يصدر عن هؤلاء الشخوص، ولا يكون مقحماً على عناصر الواقع الحَدَثِيِّ الذى يعتلج داخل العمل القصصى... ويعنى السرد ليس مطلق السرد، وإنما حساسية القاص فى اختيار نوعية الصيغ الموائمة التى يتعامل بها مع موضوعه، بضمير المتكلم إذا شاء، أو بضمير الغائب إذا أراد، وبتحريك عناصر لغوية وتركيبة كثيرة لإبراز المضمون الذى يهدف إليه، وخلق الجو الذى يسبح فيه حتى يصل إلى شاطىءِ ما يريد.

ويمكن أن يلاحظ فى هذا الصدد شرط أساسى هو: حتمية توظيف كل عناصر (البناء والنسيج) فى تصوير حدث متكامل، من خلال وحدة لا تنحل، وأن تظل كل مفردات البناء والنسيج فى خدمة هذا الحدث لتصويره من جهة، ولتطويره من جهة أخرى، حتى لا يختلّ البناء الفنى للعمل القصصى، أو يصاب بنوع من الإنشائيّة أو الخطابية التى لا تدخل فى سياق التصميم العضوى للقصة بشكل عام.

أما القصة القرآنية، وهى عالم متميز بخصائصه الشكلية والمضمونية علي السواء، فقد لقيتْ من عناية الباحثين المعاصرين جهداً كبيراً أضاء كثيرا من جوانبها الفنية، وحدّد فيها نوع المهمّة ونوع الأداة جميعا، وفضّ مغاليق كثير من قضاياها التى تتردد بين التكرار، والإفاضة، والإيجاز، والإيحاء، والمباشرة، وواقعية الحدث، وعرض الشخوص، وتحديد الفضاء الزمانىّ، وغيرها، مما يمكن تلخيصه فى مصطلح واحد هو: (طريقة العرض القصصى فى القرآن الكريم)، ولقد أعان هؤلاء الباحثين على استقصاء هذه الخصائص الفنية فى القصة القرآنية، وعْيهُم النقدىُّ بأصول البناء القصصى من جهة ووعيهم العلمى بخصوصية البناء القصصىّ فى القرآن من جهة أخرى، فلم يقعوا فى شراك التعميم والارتجال.

ولعل من أبرز الجهود الموضوعية المعاصرة فى هذا الصدد، جهود طه حسين فى كتابه: (مرآة الإسلام)، وجهود سيد قطب فى كتابيه: (فى ظلال القرآن، والتصوير الفنى فى القرآن)، وجهود فتحى رضوان فى كتابيه: (الإسلام والمذاهب الحديثة) و(القصة القرآنية). على الأقل لأن هذه الجهود تمثل ريادة علمية فى اتجاهها الموضوعى العاقل فى دراسة الظاهرة، كما تمثل ريادة فنية فى اتجاهها الذى يتوفّر على دراسة الظاهرة من وجهة جمالية، ولا يعنى هذا أى استقصاءٍ حاصرٍ فى هذا المجال، بقدر ما يعنى التركيز على الجهود الرائدة التى نوّع عليها الآخرون كأنما ليؤكدوا ريادتها وجدارتها معاً.

وقد جسّد طه حسين رؤيته لطبيعة القَصِّ القرآنى من خلال تأملٍ نصّىٍّ لبعض سور القرآن الكريم التى تميزت بهذا القصّ، كسورة الشعراء، وسورة القَصَصِ، منبهاً إلى أن سياق القرآن الأسلوبىّ فى هذا الصدد يؤكد نوعاً من الإعجاز

الأَدائىّ لم يستطع العرب أن يحاكوهُ فى أيام النبى ﷺ ولا بعده، ذلك أنك (تتلو بعض سوره فإذا أنت مضطر فى تلاوتها إلى الأناة والتمهل، لأنها فصّلت فى ريّث ومَهَل لأداء معان تحتاج إلى البسط والريْث، كالتشريع مثلاً، ووصف ما كان يثار بين المسلمين والمشركين من الحروب والمواقع، وتتلو بعض سوره الأخرى فإذا أنت مضطر إلى شىء من السَّرَعِ لأنها تؤدى معانى يحتاج أداؤها إلى القوة والعنف، قد فصّلت آياتها قصاراً ملتئمة الفواصل، تقرؤها فكأنك تنحدر من عل، وذلك حين يخوّف الله عباده ويشتد فى تخويفهم، فيأخذهم من جميع أقطارهم، ويقطع عليهم طريق الجدال والحجاج)(١).

فإذا كانت هذه خاصية عامة فى الأداء القرآنى المعجز، فإنها تتألق بشكل خاص فى الأداء القصصى فى القرآن الكريم، مما يؤكد تواؤم (السياق) مع طبيعة (المضمون) الذى يحمله آناً، وتواؤم (السياق) مع طبيعة (المناخ النفسىّ) الذى يتوجّه إليه آناً آخر، دون أن يفقد جدل السياق والمضمون والمناخ أى مستوى من روعة الأداء، وجمال القَصّ، وإعجاز التركيب...

يقول طه حسين:

(وربما يقص من أنباء الرسل فيمضى القصص فى هدوء ومهل، لأنه يتجه إلى إثارة التفكير والاعتبار والتروية فيما جرى على الأمم من قبل، والحذر من أن يجرى عليهم مثله. ثم يقصّ فى سورة أخرى نفس الأنباء فتقصر الآيات وتسرع، وتتسق الفواصل وتنسجم، وتتكرر عبارات بعينها فى آخر كل قصة، لأنه يتجه إلى الإرهاب والإثارة والإحاطة بالسامعين والقارئين وإعجالهم عن التفكر والتدبر، كأنما أخذتهم من كل مكان ريح عاصفة، لا يجدون منها مهرباً، ولا يرون لأنفسهم عنها منصرفا، فهى تصب عليهم العبر والعظات والمَثُلاَت صبا، أو كأنهم يمطرون من السماء صخوراً متتابعة فهم لا يملكون إلا أن يذعنوا لما يصبّ عليهم، لا يجدون من الوقت ولا من القوة ما يتيح لهم رجع الجواب أو الجدال فى بعض ما يصبّ عليهم، وإنما هى الآيات تتابع قصاراً أشد القصر، متسقة أروع الاتساق، والعبر القاصمة تستنبط منها فى سرع سريع أيضا، وهم لا يكادون يفرغون من قصة حتى تتبعها قصة أخرى، تأتى فى إثرها فى سرعة خاطفة، وقوّة مذهلة، واقرأ إن شئت سورتين كسورة الشعراء وسورة القصص، فستجد السرعة كل السرعة، والقوة كل القوة، فى السورة الأولى، وستجد الأناة والمهل فى السورة الثانية، ولكنك ستجد الروعة فى السورتين جميعاً، تروع أولاهما بما اختصت به من هذه السرعة، وتروع الأخرى بما امتازت به من الأناة، وذلك فى القرآن كثير)(٢).

فهنا يتواءم السياق مع المضامين المُتباينة رَيْثاً وتَسارُعاً، ويتواءم كذلك مع المناخات النفسية المتلقِّية ترغيباً وترهيباً، دون أن يفقد السياق القصصى أياً من عناصره المكوِّنة فى أى من مراحل التعامل مع شخوص القصة أو أحداثها على السواء.

(١) طه حسين، مرآة الإسلام صـ ٥٠.

(٢) المرجع السابق صـ ١٥٠، ١٥١.

ويتخطى طه حسين هذه الوضعية الفنية فى خصائص القصة القرآنية إلى وضعية فنية أخرى، لعلها أن تكون أقرب مما عداها إلى النزوع الفنى الخالص فى البناء القصصى بشكل مطلق، وفى البناء القصصى القرآنى بشكل خاص، وهى عَمْدُ القرآن الكريم إلى نوع من الإيجاز الذى يحذف من القصة كل ما يمكن أن يستحضره السامع والقارىء من أحداثها، لأنه طبيعى لازم لما تُلِىَ من القصة، ولعل الحكمة فى هذا الفعل القرآنى تكمن فى كون القرآن لا يتوجه بقصّ معين إلى حدث معين فحسب، وإنما يتوجه إلى كل الواقع التاريخى المشابه بهذا القص ليضيئه ويجسد مواطن العبرة فيه من خلال هذا التوجه المتعين، ثم فى كون القرآن يعمل على تحريك الطاقة الإنسانية المتلقية لتذهب فى معايشة الإيقاع القصصى إلى أبعد آماد التخيّل والاكتناه والاستقصاء.. يقول طه حسين – بعد أن يورد الآيات القرآنية المجسدة لقصة نوح مع قومه –:

(ينبغى أن نقف عند هذا الإيجاز الرائع المألوف كثيراً فى القرآن، والذى يقتضى أن يحذف من القصة كل ما يمكن أن يستحضره السامع والقارىء من أحداثها لأنه طبيعى لازم لما تلى من القصة، فهذا الماء قد غمر الأرض، ولقى الظالمون من قوم نوح ما لقو من الجهد، وحاولوا كل محاولة ممكنة لينقذوا أنفسهم من الغرق فلم ينفع جهدهم، ولم تغن عنهم محاولاتهم من الله شيئا، ذلك لأن الله إذا أراد بقوم سوءاً فلا مردّ له، ولا سبيل إلى اتقائه، ولكن القرآن هنا يهمل هذا كله، فلا يتحدث عن المغرقين، ولا عن جهودهم ومحاولاتهم، ولا عما لقوا من الألم فى أنفسهم، ولا عماً أحسوا من الندم لإعراضهم عن نوح ودعوته، لا يتحدث الله عن هذا، وإنما يستأنف الحديث عن السفينة)[٣].

ويقول طه حسين – بعد أن يردّد الآيات القرآنية المجسّدة لقصة نوح مع ابنه:

(كم من يوم ظل الماء غامراً للأرض؟ وكم من يوم جرت السفينة فى هذه الأمواج المتلاطمة قبل أن تستقر على الجودىّ؟ هذه أشياء لا يتحدث الله بها فى هذا الموضع من القصة، وإنما يتركها لفهم السامع والقارىء وتقديرهما، وفى هذا الإيجاز المعجز ما يصور هول القصة، وربما صور الهول بالإعراض عن وصفه تصويراً أروع وأشد من وصفه)[٤].

وإذن فالإيجاز اللاّمح المكثّف مقصود إليه فى القصّ القرآنى، وتعميم الدلالة من خلال تجهيل كثير من الشخوص وكثير من المكان والزمان مقصود إليه فى القصّ القرآنى، وتحريك الطاقات المتلقّية فى اتجاه تصور ما حدث ليكون حجم الاستجابة أعرض وأعمق وأرهف مقصود إليه فى القصّ القرآنى وقد استطاع طه حسين فى دراسته لهذا الجانب الحىّ من جوانب الإعجاز القرآنى أن يضىء لنا أبعاد هذه الظواهر، من خلال سياقات قصصية، أرسى بها القرآنُ الكريمُ أصولَ اتجاه خاص به فى هذا المجال.

(٣) المرجع السابق صـ ١٦٨، ١٦٩.

(٤) المرجع السابق صـ ١٦٩.

صلة الأرحام

لفضيلة الشيخ/ عبد المنصف محمود عبد الفتاح (*)

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1].

رحم الانسان: أقاربه، وهم أولى الناس بالرعاية، وأحقهم بالعناية، وأجدرهم بالشفقة والحماية، وصلتهم: إنما تكون بملاطفتهم، والدفاع عن أعراضهم، والذود عن حاجتهم، وتفريج همومهم، وكشف غمومهم، وقضاء حاجاتهم، إن كانوا محتاجين، ومد يد المساعدة والعون لهم، إن كانوا معوزين، وسداد ديونهم إن كانوا مدينين، وإطعامهم من جوع، وإيمانهم من خوف، وتوقير كبيرهم، والعطف على صغيرهم، وتهنئتهم، إذا لحقهم خير، ومواساتهم إذا أصابهم شر، والتودد إليهم بالزيارة والهدايا، جبرا لخاطرهم، وتطييبا لنفوسهم، وإطفاء لنار الحسد والبغضاء من صدورهم.. وبذل غاية الجهد فى كل ما يجلب محبتهم من الإلانة الجانب، وإظهار البشاشة عند اللقاء، ومبادأتهم بالسلام، ومخاطبتهم بلين الكلام، والإحسان إليهم وإن كانوا يجهلون.. وروى فى الصحيح: أن رجلا قال: «يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى. وأحسن إليهم، ويسيئون إلىّ، وأحلم عنهم ويجهلون علىَّ، فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ (يعنى الرماد الحار) ولايزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك».. وقال رجل لابنه فى بعض وصاياه: «يا بنى لا تقطع القريب، وإن أساء، فإن المرء لا يأكل لحمه وإن جاع».

(*) المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر.

(١) النساء «١».

فصلة الرحم: خلة من أجمل الخلال، وخصلة من أفضل الخصال، بها يزول التباغض والتحاسد، ويكثر التراحم والتواد، وبمراعاتها تستمال القلوب، وتغفر الذنوب، ولذا حث الشارع الحكيم عليها، وبالغ فى التمسك بها، حتى إننا لنجد الرسول ﷺ يرتب السعة فى الرزق، والبركة فى العمر، وحسن الذكرى فى العقب، على بر الأقارب فيقول: «من سره أن يبسط فى رزقه، وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه»(٢).

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «إن صلة الرحم محبة فى الأهل، مثراة فى المال،منسأة فى الأجل»(٣).. وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ مرفوعا : «صلة الرحم، وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان فى الأعمار»(٤)..

وجاء فى الأثر: «إن أعجل الطاعة ثوابا: صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون عصاة، فتنموا أموالهم، ويكثر عددهم، إذا وصلوا أرحامهم».

قال ابن القيم: ظاهر حديث البخارى: «من سره أن يبسط له فى رزقه».. معارض لقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(٥).

قال: والجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن الزيادة: كناية عن البركة فى العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة، وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك.. ومثل هذا ما جاء: «أن النبى ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة إلى أعمار من مضى من الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر.. خيرا من ألف شهر.. وحاصله: أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والعبادة، والصيانة من المعصية، فيبقى بعده: الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذى ينتفع به من بعده بتأليف ونحوه، والصدقة الجارية عليه، والذرية الصالحة.

وثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بقبض الأرواح، والذى فى الآية بالنسبة إلى علم الله ـ تبارك وتعالى ـ .

كأن يُقال للملك مثلا: إن عمر فلان مائة سنة، إن وصل رحمه، وإن قطعها: فستون، وقد سبق فى علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذى فى علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذى فى علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة أو النقص، وإليه الإشارة بقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(٦).

والمحو والإثبات بالنسبة إلى ما فى علم الملك، وما فى أم الكتاب، وأما الذى فى علم الله فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال **للأول**: القضاء المعلق.

---

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه الترمذى.

(٤) رواه الإمام أحمد.

(٥) الأعراف «٣٤».

(٦) الرعد «٣٩».

والوجه الأول: أليق، فإن الأثر ما يتبع الشئ، فإذا أخر: حسن أن يحمل على الذكر الحسن، بعد فقد المذكور، ورجحه الطيبى وأشار إليه فى: «الفائق» ويؤيده ما روى عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: «ذكر عند رسول الله ﷺ: «من وصل رحمه أنسئ له فى أجله»؟ فقال: إنه ليس زيادة فى عمره، قال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده»(٧).

وجزم ابن فورك: بأن المراد بزيادة العمر نفى الآفات عن صاحب البر فى فهمه وعقله» وقال غيره: «فى أعم من ذلك وفى عمله ورزقه»(٨).

ولابن القيم فى كتاب: «الداء والدواء»: «كلام يقضى بأن مدة حياة العبد وعمره هى: مهما كان قلبه مقبلا على الله، ذاكراً له، مطيعا غير عاص، فهذه هى عمره، ومتى أعرض القلب عن الله ـ تعالى ـ واشتغل بالمعاصى: ضاعت عليه أيام حياة عمره» فعلى هذا معنى: «أن ينسأ له فى أجله» أن يعمر الله قلبه بذكره وأوقاته بطاعته».

ثم إن صلة الرحم سبب فى إقبال الله ـ عز وجل ـ على الواصل: باللطف والإكرام، والرحمة والإنعام.. وقطيعتها سبب فى الحرمان من كل ذلك!!.

روى الأصبهانى قال: «كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ، فقال: لا يجالسنا اليوم قاطع رحم، فقام فتى من الحلقة فأتى خالته، قد كان بينهما بعض الشئ فاستغفرها، فاستغفرت له، ثم عاد إلى المجلس فقال النبى ﷺ: «إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم».

وروى فى الصحيح عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ تعالى ـ خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة!! قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك»(٩). ثم قال رسول الله ﷺ اقرءوا إن شئتم:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۝٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(١٠).

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ عز وجل ـ: «أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم «أى القرابة» وشققت له اسما من اسمى، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»(١١).. وقال رسول الله ﷺ: «الرحم متعلق بالعرش تقول: من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله»(١٢).. وقال ﷺ: «والذى بعثنى بالحق، لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة

---

(٧) رواه الطبرانى فى الصغير.

(٨) سبل السلام.

(٩) رواه البخارى ومسلم.

(١٠) محمد «٢٢ : ٢٤».

(١١) رواه أبوداود والترمذى.

(١٢) رواه البخارى ومسلم.

محتاجون إلى صدقته، ويصرفها إلى غيرهم، والذى نفسى بيده، لا ينظر الله إليه يوم القيامة »[١٣].

واختلف العلماء فى تحديد الرحم التى تجب صلتها:

فقيل: هى الرحم التى يحرم النكاح بينها، بحيث لو كان أحدهما ذكرا، حرم على الآخر، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام، ولا أولاد الأخوال، لجواز النكاح بابنة العم وابنة الخال، واحتج صاحب هذا القول بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها فى النكاح، لما يؤدى إليه من التقاطع.

وقيل: هو من كان مرتبطا بميراث، ويدل عليه قول النبى ﷺ: « برَّ أمك ثم أباك، وأختك ثم أخاك، ثم أدناك فأدناك ».

وقيل: هو من كان بينه وبين الآخر قرابة سواء أكان يرثه أم لا.

وصلة الرحم كما قال القاضى عياض: درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها: ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام، ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها: ما هو واجب، ومنها: ما هو مستحب، فلو وصل بعض الصلة، ولم يصل إلى غايتها، لم يسم قاطعا. ولو قصر عما يقدر عليه وينبغى له لم يسمَّ واصلا.

وها هو ذا سبحانه وتعالى يهدد الذين يقطعون أرحامهم بالوعيد الشديد، وهو الطرد من رحمته، والمصير إلى دار عقوبته، قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[١٤].

وقال جل شأنه:

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١٥].

وعن جبير بن مطعم ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة قاطع » يعنى: قاطع رحم[١٦].. وعن أبى بكر مرفوعا: « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما ادخره الله له فى الآخرة: من قطيعة الرحم[١٧].. وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « والذى بعثنى بالحق، لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم، وألان له فى الكلام، ورحم يتمه وضعفه، ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله، وقال: يا أمة محمد، والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صدقته، ويصرفها إلى غيرهم، والذى نفسى بيده: لا ينظر الله إليه يوم القيامة »[١٨].

واختلف العلماء أيضا بأى شئ تكون قطيعة الرحم؟

---

(١٣) رواه الطبرانى.

(١٤) الرعد «٢٥».

(١٥) البقرة «٢٧».

(١٦) متفق عليه.

(١٧) رواه أبوداود.

(١٨) رواه الطبرانى بسند رجاله ثقات.

فقال الزين العراقى: «تكون بالإساءة إلى الرحم» وقال غيره: «تكون بترك الإحسان، لأن الأحاديث آمرة بالصلة، ناهية عن القطيعة، فلا واسطة بينهما».

والصلة، نوع من الإحسان، كما فسرها بذلك غير واحد، والقطيعة، ضدها، وهى بترك الإحسان» عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»(١٩).

ومن لطيف ما يروى أنه جرت بين محمد بن الحنفية، وأخيه الحسن بن على ـ رضى الله عنهم ـ أجمعين جفوة، فانصرفا متغاضبين، فلما وصل محمد إلى بيته أخذ ورقة وكتب فيها «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن على بن أبى طالب: إلى أخيه الحسن بن على بن أبى طالب: أما بعد:

فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلاً لا أدركه، فإذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداءك ونعليك، وسرْ إلى فترضنى، وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام.

فلما قرأ الحسن الرقعة: لبس رداءه ونعليه ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه»

وفى رواية أخرى: ما يفيد بأنه وقع بين محمد بن الحنفية وأخيه الحسن بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ جفوة.

فكتب محمد إلى أخيه الحسن يقول: أما بعد: فإن أبى وأباك على بن أبى طالب لا تفضلنى فيه ولا أفضلك، وإن أمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وأمى امرأة من بنى حنيفة، فوالله لو أن ملء الأرض من مثل أمى: ما عدلن أمك، فإذا بلغك كتابى هذا فاحضر إلى لتترضانى فإنك أحق بالفضل منى.. فما أن بلغ الكتاب: إلى الحسن، حتى بادر إلى أخيه وترضاه..».

ولعل ترغيب الشارع الحكيم: فى صلة الرحم، وتشديده فى أمرها وتحذيره من قطعها، حتى جعلها من أكبر الكبائر: إن أقارب الإنسان أشد نصرة له بعد الأبوين، وأعظمهم محبة له، وأكثرهم رغبة فى الخير له.. بهم يشتد ساعده، وتقوى شوكته، ويعظم جاهه، ويرتفع ذكره، ولا عجب فهم أكثر الناس به اختلاطا، فإذا قصعهم: تكدر صفوه، وتنغص عيشه، وتحير لبه، وكثر همه، وعظم شره، وقل خيره.. وهذا كله: يحتم على الإنسان: لا أن يصلهم، وأن يعمد إلى إيصال الخير إليهم، فهم أولى بالبر من غيرهم.

ألم يجعل الله الأمر بصلتهم عقب الأمر بتقواه:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾(٢٠).

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٩) رواه البخارى ومسلم.

(٢٠) الأنفال «٧٥».

الإسلام
دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية

المستشار/ محمد عزت الطهطاوى

عندما أشرقت دعوة الإسلام على الدنيا ونادى الرسول ﷺ بعقيدة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كان ذلك إعلاناً منه بأن هذا الدين هو دين الإنسانية عامة لا دين أمة خاصة، وكان مما شرطه الله على الداخل فيه وجوب الإيمان بجميع الرسل الذين سبق إرسالهم إلى الأمم الماضية، وبجميع الكتب المنزلة إجمالاً قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾(١).

لذلك كان الكفر بواحد من أولئك الرسل أو بكتاب من تلك الكتب لا يجعل ذلك المرء من زمرة المسلمين قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(٢).

فالإسلام فى دعوته يدعو إلى الإيمان بعقيدة تحترم الإنسانية كلها وعدم التفرق فيها تحقيقا للوحدة الدينية التى هى أساس كل خير يرجى للجماعات البشرية، لذلك كان عند ظهوره أكبر تطور حدث فى العالم يمكن تسجيله للعقلية الدينية، وهو ما لايمكن حدوثه من عقل بشرى بدون إرشاد سماوى.

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥.

(٢) سورة النساء الآيتان: ١٥٠/١٥١.

أمــة الإســلام أمــة عالميــة

لم يكتف الإسلام بتوحيد الدين من الوجهة النظرية ولكنه عمل على تحقيق هذا التطور العظيم بتأليف أمة عالمية غير قومية كان فيها لذوى الألوان المختلفة واللغات المتباينة والأجناس المتباعدة حقوق واحدة تحت اسم جامع مشترك تفنى فيه جميع الأسماء الخاصة، هذا الاسم هو (أمة الإسلام) قال تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٣)

وقال :

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾(٤) .

الأصــول التــى قــررها الإســلام لتحقيــق هــذا التطــور العالمــى

أولها : الامتناع عن التقليد خصوصا فيما يتعلق بالعقيدة الدينية .

ثانيها : وجوب الرجوع إلى العقل فى الأخذ بالعقيدة الدينية المشار إليها .

ثالثها : طلب الدليل على كل ما يتطلب التصديق به .

رابعها : الاستماع إلى كل قول واتباع أحسنه .

خامسها : تصيُّد الحكمة من مظانها .

سادسها : طلب العلم وبذل كل جهد للوصول إلى لبابه .

سابعها : النظر في خلق السماوات والأرض وفى جميع ما يقع تحت سلطان البصر والتأمل فيها وهو كتاب الله المنظور .

ثامنها : السياحة فى الأرض لدراسة أحوال الأمم ومعرفة علل تقدمها وتأخرها أو سبب هلاكها وبقائها .

تاسعها : عدم الاعتداد بالعقائد الموروثة ومحاكمتها إلى العلم والعقل وتطلب الدليل عليها .

عاشرها : استشعار المسئولية الشخصية، والاعتقاد بأن الإنسان لا يغنى عنه أحد شيئا .

فهذه الأصول

لو أخذت بها الأمة لحدث فى عقليتها ونفسيتها ووجودها الاجتماعى تطور سريع لا يقف دون بلوغها أرفع مستوى تتوق إليه فى حياتها الأرضية

ولو أخذت بها الأمم قاطبة لتقاربت وتفاهمت وتعاطفت وانتهت إلى الوحدة التامة كما حدث لأمة الإسلام وهى مؤلفة من عشرات من القوميات، وكما يحدث لمن يقبل الإسلام ديناً له، إذ يجد نفسه كأنه من المسلمين جسداً وروحاً وينسى أنه من نبات بيئة أجنبية .

وهذا التطور لو حدث فسيكون فى مصلحة الإسلام لأنه كفل لنفسه هذه المكانة بما أحاط جوهره من العوامل التى تجعله الغاية التى ليس وراءها غاية أخرى(٥) .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٢.

(٤) سورة المؤمنون الآية ٥٢.

(٥) كتاب السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة تأليف العلامة الموسوعى الأستاذ محمد فريد وجدى. صفحة ١٠٦.

فهو يدعو إلى توحيد الله وتنزيهه

ويحـول دون الخـيـالات أن تتناوله على أية حـالة، تلك الخيـالات التى فرقت الأمم شيـعـاً وألبست الأوهام حُلَّةَ الدين.

كما يدعو الإسلام إلى الوحدة الاجتماعية والوحدة الدينية

لكنه لا يقيدها بأسلوب مقرر بل يترك لناموس الترقى الحرية فى تكييف جهـودها على مـا تستدعيه حالات الانتقال فى الأزمنة المختلفة.

والإسـلام يمنح العـقل سلطانه كله فى التفكير.

فلا يحمله إصراً إلا ما يزيد فى نضوجه من علم ونظر ولا يرى حرجا لمن فكر لكى يتثبت ويتحقق

وهو يطلق للميول الجسدية حريتها ولكن فى دائرة الاعتدال.

هذه الدائرة ترسمهـا الحكمة المستمدة من العلم الصحيح، لا من التحكم وإرادة التسخير.

والإسلام يأمر بالتوسع فى العلم والتبحر فيه.

وهو العلم الذى محصلته من الواقع المحسوس لا الذى يشطح فى الخيال وتمده الأوهام والظنون

كما يأمر بمراعاة الأحوال وتقدير الظروف.

ومـعـالجـة الأمـور بالحكمـة لا بـالخـرق، وبالتشاور لا بالاستبداد بالرأى.

ولا يحرم الإسـلام على أهله إلا الخبـائث ما ظهر منها وما بطن.

سواء أكانت في مأكل ومشرب أم فى قول وعمل، وفى نفس الوقت يحل لهم الطيبات لكن في حدود الاعتدال والتوسط بلا تقتير أو سرف.

ويحث على دوام الترقى.

وتطلب الأحسن من كل شيء، وتوخى الأمثل من كل رغبة.

ويحض على التخلق بأخلاق الله

وهو ما يرى فى آثار حكمته وعدله، ورحمته وإحسانه وتدبيره وإتقانه ظاهراً يبهر الأنظار فى كتاب الكون المبسوط للناس كافة(٦).

وبعـد:

فإن ديناً يكون قد أحاط بكل هذه العوامل جـديـر بأن يبـقى على الدهر، ويدوم دوام السمـاوات والأرض وإن التـوى علي أعـدائه والحـاقدين عليه، لكن إذا استعدت النفوس الهائمة إلى إيثار الوحدة الاجتماعية والوحدة الدينية وجدت الإسلام أمامها يدعوها إلى حظيرته فأقبلت عليه إقبال الهيم على المورد العذب فقبلته ديناً لها وإلى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(٧).

---

(٦) كتاب السيرة المحمدية المرجع السابق.

(٧) الآيتان ٨٣، ٨٤ من سورة آل عمران.

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقائـــــق

● لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة.

● قدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيرته.

● من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما لا يعلمون.

● نفس المرء خطاه إلى أجله.

● أوضع العلم ما وقف على اللسان، وأرفعه ما ظهر فى الجوارح والأركان.

أجهل من قومى قومك

قال معاوية يوما لرجل من أهل اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة!

فقال أجهل من قومى قومك الذين قالوا لما دعاهم الرسول ﷺ للإيمان:

﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١).

ولم يقولوا: «إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه».

(١) سورة الأنفال الآية: ٣٢.

حقـــــــا

وكل كـســـر فـــإن الله يجـــبــــره

ومـــا لكســـر قناة الدين جـــبـــران

ما ظنكـــم

تحسر بعض الحكماء عند موته، فقيل له: ما بك؟ فقال: ما ظنكم بمن يقطع سفرا طويلا بلا زاد، ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس، ويقدم على حكم عدل بلا حجة.

الأولـــى لنـــا

امتنع رجل عن غسل يده للطعام عند الحسن البصرى، فأمره بغسلها وقال له: الغسلة الأولى لنا، والثانية لك فإن شئت فدعها.

البخـــل والكـــرم

أنفق ولا تخش إقـلالا فـقـد قـسـمت

بين الـعـبـــاد من الآجـــال أرزاق

لا ينفع البـــخـل مع دنيـــا مـــوليـــة

ولا يـضـــر مع الإقـــبـــال إنـفـــاق

كيـــف أصـــبحت؟

قيل لأحد العلماء الأئمة - رضى الله عنهم - : كيف أصبحت؟

قال: أصبحت تطلبنى ثمانية: الله تبارك وتعالى - بالفروض، ورسوله ﷺ بالسنة، والدهر بصروفه، والعيال بقوتهم، والحفظة بما ينطق لسانى، والشيطان بالمعاصى، والنفس بالشهوات، وملك الموت بقبض روحى.

كنايـــة.. وتعريـــض

مرض زياد فدخل عليه شريح القاضى يعوده، فلما خرج بعث إليه مسروق بن الأجدع يسأله: كيف تركت الأمير؟

قال: تركته يأمر وينهى.

فقال مسروق: إن شريحا صاحب تعريض فاسألوه، فسألوه، قال: تركته يأمر بالوصية، وينهى عن البكاء.

دعـــاء

اللهم إن مغفرتك أرجى من عملى، وإن رحمتك أوسع من ذنبى، اللهم إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك، فرحمتك أهل أن تبلغنى لأنها وسعت كل شىء يا أرحم الراحمين.

واقعة حال

للشاعر
أحمد مصطفى حافظ

فى ساعة مبكره
والليل ينضو مئزره
بفجر يوم حافل
كم هزنى.. ما أضمره
مضت بنا سيارةٌ
تقلنا.. مستبشره
يقودها محنكٌ
ما أعوزته المقدره
والأهل فى انتظارنا
برحلة مقرره
ونحن فى براءة
قد أمتعتنا الثرثره
وفجأة.. ياتعسنا
إذا بنا.. بمجزره!
سالت بها دماؤنا
غزيرةً.. مبعثره
فقد دهتنا بغتةً
سيارة.. مزمجره
من خلفنا.. كأنها
لحتفنا.. مسيره
ليست تبالى إن غدت
تسوقنا.. لمقبره!
وزلزلت أعصابنا
بصدمة مدمره
ثم ارتطمنا.. عقبها
بجزع أخرى.. مدبره

فكانتا.. شقى رحى
قد أطبقا.. كمعصره
شجت بها رأسى وكفى جرحها ما أغوره
وطاف بى فى لحظة
رهيبة.. مؤثرة
أطياف من أهوى وما
يشيننى أن أذكره
جبلة الإنسان أن
يخشى الردى ويحذره
والموت باب كلنا
لابد أن.. أن يعبره
والعمر مهما طال عند النزع ما.. ما أقصره
صحيفتى.. كأنها
من كل خير.. مقفره!
هل ياترى.. تندمى
يرد هول الغرغره؟
يانفس بالله اهدئى
ولتخبتى.. مستغفره
هذا بلاء محدق
أم عبرة وتذكره؟
تزجى لمن لايرعوى
بالبطش.. بعد التبصره!
.. تعد عندى منحة
لا محنة مكدره
عزاؤنا: يقيننا
بأنها.. مقدره

المعادلة الصعبة

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

هداية الله لبعض خلقه فضل عظيم ينبغى أن يشكر ولا يكفر، ونعمة جليلة تستوجب الحمد والثناء، كما أن ضلال الكثيرين عن طريق الله وانحرافهم عن سبيل الحق هو عدل محض اقتضته طباعهم المختلفة وأعمالهم السيئة التى يزكيها استعداد للجنوح وعدم إيمان بعالم الروح. وربما كان للفريق الثانى العذر لو لم ينزل الله الكتب ويبعث الرسل استناداً للقاعدة القانونية التى تقول: «إنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص» لكن تلك الحجة مدحوضه بعد أن اصطفى الله من عباده أنقاهم فطراً وأصفاهم نفساً وأكرمهم سجايا وختمهم بمن تسنم القمة العلياء فى الخلق الرفيع سيدنا محمد ﷺ عبد الله ورسوله، أزكى البرية أجمعين وحبيب رب العالمين صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين شموس الهدى لكل من تطلع إلى معالى الأمور ورام الحقيقة فى أزهى صورها.

وعنوان سعادة المرء ودليل توفيقه هو امتثاله أوامر ربه واجتنابه نواهيه واستقامته على شرع الله ودينه يزداد بذلك استمساكاً وتشبثاً كلما أوغل فى بحر الحياة الذى لا تزداد أمواجه إلا ارتفاعاً ولا لجه إلا علواً وفى ذلك اختبار وتمحيص لمهارة الملاح المؤمن وبراعته فى الوصول بسفينته إلى بر الأمان وشط النجاة وهو يستعين فى سبيل تحقيق ذلك بطاقة روحية فذة لا يملكها إلا هو، ولا تستمد إلا من داخله، مبعثها إقباله على الله بنية صادقة وعبودية لله خالصة، ركيزتها وجوهرها أن لا تشغله الحياة الدينا وما فيها من زخرف الآمال الخادعة وزينة السراب الواهى عن الاستعداد للحياة الباقية والتزود للدار الآخرة، تلك ببساطة المعادلة الصعبة التى أنيطت بعباد الله المخلصين حين أكد الله على خاصية من خصائص الرجولة التى يغفل عنها الماديون ويحصرونها فى معنىً ضيق يذرى بمكانة الإنسان ويحط من منزلته ويهوى به إلى مستوى الحيوان الذى لاهم له سوى إشباع غريزته وإطفاء أوامرها ولو فهم لأدرك أنه يزيدها سعاراً وتأججاً أما المعنى الحقيقى للرجولة

فقد بينه سبحانه فى قوله:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾(١).

فهو كما ترى وصف دقيق للمساجد بأنها مصانع الرجال يتربون فيها على القيم ويحرصون على المبادئ التى أهمها أنه على الرغم من اشتغالهم بالبيع والشراء ـ وهو أمر جوهرى لحياتهم ـ إلا أن ذلك لم يمنعهم من استحضار عظمة الله استحضاراً على تقواه وعبادته فالمؤمن ليس مجرد تاجر يبيع ويشترى فيخسر ويربح إنما هو يوظف كل ذلك لتحقيق غرض لا يحيد عنه فهو يغتنم أيام ولحظات الدهر فى الأعمال الصالحة التى تعود بالنفع عليه وعلى غيره يبتغى فيما آتاه الله وجه ربه والدار الآخرة، لعلمه أن تلك الحياة ما هى إلا وسيلة للفوز بالحياة الدائمة والظفر بالسعادة الحقيقية فالحياة ليست كما يصورها الفارغون أعمالاً شاقة مؤبدة نهايتها الإعدام وإنما الموت أولى مراحل الآخرة، وخروج الإنسان من الدنيا أشبه ما يكون بخروجه من رحم أمه إلى دنيا الناس مع فارق أساسى هو أنه فى بطن أمه لم يكن يعمل أو يكسب، بينما هو فى الدنيا يكد ويكدح أما فى الاخرة فلا عمل، لأنها دار جزاء وثواب والدنيا عرض زائل، وظل آفل يأكل منها البر والفاجر، وأنه مهما طال فيها العمر وانفسح فيها للمرء الأجل فسرعان ما تبلى وتزوى، وعما قليل تفنى وتنقضى ولقد رسمت آيات الكتاب المبين صوراً للدنيا اتخذت مما يشاهده المرء صباحاً ومساء محوراً وهى صور بسيطة لا تعقيد فيها يفهمها كل من رآها قال تعالى:

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾(٢).

فهى كالسوق عقدت وانفضت خسر فيها من خسر وربح فيها من وعى، فمن منا لم ير المطر يهطل من السحاب فينزل على الأرض ينبت ما فيها من زرع تراه الأعين فتسر بمنظره وتمسه الأيدى فتنساب نعومته فى كل خلايا الجسم ثم يأخذ ذلك النبات شيئاً فشيئاً كالطفل يكبر طوراً فطوراً ثم ينضج حتى يصل إلى مرحلة تسبى الأنظار وتأخذ بالألبات لدرجة يتمنى المرء معها لو أن الزمان توقف عند تلك الفترة المترعة بالرغد، المفعمة بالجمال والسحر والفتنة، لكن سرعان ما يذوى ويشيخ ثم يكون حطاماً، ثم يصبح أثراً بعد عين، فهكذا الدنيا فى عين المؤمن بل فى عين كل منصف أحسن استخدام عقله، وهى صورة لا تحتاج إلى شرح وإسهاب كما ترى وضحتها كلمات المعصوم ـ ﷺ ـ فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله

(١) سورة النور الآيتان: (٣٦، ٣٧).

(٢) الحديد (٢٠).

ﷺ قال: «أن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النار»(٣).

فنحن هنا إذن لمهمة ولم نخلق عبثاً إنما خطواتنا معدودة وأنفاسنا محسوبة، كل لحظة تمر تبعدنا عن الدنيا وتقربنا من الآخرة والدنيا بكل ما حوت يحكمها قانون إلهى أوضحه الحديث الشريف عن سهل بن سعد الساعدى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»(٤) وهى حقيقة عز على الملحدين إدراكها وتصور صعب على ذوى الخواء الروحى الإلمام به؛ لأن عقولهم صورت لهم أنه ليس من الإمكان أبدع مما كان وواقع الأمر أن الله أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولو تفتحت بصائر أولئك الغاوين وزالت عنها حجب المادة الكثيفة، لأدركوا هوان الدنيا التى صورها الرسول أبدع تصوير فى مشهد عادى جداً يمكن أن يمر به أى إنسان ولا يعيره أدنى اهتمام، وذلك حين مر ﷺ هو وصحبه على هذا المنظر عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: مر النبى - ﷺ - بشاة ميتة قد ألقاها أهلها فقال: «والذى نفسى بيده لَلدُنيا أهون على الله من هذه على أهلها»(٥) وهو قسم يصك كل أذن صمت عن سماع الحق ويبهر كل نفس تقاعست عن الانصياع للهدى لو أفاق الغافلون وصحى النائمون.

ومع هذا البيان الواضح والتحوير العميق للحياة الدنيا ترى الكثيرين يتعامون عن حقيقتها ويتغافلون عن الانقياد لأمر الله، والسبب هو ان الوهم لديهم لبس ثوب الأمل الخادع الذى صوره القرآن الكريم حين قال:

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٦)

وران على قلوبهم سوء العمل وأصبحت الدنيا لديهم هى الوجه الوحيد للحياة ولو أنصفوا أنفسهم لرأوا أن الآخرة هى الوجه الآخر والأجمل للحياة، إذ قل لى بربك كيف يُنصف المظلوم المهضوم فى الدنيا إن لم تكن هناك آخرة، فالحياة الأخرى إذن ضرورة يقتضيها العقل السليم ويحتمها الفكر السوى، وليست نوعا من الفكر الترفى أو الترف الفكرى كما يزعمون. أما أن تستولى الدنيا على قلب المرء فتنسيه ذكر ربه ومن ثم نفسه وجوهره فيصير خاويا فارغا لاهدف له ولاقضية فهذا هو الفناء بعينه، وتأمل معى ذلك المثل الرائع الذى ضربه ﷺ لمن انهمك فى الدنيا وأهمل الآخرة وانكب على الشهوات يعب منها عباً فلا يزداد إلا ظمأ وسغباً، إنه مثل مستمد من البيئة التى كان يعيش فيها الأعرابى فهو يعيش فى الصحراء يرعى الغنم ويأكل لحومها ويشرب ألبانها ويكتسى ويستدفئ بأصوافها وأوبارها وأشعارها، هى مصدر

---

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه.

(٤) أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن.

(٥) أخرجه أحمد.

(٦) الحجر (٣).

حياته ولاريب وأى مساس بها خطر محدق يؤذن بزوال حياته ونهايتها، فهو إذن يبذل كل مافى وسعه للحفاظ عليها قال ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»(٧). فأنت هنا أمام غنم هى رأس مال صاحبها وعماد حياته، تعيش فى أمان واطمئنان، تأكل الكلاء وتشرب الماء وفجأة يدهمها ويهجم عليها ذئبان ليشجع أحدهما الآخر وليس ذئبان عاديان لكنهما جائعان فيأتيان على الغنم ويبيدانها عن آخرها، هذه الصورة الواضحة أشد فظاعة منها وأكثر شرا وأخطر: حرص المرء واستسلامه لمظاهر الدنيا من شرف وجاه ومال وسلطان، الأمر الذى يفقد بسببه دينه وآخرته، إذ كيف به يحرص على الماديات وينسى المعنويات والروحانيات؟! إنها حماقة ما بعدها حماقة، ولم لا وحب الدنيا رأس كل خطيئة، الحب الذى يبعد بصاحبه عن الجادة وقال بعض السلف: «من أحب الدرهم والدينار فليتهيىء للذل» وقد كان التابعون حريصين على إبراز هذا المنحى والتأكيد عليه فحين نظر الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ إلى بعض أهل زمانه ورأى تكالبهم على الدنيا وغفلتهم عن الآخرة تساءل مستنكرا: «أيؤمنون بيوم الحساب هؤلاء» ثم أجاب منددا: «كلا. كذبوا ومالك يوم الدين» إنها إدانة لمن خلى الفضيلة جانبا وجرى وراء المادة سابحا، فأنت لاترى إلا أناسا لاهم لهم غير جمع الأموال وتضخيم الثروات وتكديس الممتلكات وزيادة الأرصدة فى البنوك، وهم فى سبيل ذلك يسلكون مسالك مشبوهة وسبلا محرمة والغريب أنه يقرع مسمع الكثيرين منهم آناء الليل وأطراف النهار تحذير رسول الله ﷺ من أكل الحرام حين يقول: «والذى نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما وأى عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به»(٨). فقد جمع ذلك المخالف إلى جانب الحرام أمورا ترتبت عليه منها أن يضيع عمله سدى، إذ لا يتقبل وأنه يلقى بنفسه طائعا مختارا فى جهنم ويصبح طعاما للنار! وقانا الله وإياكم، وهكذا تلتف حوله حلقات الهلاك واحدة تلو الأخرى، فالحرام ساقه لحب الدنيا التى انصاعت لها نفسه الأمارة بالسوء المنقادة للهوى، وكلها مضار. ألقت به إليها أمورا كشرب المسكرات وتعاطى المخدرات واقتراف الفواحش وارتكاب المنكرات التى ساعده عليها سموات مفتوحة غصت بواقع الإعلام المعاصر وما تبثه وسائل الاتصال والكثير من القنوات الفضائحية من تسويغ للباطل وتزيين للشهوات وإهدار للقيم، وكلها أمور لا ينبغى السكوت عليها خصوصا مع النشء الصغير المستهدف، إن كل ما يحدث نتيجة طبيعية للامبالاة يبينها

(٧) أخرجه الترمذى.

(٨) أخرجه الطبرانى.

قوله ـ عز وجل ـ:

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾(٩).

فهل هناك أغلى من الصلاة وأرخص من الملذات ومع هذا ارتكس المسئ فى حمأتها!

وبعد: فمنظومة القيم والفضائل كحبات العقد الثمين النفيس، إذا انفرطت حبة انفرط العقد كله وتداعى البناء فتحكم الأعداء وانقلب الميزان فاستحوذوا على كثير من خيرات الأمة وسلبوا أجزاء من أرضها وميعوا كثيرا من أحوالها وساموا بعض الشعوب المسلمة سوء العذاب وليست فلسطين إلا حلقة من حلقات ذلك المسلسل المرير ولقد أنذر رسول الله ﷺ وحذر أمته من أن تقبل على الدنيا وتخلد إليها وتدع الجهاد فقال: «إذاتبايعتم بالعينة وأكلتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم»(١٠).

وقال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها» قلنا: يا رسول الله: أمن قلة بنا يومئذ قال: «أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن» قلنا: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»(١١) إنها الدعوة إذن إلى الكيف وليس الكم والحرص على النوعية وليس العدد فالإسلام يريد رجالا يحرصون على الموت لتوهب لهم الحياة، فهؤلاء الأفذاذ الذين تعمر بهم الحياة وتكتسب معناها ولم يخافوا الموت والأجل مقدر وقد وعدوا بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة ولم تزغ أفئدتهم والميزان واضح وضوح الشمس فى قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾(١٢).

ولم الحرص على الدنيا وأمامنا فى كتاب ربنا ما حل بالماضين من كوارث استئصلت شأفتهم لما عصوا ربهم؟! ثم ألا نتعظ بمن يرحلون عن الدنيا من أفراد وجماعات وآباء وأمهات وأبناء وبنات وملوك ومماليك وأغنياء وصعاليك ومؤمنون وكفار وأبرار وفجار يودعون القبور وينتظرون يوم البعث والنشور؟! ولو أننا عادينا الشيطان لحققنا المعادلة الصعبة وزال من حياتنا كل الأعداء والأعباء والحمد لله أنه من رحمته بنا لم يحرمنا من وسائل الأمان حيث قال:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾(١٣).

فإنهم وهم تحصى ذنوبهم يكتب النصر لمن نصر الله منهم واتقاه.

(٩) مريم (٥٩).

(١٠) أخرجه أبو داود.

(١١) أخرجه أحمد وأبو داود.

(١٢) النازعات (٣٧ : ٤١).

(١٣) الأنفال (٣٣).

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس

المنع من الزواج

● سؤال من السيد / على محمد البصير من دولة قطر الشقيقة يقول فيه :

ماحكم الشرع فيمن منع بناته أو أخواته من الزواج مع العلم بأن البنات بلغن السن القانونية للزواج ؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

فنفيد بأن الزواج سبب رئيسى فى بقاء النوع الإنسانى وعمار الكون لذلك نرى القرآن الكريم والسنة النبوية أمرتنا به وحثتنا عليه فقال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١) .

وقوله ﷺ : « الزواج من سنتى ومن رغب عن سنتى فليس منى » وقوله أيضاً : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » فإذا بلغت المرأة سواء كانت بنتاً أو أختاً سن النكاح، وجاءها رجل كفء لها ديناً وخلقاً ومالاً، وجب على وليها أن يزوجها، منعاً للفتنة فى دينها وخلقها وشرفها،

(١) سورة الروم آية (٢١).

هذه الفتنة التي تؤثر عليها في حياتها وتمس كرامة أسرتها، وتعرضها للقيل والقال.

وغريزة الأمومة في المرأة غريزة طبيعية وفطرية، وكذلك الغريزة الجنسية من أعنف الغرائز، وهي كذلك غريزة فطرية للرجال والنساء.

فإن لم يفعل ولي أمر المرأة ومنع زواجها. وخشيت على نفسها الفتنة. فقد أجاز الأحناف للمرأة البالغة الرشيدة أن تزوج نفسها بدون إذن وليها والله أعلم.

العدل بين الزوجات

● **سؤال من السيد / نصر علي مصطفى يقول فيه:**

لي زوجتان أنجبت من الأولى ولدين، والثانية لم تنجب، والزوجة الأولى تقول من حقي ليلة في المبيت، وللأولاد ليلة ثانية وللزوجة الثانية ليلة واحدة فهل هذا صحيح شرعاً أم لا؟

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنفيد بأن الدين الاسلامي والشرع الحكيم شدد على العدل بين الزوجات ولم يبح التعدد إلا بالعدل بين الزوجات فقال سبحانه وتعالى:

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾(٢).

على ذلك فإن الدين الاسلامي يطلب من معتنقه أن يكون ذا ضمير حي، تحفظ به الحرمات، وتصان به الحقوق والواجبات والعدل في كل شئ أساس الملك ورأس الفضائل. وتاج المكارم، سبب الخيرات، ومصدر البركات.

والعدل بين الزوجات أمر واجب، أمر به الكتاب والسنة. والعدل المطلوب بين الزوجات يكون في النفقة والكسوة والمبيت. بحيث لايفضل في ذلك واحدة على أخرى. ويذرها كالمعلقة لا هي متزوجة ولا هي مطلقة.

وأما المسألة محل السؤال. فنقول للسائل: ماتقوله زوجتك الأولى بأن لها ليلتين هي وأولادها وللزوجة الثانية ليلة واحدة. أمر لا يجوز شرعاً. ويعرضك لغضب الله. إلا إذا وافقت عليه الزوجة الثانية برضاها؛ وإنجاب الأولى وعدم وجود أولاد للزوجة الثانية لا دخل له في التقسيم. وليس للأولاد في القسمة الشرعية، وماتقترحه الزوجة الأولى من وساوس الشيطان فاتق الله واعدل بينهما ولا تطعها والله أعلم.

الغش والتعدد في الزواج

● **سؤال من السيد / أ.ج.ح يقول فيه:**

تقدمت لخطبة فتاة وقدمت شبكة بمبلغ ٢٠٥٠ جنيها وبعد ذلك اكتشفت أن

---

(٢) سورة النساء آية (٣).

رائحة فمها لا تطاق فعرضتها على الأطباء وأجروا لها كشف منظار فكشف عن مرضها وهو التهاب في المعدة وضعف فى المرئ مما يسبب ارتجاعًا فيحدث رائحة كريهة فى الفم تتعبنى وتألمنى صحياً ونفسياً ومادياً، ولم يصارحنى بهذا المرض والدها أو والدتها أو أخوتها أو أى أحد من طرفها وأنا لا أستطيع تحمل نفقات هذا المرض ولا أتحمل الاستمرار مع هذا المرض والعيب فهل يصح لى استرداد شبكتى من عدمه؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنفيد بأن الإسلام دائماً يحارب الغش وينهى عنه وخاصة فى أمر الزواج، ولذلك حث على التكافل، والتكافؤ فى الأدب والخلق والوضع الاجتماعى، والنواحى الصحية، التى تنادى بتأسيس بيت يقوم على قواعد سليمة، ينتج عن ذلك ذرية صالحة سليمة خالية من الأمراض.

هذا ولما كان السائل، قد تقدم لخطبة الفتاة المذكورة وتبين له بعد أن ألبسها الشبكة، رائحة فمها الكريهة التى تجعل الزوج فى صورة رفض وإعراض عنها حيث لا يطيق هذه الرائحة وبالبحث والتحرى والتحليل وعرضها على الأطباء وجد بها عيوب فى المعدة. وحاول علاجها ولكن دون جدوى، وثبت له أن فى هذا الأمر نوع من الغش والتغرير.

وعليه فإن يحق له أن يسترد شبكته التى قدمها حيث إن القاعدة الفقهية تقول: «لا ضرر ولا ضرار» والله أعلم.

بناء القبر

● سؤال من السيد / فتحى زهران

يقول بعض الناس: إن بناء القبر بالطوب الأحمر تشاؤم بدخول من دفن فيه النار، فهل هذا صحيح؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنفيد بأن دخول الجنة والنار رهن بالإيمان والعمل ومشيئة الله ـ تعالى ـ وليس للقبر من حيث مادة بنائه دخل فى هذا الموضوع، ومع ذلك استحسن العلماء ألا يكون فيه شئ دخل النار كالآجر وهو الطوب المحروق، جاء فى تفسير القرطبى جـ١٠ ص٣٨١ قوله: ويكره الآجر فى اللحد، وقال الشافعى: لا بأس به لأنه نوع من الحجر، وكرهه أبو حنيفة وأصحابه لأن الطوب الأحمر لإحكام البناء، والقبر ومافيه للبلى، فلا يليق به الإحكام، وقد حرم ابن حزم تجصيص المقابر أو بناءها بالطوب الأحمر المحرق بالنار.

هذا إذا لم تكن الأرض رخوة أو نديَّة فإن كانت كذلك فلا حرمة ولا كراهة والله أعلم.

الرضـــــاع

● سؤال من السيد / عثمان محمد اللبودى يقول فيه :

شاب يريد الزواج من فتاة هو لم يرضع من أمها ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى آخر ، ولكن لهما أخوة رضعوا فما الحكم ؟

●● الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد .

فنفيد بأن التحريم بالرضاعة كالتحريم بالنسب يقول الله – تعالى – فى سورة النساء، حينما ذكر المحارم قال :

﴿ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ ﴾(٣) .

ويقول الرسول ﷺ فى الحديث الصحيح : (يحرم من الرضاع مايحرم من النسب) .

أما موضوع السؤال الذى معنا فمادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب، ولم يجتمعا على ثدى آخر فيجوز لهما الزواج، ولا عبرة أن لهما أخوة رضعوا فالحرمة تقع على من رضع فقط، والله ـ تعالى ـ أعلم .

طلقة غير المدخول بها

● سؤال من السيد / محمود خطاب إبراهيم يقول فيه :

ماحكم الشرع فى رجل عقد قرانه على فتاة، ثم طلقها قبل الدخول والخلوة بها بقوله لها : أنت طالق ويريد أن يدخل بها فما الحكم ؟

●● الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد :

فنفيد بأنه بقوله لها – أى لزوجته – التى عقد عليها ولم يدخل بها : « أنت طالق » قبل الدخول والخلوة بها يقع به طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لا تحل له إلا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ويحسب عليه هذا الطلاق وتبقى معه على طلقتين، أى أنه لا يجوز الدخول بها إلا إذا عقد عليها عقداً جديداً والعقد يكون شفاهة أمام الفتاة ووليها وشاهدين ويعطيها مهراً أى مبلغ من المال والله ـ تعالى ـ أعلم .

---

(٣) سورة النساء آية (٢٣).

خطبة الجمعة :

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

الحمد لله ـ عز وجل ـ هو مؤيد المخلصين الشرفاء وخاذل المجرمين الأخساء

﴿ فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١) **وأشهد أن لا إله إلا الله، هو القاهر لأعدائه، الناصر لأوليائه**

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) **وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، خيرة المؤمنين وإمام المجاهدين**

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(٣) **فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه:**

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٤).

(١) يوسف (١١٠). (٢) الروم (٤٧). (٣) المجادلة (٢١). (٤) العنكبوت (٦٩).

- يا أتباع محمد ﷺ

هكذا شاءت عناية الأقدار، واختارت إرادة الله القوى القهار، أن يسلك بنا طريق الجهاد والنضال، وأن يفتح أمامنا السبيل إلى غسل العار وتحقيق الانتصار ونيل الفخار، فى أرض فلسطين، تراث العرب والمسلمين وأولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى النبى الأمين، ومجتمع الأنبياء والمرسلين، ليؤمهم محمد رحمة الله للعالمين، قبل أن يعرج مع الروح الأمين للقاء الله العزيز الحكيم. وإذا كانت هناك قضايا تعنينا وتهمنا فى شرق الأرض أو غربها، فإن أهم قضية فيها هى قضية فلسطين، لأنها منذ حين محتلة بالسرطان الصهيونى الخبيث، ملوثة بنكبة الاحتلال من عبدة الطاغوت وسلالة القردة والخنازير، وفيها عدو محاور ملاصق هو ألد الأعداء فى هذا الوجود، وقد نزل على قلب الوطن العزيز فلسطين نزول الوباء المهلك، واتخذه طواغيت الاستعمار والبغى مطية لمكائدهم ومؤامراتهم، والله جل جلاله قد رتب لنا مراحل النضال والكفاح، فأمرنا أن نبدأ بأقرب الأعداء منا، لأنهم أخطرهم علينا، فيقول سبحانه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾(٥).

ويقول أيضاً:

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾(٦)

أى فجعل تأديبهم وقهرهم عظة وعبرة للأعداء الواقفين خلفهم أو البعيدين عنكم، ويقول جل جلاله:

﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾(٧).

أى يواجهونكم بالعدوان والخطر، وهذا ينطبق تماماً على الخونة الغادرين من عصابات صهيون التى فعلت بنا الأفاعيل سنة ثمان وأربعين:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(٨).

ومن فضل الله الكبير علينا أن شعلة الجهاد المقدسة قد توقدت فى نفوسنا وتلهبت فى صدورنا، ونحن فى قوة من سلاحنا وعتادنا وإحكام فى خططنا واستعدادنا، وتجاوب فى شعوبنا وبلادنا، ونحن الآن أصلح ما نكون لخوض معركة الثأر والكرامة والشرف، لا نبالى تهديد المهددين، ولا وعيد المتوعدين، ولا باطل المعتدين، وكأننا

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(٩).

---

(٥) التوبة (١٢٣).
(٦) الأنفال (٥٧).
(٧) البقرة (١٩٠).
(٨) مريم (٦٤).
(٩) آل عمران (١٧٣).

بل كأن الله ـ عز شأنه ـ قد هيأ من الظروف ما لم نكن نتوقع أو نحتسب، لكى تأتى اللحظات المناسبة لتوجيه الضربة القاضية، فأخذ بالنواصى الشاردة إلى ملتقى القيادة الواحدة التى تعتز أول ما تعتز بتآلف القلوب من حولها واتجاه الأنظار إليها، وهى تمضى راشدة متأبية على الضعف والانخداع:

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ﴾(١٠).

وإذا كنا قد تواصينا على خوض المعركة دفاعاً عن أوطاننا وأعراضنا وعقائدنا ومقدساتنا، فإن واجبنا أن نتذكر دائما أن للنصر الإلهى المؤزر أسباباً لابد من توافرها، وفى طليعتها بعد إعداد كل قوة مادية وكل سلاح مستطاع، الإيمان بالله القاهر فوق عباده، والإيمان هو اليقين الجازم الذى لا يعتوره ريب ولا شك فى أن لهذا الكون خلقاً سبحانه، وأن للحياة مسيطراً عليها ومتصرفاً فيها حسب الحكمة الإلهية العالية، التى تدنو أحياناً فتراها أبصارنا المفتوحة، وقد تعلو أحياناً فتتقاصر عن سموها عيوننا الكليلة، وهذا الإيمان لا يكون إيمانا صادقاً إلا إذا دفع بصاحبه إلى العمل المجيد والتصرف الحميد والسعى المشكور، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴾(١١).

ويقول:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾(١٢).

ومن أسباب النصر الصبر، وهو حسن الاحتمال، ومطاولة الأحداث، وحمل النفوس على أداء الواجب مهما كان ثقيلا أو جليلا، وسواء أوافق به هوى النفس أم لم يوافقه، ولنتذكر جيداً أن الله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ ﴾(١٣).

ويقول:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾(١٤).

ومن أسباب النصر التقوى، ومتى عمرت القلوب بالتقوى الصادقة الواعية تنزل نصر الله، وجاءت عناية الله، لأنه القائل:

---

(١٠) الأنفال (٦٢ : ٦٤).

(١١) الرعد (٢٩).

(١٢) غافر (٥١).

(١٣) الأنفال (٤٥).

(١٤) الصف (٤).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١٥)

والقائل:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾(١٦).

وهذا التوكل البصير المحض ببذل الجهود واستنفاد المجهود هو الذى يحقق فى نفوسنا الثقة والاطمئنان، فلا نعتمد إلا على الله، ولا نستمد الهدى إلا من الله، ولا نخشى شيئاً سواه:

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١٧).

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١٨).

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١٩).

الثأر ثأرنا، والدار دارنا، والله ولينا وناصرنا، والسلاح فى أيدينا، ومواقف البطولة كثيرة فى ماضينا، وحوافز الأمل الحاضرة وفيرة فينا، والمعركة أمامنا تنادينا، فلنتوكل على الله، ولنعتصم بالله، ولنتذكر أننا نجاهد فى سبيل الله، لتحرير أرض الله، وإزالة الهوان عن عباد الله، فلنمض مجاهدين بكل ما نستطيع، والله معنا من ورائنا ناصر ومعين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام يقول رب العزة سبحانه:

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾(٢٠)

فلنحصن أنفسنا بالإيمان والعمل الصالح، والتواصى بإعزاز الحق، وبالصبر على نصره وتأييده، حتى نكون من الفائزين فى دنيانا ويوم نلقى الله رب العالمين، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

- يا أتباع محمد ﷺ

يقول ربكم جل جلاله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢١).

والبيعة شعار من تعاليم الإسلام، وجزء من هدى الرسول ﷺ، وها نحن أولاء قد كتب الله لنا أن نقبل على معركة مقدسة، لنستعيد بها فلسطين، أولى القبلتين وثالث الحرمين وقلب العروبة والإسلام، فلنبايع الله رب العالمين، بيعة الحق والصدق والوفاء.

---

(١٥) النحل (١٢٨).

(١٦) الطلاق (٢، ٣).

(١٧) التوبة (٥١).

(١٨) آل عمران (١٦٠).

(١٩) التوبة (١٣).

(٢٠) العصر.

(٢١) الفتح (١٠).

حتى نكون من أهل الإيمان واليقين والرجاء ، ولنردد هذه البيعة جميعاً، فقولوا معي :

اللهم يارب الأرباب، ويامهيء الأسباب، ويا فاتح الأبواب، أنت الله الأكبر من كل شيء، وأنت الله المسيطر على كل شيء، وأنت الله الذى صدق وعده ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

اللهم إنا نبايعك على الجهاد، ونبايعك على النصر أو الاستشهاد ، ونبايعك على استعادة أرض فلسطين، إلى حمى العرب والمسلمين، وتطهيرها من الدخلاء والملاعين، فوفقنا يا ربنا لحسن الإعداد، وشامل الاستعداد،وشرف الجهاد واجعلنا من أوليائك المتقين وجنودك المخلصين، ربنا أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم إنا بحولك نستعين، وبحمايتك نستجير، أنت النصير وأنت القدير فكن لنا ولا تكن علينا، ولا تولنا غيرك، ولا تنسنا ذكرك واشرح للنضال صدورنا، ويسر أمامنا أمورنا، واحفظ بلادنا وثغورنا، فأنت العزيز القاهر، وأنت القوى الناصر، لا قوة إلا بك، ولا توفيق إلا منك، ولا رجاء إلا فيك، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير.

اللهم إنا نعوذ بك من الضعف والخور، ونعوذ بك من الفرار والانكسار، ونعوذ بك من قلة الرجاء وشماتة الأعداء فلا تجعلنا نخشى غيرك، أو نخاف سواك، أنت حسبنا ونعم الوكيل.

اللهم اجعل أول جهادنا صلاحاً، وأوسطه فلاحاً، وخاتمتة فوزا ونجاحاً فألهمنا الصبر والثبات، واحفظنا من التفرق والشتات ، واجعلنا على الدوام أمة واحدة وقيادة واحدة، ووجهة واحدة وغاية واحدة وبصرنا بواجباتنا وألهمنا النهوض بتبعاتنا. وخذ بنواصينا إلى تحمل مسئوليتنا، حتى تعزنا بعزك، وتؤيدنا بنصرك ، فقد قلت وقولك الحق:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢٢).

الله أكبر الله أكبر الله أكبر على من طغى وتجبر الله أكبر ولا عدوان إلا على الظالمين، الله أكبر والله مع المجاهدين المخلصين الله أكبر والعاقبة للمتقين والمؤمنين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام: إنها بيعة ونحن مطالبون بها، ومسؤلون عنها أمام الله وأمام الناس، وقد أتانا الله قائداً حكيما، وجيشاً عظيما، ووعداً كريماً :

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢٣).

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾(٢٤).

(٢٢) المنافقون (٨).

(٢٣) الفتح (١٠).

(٢٤) الإسراء (٣٤).

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان (*)

رسالة هذا العدد جاءت من القارئ س. أ. من دمياط يقول فيها :

لى مشكلة عويصة أرجو رأى الدين فيها على وجه السرعة لأن حياتى الزوجية تتوقف على ذلك، ومشكلتى هى : لقد تزوجت زميلة لى فى العمل تكبرنى بعشر سنوات لأنى توسمت فيها حسن الخلق وأثناء فترة عقد القران رأيت فيها ما لا يرضاه أحد فقد كانت تفضل زملائى علىّ وتطلب منهم حل مشكلاتها وتأتمنهم على أسرارها وممتلكاتها فتغاضيت عن ذلك أملا فى إصلاحها لكن الأدهى والأمر أنها كانت تحكى للزملاء والزميلات أدق حياتنا الزوجية وما يحدث فى غرفة النوم وبتفاصيل أخجل من ذكرها وتشيع عنى أن بى قصوراً جنسيا، ثم إنها كثيرة الخروج بغير إذنى، ولا تسهم بشىء من مرتبها الذى يزيد على مرتبى فى مصاريف البيت وقد استعملت معها كل وسائل التقويم الشرعية من وعظ وهجر وضرب وشكوتها إلى أهلها دون جدوى فماذا أفعل؟

وبادئ ذى بدء أقول للأخ القارئ كان يجب عليك أن تتريث فى الخطبة وعقد القران حتى تقف على حقيقة هذه الزوجة، فمن أجل ذلك شرع الله الخطبة ليتعرف الخاطب على مخطوبته وعلى أخلاقها، وحذرنا الإسلام أن نغتر بالمظاهر الخادعة.

وما ذكرته فى رسالتك كاف فى الحكم على هذه الزوجة خاصة ما يتصل بإفشاء الأسرار الزوجية وعلى الخصوص ما يحدث فى غرفة النوم فقد نهى الرسول ﷺ الرجل يفضى إلى المرأة والمرأة تفضى إلى الرجل ثم يحدث كل منهما الناس بما تم بينهما وشبههما بشيطان واقع شيطانة فى الطريق والناس ينظرون.

وقد أوشكت أن أشير عليك بما جاء فى قوله تعالى :

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾(١).

(*) الأمين المساعد لمجمع البحوث الإسلامية.

(١) النساء (٣٤).

لكنك بادرت وذكرت أنك استعملت هذا العلاج دون جدوى.

ودعك مما جاء في رسالتك من شكواها من الطعام فهذا أمر ميسور مقدور عليه وكذا ما جاء فيها من عدم إسهامها بشيء من مرتبها في نفقات المنزل، لأنه لا حق لك في شيء من مرتبها ما دمت قد تزوجتها وأنت تعرف أنها موظفة ولم تشترط عليها شيئا من ذلك أثناء العقد لأن نفقة الزوجة واجبة على الزوج ما لم يكن هناك شرط أو تتطوع هي بمحض إرادتها بذلك.

ومع ذلك أنصحك بالصبر عليها بعض الوقت عسى أن يفيد معها هذا العلاج الذى ذكرته الآية الكريمة فإذا لم يفد فاعمل بالآية التى بعدها

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾(٢).

فإن لم يجد معها التحكيم فلا مفر من أبغض الحلال إلى الله وهو الطلاق الذى شرعه الله - تعالى - وأباحه عند استحالة استمرار الحياة الزوجية على الوجه الذى يرضى الله وبينه الشرع.

وفى الرسالة سؤال آخر يقول فيه:

أوصى رجل أن يكفن فى ثوب أهداه له شيخه فأفتى البعض أن هذا لا يجوز لأن الثوب مخيط، وأفتى آخرون بالجواز، فما الحكم؟

ونقول وبالله التوفيق:

إذا أوصى إنسان أن يكفن فى ثوبه أو ثوب أهدى إليه من رجل ترجى بركته فيجوز أن يكفن فيه بشرط أن يكون طاهرا نظيفا وفضله بعض العلماء على الثوب الجديد عند الوصية، وقال المالكية والشافعية إن الثوب القديم النظيف الطاهر أولى فى الكفن من الثوب الجديد لقول عبادة بن أنس - رضى الله عنهما - لما حضرت أبا بكر - رضى الله عنه الوفاة قال لعائشة - رضى الله عنها:- (اغسلى ثوبى هذين وكفنينى بهما فإنما أبوك أحد رجلين إما مكسو أحسن الكسوة أو مسلوب أسوأ السلب) وفى رواية قال: (اغسلو ثوبى هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنونى فيها. فقالت: «إن هذا خلق -أى قديم بال- «قال:« إن الحى أولى بالكفن الجديد من الميت إنما هو للمهلة» يعنى لا يلبث أن يتمزق ويلوث بما ينزل من الميت، وقال الحنابلة: يستحب أن يكون الكفن جديدا إلا أن يوصى الميت بخلافه فتنفذ وصيته.

وقصة الرجل الذى رأى ثوبا أهدى للرسول ﷺ فسأله إياه فأعطاه الرسول ﷺ له فلامه الصحابة الآخرون على ذلك لأنهم رأوا إعجاب الرسول بالثوب وحاجته إليه فقال لهم: «إنى ما أخذته لألبسه لكن لأدخره ليكون كفنا لى» هذه القصة مذكورة فى السنة ومعروفة وتدل على جواز الكفن فى الثوب القديم. أما ما ذكر من أن الثوب المخيط لا يجوز فهذا قول لا أساس له من الصحة لأن جميع الأكفان تخاط. والذى لا يجوز تكفينه فى المخيط هو الذى يموت محرما فلا يخاط له كفن ولا يغطى وجهه بل يبقى على هيئة الإحرام لأنه سيبعث إن شاء محرما ملبيا.

---

(٢) النساء (٣٥).

بَيْنَ الصُّحُفِ والمَجَلَّاتِ

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

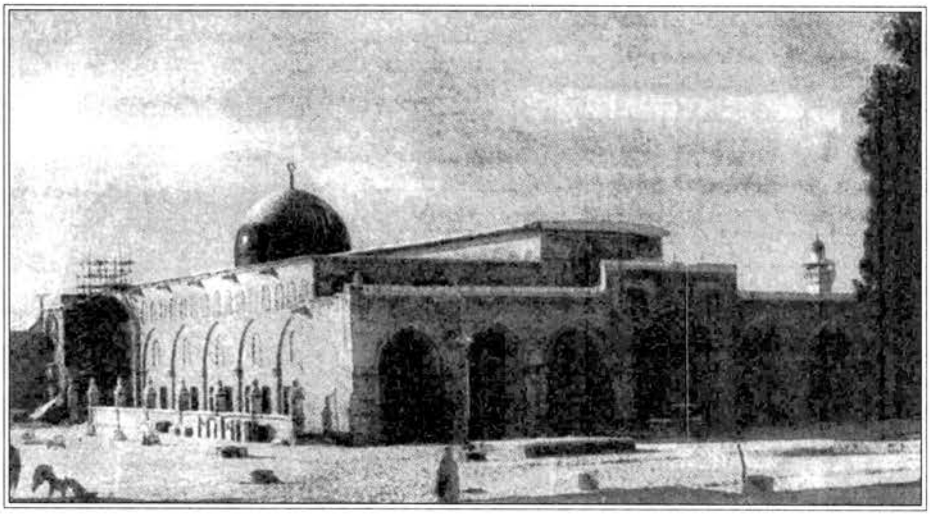

في غمرة أحداث تفجيرات نيويورك وواشنطن نسي المسلمون قبل أن ينسى العالم قضية فلسطين والمسجد الأقصى .. لماذا خفت صوت إعلامنا؟ هل حقاً هان علينا الأقصى؟

يارجال الإعلام في أمتنا الإسلامية أفيقوا من غفوتكم، لقد أصبح الإعلام حرباً ضارية يحارب به الغرب العرب والمسمين ويتحرشون بهم ويصفون من خلاله المسلمين بأنهم إرهابيون ويوارون الوجه الحسن للإسلام.

لدرجة أننا كعرب أصبحنا نردد ما يرددونه ويبثونه دون وعي أو إدراك منا.

أليس لدينا ما نبثه للعالم للتصدي للإعلام الغربي الأعمى أليس لدينا أمجاد الإسلام وحرص الإسلام على التسامح والمودة والرحمة والسلام والحب بين الناس جميعاً لا فرق بين عربي أو عجمي إلا بالتقوى.

أفيقوا أيها الإعلاميون فقد أوشكنا أن نصبح فريسة في مواجهة الإعلام الغربي؟؟؟

لم تكن زلة لسان

نبدأ هذا التنويه عن الحملة الإعلامية الشرسة من هذه الشرذمة العنصرية على الإسلام والمسلمين وهذا الإعلام الغربى المنحط على لسان سارقى الحضارات الإسلامية ثم يزعمون أنها زلة لسان.

إذاً فهذه أقوال تخرج من السنة معتوهة لا يجب أن يكونوا فى وضع المسئولين ويمثلون شعباً لذلك نستهله برؤية الدكتور حسن رجب فى جريدة الأخبار فى عددها الصادر فى ٢ / ١٠ / ٢٠٠١.

بالقطع لم تكن زلة لسان ولم ينتزع الكلام من سياقه.. ما قاله برلسكونى من كلام عنصرى منحط ضد الإسلام فى مؤتمر صحفى موثق ومسجل.. وهو لم يعتذر عنه فى البرلمان، كما صرخ فى وجهه زعيم المعارضة الإيطالية فرانشسكو روتيللى، وإنما لف ودار دون أن يتراجع خطوة واحدة عما قاله.

ولماذا يتراجع وقد أكسبه هذا التصفيق الحار من نواب تحالف الوسط واليمين؟! ولماذا يتراجع وهو يعلم أنه يكسب بذلك شعبية كبيرة وسط اليمين الذى يتزايد عدده بين الناخبين والإيطاليين؟ لقد كسب بيرلسكونى الانتخابات العامة الأخيرة بمقولات مشابهة هاجم فيها الإسلام ووضع طرد المهاجرين المسلمين من إيطاليا على قمة أولوياته.

وكيف يستطيع برلسكونى أن يكذب حديثه بالتليفزيون الألمانى والذى صرح فيه بأنه من «واجب الغرب أن يفرض قيمه ولو بالقوة على الشعوب، وأن الغرب قد قام بذلك بالفعل فى العالم الشيوعى وقسم من العالم الإسلامى.. ولكن مازال هناك للأسف قسم متبق من العالم الإسلامى يعيش متخلفاً ١٤٠٠ سنة!!

وتنقل صحيفة فاينانشيال تايمز البريطانية عن أحد الدبلوماسيين الغربيين، الذين حضروا اجتماع القمة الأوروبية الذى عقد بعد حادث ١١ سبتمبر أن برلسكونى هاجم المسلمين بصورة عنيفة وقال: يجب أن نحمى حضارتنا منهم!.

المصيبة أن هذا التوجه الاستعمارى العنصرى لا يقتصر على إيطاليا وحدها.. فبينما يعلن رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير أنهم لا يحاربون دين الإسلام وكثيراً ما يقول للناخبين المسلمين إنه يقرأ القرآن، إلا أنه يتحدث بلسانين كما يقول بيتر أوبورن بصحيفة الأوبزرفر.. فهو عندما يدلى بحديث قبل الانتخابات الأخيرة للصحيفة اليمينية «ديلى تلجراف» فإنه يقول: إن كتابه المفضل هو مذكرات «الماريشال اللورد روبرتس» وهو أكبر وأشد استعماريى القرن ١٩ شراسة والذى اشتهر بمذابحه فى أفغانستان!!

كما نقرأ لرئيس تحرير السبيكتتور البريطانية وعضو مجلس العموم، بوريس جونسون مقالاً بعد الأحداث الأخيرة فى صحيفة الديلى تلجراف يؤكد فيه أن خوف المسلمين من الغرب وحربهم له ينبع أساساً من خشية تغيير مفاهيمهم المتخلفة فى معاملة المرأة.. ويسخر الكاتب من الكويت - التى يقول: إنهم حاربوا من أجلها ولو أنصف لقال من أجل بترولها - لأنهم رفضوا إعطاء المرأة حق التصويت.. لماذا لم يذكر الكاتب متى حصلت المرأة السويسرية على هذا الحق؟!

ولماذا لم يذكر الكاتب أن عدداً من أكبر الدول الإسلامية حكمتها وتحكمها الآن نساء؟!، ولا يمكن فى هذا السياق أن ننسى «زلة لسان» الرئيس جورج دبليو بوش حين أعلن حربه الصليبية ضد الإرهاب.

لقد أثارت هذه «الزلات» غضب الكثيرين من ساسة الغرب باعتبارها كوارث سياسية من شأنها أن تدمر جهود الغرب من أجل إقامة حلف «ضدالإرهاب» يضم دولاً إسلامية.

كما ستثير هذه الزلات مخاوف كثير من المسلمين باعتبارها الوجه الحقيقى الكريه للاستعمار العنصرى الغربى، والذى يحاول أن يخدع المسلمين بكلام معسول حتى يصل إلى مراده.

أنا أرفض تصديق أن هذا هو الغرب وأتصور أن الغالبية العاقلة المستنيرة ستنتصر على الأقلية اليمينية المتطرفة التى يمكن أن تشعل حرباً تأكل الأخضر واليابس ولن يكون فيها منتصر ومهزوم... وسيكون الكل فيها خاسرين..

دليلى على ذلك الأصوات العاقلة الكثيرة المتزايدة فى الغرب وآخرها ما قرأته بالأوبزرفر للكاتب «بيتر أوبورن» بعنوان «حملة صليبية حمقاء» ويحذر فيها من مغبة القيام بأعمال عسكرية لن تحل شيئاً.. ويقول لم يتحقق السلام فى أيرلندا الشمالية إلا بعد أن تعاملت بريطانيا مع القضايا القومية للمنطقة.. وكل من يتصور أن ينتهى الإرهاب العربى دون حل المشكلة الفلسطينية بتنازلات إسرائيلية كبيرة فهو حالم»..

التعليق:

قال تعالى:

﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١).

(١) آل عمران آية ١١٨.

الصورة العربية والإسلامية في وسائل الإعلام الغربية

سارعت أجهزة الإعلام الغربية والأمريكية بتوجيه أصابع الاتهام دون دليل أو برهان إلى أطراف عربية وإسلامية فى الأحداث الأمريكية الأخيرة وكأن الإسلام هو سلاح نووى يرهب العالم، كل ذلك بسبب الحملات العدائية التى تبثها أجهزة الإعلام الغربية المسمومة.

حول هذا الموضوع اخترنا مقال الدكتور محمد عبد البديع السيد الذى نشر بجريدة الأخبار فى ١٤/٩/٢٠٠١ قال فيه:

● تعرض أكثر من ٦ ملايين عربى ومسلم أمريكى لتهديدات سافرة ومضايقات قاسية وصلت لدرجة الضرب وإطلاق الرصاص كما تعرضت المحجبات من النساء المسلمات إلى التحرشات والإيذاء الجسدى مما أدى إلى أن الكثير منهن خلعن الحجاب والنقاب كما أن الكثير من الرجال المسلمين حلقوا لحاهم من أجل تجنب حملات الكراهية والحقد لهم بالإضافة إلى تعرض المحال التجارية والمطاعم ومحطات البنزين التى يملكها أو يعمل بها عرب فى عدة ولايات أمريكية لأعمال العنف.

● تعرضت المساجد والمراكز الإسلامية فى بعض الولايات المتحدة لإطلاق الرصاص والقاء القنابل.

● أعرب بعض المواطنين الأمريكيين عن أملهم فى أن تمحو الولايات المتحدة كل رجل وامرأة وطفل عربى فى الشرق الأوسط، وشبه مواطنون أمريكيون آخرون العرب بأنهم مثل فيروس الإيدز الذى يجب القضاء عليه.

● تعرض العرب والمسلمون لمضايقات شديدة فى جميع أنحاء بريطانيا.

● تعرضت حافلة تقل طلاباً مسلمين فى استراليا إلى الرشق بالحجارة والزجاجات وألقيت الفضلات البشرية على المساجد بالإضافة إلى التهديد بحرق هذه المساجد وتفجير المعهد الإسلامى فى جنوب استراليا.

● أصبحت حياة المسلمين فى البرازيل متغيرة بشكل كامل منذ وقوع الهجمات على أمريكا حيث أصبح أطفالهم فى المدارس ينادون بالقتلة والإرهابيين مع قيام أطفال زملاء لهم بإبلاغهم بأنهم يجب أن يموتوا!

كيف يتم تصحيح صورة العرب والمسلمين لدى الرأى العام العالمى؟

يجيب الكاتب قائلاً: وأبدأ بالإجابة عن سبب الهيستيريا العدوانية ووجود صورة نمطية سلبية فى العقل الأمريكى والأوروبى تجاه العرب والمسلمين وذلك فى النقاط التالية:

● تركيز وسائل الإعلام الأمريكية والغربية التى تقودها وتسيطر عليها القوى الصهيونية على جماعات إسلامية معينة يعنى أن العرب والمسلمين إرهابيون يريدون تفجير الحضارة الغربية.

● قيام الإعلام الأمريكى وبعض السياسيين الأمريكيين بعد انهيار الاتحاد السوفيتى بتصوير الجماعات الإسلامية المتطرفة بأنها عدو خطير تماثل الخطر الشيوعى وترث دوره.

● تتسم المواقف الغربية والأمريكية نحو الإسلام دائماً بالتعصب الأعمى والاستعلاء الثقافى الزائف وترتبط بالجهل والسطحية الأكاديمية.

● وأوروبا عامة تعانى من التشويه والسطحية وعدم الموضوعية.

● موقف وسائل الإعلام الغربية والأمريكية من بعض الظواهر فى العالمين العربى والإسلامى خليط من الجهل والتعصب واللاموضوعية.

● قيام وسائل الإعلام المختلفة فى أمريكا وأوروبا - بشكل روتينى - بربط كل الظواهر والمظاهر السلبية فى المجتمعات الإسلامية بالدين الإسلامى لإيهام الجمهور الأمريكى والأوروبى بأن الإسلام هو سبب التخلف الذى تعانى منه الكثير من البلدان الإسلامية.

● المؤلفات الفكرية الغربية التى تعرضت للتاريخ أو الحضارة العربية ركزت على عدد من سمات الشخصية العربية السلبية كالطاعة والتعصب الدينى وافتقاد روح الابتكار وأبرزت أن العرب يتسمون بالعدوانية والمبالغة فى تقدير الذات وشدة الحساسية للكرامة والرومانسية والخداع والفردية ويرجعون تلك السمات إلى تأثير الإسلام.

● تركيز السينما الأمريكية على الصورة النمطية السلبية للعرب وما يلبث أن ينتقل ذلك إلى الفيديو وشبكات التلفزيون والصحافة ومن الأفلام السينمائية التى ركزت على هذه الصورة النمطية فيلم يوم الأحد الأسود الذى أظهر امرأة عربية إرهابية تحاول قتل الآلاف من الناس بمن فيهم الرئيس الأمريكى، وفيلم الخطأ هو الصحيح الذى أبرز إرهابيين من العرب يودون إسقاط قنابل نووية على نيويورك وتل أبيب وفيلم القرار التنفيذى - ١٩٩٦ - الذى دار حول خطف المسلمين طائرة المضيفات ويعدون العدة لتفريغ كمية من غاز الأعصاب تكفى لقتل الملايين من سكان العاصمة واشنطن، وفيلم أكاذيب حقيقية - ١٩٩٤ - الذى صور

الفلسطينيين المسلمين على أنهم أناس ساديون يقتلون الأمريكيين الأبرياء بل يقتلون القساوسة ويقومون بتفجير قنبلة نووية قبالة شواطىء فلوريدا.

ولذلك ترسخت كراهية العرب والمسلمين فى النفس الأمريكية والغربية بحيث أصبح من المعتاد إدانة العرب جميعاً على أية جرائم أو حتى على جرائم مزعومة تنسب إلى أفراد منهم.

التعليق:

العداء التاريخى الذى يكنه الغرب للإسلام والمسلمين ذلك العداء الذى بدأ منذ أيام الصليبيين الأولى واستمر حتى الآن.

وهناك أسباب كثيرة وخطيرة توضح كراهية وعداء الغرب الشديد للعرب والمسلمين تحتاج إلى مجلدات وكتب.

حول مسئولية الإعلام العربى

من المعلوم أن الإعلام هو العامل الأهم فى تشكيل فكر واقتناع الشعوب وبالتالى فهو عامل مؤثر على من يملكون صنع القرار على مستوى العالم أجمع.

حول هذه القضية التى نطرحها فى هذا العدد، تحدث الدكتور عمرو عبد اللطيف هاشم على صفحات الأهرام فى باب قضايا وآراء بتاريخ ٢٤/٩/٢٠٠١.

قال فيه:

الإعلام وهو العامل المؤثر فى العالم يؤكد ذلك مبادرة الحركة الصهيونية العالمية منذ ظهورها فى أواخر القرن التاسع عشر، فى بسط سيطرتها على إمبراطورية الإعلام فى العالم حتى قبيل إنشاء الدولة العبرية، ومن الطبيعى أن تزيد سيطرتها على أهم قنوات الإعلام العالمى بعد إنشاء دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨ حتى يمكنها من خلال الميديا العالمية تبرير جريمة اغتصاب فلسطين من خلال قلب الحقائق وتزييف التاريخ بل وأيضاً تصوير الفلسطينيين والعرب على أنهم هم الذين يعتدون على اليهود الأبرياء.

ومن ناحية أخرى فإن بعض الدوائر الغربية تستخدم الإعلام المتطور لتشويه الوجه الحقيقى للدين الإسلامى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى مدعية أن الإسلام هو العدو الحقيقى للغرب بعد سقوط الشيوعية.

يحدث هذا للأسف الشديد فى الوقت الذى فشل فيه أصحاب الحق - وهم الدول العربية - فى توصيل وجهة النظر العربية إزاء حقائق الصراع العربى الإسرائيلى وحقيقة الممارسات الإسرائيلية غير المشروعة وأيضاً جوهر الدين الإسلامى السمح إلى الرأى العام الأمريكى وإلى الكثيرين من الشعوب الأوروبية.

فإلى متى سيظل الإعلام العربى - الذى يركز على الجعجعة محلياً فقط - قاصراً عن توضيح حقيقة المواقف الإسرائيلية الظالمة والضاربة بعرض الحائط الشرعية الدولية وبحقوق الإنسان أمام غالبية الأمريكيين وكثير من الأوروبيين، وإلى متى يظل الإعلام العربى سلبياً إزاء الدفاع عن الإسلام من الهجوم الباطل والمغرض والمتعمد من بعض ساسة الغرب وأيضاً من أجهزة الإعلام الغربية.

إنه من قبيل العجب بل من قبيل الخيال ونحن فى عصر العولمة والفضائيات والإنترنت أن غالبية الشعب الأمريكى حتى كتابة هذا المقال يعتقد أن مصر هى مجرد صحراء جرداء وجمال وخيام وأننا مازلنا نعيش عيشة البدو وأن وجه العجب يتمثل فى أننا إذا كنا فعلاً ندرك أهمية الإعلام ولا نتحرك فتلك مصيبة وإذا كنا لا ندرك أهمية الإعلام فالمصيبة أعظم!

لقد آن الأوان فى أن تبادر الدول العربية وتتكاتف لإقامة محطة فضائية دولية على أعلى مستوى من تكنولوجيا الإعلام والمعلوماتية سواء كان مقرها فى المنطقة العربية أو أوروبا أو أمريكا، على أن تكون ناطقة أساساً باللغة الإنجليزية، ثم بالفرنسية فى الشئون السياسية والشئون الدينية يجيدون إجادة تامة اللغتين المشار إليهما وأن يتوافر لهما من الإمكانيات الفنية ما يستطيعون به بطريقة فورية توضيح حقيقة الممارسات الإسرائيلية غير المشروعة ضد الفلسطينيين مع شرح أبعاد القضية الفلسطينية بطريقة موضوعية وعادلة وأيضاً دحض أى افتراءات توجه إلى الإسلام مع التركيز على شرح الجوهر الحقيقى للإسلام من منطلق أنه على عكس ما يعتقده الكثيرون من أبناء الغرب فإن هذا الدين الحنيف يدعو إلى التطور والتسامح والتقدم وأنه قد تضمن من الحقائق العلمية ما يؤكده علماء الغرب يوماً بعد يوم لاسيما أن لدينا من علمائنا الأفاضل القادرين توضيح ذلك.

.....................؟؟

التعليق

فهل بعد كل هذا نرى كما رأت زرقاء اليمامة بأن العدو القادم إلينا هو الحملات الإعلامية الغربية علينا.

***

بين المجلة... والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

إطعام فى الصباح وقتل فى المساء

فى كتاب ربنا العزيز آية تقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

الحجرات (٦)

على هذا النهج يسير المؤمنون، فلا بد أن يتبينوا ويتثبتوا مخافة أن يصيبوا من لا جريرة له، فيندمون وقت لا ينفع الندم.

وقد تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية فى سبتمبر الماضى لضربة وجهها لها الإرهاب.

وفى نفس اليوم الذى حدثت فيه الضربة الإرهابية وقبل أى « تثبت » ألقت الولايات المتحدة اتهاماتها سريعا على أسامة بن لادن، ثم قررت ضربه فى أفغانستان هو ومن حوله، بل وأدانت العرب والمسلمين.. سبحان الله، هل هذه تصرفات دولة كبرى!!

لقد تعرضت مصر –من قبل– لعدة ضربات إرهابية أهمها الاعتداء على رئيس الدولة، وحادث الأقصر البشع الذى راح ضحيته كثير من الأبرياء.

وكان تصرف مصر حضاريا يتناسب مع حضارتها الضاربة فى أعماق التاريخ، كان تصرف مصر حكيما نابعاً من حكمة الإسلام.

لا شك أن رجال الأمن فى مصر توسعوا فى حملة التحرى والتحقيق، ولكن لم يقل أحد ولم يتصور عاقل أن تتحرك قوات الأمن لتدك احدى القرى لأن أحد الهاربين الفارين قد احتمى بها أو كان منها!!

هكذا كان موقف مصر.

وكان موقف رئيسها فى منتهى العقل والحكمة عندما أعلن أن الإرهاب لا وطن له، ولا دين له، ونادى بعقد مؤتمر دولى لمناقشة هذه القضية ووضع الحلول اللازمة للقضاء على الإرهاب، ولكن غطرسة الدول الكبرى –

كالعادة- جعلتها لم تأبه لهذا النداء الحكيم.

فيا ترى هل تستجيب اليوم؟! وقد أصابتها نار الإرهاب؟ أم هل ترجع إلى قوتها وجبروتها وغرورها وتدك الأبرياء والمظلومين فتصبح إرهابا مدمراً؟!

وكم هو عجيب أمر أمريكا هذه التى تلقى بعبوات الغذاء فى الصباح وتتبعها بعبوات ناسفة فى المساء!!

على أية حال، فإنه كما يقولون: «رُب ضارة نافعة» ولعل ما حدث يكون بدايةً لأن يقدم إعلامنا صور الإسلام المشرقة، وصور المسلمين المنصفين، وإذا قدمنا قصة أو رواية تتناول الشخصيات الإسلامية فيجب أن تقدم بشكل جاد لا يخلو من طرافة ولكن علينا أن نُوقف نبرة السخرية من رموزنا الدينية، فمن تهن عليه نفسه فلن يكرمها غيره! نعم.. لقد ساهمنا فى تشويه صورة المسلمين أمام الغرب تحت مسمى «النقد الذاتى»، وأصبح من الواجب علينا أن نصحح الصورة مرة أخرى.

تعقيب على الشعر الفكاهى

نشرت «مجلة الأزهر» بعض المقطوعات الشعرية للأستاذ الدكتور محمد حسين عبد الحليم:

كان قد قالها فى مناسبات مختلفة مع بعض إخوانه، ولم يلتفت إليها، لكنهم مشكورين أرسلوا بها إلى المجلة، فلما طالعها فضيلته على صفحات المجلة، شرفنا بزيارته، وكان له هذا التعقيب:

قرأت ما نشرته «**مجلة الأزهر**» من مقطوعات فكاهية نظمتها من زمن بعيد، ولم أدر أن من الزملاء الأفاضل من يحرص على نشرها، حتى فوجئت بها مفاجأة سعيدة أوحت إلىَّ بهذه الأبيات:

قرأت من الطرائف ما
حوته مجلة الأزهر
قوافٍ قد هتفت بها
لأمزح، لا لكى تنشر
وقد دوَّت مجلجلةً
فيا لك مِنَّةً تشكر
ونحن نريد تسجيلاً
لكل فكاهة تؤثر
لعل الحزن يتركنا
فنحن بغيره أجدر

محمد حسين عبدالحليم
عميد كلية اللغة العربية - المنصورة

● **المحرر:**

نشكر للاستاذ الدكتور تشريفه للمجلة، ونأمل المزيد من هذه الفكاهات التى يجد القارىء فيها متعة ذهنية تروّح عنه، مع دعائنا أن يمتعه الله بالصحة والسعادة.

الطــــب الإســـــلامى

أما عن دور المسلمين فى تطور علوم الطب، فقد كتب الدكتور أحمد شوقى عرفة يقول:

بحث المسلمون الأوائل فى شتى العلوم والمعارف وجمعوا علوم الأمم الأخرى وترجموها إلى العربية وأنشئوا لذلك دار الحكمة فى بغداد حيث جمعوا من له إلمام باللغات الأجنبية مثل اليونانية والفارسية والهندية والسريانية ليقوموا بترجمة كتب العلوم إلى اللغة العربية ثم عكفوا على دراستها حتى أتقنوها ثم زادوا عليها. ونتيجة لجهود العلماء المسلمين ازدهرت علوم الجبر والهندسة والكيمياء والفلك والملاحة البحرية وكذلك الطب والصيدلة وبلغ المسلمون فى ذلك شأوا بعيدا. ومما هو جدير بالذكر أن اتباع الديانات الأخرى الذين يعيشون فى الأمة الإسلامية شاركوا بجهودهم فى ترجمة ودراسة هذه العلوم بل وممارسة الطب مثل أجيال عديدة من عائلة بختيشوع.

سنخصص الحديث على ممارسة الطب فى الأمة الإسلامية ونقارنه بمثيله فى اوروبا منذ بدء عصر النهضة فى اوروبا[1].

انتشرت المستشفيات فى الأمة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها لفائدة مواطنيها. كان مستشفى دمشق هو أول المستشفيات التى انشئت فى الأمة الإسلامية وقد تم إنشاؤه فى عام ٧٠٧ ميلادية ثم تتابع بناء المستشفيات فى أماكن أخرى فى مصر وبغداد وغيرها. كانت هناك عنابر للرجال وأخرى للنساء فى كل مستشفى وكانت تقدم خدمة مجانية يقوم بها أخصائيون مهرة فى شتى المجالات الطبية يعاونهم أطباء وممرضون متمرنون وصيدلى مسئول عن توفير العقاقير لصرفها للمرضى وكان علم العقاقير تخصصا من التخصصات الموجودة بالمستشفيات. وكان بكل مستشفى موسيقيون يعزفون على آلاتهم ألحانا للمرضى ليُسَرّوا عنهم. وكانت الإدارة تصرف لكل مريض خمس قطع ذهبية عند خروجه من المستشفى لتساعده أثناء فترة النقاهة. كما كان بكل مستشفى مكتبة بها العديد من المخطوطات الطبية، كما توجد قاعة محاضرات وأرشيف لحفظ سجلات المرضى. ويمكننا أن نتبين كفاءة الأرشيف من كثرة البيانات التى أوردها الرازى فى كتابه «الحاوى» عن كل حالة مرضية وردت فى هذا الكتاب.

نتيجة للحروب الصليبية تهيأت الفرصة للأوروبيين لمشاهدة المجتمع الإسلامى عن قرب ومن ثم التعلم منه، ولقد دهشوا لما وجدوا المستشفيات فى بيت المقدس تستقبل المرضى

---

(١) (المادة العلمية التالية مستقاة من بحث للمرحوم بروفيسور قاضى محمد إقبال رئيس أقسام الجراحة فى كل من الجامعة الوطنية فى ماليزيا وجامعة الملك سعود فى أبها).

والجرحى وتعتنى بهم أيما عناية حتى تمام الشفاء. وقارنوا ذلك بما كان عندهم من مؤسسات تسمى هوسبكس تخضع لسيطرة الأساقفة ويقوم بالعمل فيها رجال الدين لرعاية المرضى بجانب الفقراء والمشردين والعجزة والمساكين. وكانت الأديرة هى المكان الوحيد للعلوم الطبية فى أوروبا.

نتيجة للاتصال الذى حدث بين أوروبا والشرق فى أثناء الحروب الصليبية تحولت الهوسبيكس إلى مستشفيات مثل تلك الموجودة فى الشرق وكان ذلك فى عام ١١٤٥ ميلادية.

يعزى الفضل للأطباء المسلمين فى أنهم أول من أدخل التعليم الطبى إلى المستشفيات وكان ذلك فى كل من بغداد ومصر ودمشق وقرطبة، حيث كان الأخصائيون فى المستشفيات المخصصة للتعليم يقومون بالمرور على المرضى (كما هو متبع اليوم) ويقومون بتعليم الطلبة طرق الكشف على المرضى فى العنابر وتشخيص الأمراض المختلفة. وكانوا يشجعون الطلبة على المشاركة فى المناقشات للوصول إلى التشخيص الصحيح وكذلك إجراء بعض الأبحاث.

وقد تم وضع برنامج متكامل لتعليم الطب يستغرق مدة محددة ويحتوى على دراسة الطب عامة والعلوم الأساسية كالتشريح والعلاج والعقاقير. تتبين أهمية إتقان علم التشريح فى نصيحة الزهراوى الجراح الأندلسى الكبير الذى لقبه الغربيون بلقب « أبوالجراحة »، « لكى تتقنوا الجراحة عليكم إتقان علم التشريح ». وكان أول كتاب جراحة به رسوم بيانية هو كتاب « التصريف ». وقد حذت كتب عصر النهضة حذو الكتب الإسلامية ولكنها اشتملت على رسوم فنية. وكان كتاب « القانون فى الطب » لابن سينا يشكل الجانب الأكبر من منهج دراسة الطب فى المعاهد الطبية الأوروبية حتى القرن السابع عشر. بدأ تعليم الطب بجوار أسرة المرضى فى بادوا فى عام ١٥٦٣ ثم انتشر فى باقى القارة الأوروبية حتى شملها كلها فى عام ١٧٤٥ وبذلك انتقل تعليم الطب من المكتبات إلى عنابر المرضى بفضل الأطباء فى الأمة الإسلامية.

قبل إجازة ممارسة الطب فى الأمة الإسلامية للأطباء الجدد كان يتعين عليهم اجتياز امتحان تحريرى وآخر شفوى وأن ترضى لجنة الممتحين عن الطالب. أما إجازة الأخصائيين فيلزم اجتياز امتحان أكثر تقدما على أن يقوم بتقديم بحث فى فرع التخصص. وفى عام ٨٣١ صدر مرسوم بتعيين سنان بن ثابت كبير الأطباء فى بغداد لاختبار جميع الطلبة قبل منحهم الإجازات وذلك لتشديد الرقابة على مزاولة مهنة الطب.

أما فى أوروبا فقد أصدر الملك روجر فى صقلية أول قانون لمزاولة مهنة الطب فى عام ١١٤٠ ثم تبعه ملوك اوروبا الآخرون إلا أن القانون لم يصدر فى انجلترا إلا فى عام ١٣٤٧ بعد أن كان أساقفة القديس بول يصدرون هذه التصاريح.

المحـــرر:

نشكر للدكتور أحمد شوقى عرفة تناوله هذا الموضوع فى هذا الوقت بالذات، وهو بلاشك قطرة من بحر النشاط والجهود التى ساهم بها المسلمون فى مجال الطب مثلما ساهموا فى العديد من المجالات التى أثرت الفكر الإنسانى وساهمت فى تقدم البشرية.

الاعتـــدال فى الأخـــلاق

يرسل القارىء الشيخ / إبراهيم البدرى - الرمل / الاسكندرية- هذه الكلمة عن الأخلاق ويوضح فيها المعالم التى يجب أن ينتهى المسلم عندها ولا يتجاوزها. يقول:

- لكل خلق حد متى جاوزه صار عدواناً، ومتى قصر عنه كان نقصاً ومهانة.

● فللحرص حد وهو الكفاية فى أمور الدنيا وحصول البلاغ منها، فمتى نقص من ذلك كان مهانة وإضاعة، ومتى زاد عليه كان شرها رغبة فيما لا تُحمد الرغبة فيه.

● وللراحة حد وهو إجمام النفس والقوى المدركة والفعالة للاستعداد للطاعة واكتساب الفضائل وتوفرها على ذلك بحيث لا يضعفها الكد والتعب ويضعف أثرها، فمتى زاد على ذلك صار توانياً وكسلاً وإضاعة وفات به أكثر مصالح العبد، ومتى نقص عنه صار مضراً بالقوى موهناً لها وربما انقطع به كالمنبت الذى لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

● والجود له حد بين طرفين، فمتى جاوز صار إسرافاً وتبذيراً، ومتى نقص عنه كان بخلاً وتقتيراً.

● وللشجاعة حد متى جاوزته صار تهوراً، ومتى نقصت عنه صار جبناً وخوراً، وحدها الإقدام فى مواضع الإقدام والإحجام فى مواضع الإحجام، كما قال معاوية لعمرو بن العاص: أعيانى أن أعرف أشجاعاً أنت أم جباناً تُقدم حتى أقول من أشجع الناس، وتجبن حتى أقول من أجبن الناس، فقال:

شجاع متى أمكنتنى فرصة .. فإن لم تكن لى فرصة فجبان

● والغيرة لها حد إذا جاوزته صارت تهمة وظناً سيئاً بالبرىء، وإذا قصرت عنه كانت تغافلا ومبادىء دياثة.

● وللتواضع حد إذا جاوزه كان ذلاً ومهانة، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر.

وللعز حد إذ جاوزه كان كبراً وخلقاً مذموماً، وإن قصر عنه انحرف إلى الذل والمهانة. وخير هذه الأمور الوسط.

وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفى الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به، وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة وغير ذلك، إذا كانت وسطاً بين الطرفين كانت عدلاً وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصاً وأثمرت نقصاً.

المحــرر:

الوسطية: مبدأ رئيس فى الإسلام، ومازال المؤمنون بخير ما تمسكوا بذلك، وفى كتاب الله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾.

[البقرة: ١٣٤]

ثمـــــار الاســـــتقامة

أما القارىء الاستاذ / السيد مرسى البرعى - سيدى غازى- كفر الدوار- بحيرة- فيرسل هذه الكلمة عن الاستقامة يقول:

لا بد للمسلم ان يكون دائماً فى سؤال فى أمور دينه لكى يفقه أمور هذا الدين ولقد ضرب أصحاب رسول الله المثل فى ذلك، فكانوا دائماً يسألون رسول عن أمور دينهم ودنياهم؛ فهذا سفيان بن عبدالله يريد من النبى ﷺ قولاً جامعاً فى الإسلام لا يسأل عنه أحداً غير رسول الله فيقول سفيان يا رسول قل لى فى الإسلام قولاً لا اسأل عليه أحداً غيرك، فيجيبه الرسول ﷺ بقوله: «قل آمنت بالله ثم استقم»(1).

كلمة جامعة من جوامع كلمه ﷺ كلمة شاملة فيها صلاح العبد فى دنياه وأخراه ووصية من وصاياه ﷺ، نادت بالخير كله فى العقيدة والسلوك؛ ففى العقيدة إيمان بالله وحده إيمان لا يخالطه شك إيمان رائق لا يعكر صفوه زيغ ولا ريبة ثم استقامة فى الخلق والسلوك وحركات الجوارح، وبذلك يجمع المسلم بين نبل الوسيلة وشرف المقصد بين إيمان عميق يسرى فى خلجات النفس والوجدان مسرى الدم فى العروق وبين سلوك حميد مترجم لحركات الإنسان نحو ربه فإذا جمع المسلم بين هذين بين الإيمان والاستقامة- أتم الله عليه النعمة بحسن الثواب فى الدنيا والآخرة وإذا نظرنا فى القرآن الكريم وجدنا ثمار الاستقامة فيقول سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾(2).

فالاستقامة على لفظ «ربنا الله» شعورا فى الضمير وسلوكاً فى الحياة وصبراً على تكاليفها أمر له مشقة على النفس لذلك جعل الله ثواب الاستقامة أن الملائكة أولياء لأهل الاستقامة فى الدنيا والآخرة ثم إن لهم الجنة؛ فأى نعيم بعد هذا النعيم؟ ثم نجد أيضاً ثمار الاستقامة فى حياتنا يجنيها الطالب المستقيم نجاحاً والعامل فلاحاً والزارع نماءً والتاجر خيراً وبركة. ولقد جعل الله من شعائر عبادته وطاعته التوجه إليه كل يوم خمس مرات بل فى كل ركعة فى كل صلاة بهذا الدعاء الإلهى الخالد خلود القرآن:

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾(3).

هيا فلنتذكر ونتدبر.

---

(1) رواه مسلم فى صحيحة (رياض الصالحين فى كلام سيد المرسلين) النووى ص٥٠ .

(2) فصلت آية رقم ٣٠/٣١/٣٢.

(3) الفاتحة آية رقم ٦/٧.

الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص

ويقول الاستاذ / محمد عباس محمد عرابى:

ـ ما أدق ما سنَّه الخليفة العادل عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)، لما وضع الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص، وإظهار حقائق الرجال، وذلك حينما جاءه رجل يشهد لرجل آخر..

فقال له عمر: أتعرف هذا الرجل؟

فأجاب: نعم!

قال: هل أنت جاره الذى يعرف مدخله ومخرجه؟

فأجاب الرجل: لا

قال عمر: هل صاحبته فى السفر الذى تعرف به مكارم الأخلاق؟

فأجاب الرجل: لا

قال عمر: هل عاملته بالدينار والدرهم الذى يُعرف به ورع الرجل؟

فأجاب الرجل: لا

فصاح عمر، لعلك رأيته قائما قاعداً يصلى فى المسجد يرفع رأسه تارة ويخفضه أخرى (كناية عن شكلية الصلاة)، فرد الرجل: نعم!!

فقال له عمر: اذهب فإنك لا تعرفه، والتفت إلى الرجل وقال له: ائتنى بمن يعرفك.

فعمر (رضى الله عنه) لم ينخدع بشكل الرجل ولا مظهره، ولكنه طلب معرفة الحقيقة بموازين دقيقة تقيس الجوهر

وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

فى رحاب اللغة العربية

أما القارىء / أحمد ناصر أحمد ناصر - المراغة - سوهاج.. فيرسل عدة مساهمات عن اللغة العربية نقدم منها هذه الكلمة يقول:

ـ اللغة من لَغِيَ يَلْغَى من باب رَضِى يَرْضَى إذا لهج بالكلام وعرَّفها ابن جنى بقوله: «أصوات يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم» وقال ابن الحاجب: «هى كل لفظ وضع لمعنى».

- نشأتها:

اختلفت مذاهب العلماء فى نشأة اللغة فبعضهم يرى أن اللغة توقيفية أى أن الله

تعالى علمها لآدم وحياً وإلهاماً ودليلهم قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾.

[البقرة: ٣١]

قال مجاهد علمه اسم كل شيء.

ويرى بعضهم أن اللغة نشأت عن طريق الإصطلاح أى أن الناس اتفقوا على تسمية الأشياء بمسميات معينة فيما بينهم.

ويرى بعضهم أن اللغة نشأت عن طريق المحاكاة لبعض أصوات الطبيعة إلى غير ذلك من الآراء والمذاهب.

وعلى أية حال فما تطمئن إليه النفس بهذا الصدد أن اللغة نشأت توقيفية علمها الله تعالى لآدم وحيا وإلهاما ثم تطورت باختلاف البيئات والمجتمعات التى وجدت فيها هذه الذرية، ثم تفرعت إلى لغات متعددة لكل لغة قوانينها وخصائصها التى أملتها عليها بيئتها.

- **أهميتها:**

اللغة من أهم الظواهر الاجتماعية الإنسانية على الإطلاق فاللغة ظاهرة تميز الإنسان عن الكائنات الأخرى، واختص بها فأتاحت له أن يكون المجتمع وان يقيم الحضارة علاوة على ذلك فهى وسيلة الاتصال بين الإنسان وعالمه الخارجى.

خطأ شائع..

من الأخطاء الشائعة التى نسمعها فى حياتنا اليومية نجد الكثيرين ينسبون إلى كلمة اللغة فيقولون «اللَّغوى» (بفتح اللام المشددة).. وهذا خطأ والصواب أن نقول اللُّغوى» (بضم اللام المشددة).

أما قولنا اللَّغوى (بفتح اللام المشددة) فهذا نسبة إلى اللَّغو بمعنى الباطل. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾.

المحـــرر:

نأمل أن يكثر القارئ من تقديم الأخطاء الشائعة؛ ففى تقديمها نفعٌ للقراء أكثر من الحديث عن نشأة اللغة ومذاهب العلماء حولها حيث إن هذه المباحث تعالج بشئ من الاستفاضة بأقلام الأساتذة المتخصصين.

***

من إبداعات القراء : اذكـــروا اللـــه

ومن النفحات الأدبية نقدم هذه الأبيات للشاعرة: خديجة أحمد محمود فرغل

مـــهـــمـــا تعـــددت اللغـــات فـــإننا ** بقلوبنا ندعـــو بغـــيـــر لغـــات
ولـكل تـكليـف تحـــدد مـــوعـــد ** والذكـــر يمـــلأ ســـائر الأوقـــات
وإذا اتجـــهت إلى الحـــبـــيب المصطفى ** وشـــعـــرت أنك ذبت فى العـــبـــرات :
ودهـشت مما يتـــعـــريك ببـــابـه ** كـــيـف احـــتـــواك الحب فى لحظات
وعـــجـــزت عن دفع الدمـــوع هوامـــلا ** أو أن تـهـــدئ ســـرعـــة النبـــضـــات :
فـــارفع يديك إلى الســـمـــاء مـصليـــا ** ومـــسلمـــا أكـــثـــر من الدعـــوات
كم كنت مـــشـــتـــاقـــا وشـــوقك جـــارف ** والـيـــوم فـــزت بـأرفـع الدرجـــات
فـــاذكـــره حـــين تنام بعـــد مـــشـــقـــة ** واذكـــره عند الصـحـــو بعـــد ســـبـــات
واذكـــــــره فى كـل الظـروف لأنـه ** ينجـــيـك من الشـــر الرجـــيم العـــاتى
واندم وتب واطلب رضـــاه وعـــفـــوه ** فـــهـــو المجـــيـــر لآثمـــين عـــصـــاة
أن جـــئـــتـــه خطوا أتاك مـــهـــرولا ** يمـــحـــو الذنوب ويغـــفـــر الزلات
واذكـــــره إن طلـع النـهـــــار بنوره ** وإذا أنـاخ الـلـيـل بـالـظـلـمـــــات
وإذا نظرت إلى الســـمـــاء مـــســـبـــحـــا ** أو للجـــبـــال الشم والهـــضـــبـــات
وإذا تأملت البـــحـــار ومـــا حـــوت ** وإذا أضـــــفـت الملح للأكـــــلات
وإذا أخـــذت الشـــهـــد حلوا صـــافـــيـــا ** من نـحلـة عـــدت من الحـــشـــرات
وإذا أمنـت على حـــيـــاتـك كلـهـــا ** فى الأهـل أو فى القـــوت أو فى الذات
فـــالذكـــر أعظم نعـــمـــة وبفـــضـله ** تمضى الحـيـــاة وضـيـــئـة الصـــفـــحـــات
مـــوصـلـة بـالـلـه جـل جـــلالـه ** مملوءة بعـــجـــائـب الآيـات

أنباء العالم الإسلامى

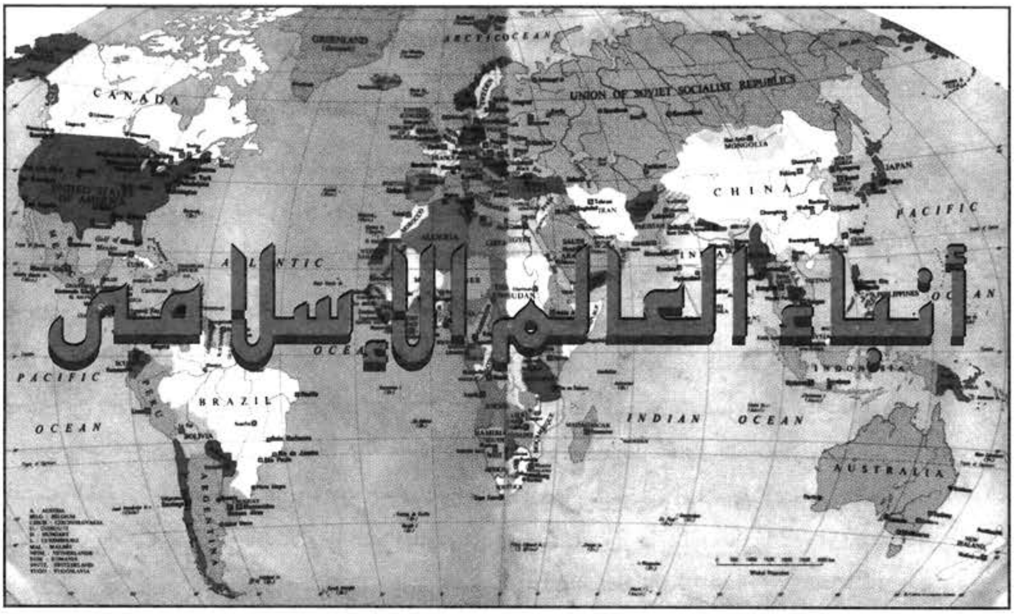

للأستاذ / محمد الشرقاوى

لأول مرة فى ألمانيا التليفزيون ينقل صلاة الجمعة على الهواء مباشرة

فى سابقة فريدة من نوعها تندرج ضمن الجهود المكثفة فى ألمانيا حالياً للتصدى للحملة المناهضة للإسلام والتى بدأت تطول المسلمين الألمان، نقل التليفزيون الألمانى الرسمى أمس على الهواء مباشرة صلاة الجمعة من داخل مسجد «بلال» بالعاصمة الألمانية برلين.

وتابع ملايين الألمان عبر شاشات التليفزيون وقائع إقامة الصلاة وخطبة الجمعة التى ألقاها «الدكتور / نديم إلياس» رئيس المجلس المركزى للمسلمين فى ألمانيا، وتحدث «الدكتور إلياس» بالعربية والألمانية حول تعاليم الدين الإسلامى التى تنادى بالسلام وتحريم قتل النفس البشرية دون حق، ودعا المجتمع الألمانى إلى تصحيح نظرته إلى المسلمين والفصل بين الإرهاب تحت عباءة الدين والإسلام.

[**الأهرام ٢٢ / ٩ / ٢٠٠١**]

برنامج تليفزيونى يناقش ظاهرة الخوف من الإســلام فى الغـــرب

بث تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية (بى . بى . سى .) برنامجاً عن ظاهرة الخوف من الإسلام فى الدول الغربية والمعروفة باسم « إسلاموفوبيا » والترويج لها بشكل مبالغ فيه فى وسائل الإعلام الغربية منذ انتهاء فترة الحرب الباردة، وقد تحدث البرنامج عن هذه الظاهرة بشكل موضوعى باعتبارها احدى الظواهر السيئة والسلبية فى المجتمع الغربى تجاه الإسلام فى الوقت الذى يدعو فيه الدين الإسلامى إلى السلام واحترام الأديان الأخرى والتعايش المشترك، وتضمن البرنامج نقاشاً بين عدد من الخبراء والمتخصصين فى بحث هذه الظاهرة من بينهم ممثلو الجاليات الإسلامية الكبيرة فى لندن حول الطرق المثلى لمكافحة ظاهرة الخوف من الإسلام.

[الأهرام ١٧ / ٩ / ٢٠٠١]

دعوة إرهابية علنية لقتل المسلمين

أحداث الولايات المتحدة تظهر الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين.

ومن علامات هذا الحقد ما تم اتخاذه من إجراءات عنصرية ضد المسلمين فى شتى عواصم الغرب ومنها: أن العداء أصبح علناً فعلى الرغم من محاولة السلطات البريطانية التقليل من شأن الاعتداءات على المسلمين فى بريطانيا جاء هذا الشعار ليضع مسئولى بريطانيا فى موقف بالغ الحرج؛ فقد اختارت مجموعة من البريطانيين الذين شحنهم إعلامهم المتحيز دائماً ضد العرب والمسلمين حائطاً مجاوراً لأحد المساجد وكتبوا عليه الشعار التالى:

« انتقم لأمريكا واقتل مسلماً الآن »

وليس هذا الشعار الذى هو دعوة صريحة للإرهاب والقتل سوى نموذج لسلسلة من الإعتداءات ضد المسلمين فى أنحاء المملكة المتحدة.

[صوت الأزهر ٢١ / ٩ / ٢٠٠١]

انتقم لأمريكا واقتل مسلما الان

٦٢٥ جريمة عنصرية ضد المسلمين في الولايات المتحدة

أعلن مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية ارتفاع عدد حالات الحوادث العنصرية ضد المسلمين فى الولايات المتحدة إلى ٦٢٥ حالة حتى يوم ٢٤ سبتمبر، وأشار إلى إجبار ١١ راكباً لهم ملامح عربية على النزول من الطائرات خلال الأيام الأخيرة.. وكشفت مصادر أمريكية عن مغادرة حوالى ١٥٠ طالباً عربياً فى الجامعات الأمريكية وعودتهم إلى بلادهم.

[الوفد ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١]

مقتطفات من مسلسل الاستهتار بالمسلمين والعرب

(١) كاتب إسرائيلى اسمه « ديوفن كورت » طالب بأن يكون الرد المناسب على تدمير برجى التجارة العالمى والبنتاجون هو هدم البرجين اللذين يمتلكهما المسلمين.. البرجان اللذان يقصدهما الحقير « ديوفن » هما: الكعبة المشرفة، والمسجد النبوى الشريف!!

(٢) اكدت مصادر روسية انها ستساعد أمريكا ضد أفغانستان فى حالة مساعدة الأمريكان للروس ضد الشيشان... نعم إنها كما قال « بوش » حرب صليبية.

(٣) أشارت مصادر أمريكية انها ستغير اسم العملية العسكرية لإرضاء المسلمين المعترضين على مصطلح العدالة المطلقة -على اعتبار أن العدالة المطلقة هى لله فقط وليست للبشر...

« نعم إذبحونا ولكن على الطريقة الإسلامية »!!

[الأحرار ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١]

الشرطة الفرنسية تعتقل إسلاميين

اعتقلت الشرطة الفرنسية عدداً من المسلمين المقيمين بفرنسا بحجة الاشتباه فى علاقاتهم بجماعة إسلامية متشددة، وقالت المصادر إن الاعتقالات ليست ذات صلة بالهجمات القاتلة التى تعرضت لها الولايات المتحدة، وذكرت متحدثة باسم الشرطة أن شرطة مكافحة الإرهاب القت القبض على الرجال فى غارات على باريس وضاحيتين من ضواحيها بعد أن تلقت معلومات عن أن مشتبهاً بهم يخزنون على الأرجح أسلحة إلا أنها لم تعثر على أى شىء.

[الأحرار ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١]

فى هولندا الشحن الإعلامى يتسبب فى اعتداءات على المسلمين

سجل عدد من المدن الهولندية اعتداءات على مساجد ومؤسسات ومصالح إسلامية خاصة بالجالية العربية والإسلامية المقيمة بها. أول هذه الاعتداءات شهدته « مدينة نيمخن » حيث قام مجهولون بإشعال النيران وتحطيم

واجهة احدى المدارس الإسلامية الخاصة، كما اعتدوا على أحد المساجد القريبة منها، وتكررت هذه الاعتداءات فى عدد من المدن الأخرى مثل: مدن «يسنجى» و«أوترخت» و«شخيدام» و«دميدها» فى (لاهاى)، حيث شهدت معظمها حوادث اعتداء على المساجد والمدارس الإسلامية، كما وقع اعتداء على مبنى جامعة اوروبا الإسلامية فى شخيدام وتحطيم واجهته الزجاجية قبل أيام من افتتاحها، واشتكت الجاليات العربية والإسلامية من تهديدات تعرضت لها فتياتها ونساؤها فى المدارس والعمل بالاعتداء عليهن وشهد عدد من المناطق مثل منطقة السوق السوداء التجارية فى «دبرفك» القريبة من «امستردام» تحرشاً بأبناء الجالية المسلمة وشتائم عنصرية تُحمّلهم المسئولية عن الانفجارات التى ضربت الولايات المتحدة، واستيقظ المسلمون فى امستردام على شعارات عنصرية تملأ جدران بعض الشوارع، تدعو إلى طرد المسلمين من هولندا وتردد (الموت للمسلمين)، و(اذهبوا إلى الجحيم).

[آفاق عربية ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١]

والأصابع الصهيونية تقف وراء ٤٧ ألف بلاغ ضد المسلمين فى أمريكا

بلغ عدد البلاغات التى تلقتها الشرطة الأمريكية من المواطنين «ضد كل ما يثير الشبهة ٤٧ ألف بلاغ تبين أن الغالبية العظمى منها موجهة ضد المسلمين الذين يعيشون فى أمريكا وبالطبع هذا الرقم يثير الشبهة فى أن هناك جهات تعادى الإسلام تقف من ورائه لأنه لا يعقل أبداً أن تتلقى السلطات المختصة (٥) آلاف بلاغ يومياً -تقريباً- خلال الأيام العشرة التى تلت يوم الثلاثاء الدامى وتشير أصابع الاتهام إلى منظمة «إيباك» الصهيونية وغيرها من المنظمات اليهودية المعادية للإسلام والتى انتهزتها فرصة للصيد فى الماء العكر ومحاولة الإساءة إلى المسلمين.

[آفاق عربية ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١]

٧٠٠ قتيل مسلم فى أحداث نيويورك

ذكرت صحيفة «واشنطن بوست» كبرى الصحف الأمريكية أن عدد القتلى والمفقودين من المسلمين فى تفجيرات نيويورك يبلغ ٧٠٠ مسلم ضمن ضحايا الحادث والذين يقدر عددهم بأكثر من خمسة آلاف شخص وينتمى هؤلاء إلى جنسيات عربية وأجنبية، لكن معظم القتلى من المسلمين هم من الأمريكان.

[آفاق عربية ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١]

وفى الصين عمل همجى ضد المسلمين

فى وسط حملات الاعتداءات على العرب والمسلمين داخل أمريكا وداخل اوروبا

والهجمات ضد المساجد والمراكز الإسلامية فى القارتين الغربيتين إذ بنا نفاجأ بعمل همجى ضد المسلمين فى الصين حيث قام عدد من الصينيين باقتياد عدد من مسلمى الصين وطافوا بهم فى الشوارع والميادين وأجبروهم على شرب الخمر ثم تم تنفيذ الإعدام فيهم فى الميادين العامة. وقع هذا الفعل الشنيع برغم أن عدد المسلمين فى الصين يبلغ عشرات الملايين وبرغم أن عدد المسلمين فى العالم يبلغ ١٢٠٠ مليون مسلم ومع أن هذا الخبر نشرته كل الصحف العربية والإسلامية؛ فلم يفكر مسئول صينى فى الاعتذار عن هذا العمل غير الإنسانى وضربت الصين بكل الاعتبارات الإنسانية عرض الحائط.

●● **المحـــرر:**

لم يكن كل هذا ليحدث لو لم يهن المسلمون على أنفسهم ومن ثم كانوا على غيرهم أهون.

[**الوفد ٣ / ١٠ / ٢٠٠١**]

وفى فيجى قام المتطرفون بحرق مسجد

هاجم متطرفون فى فيجى مسجداً وأشعلوا فيه النار وتحولت المصاحف الموجودة بالمسجد إلى كومة من الرماد لكن تم إنقاذ المبنى. وقال قائد الشرطة أن بضعة رجال اشتركوا فى محاولة إحراق المسجد الواقع على مشارف مدينة «لوتوكا» فى «فيجى».

[**الأحرار ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١**]

من أخبار الشيشان:

مقتل ١٣ جندى روسى فى معارك بالشيشان

لقى ١٣ جندى روسى مصرعهم وأصيب خمسة فى معارك عنيفة بين المقاومة الشيشانية والقوات الروسية. قالت وكالة «إيتارتاس» الروسية أن سبعة من قوات الشرطة الموالية لروسيا قتلوا من بينهم أحد مساعدى رئيس الإدارة المدنية «أحمد قديروف» فى معركة دارت عند ضاحية «كووكالمو» جهة الشرق، مشيرة إلى أن أربعة جنود روس قتلوا وأصيب خمسة آخرون فى كمين نصبه رجال المقاومة الشيشانية عند منطقة الحدود الواقعة بين الشيشان وانجوشيا المجاورة.

وأشارت تقارير إلى مصرع شرطيين روسيين خلال اشتباكات متفرقة بين الجانبين عند «اتشكولى مارثان» و«اوس مارثان»– كما عرض التليفزيون الروسى مشاهد من «جودرميين» ثانى كبرى المدن الشيشانية وظهرت شوارع المدينة خالية تماماً من المارة عدا عشرات الدبابات الروسية والعربات المدرعة. وكان ثلاثمائة من المقاومة الشيشانية قد قاموا بهجوم على «جودوميس» ودات معارك عنيفة بين الجانبين أسفرت عن مصرع عشرة من الروس.

واسقاط طائرة هليوكوبتر وعلى متنها عشرة من القيادات الروسية بينهم جنرالان.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل سفير بوركينا فاسو

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف السيد / محمد وترو سفير بوركينا فاسو بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده فى القاهرة، وقد أعرب السيد السفير عن شكره وشكر بلاده لجمهورية مصر العربية ولأزهرها الشريف على ما بذله الأزهر فى تعليم أبناء بلاده والمنح الدراسية التى توفرت لهم وكذلك على الدورات التدريبية التى يحظى بها الأئمة والدعاة بالأزهر الشريف، وهو دور فاعل لا يقوم به إلا الأزهر الشريف لأبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم، ومما يذكر أن لبوركينا فاسو حوالى ٨٠ طالبا يدرسون فى الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر:

على الغرب أن يتعرف على الإسلام من مصادره الأصلية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / دورايف عبده رشيد سكرتير مجلس الأمة بجمهورية الشيشان والوفد المرافق له من الجمهوريات الاسلامية بشمال القوقاز.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه فى الأزهر الشريف حيث أوضح فضيلته: دور الأزهر الشريف فى العملية التعليمية لأبناء المسلمين فى شتى بقاع العالم، والدورات التدريبية للأئمة والدعاة الذين يحضرون هذه الدورات للدراسة بالأزهر لمدة ثلاثة أشهر على نفقة مصر، كما أوضح فضيلته دور الأزهر فى نشر الثقافة الإسلامية وتصحيح المفاهيم الإسلامية لدى دول العالم مؤكدا على ضرورة فهم الإسلام فهما صحيحا وسليما ومعرفة الأحكام

الشرعية والفقهية على المذاهب كلها، ويجب أن يعرف أن الفقهاء لم يختلفوا فى أمر معلوم من الدين بالضرورة، وعلى الغرب إذا أراد أن يفهم الإسلام فهما صحيحا أن يتعرف عليه من مصادره الأصلية.

تطبيق مناهج التعليم الأزهرى بجمهوريـــة اليمـــن

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الوفد رفيع المستوى من دولة اليمن الشقيقة برياسة الدكتور/ فضل أبوغانم وزير التعليم بدولة اليمن الشقيقة والدكتور/ عبدالعزيز صالح نائب الوزير.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف مشيداً بعمق العلاقات والروابط بين مصر وأزهرها الشريف ودولة اليمن الشقيقة ذات الحضارة القديمة، وأشار إلى أن الصلة بين البلدين قوية منذ القدم والأزهر دائما أبوابه مفتوحة للأشقاء وللمسلمين ولكل من يلجأ ويحضر إليه من كافة أنحاء العالم.

شكر الضوف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مؤكدين على أن الأزهر هو المرجعية الدينية فى العالم وهو المرجع الأساسى لهم وهم يدينون بالولاء لتعاليمه وأسلوبه فى معالجة الأمور الدينية، وقد طلبوا التنسيق مع الأزهر لاقامة معاهد أزهرية باليمن على غرار معاهد الأزهر الشريف وذلك للنهوض بمستوى التعليم فى اليمن على أن يمدهم الأزهر الشريف بالمناهج والمدرسين والكتب التى تعينهم على خوض هذه التجربة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معربا عن استعداد الأزهر للتعاون الذى من شأنه النهوض بالمستوى العلمى والتعليم الدينى لطلاب وطالبات دولة اليمن الشقيقة.

ومما يذكر أنه تم عقد جلسات عمل تم فيها دراسة سبل تطبيق التعليم الأزهرى بخطته ومناهجة الدراسية فى جميع مدارس دولة اليمن حيث إن التعليم الأزهرى يمثل للمسلمين جميعا الحفاظ على القرآن الكريم ولغته العظيمة وعلى السنة النبوية المطهرة وأيضا لتوحيد الأفكار والعلوم وخاصة فى العلوم الدينية والعربية ولأن دولة اليمن تعتبر الأزهر الشريف هو المرجع والمرجعية الإسلامية تم التوقيع على بروتوكول تعليمى بين الازهر واليمن وقعه عن الأزهر فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وعن دولة اليمن الدكتور/ عبدالعزيز صالح نائب وزير التعليم.

رئيس مجلس الكليـة الأوربيـة للدراسات الإسلامية فى ضيافة الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور/ موئل يوسف عز الدين رئيس مجلس الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية ببريطانيا، والدكتور/ محمود المشهدانى الأستاذ بالمعهد.

رحب فضيلته بالضيفين فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بالدور الذى يقوم به المسلمون فى دول العالم خدمة للإسلام والمسلمين داعيا لهم بدوام التوفيق والسداد.

شكر الضيفان فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة البالغة وطلبا مد جسور التعاون بين الأزهر الشريف والمعهد الأوروبى للعلوم الإنسانية ببريطانيا، وذلك بإمدادهم بالمدرسين والمناهج الدراسية وخاصة فى تفسير القرآن الكريم، وعلوم القرآن، والحديث النبوى الشريف وعلومه، والعقيدة، والفقه، واللغة العربية، ليكون ذلك امتداد لمسيرة الأزهر الشريف الذى خرج للعالم أعلام هدى، ودعاة خير وتقى فى مشارق الأرض ومغاربها، وأوضح الضيفان أن الهدف الرئيسى لهذه الكلية هو إعداد نخبة جيدة من الكوادر الإسلامية المتخصصة التى تفهم الإسلام فهما صحيحا، لتقوم بتعليمه لأبناء المسلمين فى الغرب لينشأوا نشأة دينية صحيحة ويكونوا جسرا تعبر عليه حضارة الإسلام الأصيلة إلى شعوب الأرض، وقد وعدهم فضيلته بدراسة طلباتهم تمهيدا لتلبيتها طبقا لإمكانيات الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية إيران

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الدكتور كمال خرازى وزير شئون خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومعالى سفير إيران بالقاهرة والوفد المرافق لهما.

رحب فضيلته: بالضيف ومرافقيه فى مصر وأزهرها الشريف وقال: إننا نكن لدولة إيران الإسلامية كل احترام وتقدير، ونحن نلتقى دائما فى المناسبات الدينية، ونشهد لعلماء إيران بالعقل الراجح والأدب الوفير، وأشار إلى أن الدراسة بالأزهر تقوم على الاعتدال والتوسط واحترام الآراء الفقهية مع اختلاف المذاهب فيها، كما أننا نحترم كل المعاهد العلميــة فى إيران وتربطنا روابط الأخوة، والزيارات الرسمية بين البلدين خير شاهد على تجديد الإخاء والتلاقى على طاعة الله، والتعاون على البر والتقوى.

وكان لمزيارة فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف والوفد رفيع المستوى المرافق لفضيلته لدولة إيران آثار إيجابية لمراجعة البحوث التى تخدم الإسلام وتزيد من التقارب الكامل بين البلدين.

وأشار فضيلته إلى أنه حينما تقع أية أحداث تتعلق بمصير الشعوب، فإننا نقول الحكم النابع من الدين الإسلامى والذى أمرتنا به شريعة الإسلام، ولانستطيع أن نقف سلبيين فيما يحدث من أحداث ولكن نقول الرأى الإسلامى وإلا كنا كاتمين للعلم الذى أمرنا الله به أن نظهره، وماحدث فى أمريكا

نقول عنه: إنه عمل لاتقره شريعة الإسلام، وثانيا: من حق من وقع عليه اعتداء أن يبحث عن المعتدى ويقدمه للهيئات القضائية التى تقول كلمتها، ونحن نحترم هذا الرأى، ثالثا: ليس من حق المعتدى عليه أن يُنزل عقوبة على شعب بأكمله فيه الكبير والصغير والمرأة والآمنين، فشريعة الإسلام تسمو الى ما هو أعلى وتأمرنا بالعدل مع العدو ومع الصديق، وتأمرنا شريعة الإسلام بالنطق بكلمة الحق، وهذا هو منهجنا حتى نلقى الله ـ عز وجل ـ.

شكر السيد الوزير فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر على هذا اللقاء الذى من شأنه تقوية العلاقات الوثيقة، وأن هذه العلاقات قوية ومستمرة بفضل المجهودات التى قام بها كل من فضيلة الشيخ/ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق والشيخ أية الله البروجوردى من أجل التقريب بين المذاهب الإسلامية، وأيضا الزيارات التى تتم بين العلماء والمسئولين فى كلا البلدين، كما أننا استمعنا إلى الكثير مما تفضلتم به من معلومات وبيانات، وأن علماءنا يفكرون نفس التفكير لأنه نابع من دين واحد، وعلينا أن نتعامل مع ماحدث وهذه الظاهرة بما لايؤدى إلى المساس بالأبرياء بأى أذى، وأدعو لفضيلتكم البصيرة، وأن يجعلكم الله ذخرا للعالم الإسلامى، وبدوام التواصل بين علماء مصر وإيران لإعلاء كلمة الإسلام فى العالم أجمع، وعلماء إيران فى أشد اللهفة لزيارة فضيلتكم، وأقدم لفضيلتكم شكر وتقدير فخامة الرئيس الإيرانى وهو من رجال الدين فى انتظار تشريف فضيلتكم لزيارة إيران وهذه دعوة موجهة لفضيلتكم للزيارة.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتلبية الزيارة فى الوقت المناسب حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف ولفيف من العلماء.

فى اجتماعه مع وزير خارجية بريطانيا الإمام الأكبر يؤكد:

النفس الإنسانية فى الإسلام مصونة ومحترمة ولا يجوز لأحد الاعتداء عليها

● استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ جاك استرو وزير خارجية بريطانيا يرافقه السيد سفير بريطانيا فى القاهرة والوفد المرافق لهما.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه موضحا بأن شريعة الإسلام تدعو إلى السلام، وتمتاز بالسماحة وتعتبر الناس جميعا سواء أكانوا من الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب، هم جميعا من أب واحد وأم واحدة، ويجب أن يتعاونوا فيما بينهم، وشريعة الإسلام تحثنا على التعاون على البر والتقوى لا على الأثم

والعدوان، وهى ضد الظلم والبغى والقتل، وتعتبر أن من يقتل نفسا واحدة فكأنما قتل الناس جميعا، ومن عمل على إحياء نفس أو نصرة مظلوم فكأنما أحيا الناس جميعا سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، فالنفس الإنسانية فى الإسلام مصونة ومحترمة، ولايجوز لأحد أن يعتدى عليها، اللهم إلا إذا ارتكبت جريمة أوخطأ فهنا يجب أن تحاسب الحساب العادل الذى تقره الهيئات القضائية المحترمة، والدولة التى يعتدى عليها، من حقها أن تدافع عن نفسها وأن تبحث عن الجناة وتقدمهم للمحاكمة العادلة، وهذا حق وهبته شريعة الإسلام للفرد وللجماعة ومن حق كل من وقع عليه عدوان أن يدافع عن نفسه، ولايجوز أن يرتكب الجريمة شخص أو جماعة ثم تهاجم دولة بأكملها فيها الأبرياء والأطفال والنساء والشيوخ والعجزة والآمنين، وإذا كان هناك بعض الأفراد فى كل دولة وكل دين وكل مذهب لايعرفون أن الأديان السماوية أنزلها الله ـ عز وجل ـ للإصلاح وليس للإفساد فهم غير عقلاء ولايفهمون الفضائل، ويجب ألا نؤاخذ الناس جميعا وإنما نؤاخذ المخطئ والمعتدى، وهذا أصل من أصول شريعة الإسلام، واذا كانت شريعة الإسلام تحارب الإرهاب والظلم والبغى والعدوان، واغتصاب أراضى الغير، وأخذ أموال الناس بالباطل فهى أيضا تحارب من يتستر على الإرهاب، لأن من يتستر على الإرهاب فهو إرهابى، وسيأتى وقت يقتله الإرهاب، ونحن فى الأزهر الشريف قدمنا التعزية لأسر الضحايا فى أول لحظة لوقوع هذا الحدث البشع.

● أعرب الضيف عن سعادته بلقاء فضيلة شيخ الأزهر وأنه متفق مع فضيلته على محاربة الإرهاب، وأنه من المؤسف أن يكون هناك مثل هذا الصراع بين الناس وأن السيد / تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا أكد على أن اعتداءات ١١ سبتمبر يجب ألا تخلق شقاقا بين الإسلام والغرب وخاصة أننا نشترك فى الديانات السماوية ونفس المبادئ والقيم، وأشكر فضيلتكم على شعوركم وإحساسكم ببشاعة ماحدث وتقديمكم التعازى لأسر الضحايا وأوجه لفضيلتكم الدعوة لزيارة بريطانيا ولقاء أسقف كانتربرى فى أقرب فرصة تراها فضيلتكم وذلك لما لهذا اللقاء من أهمية كبرى لتوضيح سماحة الأديان، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك قد نادى منذ خمسة عشر عاما بمحاربة الإرهاب، كما نادى بعقد مؤتمر دولى تحت مظلة الأمم المتحدة تلتزم به جميع الدول وتكون قراراته ملزمة وذلك لمحاربة الإرهاب حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف ولفيف من علماء الأزهر.

الإمام الأكبر:

نحن مع تعاون الحضارات لا مع تصارعها

● استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتورة/ بينيتا فريرد والدنر وزيرة الشئون الخارجية لدولة النمسا، والسيد الوزير/ جوهانز بيتر عضو مجلس الوزراء، والسيد الوزير/ ماريوس كاليجاريس رئيس شئون الشرق الاوسط، والسيد سفير النمسا بالقاهرة، والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيدا بالروابط القوية التى تربط بين مصر والنمسا والاحترام المتبادل بين الشعبين، وأكد على أن النمسا دولة صديقة تحترم الدين الإسلامى، وشرح فضيلته دور الأزهر الشريف فى التعليم وأن الدراسة فيه تسير على الوسطية والاعتدال من منطلق أن شريعة الإسلام ترفض الإرهاب لأنها تدعو إلى السلام والأمان وتدعو إلى صيانة النفس الإنسانية سواء أكانت لمسلم أم لغير مسلم لأنها نفس محترمة لاينبغى الاعتداء عليها بأى لون من ألوان العدوان وبذلك يعيش الناس فى سلام وفى أمن وأمان واطمئنان، وقد أدان الأزهر الشريف الإرهاب فى أول لحظة حدث فيها حادث أمريكا فى ١١ سبتمبر وقلنا إن شريعة الإسلام تحرم الاعتداء على النفس الإنسانية كما أنها تدعو لصيانة الأموال والحقوق و من يرتكب جريمة يحاسب ويعاقب بالعقوبة الرادعة، وفى نفس الوقت نطلب من أمريكا أن تتأنى فى البحث عن الجناة الحقيقيين وتقدمهم للمحاكمة العادلة وهذا حقها ولكن أن تهاجم دولة بها الأطفال والنساء والشيوخ والأبرياء فهذا ما لانرضاه.

وأعربت السفيرة عن سعادتها بهذا اللقاء فى أعلى هيئة دينية محترمة وهو الأزهر الشريف مشيرة إلى أنه لابد من التعاون لمحاربة هؤلاء الذين يحملون أفكارا إرهابية، وقالت: أعتقد أن هدف الإرهاب هو تعميق الخلاف حتى يسود العالم، ولكن علينا أن نبين إلى أى مدى يجب أن يتسامح بعضنا مع البعض ويجب أن نبين لشعوبنا أنه ليس هناك صراع أو تصادم بين الحضارات والديانات، وعلينا أن نحسم مايشاع فى العالم من أفكار غير ذلك، ونوضح لشعوبنا وللرأى العام إدانة ماحدث، ولايمكن أن نتصور أننا نعيش فى صراع مع العالم، والنمسا دولة تعترف بالدين الإسلامى على ٤أنه دين صحيح، والجاليات المصرية فى النمسا تعيش فى أمان وسلام، وعلينا أن نعمل من أجل الاحترام والتقدير للتقارب، وأن نحارب تلك الصراعات،

وقد أوضح الإمام الأكبر شيخ الأزهر بأنه مع تعاون الحضارات وليس مع صراع الحضارات، لأن تعاون الحضارات يفيد

الشعوب، ويزيل الخلافات بين الشعوب ويجعل الشعوب تتفرغ للنهضة والتقدم فى كل المجالات وأشار فضيلته إلى أن السيد الرئيس محمد حسنى مبارك أول من نادى بالتصدى للإرهاب ونادى بعقد مؤتمر عالمى لمحاربته حضر اللقاء فضيلة الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

بوش يؤكد: الإسلام هو دين السلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد / ديفيد ولسن سفير الولايات المتحدة الأمريكية الجديد بمناسبة توليه عمله كسفير لبلاده بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسيد السفير والوفد المرافق حيث أكد فضيلته على أن الأزهر الشريف علماءه وطلابه والعاملين به يرفضون ما حدث من عدوان على الآمنين فى نيويورك وواشنطن، لأنه لون من العدوان الذى تبغضه شريعة الإسلام، والإسلام برىء من العدوان لأن شريعة الإسلام تصون كل نفس إنسانية سواء أكانت لمسلم أم لغير مسلم، كما قدم فضيلته باسمه وباسم علماء الأزهر وطلابه والعاملين به خالص التعزية للشعب الأمريكى الصديق ولأسر الضحايا، وللسيد الرئيس بوش، والشكر للرئيس بوش على اللفتة الكريمة التى قام بها لزيارته للمركز الإسلامى بواشنطن والتى أوضح بكلمة قال فيها: إن الإسلام ضد هذا العمل الإجرامى، ولا نريد إدانة المعتدى بدون دليل وحذر من أن يعتدى أحد على المسلمين، شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على كلماته الحكيمة قائلا: إن هناك ما يزيد على البليون من المسلمين فى العالم منهم ما يزيد على سبعة ملايين مسلم فى أمريكا، وأنا أعلم أن الإسلام دين سماحة ويرفض التعامل بالعنف، كما شكر فضيلة الإمام الأكبر لمعرفته بقرارات الرئيس الأمريكى، موضحا أن من طبيعة الأمريكان أنهم يحترمون العقائد والأديان، ونحن نرفض الاضطهاد الدينى، واليوم نرفض كافة أشكال العنف، وقال: إن تصريحاتكم وآراءكم قد شجعتنا لتلك الزيارة وكان على الرئيس الأمريكى دور وواجب نحو المسلمين، وقدم السيد السفير رسالة لفضيلة الإمام الأكبر من السيد الرئيس بوش مضمونها: أن الأمريكان الذين يعاملون المسلمين بأمريكا معاملة سيئة يجب أن يكون لديهم شىء من الخجل لأنهم أبناء وطن واحد، وأن وجه الإرهاب لا يمكن أن يكون حقيقيا مع عقيدة الإسلام لأن الإسلام هو دين السلام، ونحن نعلم ذلك، وأن هؤلاء الإرهابيين لا يمثلون الإسلام، إنهم يمثلون الشيطان.

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن رسالة السيد الرئيس بوش تنم عن تفكير سليم وعقلية موضوعية رشيدة ونشكره على هذه الرسالة الحكيمة، كما أوضح فضيلته أن مصر والأزهر الشريف ضد الإرهاب والعدوان والبغى وقتل الآمنين، وتمنى للشعب الأمريكى دوام الأمان والاستقرار، وأن الأزهر على استعداد للتعاون الصادق من أجل نشر الرخاء وتبادل المنافع التى أحلها الله - عز وجل - بين مصر وأمريكا والعالم أجمع وهو تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، مؤكدا على أن الأمان هو الذى يؤدى إلى الاستقرار والرخاء، وأما الخوف والفزع يؤدى إلى الفقر والخراب والضغائن.

كما أعرب فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف عن أسفه لما حدث فى أمريكا وتأييده لما قاله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى استنكاره لما حدث لأن الإسلام يرفض الإرهاب بكل صوره وألوانه وأشكاله ونؤكد على ما قاله السيد الرئيس بوش بأنه يجب أن يعامل المسلمون فى أمريكا معاملة حسنة لأنهم ليس لهم ذنب فيما حدث وقدم عزاءه للسيد السفير. حضر اللقاء لفيف من علماء الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر:

من يقع عليه العدوان يبحث عن الجانى ويقدمه للعدالة وليس من حقه أن يهاجم دولة

● ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف محاضرة بعنوان: (حماية الإسلام للأنفس والأموال) بمسجد النور بالعباسية بمناسبة بدء الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بحضور فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية والسادة نواب رئيس الجامعة وعلماء الأزهر الشريف وعلماء الأوقاف وطلاب البعوث الإسلامية والسادة الأئمة الوعاظ من خارج مصر.

وأكد فضيلته على أن الشريعة الإسلامية كرمت الإنسان تكريما عظيما ومن مظاهر هذا التكريم أن الله - سبحانه وتعالى - أوجدنا فى هذه الحياة لكى نعمرها، وأعطانا نعمة العقل التى هى مناط التكليف، ونعمة البيان والتخاطب فيما بيننا، وأن الشريعة الإسلامية أعطت لنا حقوقا وفرضت علينا واجبات، وعلى رأس هذه الحقوق حق الحياة الآمنة الكريمة التى يحياها الإنسان، وهو آمن على نفسه وماله وعرضه وحريته وكرامة الإنسانية.

وقال فضيلته: إن القرآن توعد الذى يعتدى على النفس الإنسانية ظلما دون سبب بأشد العذاب وذلك من أجل صيانة النفس الإنسانية، وأشار إلى أن القتل الذى يحمل فى طياته الظلم والعدوان والبغى يؤدى إلى انتشار الفساد والحقد والحسد فى الأمة لأن النفس الإنسانية هى هى فى كل زمان ومكان تتأثر بفقد عزيز لديها، موضحا أن الشريعة الإسلامية حرمت على الإنسان حتى قتل نفسه، بل إن الشريعة الإسلامية لم تعف الإنسان من القتل الخطأ حتى يحترس المجتمع، وأوضح بأن الذين يتهمون الإسلام بأنه دين قسوة أو عدوان جاهلون بحقيقة الدين الإسلامى وسماحته مشيرا إلى أن كل دولة بها العقلاء وبعض السفهاء الذين لا يدركون الحقائق.

وأشار فضيلته إلى أنه من الوسائل التى سلكها التشريع الإسلامى لتكريم النفس الإنسانية وحمايتها تحديد المفاهيم وإعطاء كل ذى حق حقه فقال تعالى:

﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(١).

أى مدوا يد السلام لكل من يسالمكم وأدبوا من يعتدى عليكم، لم يقل لنا من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ولذلك يقول الله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾(٢).

ولذلك فنحن كلنا رئيسا وحكومة وشعبا نقف إلى جانب إخواننا فى فلسطين ونمدهم بما نستطيع من ألوان المساعدة لأنهم ظلموا واعتدى عليهم البغاة، وقتلوا من قتلوا، وشردوا من شردوا فمن الواجب علينا أن نقف إلى جانبهم ونقول لهم اثبتوا ونحن معكم، وهذا الثبات ستكون نهايته النصر إن شاء الله والقرآن يحثنا على ذلك فيقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾(٣).

وإذا لم نفعل ذلك نكون مقصرين فى حق ديننا وفى حق أمتنا.

وأشار إلى آيتين ترسمان المنهج الذى يجب أن يسير عليه المسلمون فى التعامل مع غيرهم من أصحاب العقائد الأخرى قوله تعالى:

(١) البقرة (١٩٠).

(٢) الحج (٣٩، ٤٠).

(٣) النساء (١٠٤).

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٤).

فمن مد يد السلام إلينا مددنا إليه يد السلام ومن أساء إلينا وقاتلنا واعتدى علينا وأخرج إخواننا من ديارهم وآذاهم وأصر على هذا الإيذاء فلا يمكن أن تكون بيننا وبينهم مودة أو موادعة حتى ينتهى عن جرائمه،

وقال فضيلته: إن ماحدث فى أمريكا مؤخرا هو إرهاب وإفساد فى الأرض وهو عمل نستنكره جميعا ونحن ضده ومن حق من يقع عليه العدوان أن يبحث عن الجانى ويقدمه للعدالة ولكن ليس من حقه أن يهاجم دولة بأكملها فيها الرجال والنساء والأطفال والآمنين.

واختتم حديثه بقوله: إن شريعة الإسلام هى شريعة الحق والعدل والرحمة وإعطاء الحقوق لأصحابها وهى الشريعة التى صانت النفس الإنسانية عن أى عدوان عليه، وهى شريعة العدل والسماحة والسمو، ويجب ألا يتهم الإسلام.

● وقال د.زقزوق: إن الإسلام أكبر وأعظم من كل إساءة توجه إليه من الجاهلين الحاقدين وهو دين حفظه الله أكثر من ١٤٠٠ عام وقد تكفل الله بحفظه ورعايته حتى نهاية الكون ونحن نثق فى نصرة الله لدينه وبالتالى لا نخاف من أى هجوم فكرى وثقافى على الإسلام، والإسلام يتعرض حاليا لحملة شعواء تبغى تشويه صورته وهى حملة مغرضة تقوم على أسس ظالمة وتنطلق من أناس لا يفهمون عن الإسلام شيئا ولا يدركون أهدافه ومعانيه، وكل من يهاجم الإسلام والمسلمين سواء أكان فردا عاديا أو مسئولا فى دولة فهذا إنسان يفضح جهله على الملأ ويبرر التعصب والكراهية التى تتحكم فى سلوكه.

وقال: إن الإسلام لم يكن أبدا دين ارهاب أو تطرف لكنه دين الرحمة والعدل والإخاء والقرآن الكريم حينما امتدح النبى ﷺ وصفه بأنه رحمة للعاملين قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٥).

فالإسلام دين رحمة ورفق ولين وليس فيه مكان لهذه الأباطيل والترهات التى تثار من هنا وهناك سواء من هؤلاء الجهلاء الذين يتعمدون الإساءة للإسلام وهم لا يفهمون، أو من يسيئون إليه عن تعمد وسوء نية، فلم تعرف البشرية طوال تاريخها أمنا ولا سلاما وعدلا مثلما عاشته فى ظل الإسلام والحضارة الإسلامية.

---

(٤) الممتحنة (٨، ٩).

(٥) الأنبياء (١٠٧).

الفهــرس

● لابد للعلم من خلق عاصم (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٢٦٦
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ١٢٧١
● دعوة القرآن الكريم إلى بناء المجتمع
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٢٧٨
● تعظيم القرآن
للأستاذ الدكتور/ أحمد عبدالواحد ١٢٨٧
● المعيار المعتبر لقبول الرواية عند المحدثين
للدكتور/ أحمد محمود شيمى ١٢٩١
● الإسراء والمعراج (٢)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٢٩٦
● سيرة رسول الله لابن اسحق للدكتور على مراد
للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٣٠١
● موقف الإسلام من أهل الكتاب
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٣١٠
● الإسلام فى دراسات أكاديمية غربية
للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ١٣١٤
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٣٢١
● فلسفة خطاب الإعلام العربى
للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومى ١٣٣٠
● الإسلام دين السلام
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٣٣٤
● أم المؤمنين عائشة (قصيدة)
للشاعر/ أحمد محرم ١٣٣٩
● الأخلاق والاقتصاد
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ١٣٤٥
● بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
للدكتور/ محمد عمارة ١٣٥٤
● قصة العدد: إسلام بغى
للأستاذ/ محمود غنيم ١٣٦٠
● عدى بن حاتم الطائى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٣٦٥
● الشهيد (قصيدة)
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم ١٣٦٩
● الصهيونية وأرض الميعاد
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٣٧٢
● الإرهاب الصهيونى فى الأدب العبرى
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٣٧٧
● مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٣٨٣
● الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم
للدكتور/ السيد الجميلى ١٣٨٧
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٣٩٤
● صلة الأرحام
لفضيلة الشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ١٣٩٨
● الإسلام دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية
للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى ١٤٠٣
● طرائف.. ومواقف
إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٤٠٦
● واقعة حال (قصيدة)
للشاعر/ أحمد مصطفى حافظ ١٤٠٨
● المعادلة الصعبة
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٤٠٩
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ١٤١٤
● خطبة الجمعة: فى الطريق إلى فلسطين
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٤١٨
● رسالة... و... رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٤٢٣
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٤٢٥
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٤٣٢
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٤٤١
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى ١٤٤٦

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ
شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ
مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية .... ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ..٥٧٨٦١ - ٨٥٧٦٢٠٠

الرئيس حسنى مبارك في لقائه مع علماء الأزهر الشريف

إعداد / أحمد السيد تقى الدين

أكـد الرئيس حسنى مبارك أن الدين الإسلامى ليس دين إرهاب وأن القتل موجود فى أمريكا وأوروبا وكل مكان. وقال: إن مصر والمسلمين جميعا لا يوافقون على قتل الأبرياء، ولا على ما حدث فى الولايات المتحدة فى ١١ من سبتمبر الماضى. جاء ذلك فى افتتاح السيد الرئيس مركز المؤتمرات الدولى للأزهر الشريف بمدينة نصر فى ١٢ من شعبان ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٩ من أكتوبر ٢٠٠١م.

وكان الرئيس حسنى مبارك قد وصل إلى مبنى مركز المؤتمرات فى تمام الساعة التاسعة صباحا، حيث كان فى استقباله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى والدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء، والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر ، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، والدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية، والدكتور عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة.

وقد أزاح الرئيس مبارك الستار عن اللوحة التذكارية إيذانا بافتتاح المركز، ثم قام بجولة تفقدية للمركز، توجه بعدها إلى قاعة المؤتمرات بالمركز حيث التقى بعلماء الأزهر فى لقاء مفتوح.

وقد بدأ اللقاء بتلاوة لآيات من القرآن الكريم ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمته.

وبعدها ألقى الشاعر الدكتور محمد رجب البيومى قصيدة شعرية، بدأ فى أعقابها الرئيس مبارك لقاءه مع علماء الأزهر.

وكان الرئيس مبارك قد بدأ اللقاء بتوجيه التهنئة للعلماء بقرب حلول شهر رمضان المعظم، وقال: نحن الآن فى صرح جديد تابع للأزهر الشريف وأهنئكم بقرب حلول شهر رمضان المعظم فى خلال عدة أيام وكل عام وأنتم بخير.

وأضاف: تكلمنا فى الدين كثيراً وفى الإسلام ولن نمل، ولكن جاء الوقت أن أتكلم فى السياسة. والسياسة بالقطع لها علاقة كبيرة جدا بالدين واسمحوا لى أن أشرح لكم بعض الإجابات عن بعض الأسئلة التى وردت إلىّ. وقال الرئيس مبارك: قد لا أكون صريحا بالكامل فى كل سؤال، واعذرونى لأننى أنظر إلى المصلحة العامة قبل كل شىء ومصلحة مصر بصفة خاصة فسأكون محاسبا فى كل كلمة أقولها ولا أستطيع أن أخرج فى التفسير أكثر مما يمكن أن أقوله.

نص حوار الرئيس مبارك مع علماء الأزهر

ثم بدأ الرئيس مبارك الرد على أسئلة علماء الدين بالأزهر الشريف.

● **سؤال**: حاولت بعض الجهات استغلال أحداث ١١ سبتمبر الماضى فى الولايات المتحدة للربط بين الإسلام والإرهاب لأهداف مغرضة، بينما يؤكد فضيلة الإمام الأكبر ونؤكد جميعا فى كل مناسبة

أن الإسلام دين سماحة ويسر وهذه حقيقة، هل ترون أن هناك رابطا بين هذه المحاولات وبين الوضع فى الشرق الأوسط وخاصة الموقف العربى والإسلامى الرافض للسيادة الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧؟

● **الرئيس مبارك**: أحب أن أقول لكم بصراحة إن أحداث سبتمبر لا يمكن أن يوافق عليها أحد ولا على قتل الأبرياء دون سبب ولكن عندما قرب العقاب «تمحك» كل منهم فى الإسلام والقضية الفلسطينية، إنه لا يمكن أبدا أن نوقف الإرهاب إلا إذا حلت القضية الفلسطينية، لم يكن هناك أحد من هؤلاء يتكلم عن القضية الفلسطينية قبل ذلك، قتل الأبرياء فى الأقصر، قتل الأبرياء فى كل مكان ليس معناه أن الدين الإسلامى دين إرهاب، وهناك قتل فى الولايات المتحدة وفى أوربا.

● وأشار الرئيس مبارك فى هذا الصدد إلى المحامى الذى دخل برشاش فى المحكمة فى إحدى الولايات الأمريكية وقتل ٨ محامين وكذلك انفجار أوكلاهوما، إلى آخره. وقال: إنه يجب ألا ننسب العنف إلى الإسلام، لا أرى أن هناك رابطا بين العنف والإسلام.

وأضاف: لكن الوضع فى الشرق الأوسط موضوع آخر، الناس وصلت إلى درجة من الإحباط والشعور بالظلم الذى يؤدى إلى زيادة العنف فى فلسطين ما

بين الفلسطينيين وإسرائيل، هذا الموضوع أخذ مشوارا طويلا جدا بخصوص حل القضية الفلسطينية، وعلى ما أتذكر في أيام الرئيس السابق بيل كلينتون عندما تفاوض الإسرائيليون والفلسطينيون في كامب ديفيد وصل إلى حد أنهم طلبوا منا أن نساعد عرفات في أن يتخذ قرارا صعبا، وكان ردى سنساند عرفات في أى قرار يتخذه، وكانت المشكلة في ذلك الوقت هي الحرم، تريد إسرائيل أن يكون الحرم تحت السيادة الإسرائيلية، وعندما مر عليّ كلينتون هنا في ساعة مبكرة في يوم من الأيام قادما من أفريقيا شرحت له وقلت له تماما بالحرف الواحد لا يمكن لأية دولة عربية أو إسلامية أن تقبل السيادة الإسرائيلية على القدس الشريف لأن هذه أرض احتلت عام ٦٧.

القدس يجب أن يعود

وقال الرئيس: لقد تناقشنا كثيرا في هذا لدرجة أنه في أحد اللقاءات قلت: إذا كنتم ستصرون على بقاء القدس تحت السيادة الإسرائيلية أقول لكم بصراحة وأمانة، وليس هذا سرا... ستبقى الحرب بين المسلمين وبينكم ولو لمائة عام، واعتقد أن الإدارة الأمريكية تفهم هذا لكن التعنت الإسرائيلي لا يزال قائما والمقدسات الإسلامية لابد أن تعود، القدس الشريف لابد أن يعود. وأعتقد أن الرئيس الفلسطيني أثناء مفاوضاته في كامب ديفيد وصل إلى بعض تنازلات معهم، أن تسلم إسرائيل الحرم للسلطة الفلسطينية وأن يعطيهم حائط المبكى والحي اليهودى.. والقدس الشرقية مقسمة إلى عدة أحياء.. حي يهودى.. حي إسلامي.. حي مسيحي.. كلهم فلسطينيون والحي الأرمني.

قال لهم: خذوا الحي اليهودى مع حائط المبكى أما باقي الأرض المقدسة فلا يمكن أبدا أن يجرؤ مخلوق على أن يتنازل «يجرؤ موش يستطيع» لا يمكن لمخلوق أن تأتي إليه الجرأة أن يتنازل عن القدس الشريف وعن الحرم.

طبعا كانت هناك مفاوضات حدثت بعد اللقاء في كامب ديفيد لكن مدة الرئيس الأمريكي السابق كانت أوشكت على الانتهاء ولو أن الجانب الإسرائيلي والجانب الفلسطيني جلسا للتفاوض في طابا، وقد ساعدناهم في أن يلتقوا بالرئيس الأمريكي حتى يمكن بدء التفاوض وبدأوا التفاوض في طابا ولكن الفترة كانت قصيرة مما أدى إلى توقف المفاوضات وانتهت مدة الرئيس الأمريكي السابق.

شرعية المقاومة

● **سؤال**: أعربتم عن تأييد مصر الكامل للمجهودات الدولية لمكافحة الإرهاب إلا أن البعض يسعى دون حق لتوسيع نطاق الحملة ضد الإرهاب لتشمل حركات المقاومة الشرعية في الأراضي الفلسطينية والسورية واللبنانية المحتلة.. كيف يمكن مكافحة الإرهاب إذا لم يكن هناك تعريف واضح له يأخذ في الحسبان شرعية المقاومة المسلحة للشعوب الواقعة تحت الإرهاب؟

● **الرئيس مبارك**: في أحد الأحاديث في الفترة الأخيرة قلت إن ما يدور في الأرض الفلسطينية من استرجاع الأرض لا أعتقد إنه يكون إرهابا، وإذا كنا سنعتبر أن هذا إرهاب فأنا اعتبر أيضا العمل الإسرائيلي في داخل الأرض المحتلة إرهابا، غضبت بعض المنظمات وبعثت تقول لي هل تقبل القتل في

الكازينوهات والقتل فى إسرائيل، وكذا وكذا، هل لا تعتبره إرهابا، يعنى هل ظهور قانون يعطى الحق لدولة إسرائيل أن تتبع الفلسطينيين أو ما يسمونهم «الناشطين» فى الأرض المحتلة وقتلهم، أى دولة فى العالم تصدر هذا القانون.

أعتقد تعريف الإرهاب لهذا الموضوع كنا نتكلم فيه منذ عام ٨٤ أو ٨٦ وكنت أنادى بمؤتمر دولى للإرهاب، لم يستمع أحد وقالوا: إرهاب، أصل مصر فيها مشكلات والجزائر فيها مشكلات وهما عاوزين مؤتمر، الإرهاب موش حايجيلهم سواء أمريكا أو أوروبا، بل بالعكس كان الإرهابى هنا يقتل ويهرب ويأخذ حق اللجوء السياسى فى أوروبا وفى دول أخرى وحتى فى أمريكا.

ولقد تكلمت فى هذا الموضوع كثيرا وناديت بمؤتمر دولى للإرهاب، وكان الخلاف هو هل يحتسب القتال أو العمليات التى تدور على الأرض المحتلة إرهابا أم لا؟ نحن نقول لا، لأنه يريد أن يستعيد أرضه، بعض الدول التى تعارض هذا تقول لا.. لا نستطيع أن نعمل مؤتمرا دوليا للإرهاب لأن المسلمين سيقولون إن ما يدور فى الأرض المحتلة ليس إرهابا.. ولذلك كنا كلما نادى بالمؤتمر كان يتوقف.

وأعتقد الآن أنه لابد وفى أسرع وقت ممكن أن يحدث المؤتمر الدولى للإرهاب وأن تعرف كلمة الإرهاب تعريفا كاملا ووضع قواعد منظمة لمعاملة الإرهابيين حتى لا يقبلوا بحق اللجوء السياسى فى الدول ويأخذوا الحماية اللازمة ويرتكبوا الأخطاء والجرم فى بلادهم.

إذا كنا نبحث عن حقوق الإنسان فكلنا مع حقوق الإنسان، لكن هناك من يبحث عن حق

الإنسان المجرم القاتل ويترك حق الإنسان البرىء الذى يقتل هنا وييتم أولادهم، وتفقد الزوجات الأزواج والأولاد. هذا ما نتكلم عنه دائما واعتقد أنه آن الآوان لأن يكون هناك مؤتمر دولى للإرهاب لتعرف كلمة الإرهاب ولوضع قواعد ملزمة لجميع الدول الصغيرة والكبيرة لتنفيذ مثل هذه القواعد.

وقال الرئيس مبارك: حينما قلت إن هذه مقاومة شرعية بعثوا لى رسائل يقولون لى إزاى، أمال هى إيه، أرض محتلة، احتليت أرضى، عاوز استعيد أرضى، وانت موش عاوز ترجعها لى حيحصل عنف، والعنف بيحصل ليه، فى فلسطين القرى والمدن كلها محاصرة، قبل حصار المدن والقرى لم يكن هناك عمليات إرهاب إلا نادرا شأنها شأن أى دولة فى العالم، لكن عندما تحاصر القرى والرجال لا يستطيعون العمل ولا يستطيعون كسب أرزاقهم، ولا يستطيعون إرسال أولادهم للقرية المجاورة فى المدرسة، أو لا يستطيعون الإنفاق على أولادهم للعلاج أو المأكل أو الملبس، ماذا تتوقع منه، حالة يأس وحالة إحباط، موش قادر أطعم عيالى وموش قادر أبعثهم المدرسة وإلا يمكن ينضرب ويموت وموش قادر أجيب له هدوم، ما باشتغلشى، قاعد عاطل، تبقى حياة أيه دى؟ تدعو لليأس والإحباط خلاص أروح أركب شوية متفجرات وآجى فى وسط تجمع إسرائيلى وأفرقع وأموت الناس، حقيقى بيموتوا أبرياء، لكن إيه إللى وصلنا إلى هذا الحد، هو حالة الإحباط واليأس.

وأضاف: هذا هو المهم ولابد أن إسرائيل تتفهم هذا ولابد أن العالم كله يتفهم ولابد أن نمشى فى طريق السلام حتى يتوقف العنف ويعود الحق لأصحابه.

لا حل سوى التفاوض

● **سؤال**: يتزايد الشعور بالإحباط واليأس من إمكانات نجاح مفاوضات السلام مع إسرائيل فى ضوء سياستها الاستفزازية تجاه الشعب الفلسطينى الأعزل، هل ترون أنه مازال هناك أمل فى التفاوض مع الحكومة الإسرائيلية الحالية؟

● **الرئيس مبارك**: يعنى حاليا أنا لا أتوقع أن يكون هناك تفاوض، العملية كده كل ما العملية تهدأ نشوف لها حل، يشوفوا لها مصيبة، يعنى بنشوف ليه الانتفاضة قامت فى ٢٨ سبتمبر من العام الماضى رئيس الوزراء الحالى كان بيدخل الانتخابات علشان رئاسة حزبه فأخذ بعضه وراح الحرم ومسنود بحوالى ثلاثة آلاف جندى يؤمنونه هناك، بدأت الانتفاضة واستمرت، وجاء رئيسا للوزراء وعندما هبط معدل الانتفاضة قليلا نتيجة المجهودات التى تبذلها السلطة الفلسطينية، يظهر معجبوش الحال، فراح هناك عشان يحط حجر الأساس لهيكل سليمان، منعه الشعب زادت الانتفاضة وارتفع معدلها مرة أخرى.

وأضاف الرئيس: الواحد مش قادر يفهم هل هم عايزين سلام، أعتقد أن الشعب، المواطن الإسرائيلى العادى يريد أن يعيش شأنه شأن المواطن الفلسطينى العادى يريد أن يعيش، كانوا بيخافوا يمشوا فى الشوارع، بيخافوا يروحوا المحلات، المسئولية مسئولية الحكومات، الحكومات إذا لم تتبن خطا منطقيا معقولا لتأمين شعوبها أنا رأيى أنها تستحق إعادة نظر.

ولا يوجد حل سوى التفاوض، بعد سنة، بعد ستة شهور، بعد سنتين، لا حل إلا التفاوض لأن عمر استخدام القوة ما حل قضية فى العالم، الضرب والقتل بيزيد عملية الانتقام ومش حتنتهى أبدا، لابد أن تقعد الأطراف وتنفذ تقرير ميتشيل، وتبدأ التفاوض علشان الحل النهائى، وأكبر ضمان لإسرائيل إذا كانت تريد أن تعيش فى هذه المنطقة هو إقامة الدولة الفلسطينية على أرضها، وأن يتعاونوا مع بعض وحتنتهى المشكلات، بدون ذلك لا حل إطلاقا للوصول إلى سلام.

وقال الرئيس مبارك: هناك دور أمريكى ودور أوروبى طبعا، بياخدوا منها المعدات والشعب الفلسطينى شعب أعزل بيضرب ببندقية شارينها من الإسرائيليين، أغلبها شارينها من الإسرائيليين، فلابد من الدور الأوروبى، يمكن أمريكا منشغلة بحكاية أفغانستان دلوقتى، لكن لابد أن يكون هناك إجراءات معينة أو مجهود معين من المجموعةالأوروبية والولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينية، على الأقل حتى نقلل من العنف ونقلل الإرهاب ونصل إلى السلام ويأمن كل مواطن سواء إسرائيلى أو فلسطينى. إحنا مش ضد الأمن للمواطن الإسرائيلى إطلاقا. إننا نريد الأمن للمواطن الإسرائيلى لأنه بشر والدين بتاعنا بيدعو إلى هذا.. كما ندعو أيضا إلى الأمن للمواطن الفلسطينى ولن يكون هذا إلا بالوصول إلى حل عادل للقضية الفلسطينية.

التجارة البينية ضرورة

● **سؤال**: تزعمتم الحركة النشيطة نحو التضامن العربى ونجحتم فى المجال السياسى فى إقرار مبدأ انعقاد القمة العربية كل عام

« الرئيس يعلق: دى بذلنا فيها مجهودا طويلا »

وعززتم ذلك بدعم التوجه نحو إنشاء عدد من مناطق التجارة الحرة بين الدول العربية فى إطار سعيكم الدؤوب لتحقيق حلمنا جميعا لإحياء سوق عربية مشتركة.

● **الرئيس مبارك**: أن بأقول إن التجارة البينية، يعنى ما بين الدول العربية بعضها والبعض لا تزيد على ٨ إلى ١٠٪ من تجارة الدول العربية، الكلمة دى لها معان كثيرة، لما أنا أشترى منك وتشترى منى وأن يكون إللى عايزه موجوداً عندك أنا بافتح خطوط إنتاج كثيرة أو أنت بتفتح خطوط انتاج تانية، بتشغل عمالة، بتعيش الناس، لكن التجارة الثانية كلها (الـ ٩٠٪) بره فى الخارج يعنى بتشغل عمالة فى الخارج نوجد لهم وظائف، بنجيب خبراء من عندهم وهكذا، مع إن احنا كلنا عندنا صناعات وممكن الاستثمار يمشى فى الدول ده بدل ما بنستثمر فى أوروبا وأمريكا نستثمر فى بلادنا وحيبقى كلنا قلبنا على بعض وما حدش منا حيعتدى على الآخر لأن أنا لى مؤسسات.

وأضاف الرئيس مبارك: الموضوع ده منذ أن توليت وأنا أتكلم فيه، يا جماعة السوق العربية المشتركة أساسية، السكان بتزيد فى كل عالمنا العربى، احتياجاتنا بتزيد كلها، يعنى إذا كنت انت بتصنع حديد حاشترى منك، وأنا باصنع زجاج حتأخذ منى، والتكنولوجيا واحدة وكلنا بنجيب من بره بس بنفتح مصانع واستثمارات فى بلادنا كلها، وما بقولشى استثمارات فى مصر أو الصناعات كلها فى مصر، بل يجب أن تتوزع فى الدول العربية كلها علشان العمالة من كل الدول،

الأفراد كلها تشتغل تقدر تكتسب الرزق، بدلا من أن تزيد البطالة عندنا، ونحن نقوم بتشغيل البطالة فى العالم الخارجى، فنحن نسهل لهم ونعقد على نفسنا الحياة نتيجة إن فلوسنا بره، كل استيراداتنا من بره وبعدين النتيجة احنا سكانا بنزيد ولا نجد شغل أبدا لكل الناس.

وقال الرئيس مبارك: الحكومات لا تستطيع بميزانياتها أن تشغل العالم ده كله يعنى معقول أنا أقدر أشغل فى مصر مليون واحد كل سنة انتم عارفين الميزانية هى ١٠٠ مليار، منها ٤٦ مليار مرتبات، وحتزيد، حتوصل ٥٠ أو ٥٥ مليار يعنى أكثر من النصف وبعدين احنا حنصرف على الخدمات وعلى الحياة وعلى متطلبات الحياة منين.. لذلك احنا عمالين نجرى وراء السوق العربية المشتركة وفيه بادرة أمل وأتمنى إنها تتحقق لأنها مهمة جدا لصالح جميع الدول العربية بلا استثناء.

فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عبدالغنى عاشور وكيل الأزهر الشريف يتحدث خلال اللقاء.

وأضاف الرئيس مبارك: اعملوا استثمارات فى أى دولة إحنا ما عندناش مانع ما بنخافش واستورد منك وانت استورد منى، بدل ما أنا العملة الصعبة برة، وموش لاقيها، نتبادل، نشترى، ونفتح مصانع، ونشغل عمالة، العمالة عمال ومهندسين وأطباء ومحاسبين ومن كل المجالات حتشتغل، وعلى المدى القريب لابد أن يحدث تقدم فى السوق العربية المشتركة ليس هناك حل آخر لنا كأمة عربية.

● **سؤال**: الآن عالمنا العربى يشهد يوما بعد يوم بأنه فى أمس الحاجة إلى هذا التضامن فى مواجهة الأخطار المتزايدة ضد الأمة العربية: فهل من كلمة توجهونها إلى شعوب العالم العربى؟

● **الرئيس مبارك**: أنا أتكلم كثيرا عن أن السوق العربية المشتركة أساس حياة هذه الشعوب، التعاون الاقتصادى والتعاون التجارى شرط أساسى للمستقبل، إذا كنا ما زلنا الآن نستورد باقول فى المستقبل سنحتاج إلى وظائف كثيرة ويكون فات الأوان ونرجع نندم على مافات.

لابد من سوق عربية مشتركة، نشوف أوروبا نحن أعلنا السوق العربية المشتركة قبل الاتحاد الأوروبى، الآن أين الاتحاد الأوروبى، إنهم يضعون شروطا علينا واحنا لسه قاعدين بنستورد منهم مافيش فايدة، ما عندنا إمكانات، السعودية فيها إمكانات وسوريا فيها إمكانات ولبنان ومصر فيها إمكانات وليبيا والمغرب والجزائر وكل الدول العربية، إن هذه الإمكانات حينما تتعاون ستحد من عمليات البطالة وما يترتب عليها من مشكلات.

كلمة فضيلة الإمام الأكبر

وألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى كلمة ترحيب بالسيد الرئيس محمد حسنى مبارك حيث قال:

الرئيس مبارك يتلقى هدية مصحفًا شريفًا من شيخ الأزهر

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك -وفقه الله وسدد خطاه-

الحفل الكريم:

مرحبا بك يا سيادة الرئيس فى الأزهر الشريف جامعا وجامعة.

مرحبا بك فى هذا المبنى الذى أسس على تقوى من الله ورضوان

مرحبا بك فى هذا فى المبنى الذى أنشىء ليكون منارة للعلم النافع، وليكون مصدراً من مصادر الهداية على مكارم الأخلاق، وإلى كل ما يؤدى إلى رقى الأمة فى كل مجال من مجالات الحياة التى أوجدنا الله فيها لكى نعمرها بكل ما ينشر فيها السلام والأمان والرخاء.

مرحبا بك يا سيادة الرئيس فى صرح من صروح الأزهر الشريف الذى عمره أكثر من ألف سنة، والذى تقوم الدراسة فيه منذ أن انشىء على (إبراز محاسن الشريعة الإسلامية، وعلى حماية اللغة العربية من كل ما يخرجها عن معانيها السليمة).

الاعتدال والتوسط، والابتعاد عن العصبية العمياء، وعن العنصرية البغيضة

تقوم الدراسة فيه على تقديم العلم النافع إلى كل من هو فى حاجة إليه سواء أكان من الشرق أم من الغرب أم من الشمال أم من الجنوب.

وفى الأزهر الشريف الآن طلاب وطالبات من أكثر من تسعين دولة يتلقون العلم إلى جانب أخوانهم وأخواتهم من أبناء مصر.

مصر -والحمد لله- ذات الحضارة التليدة

التى انتفع كثير من الدول فى الشرق أو فى الغرب بهذه الحضارة.

وبهذه المناسبة نقول: إن الذين يقولون بأن الحضارات تتصادم، مخطئون.

لأننا نقول لهم: الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم، تتقارب ولا تتباعد، تتآزر من أجل خدمة البشرية، ولا تتصارع من أجل نشر الخراب والفساد فيها.

والحضارات تزدهر وتنمو وتنتشر ويشع ضوؤها فى الأمم التى يكثر فيها عدد العقلاء وتندثر وتضمحل ويخمد نورها فى الأمم التى يكثر فيها عدد السفهاء الجهلاء.

وشريعة الإسلام -يا سيادة الرئيس- التى تقوم على العدل وعلى الرحمة وعلى رعاية مصالح الناس

هى أساس لكل حضارة رشيدة.

هى أساس لكل حضارة تقدم السلام والأمان للناس.

هى أساس لكل حضارة تجمع ولا تفرق وتبنى ولا تهدم وتعمر ولا تخرب وتصلح ولا تفسد وتعدل ولا تظلم

وإذا كان بعض الذين ينتسبون إلى الإسلام، لم يعملوا بآدابه أو بأحكامه، فإن هذا موجود فى كل أمة وفى كل دين وفى كل مذهب من المذاهب التى انتشرت فى مشارق الأرض وفى مغاربها

والأزهر الشريف بمقتضى رسالته ودراساته لشتى ألوان العلوم على رأس وظائفه أن يبين للناس أن شريعة الإسلام بريئة من كل عدوان على الناس فى أنفسهم أو فى أموالهم أو فى أعراضهم.

إن شريعة الإسلام -يا سيادة الرئيس- تقرر أن الناس جميعا من أب واحد ومن أم واحدة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾(٢).

شريعة الإسلام رسمت لأتباعها علاقتهم بغيرهم فى آيتين كريمتين هما قوله تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٣).

---

(١) النساء (١).

(٢) الحجرات (١٣).

(٣) الممتحنة (٨، ٩).

شريعة الإسلام تصون النفس الإنسانية من أى عدوان عليها مادامت لم ترتكب ماتؤاخذ عليه، سواء أكانت هذه النفس لمسلم أم لغير مسلم، وتأمرهم أن يمدوا يدهم بالسلام والأمان إلى كل من يمد يده إليهم بالسلام والأمان.

ويكفى أنها تأمر أتباعها بانه إذا استجار بهم من ليس منهم فعليهم أن يجيزوه، وأن يحموه من أي عدوان عليه، وأن يوصلوه إلى بلده آمنا مطمئنا.

قال -تعالى-:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٤).

شريعة الإسلام التى تأمر أتباعها بأن ينطقوا بكلمة الحق، هى التى جعلتنا فى أعقاب ما حدث فى واشنطن وفى نيويورك فى الحادى عشر من شهر سبتمبر الماضى جعلتنا ننطق بالحكم الشرعى النابع من شريعة الإسلام فنقول ثلاث كلمات:

أولها: أن ما حدث من قتل للآلاف من الآمنين بتلك الصورة المنكرة الغادرة الخسيسة هو فعل إجرامى وحشى خسيس تبرأ منه شريعة الإسلام، وتبرأ منه الإنسانية جمعاء.

وثانيها: أن على الدولة التى وقع عليها هذا العدوان الأثيم، أن تبحث عن الجناة المجرمين، وعن الذين زينوا لهم هذا الإجرام وحرضوهم عليه، وأن تقدمهم إلى الهيئات القضائية لتقول كلمتها فيهم.

وثالثها: أن تجعل عقوبتها لهؤلاء الجناة المجرمين لا لغيرهم من الآمنين من الرجال أو النساء أو الأطفال. فالله -تعالى- يقول:

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾(٤).

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك -وفقه الله وسدد خطاه- لقد عرفناك قائدا نقيا شجاعا حكيما، صديقك هو الذى يؤدى واجبه بيد نظيفة، وباتجاه قويم، وباستقامة فى القول والفعل والسلوك، وبحرص على خدمة المصلحة العامة بشرف وأمانة.

وإننا لندعو الله -تعالى- لسيادتك بالمزيد من السداد والتوفيق، وبالمزيد من الصحة والعافية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(٤) التوبة (٦).

(٥) النجم (٣٦: ٤١).

حصن الإسلام

وألقى فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس تحرير «مجلة الأزهر» قصيدة بهذه المناسبة:

كل حين لنا احتفال سعيد ... هو للمسلمين فى الكون عيد

إن دعا الأزهر الشريف لحفل ... نهضت أمة وخفت وفود

هو حصن الإسلام يحمى حمى الإ ... سلام والبغى فاجر عربيد

جاءنا السيد الرئيس المفدى ... مالنا بعد أن نراه مزيد

الرزين الحصيف ذو الصبر والحلم ... تميد الذرى وليس يميد

هو رباننا فإن هبت الريح ... هداه فى الموج فكر سديد

نصر الدين والعروبة فى عصر ... به الدين مستطار شريد

ما جنى المسلمون حتى يراعوا ... بقلوب ينز منها الصديد؟

قد أصبنا من غيظنا باختناق ... ومن الغيظ قد يشق الوريد

ماجنى المسلمون إذ تنشب الحرب ... وهم فى لظى الجحيم وقود

ألفرد فذ تساق الأساطيل ... وتسعى بوارج وجنود

أيبـــاد الأفــغـــان من أجل فـــرد هوس أم ضـــغـــينة وحـــقـــود ؟
أصليـــبـــيـــة تقـــولون مـــاذا ؟ جـــئـــتـــمـــونا بهـــا ونحن بعـــيـــد
باســمـــهـــا قـــد غـــزوتمونا قـــديمـــا حـــيـث عـــانى آباؤنا والجـــدود
مـــا فـــعلنا ســوى الدفـــاع عن النفس ورد العـــدوان فـــرض أكـــيـــد
الحـــضـــارات أشـــرقت فى حـــمـــانا حـــين كـــان الظلام فـــيكم يســود
قـــد لبـــســتم جلد الوحـــوش وكنا قـــد لبـــسنا الدمـــقس وهو نضـــيـــد
أحـــمـــد فـخـــرنا وعـــيـــسى ومـــوسى هـل أتى مـنكمـــو نبى رشـــيـــد
إن تغب شـــمـــسنا قليـــلا عن الأفق فـــبـــعـــد الغـــيب حـــتـــمـــا تعـــود !
هـكذا الكون دولة فـــهـــبـــوط ثم يأتى بعـــد الهـــبـــوط الصـــعـــود
إن مـــصـــرا حـــمت جـــمـــيع البـــرايا حـــين دوت بالقـــاصـــفـــات الرعـــود
هجـــمـــات التـــتـــار طاحت ببـــغـــداد وأودت بالشـــام فـــهـــو حـــصـــيـــد
واشـــرأبت كل العـــيـــون لمصـــر ولمصـــر فى الروع بأس شـــديد
صـــرح العـــز فـــوق مـــئـــذنة الأز هـر والعـــز باسل صـنديد
صـــرخ العـــز فـــالشـــبـــاب جـــمـــوع يتـــوافـــون والشـــيـــوخ حـــشـــود
حـــين دوت وإســـلامـــاه اقـــشـــعـــرت مـــهج تغـــتـلى، وفـــارت كـــبـــود
الشـــبـــول الشـــبـــول خـــفت من الغـــاب وفى صـــدرها يؤج الوقـــود
والعـــذراى والســـيـــدات بذلن الحلى كل بما تصـــون تجـــود
أســـورات لآلـىء وحـــلـى من نضـــار، وأقـــرط وعـــقـــود
كل غـــال يهـــون فى حب مـــصـــر إن مـــصـــرا هى الرجـــاء الوحـــيـــد
وتراءى الجـــمـــعـــان فى عـــين جـــالو ت أســـود تسطو عليـــهـــا أســـود

حين دوت وإسلاماه اقشعرت ... مهج تغتلي وفارت كبود

نفحات من يوم بدر تجلت ... فكسبنا لدى الوغى ما نريد

فإذا المعتدى بقايا فلول ... فقتيل مضرج وطريد

مثل يوم العبور طرنا إليهم ... فى قتال يشيب منه الوليد

ما حكوه عن خط بارليف أضحى ... سخريات الأيام وهو بديد

المكان المكان أرض فلسطين ... وتاريخنا بها مشهود

حيث حسنى قطز وأنور بيبرس ... وجبريل فى الأمام يقود !

شرد الشعر ناسيا حفلة اليوم ... وللشعر نفرة وشرود

غير أنا نعود نلتقط الأنفاس ... والقول مستطاب مديد

غمر الهم مقولى فتناسى ... إنه اليوم شاعر غريد

أى حفل لاى مبنى تجلت ... فيه للفن روعة لا تبيد

مركز فى البهاء يغدو عروسا ... حاطها فى الزفاف مرد وغيد

زغرد الفن فى المكان فلوكا ... ن أديبا لرن منه القصيد !

قد جعلتم عجائب الكون سبعا ... ثا من السبع ذا البناء المشيد

ستصول العقول فيه أفانين ... ويعلو به النقاش الرشيد

وقفات البيان يرجع منها ... من عكاظ لمصر عهد جديد

هو دار للحكمة اجتذبتنا ... ستعيد المأمون فيمن تعيد

خلد الأزهر الشريف على الدهر ... وبالله تم هذا الخلود

قاده الطنطاوى إلى المجد سباقا ... ودرعاه عزمه وصمود

الفقيه المفسر المتروى ... والخطيب الذواقة المحسود

ولا ينتهى اللقاء

نعم لا ينتهى اللقاء.. صحيح أن السيد الرئيس محمد حسنى مبارك غادر القاعة مصحوبا بدعوات علماء الأزهر له بالتوفيق والسداد، ولكن علماء الأزهر لا يغادرون القاعة وإنما جلسوا يتحاورون يسترجعون كلمات الرئيس الذى أبى إلا أن يطلع علماء الأزهر على حقائق الأمور ليكونوا على بينة من أمر قضايا أمتهم.. لقد سمعوا الرئيس يجيب على تساؤلاتهم.

البعض الآخر أخذ يتحدث عن التطور الهائل الذى حدث فى الأزهر الشريف فى عهد شيخه الجليل الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى وبرعاية رئيس الجمهورية شخصيا، حيث شهد الأزهر نقلة حضارية جبارة تمثلت أكثر ما تمثلت فى تحديث منشآته التى أصبحت ملء السمع والبصر.

البعض كان يتحدث بفخار عن الجامع الأزهر الذى بذلت جهود جبارة فى ترميمه بعد أن تصدعت جدرانه ومالت كثير من أعمدته، ولولا جهود فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى والاستجابة الفورية من رئيس الجمهورية شخصيا والذى حول مشروع ترميم الجامع الأزهر إلى مشروع قومى تجند فيه كل طاقات الدولة من أجل الحفاظ عليه ليظل دائمًا وأبداً عزيزاً شامخًا، لولا ذلك لحدث مالا يحمد عقباه.

وفى جانب آخر من جنبات القاعة كان الحديث يدور عن دار الكتب الأزهرية والمبنى العملاق الذى تشغله الآن والذى جرى تجهيزه بأحدث تقنيات العصر بعد أن كانت المكتبة الأزهرية تشغل مساحة بالجامع الأزهر لا تتناسب أبدا مع مقتنياتها الثمينة من الكتب ونفائس المخطوطات، وأصبحت هذه الدار قبلة ومزار العلماء والباحثين.

ولا يتوقف حديث العلماء عن إنجازات شيخهم الجليل محمد سيد طنطاوى فى عهد رئيسهم مبارك الذى صار الأزهر فى عهده منارة شامخة يفخر بها الأزهريون ويتباهون، فقد تحدث أحدهم عن مبنى مشيخة الأزهر الجديد، تلك التحفة المعمارية التى افتتحها رئيس الجمهورية

شخصيا فى ١٣ من سبتمبر ١٩٩٩ وتكلف إنشاؤها خمسين مليونا من الجنيهات وأقيمت على مساحة ٢٨٠٠ متر مربع.

ويحكى أحدهم عن مبنى الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية بمدينة نصر والمجاور لقاعة المؤتمرات التى يجلسون فيها والتى جرى إنشاؤها وتجهيزها بأحدث تكنولوجيا العصر، بعد أن كانت فى السابق موزعة على عدة «شقق سكنية» فى عدة عمائر، وكان مدرسو الأزهر والعاملون بالمعاهد الأزهرية يتنقلون بينها لإنجاز عملهم مع ما فى ذلك من مشقة بالغة.

واليوم يجلسون فى هذه القاعة المهيبة التى انشئت لتكون واجهة حضارية مشرفة أمام وفود العالم التى ستأتى إلى رحاب الأزهر للاجتماع بعلمائه طلبا للمشورة والنصح.

أجل لا ينتهى اللقاء، وسيظل الأزهر الشريف يشهد المزيد والمزيد من الإنجازات الحضارية الفذة، إن شاء الله تعالى.

افتتاح مبنى مشيخة الأزهر بالدراسة فى ١٣ من سبتمبر ١٩٩٩م لقطة تتكرت وستتكرر مع مشروعات ازهرية جديدة بإذن الله

مبنى مشيخة الأزهر تحفة معمارية فريدة

الجامع الأزهر وجهود جباره بذلت للحفاظ عليه

افتتاحية العدد

رمضان غريب

لو كان شهر رمضان رجلا يعقل، ويفكر فى أمسه ويومه، لشاهد من التناقض السافر ما يضج به ضجيج الثورة والاحتجاج، فقد كان رمضان فى عصر الإسلام الأول موسما للزهد والقناعة وتمرينا على احتمال الجوع، ومجالا للعطف الرحيم على ذوى الفاقة والعسر، كما كان ميدانا للعبادة ومدارسة القرآن والحديث، والاعتكاف الخالص للتأمل فى خالق السموات والأرض، والتفرغ إليه رغبة ورهبة، هذا فى الأمس الغابر، أما الحاضر المشاهد فلا يكاد يلتفت الى هذه المعانى، بل ربما كانت هذه المعانى بمفهومها الدينى، ومغزاها الإنسانى أبعد وأنأى عن عقول القائمين على الإعلام فى أدواته المختلفة، حين يجعلون نقائضها المؤلمة حقا مفروضا على القارئ والسامع والمشاهد، على القارئ فى المجلات والجرائد، وعلى السامع فى الراديو ومختلف الشرائط الهابطة، وعلى المشاهد فى إعلانات التليفزيون ومسرحياته وقصصه، والناس يسمعون ويقرأون ويشهدون وأكثرهم يظن الأمر طبيعيا لا نشاز فيه، وأقلهم يستشعر الحسرة على ما فرطنا فى جنب الله حين أصبحت شعيرة الصوم سببا للهو العابثين، ومجال نشاط مبتذل كريه!

الغذاء فى رمضان

ونترك الحديث عن الإعلام المتحرر لنعود إليه بعد حين، إذ نتحدث الآن عن مظاهر التخمة المفرطة التى تسببها المآكل الدسمة ما بين الإفطار والسحور، فقد أصبح رمضان موسما من مواسم الكسب المادى للشركات التجارية فى أوروبا وأمريكا، حين علم القائمون على هذه الشركات أن مما يروج بضائعهم الكاسدة أن تجد المعلبات البائرة هناك طريقها إلى البلاد الإسلامية باعتبارها مصدر غذاء شهى تسبقه الإعلانات فى كل مجال من مجالات النشر، وكأن ما يذبح من الحيوان، وما يكدس

ـب بين أهله

من اللحوم غير كاف للإشباع، وأنت لا تستطيع أن تكظم غيظك حين تجد رب العائلة الموسرة يباهى بما يشترى من الأغذية الوافدة، ويعد ذلك سبقا حضاريا، ثم يجعل الكم العددى مقياسا للسعة والحفاوة، فهو يشترى مالا حاجة إلى الاسرة به، ليعرف الناس أنه موسر لايضن على عائلته فى شهر الخيرات والبركات، ورمضان شهر الخير والبركة حقا، ولكن لا بمعنى الإكثار من الطعام دون حاجة، بل بمعنى مشاركة المحتاجين فى طعام الموسرين، وقد كنا فى أوائل هذا القرن نرى الروح الإسلامية لا تزال حية فى نفوس المسلمين إذ كان منهم من يضع المائدة أمام منزله ساعة الإفطار ليفد إليها الفقير دون أن يحتاج الى طرق الباب، فإذا رآه صاحب المنزل استقبله ببشاشة وأنس، هذا ما رأيناه بالأمس القريب وشاهدناه.

أما الان، فإننا نسمع ونرى ما يزكى الحسرة فى النفوس، نرى من يريد أن يطعم إخوانه الموسرين مثله فحسب، فلا يدعوهم إلى منزله، بل يحتجز جناحا فى فندق شهير، ويبذل الجهد فى استرضاء من يطمع فى تشريفهم حين يحتفل مع المدعوين بيوم من أيام رمضان! فإذا حان موعد الإفطار غصت القاعة بالوجهاء والمترفين، ومضى الداعى مرحبا هاشا باشا، ولا يحسب حيى من هؤلاء أن وقت المغرب محدود وأن الصلاة توشك أن تضيع سدى، بل تمتد السهرة إلى الليل، وتتعاقب المرطبات والحلوى وكأنها تتميم شعيرة الإفطار، فإذا انقضى السامر ورجع الداعى إلى منزله أخذ يتباهى بما صنع، ويقول: إنه شهر البر والخير أعاده الله علينا بالصحة والعافية! ولم يسأل نفسه كيف تكون مأدبته فى الفندق وسيلة من وسائل البر والإحسان، وما أكل بها فقير، ومادنا من قتارها الذائع مسكين!!! أيخدعون أنفسهم أم يخدعون الله؟!

حكمـــــة الجـــوع

وقد غابت عن هؤلاء حكمة الصوم فى لبابها الأصيل، لأن استشعار الجوع فى هذا الموسم الكريم ذو هدفين واضحين، يعرفهما تلاميذ المدارس الصغار، فضلا عن آبائهم الكبار، فالهدف الأول هو راحة المعدة من تعب العام المتواصل، وإتاحة الفرصة لتراكمات الدهون والشحوم أن تذوب وتتحلل فيستعيد الجسم نشاطه بعد إجازة صحية يتوقى بها ما يتوقع من الداء إذا استمر الغذاء على نحوه المتواصل أما الهدف الثانى فاستشعار العطف على البائسين ممن يجوعون طيلة العام لفقرهم المدقع وعوزهم الشديد فإذا أحس الثرى المترف لهب الجوع فى رمضان تذكر من يحسون هذا اللهب دون انقطاع، وبذلك يصبح رمضان مجالا للمشاركة الوجدانية الحبيبة، حين يصبح المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، وما يحسه المؤمن التقى من شعور الراحة حين يمد يده بالخير لأخية المحتاج، يهدىء من نفسه، ويرتفع بإحساسه إلى مستوى إنسانى كريم، وفى ذلك براءة من هم، وانطلاق من قيد، لمن كان له قلب، فإذا حاولنا أن نجد نفعا ما فيما يبذل له من المآكل الأنانية فى رمضان، تلك التى تظل حجرا محجورا على الأثرياء وتقف الأسوار العالية حائلة دون الفقراء فإننا لا نجد سوى الغيظ الحانق من أناس يدفعون إلى القمامات مما فضل عن حاجتهم ما يتلهف عليه الفقير شغفا واحتياجا، وأنا لا أنكر أن الخير لايزال باقيا لدى كثير من النفوس، حين يأتمرون بآداب الإسلام، فى التكافل الاجتماعى، والتعاطف الأخوى، فيؤدون زكاة الفطر عن سماح، ويعطفون على الفقراء سرا وعلانية، ولكن رمضان بمعناه الروحى العميق يحتم أن يكون المسلمون جميعا من هذا الطراز، لا أن تكون طائفة مخلصة ترعى الخير، وطوائف أخرى تتخذ منه حبالة للدعاية الكاذبة، والغرض المريب، والشر شر فى ذاته، ولكنه يتحول إلى شر أعظم إذا جعل من الشعيرة الدينية ستارا لأهواء لا تمت إليها بأدنى سبب لدى من يفهمون الأمور على وجهها الصحيح، وقديما قال أبو العلاء المعرى:

إذا رام كـيـدا بالصلاة مقيمها
فتاركها عمدا إلى الله أقرب

أى أنه أقرب من صاحب هذا الكيد، لا أنه قريب بالترك، وكلنا يعرف قول رسول الله إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[1] وهو حديث متواتر متعالم، ولكن كثيرا من الناس يغفلون عنه فيضلون السبيل.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه.

ترفيـــــه أم مجـــون؟

أما امتلاء ليالى رمضان بشواغل اللهو العابث، والخلاعة المارقة فيما نشاهد من مسرحيات هابطة، ونرى من فوازير ذات إسفاف فى المظهر والمخبر، فهذا ما نحار فيه، ولا ندرى سببا لانتشاره وقد كتبنا من قبل فى تجريح هذه الظاهرة، ولكن انتشارها يزداد هولاً فى كل عام عن سابقه، كأن هناك رغبة أكيدة فى غيظ من يدعو إلى الله بالتى هى أحسن، لقد كنا نطمع أن نجد المسرحيات التاريخية الإسلامية ذات الهدف النبيل تملأ الفراغ فتحدث التوجيه المنتظر، وترسم المثل الحى، لاسيما أن من صام اليوم الطويل يعيش فى جو روحانى يتناغم معه هذا الضرب من التوجيه الروحى، ولكننا نجد مشاهد الرقص والعرى والابتذال تعرض متتابعة وكأن رمضان أصبح موسم هذا اللهو العابث، ولا أدرى ما الذى ألصق الفوازير الماجنة بهذا الشهر الكريم؟ حتى تعبأ لها الجهود طيلة العام فيظل أصحابها فى شغل شاغل بما سيقدمون من أحاج، ومن يختارون من ممثلات، وما يشترون من أدوات الإغراء والتشويق، وكأنهم يعدون لمعركة حربية يفاجأ بها عدو ماكر شديد السطوة! ألست تعجب حين تكون هذه الأضاحيك شغلا شاغلا لجماعة يظنون أنفسهم من قادة التوجية، وإذا لم يكن بد من الفوازير فلماذا لا تدور حول معان ترتفع بالمشاهد وعن أناس لهم كرامتهم التاريخية ودورهم القيادى فى الإسلام! كبعض ما نراه لدى الدول الملتزمة بقواعد اللياقة، وسنن الاعتدال؟ لماذا لا تدور الفوازير حول حيوات الأبطال من المجاهدين، والعلماء من المجتهدين، والقادة من المصلحين، إن كانت الفوازير إحدى رموز هذا الشهر بحيث أصبحت ضرورة ملزمة لدى هؤلاء المجددين، لقد كان ليل رمضان فى الماضى ساحرا بطمأنينته الدينية،و إشعاعه الروحى، كان القرآن الكريم يملأ سهرات المنازل، وكان المسلمون يتزاورون ليسمعوا كلام الله فى كل بيت، وكان صاحب المنزل يحجز لديه من يراه أهلا للضيافة من الفقراء ليتناول طعام السحور معه فى حب وإخلاص حتى إذا انتصف الليل هرع الجميع إلى المساجد، ليذكروا الله، وفى الوجوه بشاشة، وفى النفوس صفاء! هذا ما شاهدناه من قبل، وما شهده وشهد أكثر منه رحالة المسلمين فى ماضيهم السعيد فأنت تقرأ فى رحلات ابن جبير وابن بطوطة والمسعودى ما يهزك هزا من مظاهر التقوى العامرة فى احتفالات الليالى الوضيئة فى رمضان! وكنا فى

مصر نشهد مقارىء للحديث النبوى تعقد فى ليل رمضان، وفى أرقى مساجد القاهرة وأعظمها اتساعا، بحيث يستقل مسجدا بقراءة صحيح البخارى فى حلقة ممتدة يتداول أعضاؤها القراءة فى أجزاء أعدت من قبل، ويستقل مسجد آخر بقراءة صحيح مسلم ومسجد ثالث بقراءة موطأ مالك، هذا غير مقارىء كتاب الله فهى من الاشتهار بحيث تكفى الإشارة إليها، ومن حفظ الله كتابه أن هذه المقارئ لا تزال باقية، ولها رواءها العاشقون، وقد يبلغ التزاحم عليها مبلغا يشفى صدور قوم مؤمنين ولا تقتصر على الليل فى رمضان، بل تعقد بعد صلاتى الظهر والعصر فى أيام الإثنين والخميس وذلك فضل الله..!

استجابة مريضة

حين بدأت الصحوة الدينية فى الشعوب الإسلامية، ونشأ جيل من الشباب يؤمن بإسلاميته الصحيحة ينبذ سموم الثقافة الوافدة، رأت دوائر الإعلام أن تساير هذه الصحوة ترويجا لشأنها فمن فئات الصحف والإذاعات من أخلصت فى دعوتها إلى مثل الإسلام وتعاليمه، ولكن فئات اخرى شاءت أن توهم القارئ تعاطفها مع الصحوة لتضمن الرواج والذيوع، فأخذت فى مجال الحديث عن رمضان تفرد الصفحة والصفحتين عن شئون رمضان، ولكنك تطالع ما نشرته الصحيفة فماذا نجد؟ نجد نصفها قد خصص لإعلانات تتصل بالسهر والحفلات وهى محسوبة على الحصاد الدينى، أما النصف الآخر، فتجد فيه صورة مكبرة لمسجد أو فانوس أو أثر إسلامى مع شئون عامة عن مواقيت الصلاة والحالة الجوية ودرجات الحرارة والبرودة فى العواصم المختلفة، أما المقال الدينى فشذرات مبتسرة لا تشفى «غلة» ولا تقدم جديدا، وقد أوهمت الجريدة نفسها أنها شاركت فى التوجية الدينى بمناسبة رمضان، مع أنها لم تفعل شيئا ذا بال: أما الإذاعات فتهولك بأحاديث عن رمضان لمن تختارهم من الشخصيات، وتضرب كفا بكف حين تسمع المتحدث يتكلم عن ذكرياته عن رمضان، وهو لاعب كرة أو مطرب يافع أو ممثل عرف بمشاهد الإغراء!! هؤلاء وأضرابهم هم الذين يملئون السهرات بالأحاديث عن رمضان؟

ليت شعرى، أنجد أم نهزل؟

كنا ننتظر أن نقرأ فى الصحيفة اليومية مقالات ضافية لأعلام الفكر الإسلامى

كما كنا ننتظر أحاديث مهمة لكل المشتغلين بقضايا العالم الاسلامى، لتكون السهرة الرمضانية موضع جذب أخاذ هذا إذا كان الهدف واضحا، والإخلاص رائدا ولكن ما نقرؤه ونسمعه فى حاجة إلى تصحيح، ومن السار أن نعلن أن الشباب المؤمن قد عزف عن هذه الترهات، وجعل يميز الطيب من الخبيث، وعلى الذين يسيطرون على منافذ التوجية أن يعلموا أنهم يكشفون أنفسهم أمام الرأى العام، فإذا تداركوا هذه السقطات الواضحة بأعمال جدية ذات نفع فستغفر لهم سوابقهم الأليمة، أما إذا تأخروا عن الركب الزاحف فسيجدون أنفسهم حيارى وسط الظلام.. وقد أكون صريحا إلى درجة الإيلام ولكن آخر الدواء الكى.

فرصة نادرة

على أننا نعرف أن رمضان هو شهر القرآن الكريم، ومعنى ذلك أن يصبح الشهر الكريم موسما لتأمل كتاب الله، قراءة وتفسيرا، وروحانية هذا الشهر تجعل الصائم ذا صفاء نفسى، فيتلقى آيات الذكر الحكيم تلقى الذواق المستشف لأسرار الوحى الإلهى وتفرج له الآيات عن إشراقات يختص بها الله من يقبل على التلاوة بقلب صاف وروح مؤمنة، والاعتكاف المشروع فى هذا الشهر ميدان فسيح للتأمل الروحى، حيث ينهل المدد الربانى على نفوس عامرة بالإيمان، مليئة باليقين.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة القدر

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم نقدم لقرائنا تفسير سورة القدر لفضيلة الإمام الأكبر

مقدمة وتمهيد

١- سورة «القدر» من السور المكية عند أكثر المفسرين. وكان نزولها بعد سورة «عبس» وقبل سورة «الشمس» فهى السورة الخامسة والعشرون فى ترتيب النزول ويرى بعض المفسرين أنها من السور المدنية، وأنها أول سورة نزلت بالمدينة.

قال الآلوسى: قال أبو حيان: مدنية فى قول الأكثر. وحكى الماوردى عكسه. وذكر الواحدى أنها أول سورة نزلت بالمدينة. وقال الجلال فى الإتقان: فيها قولان والأكثر أنها مكية[1] .. وعدد آياتها خمس آيات، ومنهم من عدها ست آيات والأول أصح وأرجح.

٢- والسورة الكريمة من أهم مقاصدها: التنويه بشأن القرآن، والإعلاء من قدره والرد علي من زعم أنه أساطير الأولين، وبيان فضل الليلة التى نزل فيها، وتحريض المسلمين على إحيائها بالعبادة والطاعة لله رب العالمين.

(١) تفسير الآلوسى جـ ٣٠ صـ ١٨٨

قال الله – تعالى – :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾

والضمير المنصوب فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ يعود إلى القرآن الكريم، وفى الإتيان بهذا الضمير للقرآن، مع أنه لم يجر له ذكر، تنويه بشأنه، وإيذان بشهرة أمره، حتى إنه ليستغنى عن التصريح به، لحضوره فى أذهان المسلمين.

والمراد بإنزاله: ابتداء نزوله على النبى ﷺ لأنه من المعروف أن القرآن الكريم، قد نزل على النبى ﷺ منجما، فى مدة ثلاث وعشرين سنة تقريبا.

ويصح أن يكون المراد بأنزلناه، أى: أنزلناه جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجما على النبى ﷺ.

قال الإمام ابن كثير: قال ابن عباس وغيره: أنزل الله ـ تعالى ـ القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع، فى ثلاث وعشرين سنة، على رسول الله ﷺ.(٢)

والقدر الذى أضيفت إليه الليلة، بمعنى الشرف والعظمة، مأخوذ من قولهم: لفلان قدر عند فلان، أى: له منزلة رفيعة، وشرف عظيم، فسميت هذه الليلة بذلك، لعظم قدرها وشرفها، إذ هى الليلة التى نزل فيها قرآن ذو قدر، بواسطة ملك ذى قدر، على رسول ذى قدر، لأجل إكرام أمة ذات قدر، هذه الأمة يزداد قدرها وثوابها عند الله ـ تعالى ـ إذا ما أحيوا تلك الليلة بالعبادات والطاعات.

---

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٤٦٣.

ويصح أن يكون المراد بالقدر هنا: التقدير، لأن الله ـ تعالى ـ يقدر فيها مايشاء تقديره لعباده، إلا أن القول الأول أظهر، لأن قوله ـ سبحانه ـ بعد ذلك: «وماأدراك ماليلة القدر» يفيد التعظيم والتفخيم.

أى: إنا ابتدأنا بقدرتنا وحكمتنا، إنزال هذا القرآن العظيم، على رسولنا محمد ﷺ فى ليلة القدر، التى لها ما لها عندنا من قدر وشرف وعظم.. لأن للطاعات فيها قدرا كبيرا وثوابا جزيلا.

وليلة القدر هذه هى الليلة التى قال الله ـ تعالى ـ فى شأنها فى سورة الدخان:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٣).

وهذه الليلة هى من ليالى شهر رمضان، بدليل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾(٤).

قال بعض العلماء: ومن تسديد ترتيب المصحف، أن سورة القدر وضعت عقب سورة العلق، مع أنها أقل عدد آيات من سورة البينة وسور بعدها، وكأن ذلك إيماء إلى أن الضمير فى ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ يعود إلى القرآن، الذى ابتدئ نزوله بسورة العلق.(٥)

وقال صاحب الكشاف: عظم ـ سبحانه ـ القرآن من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أسند إنزاله إليه، وجعله مختصا به دون غيره. والثانى: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه، والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذى أنزل فيه.

روى أنه أنزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزل به على رسول الله ـ ﷺ ـ نجوما فى ثلاث وعشرين سنة.

وعن الشعبى: المعنى: أنا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر..(٦)

وقوله ـ تعالى:

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ تنويه آخر بشرف هذه الليلة، وتفخيم لشأنها، حتى لكأن عظمتها أكبر من أن تحيط بها الكلمات والألفاظ.

---

(٣) الدخان (٣: ٦). (٤) البقرة (١٨٥).

(٥) تفسير التحرير والتنوير جـ ٣٠ ص ٤٥٦ للشيخ ابن عاشور - رحمه الله -.

(٦) تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٧٨٠.

أى: وماالذى يدريك بمقدار عظمتها وعلو قدرها، إن الذى يعلم مقدار شرفها هو الله - تعالى - علام الغيوب.

ثم بين - سبحانه - مظاهر فضلها فقال:

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾.

أى: ليلة القدر أفضل من ألف شهر، بسبب ما أنزل فيها من قرآن كريم يهدى للتى هى أقوم.

ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، وبسبب أن العبادة فيها أكثر ثواباً، وأعظم فضلا من العبادة فى أشهر كثيرة ليس فيها ليلة القدر.

والعمل القليل قد يفضل العمل الكثير، باعتبار الزمان والمكان، وإخلاص النية، وحسن الأداء، ولله - تعالى - أن يخص بعض الأزمنة والأمكنة والأشخاص بفضائل متميزة.

والتحديد بألف شهر يمكن أن يكون مقصودا. ويمكن أن يراد منه التكثير. وأن المراد أن أقل عدد تفضله هذه الليلة هو هذا العدد. فيكون المعنى: أن هذه الليلة تفضل الدهر كله. ثم ذكر - سبحانه - بعد ذلك مزية أخرى لهذه الليلة المباركة فقال:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾

أى: ومن مزايا وفضائل هذه الليلة أيضا، أن الملائكة - وعلى رأسهم الروح الأمين جبريل - ينزلون فيها أفواجا إلى الأرض، بأمره - تعالى - وإذنه، وهم جميعا إنما ينزلون من أجل أمر من الأمور التى يريد إبلاغها إلى عباده، وأصل ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ تتنزل، فحذفت إحدى التاءين تخفيفا، ونزول الملائكة إلى الأرض، من أجل نشر البركات التى تحفهم، فنزولهم فى تلك الليلة يدل على شرفها، وعلى رحمة الله - تعالى - بعباده.

والروح: هو جبريل، وذكره بخصوصه بعد ذكر الملائكة، من باب ذكر الخاص بعد العام، لمزيد الفضل، واختصاصه بأمور لا يشاركه فيها غيره.

وقوله - سبحانه - ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ متعلق بقوله: ﴿ تَنَزَّلُ ﴾، والباء للسببية، أى: يتنزلون بسبب إذن ربهم لهم فى النزول.

قال الجمل ما ملخصه. وقوله:

﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ يجوز فى ﴿ مِّن ﴾ وجهان: أحدهما أنها بمعنى اللام، وتتعلق بتنزل، أى: تنزل من أجل كل أمر قضى إلى العام القابل. والثانى: أنها بمعنى الباء، أى: تنزل بكل أمر قضاه الله - تعالى - فيها من موت وحياة ورزق. وليس المراد أن تقدير الله لا يحدث إلا فى تلك الليلة بل المراد إظهار تلك المقادير لملائكته.(٧)

(٧) حاشية الجمل علي الجلالين جـ ٤ ص ٥٦٧.

وقوله – تعالى – :

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

بيان لمزية ثالثة من مزايا هذه الليلة، وقوله ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ مصدر بمعنى السلام، وهو خبر مقدم، و ﴿ هِيَ ﴾ مبتدأ مؤخر، وإنما قدم الخبر تعجيلا للمسرة، وقد أخبر عن هذه الليلة بالمصدر على سبيل المبالغة، أو على سبيل تأويل المصدر باسم الفاعل، أو على تقدير مضاف.. والمراد بمطلع الفجر: طلوعه وبزوغه. أى: هذه الليلة يظلها ويشملها السلام المستمر، والأمان الدائم، لكل مؤمن يحييها فى طاعة الله – تعالى – إلى أن يطلع الفجر، أو هى ذات سلامة حتى مطلع الفجر، أو هى سالمة من كل أذى وسوء لكل مؤمن ومؤمنة حتى طلوع الفجر.

هذا وقد أفاض العلماء فى الحديث عن فضائل ليلة القدر، وعن وقتها. وعن خصائصها.. وقد لخص الإمام القرطبى ذلك تلخيصا حسناً فقال: وهنا ثلاث مسائل:

الأولى: فى تعيين ليلة القدر.. والذى عليه المعظم أنها ليلة سبع وعشرين.. والجمهور على أنها فى كل عام من رمضان.. وقيل: أخفاها – سبحانه – فى جميع شهر رمضان، ليجتهدوا فى العمل والعبادة طمعا فى إدراكها.

الثانية: فى علاماتها: ومنها أن تطلع الشمس فى صبيحتها بيضاء لا شعاع لها.

الثالثة: فى فضائلها.. وحسبك قوله – تعالى – :

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾.

وقوله:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾.

وفى الصحيحين:

«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه..»(٨)

نسأل الله – تعالى – أن يجعلنا من المنتفعين بهذه الليلة المباركة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

(٨) تفسير القرطبي جـ ٢٠ ص ١٣٤.

في ظلال الحديث النبوى

السُّنَّة (*)
الصَّوم

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ / إبراهيم الجبالى (**)

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ - قال: «قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به. والصيام جنة. وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم. والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربه فرح بصومه»(١).

وعنه - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين»(٢).

وعنه - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»(٣).

(*) من مختارات مجلة الأزهر (نور الإسلام). العدد التاسع رمضان ١٣٥٣هـ.

**) شيخ كلية اللغة العربية الأسبق، وعضو جماعة كبار العلماء.

(١) أخرجه البخارى. (٢) أخرجه البخارى. (٣) أخرجه البخارى.

الصيام والصوم فى اللغة معناه الإمساك عن أى شئ، ومنه قوله الله تعالى:

﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾(٤).

أى إمساكا عن الكلام، ويقولون: خيل صائمة أى ممسكة عن الحركة، وريح صائمة أى راكدة، وصامت الشمس أى استوت فى السماء، وإذ يخيل للرائى أنها أمسكت عن الحركة ومعناه فى الشرع: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية. والمفطرات معروفة مفصلة فى كتب الفقه. والجنة بضم الجيم: الستر، ومنه المجن لأن المقاتل يستتر به عن خصمه، والجن لاستتارها عن الأعين، والجنة لأن أشجارها تستر أرضها. وجن الليل: أى ستر ما أحاط به. والرفث: فحش القول، أو ما يكون منه فى مداعبة النساء. والصخب: شدة رفع الصوت حال الغضب ونحوه. وسابه أو قاتله: أى استفزه للسباب والمقاتلة بما يوجهه نحوه من دواعى ذلك. والخلوف: تغير رائحة الفم من هجر الطعام والشراب. والمسك: الطيب المعروف. والفرح: السرور وابتهاج النفس وغبطتها.

النوع الانسانى هو أفضل ما نشاهده من أنواع العالم. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾(٥).

ويكفيه شرفا أن كان منه أفضل الخلق على الاطلاق محمد ﷺ. وما كان من فضله وامتيازه على غيره بكبر حجمه وضخامة مادته، وإلا فالجبل أكبر منه وأضخم، ولا بقوة جسمه ومتانة عضلاته. وإلا فالبهائم والسباع أقوى منه وأمتن. وإنما فضله بما أودعه الله فيه من تلك اللطيفة الربانية، تلك الروح الملكية، تلك الماهية الإنسانية، ذات القوة العاقلة، والنفس المفكرة. بها كان أفضل تلك الأنواع، بها ميزه الله على جميع الكائنات، بها وبما ضم إليها من هذا البدن الذى خلقه الله فسواه، وما أودع فيه من جوارح وحواس، جعله الله فى الأرض خليفة، وهى منزلة لا يطمع مخلوق من خالقه فى أعظم منها. وحسبك فيها أنها منزلة تشوقت إليها نفوس الملائكة.

وإذ كان الإنسان مفضلا على غيره بهذه الميزة، كان كل ما يعود عليها بالنمو والتربية والترقية له دخل عظيم فى تقوية إنسانيته وترسيخ فضيلته. وقد جبلت طبيعته فى الغالب على خدمة قواه الجسمية والاهتمام بتنميتها، لأن فائدتها أقرب إلى حسه وأسرع إلى إدراكه، فكان بذلك عرضة للإخلال بالاعتدال الائق به، ومبعدا عن تجلى المظاهر الملكية التى أودعها الله فيه، ولا سبيل إلى هذا إلا بتعهد تلك الشهوات الجسمية واللذائذ البهيمية بما يوقفها عند حدها، ويمنع طغيانها على الروح الطاهرة التى يجب أن يكون لها السلطان الأقوى والهيمنة التامة على جوارحه. ومن ذا يشك فى أن سبيل ذلك إنما هو الصيام؟

إنا جميعا نعرف أن طغيان التخمة والإفراط فى الملاذ والمشتهيات على القوة العاقلة وتعطيلها عن أداء ما يرجى منها هو سبب الخيبة والدمار،

(٤) مريم (٢٦).

(٥) الإسراء (٧٠).

والهزيمة فى ميادين الأعمال التى يمتاز بها الإنسان من حيث هو إنسان، وأن الأخلاق الكريمة المهذبة بعيدة عمن جعل نفسه أسير الشهوتين الممقوتتين، شهوتى بطنه وفرجه، وأن العقل النير والتفكير السليم والإدراك الصحيح لا يتفق والانغماس فى تلك الشهوات السافلة، فما بالك بتقوى الله العظيم ومراقبة جلاله، واستحضار قوته وبطشه، وملاحظة علمه واطلاعه، حيث يستحى المرء من ربه فى خلوته وجلوته، وحتى يحسن معاملته للناس وتربيته لنفسه؟ هل تظن ذلك ينقاد لمن ملكته التخمة وملأته الكظة؟ وهل الأنوار الربانية والإلهامات القدسية يصيب شعاعها نفسا انغمست فى شهواتها واستهترت فى لذائذها؟ وهل تأديب المرء لنفسه وانقيادها بالطوع له وامتثال جوارحه لأحكام الصواب الصادرة من دينه وعقله يرجى ممن جعل أكبر همه ملء بطنه؟ اللهم إن الأمر واضح جد الوضوح.

لقد قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ﴾(٦)

وقال جل شأنه:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾(٧)

فأباح لنا أن ننال مما وهب لنا ما نقيم به أودنا. ولكن لما كان ذلك يقويه ما ركب فى أصل خلقتنا من شهوة الغذاء الحافظة لوجود الشخص ومما يحفظ وجود النوع، كان ذلك مظنة لطغيانها، فجاء التشريع الإلهى والهداية الربانية لكبح جماحها على الإطلاق بقوله تعالى:

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾(٨).

ثم بتنظيمها تنظيما يكسر من حدتها ويخفف على النفس العاقلة بطشها، فشرع الصيام الذى قال الله تعالى فى شأنه فى كتابه العزيز:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٩).

فانظر إلى ترتيب التقوى على الصيام بقوله:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ تجده ناطقا بما قررناه لك.

وهل يمنع المرء من التحلى بحلية التقوى إلا ازدياد قوته البهيمية وطغيانها على قوته العاقلة؟ وهل يحرم الإنسان من النور الإلهى إلا لانطماس بصيرته بغلبة بهيميته على إنسانيته؟ وأين للمحروم من نعمة النور الربانى أن يحظى بالتقوى التى مرجعها الأعظم ضبط النفس وإيقافها عند حدها، امتثالا لأمر مالك ناصيتها، والعالم بخفاياها، والقادر على مجازاتها على ما قدمت من خير أو شر؟ فظهر بذلك ترتيب التقوى فى عمومها على الصيام.

ولعله ظهر أيضا قبس من معنى قوله ﷺ فيما

---

(٦) المؤمنون (٥١).

(٧) الأعراف (٣٢).

(٨) الأعراف (٣١).

(٩) البقرة (١٨٣).

يحيكه عن ربه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به»، ذلك أن الصيام مع كونه تركا لشئ أو أشياء، أو بعبارة: مع كونه عدما ونفيا، ليس له فى نفسه صورة تقدر بذاتها، فلا يعلم علمها إلا هو وحده، فهو المجازى عليه بدون تقدير.

أقول: إن الصيام مع هذا تجده مشرقا للنور الإلهى، ومنبعا للفيض الربانى، وبابا عظيما للتوفيق، فيترتب عليه من الفوائد الجليلة ما يخرج عن التقدير «فهو لى وأنا أجزى به» فيكون اختصاصه- تعالى- بالصوم مع أنه هو المعبود بكل العبادات وحده لا شريك له، وإخراجه عن التقدير لأمرين: أنه ليس له صورة ظاهرة يترقب العبد تقديرها بعشر أمثالها أو سبعمائة ضعف أو أكثر، وإنما هو إمساك وكف وترك. والثانى: أن له من الآثار المترتبة فى نوارنية قلب العباد وضبط جوارحهم وحواسهم وإحرازهم بذلك التقوى ما لا يقدر أحد على تقديره إلا عالم السر وأخفى، المحيط بكل شئ، والعليم بكل أمر من وجودى وعدمى من أصل وفرع. يضاف إلى ذلك أن ما يعرض للصائم من مشاق ومتاعب، وكبح شهوات، وردع النفس عن غوايات، أمور لا يستطيع ضبطها وحصرها وتقدير قيمتها إلا المطلع على السرائر، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. بل ربما كان من مرت عليه هذه الشئون عاجزا هو نفسه عن حصرها وإحصائها، فضلا عن تقديرها.

فترى بهذا تنويها عظيما بفضيلة الصيام. وما أشبهه بأن يستأجر عظيم أجيرا على عمل معروف بأجر خاص يعده بالزيادة فيه إذا هو أتقن عمله ثم يقول له: «واعمل هذا العمل وهو خارج عن حدود إلا جارة ودع لى أنا تقديره فإنى أنا الذى أعرف قيمته لا أنت ولا غيرك». فكم يكون ابتهاج الأجير وإقباله على ذلك العمل برغبة صادقة لاسيما حين يعلم سعة كرم وعطاء مؤجره وحسن تقديره وتمام علمه، وأنه أدرى بما سيتطلبه هذا العمل من العامل نفسه؟ إنه ليخيل للمرء أن هذا الوعد أفخم أو من أعظم ما وجهه الله- تعالى- من صنوف الوعد، فما أشبهه فى عظمته بعظم الهول الذى يتجلى فى الوعيد الوارد فى قوله تعالى:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾(١٠) وما كان ربك ممن يشغله شأن عن شأن، وإنما هو إبراز العظمة والقدرة والغضب والانتقام فى أعظم صورة من الهول والروعة.

قال ﷺ: «والصيام جنة».

نعم: الصيام جنة من المعاصى بما رفع الصائم عن نفسه من قوة جند الشيطان، وهل للشيطان جند أعظم من امتلاء البطن بالطعام والشراب، فتقوى عوامل الشر، ويسترسل فى اقتناء المشتهيات واقتراف المنهيات؟ «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه»(١١) وهو بذلك جنة وساتر من النار والعذاب الأليم، وهو كذلك جنة من الشيطان وتسلطه على النفس. وهذا معنى قوله ﷺ: «وسلسلت الشياطين».

---

(١٠) الرحمن (٣١).

(١١) أخرجه الترمذى.

قال ﷺ : « فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو خاصمه فليقل إنى امرؤ صائم » .

هذا من تفصيل الهدى وإيضاح طريق الامتثال بسهولة . وذلك أن الصائم بما حبس نفسه عن مشتهياتها وقيد حريتها التى ألفتها سيشعر بحرج فى نفسه وضيق فى صدره، وميل إلى التنفيس عن نفسه، حتى يعوضها ما حرمت منه، فهو يتلمس جلب التسلية لها وما يسرى به عنها، فلا يسعفه إلا التحدث فى المشتهيات، والترنم بذكر ما تصبو إليه النفس، وترداد الخواطر السيئة بفتق الذهن لها وتعلق النفوس بها، فقد يجره ذلك إلى ما لم يكن له فى حسبان، والخواطر السيئة أول درجات العصيان، فجاء النهى سدا لهذا الباب، ومن جهة أخرى: تنزيها للصيام، وتطهيرا لنفس الصائم عن علائق الشهوات، وذكريات اللذات ولو على سبيل المجون والتسلى :

فالحب أول ما يكون مجانة

فإذا تمكن صار شغلا شاغلا

هذا سر قوله : « فلا يرفث » وأما قوله : « ولا يصخب » فوجهه كذلك أن النفس بهذا الكبح تكون ضعيفة الاحتمال ضائقة الصدر سريعة الانفعال والتهيج، فلأقل السبب تثور ثائرتها ويستحكم غضبها، فينطلق الصوت بالصخب، وتتجلى مظاهر الغضب، فتتساقى كؤسا متبادلة، ويحجل بينهما الشيطان بخطى متعادلة، فلا يلبثان أن يشتبكا، وإذا ما كان بابا لهدايتهما ووسيلة لعلاجهما قد تطرقا منه إلى حيث لا ينبغى لهما واستعملا العلاج على وجه يضرهما ولا ينفعهما، فجاء التحذير عن ذلك بقوله ﷺ :

« ولا يصخب » أى احفظ نفسك من تلك الصيحة التى تملك من أمرها قبل انطلاقها من حنجرتك أكثر مما تملكه منها وقد أفلت زمامها من يدك، فربما تلا ذلك الصخب ما لا قبل لك بدفعه، ولأنك ما صمت إلا لتهذيب نفسك ورد غوايتها، فلا تقلب الدواء داء، فالغرض من الصوم كسر شرة النفس لا إلباسها حلة الطغيان.

قد توسع فى التفصيل واستوفى أنواع العلاج بوصف ما ينبغى أن يلجأ إليه إذا طرأ ما يستفزه لذلك بأن يسابه أحد أو يقاتله، فقال : « فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم » يقولها لنفسه ليملك زمامها فيردها إلى طاعة ربها، ويقولها لخصمه ليذكره إن كان ممن يتذكر، أو ليقطع عليه طريق الطماعية فى استفزازه إن كان من الطاغين، فإن المساب والمشاتم لا يلبث أن يهدأ إذا لم يجد من يجاريه فى طريقه . والمشاهدة أعظم شاهد .

ناشدتك الله ألا ترى هاتين الكلمتين على وجازتهما شارحتين العلاج الشافى لما تراه مستحكما فى نفوس الصائمين فى كل حين : من الميل إلى التهلى، والتسلى بأنواع التسليات بحجة الصيام، ومن استعذاب المجون وأحاديث اللهو بقصد التسلية، ومن الغضب والصخب، حتى ليقال عادة لمن احتد : « أأنت صائم ! » .

يالله ! كأن ماشرع لتهذيب النفوس وكبح جماحها وإضعاف قوتى الشهوة والغضب عن محاربتها صار بالحياد عن التعليم الإلهى والإرشاد النبوى بابا لتطرق ذلك إليهما .

فالحمد لله على ماعلمنا وهدانا إلى صراطه المستقيم .

وقـد ورد فى بعض الروايات : « فليـقل إنى صـائم إنى صـائم » . وفـائدة التكرار الاسـتـعـانة على كـبح النفس ورد الخصم، أو يقولها مرة لنفسه فى قلبه ومرة لخصمه بلسانه كما ذكره بعض شراح الحديث .

وبقـولنا فى شـرح كلمـتى سـابه وقـاتله : مـعناه اسـتـفـزه بسبـبه إلى أن يسبـه، يندفع مـاتوهم من أن المسـابة والمقـاتلة مـفـاعلة لاتتـحـقق إلا من الجـانبـين فيقتضى أن يكون كل منهما قد سب الآخر . ووجه الدفع أن المفـاعلة وإن كـان أصلهـا كـذلك إلا أنـهم نصوا على أنها تسند لبادئها نسبة الفاعلية، لأنه لما تسبب فيها كـان كأنه هو القـائم بنصيب الطرفين منها . فالساب هنا باستفزازه للمسبوب كأنه أوجد المسابة أى نصيبه منها وهو فتح بابها، وإن كان الآخر قد أفسد عليه قصده وسد عليه طريقه . وبعد : ففى هذا الجـواب عند المسـابة مـايذكـر الصـائم بفـائدة صومه، وينبهه على ثمرتها ليجنيها وينتفع بها .

قال ﷺ : « والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »(١٢) .

أعظم وجه تقع عليه العبادة أن يقبل عليها صاحبها مغتبطا بها شاكرا نعمة ربه بهدايته إليها وتوفيقه لها، ولايخشى على العبادة من شئ أكبر من تأذى صاحبها منها وتبرمه بها . ولما كان ترك الطعام والشراب مما يؤدى غالبا الى تغيير رائحة الفم، فيشم المرء ذلك من نفسه، ويعلم أن غيره قد يشمه منه فيتأثر ويتبرم، أزال المولى– تبـارك وتعـالى– عنه هذا الشعـور، شـعـور السـأم والكراهية، بهذا المثل الذى هو فى غاية الحسن . ومعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك مع أنه جل شـأنه متعال عن أن يلتذ برائحة طيبة أو يتألم لرائحة كريهة : أن ذلك يقع منه موقع الرضا والقبول، ويقرب صاحبه إلى مرضاته، كما يكون من أحدكم تقريب المسك من أنفه لطيب رائحته . فهو من باب التمثيل والكناية عن الرضـا . وقيل إن ذلك يكون فى الآخـرة : تكون أفـواه المؤمنين الصائمين ذات رائحة ذكية عطرة طيبة أطيب من ريح المسك . وقـيل إن هذا بـالنسـبـة لاسـتطابة الملائكة . واستشهد القائلون بأنه فى الآخرة بقوله : عند الله، فـقد عرفت هذه الكلمة فى بيان أحـوال الآخرة كقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾(١٠)

فإن معناه فى الآخرة . واستشهد القـائلون بأن ذلك فى الدنيا بقوله فى بعض الروايات : « حين يمسى » ولعمرى لم لا يكون كل ذلك مشمولا لمعنى الحديث؟ فهذا الخلوف مرضى عند الله فى الدنيـا مثـاب عليه بتطييب أفواه أصحـابه فى الآخرة، تحبه الملائكة وتثنى على صاحبه . وفضل الله واسع فلا يحجر .

قال ﷺ :« للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربه فرح بصومه » :

هذا من تصبير النفس على ما لعلها تتكره منه . وقد قرن الفرحتين على بعد مابينهما فى القدر لينبه بمشاهدة الأولى فى العاجل على تحقيق الثانية فى الآجل . ولكن ما عند الله خير وأبقى .

نسأله تعالى أن يوفقنا لطاعته، وأن يرزقنا حسن مثوبته، فالكل منه وإليه، ولا اعتمادنا إلا عليه . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١٢) أخرجه أحمد، ومسلم، والنسائى.

(١٣) الحج (٤٧).

شهر رمضان عند المحدثين

للدكتور/ أحمد الشيمى (*)

إن شهر رمضان، هو شهر الجود والكرم والفضل، وخير الجوادين قاطبة هو أسعد الخلق سيدنا محمد ﷺ، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم فى جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى فى إظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم، ولم يزل النبى ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له أم المؤمنين السيدة خديجة. رضى الله عنها. فى أول مبعثة:[1] والله لا يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم، وتقرى الضيف، وتحمل الكل[2] وتكسب المعدوم[3]، وتعين على نوائب الحق،[4] ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافاً كثيرة، وفى الحديث الذى رواه سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه. وهو يصف رسول الله ﷺ يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، وأجود الناس[5] وعنه أيضاً قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة[6].

(*) مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالزقازيق.

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى فى كتابه بدء الوحى باب حدثنا يحيى بن بكير ١/ ٣٠ (٣) عن عائشة.

(٢) الكل بفتح الكاف: هو من لا يستقل بأمره كما فى قوله تعالى: ﴿وهو كل على مولاه﴾. (النحل ٧٦)

(٣) والعدوم أو المعدم أى: الفقير.

(٤) وتعين على نوائب الحق هى كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم.

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل باب فى شجاعة النبى ﷺ، وتقدمه للحرب ١٥/ ٩٧ حديث رقم (٢٣٠٧).

(٦) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، وكثرة عطائه ١٥/ ١٠٤ حديث رقم (٢٣١٢).

فى مـغـازى الواقـدى[٧] : أن النبى ﷺ أعطنى صفوان يومئذ واديا مملوءا إبلا ونعما، فقال صفوان : أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبى، قال ابن شهاب : أعطاه يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة.

وكان جوده - ﷺ - كله لله، وفى ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال اما لفقير، أو محتاج، أو ينفقه فى سبيل أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام باسلامه، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك، مثل كسرى وقيصر ويعيش فى نفسه عيش الفقراء، فيأتى عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع. وكان قد أتاه سبى مرة فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقال : لا اعطيك وادع أهل الصفة[٨].

وكان جوده ﷺ يتضاعف فى شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضا، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة، وذكر ابن اسحاق[٩] عن وهب ابن كيسان عن عبيد بن عمير قال : كان رسول الله ﷺ يجاور فى حراء من كل سنة شهرا يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها وذلك الشهر شهر رمضان، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله حتى إذا كانت الليلة التى اكرمه الله - تعالى - برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل من عند الله - عز وجل - ثم كان بعد الرسالة جوده فى رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك، فانه كان يلتقى هو وجبريل - عليه السلام - وهو أفضل الملائكة واكرمهم ويدارسه القرآن الذى جاء به إليه وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الإحسان ومكارم الاخلاق، وقد كان رسول الله ﷺ جعل هذا الكتاب له خلقا بحيث يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، ويسارع إلى ما حث عليه ويمتنع مما زجر عنه، فلهذا كان يتضاعف جوده وافضاله فى هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذى يحث على المكارم والجود ولاشك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقاً من المخالطة.

وأما عن جوده فى عبادته لربه فى شهر رمضان، فلقد كان ﷺ يطيل القراءة فى قيام رمضان بالليل أكثر من غيره.

(٧) ينظر مغازى الواقدى ٢/٩٤٦/ط جامعة أكسفورد.

(٨) الأثر أخرجه أبونعيم فى حلية الأولياء ٢/٤١،ط دار الفكر.

(٩) ينظر سيرة محمد بن إسحاق المسمى المبتدأ والمبعث والمغازى ص ١٠٠، ١٠١ معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

يحدثنا سيدنا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه - عن ليلة صلاها مع النبى ﷺ فى رمضان، قال: فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فأذنه بالصلاة(١٠).

ولما كان الرسول ﷺ هو أسوتنا وقدوتنا الذى نسير على نهجه ونتبع سنته، فإن الناظر إلى الكثيرين من أئمة الحديث يجدهم لا يحيدون عن سبيل نبيهم فى شهر رمضان تعبداً وتلاوة وقياماً وغيرها من القرب التى يتقرب بها إلى الله ـ تعالى.

ولما كان شهر رمضان هو شهر نزول القرآن، فإننا نرى من أهل الحديث من يمسك عن الاشتغال بالعلم والتعليم ليصرف جل وقته فى تلاوة القرآن الكريم، سواء كان ذلك عن طريق قيام الليل، أو عن طريق ترتيل آياته وفهم معانيه.

فهذا هو الإمام مالك بن أنس وإمام دار الهجرة، رأس المتقنين وكبير المثبتين صاحب كتاب الموطأ فى الحديث والذى يعد من أوائل ما صنف فى حديث النبى ﷺ حتى قال الإمام الشافعى - رضوان الله عليه:

ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك. وفى رواية: ما وضع على الأرض كتاب هو أقرب إلى القرآن من كتاب مالك(١١).

وسئل الإمام محمد بن اسماعيل البخارى عن أصح الأسانيد فقال: اصحها مالك عن نافع عن ابن عمر(١٢).

وقال ابن عيينة فى حديث أبى هريرة(١٣) يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون احداً أعلم من عالم المدينة هو مالك، وكذا قال عبدالرزاق وغيره من العلماء هذا الإمام الكبير والمحدث الثبت الفقيه يروى ابن عبدالحكم ما يبين لنا حاله فى شهر رمضان فيقول: كان الإمام مالك - رضى الله عنه - إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف قلت: فهذا هو ديدن الإمام مالك فى شهر رمضان حيث القرآن الكريم الذى كان يشتغل بتلاوته ويترك ماسواه من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، على

(١٠) أخرجه النسائى فى السنن الكبرى ١/ ٢٤٠ حديث رقم (٧٢٠) وإسناده صحيح. وأخرجه أحمد فى مسنده ٥/ ٤٠٠ واسناده صحيح أيضاً.

(١١) لقد وجه الحافظ ابن الصلاح هذا القول للامام الشافعى فقال إنما قال هذا القول قبل وجود كتابى صحيح الامام البخارى وصحيح الامام مسلم، وقد توفى الشافعى سنة ٢٠٤هـ ينظر كتاب تدريب الرواى ص٥١/ ط دار الفكر.

(١٢) كتاب تهذيب التهذيب ٦/١٠ للحافظ ابن حجر العسقلانى.

(١٣) اخرجه احمد فى مسنده ٢٩٩/٢ واخرجه البيهقى فى سننه ٣٨٦/١.

الرغم ممن كانوا ينتظرونه من طلبة العلم ليعرضوا عليه الموطأ.

وهذا هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري الإمام الثقة الثبت الذى ذكره يوما أحمد بن حنبل فأطنب فى ذكره فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه وقال: قلما تجد من يتقدمه.

وقال ابن حبان: كان قتادة من علماء الناس بالقرآن الكريم والفقه ومن حفاظ أهل زمانه.

انظر إلى حال هذا الإمام فى رمضان، يروى بعضهم عن قتادة فيقول، كان قتادة يختم فى كل سبع دائما (أى طوال العام) وفى رمضان فى كل ثلاث ليالى يختم، وفى العشر الاواخر يختم كل ليلة مرة.

وهذا هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهرى، أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام، الفقيه الحافظ المتفق على جلالته واتقانه.

هذا الإمام كان إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن واطعام الطعام.

وهذا هو الإمام المطلبى محمد بن ادريس بن العباس أبوعبدالله الشافعى المكى نزيل مصر، المجدد لأمر الدين على رأس المائتين والذى قال عنه ﷺ: اللهم اهد قريشا فإن علم العالم منهم يسع طباق الأرض اللهم أذقت أولها نكالا فأذق آخرها نوالا»(١٤).

وقال عبدالرحمن بن مهدى: ما اصلى صلاة إلا وأنا ادعو للشافعى فيها.

وكان أحمد بن حنبل يقول ستة أدعو لهم سحرا أحدهم الشافعى كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى.

فانظر إلى هذا الإمام الذى يقول عنه أحد تلامذته: كان للشافعى فى رمضان ستون ختمة يقرؤها فى غير الصلاة(١٥).

سبحان الله، ستون ختمة فى رمضان، من أجل هذا أصلح الله حالهم ورفع منزلتهم، وأعلى قدرهم.

وعن ابى حنيفة نحوه.

ويروى عبدالرزاق بن همام الصنعانى صاحب المصنف عن الثقة الحافظ والفقيه العابد والامام الحجة سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى قال: كان سفيان إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن ويقول سفيان عن زبيد اليامىّ أنه كان إذا حضر رمضان أحضر المصاحف

---

(١٤) أخرجه ابن عدى فى الكامل ٨/٢، وأبونعيم فى الحلية ٦٥/٩ من طريق اسماعيل بن مسلم، عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعا، وأخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٢/٦٠، ٦١ من طريق ابن عياش عن عبدالعزيز بن عبيد الله عن وهب بن كيان، عن أبى هريرة مرفوعا،

وهذان الاسنادان ضعيفان جدا فإسماعيل بن مسلم وعبدالعزيز بن عبيد الله الحمصى متروكان.

(١٥) روى ذلك عنه تلميذه لربيع كما فى معرفة السنن والآثار للامام البيهقى ١٧/١.

وجمع إليه أهله، وأخذوا فى قراءة القرآن وهذه هى ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى كانت تقرأ فى المصحف أول النهار فى شهر رمضان فإذا طلعت الشمس نامت.

وهذا هو إبراهيم بن يزيد النخعى، الامام الثقة الصالح الفقيه الذى حكى عنه أنه كان يختم القرآن فى كل ليلتين من رمضان.

وكذلك كان يفعل الأسود بن قيس وبخاصة فى العشر الأواخر منه.

وأيضاً كان أبو رجاء العطاردى الذى حكى عنه أنه كان يختم فى كل عشر ليال من ليالى رمضان(١٦).

وأيضاً ذكر إبراهيم بن سفيان، تلميذ الإمام مسلم أنه فرغ لهم من قراءة صحيحه فى رمضان سنة ٢٥٧هـ.

وعلى جانب نرى الحافظ عبدالرحيم بن الحسين الأثرى المعروف بالعراقى يذكر أنه كان يتردد مع الجلال عبدالله الاردبيلى على نوروز (أحد امراء المماليك) بسبب اسماع الحديث عنده، وكانوا فى شهر رمضان المبارك يجتمعون على قراءة صحيح الإمام البخارى (رحمه الله) فما ينصرم الشهر الا وقد فرغوا من قراءة صحيح البخارى(١٧).

وهذا واحد من علماء الحديث، وأئمة المذهب الحنفى : العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العينى (المعروف بالبدر العينى وصاحب كتاب عمدة القارى بشرح صحيح البخارى وغيره) يذكر أنه اخذ سنن الإمام الترمذى على يد الإمام العراقى، وذلك ايضا فى شهر رمضان المعظم(١٨).

فيا عبادالله هذا شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، وفى تصيته للعابدين مستمتع وهذا كتاب الله يتلى بين أظهركم ويسمع وهو القرآن الذى لو انزل على جبل لرأيته يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى فى صاحبه أن يشفع، وقلوب خلت من التقوى فهى خراب بلقع، وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهى لا تبصر ولا تسمع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا كحال أهل الشقوة، لا الشاب منا ينتهى عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعى الله اجابوا الدعوة، وإذا تليت عليهم آيات الله جَلت قلوبهم جَلوة، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار، أفما لنا فيهم أسوة، كما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بيننا وبين الصفا والمروة، كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١٦) ينظر كتاب لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى ص١٩١/ط المكتب الإسلامى بيروت.

(١٧) الضوء اللامع ٤/١٧١.

(١٨) مقدمة شرح سنن الترمذى للحافظ العراقى.

رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

لم يكن الصوم - كشعيرة دينية وفريضة إلهية - من الخصوصيات التى اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها أمة محمد، ﷺ.. فهو شعيرة ومنسك عرفته شرائع وأمم الرسل السابقين.. وعن هذه الحقيقة يتحدث القرآن الكريم، وهو يشرع لفريضة الصوم على المسلمين فيقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١).

وعندما هاجر رسول الله ﷺ والمهاجرون من مكة الى المدينة، وجدوا اليهود يصومون فى ذكرى نجاة موسى ـ عليه السلام ـ من فرعون، فأحيوا هم أيضا هذه الذكرى بالصيام، تعبيرا عن معنى وحدة الدين الإلهى، واستمرارية الشرائع ما لم يقض فيها الله بالنسخ والاستبدال والتطوير.. وكذلك كان للنصارى صيامهم.

(١) البقرة (١٨٣).

لكن السنة الثانية للهجرة – والشهر الثامن عشر من شهورها – على أرجح الآراء – قد شهد تشريع فريضة الصوم الخاصة بأمة الرسالة الخاتمة.. صوما متميزا فى منسكه من حيث أوقات الإمساك عن شهوات الطعام والشراب والفروج، ومن حيث عدد الأيام، ومن حيث موقع هذه الأيام فى شهور العام، ومن حيث التقويم القمرى الذى كان تقويم العرب والإسلام..

وإذا كانت مواقيت الشعائر والفرائض الدينية لا تخلو من حكمة يحققها التوقيت – حتى وإن خفيت علينا فى بعض الأحايين – فإن البحث عن الحكمة التى جعلت شهر رمضان، دون غيره من شهور السنة القمرية، هو شهر الصيام للأمة الإسلامية.. إن البحث عن حكمة هذا التوقيت قد يفتح أمامنا سبلا لاكتناه مزيد من العظمة والتعظيم لهذا الركن من أركان الإسلام.. بل إنه لفاتح أمام بصائرنا طرقا إلى المعانى الحقيقية الجديرة بالتجسيد والإحياء فى هذا الشهر العظيم.. شهر رمضان..

إن الصوم، فى الإصطلاح الشرعى للإسلام، هو الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس أيام شهر رمضان.. لكنه إذا وقف عند هذا « الطقس » فقد لا يكون لصاحبه منه سوى آثار « الجوع والعطش » – كما جاء فى الحديث عن رسول الله، ﷺ « ذلك أن الصوم هو فى حقيقته « تعبيد » للإنسان، يديم « حضور العبودية » بألوان من « الحرمان » تجعله مدرسة عظمى لتربية الإرادة الإنسانية على « الحضور – الطائع » للخالق – سبحانه وتعالى – وحده، دونما رقيب أو شريك، الأمر الذى يخلص هذا العمل لله، دونما رياء!.. ولذلك قد يحار ويستغرب الذين لا يعلمون رسالة الصوم فى تربية الإرادة الإنسانية، كيف كان رمضان – شهر الحرمان والمعاناة والمكابدة – هو شهر أبرز الانتصارات الإسلامية على أشرس التحديات التى هددت « الدعوة » و« الأمة » و« الوطن » منذ « بدر الكبرى » سنة ٢ هـ إلى « فتح مكة » سنة ٨ هـ.. إلى « حرب رمضان« سنة ١٣٩٣هـ ؟!

لكن.. لماذا فى رمضان؟

لكن السؤال الباحث عن حكمة توقيت الصيام الإسلامى لا يزال قائما.. لماذا كان هذ المنسك، الذى مثل ويمثل « مدرسة التربية الإسلامية للإرادة » فى شهر رمضان دون غيره من الشهور؟..

إن القرآن الكريم يحدثنا عن أن هناك أربعة شهور حرم وهى « رجب » و« ذو القعدة » و« ذو الحجة » و« المحرم » ولها عند الله فضل واختصاص، حتى لقد جعلها مكرسة للسلام وتنمية العمران وحرم فيها القتال:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(٢).

(٢) التوبة (٣٦).

لكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل الصيام – هذا الركن العظيم من أركان الإسلام – في رمضان، ولم يجعله في واحد من هذه الأشهر الحرم.. فلماذا؟!..

بل إن «الحج» إلى البيت الحرام.. وهو، كالصيام، ركن إسلامي له توقيت سنوي ثابت قد دخل شهر «ذو الحجة» – وهو من الأشهر الحرم – في أشهر الإحرام به والأداء لمناسكه.. وبقي الصيام وحده، من بين الأركان ذات الميقات السنوي الثابت، بعيدا عن هذه الأشهر الحرم، حيث اختص به شهر رمضان!..

وإذا كانت الهجرة النبوية قد مثلت، بالنسبة للإسلام الدعوة.. والدولة «الحدث – المنقذ» من إحاطة الشرك واقتلاع الكفر للإيمان.. فلم لم يكن شهر الهجرة – ربيع الأول – هو شهر الصوم، كما كان حال الصيام في شريعة بني إسرائيل، في ذكرى نجاة موسى ومن معه من فرعون وملئه؟! .. ولماذا كان الاختيار الإلهي لشهر رمضان بالتحديد، ودون غيره من الشهور؟!..

إن القرآن الكريم لا يترك الإجابة عن السؤال الباحث عن «حكمة» هذا التوقيت للاجتهاد والاستنتاج .. فآياته البينات قد تحدثت عن «لحظة الميلاد» للأمة الإسلامية الخاتمة، تلك التي تجسدت في لحظة «الظهور للدين» الذي ميز هذه الأمة، وجعل من دينها الطور الخاتم لرسالات الدين الإلهي الواحد، والشريعة العالمية التي استكملت وأكملت للإنسان مكارم الأخلاق..

ولقد كانت بداية هذه «اللحظة» هي نزول «الروح الأمين» على «الصادق الأمين» بأولى آيات القرآن الكريم، لحظة «مطلع الفجر» في ليلة من الليالي الوتر في العشر الأواخر من شهر رمضان في «غار حراء»؟!

في هذه «اللحظة»، التي أضاءت فيها الأرض بنداء السماء:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(٣) بدأ نزول القرآن في ليلة القدر.. وهي «لحظة» (مطلع الفجر) – الذي هو مولد النهار – وفيها نزل الكتاب – الذي ولدت منه الأمة – عندما خرجت عقيدتها وشريعتها وحضارتها.. ووحدتها في «الأمة» و«الدار» من بين دفتي هذا الكتاب الكريم!

ولقد كان ذلك «الميلاد» في شهر رمضان.. فكان صومه – دون غيره من الشهور – الاحتفال الإسلامي بميلاد هذه الأمة، في مطلع الفجر، من ليلة القدر، في رمضان، في السنة التي سبقت الهجرة النبوية بثلاثة عشر عاما..

يحكي القرآن الوقائع التي تقود العقل المسلم لاكتشاف حكمة جعل الصيام الإسلامي في شهر رمضان، دون سواه من الشهور.. وذلك عندما يحدثنا عن توقيت نزول القرآن الكريم:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾(٤)

---

(٣) العلق (١).

(٤) القدر (١: ٥).

وكان ذلك فى شهر رمضان.. ولذلك، جعله الله ميقاتا لشعيرة الصوم - مدرسة بناء الإرادة الإسلامية - المجددة أبدا لفتوة الأمة، كى تستعيد دائما عافية الميلاد الجديد، وصحة الجهاد والاجتهاد والتجديد.. فقال سبحانه، وهو يشرع لهذه الفريضة - فيحدد الميقات.. وعلة التوقيت -:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٥).

وهكذا نجد أنفسنا أمام «الحكمة» التى جعلت صيامنا فى رمضان.. وليس فى شهر من الأشهر الحرم.. وليس، أيضا فى ذكرى نجاة الإسلام ورسوله وأمته، بالهجرة، من الحصار والإبادة والاقتلاع.. أمام «الحكمة» التى جعلت صيامنا إحياء لذكرى لحظة نزول القرآن، الذى مثل «الرحم» الذى ولدت منه هذه الأمة عندما خرجت مقوماتها وثوابتها والروح السارية فى حضارتها والصبغة المميزة لعمرانها.. عندما خرج كل ذلك من بين دفتى هذا الكتاب الكريم، ومن سور وآيات هذا النبأ العظيم..

فكيف يكون الاحتفال؟ :

وإذا كان احتفال الناس، أفرادا وأسرا وشعوبا وأمما، بالأعياد والمناسبات، لابد وأن تصطبغ مظاهره وتعكس وقائعه معانى ودلالات الحدث الذى به يحتفلون، ولذكراه يحيون.. إن كان انتصارا عسكريا، فإن مظاهر القوة ومعالمها تطبع وقائع الاحتفال.. وإن كان استقلالا عن الاستعمار.. أو تحريرا للثروات.. أو استرجاعا للأرض.. الخ.. الخ.. صبغت معانى الذكرى احتفالات الذين يتذكرون ويحتفلون.. فإن احتفال المسلمين، عندما يصومون شهر رمضان، بذكرى «اللحظة» التى بدأ فيها نزول القرآن على قلب رسول الإسلام، ﷺ، مطلوب منه - من هذا الاحتفال - أن يصطبغ بصبغة ذلك الحدث العظيم.. نزول القرآن، الذى كان الرحم الذى ولدت منه المقومات التى صنعت أمة الإسلام، ومثلت الروح السارية والضامنة لتواصلها الحضارى على مر الدهور.

إن تأمل هذه المعانى، وتدبر هذه الحقائق، سيضع يدنا على حجم «الخلل.. والقصور» الذين أصابا ويصيبا «معانى.. ومعالم» احتفالنا فى رمضان بذكرى نعمة نزول «النبأ العظيم».. ليس، فقط، فى تحول شهر الصوم إلى شهر للكسل وتدنى الانتاج. بينما هو فى حقيقته، «مدرسة تربية الإرادة» على الفتوة التى تجعل منه التجديد للطاقات والملكات والقدرات التى تعين الأمة على قهر المخاطر والتحديات، وتنمية معالم الابتكار والإبداع..

وليس، فقط، عند وقوف الأكثرين عند «الطرب» لسماع القرآن.. واكتفاء الكثيرين بمجرد «تلاوته».. بينما لا «يتدبره» إلا الأقلون!.. فلا طرب السماع.. ولا مجرد التلاوة.. بل ولا حتى الوقوف عند «التدبر

---

(٥) البقرة (١٨٥).

للمعانى».. بكاف فى الاحتفال الذى يحيى المعنى الحقيقى لهذا العيد الذى ولدت فيه أمة الإسلام.

إن نزول القرآن الكريم، إنما مثل لحظة الميلاد لأمة الإسلام، لأنه مثل «النور» الذى خرجت إليه الأمة من ظلمات الجاهلية.. ومثل «الهدى» الذى نعمت به بعد حيرة الضلالات.. وفى كلمة واحدة جامعة، فلقد مثل القرآن ينبوع «الإحياء» الإسلامى، الصالح دائما وأبدا لطى صفحات الموات والجمود والتقليد، بما يقدم من سبل للاجتهاد والتجديد والإبداع..

فـ«الإحياء» فى كل ميادين العمران.. عمران النفس الإنسانية بما يهذبها ويرتقى بملكاتها.. وعمران الواقع المادى بما يحسنه ويجمله من ألوان المدنية.. هذا «الإحياء» الاسلامى هو أخص المصطلحات المعبرة عن رسالة هذا «الينبوع»، الذى نصوم رمضان احتفالا بذكرى لحظة نزوله على قلب رسولنا، محمد بن عبدالله ﷺ. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٦).

فنحن، إذ نصوم رمضان، إنما نحتفل بذكرى اللحظة القدسية التى بدأ فيها نزول «النبأ العظيم» ذلك الينبوع الإلهى الذى مثل «الرحم» الذى ولدت منه الأمة الخاتمة، ومن بين دفتيه خرجت المقومات الثوابت للرسالة العالمية، فى «العقيدة» و«الشريعة» و«القيم» وهى التى ميزت «الحضارة» بالروح الخالدة، رغم تطورها عبر الزمان والمكان.. كما وحدت «الأمة» مع التنوع فى القبائل والشعوب والأقوام.. وكذلك وحدت «دار الإسلام» مع التمايز فى خصوصيات الأقاليم والأوطان..

وإذا كانت مصداقية «رسالة» أى احتفال بذكرى لحظة الميلاد، هى فى مدى النجاح الذى يحققه الاحتفال فى حضور «المعنى والمغزى» إلى واقع الذين يحتلفون.. فهل ننجح، فى رمضان، فى استعادة روح «الإحياء» الإسلامى، الذى مثله القرآن العظيم، عندما أخرج هذه الأمة من الظلمات إلى النور؟!

لقد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على هذه الأمة عندما تعهد «بحفظ» هذا «الينبوع» وصيانته عن الخلط والتحريف والتبديل:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٧).

لكن «إقامة» هذا الدين.. وتجديد دنيانا بفكره المتجدد هى «الأمانة» التى حملناها نحن عندما سعدنا بنعمة التدين بهذا الدين..

فطوبى للسالكين سبل التجديد والإحياء للعمران الإسلامى.. الساعين إلى أداء «الأمانات» فى مختلف ميادين العمران.. أولئك الذين يجعلون من صيام رمضان الاحتفال اللائق بإحياء ذكرى لحظة الميلاد العظيم لأمة محمد ﷺ.

---

(٦) الأنفال (٢٤).

(٧) الحجر (٩).

شهر رمضان المعظم

قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

يقول الله تعالى فى قرآنه الكريم:

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١).

ويدلنا هذا التعبير القرآنى المعجز على حقيقة العلاقة بين العلم والإيمان، فالعلم يتبعه الإيمان تبعيَّة ترتيب بلا تعقيب، والإيمان تتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع لله - تعالى - وهكذا يثمر العلم الإيمان، ويثمر الإيمان الإخبات والتواضع لله رب العالمين.

والقرآن الكريم يؤكد هذا المعنى فى آيات أخرى كثيرة تكررت فيها العبارات الموقظه للفكر من غفلته والمحررة للإنسان من ربقة تقليده وجموده، مثل:

﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾(٢)، ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣).

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ ﴾(٤)، ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا ﴾(٥).

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾(٦)، ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٧).

﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٨)، ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٩).

ولاشك أن القرآن الكريم من خلال حثه المتكرر على النظر والتفكر والتعقل قد جعل ممارسة البحث العلمى السليم فى مختلف

(١) الحج (٥٤). (٢) ياسين (٦٨). (٣) الأنعام (٥٠).
(٤) الغاشية (١٧). (٥) الأعراف (١٨٥). (٦) الروم (٨).
(٧) البقرة (١٦٤). (٨) البقرة (٢٣٠). (٩) يونس (٢٤).

مجالات المعرفة فرضاً لازماً على المسلمين، فالإسلام كما فرض على الناس أن يتعبَّدوا، فرض عليهم أن يتفكروا. وصدق الرسول الأمين حيث يقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

ولعل هذا التصور الإسلامى عن العلم ورسالته كان فى خاطر الأستاذ عباس العقاد -رحمه الله- عندما صنف كتابه القيم «التفكير فريضة إسلامية».

ويأبى الإسلام إلا أن تكون العقيدة على أساس العلم الصحيح، وليس على أساس التقليد أو الظن أو التسليم الأعمى، ولذا ردّ القرآن الكريم مزاعم المشركين فى آلهتهم بقوله:

﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾(١٠).

كما غاب على الذين يقولون «بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا» ورد عليهم بقوله:

﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(١١)

وصاح فى أصحاب العقائد الباطلة

﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١٢)

وفرض على أتباعه أن يتفكروا ويسعوا إلى طلب العلم، مثلما فرض عليهم أن يتعبدوا ويتوجهوا إليه طلباً للرضا والغفران.

وعقيدة الإسلام -باستنادها إلى العلم الصحيح- تؤكد قوتها وحجيتها، ولا تخشى أن يأتى العلم بنتائج تناقض حقائق الدين ومسلماته وأصوله الثابتة، فالحق لا ينقض الحق أو يعارضه، وإذا بدا لنا فى بعض الأحيان تناقض ظاهرى، فإن مردّه أن يحسب ما ليس من العلم علماً وما ليس من الدين ديناً.

وتأسيساً على هذه المعانى يكون العلم فى المنظور الإسلامى طريقاً إلى الإيمان على هدى وبصيرة، ويكون البحث العلمى مرتبطاً دائماً بإرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ التى تكفل لنا استمرارية السنن الكونية واطراد حدوثها لنراقبها وندركها وننتفع بها فى حياتنا، بعد أن نتعرف على طبيعة سلوكها ونستدل بها على قدرة الله ووحدانيته، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(١٣).

وقوله عز من قائل:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾(١٤).

---

(١٠) النجم (٢٨).

(١١) البقرة (١٧٠).

(١٢) البقرة (١١١).

(١٣) فصلت (٥٣).

(١٤) محمد (١٩).

العلم يدحض آراء الملحدين

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١٥).

تؤكد هذه الآية الكريمة، مع آيات أخرى كثيرة فى القرآن الكريم، أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وحده هو الخالق لهذا الكون بإرادته ومشيئته المطلقة، والباحث المتأمل فى كل خلق إلهى يجد الكثير من الدلائل التى يدحض بها مزاعم الملحدين والمشركين وافتراءاتهم: سواء فيما يزعمون من نشأة الحياة بالصدفة أو ما ينسبون للطبيعة من قدرة على الاختيار والانتقاء وإعمال القوانين فى حركة الكون والحياة، أو ما يزعمون من تطور للمخلوقات أدى إلى ارتقاء الجماد والحيوان وانحدار الإنسان من أصل مشترك بينه وبين القردة العليا.. وهذه كلها مزاعم فلسفية ليست من العلم فى شىء، بل إن المنطق العلمى نفسه يرفضها ويكشف غاياتها الخبيثة فى تزيين الكفر والإلحاد.

وإذا بحثنا فى جسم الإنسان على سبيل المثال نجد العديد من التوافقات المذهلة والتنظيمات العجيبة التى تؤكد أن الإنسان لم ينشأ نتيجة صدفة عمياء، أو يتطور من جماد وحيوان بفعل قوى الطبيعة المزعومة، بل هو من صنع قوة عاقلة جبارة تملك القدرة المطلقة على التدبير والتخطيط، وهذه القوة هى قوة القصد الإلهى التى تؤكد أهمية الغاية والهدف من وراء خلق الكائنات، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(١٦).

وقوله عز من قائل:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٧).

ومن أمثلة التوافقات والتنظيمات المعجزة فى جسم الإنسان نستعرض ما يلى:

١- خلايا الجسم دائمة الانقسام للعمل على نمو الجسم أو لتعويض ما يفقد أو يموت بين هذه الخلايا. أما الخلايا العصبية فهى لا تنقسم لأنها لو انقسمت تحدث كارثة مروعة بتلاشى جميع معالم الذاكرة فى الخلايا العصبية للمخ.

٢- تعتبر عضلات الرحم عند الأنثى أقوى عضلات الإنسان للحاجة إليها فى دفع الجنين عندما يأذن الله بخروجه من بطن أمه. وتلى عضلات الرحم عضلات القلب التى لابد أن

(١٥) الروم (٢٧).

(١٦) المؤمنون (١١٥).

(١٧) الدخان (٣٨، ٣٩).

تكون قوية لتتحمل العمل ليلاً ونهاراً وتدفع الدم باستمرار إلى الأوعية الدموية لمدة قد تطول فى بعض الأحيان لأكثر من مائة عام.

٣- عند حدوث حرج فى الجسم يندفع الدم من الأوعية الدموية المجروحة، ولكنه لا يلبث أن يتجلط عند مكان الجرح ليوقف استمرار النزيف، ولولا هذا التجلط لظل النزيف حتى الموت.

٤- المعدة فى الإنسان أشبه بمصنع كيميائى أعده الخالق الواحد ـ سبحانه وتعالى ـ لكى يعمل ذاتياً (أوتوماتيكيا) وينتج مواد كيميائية أكثر مما ينتجه أى معمل ابتكره الإنسان فالمعدة تقوم تلقائياً بتحليل ما يتناوله الإنسان من أطعمة على اختلاف أنواعها، بمعالجتها وتجهيزها من جديد، وتتولى فرزها وتصنيعها وتوريدها بصورة مستمرة ومنتظمة إلى كل خلية من بلايين الخلايا حسب احتياجات هذه الخلايا وتخصصاتها لتكوين العظام أو الأظافر أو الشعر أو اللحم أو الأسنان أو الأنسجة أو غيرها.

كما تحتوى المعدة على جهاز كيميائى مناعى أو دفاعى لمهاجمة الجراثيم والميكروبات المعادية، وهناك الكثير من التنظيمات الأخرى الرائعة.

٥- الأذن البشرية عضو معقد بالغ الحساسية يقوم بتحليل الأمواج الصوتية ونقلها إلى المخ فى صورة تيار كهربى يسرى فى العصب السمعى إلى مركز خاص فى المخ فيحس الإنسان بسماع الصوت. وقد خلق الله الأذن البشرية وجعل استجابتها محدودة بمدى معين من الذبذبات التى يتراوح ترددها (أى عددها فى الثانية الواحدة) من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية. وذلك لكى ينعم الإنسان بالهدوء ولا يسمع الموجات الأقل أو الأكثر من هذا المدى ولو استجابت الأذن لكل الذبذبات الصوتية لعاش الإنسان فى ضجيج لا ينقطع.

وما يقال عن الخلايا والعضلات والدم والمعدة والأذن يقال عن العين واللسان والأنف والحنجرة والجلد وغيرها من ملايين التنظيمات والتوافقات الرائعة فى جسم الإنسان، بل ومختلف التنظيمات الموجودة فى كل الكائنات النباتية والحيوانية، مما يدل على أن جميع المخلوقات منذ البداية على نحو من التصميم الدقيق المقصود الذى لا يدع مجالاً للصدفة أو الاحتمال.

القانون الإلهى «لا تبديل لخلق الله»

لا غرابة فى أن يتصل القرآن الكريم – كتاب الإسلام الخالد– بالعلوم جميعاً، فما العلوم إلا نتاج تطلُّب الإنسانية أسرار الفطرة، والقرآن الكريم ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة، بل الدين هو الفطرة نفسها. وإن شئنا توكيداً لذلك لا مزيد له، فلنقرأ هذه

الآيات الكريمات من سورة الروم التى تتعلق بظواهر كونية لا يدرسها ولا يبحثها ويكشف عن أسرارها إلا العلم التجريبى..

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾(١٨).

لقد جمع الله -تعالى- للإنسانية فى هذه الآيات القرآنية بين العلم والدين، ومزجهما للعقلاء من المفكرين مزجاً يُدهش ويُبهر، وصار به العلم فى الإسلام جزءاً من الدين، ميزةً للإسلام وحده من بين الأديان.

ثم يأتى قوله تعالى فى الأية الثلاثين فى سورة الروم:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٩).

فالإسلام هنا ليس فقط دين الفطرة، ولكنه نفس الفطرة التى فطر الله الناس عليها. وهذا أوْجزُ تعبير وأوْكده وأشملُه بتمام انطباق الإسلام على سنن الله التى خلق عليها الإنسان، سواء تعلقت بالبدن أو النفس، وبالعقل أو القلب، فى الفرد والأسرة والطائفة، أو فى القبائل والأمم والشعوب، وثبات تلك السنن فى الإنسان وغيره، واطرادها واتساقها فى ما بينها ومع السنن الأخرى الجارية فى الكون، دل عليه أبلغ دلالة قوله تعالى: « لا تبديل لخلق الله »، والعلم الحديث يقوم وجوده على هذا القانون الإلهى، إذ العلم -بمنهجة السليم- متوقف على اتساق الفطرة واتصاف سننها بالاطراد والثبوت.

سبحانك ربنا.. لا علم لنا إلا ما علمتنا.

***

(١٨) الروم (١٧، ٢٥).

(١٩) الروم (٣٠).

مختارات شعرية:

رمضان ناسك الزمن

للشاعر الأستاذ/ محمود حسن إسماعيل

أضـــــيـف أنت حـلّ على الأنام | وأقـسم أن يحـيـا بالصـيـام؟
قطعت الدهر جـوابا وفـيـا | يعـود مـزاره فى كل عـام
تخـيم... لا يحد حـمـاك ركن | فكل الأرض مـهـد للخـيام
نسخت شعائر الضيفان، لما | قنعت من الضيافة بالمقام
ورحت تسن للأجواد شـرعـا | من الإحسان علوى النظام
بأن الجود حرمان وزهد | أعـز من الشراب أو الطعام

***

أشـهـر أنت أم رؤيا مـتـاب | تألق طيفها مثل الشهاب
تمرغ فى ظلالك كل عـاص | وكل مـرجس دنس الإهاب
فـأنت مـحـيـر الآثام.. تجرى | فـتلحقها بأحلام العذاب
تراك شفيع توبتها، فتخزى | وتوأد تحت أجنحة الشباب
وأنت منارة الغفران، يأوى | إليك اليائسون من المتاب
وعند الله سؤلك مستجاب | ولو حملت أوزار التراب..

***

وقـفت خطاك عند البائسينا | فكنت لليلهم فلقا مبينا
تساق إليك أمواج التحايا | فتدفعها لباب المعوزينا

فكم آهات محروم حداها ... إليك البؤس، فانقلبت رنينا
فأنت مفزع البخال.. تجرى ... خطاك على حجارتهم معينا..
وأنت ملقن الأيدى نداها ... ومكسبها التراحم والحنينا
يخافك كل قارون شحيح ... فيخجل أن يرد السائلينا..

***

ومنذ تهل ترهبك الذنوب ... وتخشع السرائر والقلوب
وتفزع أن تقابلك المعاصى ... فتهرع، أو تقنع، أو تذوب
ويجفل أن يراك أخو هواها ... ولو قتلت مشاعره العيوب
كأنك فارس الآثام، تبدو ... فيصعقها مهندك الغضوب
كأن بكفك البيضاء سرا ... من النجوى تكتمه الغيوب
تجابه كل غيان عنيد ... فيكتم الغواية.. أو يتوب..

***

جعلت الناس فى وقت المغيب ... عبيد ندائك العاتى الرهيب
كم ارتقبوا الأذان كأن جرحا ... يعذبهم تلفت للطبيب
وأتلعت الرقاب بهم، فلاحوا ... كركبان على بلد غريب..
عتاة الإنس! أنت نسخت منهم ... تذلل أوجه، وضنى جنوب
فيامن لقمة وحفيف ماء ... يقلب روحه فوق اللهيب،
علام البغى والطغيان!! إنى ... كفرت بمنطق الدنيا العجيب..

***

تلفت للمآذن حاليات ... كحوريات خلد سافرات
تفوح مباخر النساك منها ... فتحسبها غصونا عاطرات
تلألأ حولها أطواق نور ... مضيئات بحبك هائمات

كــــأنك حـــامل وحـــيـــا إليـــهـــا ... وقـــفـن لســـحـــره مـــتلهـــفـــات
إذا صـــــــاح الأذان بـهـــــا ، أرنـت ... بإلهـــام كــــمـــوج البـــحـــر عـــات
يـذكـــــــر بـالـهـــــدايا كل نـاس ... ويـوقظ كل غـــاف في الحـــيـــــاة

***

وهذا المعـــجـــز العـــالى الرخـــيم ... أذان الـلـه ، والـذكـــــــر الحـكـيـم
تـــلاه فـــي ســـكـــون الـلـيـــل تـــال ... فـكاد لـهـــولـه تـهـــوى النجـــوم
نـداء تـفـــــزع الأفـــــلاك مـنـه ... وتخـــشـع فى مـــســـاربه الســديم
على ســـمـع الهـــداة يضـــوع عطرا ... وتـقـــذف مـنـه للغـــاوى رجـــوم
أصـــاخ الكون مـــســحـــورا إليـــه ... وخـــر لبـــأســـه الأزل القـــويم
تـنـزل فـــوق صـــدرك من عـــلاه ... بشـــيـــر الوحى ، والدين القـــديم !

***

ســـلامـــا ناسك الزمن القـــوى ... من القلب الحـــزين الشـــاعـــرى !
حـــملت إليك أشـــواقى وســـرى ... لتـــحـــملهـــا إلى الأفق العلى . .
تمائمى التـــعـــبـــد بالأغـــانى ... على نغـــمـــات قـــيـــثـــار شـــقى
أمـــر بهـــا على زمنى غـــريبـــا ... كـطيـــر تاه فى ظلم العـــشـى
وأعـــزف للصـــبـــائح والأمـــاسى ... فـــينتـــفض الغناء لغـــيـــر حى . .
كـــأنى مـــا ذرفت أسى زمـــانى ... ولا أفـــضى صـــداى بأى شىّ ! !

***

طلعت منورا فـــوق العـــبـــاد . . ... فـــأيقظ من تشـــبث بالرقـــاد
وقل للشـــرق : إن الكون يمـــشى ... على ســـبل مـــغـــيـــبـــة الرشـاد
فـــخـــذ لزمـــانك الزاد المرجى ... من الخلق القـــويم والاتحـــاد
ولا يوقـــفـك فى التـــيـــار هول ... فنار الهـــول ، نور للجـــهـــاد
لقـــد ملت تقلبنا الليـــالى ... على وضـــر التنعم والفـــســـاد
شـــدا لك بالأذان خـــميل مـــصـــر ... فـــقم . . وانشـــر صـــداه على البوادى

رمضان يا أكرم الشهور.. ماذا فعل المسلمون بك؟!

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

فى آخر يوم من شعبان خطب النبى ﷺ خطبة جامعة وكل خطبه جامعة، فقد أوتى ﷺ جوامع الكلم، بَيَّن فيها ﷺ فضل رمضان وعظيم ثوابه وعظيم بركته وأن العمل فيه يزاد ثوابه عن غيره، وأن هذا الشهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار. ولو أن موعظة رسول الله ﷺ وما بيَّنه من عظمة هذا الشهر وبركته لو أن هذه الموعظة باشرت قلوب المسلمين لعملوا بما فيها، ولأنزلوا الشهر منزلته من الاحترام والتقدير والإخبات لله - تعالى - ، لكن حال المسلمين يُنبىء بأنهم وإن سمعوا كلام رسول الله ﷺ إلا أنهم أصموا قلوبهم عنه فلم يعملوا به وكأن الرسول يخاطب غير المسلمين! ولا أعتقد أن مسلما لم يسمع هذا الحديث، إن لم يكن يحفظه، لكن يبدو أن حال المسلمين مع السنة المطهرة ومع تعاليم الله - سبحانه وتعالى - باتت غير ذات شأن، فهم فى حفلاتهم وندواتهم قد يتلون كتاب الله ويسمعون أحاديث النبى ﷺ لكن يبدو أنهم يستمعون لاهية قلوبهم، لايقدِّرون ما يتلى وما يُردد، وأن حالهم لا يعدو أن يكون تزجية فراغ أى مجرد قضاء الوقت وكأن مفاهيم اللعب قد أثرت فى حياتهم فباتوا يعرفون من مصطلحات اللعب واللهو أكثر مما يعرفون من أمور دينهم. حتى إن مصطلح «الوقت الضائع» أصبح طابع حياتهم!! وحتى لا نصرف جهدنا بعيدا، نراجع حديث رسول الله ﷺ نُذَكر به أنفسنا، ونعطر به قلوبنا.

يقول سيدنا سلمان الفارسي- رضى الله عنه - خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان

كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد فيه فى رزق المؤمن، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من فطَّر فيه صائما كان مغفرةً لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء، قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم، قال: يعطى الله هذا الثواب من فطر فيه صائما على مزقة لبن أو تمرة أو شربة ماء، ومن أشبع فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه، وسقاه ربُه من حوضى شربة لا يظمأ بعدها أبدا، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص فى أجره شىء، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لاغنى بكم عنهما: أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة «أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما اللتان لاغنى بكم عنهمافتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار»[1].

ونحب أن نقول: إن هذا الشهر فيه العظمة والبركة، العظمة بليلة القدر، فهى أفضل ليالى السنة كلها، بل هى أفضل من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، أما البركة فهو زيادة ثواب الأعمال، [كما أنه شهر المواساة] كما أننا نلاحظ أن الحديث ذكر عظيم ثواب من فطر الصائم ثم جعل هذا الثواب – أيضا – لمن فطر صائما على مزقة لبن أو تمرة أو شربة ماء، وجعل هذا الثواب أيضا لمن أشبع فيه صائما وزاد عليه أن الله – سبحانه وتعالى – يسقيه من حوضه ﷺ شربة لا يظمأ بعدها أبدا، فكأن عبداً واحداً من الممكن أن يكون كل هذا الأجر لمن يفطره على مزقة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن يشبعه – أيضا.

ولك أن تسأل أيها ألاخ: كيف يكون هذا الثواب لمجرد مزقة لبن (أى شربة قليلة) أو تمرة، أو شربة ماء؟

أحسب أخى المسلم أن فى هذا علاجاً لكبر خفى فى النفوس، كيف ذلك؟ أقول لك: إن أكثر الناس يمتنع عن إعطاء صدقة قليلة؛ انسياقا لكبر خفى فى نفسه وهو أنه لا يتناسب معه إعطاء القليل.

وقد روى عن الإمام على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – معنى جليلا فى هذا الشأن قال: «لا تستقل شيئا تعطيه لفقير فيمنعك ذلك عن عطائه فإن العدم أقل».

وأرى فى حديث رسول الله ﷺ محواً لذلك الكبر الخفى، فإن طمعنا فى الثواب الجزيل يدفعنا إلى بذل أى شىء، وحتى تدرك

---

(١) الترغيب والترهيب جـ٢.

هذا المعنى الجليل فهل تستطيع أن تتطامن من عليائك وتقف تحمل وعاءً فيه تمر – مثلا – لتوزع على الفقراء؟ أم أن كبرك الخفى يستنكف هذا العمل، وتتمنى أن تكون لك عربة فارهة تلقى منها وجبات جاهزة على عباد الله!

أنا لا أقلل من قيمة هذا العمل لمن أعطاه الله ووسع عليه، أما أنا وأنت فلماذا يمنعنا الكبر والفقر فى أن نساهم ولو بالقليل؟ لهذا أفهم قول رسول الله ﷺ إنه (شهر المواساة) أن المواساة هنا حث على التواصل والمودة والتواضع، فالكريم حقا الذى يواسى حقا، هو الذى يقدم ما يعين الآخرين، وليس ما يتصور أنه يناسب منزلته، فرمضان فرصة لنتخلص من الأمراض الخفية للنفس، فليس يقهر النفس إلا صيام. فلنتخلص من أمراض النفس الخفية من كبر وعجب وحسد فى هذا الشهر المبارك فالمطلوب منك أيها المسلم أن تراقب نفسك، أو كما يقول سادتنا الصوفية: «حفظ الأنفاس» أى أنك تراقب خطرات قلبك وتكبح شرور نفسك، فلا يكون لها هوى لما يغضب الله – تعالى– إنما يكون هواها تبعاً لأمر الله كما قال النبى ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»(٢) أنا أعلم أن هذه منزلة صعبة، وليكن رمضان فرصة لترويض النفس على الخلق الرفيع والسلوك القيم المستقيم. راقب نفسك: كيف حالك عندما دخل عليك رمضان، وقارن بعد نهاية رمضان: هل سموت وترفعت وتركت أخلاقك الذميمة؟ هل أصلحت من نفسك؟ هل نشطت أعضاؤك للطاعة وتثاقلت عن المعصية؟ أم أنك خرجت من رمضان تحمل أمراضك كما هى؟ إذاً أضعت العمر سدى ولم تنل من رمضان إلا الجوع والعطش!

وبئس ما حصدت!!

لو أنك دخلت مصحة تبغى الاستشفاء فيها وخرجت بأمراضك كما هى.. هل تكون راضيا عن النتيجة، وماذا يكون تقييمك لهذه المصحة؟ ولو أن الأطباء شخصوا المرض بدقة ووصفوا العلاج بمهارة لكنك أنت الذى لم تتناول العلاج الذى كان يوصف لك فمن تلوم إذاً؟ لا تلومن إلا نفسك.

أخى المسلم: أقول لك بكل بساطة ووضوح: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فرض علينا شهر رمضان مصحة نفسية وعلاجا قلبيا لأمراض القلب وكسر شهوة النفس وإصلاح حال أمة، حتى تصل إلى التقوى كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(٣).

---

(٢) فتح البارى ٢٨٩/١٣.

(٣) البقرة (١٨٣).

فهل حصَّلت التقوى؟! هل طرق قلبك معنى الورع والخوف من الله الذى يدفعك إلى اجتناب معاصيه هل تخلصت من الأنانية؟ أنت حكَمٌ على نفسك.

والله – سبحانه وتعالى– خلق الإنسان، وكما قال فى ذكره الحكيم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾(٤).

فهو أعلم بنا منا، وأعلم بما يصلحنا، فرض علينا الصوم علاجا لنفوسنا.. فإن أخذنا العلاج تحققت النتيجة بفضل الله – تعالى– وإذا رفضنا العلاج فإنما نخدع أنفسنا.

هل نشطت أعضاؤك للطاعة بعد رمضان؟ هل تعمل أنت لوجه الله بإخلاص؟ أم أن عملك يشوبه رياء؟

هل تنشط للطاعة والخير أمام الناس، ويتثاقل جسمك عنها فى خلوتك؟ إذا كنت كذلك فعملك يشوبه رياء، لا تترك العمل لكن خلص عملك مما يخالطه ويفسده من الرياء. صدقنى إن رمضان فرصة لاكتسابك هذه الحاسة، ويقظة القلب وعلو الهمة سل نفسك هل فى عملك الذى تؤديه حظ لنفسك أم تؤديه لوجه الله – تعالى – امتثالاً لأمره ورغبة فى رضاه؟ يروى أن أحد الصالحين قال: حججت عشرين حجة وكنت أنشط لها ولا أجد للسفر فيها عناءً أو مشقة، وذات ليلة قالت لى أمى: اسقنى يا ولدى.

وبرغم أننى أحضرت لها الماء، إلا أننى كنت أحس بثقل فى أعضائى حتى أننى كنت أقاوم جسدى فقلت: إن الحج لم يكن فيه إخلاص لله، وكان فيه حظ لنفسى، ثم دلل على كلامه النفيس بقوله: إن الحج بعد الفريضة طاعة وطاعة الوالدين واجبة ومن المفروض أن تكون أوامر الله تعالى جميعها متساوية وأن يهرع إليها المؤمن بهمة واحدة، أما أن يفتر فى أمرٍ وينشط فى آخر فذلك لهوى أو لحظٍ فى النفس، ولذلك قالوا: إن من علامة المنافق والمرائى أن ينشط فى الفعل أمام الناس ويفتر فى خلوته، أما الذين جاهدوا نفوسهم وملكوا أهواءهم فإنهم ينشطون فى كل حال راقب حالك واسأل نفسك هل تحسنت قلبيا وتخصلت من أمراضك الباطنية بعد رمضان؟ أم انتهى رمضان وأنت مازلت فى شحك وريائك وحسدك لم تتقدم خطوةفى طريق العلاج؟!

إن رمضان فرصة لنعوِّد نفوسنا على الأمر والنهى وعلى الامتثال لأمر الله – تعالى– ويكفينا أن الصوم ينفرد من بين الأعمال أن الله – سبحانه وتعالى – أضافه لنفسه إضافة تشريف وعلو منزلة، فقال فى الحديث القدسى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه

(٤) ق (١٦).

لى وأنا أجزى به » مع أن كل الأعمال لله – تعالى– . فالصلاة لله، والحج لله، والزكاة لله، والشهادة لله وانفرد الصوم بهذه الإضافة لتشريفه، كما قال تعالى :

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾(٥) .

مع أن الأرض كلها لله والسموات .

كما أن الصوم ينفرد عن باقى الأعمال بأنه جاوز قانون التقدير والحساب، فقد قال الله – تعالى – فى الحديث القدسى أيضا : « وأنا أجزى به » . واحذر يا أخى أن يكون نصيبك من الصيام كما أخبر النبى– ﷺ – عن بعض جماعة من الناس وحظهم من الصيام لكثرة ما يرتكبون فيه من موبقات فقال :« رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » .

ولقد أحسن الإمام أبو حامد الغزالى(٦) فى تقسيمه لأنواع الصوم، حيث ذكر أن له مراتب ثلاث ـ حاول واجتهد أن يكون لك أعلى مرتبة؛ حتى تنال رضوان الله – قال : « إن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص .

أما صوم العموم : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان واليد وسائر الجوارح عن الآثام .

وأما صوم خصوص الخصوص : فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله – عز وجل – بالكلية . ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله – عز وجل – واليوم الآخر، حتى قال أرباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله – عز وجل – وقلة اليقين برزقه الموعود » . أ . هـ

تأمل هذا الكلام النفيس الذى لا أقول لك إننا لا نعمل به بل إن كثيرين منا يستكثرون وقوعه .

قارن هذا بحالنا اليوم وصومنا المزعوم وإفطارنا البهيمى إفطارا على نغمات الموسيقى، أو سحورا راقصا! هل تصدق أننى سمعت فى التليفزيون المصرى المسلم استبيانا (استطلاع رأى) يطلب من المسلمين فى رمضان بيان رأيهم هل يريدون مسلسلاً واحداً أو اثنين أو ثلاثا أو أربعا! كما ورد فى الإعلان مصحوباً برقم تليفون لتلقى الآراء .

والأعجب أنك سوف تسمع من يقول زوراً وبهتاناً وتضليلاً أن ما يذاع أخذ فيه رأى الجمهور! لماذا لم يسأل التليفزيون – إن كان فيه بعض أمانة أو بعض صدق – : هل يطلب الناس إغلاق الجهاز فى رمضان بالكلية وماذا تكون النتيجة وما هى عدد الأصوات التى تطلب إغلاق بوق الفساد .

اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون .

---

(٥) الجن (١٨).

(٦) إحياء علوم الدين هامش اتحاف السادة المتقين جـ ٤/ ١٨٥ وما بعدها.

الصيام ورخصة الفطر

في ضوء العلم الحديث

للأستاذ الدكتور/ عفيفي محمود عفيفي (*)

الإسلام هو أكمل الأديان، ولهذا كانت تكاليفه أقرب إلى تحقيق عبودية المكلف لمن له الدين كله.. ويتجلى ذلك بصورة أوضح فى الصيام لأنه أكثر أركان الإسلام اعتمادا على كبح كيان المتعبد أى « فرملته » وإخضاعه للمعبود.. ولهذا لا يتم الصيام على وجهه الصحيح إلا بسيطرة الصائم على جوارحه وجوانحه أى على كل كيانه ظاهرا وباطنا..

والذى كلفنا بالصيام هو بذاته العلية الذى خلق كياننا البشرى ليكون أداة لتنفيذ هذا التكليف، فهو - سبحانه - أعلم منا بحدود قدرات هذا الكيان وما قد يعتريه من ضعف.. ولهذا كان تفضله على عباده بالإعفاء المؤقت أو الدائم من الصيام فى حالات معينة تعبيرا عن بعض جوانب رحمته بعباده..

بيولوجية الصيام

الصيام امتناع إرادى عن بعض المباح والمتاح من ضرورات الحياة، وفى مقدمتها الطعام والشراب. وهذا الحرمان ليس مقصودا لذاته بل هو اختبار لقوة إرادة الصائم حيث إن امتناعه عن هذه الضرورات مدة أكثر من المعتاد يتطلب مقاومة لأقوى الغرائز الكامنة فى كيانه وهى الاشتهاء.

والإحساس بالألم عند الجوع أو العطش علامة صحية لأنه إشعار بحاجة الجسم إلى مدد جديد من الطعام والشراب، أى أنه مجرد « جرس تنبيه » إلى خلو المعدة وقرب حلول مرحلة جديدة من الدورة الاغتذائية اليومية.. وهذا أمر لا ضرر منه على الإطلاق، فالتغاضى عنه بعض الوقت سيدفع الجسم إلى السحب

(*) أستاذ بكلية العلوم جامعة المنصورة. وخبير بيولوجى بمجمع اللغة العربية.

من رصيد الغذاء المخزون والمدخر لمثل هذه المواقف.. ويبدأ السحب أولا من الرصيد فى «بنك الكربوهيدرات» فى الكبد، فإذا نفد هذا الرصيد تحول السحب إلى بنك الدهون المترسبة حول الأحشاء وتحت الجلد.. وفى هذا السحب .. وبهذا الترتيب خير للجائع لأنه يخلص جسمه من الحمولة الزائدة التى تشكل عبئا على القلب وأعضاء الحركة، وتهدد بترسب الكوليسترول فى جدر الشرايين وبحدوث الجلطة الدموية.

واحتراق السكريات والدهون داخليا يتم فى درجة حرارة الجسم ويولد الطاقة اللازمة لمزاولة الحركة وغيرها من الأنشطة الحيوية، ويصحبه تكوين ماء نقى داخل الأنسجة يعوض الجسم عن الحرمان من ماء الشرب.. وكل صائم يجنى ثمرة هذه التفاعلات الخفية فى صورة انتعاش يعم جسمه فى أواخر ساعات الصيام، وعلاوة على كل هذه التيسيرات فإن الله ــ سبحانه ــ قد أباح الفطر للمكلفين بالصيام إذا اعتراهم ما يجعله فوق احتمالهم وبشروط معينة.

حالات الترخيص بالفطر

نص القرآن الكريم على إباحة الفطر للمكلف بالصيام فى ثلاث حالات مذكورة تحديدا فى الآية ١٨٤ من سورة البقرة حيث يقول العزيز الحكيم:

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾(١).

وفى الآية التالية مباشرة يتكرر ذكر المرض والسفر حيث يقول الرؤوف الرحيم:

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾(٢).

وأول ما يوحى به تكرار ذكر المرض والسفر متلازمين فى آيتين متتاليتين هو شدة ارتباطهما بقدرة الكيان البشرى على تحمل الصيام أو على الأقل أدائه على الوجه الصحيح، وهذا هو ما كشف عنه العلم الحديث مؤخرا.. فماذا قال فى هذا الشأن؟.. لنبدأ بما هو أكثر وضوحا..

تضامن أعضاء الجسم السليمة مع العضو المريض:

اصطلح علماء الباثولوجيا على أن المرض «خلل وظيفى يعترى أحد أعضاء الجسم فيؤدى إلى عجزه جزئيا أو كليا، مما قد يؤثر على غيره من الأعضاء التى يخدمها والتى تخدمه» وبيان ذلك هو ما أثبته علم وظائف الأعضاء من وجود تواصل داخلى بين كل أعضاء الجسم عن طريق الهرمونات التى يحملها تيار الدم إلى حيث يقوم

(١) البقرة (١٨٤).

(٢) البقرة (١٨٥).

كل هرمون بدوره فى تنظيم العملية الحيوية المختص بها، وعن طريق الأعصاب التى تنقل إشارات الاستغاثة من العضو المصاب إلى الدماغ فيصدر إشاراته إلى حيث يتم التجاوب مع العضو المستغيث بالطريقة المناسبة، ولهذا اصطلح على تسمية الدم وجهاز إفراز الهرمونات، والجهاز العصبى باسم «أجهزة التآزر والتنسيق».

ونتيجة لهذا يعم الاضطراب أعضاء أخرى غير العضو المصاب.. وفى هذا مصداق لما قاله نبى الإسلام -وهو لا ينطق عن الهوى- «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا شكا منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»(٣).

وإباحة الفطر للمريض مبنية على أساس أنه أصبح غير قادر على طول الحرمان من الطعام والشراب، وفى حاجة إلى تعاطى الأدوية عن طريق الفم فى مواعيد لا مفر من أن يحل بعضها بالنهار، يضاف إلى ذلك ما يساوره من آلام تزيل عنه حالة الاطمئنان والراحة النفسية وهما أول أسباب الخشوع اللازم لممارسة أية عبادة «ولا ينبغى أن ننسى أن الصيام لا يتم على وجهه الصحيح إلا بسيطرة الصائم على جوارحه الخارجية وجوانحه الداخلية».

والسفر.. مازال قطعة من العذاب:

من مظاهر الإعجاز العلمى للقرآن أنه جمع بين المرض والسفر فى آيتين متتاليتين مما يدل على الترابط بينهما من حيث كونهما مرخصتين للإفطار.. وآية هذا الإعجاز هى ما أثبته مؤخرا علم الطب الاجتماعى «وهو فرع مستحدث من علم الصحة العامة والطب الوقائى» من إمكانية حدوث أمراض عضوية فى مقدمتها قرحة الجهاز الهضمى، وتصلب الشرايين نتيجة للتوتر والقلق، الذين يعتريان المسافر ضمن أعراض أخرى كالشعور بالاكتئاب حتى قبل أن يغادر وطنه.. وهى ليست مقصورة على عصر السفر بالإبل عبر الصحارى ولكنها مازالت قائمة بعد اختراع وسائل النقل السريعة المكيفة، وانتشار الفنادق على الأوتوستراد، وإن اتخذت شكلا جديدا هو الانتظار غير المحدود فى صالات الترانزيت، والخوف من اختطاف الطائرات وغيره من أعمال الإرهاب.. فالعبرة ليست فى المشقة البدنية، وإنما فى المشقة النفسية. وهى واردة فى كل عصر، والقرآن نزل لكل العصور، وهو كلام من سبق علمه بكل ما سوف يحدث بعد نزول القرآن من اكتشافات وأحداث.

وقبل أن ننتقل إلى النقطة التالية لا يفوتنا التنويه بدقة التعبير فى قوله ـ تعالى ـ «على سفر» (مع أن السياق اللفظى كان يناسبه أن يقال: «مريضا أو مسافرا») والحالة المعنية هى حالة الارتحال ما بين نقطة المغادرة إلى نقطة الاستقرار (وإن تخللتها فترات إقامة مؤقتة).. فمتى بلغ المرتحل غايته النهائية واستقر بها مدة تكفى لانتظام حياته وعودة الاطمئنان إلى نفسه (وهى شرعا: المدة التى يجوز فيها قصر الصلاة والجمع بين صلاتين متتاليتين تأخيرا أو تقديما)..

(٣) أخرجه أحمد ومسلم.

عندئذ يصبح فى حكم المقيم وعليه الصيام ما لم يكن مريضا أو من الذين يشملهم قوله تعالى: «وعلى الذين يطيقونه..».

الخيط الرفيع بين الطاقة والإطاقة

يقول أهل اللغة إن معنى «يطيقون» (بضم الياء) هو: يتحملون بمشقة تؤدى إلى التهلكة، وبناء على ذلك فإن فى مقدمة من يطيقون الصيام: الطاعنين فى السن الذين ردهم الله إلى أرذل العمر، وهى حالة الهرم التى قال عنها نبى الإسلام: «يا عباد الله تداوو فإن الله – عز وجل – لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحد.. الهرم»(٤). وأهم أعراضه: ضعف المناعة والوهن العام وتفسير ذلك أن الجسم فى هذه المرحلة تزيد فيه معدلات الهدم على البناء فهو فى حاجة ماسة ومستمرة إلى تعويض ما يشيخ من أنسجته وتجديد ما يتهدم من مناعته.

وتأسيسا على ذلك يدخل فى زمرة المطيقين للصيام: كل من يصاب –ولو قبل سن الشيخوخة– بمرض ميؤوس من شفائه كالفشل الكلوى وضمور العضلات وسرطان الدم ومرض الـ«إيدز AIDS».. على أن يكون اليأس من الشفاء مبنيا على تقرير طبيب مسلم من أهل الخبرة والثقة.

والحقيقة العلمية التى تزيد إيماننا بحكمة الله ورحمته بعباده عامة وهذه الطائفة منهم خاصة هى أن أجسامهم بحاجة مستمرة إلى بناء مضادات الميكروبات وتجديد مصل الدم «البلازما» وتعويض خلايا أعضائهم المتهالكة «وبخاصة أعضاء المناعة».. والمادة الرئيسية الصالحة لتحقيق كل ذلك هى البروتين، وليس الكربوهيدرات والدهون (فهما مولدات طاقة لا مواد بناء) ومن الممكن تحول إحداهما إلى الأخرى لتعويض ما نقص منها ولكن لا يمكن تحويل أى منهما إلى بروتين لعدم احتواء جزيئاتهما على النيتروجين الذى تنفرد به جزيئات البروتينات، والتوقف عن إمداد الجسم بالبروتينات عن طريق الطعام المنتظم يضطره إلى تحليل خلاياه وفى مقدمتها العضلات، ومعنى ذلك أن المؤسسة الغذائية التى شيدها الخالق سبحانه فى جسم الإنسان قد بدأت تستهلك «رأس مالها» أى أن جسم الصائم بدأ يأكل نفسه بعد تجاوز الخط الفاصل بين موارد الطاقة (استهلاك السكريات والدهون) ودخوله دائرة الإطاقة (تحلل البروتينات).

إن إصرار من يصل به الحال إلى هذا الحد على الصيام ليس من طاعة الله فى شىء، بل هو معصية لأمره لأنه سبحانه نهانا عن أن نلقى بأنفسنا إلى التهلكة.. ومن رحمة الله بهؤلاء الذين لم تعد لديهم أية فرصة للصيام أنه لم يحرمهم ثواب الصيام ومتعة معايشته بجوانحهم ووجدانهم بعدما حرموا متعة ممارسته بجوارحهم وأبدانهم لذلك دلهم على ما يعوضهم ولو جزئيا عما فقدوه وهو إطعام المساكين.. وفى ذلك تحقيق للتراحم والتكافل وهما من الفوائد الاجتماعية التى يستهدفها الصوم.

(٤) أخرجه البخارى ومسلم.

رمضان موسم الخيرات والرحمات والبركات

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

لقد دأب المسلمون على الاحتفاء بشهر رمضان المعظم، والاجتهاد بالعبادة فيه اقتداء بنبيهم ﷺ .. وفى ذلك خير كثير.

ولقد كشف الرسول ﷺ لأصحابه عن فضائل هذا الشهر الكريم قولا وعملا. فكان إذا أقبل رمضان يقول: « أتاكم شهر رمضان. شهر بركة فيه خير يغشيكم الله فينزل الرحمة ويحط فيه الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم ويباهى بكم ملائكته. فأروا الله من أنفسكم خيراً؛ فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل »(١).

وقد تعددت أحاديث رسول الله ﷺ فى بيان فضل هذا الشهر العظيم فمن ذلك قوله ﷺ : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وصفدت الشياطين »(٢).

ومن ذلك أيضا أن رسول الله كان يهيىء الأمة لاستقبال شهر رمضان قبل مجيئه ويظهر لهم فرحته بقدومه ويحرضهم على الجد والاجتهاد فيه. عن سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان قال: « يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر. شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه، من فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء » قالوا: يا رسول الله.. ليس كلنا يجد ما يُفطر الصائم. فقال رسول الله ﷺ : « يعطى الله هذا الثواب من فطَّر صائماً

(١) رواه الطبرانى وابن النجار عن عبادة بن الصامت.

(٢) متفق عليه.

على تمرة أو على شربة ماء أو على مذقة لبن[٣]، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار. واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة»[٤].

وعطاء الله ـ عز وجل ـ فى رمضان لأمة محمد ﷺ عطاء غامر ونعمه سبحانه سابغة. وقد ورد فى ذلك عن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبى قبلى. أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله ـ عز وجل ـ إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة، وأما الرابعة فإن الله ـ عز وجل ـ يأمر جنته فيقول لها: استعدى وتزينى لعبادى أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً. فقال رجل من القوم: أهى ليلة القدر؟ فقال: «ألم تر العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم»[٥].

ولما كان شهر رمضان بهذه المنزلة فقد صار حريا براغبى الحصول على عطاء الله أن يتسابقوا فى فعل الخيرات وحريا بالآخرين أن ينتهزوا الفرصة ويقلعوا عن فعل الشر وينضموا إلى موكب الصالحين كى يفوزوا بعفو الله ومغفرته ورحمته. فقد جاء فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادى مناد يا باغى الخير أقبل، ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك فى كل ليلة»[٦].

وقد توالى على البشرية نزول الخير والهداية فى شهر رمضان المعظم منذ فجر التاريخ وذلك لحكمة يعلمها الله ـ تبارك وتعالى ـ تشير إلى فضل هذا الشهر الكريم ومنزلته عند الله ـ عز وجل ـ: يقول رسول الله ﷺ: «أنزلت الصحف على إبراهيم فى أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[٧].

ويقول الله ـ تبارك وتعالى ـ:

(٣) شربة من لبن ممزوج بالماء.

(٤) رواه ابن خزيمة فى صحيحه، ثم قال: صح الخبر.

(٥) رواه البيهقى.

(٦) رواه الترمذى وبنحوه رواه النسائى والحاكم.

(٧) رواه الإمام أحمد.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٨).

وكفى هذا الشهر فضلاً أن يكون نزول القرآن فيه، ومن شكر هذه النعمة الجليلة أن نصوم هذا الشهر الكريم.

وحين ربط الله ـ تبارك وتعالى ـ بين شهر رمضان وبين نزول الوحى على أنبيائه ورسله فإن ذلك يُعد دليلا واضحا على فضل هذا الشهر وعلو منزلته عند الله ـ عز وجل ـ.

ومن ذلك نفهم سر حفاوة رسول الله بهذا الشهر وتحريض أصحابه على حُسن استقباله بالجد فى كل صور الطاعة والعبادة والتسابق بينهم فى فعل الخيرات تقربا إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ.

يقول الإمام الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ: «إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه(٩)، يتسابقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر المبطلون».

ومنذ وعى المسلمون هذه المعانى وفقهوها وهم يحرصون على الفوز فى هذا السباق الذى يكون فى شهر رمضان، وهذا هو اللائق بهم؛ فقد أدركوا أن من فاز فى سباق الطاعات فى شهر رمضان كان حرياً به أن يفوز فى بقية الشهور، وأن من خسر السباق فى رمضان فإن الخسران سيلازمه فى بقية الشهور، لما ورد عن رسول الله ﷺ فى ذلك عن كعب بن عجرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا المنبر. فحضرنا. فلما ارتقى درجة قال: آمين فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين». فلما نزل قلنا: يا رسول الله.. لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه؟. قال: «إن جبريل عليه السلام عرض لى فقال: بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يغفر له. فقلت: آمين. فلما رقيت الثانية قال: بَعُدَ من ذكرت عنده ثم لم يصل عليك. فقلت: آمين. فلما رقيت الثالثة قال: بَعُدَ من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة. فقلت: آمين»(١٠).

هذا وإن صور الطاعة والعبادة فى رمضان متعددة ومتنوعة. وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

*** وهذه نماذج منها:**

١ ـ الصيام. ولا يكفى فيه أن نصوم عن الطعام والشراب والشهوات فى نهار رمضان فقط، وإنما ينبغى أن نرقى فى الصيام لأعلى الدرجات. فتصوم أيدينا عن تقديم الأذى لعباد الله أو تمتد إلى أى محرم، كما تصوم ألسنتنا عن السباب واللغو والكذب والغيبة والنميمة، وتصوم أعيننا عن النظر إلى ما حرَّم الله، وتصوم آذاننا عن سماع اللغو.. وهكذا ينبغى أن تصوم كل جوارحنا عن ارتكاب جميع المعاصى والآثام.

(٨) البقرة: ١٨٥.

(٩) المضمار المقصود به ميدان السباق.

(١٠) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

كما ينبغى أن تصوم قلوبنا عن الحقد والحسد، والجشع والطمع، والربا والنفاق.

٢- المحافظة على الصلاة فى مواقيتها وأداؤها فى جماعة مع الخشوع فيها، والجد فى تحسينها وإتقانها أملا فى الحصول على الفوز والفلاح مصداقا لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(١١)

٣- الحرص على صلاة التراويح لما ورد فى فضلها من الأحاديث مثل قوله ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه(١٢).

٤- الحرص على إحياء السنن والتخلص من البدَعْ والعادات السيئة انتفاعا بالصيام لأنه مدرسة للتدريب على كل خير والتخلص من كل شر.

٥- أن نجعل من هذا الشهر الكريم محطة لمحاسبة النفس على ما مضى من تقصير فى أداء الطاعات والواجبات والعبادات، وتجديد التوبة والاستغفار، والعزم الأكيد على تصحيح المسار انطلاقا من هذا الشهر الكريم.

٦- الإكثار من تلاوة القرآن والذكر والتسبيح لما ورد من الآيات والأحاديث فى فضل هذه الأعمال. ومعلوم أن فضل هذه القربات وغيرها يزيد فى شهر رمضان أضعافا مضاعفة.

٧- الحرص على بر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الفقراء والمساكين، وتقديم العون المادى والمعنوى إلى المجاهدين المسلمين فى كل مكان، والإنفاق بسخاء فى كل وجوه الخير والبر، اقتداء برسول الله ﷺ؛ فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن؛ فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة(١٣).

٨- الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ لأنه شهر تفتح فيه أبواب السماء لإجابة دعاء الصائمين مصداقا لقول رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تعالى: وعِزَتى لأنصرنك ولو بعد حين»(١٤).

ومما يلفت النظر فى هذا المجال أن الآية الكريمة التى نزلت لبيان أن الله ـ تبارك وتعالى ـ يستجيب دعاء من دعاه متى استكمل شروط الإجابة جاءت بين الآيات الكريمة التى تشرع أحكام الصيام. أعنى قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(١٥).

(١١) المؤمنون: ١ - ٢.

(١٢) متفق عليه عن أبى هريرة.

(١٣) متفق عليه.

(١٤) رواه الإمام أحمد والترمذى وغيرهما عن أبى هريرة.

(١٥) البقرة: ١٨٦.

محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين

٩

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

يعرف القراء الكرام، أن الفرية التي نتعرض للرد عليها منذ ثلاثة أشهر مضت، هي قول بعض المستشرقين عن الإسلام ورسول الإسلام أن:
«محمد ﷺ صادق، ولكن رسالته كاذبة؟! ورسالة محمد ﷺ لها مصدران كبيران جليلان، هما:

● كتاب الله العزيز (القرآن الحكيم) .

● أحاديث رسوله الكريم، الصحيحة النسبة إليه وكنا في المقالات الثلاث السابقة، قد خصصنا هذه الفرية، من خلال عرض موضوعي، ومادة علمية يؤمن بها المستشرقون، ونؤمن بها نحن، ووظفنا العقل، وهو معيار مشترك بيننا وبينهم ـ ليكون هو الحاكم والقاضي بيننا وبينهم وفي هذه المقالة نواجه تلك الفرية، من خلال أفق آخر من آفاق رسالة محمد ﷺ في مصدرها الأول، الذي هو القرآن العظيم .

أي من خلال حديث القرآن عن سنن الله في الحياة. ولن نفرض على السادة المستشرقين حقيقة نؤمن بها نحن، ولايؤمنون بها هم. بل سبيلنا معهم حقائق هم ملزمون من حيث الواقع بالإيمان بها قسرا، كما نؤمن بها نحن طوعا واختيارا، لأنها الواقع المحسوس المشاهد، الذي لايجد المعاند طريقا للهروب من الزامه بالإيمان به، والتسليم ـ طوعا أو كرها ـ له .

في السنن الكونية

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾(١) .

هذه الآية (من رسالة محمد) تتحدث عن ظاهرة كونية، كثيرة الوقوع في حياة الناس .

(١) فاطر (٩).

والسنن الإلهية التى أوردتها هذه الآية حول تكوين السحاب هى :

● إثارة الرياح السحاب .

● كون هذه الرياح مرسلة من عند الله .

● سوق الله السحاب إلى البقاع التى هى فى حاجة إليه .

● إنبات الله النبات والزروع بالماء النازل من السحاب .

وعلاقة الرياح بالسحاب معلومة الآن . فالرياح تثير السحاب، أى هى التى - بعد إرسالها من عند الله - تظهر السحاب وتعمل على تكوينه(٢) .

والسحاب - كما يقول العلم الحديث - قبل تكوينه يكون بخار ماء فى الجو، مشبع به الهواء الساكن، فإذا أرسل الله الرياح حملت الهواء المشبع ببخار الماء إلى طبقات الجو الباردة فتحول الأبخرة المائية إلى سحب . وإلى هنا تنتهى مهمة الرياح .

أما تصريف السحاب وتوزيعه على بقاع الأرض فهذا شئ يرجع إلى تدبير الله وحكمته وعلمه، لذلك أسند الله سوق السحاب (يعنى توزيعه) إلى نفسه عز وجل، فقال :

﴿ فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ .

فنسبة سَوْق السحاب وتوزيعه، تشير إلى أن هذا التوزيع يخضع لتدبير حكيم، وهو من آيات الله العظيمة التى ينبغى أن يتدبرها الناس .

وقد تكررت الإشارة إلى هذا التوزيع الباعث على الإيمان وتثبيته فى القلوب، فى آية أخرى هى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٣) .

فجعل ظاهرتى تصريف الرياح والسحاب، يعنى توزيعهما، من الأمارات العقلية الداعية إلى الإيمان والاعتبار . والملاحظ فى آية (فاطر) أن القرآن رتب الأفعال الثلاثة :

« فتثير - فسقناه - فأحيينا » بالفاء، وهذا الترتيب تصوير للواقع المشاهد :

لأن الرياح تثير السحاب عقب إرسالها لهذا الغرض وسوق الله الرياح يعقب تكوينه بلا تراخ . وإحياء الأرض بعد إنزال الماء من السحاب يحدث عقب نزول الماء . فينتعش الناس ويستبشرون وتنعم به أنعاماً وأُناسى كثيراً .

ونسأل السادة المستشرقين :

أليس ماتقرره هذه الآية (العلمية) واقعا مشاهدا يعيشه الناس، ويؤمنون به ايمانا راسخا كإيمانهم بوجود أنفسهم ؟

هذا ماقررته رسالة محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرنا . فأين ترون فيه كذبا ؟ !

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾(٤) .

---

(٢) الإسلام فى عصر العلم (ص ٣٥٠) د. محمد أحمد الغمراوى.

(٣) البقرة (١٦٤).

(٤) الحجر (٢٢).

وهذه آية أخرى فى (رسالة محمد) التى يتهمها المستشرقون بالكذب، تتحدث عن الظاهرة نفسها، التى تحدثت عنها آية (فاطر) مع إضافتين بالغتى الأهمية:

ففى آية (فاطر) وقف البيان القرآنى عند إرسال الرياح وتكوينها السحاب.

وهنا أضاف البيان القرآنى إلى إرسال الرياح كونها « لواقح » وأن الناس ليس فى مقدرتهم ـ فرادى ومجموعين ـ أن يختزنوا الماء إذا أراد الله إذهابه.

ووصف الرياح بأنها « لواقح » من أسرار الله فى الكون، لم يكن للعلم البشرى إدراك له:

لاقبل نزول القرآن.

ولابعد نزول القرآن.

وإنما عرفه البشر فى عصر التقدم العلمى الحديث. وكان لعلماء الغرب سبق مذهل فى اكتشاف هذا السر، بمعونة البحوث التى قاموا بها، والتجارب التى أجروها.

أما قبل هذه النهضة العلمية المذهلة، فقد حمل الناس معنى « لواقح » على أن الرياح تلقح الزروع والنباتات بحمل طلع ذكور كل نوع منها إلى بويضات الإناث(٥).

وفى العلم الحديث أن « لواقح » معناه تلقيح السحاب لأن الرياح تجمع بين الكهربية السالبة والكهربية الموجبة ويترتب على ذلك إنزال الماء (المطر) من سحابتين مختلفى الشحنة بعد أن جمعت الرياح بينهما(٦).

وماتوصل إليه العلم الحديث قد أشار إليه المفسرون حيث قالوا: إن الرياح تلقح السحاب والشجر.

والواقع أن الجمع بين تلقيح الرياح الشجر والزروع والسحاب لا منافاة بينهما.

وأيا كان الأمر فإن ماقررته رسالة محمد (القرآن) فى هذه الآية النبوءة جزم العلم الحديث بصدقها ومطابقتها للواقع.

وهذا ـ وحده ـ كاف فى محق دعوى المستشرقين أن محمدا ـ ﷺ ـ صادق لكن رسالته كاذبة؟! لأن رسالة محمد صادقة حقا مثل صدق محمد، الذى يعترف به المستشرقون.

وإذا لم تكن رسالة محمد (القرآن) صادقة فأين يكون الصدق ياترى؟!

ومن الإشارات القرآنية الذكية المعجزة أنه رتب إنزال الماء على وصف الرياح باللواقح، ترتيب المسبب على السبب وكفى بذلك إعجازا وصدقا.

والملاحظ فى آية « الحجر » ترتيب الأفعال الثلاثة: « أرسل ـ فأنزلنا ـ فأسقيناكموه » بالفاء، وهى تفيد معنيين:

ـ الترتيب الزمنى بين وقوع هذه الأفعال الثلاثة:

فالإرسال كان أولا.

والإنزال كان ثانيا.

والإسقاء كان ثالثا.

وهذا معناه:

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (١٠/١٢٠) للإمام ابن عطية.

(٦) الإسلام فى عصر العلم (٣٥٢) مرجع سبق ذكره.

أن إرسال الرياح « لواقح » كان سببا فى إنزال الماء وأن إنزال الماء كان سببا فى إسقاء الناس الماء ـ والإشعار برباط السببية بين هذه الأفعال هو المعنى الثانى للعطف بالفاء.

فأنت تلاحظ أن هذا العطف ليس نمطا من أنماط الترتيب الأدبى الخيالى، يصور رؤى خاصة بالأديب وإنما هو تصوير أحداث تجرى فى الواقع الكونى كما رتبها البيان القرآنى.

فليدلنا المستشرقون على مواطن الكذب فى (رسالة محمد) فى الحقائق الكونية التى أشارت إليها هذه الآية؟

ولكن قد يعمد فيقول:

إن الآية تقول:

﴿ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ وليس هذا الخبر بصحيح ولاصادق، لأن تخزين الماء أمر ممكن، بل هو واقع فعلا. فالناس يخزنون الماء فى بيوتهم، أو فى صهاريج، أو خلف سدود وخزانات وهذا يفيد أن هذا المقطع « وما أنتم له بخازنين » من الآية غير صادق على الأقل؟

والرد على هذه الشبهة « البليدة » ميسور:

فليس المراد نفى الاحتفاظ بمقادير من الماء فى المنازل أو غيرها من مرافق الحياة. وإنما مصادر الماء الكبرى، التى أقرها الله فى الأرض، كالمحيطات والبحار والأنهار، ثم العيون الصغرى والآبار، والله الذى أقر هذه المصادر فى الأرض، ومساحتها تبلغ خمسة أسباع الأرض اليابسة، قادر ـ إذن ـ على تجفيفها وإخلائها من الماء. وله فى ذلك وسيلتان

● إذهاب ما فى الأرض من ماء وتغويره فى أعماقها.

● إمساك إنزال الماء من السماء.

وهذه هى « رسالة محمد » ـ ﷺ ـ تقول:

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾(٧). وتقول:

قل:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴾(٨)

ومن تطبيقات هذا التحكم الإلهى فى دنيا الناس، الجفاف الذى يحدث فى بعض بلدان العالم، ويتسبب فى كوارث ضروس، تصيب الحياة بالشلل. ولكن الله رءوف رحيم بعباده.

فأين الكذب فى رسالة محمد (القرآن) وهذا هو واقع الحياة يجرى كما وصفه القرآن العظيم.

***

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(٩).

---

(٧) المؤمنون (١٨).

(٨) الملك (٣٠).

(٩) النور (٤٣).

وهذا بيان ثالث من رسالة محمد ﷺ يكشف عن حقائق ظلت بعيدة عن الإدراك البشرى إلى عهد قريب.

ولما اكتشف العلم الحديث هذه الحقائق، وماج بها فرحا، فوجئ بأن رسالة محمد (القرآن) قد عرضتها بدقة وإحكام منذ أربع عشرة مائة من السنين.

هذه الآية، وإن اشتركت مع آيتى « فاطر » و« الحجر » فى أصول الدلالة، فإنها أضافت إليها حقيقة كونية مع الاشارة إلى كيفية تكوينها. إشارات علمية ذكية مذهلة لأولى الألباب.

تلك الحقيقة، هى تكوين « البَرَد » والذى عرفه العلم الحديث أن « البرد » يتكون بتأثير منطقة شديدة البرودة، ومن أسباب نشوء البرودة الشديدة السحاب « الركام » أى وجود طبقتين من السحاب، سحابة فوق سحابة. فتجمد قطيرات الماء بين طبقتين:

ثلجية علوية. ومطرية سفلية. فى هذه الأثناء يتكون البَرَد ويكبر، ثم يتساقط على الأرض فى حجوم مختلفة. ويشتد بياضه.

هذه الحقيقة أشار القرآن (رسالة محمد) ﷺ إليها فقال:

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾.

لقد جاءت نتائج العلم الحديث مطابقة لما أشارت إليه رسالة محمد ﷺ. والسادة المستشرقون يعرفون ذلك جيدا فيكف ساغ لبعضهم أن يتهموا رسالة محمد بالكذب، وهم، وغيرهم، غير واجدين فيها إلا الصدق واليقين، فى الخبر، وفى الوصف، وفى التنبؤ بما سيكون، مما لم يكن كائنا فى عصر نزول القرآن.

ومن قبسات صدق رسالة محمد ﷺ ماتشير إليه هذه العبارة:

« من جبال » أنها تقرر حقيقة كانت مفاجأة لمعارف البشر ومدركاتهم فى ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة ذلك أن من يرى السحاب من الناس وهم على الأرض، لا يكون لديه أدنى ريب فى أن السحب جسم مستوى السطح أملس، أشبه ما يكون بـ « القشرة » وإن اختلفت صورها وأبعادها، ومايزال هذا التصور يتبادر إلى الأذهان حتى الآن.

لكن من تتاح له رؤية السحب من مكان أعلى منها، مثل راكبى الطائرات، والذين يقطنون مناطق جبلية عالية، فإن الرؤية عندهم تختلف، لأنهم يرون السحب فى شكل مرتفعات لها قواعد وقمم، مع اختلاف أحجامها. وإذا مرَّ راكبو الطائرات فوق منطقة ملبدة بالغيوم، خُيِّل إليهم أنهم يسيرون فوق منطقة جبلية، بين جبالها انخفاض وارتفاع وفجوات، كل سحابة بمثابة جبل، ترى قاعدته المنبسطة، وارتفاعه التدريجى، وقمته المدببة وإلى هذه المعانى أو الحقائق أشارت رسالة محمد ﷺ بهذه العبارة:

« من جبال » حيث شبهت السحب بالجبال فى الصورة والشكل والأبعاد.

وكون السحب شبيهة بالجبال، أصبح من الحقائق البَدهية الآن. إذ ليس المراد الجبال الحقيقية المكونة من الصخور والحصى والرمال. وإنما المراد ذرات الماء المتجمد.

هذه الحقيقة: التى قررتها رسالة محمد ﷺ

لاسبيل لردها أو الطعن فيها، لأنها أمور واقعة، محسوسة مشاهدة ليستوى فى إدراكها كل من تمكن من مشاهدتها ولو بالعين المجردة.

فماذا يقول المستشرقون؟ أهذا كذب أم صدق؟ وأين يجدون الصدق المنافى لهذه الحقيقة ياترى؟ أم على قلوب أقفالها.

سُنَنُ الله فى خلق الإنسان

ما تقدم كان قبسا من سنن الله فى الكون خارج نطاق الإنسان وهو غيض من فيض من سنن الله الكونية، التى لايحصيها عد ولايحيط بها إلا علام الغيوب.

ونقدم نموذجا آخر من سنن الله فى خلق الإنسان، والأطوار التى يمر بها من ساعة تكوين عناصر خلقه قبل أن يودع فى رحم أمه، إلى ساعة أن يعود إلى التراب فى نهاية أطواره، كما خلق منه فى بداية أطواره. حيث كان مبدؤه ترابا، ومنتهاه ترابا.

وننظر فى صدق رسالة محمد (القرآن) فى عرض تلك الأطوار بمعونة الآية الآتية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾(١٠).

هذه هى رحلة الإنسان من قبل المهد، إلى اللحد وقد عرضت هذه الآية الحكيمة، عناصر رحلة الإنسان من جانبيها:

- الجانب غير المنظور، ومرحلة ماقبل الولادة.
- الجانب المنظور، أو مرحلة مابعد الولادة.

وقد صدقت رسالة محمد ﷺ كل الصدق فى الثانية (الجانب المنظور) وماكذبت أى كذب فى الأولى (الجانب غير المنظور) صدقت وما كذبت:

ففى الجانب غير المنظور، الإجماع منعقد على أن النطفة التى تحمل عناصر «التلقيح البشرى» تتكون من الأغذية التى يطعمها الإنسان.

والأطعمة تتكون من الخبز والفواكه واللحوم ومنتجات الحيوان. وهذه كلها لها مصدر واحد، هو مايخرج من الأرض، والأرض تراب. وقد صدقت رسالة محمد.

هذا إذا وضعنا فى الاعتبار خلق الإنسان الذى تناسل من أبى البشر آدم ـ عليه السلام.

وإذا كان المراد خلق آدم وهذا مستساغ لإنه أصل زوجة (حواء) وذريته إلى يوم القيامة. كان الخلق من التراب مباشرة، دون الحاجة إلى وسائط متسلسلة وقد صدقت رسالة محمد.

أما الطور الثانى من الخلق. فهو النطفة.

والطور الثالث هو العلقة.

والطور الرابع هو المضغة، بنوعيها: المخلقة، وغير المخلقة:

وهذه كلها موضع إجماع لدى جميع أهل الذكر، مسلمين وغير مسلمين، بل إن

---

(١٠) الحج (٥).

أبحاث علماء الغرب أرسخ قدما فى هذه الدراسات، وهم قوم المستشرقين ـ أرسخ قدما فيها من غيرهم.

وقد نشأت دراسات لاحصر لها، وتجارب معملية، وتصوير وتجسم لمتابعة هذه الأطوار، وهى فى أرحام الأمهات وتوصلت إلى نتائج يقينية فيها.

وكان صدق رسالة محمد (القرآن) أسبق من هذه الاكتشافات والأبحاث، التى تطابقت نتائجها مع مافرغت من بيان رسالة محمد ﷺ. أفما كان هذا كافيا لتراجع المستشرقين عن مزاعمهم الكاذبة فى وصف رسالة محمد ﷺ بالكذب؟!

وبقى فى الجانب غير المنظور من أطوار خلق الإنسان دقائق مذهلة من صدق رسالة محمد:

ـ منها عطف هذه الأطوار بعضها على بعض بـ «ثم» وهى كما هو معروف تفيد أمرين:

الأول: الترتيب الزمنى الوجودى بين المعطوف والمعطوف عليه.

الثانى: وجود فسحة زمنية (التراخى) بين وجود المعطوف والمعطوف عليه.

إن هذه الأداة «ثم» يكمن وراء العطف بها سر علمى لم يكن معروفا لأحد من البشر قبل مائتى سنة على الأكثر من العصر الحديث. كشفت عنه التجارب بعد طول عناء وكل «ثم» من هذه «الثمات» الخمس بمنزلة تجربة ومتابعة، مخبرية بينها فسحة من الزمن، اكثرها زمنها متساو فى الوجود فبين تكوين النطفة من الأغذية، وبين تناول الأغذية وخروجها من الأرض فسحة، من الزمن، وقد أشارت إلى هذه الحقيقة «ثم» حين توسطت المعطوف والمعطوف عليه،

وبين تحول النطفة الى علقة فسحة من الزمن (أربعون يومًا) دلت عليها «ثم» بتوسطها بين النطفة والعلقة: «ثم من علقة»

وبين العلقة والمضغة فسحة من الزمن أومأت إليها «ثم» حين فصلت بين المعطوف والمعطوف عليه (أربعون يوماً) «ثم من مضغة».

ولكل من هذه العناصر: (النطفة ـ العلقة ـ المضغة) خصائص ذاتية رصدها العلم الحديث رصدا كاشفا عن مميزات كل عنصر منها عن الآخر. كما رصد العلم الحديث العمر الزمنى لكل عنصر منها، فوجده أربعين يوماً.

فأنت ترى أن «ثم» فى هذا العرض دالة من الدوال العلمية وليست مجرد أداة ربط بين سابق ولاحق.

ومن هذه الدقائق المذهلة لأولى الألباب تنويع المضغة إلى مخلقة وغير مخلقة. وهذا سبق علمى لرسالة محمد ﷺ كان حريًا بالسادة المستشرقين أن يخروا امامه ساجدين، إيمانًا برسالة محمد ـ ﷺ ـ كما سجد سحرة فرعون لمعجزة الإيمان التى أجراها الله – عز وجل على يد رسوله الكريم موسى عليه السلام، لا أن ى – صروا على وصف هذه الرسالة الخالدة بالكذب.

كان اتجاه المفسرين الأولين هو أن النطفة المخلقة هى ماتم خلقها أى ماصارت جنينا كامل الخلقة وأن غير المخلقة هى السقط[11].

أما بعد التطور العلمى الهائل، الذى شهده العصر الحديث، وتنوع آلات البحث، وغوصها وراء مالايدرك بالحواس المجردة منذ خطا العلم خطوات كاشفة عما كان مجهولا من حقائق الخلق والتكوين.

وقد تبين للدارسين السر الدفين فى قوله تعالى:

﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ وخلاصة ماوقفوا عليه بمعونة آلات البحث الحديثة هوما يأتى:

أن النطفة بعد تلقيحها الرحم بالحيوان المنوى (الذكورى) والبويضة المخصبة، واستقرارها فى الرحم، تنقسم قسمين القسم الأول يخضع لقدرة الله فى تكوين الجنين فى كل مراحله حتى يصبح خلقا آخر.

أما القسم الثانى فيلزق بجدار الرحم، وتكون وظيفته تغذية القسم الأول، الذى يتخلق منه الجنين.

وهذا القسم يستهلك ولايدخل فى عناصر تكوين الجنين التابعة، مثل الدم، الذى يستهلكه الجسم فى الحياة اليومية. وكل مانفد منه مقدار تجدد مكانه مقدار آخر.

وبناء على هذا الاكتشاف رجح علماء الأجنة المسلمون أن يكون هذا الانقسام هو المراد لله من قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[12].

والمعروف أن المضغة متولدة عن العلقة، والعلقة تطوير للنطفة.

والمفسرون الأولون معذرون، لأن تفاسيرهم كانت تعتمد على المنهج النظرى المجرد.

فهل بعد هذا الصدق صدق، حتى يصح فى العقول أن يقال: إن رسالة محمد ﷺ كاذبة؟!

إنه ـ والله ـ لقول أبهت من البهتان، وأكذب من الكذب وبقى من الجانب غير المنظور فى خلق الله الإنسان حقيقة أخرى لا ينازع فيها عاقل يحترم عقله وفكره، هى قوله تعالى:

﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾.

إن الأجنة فى أرحام الأمهات تصرف إلهى خالص، ومدة استضافتهم فيها ـ بدءا ووسطا، ونهاية تقدير الهى لايشركه فيه أحد.

وتخليقهم ذكورا وإناثا وألوانا شأن خالص لله ـ عز وجل ـ أن الغالب على مدة قرارهم فى الأرحام هو التسعة الأشهر ولكنها غير مطردة.

فقد تنقص أسبوعا أو أقل أو أكثر. وقد تزيد أسبوعا أو أقل أو أكثر.

هذا ماأسفر عنه الواقع، وأشارت إليه رسالة محمد ـ ﷺ:

﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أى محددا فى علم الله وحده. وهذا هو الواقع الذى لا يقبل التغيير ولا

(١١) فتح القدير للامام الشوكانى (٣/٥١٤).

(١٢) خلق الانسان بين العلم والقرآن (١٣٠) د. محمد على البار.

التبديل من أحد غير الله العلى الحكيم. فأين الكذب المزعوم فى رسالة المعصوم عليه صلوات الله وتسليماته.

***

أما الجانب المنظور والذى ـ صدقه رسالة محمد ﷺ فى المراحل الآتية.

- الإخراج من أرحام الأمهات أطفالاً.
- بلوغ الأشد بعد مرحلة الطفولة (أى النضج والاكتمال).
- الوفيات المتباينة المبكرة (مرحلة ماقبل الشيخوخة).
- بلوغ أرذل العمر (الشيخوخة الفانية) هذا الجانب نواجه به فرية المستشرقين عبر محورين لاثالث لهما:

الأول: سر العطف بـ « ثم » للدلالة على الفجوات الزمنية بعد هذه الأطوار المتعاقبة فى حياة الإنسان، لأنها ليست مجرد رابط بين أمرين، بل هى كما تقدم دالة من الدوال العلمية.

- فالإخراج أطفالاً تفصل بينه وبين القرار فى الأرحام فجوة مناسبة من حساب الأيام والشهور
- وبين الطفولة وبلوغ الأشد فجوة زمنية بحساب الشهور والأعوام.

والتوفى المتفاوت من ساعة « الولادة » إلى بلوغ سنة الله ـ عز وجل ـ فى عباده (تفاوت الآجال بين الطول والقصر).

وبلوغ مرحلة الشيخوخة الفانية سنة أخرى لله فى عباده، وحقيقة واقعة يؤمن بها المؤمن والكافر هذه السنن الإلهية كان للعطف بـ « ثم » تنسيق حكيم فى عرضها. وهذا صدق آخر نصت عليه رسالة محمد ﷺ فأين الكذب فيها والواقع براهين قاطعة على صدقها.

الوجة الثانى: أن هذه السنن الإلهية، التى عرضتها رسالة محمد ﷺ مطردة فى الحياة لم ـ ولن ـ ينتقص منها شئ. لأن رسالة محمد تقول:

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾(١٣)

فهل يستطيع أحد ـ كائنا من كان ـ أن يجعل سنة من سنن الله موضع سنة أخرى، تؤدى دورها فى الحياة؟

وهل يستطيع أحد ـ كائنا من كان ـ أن يرفع سنة لله فى الحياة، ويضع بدلها سنة أخرى من عنده. تقوم بإنجاز سنة الله؟

كلا، وألف كلا.

هذا ماجاءت به رسالة محمد ﷺ وجرى كل شئ فى الحياة، وفق سنن الله، التى أفاضت فى ذكرها رسالة محمد ـ ﷺ فإن كان هذا كذبا، فقد تبوأ الكذب مكانا عليا فى الوجود. وهوى الصدق ـ الذى يراه المستشرقون صدقا ـ إلى الحضيض.

إذن:

﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾(١٤).

---

(١٣) فاطر (٤٣).

(١٤) النساء (٧٨).

من رجال التشريع :

الأوزاعى بين العلم والعمل

للدكتور / حمدى فتوح والى

العلماء فى كل أمة هم صانعو نهضتها، وحاملو رايتها، ومفجرو طاقتها، والمؤتمنون على فكرها وعقيدتها. وفى الأثر عن رسول الله ﷺ: « صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء ». وفى تاريخنا الإسلامى صفحات مشرقة من تاريخ هؤلاء العلماء.. وعالمنا اليوم رجل جمع الفضل من أطرافه وحاز إعجاب أئمة المسلمين فى عصره.

قال مالك : كان الأوزاعى إماما يقتدى به، وقال سفيان بن عيينة وغيره : كان الأوزاعى إمام أهل زمانه . وقال محمد بن عجلان : لم أر أحدا أنصح للمسلمين من الأوزاعى . ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى فى مجلسه أحد إلا بكى بعينه أو بقلبه، وما رأيناه يبكى فى مجلسه قط . وكان إذا خلا بكى حتى يرحم . وقال يحيى بن معين : العلماء أربعة : الثورى وأبوحنيفة ومالك والأوزاعى(1) .

فمن هو الأوزاعى وكيف بلغ فى العلم هذه المنزلة؟

لقد بحثت فى حياة الرجل وتتبعت نسبه لأرى هل بلغ هذه المنزلة بنسب يعليه أو حسب يرفعه ويزكيه . فوجدت صاحب كتاب « الإمام الأوزاعى فقيه أهل الشام » يقول :

« لم يثبت التاريخ للأوزاعى أصولا تدرك منها صفاته ومواريثه منسوبة إلى الآباء أو الأخوال بل كان كأنه فذ، وواحد فرد . فلم يعرف من أصوله

(1) البداية والنهاية - ابن كثير جـ١٠ - ص ١١٦ - دار الفكر العربى.

الأولين إلا هو وأم له مجهولة الاسم والحال، ولم يعرف من أصول قومه إلا خليط من الأقوال لا تهتدى إلى مستقر»[٢].

وزاد يقينى فى أن الرجل فى تفرده لم يعول على نسب أو حسب عندما قرأت وصيته لأبى جعفر المنصور يقول له فيها:

أما بعد:

«فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله ـ عز وجل ـ وتواضع يرفعك الله ـ تعالى ـ يوم يضع المتكبرين فى الأرض بغير الحق واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله إلا وجوبا».

فبم ساد الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبوعمرو الأوزاعى؟

إن من ينظر فى حياة هذا الإمام لابد أن يلمس بوضوح ظاهر صفتين بارزتين فى حياته كلها منذ نشأ طفلا حتى لقى الله ـ تعالى.

أولاهما: صفة الإخلاص الصادق لله وطلب وجه الله وحده فى كل ما يأتى وما يذر.

والثانية: همته العالية فى طلب العلم، ومصابرته ودأبه، وبذل غاية جهده فى ذلك.

وقد أثمر الإخلاص فى حياة الرجل مواقف تذهل القلوب وتحير الألباب ولا يملك المرء لها تفسيرا إلا الربانية الكاملة والإخلاص الصادق لله ـ تعالى ـ من ذلك ما يرويه ابن كثير من شجاعته وجرأته وثقته بربه، واستخفافه بأهل الأرض جميعا فى جنب الله. فيقول:

«لما دخل عبدالله بن على ـعم السفاح الذى أجلى بنى أمية من الشام وأزال الله ـ سبحانه ـ دولتهم على يده ـ دمشق ـ طلب الأوزاعى فتغيب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه. قال الأوزاعى: دخلت عليه وهو على سرير وفى يده خيزرانة والمسودة[٣]. عن يمينه وشماله، معهم السيوف مصلتة ـوالغمد الحديدـ فسلمت عليه فلم يرد، ونكت بتلك الخيزرانة التى فى يده ثم قال: يا أوزاعى، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدى أولئك الظلمة عن العباد والبلاد؟ أجهاد ورباط هو؟ قال: فقلت: أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصارى يقول: سمعت محمد بن إبراهيم التيمى يقول: سمعت علقمة بن وقاص يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كان هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

قال: فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم، ثم قال: يا أوزاعى ما تقول فى دماء بنى أمية؟ فقلت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزانى، والتارك لدينه المفارق للجماعة». فنكت بها أشد من ذلك ثم قال: ما تقول فى أموالهم؟ فقلت: إن كانت فى أيديهم حراما فهى

---

(٢) الإمام الأوزاعى فقيه أهل الشام – الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل سنة ١٩٦٦م.

(٣) المسودة: الذين يلبسون السواد وهو اللباس الذى اختاره العباسيون شعارا لهم.

حرام عليك أيضا، وإن كانت حلالا فلا تحل لك إلا بطريق شرعى. فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ثم قال: ألا نوليك القضاء؟ فقلت: إن أسلافك لم يكونوا يشقون علىّ فى ذلك، وإنى أحب أن يتم ما ابتدءونى به من الإحسان. فقال: كأنك تحب الانصراف؟ فقلت: إن ورائى حرما وهم محتاجون إلى القيام عليهن وسترهن وقلوبهم مشغولة بسببى. قال: وانتظرت رأسى أن يسقط بين يدى، فأمرنى بالانصراف. فلما خرجت إذا برسوله من ورائى. وإذا معه مائتا دينار، فقال: يقول لك الأمير: استنفق هذه قال: فتصدقت بها، وإنما أخذتها خوفا. قال: وكان فى تلك الأيام الثلاثة صائما فيقال: إن الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يفطر عنده»(٤).

فما كان للأوزاعى أن يقف هذا الموقف ويثبت فى وجه الموت ذلك الثبات إلا وقلبه معلق بربه وحده يستمد منه قوته ويخلص له نيته، ولا يطلب إلا وجهه سبحانه ولو أدى ذلك إلى قتله، فإن ذلك لا يخيفه ولا يقلقه، لأنه يعلم أن الموت فى سبيل الله وسيلة لنقله إلى رحاب من يحب ويرضى – سبحانه وتعالى – وتلك هى الربانية الخالصة والولاء الصادق لله ـ تعالى.

وقد أعان الأوزاعى على بلوغ هذه الدرجة من الإخلاص الصادق لله، قلب خاشع وكيان خاضع باك لله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول ابن كثير: «كان الأوزاعى ـ رحمه الله ـ كثير العبادة، حسن الصلاة، ورعا ناسكا، طويل الصمت، وكان يقول: من أطال القيام فى صلاة الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة» أخذ ذلك من قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾(٥).

وقال الوليد بن مسلم: ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعى فى العبادة. وكان من شدة الخشوع كأنه أعمى. ودخلت امرأة على امرأة الأوزاعى فرأت الحصير الذى يصلى عليه مبلولا فقالت لها: لعل الصبى بال هاهنا فقالت: هذا أثر دموع الشيخ من بكائه فى سجوده هكذا يصبح كل يوم»(٦).

ولا يذهبن بك الخيال أخى القارئ أن تظن أن استغراق الرجل فى عبادته وشدة الخوف من ربه قد حملته على اعتزال الناس والهرب من خضم الحياة ومعاركها. مؤثرا لذة الخلوة وجمال الأنس وروعة القرب من الحبيب ـ سبحانه وتعالى ـ جاعلا ذلك بديلا عن جهاده لإحقاق الحق وإبطال الباطل ونصيحة الحكام. كلا، وإنما جعل الرجل لذة قربه وروعة حبه دافعا لقول الحق، ووعظ الخلق، وتعريفهم بالله ـ سبحانه وتعالى ـ واسمع معى إلى هذه الموعظة التى تنبئ عن رجل يعيش بكيانه كله مع خالقه فقد كتب إلى أخ له: أما بعد:

«فقد أحيط بك من كل جانب، وإنه يسار بك فى يوم وليلة فاحذر الله والقيام بين يديه، وأن يكون آخرالعهد بك. والسلام».

---

(٤) البداية والنهاية جـ١٠ – ص ١١٨.

(٥) الإنسان آية (٢٦، ٢٧).

(٦) البداية والنهاية جـ١٠ – ص ١١٧.

ومن مواعظه التى تشهد له بصدق اللهجة، وعمق المعية، ودوام الذكر، والوعى بأحوال الناس والإشفاق عليهم من غرور الدنيا وإغواء الشيطان ما يرويه ابن أبى الدنيا يقول: حدثنى محمد بن إدريس[٧]، سمعت أبا صالح -كاتب الليث[٨]- يذكر عن الهقل بن زياد عن الأوزاعى أنه وعظ فقال فى موعظته: أيها الناس تقووا بهذه النعم التى أصبحتم فيها، على الهرب من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة، فإنكم فى دار الثواء فيها قليل، وأنتم عما قليل عنها راحلون، خلائف بعد القرون الماضية، الذين استقبلوا من الدنيا آنقها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعمارا، وأمد أجساما، وأعظم أحلاما، وأكثر أموالا وأولادا، فخددوا الجبال وجابوا الصخر بالواد، وتنقلوا فى البلاد، مؤيدين ببطش شديد، وأجساد كالعماد، فما لبثت الأيام والليالى أن طوت آثارهم، وأخربت ديارهم، وأنست ذكرهم، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزاً؟ كانوا بلهو الأمل آمنين، وعن ميقات يوم موتهم غافلين، فآبوا إياب قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذى نزل بساحتهم بياتا عقوبة من الله، فأصبح كثير منهم فى ديارهم جاثمين، وأصبح الباقون المتخلفون ينظرون فى آثار نقمته، وزوال نعمته عمن تقدمهم من الهالكين، ينظرون والله فى مساكن خالية، وبيوت خاوية قد كانت بالعز محفوفة وبالنعم معروفة، والقلوب إليها مصروفة، والأعين نحوها ناظرة.

فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشى. وأصبحتم بعدهم فى أجل منقوص ودنيا منقوصة فى زمان قد ولى عفوه، وذهب رخاؤه وصفوه، فلم يبق منه إلا جمة شر، وصبابة كدر، وأهاويل عبر، وعقوبات غير، وإرسال فتن، وتتابع زلازل، ورذالة خلف، بهم ظهر الفساد فى البر والبحر، يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، بما يرتكبونه من العار والشنار، فلا تكونوا أشباها لمن خدعه الأمل، وغيره طول الأجل، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن إذا دعى بدر، وإذا نهى انتهى وعقل»[٩].

ومن خلال هذه الموعظة نحس روح العالم البصير بطوايا القلوب وخبايا النفوس، كما نحس روح العابد الزاهد الذى يعلم حقيقة الدنيا، وأنها دار «الثراء فيها قليل، وأهلها عنها راحلون. كما نلمح من خلال الكلمات قريحة أديب بارع، يعرف كيف يتسلل إلى القلوب بأناقة لفظه وعذوبة جرسه، وسحر موسيقاه، دون أن يشغله ذلك عن فكرته، أو يقلل من وضوح قضيته. وقد ظهر من خلال هذه الموعظة طبيعة الثقافة الدينية ومدى حضور القرآن فى ذهن الشيخ حتى ليوشك أن تكون الموعظة كلها آيات من القرآن. لكن ذلك يتم فى براعة وعفوية حتى كأن الجزء المقتبس قد سبك مع كلام الشيخ سبكا. وذلك لقوله: «تقووا بهذه النعم التى أصبحتم فيها، على الهرب من نار الله الموقدة، التى تطلع على الأفئدة» وكقوله: «فهم كانوا أطول منكم أعمارا، وأمد أجساما، وأعظم أحلاما، وأكثر أموالا وأولادا» فالجملة الأخيرة جزء من آية فى سورة التوبة. وكذلك قوله: «فخددوا الجبال، وجابوا الصخر بالواد» كما نلاحظ قدرة الشيخ على توظيف السجع توظيفا موسيقيا تطرب له النفس وتستريح إليه الأذن.

---

(٧) يقصد الإمام محمد بن إدريس الشافعى صاحب المذهب المشهور.

(٨) هو الليث بن سعد إمام أهل مصر.

(٩) البداية والنهاية ص١١٩.

وكما وعظ العامة وأخلص النصح لهم نراه يتوجه بالنصيحة إلى الحكام مستشعرا أمانة العلم، مدركا أن الله سائله عما أعطاه من العلم بشريعته ومعرفة حقوقه وحدوده.

وهذا موقف وقفه الإمام الأوزاعى أمام الخليفة أبى جعفر المنصور يحرضه على افتداء ألوف الأسرى من المسلمين، كانوا قد وقعوا فى يد ملك الروم، وكان ملك الروم يحب أن يفادى بهم، وأبوجعفر يتردد فى فدائهم بخلا بالمال كعادته التى بسببها سمى «الدوانيقى»[(١٠)] فكتب إليه الإمام الأوزاعى كتابا جاء فيه:

أما بعد: فإن الله ـ تعالى ـ استرعاك هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائما وبنبيه ﷺ فى خفض الجناح متشبها، واسأل الله ـ تعالى ـ أن يمكن لأمير المؤمنين ويرزقه رحمة هذه الأمة. فإن سائخة[(١١)] المسلمين التى غلبت عام أول، وموطئهم حريم المسلمين، واستنزالهم العواتق والذرارى من المعاقل والحصون كان ذلك بذنوب العباد وما عفا الله عنه أكثر. فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذرارى من المعاقل والحصون، لا يلقون لهم ناصرا ولا عنهم مدافعا كاشفات عن رءوسهن وأقدامهن. وكان ذلك بمرأى ومسمع وحيث ينظر الله ـ تعالى ـ إلى ما نزل بهم، فليتق الله أمير المؤمنين وليبتغ بالمفاداة بهم من الله سبيلا، وليخرج من حجة الله. فإن الله تعالى قال لنبيه:

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾[(١٢)].

ووالله يا أمير المؤمنين، ما لهم يومئذ فىء موقوف، ولا ذمة تؤدى خراجا إلا خاصة أموالهم. وقد بلغنى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنى لأسمع بكاء الصبى فى الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتن أمه» فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين فى أيدى العدو يمتهنونهم ويتكشفون منهم ما لا تستحله الشريعة، وأنت راعى الله، والله ـ تعالى ـ فوقك، ومستوف منك:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[(١٣)]

فلما بلغت هذه الرسالة أبا جعفر استجاب من فوره للأوزاعى وافتدى الأسرى»[(١٤)].

وهكذا يستشعر الإمام الأوزاعى مسئوليته أمام الله ويحس بمرارة كل أم فقدت ولدها، وبلوعة كل أسير فقد حريته ويسام الخسف والنكال بيد الكفار. فيندفع لأداء حق الله عليه صادعا بالحق، ناصحا لإمام المسلمين، مستعملا معه ألوانا من الترغيب والترهيب حتى يبلغ منه ما يريد، بعد أن أهاج كامنه، وحرك ساكنه وخوفه من مقامه بين يدى الله.

وببركة هذا الموقف العظيم فرجت الكربات وزالت الحسرات عن ألوف من أسرى المسلمين، ودخلت السعادة وعم الفرح قلوب أهليهم وذويهم.

فليت أهل العلم فى زماننا يستشعرون أمانة الله عليهم وثقة أمتهم بهم. وحاجة الحكام إليهم. ويصلون ما انقطع من مواقف البطولة، ومواطن العزة وأسباب الفخار.

---

(١٠) نسبة إلى الدانق وهو أصغر جزء من الدينار.

(١١) السائخة: القوة.

(١٢) النساء (٧٥).

(١٣) الأنبياء (٤٧).

(١٤) الإمام الأوزاعى فقيه أهل الشام - عبدالعزيز سيد الأهل ص.٩١

صفحة من حياة

الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود (*)

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

زاملت الدكتور محمد السعدى فرهود فى مراحل الدراسة التعليمية بالابتدائى والثانوى وكلية اللغة العربية ومعهد التربية العالى، ثم زاملته فى مرحلة التدريس الجامعى مدرساً وأستاذاً، فلم أر تغيراً فى أخلاقه منذ عرفته، مما أكد لى أن الطبع الإنسانى المفطور على جبلّيه لا يتغيّر بتغير الأحوال والملابسات، وما يُظن أنه تطويرٌ وانتقال، هو شىء ظاهرى مفتعل، إذ أن الجوهر الأصيل يظل محتفظا بمعدنه، فكل ما يراه خلفاؤه اليوم من هدوئه ورزانته وسعيه فى الخير كان واضحاً عند الطالب الصغير فى المعهد الابتدائى بالأزهر، هكذا رأيت ولمست!

ولقد كان مع هذه السجايا الخلقية غيوراً على سمعته العلمية، إذ كان حريصاً كل الحرص على أن يكون الأوّل بين زملائه، وقد تحقق له ذلك فى أكثر السنوات، وفى السنوات التى جاء فيها الثانى كان يأخذ نفسه بأسباب اللوم، إذ يكون أمامها مقصّراً، وأنا أعلم أن درجات الشفوى بالأزهر قد تعطى لمن لا يستحق فيسبق الكادح الجاد، ولكن الله يعوض كثيراً فيما بعد..

أول ما عرفت الطالب محمد السعدى فرهود كان فى حفل عام أقامهُ معهد دمياط الدينى فى مناسبة المولد النبوى الشريف، وقد حَضَرَهُ محافظ الإقليم وفريقٌ من علية القوم، وقام كبار الأساتذة يُلقون كلماتهم الموسميّة، فيُمتعون، ثم قام الطالب محمد السعدى ممثلا لزملائه، فألقى كلمة ضافية، جذبت إليها الأنظار، إذ ترك المعانى التقليدية التى تكرّر فى هذه المناسبة، والتى توسع فيها بعضُ من سبقه من الأساتذة المتكلمين إلى عناصر جديدة تتصل بأخلاق صاحب السيرة المطهّرة.

(*) من مذكرات رئيس التحرير، ينشرها بمناسبة ارتحال الفقيد العزيز وستنشر مجلة الأزهر عنه بحثا تحت عنوان (السعدى وتفسير القرآن) قريباً إن شاء الله.

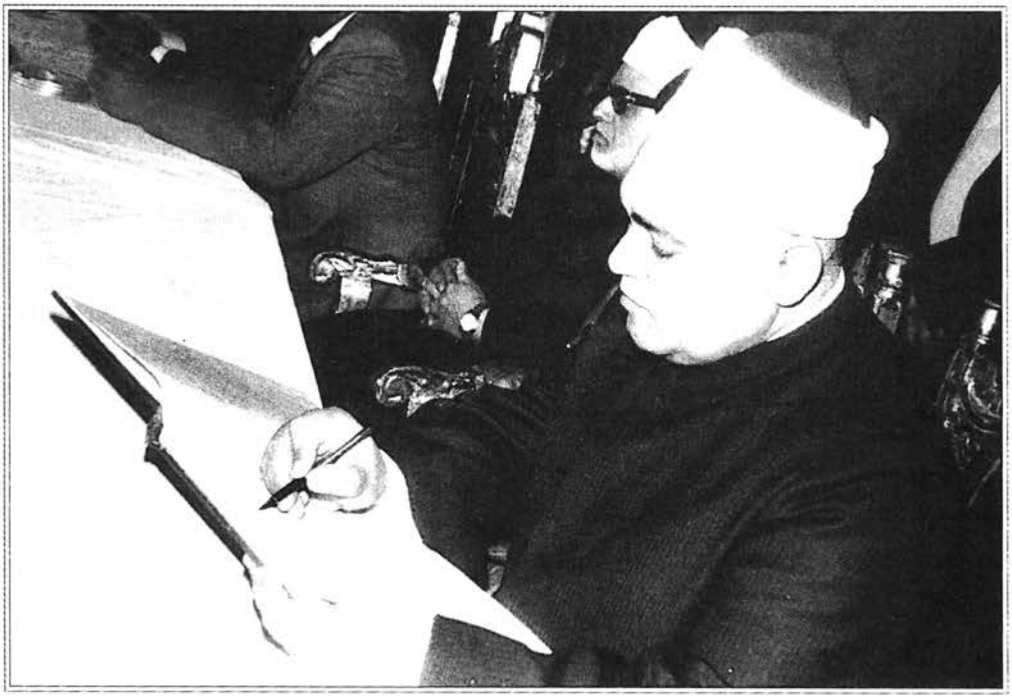

وكان إلقاؤه يزيّنُ بيانه، فخرج السامعون يثنون عليه تفكيراً وإلقاءً وهدوءاً، ومنْ يومها طابَ لي أن أعرف الكثير عنه.

ذهبنا إلى معهد الزقازيق الثانوى، فحافَظ محمد السعدى على أوَّليته المعهودة، وأعدَّ نفسه ليكون أوّلَ الشهادة الثانوية على القطر جميعه، ولكنّ ظروفاً سياسية عاقتْه عن الالتحاق بالدور الأوّل، ظروفاً لا شأن له بها، إذ أنّ غيرته الإقليمية دفعتْه إلى مناصرة زعيم سياسى من أبناء بلدته (الزرقا)، وأتت الرياح بما لا يشتهى، فذهب عهدٌ وجاء عهد، يُنَاوِىء الزعيم، وتأخر السعدى عن الالتحاق بدار العلوم التى كان مصمماً على دخولها، فانتسب لكلية اللغة العربية غاضباً، ولم يْدر أن إرادةَ الله فوق كل إرادة، إذْ كان فى طيّ الغيب أن يُصبح محمد السعدى عميداً لكلية اللغة العربية، فمديراً لجامعة الأزهر.

برز السعدى فى كليته الأزهرية، وكان رئيساً لجماعة « الضاد » التى أسسها الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى - رحمه الله -، أخذ الرئاسة بعد تخرج الدكتور الشرباصى، فزاول النشاط الأدبى، وصار له بالكلية ذكر حميد، وأشير إلى أن أحد أساتذته كان يعهد إليه بتحضير الدرس الأدبى ليلقيه على الطلاب تمريناً للنابهين، وهو سلوكٌ تربوى

ناجح، لأن الطالب حين يقفُ أمام زملائه موقف الأستاذ يشمر عن ساعد الجد، ويحاول أن يملأ الموقف قدر ما يستطيع، وقد ألقى الطالب محمد السعدى عدة محاضرات عن الشاعر العباسى بشَّار بن بُرْد، حازت إعجاب أستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد رحمه الله، فأثنى عليه فى الملأ المشهود، وتنبأ له بمستقبل زاهر.. ثم مضت الأيام فأبرزت تحقيق نبوءته!..

وانتقلنا بعد الكلية إلى معهد التربية العالى بالإسكندرية، فدرَسْنَا الجديد من علوم النفس والتربية والاجتماع مما لم نكنْ نألفه فى الدراسة الأزهرية، وأذكرُ أن الدكتور رياض عسكر أشار فى بعض محاضراته إلى «مجلس الآباء» وضرورة إنشائه بالمدارس المصرية تقليداً للمدارس الإنجليزية، فأعْجبت الفكرة الطالب محمد السعدى فرهود، وكتب مقالاً تربويا نشرته جريدة الأهرام فى مكان بارز، وتوالى الرد عليه، لدرجة أدهشت الدكتور عسكر، وتمنى أن يُرزق من الطلاب من يُذيعون الرأى التربوّى على نطاق جهير.. ثم تفرقنا بعد التعلّم، ومضت عدة سنوات حتى جاءنى خطاب رقيق من الأستاذ محمد السعدى فرهود يعلن أنه يكتبُ رسالة الدكتوراه عن شعر الأستاذ عبدالرحمن شكرى، وقد علم أن لَدَىَّ بعض رسائله الخاصة، ويريد الاطلاع عليها، فربما يكون بها ما يضىء جانبًا من نواحى الشاعر المتعدّدة، وقد سارعتُ بتلبية طلبه، فصور ما أراد من الرسائل، وبعثها إلى ثانية. والغريب أنى بعد عشرين عامًا من هذا الموقف، احتجتُ إلى بعض الرسائل، وبحثت عنها دون جدوى، ثم حدّثْتُ الدكتور السعدى بذلك، فقال: إن الصور محفوظة لديه، وتكرم بإرسال نسخة منها، ولولا ذلك لفقدتْ إلى الأبد، ومنها تفويض من الشاعر لى بطبع مؤلفاته نثراً وشعراً.

لم يقتصر السعدى على مراسلتى بشأن رسائل شكرى، فقد راسل كثيراً من الأدباء فى العالم العربى، حتى جمع من الرسائل ما يصلح أن يكون كتابًا، وأذكر أنه راسل الأستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المقتطف، وكان حينئذ قد ترك القاهرة إلى لبنان، فأمده بعدة رسائل تضم أنباء أدبية ونظرات علمية، وهى لا تزال لدى الصديق، كما أنه حين كتب رسالة الماجستير عن (عبدالله النديم) لم يدع أحداً يعرف اتصاله بأسرته إلا سافر إليه، وأخذ من أخباره ما كان مجهولا، إذ زار الإسكندرية لذلك عدّة مرات.. وقد كتب الكثيرون عن النديم كتابة من رجع إلى آثاره وحدها، ولكن رسالة السعدى تضمنت أشياء جديدة عمل على جمعها، ثم تحرى مدى صوابها، وحازت تقدير لجنة المناقشة بمعهد الدراسات العربية.

وقد زاملت السعدى، إذْ كنا مدرسين بكلية اللغة العربية بالقاهرة حينًا من الدهر، فاتضح لى من نشاطه جانب إدارى كنتُ

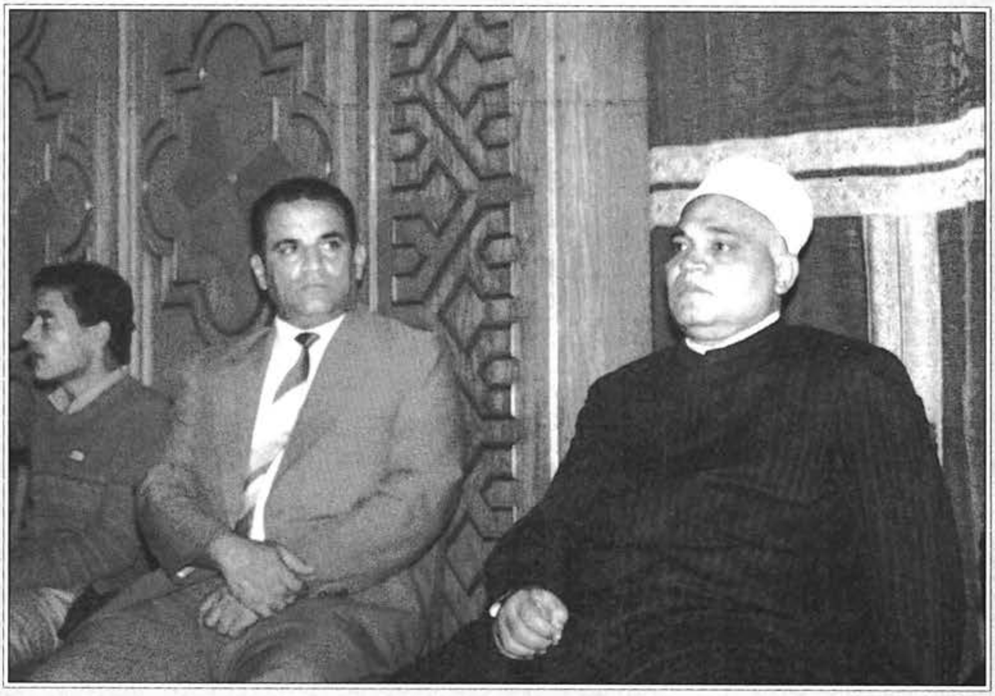

أجهله، لأنه مع إكبابه على التأليف الأدبى كان يد الإدارة فى شئون الامتحانات، وموضع استشارتها فى أحوال الطلاب، ولجان الشباب، وسفر الرحلات، ومازال يجمع بين الإدارة والتدريس والتأليف العلمى جمعًا متوازنًا دقيقًا، وذلك يتطلب منه مزيداً من الجهد الجاهد، وثِقَةُ المحيطين به فى مواهبه تدفعه إلى مواصلة هذا الجهد فى احتفاء.

وقد تنوعت مؤلفات الدكتور السعدى بالكلية لأن المواد التى قام بتدريسها كانت تقتضى هذا التنوع، ولكن إبداعه الأول كان فى حقل النقد الأدبى، حيث أصدر عدة كتب مهمة تشمل خطوات النقد فى جميع عصوره، وقد فاجَأَ طلابه بنظام من التأليف فى تاريخ النقد الأدبى القديم لم يألفوه من قبل، حيث درجوا على أن يكون تاريخ النقد وفق توالى العصور، اقتداء بما صنعه رائد التاريخ النقدى فى مصر المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم، حيث بدأ بحديث النقد فى العصر الجاهلى، وتابع العصور حتى انتهى إلى العصر العباسى. والحق أن هذا الكتاب التليد لا يزال يحمل بريقه اللامع منهجًا وأسلوبًا واستنتاجًا، وقد حاكاه أناس- أو قل إنهم سرقوه- ثم أخذوا يعيبونه، وكأنهم لم يتكئوا عليه كل الاتكاء، وتلك من محن العلم فى العالم العربى، أما الدكتور فرهود

فقد درس كتاب الأستاذ طه أحمد إبراهيم، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم رأى أن يؤرخ للنقد على غير مذهبه، فأصدر كتابه (اتجاهات النقد العربى) متحدثًا فى المقدمة منحى الأستاذ طه أحمد إبراهيم، ثم معقباً بقوله:

« وآن لنا أن نقوِّم هذا الاتجاه، لأنه يسمح بقيام فواصل بين نقود العصور، وإطلاق القواعد العامة على هذه العصور، مثلما قالوا: إنّ النقد فى العصر الجاهلى نقدٌ فطرىّ، وفى عصر صدر الإسلام نقدٌ ذوقى، وفى الدولة الأموية نقدٌ جزئى، واختلف فى الشام عنه فى العراق، وهذه فى تقديرنا تفرقةٌ لا مسوغ لها، فقد تداخلت النقود، وتداخلت العصور الأدبية، ولم تتمايز هذه أو تلك تمايزا يحتم الفصل بينها، وهذا تفسير الاتجاه إلى تناولنا الموضوعى لهذه الأمور، غير مغفلين ما يفرضه الترتيب الزمنى على حركة التاريخ النقدى.

ووفقًا لهذه الخطة الجديدة كتب الباحثُ فصولاً متتابعة عن اتجاهات النقد العربى، فتحدث عن النقد الاستحسانى، والنقد الانتخابى، والنقد الاجتماعى. والنقد الوصفى، والنقد على سبيل الموازنة، ثم جاء الفصل الأخير ليلم بأهم النظرات النقدية التى تفرقت فيما سبق من الأبواب. والكتابُ بهذا المنحى الجديد طريف كل الطرافة فى بابه.

أما أهم كتاب أصدره الدكتور السعدى فى حقل النقد فهو كتاب (قضايا النقد الأدبى الحديث)، وقد أفردتُ له مقالاً خاصًا بتحليله فى مجلة الأديب اللبنانية (أكتوبر سنة ١٩٧٠) وجاء فيه ملخصًا:

« ألمَّ الكاتب إلماماً موجزاً فى مطلع بحثه بما سبق أن أرخ به الدارسون حركة النقد العربى، ثم اتجه إلى أبواب معاصرة، بدأها بالحديث عن تأثر النقد الأدبى بعلوم النفس والاجتماع والجمال، وخَتَم كل فصل بتعقيب يرجح فيه ما يرتضيه من الآراء المتضاربة فى حيدة تامة لا تعرف الانحياز لمذهب معين، ولكى يصل إلى ما يريده من حديث النقد المعاصر عبر ما قبله من الاتجاهات التراثية عُبورا موجزاً، ولكنه مستوعب، ثم تفرغ للبحث فى قضايا التجربة الشعرية والوحدة العضوية، ومُتتبعًا بذورها فى كتب النقد القديم، حتى انفسح المجال لرصد التيارات المعاصرة، إذ تحدثَ عن خليل مطران، وعبدالرحمن شكرى، والعقاد، والمازنى! وقد لاحظتُ فى مقالى بمجلة الأديب أنه قد بَخَس مطران حقه حينَ جعله ينحاز إلى جانب شوقى فى منحاه، لأن اتجاه مطران الإبداعى مسلم به، وهو الرائد الحقيقى لحركة التجديد فى الشعر المعاصر. إذا أردنا أن نقرر الحقيقة دون انحياز ».

هذان الكتابان البارزان فى نتاج الدكتور السعدى كانا موضع تعليقات لى فى دروس النقد وأنا أجاوره بمدرجات الكلية، وقد تناقل الطلاب هذه التعليقات، فكنت أنتظر من صديقى أن يتأثر بعض الشيء بموقفى، ولكنه قابلنى مبتسماً ليقول إنه سيسعد حين أدون له خواطرى النقدية فى بحث خاص ليرجع إليه إذا

حانت الطبعة الجديدة للكتاب، وهذا السلوك المطمئن الواثق هو ما يميز الدكتور السعدى دائمًا، وما جعل أصدقاءه وزملاءه يعتزون به، وقد جنى كثيراً من الشوك بسبب هذه السماحة، ولكنه لم يثر ثورة الغاضب، إذ طُبع على الهدوء اليقظ، وقد دعى منذ أعوام لإلقاء محاضرة أدبية نقدية عن الشاعر الكبير عبدالرحمن شكرى بالنادى الأدبى فى جدة، وهو أولى الزملاء بالبحث فى موضوع من صميم تخصصه، إذ كتب رسالة الدكتوراه عن الشاعر فعرف عنه أكثر مما يعرف سواه، ولكن -وهذا موضع العجب العجيب- رأيته بعد كتابة بحثه المسهب، يَدعونى إلى زيارته، ثم يعرض علىَّ المحاضرة قبل أن يلقيها، فقد يكون بها ما يصلح أن يكون موضعاً للنقاش، وقد دهشت جداً لهذا الطلب غير المنتظر، وأخذت المحاضرة وأفدت منها، ولم أر بها غير الجيد الصحيح، وعاتبته على ما صنع، فقال فى ابتسام: وماذا يمنع من أن أطمئن؟ فقلت له: إن اطمئنانك هذا مع وثوق الناس بك قد حيرنى.

وقد كان الدكتور محمد السعدى عميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة حين أُنشئت، فلاقى تأسيسها العلمى والإدارى والبنائى جهداً كبيراً قام بتذليله، على نحو مرهق شاق، ثم ترقَّى إلى منصب أعلى، وجئت عميداً للكلية من بعده، فرأيت أن أقيم حفلة تكريم اعترافًا بجهده فى إنشاء الكلية وسيرها هذا المسير الصحيح، وقام المتحدثون فأثنوا عليه بما هو أهله، وكانت المفاجأة فى الكلمة الختامية التى ألقاها الدكتور السعدى، حيث ذكر أسماء الزملاء والإداريين والموظفين الذين عاونوه جميعًا جميعًا، وأحصى لكل فرد جُهده الذى قام به، وكأنه كان أثناء عمله عميداً يُسجل خطوات من يقعون تحت إدارته تسجيلا واعيًا، وقال فى تواضع: إن الشكر لهؤلاء جميعا. وقد خرج المستمعون دَهشين لهذه الذاكرة التى وعت كل شىء، ولهذا الاعتراف المثالى بكل جهد مبذول، وكم رأينا من رؤساء لم يعملوا شيئاً ارتكانًا على جهود مرءوسيهم، ثم هم بعد ذلك يتلَمَّسُون الهفوات التافهة لعقابهم، وكأن الرياسة لا تتم إلا بالاستعلاء وترصد وسائل العقاب.

وفى اجتماعات اللجان الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر، رأيت من حزم الدكتور فرهود ما أعجبنى، لأن هذا الحزم الدقيق لم يمنع نظرة الرحمة المتسامحة لمن قعدت بهم بعض ظروفهم الصحية فى مختتم العمر، عن الإجادة التامة، فكان الدكتور يقف فى صف هؤلاء الذين سيودعون عملهم عن قريب، قائلاً: إنهم كافحوا قدر ما يستطيعون، ولهم جهدهم العلمى الذى يؤيده نشاطهم الممتد عبر السنوات الماضية، وهو رأى قد يجد المعارض، ولكنى أسجله كما رأيته. مع ملاحظة أن النتاج يكون دائماً فى مستوى مقبول، ولا يهبط إلى درجة المؤاخذة، فهنا يكون الحسم الدقيق.

هذه خواطر أكتبها عن صديقى الكريم -رحمه الله- راجياً أن أجد مجالا آخر للحديث عنه كما أريد بإسهاب.

فى صحبة الشيخ الدكتور

مُحَمَّد الطَّيِّب النَجَّار

(رحمه الله)

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

يرجع عهدى بمعرفة فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد الطيب النجار الى زمن الطلب أى عهد دراستى فى كلية أصول الدين. جامعة الأزهر. وكان فضيلة الشيخ أستاذا للتاريخ الاسلامى وأحد ثلاثة يدرسون لى مادة التاريخ الاسلامى فى السنة الأولى من مراحل الكلية، الشيخ الدكتور/ محمد مصطفى النجار. اتفاق فى اللقب. والشيخ الدكتور/ عبدالحميد بخيت. وكان الشيخ مصطفى النجار يدرس: عرب الجزيرة والشيخ بخيت: عصر الرسول والخلافة، والشيخ محمد الطيب النجار يدرس الدولة الأموية.

وكانوا جميعا ـ رحمهم الله ـ من العلماء الأفذاذ الذين يهضمون الثقافة الدينية والتاريخية وكانت محاضراتهم تتميز بالسلاسة الأدبية والبيان الواضح فكانت تشعر الأسماع، وتفتح الذهن، وتعين العقل على الفهم، وهم إذ يعرضون قضايا التاريخ الإسلامى، يعرضونها من خلال روايات التاريخ وهى متعددة تحتاج لفرز نقدى لاستخلاص الرأى الصحيح من سقيمه، وبيان أدلة لاختياره من غير ميل إلى هوى من غير دليل، وكان نقدهم قائم على قواعد المنهج التاريخى فى تغليب رواية على رواية أو تزييف ضعيفها، إما لأنها رأى ينم عن عصبية يميل إلى عصبية الجاهلية الأولى، أو لأنه رأى مغلف بحب سياسى يشايع من هواه معه. أو أنه يمثل اتجاها مذهبيا أو... أو.. إلخ، وكنا كلفين بذلك الاتجاه النقدى، وذلك مما زاد من إقبالنا على محاضراتهم، ورغم أن المقرر علينا فى التاريخ كان واسعا فهو يشمل: التاريخ الجاهلى وذلك فى كتاب يربو حجمه على الخمسمائة صفحة.

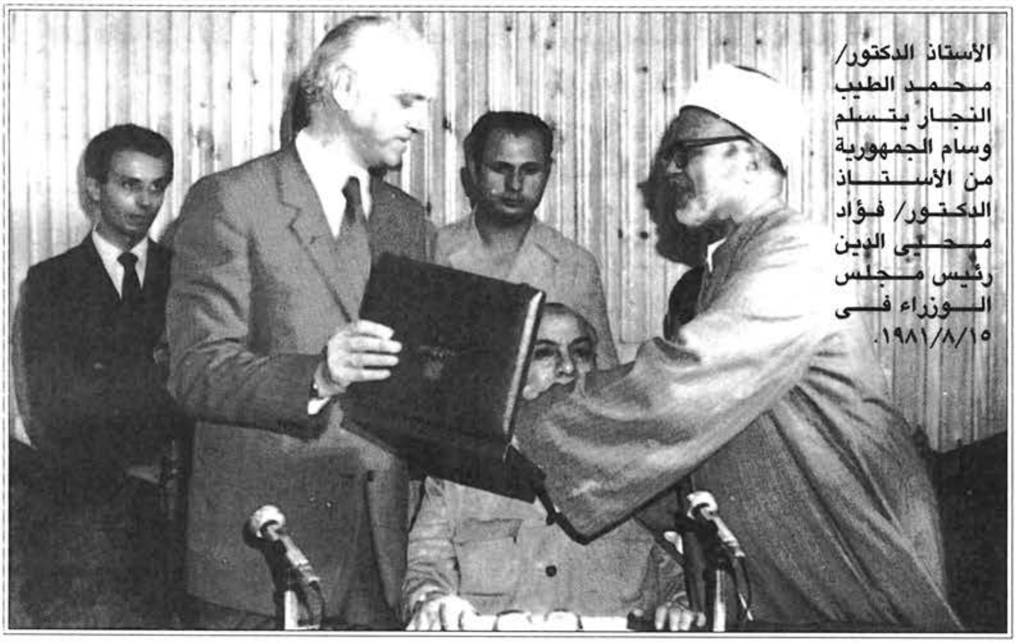

الأستاذ الدكتور/ محمد الطيب النجار يتسلم وسام الجمهورية من الأستاذ الدكتور/ فؤاد محيي الدين رئيس مجلس الوزراء في ١٩٨١/٨/١٥.

وعصر النبوة والخلافة الراشدة فيما يقرب من سابقه في عدد صفحاته ثم تاريخ بنى أمية فى كتاب يقع فى مائتى صفحة وكان ذلك كله مقررا علينا فى السنة الأولى من كلية أصول الدين وهذا ولاشك يوجب السآمة والملل والزهد فى الدراسة. غير أن حسن العرض وأداء المحاضرات والتفاعل الثقافى بين الطلاب والأساتذة،وحضور المادة العلمية لدى الأستاذ المحاضر، والإعداد المناسبة فى قاعة الدرس، وذلك كله عوامل يسرت علينا الانشغال بالعلم وتحصيله عن البحث فيما يجلب علينا السآمه ويسرب إلى نفوسنا اليأس من عظم المادة التاريخية المقررة.

أما فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار صاحب الترجمة فلقد قامت بينى وبين فضيلته أواصر المحبة ووشائج التلمذة وذلك عندما كلفنا ببحوث فى قضايا تاريخية فى عصر بنى أمية وأخذت شأن الطلاب شخصية تاريخية، أذكر شخصية «المختار الثقفى» وكان بحثا مختصرا، وأجهدت فيه نفسى وخاصة جمع الروايات وتحليلها ونقدها على ضوء ما سمعت ولقد ساعدنى فى دراسته كتاب خرج عنه فى سلسلة أعلام العرب وكان ثمنه آنئذ خمسة قروش فأعاننى هذا الكتاب وغير من المراجع وهى متعددة على هضم البحث حتى استوى على قواعده ثم قمت بتسليمه للشيخ ـ رحمه الله ـ وكان يهجس خاطر فى داخلى أن البحث ذهب إلى مصير الإهمال وليس لدىّ نسخة منه فلم يكن التصوير سهلاً مثل اليوم.

ثم بعد مدة زمنية غير طويلة وعلى غير ما كنت أتوقع رأيت الشيخ يسأل عنى وكان موقفا طريفا، ففى ذات يوم قابلت الشيخ وأنا واقف

على باب قاعة الدرس فسلمت عليه وصافحته ثم سألنى:

- محاضرتى عندكم الآن؟

- قلت له: نعم

- فقال لى: هل أنت معنا فى هذه القاعة؟

- فقلت له: نعم

- فقال لى: هل تعرف طالبا اسمه - ثم أخرج ورقة من جيبه وقرأ الاسم - محمد إبراهيم الفيومى فتبسمت.. وقلت له: هو أنا فشد من يدى فاضطربت نفسى ثم قال لى: لا تخف، بعد أن تفرسنى بنظارته، يا بنى: إنك كتبت بحثا ممتازا، ومن إعجابى به أعطيته لزميلى الشيخ مصطفى النجار والشيخ عبدالحميد بخيت فأعجبنا به جميعا - ورأيت من الأصوب أن أتعرف عليك لأنى رأيت فيك مستقبلا طيبا فبارك الله فيك ثم عرفنى على زميليه وكانت بداية علاقة طيبة قامت بينى وبينهم جميعا وظللت وفيا لهم، حريصا على اللقاء بهم حتى عرفونى منذ كنت طالبا حتى أصبحت عضوا من أعضاء هيئة التدريس بذات الكلية، ثم توطدت العلاقة بينى وبين فضيلة الشيخ محمد الطيب النجار حتى اختارنى فى فترة رئاسته للجامعة، عميدا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية وشاءت الأقدار أن أسكن بجانبه، وأخرج معه كل مساء متريضا ونشد معا أطراف الأحاديث فى قضايا شتى، وللحديث شئون وشجون، فى رواحنا وغدونا، وكنت حريصا على ملازمة الشيخ فى تريضه فكانت لدى مجالس علم وإثارة للخواطر، وتنشيطا للجسم.

وحين أهديته كتابى: «تأملات فى أزمة العقل العربى» فى طبعته الأولى قرأه مرة بعد مرة ثم علق عليه بقلم رصاص ثم قرأ علىَّ ما علق عليه تعليقا جميلا وددت حين سمعته أن يكون مقدمة للكتاب ساعة طبعه.. ثم دارت الأيام دورتها ومرت سنون تسع حتى كانت حرب الخليج بين العراق والكويت فكتب الأستاذ الكبير أحمد بهجت فى صحيفة الأهرام فى بابه: صندوق الدنيا عن ذلك الكتاب وقال: الآن بعد تسع سنوات على صدور كتاب الدكتور الفيومى وقد حذر فيه مما وقعنا فيه اليوم.. إلخ فرح الشيخ بذلك التعليق - وكان قد نفذت الطبعة الأولى ثم أخذت فى إعداده للطبعة الثانية ثم كلمت فضيلة الشيخ مذكرا فضيلته بتعليقه المكتوب بالرصاص أن يكون مقدمة للطبعة الثانية فسرح بذهنه بعيدا ثم قال: أود قراءته مرة ثانية لأنى لا أذكر أين الكتاب من المكتبة فازددت فرحا فأعطيته أصول ما أعددته لدفعه إلى المطبعة فقرأها ثم كتب المقدمة وأعطاها لى لدفعها إلى المطبعة وخرج الكتاب بالمقدمة على ما تمنيت، ثم سافر الشيخ إلى أمريكا فى رحلة علاج وكانت رحلته إلى الله وبقيت المقدمة آخر ما خطت يمينه رحمه الله.

وأما عن منهج الشيخ - رحمه الله - فى كتابة التاريخ: فإنه قد فرغ نفسه للعلم والبحث والدراسة فى قضايا التاريخ والقضايا الدينية والدعوة الخالصة إلى الله بقوله وسلوكه وعلمه وعمله وهو فى كل كتاباته التاريخية وغيرها: لم يكن يقصد من تأليفها إلا بيان الحقيقة ناصعة نزيها فى بحثه، قاصدا قوله اللباب.

وهو ـ رحمه الله ـ إذ يعالج قضايا تاريخ بنى أميه، وهو عصر ملىء بالخصومات والعصبيات المذهبيات وهو فوق ذلك كله عصر الفتوحات الإسلامية، ووقع فيه خلط كثير،وانبهام الرأى الحق، فهو عصر حرج، وفترة زمنية عصيبة، من الصعب على الباحث أن يصل إلى رأى صواب، ما لم يكن متمرسا بقواعد المنهج التاريخى وإطالة النظر وقوة الحجة ودوام المراجعات فى المصادر التاريخية مع تحل بالصبر والدأب على البحث بروية واصطناع الأناة.

لقد كان الشيخ صاحب الترجمة هو كذلك، فهو يذكر حوادث التاريخ ذكر القاضى الناقد، لا يعبأ أين تميل به الحجة، لأنه لا يقصد إلى نصر فئة على فئة ولا الدعاية لطائفة أو أنه من شيعة على خارج على معاوية أو من شيعة معاوية خارج على الإمام إنما هو قاضى التاريخ فيذكر ما كان فى الماضى، ويوضح ما فيه من المسائل، من غير أن تكون فى نفسه مرارة من هذا، أو من ذاك، أو يكون فى كلمه زيغ فهو إن رأى الحجة مع علىّ وإن رأى الحجة مع معاوية فهى مع معاوية وكشف عنها كشفا صريحا، وفى نفسه سرور الباحث عن الحقيقة إذا وفق إلى كشفها، إذ ليس فى قلبه ما يسخطه على تلك الحقيقة اذا هى تبدت فى جانب دون جانب.

وكان له ـ رحمه الله ـ فضل التعرض لبعض مفتريات التاريخ. وكانت شائعة عند بعض المعنيين بدراسة التاريخ يأخذونها تلقفا بغير تمحيص، وطالما كانت تلك المفتريات عضدا لمن أراد البغى على العرب: هاشميين أو أمويين، إذ يسوقها حجة عليهم وكان المظهر التاريخى الذى يبدو عليها يخدع بعض طلاب المعرفة عن حقائقها.

ولكن هذه الروح العادلة التى حدت به إلى نصرة الحق فى جانب على حدت به كذلك إلى نصرة الحق فى جانب معاوية، فلم يحاول أن يخفى من فضائلها شيئا. أو يعكر من صفو سيرتها على مدار بحوثه وهى كثيرة فكان عادلاً فى وصف الأفراد والمجموع، ذلك كان جهاد الشيخ فى سبيل البحث والمعرفة للوصول إلى الحقيقة وهو كما يقول: قصة هذا الصراع الرهيب قصة دامية، وأحداثه أليمة تكتنفها ظلمات متكافئة. ومن أجل ذلك يتحرج بعض المؤرخين المسلمين عن الخوض فى التفصيلات الدقيقة لمثل هذه الموضوعات. ولكننا نجد من واجبنا ألا نغمض عيوننا أمام هذه الأحداث، وألا نضع أصابعنا فى آذاننا، فالواقع الذى سجل أحداث التاريخ لا يمكن أن يرتفع، ولا ينبغى أن يزيف أو يحرف، وإنما يجب أن نلتمس من خلاله العبرة والموعظة الحسنة، فالعبرة دائما هى ضالة المؤمن، والهدف المرجو لكل عاقل، والمنارة الساطعة التى تضىء طريق الخير وتهدى للتى هى أقوم.

وما كنت أود كتابة تلك المقدمة لما تبعثه فى النفس من كوامن الشجن وعميق الذكريات وألم الفراق لكنها هى سنة الله.

وبالله التوفيق.

حديث فى علوم الدين وعلوم الحياة

رد على مقال

للأستاذ الدكتور/ ابراهيم عوضين

عبر اتصال هاتفى سألنى صديق فاضل عما إذا كنت قرأت مجلة (الهلال) الصادرة فى أول يوليو سنة ٢٠٠١ كما يعرف عنى، ولما أجبت بأن أمرا حيويا شغلنى عن النظر فيها مؤقتا، أردف قائلاً: أرجو أن تبدأ بما كتبه الدكتور صلاح قنصوه تحت عنوان (بحث فى علوم الدين وعلوم الحياة)، وأنا فى انتظار ما تراه فيه.

قلت: ابتداءً أقرر أن الدكتور قنصوه -كما تدل عليه كتاباته- مفكر على قدر من الذكاء والخبرة يستطيع بهما أن يدير حوارا، تراه فى ظاهره أنه حوار يتسم بالعقلية الحرة، ولكنه -بذكائه وخبرته- يخفى تماما سطوته وقهره الذى يدفع متلقيه إلى التسليم بما يريد.

وأقرر -كذلك- أن كاتب العنوان خانه التوفيق؛ فعلوم الدين هى نفسها علوم الحياة، لأن الله تعالى مادان الإنسان إلا ليحيا فى رغد الدنيا، ونعيم الآخرة، والتفرقة بين الدين والحياة ما عرفها المسلمون إلا من ثقافة الأوروبيين الذين كان الدين يمثل عندهم سيف الإرهاب الأعمى، وبطش الجهل الطائش، وسلطة الأثرة المستبدة؛ فما كان الدين عندهم إلا ستارا يخدع عامة الناس ويخضعهم لأفراد معدودين على أصابع اليد فى كل أقليم.. أما ومجلة الهلال عربية، والكاتب مسلم فلا معنى إذن لذلك العنوان بتلك الهيئة، اللهم إلا أن تكون واو العطف لا تعنى سوى التفسير، ولا تشير إلى اختلاف بين المعطوف والمعطوف عليه!

فعاد محدثى ليقول: الأمر يا صديقى أخطر مما يشير إليه العنوان، فما وجدت فى المقال كله إلا كأسا شفافة ممتلئة بعسل نقى ولكنه مسموم، لا يكاد متجرعها يشك فى سلامة محتواها.

قلت: يا صديقى ألا ترى أنك تطلب رأيى وتصادره فى الوقت نفسه، وما عهدت منك هذا، بل إنى أراك تسرعت فى إصدار حكمك على مقال الدكتور، مخالفا نهجك المألوف الذى نلتقى عليه دائما، فليس لدى شك فى أنك مازلت عند مانتفق عليه أنا وأنت من أن كلام المخلوقين وآراءهم تخضع لقبول المتلقين أو رفضهم، فيما عدا كلام سيدنا محمد ﷺ فى محور الرسالة، لأنه ﷺ:

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(١).

كما قرر ذلك ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه الكريم، فلك أن تقبل من كلام الدكتور قنصوه ما تقبل، وأن ترفض منه ما ترفض.

قال: لا خلاف حول ذلك فيما يتعلق بالكلام الذى لايتعارض مع ثوابت الحياة، لأنى أعلم يقينا أن ما اتفقنا عليه لا يشمل مثل ما لوقال مخلوق: إن حلاق القرية -بإيمانه وملازمته المساجد، وممارساته بعض أعمال الطب- يضارع الطبيب المتخصص؛ فمثل هذا الكلام -وما أكثره- لا يصح بأى حال أن يقبله إلا سفيه أو جاهل اختلطت عليه الأمور، فظن أن إسلام الشخص يمكنه من كل ميدان، فلا يكون فى حاجة إلى الدراسة المتخصصة.

فقاطعته قائلاً: وما علاقة ذلك بما نحن فيه؟ أم لعلك تشير إلى ما ذكره الدكتور قنصوه فى تمثيله بالدكتور مصطفى محمود؟

قال: نعم أشير إلى ذلك.

قلت: ولكن الدكتور لم يكن هو الذى ذكر الدكتور مصطفى محمود، فقد ذكَّره به

(١) النجم (٢ : ٤).

محدثه، وقد حسم الدكتور قنصوه الموقف بما أجاب به محدثه من أن الدكتور مصطفى محمود لم يكن له أن يجتهد فى الإسلام إلا إذا أعد نفسه بعلوم الاجتهاد فى متغيرات الإسلام.

قال محدثى -فى سخرية-: ما كنت أنتظر منك أن تخدع فى عبارة الدكتور قنصوه التى اتسمت بما وصفته به من ذكاء وخبرة، لقد كنت أتوقع أن تشم ما شممته أنا ما فى عبارة الدكتور من سخرية وتهكم بمن يشترط هذه الشروط فيمن يتصدى للاجتهاد فى علوم الإسلام. ولا أدل على ذلك من حديثه عن الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم؛ فقد اختار هو ومحدثه هذه الجزئية بخصوصها من العلوم لينطلق منها بسخريته وتهكمه ممن يشترط فيمن يتصدى للاجتهاد فى الدين امتلاء يده من علوم اللغة، والفقه، والقرآن ناسخه ومنسوخه، والحديث صحيحه وحسنه وضعيفه، إلى آخر سلسلة علوم الدين. حيث جعل محدثه يستوقفه عند الناسخ والمنسوخ بخصوصه ليقول هو فيه ما قال.

لماذا الخلط فى الكلام؟

وقبل أن الفظ بالرد على محدثى واصل الكلام قائلاً: أهى علوم الدين وحدها -بالفهم الذى يرمى إليه الدكتور- هى التى تحوج إلى شروط يجب توافرها فى المجتهد؟!

إن جميع العلوم الإنسانية -العملية والنظرية- يحوج كل منها إلى شروط مخصوصة يجب توافرها فيمن يتعرض للاجتهاد فيها، أو لنقدها.

أترى أن الدكتور قنصوه محق فى دعواه أن ليس لأحد أن يتحدث فى الإسلام دون أن يتزود بعلوم الدين التى يدرسها الأزهر الشريف، وليس لمصطفى محمود أو غيره أن يُحدث أمراً فى الإسلام. ويصطنع الاجتهاد وهو فارغ اليد من العلوم المؤهلة لذلك؟!

ألم تلاحظ ما فى عبارته من قصد الإثارة. بما قامت عليه من التلاعب بالألفاظ، حيث ذكر فى مقدمة دعواه أن ضرورة التزود بعلوم التخصص تتناول كل من يتحدث فى الإسلام - هكذا على وجه التعميم والإطلاق- ثم عاد فخص الأمر بمن يحدث أمرا فى الإسلام، ويصطنع الاجتهاد؟ أم إن الدكتور قنصوه -مع قدراته وخبراته- لا يدرك الفرق بين من يتحدث فى الإسلام ومن يحدث أمرا فى الإسلام ويصطنع الاجتهاد.. ولذلك صاغ عبارته تلك خالى الذهن مما يعنيه هذا؟!

قلت: يا أخى لقد أبعدت وكدت تخرج فى ملاحظاتك عن لب الموضوع!

فقاطعنى صائحا: إنى ما تزحزحت قيد أنملة عن موضوعنا. إن أحدا لم يضع أى قيد على أى مسلم يتحدث فى الإسلام؛ فلكل مسلم أن يدعو أخاه المسلم إلى الصلاة، وإحسان الوضوء، والصبر على الشدائد، والتمسك بآداب الإسلام، فإذا أراد واحد أن يتوجه إلى أعماق الإسلام، ويستحدث حكما فى أى شأن من شئونه، معتدا على نظره واجتهاده أصبح عليه أن يتزود لذلك بالعلوم التى تؤهله لمثل هذا التوجه، فالفرق بين من يتحدث فى الإسلام ومن يحدث أمرا

فى الإسلام ويجتهد فيه كالفرق بين من يمتهن البناء الذى يتحدث عن المبنى، واتساع حجراته، وتوافر مرافقه، وبين مهندس البناء الذى يحدث فى الأساس تعديلا، أو يدخل على تصميمه جديدا، وهو كالفرق بين الممرض الذى يحدث المريض عن ضرورة تنفيذ تعليمات الطبيب، وتناوله الدواء الذى وصف له، وبين من يتصدى لتشخيص الداء، وتحديد الدواء، أو استبدال دواء بآخر، أو تغيير طريقة تناوله، ومواعيده.. إلخ كل ذلك. ولكن الدكتور قنصوه -كما ترى- خلط بين الاثنين فى أمور الإسلام، فسوى بين من يتحدث فى الإسلام، ومن يحدث أمرا فى الإسلام ويجتهد فيه. فهل ترى أن عدم توفيق الدكتور فى التعبير هوالذى ساقه إلى ذلك الخلط، أم إن ذلك يرجع إلى جهله الفرق بين الحالين، أم هو يعرف ذلك الفرق، ولكنه قصد التشويش والتشكيك عن طريق التلاعب بالتعبير ليصل إلى غاية من الغايات التى يبتلى بها الإسلام والمسلمون هذه الأيام؟!

المقصود بالنسخ إسلاميًا

قلت لمحدثى: فى الحقيقة لقد شغلت بأمر آخر عن تلك الملاحظة، التى لا أملك إلا أن أضم صوتى إلى صوتك فى تساؤلك، وإلا أن أعتذر إليك بأن ما ذكره الدكتور قنصوه فى شأن النسخ كان أقوى تأثيرا فى جذب انتباهى!

قال: تعنى ذلك الثوب الساخر الذى غلف به الدكتور عبارته وهو يجيب محدثه حول النسخ فقال: «والغريب أن المنسوخ فى نظرهم -يعنى طبعا علماء الأزهر- هو كل ما يتعلق بالصبر والرحمة، والمعاملة بالحسنى، وغيرها من هدى القرآن، ويزعمون أنها نسخت بما يسمونه آية السيف»؟

فأجبت محدثى: نعم. فلقد رأيت الدكتور قنصوه -فى تعبيره عن النسخ- قد صدر عن فهم خاطىء للنسخ، بل عن عدم معرفة بأصل النسخ، فظن أن النسخ مادة تدرس لطلاب الأزهر ليحفظوها، يقسم فيها القرآن إلى محكم، وناسخ ومنسوخ (أى ملغى).

ولو أن الدكتور قرأ قول المولى سبحانه:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢).

لعرف أن دراسة النسخ وما يتعلق به ليس من اختراع الأزهر ومناهجه. ولكن النص القرآنى هو الذى فرض على كل من يسعى للتخصص فى الدراسة القرآنية أن يقف عليه فى أبعاده، ويتعرف على المقصود بالنسخ المذكور.

ولو أن الدكتور قنصوه لم يقف عند السطح القريب للناسخ والمنسوخ لعرف أن النسخ مصطلح علمى إسلامى تجاوز الإطلاق اللغوى، ولحفظ نفسه من الوقوع فيما وقع فيه بعض محدودى المعرفة ممن اتصلوا بالقرآن، وبعض من

(٢) البقرة / ١٠٦.

قادهم فكرهم المشوش عن الله تعالى؛ فالنسخ -بالتعبير البسيط الواضح- فى الاصطلاح الإسلامى يعنى: التدرج الإلهى بالحكم فى المتغيرات وفق الأطوار البشرية. وتغير حاجاتها مع إحكامه فى الأصول العقدية. ومن هنا جعل رسله ورسالاته ناسخة لما قبلها، فيما يوائم أمة من حكم المتغيرات قد لا يوائم من سبقها أو من يأتى بعدها، على ما نرى فى نحو قوله تعالى:

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾(٣).

حيث حرم الذين هادوا أجزاء من ذبيحة البقر والغنم، ثم أباحها لغيرهم. وكما فى قوله تعالى:

﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾(٤).

حيث حرم عليهم العمل فى يوم السبت وأباحه لغيرهم. وكذلك الحال بالنسبة للأمة الواحدة، فإن حكمة الله ورحمته بعباده، وعلمه بحاجات كل طور من أطوار حياتهم. إلى غير ذلك، كان وراء التدرج فيما ألزمهم به من تشريعات، فمع طور الضعف فى بداية الدعوة لم يكن ليأمرهم بقتال من يقاتلهم، فكان الأمر بالصبر على الإيذاء والاحتساب، حتى إذا كان طور القوة النسبية جاء الإذن بدفع القتال بالقتال، ومواجهة السلاح بالسلاح. وكذلك الشأن بالنسبة لتخليصهم من السلوكيات التى تمكنت من الناس فى الجاهلية، حيث اقتضت الحكمة الإلهية أن يسير التشريع فى تخليصهم منها على أساس التدرج، كما ترى فى الخمر والميسر اللذين تمكنا من الجاهليين، فلم يشأن أن يأتى الحكم التحريمى لهما باتا من أول الأمر، ولكنه تدرج بهم من الكشف عن أخطارها، إلى النهى عن الصلاة فى حال السكر، إلى تبيان دور الشيطان فى استغلال الخمر والميسر لإفساد الإنسان وما يلزم عن ذلك من وجوب اجتنابها. ومن هنا جاء قوله تعالى ابتداء:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ ﴾(٥).

ثم قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾(٦).

ثم انتهى بهم إلى قوله تعالى:

---

(٣) الانعام / ١٤٦.

(٤) النساء / ١٥٤.

(٥) البقرة / ٢١٩.

(٦) النساء / ٤٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(٧).

والأمثلة على ذلك لا يمكن حصرها في مقال.

ولتقريب أمر النسخ -بالمفهوم الإسلامي- إلى الأذهان، نُذكِّر بما يسلك اليوم مع مدمن المخدرات من التدرج في السماح له بتعاطي جرعة صغيرة من المخدر لمدة من الزمن، ينتقل منها إلى جرعة أصغر، ثم إلى التحريم الكامل. كما نذكِّر بما يسلكه الطبيب مع المريض في الانتقال به من دواء إلى دواء، والتدرج بالدواء الواحد من جرعة إلى جرعة، حيث ينتهي به إلى التوقف تماما عن تناوله، فمع أن هذا المسلك البشرى يماثل النسخ في المفهوم الإسلامي تقبله الدكتور وغيره، دون أن نلمس رنة سخرية من الطبيب، أو نسمع تعليقا متهكما، بل دون أن يخالجه شك في قدرة الطبيب، وسلامة تذكره الدواء.. بل على العكس فإن ذلك يُعد من مظاهر تمكن الطبيب. واقتداره، وسعة علمه. أما مع القرآن الكريم فقد لبَّس إبليس الأمر على الكثيرين فتوهموا أن مثل ذلك لا يصح من الله تعالى، وهو العليم الخبير؛ لما يعنيه -في وهمهم- من خشية وصف الله تعالى بالجهل، أو بالتناقض، إذ كيف يأمر بشيء، ثم ينسخه ويلغيه؟!

قال محدثي: إذن فهذا الوهم هو الذي دفع الدكتور قنصوه إلى أن يقول: «كما أن المنطق البسيط ينكر علينا أن نعتقد أن الله يعدل عن حكم إلى آخر، وهو العليم الخبير».

د. مصطفى محمود

قلت: نعم.. ومن هنا يتبين ضرورة أن يملأ الدارس يديه من علوم اللغة، والفقه، والقرآن، والحديث؛ فلو ملأ الدكتور يديه من هذه العلوم لما وقع فريسة هذا الوهم الفتاك.

السنة النبوية بين التطبيق والتدوين

قال محدثي: على فرض التسليم معك بأن الدكتور قنصوه كان فريسة عدم التمكن من علوم القرآن، أو فريسة الوهم الناشيء عن الخطأ غير المقصود فيما ضمنه مقاله، فهل كان ذلك وراء خلطه بين جمع الحديث النبوي، وبين استنباط الأحكام الفقهية منه، أم تراك توافقه على ذلك الخلط؟

ثم واصل حديثه -في حدة-: إن همَّ الدكتور قنصوه أن يتلمس الحجة لموقف الدكتور مصطفى محمود بأية وسيلة، ثم لا

(٧) المائدة / ٩٠-٩١.

يهم ما قد ينشأ عن ذلك، ولذلك لم نجد مانعا لديه من أن يشكك – أن يتقبل التشكيك– فى صحة السنة النبوية، حتى يحقق مقصوده، فلجأ إلى أسلوب الخداع والتلاعب بالألفاظ، فخلط بين جمع الحديث النبوى وبين استنباط الأحكام الفقهية منها، ليوظف موقف الإمام مالك بن أنس مع أبى جعفر المنصور، حين طلب منه أن يصنف كتابه ميسرا موطأ فى الفقه يجمع به المسلمين على رأى واحد. فرفض الإمام مالك ذلك، وليستشهد الدكتور بذلك الموقف المالكى على أن السابقين فى جمع الأحاديث وبيان السنة لم يكونوا على يقين ثابت مما صنعوا. وبالتالى فلا يحق لأحد أن يرفض شك الدكتور مصطفى محمود أو تشكيكه فى بعض الأحاديث النبوية، مستندا إلى ما ظنه تعارضا مع القرآن الكريم.

قلت: مع رفضى هذه الحدة فى الحديث، أقول: لا تنسى أن النية محلها القلب، ولا يطلع عليها غير الله سبحانه، فإذا كنت ترفض مقولة الدكتور –وأنا أوافقك على الرفض– فلا يحق لك أن تصنع صنيع الآخرين فى الوصم بالتهم المطلقة.

إن مالك بن أنس –وليس أنس بن مالك كما جاء فى مقال الدكتور– ما رفض جمع الأحاديث النبوية، وإنما رفض أن يجمع الناس على ما استنبطه هو من أحكام فقهية استمدها من القرآن الكريم والحديث النبوى.. وهو ما رفض مطلب المنصور إلا لأنه وغيره من الأئمة كانوا على يقين ثابت أن قدرات البشر تتباين فيما تستنبطه من الأحكام، بل إن رؤية الواحد اليوم قد تختلف عن رؤيته فى الغد أو فى مكان آخر، فلا يصح أن يجمع الناس على رؤية واحدة. هذا فى شأن الأحكام المستنبطة.

أما فى شأن الحديث النبوى فإن من نهضوا لجمعه كانوا خاضعين لقواعد مخصوصة استصحبوها فى أثناء التنقل وراء الرواة، ولذلك التزموا بنسبة كل حديث إلى راويه ليبرئوا ذمتهم، وليوفروا للآخرين فرصة التنقيب وراءهم والتحقيق من صدقهم، وسلامة نطقهم، وصحة إدراكهم، وقوة حفظهم.. إلى غير ذلك من الشروط التى فرضوها فى قبول الرواية، حتى لقد ابتكرت علوم تمكن الباحثين من ذلك، مثل علوم الجرح والتعديل التى تبحث فى تاريخ كل رجل من رواة الحديث، وتضعه تحت منظار مكبر، تكشف من خلاله حقيقته وسجاياه، لكى يطمئنوا إلى صحة ما يروونه منسوبا إلى رسول الله ﷺ.

وهذا يعنى أن الدكتور قنصوه أخطأه الصواب حين جمع بين النشاطين عليهما معا عدم تيقنهم من ثبات ما قدموه، بينما الذين لم يكونوا متيقنين مما قدموه هم الفقهاء. أما علماء الحديث وجامعوه فلم يكونوا كذلك –على إطلاقه– خصوصا أئمة الحديث من أمثال مالك، وابن حنبل، والبخارى، ومسلم، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، فقد بذلوا أقصى جهدهم فى التعرف على سلسلة الرواة الذين نسب إليهم كل حديث، مع ذكر القواعد العلمية التى التزموها فى نقد كل راو على حدة، مخلفين وراءهم ما حصلوه من الأحاديث، فاتحين بذلك باب النقد واسعا أمام كل من يملك قدرة النقد على كل المستويات

النقــدية، من نقــد الرجــال -بجــرحـــهم أو تعـديلهـم- ونقـد النصـوص، بمقـابلـتـها بـالنص القرآنى، وبما قد يوافق أو يعارض مما ينسب إلى رسول الله ﷺ.

ومع كل ذلك، فعلى التسليم بجواز أن يقع أحد المجتهدين فى الخطأ، فيأخذ الحديث من طريق معيب، فليس فى مقدور أى شخص أن يصدر فى صحة الحديث حكمه بحجة أنه مسلم حسن الإسلام، أو أنه طبيب ناجح، أو اقتصادى بارع، أو سياسى محنك، وإنما لذلك الدور رجاله المتخصصون الذين يتقنون نقد الكلام، والتعرف على صحيحه من مكذوبه أو ملفقه، بحيث يستطيع أن يعيد النظر فيما رواه هؤلاء الأئمة الذين أخلصوا أنفسهم للتنقيب وراء الصحيح من حديثه ﷺ، سواء كان ذلك الناظر دكتورا أو غير دكتور، حتى لو كان هذا الدكتور هو مصطفى محمود، أو صلاح قنصوه.

أى إنه على من يتصدى اليوم -أو أمس أو غدا- لنقد الحديث النبوى أن يملأ يديه من العلوم المؤهلة لنقد الحديث؛ فالنقد فى هذا الميدان شأنه شأن النقد فى الميادين الأخرى -من علوم طبية، واجتماعية، وفلسفية، وسياسية، واقتصادية -يتطلب من الناقد أن يملأ يديه من العلوم المؤهلة لنقد ما يتوجه لنقده.

الخلط بين عالم الدين ورجل الدين

قال محدثى: إن ما دفعنى إلى ما لاحظته علىَّ من الحدة هو علمى أن مثل الدكتور قنصوه مسئول عن كل ما يصدر منه؛ فأنا متفق معك تماما فى ترك نوايا البشر وما تكنه ضمائرهم لخالق الجميع، فهو وحده الذى يعلم ذلك، كما أننى وأنت لا نوافق بعض المتعجلين فى إصدار الأحكام على الآخرين بالكفر أو الإلحاد أو غير ذلك من النعوت.

ولكن ألست معى فى أن ما يصدر عن هؤلاء من نعوت الكفر والإلحاد يضارعه تماما ذلك الذى يصدر عن الآخرين مثل الدكتور قنصوه ومحدثه من أحكام ونعوت لعلماء الأزهر المتخصصين حين يؤدون دورهم الذى أناطته بهم الدولة فى نطاق الدستور الذى ينص على أن دين الدولة هو الإسلام، وأن شريعة الإسلام هى مصدر القوانين، حيث يضيق بعض الناس -على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم- بسماع صوت الإسلام أو حكمه فى أى أمر من الأمور العارضة، اذكر نحو قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٨).

قلت: يا أخى أنا متفق معك تماما فى ذلك، خصوصا أن أحكام هؤلاء المتصدين لعلماء الأزهر، لا تقوم على سند من الحقيقة ولا من الواقع، فهم حين يتصدون لعلماء الأزهر يجمعون كل من انتسب إلى الأزهر فى حزمة واحدة، ثم يصدرون عليها حكمهم بأنهم يماثلون رجال الكنيسة فى العصور الوسطى، بما

(٨). الزمر / ٤٥.

كان لهم من دور غاشم يقبضون به على شتى مناحى الحياة فى البلاد، حتى الملوك والأباطرة.

١- مغمضين أعينهم أولا عن أن علماء الأزهر ليسوا كلهم على مستوى واحد من العلم؛ فهم درجات فى تمكنهم العلمى، كالشأن فى غيرهم من دارسى فروع العلم المختلفة، إذ ليس جميع من تخرجوا فى كلية الطب على مستوى واحد، ولا مستوى متقارب، وكذلك دارسوا التجارة، والهندسة، والصيدلة.. إلخ؛ فمنهم من يقف عند حدود السطح، ومنهم من يتعمق بعض الشيء، ومنهم من يصل به التعمق العلمى إلى درجة التخصص الدقيق، فيصبح مؤهلا لأن يرجع إليه عند الحاجة إلى بيان أو فتوى... ومن هنا نراهم يسارعون إلى رفض السعى لمعرفة رأى الإسلام فى أمر ما، بحجة أن من بين خريجى الأزهر من يكفرون الآخرين، ويحاسبونهم على نواياهم؛ فكانوا مثل ذلك الرجل الساذج الذى أضير من خطأ طبيب ممارس، فانطلق يصب لعناته على كل من ينتسب إلى مهنة الطب، ويحذر الناس من الرجوع إلى طبيب.

٢- ومغمضين أعينهم -ثانيا- عن أن مجمع البحوث الإسلامية ليس مقصوراً على النخبة من علماء الأزهر، ولكنه مكون من متخصصين من العلماء فى شتى وجوه المعرفة: من طب، وهندسة، واقتصاد، وفلسفة، واجتماع، وقانون، إلى جانب جمع من علماء الإسلام على اختلاف انتماءاتهم، وليس من الأزهر وحده كما يوضح ذلك قانون الأزهر ومؤسساته وكما يقرره الواقع الماثل. وما كان على الدكتور قنصوة ومحدثه إلا أن يرجع إلى تلك المصادر ليعرف الحقيقة.

٣- ومغمضين أعينهم -ثالثا- عن الفرق بين الفتوى، والحكم القاضى، والفعل النافذ، حيث خلطوا بين هذه كلها عندما يستفتى مجمع البحوث، أو غيره من المتخصصين فى علوم الدين؛ فما يقبلونه فى ميدان الطب مثلا عندما تثور الشبهات أو الشكوك فى مصاب المريض، فيلجأون إلى جمع من نطس الأطباء ليقوموا بفحص المريض، ثم يدلى كل واحد بدلوه، ليصلوا إلى رأى قريب من الصواب.

فما يقبلونه فى هذه الميادين يرفضونه فى ميدان علوم الدين، بل يخيل لهم الوهم أن تلك الفتوى فى العلوم الدينية تعنى وصاية من نستفتيهم، أو تعنى العود إلى استبداد رجال الكهنوت الذى سيطر على أوروبا جميعها فى العصور الوسطى.

وهنا قاطعنى محدثى قائلا: وبم تنعت ذلك منهم؟

قلت: هى الغفلة أو الوهم، أو التقصير فى البحث والنظر.. من كل ما يحتاج منا إلى التبصير والتبيان الكاشف، والدعاء الخالص أن يبصرنا الله ويبصرهم بالحق، ويهدينا ويهديهم سواء السبيل.

كارل بروكلمان وبحوثه عن الإسلام

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

ينقسم العرب حين يتحدثون عن المستشرقين عادة ثلاثة أقسام: قسم واضح فى عداوته للمستشرقين والحط من قدرهم والإزراء بما أنتجوا من مؤلفات تتصل بتراث المسلمين. وقسم ثان فخور بهم يثنى خيرا على ما أسدوه من خدمات، ويدافع عنهم بحماسة واضحة. وقسم ثالث يصطنع لنفسه الموضوعية والحياد. فهو معهم ما أحسنوا، وهو ضدهم إذا بدا لهم منهم ما يريبه.

ولست أشك فى أن أسباب كل موقف من هذه المواقف الثلاثة أسباب انفعالية عاطفية، حتى الفريق الثالث الذى يريد أن يوحى لنا بأنه متعقل يزن الأمور بميزان العدل والحيدة، ليس فى نظرنا سوى إنسان يريد أن يحاكم إنتاج الآخرين على حسب ما يراه هو صوابا أو خطأ. ثم إن هذا الفريق الثالث يمثل فى رأينا نوعا من التميع والضبابية ورمادية الرؤية وامعية الفكر. وإنما الموقف الصحيح فى رأينا أن يكون للمسلم موقف صارم حازم حاسم واضح: إما معهم أو عليهم. أن نقبل كل ما يكتبون، أو نشك فى كل ما يكتبون ونعلوه بمعاول النقد العلمى الصريح الذى لا مداراة فيه.

وممن دافعوا عن المستشرقين بحماس، وإذا أشاروا إلى تعصبهم أشاروا إشارة هينة لينة، المؤرخ الراحل الدكتور حسين مؤنس وفيما يلى نقتبس فقرة تعكس النموذج الذى يمثله موقفه من المستشرقين، يقول د. حسين مؤنس: [مجلة العربى الكويتية، العدد ٦٦، مايو ١٩٦٤] «فمنذ زمن بعيد ونفر ممن لا يقرأون الكتب الغربية فى لغاتها يصرون على أن كل ما كتبه المستشرقون عنا تحامل وعصبية، حتى ثبت فى أذهان بعض قرائهم أن كل مستشرق عدو.

وهذه فكرة خاطئة، فإن الكثيرين جدا من المستشرقين منصفون، وقد قالوا الحق كما تصوروه.

حقيقة هناك ناس متحاملون من أمثال لويس استبرنجر وهنرى لامانس والأب زويمر ومن إليهم، ولكن إلى جانب هؤلاء هناك علماء أجلاء لا يستطيع الإنسان إلا تقديرهم واحترامهم، وإذا وجد المسلم فى كتاباتهم ما لا يرضيه فليس من الضرورى أن يكون ذلك صادراً عن سوء نية، بل هذا هو الحق كما رآه، وما دام قد صدر فيما يكتبه عن إخلاص فنحن نحترم رأيه وإن لم يرضنا».

فانظر إلى الدكتور مؤنس كيف يهون من شأن مغالطاتهم ويصفها بأنها «قد لا ترضينا» ثم يستأنف إشادته بهم فيقول: «ولا ننسى كذلك أن أولئك المستشرقين خدموا لغتنا وعلومنا خدمات جليلة، ويكفى أننا تعلمنا منهم تحقيق النصوص ونشرها، وطريقة البحث العلمى الصحيح على أساس

من النصوص، ومهما كان فى آرائهم مما لا يرضينا فهى آراء لا تنقص من قيمة الخدمة التى قاموا ويقومون بها ».

وإذا أمعنا فى البحث عن رأى الدكتور مؤنس فى كارل بروكلمان شخصيا بوصفه واحدا من أهم المستشرقين الذين لقيت أعمالهم رواجا عظيما بين المثقفين العرب على اختلاف مشاربهم، وجدنا له مقالا كاملا اختص به كارل بروكلمان ونشره فى مجلة العربى الكويتية أيضا (العدد ١٣٩ الصادر فى يونيو ١٩٧٠) وقد قدم لهذا المقال على مدى صفحتين موجزا رؤيته التى أشرنا إليها من المستشرقين بعامة. ثم انتقل إلى الحديث عن بروكلمان وموقعه بين المستشرقين فقال:

« وفى مقدمة أولئك الأفذاذ الذين قدموا للدراسات العربية فى العالم أجل الخدمات كارل بروكلمان Carl Brocklman الذى أكمل سلسلة معاجم أسماء الكتب والمؤلفين العرب وتراجم حياتهم وأهم مؤلفاتهم. لقد اشترك فى كتابة هذه السلسلة أعلام من أمثال ابن خلكان وياقوت الحموى وابن النديم وحاجى خليفة، ثم جاء هذا الألمانى الفريد فأربى على كل ما فعله غيره، فإن أولئك الذين ذكرناهم آنفا كتبوا عن أهم « المؤلفين والمؤلفات »، فجاء بروكلمان وكتب عن « كل » المؤلفين والمؤلفات، أى أنه عمد إلى الاستيفاء والشمول، وهذا هو المطلب العسير، لأنك إذا قلت إنك ستذكر « أهم » المؤلفين فتحت لنفسك بابا واسعا للاعتذار عن النسيان وتبرير السهو، أما إذا قلت « كل » المؤلفين فقد ألزمت نفسك بالإحصاء الشامل وأقفلت على نفسك باب الاعتذار والتبرير ».

وبعد أن لخص الدكتور مؤنس لقارئه حياة بروكلمان انتقل للحديث عن كتابه الخطير (تاريخ الآداب العربية) فأوسعه إشادة وتقريظا وحمدا ومدحا. ولم يبد أية ملاحظة تغض من قدر الكتاب على رغم ما فيه من مطاعن اتضحت فيما بعد للدارسين المنصفين.

على أن حديثنا فى السطور القادمة لن يتجه إلى كتاب بروكلمان الضخم (تاريخ الآداب العربية) وإنما سنخصصه لكتاب آخر لا يقل خطرا عن تاريخ الأدب العربى وهو كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) وهو كتاب شديد الخطر حقا، لأسباب كثيرة منها ما يمثله مؤلفه من مكانة مرموقة كما أشرنا آنفا، ومنها ضخامة حجم هذا الكتاب فطبعته العربية التى بين يدى الآن تقع فى نحو تسعمائة (٩٠٠) صفحة وهى الطبعة الثانية عشرة منذ الطبعة الأولى التى صدرت عام ١٩٤٨. وقد نقله إلى العربية الأستاذان نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكى ونشرته دار العلم للملايين (البيروتية).

وقد أشار المترجمان فى مقدمة الطبعة الأولى إلى ما يمثله الكتاب من أهمية متجها نهج د. مؤنس فى رفع شأن الكتاب وصاحبه، ثم قالا وهما يهونان من شأن دسائس بروكلمان بأسلوب فيه لين واسترخاء:

« وإذا كان فى الكتاب بضعة آراء [لاحظ استخدام : بضعة] خاصة بالمؤلف تتنافى أحيانا [لاحظ استعمال : أحيانا] مع وجهة النظر الإسلامية، فقد عهدنا بالتعليق عليها إلى زميلنا الدكتور عمر فروخ أستاذ الفلسفة فى كلية المقاصد الإسلامية فى بيروت.. ولسنا فى حاجة إلى القول إن هذا لا يفيد، بالضرورة، موافقتنا المؤلف على آرائه الباقية جميعا. لأننا لم نستهدف بالتعليق إلا تلك الآراء التى تتصل بحياة الرسول ﷺ وتعاليم الإسلام ».

وقد ظن المعربان الفاضلان أنهما بهذا النص الهين اللين قد ضمنا براءة ساحتهما من موافقة المؤلف إذا جد الجد، ووضح أن المؤلف يدس السم فى الدسم، كما أنهما أوضحا أن اهتمامهما بأمر المراجعة التى وكلاها إلى الدكتور عمر فروخ، قد انصب على حياة الرسول ﷺ وتعاليم الإسلام.

والواقع أن فى الكتاب مآخذ شديدة الخطر، لا نزعم أن الدكتور عمر فروخ لم يلتفت إليها، ولكن بقاءها فى الكتاب إلى اليوم على حالها دون تعليق، أمر يستثير حفيظة كل مسلم غيور، من الباحثين المدققين.

وفيما يلى سنذكر مجرد نماذج مما نرى أنه مطاعن لا يسوغ السكوت أمامها. فقد يؤخذ بها أشباه الباحثين من الأجيال الجديدة من طلاب العلم ويتقبلونها على علاتها دون تمحيص لا لشىء إلا لأنها صادرة عن (طوطم) كبير اسمه : كارل بروكلمان.

– التشكيك فى المكانة الاجتماعية للهاشميين :

من المسلم به بين المؤرخين –عربا وعجما– أن زعامة قريش قبيل البعثة المحمدية كانت لبنى هاشم بعد محاكمة شهيرة قضى فيها كاهن خزاعى لهاشم [واسمه عمرو العلاء] بسدانة الكعبة بعد أن نازعه إياها أمية بن عبد شمس ابن أخى هاشم الذى خرج إلى بلاد الشام ثم لابنه عبدالمطلب من بعده، ولا يخفى على أحد أن تلك المهمة كانت هى موئل الشرف، وسر الزعامة التى انعقدت للهاشميين.

تلك حقائق لا ينكرها إلا من كان فى قلبه مرض أو فى نفسه غرض، فما موقف بروكلمان من تلك الحقيقة التاريخية؟

إنه يقول فى كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) (ص ٣٤) : « وليس يبدو أن عشيرة، هاشم، قد لعبت دوراً على شىء من الامتياز فى مكة » وهل هناك امتياز فى عرف العرب، أيها المستشرق المنصف!! أكبر من سدانة الكعبة؟.

وقد قال بروكلمان كلمته تلك فى سياق فقرة طويلة شكك فيها فى كل شىء : فى تاريخ ميلاد النبى ﷺ حيث رجح تأخره عما هو معروف لدى المؤرخين من أن مولده الشريف كان نحو عام ٥٧٠ من ميلاد المسيح عليه السلام. متبعاً فى ذلك سنن الأب هنرى لامنس المعروف بتعصبه وقد رد عليه العلامة عمر فروخ فى تعليقه على هذه النقطة فقال :

« كانت ولادة محمد رسول الله عام ٥٧٠ – ٥٧١ للميلاد على وجه التقريب ولكن لم تكن بعد ذلك بزمن طويل. والأب هنرى لامنس اليسوعى قد حاول أن يؤخر ذلك عشر سنوات حتى ينقض القول الشرعى الذى يقول إن محمدا بعث على رأس الأربعين من عمره ويخرج إلى القول إنه ما دام الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين ومحمد قد صدع بالدعوة على رأس الثلاثين فمحمد ليس نبيا. ولامنس غير ثقة فى البحوث الإسلامية لأن غايته الدس لا البحث عن الحقيقة. ويلام بروكلمان على الأخذ برأى لامنس، فلامنس معروف فى أوربا بهذه النزعة ».

كما شكك فى الحالة المالية لعبد الله بن عبدالمطلب وفى حالة أسرته بوجه عام دون أن يسوق على ذلك دليلا واحد، وفيما يلى نص فقرته:

« لسنا نعلم علم اليقين السنة التى ولد فيها النبى، والمشهور أن ولادته كانت حوالى ٥٧٠، ولكن الذى لاشك فيه أنها متأخرة عن ذلك بعض الشيء، وليس يبدو أن عشيرته هاشم، قد لعبت دورا على شيء من الامتياز فى مكة. والواقع أن الروايات الإسلامية قد سعت إلى أن تحيط النبى بهالة من التمجيد منذ اللحظة الأولى، ولكن هذا لا ينفى حقيقة مقررة. وهى أن أسرته كانت تعانى فى الحقبة التى ولد فيها ظروفا قاسية جدا. والمعتقد أن والده عبدالله بن عبدالمطلب كان تاجرا صغيرا ».

تزويـــر التاريـــخ

وفى حديثه عن غزوة تبوك يتعمد بروكلمان تزوير التاريخ فيقول فى سفه ظاهر: « ولم يقدر لمحمد نفسه أن يخوض غمرات القتال من جديد إلا مرة واحد. وذلك بأن الهزيمة التى أنزلها البيزنطيون بجيوشه، فى مؤتة، ظلت على كل حال بلا ثأر. ومن هنا أمر أصحابه، فى أشد أيام الصيف قيظا من سنة ٦٣٠، بأن يحملوا على البيزنطيين. ولسنا نعرف على اليقين ما الذى دعاه إلى انتهاج هذه السبيل فى ذلك الوقت بالذات. فقد يكون قصد إلى أن يشغل أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون فى حال من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين. ولعله كان يرجو إخضاع ما بقى من نصارى العرب، الذين كانت بيزنطة من ورائهم، تمدهم وتساندهم. ثم إنه خرج بجيش عظيم يبلغ عدد رجاله ثلاثين ألفا ووجهته الشمال، حتى إذا بلغ تبوك، وهى واحة تزهو بما ينبت فيها من حنطة ونخيل، قرب الحدود البيزنطية، توقف بعد أن نال منه الجهد، واستشعر وطأة السن العالية، ولعله اقتنع بأن خطته للهجوم على الروم أمست غير ذات غناء. وهناك جاءه صاحب « أيلة » (العقبة اليوم) عند الطرف الشمالى الشرقى، من جانب البحر الأحمر الأيمن، وكان نصرانيا، فأقسم له يمين الطاعة، فمنح الرسول نصارى تلك المنطقة حرية العبادة أيضا مقابل تعهدهم بأداء الجزية ».

وفى النص السابق عدة مغالطات سخيفة:

أ- فقد خاض رسول الله ﷺ بنفسه غمرات القتال مرات عديدة. وليس مرة واحدة.

ب- وقوله: «ولسنا نعرف على وجه اليقين ما الذى دعاه إلى انتهاج هذه السبيل» -يعنى بذلك مسيرته إلى تبوك- فلا يخفى عليه، وهو المتخصص فى تاريخ العرب، أن أنباء كثيرة وصلت إلى المدينة بأن البيزنطيين يحشدون الحشود لغزو المسلمين فى المدينة. فكان لابد من الخروج لمقابلتهم على حدود الجزيرة الشمالية. وهو ما أجمع عليه مؤرخو السيرة فكيف جهله بروكلمان؟ أم تراه تجاهله عمدا ليظهر البيزنطيين كما لو كانوا ضحايا لغزو خارجى؟

جـ- وقوله «أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون فى حال من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين» فيه مغالطة تاريخية كبيرة فبعد أن اجتمع الرسول ﷺ بالأنصار فخطب فيهم خطبته الشهيرة التى ورد فيها رضاهم برسول الله ﷺ بدلا من الغنائم ارتاحت نفوسهم واقتنعوا بما قسم الله لهم من الغنائم، حتى لقد بكوا وتأثروا وكادوا ينزلون عما نالوه إرضاء للرسول ﷺ.

د- وقوله «توقف بعد أن نال منه الجهد واستشعر وطأة السن العالية» هذه العبارة وما بعدها فيها إساءة بالغة متعمدة، فالرسول ﷺ لم يتوقف لما ناله من مشقة ولا لكبر السن، وإنما توقف لأن أخباره كانت قد وصلت إلى الروم قبل أن تصل جيوشه إلى تبوك كما بلغت الروم أخبار انتصاراته فى معظم معاركه فى جزيرة العرب. فأدركوا الخطر وآثروا الانسحاب من مواقفهم واعتصموا بحصونهم. فتوقف الجيش عن مسيرته وأقاموا فى تبوك وبدأت قبائل النصارى تأتى لرسول الله ﷺ فتعقد معاهدات السلام والجزية.

كل ماسبق كما قلنا فى المقدمة، مجرد نماذج لما فى هذا الكتاب الخطير من مزالق تحتاج إلى جهود مكثفة من علماء المسلمين لتجليتها بالحق، هذا من جهة، وتحتاج من دار النشر التى نشرت اثنتى عشرة طبعة من هذا الكتاب من سنة ١٩٤٨ إلى اليوم إلى أن تنشر طبعة محققة معلقا عليها تعليقات وافية كافية شافية. هذا وبالله التوفيق.

مراجع المقال:

١- د. حسين مؤنس، مقال بمجلة العربى الكويتية، العدد ٦٦، مايو ١٩٤٦.

٢- د. حسين مؤنس، مقال بمجلة العربى الكويتية العدد ١٣٩ الصادر فى يونيو ١٩٧٠.

٣- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط ١٢، بيروت، دار العلم للملايين.

٤- د. مصطفى رجب، فيض المنان فى علوم القرآن، ط١، القاهرة: المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠م.

٥- هاشم معروف الحسنى، سيرة المصطفى، بيروت: دار المعارف للمطبوعات، ١٩٩٦م.

فى نقد سيرة ابن إسحاق/ابن هشام

رد على الدكتور إبراهيم عوضين

للدكتور/ محمود على مراد

يقرر الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين فى مقاله الصادر بعدد جمادى الأولى ١٤٢٢ من هذه المجلة الغراء أننى أردت برسالة الدكتوراه التى قدمتها إلى جامعة السوربون بفرنسا فى تحليل ونقد نص الفترة المكية من سيرة ابن إسحاق/ ابن هشام، أن أهدم السيرة النبوية.

وهو يورد فى الوقت ذاته ما ذكرته فى رسالتى من أن نص ابن إسحاق يصور الرسول ﷺ من البداية إلى النهاية، على أنه رجل ليس ذا حيثية.

ولو فكر الدكتور قليلاً لوجد أن من يتهم كاتباً بأنه غض من قدر الرسول ﷺ لا يمكن أن يكون غرضه الإساءة إلى نبى الإسلام أو هدم سيرته.

خلـــط أساســى

وواضح من عبارة د. عوضين أنه يطابق فى قوله هذا بين سيرة ابن إسحاق وبين السيرة النبوية، فسيرة ابن إسحاق عنده هى السيرة النبوية، والسيرة النبوية هى سيرة ابن إسحاق. ولكن هذه المطابقة فى غير محلها، وذلك للأسباب الآتية:

١- لاختلاف الشيئين فى الطبيعة، فالسيرة النبوية حدث تاريخى وموضوع، أما سيرة ابن إسحاق، فكتاب كُتِبَ عن هذا الموضوع.

٢- هناك أكثر من ألف كتاب ألفها كُتَّاب مسلمون وغير مسلمين، بالعربية وبلغات أخرى، عن حياة الرسول - ﷺ - ولم يدّع أحد أن أحدها، أو أن سيرة ابن إسحاق، هى السيرة النبوية.

(*) ورد إلى المجلة من الدكتور محمود على مراد مقالان للرد على الدكتور إبراهيم عوضين، وسوف ننشرهما تباعًا إيمانًا بحرية الكلمة.

٣- الدكتور ذاته يقول: إنه لا يدفع عن ابن إسحاق احتمال الخطأ ويقر بأن كل جهد بشرى يحتمل الخطأ والصواب. وقد ضرب الدكتور إبراهيم عوض، صاحب كتاب «إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية» الذى أشار إليه د. عوضين، أكثر من مثل على أخطاء ابن إسحاق، ولو كانت سيرة ابن إسحاق هى السيرة النبوية لما تحدثا عن خطأ أو أخطاء فيها.

٤- الذين كتبوا فى السيرة النبوية على مرّ القرون، لم يأخذوا كل ما جاء فى سيرة ابن إسحاق قضية مسلمة، وكثير منهم لم يستقوا منها فى كتبهم سوى عنصر واحد هو السرد التاريخى، أما العنصران الآخران، أى الشعر وشرح الاقتباسات القرآنية، فقد أغفلوها أو أغفلوا جانباً صغيراً أو كبيراً منهما.

٥- حتى بالنسبة لعنصر السرد التاريخى، لا يكاد يكون هناك كاتب واحد للسيرة آخذ بكل ما قاله ابن إسحاق.

٦- ابن هشام، الذى راجع هذه السيرة، والذى تحمل السيرة اسمه، أعمل فيها يد الحذف والتصحيح، كما ذكر فى تقديمه لها.

٧- هذه السيرة، وإن لم يُفْرَد لنقدها كتاب واحد حتى الآن، سواء فى العالم الإسلامى، أو فى الغرب، لم تخل من نقد، سواء بأقلام المستشرقين أو بأقلام الكُتَّاب العرب والمسلمين.

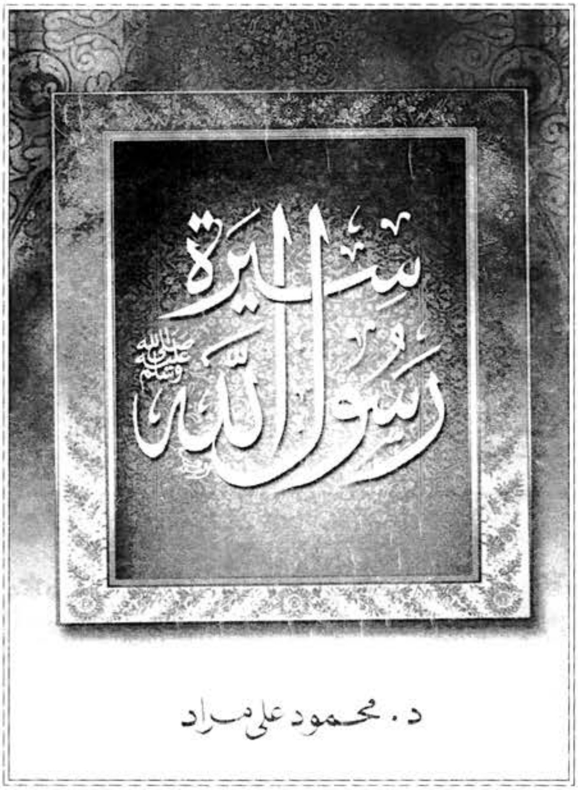

أنا والمستشرقين

يزعم الأستاذ الدكتور أن من يتحينون الفرص للانقضاض على الإسلام، والانتقاص منه ومن رسوله محمد ﷺ أغرونى بنقد سيرة ابن إسحاق، وأن رسالتى هى الثمن الذى قدمته لاستحقاق درجة الدكتوراه، حتى يخلو الجو لى ولأساتذتى المستشرقين كى نصطنع السيرة التى نرضاها والتى تحقق لنا المراد من مسخ الحقائق وتزييف الواقع لنشين الإسلام ونشوه صورة رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه.

وهذا كلام خطير، وكان بودى أن أرد على هذه الاتهامات التى تمسنى وتمس الأستاذ الذى أشرف على رسالتى، ولكننى أجد نفسى أمام حكم بالإدانة بلا حيثيات.

لذلك فإنى أناشد الدكتور عوضين، وأناشده بإلحاح، لكى أتمكن من الرد عليه، أن يكتب مقالاً أو مقالين أو أكثر يعقد فيها مقارنات بين ما كتبه هؤلاء المستشرقون أعداء الإسلام، وبين الاستنتاجات التى وردت فى رسالتى، ليثبت أنى صنيعة لهم، أو أننى جزء من مخططهم للكيد للإسلام، أو أننى متأثر بأفكارهم.

وإلى أن يثبت الدكتور ذلك بالحجة والبرهان، فإنى أود أن أوضح أن أعداء الإسلام من المستشرقين يعتمدون فى هجومهم على الرسول ﷺ على ما ورد بشأنه فى المصادر الإسلامية، وفى مقدمتها سيرة ابن إسحاق، وأنهم، شأنهم فى ذلك شأن المستشرقين الذين لا يعادون الإسلام، وشأن كُتَّاب السيرة المسلمين، وهم لا يشككون فى صدق هذه المصادر إلا بالقدر الذى بينته فى الصفحتين ٦ و ٧ من كتابى، وإن كانوا يؤولون ما فيهما من أخبار تأويلاً ينال من اعتبار الرسول ﷺ وقد أشرت إلى ذلك فى مقال لى عن سيرة ابن إسحاق فى عدد يناير ١٩٩٨ من مجلة الهلال، استشهدت فيه بما ذكره المستشرق الانجليزى نورمان دانييل فى كتابه بعنوان «الإسلام والغرب» من أن المواد التى تتضمنها مصادر السيرة الأولى، ومنها سيرة ابن هشام، استخدمت، كما هى أو بعد تحويرها، لإعطاء صورة ممسوخة عن محمد ودينه.

لذلك فإن من يهدم سيرة ابن إسحاق لا يمكن أن يكون من أعوان خصوم محمد ﷺ أو من عملاءهم، إذ أنه بهذا التشكيك يسحب البساط من تحت أقدامهم، كما تقول العبارة الفرنسية، ويحرمهم من الأساس الذى بنوا عليه مطاعنهم، وهو يقف حيالهم، من ثم، فى موقف العدو لا فى موقف الصديق أو الحليف.

أهم ما فى الرسالة

أهم شيء فى رسالتى هو ما ذكرته تحت رقم (١) من محصلتها العامة، وما قلت فيه، مع الاختصار[1]:

« سيرة رسول الله لابن اسحاق / ابن هشام » على الرغم من عنوانها ومن قصد مؤلفها المعلن، ليست فى جزئها المكى، سيرة للرسول ﷺ وذلك للأسباب الآتية:

أ- هى لم تخصص للقرآن الكريم مكاناً مركزياً فى وصف حياة الرسول - ﷺ.

ب- الرسول ﷺ لا يظهر فى هذه السيرة وهو يتحدث أو يدعو الناس إلى دينه.

جـ- هذه السيرة لا تصور الرسول بأبعاده

(١) كتابى بعنوان «سيرة رسول الله ﷺ (لابن إسحاق/ ابن هشام) الفترة المكية، دار الهلال: ص ٥٠١».

الحقيقية، «لقد أصبح الرسول ﷺ بفضل القرآن الكريم، أهم وأبرز شخصية فى مكة وفى بلاد العرب كلها، وكانت عظمته تكبر وتزداد بتوالى نزول السور، وباتساع دائرة تابعيه. ومع ذلك فإن النص يصوره، من البداية إلى النهاية على أنه رجل ليس ذا حيثية».

وكان المنتظر ممن تولى عرض مادة كتابى أن يفرد لهذا الرأى فى عرضه مكاناً يتفق وأهميته، ولكن الأستاذ الناقد اكتفى بنقل جملته الأخيرة.

وكان المنتظر أيضاً ممن يتهمنى بتشويه صورة الرسول أن يضع إصبعه على مكان هذا التشويه فيما ذكرته فى هذه المحصلة أو فى غيرها.. ولكنه لم يفعل. وأهم من هذه النقطة الأساسية، فى رأيه، نقطة فرعية وردت تحت رقم(٢) من محصلتى العامة قلت فيها: إن سيرة ابن إسحاق، فى جزئها المكى، إنما هى فى واقع الأمر، كتاب دعاية، كُتِبَ تمجيداً لبنى هاشم، قبيلة الخليفة العباسى وقتها.

ولم يقف الدكتور عند هذه النقطة ليجادلنى فى الأسباب التى استندت إليها بشأنها، والتى فصلتها فى بحثى طولاً وعرضاً، ولكن ليقرر، تحت عنوان «ويمكرون ويمكر الله» أننى لو تجردت من الغرض الشخصى والاستسلام الخانع لما ادعاه أحد المستشرقين ـ وهو، بالمناسبة، مستشرق لم أقرأ له شيئاً ولا أوردته فى قائمة مراجعى ـ لما اتهمت ابن إسحاق بممالأة العباسيين، وليقرر أننى تعمدت تجاهل كتابات عروة بن الزبير، ومحمد شهاب الزهرى، وابن حزم الظاهرى، الذين قالوا ما قاله ابن إسحاق ولا يمكن اتهامهم بممالأة العباسيين، لأجعل من ابن إسحاق كبش الفداء الذى أحقق بذبحه ما قصدت إليه ابتداء من نسف السيرة النبوية.. (وهذه ملحوظات سأناقشها فى مقال لاحق بإذن الله).

قلة حديث الفترة المكية

ينتقل الدكتور عوضين، فى عرض كتابى، من آخره.. أى المبحث الذى خصصته للمحصلة العامة.. إلى أوله، أى «التمهيد»، الذى شرحت فيه السمات الغريبة التى لاحظتها فى كتب السيرة الحديثة، والتى وجدت أنها ترجع إلى سيرة ابن إسحاق. وكان من هذه السمات، قلة مادة الفترة المكية، التى لا يمثل عدد صفحاتها، فى سيرة ابن إسحاق إلا خُمس عدد صفحات الجزء المخصص للفترة المدنية.

ويعلق الدكتور على ملاحظتى فى هذا الشأن، تحت عنوان: «بين الكم والكيف»، فى مقاله، بأن عدد الصفحات لم يكن ـ ولن يكون ـ معيار الصدق والكذب، ولا دليل الصواب والخطأ، ولا مناط الإنصاف وعدم الإنصاف، وأن المهم هو أن نوازن بين ما تضمنته المرحلتان من أحداث تتعلق بالرسول ﷺ وأن المرحلة المكية كانت مرحلة الميلاد والنشأة والمبعث والدعوة إلى الإسلام، والأحداث التى واكبت ذلك، بينما كانت

المرحلة المدنية مرحلة الانتشار الشامل والمواجهة العامة، وأن اهتمام الرواة بالنشأة دائماً أقل بكثير من اهتمامهم بما يلى النشأة من أحداث متشابكة.

وليسمح لى الدكتور بمخالفته فى هذا الرأى، وذلك للأسباب الآتية:

١- أهم أحداث الفترتين فى حياة الرسول ﷺ ليس شيئاً مما يذكره الدكتور، وإنما هو نزول سور القرآن الكريم. وإذا كان ما نزل من هذه السور فى الفترة المكية يتراوح ـ حسب التقديرات ـ بين ضعف وثلاثة أمثال ما نزل فى الفترة المدنية، فإن هذا المعيار هو الذى ينبغى الركون إليه، فى نظرى، لتحديد أهمية كل فترة من الفترتين بالنسبة للأخرى، علماً بأن الفترة المكية كانت أيضاً أطول ـ زمنياً ـ من الفترة المدنية بثلاث سنوات.

٢- كان القرآن الكريم، فى واقع الأمر، حدث الأحداث فى مكة، وكان كما قلت فى كتابى: «أشبه بزلزال مستمر هز كل الأسس التى كان يقوم عليها المجتمع المكى، سواء فى ذلك الأساس العقائدى، أى ديانة الجاهلية، بآلهتها، وأوثانها، وخرافاتها، وكهنتها.. أو الأساس الاقتصادى، لخشية قريش أن يترتب على انهيار هذه الديانة إهدار لمركز مكة باعتبارها مقصد الحجاج، والمعتمرين، وضياع المكاسب المادية والتجارية والمعنوية التى كانت تعود على قريش من ذلك، أو الأساس الاجتماعى.. لأن مبادىء الإسلام تضعف انتماء من يعتنقه إلى قبيلته، وتحد من سلطانها عليه، وتخلق إخوة تعلو على إخوة القبيلة، هى الإخوة فى الله والإسلام».

٣- كان نزول القرآن الكريم أهم أحداث مكة على مستوى الأفراد أيضاً، لأن آياته كانت تضع كل من تبلغه أمام خيار صعب لا مهرب منه: الإيمان بدين محمد ﷺ والتعرض لما يترتب على ذلك من مخاطر إزاء القبيلة، مقابل دخول الجنة بعد الموت، أو الكفر بهذا الدين، والحرص على السلامة فى الدنيا، والتعرض لدخول النار فى الآخرة.

والحاصل أن سيرة ابن إسحاق لم تقل شيئاً عن تأثير القرآن فى أسس المجتمع أو فى حياة الأفراد فى مكة.

٤- أهم الأحداث فى حياة الرسول ﷺ العامة، بعد نزول القرآن الكريم، كان النهوض بأعباء الرسالة التى بُعث لإبلاغها للناس، أى الدعوة إلى دين الله، وتنظيم شئونها، وتوزيع مهامها على أصحابه، ومواجهة الإجراءات التى كانت قريش تتخذها لمحاربة المسلمين فى مجموعهم، واضطهاد المسلمين على يد قبائلهم. والحاصل هنا أيضاً، أن ابن إسحاق لم يقل شيئاً عن نشاط الرسول والصحابة فى نشر الدعوة، وعن سيرها وتنظيمها ومراحلها، وما صادفته من نجاح أو فشل.

السلام والحرب.. ومحمد (ﷺ)

تحت هذا العنوان يقول د. عوضين إنى زعمت ـ متأثراً ببعض المستشرقين والصليبيين ـ أن رسول الله ﷺ كان رسول حرب، فظننت

أن المرحلة المكية كانت مرحلة سلام، وأن المرحلة المدنية كانت ـ وحدها ـ رحلة حرب، طبقاً لمؤلف السيرة، واستشهد فى هذا الصدد بما قلته فى الصفحتين ٣٩٤ و ٤٢٥ من كتابى.

وقد أساء الدكتور فهم كلامى. والذى ذكرته فى ص ٣٩٤، بصدد عبارة «فلما أراد الله ـ عز وجل ـ إظهار دينه» التى استهل بها النص أول لقاء بين الرسول ﷺ ومجموعة الخزرج الستة، هو أن ابن إسحاق لم يكن يولى مسيرة الإسلام فى المدينة وإلا جانباً صغيراً من اهتمامه، وأن ما كان ماثلاً أمامه هو حروب الرسول ﷺ أى أنه بعبارة أخرى، كان يرى أن النصر الحقيقى للإسلام إنما هو النصر العسكرى.

والذى ذكرته فى ص ٤٢٥، فى تعليقى على بيعة الحرب، هو أن الصورة التى يعطيها لنا نص ابن إسحاق هنا، هى صورة تظهر فيها الحرب من منظور مختلف تماماً عن ذلك الذى يستخلص من الآيات القرآنية التى يسوقها النص بخصوصها. أنا إذا لم أقل أن ابن اسحاق يقرر أن رسول الله ﷺ كان رسول حرب لا سلام وأن الإسلام دين حرب لا دين سلام، كما لم أتحدث عن سلام مكى وعن حرب مدنية، وإنما قلت فى «التمهيد» إن حديث الجزء الأكبر من الفترة المدنية، فى كتب السيرة الحديثة التى تأثرت بابن إسحاق، ينصرف إلى غزوات النبى ﷺ على الرغم من أن القتال لم يكن يمثل إلا واحدة من المسائل التى كانت تشغل الرسول، وأن فقرات القرآن الكريم التى انصبت على القتال لا تشكل إلا جانباً صغيراً من القرآن الذى نزل فى الفترة المذكورة. وقلت أيضاً، تحت(٢) من المحصلة العامة أن سيرة ابن إسحاق، لا سيما فى الفترة الخامسة، أى فى السنتين الأخيرتين من الفترة المكية، تصور العقلية العسكرية للقرن الذى كتبت خلاله.

وقد قلت أيضاً فى «التمهيد» وفى عدة مواضع من كتابى: إن ابن إسحاق لم يخصص إلا حيزاً ضئيلاً من حديث الفترة المكية لحالات الاضطهاد ولإجراءات القمع التى اتخذتها قريش ضد المسلمين.

والدكتور عوضين يخالفنى فى هذا ويقول: إن قريشاً ـ طبقاً لابن إسحاق ـ أعلنتها ـ فى مكة ـ حرباً يواجهون بها محمدا ﷺ وأتباعه بالتعذيب والتسفيه، والسب، والدعوة المضادة، والحصار، إلى غير ذلك من وسائل الحرب ومظاهرها.

ولى على هذا القول ملاحظتان:

ـ فإن ابن إسحاق لم يقل أبداً إن قريشاً واجهت محمداً ﷺ بالتعذيب، بل فَرَّق بين معاملة قريش للرسول ومعاملتهم للمسلمين، وجعل أبرز سمة من سمات الفترة المكية، حتى وفاة أبى طالب، أن رسول الله ﷺ لم يتعرض بفضل حماية عمه، ومن ورائه قبيلته، لما تعرض له المسلمون من اضطهاد وتعذيب.

ـ كذلك لم يقل ابن إسحاق إن أى قبيلة من قبائل المسلمين تعرضت للحصار كما تعرض له بنو عبد المطلب وبنو هاشم، وذلك

لسبب بسيط هو أن قبيلة من القبائل المذكورة لم تحم مسلميها كما حمت قبيلة الرسول الرسول ﷺ ولم تجلب على نفسها بالتالى غضب قريش وإعلان الحصار ضدها.

أدلة الحرب

يسوق الدكتور، تدليلاً على الحرب التى أعلنتها قريش على الرسول ﷺ والتى يصفها بأن نارها موقدة لم يهدأ لها أوار، وبأنها حرب شرسة، أمثلة أذكرها فيما يلى، مع ملاحظاتى:

١- هو يتحدث عن المساعى الثلاثة التى مشى سادة قريش فيها إلى أبى طالب لمطالبته بكفّ ابن أخيه عنهم «أو ننازله فى ذلك وإياك حتى يهلك أحد الفريقين» أو للمطالبة بتسليمه لهم ليقتلوه مقابل اتخاذه عمارة بن الوليد بن المغيرة ولداً له. وقد تناولت هذه اللقاءات فى حديثى عن أبى طالب، فى الصفحات ١٣٦ : ١٤١ من كتابى، وأبديت اثنتى عشرة ملحوظة تشكك فى صحتها من الناحية التاريخية، أخص منها بالذكر الملحوظة رقم (٥) التى قلت فيها إن قواعد الحكومة فى مكة لم تكن تجيز للأشراف أو لقبائلهم أن يطلبوا من قبيلة ما أن تسلمهم فرداً من أفرادها ليعاقبوه على مخالفة أو جرم ارتكبهما، وأن الجهة الوحيدة التى كانت مختصة بالمعاقبة على المخالفات أو الجرائم هى قبيلة المتهم ذاتها.

٢- وهو يقول إن قريشاً كانوا يواجهون محمداً بإغراء سفائهم به يطعنون فيه بالقول ويسبونه، وأن أحد هؤلاء السفهاء أخذ بمجمع ردائه. والدكتور هنا يشير إلى واقعتين وردتا فى «السيرة»(٢) ووُصفَتا فيها بأنهما أكثر ما رأى راويهما قريشاً تصيبه من رسول الله ﷺ فيما كانوا يظهرون من عداوته، ولا أظن أحداً يعتبر أن هاتين الواقعتين تدخلان فى باب «الحرب الشرسة» التى يتحدث عنها الدكتور، والتى يعتبر أن محاربة الرسول ﷺ بالسلاح فى المدينة كانت امتداداً لها.

٣- والدكتور يقول: إن من صور المواجهة فى حرب الرسول إغراءه بالمال والجاه والسلطان. ولا أظن أن مثل هذا الإغراء الناعم - على فرض صحته، وقد أبديت على قصته تحفظات فى كتابى - يعتبر هو الآخر حرباً شرسة كالحرب بالسلاح ضد من يوجه إليه.

٤- ويتحدث الدكتور عن محاولة أبى جهل شدخ رأس رسول الله ﷺ بحجر ثقيل، وقد تعرضت لهذه القصة التى ذكرها ابن إسحاق كسبب لنزول الآيات ٦ : ١٩ من سورة العلق (الاقتباس رقم ١١)(٣) وذكرت بشأنها أن الآيات المذكورة جزء من سورة نزلت فى فترة الاستخفاء، المفروض أن عداوة أبى جهل للرسول خلالها لم تبدأ بعد، لأن أبا جهل كان يجهل وقتها دعوة الإسلام.

---

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الأول، ص ٢٨٩، ٢٩٠ الطبعة الثانية. مصطفى البابى الحلبى، ١٩٥٥.

(٣) كتابى، ص ٢٧٩.

٥- ويقول الدكتور: إن قريشاً كانوا يواجهون الرسول ﷺ كجزء من حربهم ضده، بعزله عن الوافدين إلى مكة، كما فعلوا مع الطفيل بن عمرو الدوسى. وتعليقى على هذا أن قريشاً لم يكن بوسعها، مهما فعلت، أن تمنع أحداً من الوافدين إليها من رؤية الرسول ﷺ أو أحد أصحابه والاستماع إليهم وحضور مجالسهم، وخير دليل على ذلك أن الطفيل بن عمرو الدوسى ذاته استمع إلى الرسول ﷺ وهو يتلو القرآن فى صلاته، على الرغم من تحذيرات قريش، وأسلم، وعاد إلى بلده ودعا إلى الإسلام، واستطاع أن يهدى إليه سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس (٤).

٦- ويقر الدكتور أن قريشاً ضغطت على الرسول ﷺ بالمقاطعة التى فرضوها على قبيلته، وردى على هذا أن ما تقوله السيرة هو أن قريشاً استخدمت المقاطعة ضد بنى عبد المطلب وبنى هاشم كوسيلة للضغط على الرسول، لا العكس.

هذه هى أدلة حرب قريش ضد الرسول ﷺ التى يذكرها د. عوضين نقلاً عن ابن إسحاق، أما عن حربهم ضد المسلمين، فقد استشهد الدكتور بما ذكره ابن إسحاق فى موضعين هما:

ـ أن أبا جهل كان، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنَّبه وخَزَّاه، وإن كان تاجراً قال لنُكْسِدَنّ تجارتك ولنُهْلكَّن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به، وتعليقى هنا هو أن هذه كانت فى الواقع سياسة قبائل قريش كلها حيال مسلميها، لا موقفاً تفرد به أبو جهل، ولكن ابن إسحاق لم يذكر ذلك حرصاً منه على تقليل مظاهر معاناة المسلمين إلى أقصى حد بحيث لا يقال إن أحداً ينافس قبيلة الرسول (والخليفة العباسى) فى تكبد الويلات حماية لشخص الرسول ﷺ.

ـ إن قريشاً أرسلت مندوبين إلى النجاشى ليسلم المهاجرين إليها. وقد شرحت فى تحليلى لموضوع الهجرة إلى الحبشة أن قصة هذين المندوبين قصة لا يقبلها العقل لأسباب خمسة ذكرتها، ورجحت أن يكون غرض ابن إسحاق من اختلاقها هو تقرير أفضال لصالح بنى العبَّاس ضد بنى أمية وضد عمرو بن العاص، وإخفاء موضوع الاضطهاد الذى اضطر جعفر إلى الهجرة.

لا.. يا سيدى الأستاذ الدكتور.. لقد كانت الحرب التى أعلنتها قريش على الرسول وصحبه الأبرار فى مكة ـ كما وصفتها ـ حرباً شرسة وناراً موقدة لم يهدأ لها أوار. ولكن هذه ليست هى الصورة التى صورها ابن إسحاق، سواء فى وصفها أو فى الحيز الذى خصصه لها من سيرته. والصورة التى صورها بها لا تعطى أدنى فكرة عن هول هذه الحرب وعن أبعادها الحقيقية. ولو أن ابن إسحاق وصفها الوصف الصحيح، لأسمى موقف الرسول وصحابته فى مواجهتها بالجهاد ولأسماهم ـ رضوان الله عليهم ـ بالمجاهدين، وهو الاسم الذى أطلقه عليهم القرآن الكريم. ولكن ابن إسحاق لم يستخدم هذا التعبير فى حقهم، فى حديث الفترة المكية.

وللحديث بقية،

---

(٤) السيرة، ص ٣٨٥.

الأزهر المعمور

مهداة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ الدكتور/ صابر عبد الدايم يونس (*)

عَلمُ الكنانة فِى وُجودك يَخفقُ ورؤى الخلود على جبينك تُشْرقُ

وجلالُك الوضّاء فى آفاقنا عَبْر العصور على المدى.. يتألّقُ

يا أزهر الدنيا.. بنورك أزْهرتْ مُهَجُ الليالى والبوادى تُورِقُ

منْ ألْف عامٍ فِيْضُ ذاتك مائج وبكل عَصْرٍ ضَوْءُكم يتدفّقُ

ما أنَت مئذنةٌ وصَرْح شامخ بل أنت هدْى فى القُلوب مُعلَّقُ

أنت انطلاقُ الروح من أغّلالها أنت الأمان بُكل نَفْسٍ يَبْرُقُ

***

أنت الأذانُ.. وأنْت.. أنت شهادة التوحيد فى قلب البرايا تَعْبقُ

أنْتَ الزمان يُجدُّ فى خُطُواته وخطاه تَضْوى كالبروق وَتسْبِقُ

من جَوهْر الإيمان شادك جَوْهرٌ فإذا بضوئك بالحقيقة يَنْطقُ

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق.

شـــدُّوا الرحـــال وأنت قـــبلة عـــاشقٍ ... لنفـــائس العلم الفـــريدة يَعْـــشَقُ
عـــــادوا . . وبَرْق العـلم فـى أيـديـهمُ ... والحق فى آفـــاقـــهمْ . . يتَـــرَقْـــرَقُ
فـــإذا الجـــهـــالات الكثـــيـــفـــة تَرتْمى ... فى مَـــــغْـــــرب الآفـــاق وهى تَمزَّقُ
ومـــشى ضــيـــاؤك فى ظلام كـــيـــاننا ... فـــإذا الأمـــانى فى الحـــيـــاة تَحَّـــقـقُ
أعـــلامك الغُـــرُّ الميـــامن التـــقَـــوْا ... فى ســاحــةٍ . . العلمُ فــيــهــا الفـيلَقُ
يسـقـــون من وهَجَ العــقــيــدة فــتــيــةً ... أرواحـــــهم لـربا العـــلا تَتَـــشـــوَّقُ

***

يا أزهـر الدنـيــــا . . بنورك أزْهَـرَتْ ... مـــهج الليـــالى . . والبـــوادى تُورقُ
فى قلب مـــصـــر . . تظل نبـــضـــا ثائرا ... لا يســـتكين لمن يَجُـــور . . ويحنقُ
لغـــة الســـيـــوف لديك أصـــدقُ حـــجـــةٍ ... إن ضـــاع عَـــهْـــدُ . . أو تَبَـــدّل مَـــوثّقُ
وغَـــدَوتَ بركـــانا تفـــجـــر باللظى ... فى جـــوفـــة يَهـــوْى المضل وَيغْـــرَقُ
كـــالبـــحـــر أنْتَ . . لفظْتَ كل مـــخـــاتلٍ ... فـــإذا به فـــوق الشـــواطىء . . يَنْفُقُ
المعـــتـــدونَ عليكَ . . صـــاح خـــيـــالُهم ... أخْنى على مـــصَـــر الجـــمـــودُ المطبقُ
فـــسَـــعَـــوْا . . يقـــودُهُم الغـــرورُ لحْـــتـــفـــهمْ ... ركـــبـــوا المحـــيط وفى جـــدارك عُلِّقـــوا ! ! !
وَطئتْ ثراكَ خـــيـــولهُم . . فـــإذا بهمْ ... فى كـل زاويـةٍ رمـــــادُ . . يُحْـــــرقُ
بقـــذائف الإيمـــان جُنْدُك حـــاربوا ... وبصـــيـــحـة التـوحـيـد خَصْمُك يُصْعَقُ
فكأن صَـــحْنَك للمـــغـــيـــر مـــتـــاهةُ ... وعلى النوافـــذ كُلُّ عـــادٍ يُشْنَقُ

الإسلام دين السلام

الإسلام والقتال

٢

لفضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف

إذا استعرضنا الدعوة إلى القتال فى القرآن الكريم نجد أن الإسلام لم يدع إلى القتال إلا فى حالتين اثنتين فقط هما:

١- الدفاع عن النفس وتأمين الدعوة الإسلامية.

٢- أو الرد على نقض العهود والمواثيق والتحالف مع أعداء المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١).

ففى الآيات السابقة نجد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمر المسلمين بقتال من بدءوا بالعدوان والقتال وإخراج المسلمين من ديارهم. وهذا حق من حقوق الدفاع عن النفس لا ينكره صاحب عقل سليم وفكر محايد.

وفى الوقت نفسه ينهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن البدء فى الاعتداء على الغير محذرا أن من يفعل ذلك لا يحبه الله. ومن لا يحبه الله فقد خرج من دائرة رحمة الله ومغفرته. فهل هناك تنفير من الاعتداء أبلغ من ذلك؟؟

(١) الآيات ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، من سورة البقرة.

ومن شدة حرص الإسلام على السلام وكرهه للقتال أنه طلب من المسلمين الكف عن القتال عندما يسلم المعتدون ويعلنون انتهاء القتال من جانبهم:

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

بل طلب بصيغة الأمر الالتزام بالسلم ومنع القتال عندما يميل الأعداء إلى السلم ويعلنوا ذلك:

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٢).

كما طلب الإسلام من المسلمين عدم قتال أعدائهم إن اعتزل الأعداء واتخذوا جانب السلم قال تعالى:

﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾(٣).

أما إذا نقضوا العهود والمواثيق، وخانوا حق الجوار وتآمروا مع أعداء المسلمين ضد المسلمين فقتالهم مطلوب وحربهم مفروضة وهذا حق تقره الشرائع والقوانين:

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٤).

إنسانية الإسلام فى القتال

ومع أن الإسلام أمر بالقتال فى حالات محددة - كما أشرت سابقا - إلا أن الإسلام دعا المسلمين إلى الالتزام بقتال من يحمل السلاح فقط، ونهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال، ونهى عن تخريب الزرع والأشجار المثمرة بل وحتى عن ذبح الحيوانات إلا للأكل فقط.

ولا أعلم دينا فى إنسانيته ورحمته وعدله وسماحته مع أعدائه حتى فى معارك القتال مثل الدين الإسلامى.

فها هو خليفة المسلمين سيدنا أبوبكر الصديق يوصى جيش المسلمين - وهو متوجه للقتال بقيادة أسامة بن زيد - بما ينبغى عليهم التزامه فى حالة قتال الأعداء فيقف فى رجاله خطيبا قائلا:

---

(٢) الآية ٦١ من سورة الأنفال.

(٣) الآية ٩٠ من سورة النساء.

(٤) الآية ١٢، ١٣ من سورة التوبة.

أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا بعد شئ فاذكروا اسم الله، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب(٥) فاخفقوهم بالسيف خفقا. اندفعوا باسم الله اقناكم (وقاكم) الله بالطعن والطاعون(٦).

هذا هو الإسلام وإنسانيته فى السلم وفى الحرب قبل أن يعرف العالم الحديث المعاهدات والمواثيق الدولية.

وللأسف الشديد نجد - مع كل هذا الوضوح فى إنسانية الإسلام حتى فى القتال - نجد ان أعداء الإسلام يتهمون الإسلام - كذبا وزورا وبهتانا - بالإرهاب والوحشية والهمجية وسفك الدماء، وتغمض أعينهم، وتصم آذانهم، وتخرس ألسنتهم فلا يهاجمون من استعمل السلاح الذرى فى هيروشيما ونجازاكى ولم يفرقوا بين الجيوش المحاربة والمدنيين الآمنين، ولا يهاجمون المجرمين السفاحين الذين قتلوا أطفال المدارس الأبرياء فى بحر البقر، وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ فى قانا وفى صبرا وشاتيلا، وذبحوا وشقوا بطون النساء الحوامل فى دير ياسين، بل ويعلنون على العالم أجمع بكل وقاحة وهمجية، وبلا حياء ولا خجل أنهم سيصفّون جسديا قادة المقاومة الفلسطينية - الذين يستخدمون حقهم المشروع فى الدفاع عن أنفسهم وعن أرضهم وعن وطنهم - فيا أصحاب العقول السليمة، ويا أصحاب الضمائر المحايدة فى كل مكان فى العالم قولوا: من هم الإرهابيون الحقيقيون؟؟؟

إن الإصرار على توجيه هذه الاتهامات الكاذبة الباطلة إلى الإسلام والمسلمين لتؤكد على أن الإسلام مستهدف، وعلى أن المسلمين مستهدفون من أعدائهم، وأن المؤامرات تحاك بتخطيط وتدبير محكم ضد الإسلام والمسلمين.

الإسلام واحترام حقوق الفرد فى النفس والمال والعرض

لقد احترم الإسلام النفس البشرية، وجعلها موضع إجلال وتقديس، واعتبرها هى الحياة، ونظر إليها نظرة عامة شاملة، وحرم الاعتداء عليها إلا بحق، واعتبر أن مَنْ قتلها فكأنما قتل الناس جميعا قال الله ـ تعالى:

(٥) كتاب العشرة المبشرون بالجنة للشيخ قرنى بدوى. طبعة محمد على صبيح ١٩٧٤م.

(٦) هم الجنود الذين يحملون السلاح وكانوا مشهورين بهذه الأوصاف فى ذلك الزمان.

﴿ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾(٧).

وتنكير كلمة النفس فى الآية الكريمة تفيد العموم أى: أى نفس لا فرق بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون، ولا بين رجل وامرأة.

ونهى الإسلام عن الاعتداء على النفس قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾(٨).

وشدد العقوبة على من يرتكب هذه الجريمة فقال تعالى:

﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾(٩).

ثم صان الإسلام المال الخاص بالفرد وعرْضه، ونهى عن الاعتداء عليهما يقول رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»(١٠)، ويقول رسول الله ﷺ فى حديث آخر: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا(١١) ولا تباغضوا ولا تدابروا(١٢) ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(١٣) وبذلك ضمن الإسلام للفرد السلام والاطمئنان فى حياته حتى يتفرغ للعمل والإنتاج فى دنياه.

الإسلام واحترام حقوق الجماعة

ولتأكيد معنى التعاون بين الأفراد، وانتشار روح المحبة والإخاء بينهم حذر رسول الله ﷺ من الاعتداء على الجار أو إيذائه ولو بالقول. وبلغ التحذير ذروته حين نفى الإيمان عمن يؤذى جاره فيقول الرسول ﷺ: «والله لا يؤمن. والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: مَنْ يارسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جارهُ بوائقه، قالوا يارسول الله وما بوائقه؟ قال شره»(١٤).

ثم يوضح رسول الله ﷺ حق الجار على التفصيل فيقول ﷺ: من أغلق بابه دون جاره مخافةً على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن مَنْ لم يأمن جارهُ بوائقه، أتدرى ما حقُّ الجار؟: إذا استعانك أعَنْتهَ، وإذا

---

(٧) الآية ٣٢ من سورة المائدة.
(٨) الآية ١٥١ من سورة الأنعام.
(٩) الآية ٩٣ من سورة النساء.
(١٠) رواه الترمذى وابن ماجه وأبوداوود وأحمد.
(١١) تناجشوا: تزيدوا فى الثمن لخداع الغير.
(١٢) تدابروا: تقاطعوا.
(١٣) رواه مسلم.
(١٤) الترغيب والترهيب جـ٣.

اسْتـقْـرضـك أقـرضـتـه، وإذا افـتَـقَـر عـدت عليـه، وإذا مـرض عُدْتَـه، وإذا أصابه خـير هنأته، وإذا أصابتـه مـصـيـبـة عَزَّيته، وإذا مات اتَّبعت جنازته، ولا تَـسْـتَطيلُ عليه بالبنيان فَتَحْجُبَ عنه الريح إلا بإذنه، ولا تُؤْذه بقُـتَـار ريح قِـدْرِك إلا أن تَعْـرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فأهْدَ له، فإن لم تفعل فادخِلها سرا، ولا يخرج بهـا ولدُك ليغيظ بها ولده»(١٥).

وإذا كـانت صلة الفـرد بالفـرد فى المجتـمع الإسلامى قد حددها ورسمها الإسلام فى هذه العـلاقـات التى تضـمـن سـلامـة وأمن وأمـان واطمـئنان الفـرد والأسـرة [وطبـيـعـى أن الفـرد والأسـرة مـا هـمـا إلا النـواة التى يـتكون منهـا المجتـمع] فـمـعنى ذلك أن الإسـلام قـد أسس مـجـتـمـعـا يـسوده السـلام والتـرابط والاتـصـال والتعاون والتناسق بين الحقوق والواجبات.

الإسـلام والمجتمـع الدولـى

ثم يـوجــه الإسـلام نـظر المسلمــين إلى أن مجتمعهم الإسلامى ما هو إلا جزء من المجتمع الدولى ككل فيجب على المسلمين ألا يعيشوا فى عــزلة عنه بل يجب علـيــهـم الاتـصــال والتعاون والتعارف مع بقية المجتمعات فإن أبا الجـمـيع واحـد وأم الجـمـيع واحـدة قـال الله ـ تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١٦).

ويكـون هـذا الاتصــال والتـعــاون فى نـطاق الاحـتـرام المتبادل، والوفاء بالعـهـود والمواثيق والمعاهدات، وعـدم الاعـتـداء، وتبادل المنافع والخبرات بما يخدم الإنسانية ويعم الخير على البشر جميعا.

وبعـد كل هذا الإيضـاح لموقف الإسـلام من احـتـرامــه لحـقـوق الإنسـان فى النفس والمال والعرض، واحتـرامه لحقوق الجار.. وحقـوق الجـمـاعـة.. وحقـوق المجتـمع الدولى.. يطلع علـينا فـــجـــأة رئيس الوزراء الإيطالى سيلفيوبرلسكونى - متـجـردا من كل قـواعد الدبلوماسية والذوق العام الذى يفرضـه عليه منصبه - فيصف الإسلام بأنه لا يحترام حقوق

(١٥) الترغيب والترهيب جـ٣.

(١٦) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

الإنسان، ويدعى أن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية!!!.. الخ ما نقلته وكالات الأنباء من تصريحاته الغريبة المهينة التى تتهم الإسلام كذبا وزورا بما هو برئ منه.

وإننى فى حيرة من أمر رئيس الوزراء الإيطالى سيلفيوبرلسكونى ومن تحديد فهمه للإسلام ومعرفته بمبادئه وأحكامه.. هل هو جاهل بالإسلام؟؟ أم هو حاقد على الإسلام؟؟ فإن كان جاهلا بالإسلام علمناه، وإن كان حاقدا على الإسلام فلن ينفعه العلم ولن تجدى معه النصيحة فليمت بغيظه ولن يضير الإسلام أمثاله.

غير أننى أقول له كلمة أخيرة: إن كنت تعرف القراءة والكتابة ياسنيور سيلفيوبرلسكونى فارجع إلى مكتبات بلدك إيطاليا واقرأ ما كتبه العلماء الإيطاليون أنفسهم عن الحضارة الإسلامية، وأنه لولا الإسلام وحضارته لكانت أوروبا حتى الآن تعيش فى ظلمات القرون الوسطى.

الخطأ فى الربط بين الإسلام وتصرفات بعض المنتسبين إليه

وضح الآن أن الدين الإسلامى هو دين السلام، دين الأمن والأمان، وأن المسلم صحيح العقيدة يتمسك بالفضائل ويتجنب الرذائل، يتعاون مع غيره ولا يؤذيه، سمح فى معاملاته، يراقب الله فى كل تصرفاته، لا يعرف الكذب والغدر والنفاق، ينكر الجريمة ولا يقرها، حريص على سلامة مجتمعه والمجتمع الإنسانى، يتمسك بالشرف، يصون الأمانة ويرفض الخيانة.

والآيات القرآنية - والأحاديث النبوية التى ذكرت سابقا تؤكد هذه المعانى وهى قليل من كثير وردت فى القرآن الكريم وفى كتب السنة الصحيحة.

فإذا ما ارتكب فرد أو جماعة - تنتسب إلى الإسلام - بعض الجرائم التى لا يقرها الإسلام، فقبل أن توجه التهم إلى الإسلام يُسأل علماءُ الإسلام أولا: ما موقف الدين الإسلامى من هذه الجريمة؟ وما الحكم الشرعى فيها؟ فإذا جاءت الإجابة بأن الإسلام ينكر هذه الجريمة ولا يقرها فإن الأمانة تقتضى عدم الربط بين مرتكب هذه الجريمة والدين الإسلامى، كما تقتضى العدالة أن تنسب الجريمة إلى اسم من ارتكبها ولا تنسب إلى دينه، وبذلك تتحقق الأمانة والعدالة.

كما يجب علينا نحن المسلمين أن نرد على الادعاءات الكاذبة، والتهم الباطلة التى توجه ضد الإسلام - والإسلام منها برئ - وذلك بتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، وبيان أحكامه الصحيحة، ومبادئه السامية، ودعوته إلى ما فيه خير للبشرية.

***

مواقف إسلامية

قصة ميلاد إنسان

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

عن عمرو بن عَبسَة رضى الله عنه قال:

كنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة.

وأنهم ليسوا على شىء وهم يعبدون الأوثان.

فسمعت برجل فى مكة يخبر أخباراً. فقعدت على راحلتى.

فقدمت عليه.

فإذا رسول الله ﷺ مستخفيا.

جرآءَ عليه قومه.

فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له:

ما أنت؟ قال: أنا نبى. فقلت وما نبى؟ قال: أرسلنى الله. فقلت: بأى شىء أرسلك؟ قال: أرسلنى بصلة الأرحام. وكسر الأوثان. وأن يوحَّد الله. لا يشرك به شىء. قلت: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد ومعه يومئذ أبوبكر وبلال ـ رضى الله عنهما ـ فقلت: إنى متبعك. قال: إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا: ألا ترى حالى. وحال الناس. ولكن. ارجع إلى أهلك. فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى.

فذهبت إلى أهلى. وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت فى أهلى. فجعلت أتخبّر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة.

حتى قدم نفر من أهل المدينة فقلت:

ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة؟

فقالوا:

الناس إليه سراع.

وقد أراد قومه قتله. فلم يستطيعوا ذلك.

فقدمت المدينة. فدخلت عليه فقلت:

يارسول الله: أتعرفنى؟

قال: نعم.. أنت الذى لقينى بمكة.

فقلت يارسول الله:

أخبرنى عما علّمك الله وأجهله: أخبرنى عن الصلاة.. الحديث(١).

* **تمهيد**

إلى أى شىء يدعونا الإسلام؟ وكيف يدعونا؟ وإلى أى حد كانت دعوته مباركة الثمرات؟

إلى أى حد كان الداعية حكيماً فى الهداية.. وكان المدعو راغبا فى الاهتداء؟ ثم فى الاقتداء؟

ذلك ما نحاول تفصيله وتأصيله من هذا الموقف الفريد:

البيئة.. والإنسان

إذا قال الماديون: إن البيئة تصوغ الإنسان. وتفرض عليه منهج حياته.. فقد كان «عمرو بن عبسة» رداً على هذا الافتراء.

فقد كان جاهليا مع قومه، يأكل مما يأكلون منه. ويشرب مما يشربون.

بل ويفكر كما كانوا يفكرون.

وفجأة.. حدث التحول الكبير فى كيانه..

وفى لحظة صفاء جرد نفسه من علائق الدنيا.. ثم نظر فى صنع الله تعالى..

وآثار قدرته الباهرة.. وحكمته البالغة..

وفى الوقت الذى وقف الغرور حائلا بين قومه وبين رؤية هذه العظمة.. وجد نفسه.. هو وبلا حائل.. وقد امتلأ كيانه بالإحساس بعظمة خالق الوجود - سبحانه وتعالى - وعلى ضوء فطرته بدأ يغير اتجاهه..

من مظاهر التحول

ومن مظاهر تحول قوله:

[كنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة]

إنه يفتح بصره على كثير.. ولكن لا يرى أحداً!

ومع ما تملكه القبيلة من وسائل الضغط.. والإغراء.. إلا أنه أفلت من قبضتها.. متحرراً من إسارها.. شاهداً بأن الإنسان سيد قراره.. وأن له عقلا يفكر.. وقلبا يتذوق.. وإرادة تصمم.. فلا يليق به أن يمضى معصوب العين مع الكثرة وإن كانت كاثرة.. ليكون واحداً من تلك المدرسة التى يقول قائلها:

إذا الفتنة اضطربت فى البلاد

.. ورمت النجاة.. فكن إمعه

لقد قرر أن يكون رجلا:

مع الناس.. فقط.. إذا ما أحسنوا..

فإذا تنكبوا طريق الحق أعرض عنهم..

إنه الرجل الذى يملك إرادته.. ولا يسمح لأحد أن يساوم على كرامته.

وصحيح أنه سوف يخسر كثيراً بهذا الاستقلال..

ولكن يكفى أنه كسب عقيدته.. فاسترد بها وجوده..

وإذ يقول الفيلسوف:

إنه لو خير بين فكرة جديدة يقع عليها.. وبين اعتلاء عرش بلاده.. لاختار الفكرة!

---

(١) رواه مسلم - وأحمد.

فكيف إذا كان البديل هو العقيدة.. وليست مجرد نظرية..

إنه منهج الرجل الذى قد يفقد فى خضم الحوادث شخصه.. بيد أنه أبدا لن يفقد شخصيته.

مثـــل من التاريـــخ

وفى التهوين من أمر البيئة والتعويل على فطرة الإنسان.. مارواه ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ :

«إن أول من يعطى كتابه بيمينه: أبو سلمة بن عبد الأسد وأول من يعطى كتابه بشماله: أخوه: سلمة بن عبد الأسد»(٢).

وفيهما نزل قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾(٣).

فأنت واجد نفسك أمام أخوين.. شقيقين.. ومع ذلك فبينهما بعد المشرقين.

ولو كانت البيئة هى المؤثرة.. لكانا نسخة واحدة!

وهكذا كان «عمرو» ـ رضى الله عنه ـ والذى تأبى على سياسة الأمر الواقع.. وصمم أن يكون رجلا. مضموما إلى اخوة له كانوا على ذات الطريق. ومنهم ما ذكره ابن الكلبى فى كتابه الأصنام:

أن صنما يقال له «سعد» وكان صخرة طويلة فأقبل عليه رجل من كنانة بإبل ليوقفها عليه تبركا.. لكنها نفرت.. فقال:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا

فشتتنا سعد.. فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة تفوقة

من الأرض.. لا يدعى لغى ولا رشد!

وهذا الصنم مقرون إلى زميله الذى قال فيه عابده:

أرب يبول الثعلبان برأسه؟!

لقد ذل من بالت عليه الثعالب

أجل.. لقد ذل من بالت عليه الثعالب.. وعزَّ الإنسان الذى تبرأ منه..

وفى طليعة هؤلاء الأعزاء: «عمرو بن عبسة» رضى الله عنه.

قيمة التحول عند عبسة

لم يكن موقف عبسة ـ رضى الله عنه ـ مجرد قرار اتخذه.. ولكنه التحول الكبير.. والفرار من بيئة ضاغطة.. فيما يشبه المعجزة:

يقول ابن الجوزى ناعيا على الطبيعة المعاندة.. والتى استعلى عليها.. عبسة استعلاء شاهدا بقوة إرادته:

طال تعجبى من أقوام لهم أنفة. وعندهم كبر زائد فى الحد خصوصا العرب:

الذين من كلمة ينفرون ويحاربون. ويرضون بالقتل... ومع هذه الأنفه. يذلون لمن هم خير منه، هذا يعبد حجرا. وهذا يعبد خشبة. وقد كان قوم يعبدون الخيل والبقر وإن هؤلاء لاخس من إبليس: فإن ابليس أنف لادعائه الكمال ـ أن

(٢) الاصابة: ٤/٩٥.

(٣) الحاقة: ١٩.

يسجد لناقص فقال: «أنا خير منه» وفرعون أنف أن يعبد شيئا اصلا، ولكن عبسة ـ رضى الله عنه ـ دون قومه جميعا ـ يتخذ قراره الصعب بالتنزه عن الذلة.. اعتصاما بالعزة.. التى دفع ثمنها بهذا التفرد.

من حكمته

ومن حكمة الرجل أنه لا يتحدث عن قومه حديثا مباشراً. قد يجر عليه المتاعب: فهو يتحدث عن «الناس» بعامة.. لا عن قومه.

ثم لا يحكم يقينا وإنما هو مجرد «ظن».. والله حسيب الناس ومحاسبهم. عكس أولئك الذين يرون حالة جزئية.. فيعممون الحكم فى صحبة يقين لا يملكون عليه دليلا.

ثم هو يحدد معنى الجاهلية.. لا كما يطلقها البعض اليوم.. على مجتمع آهل بالمساجد حافل بالركع السجود.. وإنما يحدد معنى «الجاهلى» وأنه هو: الذى يعبد الأصنام.

دراسة الجدوى

لابد قبل البدء فى مشروع ما.. من دراسة الجدوى منه.. ولقد كانت لعبسة هذه الدراسة:

يقول فى رواية «أسد الغابة»(٤).

ألقى فى روعى أن عبادة الاوثان باطلة.

فسمعنى رجل وأنا اتكلم بذلك. فقال: ياعمرو: بمكة رجل يقول كما تقول. قال:

فاقبلت إلى مكة اسأل عنه..

ثم كان أن رآه مختفيا جرءاء قومه عليه.

والملفت للنظر هنا أنه لم يدخل على الرسول ﷺ جهارا نهارا. وإنما كما يقول هنا:

فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة»

وتفسر رواية أسد الغابة هذا التلطف بما يلى:

.. فأخبرت أنه مختف. لا أقدر عليه إلا بالليل يطوف بالبيت فنمت بين الكعبة وأستارها.

وإن تعجب فعجب كيف تعبر الفطرة السليمة ـ حتى فى غيبة الشريعة ـ كيف تعبر عن الحقيقة كما هى..

إنه يقول انه وجده ﷺ «مستخفيا» «جرءاء قومه عليه». إن قومه يؤذون. ويؤذون من؟ آخر من يؤذى إذا كان ولابد من إيذاء.. كما يفيد تقديم الجار والمجرور.. عليه. ثم.. ومن الذى يؤذيه؟ إنهم قومه؟!

فمن وقع عليه الغشم.. هو آخر الناس استحقاقا له.. والذى يباشر الغشم.. هم آخر من يقع منهم ذلك وإنها لمفارقة عجيبة!!

حوار الأبرار

وفى حواره ـ رضى الله عنه ـ يسأله أولا: ما أنت!

والسؤال «بما» استفسار لا عن الذات.. وإنما عن صفة من صفاتها.

ويعنى ذلك أن عبسة ـ رضى الله عنه ـ لا تهمه نفس الذات.. فهو لا يريد أن يعرف الحق

---

(٤) مجلد ٤ ـ ٢٥١/٢٥ ط الشعب.

بالرجال.. وإنما هو يريد معرفة الرجال بالحق.. عن طريق خصائصهم التى ترشحهم للريادة.. إن أسماء الدعاة مهما كانت رنانة.. لا تهم.. وإنما إلى أى شيء يدعون.. وبأى صفة يتصفون.. وليكن شخص الداعية بعد ذلك ما يكون!

الداعيـــة الحكيـــم

والداعية الحكيم هنا هو: محمد ﷺ والذى كان إسلام عبسة - رضى الله عنه - ثمرة يانعة من جنى غرسه الطيب:

فقد نقل إليه الإسلام.. وهو فى عمق قبيلته.. مع صعوبة ظروف الاتصال يومئذ..

وإذا كان من مقاييس البشر: أن تقدير ناظر المدرسة ينبع أساسا من نتيجة جهده وارتفاع نسبة النجاح فى مدرسته..

فقد كان إسلام «عبسة» شاهدا على تفرده ﷺ بالحكمة.. مع أنه لم يكن معه يومئذ إلا اثنان:

أبوبكر، وبلال - رضى الله عنهما.

وإذا كان التاريخ يسجل مواقف الأبطال المشاهير.. فإن السنة تسجل حياة أناس مغمورين.. لم يسعوا إلى الشهرة سعيها.. وفى طليعتهم: عبسة - رضى الله عنه - والذى أسعده الله بالإسلام.

من دروس الحـــوار

ربما تأخذ الداعية اليوم: العزة بالإثم.. حين يقطع طريقة شاب مغمور يسأله هذه الأسئلة..

ولكنه ﷺ:

أ - يجيبه.. وبلا حساسية..

ب - ويجيبه باختصار شديد.. فالعقيدة تتنامى الآن.. ولا ينبغى إرهاقه بالمعانى المعقدة.

ج - كان من الممكن أن يجمع للرجل إجابات أسئلته.. ليقدمها إليه دفعة واحدة..

ولكنه يعلم الدعاة أن الله - تعالى - سمى عمل الفلاح «حرثا» فى - قوله تعالى -:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾(٥).

ولابد من تقليب التربة بالحرث لتأخذ حظها من الهواء والضياء.. ولكى تتخلخل التربة حتى تمتد الجذور فى الأعماق.

لقد كان «عبسة» - رضى الله عنه - تلميذا متميزا ومخلصا:

فهو يسأل وغير متعنت:

يسأل أولا عن خصائصه

ثم عن وظيفته

ثم هل هذا الدين قابل للتطبيق..

وخلال ذلك.. يحاول أن يسأل عما لا يفهم..

وإذا بهذه الرغبة الجادة.. يحتويها قلب الداعية الكبير:

والذى كان بالحياء متميزا.. وبالتواضع متعززا.

---

(٥) الواقعة «٦٣».

جوهـــــر الرســـالة

وتلخص إجاباته ﷺ جوهر الرسالة:

ومن أصول هذه الرسالة: صلة الأرحام..

ثم تنحية كل ما يشل إرادة الإنسان.. من هذه الأوثان المانعة من الوصول..

على أن ينبثق ذلك كله من عقيدة التوحيد التي عبر عنها بالمضارع إشارة إلى تجددها.. وفي إجابته ﷺ: حر وعبد.. بدل قوله:

«أبو بكر وبلال» ما يؤكد شمول الإسلام المفصل على الحياة كلها.. من ألفها إلى يائها.. فهو للأحرار وللعبيد.. وما بينهما من مستويات تجد فيه كل نفس هداها.

الإيمـــــان الحـــــر

وعن طريق هذا الحوار الحر.. تولد العقيدة الحرة:

فلقد أعلن الرجل أنه متبعه.. بل ومقيم معه..

ولكنه ﷺ لا يبحث عن الأرقام والاحجام.. لا يريد لبنات مكدسة.. تنهار عند الضربة الأولى.. ولكنه يريد بناء مرصوصا يشد بعضه بعضا..

ومن ثم لم يأذن له بالبقاء.. على حاجته إلى من يقف إلى جانبه في تلك اللحظات الحرج إلى أن يشتد عود الإسلام.. وعندئذ يمكن للمدعو أن يأخذ مكانه في البناء الوطيد لبنة صالحة.

العـــــود الحميـــــد

ويعود الرجل إلى رسول الله ﷺ بعدما هاجر إلى المدينة.. وصارت له دولة..

وتبدو ذاكرة الداعية واعية.. فقد عرف الرجل رغم تطاول الزمان.. وتقلب الأحداث.

من حكمـــــة الرجـــــل

لكن عمرا - رضى الله عنه - يؤكد حكمته أولا وأخيرا: فقد علمنا أنه في المرحلة الأولى قال: «فسمعت برجل في مكة» إنه مازال في حسه مجرد رجل لا يعلم من أمره شيئا..

أما هنا فهو يقول: ما فعل هذا الرجل فهو رجل معروف.. متميز.. ثم هو مع ذلك يتلطف ولا يصرح باسمه المجرد.. حتى لا يؤلب الأعداء عليه..

ولاحظ من حكمته أنه يقول:

ما فعل هذا؟ باسم الإشارة للرقيب وكأنما يوجه رسالة تحذير إلى أمته أن يتهاونوا في الدفاع عنه..

وأن يظل الرسول في بؤرة الشعور.. لا يغيب..

من فقـــــه الداعيـــــة

بعد أن استقرت عقيدة الإسلام في قلب الرجل.. بدأت المرحلة الأخيرة بالسؤال عن الشريعة المنبثقة عن هذه العقيدة.

وذلك قوله:

يا رسول الله أخبرني عما علمك الله وأجهله.. أخبرني عن الصلاة.. ثم يقول له بعد ذلك: يارسول الله: فالوضوء.. حدثني عنه

ولاحظ أن الرجل لم يلتزم بالتريب الزمني، فهو يسأل عن الصلاة.. قبل أن يسأل عن الوضوء

ولا يضيق به الداعية.. بل يرخى له الحبل.. إن

المهم لدينا أن تكون العقيدة راسخة فى القلب.. ولا يجمل بنا أن نتمارى فى جزئيات تأتى فى مرتبة تالية..

إن الداعية هنا يهتم بالمقاصد أولا.. تلك المقاصد التى نتفق عليها أولا.. ثم تأتى الوسائل بعد ذلك متعددة.. لكنها كلها تصل بنا إلى المقصود الأصلى.

وبعض الناس يتجاوزون الأهم.. ليشغلوا أنفسهم بالفرعيات.. وقد يذهب المراء بالأصول والفروع!

واقع المسلمين اليوم

ونحاول قراءة واقع المسلمين اليوم.. ولعلنا أن نعدل من خطة حياتنا.. على ضوء ما سبق:

وواقع المسلمين على ما قيل:

أضاع المسلمون اليوم ما نيط بهم من جهاد:

الجهاد الأصغر..

والجهاد الأكبر

فلاهم يجاهدون العدو فيؤدوا الجهاد الأصغر.

ولا هم يجاهدون النفس. ويقومون بحق الله فى أنفسهم وفى الناس.. فيؤدوا الجهاد الأكبر.

وليس ينقص المسلمين العلم بما عليهم لله فى أنفسهم وفى إخوانهم.

فإنهم يعلمون من ذلك ما إن عملوا به.. لكفاهم ولكن ينقصهم العمل بما عندهم من العلم المستفيض فيهم.

ومن ثم.. تشتعل الغيرة فى قلب الداعية.. عندما يرى مخطئا.. فيحاول رده إلى الصواب.. أو ضالا.. يود لو عاد به إلى الهدى.. وقد يجد نفسه بين اثنين:

اما أولهما فهو ذلك الصنف الذى يحول بينه وبين الهدى والصواب. صغائر الشهوة يعجز عن مخالفتها.. وحقائر المغريات يضعف عن مقاومتها، إنها العادة التى مرد عليها.. ومن ثم تنحصر مهمة الداعية فى اعانته ليتخلص من عادته.. لتكون عونا له.. بعد أن كانت عبئا عليه!

وقد يكون الحوار سبيلا إلى إقناعه بضرورة أن يغير وجهته إلى الفضيلة التى نريد أخذه بها..

ويجيء قوله ـ تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾(٦).

ذلك بأن الضال هنا مقتنع بانحرافه عن الجادة لكنه فقط يطلب الدليل

إما إذا كان معتقداً بأنه على الحق.. فإن حواره يأخذ سمتا آخر.. وذلك ما يشير إليه قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾(٧).

ونقول لهؤلاء الذين ظلموا فلم ينصفوا.. ولا يغرنك أن كان «سن قلمك ذهبا.. فإن من ورائه حبرا أسود!

(٦) النحل «١٢٥».

(٧) العنكبوت «٤٦».

قصة العدد

باسمك اللهم

للأستاذ / محمد سعيد العريان

اليوم هلال المحرم من السنة السابعة بعد البعثة وقد وقف أبو الحكم بن هشام المخزومى موقفه من نادى قومه، واجتمع إليه قبائل من أشراف مكة وذوى الرأى من قريش يسمعون مقالته، وما منهم أحد إلا كان له بلاء فى إيذاء محمد وصحابته حتى بلغوا فى الكيد لهم ما بلغوا ولم ينالوا منهم منالا، فإن أبا الحكم وأصحابه اليوم لفى هم ناصب وأمر عظيم...

إن أمرهم ليوشك أن يفلت من أيديهم، وهم أعلى قريش منزلة ومكانة بين سائر العرب، من الساحل إلى أطراف البادية. وهذا محمد وإنه لرجل فرد ليس له منعة من أهل ولا عصبية من دم ولا جاه من غنى، وإنه على ذلك ليحاول أمرا يفرق جماعتهم ويعيب رأيهم ويلحد فى آلهتهم وما يعبدون، حتى ليوشك لو خلوا سبيله أن يكون هو صاحب الرأى والسلطان فى العرب جميعا... وأين هو من هؤلاء وأنى يبلغ؟

ولقد افتتنت قريش فى حربه ومناهضة دعوته والكيد له ولأصحابه ما بلغ بهم الجهد، ليصرفوه عن وجهه ويفضوا صحابته من حوله، فما بلغوا شيئا مما أرادوا، وإن دعوته لتنتشر وتذيع حتى يتسامع بها العرب، وإن أصحابه ليزيدون ويكثرون، وإن قبائل العرب من قريب ومن بعيد لتسمع عنه وتعرف من خبره مالا يريد أبو الحكم بن هشام وحزبه أن يعرف أحد، بلى وإن هذه الدعوة لتطوى البيداء وتجتاز البحر من ساحل إلى ساحل حتى تجد الطمأنينة والسلام فى بلد المسيحية من مملكة النجاشى!

ياللعاقبة لو بلغ محمد ما أراد!

... واجتمع وجوه قريش وأصحاب الرأى فى مكة يتشاورون ليدبروا لهم أمرا.. وقال

أبوالحكم بن هشام:

« ياقـوم، أمـا إنه ليـوشك أن يكون أمـر شديد: وإن هذا الرجل ليبالغ فيما يدعو إليه حتى كان ما كان من أمره، فإن لم يكن قتله واستـئصـال خضرائه حتى يذهب بدعوته وتذهب به، فـليلكن تدبيـر جـديد..»

وتطاولت الأعناق تترقب ما يكون من تدبير أبى الحكم فى جهاد محمد وأصحابه، واسترسل يقول:

« ... ألا إن هذا الحى من بنى عبدمناف هو منا ومنكم حيث علمتم، وإنهم ليطلبون غاية ليس إليها سبيل، أفنتركهم وما يحاولون حتى يأول أمرهم إلى أمر؟.

« .. وهذا أبوطالب بن عبدالمطلب يمنع ابن أخيه أن يخلص إليه ما يكره، فما لنا سبيل عليه بعد، فليجتمع أمرهم على ما يريدون وليجتمع أمرنا، ولتكن براءة قاطعة بيننا وبين هذا الحى من قريش: لامعونة بيننا وبينهم فى أمر، فلانبيعهم شيئا، ولا نبتاع منهم، ولا نخالطهم فى شىء، وكل رحم بيننا مقطوعة حتى يفيئون إلى أمرنا، فإنهم يوشكون إن بلغت هذه القطيعة أن تجف خضراؤهم فيموتوا جوعا وعطشا وعريا أو يعودوا إلينا مغلوبين وما تجرد سيف من غمده ولا أريق دم!

« ياقوم، فإن رأيتم فهذه يدى، وليكن بيننا عهد مكتوب نعلقه فى جوف الكعبة توكيدا لما تقاسمنا عليه.. وإن أبيتم..»

وصاح من أقصى المجلس: « رضينا يا أبا الحكم» وجاء كاتبهم منصور بن عكرمة فأملى عليه:

باسمك اللهم

« هذا ما تعاهد عليه أشراف مكة وذوو الرأى من قريش: أبوالحكم بن هشام، وأبوطالب بن عبدالمطلب، ومنصور بن شرحبيل، وبغيض بن عامر.. أنهم برآء من بنى هاشم وبنى المطلب، لايبيعونهم شيئا، ولايبتاعون منهم، ولايخالطونهم فى شىء، وكل رحم بينهم مقطوعة، حتى يفيئوا..»

وتناول أبو الحكم الصحيفة فطواها، ثم علقها فى جوف الكعبة، ليشهد الله أمرهم وأمر بنى عبدمناف!

●●●

وأوى محمد وأصحابه الى شعب أبى طالب من شعاب مكة حتى يقضى الله أمرا بينهم وبين بنى عمهم من قريش، ليس لهم مطمع إلا فيما بين أيديهم من طعام ولباس وشراب، ولا يعرفون إلى كم يمتد الحصار المضروب عليهم فى هذا الشعب الضيق ليس له إلا باب واحد يقف الأعداء بمرصد قريب منه يمنعون أن يدخل إليهم بشىء من الزاد أو الميرة...

وتتابعت الشهور شهرا فى أذيال شهر، والمسلمون فى معقلهم من شعب أبى طالب، لا يجدون من الطعام ما يغنى من جوع ولا من اللباس ما يدفىء من قر، إلا ما يتسلل إليهم

فى جنح الليل من شىء ليس فيه غناء يرسله إليهم من يرسل من أبناء عمومتهم على حذر ورقبة!

وجاء الموسم، وأم الحجيج من قبائل العرب سوق مكة يسوقون الإبل قد أوقرت طعاما وبزا ليبيعوا ويشتروا ويتعوضوا وطمع المسلمون أن يكون لهم من أولئك شىء، فإن هؤلاء التجار العرب فى حل مما تعاقد عليه بطون قريش، فإن لهم أن يبيعوا أبناء عبد مناف ما يشاءون من بضاعتهم يدا بيد، فما كان لهم فى تلك (الصحيفة) الظالمة رأى ولا عقد.

ويخرج من يخرج المسلمين ليشترى زادا من زاد القوم ويبيعهم مما عنده، ويقف على صبرة من قمح يهم أن يشتريها، ويبصر به أبولهب فيقول فى السوق مناديا:

« يامعشر التجار، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا، فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم! »

ويسمع التجار ما قال أبولهب، فيزيدون على المسلمين فى السلعة قيمتها أضعافا، فيرجع المسلمون إلى أهليهم وما باعوا ولا اشتروا وليس فى يدهم شىء يطعمون به، ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما معهم من الطعام واللباس!

ومضى عام وعام وأوشك ثالث، والمسلمون حيث حصرهم أبناء عمومتهم من قريش، حتى جهدوا وأشرفت نفوسهم على التلف جوعا وعريا..

ويرى محمد ما أصاب أصحابه فى سبيل الله، فيثبتهم ويربط على قلوبهم، ويقول:

« لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب، مايصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، مايصرفه ذلك عن دينه، ولَيُتِمَّن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت مايخاف إلا الله! »

فتهدأ نفوسهم مطمئنين إلى العاقبة ويبلغ بهم الجهد، حتى يأكلوا ما يسقط على الارض من ورق الشجر، وحتى يصنعوا ما تصنع الشاة: لا تجد أكلا إلا ما تتقمم من خشاش الأرض ومن بارض النبت فى مسايل اللوى... ويشد سعد بن أبى وقاص على بطنه من ألم الجوع حتى يكاد يلتصق بظهره، وينال منه الجوع حتى يخرج فى سواد الليل يلتمس رمقه، فيطأ على شىء رطب، فيضعه فى فمه فيبتلعه، لايدرى ما هو، ولايجد له فى فمه مذاقا!!

ويتضاغى أطفال المسلمين من الجوع، وتسمع أصواتهم من وراء الشعب صائحين من السغب والمتربة!

والمسلمون على ما بهم: لم ينل منهم الكفار منالا بما صنعوا لأنهم وهبوا نفوسهم لله، فلا عليهم أن يموتوا جوعا أو يموتوا مجاهدين فى سبيل الله!..

●●●

وتسامع المشركون بما نال محمدا وأصحابه من الجهد والمسغبة فمنهم من سره ذلك ، ومنهم من ساءه..

ويفرح أبوالحكم بن هشام بما نال المسلمين من الجهد والمسغبة، ويستخفه الفرح حتى يأمل أملا...

ويغضب من يغضب من قريش لما نال إخوانهم وأبناء عمومتهم من بنى عبدمناف، وإن كانوا على دين محمد!

ويشفق هشام بن عمرو بن ربيعة على ما نال أخاه لأمه نضلة بن هشام بن عبد مناف ، وكان مع المسلمين فى شعب أبى طالب فيأتى ببعيره قد أوقره طعاما وبزا.. فيقبل به فم الشعب ليلا وقريش فى غفلاتها، ثم يخلع خطامه ويضرب على جنبيه فيدخل الشعب عليهم ليقتسموا ما يحمل من طعام وبز.. وماذا يغنى بعير واحد والمسلمون كثرة يكاد يقتلها الجوع والعرى؟..

ويقول أبوطالب لابن أخيه: «لقد بلغ الجهد منا ماترى وإن رجالا من قريش قد استشعروا الندم على ما تعاقدوا عليه لولا شرف السمعة وتهمة الخيانة لأحلوا أنفسهم مما ارتبطوا به من عهد الصحيفة!»

وابتسم محمد بن عبدالله وقال : «ياعم ، إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان!»

ويفرح أبوطالب ويقول : «أربك أخبرك بهذا؟» قال : «نعم»

وخرج أبوطالب إلى قريش فى ناديهم ليتحدث إليهم فى أمر..

ويصعب على هشام بن عمرو ما يلقى أخوه نضلة والمسلمون معه، فيمشى إلى جماعة من أشراف قريش لهم فى بنى عبدمناف صهر وخئولة، فيحرضهم على نقض الصحيفة، رعاية لحرمات النسب وحفاظا على حق الدم، فيجتمع على رأيه بضعة نفر، فيتوافون على ميعادهم الى حيث كان وجوه قريش مجتمعين فى ناديهم من الحجر، ويقدمهم زهير بن أمية (وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب) فيطوف بالكعبة سبعا ثم يقبل على الناس فيقول: «ياأهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لايباع ولا يتباع منهم؟ والله لا أقعد حتى نشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة»

ويرتاع أبوجهل بن هشام لما يسمع، فلا يكاد يرد رأيه حتى تأخذه الأصوات من كل جانب: مزقوا الصحيفة ، لانرضى ماكتب فيها ونبرأ إلى الله منه»

تلك كانت أصوات هشام بن عمرو وأصحابه الاربعة : المطعم بن عدى بن عبد مناف ، وزهير بن أمية بن المغيرة، والعاص ابن هشام، وزمعة بن الاسود.

ويبلغ الغيظ بأبى جهل وأصحابه ما يبلغ، أن رأوا ما أجمعوا عليه يحاول أن يخرج من أيديهم حين ظنوا أنهم من الغاية التى

يهدفون اليها على خطوات، وأن محمدا وأصحابه يوشكون أن يفيئوا..!

وقال أبوجهل: هذا أمر قضى بليل، وما حسبكم إلا دبرتموها فى غير هذا المكان.

ويقدم أبوطالب بن عبدالمطلب فى جماعة من بنى أبيه قد لبسوا أحسن مايجدون من الثياب، فما إن سمعوا ما يقول أبوجهل حتى يبتدره أبوطالب: «بل هو أمر قد قضاه رب محمد»

والتفت أهل النَّدِىِّ إلى حيث كان أبوطالب فى أهله لايدرون ما يعنى مما يقول!

وتقصَّف الناس على ابى طالب يستثبتونه عما قال، ومضى فى حديثه:

«... بلى، وإن بيننا وبينكم هذا العهد المكتوب فى الصحيفة فإن ابن أخى أخبرنى من أمرها.. فهلم إلى صحيفتكم فإن كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذبا دفعته إليكم فما شئم فافعلوا به!»

ووثب المطعم بن عدى إلى حيث كانت الصحيفة فى جوف الكعبة، وفض غلافها، ونظر القراء، فإذا الارضة قد لحستها لم تترك فيها من شىء يقرأ إلا «باسمك اللهم..»

●●●

وخرج المسلمون من شعب أبى طالب إلى فضاء مكة كعهدهم يوم كانوا، وانفك الحصار الذى كان مضروبا عليهم ثلاث سنين لا يبيعون ولا يباعون، وإن كانوا من عداوة المشركين لهم وائتمارهم بهم فى حصار أمنع وأبلغ، ولكن شيئاً من ذلك لم ينل من نفوسهم ولم يوهن عزائمهم.

ومضت أربع سنوات أخر، ثم انطلق المسلمون من الحصار المضروب عليهم حول مكة كلها مهاجرين إلى حيث يؤلف محمد وصحابته حكومتهم فى دار الهجرة، ولا تمضى إلا سنوات من بعدُ، حتى يكون محمد وأصحابه فى طريقهم إلى مكة يقودون الجحفل اللجب ليحاصروا مكة كلها ويسلم إليهم أهلها صاغرين!.

ودار الفلك دورته، فإذا تلك القلة من بنى عبدمناف وجيرانهم الذين كانوا بالأمس محصورين فى شعب من شعاب مكة لا يجدون ما يأكلون - قد وثبوا أكبر وثبة عرفها التاريخ، فإذا منهم القادة والسادة والأمراء، يضعون يدهم على مفاتيح خزائن الدنيا، ويبشرون بدين الله فى أربعة أقطار الأرض. ورفرفت الراية الإسلامية على قلاع فارس والروم والمغرب وأوربا، ومضى جنود المسلمين من أبنائهم وحفدتهم يطأون العروش ويقتحمون الممالك وهتافهم يدوى حيث كانوا: «باسمك اللهمَّ! باسمك اللهمَّ!»

تقرير لجنة كاهان الصهيونية

حول مذبحة صابرا وشاتيلا آرئيل شارون .. رؤية إسرائيلية

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

إن ما نراه اليوم على الساحة الفلسطينية من تعنت وإجحاف المؤسسة العسكرية الصهيونية تجاه الشعب الأعزل ومحاولاتها المستميتة للقضاء على شعب بأكمله وعدم الموافقة على إقامة الدولة الفلسطينية، هو موضوع قديم جداً، نابع من فكرهم التلمودى وبروتوكولات حاخاماتهم، فهى حرب ضروس ضد العرب والإسلام، يخطط لها منذ القدم، وكلما حانت الفرصة، انقضوا بلا رحمة للفتك بأى مسلم أو أى عربى، وقد يتصور البعض منا أن الأحزاب الإسرائيلية تختلف فى نظرتها للعرب والمسلمين، فمنها المتشدد والمعتدل، وأنوه هنا أن الجميع اختلفوا فيما بينهم لأمور تتعلق بهم، ولكنهم اتفقوا جميعاً على التنكيل بالعرب وخاصة عرب فلسطين، ورحم الله الرئيس السادات عندما قال ذات يوم: «لا فرق فى إسرائيل بين حمائم وصقور» وأن لعبة السلطة والسياسة فى إسرائيل مقسمة إلى مراحل تكتيكية، لكل مرحلة الرجل الخاص بها، ويخطىء أى عربى إذا اعتقد أن أحد قادتهم رجل سلام يمكن التفاوض معه، ولكنه فى الحقيقة ورقة رابحة بالنسبة لهم، فكلما زادت أعمال البطش والتنكيل بالعرب فى فلسطين من قبل جيش الدفاع الإسرائيلى، وغلت الدماء فى الشارع العربى، يدفعون برجلهم هذا كى يلتقى بأحد الزعماء الفلسطينيين فى محاولة منه للتظاهر بتهدئة الوضع وكسب الرأى العام بأنهم يسعون للسلام. فى نفس الوقت الذى تزداد فيه أعمال القتل والهدم والتشريد.

وما تقوم به القيادات الصهيونية العنصرية المتعاقبة هى محاولة يريدون بها أن يثبتوا للإسرائيليين واليهود والرأى العام العالمى أن «العرب» أشد عنصرية منهم ولا يستبعد أن يفتعلوا الحوادث التى تثير الشبهة العنصرية حول العرب كما حدث فى الماضى عندما أحرق اليهود الصهاينة كنسا يهودية لإجبار يهود العالم العربى على الهجرة إلى فلسطين، أو عندما نسف الصهاينة أماكن عبادة يهودية فى أوروبا لتشويه سمعة النضال العربى الفلسطينى.

وما أعلنه شارون عندما شن هجومه على لبنان عن ضرورة تدمير البنية التحتية للمخربين، ولكن ما تم تدميره بالفعل هى البنية التحتية لشعب بأكمله، هو شعب لبنان، فضلاً عن حرب الإبادة التى تعرض لها سكان المخيمات الفلسطينية.

ولسنا هنا فى معرض حديث وتحليل للمذابح الصهيونية المرتكبة فى حق الشعوب العربية قاطبة، ولكن نكتفى منها بجريمة نكراء هى جريمة مذبحة صابرا وشاتيلا.

فلم يعرف العالم ظلما حاق بشعب من الشعوب مثل الظلم الذى تعرض له الشعب الفلسطينى، وما مذبحة صابرا وشاتيلا إلا مثالاً حياً راح ضحيته آلاف الفلسطينيين من الشيوخ والنساء والأطفال.

لم تبدأ المذبحة فى يوم ١٦ / ٩ / ١٩٨٢ كما هو مذكور فى الوثائق والتحقيقات، وإنما بدأت عصر يوم ٤ / ٦ / ١٩٨٢، حينما قصفت الطائرات فى الثالثة والربع عصراً وصبت حمماً من القذائف على جانب من الاستاد الرياضى على حدود منطقة صابرا ومخيم شاتيلا، حيث سقط من الضحايا العشرات بين شهيد وجريح، واستمرت فصول هذه المذبحة حتى كان الفصل الأخير الذى بدأ فى اليوم السادس عشر من سبتمبر واستمر متصلاً ثلاثة أيام تم فيها ذبح وقتل وتشويه الآلاف من سكانها، وقد حدث هذا بالأسلحة الخفيفة والسكاكين و(البلط).. وكان الفصل الأخير قد بدأ بقتل بشير الجميل رئيس لبنان.. واحتل الجيش الإسرائيلى جميع البنايات العالية المحيطة بصابرا وشاتيلا كى يتمكن من الرؤية بوضوح.

وادعى الإسرائيليون بعد ذلك أنهم لم يروا شيئاً. وفى ليلة «الذبح» قطع التيار الكهربائى عن بيروت الغربية كلها، وأطلقت القوات الإسرائيلية القنابل المضيئة فوق صابرا وشاتيلا على فترات متقاربة بحيث يمكن رؤية أية حركة فى تلك المنطقة لترصدها طائرات الاستطلاع الإسرائيلية، وقد منع جيش الدفاع الإسرائيلى الدخول أو الخروج من منطقة المخيمين إلا للقتلة الذين كان عليهم البقاء ثلاثة أيام داخل المخيمين وهم يقتلون ويذبحون ويدمرون.

أما التمهيد لهذه المذبحة، فكان عصر الثلاثاء ١٤ سبتمبر ١٩٨٢ حين فُجِرَ مبنى حزب الكتائب (المسيحية) حيث كان رئيس الجمهورية الجديد والمنتخب منذ ثلاثة أسابيع يعقد فيه اجتماعاً مع الكوادر المسئولة بالحزب عن منطقة بيروت.

أُغْتيل بشير الجميل.. الذى كان فى يوم من الأيام الرجل المناسب لرئيس الوزراء مناحم بيجين ووزير الدفاع آرئيل شارون وهو الذى سيوقع معهم اتفاقية سلام، خاصة وأنه يدين بفوزه للدبابات الإسرائيلية، وقبل مقتله بيومين التقى بشارون فى (بكفيا) وهى مسقط رأس آل الجميل، وكان شارون يسعى للحصول على توقيعه على اتفاقية

السلام.. لكن البشير كان يتهرب منه ويكرر طلبه الرامى إلى إعطائه فرصة من الوقت لتثبيت الوضع فى لبنان ولإعادة العلاقات مع العالم العربى الذى استقبل انتخابه بحذر.

وبعد اغتيال بشير قرر شارون الاستفادة من الوضع والدخول إلى بيروت الغربية، فقد اتصل شارون برئيس وزرائه، وقرر كل منهما احتلال بيروت الغربية دون التشاور المسبق مع الحكومة، وكان وزير الخارجية إسحاق شامير الوحيد الذى أحيط علماً بهذا القرار ودعمه.

وعلى الفور تم تدعيم الجسر الجوى الإسرائيلى، وكانت طائرات النقل الإسرائيلية (هركول) تُنْزِل فى مطار بيروت الدولى ـ الذى تحتله إسرائيل ـ أطناناً من المعدات مع وحدات من المظليين.. وقد صرح (إيتان) رئيس الأركان قائلاً: «لم يحدث أبداً فى تاريخ جيش الدفاع الإسرائيلى أن تمت عملية بمثل هذا الحجم وبالسرعة التى تمت بها».

وكانت أوامر شارون تقضى بتجنب أية خسائر بشرية فى صفوف القوات الإسرائيلية، وحسب أقوال الجنرال شارون أيضاً: «تمنع قوات جيش الدفاع الإسرائيلى من الدخول إلى مخيمات اللاجئين، وسيتم تمشيط وتنظيف المخيمات على يد الكتائب أو الجيش اللبنانى».. وقد أثار نبأ دخول القوات الإسرائيلية إلى بيروت الغربية موجة من الاستنكار فى العالم أجمع، أما الإسرائيليون، فلم يكن يشغلهم فى المقام الأول إلا ردود الفعل الأمريكية، حيث توجه فى صباح ١٥/٩/١٩٨٢ موريس درايبر المبعوث الخاص للرئيس ريجان إلى مكان رئيس الوزراء فى القدس.. أما ردود الفعل فى إسرائيل فقد كانت متباينة حتى أن بعض الوزراء قد علموا بدخول القوات الإسرائيلية إلى بيروت الغربية من الإذاعة، وكانت ردود أفعالهم عنيفة حتى أن أحدهم ذكر للمحرر الدبلوماسى لجريدة «هاآرتس» أن هذه الفضيحة لم يسبق لها مثيل. أما «شمعون بيريز» فقد أدان «هذه العملية غير المحسوبة».. وقد بدأت أولى عمليات القتل المنظم فى الساعة الخامسة عصراً، فى حين أعلن شارون فى أول تصريح له أمام الكنيست «إن القوات دخلت خلال الليل».

وقد استمرت أربعين ساعة دون انقطاع، استطاع الإسرائيليون مراقبة العملية من على أسطح المبانى المجاورة.

وقد قامت حكومة إسرائيل بتشكيل لجنة «كاهان» الصهيونية للتحقيق فى مسئوليات مذبحة مخيمى صابرا وشاتيلا فى بيروت عام ١٩٨٢ والذى قدمته اللجنة عن أعمالها إلى حكومة إسرائيل، ويحوى التقرير نتائج ستين جلسة سرية وعلنية للجنة وخلاصة شهادات ثمانية وخمسين شاهداً من الإسرائيليين وغيرهم حول المجزرة والفترة التى سبقتها، ثم حادثة اغتيال بشير الجميل ودخول الكتائبيين إلى المخيمين. وحتى خروجهم منهما، والتقرير يحدد مسئولية المذبحة من وجهة النظر الإسرائيلية ومسئولية المراتب السياسية والمؤسسات العسكرية فى إسرائيل، والتقرير فى مجمله مزيف وضعيف مهترىء، يدل على الخسة والزيف والبطلان، برغم الجهد الذى بذلوه بقوة فى حبكته، وعلى وجه العموم جاء التقرير ليصفع صانعيه ويكشفهم أمام الرأى العام العالمى أجمع.

ولجنة التحقيق كانت مؤلفة من:

إسحق كاهان.. رئيس المحكمة العليا.. رئيساً للجنة.

هارون باراك.. قاض فى المحكمة العليا، يونا إيفرات ميجر.. جنرال احتياط.

ومع أن معظم تلك التقارير ذكرت أن المجزرة نُفِّذَت من قبل أفراد كتائبيين، فقد وجهت الاتهامات فوراً إلى قوات جيش الدفاع الإسرائيلى ودولة إسرائيل، ذلك أن دخول الكتائبيين إلى المخيمات حسب التقارير التى نشرت فى حينه تم بمساعدة وموافقة جيش الدفاع الإسرائيلى. وجاء التقرير ليشكك فى عدد الضحايا، وأن معظمهم من الذكور.. وأن عدد الأطفال والنساء قليل جداً، برغم اعتراف الناجين من المذبحة بأن الضحايا بالآلاف، وكانت هناك سيارات تجمع القتلى وتخرج بهم ليلاً تحت حراسة جنود الجيش الإسرائيلى.

أما ما يدعو حقاً للدهشة.. فقد جاء بالتقرير:

« ووفق الشهادة التى استمعنا إليها، لم يقدم أى تقرير عن المذبحة فى المخيمات إلى رئيس الوزراء (بيجين)، فقد سمع رئيس الوزراء بالمجزرة من إذاعة « بى. بى. سى » مساء السبت، فاتصل فوراً برئيس الأركان ووزير الدفاع اللذين أبلغاه بأن العمليات قد توقفت وبأنه تم إخراج الكتائب من المخيمين.... ص ٧٧١ ».

وقد نفى قادة الكتائب فى مقابلات مختلفة فى وسائل الإعلام أنهم قاموا بارتكاب المذبحة. وقد سارع رئيس الأركان يرافقه الميجر جنرال أمير درورى بالاجتماع بقادة الكتائب بالإضافة إلى ممثل عن الموساد وهددوهم قائلين: « من أجل مستقبلكم يجب أن تعترفوا بارتكاب هذه المجزرة » ولكنهم رفضوا.. وبعد الاجتماع تابع رؤساء الكتائب فى ظهورهم العلنى نفى أية علاقة بالمجزرة هناك.

وجاء بالتقرير أن رجال جيش الدفاع الإسرائيلى، حتى وإن كانوا لم يريقوا الدماء فى المذبحة!!.. فإن دخول الكتائبيين إلى المخيمين تم مع المعرفة المسبقة بأن هناك مذبحة سترتكب، ومع النية الأكيدة بأنها يجب أن تحدث، وبناءً عليه فإن جميع من مكنوا الكتائبيين من الدخول إلى المخيمين، يجب اعتبارهم متواطئين مع أعمال الذبح ويشاركون فى ذلك بتحمل مسئولية مباشرة. وقد حدث بشهود العيان أن وجهت نيران دبابات جيش الدفاع الإسرائيلى إلى مصادر النار داخل المخيمين».

بالإضافة إلى موقف الكتائبيين من الفلسطينيين بعد الصدمة العنيفة التى ولَّدها موت بشير الجميل ومجموعة من الكتائبيين فى انفجار الأشرفية والشعور بالانتقام الذى أثاره هذا الحادث حتى بدون معرفة هوية المهاجمين!!..

وبالطبع يعرف الجميع هوية المهاجمين والمستفيدين من الوضع القائم..

كما جاء أيضاً فى التقرير تناقض خطير..

«إننا لا نقول بأن قرار إدخال الكتائبيين إلى المخيمين كان يجب ألا يحدث فى جميع الظروف وليس له أى مبرر، هناك اعتبارات جدية لصالح قرار كهذا»..

بالإضافة إلى عبارة: «لدينا رغبة مفهومة لمنع حصول خسائر فى صفوف جيش الدفاع الإسرائيلى فى معركة جزافية داخل منطقة

سكنيــة، وإن كــان الطلب إلى الكتــائبــيــين للمشاركة فى معركة هو بالنسبة إليهم بداية للاستيلاء على السلطة واستعادة استقلال لبنان».

ويخلص هذا الفصل من التقرير إلى التأكيد على أن: «الأعمال الوحشية فى مخيمات اللاجئين ارتكبت من قبل أعضاء من الكتائب، وأنه لا تقع أية مسئولية مباشرة إطلاقاً على إسرائيل، أولئك الذين تصرفوا باسمها، وأن قرار دخول الكتائبيين إلى مخيمات اللاجئين، اتخذ دون اعتبار للمخاطر».

ولمحاولة تزييف الحقائق واللعب بثغرات القانون، فإن القاتل قد ارتكب جريمته بنية حسنة حيث ورد فيه: «إننا لا نستطيع قبول هذا الموقف، فقد أصبح واضحاً بالفعل أن الذين قرروا إدخال الكتائبيين إلى المخيمات كان يجب أن يتنبأوا بوجود خطر مجزرة ولم يتخذوا أية خطوات كان يمكن أن تزيل هذا الخطر أو تخفف منه».

وباختصار: فإن كل ما حدث يقع تحت المسئولية غير المباشرة سواء أكانوا علموا بالقرار أو سمحوا للكتائبيين بالدخول، وأنهم لم يسمعوا طوال فترة ارتكاب المجزرة بأن هناك مجزرة.

كما فاجأتنا اللجنة بمجموعة طويلة من البنود الأساسية التى لا تدخل فى اختصاصها!!.. وعلى سبيل المثال: «مسألة تقييم الوزير لا تخدم موضوع تحقيق اللجنة، حسب قانون لجان التحقيق لعام ١٩٨٦!!..» وأن: «تقييم الوزير هو تقييم سياسى، وليس هناك قواعد تتطلب تقييمات من هذا النوع، وهى وجهة نظر قانونية معترف بها.. وأن المحكمة لا تتدخل فى السياسة التى تخطها السلطة لنفسها».

والسؤال الذى يطرح نفسه، كيف سمح جيش الدفاع الإسرائيلى للكتائبيين بدخول المخيمات، وهذا يتطلب موافقة أولية مسبقة من رئيس الوزراء، لا أن يسمع رئيس الوزراء ما حدث فى وزارته من الإذاعة البريطانية!!.. وطالما أن القرار قد اتخذ فإن النظام الحكومى يتطلب إعلان رئيس الوزراء بأية تجاوزات يتم ارتكابها.

ويبدو أن البطش الشارونى هو المسيطر على صنع القرار وأن هناك خطط سرية مسبقة متفق عليها، وكيف تؤكد اللجنة (أن الشرح الذى قدمه شارون ـ المستند ٢٧ ـ والذى قال فيه: «سأُدخل الكتائبيين المخيمات» لا يمكن أن يكون تقييما بطبيعة الحال).. وبرغم أن التقارير كلها وردية، فقد صفعت أصحابها أمام الرأى العام العالمى والشارع الإسرائيلى، وانسجاماً مع القرار الذى أصدرته اللجنة فى ١٩٨٢/١١/٢٤ أرسلت ملاحظات إلى تسعة أشخاص ـ آخذة فى الاعتبار الأذى الذى سيتعرضون له من التحقيق ونتائجه، وذلك استناداً إلى الفقرة «١٥ أ» من قانون لجان التحقيق لعام ١٩٦٨، وسنحاول أن نستعرض الاتهامات والردود لهؤلاء التسعة أبطال هذا المسلسل الدموى وكيفية خروجهم من هذا المأزق وحصولهم على البراءة الإسرائيلية.

١ – رئيس الوزراء مناحم بيجين:

تنص الملاحظة التى أرسلت إلى رئيس الوزراء على: «أنه قد يتعرض للأذى إذا قررت اللجنة أنه لم يقم بالشكل المناسب الذى يمكن أن تلعبه

القوات اللبنانية عقب دخول جيش الدفاع الإسرائيلى إلى بيروت الغربية، وتجاهل خطر أعمال الانتقام والأعمال الدموية التى ارتكبتها هذه القوات بحق السكان فى المخيمات.

● الرد:

لا أعلم شيئاً!!.. وفى كافة الحوارات التى أجريتها مع وزير الدفاع شارون ورئيس الأركان، لم يجر التطرق لهذه المسألة فى التقارير التى تلقيتها.

● رأى اللجنة:

يمكننا أن نعجب من كون مشاركة الكتائبيين فى دخول بيروت الغربية والمهمة الموكلة إليهم بتطهير المخيمات، بدت غير مهمة لدرجة أن وزير الدفاع شارون لم يطلع بيجين عليها، ولم يأخذ موافقته!!..

وخلصت اللجنة إلى أن هذه المجزرة لا تُحَمِل رئيس الوزراء بيجين أية مسئولية.

.. والمضحك.. قول رئيس الوزراء: «لقد أبلغت رئيس الأركان فى الليلة ما بين ١٤، ١٥ أيلول ١٩٨٢ فى أثناء توضيح قرار احتلال جيش الدفاع الإسرائيلى لمواقع فى بيروت أن هذا القرار اتخذ «بهدف حماية المسلمين من انتقام الكتائبيين».

٢- وزير الدفاع آرئيل شارون: وهو المسئول الأول عن هذه المذبحة والمخطط لها.

وقد نصت الملاحظة التى أرسلت إليه على: «أن وزير الدفاع قد يتأذى إذا ما قررت اللجنة بأنه (تجاهل أعمال العنف وإراقة الدماء....)».

● رد شيطان الدمار:

«لم يتخيل أحد أن الكتائبيين قد ينفذون مذبحة فى المخيمات، وأنها مأساة، وقد كنت على صلة بمدير الاستخبارات العسكرية، ولم أستلم من الموساد أى تقرير».

● وجاءت صفعة التقرير لتؤكد:

«من المستحيل تبرير إهمال وزير الدفاع لخطر حدوث مذبحة وأن الشعور بمثل هذا الخطر كان يجب أن يكون فى وعى وزير الدفاع الذى قام بجانب فعال فى كل شىء يتعلق بالحرب، وأن انغماسه فى الحرب كان عميقاً والعلاقة مع الكتائبيين كانت تحت رعايته المستمرة».

٣- وزير الخارجية.. شامير:

● نفس الديباجة.. وأنه لم ينقل المعلومات إلى رئيس الوزراء، أو وزير الدفاع، ونفس التنصل.

● أما الجديد فكان رأى اللجنة التى قالت:

المعروف أن له موقف تشكيكى مسبق إزاء معلومات الوزير الذى نقل إليه المعلومات، والمعروف عنه فى الحكومة بأنه منتقد ثابت لوزير الدفاع آرئيل شارون، ولرئيس الأركان ولأعمالهما ومعارضته لهما فيما يتعلق بالحرب فى لبنان، وخصوصاً قضية التعاون مع الكتائبيين. وأنه كان يجب عليه على الأقل أن يلفت نظر وزير الدفاع.

٤- رئيس الأركان.. اللفتنانت جنرال رافائيل إيتان:

● لم يأخذ بعين الاعتبار خطر أعمال الانتقام وسفك الدماء، ولم يأمر باتخاذ خطوات مناسبة لتجنب هذا الخطر وأن فشله فى القيام بذلك مساوٍ للإخلال بالواجب المسند إلى وزير الدفاع ولا يجب لومه على ذلك.

.. واستكمالاً فى المغالطة يورد التقرير: «أنهم لم يتحدثوا معه عن أية مسألة حول هذه العمليات الشاذة».

٥- مدير الاستخبارات العسكرية.. الميجور جنرال يهوشع ساغى:

هو أيضاً لا يعلم!!..

٦- رئيس الموساد:

أيضاً لا يعلم، «برغم أن عدم التحرك من قبل رئيس الموساد يتضمن ثغرة فى مسئوليته».. وقد تولى رئيس الموساد منصبه فى ١٢/٩/١٩٨٢.. أى قبل يومين من مقتل بشير الجميل.

٧- قائد الجبهة الشمالية.. الميجر جنرال أمير درورى:

وقد اكتفى بدور سلبى بشكل مطلق، (وأن هذا الانتباه المنخفض لا يمكن تبريره على الإطلاق).

٨- قائد الفرقة.. البريجادير جنرال موشيه يارون:

لم يفعل شيئاً برغم أنه تلقى أنباء عن عمليات قتل مساء ١٦/٩/١٩٨٢.

● الغريب أن تقرير اللجنة يعفيه لأنه وقتذاك كانت لديه كقائد فرقة مشاكل قتالية أهم بكثير من مسألة الكتائبيين داخل المخيمات.

٩- آفى دوداى: المساعد الشخصى لوزير الدفاع شارون..

تملص هو أيضاً من إجابات قاطعة.

توصية اللجنة الخاصة بوزير الدفاع آرئيل شارون كما جاءت بالتقرير

«لقد وجدنا كما هو مفصل فى التقرير، أن وزير الدفاع يتحمل مسئولية شخصية، ومن الملائم برأينا أن يتحمل وزير الدفاع النتائج المناسبة الناجمة عن العيوب التى تم الكشف عنها والخاصة بالطريقة التى أخل فيها بواجباته، وإذا ما لزم الأمر، أن ينظر رئيس الوزراء ما إذا كان عليه ممارسة صلاحياته وفق المادة (٢١/أ) من القانون الأساسى والتى تنص «يحق لرئيس الوزراء بعد إطلاع الحكومة على نيته فى القيام بذلك، عزل وزير من منصبه».

والخلاصة أن هذا التقرير الملفق جاء ليزيد الطين بلة، ويصفع صانعيه، ويُعَرِّى مؤسسة السفاحين الصهيونية أمام الرأى العام العالمى والتى ادعت أن الأجهزة العسكرية والاستخباراتية تعترف بوجود ثغرات كبيرة فى قنوات المعلومات وأن التضارب فى جميع الأقوال، أرجعتها اللجنة إلى «الثغرات من الناحية البشرية».

هل دماء رحبعام زئيفى وزير السياحة الإسرائيلى أغلى من دماء آلاف الضحايا فى مخيمى صابرا وشاتيلا، ومن عشرات الكوادر الفلسطينية التى تقتل فى وضح النهار بتفجير السيارة بصاروخ من طائرة عسكرية إسرائيلية، ولم تعلن أية جهة حتى الآن مسئوليتها عن مقتل عربى واحد، وإذا جرح إسرائيلى تسارع المنظمات الفلسطينية المختلفة بإعلان مسئوليتها عن الحادث.

اتقوا الله فيما تفعلون، وانظروا كيف نفكر وكيف يفكرون.

القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

ويعد سيد قطب المنظر الحقيقى للأصول الفنية للقصة فى القرآن الكريم بلا جدال، فقد عرض لهذا الموضوع الجليل فى تفسيره: « فى ظلال القرآن »، كلما اقترب من آيات تتصل بظاهرة القص، ومعروف أن القصص القرآنى ميثوث فيه عبر سياقات متعددة، يتفاوت فيها بين اللمحة الدالة والتفصيل المستفيض، وبين التناول البكر والتناول المكرور، وبين توزيع الحديث القصصى الواحد فى سور كثيرة وتمحيص سورة واحدة لقصة واحدة.. ثم عرض سيد قطب لهذا الموضوع الجليل فى كتابه: « التصوير الفنى فى القرآن » الذى محضه لدراسة أمثال هذه الظاهرة الفنية، وتبدو دراساته هناك أكثر اهتماما بالجانب الفنى. وأكثر إنصرافا عن هذا الجانب الفنى، مما أتاح له أن يضى أسس القصة القرآنية: وظيفةً، وأداءً، وبناءً، وخصائص مستفيداً فى كل أولئك من وعيه النقدى الحاد، وحسه العقيدى المرهف، وإحساسه بضرورة التنوير الجمالى لما فى النص القرآنى من جوانب إبداعية تشكل المدخل الحقيقى لعناق ما فى سياقاته الفنية من جوانب الإعجاز والامتياز.

وبدءا يحدد سيد قطب مفهومه للقصة القرآنية فى إطار من تكويناتها الخاصة، فيرى أن « القصة فى القرآن ليست عملاً فنيا مستقلا فى موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هوالشأن فى القصة الفنية الحرة، التى ترمى إلى أداء غرض فنى طليق، إنما هى وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية »(١).

وهذا طبيعى.. فالقصص القرآنى قصص ناهض بأداء رسالة عقيدية معينه أداء يجعل منه فى النهاية سلاحاً نقاتل به كل جوانب التخثر فى واقعنا الحياتى، وليس مجرد إشباع جمالى نصيب به الغاية من وجودنا مرة، ونخطئ به الغاية من هذا الوجود مرات.

وحتى يرسم سيد قطب صورة عامة أولية

---

(١) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن ـ ص ١١٧.

يحدد من خلالها طبيعة القصص فى السياق القرآنى، كمدخل إلى الرؤية الكلية فى هذ الصدد من جهة، وكتحديد للشروط الخاصة بالنسق القرآنى فى قصه من جهة أخرى، يقول:

« يرد القصص فى القرآن فى مواضع ومناسبات وهذه المناسبات التى يساق من أجلها هى التى تحدد مساق القصة، والحلقة التى تعرض منها، والصورة التى تأتى عليها، والطريقة التى تؤدى بها، تنسيقاً للجو الروحى والفكرى والفنى الذى تعرض فيه، وبذلك تؤدى دورها الموضوعى وتحقق غايتها النفسية، وتلقى إيقاعها المطلوب »(٢). وربما تكررت القصة فى مواضع متعددة و لكنه ليس تكراراً عشوائياً، لأنه « ما من قصة ، أو حلقة من قصة، قد تكررت فى صورة واحدة، من ناحية القدر الذى يساق، وطريقة الأداء فى السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفى حقيقة التكرار »(٣).

فالمناسبة فهى التى تحدد طبيعة القصة القرآنية، مساقاً وكماً وصورة وطريقة وجواً، فإذا تكررت هذه القصة فليس هذا التكرار تنويعا على أساس قديم، وإنما تنويع جديد يعمق الرؤية، ويرهف الاستجابة، ينقلنا به من وضعية إلى وضعية أخرى تماما.

وقد يقع بعض الناظرين فى هذا القصص القرآنى فى وهم أن هذا القصص ككل قص يقوم على اختراع الحوادث والشخوص فى بنائه، أو نسيجه، ولكن مثل هذا الظن باطل من جهات متعددة، لأن المناسبة الموضوعية هى التى تستدعى هذا القص، وهى التى تحدد القدر الذى يعرض من القصة فى كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء، « والقرأن كتاب دعوة ودستور نظام، ومنهج حياة، لا كتاب رواية، ولا تسلية، ولا تاريخ، وفى سياق الدعوة يجئ القصص المختار، بالقدر، وبالطريقة التى تناسب الجو والسياق وتحقق الجمال الفنى الصادق، الذى لا يعتمد على الخلق والتزويق، ولكن يعتمد على إبداع العرض وقوة الحق، وجمال الأداء »(٤).

فالواقعية الصادقة هى منطق القص القرآنى وقراره، والقرآن الكريم لا يتكئ فى تحقيق فاعليته القصصية على خلق الشخوص وتزويق الأحداث، ولكنه يتكئ فى تحقيق هذه الفاعلية على محورى « الحق المضمونى، والجمال الأدائى » وفى هذا المجال يمكن أن يقال: إن النص القرأنى فى سياقه القصصى حقق الشرط الفنى المستحيل، وهو تسوية المثال الجمالى، والنفاذ من خلاله إلى أعماق المتلقى بعيدا عن تهاويل التلفيق والتزويق التى يمارس القص الإنسانى فى رهجها فاعلياته الجمالية.

ويستطرد سيد قطب إلى غايات يخيل إلينا أنه كان ينبغى – من الوجهة الفنية– إرجاء الحديث عنها إلى مناسبات موائمة، وهى تحديد أغراض القصة القرآنية فى مثل: إثبات الوحى والرسالة، وبيان أن الدين كله من عند الله، وأن الدين كله موحد الأساس، وأن وسائل الأنبياء فى الدعوة

---

(٢) سيد قطب: فى ظلال القرآن ـ المجلد الأول ـ ص ٥٥.

(٤) سيد قطب: فى ظلال القرآن ـ الجلد الأول ـ ص ٥٥.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن ـ المجلد الأول ـ ص ٥٥.

موحدة، وأن استقبال قومهم لهم متشابه، وأن الله ينصر أولياءه فى النهاية ويهلك المكذبين، إلى آخر هذه الأغراض التى كان من الممكن ترك استشفافها لطاقة المتلقى من واقع حركة النص، والتركيز على أصولية الخصائص «الفنية» للقصة القرآنية.. ولكن ربما كان السبب الكامن وراء استطراد سيد قطب فى هذا الاتجاه، هو ما أحسه من أن خضوع القصة القرآنية للغرض الدينى ترك عليها آثارا معينة، جعلت لها ملامح أفردتها - فى ظل هذه الخصوصية- من بين كل الإبداع القصصى الآخر، وهذا ما يتضح فى عنونته لفصل تال لحديثه عن «أغراض القصة القرآنية» على هذا النحو: «آثار خضوع القصة للغرض الدينى».. هذه الآثار التى حددها فى مجموعة من الطرائق الفنية، أعادت لدراسته وجهها الفنى الحقيقى، والتى يمكن إجمالها فى: ورود القصة الواحدة - فى معظم الحالات - مكررة فى مواضع شتى.

«ولكن هذا التكرار لايتناول القصة كلها غالباً إنما هو تكرار لبعض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، أما جسم القصة كله فلا يذكر إلا نادراً، ولمناسبات خاصة فى السياق»[٥].

وفى أن تعرض القصة بالقدر الذى يكفى لأداء الغرض الدينى ومن الحلقة التى تتفق معه «فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، وتارة تعرض كاملة، تارة يكتفى ببعض حلقاتها، وتارة تتوسط بين هذا وذاك، حسبما تكمن العبرة فى هذا الجزء أو ذاك»[٦].

وفى «أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة، قبلها وبعدها وفى ثناياها»[٧].

ثم يقرر سيد قطب أن خضوع القصة القرآنية للغرض الدينى هكذا هدفا وطريقة، لم يمنع بروز الخصائص الفنية فى عرضها.. ولكنه على النقيض أبرز خصائص فنية بعينها تحسب فى الرصيد الفنى للقصة فى عالم الفنون الطليق، حيث «يجعل الجمال الفنى أداة مقصودة للتأثير الوجدانى، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية»[٨].

ولعله يمكن إجمال الخصائص الفنية التى نشأت عن خضوع القصة القرآنية للأغراض الدينية فى: واحدية العرض، على تغاير موضوعات القصة وشخوصها جميعا، كأنما ليستنبت فى وعى المتلقى إحساساً أصوليا بوحدة الدين... وفى عرض الحلقات التى تقتضيها الأغراض، حتى إن آخر حلقة تعرض- بحسب ترتيب السور- تتفق مع أظهر غرض دينى صيغت القصة من أجله،وفى الوقت ذاته يتفق هذا الختام مع الأصول الفنية، ويبدو كأنه ختام فنى لذاته، وفى تساوى القصة مع الوسط الذى تعرض فيه، فأنشاء التساوق نوعا من التناسق الفنى[٩].

وأخيرا ينحو سيد قطب إلى الدراسة الجمالية

---

(٥) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن - ص ١٢٦.

(٦) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن - ص ١٣٢.

(٧) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن - ص ١٣٧.

(٨) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن - ص ١٣٩.

(٩) انظر: التصوير الفنى فى القرآن - سيد قطب - ص ١٣٩-١٤٦.

بشكل نهائى فى حديثه عن نوعية «الخصائص الفنية للقصة» التى تحقق غاياتها المضمونية عن طريق الجمال الفنى، ويلاحظ أنه استقى فى هذا الحديث جوانب البناء القصصى: من عرض، إلى مفاجأة، إلى سرد، إلى تصوير، مع حرص لا يتخلف على أساسية أن يظل إيقاع الحديث قابضاً على إحساس أننا نتعامل مع قص قرآنى وليس مع مطلق قصٍّ فيقول:

١ - «أولى هذه الخصائص: تنوع طريقة العرض، وقد لاحظنا فى قصص القرآن أربع طرائق مختلفة للابتداء فى عرض القصة على النحو التالى:

مرة يذكر ملخصا للقصة يسبقها، ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها، وذلك كطريقة قصة أهل الكهف..

ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها، وتسير بتفصيل خطواتها، وذلك كقصة موسى فى سورة القصص... وقريب من هذا النحو قصة يوسف.

ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون فى مفاجآتها الخاصة ما يغنى، مثل ذلك قصة مريم عند مولد عيسى، ومفاجآتها معروفة...

ومرة يحيل القصة تمثيلية، فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها، وذلك كالمشهد الذى عرضناه من قصة إبراهيم وإسماعيل..

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾(١٠)

هذه إشارة البدء، أما ما يلى ذلك فمتروك لإبراهيم وإسماعيل:

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(١١)

إلى نهاية المشهد الطويل...

ب - وثانية هذه الخصائص تنوع طريقة المفاجأة:

فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة، حتى يكشف لهم معا فى آن واحد، مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم فى سورة الكهف..

ومرة يكشف السر للنظارة، ويترك أبطال القصة عنه فى عماية، وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين، وأغلب ما يكون ذلك فى معرض السخرية، ليشترك النظارة فيها، منذ أول لحظة، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين، وقد شاهدنا مثلا من ذلك فى قصة أصحاب الجنة.

ومرة يكشف بعض السر للنظارة وهو خاف على البطل فى موضع، وخاف على النظارة وعلى البطل فى موضع آخر، فى القصة الواحدة، مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذى جيئ به فى غمضة، وعرفنا نحن أنه بين يدى سليمان، فى حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم:

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾(١٢)

---

(١٠) البقرة (١٢٧).
(١١) البقرة (١٢٧).
(١٢) النمل (٤٢).

فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفاً، ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير، ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معها، حينما:

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾(١٣).

ومرة لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة فى آن واحد ويعلمان سرها فى الوقت ذاته، وذلك كمفاجآت قصة مريم، حين تتخذ من دون أهلها حجابا، فتفاجأ بالروح الأمين فى هيئة رجل.. وقد فوجئنا كذلك معها إذ

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾(١٤).

جـ « وثالثة الخصائص الفنية فى عرض القصة: تلك الفجوات بين المشهد، والمشهد، التى يتركها تقسيم المشاهد، « وقص » المناظر، مما يؤديه فى المسرح الحديث إنزال الستار، وفى السينما الحديثة انتقال الحلقة، بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق،وهذه طريقة متبعة فى جميع القصص القرآنى على وجه التقريب(١٥).

ويخصص سيد قطب للخصيصة الرابعة وهى: « التصوير فى القصة » فصلاً بذاته، لأنها – كما يرى– أبرز الخصائص الفنية فى القصة. مؤكدا على أن « هذا التصوير فى مشاهد القصة ألوان: لون يبدو فى قوة العرض والإحياء، ولون يبدو فى تخيل العواطف والانفعالات، ولون يبدو فى رسم الشخصيات ».

ثم يردف مستدركاً: « وليست الألوان منفصلة، ولكن أحدها يبرز فى بعض المواقف ويظهر على اللونين الآخرين، فيسمى باسمه، أما الحق فإن هذه اللمسات الفنية كلها تبدو فى مشاهد القصص جميعاً »(١٦).

وهكذا يلوح واضحا أننا هنا أمام دراسة فنية لخصائص القصة، تضئ لنا طريقة العرض، وطريقة المفاجأة، وطريقة السرد، وطريقة التصوير، فى تنويعاتها التقنية، التى تتردد فى: « العرض » بين الإجمال، والتلويح بالمغزى، والاكتفاء بالدهشة الكامنة، وحكاية الفعل بالفعل، والتى تتردد فى « المفاجأة » بين الحجب الكامل، والحجب عن الشخوص دون النظارة، والحجب التبادلى، والحجب غير الوارد أساساً.. والتى تتردد فى « السرد » بين ترك الفجوات، وقص المناظر... والتى تتردد فى « التصوير » بين قوة العرض، وتخييل العواطف، ورسم الشخصيات.

وكل أولئك بالطبع فعل فنى حقيقى، يحاول اكتناه التركيب فى نصوص معينة، ويحاول كذلك أن يضى جماليات هذا التركيب، بدءاً من الغاية التى يهدف إليها، ومرورا بالبناء الحامل لها، وانتهاء إلى الخصائص المميزة التى تجعل من هذا الفعل الفنى عالماً تحكمه قوانينه وضوابطه.

والملاحظ فى هذه الدراسة بحق، أن صاحبها ينطلق من النص إلى القانون، النقدى، وليس النقيض، فقد فشلت دراساتنا المعاصرة من الدخول فى النص بقوانين جاهزة مصمتة، كأن كل الإبداع يمر بحتمية غير مرئية من ثقوبها الضيقة، مما أصاب النقد والإبداع جميعا بضمور مؤكد تتقازم فيه الرؤى، وتنحسر فيه الاجتهادات!!

---

(١٣) النمل (٤٤).

(١٤) مريم (٢٣).

(١٥) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن ـ ص ١٤٦-١٥٢.

(١٦) انظر: التصوير الفنى فى القرآن ـ سيد قطب ـ ص ١٥٤.

دراسات أدبية

الإبـــداع وحرية المبدع

للأستاذ الدكتور/ متولى محمد البساطى (*)

إن تقويم أى عمل إبداعى، والحكم عليه يرتبط بأمرين: الأول: هو مدى حرية المبدع فى التعبير، والثانى: هو النظر إلى وظيفة الفن.

والأمران مرتبطان، إذ لا يمكن الحديث عن أيهما بعيدا عن الأخرى، وسيظلان باقيين، ومرتبطين ما بقى الإبداع.

قد تتقاطع الآراء أحيانا حولهما. ويشتجر الخلاف إلى درجة الحدة، فيصدر الرأى تبعا لثقافة الفرد، وانعكاسا لمزاجه، وهو ما نلاحظه فى العصور المختلفة، والبيئات المتعددة، وليس عصرنا ولا بيئتنا بدعا فى ذلك.

وفى العملية الإبداعية ينبغى أن نفرق بين التفكير، والتعبير، إذ انهما مرحلتان، مختلفتان فى طبيعة كل منهما، مع مراعاة عدم الفصل بينهما، وبالتالى تختلف الحرية الممنوحة للمبدع تبعاً لذلك، كما يختلف الحكم على عمله الإبداعى.

فكل له الحق فى أن يفكر فيما يشاء، وكيفما شاء، وليست هناك قيود على حرية التفكير، أما عندما يخرج الأمر إلى مجال التعبير فتلك مرحلة أخرى تختلف فى طبيعتها، إذ أن الإبداع إذا كان فيه تحقيق للذات المبدع، فإن هذا العمل من جهة أخرى ليس ذاتيا بصور مطلقة تماما، إذ أنه موجه إلى الآخرين، وعندما يتدخل الناقد وهو الطرف الثالث فى العملية الداعية فإنه يقوم بدور الوسيط بين المبدع، والمتلقى أو بعبارة أخرى يمارس جدلية الحوار البناء مع المبدع، التى قد يمارسها القارىء الواعى.

(*) الكاتب: رئيس قسم الأدب والنقد بكليةاللغة العربية بالمنصورة.

وفى مرحلة التعبير لا يمكن لذى بصيرة أن يقول بالحرية المطلقة للمبدع، وإلا انقلبت هذه الحرية المطلقة إلى فوضى مطلقة، وصار الفن معول هدم بدلا من أن يكون وسيلة بناء، وارتقاء.

والمبدع عندما ينتقل من مرحلة التفكير إلى مرحلة التعبير فإن أول ما يقوم به هو «الضبط» والتنظيم والانتقاء»، ولا نتصوره يعبر عما بداخله من أفكار وخواطر، بأى كيفية، لأن ما يقوم به فى هذه الحالة سيأتى أشبه ما يكون بهذيان المحمومين، أو تهويمات المخبولين، أو الأحاديث المباشرة العادية التى تجرى فى الأسواق، أو داخل غرف النوم، وبعض هذه الظواهر وجدت فى الأداب العالمية فى فترة من الفترات، وكانت انعكاسا لعوامل غير صحية، سرعان ما تعافت منها تلك الآداب.

فعملية «الضبط»، والتنظيم، والانتقاء» من صميم العمل الإبداعى، ولا يقال بأن ذلك يقف حجر عثرة أمام المبدع، انها ضوابط، لا قيود، وهى ضوابط تأخذ بين المبدع، ولا تعيقه طالما رزق البصيرة النافذة، والقدرة الخلاقة، والحس المرهف، ليحلق فى سماء الفن، ويأخذ بيد المتلقى، ليحلق معه هو الآخر بدلا من أن يدفعه إلى الحضيض، ويهوى بمداركه ومشاعره.

ليست مهمة المبدع أن ينقل الواقع كما هو، محتجا على ذلك بالواقعية، وإنما مهمة المبدع أن يرتفع عن الواقعية المسفة، المبتذلة، ليسمو بالمتلقى إلى واقعية لإبداع الراقى.

إن ذلك أو بعضه قد يدغدغ مشاعر المتلقى، فينتشى به حينا، ولكنه أشبه ما يكون بالحركات الفجة، المثيرة للغرائز، أو الكلمات الماجنة التى تخدش الحياء، وتصدم الذوق، والشعور، والإدارك.

وما سبق لا يمكن أن نسلكه فى نطاق الإبداع إلا إذا وظف توظيفا فنيا جيدا، وجاء فى خدمة العمل الإبداعى.

فالمبدع ليست مهمته محصورة فى نقل الواقع، وإنما فى إعادة صياغته، بعد أن يضفى عليه من ذاته، وإن بقى الواقع هو نقطة الارتكاز، والمحور الذى يدور حوله ملحقا.

ومن ناحية ثانية ينبغى أن ينظر إلى التجربة الفنية على انها تهدف إلى الخير بوجه عام[1]، ولذا يرى هربرت ريد أن العلاقة بين الفن والدين من أكثر المسائل التى ينبغى علينا أن نواجهها على الرغم مما فيا من صعوبة، وأن الفن والدين يبرزان يدا فى يد من أعماق مما قبل التاريخ، وبدا عليهما انهما مرتبطان ارتباطا لا ينفصم، وعلى الرغم من محاولة فصل الفن عن الدين فى أوروبا، واتساع هوة الانفصال مع ما يعرف بعصر النهضة، بوجود فن متحرر يهدف إلى التعبير عن شخصية الفنان لكنه ينتهى إلى الاعتقاد «بأنه لا يمكن أن يكون هناك فن عظيم، أو مراحل عظيمة للفن دون ارتباط وثيق بين الفن والدين، وعلى الذين ينكرون ضرورة الارتباط بين الدين والفن أن يكتشفوا بديلا للمشاعر الدينية عند الجماعات، يستطيع أن يضمن فى المدى البعيد وجود نوع من الاستمرار التاريخى لذلك الفن الذى ليس دينيا»[2].

---

(١) علم الجمال والنقد الحديث د/ عبدالعزيز حمودة صـ ٨٦، ٨٧ نقلا عن كتاب الفن لكليف بل. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩.

(٢) معنى الفنى صـ٤٨/٥٠ ترجمة سامى خشبة. الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة/ ١٥ نوفمبر سنة ١٩٩٠.

والحرية المطلقة كما تجنى على الفن فإنها كذلك تجنى على الأخلاق، ولا يخفى على أحد أن كل مجتمع له مقدساته، وله أعرافه، وتقاليده، ومنه لا يجوز انتهاكه من قبل الآخرين حتى الذين يختلفون عنا فى العقيدة، أو المذاهب، أو الفكر، إذ أن الاختلاف فى ذلك يعطى للمخالف الحق فى التطاول على المقدسات، أو النيل منها بدعوى حرية الفكر.

والقول بالارتباط بين الفن والدين ليس معناه الدعوة إلى أن يتخذ الفن منبراً للوعظ، أو الدعوة المباشرة إلى تقرير القيم والمثل الأخلاقية، لأن ذلك لا يجدى الفن، والدين شيئا.

كما أننا من ناحية أخرى لا نميل إلى محاكمة المخالفين فى الرأى، ونصب المشانق لمن يخرجون عن المثل، والقيم الأخلاقية، إذ أن هذه ليست من مهام الناقد، وإنما نقصد إلى القول بأن الأساس الأخلاقى أحد الأسس التى وجدت فى نقد الآثار الفنية قديما، وحديثا،، عند العرب، وعند غيرهم.

وينبغى أن يكون الأمر فى هذا داخلاً فى إطار الخلاف فى الرأى، أو فى وجهات النظر، ولا ينبغى أن ينتج عنه اتهام بالتعصب، أو التنابذ، والمقاطعة، والتكفير، ورد الفريق الآخر بالاتهام بالجهل، وضيق الأفق.

وفى تراثنا العربى يكفى أن نجد ناقدا مثل القاضى عبدالعزيز الجرجانى «ت٣٦٦هـ»، الذى اشتهر بالفقه، والتفسير يتسع صدره لشعر أبى نواس، ولشعر غيره ممن نهج نهجه فى اللهو والمجون، والخروج عن الأساس الأخلاقى، إذ يقول: «فلو كانت الديانة عارا على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر، لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين، ويحذف ذكره، إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير، وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه بكما خرسا، وبكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»(٣).

وهذا القول يمثل الوجه الثانى للعملية النقدية، وهو رأى يعود بنا ثانية إلى قضية الفصل بين الفن والدين، وأن البعض يرى أن الفن لا يعيش فى كتف الدين، وأن الأهداف الدينية، والأخلاقية، لا تأتلف وطبيعة الفن، متناسين أن القول بهذا فيه من الخطر ما يكفى لهدم الممثل والقيم الأخلاقية، وهو أمر تنبه له أفلاطون قديما، إذ يقول: «فينبغى أن نراقب الشعراء، ونحملهم على أن يبرزوا فى إنتاجهم صورة الخلق الخير، وإلا عاقبناهم بالحرمان من التأليف، وأن يمتد الإشراف إلى أساتذة جميع الحرف الأخرى بالمثل، ونمنعهم من إبراز الوضاعة، والانحلال الخلقى، والتسفل، وكل ما تكون طبيعته شريرة»(٤).

ونحن نفهم قول الجرجانى «الدين بمعزل عن الشعر» على أن طبيعة الدين تختلف عن طبيعة الشعر، فالشعر ينبغى أن يقوم على أساس فنى أولا، وحتى الشاعر الملتزم تتحكم فيه طبيعته الفنية فى إطار المعايير الأخلاقية.

وتلك محاولة منه للخروج من المأزق الذى قد يتعرض له بتناول هذا اللون من الشعر، وربما الإعجاب به، فالشعر فن، وليس شعيرة، أو ورداً من الأوراد.

(٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه - تحقيق وشرح محمد أبوالفضل ابراهيم، وعلى البجاوى مطبعة الجلى صـ٦٤.

(٤) جمهورية أفلاطون صـ٥٥/٥٦ ترجمة نظلة الحكيم، ومحمد مظهر سعيد.. دار المعارف، ط الثالثة.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

يــدك.. تريبنــى

روى الأعمش أن أعرابيا جلس إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه، وكانت يده أصيبت يوم «نهاوند» فقال الأعرابى: والله إن حديثك ليعجبنى، وإن يدك لتريبنى!!

فقال زيد: مايريبك من يدى إنها الشمال فقال الأعرابى: والله ماأدرى اليمين يقطعون أم الشمال، فقال زيد: صدق

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾(١).

ويعنى تريبنى أى تدخل إلى قلبى الشك هل قطعت فى سرقة، وهذا من جهل الأعرابى.

صــون العــرض

قال أبو على الدقاق: ماأحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها، إن كان كريما أصون عرضه، وإن كان لئيما أصون عرضى.

قال الشاعر:

أصون عرضى بمالى لا أدنسه
لا بارك الله بعد العرض فى المال
أحتال للمال إن أودى فأجمعه
ولست للعرض إن أودى بمحتال

حقــاً

وإذا حملت إلى سفيه حكمة
فقد حملت بضاعة لاتنفق

(١) التوبة (٩٧).

أخــــلاق الصــــالحين

سأل الرشيد أبا يوسف، قاضى القضاة فى عهده: صف لى أخلاق «أبى حنيفة» فقال: كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله، مجانبا لأهل الدنيا، طويل الصمت، دائم الفكر، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا، إن سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب، وما علمته - ياأمير المؤمنين - إلا صائنا لنفسه ودينه مشتغلا بنفسه عن الناس، لايذكر أحدا إلا بالخير، فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين.

قالـــــوا...

- خير المال ماوجهته وجهه.
- خير الناس للناس خيرهم لنفسه.
- خالف هواك ترشد.
- خير الناس من فرح للناس بالخير.
- ليس من أراد الحق فأخطأه كمن أراد الباطل فأصابه.
- كفاك أدبا لنفسك اجتناب ماتكره من غيرك.
- من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

خيــر الــــزاد التقـــوى

دخل على بن أبى طالب - رضى الله عنه - المقابر، فقال: أما المنازل فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، وأما الأزواج فقد نكحت، هذا خبر ماعندنا فما خبر ماعندكم؟!

ثم قال: والذى نفسى بيده لو أذن لهم فى الكلام لأخبروا أن خير الزاد التقوى.

خيــر مايؤتــى المـــرء

قال رجل لحكيم: ماخير مايؤتى المرء؟

قال: غريزة عقل.

قال: فإن لم يكن؟ قال: فتعلم علم.

قال : فإن حرمه؟ قال: صدق اللسان

قال: فإن حرمه؟ قال: سكوت طويل

قال: فإن حرمه؟ قال: ميتة عاجلة.

دعـــــاء

اللهم إنا دعوناك ثقة بكرمك، وطمعا فى رحمتك، وسعيا وراء مرضاتك فما غير وجهك قصدنا، ولا إلى غيرك لجأنا، أنت وليِّى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس

● سؤال من السيد / حسين القطان يقول فيه:

رجل فى الثمانين من عمره، ضعيف الصحة لا يقدر على الصيام، وهو فقير لا يملك شيئاً وينفق عليه أولاده الفقراء جداً فهم يعيشون على الكفاف لكثرة أولادهم وعدم وجود مورد رزق لهم، فما حكم فدية الصوم عن هذا الرجل، وهو لا يستطيع إخراجها، كما لا يستطيع أولاده إخراجها عنه؟.

●● الجواب:

قال الله - تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(١)

وقال - تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٢).

ومن مظاهر التيسير على المسلم إعفاؤه من فريضة الصيام فى شهر رمضان، إذا فنيت قوته، وعجز عن أداء الصوم لكبر سنه، وهو ما يسميه الفقهاء بالشيخ الفانى، والعجوز الفانية.. قالوا: ويجوز الفطر لشيخ وعجوز فانية، وتلزمهما الفدية، وهى إطعام مسكين عن كل يوم غداء وعشاء، أو فطور وسحور، أو يخرج قيمة ذلك والأصل فيه قوله - تعالى:

(١) البقرة (١٨٥).

(٢) الحج (٧٨).

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾(٣).

قال العلماء: أى لا يطيقون الصيام، وتقدير حرف النفى «لا» أسلوب معروف فى القرآن الكريم كما فى قوله ـ تعالى:

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾(٤).

أى لا تفتأ، وقوله ـ تعالى:

﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾(٥).

أى لا تضلوا.. ويرى بعض العلماء أن المعنى.. وعلى الذين يطيقونه أى يقدرون عليه بتعب ومشقة وعسر.... روى عطاء أنه سمع ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يقرأ: «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ هى للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكين. رواه البخارى.. قال الفقهاء: فمن لم يقدر على الفدية لعسرته، يستغفر الله ـ تعالى ـ ويستقيله أى يطلب منه الإقالة والعفو، ومن الفقهاء من قال: إنه لا فدية على الشيخ الفانى والعجوز الفانية، وهو مذهب المالكية، وبعض فقهاء الأحناف، لأنه عجز مستمر إلى الموت، فكان كالمريض، إذا مات قبل أن يصح، والمسافر قبل أن يقيم، وإن كان المستحب أن يفدى.

ومن هذا يتبين للسائل أنه ليس على الرجل موضوع السؤال.. إذا كانت حالته كما شرح، لا صيام ولا فدية.. وليس عليه إلا أن يستغفر لله ـ سبحانه ـ ويطلب عفوه. والله ـ تعالى ـ لا يكلف نفساً إلا وسعها، والله أعلم.

● **سؤال من السيد / فوزى سيد حبشي.. يقول فيه:**

عندى مرض السكر، ولا يمكننى الاستغناء عن الماء، ولا عن الغذاء، فإن صمت وامتنعت عن الماء يحصل عندى ضعف ولا يمكننى القيام بمباشرة عملى الذى أستعين به فى الحصول على معاش أولادى.. فما الحكم الشرعى.

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه.. وبعد،،

فإن علماء مذهب الفقه الحنفى قد نصوا على أن المريض إذا غلب على ظنه بأمارة أو تجربة أو إخبار طبيب حاذق مسلم مأمون أن صومه يفضى إلى زيادة مرضه أو تأخير شفائه، جاز له الفطر، وكذا يجوز الفطر

---

(٣) البقرة (١٨٤).

(٤) يوسف (٨٥).

(٥) النساء (١٧٦).

للمريض بمرض السكر المعروف إذا كان صومه يفضى إلى عدم قدرته على أداء عمله الذى يتعيش منه وعليه أن يقضى ما أفطره فى رمضان فى أيام أخر بعد زوال هذا العذر، وإن تحقق اليأس من زواله، وجبت عليه الفدية كالشيخ الكبير الفانى بشرط أن يستمر عجزه إلى آخر حياته، ولا قضاء عليه فى هذه الحالة.. والفدية هى إطعام مسكين واحد عن كل يوم غداء وعشاء مشبعين أو دفع القيمة للفقير وهى ثلاثة جنيهات تقريباً والله أعلم.

● سؤال من السيد / صديق جودة السحار.. يقول فيه:

ما مقدار زكاة الفطر عن كل فرد؟. وهل يجوز إخراجها فى منتصف شهر رمضان؟. وما الفرق بينها وبين زكاة المال من حيث النصاب، والقدر الواجب من كل منهما؟.

●● الجواب :

زكاة الفطر عند الحنفية نصف صاع من بر عن الفرد الواحد، والصاع عندهم بالكيل المصرى قدحان وثُلث، فالواجب إخراجه قدح وسُدس من القمح عن كل فرد، فالكيلة المصرية تكفى سبعة أفراد إذا زيد عليها سُدس قدح، ويجب من التمر والشعير والزبيب صاع كامل، ويجوز إخراج القيمة الواجبة من النقود، بل هو أفضل لأنه ـ عند الأحناف ـ أنفع للفقراء وخاصة أهل المدن الذين لا يزرعون.

والقدر الواجب إخراجه عند الشافعية صاع عن كل فرد، والصاع عندهم (قدحان بالكيل المصرى) من غالب قوت المخرج عنه، وأفضل الأقوات، القمح والذرة والشعير والأرز إلخ........

والمقدار الواجب إخراجه عند المالكية صاع عن كل شخص، وهو قدح وثلث بالكيل المصرى.. فتجزىء الكيلة عن ستة أشخاص، وهو صاع كذلك عند الحنابلة.

ووقت وجوب الزكاة من طلوع فجر يوم العيد، ويصح أداؤها مقدماً ومؤخراً.. عند الشافعية.. إلا أنها تستحب قبل الخروج إلى المصلى لقوله ﷺ: «اغنوهم عن ذل السؤال فى هذا اليوم».. وقال الشافعية: إن وقت وجوبها آخر جزء من رمضان وأول جزء من شوال، ويسن إخراجها أول يوم من أيام عيد الفطر بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد، ويكره إخراجها بعد صلاة العيد إلى الغروب إلا لعذر كانتظار فقير قريب ونحوه، ويحرم إخراجها بعد غروب الشمس يوم العيد. ويجوز إخراجها من أول يوم شهر رمضان فى أى يوم شاء.

وزكاة الفطر واجبة على كل مسلم يجد ما يَفْضل عن حاجته وعن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته، وعن كل من تلزمه نفقته من أولاده وأهله وخدمه ووالديه الفقيرين.

ويرى السادة المالكية ـ رضوان الله عليهم ـ أن زكاة الفطر واجبة على كل مسلم قادر عليها في وقت وجوبهاسواء كانت موجودة عنده أو يمكنه اقتراضها، فالقادر على الاقتراض يعد قادراً إذا كان يرجو الوفاء ويشترط أن تكون زائدة عن قوته وقوت من تلزمه نفقته في يوم العيد.

أما زكاة المال فلا تجب إلا على من ملك نصاباً فارغاً من الدين وعن حاجته الأصلية وحال عليه الحول، ومقدار النصاب حوالى ٨٤ جراماً من الذهب بسعر اليوم الذى تجب فيه الزكاة، ومقدار الزكاة ٢,٥٪ وأما زكاة الزرع والثمار فإن كانت تسقى بآلة ففيها نصف العُشر، وإن كانت تسقى بغير آلة كالمطر وخلافه، ففيها العُشر كاملاً.. ويجب إخراج الزكاة يوم الحصاد كما قال الله ـ تعالى:

﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾(٦).

والله أعلم.

● سؤال عن معجون الأسنان والفرشاة للصائم، هل يقاس على السواك؟.

●● الجواب :

جوابنا على هذا نقول: السواك للصائم سُنَّة في أول النهار وفي آخره، ولا أعلم حجة مستقيمة لمن قال: إنه يكره للصائم أن يتسوك بعد الزوال، لأن الأدلة في مشروعية السواك عامة ليس فيها ما يدل على التفصيل، وقد ذكر البخارى في صحيحه عن عامر بن ربيعة ـ رضى الله عنه ـ قال: رأيت النبى ﷺ ما لا أُحْصى يتسوك وهو صائم، ولكنه ذكره معلقاً بصيغة التمريض (أى تضعيف الأمر فهو رأى ضعيف).

وعلى هذا فالتسوك للصائم مشروع كما أنه مشروع لغيره، وأما الفرشاة والمعجون للصائم محل السؤال فلا يخلو من حالتين: إحداهما أن يكون قوياً ينفذ إلى المعدة ولا يتمكن الإنسان من ضبطه، فهذا محذور عليه ولا يجوز استعماله، لأنه يؤدى إلى إفساد الصوم، وما أدى إلى المُحَرَّم فهو مُحَرَّم، وفي حديث لقيط بن صبرة أن النبى ﷺ قال له: «بالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائماً» فاستثنى الرسول ﷺ من المبالغة في الاستنشاق حالة الصوم، لأنه إذا بالغ في الاستنشاق وهو صائم، فإن الماء قد يتسرب إلى جوفه، فيفسد بذلك الصوم. وبناء على ذلك فإذا كانت الفرشاة أو المعجون قوية تنفذ إلى المعدة فلا يجوز استعمالها، أو على أقل تقدير تكون مكروهة، والله أعلم.

(٦) الأنعام (١٤١).

يا أمة الإسلام أفيقى

دكتور حسين عباس الأنصارى (*)

عن ثوبان، مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: «قلنا يا رسول الله»: أمن قلة نحن «بنا» يومئذ قال لا بل أنتم كثير.. ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وسيصيبكم الوهن. قال: قلنا وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت»(1). وصدق رسول الله ﷺ.

حينما قرأت هذا الحديث ضحكت، ثم بكيت؟!.

ضحكت لأننى تخيلت صحابة رسول الله ﷺ وقد اصفرت وجوههم، وانخلعت قلوبهم من صدورهم، وهم يسمعون هذا النبأ العظيم من رسول الله ﷺ، وقد تصوروا أن عقابا من عند الله يوشك أن يعمهم، بما قدمت أيديهم أو بما فرطوا فى حق الله لأنهم موقنون تماما بقوله تعالى:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾(2).

ووعد الله لا يتخلف.

ويوجه الصحابة – رضوان الله عليهم – تساؤلهم إلى رسول الله ﷺ: أمن قلة بنا يومئذ؟؟ والقلة عندهم لم تكن معيارا للهزيمة، وهم الذين هزموا أعداء الله فى معارك غير متكافئة فى العدد والعدة وكان النصر دائما حليف المؤمنين.

لكنها المفاجأة التى أصابتهم حينما سمعوا كلام رسول الله ﷺ والذى كان يشق حجب الغيب وينظر بنور النبوة، ويرد عليهم ﷺ: أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وسيصيبكم الوهن».

بأبى أنت وأمى يا رسول الله إنه بالطبع لا يقصدهم، فهم أبناء خير القرون وخيرة المجاهدين، لا يهابون الموت، لأنهم يعلمون أن بعده حياة أبدية فى جنات النعيم مع النبيين والصديقين.

(*) الكاتب طبيب بوزارة الصحة.

(2) محمد (7).

(1) رواه الإمام أحمد فى مسنده.

لكنه ﷺ كان يقصد أناسا آخرين من أمته، يختلفون عن هذا الرعيل الذى تربى بين أنوار النبوة وتشرب روح القرآن.

وبكيت حينما تذكرت أحوال المسلمين اليوم، وهى أحوال تستدعى البكاء، بل النحيب وأى ثكل أقسى، هل الثكل فى الولد أم الثكل فى الدين؟

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾(٣).

بكيت وأنا أرى المسلمين وقد أصبحوا أذلاء بعد عزتهم ضعفاء بعد قوتهم، قلة رغم كثرتهم، مستعبدين بعد أن كانوا سادة العالم.

إن كثيرا من المسلمين اليوم أصبح مشرفا على الغرق، تتهدده الأمواج العاتية والحيتان المفترسة، وإخوته وعشيرته على الشاطىء ما بين لاه عنه بملذاته الشخصية أو خائف على نفسه من المخاطر المتوهمة على الرغم مما يملك من وسائل النجاة.

أو قليل حيلة رغم ما تعتمل به نفسه من إشفاق وحزن على أخيه المشرف على الغرق لأن سيد الشاطىء يمنعه من محاولة إنقاذه.

وإذا ألقينا نظرة عامة على المسلمين فى مختلف البلدان من هذا العالم فإننا نجد أنهم ليس لهم وزن بين شعوبه بعد أن كانوا سادة هذه الشعوب، ليس بسيفهم ولكن بقوة إيمانهم وسمو عقيدتهم ويقينهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس، على شرط هذه الخيرية:

﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(٤)

لقد تحققت إشارات رسول الله ﷺ بعد أربعة عشر قرنا من الزمان حسب ما جاء فى هذا الحديث حرفا حرفا.

فالمسلمون اليوم تتكالب عليهم الأمم والشعوب من كل جانب وفى جميع انحاء الأرض من كل ملة وعقيدة، فالجميع قد اتفقوا فيما بينهم - وهم أعداء الأمس - على إبادة المسلمين ومحو آثار الإسلام من على الأرض «وهذا لن يكون بإذن الله» فهم يمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين.

لقد أصبح المسلمون مستضعفين على الرغم من أنهم يمثلون ربع سكان العالم، فما السبب؟ إن الجواب على هذا التساؤل سوف نجده عند هذا الشاعر الحكيم حيث يقول:

ومن يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

نعم لقد هان المسلمون ببعدهم عن الإسلام الذى هو مصدر عزتهم وكرامتهم وأصبحت كثرتهم الكاثرة غثاء كغثاء السيل، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

أرض المسجد الأقصى مسرى رسول الله ﷺ وقبلته الأولى ترزح تحت نير الاحتلال الصهيونى منذ أكثر من خمسين عاما بواسطة أبناء القردة والخنازير ممن كتب الله عليهم المذلة مشتتين فى

---

(٣) التوبة (٢٤).

(٤) آل عمران (١١٠).

بقاع الأرض قرونا طوالا، منبوذين من جميع شعوب العالم، حتى جثموا على الأرض المقدسة على حين غفلة أو تغافل من أهلها، حينما أصابهم الوهن. وآخر حقدة هؤلاء الخنازير ذلك الخنزير الشرس المدعو شارون، صاحب السجل الأسود الذى راح يعيث فى الأرض فسادا دون رادع يردعه، لأن الكل وقف متفرجا لا فرق بين دولة عربية أو إسلامية وكأن الأمر لا يعنيهم فالشأن شأن أمريكا فهى الراعية الأولى للسلام كما يحلو لنا أن نسميها أو هى الراعية الأولى للاستسلام كما هى حقيقة أمرها فهى تساند إسرائيل بكل ما تستطيع من قوة عسكرية ومساندة سياسية تكشف عن وجهها القبيح، حتى يجثو الشعب الفلسطينى على ركبتيه رافعا راية الاستسلام فى مسرحية هزلية لا يعرف التاريخ الإسلامى لها مثيلا.

هل انعدمت النخوة والشهامة من دولنا العربية والإسلامية ولم يعد لها سوى الاستغاثة بالمجتمع الدولى ليحمى المسلمين من الإبادة والدمار؟ ومن هو المجتمع الدولى الذى يتحدثون عنه إنه أمريكا، فهى الأمم المتحدة وهى مجلس الأمن وهى التحالف الظالم وليست عضوا فيه فقط كما تدعى فالكل يأتمر بأمرها والكل رهن إشارتها، حتى ألد أعدائها بالأمس، روسيا والصين.

لماذا اجتمع كل هؤلاء على هدف واحد، وما هو هذا الهدف؟! الطفل متوسط الذكاء يستطيع أن يستنتج أن الهدف هو الإسلام. ولسنا من السذاجة بأن تغيب عنا هذه الحقيقة، لكنه الوهن الذى أصابنا بحبنا للحياة وكراهيتنا للموت.

وإذا عدنا إلى الوراء قليلاً فإننا سنرى ذلك واضحا فيما حدث للمسلمين فى البوسنة والهرسك وفى كوسوفا وفى الشيشان، شعوب تباد وأعراض تنتهك ومقدسات تداس تحت الأقدام، وأمة الإسلام واقفة تتفرج، بل إن بعضها شارك فى هذه المآسى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لأن من ليس مع أخيه فهو عليه.

هذه الأحقاد لم يخفها أصحابها، لكنهم قالوها بكل وقاحة.

قالها نيكسون وقالها بوتين ثم قرن القول بالفعل، وقالها بوش وقالها رئيس وزراء إيطاليا فماذا ننتظر بعد هل، ننتظر أن نسألهم إن كنتم تقصدون ما تقولون أم أنها مداعبة لنا فقط؟!

كما قلت فإننا لسنا سذجا بهذه الدرجة.

وما يحدث الآن فى أفغانستان إنما هو فصل فى هذا المسلسل المهين.

الموضوع ليس أسامة بن لادن ولا طالبان فهم أضعف من أن يدبروا هذا المخطط الدقيق، لكنهم يعيدون قصة الذئب والحمل مرة أخرى.

ما معنى أن تجيش الجيوش من أقوى دول العالم لإبادة شعب شبه أعزل لمجرد اشتباه فى بعض الأفراد بأنهم قاموا بالتخريب الذى حدث فى واشنطن ونيويورك! أى شريعة وأى قانون هذا الذى يتعاملون به؟! لاشك أنها شريعة الغاب وقانون البلطجة، وكما قلت من قبل فلم تعد هناك أمم متحدة ولا مجلس أمن، فقط هناك الجلاد الأمريكى الذى يعيد قصة نيرون مرة أخرى والذى سيهزم بأضعف جند الله.

الهدف ليس أسامة بن لادن ولا طالبان، ولكن

الهدف الأساسى ـ والعلم عند الله ـ هو التمركز فى منطقة وسط آسيا، بعد التمركز فى منطقة الخليج العربى لضرب عدة عصافير بحجر واحد:

أولاً: السيطرة على بعض الدول فى المنطقة والتى تحاول أن تجعل الإسلام منهجا لحكمها مثل إيران وأفغانستان، وإن كانت لنا ملاحظات على أسلوبهما فى الحكم، لكن ليس هذا وقت إبداء هذه الملاحظات فلكل مقام مقال، وكذلك دولة باكستان المعين الأكبر على دمار نفسها!!

كذلك السيطرة على الدول الإسلامية الوليدة والتى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى قبل أن تفكر فى استعادة هويتها الإسلامية وأمجادها الغابرة حيث خرج منها الإمام البخارى والسمرقندى والجرجانى والبيرونى وغيرهم وغيرهم.

ثانياً: التحكم فى منابع البترول بمنطقة بحر قزوين والتى تمثل مخزونا هائلا من هذه الثروة الخطيرة كما حدث فى منطقة الخليج.

وصدقونى، فإن أمريكا لن ترحل عن هذه المنطقة إلا إذا رحلت بقدرة قادر.

ثالثاً: العمل على التخلص من العدو الأول وهو الإسلام كما أعلنه نيكسون مكتوبا وأعلنه بوش مسموعا، تعبيرا عن حقيقة ما بداخل نفسه وإن كان قد أعلن تراجعه بعد ذلك ذرا للرماد فى العيون.

تسانده فى ذلك دول الشرق والغرب مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾(٥)

هكذا اجتمع أبناء صهيون مع المنتمين إلى المسيح زورا وبهتانا والسيد المسيح منهم براء، مع الملحدين والمشركين مع الله آلهة أخرى من بوذيين وهندوس وسيخ.. الخ.

فهل سنسمح لكل هذا أن يحدث؟ واقعنا يقول نعم... وقد حدث بعض هذا فى التاريخ القريب جدا.

وفى التاريخ البعيد وقف العرب الحفاة، رعاة الإبل أمام أعتى قوتين فى العالم فى ذلك الوقت وهما دولتا الفرس والروم وجعلوهما أثرا من بعد عين وخلصوا العالم من شرورهما.

إن الإيمان القوى بالله لا ترهبه القوة ولا تخدعه الأبهة الزائفة.

ولعل شهر رمضان المبارك يعيد إلينا أمجاد الانتصار على أنفسنا كما يعيد أمجاد الانتصارات فى بدر والعاشر من رمضان.

زفرة: إن أخوف ما أخافه وما يؤرق مضجعى أن يفنى الأفغان بعضهم بعضا ولا يمكن القضاء عليهم إلا من هذا الجانب وهذا ما يخطط له الغرب والشرق، أما إذا توحد الأفغان، شمالهم وجنوبهم فستكون أرضهم مقبرة لأى غاز،، فاللهم سلم.. ويا أمة الإسلام أنفضى عن نفسك تراب الوهن حتي تكونين كما أرادك الله.

(٥) البقرة (٢١٧).

استقبال شهر رمضان

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

المتأمل فى مواسم الخير الإسلامية يتملكه شعور جارف بأن شهر رمضان على وجه الخصوص فاز صائموه وقائموه بأعظم حظ وأوفر نصيب. فهو شهر كريم مبارك يمن الله فيه على عباده بموفور الخيرات التى تستوجب من العباد الشكر على جزيل العطايا وعظيم الهبات وواسع المنن والرحمات التى يجدون خيرها وبرها فى الحياة قبل الممات حيث ترفع بها الدرجات. فالمؤمن رفيق الخير يدور حيث دار، هدفه نشر الفضائل والمكرمات. ولا يكون ذلك إلا فى أمثلة تعيش وسط الناس ونماذج تمشى بينهم تعلمهم كيف يستغلون أوقاتهم فى الطهر والطاعات، شعارهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعة والنفس طماعة فالزمها القناعة، وهم فى ذلك لا يملون أو يكلون؛ لأنهم بعميق إيمانهم يدركون أن السأم والملل هما الآفتان اللدودتان لكل من سلك الطريق إلى الله عبادة وذكرا وشكراً، ونهلاً من الفيوضات الرمضانية وقطفاً من ثمار دوحتها الزكية.

أقول إن الأفراد فى حاجة ماسة كما هو حال الأمم إلى فترات من الراحة والصفاء لتجديد الإيمان وتقوية دعائمه فى النفوس إصلاحاً لما اعوج من أحوال وعلاجاً لما استفحل من أدواء بعد أن طغت الماديات واستحكمت الشهوات فى كثير من المجتمعات وتجد هذه الأمراض المستعصية علاجها الناجع كلما أطل ذلك الموسم الكريم والشهر العظيم الذى هو أحب الشهور إلى كل مسلم، فرمضان ضيف يزورنا كل عام مرة واحدة يعيش المسلم أيامه وكأنها حلم جميل أو لمعة برق خاطف تذخر بأذكى الذكريات وأسعد اللحظات، وحب ذلك الوافد الكريم مغروس فى الروح مزروع فى القلب لما خصه الله به من المزايا والعطايا والمنن، وقد صور الحديث النبوى الشريف تلك المنح الجزيلة والجود الربانى أبدع تصوير يجعل المؤمن يتمنى من سويداء قلبه لو كانت السنة كلها

رمضان، فبعد أن بدأ المسلم البذر والزرع فى رجب وواصل السقى فى شعبان يحين موعده مع القطاف والجنى والحصاد فى رمضان، ولا يقف الحصاد عند أمور مادية تنتهى بانتهاء الحياة وإنما هى بركات تدوم وخيرات تصحبه، ما أنارت السماءَ النجومُ، ففى الصحيح من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين وينادى مناد ياباغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» فأى فرص تلك؟!.. وأى مناسبات هذه؟!.. إنما تهفو إليها الأرواح وتصفو فيها الأنفس وتزكو فيها دواعى الخير وتكثر أسباب البر إذاً قل لى بربك أى أمل ينشده المسلم أكثرمن تفتح أبواب الجنان إلا دخولها.. والتمتع بطيباتها؟ ويا لها من صورة رائعة وجوا إيمانى يسود فى رمضان ففيه تلاوة وصلوات وصدقات، وأذكار ودعوات، وابتهالات، ودعاء وتراويح، وتسابيح، بكاء وخشوع، امتثال وخضوع، التجاء ودموع. إنه فترة روحية المأمول منها إصلاح ما فسد من أمور، وهو محطة هامة لتعبئة القوى الروحية والأخلاقية التى تبنى عليها الحضارات وإلى جانب ذلك الجو الإيمانى السنى فإن رمضان مدرسة لتجديد الإيمان وصقل القلوب وتهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس وضبط الغرائز وكبح جماح الشهوات والنزوات.

فى الصيام تحقيق التقوى وقوة الإرادة وتهيئة المسلم وإعداده لمواقف التضحية والفداء. كما تتحقق به وحدة الأمة وتقوى أواصر المحبة والأخوة بين أبناء العقيدة الواحدة. كفى برمضان فضلا أن يشعر المسلم فيه بشعور المحتاجين ويحس جوع الجائعين وينجو من العقبة الكؤود التى توعد الله بها الكفرة فى قوله – سبحانه –:

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾

البلد (١١ – ١٨)

فالصيام كما ترى مدرسة للبذل والجود والبر والصلة أوقل هو مؤسسة للتكافل الاجتماعى الذى هو روح الدين وفحواه كما أنه معين للأخلاق لا ينضب ورافد للرحمة أى رافد وما أجمل ما يتحلى به الصائمون من سجايا وما يحصلون من خلال فهم أصفى الناس أرواحاً وأرقهم قلوباً وأصلحهم أنفساً وألطفهم مشاعراً وأرهفهم أحاسيساً.

وإذا كنا قد ركزنا لبعض الوقت على الصيام وثمراته ترى كيف نستقبل شهراً

لعمرى إن هناك أنواعاً من الاستقبال لذلك الشهر الفضيل نهيب بالمسلمين أن ينأو عنها وأولاها الإسراف والتبذير فما إن تعطر الجو نسمات ذلك الشهر حتى يهرع الناس مهرولين إلى الأسواق لشراء ما لذ وطاب من أنواع الطعام والشراب ناسين حكمة الصيام.

ويحضرنى هنا ما أكده أحد علماء الإسلام ومفكريه وهو الشيخ أبو الحسن الندوى عالم الهند الكبير من أن ما تكتظ به موائد المسلمين فى رمضان من ألوان الطعام وأصنافه يكفى لإشباع البطون التى تصطلى بسياط الجوع طول العام.

وثانى الأمور التى نحذر منها هو اتخاذ لياليه النورانية فرصة للسهر والسمر بدلاً من تعطيرها بالقيام وتلاوة القرآن.

وينبغى على المسلم أن لا ينسى ما وعد به من الجوائز والمكافآت السخية التى أخبر بها المصطفى - ﷺ - فيما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه -: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وتلك الجوائز يستحقها من صام رمضان وقام لياليه.

فالمستهدف أن يخرج المسلم من ذلك الشهر نقياً.

أخرج البخارى من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» ولو رأيت حرص السلف على استقبال رمضان لأدركت مدى ما نحن فيه من تقصير. فقد ذكر الحافظ ابن رجب عن معلى بن الفضل «أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه بقية السنة أن يتقبله منهم». وكأنى بهم قد انشغلوا برمضان والتهيىء له العام كله ثم اسمع دعائهم الذى نقله يحى بن كثير فقال: «كان من دعاءهم: اللهم سلمنا لرمضان وسلمه لنا وتسلمه منا متقبلاً».

ولقد فرح الشعر بمقدم الضيف العزيز فقال شاعر حكيم:-

جاء شهر الصيام ذى البركات

أكرم به من زائر هو آتِ

وقال آخر:-

أتى رمضان مزرعة العباد

لتطهير القلوب من الفساد

***

رمضان والتحديات المعاصرة

للأستاذ / إسماعيل أبو الهيثم

يهل علينا شهر رمضان الكريم، وجه من وجوه السعادة، وباب واسع من أبواب الرحمة والمغفرة والعتق من النار، ولكنه جاء هذا العام ونحن نعيش آلاما ومآسى وفواجع.

آلاما لما يحدث على أرض الاسلام فى أفغانستان وفلسطين.

ومآس على النظرة العدائية للإسلام من قبل الغرب الذين ألصقوا به ظلما وبهتانا الإرهاب.

وفواجع فى حال الأمة العربية والإسلامية الممزقة وسيطرة النظرة الآحادية عليها إلى جانب ضعف معنى التقوى (الهدف من الصيام) فى حياتنا الفردية والجماعية، تلك التقوى التى هى السبب الأساسى لنزول النصر الإلهى الذى يخلق الانتصارات ويهزم قوى الشر والكفر والطاغوت.

إن شهر رمضان فرصة عظيمة لدراسة الواقع، دراسة واقعية تتناول جميع التحديات التى تواجهنا، والعمل على حلها، حتى يمكن إنقاذ هذه الأمة من جميع الشرور والآثام التى تحيط بها لذا كان هذا الحوار لتشخيص الداء ووصف الدواء.

الدكتور صفوت زيد الأستاذ بجامعة الأزهر يرى أن الإنفاق البذخى فى رمضان أمر لا يتسق مع مجتمعاتنا الإسلامية النامية، كما أن شراهة الاستهلاك المتنامية فينا تدل على مدى التخلف السلوكى، وهو عمل مذموم ذمه الإسلام. حيث وصف الله المسرفين والمبذرين فى كتابه العزيز بأنهم إخوان الشياطين.

وأكد الدكتور محمد سيد أحمد المسير على هذا المعنى بقوله إن شهر رمضان هو شهر التعالى عن شهوة البطن والفرج والتسامى بالغرائز حتى تكون فى اطار كلمة الله ومنهجه تعالى.

فرمضان هو شهر تربية الإرادة والمراقبة الذاتية، والتخفف من ثقل المادة وأوزارها وليس رمضان شهر الأكلات والحلوى فهذه الأوضاع فيها قلب للحقيقة.

ولم يخف الدكتور جودة المهدى عميد كلية القرآن الكريم فرع طنطا تعجبه من التنافس فى إعداد الوجبات والأكلات بدلا من التنافس فى عمل الخير.

وشاركه الدكتور صفوت زيد التعجب من الشباب الذى يعتبر رمضان شهرا للكسل وموسما للأخذ لا العطاء، والترف لا المعاناة بينما رمضان فى الحقيقة موسما للانتصار على نوازع النفس والهوى، وفطم الجوارح عن فعل المحرمات، وجسرا نورانيا عبرت عليه حشود المؤمنين فى كل العصور، رافعة أعلام النصر فى بدر، وتبوك، والقادسية، وفتح مكة، وفتح الأندلس، والحروب الصليبية، وعين جالوت، والعاشر من رمضان.. مما يؤكد صدق القول بأن الإيمان يصنع النصر. وطالب الدكتور صفوت الجميع ان يقرأوا التاريخ بوعى المؤمنين.

البرامج الإعلامية

الدكتور محمد المسير يرى أن الاعلام فى رمضان يستغل فى تمزيق الشعور الدينى، ومحادة الله ورسوله برغم أنه من المفروض عليه أن يتوافق مع الحدث، وأن يمارس دوره فى تعبئة المشاعر نحو القيم، ولكى يصون الفكر الإسلامى ويقدمه نقيا صافياً.

ويؤكد أن مايقدم فى رمضان لا يعبر عن أمة تريد أن نستعيد دورها فى قيادة الحياة.

موائد الرحمن

موائد الرحمن فى نظر الدكتور المسير. ظاهرة طيبة، وعلامة مضيئة من علامات التواصل الإجتماعى لكنه يرى أن هذه الظاهرة تحتاج تعديلا لمسارها. لأنه يرى أنها فى بعض الأحيان لا تصل لمستحقيها ـ الذين لا يسألون الناس إلحافا ـ والتعديل الذى يراه هو عمل حقيبة مثلا تشتمل على بعض المواد الغذائية ويقوم أصحاب الخبرة بأحوال الناس، أو الجمعيات الخيرية بتوصيلها إلى بيوت المحتاجين. وأضاف ويااليت أن يشترك البعض فى إقامة بعض المشروعات الصغيرة لعدد من الشباب، لأننا فى حاجة إلى أن نعلم الناس العمل بدلا من أن نقدم لهم المآكل.

موائد الفنانين

وحول موائد الفنانين أكد الدكتور المسير أنه لا توبة مع الإصرار. فالفنان أو الفنانة التى تقيم مأدبة فى شهر رمضان مع إصرارها على الاستمرار فى عملها ظنا منهما انهما يقدمان عملا صالحا فهذا وهم، وعمل غير مقبول ومردود طالما أن المعصية قائمة.

لكن إذا تاب وأناب وأقلع وأراد أن يتخلص من المال الزائد بمثل هذه الطرق فهذا هو الحل الذى أراه أقرب إلى الصواب.

فرقة المسلمين

الدكتور جودة المهدى يرى ان من أهم التحديات التى تواجهنا الآن هى الفرقة بين الدول الإسلامية والعربية وأن الأمة الآن مغيبة عن المشاركة فى صياغة النظام العام وأنها تقف موقف المتفرج بل المشجع فأين رأيها الموحد لما يحدث فى أفغانستان وفلسطين واعترض الدكتور جودة

على أن ما يحدث فى أفغانستان هو محاربة الإرهاب والإرهابيين ودلل على اعتراضه بقوله: وهل يعقل حشد كل هذه الآلات الحربية والتقنيات الحديثة والمتطورة جدا لمحاربة فرد أو مجموعة أو تنظيم أم أنها الحيلة المفتعلة لاحتلال المنطقة الهامة الثرية؟!

إن المقصود من حرب أفغانستان هو الإسلام وليس الارهاب كما يزعمون!! وأين كانوا عندما كان الإرهاب مصدر قلق ودمار لكثير من الدول ولا يغيب عن الذاكرة ما لقيناه فى مصر من الإرهاب.

كانوا يغضون الطرف عنه ويصمون آذانهم عن استغاثات الآخرين وكانوا يظنون أنهم فى مأمن من شرر هذا الوباء.

وتساءل الدكتور جودة عن علاقة ما يحدث فى فلسطين بالإرهاب؟ وكيف يعد من يقاوم العدوان إرهابيا؟!

وأرجع الدكتور المهدى سبب ذلك لخفوت الصوت العربى وفقدان الإحساس بالمسئولية ووهن النبض الإسلامى فضلا على أن الإعلام الإسلامى والعربى يتحمل الدور الأكبر والمسئولية القطعية لظهور الإسلام بهذا الشكل فى وجدان الغرب وطالب الدكتور جودة الأزهر الشريف أن ينتقى قيادات مؤهلة لتوضيح الصورة الصحيحة للإسلام وبث الإشعاع القرآنى والنورانى والمحمدى فى هذه المناطق خصوصا وان الإعلام الغربى والموساد يعملان بكل جهد وذكاء لتضليل هذه الشعوب بحقائق الإسلام.

واختتم الدكتور جودة المهدى حديثه محذرا الأمة الإسلامية «الجسد الإسلامي» من تداعى حمى التعصب والإرهاب والعنصرية البغيضة على عضو من أعضاء هذا الجسد «فلسطين» وحمل الدكتور جودة مسئولية الوصول إلى هذا القرار السحيق إلى كل مسلم كل حسب دوره وحجمه.

التخلف الفكرى والعلمى

بينما يرى الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق أن أهم الامراض التى تصيب الأمة الإسلامية والعربية هو التخلف الثقافى والفكرى بجانب التقليد الذى سيطر على شبابنا تقليد السلبيات فقط وترك الأعمال النافعة التى تتفق مع ثوابتنا وقيمنا وديننا.

وطالب الدكتور هيكل بالعمل على تنحية المعوقات التى تحول دون تواصل الأمة وتآخيها لكى تتجاوز حالة التخلف والتمزق، والصراع، خصوصا وأن عالم اليوم لا يحترم إلا الأقوياء وأكد الدكتور هيكل أنه يجب على الأمة أن تستغل شهر رمضان فى إعادة ترتيب الأوراق إذا كانت جادة فى تصحيح أوضاعها.

ونستكمل الحوار فى العدد القادم.

اقرأ قريبًا فى ملحق مجلة الأزهر:

رد الدكتور عبد العظيم المطعنى على فتوى الشيخ القرضاوى

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

فى بريد المجلة رسالة يقول صاحبها:

كنا فى سفر فصلينا الظهر فى مصلى على الطريق وبعد السلام اكتشفنا أننا صلينا عكس القبلة تماما فمنا من قال تجب إعادة الصلاة، وأعادها البعض بالفعل، ومنا من قال: إن الصلاة صحيحة. فما هو الحكم الصحيح؟ ومطلب الأخ القارئ توجيه كلمة للذين يتسرعون بالإفتاء من غير علم.

والجواب: أن استقبال القبلة شرط فى صحة الصلاة فى سفر أو إقامة ولهذا جلعت المحاريب فى المساجد وذلك لقوله تعالى:

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾(١).

ومن كان فى مكة يرى الكعبة عليه أن يتوجه لعين الكعبة ومن كان بعيدا عن مكة أو لاينظر إلى الكعبة فيكفيه أن يتوجه إلى جهتها، ومن كان لايعرف جهة القبلة عليه أن يسأل أحدا من أهل المكان الذى هو، فيه فإن لم يجد فليتحر جهة القبلة برؤية الشمس أو النجوم فإن لم يكن شئ من ذلك فعليه أن يجتهد ويصلى إلى أى جهة أدى إليها تحريه واجتهاده ولا إعادة عليه إذا تبين له أنه صلى إلى غير القبلة أو عكسها لحديث معاذ بن جبل - رضى الله عنه- قال: (صلينا مع رسول الله ﷺ فى يوم غيم فى سفر إلى غير القبلة فلما قضى الصلاة تجلت الشمس - أى ظهرت - فقلنا: يا رسول الله صلينا إلى غير القبلة قال: «قد رفعت صلاتكم بحقها إلى الله -عز وجل-» أى صحت وقبلت وثبت لكم الثواب.

أما من كان فى الصلاة وأخبر أنه إلى غير القبلة وجب عليه أن يتحول إلى القبلة وإلا لم

(١) البقرة (١٤٤).

تصح صلاته كما فعل أهل قباء حين علموا بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام فتحولوا إليها وهم فى صلاة الصبح ولهذا سمى هذا المسجد مسجد القبلتين.

هذا ويجوز للراكب فى السفر وغيره أن يصلى النافلة على راحلته أو دابته إلى أى جهة توجهت الدابة أو الراحلة وعندئذ يومئ بالركوع والسجود ويكون سجوده أخفض من ركوعه وقبلته حيث اتجهت دابته، فعن عامر بن ربيعة قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلى على راحلته حيث توجهت به» رواه البخارى ومسلم، وزاد البخارى يومئ برأسه ولم يكن يصنعه فى المكتوبة.

وقال الأحناف لايشترط السفر بل نصلى من غير اتجاه للقبلة فى السفر وغيره، وعن أبى يوسف: تجوز النافلة على الراحل فى المصر - أيضا- وقال الشافعى والأوزاعى: يجوز للمتنقل أن يصلى ماشيا إلى الجهة التى يقصدها قياسا على الراكب بجامع التيسير للمتطوع.

أما من تسرع بالإفتاء من غير علم أو من غير تثبت فعقابه شديد عند الله لأنه ضال مضل وهو ممن تقرض شفاهم بمقاريض من نار يوم القيامة.

●● وفى بريد المجلة كذلك رسالة أخرى من الأخ محمد كمال أحمد والى من بهنباى- مركز الزقازيق يقول فيها: أرجو توضيح قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾(٢).

فقد قرأت فى صـ ٥٧٠ من مجلة الأزهر لفضيلة الأمام الأكبر أنه يجوز للمسلم الزواج من الكتابيات ولقد فهمت من الشرح أن الكتابيات من الكوافر ولسن المشركات فهل وقع فى الآية نسخ أو تخصيص أرجو الاهتمام بالرسالة والإفادة.

وأقول للأخ محمد كمال الآية التى أشرت إليها وذكرتها من سورة الممتحنة لا من سورة المائدة كما قلت والتى فى المائدة قوله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾(٣)

الأية. وهذه الآية صريحة فى حل زواج المسلم بالكتابية الحرة إذا أعطاها مهرها وهذا أمر مجمع عليه بين المسلمين جميعا.

أما آية الممتحنة التى ذكرتها فى رسالتك:

﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾

فهى محكمة عامة غير منسوخة ولامخصصة والكوافر جمع كافرة معناها لايجوز أن تبقى العلاقة الزوجية بين المرء إذا أسلم وبقيت زوجته على الشرك ووجودها كعدمه فلا تمنعه من نكاح أختها إذا كانت مسلمة ولا من نكاح خامسة فكأنها غير موجودة ولعل الأمر التبس عليك، ففرق بين أهل الكتاب والكفار قال تعالى:

(٢) الممتحنة (١٠).

(٣) المائدة (٥).

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٤)

فالكفار أعم من أهل الكتاب لأنه يشملهم ويشمل المشركين. أما إذا قيل أهل الكتاب فيراد اليهود والنصارى فهذا تخصيص، والله أعلم.

وثمة سؤال آخر من القارئة أميمة محمد عبدالسلام من جزيرة الذهب بالجيزة تقول فيه: دفنت أمى فى مقبرة تخص أخوالى وبعد سبع سنوات من دفنها قرر أخوالى بيع هذه المقبرة وشراء مقبرة أخرى فى مدينة ٦ أكتوبر، وعليه سيتم نقل جثة والدتى فهل ذلك جائز شرعا؟ ولو أقدرنى الله واشتريت مقبرة فهل يجوز نقل والدتى مرة أخرى؟

وسؤال آخر: هل يجوز أن يوصى الإنسان بدفنه فى مقبرة بذاتها...؟

وجوابا على هذا السؤال نقول: اتفق العلماء على أن الموضع الذى يدفن فيه المسلم يصير وقفا عليه مابقى منه شئ من لحم أو عظم فإن بلى وصار ترابا جاز الدفن فى بعضه وجاز الانتفاع بأرضه فى الغرس والزرع والبناء وسائر وجوه الانتفاع، وقال -العلماء-. أيضا لايجوز بيع أحجار المقابر الدارسة لبناء دار أو قنطرة أو ما شابه ذلك لأن مابنى على أرض القبر صار وقفا كذلك..

وعلى هذا نقول للسائلة: إن بيع أخوالك لأرض مقبرتهم لايجوز إلا إذا كانت كل القبور قد بلى مافيها ولم يبق منه شئ من عظم أو لحم أما عن نقل الميت من قبر إلى قبر فلا يجوز إلا لعذر شرعى ولذا لم ينقل كثير من الصحابة بعد أن دفنوا فى الأماكن التى استشهدوا بها وهى أرض حرب أما نقل الميت من بلد إلى بلد قبل أن يدفن فأجازه علماء الحنفية مع الكراهية والمستحب أن يدفن كل ميت فى مقبرة البلد التى مات بها فقد روى أنه لما توفى عبدالرحمن بن أبى بكر -رضى الله عنهما- بعيدا عن مكة حمل إلى مكة فدفن بها فلما قدمت عائشة -رضى الله عنها- أتت قبره وقالت: «والله لو حضرتك مادفنت إلا حيث مت ولو شهدت مازرتك - تعنى أنها لو شهدت موته ما زارت قبره لنهى الرسول ﷺ النساء عن زيارة القبور - وروى أن أبا عبيدة بن الجراح قال قبل موته: «ادفنونى حيث قبضت» وقال المالكية يجوز نقل الميت من مكان إلى مكان لمصلحة كأن يخاف عليه أن يجرفه السيل أو يأكله السبع، وكرجاء بركة المكان المنقول إليه أو لزيارة أهله له أو لدفنه معهم كل ذلك مالم تنتهك حرمة الميت بانفجاره أو تغير رائحته أو كسر عظامه.

وحرم الشافعية نقل الميت إلى بلد آخر إلا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس لفضل هذه الأمكنة.

وعلية نقول للسائلة: يجوز لك أن توصى بدفنك فى أى مقبرة مالم تكن بعيدة عن المكان الذى ستموتين فيه أكثر من ميلين إلا أن يكون ذلك بقرب الحرمين الشريفين أو بيت المقدس،

والله أعلم

(٤) البينة (١).

تأملات فى غزوة بدر

يحتفل المسلمون فى كل عام. فى شهر رمضان المبارك. بغزوة بدر لما لها من أثر طيب فى نفوس المسلمين جميعا منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا لأنها كانت أول تصادم بالقوات بين قوة المسلمين النامية وبين رجال قريش وأتباعهم من المشركين، وقد نصر الله المسلمين فى هذه الغزوة لتماسكهم ووحدة قيادتهم، ورسوخ إيمانهم بعقيدتهم وهكذا أراد الله أن تنتشر دعوة رسوله فى ربوع الأرض وأن تخبو جذوة المشركين..

للأستاذ / أحمد إسماعيل

الموقف العام

* المسلمون :

ازداد عدد المسلمين فى المدينة المنورة وأصبحوا أشد قوة وتماسكا من ذى قبل، ولكن حالتهم الاقتصادية كانت ضعيفة لأن أكثر المهاجرين فروا بأنفسهم ودينهم وتركوا أموالهم فى مكة.

* المشركون واليهود :

١ ـ أصبحت الطرق التجارية الحيوية بين الشام ومكة تحت رحمة المسلمين وحلفائهم وهذا يعنى موت تجارة قريش.

٢ ـ انتشار نفوذ المسلمين وازدياد قوتهم الأمر الذى لا يتفق مع سيادة قريش على العرب.

٣ ـ أصبح للمشركين ثأر عند المسلمين فى مقتل عمرو بن الحضرمى (فى نخلة)، فلابد من الأخذ بهذا الثأر حتى تعود لقريش وحلفائها هيبتهم وكرامتهم عند العرب.

قوات الطرفين

* المسلمون :

بلغت قوة المسلمين ٣٠٥ رجال من المهاجرين والأنصار بقيادة الرسول ﷺ وكان معهم فرسان وسبعون بعيرا.

* المشركون :

بلغت قوة المشركين ٩٥٠ رجلا أكثرهم من قريش ومعهم مئتا فرس وعدد كبير من الإبل وكان على رأس هذه القوة عدد من رجالات قريش البارزين.

أهـــداف الطـــــرفين

* **المسلمون:**

١ - استـخـلاص أمـوالهـم من قـريـش وذلك بالتصدى لقافلتها التجارية العائدة من الشام التى يقودها أبوسفيان بن حرب.

٢ - البـقـاء فى (بدر) بعـد إفـلات القـافلة استعدادا لمواجهة قريش التى أجمعت لمحاربتهم.

* **المشركون:**

١ - حماية القافلة التجارية القادمة من الشام.

٢ - بعـد إفلات القـافلة يتم قتـال المسلمين والقضاء عليهم حتى يعرف العرب قوة قريش وسطوتها.

أحـــداث ما قبـــل المعركـــة

* **المسلمون:**

١ - أرسل الرسول ﷺ طلحة بن عبيد الله، سعيد بن زيد لاستطلاع أمر قافلة قريش التجارية القـادمة من الشام حتى وصلا (الحوراء) على طريق الشام، فمرت بهم القافلة فأسرعوا إلى النبى ﷺ يخبرانه بأمرها.

٢ - تحركت قوة المسلمين من المدينة فى ٨ من رمضان (السنة الثانية للهجرة) بالترتيب التالى:

أ - دورية استطلاع أمامية: للحصول على معلومات باتجاهات القافلة التجارية.

ب - القوة الرئيسية: مؤلفة من كتيبتين (كتيبة المهاجرين ورايتها سوداء مع على بن أبى طالب وعمير بن هاشم - وكتيبة الأنصار ورايتها سوداء مع سعد بن معاذ).

ج - مؤخرة: تحت إمرة قيس بن أبى صعصعة.

د - راية المسلمين العامة بيضاء مع مصعب بن عمير بن هاشم.

٣ - سلك المسلمون طريق القوافل بين المدينة المنورة وبدر البالغ طوله (١٦٠كم) ولما وصلوا قريبا من «وادى الصفراء» بعث النبى ﷺ دورية استطلاع مكونة من رجلين للحصـول على معلومات عن قريش وعندما وصل المسلمون «وادى زفيران» جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلتهم.

٤ - تحرك الرسول ﷺ أمام قواته وبصحبته أبوبكر حتى كانوا على مقربة من «بدر».

٥ - أرسل الرســول ﷺ دوريتى اسـتطلاع للحصول على معلومات عن قريش ومواقعها وكانت الدورية الأولى مكونة من: على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعادت ومعها غلامان لقريش واستطاع الرسول ﷺ من مساءلتهما أن يستنتج أن قوة المشركين بين ٩٠٠ - ١٠٠٠ رجل وأن أشراف قريش خرجوا جميعا لمنعه.

أما الدورية الثانية: فكانت من رجلين ووصلا إلى ماء بدر وسمعا أن القافلة ستأتى غدا أو بعد غد وأخبرا الرسول ﷺ بذلك.

٦ - عسكر المسلمون فى أدنى ماء بدر ثم جاء الحباب بن المنذر والأنصارى السلمى وأشارا على الرسول ﷺ يقترب من أدنى ماء القوم ويعسكر فيه ثم يفسد ما وراءه من آبار وأن يبنى عليه حوضا ويملأه بالماء ليشرب منه المسلمون ويحرم منه المشركين.. وهكذا أخذ الرسول ﷺ بهذا

الرأى وتم تنفيذه ليلا وتحرك المسلمون إلى معسكرهم الجديد وامتلكوا موقع الماء.

* **المشركون:**

١ ـ كانت تضم قافلة المشركين ألف بعير ساهم فيها كل رجال قريش ونسائها حتى قدر ما تحمله بخمسين ألف دينار، وعندما تأكد أبوسفيان بن حرب من خروج المسلمين للتعرض لقافلته أرسل (ضمضم بن عمرو القنارى) إلى مكة ليستنفر قريشا على أموالهم.

٢ ـ جهزت قريش نفسها ولم يتخلف من أشرافها غير أبى لهب الذى أرسل مكانه العاص ابن هشام بن المغيرة.

٣ ـ سبق أبوسفيان بن حرب قافلته لاستطلاع أمر المسلمين، واستطاع أن يدرك أن جيش النبى ﷺ فى مكان بالقرب منه، فرجع إلى قافلته وسلك طريق الساحل تاركا بدرا إلى يساره فى سرعة فائقة، وعندما لمس أن قافلته نجت أرسل إلى قريش يطلب منها العودة إلى مكة.

فى ذات الوقت أرسلت قريش (عسير بن وهب الجمعى) ليستطلع لها قوة المسلمين، فعاد وأخبرهم بأنها تقدر بثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون، ولا كمين لهم ولا مدد ـ ولكن لا ملجأ لهم إلا السيف ـ احتارت قريش هل يعودون أم يتقدمون، وبعد أخذ ورد قرروا قتال المسلمين.

سير القتال

١ ـ قبل بدء القتال أنجز المسلمون ما يلى:

أ ـ انتخب النبى ﷺ موقعا مشرفا على بدر وبنى فيه مقراً للقيادة (عريشا) وأمن حراسته.

ب- جرى ترتيب المقاتلين فى صفوف، وساوى الرسول ﷺ بين الصفوف وشجع أصحابه وحرضهم على القتال، كما أمرهم بصد هجمات المشركين المحتملة وهم مرابطين فى مواقعهم.

ج- كانت كلمة التعارف بين المسلمين وشعارهم فى القتال «أحد.. أحد».

٢- أما المشركون فقد استعدوا لممارسة أسلوب القتال المعروف لديهم (الكر والفر) بدون قيادة منظمة ولا سيطرة على القوات.

٣- بدأ هجوم المشركين بهجود الأسود بن عبدالأسد على الحوض الذى بناه المسلمون، فتصدى له حمزة بن عبدالمطلب وضربه بسيفه ضربة أطارت نصف ساقه ومع ذلك حبا إلى الحوض لاقتحامه فتبعه حمزة بن عبدالمطلب حتى قتله.

٤- برز من المشركين: عتبة وشيبة وأبناء ربيعة والوليد بن عتبة فخرج إليهم فتية من الأنصار ولكن الرسول ﷺ أعادهم وطلب خروج عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبدالمطلب وعلى بن أبى طالب لأنهم من أهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم ولأن شجاعتهم وممارستهم للقتال معروفة وأن نجاحهم مضمون مما يرفع من معنويات المسلمين ويضعضع من معنويات المشركين.

٥- استشاط المشركون غضبا فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم وهجموا بفرسانهم غير أن صفوف المسلمين بقيت صامدة فى مواقعها نبالها على المشركين مستهدفة اصابة سادتهم بالدرجة الأولى، ولم يفطن المشركون

لأسلوب المسلمين الجديد فى القتال، مما جعل رجالات المشركين تتهاوى بوابل من نبال المسلمين المصوبة إليهم تصويبا دقيقا.

٦- نزل الرسول ﷺ بنفسه يقود صفوف المسلمين، وأخذت هذه الصفوف تقترب رويدا رويدا من فلول المشركين التى فقدت قادتها حتى تبعثرت قوات المشركين، وحينذاك أصدر الرسول ﷺ أمره لقواته (شدوا) أى قوموا بالمطاردة، وبدأت المطاردة لفلول المشركين ثم أخذ المسلمون يجمعون الغنائم والأسرى.

٧- بدأت معركة بدر يوم الجمعة ١٧ من رمضان من السنة الثانية للهجرة وانتهت مساء وبقى المسلمون ثلاثة أيام فى بدر بعد المعركة ثم غادروها عائدين إلى المدينة.

خسائر الطرفين

● المسلمون: استشهد أربعة عشر مسلما (ستة من المهاجرين، ثمانية من الأنصار)

● المشركون: قتل منهم سبعون رجلا وأسر سبعون.

أسباب انتصار المسلمين

أولاً: قيادة موحدة:

كان الرسول ﷺ هو القائد العام للمسلمين فى بدر وكان المسلمون يدا واحدة تحت قيادته - ﷺ.

ثانياً: مقر القيادة:

بنى الرسول ﷺ مقرا لقيادته (عريشا) يسيطر منه على المعركة وانتخب له رابية تشرف على ساحة القتال وخص لعريشه حرسا خاصا تحت إمرة مسئول.

وبعكس ذلك فلم يكن للمشركين قائد عام ولم يكونوا على رأى واحد.

ثالثاً: تكتيك جديد:

١- طبق الرسول ﷺ فى سير الاقتراب من المدينة المنورة إلى بدر تشكيلا لا يختلف عن التكتيك الحديث فى حروب الصحراء فكان لجيشه: مقدمة، وقسم أكبر (القوة الرئيسية)، ومؤخرة وخصص دوريات استطلاع للحصول على معلومات والاستفادة منها.

٢- أما أثناء القتال فقد قاتل المسلمون بأسلوب (الصفوف) بينما قاتل المشركون بأسلوب الكر والفر.

رابعًا:

أمر الرسول ﷺ أصحابه بأن يصدوا هجوم العدو وهم مرابطون فى مواقعهم- أى مواقع دفاعية- وتسديد النبال إلى صدروهم.

خامساً:

عندما تهاوت رجالات قريش وضعف هجومهم أصدر الرسول ﷺ أمره بالهجوم ثم بالمطاردة بعد انهزام المشركين.

سادساً: عقيدة راسخة ومعنويات مرتفعة:

لقد أيقن المسلمون بأن قريشا تفوقهم عددا وعدة، ومع ذلك عزموا على الصمود إلى النهاية لأنه كانت للمسلمين أهداف معينة يعرفونها ويؤمنون بها وهى: الحرية الكاملة لنشر دعوتهم وحمايتهم حتى تكون كلمة الله هى العليا

وكلمة المشركين هى السفلى، ولذلك قاتلوا بشجاعة تامة.

كما أن تشجيع الرسول ﷺ لأصحابه قبل القتال وخلاله قوى من عزائمهم ومعنوياتهم وبذلك ظلت معنويات الكبار ومعنويات الأحداث الصغار عالية أثناء المعركة وبعدها.

سابعًا: مبادئ عامة أرسى قواعدها رسولنا الكريم ﷺ:

١- الغنائم:

جمع الرسول ﷺ غنائم المعركة وقسمها بالتساوى بين المسلمين من أهل بدر ومن عاونهم على إحراز النصر: فقد جعل للفارس سهمين (سهم له وسهم لإعاشة فرسه وإعدادها للحرب) وجعل حصة لمن تخلف فى المدينة لرعاية شئون المسلمين أو من بقى فى المدينة بأمر الرسول.

لأن النصر فى الحرب لا يحرزه المقاتلون فقط، بل ويتعاون على إحرازه فى الخطوط الأمامية وفى الخلف لتهيئة أسباب النصر.

٢-الأسرى:

أمر الرسول ﷺ بقتل أسيرين فقط لقوة عداوتهم للمسلمين إذ اعتبرهما مجرمى حرب لا مجرد أسيرين. أما بقية الأسرى وعددهم ثمانية وستون فقد وزعهم الرسول ﷺ على صحابته قائلا: «استوصوا بالأسرى خيرا» ثم فادى أغنياء الأسرى بالمال. أما فقراء الأسرى فأطلق سراحهم دون مقابل، كما كلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة ثم أطلق سراحهم بعد ذلك.

٣- القتلى والجرحى:

حفر المسلمون قليبا دفنوا فيه قتلى المشركين، وهذا مبدأ وضعه الرسول ﷺ وجوب دفن قتلى الأعداء، كما عنى بجرحى المشركين فضمدوا جراحهم أسوة بجرحى المسلمين.

خاتمة:

سلام الله ورحمته وبركاته عليك يارسول الإنسانية بما أرسيته من قواعد وأصول فى مجال المعارك والقتال، ووضعت مبادئ سامية يهتدى بها القادة العسكريون المسلمون خاصة هنا فيما يتعلق بالأسرى، فقد أوصى بهم خيرا والمعاملة الطيبة لهم وعلاج جرحاهم ودفن موتاهم وياليت عالم اليوم يسير على هدى هذه الخطى ويتخلق بها فهى من مبادئ حقوق الإنسان الحقة- فى هذا المجال- وليس كما يتشدق بها اليوم من يدعون أنهم حراس حقوق الإنسان وحراس الديمقراطية، وياليتهم يعلمون- بالمقارنة- هنا أن مبادئ حقوق الإنسان لديهم هشة ومزيفة تكيل الأمور بمكاييل مختلفة لأنها بنود ومبادئ من صنع الإنسان وهواه، أما حقوق الإنسان كما وضحها رسولنا الكريم ﷺ فهى مبادئ منزلة من عند الله العلى القدير لكافة شعوب الأرض على لسان نبيه ﷺ.

***

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

تفسير بيدبا

توقفنا مع صندوق الدنيا للأستاذ أحمد بهجت فى الأهرام فى عددها الصادر فى ٢٠٠١/١٠/٣١ قال فيه:

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: اشرح لى يا بيدبا.. ما يحدث فى أمريكا وأفغانستان.. فإننى لم أعد أفهم شيئا.. قال بيدبا الفيلسوف: «ماما أمريكا تؤدب أطفالها بقنابل فى يدها اليمنى، بينما يدها اليسرى تحمل الدقيق والخبز، لأن أطفالها جائعون وسيئو التغذية.. وهى ذات قلب حنون.. هل تقنعك هذه الصورة يا مولاى؟

قال الملك: إنها صورة غير مفهومة.. لقد تحدث أحد المسئولين من طالبان فقال إن أمريكا تضربنا بصواريخ ثمن الواحد منها مليون دولار، ولكن هذه الصواريخ تصيب خيمة ثمنها ٢٠ دولارا..

هل هذا معقول؟

إن الغيوم تتكاثف على عقلى.. ولم أعد أتبين موضع قدمى يا بيدبا..

إن هذا لغز لا يقل عن ألغاز الحواديت.. ما رأيك فيه؟

قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك: ليس هناك لغز فى الموضوع يا مولاى.. أنت تنظر الآن إلى الصورة التى تقع أمامك.. وتحكم عليها طبقا للأحداث التى تجرى فيها.. بينما فى الخلفية أربع قوى دولية تصعد بسرعة الصواريخ.. هى: روسيا -رغم لحظات ضعفها الآن- والصين والهند واليابان، وثمة من يقول يا مولاى إن هناك كنزا من البترول فى بحر قزوين، وهو أكثر من بترول الخليج العربى.. ولما كان وجود أى كنز يستدعى وجود طامعين فيه، ووجود حارس يقظ له، من هناء جاء اهتمام أمريكا بالأمر.

إن أمريكا هي حارسة الكنوز في أرجاء المعمورة.. أي كنز يظهر تظهر هي معه لحراسته، وهي تقوم بهذه الحراسة بلا أجر.. إنما بدافع قوي من وجوب سيادة العدالة.. هكذا تقول.. ودعنا نصدقها فليس من الأدب تكذيب الكبار!!

قال الملك دبشليم لبيدبا الفيلسوف: ماذا تريد أن تقول يا بيدبا.. إنني أجاهد محاولا الفهم..

قال بيدبا الفيلسوف: كل دولة في الدنيا لها حساباتها الاستراتيجية يا مولاي.. وهذه الحسابات لها لحظة لدخول المسرح والوجود فيه.. وحبذا لو كانت هذه اللحظة مثيرة من الناحية الدرامية.

قال الملك دبشليم: أعرف كيف بدأت الحرب ضد الإرهاب.. السؤال هو كيف تنتهي؟

قال بيدبا الفيلسوف: لكل شيء بداية ونهاية يا مولاي.. إلا حرب الإرهاب.. لها بداية فقط، وليس لها انتهاء!!

● وهكذا ظل الملك دبشليم حائرا محاولا فهم ما يجري بعد أن انقلبت الموازين وأصبح سمك القرش هو سيد الموقف.

أهي حرب صليبية جديدة؟

نعم هي حرب صليبية الهدف منها قتل الأبرياء وتشريد المسلمين وتشويه الأطفال وهدم البيوت كما قال الأستاذ محمد عبدالله السمان في (اللواء الإسلامي) يوم ١/١١/٢٠٠١ تحت عنوان «حصاد الخير»:

كل الدلائل اليوم تؤكد أن هناك حربا صليبية جديدة خطط وأعد لها منذ أمد غير قريب كان محور الحروب الصليبية في القرون الوسطى لندن وباريس وبرلين وروما حيث يوجد البابا الذي دعا إليها وشجع عليها أما الحرب الحديثة فمحورها تل أبيب وواشنطن وكانت أحداث الثلاثاء الأسود في واشنطن ونيويورك بداية هذه الأحداث التي أسقطت هيبة واشنطن ومزقت غرورها الذي زكم أنوفها وجعلتها مبعث سخرية أتباعها قبل خصومها.

لقد نجحت الموساد بمركزها الرئيسي في تل أبيب وفرعها في واشنطن في التخطيط والتنفيذ وتسخير الإعلام لوضع العرب والمسلمين في قفص الاتهام واعتماد أسامة بن لادن كبش الفداء الذي رفعت الأحداث من قيمته فبعد أن كانت واشنطن قد أعلنت في الماضي عن مكافأة قدرها خمسة ملايين دولار لمن يسلمها رأس أسامة بن لادن حيا أو ميتا رفعت المكافأة إلى خمسة وعشرين مليونا من الدولارات ومن يدري فلعل طبيبا فذا متخصصا في الاستنساخ يستنسخ صورة من بن لادن يقدمها إلى واشنطن ليفوز بالمكافأة التي يسيل لها اللعاب.

● **التعليق:**

لقد جعل الأمريكان بن لادن أسطورة ترعبهم في صحوهم ومنامهم وهذه هي الحرب الحقيقية..

التخبط الأمريكي

تحت هذا العنوان كانت الافتتاحية للأستاذ مصطفى بكرى فى جريدة (الأسبوع) فى ١ / ١٠ / ٢٠٠١ قال فيها:

إن من يتتبع التخبط الأمريكي والأدلة المفبركة والخطابات الساذجة يدرك حجم الإفلاس والورطة التى وقعت فيها واشنطن بعد أن نصبت نفسها على رقاب العباد حاكما بأمره توزع الاتهامات وتصدر الأحكام.

ونقول: إن الذين يظنون أن أحداث الثلاثاء الأسود الحزين هى التى كشفت عن النية عن إعلان حرب شاملة ضد الإسلام لا يدركون أن نية الحرب بدأت مع الحروب الصليبية الأولى وكان الاستعمار الأوربى الصليبى بعد فشلها امتدادا لها ثم انبرى الاستشراق والتبشير يذكى نيران هذه الحرب.

ونجح اليهود فى جعل الخائن أتاتورك دمية فى أيديهم حتى قضى على الخلافة الإسلامية وحول تركيا مركز الخلافة إلى دولة علمانية تخضع للمحفل الماسونى الأعظم وينتهى بها المطاف بسرعة البرق.

إنه ليس تخبطا فقط إنه الجنون الأمريكى النابع من سلوكيات رعاة البقر الهمجية ولابد أن يقف العالم الإسلامى لإنقاذ البشرية قبل أن تقوده أمريكا إلى الهاوية.

أمريكا والنصب السياسى على العرب!

نشكر الأستاذ وجيه أبوذكرى على مقاله الجرىء فى (الأخبار) بعددها الصادر فى ٧ / ١١ / ٢٠٠١ قال فيه:

طالبنا أكثر من مرة الزعيم الفلسطينى سرعة إعلان الدولة الفلسطينية لاختبار النوايا الأمريكية المعلنة والمؤيدة لقيام الدولة الفلسطينية، وليس سرا أن الأمين العام لجامعة الدول العربية وحده الذى حذر من الكمين الأمريكى للدول العربية، ففى اجتماعات لجنة المتابعة العربية الذى عقد فى دمشق مؤخراً صرح عمرو موسى أنه يخشى أن تتعرض الدول العربية لعملية نصب سياسى إذا ما أعيد تحريك عملية السلام دون أن يكون الهدف منها قيام دولة فلسطينية، وقال عمرو موسى: «إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين»، مشيرا بذلك لاتفاقات أوسلوا التى عقدت سنة ١٩٩٣ وقال موسى: «لن ننتظر عشر سنوات أخرى»، وأشار إلى أن التصريحات وحدها لا تكفى، بل يجب أن يكون لها أرجل تمشى، موضحا أن العرب ينتظرون مبادرة دولية ملموسة!

إذن فالتصريحات الأمريكية وربما الدولية هى لتهدئة خواطر العرب وليست للحل، وهم فى انتظار انتهاء الأزمة الأفغانية، وبعدها تدخل القضية الفلسطينية فى ثلاجة التاريخ وتترك إسرائيل تمارس إرهاب الدولة ضد الفلسطينيين حتى يتم إجلاؤهم أو إبادتهم.

ولا حل أمام الفلسطينيين إلا باستمرار انتفاضة الأقصى، ولا حل أمام العرب إلا بدعم الانتفاضة.

بين المجلة... والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

قانون مكافحة الإرهاب ردة للحرية في أمريكا

وكأن ضرب مركز التجارة العالمى فى أمريكا لا يكفى؛ فقد تم تسديد ضربة أخرى أشد إيلاماً تم توجيهها إلى الحرية المزعومة فى بلد الحريات ولكن هذه المرة بأيدى الأمريكيين أنفسهم، حيث أصدروا قانون مكافحة الإرهاب الذى يعطى السلطات حق التنصت على المكالمات التليفونية، وتعقب الرسائل الالكترونية، وحق احتجاز المشتبه فيه لمدة أسبوع وترحيله دون الاطلاع على التهمة الموجهة إليه.. وذلك تحت شعار: «الأمن قبل الحرية». هكذا برغم القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية الفائقة التى تتمتع بها أمريكا والتى تمكنها من التروى والتحقق دون أن تمس حرية المواطنين، نجد أنها لم تتورع عن قصف الحرية التى باتت تتغنى بها، تماماً مثلما لم تتورع عن قصف الشعب الأفغانى البسيط طلبا للهيبة الضائعة!!

ترى ماذا يفعل الشعب الأفغانى بشيوخه ونسائه وأطفاله أمام قوة أمريكا وحلفائها؟! **اللهم إلا الدعاء أن تثوب أمريكا إلى رشدها** فتوقف وابل النيران الذى تلقيه على الأبرياء.

العدل هو الحل الوحيد للإرهاب

وحول مسألة الارهاب، كتب الاستاذ الدكتور سميح أحمد محمد إبراهيم -استاذ الاحصاء بكلية تجارة الزقازيق يقول:

ـ العدل أساس الملك ولا غرو فالعدل اسم من أسماء الله الحسنى – وفى ضوء ذلك فإنه يمكن القول أن (العدل هو الحل الوحيد للإرهاب) مصداقا لقول الله -سبحانه وتعالى- فى القرآن الكريم:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١).

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالعدل هو الحل الوحيد للإرهاب ولنتأمل قول مبعوث امبراطور الروم عندما رأى أمير المؤمنين نائما تحت شجرة بدون حراسة: «حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر» -ولله الأمر من قبل ومن بعد- وعلى الله قصد السبيل- وحسبنا الله ونعم الوكيل.

عالم بلا قلب

أما الاستاذ/ السيد حسين العزازى - رئيس القطاعات بالكهرباء والطاقة- فيشير إلى انعدام الرحمة فى ظل النظام أحادى القطبية، حيث يقول:

ـ نظن خطأ أن البشرية قد بلغت رشدها وأفاقت من عبثها وتخلت عن غيها وتحلت بالحب والتراحم بعد أن عركت التجارب وعايشت المحن واكتوت بنار الظلم والتسلط إذ لا يزال كدرها جزءاً من قدرها وان العدل كأمل يبتعد مداه ويحيد عن مرماه فلا تصله ولا تدركه. وشاهدنا على ذلك مساحة الغضب والعنف التى تشمل الدنيا من جهاتها الأربع وبحيث يصدق القول ان الدنيا ترقد على صفيح ساخن فتختلط الفواجع بالمآسى والرزايا بالمعاناة والكل يرزح تحت وطأة العذاب وإن تنوعت الأشكال والأسباب. ولقد أصبح الرعب يتسلل إلى أعماقنا ويصل إلى مضاجعنا من خلال شاشات التلفاز أو عناوين الصحف إن كنا مشاهدين. أما المشاركين ممن يعيشون فى مواقع الحدث فهم يخالطون الموت ويداخلهم الهلع والضياع بفعل الدمار ويتملكهم القلق ليل نهار ولا يصل لأبصارهم سوى مشهد النيران والدخان وحمامات الدم والأشلاء وتلال الركام والحطام

---

(١) الأنعام آية (٨٢).

ويدوى فى آذانهم دوى القـذائف وازيز الطائرات التى تخترق حاجز الصوت وتهتك ستر الحياة بالموت بغير تمييز بين صغير أو كبير فالمصير واحد ما دام الجميع -كما يقولون- فى خندق واحد.

وأيا كان ما يحدث من أفعال أو ردود أفعال فكلها نتاج الانحراف وفساد الفكر وعدم توظيف العقل فيما خلق من أجله والممارسات المعاصرة لا تقل ضراوة عن الاستعمار القديم فى أحط صوره وأشكاله، خاصة وان تكنولوجيا الإبادة من حرق وخنق ومسخ تحقق فى الدقيقة ما كان يتعذر تحقيقه قديما فى أعوام.

وفى ظل هذا المسلك الوقح أصبحت الانسانية بلا أرضية أو غطاء وتضاعف عدد المستضعفين؛ فالأقوياء تجمعهم اوروبا الغربية والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة.. وإسرائيل ذَنَبٌ لهؤلاء مجتمعين.. والمغلوبون على أمرهم يقطنون آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية وأجزاء من اوروبا الشرقية. أما استراليا فلا زالت تابعا مستأنسا للتاج البريطانى وقضايا الأمس هى قضايا اليوم؛ فالطرف القوى يتسلط ويتحكم ويحاصر والطرف الأضعف يجأر ويناجز ويقاوم وفى ظل القطبية الثنائية احيط به وفى ظل النظام الاحادى أجهز عليه وتقطعت أنفاسه بل ويحتضر فى بعض أجزائه وإن كان هذا فى مجمله ليس مفروضا عليه بالتمام.. خاصة وان لديه الفرصة للتوحد مع أنداده والترابط مع أقرانه ليشكل قوة تصدى وتحدى قد يكتب لها الفوز إن تمسكت بدواعى الكرامة من احترام الاستقلالية والاعتماد على الذات وانتاج مقومات الحياة دون سند أو مدد ممن يتربصون به أو يضمرون له سوءً للاحتواء والهيمنة وهو ما نلاحظه فى سياقات العولمة.

وكفانا غفلة وسذاجة وأولى بنا ألا نسعى لسجاننا وان نبحث لأنفسنا عن ملاذ آمن يتوفر فيه السلام ومعطيات الرخاء وهذا لن يكون إلا إذا بذلنا جهدا مضاعفا لاستغلال ثرواتنا الطبيعية والحفاظ على البيئة، ووظفنا طاقة البشر فيما يفيد وتبصرنا مستقبلنا بعد فحص كل الاحتمالات، واستقر بنا الرأى على سياسات واضحة وموضوعية.

وإذا كان رخاء العالم أو ركوده اقتصاديا يرتبط بحالة امريكا ايجابا أو سلبا فمعنى ذلك أن العالم يتحرك من خلال مزاج وظروف سيده وهذا دليل على عدم نضوج الانسانية بمعناها الواسع ووقوعها أسيرة الخضوع والخنوع وذلك فى مجمله يفسر أن العالم باستكانته وتواكله لا يزال تحت وصاية سيد خشن الطباع يرتضى لنفسه أن يُطاع ولغيره أن ينصاع ولتحقيق ذلك يصرخ ويهدد وليس مهما لديه أن ندين أو نندد فالذئب لا يشغله ثغاء القطيع بقدر ما تشغله المباغته والانقضاض.

وغاية الأمر أن فلسفة القوة لا تفرز سوى العنف وأجدر بنا -إن أردنا السلام- أن نسعى للعدل لأنه قيمة بناء ونماء ورخاء ومدخل أخلاقى للرخاء الإنسانى واستقامة الحياة واستدامتها على النهج المنشود.

جرانـــادا، توليـــدو، ســـافيل

فى هدوء وواقعية وبعيداً عن العصبية البغيضة يوضح د. أحمد شوقى عرفة كيف استفاد الغرب من حضارة العرب، ويوضح أنه برغم تنكر الغرب للحضارة العربية، إلا أن الإعجاب الكامن فى أعماقهم يخرج رغماً عنهم فى بعض تصرفاتهم، يقول الدكتور أحمد شوقى:

ـ هذه أسماء لثلاثة من أفخم السيارات الأمريكية مأخوذة من أسماء ثلاث مدن أندلسية عظيمة وهى: غرناطة وطليطلة وأشبيلية. لقد اختار المصنعون الأمريكيون هذه الأسماء لتكون دليلا على عظمة ماصنعوا. إنهم بهذا يشهدون على عظمة حضارة الأندلس وفى نفس الوقت يشهدون ويعترفون بعظمة الحضارة الإسلامية.

كان أحد باباوات روما فى شبابه يدرس فى معاهد قرطبة فى الأندلس كما كان كثير من شباب اوروبا يفعل بعد أن يجيدوا دراسة اللغة العربية بل لقد كانوا يفتخرون بإتقانهم هذه اللغة السامية التى كانت لغة العلم فى العالم كله فى هذا الوقت وعند عودتهم إلى بلادهم كانوا ينقلون ما تعلموه فى قرطبة وغيرها من مدن العالم الإسلامى إلى بلادهم تماما كما يفعل أبناؤنا فى هذا العصر إذ يتعلمون فى معاهد اوروبا وأمريكا. أما عمن صار بابا روما فقد أخذ معه الصفر. لم يكن الصفر معروفا من قبل وكانت العمليات الحسابية تجرى بطريقة صعبة فاخترع العلماء فى الأمة الإسلامية «الصفر» فأصبحت العمليات الحسابية أكثر سهولة. ولنا أن نتصور كيف يمكننا الآن إجراء عمليات حسابية تحتوى على أعداد بها الملايين والبلايين بدون الاستعانة بالأصفار.

إن صاحب الحضارة الحقة لا يتعالى على الآخرين فإذا تعالى أحد علينا وتفاخر بحضارته فيمكننا أن نعرض عليه وعلى العالم أجمع صورا من حضارتنا، بل يمكننا أن نبين لهم كيف استفاد الغرب من هذه الحضارة السامية.. و... لدينا مزيد.

اقرأ قريبًا فى ملحق مجلة الأزهر:

بهجة النفوس وتحليتها بما لها أو عليها.. شرح مختصر البخارى لابن أبى جمرة

الأعيـــــاد الإســـــلامية

من القــارىء/ حـســام جــابر مــحــمــد عبدالعزيز- محرم بك- الاسكندرية- وردت كلمة عن الأعياد نقدم منها قوله:

كلمة «العيد» مشتقة من العود أى «العود» لأنها تعود كل عام حاملة ما يمنحه الله -عز وجل- من عوائد الخير والمغفرة على عباده، وعيد الفطر المبارك هو اليوم الأول فقط من شوال، فيه يفرح المسلمون بفضل الله عليهم بإتمام شهر رمضان وتمكينه -عز وجل- لهم بأداء فريضته. قال النبى -صلى الله عليه وسلم-: «للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه» (رواه البخارى). وهو يوم الجائزة.. عن النبى ﷺ: «إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بالصيام فصمتم، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد: ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة».

(رواه الطبرانى)

من الأخطـــــاء الشـــــائعة

ومن ديرب نجم - شرقية - يلقى القارىء الاستاذ إبراهيم نصحى بعض الضوء على أخطاء شاعت بين المتحدثين بالعربية، نشكره، ونرجو أن يتوصل عطاؤه يقول:

من الخطأ أن تقول:

١- سحب محمد الشكوى.

والصواب: استرد محمد الشكوى.

٢- من الخطأ: بات محمد هادئا -أى: نام.

والصواب: نام محمد هادئا.. لأن معنى بات: أظله المبيت، سواء أنام أم لم ينم.

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾.

[الفرقان: آية ٦٤]

٣- من الخطأ: قرأت المجلة إياها.

والصواب: قرأت المجلة نفسها أو عينها بالتوكيد، لأن (إياها) ضمير نصب منفصل لا يختص بالتوكيد.

٤- من الخطأ: تقرر انتداب الموظف

والصواب: تقرر ندب هذا الموظف، لأن الفعل (ندب) مصدره (ندْب) بسكون الدال على وزن فَعَل- فَعْلا؛ فالمصدر: فَعْل وليس افتعال.

وبالله التوفيق.

من إبداعات القراء :

مـع هـــلال رمضـــان

شعر / جابر عبدالعليم مصطفى - سوهاج

قـــد هَلَّ نورٌ للهـــلالِ فكَبِّـــرُوا — نُورُ الهـــدَايَةِ من عَظيمٍ يَغْـــفِـرُ
شَـهْــرٌ تَجَلَّى للْعِــبَادِ مــعلمًـــا — فى كلِّ عـــامٍ نُورُهُ يَتَـــفَــجَّــرُ
قَـــرَّتْ به عـــيْنُ العـــبادِ برَحْـــمَةٍ — وَكَـــذَا بِعِـــتْـقٍ فى النِّهَـايةِ يُسْـطَرُ
شَـهْـــرُ المـوَدَّةِ والمحَـــبَّـةِ والـهُـدَى — يَمْـــحُـو الإِسَـاءَةَ والفَـــضِيلَةَ يَنْشُـرُ
مَنْ صَـــامَـــه وأَقَـــامَ لَيْـــلاً ضَـارِعًـــا — فَـــهُـوَ الجَـــديرُ وَإِنَّه لمبَـــشَّـرُ
وقَــرَاهُ ضَـيْــفًـــا حِينَ يُمْـسِى مُـفْـطِرًا — يــجــنــى ثـوابًـا والـكَـريمُ يُـقَـــدِّرُ
وإذَا سَـعَــــيْتَ لمَنْ أُمِــرْتَ بـوَصْلِهم — حَلَّ الْوفَـــاقُ وللقطيـــعَـــةَ تَهْـجُـرُ
وزكَــاةُ فِطْرٍ للتَّكافُلِ خُــصِّـــصَتْ — وكَـــذا للَغْـــو فى الصـــيَّـــامِ تُطَهِّـرُ
هذا الْعَطَاءُ لأُمَّـةٍ قَـــدْ خَـــصَّـــهَـــا — رَبُّ الْعِـــبَادِ بِخَـــيْرِ دينٍ يَظْهَـرُ

الصـــلاة

شعر / خديجة أحمد محمود فرغل

نـادى المؤذن فــــاســـتــمع — فــى فــــرحـــــة لـنـدائـه
يـدعـــوك لـلبـــر الرحـــيـ — ـم لتــســـتــظل بظـلـه
فــدع المشـــاغل والـهـــمـــو — م مـــرددا كـلـمـــاتـه
فـــانـهـض لوقـت لـن يـعـــو — د إذا مـــضـى واظـفـــر بـه
وأرح فـــــؤادك كـى يـشـــيـ — ـع الـنـور فـى جـنـبـــاتـه
واســـجـــد لربـك واقـــتــرب — حـــتـى تـفـــوز بـقـــربـه
فــالـلـه يـرضـى أن يـرا — ك وفـــيـك بـعـض جــلالـه

رمضان يا من قد سموت مبشرا

شعر / عبدالرحمن محمد أحمد - نجع حمادى

رمضان يامن قد سموت مبشراً ... أهل الهدى بالخير والبركات
صامت بك الأرواح عن شؤم الهوى ... وتنافس الأبرار فى الطاعات
وكستْ وجوه الصائمين نضارةٌ ... للّه قد صاموا عن الزلات
أهواك حيث المسلمون بك التقوا ... بين العظات وعطر الآيات
أهواك كم فيك المساجد عمرت ... وتزينت بالذكر والصلوات
وإليك عاد النور مكة أبشرى ... بالفتح أقبل فى سنا وثبات
أهواك فيك الليلة العظمى التى ... فاقت بهاء الدهر و السنوات
والعيد خلفك قد أطل مبشرا ... أهل الصيام بأرفع الدرجات
يارب أنت المستعان ونحن لا ... ندعو سواك فجد لنا بنجاة

دُعَاءٌ لِلَيْلَةِ القَدْر

شعر / محمود الطاهر الصافى

يَارَبٍّ يَا مَانِحَ الشِّفَاء ... يَا مُذْهِبَ اليَأسِ بالرَّجَاء
أَسْبِغْ عَلَيْنَا الشِّفَاءَ نُوراً ... مُبَدِّداً ظُلْمَةَ العَنَاء
وخَفِّفْ الكَرْبَ عَنْ مَرِيضٍ ... وأَبْعِد البُؤْسَ بالهَنَاء
واجْعَلْ جَمِيعَ الحَيَاة خَيْراً ... وأَنْفُس النَّاسِ فى صَفَاء
وابْعَثْ لِذى مِحْنَة خَلاصاً ... كَمَطْلَعِ الفَجْرِ بالضِّيَاء
وأَنْقِذ المُتْعَبَ المُعَنَّى ... مِنْ كُلِّ كَرْبٍ وكُلِّ داء
واجْعَلْ سَلامَ القُلُوب شَمْساً ... شُعَاعُهَا مَصْدَرُ الإِخَاء
وهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رُشْداً ... يَهْدى إِلَى مَشْرِق العَلاء
واجْعَلْ يَقِينَ الإِيمَان صَرحاً ... أَسَاسُهُ ثَابِتُ البِنَاء
ووَحِّدَ العُرْبَ لانْتِصَارٍ ... لِيَصْنَعُوا أَمْجَدَ السَّنَاء

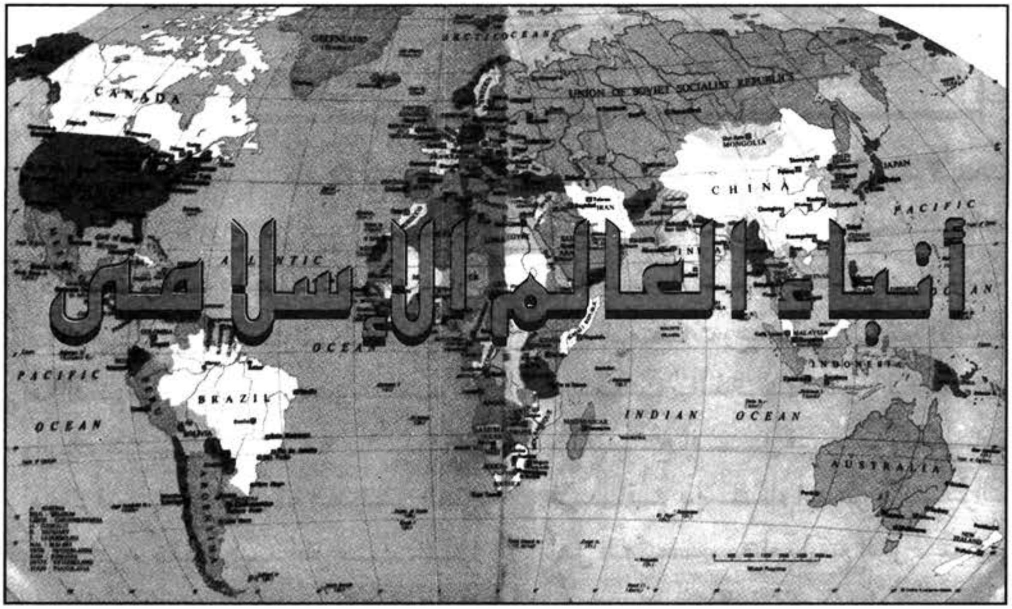

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

إقبال كبير على الكتب الإسلامية فى معرض فرانكفورت للكتاب

شهد معرض فرانكفورت الدولى للكتاب إقبالاً كبيراً على الكتب الإسلامية سواء من قبل أبناء الجالية الإسلامية المقيمة فى ألمانيا أو من الألمان أنفسهم وفى العالم الغربى يتزايد الإقبال حالياً على الاطلاع على الكتب عن الإسلام ومعانى القرآن الكريم.

يذكر أن ألمانيا بها عدد كبير متزايد من المسلمين يتركز معظمهم فى المدن الكبرى مثل «ميونيخ» و«شتوتجارت» و«فرانكفورت».

نشاط كبير للمؤسسات الإسلامية فى ألمانيا

ذكر الدكتور حسين البحراوى رئيس المجلس الإسلامى فى ألمانيا أن المسلمين فى ألمانيا يتزايد عددهم حتى وصلت المؤسسات الإسلامية فى ألمانيا إلى (٢٠٣٠٠) مؤسسة إسلامية من المدارس والمساجد والمعاهد والمراكز الإسلامية.

وصرح بأن المجلس يسعى إلى توحيد المنهج والجهود فى كل المؤسسات الإسلامية فى ألمانيا حتى تكون فى إطار التكامل وليس التناحر والتنافر وعن التعليم فى ألمانيا للمسلمين قال: إننا نفكر فى قضية التربية والتعليم بجدية تامة لأبناء المسلمين فى ألمانيا حيث إن ٦٠٪ من المسلمين

فى ألمانيا فى سن التعليم من الابتدائى حتى الثانوى، لذلك أسسنا بعض المدارس ونركز على التربية من خلال المحاضرات فى المساجد والمراكز الإسلامية للأبناء والأمهات كى نحافظ على الهوية من خلال التربية والحمد لله النتائج جيدة.

وعن نشاط المجلس الإسلامى قال: استطعنا إعداد ٧ اجتماعات لرؤساء المؤسسات الإسلامية فى الغرب كلها فى أوروبا والأمريكيتين كى نضع استراتيجية لعمل ثقافى ودعوة موحدة كى نحافظ على هوية المسلمين فى الغرب.

٣٠ ألف كتاب إسلامى للمسلمين فى إثيوبيا

قدمت الندوة العالمية للشباب الإسلامى ومقرها «جدة» نحو «٣٠٠٠٠» كتاب إسلامى من إصداراتها باللغة العربية والإنجليزية إلى المسلمين فى اثيوبيا وذلك فى إطار سعيها المتواصل إلى نشر العلم النافع لتعليم المسلمين أمور دينهم وتعميق ثقافتهم الإسلامية وشملت الكتب التى قام بإرسالها مكتب الندوة «بجدة» بعض أجزاء من تفسير القرآن الكريم وبعض كتب السيرة النبوية وكتب فى العقيدة والحديث وعن حياة الصحابة والتابعين ويأتى توزيع هذه الكتب ضمن خطة الندوة الخاصة بطباعة وتوزيع الكتاب الإسلامى بهدف نشره وتوفيره للقراء والباحثين وطلبة العلم خاصة فى الدول التى يصعب فيها الحصول عليه، علاوة على ماتشكله المطبوعة الإسلامية من وسيلة أساسية ومهمة فى الدعوة إلى الله ونشر الدين الحنيف وتوثيق صلة المسلمين بدينهم وتعريف غيرهم به.

عدد الأمريكيين الداخلين فى الإسلام تضاعف «٤» مرات بعد أحداث سبتمبر

ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية أن حوالى «٢٥» ألف شخص يعتنقون الإسلام سنويا فى الولايات المتحدة وأن عدد الذين يدخلون الإسلام يوميا قد تضاعف أربع مرات بعد أحداث ١١ سبتمبر الماضى ونقلت الصحيفة عن خبراء قولهم إن أسباب انتشار الإسلام فى أمريكا متعددة ومن بينها: عالمية رسالته ولأنه يقر بنبوة عيسى ـ عليه السلام ـ والخليل إبراهيم وأنبياء آخرين ورد ذكرهم فى الكتب السماوية القديمة بالإضافة إلى أن الدخول فى الإسلام لايحتاج إلى إجراءات شكلية معقدة حيث إنه دين بسيط واضح. ولا نملك إلا أن نُذكِّر بقول الله – عز وجل –:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(1).

كتاب «محمد» ﷺ الأعلى مبيعًا

سجل كتاب «محمد» ﷺ للمؤلف اللبنانى المقيم فى باريس «صلاح شتيتة» والمنشور بالفرنسية أعلى الكتب المبيعة فى فرنسا مما حدا بدور النشر الكبرى إلى التنافس على حق طباعته؛ حيث أعيد إصداره فى طبعة جديدة للجيب في «٢٥» ألف نسخة بعد أن كان قد صدر فى طبعته الأولى عدد «٥» آلاف نسخة.

---

(١) الصف (٨).

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

سماحة الإسلام ونبذ الإرهاب

عقدت جامعة الأزهر الشريف مؤتمرا عن «سماحة الإسلام ونبذ الإرهاب» تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وألقى فضيلته كلمة قال فيها: إن الإسلام يقوم على السماحة والعدل ويرفض الإرهاب بكل صوره سواء العدوان على النفس أو العرض أو المال أو الحرية أو الكرامة الإنسانية، والإسلام دين الأنبياء جميعا، ولابد أن نرد على من يتهمون الإسلام بالباطل فالرسول ﷺ قاد سبعة وعشرين غزوة ليس فيها غزوة للعدوان ولكن جميعها كانت من أجل رد العدوان ومن أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، وآيات الجهاد التى نزلت في القرآن الكريم كانت من أجل رفع الظلم ورد العدوان، فالإسلام دين السماحة فمن يتهم الإسلام بالإرهاب والتهم الباطلة فهو حاقد ولابد أن ندفع هذه التهم بجميع الوسائل، كما أوضح أن الفلسطينيين عندما يدافعون عن أرضهم وأنفسهم فهم يجاهدون، ومن يفجر نفسه فى عدوه فهو شهيد وليس إرهابيا كما يدعى البعض، وقال إن الحضارات تتقارب وتتعاون ولا تتصارع وكل حضارة تعطى للأخرى وتأخذ منها فالحضارات بذلك تتكامل الشرق يأخذ من الغرب والغرب يأخذ من الشرق وهكذا ومن يقول عكس ذلك فهو جاهل أو حاقد.

فضيلة الإمام الأكبر

وتحدث الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى للسيد رئيس الجمهورية فقال: إن ظاهرة اتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب هى

أ. د/ أسامة الباز

أ. د/ أحمد عمر هاشم

أ. د/ محمود زقزوق

ظاهرة قديمة حيث إن التعصب ونبذ الآخر نمط من أنماط السلوك الإنسانى فرسالة الإسلام رسالة صلة بالرسالات السابقة والرسالات تكمل بعضها البعض، والإسلام له جذور وقواعد والذين يهاجمونه إما عن جهل أو تعصب دينى أو سياسى، والحضارة تمر بمراحل ازدهار واضمحلال، والإسلام لا يكره أحدا علي الدخول فيه قال تعالى:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾(١) او الحرية لها ضوابط وقواعد، وأكد على قيام مؤتمر دولى للإرهاب حتى تكون المواجهة من الأسرة الإنسانية كلها وليس مع الحدث بذاته وهذا يؤدى إلى أمن الشعوب واطمئنانها كما تحدث بذلك ونادى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك.

وأكد الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ورئيس المؤتمر بأن الإسلام يحرم الإرهاب على المسلمين وغير المسلمين وأن ما تمارسه إسرائيل هو أبشع أنواع الظلم والإرهاب والعالم يرى بعينه ما يحدث ولكن إسرائيل أدارت ظهرها وصارت تحفر حول المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ودعا المجتمع الدولى والدول العربية لمكافحة الارهاب لتنهض جميعا، وتؤيد دعوة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لمؤتمر دولى لمكافحة الارهاب، وأشار إلى أن الإسلام قررأن الأمان رهن العدالة، والظلم يولد الانفجار.

وتحدث فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف قائلا: إن بعض المسلمين لايفهمون الإسلام فهما صحيحا ولايعرفون مبادئه ولا تعاليمه الحقيقية، فالإسلام دين مظلوم بين جهل أبنائه وظلم أعدائه، وأكد أن الإسلام

(١) البقرة: ٢٥٦.

بمصادره الأساسية المتمثلة فى القرآن الكريم والسنة النبوية وبحضارته أيضا بعيد كل البعد عن الإرهاب وعن الظلم وجوهر الإسلام هو الرحمة قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢).

والإرهاب ظاهرة عالمية لا يختص بها شعب معين والغريب أن الإسلام وحده من بين كل الأديان فى الأرض يوصف بالإرهاب وهذا يثير العديد من علامات الاستفهام، مع أن الإسلام وشريعته يحترم النفس الإنسانية وقد كرمها الله عز وجل - وجعل الحفاظ عليها مقصدا من مقاصده، وحينما أذن للمسلمين بمقاتلة من اعتدى عليهم كان ذلك بشرط ألا يتجاوز الاعتداء إلى من لم يعتد، وإذا كان الإسلام قد شرع الجهاد فقد شرعه كحرب دفاعية وليس كحرب مقدسة كما يقول البعض، وليعلم العالم أن الإسلام أمر بالحوار والتعاون والتعارف بين جميع الشعوب، كما أمر أتباعه بأن يتعايشوا مع غيرهم بالعدل والإنصاف ونحن كمسلمين ليس لدينا حساسيات من أى حضارة ولذلك نرفض بشدة صراع الحضارات، والحضارة الإسلامية تعاونت مع الحضارات الغربية وأعطت لها الكثير، وعندما أرادت أوروبا أن تبنى عصرا جديدا قامت حركة نشطة بترجمة العلوم العربية إلى اللغات الأجنبية.

وتحدث فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية فقال: إننا عندما نحكم العقل والواقع والتاريخ والإنسانى وما ورد فى كل الشرائع السماوية فسنجد أن الإسلام هو سلم وأمان لكل إنسان على الأرض فالسلام والإسلام صنوان لعملة واحدة، كما أن النصوص الشرعية سواء المتعلقة بالعبادات أو المعاملات كلها تحمل هذا المعنى وتوجب على من انتسب إلى الإسلام أن يؤمن بذلك وأن يطبقه فى حياته، وقال: إن الأنبياء جميعا جاءوا لتحقيق الخير للإنسانية كما جاء فى شريعة الإسلام وقال: إن الإنسان مع بنى جنسه يمثل نفسا واحدة ولذلك فالاعتداء على نفس واحدة هو اعتداء على الناس جميعا وهو إفساد للحياة كلها فكيف يتصور أن يكون فى الإسلام إرهاب بعد ذلك، وأشار إلى أن الإسلام شرع الجهاد للحفاظ على النفس البشرية والإسلام حارب الإرهاب بكل صوره وأشكاله، وقال إن تواصل الحضارات فى الإسلام ضرورة حتمية، وقال إن الإسلام دين السلام والمسلمون يطبقون ذلك عقائديا فى كل أمور حياتهم مع أنفسهم ومع غيرهم.

أ. د/ نصر واصل

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

مجمع البحوث الإسلامية يؤكد:

ما يحدث فى افغانستان عدوان متجبر

أجتمع مجمع البحوث الإسلامية برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بجلسته يوم ١/١١/٢٠٠١ وناقش الوضع الدولى الراهن بشأن رأى الإسلام فى ظاهرة الإرهاب وما دار حولها من ملابسات وقد أصدر المجمع بيانا رأى فيه أن الإرهاب هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وكرامتهم الإنسانية بغيا وإفسادا فى الأرض، كما رأى أن الجهاد الإسلامى إنما هو بذل الجهد نصرة للحق ودفعا للظلم، كما رأى المجمع أن كل العقلاء من كل الأديان والحضارات قد أجمعوا على أن معالجة أسباب المشكلات والأمراض لابد أن تسبق معالجة الأعراض، وأنه يجب التفرقة بين عنف الطغاة الذين يغتصبون الأوطان ويهددون الكرامات، ويدنسون المقدسات، وبين ممارسة الدفاع المشروع الذى يجاهد به المستضعفون لاستخلاص حقوقهم المشروعة، كما رأى أن محاربة الإرهاب التى يؤيدها المجمع في بيانه لا تبرر الاعتداء على شعب أفغانستان الفقير الأعزل الذى تتعرض مدنه وقراه ومساجده ونساؤه وأطفاله ومقومات حياته لعدوان متجبر دون سبب ودون بينة.

حضر الإجتماع فضيلة مفتى الجمهورية وفضيلة وكيل الأزهر الشريف وفضيلة رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الأمين العام للمجمع والسادة الأعضاء.

الإمام الأكبر يشهد حفل تخرج طلبة البعوث الإسلامية

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وبحضوره احتفلت مدينة البعوث الإسلامية بتخريج الدفعة ٤٣ من طلاب وطالبات مدينة البعوث بعد انتهاء دراستهم بجامعة الأزهر الشريف من جميع الكليات والتخصصات وبلغ عددهم ٢٥٠ طالبا وطالبة يمثلون ٥٨ جنسية من جنسيات العالم المختلفة وتحدث فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى المشرف العام علي مدينة البعوث الإسلامية عن النهضة التى حدثت فى عهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وذلك فى المجالات العلمية والتعليمية والثقافية وتجديد المبانى وتحديث المدينة ودخول الكمبيوتر والإنترنت والعمل على أن يتصل كل طالب بأهله وذويه من داخل المدينة إلى غير ذلك من تجديد وتحديث المطابخ ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف عن النهضة العلمية والثقافية فى الأزهر الشريف واستقباله لطلاب وطالبات من ٩٥ دولة من دول العالم المختلفة من جميع القارات يتعلمون فى الأزهر الشريف على منح منه ثم يحصلون على أعلى الشهادات العلمية فأصبح منهم رؤساء دول وسفراء ومسئولين فى بلادهم وعلماء ينشرون دين الإسلام ويقومون بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الذى هنأهم بحصولهم على أعلى الشهادات من الأزهر الشريف من كلياته المختلفة وقد أوصاهم بأن يكونوا على

صلة بالأزهر الشريف وعلمائه وأن يظلوا على تواصل مستمر مع إخوانهم المصريين وأن يكونوا قدوة حسنة طيبة لإخوانهم، وأن يقوموا بنشر الدعوة الإسلامية فى بلادهم ثم قام فضيلته بتوزيع الجوائز عليهم.

دورة أئمة ووعاظ العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة رقم ٥٤ لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى الذين أتموا الدورة التدريبية بمدينة البعوث الإسلامية وعددهم ٢٨ إماماً وواعظاً من دول تنزانيا ، بنجلاديش ، جزر القمر، جيبوتى، البوسنة والهرسك، والجزائر وقد استمرت هذه الدورة لمدة ثلاثة أشهر من ٨ / ١ - ٣١ / ١٠ / ٢٠٠١ تلقوا خلالها التدريب والمحاضرات على أمور الفتيا والعلوم والمعارف الإسلامية على أيدى السادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف وأساتذة جامعة الأزهر الشريف وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة هنأ فيها الخريجين على تفوقهم فى هذه الدورة وحثهم على متابعة حفظ كتاب الله -عز وجل- والتمسك بسنة رسوله ﷺ، وأن يكون مثالاً يحتذى فى سلوكهم الإسلامى، وأن يظهروا سماحة الإسلام ويسره، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، ونبذ الإثم والعدوان، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق، وأن يترفعوا عن الخلافات المذهبية لأن الدين الإسلامى دين يسر لا عسر دين تبشير لا دين تنفير، دين يدعو إلى العدل ويبغض الظلم والعنف والتطرف وهو دين الاعتدال يعطى كل ذى حق حقه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما أوصاهم بأن يذكروا مصر وأزهرها الشريف بعد عودتهم إلى بلادهم وأن يكون التواصل بينهم وبين معلميهم وإخوانهم دائم وقائم، وأن يكونوا رسل سلام وحب، وأن يبلغوا ما تعلموه لأهليهم وذويهم ثم قام فضيلته بتوزيع الجوائز وشهادات التخرج على الخريجين ثم قام فضيلته بافتتاح الدورة ٥٥ لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى وعددهم ٢٩ عالماً وأماماً من دول : الصين ، المالديف، تشاد، سريلانكا، الفلبين، الجزائروقد بدأت الدورة فى ١١/١ وتنتهى بعد مدة ثلاثة أشهر حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا أبوعجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والسادة علماء الأزهر.

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد الدكتور/ سرى نسيبة مسئول ملف القدس يرافقه السيد السفير/ زهدى القدرة سفير فلسطين فى القاهرة.

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن أن القدس فى قلوبنا ومشاعرنا ودمائنا، وأن من حق الشعب الفلسطينى أن تكونه له دولتة الحرة التى لها مكانها فوق الأرض وتحت الشمس، ونحن نؤيد إخواننا فى فلسطين ، ومن يفعل غير ذلك يكون مقصراً فى حق دينه وأمته، وقال إن للفلسطينيين الحق فى الدفاع عن أرضهم وكرامتهم وهو أمر واجب على كل إنسان عاقل، وأن ما نراه من اعتداء على الأراضى الفلسطينية والمقدسات الإسلامية والمسيحية، واعتداء على الآمنين من الرجال والنساء والأطفال يعتبر اجرام فى حق الإنسانية ، وأن استمرار الدفاع من جانب الفلسطينيين عن حقوقهم من شأنه أن يحصلوا على تحرير أرضهم حتى تكون لهم دولة حرة أبية ماداموا ثابتين وصابرين.

الإمــام الأكبــر:

نحن ضد العدوان على الإنسانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور / إبراهيم الأمين مندوب السيد / الصادق المهدى رئيس حزب الأمة بالسودان.

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف، وقد نقل الضيف رسالة تحية وإجلال من الصادق المهدى لمواقف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر المتزنة والمعتدلة فى هذه الفترة الحرجة التى يدبرها أعداء الإسلام، والتصدى لمن يتعرض لتشويه صورة الدين الإسلامى، وهى مرحلة تحتاج إلى التعاون والصبر والجلد، وإظهار سماحة الإسلام لدى دول العالم.

شكر فضيلته الضيف مؤكدا له بأن أحاديثه عن تلك الأحداث تتلخص فى ثلاث نقاط:

أولا: أننا ضد العدوان على النفوس الإنسانية مادامت هذه النفوس لم ترتكب ما يوجب الاعتداء عليها.

ثانيا: أنه من حق من وقع عليه الاعتداء أن يبحث عن الجناة الحقيقيين ويتعقبهم ويقبض عليهم ويحيلهم للجهات القضائية لتقول كلمتها فيهم.

ثالثا: ليس من حق المعتدى عليه أن يعاقب غير الجناة وهذا كلام واضح وضوح الشمس.

قضاة السودان فى ضيافة الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد القضاة والمستشارين بجمهورية السودان الشقيقة برياسة السيد / عثمان ميرغنى محمد المستشار بوزارة العدل السودانية فى اطار الدورة التى يعقدها مركز الدراسات القضائية بالقاهرة.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف وأوضح أن شريعة الإسلام واضحة فى عقيدتها ومعاملاتها وهذا من مميزاتها، وأن شريعة الإسلام هى شريعة العقل السليم، ومنذ بداية الكون وحتى الآن هناك فضائل وهناك رذائل، واتفق العقلاء على كل الفضائل، ولم يتفقوا على الرذائل، كما اتفقوا على الأصول فى العبادات والمعاملات. وأن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - أوضحوا ذلك لأقوامهم فى دعوتهم إلى الله عز وجل، وأن العبادة لله الواحد الأحد، وفى الدعوة لمكارم الأخلاق وفى العدل وفى الحكمة، وأن شريعة الإسلام شرعت وبينت للناس المعاملات فيما بينهم، ولا يستطيع إنسان أن يعيش بمعزل عن الناس، فالله سخر بعضهم لخدمة بعض لتستقر موازين الكون ولولا ذلك لاختلت موازين الكون، ومن مميزات شريعة الإسلام السماحة، والعدل فى الأقوال والأحكام والتيسير والتبشير والبعد عن التشدد والمغالاة.

والقى فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نبذة عن تاريخ الأزهر وتطوره منذ أكثر من ألف عام، وأوضح أن نشاط الأزهر حيث يرسل بعثات من علمائه ووعاظه لدول العالم المختلفة لنشر دين الله الحنيف، والأزهر الشريف يدرس كل المذاهب الإسلامية الفقهية دون تعصب أو افراط أو تفريط.

الفهـــرس

● **الرئيس حسنى مبارك فى لقائه مع علماء الازهر**

إعداد / أحمد السيد تقى الدين ١٤٥٨

● **رمضان غريب بين أهله (الافتتاحية)**

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ١٤٧٦

● **تفسير سورة القدر**

لفضيلة الإمام الأكبر ١٤٨٢

● **فى ظلال الحديث النبوى: السنة... الصوم**

لفضيلة الشيخ / إبراهيم الجبالى ١٤٨٧

● **شهر رمضان عند المحدثين**

للدكتور / أحمد الشيمى ١٤٩٣

● **رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية**

للدكتور / محمد عمارة ١٤٩٨

● **قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة**

للدكتور / أحمد فؤاد باشا ١٥٠٣

● **رمضان ناسك الزمن (قصيدة)**

للشاعر محمود حسن إسماعيل ١٥٠٨

● **رمضان يا أكرم الشهور**

للشيخ / الطاهر الحامدى ١٥١١

● **الصيام ورخصة الفطر**

للدكتور / عفيفى محمود عفيفى ١٥١٦

● **رمضان موسم الخيرات**

للشيخ / السيد عبد المقصود عسكر ١٥٢٠

● **محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين**

للدكتور / عبد العظيم المطعنى ١٥٢٤

● **الاوزاعى بين العلم والعمل**

للدكتور / حمدى فتوح والى ١٥٣٣

● **صفحة من حياة الدكتور محمد السعدى فرهود**

للدكتور / محمد رجب البيومى ١٥٣٨

● **فى صحبة الدكتور محمد الطيب النجار**

للدكتور / محمد إبراهيم الفيومى ١٥٤٤

● **حديث فى علوم الدين وعلوم الحياة**

للدكتور / إبراهيم عوضين ١٥٤٨

● **كارل بروكلمان وبحوثه عن الإسلام**

للدكتور / مصطفى رجب ١٥٥٧

● **فى نقد سيرة ابن اسحق / ابن هشام**

للدكتور / محمود على مراد ١٥٦٣

● **الأزهر المعمور**

للدكتور / صابر عبد الديم يونس ١٥٧١

● **الإسلام دين السلام (٢)**

للشيخ / فوزى الزفزاف ١٥٧٣

● **قصة ميلاد إنسان**

للدكتور / محمود عمارة ١٥٧٩

● **قصة العدد: باسمك اللهم**

للاستاذ / محمد سعيد العريان ١٥٨٦

● **تقرير لجنة كاهان الصهيونية**

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق ١٥٩١

● **القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة**

للدكتور / محمد أحمد العزب ١٥٩٨

● **الابداع وحرية المبدع**

للدكتور / متولى محمد البساطى ١٦٠٣

● **طرائف ومواقف**

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٦٠٦

● **استفتاءات القراء**

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر ١٦٠٨

● **يا أمة الإسلام أفيقى**

للدكتور / حسين الأنصارى ١٦١٢

● **استقبال شهر رمضان**

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ١٦١٦

● **رمضان والتحديات المعاصرة**

للأستاذ / إسماعيل أبو الهيثم ١٦١٩

● **رسالة.. و.. رد**

للشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٦٢٢

● **تأملات فى غزوة بدر**

للاستاذ / أحمد إسماعيل ١٦٢٥

● **بين الصحف والمجلات**

للأستاذ / محمود الفشنى ١٦٣٠

● بين المجلة والقارىء

إعداد وتقديم / عادل خفاجة ١٦٣٣

● **أنباء العالم الإسلامى**

للاستاذ / محمد الشرقاوى ١٦٤٠

● **أنباء مكتب شيخ الازهر**

للشيخ / عمر البسطويسى ١٦٤٢

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

● ● ●

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة

  لفضيلة الإمام الأكبر

- عيد الفطر فى موكب التاريخ

  للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

- الحث على العمل وقوة العزيمة

  لفضيلة الشيخ / إبراهيم الجبالى

- الرفق بالجانى من خلق النبى ﷺ

  للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفنى

- رمضان فى بلاد الأمريكان

  لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

الاشتراك السنوى

● داخل مصر	١٨ جنيهاً مصرياً
● الدول العربية	٥٠ دولاراً أمريكياً
● أوربا وأمريكا	٨٥ دولاراً أمريكياً
● اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ..٥٧٨٦١ - ٨٥٧٦٢٠٠

شوال ١٤٢٢هـ - يناير ٢٠٠٢م - الجزء العاشر - السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

عيد الفطر فى م

لو تمثل عيد الفطر إنسانا يروى قصة حياته، لرأيت شابا مشرق الطلعة غرد الحديث يسمعك من روائع الأنباء ما يبهج ويلذ، ولا عجب فقد جعل الله منه بلسماً للجراح الناغرة، وسعة للصدور المنقبضة وأن المحزون العابس لتنتابه الأحزان من كل صوب، فتضيق فى عينيه الأرض بما رحبت، ثم يقبل عليه العيد فإذا البسمة اللامعة تشرق فى محياه، وإذا رفقاؤه وأحبابه ينهضون من حوله متخذين من الصفو المتاح فى موسم البهجة سبباً كافياً لتأسى الأشجان!

وقد خضع هذا العيد الحبيب لقانون التطور، فهو فى شبابه الريان غيره فى طفولته الناعمة، إذ نشأ فى صدر الإسلام وادعاً هادئا تتلمسه فى المساجد العامرة تكبيرا وتهليلاً، وتراه فى الوجوه الضاحكة بشراً وأملاً، وتتأمله فى الأكف المسلمة محبة وسلاما، فإذا بحثت عن شىء وراء ذلك، فلن تجد غير السكينة الوادعة، والهدوء الرزين.

وقد كان أول عيد للفطر فى الإسلام فى السنة الثانية للهجرة فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فسأل رسول الله عن هذين اليومين فقالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال رسول الله ﷺ(١): «إن الله قد أبدلكم خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى فكان عيد السنة الثانية أول عيد فى الإسلام».

ثم دارت الأيام كرة أولى، وفتح المسلمون ممالك الأرض، وورثوا عزة الأمم وتقاليد الأجيال، فأصبحت ترى بغداد عاصمة بنى العباس تحتفل بالعيد بما لا نعهده فى المدينة عاصمة الراشدين أو فى دمشق حاضرة بنى أمية، إذ سنّ الفرس من الحاكمين تقاليد باهرة رائعة.

---

(١) اتحاف السادة المتقين ٣/٣٨٣.

موكب التاريخ

فها هو ذا الخليفة العباسى يجلس فى قصره ليلة العيد، وقد غرقت حُجَرهُ الآهلة فى الأضواء ومن خلفه دجلة يموج فى لجج من النور، فالزوارق تقطعه ذاهبة رائحة، وقد علتها المشاعل والقناديل، والمآذن الشماء متوجة بأكاليل من الضياء حتى ليتحول الليل إلى صباح بهيج، ووفود الوزراء والأمراء والحكام تتدافع إلى دار الخلافة مهنئة مسلمة، وقد سارت المواكب فى شوارع العاصمة تدوى بالطبول والزغاريد، ويمضى الليل فى عرس ساحر حتى ينبلج الفجر فيصدر الأمر إلى القواد بالسير إلى المسجد، ويتقدم الخليفة فى قبائه الأسود، وعمامته المكورة تعلوه كالتاج القشيب، وقد تمنطق بوشاح مرصع بالجواهر، وعليه عباءة سوداء، وجواده الأبيض من تحته يتيه عجبا براكبه، وعن اليمين والشمال حملة النشاب وأصحاب السلاح من الحرس والحجاب، ويسير الموكب هونا فإذا مر بقصر لأمير أو رئيس وجد كوكبة صغيرة تنتظر الموكب الحافل، فيتقدم صاحبها إلى الخليفة منحنيا إلى الأرض ثم يسأله الإذن فى متابعة الركب فيجاب إلى ما يريد، ويأتى سواه وسواه من زملائه فلا يكاد أمير المؤمنين يصل إلى مصلاه حتى يكون الطريق إليها من القصر قد غص بالناس فيجلس قليلاً بعد أن يؤدى ركعتين خفيفتين، وتنطلق الألسنة بالتكبير والتحميد، فإذا حانت صلاة العيد تقدم الخليفة فأم الناس، ثم صعد إلى المنبر وقد ارتدى بردة الرسول فوق عباءته، وخطب الناس مفتتحا بالتكبير، فتخشع الأصوات للرحمن ويتحدر الوعظ البليغ فى النصيحة والإرشاد، فإذا انتهى من مقامه نزل لتوه وسار الموكب إلى القصر ثانية فأقيم السماط الفخم للطعام، وأقبل المهنئون وتسابق الشعراء!

منظر باهر يكرر فى العام مرتين!! وقد خلده البحترى فى بعض قصائده، إذ تحدث عن موكب المتوكل على الله فى سامراء، وقد ظهرت بهجة الدنيا فى جحفل عظيم خيل للشاعر أن الجبال تسير لا الناس، ثم مضى فصور المصلى والحشد والأعلام راصدا تطلع

العيون إلى المتوكل ولهفتها إلى رؤيته، ثم يلج إلى المنبر فيتحسس خوالجه ونوازعه مفصحا عنه فى مثل قوله:

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما ... فى وسعه لسعى إليك المنبر

وغير البحترى كثير ممن أثارهم رونق الاحتفال فتغنوا به وخلدوه.

وتدور الأيام كرة ثانية فنرى القاهرة تسابق بغداد وسامراء سباقا يدعو إلى العجب والاستغراب وإذا كان خلفاء مصر من الفاطميين يحتفلون احتفالات واسعة بأعياد القبط، كعيد الغطاس والنيروز وخميس العهد فيسهر المسلمون طيلة الليل ومعهم المشاعل والمصابيح فما ظنك حينئذ بعيد الفطر؟! إن السماط الأول ليمتد بعد صلاة الفجر مباشرة، وقد أثقل بالحلوى والفواكه إثقالا باهظا، فيتصدر الخليفة وعن يمينه الوزير ، ويأذن للأمراء والقضاة والدعاة، فيجلسون ثم يمد يده ويأكل شيئا قليلاً فتمتد الأيدى وراءه امتدادا لا ينقطع وينهض أمير المؤمنين إلى مقصورته فيتزاحم العامة أفواجا خلف أفواج ناهبين ما تقع عليه أيديهم من غذاء السماط!!

وبعد قليل يتهيأ الموكب لصلاة العيد، فى فضاء متسع غير المسجد، وقد أعدت الأمور إعدادا مرتبا فاصطف المؤذنون وقوفا على المصاطب بين القصر والمصلى وإن طال الطريق، وجلس المقرئون طوال الليل بجوارهم يرتلون القرآن ويضجون بالتكبير، وقد ترامى الجنود من الجانبين يحفظون النظام ويفسحون الطريق للموكب حتى يهل، أما المصلى فيفرش بالسجاد الفاخر وقد عبقت فيه المباخر بالند والعود وأخذ زينته الجميلة من سندس وديباج، فإذا ركب الخليفة رفعت فوقه مظلة من لون ثيابه، وحف به أعيان الدولة من الجانبين ثم سار من باب الذهب إلى باب الفتوح، وقد نصبت الرايات وأقيمت الزينات فوق المتاجر والمصانع، وتقدمت الخيول ذوات السروج الذهبية، وأمامها الفيلة تحمل جنودا يبرزون السلاح، وقد دوى المؤذنون والقراء بالتكبير والتهليل، فإذا كان المصلى ترجل الجميع، حتى إذا قامت الصلاة نهض الخليفة فأم الصفوف مكبرا تكبيرة هادئة فيرددها الوزير وراءه فالقاضى فجماعة من المؤذنين على الجانبين فى الداخل، إلى أن تصل إلى مؤذنى المصلى الخارجى، فينقلونها إلى من يتلقفها من زملائهم على المصاطب بين المصلى والقصر!! فيكون لذلك التكبير جلاله الساحر، فإذا انتهت الصلاة صعد الخليفة إلى المنبر مراعيا فى ذلك نظما خاصة تتعلق بمن يصعد وراءه ويقبل الأرض بين قدميه، ويحمل كسوة المنبر أمامه فإذا فرغ من خطبته وتحرك موكبه للعودة اتبع نظاما خاصا بها حتى يبلغ القصر، فيمد السماط الثانى وقد حفل بأشهى الأطعمة وتعددت مآكله تعددا يوقع فى الحيرة والارتباك فلا يدرى أحد ما يأخذ أو يدع!! فإذا انتهى الناس من فطورهم الشهى

فرقت الهبات المالية على جميع من اشترك فى تقليد رسمى يتعلق بنظام الموكب، فتغمر الهدايا علية القوم من أمراء وقضاة إلى مؤذنين ومقرئين، ثم توزع صحائف الطعام وبها التحف المعدنية من ذهب وفضة، أما الحلل الزاهية فقد كادت تعم جميع الطبقات المختلفة حتى عرف عيد الفطر إذ ذاك بعيد الحلل، ومنها ما يرصع بالفضة والذهب، وما يطرز بالوشى النادر!! ونحن نقرأ فى وصف ذلك من الغرائب ما لا نكاد نصدق!! ولكنه ذهب المعز وكفى!!

وحين سقط الفاطميون، وقامت الدولة الأيوبية لم تتخل عن الاحتفال بموكب العيد، ولكنه احتفال يسير لا يجوز أن يقاس بما عرف لدى الفاطميين من روعة وإسراف، وإنما يقاس بما كان فى مصر لدى الطولونيين والإخشيد، إذ كانت فرق الجيش تتجمع، ويتوجه الحاكم ليلة العيد إلى مسجد عمرو بن العاص ووراءه خمسمائة من حملة المشاعل مع فريق من المقرئين والمؤذنين وربما أنعم السلطان ببعض الهدايا الخاصة فى نطاق محدود، وقد يكون اندلاع الحروب الصليبية مدعاة هذا الاقتصاد من ناحية، ومن جهة أخرى فإن صلاح الدين يعرف ما يحب وما لا يحب، ويرى التبذير ضربا من السفه لا يجوز لأمة تواجه العدو القوى فتوجه بماله إلى جلائل الأعمال، وأصبحنا لا نسمع بحديث هذه الصحاف التى تمتلىء بالذهب وهذه الفواكه التى تحشى بالماس والدر، ثم تنثر على الناس فى الميادين، فيلتقط السعيد ما يأتيه. على أن أكبر مظاهر العيد حفاوة واهتماما كانت تتراءى فى احتفال الثغور المتاخمة لبلاد الروم حيث يغمر الشعور الدينى هؤلاء المرابطين للجهاد على قدم وساق، فيقومون بالاحتفال على وجه يوحى بالروعة والهيبة والأبهة والجلال فى نفوس المجاورين من الأعداء المتربصين، وأبرز مثال لذلك طرسوس المجاهدة التى كان يتوافد إليها غزاة المسلمين من كل صقع، وترد إليها تبرعات المحسنين من كل صوب، ووقوعها على الحدود الإسلامية يجعل الاحتفال بالعيد مظهر أبهة وقوة ونفوذ حتى عد كثير من المؤرخين من محاسن أيام الإسلام الزاهية احتفال المسلمين بعيد الفطر فى طرسوس بالذات وشبيه بذلك احتفال المسلمين بالعيد فى صقليه فقد تهافت الرحالون من العرب والأجانب على تسجيل مباهجه حتى قال المقدسى: إن الاحتفال الإسلامى بالعيد فى هذا المكان النازح يمتاز بمظهر جذاب كما امتازت الجمعة فى بغداد، وإذا كانت جمعة بغداد تشير إلى ركب الخليفة والوزراء والحجاب والولاة فى عاصمة الشرق الذائعة المثرية فإن اقتران احتفال العيد فى صقلية بها فى رحلة المقدسى مما يجعل هذا الاحتفال ذا رونق وجلال.

أما المماليك فقد كانوا أهل شجاعة وأريحية، فكانت مواسم الأعياد لديهم مجالاً للصيال والمبارزة، ولم يضنوا على رعاياهم بالخلع والهدايا المناسبة دون

سرف واشتطاط، وقد رأينا فيما تقدم أن هناك موكباً واحدا فى العيد للدولة فاطمية أو عباسية، ولكننا نجد موكبين فى حكومة المماليك، فموكب السلطان يخرج للصلاة، ومعه الخليفة والقضاة الأربعة والأمراء، وموكب الوزير يبتدىء من القلعة إلى داره وقد نافس موكب السلطان فى زينته وحاشيته وبهائه، ولعل ذلك كان فى بعض العهود لا جميعها، إذ أننا نعرف بين المماليك العظماء من لا يسمح بتعدد الرياسة كالظاهر بيبرس وقلاوون والغورى، فهؤلاء يتعاظمهم أن يوجد معهم من يشذ عن متابعتهم كائنا من كان! أما سواهم من المستضعفين فمن الجائز أن يستطيل عليهم بعض الوزراء، معتزا بماله من أشياع، ولو ذهبت الآن إلى صميم الريف المصرى وشاهدت ما يقوم به القرويون فى الاحتفال بالعيد، لرأيت نظير ما تقرؤه عن أهل مصر فى عهد المماليك حتى فى الأطعمة والأشربة، فهناك الكنافة والقطايف والكعك والبسكوت والفطرة، كما هنا سواء بسواء، بل إن زيارة المقابر بعد صلاة العيد لم تنتشر فى عصر من عصور الإسلام انتشارها بقرى مصر الآن كما فى العهد المملوكى على السواء، وبعض الناس يروون فى ذلك حديثا نبويا نترك للمتخصصين أن يبحثوا رواته ومتنه، إذ أننا نعرف أن يوم العيد للسرور والهناء، لا أن يكدر بتذكار راحل عزيز.

وكنت أظن أن مصر الإسلامية فى عهد الفاطميين قد ضربت أكبر الأمثال فى الإسراف والبذخ إذ تحتفل بالعيد، ولكنى وجدت ابن بطوطة الرحالة المغربى يصف احتفالا شاهده فى بلاد خوارزم فأرانا من العجائب ما يقعد دونه الوصف. ولن يرمى الرجل بالتزيد فى هذا المجال، فقد وصف فى رحلاته المتتابعة احتفالات مختلفة بالعيد فى بلاد متفرقة، ولو قصد التزيد لعممه فى كل موضع، ولكنه أفرد احتفال السلطان محمد أوزبك خان فى بلاده بكل نادر عجيب!! وما تقوله فى احتفال تشترك فيه زوجات السلطان الأربع ولكل زوجة موكبها الآهل وحشدها العظيم، فهى تركب فى عربة مذهبة مطعمة بالعاج، وعن يمينها الوزيرة، وعن شمالها الحاجبة، وعلى رأسها تاج مكلل بالجواهر، وبأعلاه ريش الطواويس، وخلفها عشرات العربات تحمل الخدم والأتباع وقد انضم ذلك كله إلى الموكب الرسمى الكبير، فإذا انتهت صلاة العيد تقدم السلطان فجلس فى برج عظيم مذهب مع زوجاته وجواريه، وعن يمينه برج ثان لولى العهد وزوجته ومالهما من حاشية، وحولهما مئات الكراسى يجلس عليها الأمراء والحكام ثم يقوم بعض العامة بألعاب مضحكة مرفهة، والسلطان يخلع هداياه الثمينة على كل أمير ليفرقها بدوره على الأتباع والأنصار، ثم

يركب الملك المعظم فرسه وقد ترجل جميع من عداه فيمشون خلفه الى سرادق كبير له أربعة أعمدة مكسوة بصفائح الفضة المموهة بالذهب، وقد فرش بالحرير والديباج، وفى وسطه سرير فخم قوائمه من الفضة الخالصة وأعواده مكسوة بصفائح الذهب، وحوله مئات الكراسى للمحتفلين من رجال ونساء، ثم يأتى الطعام على موائد الذهب والفضة أيضا! فتوضع بين يدى كل أمير مائدة خاصة، ولكل مائدة خادم نظيف يقطع اللحم، ويفرقه فى أطباق الذهب، على الآكلين، ثم يؤتى بأوانى الشراب ولايتناول أحد شيئا مما أمامه حتى يبدأ السلطان أولا فزوجاته ثانيا، فأولاده ثالثا، فمتقدمو الأمراء رابعا فغيرهم من الكبار على نسق خاص أعدت مراسيمه وروعى تنفيذه الدقيق، ودون هذا السرادق المهيب قبة كبيرة للعلماء والفقهاء يأكلون من صحائف الذهب والفضة إلا من تورع إيمانا وتقية، ويظل الاحتفال الرسمى حتى قرابة العصر فى مرح وضحك، ولكل محتفل مكانه الذى لا يبارحه، فإذا أراد السلطان أن يرجع، نهض الجميع من ورائه ودوت الطبول والزغاريد!!

ألا يصدقنى القارىء بعد ذلك إذا قلت له: إن عيد الفطر لو تمثل إنسانا يروى قصة حياته لكان شابا فاتنا مشرق الطلعة يحكى من الغرائب ما يبهج ويروع!! ولماذا نستنطق التاريخ ليروى لنا مباهج هذا اليوم، ونحن فى عصرنا الحاضر نرى من مظاهر الاحتفال به ما يدهش ويعجب بعد أن أتى الزمن بالتهذيب والاعتدال على ما تورطت فيه الدكتاتوريات الحاكمة من سرف وإتلاف!! فخلص لنا بعد مرور خمسة عشر قرنا على مولد هذا العيد احتفال رائع مهذب ينهض فيه رئيس الجمهورية إلى الصلاة فى مكان فسيح ووراءه الآلاف الحاشدة من المحتفلين فإذا انتهت الصلاة وفرغ الخطيب أقبل الجميع يتبادلون عواطف التهنئة وتحايا الود ثم ينهض كل إلى منزله فيستقبل أضيافه ويتلقى بطاقات التهنئة وقد لبست المنازل والمحلات العامة زينتها الآهلة وتنقل فيها الأطفال بملابسهم القشيبة كالورود بين الرياض، فإذا خطوت قليلاً فيما أمامك من الميادين والحدائق فلن ترى غير الرونق الجذاب!! وإنك لتتمنى أن يمتد بك هذا اليوم إذ تفرغ من شجونك وتغرق فيما حولك مستمتعا إلى أغنية مرحة تذاع، أو متطلعا إلى منظر فاتن يروق، أو مشاركا فى سمر هادىء تغمره البشاشة ويسوده الأنس والصفاء!! ولا أحب أن ننغص القارىء بذكر مخزيات يعرفها فيما يذاع من السخافات، فكفى ما قلناه عن رمضان فى افتتاحية العدد الماضى، وما أشبه الليلة بالبارحة، فعسى أن نفيق.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى -: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ
فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن
تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ
بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾

الآيات من ٢٢٩ : ٢٣٠

قال الإمام ابن كثير: هذه الآية رافعة لما كان عليه الأمر فى ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت فى العدة، فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات، قصرهم الله - تعالى - على ثلاث طلقات، وأباح الرجعة فى المرة والثنتين، وأبانها بالكلية فى الثالثة فقال: الطلاق مرتان... الآية [1].

وروى ابن أبى حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا قال لامرأته: لا أطلقك أبداً ولا آويك أبداً. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلق حتى إذا دنا أجلك - أى قاربت عدتك أن تنتهى - راجعتك. فأتت المرأة إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فأنزل الله - تعالى -:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ - الآية.

والطلاق كما يقول القرطبى - هو حل العصمة المنعقدة بين الأزواج بألفاظ مخصوصة وأل فى قوله:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ للعهد الذكرى.

أى: الطلاق الرجعى المشار إليه فى قوله - تعالى -:

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ مرتان، وأمر المطلق بعد إحدى هاتين الطلقتين يدور بين حالتين: إما إمساك بمعروف بمعنى أن يراجعها على نية الابقاء على العلاقة الزوجية، والمعاملة الحسنة وإما تسريح بإحسان بمعنى أن يتركها حتى تنتهى عدتها، ويطلق سراحها بدون ظلم أو إساءة إليها، كما قال - تعالى:

﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾.[2]

قال القرطبى: والتسريح: إرسال الشئ، ومنه تسريح الشعر ليخلص البعض من البعض، وسرح الماشية أرسلها..».

وعلى هذا التفسير يكون المراد بالطلاق فى الآية الطلاق الرجعى وبالمرتين حقيقة التثنية، ويكون وقت الإمساك أو التسريح هو ما بعد الطلقة الأولى أو الثانية بصفة خاصة، وفى كل الأوقات بصفة عامة. وعلى هذا التفسير سار كثير من العلماء.

ويرى بعضهم أن المراد بالطلاق فى الآية الطلاق الشرعى، وبالمرتين التكرار لا العدد، وأن المراد فى التسريح بالإحسان هو الطلقة الثالثة. أى بعد الطلقتين الأوليين يتروى فى الأمر فيمسك بالمعروف أو يطلق الطلقة الثالثة. وقد ذكر هذا الرأى صاحب الكشاف فقال: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ ﴾ بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم، أى التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة، ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير، كقوله:

﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾[3] أى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين، ونحو ذلك من التثانى التى يراد بها

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٧١.

(٢) الاحزاب «٤٩».

(٣) الملك «٤».

التكريم كقوله: لبيك وسعديك.. وقوله:

﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾.

تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذى علمهم إياه.. وروى أن سائلا سأل النبى ﷺ أرأيت قول الله – تعالى –:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ ﴾ فأين الثالثة، فقال ﷺ «التسريح بإحسان»(٤).

والفاء فى قوله – تعالى –:

﴿ فَإِمۡسَاكُۢ ﴾ للتفريع، وإمساك خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: فالشأن أو فالأمر إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

قال الفخر الرازى: والحكمة فى إثبات حق الرجعة: أن الإنسان مادام يكون مع صاحبه لا يدرى أنه هل تشق عليه مفارقته أو لا؟ فإذا فارقه فعند ذلك يظهر، فلو جعل الله – تعالى – الطلقة الواحدة مانعة من الرجوع لعظمت المشقة على الإنسان بتقدير أن يظهر المحبة بعد المفارقة، ثم لما كان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة، فلا جرم أثبت – سبحانه – حق المراجعة بعد المفارقة مرتين، وعند ذلك يكون قد جرب الإنسان نفسه فى تلك المفارقة مرتين وعرف حال قلبه فى ذلك الباب. فإذا كان الأصلح إمساكها راجعها وأمسكها بالمعروف، وإن كان الأصلح له تسريحها على أحسن الوجوه، وهذا التدريج والترتيب يدل على كمال رحمته ورأفته بعباده».

هذا، ويرى بعض العلماء كابن تيمية وابن القيم أن الرجل إذا أوقع الطلاق دفعة واحدة، بأن قال لزوجته: أنت طالق ثلاث مرات، فطلاقه لا يكون إلا طلقة واحدة، لأن اقتران الطلاق بكلمة ثلاثا لا يجعله ثلاث مرات بل هو مرة واحدة كمن يقول: أحلف بالله ثلاثا فهو يمين واحدة.

ويرى الأئمة الأربعة أن طلاق هذا الرجل فى مثل هذه الصورة يقع ثلاثا، لأنهم يرون أن الطلاق المقترن بالعدد لفظاً أو إشارة يكون ثلاثاً أو اثنين على حسب ما اقترن به. ولأن عمر – رضى الله عنه – أفتى بذلك. فقد أخرج مسلم وأبوداود والنسائى والحاكم عن ابن عباس قال: «كان الطلاق الثلاث فى عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبى بكر، وسنتين من خلافة عمر واحدة، فقال عمر: إن الناس قد استعجلوا فى أمر لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم» فأمضاه.

وهذه المسألة مبسوطة بأدلتها فى كتب الفقه وبعض كتب التفسير.

ثم قال – تعالى –: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ﴾

(٤) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٧٣.

قال الراغب: الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة. ويضاد الخوف الأمن....».

والجناح: الإثم من جنح بمعنى مال عن القصد – وسمى الآثم به للميل فيه من الحق إلى الباطل– يقال جنحت السفينة أى مالت إلى أحد جانبيها. والافتداء: تخليص النفس بمال يبذل لتخليصها ودفع الأذى عنها. وأصله من الفدى والفداء بمعنى حفظ الإنسان نفسه عن الشدة بما يبذله من أجل ذلك(٥).

والمعنى: ولا يجوز لكم أيها المطلقون أن تأخذوا من زوجاتكم فى مقابلة الطلاق شيئاً مما أعطيتموهن من صداق أو من غيره من أموال، لأن هذا الأخذ يكون من باب الظلم الذى نهى الله عنه، وليس من باب العدل الذى أمر الله به.

ثم استثنى – سبحانه – صورة يجوز فيها الأخذ فقال:

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾. إلخ أى: لا يجوز لكم أن تأخذوا فى حالة من الأحوال إلا فى حالة أن يخاف الزوجان كلاهما أو أحدهما ألا يقيما حدود الله ففى هذه الحالة يجوز الأخذ وحدود الله هى ما أوجبه – سبحانه– للرجل على زوجته. ولها عليه.

ثم خاطب – سبحانه – الحكام وجماعة المؤمنين المتوسطين للإصلاح بين الزوجين فقال:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا﴾ أى الزوجان:

﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ التى حدها لهم وأمرهم باتباعها فى حياتهم الزوجية «فلا جناح عليهما فيما افتدت به» أى: فلاإثم على الزوج فى أخذ ما أعطته له الزوجة من مال مقابل انفصالها عنه، ولا إثم عليها كذلك فى هذا الإعطاء، لأنهما ما داما قد وصلا إلى هذه الحالة من التنافر، وما دامت الزوجة قد أصبحت تفضل أن تعطيه من المال ما تفدى به نفسها من البقاء فى عصمته، ماداما قد أصبحا كذلك. فوقوع الفراق بينهما أولى وأجدى:

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: لمن الخطاب فى قوله:

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟﴾ إن قلت: إنه للأزواج لم يطابقه قوله:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ وإن قلت إنه للأئمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن؟ قلت: يجوز الأمران جميعا: أن يكون أول الخطاب للأزواج وآخره للأئمة والحكام، ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وغيره. ويجوز الخطاب كله للأئمة والحكام، لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون»(٦).

---

(٥) المفردات من غريب القرآن للراغب الأصفهانى من ص ١٦١، ص ١٠٠، ص ٣٧٤.

(٦) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٧٤.

والمراد بقوله : ﴿ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ ﴾ أى من المهور وتخصيصا بالذكر وإن شاركها فى الحكم سائر أموالهن إما لرعاية العادة وإما للتنبيه على أنه إذا لم يحل لهم أن يأخذوا مما أعطوهن فى مقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلأن لا يحل لهم أن يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع أولى وأحرى.

وقوله : ﴿ شَيۡـًٔا ﴾ مفعول به لتأخذوا. التنوين للتقليل أى : لا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ولو كان المأخوذ شيئًا غاية فى القلة، لأن هذا الأخذ يجافى الإحسان الذى أمرتم به. وقريب من هذه الآية فى النهى عن الأخذ قوله – تعالى – :

﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾(٧) .

وأن والفعل فى قوله:

﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ ﴾ فى موضع نصب على الحال أى إلا خائفين. وقوله :

﴿ أَلَّا يُقِيمَا ﴾ فى موضع نصب على المفعول به ليخافا والتقدير إلا أن يخافا ترك حدود الله.

وهذه الآية قد اعتبرها العلماء أصلا فى جواز الخلع.

قال ابن كثير : وقد ذكر ابن جرير : أن هذه الآية نزلت فى شأن ثابت بن قيس، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس : أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله إن زوجى ثابت بن قيس – ما أعيب عليه فى خلق ولا دين، ولكن أكره الكفر فى الإسلام – أى أكره عدم الوفاء بحقه لبغضى له – فقال لها رسول الله ﷺ أتردين عليه حديقته ؟ – وهى المهر الذى أمهرها – قالت : نعم، قال رسول الله ﷺ لثابت : « أقبل الحديقة وطلقها تطليقة »(٨) .

قالوا : ففرق رسول الله ﷺ بينهما بطريق الخلع فكان أول خلع فى الإسلام.

ثم ختم – سبحانه – الآية بقوله:

﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

أى : تلك الأحكام العظيمة الحكيمة المتقدمة التى بينتها لكم فى شأن الطلاق والرجعة وغير ذلك حدود الله التى حدها، فلا يجوز لكم أن تخالفوها، ومن يتعد هذه الحدود فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله وعقابه.

وكانت الإشارة للبعيد ﴿ تِلۡكَ ﴾ لبيان سمو قدر هذه الأحكام، وعظم منزلتها، وجلال ما فيها من مصالح واضحة لأصحاب العقول السليمة.

وسميت هذه الأحكام حدودا للإشارة إلى أنها فواصل بين الحق والباطل، والظلم والعدل والمنفعة والمضرة. إذ الحد هو الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر. يقال : حددت كذا أى جعلت له حدا يميزه. وحد الدار ما تتميز به عن غيرها.

---

(٧) النساء « ٢٠ ».

(٨) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٧٤.

وفى إضافة هذه الحدود إليه – سبحانه – إشعار بأن مخالفتها إنما هى مخالفة له – سبحانه – وأن هذه الحدود لا يتطرق إليها الريب لأنها صادرة من العليم الخبير الذى أحسن كل شىء خلقه.

والفاء فى قوله :

﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ للتفريع أى :إذا كانت هذه الأحكام حدود الله فلا يصح لكم أن تتجاوزوها لأن تجاوزها يؤدى إلى سوء العقبى.

وعبر فى قوله :

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ بفاء السببية وباسم الإشارة وبضمير الفصل وبالجملة الإسمية لتأكيد معنى السببية وللإشارة إلى أن الظلم شأن من شئونهم وصفة يتميزون بها عن غيرهم.

وقد جاء – سبحانه – بكل هذه المؤكدات فى تلك الجملة الكريمة لكبح جماح غرور الإنسان، وتحذيره من الانقياد لهواه وأوهامه، فكثيرا ما يتوهم بعض الناس أن أحكام الله ليست ملائمة لمقتضى الزمان الذى يعيشون فيه، ويحاولون إخضاع شرع الله – تعالى – لمصالحهم وشهواتهم، أو يتركون ما شرعه الله بتلك الحجة الواهية الساقطة. وأنت ترى هناك أن القرآن قال:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا.. ﴾ بينما قال هناك فى ختام آية الصوم:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا.. ﴾(٩) وذلك لأن الكلام فى شأن الأسرة وما يسودها أحياناً من خلافات، واصطدامات، واضطرابات.. والخشية هنا إنما هى من تعدى هذه الحدود التى حدها الله فى أى مرة من مرات الخلاف.. فجاء التحذير من التعدى لا من المقاربة، بينما هناك كان الحديث عن محظورات مشتهاة مستلذة تريدها النفس لترضى شهوتى البطن والفرج، فجاء التحذير من مجرد الاقتراب من هذه الحدود التى حدها الله اتقاء لضعف الإرادة أمام جاذبيتها.

فسبحان من هذا كلامه:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾(١٠).

ثم بين– سبحانه– أحكام الطلاق المكمل للثلاث، بعد بيانه لأحكام الطلاق الرجعى وأحكام الخلع فقال– تعالى– :

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾

أى: فإن طلق الرجل زوجته طلقة ثالثة بعد الطلقتين اللتين أباح الله له مراجعتها بعد كل منهما فى أثناء العدة، فإنه فى هذه الحالة تكون زوجته محرمة عليه، ولا تحل له حتى تنكح زوجا غيره نكاحا شرعياً صحيحاً، بأن يدخل بها، ويباشرها مباشرة شرعية ما يباشر الأزواج زوجاتهم.

(٩) الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

(١٠) النساء «٨٢».

فالمراد بالنكاح فى قوله تعالى:

﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ الزواج بشخص آخر يدخل بها دخولاً صحيحا. ويؤيد هذا المعنى ما جاء فى الحديث المشهور الذى أخرجه البخارى وغيره عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن رفاعة طلقنى فبت طلاقى. وإنى نكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظى، وإن ما معه مثل الهدبة، فقال رسول الله ﷺ: لعلك تريدين أن ترجعى إلى رفاعة؟ لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك»[(11)].

وواضح من ذوق العسيلة أن يدخل بها ويجامعها. وعلى هذا انعقد إجماع الفقهاء. ولم يلتفتوا إلى ما نسبه بعضهم إلى سعيد بن المسيب من أنه أجاز للمرأة أن تعود إلى زوجها الأول بعد عقد زواجها على الثانى دون أن يدخل بها. وحملوا هذا المنسوب إلى سعيد بن المسيب على أنه من شواذ الفتيا التى لا وزن لها لمخالفتها لنص حديث صحيح لعله لم يبلغه.

ثم قال- تعالى- :

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾

أى: فإن طلق الثانى تلك المرأة التى سبق طلاقها من الزوج الأول، فلا إثم عليها وعلى زوجها الأول فى أن يرجع كل منهما إلى صاحبه بعقد جديد بعد انقضاء العدة ما داما يغلب على ظنهما أنهما سيقيمان حدود الله، ويؤدى كل واحد منهما ما يجب عليه نحو صاحبه بأمانة وإخلاص.

وقوله:

﴿ أَن يَتَرَاجَعَآ ﴾ فى موضع جر بإضمار حروف الجر أى فى أن يتراجعا وقوله:

﴿ أَن يُقِيمَا ﴾ فى موضع نصب على أنه سد مسد مفعولى ظن.

قال صاحب الكشاف: ولم يقل: إن علما أنهما يقيمان حدود الله لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله. ومن فسر الظن ها هنا بالعلم فقدوهم ولأن الإنسان لا يعلم ما فى الغد وإنما يظن ظناً»[(12)].

ثم ختم - سبحانه - هذه الآية بقوله:

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

أى: وتلك الأحكام المذكورة عن الطلاق وعن غيره مما كلف الله به عباده بينهما ويوضحها بتلك الطرق الحكيمة لقوم يعلمون الحق. ويعملون بمقتضى علمهم.

وبهذا نرى أن الآية الكريمة قد بينت أنه لا يحل للمرأة التى طلقت من زوجها أن تعود إليه بعد الطلقة الثالثة إلا بعد أن تتزوج

---

(11) صحيح البخارى فى كتاب الطلاق الثلاث جـ7 ص 55.

(12) تفسير الكشاف جـ1 ص 276 بتلخيص.

زواجاً آخر صحيحاً يدخل بها ويجامعها ثم يطلقها وتنقضى عدتها منه.

ومن حكم هذا التشريع الحكيم ردع الأزواج عن الاستخفاف بحقوق زوجاتهم، وزجرهم عن التساهل فى إيقاع الطلاق، فإن الرجل الشريف الطبع، العزيز النفس إذا علم أن زوجته لن تحل له بعد الطلقة الثالثة إلا إذا افترشها شخص آخر توقف عن إيقاع الطلاق، وتباعد عن التسرع والاندفاع وحاول أن يصلح ما بينه وبين أهله بالمعالجة الحكيمة التى تتميز بسعة الصدر وضبط النفس.

هذا، وقد ساق الإمام ابن كثير سبعة أحاديث فى النهى عن نكاح المحلل- وهو أن يعقد رجل على امرأة طلقت ثلاثاً من زوجها بقصد إحلالها لهذا الزوج لا بقصد الزواج الدائم ثم يدخل بها دخولاً صورياً وليس شرعياً - ومن الأحاديث ما رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى عن عبد الله بن مسعود قال: لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له، وآكل الربا وموكله» .

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بالتيس المستعار»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال : هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له».

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سئل عن نكاح المحلل فقال: لا، إلا نكاح رغبه - لا نكاح دلسة أى لا نكاح غش وتدليس - ولا استهزاء بكتاب الله - ثم يذوق عسيلتها..» وجاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوج أخ له من غير مؤامرة منه - أى من غير مشورة ورغبة منه- ليحلها لأخيه فهل تحل للأول؟ فقال: لا إلا نكاح رغبة. كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ.

ثم قال ابن كثير: والمقصود من أن الزوج الثانى يكون راغباً فى المرأة قاصداً لدوام عشرتها كما هو المشروع من التزويج. واشترط الإمام مالك مع ذلك أن يطأها الثانى وطأ مباحاً فلو وطئها وهى محرمة أو صائمة أو معتكفة أو حائض.. لم تحل للأول بهذا الوطء والمراد بالعسيلة الجماع لما رواه الإمام أحمد والنسائى عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : «ألا إن العسيلة الجماع».

***

السنة

الحث على العمل وقوة العزيمة

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ / إبراهيم الجبالى (*)

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإنّ لو تفتح عمل الشيطان»(١).

نعم: علو الهمة من الإيمان، والكدح فى العمل مع الاستعانة بالله من أيمن نعم الرحمن على الإنسان. لقد نرى قوما يزعمون أن معنى التوكل على الله الجنوح إلى الكسل والرضا بالقعود فى الزوايا، منصرفة قلوبهم إلى الأمانى، عاجزة هممهم عن الأعمال، ولكن أجسامهم قادرة على نقل الجبال. فهؤلاء قد سلك الشيطان من نفوسهم مسلكا جعلهم منقادين له مطيعين لأوامره؛ وهو يوسوس لابن آدم من الشر بما يرى أنه ناجح معه فيه، موافق لرغباته فى الاستماع إليه؛ فإذا أتى واحدا من ناحية تزيين الشهوات، جاء آخر من قبل تحبيذ التعدى والاستطالة، وصوّر له الفخر كل الفخر فى الإيذاء، وجعل له ذلك مصدر العلاء. ويجىء لثالث فيصور له السعادة فى التكالب على الدنيا وإحرازها من أى طريق: حلّ أو حرم، عدل أو ظلم. ويجىء لرابع فيزهده فيها وينفره عنها، ويرضيه أن يكون عالة على أبنائها يعولونه وهو قادر، ويطعمونه وهو أهل لأن يطعم العشرات لو أراد وعمل. ومتى رأى إبليس اللعين انقياد الإنسان إليه بأى أسلوب، بادر إلى تزيينه وتصويره له بصورة الخير، وذلك أخطر ما يدخل به على الناس.

لقد يقتحم ابن آدم شيئا من أعمال الشر عالما أنه شر، ولكنه ينقاد فى ذلك لحركة شهوية أو ثورة غضبية، فيستغفر الله من ذنبه وقتا ويتوب إلى رشده، فيكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم. ولكن الويل كل الويل لمن عميت بصيرتهم، واستحكمت شقاوتهم، فزعموا الشر خيرا والخير شرا، والنفع ضرا والضر نفعا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

(*) عضو جماعة كبار العلماء.

(١) أخرجه مسلم.

نعم : قد وردت أحاديث كثيرة، وآثار شهيرة، ترغب فى الزهد والقناعة، وتنفر من التكالب فى الدنيا، ولكن ليس معنى ذلك أن يكف المرء عن العمل المفيد المنتج الموسع لدائرة العمران، واستخراج مابث الله فى هذا الكون من خيرات وثمرات، بطريق الزراعة والصناعة وما أشبههما، وإنما معناه أن يكون مقتصدا فى الطلب، فلا يضيع دينه فى تحصيل دنيا، ولايجلب دنياه من حيث حرم الله، ولا يكون فى سعيه وكده ظالما باغيا، ولا جبارا طاغيا؛ وأن يكون فى استمتاعه بما أنعم الله عليه معتدلا : فلا يكون مقترفا للحرام، ولا مسرفا فى تناول الحلال. هذا هو المذموم فى أمر الدنيا. أما السعى لتحصيلها من وجوه حلها وأداء مافرض الله على عباده الذين أنعم عليهم بنعمها، والاستمتاع بالطيبات من رزقها، فلم يقل بذمه ولا تحريمه أحد :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾(٢).

ترى العاجز النكس، الضعيف النفس، قد ركن إلى القعود والكسل، ورضى بمسامرة الأمانى وغرور الأمل. امتلأ قلبه من حب الدنيا والتطلع لملاذها، وذابت نفسه حسرات على إحراز القليل والكثير من خيراتها، ولكنه ضعفت همته وصغرت نفسه، فجعل نفسه عالة على غيره، يتطلع لما فى الأيدى، ويتردد على الأبواب، ويقعد على الأعتاب، ويتمرغ فى التراب. عمد إلى التجول للتسول، وأصبح وأمسى يذرع الأرض شرقا وغربا، يقاطع المارة فيعطلهم عن مقاصدهم، ويزعج بصيحاته المنكرة أولئك الوادعين ليستريحوا بعد أداء أعمالهم، لايكل ولايمل، ولو صرف بعض هذا الجهد فى عمل نافع لدرّ عليه مايصون ماء وجهه. ولقد يبتكر أحدهم من ضروب الحيل والتغرير مايحتاج إلى فضل ذكاء لو صرفه فى النافع لأفاد واستفاد. فهم يصرفون من الجهد العقلى والبدنى ما لو وفقوا فى صرفه لكان خيرا لهم وللأمة جميعا. ولكنهم رضوا بهذه الصناعة الممقوتة وانخدع لهم ذوو القلوب السليمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

إن للعبادة حدودا، لا بل إن من العبادة السعى فى تحصيل الرزق من الوجه الحلال. وقد جاء «من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الهمة بطلب المعيشة»(٣). وقد ورد عن عمر – رضى الله عنه – أن جماعة أثنوا فى مجلسه على رجل بأنه مستغرق كل أوقاته فى العبادة، وقالوا : إنه خير منّا كلنا، فقال لهم : فمن يعوله؟ فقالوا : كلنا نعوله، فقال : كلكم خير منه. وروى أيضا أنه قال : «لايقعدن أحدكم فى بيته ويقول : اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهبا ولافضة، ولكن اعملوا» وانظر إن شئت إلى قوله تعالى :

﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(٤)

وقوله جل وعلا :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾(٥).

---

(٢) الأعراف (٣٢).

(٣) كشف الخفاء ١/٢٩٧ رقم ٧٨٣.

(٤) الجمعة (١٠).

(٥) الملك (١٥).

وقوله تعالى :

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(٦)

وقد ورد عنه ﷺ أحاديث ترغب فى الكسب والتعفف عن مسألة الناس ـ منها قوله ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى »(٧) . ومنها أحاديث يقوى بعضها بعضا، مثل « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء »(٨) . « أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح »(٩) . « من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله، وتعطفا على جاره، لقى الله ووجه كالقمر ليلة البدر »(١٠) . « إن الله يحب المؤمن المحترف »(١١) . وهذان الحديثان وإن ضعف إسنادهما فإن فى غيرهما مايشهد لهما، مثل قوله ﷺ : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه »(١٢) . وقوله ﷺ : « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر »(١٣) .

كل هذا وما فى معناه يدلنا على أن روح الدين روح عمل لاروح كسل، وروح إعطاء للمحتاج العاجز لاروح استعطاء من القوى الكسول . ولاتحسبن من هؤلاء القعدة طائفة الهداة والمرشدين الذين نصبوا أنفسهم إلى إرشاد العباد لما فيه مصلحة المعاش والمعاد، وأخذوا على عهدتهم معالجة النفوس والأرواح، وتنقية القلوب من أدران الفجور والشرور، فهؤلاء مهمتهم فى إسعاد البشر من أشق المهمات وأحقها بعظيم التقدير.

ولقد رخص للعاجز الضعيف أن يأخذ ممن آتاه الله من فضله حسب حاجته لابمقدار مايجمع ثروة، ومع هذا الترخيص، ومع أن الضعف أمر قهرى غالبا، جاء هذا الحديث الذى معنا يبين فضل المؤمن القوى على المؤمن الضعيف مع جبر خاطره بقوله ﷺ : « وفى كل خير » فلا حيلة له فيما أصابه من ضعف . وكيف لايكون فيه خير وقد تحلى بحلية الإيمان الذى هو أساس كل خير؟

وقد أرشد ﷺ فى بقية الحديث إلى أنه ينبغى للمؤمن أن يحتال ويعمل ما فى وسعه ويبذل كل جهده، مستعينا بالله وقوته على الوصول لما يريده، فإنه ليس معنى القوى أنه قوى العضلات متين البنية فحسب، لا بل هذا وإن دخل فى القوة دخولا ما فإن أساس القوة قوة الرأى، قوة العزيمة، قوة الهمة، قوة تصريف الأمور . هذه معادن القوة فى الإنسان . أما قوة العضلات ومتانة البنية، فهى قوة حيوانية محضة، فالقوى هو من يعمل رأيه الصائب بفكرة صحيحة، ثم يصمم عزيمته على إنفاذ مايريده، ثم يحرك همته بنشاط حتى يصل إلى ما يبتغى، فإذا اعترضه ما ليس له فى حساب تصرف فى أموره تصرفا حكيما حتى يزيل ما يعترضه من عقبات . هذا هو الحرص الذى أرشد إليه ﷺ بقوله : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز »(١٤) . فكلمة « احرص » حث على الدأب فى العمل، وحفز الهمة، وصدق النية . وليس هذا هو الحرص المنهى عنه، فذلك هو التكالب ونسيان

---

(٦) المزمل (٢٠).

(٧) أخرجه البخارى ١٣٩/٢، ٨١/٧، ١١٦/٨.

(٨) اتحاف السادة المتقين ٤١٤/٥.

(٩) حسنة الترمذى.

(١٠) اتحاف السادة المتقين ٤١٤/٥.

(١١) مجمع الزوائد ٦٢/٤.

(١٢) أخرجه البخارى ٧٥/٣.

(١٣) رواه الترمذى بالمعنى وقال حديث حسن.

(١٤) أخرجه البيهقى.

النفس مايجب عليها فى سبيل الوصول إلى بغيتها، وفرق ما بين الأمرين. وبعد : فهل قوة الأمة تكون إلا بقوة أفرادها؟

وقوله : «واستعن بالله» هذا إرشاد إلى معنى التوكل على الله، وأنه يكون مع السعى والعمل، لا مع التوانى والكسل. روى عن عمر أنه مر على جماعة قعود فقال : من أنتم؟ قالوا : نحن المتوكلون. قال : «بل أنتم المتأكلون، إنما المتوكل رجل ألقى حبة فى بطن الأرض وتوكل على ربه - عز وجل»! ولقد صدق عمر - رضى الله عنه - فإن المرء أكثر ما يملك من استنبات الحب أن يحرث أرضه ويلقى حبه ويتعهد ذلك بالتنظيف والرى وما أشبههما، أما أن ذلك الحب ينبت أولا ينبت، فأمره موكول إلى الله. وهنا يجىء التوكل فيما لايد للإنسان فى تحصيله ولا قدرة له على إيجاده، بل هو من محض آثار القادر المختار، أما قرأت قوله تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾(١٥).

هذا هو السر فى قوله ﷺ : «واستعن بالله» بعد قوله : «احرص على ماينفعك».

ولا يفوتنك التنبه الى أن الحرص على النافع يتناول كلا من أعمال الدنيا وأعمال الآخرة، وأن الاستعانة بالله متناولة كذلك لكليهما، فليس كل عمل بمؤت ثمره ما لم يصحبه المعونة والتوفيق الإلهيان، فكم من عمل فى الدنيا خانه التوفيق فأصبح وبالاً على صاحبه، وعاد عليه بخسران لم يكن فى حسابه. ومن هذا جاء قولهم : أول ما يجنى على المرء اجتهاده. وكم من عمل من أعمال الآخرة لحقه الخذلان فكان موجبا للخسران. وآفات النفس ومسالك الشيطان لايكاد يسلم منهما إنسان، إلا من عصمه الرحمن. وهل يشك أحد فى أن الشيطان قد يجىء للمرء من تصوير الشر بصورة الخير حتى يستدرجه إلى ما لم يخطر له على بال؟

وأما قوله : «ولاتعجز» فهو النهى عما يلحق المرء أثناء عمله إذا صادفه بعض العقبات فيقف مبهوتا مكتوف اليدين خائر العزيمة، وقد آتاه الله من قوة العمل وسعة الحيلة مايستطيع به أن يفتق لنفسه مسلكا مما أصابه من انسداد الأبواب. وقد قالوا : الكريم يحتال واللئيم عيال. وما منح الله العبد عقلا إلا ليؤدى به عملا، ولو شاء لجعل الأمر سهلا، ولكن ليبتليكم فيما آتاكم.

وأما قوله ﷺ : «وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل» فإنه إرشاد إلى أمرين عظيمين على جانب كبير من الأهمية فى شئون الحياة : (الأول) الإبعاد عن الندم على مافات. و(الثانى) الطمأنينة لما قدر الله والرضا به مع استقبال الكثير الغزير من نعمه. فأما الندم والتلفت للماضى بالحسرة تتبعها الحسرة، فهو مميت للهمم مخمد للعزائم، كاسر للنفس، مضيع لحركة العقل فى جلب النافع ودفع الضار. تجد النادم المنهزم قد قعد كاسف البال خامد القوة مضعضع الحواس مغتما، بينما ترى الراضى بالقدر متقد العزيمة مشمرا عن ساعد الجد مهتما.

---

(١٥) الواقعة (٦٣ - ٦٧).

وهنا لانرى بأسا من أن نشرح ما قالوه فى التفرقة بين الغم والهم : فالأول أن تنزل على النفس غمة تكبسها وتضعضعها وتفقدها الحركة وتجعلها مستكينة ضعيفة خائرة، فهو من الغمة. وأما الثانى فهو من هم بالشىء تحركت نفسه له. فهما وإن كانا كلاهما يحصل على نازلة ومصيبة، ولكن الغم يسكن النفس عن الحركة ويسكتها عن التفكير ويجعلها تيأس من كل فوز. أما الهم فهو محرك للهمة، مشعل للعزيمة، محرك للنفس. ولذلك قالوا : الغم يقتل والهم لايقتل. وفرق بعيد بين المغتم والمهتم. فقوله ﷺ : « وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا » نهى عن الاستكانة والتضعضع وقصر النفس على التلفت للوراء واليأس عن انفراج الكرب بحيلة من الحيل. وأما الطمأنينة لما قدر الله فهى فى قوله عقبه : ولكن قل قدر الله وما شاء فعل. ففى ذلك ترضية للنفس بما قدر الله، وهو يستتبع الموازنة بين ما فقده من هذا الذى كان ينتظره، وما هو غارق فيه من نعم الله الكثر، فيرى أن ما فاته ليس بشىء بالنسبة للنعم التى يتمتع بها، فتنشط نفسه الى استقبال نعمه ـ عز وجل ـ قائلا لنفسه :

لا تيأسنّ ولا تخف ... ودع التفكر والأسف

الله عودك الجميـ ... ـل فقس على ما قد سلف

وهذا مثار للنفس لتتحرك فيما ينفعها، وتسد رتق ما فتح عليها من أبواب الشر، وتفتق ما أغلق دونها من أبواب الخير. أما لو ولو ولو.. فهى لاتفيد إلا التحسر على الماضى، والندم على الفائت، والنوم على اجتناء الخير المستقبل، فضلا عما تحويه من السخط على قضاء الله وقدره، وما يتبعه من الاعتراض على فعله وعادل قسمه، وما يصحب ذلك غالبا من الحسد لمن أنعم الله عليه بنعمه، أو نجاه مما أصاب هذا النادم من كروبه وغمه. وكفى بالحسد مهلكة وبالحقد مذمة. فهل رأيت كيف كانت لو تفتح باب الشيطان؟ وهل وراء الحقد والحسد، والتسخط على القضاء والقدر، من خسران للإنسان، وكسب للشيطان، وإغارة على حمى الإيمان؟

ومما جاء فى معنى قوله ﷺ : « قدر الله وما شاء فعل » قوله عز وجل :

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾(١٦).

وقوله ﷺ : « واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك » وقوله : « واعلم أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك »(١٧).

نسأل المولى جلت قدرته أن يكسبنا الرضا بقضائه وقدره، ويقوى نفوسنا على فتح أبواب خيره، ويجعلنا مقتدين بالسنة الحسنة، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه سميع مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٦) التوبة (٥١).

(١٧) الحاكم ٣/٥٤١.

التحضر أولاً والبداوة عند الضرورة

للأستاذ / عبد الله على الزبيدى

روى الإمام البخارى ـ رضى الله عنه ـ عن يزيد بن أبى عُبَيد أبى خالد الأسْلمى، مولى سلمة بن الأكوع، عن سلمة بن الأكوع: أنه دخل على الحجاج بن يوسف الثَّقفِى، حين وَلِى الحجاج إمرة الحجاز، فقال له الحجاج:
«يا ابن الأكوع، ارْتَدَدْتَ على عَقِبَيك!! تَعَرَّبتَ؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذِنَ لى فى البَدْو» أهـ
(البخارى ـ كتاب الفتن ـ التعرب فى الفتنة).

وبعد:

فهذا الحديث يجمع بين شخصيتين كما يحمل فى ثناياه (قضية):

فأما الشخصيتان فهما سلمة بن الأكوع ـ رضى الله عنه ـ والحجاج بن يوسف الثقفى الأمير المعروف، وتكاد كلتا الشخصيتين تناقض إحداهما الأخرى تماما.

فسلمة بن الأكوع صحابى جليل كان أحد من بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة فى (الحديبية) ورُوِىَ عنه أنه قال: بايعتُ رسول الله يوم الحديبية على الموت، وكان ـ رضى الله عنه ـ شجاعا راميا مُحْسِنا خَيِّراً فاضلا، وغزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وقال عنه رسول الله ﷺ: (خيرُ رجالاتنا سلمةُ بن الأكوع) قال ذلك رسولُ الله ﷺ فى غزوة (ذى قَرَد).

ولما قُتل عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ خرج سلمةُ إلى (الرَّبذة) وهي قرية بادية يومئذ تبعد عن المدينة بنحو ثلاثة أميال[1]، وخروجه إلى الربذة يُعَدُّ منه «بداوة» بعد هجرته.

وقال ابنُ حجر: مدة سكنى سلمة البادية نحو الأربعين سنة[2].

وسوف نتبين سريعا لماذا استطردنا حتى انتهينا إلى ذكر اعتزاله (الحَضَرَ) ونزوحه إلى البادية ـ رضى الله عنه.

---

(١) راجع ابن الاثير ـ أسد الغابة ٢/٤٢٣.

(٢) راجع فتح البارى لابن حجر ٣٥/١٣.

والحجاج بن يوسف الثقفى هو الشخصية الثانية، ويكفى للتعريف به، وبما كان من خطره على فضلاء المسلمين، والتنكيل حتى بالصحابة، تقديم العماد الحنبلى له فيمن مات سنة خمس وتسعين من الهجرة، قال عن هذه السنة ذاكرا هذا الحجاج:

«فيها أراح الله العباد والبلاد بموت الحجاج بن يوسف بن أبى عقيل الثقفى الطائفى (أى من الطائف البلدة الشهيرة) فى ليلة مباركة على الأمة ليلة سبع وعشرين من رمضان، وله ثلاث، وقيل: أربع أو خمس وخمسون سنة أو دونها، وكان.. سفاكا، وَلِىَ الحجاز سنين، ثم العراق وخراسان عشرين سنة.. وَلَّاه عبدالملك الحجاز ثلاث سنين.. ثم ولاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فوليها عشرين سنة... وله مقحمات[٣] عظائم وأخبار مهولة. أهـ[٤].

كان من ضحاياه عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ من أئمة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن ضحاياه ـ كذلك ـ إمام التابعين سعيد بن جبير المفسر المحدث ـ رحمه الله.

روى البخارى ـ فى صحيحه أن عبدالله بن عمر قال للحجاج: «أنت أصبتنى»[٥] ذلك لأنه أولُ من سمح بحمل السلاح فى الأرض الحرام فى أشهر الحج، فحمله من حمله فأصاب به قدم عبدالله ـ رضى الله عنه ـ وقيل: كان السلاح مسموما، وكانت الإصابة مقصودة.

●●●

والقضية التى يحملها الحديث هى حَضُّ ديننا الحنيف الأَعْرابَ على ترك البادية، لينضم تاركُها إلى صفوف المسلمين، ثم لا يعود إليها إلا فى الضرورة الشديدة، فهى دفع من الشريعة إلى التحضر والعمل فى صالح الجماعة، بدل التقوقع فى البادية، فليست البداوة من الحضارة فى شىء، قال ابن حجر عن الرجوع إلى البادية: «وكان إذ ذاك محرما إلا إن أَذنَ له الشارع».

روى الإمام أحمد – فى مسنده – ثلاث مرات، ثنتين عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من بدا جفا» والثالثة عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَا جَفَا»[٦] ورواه أبو داود ـ رضى الله عنه ـ فى سننه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ: «من سكن البادية جفا»[٧].

ورواه الترمذى فى صحيحه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ: «من سكن البادية جفا»[٨].

---

(٣) مفرده قحمة بزنة علبة وهى الأمر العظيم الشاق لايكاد يركبه أحد، وركوب الإثم.

(٤) العماد الحنبلى ـ شذرات الذهب ١٠٦/١ ط دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

(٥) صحيح البخارى ـ كتاب العيدين باب ما يكره من حمل السلاح.

(٦) مسند أحمد ٣٧١/٢، ٤٤٠ ـ ٢٩٧/٤.

(٧) سنن أبى داود ١٠٠/٢

(٨) سنن الترمذى ٥٢٣/٤

فهؤلاء ثلاثة من الأصحاب ـ رضوان الله عليهم ـ يَروُون هذا الحديث، فلا جدال فيه.

ويشتد الأمر فى (البداوة) إذا وقعت بعد الهجرة إلى رسول الله ﷺ وعُدَّ ذلك من الكبائر، فقد أخرج النسائى من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ مرفوعا إلى رسول ﷺ في المعدود من الكبائر: « والمرتد بعد هجرته أعرابيا » قال ابن الأثير فى « النهاية »: كان مَنْ رَجَعَ بعد هجرته إلى موضعه (أى من البادية) من غير عذر يَعُدُّونه مرتدا. أهـ

وأخرج الطبرانى ـ من حديث جابر بن سمرة مرفوعا إلى النبى ﷺ :

(لعن اللهُ من بدا بعد هجرته إلا فى الفتنة، فإن البدو خيرٌ من المقام فى الفتنة).

●●●

وبعد؛ فمن هذا العرض عن سُكْنى البادية إلى النزوح عنها هجرة إلى رسول الله ﷺ نتبين: كيف أرادَ الحجاجُ أن يتآمر ليقتل سلمة – رضى الله عنه ـ أو ليتركه ـ على الأقل ـ بين الناس صحابيا مفتونا، وفى ذلك كُلُّ الزراية به ـ رضى الله عنه ـ ولم يكن يعلم أن حِرْصَ سلمة على دينه أقوى وأشد من حرصه هو على دنياه.

كان لقاء سلمة بالحجاج عندما ولى هذا الأخير إمارة الحجاز، تلك الإمارة التى تولاها سنة أربع وسبعين من الهجرة، وتم هذا اللقاء فى أحد أيام سنواته الثلاث التى قضاها واليا على الحجاز، وقد اشتدت حرارتُهُ فى مقاومة أصحاب رسول الله ﷺ والتنكيل المرير بهم، من هنا يقول لسلمة: « ارتددت على عقبيك ».

أى ارتكبت كبيرة بتركك الحضر، ونزوحك إلى البادية بعد هجرتك إلى رسول الله ﷺ ثم يُعَقِّب الحجاج على كلمته مؤكدا فى استفهام توبيخى فيقول: « تَعَرَّبْتَ » أى عدت إلى البادية. قال سلمة: « لا » أى ما ارتددت على عقبىّ، ولا نالت البادية من دينى، « ولكن رسول الله ﷺ أذن لى فى البدو » يريد رضى الله عنه:

إنى على رخصة من رسول الله ﷺ إذ نزحت إلى البادية، فنزوحى إليها ـ إذاً ـ لم يمس دينى. وقد صدق سلمة:

فإنه ـ رضوان الله تعالى عليه ـ خرج إلى البادية بعد مقتل عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ يريد اعتزال الفتنة، ولم يعد إليها رغبة فى العيش فيها مفضلا إياها على الحَضَر، وفات على الحجاج ما أراده من سوء بسلمة.

ولقد قدِم سلمةُ المدينة فلقيه بريدةُ بن الخصيب – رضى الله عنه ـ فسأله كيف نزح إلى البادية قال: ارتددت عن هجرتك؟ قال سلمة: معاذ الله، إنى فى إذن من رسول الله ﷺ. أى أنه ﷺ أذن لسلمة أن يعود للبادية إذا كان ثم فتنة.

قال جابر رضى الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لأَسلم (أى قبيلة سلمة): ابْدُوا، قالوا: إنا نخاف أن نرتَدَّ بعد هجرتنا!! قال ﷺ: أنتم مهاجرون حيث كنتم.

قضايا قرآنية :

جَمعُ القُرآنِ وتدوينه

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

إن قضية جمع القرآن وتدوينه، من أبرز القضايا القرآنية الهامة التى نالت عناية قصوى من المؤرخين لكتاب الله - عز وجل - حتى صارت من الوضوح، بحيث يكاد يعرفها بتفاصيلها الدقيقة قارئو القرآن الكريم، على امتداد العالم الإسلامى كله، وهناك الكثير من الطبعات، التى سجلت ملخصا وافيا لها فى نهاية المصحف، وأصبحت من المسلمات، التى تقترن فى عقيدة المسلم، بقدسية القرآن، وارتفاعه عن أن تمسه يد التحريف والتبديل. وكان ذلك بمثابة التطبيق الفعلى لقول الله - عز وجل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(1) ويرى المسلم أن هذه الآية المباركة، التى كانت عند نزول القرآن مجرد وعد من الله لرسوله، إحدى معجزات هذا الكتاب الأسنى، التى لا يزال ينضح بها إلى يوم يجمع الناس لرب العالمين.

ومن المراجع التراثية الهامة، التى أفاضت فى هذه القضية «الجامع لأحكام القرآن» لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، و«البرهان» للإمام بدر الدين، محمد بن عبد الله الزركشى. و«الإتقان» للسيوطى... ومن مؤلفات العصر الحديث: «المعجزة الكبرى.. القرآن» للإمام الشيخ محمد أبو زهرة و«إعجاز القرآن» للكاتب المسلم التقى، الأديب مصطفى صادق الرافعى.. وغير ذلك الكثير مما لا يتسع المقام لذكره.

وإن عقيدة المسلمين جميعا، فى شتى بقاع الأرض، ومنذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، تقوم

(1) الحجر (9).

على أن حفظ الله ـ تعالى ـ لكتابه الكريم، الذى وعد به، إنما يشمل اللفظ والمعنى كليهما.

غير أن صاحب كتاب «الفرقان» ـ سامحه الله وعفا عنه ـ يأبى إلا أن يكون خارجا عن إجماع المسلمين، ليصدمهم فى أقدس مقدساتهم، التى يتحلقون حولها، منذ فجر الإسلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو لا يدرى أن «من فارق الجماعة شبرا واحدا، فكأنما خلع ربقة الإيمان من قلبه» فبدءا من صفحة ٣٤ إلى صفحة ٥٢ يقوم المؤلف «العلامة» بهجوم شرس على القرآن الكريم، ومن خلال الحديث فى عدد من الموضوعات التى يتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا، وقد عنون لها بالعناوين التالية: «سبب جمع القرآن ـ كتابة المصحف ـ لحن الكتاب فى المصحف ـ ما غيره الحجاج فى المصحف».

وإن من يقرأ هذه الفصول الأربعة، سوف يشعر بالغثيان والاكتئاب لما يراه من رداءة التأليف، وتناثر الفكر، وتدنى المستوى الأخلاقى الذى لا يحترم مقدسات المسلمين، ويحثو التراب فى وجه التاريخ الإسلامى كله، من خلال الافتراءات المغرضة، التى يفتش عنها هنا وهناك ـ دون رادع من ضمير حى أو زاجر من دين ـ ليسجلها فى هذا الكتاب الغريب على الساحة الإسلامية بأكملها، وقد تمت مصادرة هذا الكتاب فى مصر بعد أن ردت عليه مجلة الأزهر فى حينه وإن كانت الردود أقل مما كان يجب آنذاك؛ حيث كانت فى عدد قليل من المقالات، التى لم تستوعب الكتاب كله.. غير أن هذا الكتاب وجد طريقه للخارج بعد ذلك، وتمت طباعته فى إحدى الدول العربية، ولأغراض لا يعلم حقيقتها إلا الله رب العالمين. ولكن يكفى

الشيخ محمد أبو زهرة

مصطفى صادق الرافعى

أن تعرف أن أمريكا قد تلقفت هذا الكتاب، وأودعت نسخة منه فى مكتبة وايدنر بجامعة ولاية هارفرد.

وهذا الكتاب مايزال يطبع ويباع بأثمان زهيدة برغم جودة طباعته. ونحن فى مناقشتنا لهذا الباب من كتاب «الفرقان» لا يعنينا كثيرا غير تشكيكه فى نصوص بعض الآيات البينات من كتاب الله العزيز. وقد لا نسير مع ترتيب النصوص فى هذا الجزء من الكتاب، نظرا لأن أفكاره غير مرتبة، فليعذرنا القارىء المنصف، وسوف نشير إلى رقم الصحيفة التى نقتبس منها النصوص، ليسهل الرجوع إليها عند من يقتنى هذا الكتاب.

تشكيك المؤلف فى نصوص بعض الآيات

يقول المؤلف فى صفحة ٤١ وما بعدها، وتحت عنوان «لحن الكتاب فى المصحف»: «وقد سئلت عائشة – رضى الله تعالى عنها – عن اللحن الوارد فى قوله تعالى:

﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ وقوله عز من قائل:

﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.

وقوله جل وعز:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ .

فقالت: هذا من عمل الكُتّاب أخطأوا فى الكتاب » ثم يعقب المؤلف على هذا الخبر قائلا: « وقد ورد هذا الحديث بمعناه بإسناد صحيح على شرط الشيخين » .

ثم يقول: « وأخرج الإمام أحمد - رضى الله تعالى عنه - فى مسنده، عن أبى خلف مولى بنى جمح، أنه دخل على عائشة - رضى الله تعالى عنها - فقال: جئت أسألك عن آية فى كتاب الله - تعالى - كيف كان يقرأها رسول الله ﷺ ؟ قالت: أية آية ؟ قال: « الذين يأتون ما أتوا » أو « الذين يؤتون ما آتوا » ؟ قالت: « أيتهما أحب إليك ؟ قال: والذى نفسى بيده، لإحداهما أحب إلى من الدنيا جميعا . قالت: أيتهما ؟ قال: « الذين يأتون ما أتوا » . قالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرأها، وكذلك أنزلت، ولكن الهجاء حرف » . . وغير ذلك الكثير من الآيات التى أوردها مشككا فى صحة نقلها، بتحريف الإعراب تارة، وباستبدال كلمة مكان أخرى تارة ثانية، وبزيادة حرف هنا، ونقص حرف هناك تارة ثالثة؛ مما يتنافى تماما مع عصمة هذا الكتاب الكريم، وحفظه من التحريف والتبديل، الذى تكفل الله - تعالى - به !!

وفى تعليقنا على ذلك نقول:

أولا: تمت مناقشة بعض هذه الآيات من الوجهة الإعرابية، وذكرنا تخريج العلماء الذين يعتد بآرائهم لهذه الآيات عند مناقشتنا لقضية الرسم العثمانى(٢)، ونظرا لطول العهد بهذه الردود سنعيد الرد هنا لنؤكد على أن مؤلف كتاب « الفرقان » كان ضئيل الحجم علميا، ضحل الاطلاع .

ففى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾(٣) .

يقول محيى الدين الدرويش: « إن مخففة من الثقيلة ومهملة وهذان اسم إشارة للمثنى فى محل رفع مبتدأ، واللام الفارقة وساحران خبر هذان . . »(٤) .

أما فى إعراب:

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(٥)

فسنركز على بيت القصيد:

﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وفيها يقول محيى الدين الدرويش: « الواو معترضة والمقيمين نصب على المدح بإضمار فعل لبيان فضل الصلاة على ما قاله سيبويه وغيره والتقدير أعنى أو أخص المقيمين الصلاة، الذين يؤدونها على وجه الكمال، فإنهم أجدر المؤمنين بالرسوخ فى الإيمان، والنصب على المدح أو العناية لا يأتى فى الكلام البليغ إلا لنكتة، والنكتة هنا هى ما ذكرنا آنفا من مزية الصلاة، على أن تغيير الإعراب فى كلمة بين أمثالها ينبه الذهن إلى وجوب التأمل فيها، ويهدى التفكير لاستخراج

(٢) راجع مجلة الأزهر الاعداد من جمادى الأولى ١٤١٩هـ إلى ذو القعدة ١٤١٩هـ.

(٣) طه (٦٣).

(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه مجلد ٦ ص ٢٠٧

(٥) النساء (١٦٢).

مزيتها وهو من أركان البلاغة.. الصلاة مفعول به للمقيمين ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ عطف على ما تقدم، والزكاة مفعول به للمؤتون لأنه اسم فاعل»[٦].

وفى الآية ذاتها أورد الفخر الرازى عدة آراء فى إعراب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ والمختار هو رأى البصريين حيث قال: القول الثانى: وهو قول البصريين: إنه نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، قالوا: إذا قلت: مررت بزيد الكريم، لك أن تجر الكريم لكونه صفة لزيد، ولك أن تنصبه على تقدير أعنى، وإن شئت رفعت على تقدير هو الكريم، وعلى هذا يقال: جاءنى قومك المطعمين فى المحل والمغيثون فى الشدائد، والتقدير جاءنى قومك أعنى المطعمين فى المحل وهم المغيثون فى الشدائد فكذا ههنا، تقدير الآية: أعنى المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة»[٧].

وفى إعراب قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ﴾[٨].

يقول محيى الدين الدرويش: « .. والصابئون والنصارى. الواو استئنافية، والصابئون رفع على الابتداء، وخبره محذوف. والنية به التأخير عما فى «إن» من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين أمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك. وهذا ما رجحه سيبويه فى مخالفة الإعراب وأنشد شاهدا له:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم
بغاة ما بقينا فى شقاق

أى: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك، ويكون العطف من باب عطف الجمل، فالصابئون وخبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: إن الذين آمنوا، ولا محل لها، كما لا محل للجملة التى عطفت عليها، وإنما قدم ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ تنبيها على أن هؤلاء أشد إيغالا فى الضلالة واسترسالا فى الغواية، لأنهم جردوا من كل عقيدة»[٩].

وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازى لرفع ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ عدة أوجه، كان أشهرها وأوضحها «**الوجه الأول**: وهو مذهب الخليل وسيبويه (وفيه يقول): ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون كذلك، فحذف خبره، والفائدة فى عدم عطفهم على من قبلهم هو أن الصابئين أشد الفرق المذكورين فى هذه الآية ضلالا، فكأنه قيل: كل هؤلاء الفرق إن آمنوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم وأزال ذنبهم، حتى الصابئون فإنهم إن آمنوا كانوا أيضا كذلك[١٠].

ثانيا: إن الأستاذ، لم يعمل عقله ولو قليلا فيما ينقل من هنا أو هناك، منسوبا إلى السيدة عائشة أو لغيرها، ولكن كان همه الأول والأخير، أن يصدم مشاعر المسلمين بكل غريب من القول، متجرئا على الله، وعلى كتابه الأسنى.. !!

فلو أعمل المؤلف هذه القاعدة الشرعية، التى

---

(٦) إعراب القرآن الكريم وبيانه مجلد ٢ ص٣٧٧

(٧) مفاتيح الغيب. المجلد الخامس ص٥٢٣.

(٨) المائدة (٦٩).

(٩) إعراب القرآن الكريم وبيانه. المجلد الثانى ص٥٢٧.

(١٠) مفاتيح الغيب المجلد السادس ص٩٣. اقرأ فى ذلك.

أعلنها أئمة الفقه الإسلامى، التى مؤداها أنه: إذا صح حديث رسول الله ﷺ فلا يلتفت إلى كلام غيره من البشر، إذ الاجتهاد مع النص الذى ثبتت صحته، وإذا تعارضت الآية مع الحديث، ولم يكن بالإمكان الجمع بينهما، فلا يلتفت لغير الآية، لاحتمال أن يكون الحديث موضوعا. أقول، لو أعمل المؤلف هذه القاعدة الشرعية، ما سمح لنفسه أن يخط بيمينه هذه الافتراءات والأراجيف، التى بلغت الغاية فى الجرأة على الله وعلى كتابه.

إن مجرد استمرار القرآن الكريم، وهو يكتب ويحفظ ويتلى، على هذا النص المبارك، منذ عصر النبوة، وعصر الخلافة الأولى، إلى يومنا هذا، لهو خير شاهد على كذب هؤلاء الأفاقين، الذين لا يرعَوُون عن التجرؤ على كتاب الله ـ تعالى ـ إذ ليس من المعقول، ولا من المقبول فى موازين العقل والشعور والعقيدة، أن تظل الآيتان الكريمتان:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. و

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١١)

معطلتين، طيلة أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، ليأتى هذا «الفارس الهمام»، ومن كانوا على شاكلته، فى آخر الزمان، ليمنحوهما الحركة والحياة، فى مجال العمل والعقيدة.

ثالثًا: إن هذا الخبر الذى نسب إلى أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ لكاذب فما كان لهذه السيدة الجليلة، أن تسكت عن هذا الأمر الجلل، الذى وضح أمامها فى كتاب الله ـ عز وجل ـ وهو الذى أنزل على زوجها، وقد بلغ من فضلها ومكانتها فى الإسلام، أن قال عنها النبى ﷺ: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء»(١٢).

أقول: هذا الخبر كاذب ومدسوس عليها ـ رضى الله عنها ـ ونحن إنما نقول ما تمليه علينا عقيدتنا، ومعرفتنا بطبيعة من نسبت إليهم هذه الأخبار. وقد ردت مجلة الأزهر على هذا المؤلف فى هذه النقطة بما مؤداه «أن رواية عائشة هذه إن صحت فهى رواية آحاد، لا يثبت بمثلها القرآن»(١٣).

رابعًا: لا يفوتنا أن نذكر رد الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة على هذه الشبهة حيث قال(١٤):

«١ ـ إن هذه الرواية فى سندها إسماعيل المكى، وهو ضعيف فلا تعارض القطعى الثابت بالتواتر، ولا يثبت بها قرآن حتى ولو كانت صحيحة».

«٢ ـ هذه الرواية على فرض صحتها، لا تفيد إنكار القراءة الثابتة التى أجمع عليها السبعة وهى ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ وقولها: إن رسول الله كان يقرأ بها وكذلك أنزلت «لا ينافى أن تكون القراءة المتواترة منزلة؛ وقرأ بها النبى ولا سيما وهى المتواترة التى أجمع عليها القراء السبعة.

---

(١١) فصلت (٤٢).

(١٢) الإتقان للسيوطى ص١ النوع الحادى والأربعون فى معرفة إعرابه، وكتاب جمع القرآن الكريم للدكتور جمال مصطفى ص١٧٩ . ١٨٠. وكذلك المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور أبو شهبة ص٣٣٤ ـ ٣٣٦.

(١٣) مجلة الأزهر. المجلد العشرون ص٩٣.

(١٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص٣٣٨ ، ٣٣٩.

وأما القراءة الأخرى التى وافقت السيدة عائشة السائل على استحسانها فهى غير متواترة ولا يثبت بها قرآن، وقد ذكرت فى بعض كتب الحديث؛ ولكن لم يردها القراء من طرقهم ولعلها مما نسخ من القراءات فى عهد النبى ﷺ، أو مما ترك عند جمع القرآن لعدم ثبوتها وتواترها، وأما قولها: إن الهجاء حرف، فالمراد بالحرف اللغة أى القراءة الثابتة لغة، ووجه من وجوه الأداء للقرآن، ولا يصح أن تريد من الحرف الخطأ والتحريف إذ اللغة لا تشهد له».

يقول المؤلف صفحة ٤٣: « وقد سئل أبان بن عثمان: كيف صارت: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

ما بين يديها وما خلفها رفع وهى نصب؟»

«قال: من قبل الكاتب، كتب ما قبلها، ثم سأل المملى: ما أكتب؟ قال: اكتب المقيمين الصلاة. فكتب ما قيل له، لا ما يجب عربية، ويتعين قراءة».

«وعن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - فى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ ﴾ قال: إنما هى خطأ من الكاتب: «حتى تستأذنوا وتسلموا».

«وقرأ أيضًا: «أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا» فقيل له: إنها فى المصحف: «أفلم ييأس» فقال: أظن أن الكاتب قد كتبها وهو ناعس».. !! وغير ذلك مما ينفر القلم ويعف عن الاستمرار فى نقله. غير أننا فى تعليقنا عليه نقول:

إن هذه القصة يتضح فيها الخيال الكاذب، بل الخيال المغرق فى الكذب الذى لا يقبله من له أدنى معرفة بطبيعة هؤلاء الرجال الذين نسبت إليهم مثل هذه المواقف، وبطبيعة المهمة التى أوكلت إليهم، وإدراكهم لفداحة الخطر، الذى يتهدد الإسلام وأهله، نتيجة سهو لا يقبله المرء فى عصرنا، وهو ينقل أحد النصوص العلمية من مصادرها، عندما يكلف ببحث علمى مثلا !! ألم يقرأ واحد منهم ما سبق أن كتب هو أو كتب غيره ؟!

لقد كانت هذه «اللجنة» مكونة من بعض كبار الصحابة المشهود لهم باليقظة وحسن الضبط، فضلا عن الأمانة، التى هى شرط مقدم على غيره فى مثل هذه المهمة الجسيمة. لقد كانت هذه «اللجنة» مكونة من: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث، فضلا عن أن هناك نفرا من جلة الصحابة قد جمعوا القرآن فى حياة النبى ﷺ منهم: على ابن أبى طالب، ومعاذ بن جبل، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود.

إن أول ما كانت تعرف «اللجنة» من ملابسات تحيط بأداء هذه المهمة، أنها كانت تقوم بتسجيل كتاب تقوم عليه الدعوة من أساسها، أو تتقوض من أساسها. أفيعقل أن يكتب أحدهم بعض آياته «وهو ناعس» ؟ كما قال الأفاقون، وقد نقل عنهم المؤلف - رحمه الله - بلا وعى ولا دراية، فيما يكتب أو ينطق، ألم يراجع ذلك الذى كتب «المقيمين» بالنصب حسبما قيلت له سهوا، ألم يراجعها، ليدرك أنه أخطأ ؟!

محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين

القرآن مقتبس من التوراة؟!

١٠

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

من قبل تصدينا لفرية استشراقية شديدة النكارة زعموا فيها - كما يذكر القراء - أن محمداً ﷺ ألف القرآن من عنده، وهو منعزل فى غار حراء، ولما أكمله واجه الناس به، وزعم أنه وحى أنزله الله عليه من السماء؟!

وفرية أخرى زعموا فيها أن محمدا ﷺ صادق، ولكنه مخدوع؛ لأن رسالته كاذبة؟!

وبدءا من هذا المقال نواجه فرية أخرى، زعموا فيها أن القرآن مقتبس من «التوراة» وليس له مصدر سماوى مستقل؟!

وتطاول بعضهم فقال:

ما فى القرآن من جديد فليس صحيحا، وما فيه من صحيح فليس جديداً»؟!

يريدون أن يقولوا: إن الصحيح الذى فى القرآن منقول عن غير القرآن (التوراة) والجديد الذى ليس مأخوذا عن «التوراة»، بل هو خاص بالقرآن، كذب وافتراء.

هكذا سوّل الحقد والحسد، وزين لهم الشيطان، فاتبعوا خطواته لاهثين.

سبب هذه الفرية

وليس لهم حجة فيما قالوا، سوى شبهة واهية، ومع علمهم بضعفها، بل ببطلانها، فإنهم بنوا من «حبتها» «قبة» لأنهم لا يبحثون عن الحق ليتبعوه، وإنما همهم كله محاربة الإسلام، والقضاء عليه، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق.

وافتراض حسن النية فيهم مستحيل ، لأن البغضاء بدت من كل كلمة تفوهوا بها فى هذا المجال والشبهة التى تمسكوا بها، وورود مواضع فى القرآن تتشابه بمواضع وردت فى التوراة، ومن أبرزها الجانب القصصى، وبعضهم يضيف إلى التوراة باعتبارها - عندهم - مصدرا للقرآن، يضيف «الإنجيل» كمصدر ثانوى، مساعد للتوراة فى «تكوين القرآن»؟!

ونريد هنا أن نواجه هذه الفرية مواجهة علمية موضوعية، ونبدأ فى الرد عليها من «الألف» إلى «الياء».

كيف يتحقق الاقتباس

الاقتباس عملية فكرية لها ثلاثة أركان:

١- **الأول**: الشخص المقتبس [اسم الفاعل].

٢- **الثانى**: الشخص المقتبس منه [اسم المفعول].

٣- **الثالث**: المادة العلمية المقتبسة [اسم المفعول كذلك].

وتطبيق هذا على ما نحن بصدده يسفر عن الآتى.

● محمد ﷺ هو المقتبس (اسم الفاعل).

● موسى ـ عليه السلام ـ (أو التوراة) هو المقتبس منه (اسم المفعول الأول).

● المادة القصصية التى فى القرآن، هى المقتبسة (اسم المفعول الثانى).

وعملية الاقتباس - بعد هذا - تخضع لكيفيات أخرى لأن المقتبس (**اسم فاعل**) **إما** أن يأخذ الفكرة المقتبسة كلها بلفظها ومعناها.

وإما أن يأخذها كلها بمعناها فقط. أما اللفظ أو العبارة فتكون من عنده.

وإما أن يأخذ جزء الفكرة بلفظها ومعناها أو بمعناها فقط، ويعبر عنها بألفاظ من عنده.

وبناء على هذا فإن المقتبس (اسم الفاعل) يدور فى فلك المقتبس منه، ومحال عليه أن يزيد فى الفكرة المقتبسة (كلا أو بعضا) لأنه ليس له مصدر سوى المادة العلمية أو الفكرية، التى يريد أن يقتبسها من عمل غيره. إذا جرى الاقتباس فى هذه الأطر التى تقدمت فإن الاقتباس يكون صحيحا، ولا يمكن للمقتبس (اسم فاعل) أن ينكر دعوى من يتهمه بأنه سطا على فكرته، وأنها عمله هو لا عمل المقتبس.

أما إذا تشابه عملان: سابق ولاحق، وكان للاحق ملامح جديدة خاصة، لا وجود لها فى الأول، أو وردت عند اللاحق حقائق أظهرت أخطاء جوهرية عند السابق، فدعوى الاقتباس هنا لا تصح، لأن معنى هذا أن الثانى تخطى الأول، وأتى بما لا يعرفه الأول فالثانى أو اللاحق ليس ناقلا بل هو مؤسس حقائق قد انفرد بها.

فتعال نطبق هذه الأسس على دعوى المستشرقين والمبشرين (المنصرين) أن القرآن مقتبس من التوراة كمصدر أساسى للقرآن،

ومن الإنجيل كمصدر ثانوى مساعد فى تكوين القرآن؟!

ونبدأ المواجهة معهم بهذا السؤال:

هل القرآن عندما اقتبس من التوراة أو الإنجيل - كما تدعون - كان خاضعا لشروط الاقتباس المتقدم ذكرها، وهى مرة أخرى.

● نقل الفكرة كلها بلفظها ومعناها، أو بمعناها دون لفظها.

● نقل جزء من الفكرة بلفظها ومعناها، أو بمعناها دون لفظها.

● عجز المقتبس (اسم فاعل) عن الإتيان بجديد لم يكن له وجود فى المصدر الذى حدث الاقتباس منه بل يتحتم عليه أن يدور فى فلكه دائما.

إذا قارنا بين مواضع التشابه فى القرآن وفى التوراة لاحت لنا حقيقة «ضخمة» لايمكن عقلا انكارها تلك الحقيقة أن القرآن كان أطول باعا، وأرحب أفقا، وأوسع مساحة، مما عليه التوراة والإنجيل وملحقاتهما، التى يدرجها القوم فى مفهوم «الكتاب المقدس»

ذلك أن القرآن:

●- عرض الوقائع عرضا يختلف عن عرض التوراة لها.

●- ـاف جديداً لم تعرفه التوراة ولا أسفار الكتاب المقدس جميعها.

●- صحح أخطاء فاحشة حفلت بها أسفار التوراة.

●- انفرد القرآن بحقائق خاصة، ليس لها فى الوجود مصدر سواه(١).

● فى حالة اختلاف القرآن مع التوراة يكون الصواب هو ما فى القرآن، والخطأ هو ما فى التوراة، بشهادة العقل والنقل والعلم والواقع.

صور التشابه

وما علينا بعد ذلك إلا أن نستعرض بعض صور من التشابه بين القرآن والتوراة، ونطبق عليها الأسس المتقدمة، تاركين الحرية المطلقة للقارىء، سواء كان مسلما أو غير مسلم، لأننا سنحتكم للعقل والواقع وهما معياران ملزمان لكل الناس. وسننظر أنحن على صواب فى دعوانا أن للقرآن مصدراً إلهيا غير التوراة والإنجيل؟ أم هم على صواب فى أن القرآن مأخوذ من نصوص التوراة والإنجيل؟

والمسألة بعد ذلك، ليست مسألة اختلاف فى الرأى فى موضوع قابل للاحتمال. بحيث يكون الرأى والرأى الآخر كل منهما محتمل للصواب. وإنما المسألة مسألة مصير أبدى من ورائه عقيدة لا تبنى على الظن والتخمين، بل على اليقين، تهىء لصاحبها النجاة من سوء المصير، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. أو عقيدة فاسدة تحل قومها دار البوار، يوم يقدم الله إلى ما عملوا فيجعله هباء منثورا.

(١) على القارىء أن يعرف أننا نتحدث عن مواضع التشابه بين القرآن والتوراة.. أما عموم القرآن فليس له مقابل فى التوراة.

الصورة الأولى من التشابه بين التوراة والقرآن « قصة يوسف ـ عليه السلام »

تبدأ هذه اللقطة من بدء مراودة زوجة عزيز مصر ليوسف ـ عليه السلام ـ عن نفسه، ليفعل بها الفحشاء، وتنتهي بقرار وضع يوسف في السجن:

حديث التوراة

« وحدث بعد هذه الأمور، أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت اضطجع معى، فأبى وقال لامرأة سيده: هو ذا سيدى لا يعرف معى ما فى البيت، وكل ماله قد دفعه إلى يدى، ليس هو فى هذا البيت أعظم منى، ولم يمسك عنى شيئا غيرك؛ لإنك امرأته، فكيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطىء إلى الله، وكان إذ كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها.

ثم حدث نحو هذا الوقت، أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك فى البيت، فأمسكت بثوبه قائلة اضطجع معى، فترك ثوبه فى يدها، وخرج إلى خارج وكان لما رأت أنه ترك ثوبه فى يدها، وهرب إلى خارج، أنها نادت أهل بيتها، وكلمتهم قائلة: انظروا قد جاء إلينا برجل عبرانى ليداعبنا، دخل إلى ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم، وكان لما سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى، وهرب وخرج إلى خارج، فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة: دخل إلى العبد العبرانى الذى جئت به إلينا ليداعبنى، وكان لما رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب إلى خارج، فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذى كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بى عبدك أن غضبه حمى فأخذ يوسف سيده ووضعه فى بيت السجن، المكان الذى كان أسرى محبوسين فيه »

سفر التكوين الإصحاح [٣٩]
من [٧ إلى ١٩].

حديث القرآن

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾
فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ
كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ
وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ
كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا
مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ
إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٖ﴾ يوسف (٢٣: ٣٥)

تلك هى نصوص الواقعة فى المصدرين :

التوراة التى يزعمون أنها مصدر القرآن، ولولاها لم يكن القرآن؟

والقرآن الذى يدعون أنه أخذ مادته القصصية – على الأقل – من التوراة؟

وإنى لأدعو القراء أن يقرأوا الحديثين (حديث التوراة) و(حديث القرآن) فى هذه اللقطة من قصة يوسف، التى اخترناها من المصدرين أساسا لهذه المقارنة، أن يقرأوا الحديثين بوعى وصبر، ثم يحاولوا جهد الطاقة التعرف على الفروق بين المصدرين ويرصدوها ويتأملوها جيداً

ثم يسألوا هذا السؤال :

هل تصلح التوراة أن تكون مصدراً فعلا للقرآن وهل وقف القرآن فى حديثه عن هذه الواقعة عند الحدود التى وقفت عندها التوراة؟

إذا ثبت أن القرآن فى حديثه هذا مكبل بما ورد فى التوراة، فإن دعوى مصدرية التوراة للقرآن تكون صادقة.

أما إذا ثبت أن القرآن تخطى ما أوردته التوراة. فإن دعوى مصدرية التوراة للقرآن تكون باطلة كاذبة

إن مقتضى ادعائهم أن التوراة هى مصدر القرآن يلزم منه عقليا أن يكون حديث القرآن هنا محصورا فى صورتين لا ثالثة لهما :

الأولى:

أن يردد ما ورد فى التوراة ولو بألفاظ أخرى بشرط ألا يزيد عليه شيئاً قط. فإن ردده بلفظه ومعناه كان مجرد ناقل.

وإن ردده بمعناه دون لفظه، كان ما ردده حكاية معنى وفى كلٍ يعجز كل العجز عن الإتيان بجديد لا وجود له فى التوراة؛ لأنها حسب زعمهم هى «الأصل والمورد» والقرآن هو «الفرع».

الصورة الثانية:

أن يردد القرآن بعض ما ورد فى التوراة باللفظ والمعنى، أو بالمعنى دون اللفظ

وفى هاتين الصورتين - لو كان القرآن اقتصر عليهما - تكون دعواهم أن التوراة مصدر القرآن صحيحة ومقبولة، ولا يصح لنا أن نرد دعواهم، وإلا كنا جاحدين معاندين.

لكن الواقع النصى لما فى المصدرين (التوراة - القرآن) ينسف هذا الادعاء نسفا، ويتضح هذا لكل ذى عقل من المقارنات والتنظيرات الآتية، ونرجو من القراء النظر فيها بكل عناية وتمحيص.

المقارنـــــــات

معطـــيات التـــوراة	معطـــيات القـــرآن
● المراودة حدثت مراراً. ونصح يوسف لامرأة العزيز كان قبل المرة الأخيرة.	● المراودة حدثت مرة واحدة، وقد اقترنت بعزم امرأة العزيز على يوسف لينفذ رغبتها
● تخلو التوراة من الإشارة إلى غلق الأبواب، وتقول: إن يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب، وانتظرت هى قدوم زوجها العزيز، وقصت عليه القصة، بعد أن أعلمت بها أهل بيتها.	● يشير إلى تغليق الأبواب، وأن يوسف هم بالخروج فقدت قميصه من دبر، وحين وصلا إلى الباب وهى تطارد يوسف فوجئا بالعزيز يدخل عليهما، فبادرت المرأة فى الحال بشكوى يوسف ـ عليه السلام ـ إلى زوجها. واقترحت على زوجها سجن يوسف أو تعذيبه
● لم يكن يوسف موجوداً فى البيت حين دخل العزيز، ولم يدافع عن نفسه حين اتهمته امرأة العزيز واقترحت عليه سجنه أو تعذيبه.	● يوسف كان موجوداً فى البيت لما دخل العزيز، وقد دافع عن نفسه أمامه وقال يوسف للعزيز: هى التى راودتنى عن نفسى.
● تخلو التوراة من حديث الشاهد وتقول: إن العزيز حمي غضبه على يوسف، ثم أودعه السجن فوراً دون عرض أمره على حاشيته.	● يذكر القرآن شهادة الشاهد تفصيلا كما يشير إلى اقتناع العزيز بالشهادة مع توجيه اللوم إلى امرأته، ويثبت يوسف على العفة والطهارة. ويؤكد أن امرأته قد أخطأت، وأن إدخال يوسف السجن كان بعد مشاورة حاشية العزيز
● تخلوا التوراة من حديث النسوة باتهامهن امرأة العزيز بمراودة فتاها يوسف عن نفسه ووصفها بأنها كانت من الضالين.	● يذكر حديث النسوة بالتفصيل وتوجيه الدعوة إليهن من امرأة العزيز وحضورهن إلى بيتها مع مادار فى هذا اللقاء من أحداث مذهلة
● تعبر التوراة عن مراد امرأة العزيز من يوسف بالاضطجاع معها، وهو كناية مبتذلة لفظا ومعنى، لأنها تجسيم مكشوف لعمل الفاحشة.	● يعبر القرآن عن مراد المرأة من يوسف ـ عليه السلام ـ بـ«المراودة» وإغرائها إياه ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ وهما كنايتان عفيفتان تومئان إلى المعنى المراد من وراء حجاب.

وبعد هذه المقارنات بقيت أمور لابد من الإشارة إليها وهى أمور خلت منها التوراة، وذكرها القرآن، وهى:

● خلو التوراة من حفظ الله ليوسف وثناء الله على يوسف:

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

● خلو التوراة من دعاء يوسف ربه وإعلانه إن السجن أحب إليه من الصبوة إلى النساء:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

● خلو التوراة من استجابة الله دعاء يوسف ـ عليه السلام ـ :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

نتائج المقارنة

الفروق التى تقدمت بين حديث التوراة، وحديث القرآن عن « الواقعة » الى رشحناها لإجراء هذه المقارنة، احتكمنا فيها إلى الواقع « النصى » للتوراة، والواقع « النصى » للقرآن الأمين. لتكون الأحكام على « المصدرين » مقنعة لاستنادها على حقائق لا يسوغ فى حكم العقل الطعن فيها، فهى أشبه ما تكون بـ« حدود العمليات الرياضية، لا مجال فيها للأهواء ولا لعمل الخيال، ونرجو أن يكون القراء قد لمسوا هنا نزاهة هذا المنهج واطمأنت إليه نفوسهم، وسلمت بصدقه عقولهم.

والنظر الفاحص فى المصدرين، يرينا أنهما لم يتفقا إلا فى « أصل الواقعة » من حيث هى واقعة وكفى. ثم اختلفا بعد هذا فى كل شىء:

على أن القرآن أتى بجديد لم تعرفه التوراة، ومنه حديث النسوة. مدحهن ليوسف. الهم بين المرأة ويوسف(٢)، دعاء يوسف ربه، استجابة الله دعاء يوسف، قد قميص يوسف من الخلف، عرض الواقعة على حاشية العزيز

ولو كانت التوراة هى مصدر القرآن فأين نجد هذا الجديد فى التوراة،؟! إن القاعدة العقلية التى تقول: « فاقد الشيء لا يعطيه » شديدة الانطباق على وضع التوراه هنا.

وهى – وحدها – كافية فى إبطال دعوى القوم أن محمدا ﷺ اقتبس القرآن من التوراة، ثم زعم أنه وحى نزل عليه من الله ـ عز وجل ـ .

وأمر آخر: إن القرآن قام بتصحيح أخطاء وردت فى حديث التوراة عن هذه « الواقعة » من قصة يوسف ـ عليه السلام ـ .

ومن تلك الأخطاء:

(٢) همُّ المرأة بيوسف كان بقصد تنفيذ رغبتها فيه، وهم يوسف بها كان هو إثارة شهوته لا إرديا، كما يسيل لعاب الجائع إذا اشتم رائحة شواء بلا إرادة منه، بل هو انفعال فطرى قاهر.

- لم يترك يوسف ثوبه بيد المرأة فى بيت العزيز، بل كان مرتديا ثوبه، وهو يحاول الإفلات من الوقوع فى الفاحشة، التى كانت المرأة تطارده من أجلها، هذا ما أثبته القرآن الأمين.

كل ما فى الأمر أن المرأة قدت قميصه من الخلف. وهذا هو الأليق بسمعة رسول كريم، ورسل الله جميعاً منزهون عن الخطايا، مبرأون من الدنايا.

وقد يقول بعض الناس:

لماذا نفترض الخطأ فى جانب التوراة، وأن الصواب هو ما ذكره القرآن؟ ألا يعتبر تحيزاً منكم للقرآن، وتحاملاً على التوراة؟

وذلك لأن القرآن كتاب المسلمين، وأنتم منهم، وقد يقول «الخصم» غير ما تقول أنت:

إن الذى ذكره القرآن خطأ؟ والذى ورد عن التوراة هو الصواب؟

والجواب:

نحن لم نتحيز للقرآن؛ لأنه كتاب المسلمين، ولكن دعانا إلى هذا داعيان:

الأول: لم يرد فى القرآن - قط - ما هو خلاف الحق؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وعلى كثرة ما طعن فيه الطاعنون - قديما وحديثا - لم يعثروا فيه على ما يخالف الحق والصواب. وقد ثبتت هذه الحقيقة فى كل مجالات المعارف والعلوم التى أجريت على مفاهيم القرآن العظيم فى كل العصور والبيئات.

وهذا - وحده - كاف فى صدق ما ذهبنا إليه

أما الداعى الثانى: وهو منتزع من واقع القصة نفسها موضوع هذه المقارنة وإليك البيان.

إن كلا من التوراة والقرآن متفقان على عفة يوسف - عليه السلام - وإعراضه عن الفحشاء، ثم اختلفا بعد ذلك:

التوراة تقول: إن يوسف ترك ثوبه كله بيد المرأة وهرب.

والقرآن يقول: إن يوسف لم يترك ثوبه، بل فرَّ هاربا من كيد المرأة، فأمسكته من الخلف ومزقته، واقتطعت جزأ منه فأى الروايتين أليق بعفة يوسف المتفق عليها بين المصدرين؟

● أن يترك ثوبه ويخرج عاريا أو شبه عارٍ

● أم أن يظل مرتديا ثوبه، ثم تقتطع منه امرأة العزيز قطعة من الخلف؟

إذا سلمنا برواية التوراة، فيوسف ليس عفيفا - حاشى لله - وامرأة العزيز تكون على صواب فى اتهامها إياه بإرادة عمل الفحشاء معها، لأن «الرجل» أى رجل، لا ينزع ثوبه عنه إلا إذا كان هو «الراغب».

وقد يقولون: إن امرأة العزيز هى التى نزعت عنه ثوبه

ونقول: هذ مردود واقعا؛ لأن يوسف كان شابا قويا مفتول العضلات، وهى امرأة، ولم تجر العادة بأن تغلب المرأة الرجل فى هذه الأحوال

ثم: كيف يترك يوسف ثوبه عندها إن كانت هى التى نزعته عنه جدلاً

والخلاصة: أن رواية التوراة فيها إدانة قوية ليوسف ـ عليه السلام ـ وهذا يتنافى مع العفة التى اتفقت التوراة على إثباتها ليوسف مع القرآن الكريم.

أما رواية القرآن ففيها إدانة قوية لامرأة العزيز، وبراءة قوية ليوسف ـ عليه السلام ـ

لقد دعته لنفسها فأبى واستعصم وعاذ بالله من كيدها، ولما لم ترتدع وأصرت على تحقيق رغبتها وولى هاربا، فاتبعته وهى تمسك بثوبه من الخلف ليعود إليها، ولكنه ولىً هاربا، فما كان إلا أن مزقت ثوبه من الخلف.

إن قطع ثوب يوسف – عليه السلام – كان رد فعل لعمليتين متضادين: جذب إلى الخلف من امرأة العزيز، واندفاع إلى الإمام من يوسف ولهذا جاءت شهادة الشاهد مستندة إلى «موضع قد القميص».

إن كان من الأمام فهى صادقة، ويوسف كاذب.

وإن كان من الخلف فهى كاذبة، ويوسف صادق.

وهى الشهادة التى عمل بها لأول وهلة عزيز مصر.

وهذا يتفق مع عفة نبى الله يوسف التى أجمع عليها المصدران لهذا قلنا – ونقول –: إن القرآن لم يكتف بإيراد جديد فى القصة لم تعرفه التوراة، بل صحح أخطاء وردت فى التوراة وكان لابد من تصحيحها.

كما صحح القرآن واقعة أخرى، لأن التوراة كررت أن يوسف خرج من البيت، ولم يدافع عن نفسه أمام العزيز حين حضر والقرآن يثبت العكس، وهو الصحيح، لأن العزيز رجع إلى البيت حين مطاردة امرأته ليوسف، لا قبلها ولا بعدها.

وهؤلاء الذين ادعوا أن التوراة هى التى اقتبس منها محمد ﷺ القرآن، يتهمون القرآن بتزوير الواقع، حيث أثبت شهادة شاهد للواقعة من أهل امرأته ويقولون: إن يوسف وامرأة العزيز كان وحدهما فى البيت فأين كان يختبىء هذا الشاهد؟

والجواب: لا يلزم من إثبات الشهادة فى القرآن، وجود أحد معهما فى البيت. لا من أهلها ولا من غير أهلها. فهذا أمر مسكوت عنه فى القرآن:

لا يثبته ولا ينفيه. ومع هذا فالشهادة مقبولة، لأنها قد تكون إدلاء رجل من أهلها حضر مع العزيز، فأدلى برأيه وأشار على العزيز بتحكيم هذه «الأمارة» بعد اقتناعه بإدانة المرأة.

والخلاصة

كيف تصلح التوراة مصدرا فى تكوين القرآن، وفى القرآن ما ليس فيها من أمانة العرض ونزاهته، وتصويب القرآن ما فيها من أخطاء، لو كانت التوراة هى مصدر القرآن لعجز القرآن أن يأتى بجديد ليس فيها، ولعجز عن تصويب ما فيها من أخطاء.

الرفق بالجانى من خلق النبى صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفنى

من حكمة الشعر قول الشاعر العربى القديم:

ترفق أيها المولى عليهم ... فإن الرفق بالجانى عقاب

وتتركز حكمة الشاعر فى قوله إن الرفق بالجانى عقاب، فالجانى بشر، ومهما يكن أمره فإن له مشاعر وأحاسيس كسائر البشر، وحين يزل أو يرتكب جرما فإنه يتوقع العقاب، ويهيىء نفسه له، ولكنه حين يفاجأ بأنه يجد بدل العقاب رحمة ورفقا فإن هذا قد يكون أبلغ تأثيرا فى نفسه، وأشد تقويما لاعوجاجه من العقاب، ومن هذا المحيط كان خلق الحلم والعفو عند النبى ﷺ.

وقد يتصور بعض الناس أن القسوة والصرامة وحب الانتقام كلها من مظاهر القوة، وهذا وهم، فالحقيقة أنها من مظاهر الضعف النفسى، وأن الحلم والاستعداد للصفح والغفران هو أثر القوة والصلابة النفسية، فإن النفس التى تهيج وتنفعل كلما أصابها ما يؤذيها أو ما تضيق به هى كالشىء الرخو الضعيف الذى يسهل تحريكه وزعزعته، أما الحليم المستعد للصفح فهو القوى الثابت الذى يزن ما يوجه إليه بعقله وخلقه وليس بمشاعره وانفعالاته، فلا يرد ولا ينتقم إلا حينما يكون ذلك واجبا، ولكنه فى كل الأحوال يرى نفسه أقوى وأثبت من أن تهزه سفاهة السفهاء أو بذاءة الأرذلين، وقد أشار النبى ﷺ إلى هذه المعانى حينما قال: (ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب) بمعنى ليست القوة فى المقدرة على البطش وما ينتج عن القوة أو يؤدى إليها فى نظر الناس كمشاعر الغضب والثورة والهياج، وإنما القوة فى ثبات النفس وصلابتها إزاء ما يدعو إلى إثارتها أى التحكم فى النفس عند انفعالها وثورانها، فهذه النفس هى التى تستطيع أن تكتسى ثوب الحلم بدل الغضب، وترفع شعار الصفح والعفو بدل الانتقام، فأقوى النفوس أقدرها على الصفح والغفران، ولم يكن من المصادفة أن يجعل القرآن

الكريم الناس مراتب فى موقفهم مما يوجه إليهم من إساءة أو عدوان، فجعل المرتبة الدنيا هى مرتبة الانتقام، وشعارها (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وجعل مرتبة النفوس الكريمة القوية فى مرتبة أعلى هى مرتبة العفو، وكلما علت المرتبة قل عدد أصحابها، كما يقول الشاعر (.. إن الكرام قليل) والآية الكريمة تصرح بالمنزلتين، المنزلة الدنيا لعامة الناس، وهى تقابل نزعة الانتقام والقصاص، والمنزلة الأعلى وهى منزلة التجاوز والصفح، فى قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾(١).

ولكن هناك منزلة عليا فوق المنزلتين، وهى منزلة الإحسان إلى المسىء فضلا عن العفو عنه، وهى منزلة الصفوة من الناس، ولا يستطيع أن يروض نفسه عليها إلا من آتاه الله قوة نفسية ومقدرة على كبح جماح النفس والتحكم فيها، وإذا كان العافون من الناس قلة بالقياس إلى الراغبين فى الانتقام، فإن المحسنين إلى المسىء أقل من هذه القلة، ويشير القرآن إلى ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(٢).

فالسيئة هى ما صدر من المسىء، والحسنة هى العفو عنه، بمعنى أنك حين تقابل السيئة بالسيئة فرغم أنك استخدمت حقك فى القصاص إلا أنك كأنك اشتركت معه فى السوء، خصوصا وأن القرآن سمى القصاص سيئة من باب التنفير من القصاص والترغيب فى العفو، كقوله تعالى :

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴾(٣).

فإذا أردت أن ترفع درجتك فوق درجة المسىء فالجأ إلى العفو فهو الحسنة التى لا تستوى مع السيئة، فإذا أردت أن ترفع نفسك فوق درجة الاثنين لتكون فى الدرجة العليا، درجة الصفوة من الناس فالجأ إلى الإحسان إلى المسىء زيادة عن العفو عنه، كما يقول تعالى :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

وليس من المصادفة أن يكون خطاب القرآن فى مرتبة الإحسان فرديا فى لفظ الآية الكريمة :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

فكأن الذين يستطيعون أن يبلغوا هذه المرتبة ليسوا إلا أفرادا، والواقع أن هذه المرتبة هى مرتبة الزعامة والقيادة، ولو فى محيط الأسرة والجماعة المحدودة.

وحين نلقى نظرة على خلق النبى الكريم فى هذا المقام نجد أنه قد بلغ بالإحسان القمة التى تناسب قيادته وخلقه العظيم، فمما عرف عن النبى الكريم بإجماع كل معاصريه : مؤيديه ومعارضيه أنه ما انتقم لنفسه قط، وهذا مبدأ عام فى خلقه العظيم، فما أكثر ما عرض له فى حياته

(١) النحل (١٢٦).
(٢) فصلت (٣٤).
(٣) الشورى (٤٠).

سواء بمكة أو المدينة من حوادث الإساءة إليه، أو العدوان عليه، وما أكثر ما أتيح له أن ينتقم لنفسه وأن يحتكم فى الانتقام كما يشاء، ولكنه لم يتخل مرة واحدة عن خلقه الكريم فى العفو، ولم ينزل مرة واحدة عن قمته الرفيعة، وهذه عائشة تحدثنا عن هذا الخلق فتقول (ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) فهو حينئذ ينتقم لله وليس لنفسه.

وهذه المرتبة من خلقه الكريم لا تحتاج إلى كثير استشهاد أو تمثيل، لأن حوادثها أكثر وأشهر وأوضح من التمثيل.

وإنما نتحدث قليلا عن صفة الإحسان فى خلقه العظيم، وهو الإحسان إلى المسيئين أى الجناة، فنقول إنه صلوات الله عليه لم يترك فرصة يمكن أن يحسن فيها إلى المسىء إلا وأحسن إليه كأكرم وأرحب ما يكون الإحسان، بل كان أحيانا يوجد الفرص إيجادا ليقدم هذا الإحسان، ومن الواضح أن الكثيرين جدا من أصحابه كانوا من أعدائه الذين قدموا كل ما يمكن أن يقدموا إليه وإلى دعوته وإلى أصحابه من إساءة وعدوان، وفى مقدمتهم عمر بن الخطاب الذى كان من ألد أعدائه وأعنف خصومه، ومع ذلك فلم يؤثر أنه ذكر إساءة أحد منهم، أو عرض بماضيه العدائى، سواء فى محضره أو غيبته، بل كان يغمرهم بما يغمرهم به من بر وعطف وإحسان، وكان يحرص دائما على أن يمحو من نفوسهم ما يثور فيها من ندم على ما أسلفوا من إساءة إليه وإلى دينه وأصحابه، قائلا لهم إن الإسلام يجب ما قبله أى يمحوه، بل كان يحرص على أن يرعى المسلمون شعور هؤلاء، وألا يؤذوا نفوسهم حتى بذكر مساوىء أهلهم وذويهم الذين ماتوا على الشرك، فمثلا آمن عكرمة بن أبى جهل حتى كان من خير الناس إسلاما، ولكن أباه أبا جهل كان شر الكافرين كفرا وعداء للمسلمين، وقد ظلت بعض آثار عداوته ماثلة فى نفوس بعض المسلمين وجسومهم، وكان من الصعب عليهم أن ينسوا ذلك أو يتناسوه، ولكن النبى مع ذلك كله، وحفظا لشعور عكرمة وأمثاله كان يلزم أصحابه ويطلب منهم أن يكفوا عن أى حديث عن الماضى يؤذى نفسية مسلم، بمثل قوله: (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء)[1].

وقد ضرب النبى الكريم فى الإحسان إلى المسيئين إليه أمثلة لا زال ترديدها يملأ النفوس إكبارا وإجلالا لهذا الخلق العظيم، فهذا أنس بن مالك يقول (كنت أمشى مع النبى ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبى قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه فضحك (النبى) ثم أمر له بعطاء).

وكان صفوان بن أمية من أعتى عتاة قريش وأشدهم عداوة للنبى ودينه، ومن أحرصهم على أن يقدم للنبى وأصحابه كل ما يمكن من بغى وإيذاء، وظل صفوان على شركه، وعلى عدائه

(١) مجمع الزوائد ٩٦/٨.

للنبي وللإسلام حتى فتح النبي مكة، فعفا عن صفوان فيمن عفا عنهم، ولكن صفوان مع ذلك ظل على شركه، ثم استعد النبي وأصحابه لمقاتلة هوازن وثقيف، وكانت قريش قد وكلت إلى صفوان أسلحتها التي تحتاج إليها عند الحرب، فاحتاج النبي أن يستعير من صفوان ما عنده من دروع وسلاح، ولعل صفوان كان يقدر أن محمدا إنما يستولى على هذا السلاح استيلاء الفاتحين، وماله لا يتوقع، وقد أصبحت مكة بمن فيها وما فيها ملكا للنبي، ولكن صفوان يفاجأ بأن النبي يرد إليه كل سلاحه بعد أن تنتهي الحرب، ولا يكتفي بذلك، وإنما يرسل إلى صفوان فوق ذلك مائة ناقة من أجود النياق هدية منه إلى صفوان رغم أنه ما زال على شركه، وينظر صفوان فإذا المفاجأة تملك عليه نفسه وقلبه، وإذا هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فيقول له بعض أصدقائه: عجبا لك يا صفوان أتعادى محمدا ما عاديته، ثم تؤمن به من أجل النياق؟ فيقول له صفوان: يا هذا، إنك لتعلم أن إبلي تملأ بطاح مكة، ولكنى آمنت لأن محمدا يعرف كيف يداوى النفوس المريضة.

وما أكثر ما كان النبي يحسن إلى المسيئين حتى في الذنوب ولو كانت من الكبائر، وكان شديد الرفق بالذين لم يكن الذنب نابعا من نزعة شر في قلوبهم، وإنما كان نابعا من ضعف الإرادة أو جموح الغرائز، كما يروى البخارى وغيره أن شابا جاء إلى النبي ﷺ ذات يوم في رمضان بادى الجزع يقول هلكت يارسول الله، هلكت يارسول الله، فحين سأله النبي قال: واقعت زوجي وأنا صائم، فحين وجد الشاب ان النبي لم يغضب كما كان يتوقع أخذ يهدأ، ثم قال له النبي هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، وفي رواية قال: وهل أهلكني إلا الصيام يارسول الله؟ قال: فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا؟ قال لا، فدعا النبي فجيء له من بيته بقدر من التمر، فقال للشاب خذ هذا فتصدق به، قال الشاب: أعلى أفقر مني يارسول الله؟ فوالله ما بين لابيتها أهل بيت أفقر من أهل بيتي، يعنى لا يوجد في المدينة أحد أفقر مني، فتبسم النبي ﷺ وقال: فأطعمه أهلك. فقد جاء الشاب إلى النبي فزعا جزعا، ولكن رفق النبي به جعله يعود من عنده راضيا مطمئنا، وتتعدد الروايات عن أشخاص جاءوا إلى النبي وهم ممتلئون جزعا وهلعا من عظم ما ارتكبوا من ذنب فإذا رفق النبي بهم يهدئ من روعهم، ويمحو من نفوسهم ما خيم عليها من جزع، بل يزيد فوق هذا ان يحسن إليهم، ومن تلك الأمثلة الكثيرة ما ورد في صحيح مسلم من أن رجلا واقع زوجته وهو صائم في رمضان ثم جاء إلى النبي في المسجد يقول يارسول الله احترقت احترقت فسأله النبي عن شأنه فأخبره فقال النبي تصدق، قال الرجل والله يا نبي الله ما لى شيء وما أقدر عليه، قال النبي اجلس فجلس، فأقبل رجل يسوق حمارا عليه طعام فقال النبي أين المحترق آنفا؟ فقام الرجل فقال النبي: تصدق بهذا فقال: يارسول الله أَغَيْرَنا؟ فوالله إنا لجياع ما لنا شيء قال (النبي) فكلوه، فمثل هذا الرجل وذلك الشاب الذى يشعر كل منهما لعظم ذنبه أنه هلك أو أنه احترق كان ولا شك يتوقع من النبي غضبا شديدا ونقمة على ما ارتكب من

جرم كبير فى حق الله ودينه، ولكن النبى دون ريب يراعى أن من يحمل من الإيمان والخوف من الله ما يجعله يشعر بالهلاك أو الاحتراق من جراء ما اقترف فلن يكون شرير الطبع ولا مستهينا بحدود الله، وإنما هى ساعة ضعف زلت فيها قدمه، فهو أولى بالرحمة والرفق منه بالقسوة والعقاب، وسيكون الرفق حينئذ أوقع فى نفسه وأشد تقريبا له إلى الطريق القويم، بينما القسوة عليه قد تدفعه إلى التمرد على الطريق القويم حين يجده مسدودا أمامه، وهذا مضمون حكمة الشاعر (فإن الرفق بالجانى عقاب) بمعنى أن الرفق بالجانى ينتظر له أن يؤدى فى إصلاح الجانى وتقويمه ما يؤديه العقاب، بل كثيرا ما يكون الرفق خيرا من العقاب، ومن هذا القبيل كانت حكمة الله فى أن كل آيات القصاص والجزاء تدعو إلى وضع العفو مكان العقاب.

وقد كان بعض العامة من الناس يعجبون لما يصدر عن النبى من الإحسان، وكان هذا العجب يصل ببعضهم إلى الحيرة والتساؤل، لأنهم يقيسون الأمور بمستواهم هم، فلا يرون فى المسىء إلا شخصا يستحق العقاب فيما يعرفون، أو العفو فيما يتخيلون، أما أن يقابل بهذا الفيض من البر والإحسان فذلك مالا تفهمه عقولهم أو تسيغه نفوسهم، ولكن القيادة التى تعرف كيف تجعل من الأعداء أنصارا كانت أعرف بإرضاء النفوس وكسبها، وحيث سبقت الإشارة فى هذا الحديث إلى أن خلق الإحسان لا تحمله إلا النفوس المهيأة للقيادة والزعامة، فإن القرآن بدقته البالغة فى أسلوبه وتعبيره يشير إلى هذا فى قوله تعالى:

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾

بمعنى أن إحسانك إلى المسىء يجعله من ولائه كأنه تابع مخلص لك، فالمحسن فى مكان القيادة، والمحسن إليهم فى مكان الأتباع.

وحتى حينما لم يكن مفر من تنفيذ العقاب، نجد النبى الكريم يكسوا العقاب بالعطف على الجانى والإحسان إليه، أو حمايته من قسوة الناس عليه، فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ أتى برجل قد شرب، فقال اضربوه، قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، ومنا الضارب بنعله، والضارب بثوبة، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، قال النبى: لاتقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان، وقد تكرر هذا المعنى من النبى، فمثلا نراه يصد خالد ابن الوليد عن سب امرأة معترفة بالزنا حين سبها فى أثناء عقابها، فقال النبى: مهلا ياخالد، لقد تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لوسعتهم.

وحين نتأمل مثل هذه المعانى والأمثلة نجد الفارق بين نظرة عامة الناس إلى المجرم، وبين نظرة النبى إليه، فالناس يرونه مجرد مجرم يستحق منهم فوق العقاب مقتا وبغضا وسبا، ولكن النبى ينظر إليه على أنه إنسان منحرف، يعاقب على انحرافه، ليرتدع وليكون عبرة لغيره، ولكنه بعد هذا العقاب إنسان ينبغى أن نشفق عليه، وأن نداوى نفسه المريضة، وأن نعيده إلى صف الجماعة، لا أن ننبذه عنها، وهذا خلق القمة وخلق القيادة التى تحول كل من حولها حتى المسيئين، فيصبح كل منهم:

﴿ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾

الدين والحضارة

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

لاشك أن الحضارة تواجه مستقبلاً أشد غرابة إذ أنه يحمل من إمكانات الدمار التى لايمكن قياسها اليوم بأى عصر مضى، فشغلنا مستقبل الحضارة عن البحث فى ماضى الحضارات حرصا منا على المحافظة على مستقبلها وخوفا من فقدها. ومعنى فقدها: دمار الجنس البشرى بكامله.. فأصبح من أهم مطالب الجنس البشرى: حاجته إلى الأمان أكثر من حاجته إلى الحرية، إذ لا حرية من غير أمان، وإلا أصبحت حريتنا هى التطلع إلى التخلص من المسئولية الجماعية نحو طلب الأمن والأمان، ولا سبيل لنا إلى ذلك إلا اذا راجعنا سجل حضارات الماضى، فمراجعات الماضى الثقافى من الحقائق الثابتة التى يمكن اعتبارها مرتكزات أساسية لوجود الحاضر وكيفية المحافظة عليها فدائما مانطلق عليه ماض قد مضى هو فى عرف مفهوم الثقافة ليس كذلك إنما هو ماض دائم الوجود لأن الفكر الثقافى فى النهاية جهد إنسانى أخذ من التاريخ وأعطى، ومحاولات أخذه وعطائه تتردد بين الخطأ والصواب.. فالتاريخ الثقافى تجربة إنسانية لزمن مضى لها فعاليتها فى الحاضر.. وعلى ذلك تكون الثقافة ذات الماضى المتجدد هى التى تثير فى الإنسان الولع بالتفكير وتجعله قادرا على ضبط نفسه والتحكم فيها بدلا من أن يفقد سيطرته على نفسه وعلى معاييرها الثابتة فيفقد توازنه مع حضارته وثقافته.

وأحب أن أذكر على سبيل المثال طرفا من الجدل الدائر بيننا حول قضية «الإصلاح» أو «التحديث» وليس «أو» هنا جاءت لمجرد العطف للترادف، أى أن الإصلاح، يعنى: التحديث أو أن التحديث يعنى: الإصلاح، ليس الأمر هكذا إنما المصطلحان يشيران من حيث نعلم أو لانعلم إلى اتجاهين يتنازعان كسب الثقة الاجتماعية لاتجاهها وهما فيما بينهما يتنابذان بالألقاب بعضهما البعض دون أن يتفهما وجهتى نظرهما أو يتفهما مبادىء فكرهما نحو «الإصلاح» أو «التحديث» .. ونقطة الخلاف بينهما، ربما تكون، غير عميقة، أو ربما تكون غير جوهرية،

أو ربما، تكون عميقة، وجوهرية، قد يكون كل ذلك. على أى حال هذه احتمالات منطقية يجيزها المنطق كشأن أى قضية لها احتمالات فروضها العلمية من حيث هى قضية. أما ما نحتاج إليه ليس احتمالات القضية لذاتها يعنى أطرح قضية ما، أطرح معها فروضها المحتملة من حيث هى قضية لكن الأمر الذى بيننا ليس من قبيل الفروض الذهنية والتخيلات الذاتية حتى نحتكم إلى آرائنا الفردية أو إلى وجهات نظر تعصبية تحكمها نزوات عصبية، مهما كانت خلفيتها الثقافية، مادامت معتزة برأيها وتأنف النظر فى رأى غيرها.. إنما الأمر الذى بيننا ليس من هذا القبيل انما هو قضية مطروحة وحولها آراء وخلافات ووجهات نظر واتجاهات وهى قضية « تحديث العقل العربى » كما يذهب بعضهم إلى تسميتها والبعض الآخر يطلق عليها « إصلاح العقل العربى » وبينهما جدل دائر فعلينا مراجعة تلك الآراء لتبنى وجهة نظر مشتركة مادامت الأطراف تنطلق من واقع عربى غير سليم يثير عدم الرضى فى النفوس.

فالذين يذهبون مذهب « التحديث » يرون أن على الفكر العربى أن ينساق تجاه الفكر الغربى محاكاة وتقليدا. أى علينا أن نجتث ماضينا من الجذور وغاب عن الذين ينادون بهذا الاتجاه أن المحاكاة ليست فكراً وأن التقليد جمود إذا كان الأمر كذلك فمن العبث أن نتمسك بتلك الدعوى ومن العبث أن يظل الفكر العربى سائرا خلف الفكر الغربى ومن كان سائرا فى الخلف دائما يضل الطريق عند مفترق الطرق وما أكثر المفترقات والذين يحاولون الدعوة إلى السير فى هذا الطريق الغربى وقد حاولوه منذ زمن بعيد لم يزيدوا الفكر عندنا إلا تشتتا وضياعا حتى سلب منا إرادة التفكير وبقينا مع فكر ليس لنا منه إلا حمله فإذا ماتركه الغرب تركناه وإذا ما استبدله بغيره وقفنا حيارى من عدم صلاحيته وتعارضه مع مقومات الشخصية العربية وعدم قدرته على التفاعل مع العقل العربى، لذلك كله رفضه الناس والمجتمع ويعنى هذا الاتجاه أيضا استخدام بعض المفاهيم الفكرية المستمدة من التطور الفكرى للغرب وذلك سبيل من سبل التزييف العلمى والتضليل الثقافى الذى يعوق مسيرة الفكر العربى ويتخيلون من حيث يعلمون أو لا يعلمون أنهم يختصرون الطريق أمام التفكير العربى.

لذلك علينا اكتشاف ذاتيتنا الإسلامية وما فيها من عناصر قوة ومن عناصر ضعف ومعرفة الخلل الذى نعيشه حتى نستطيع أن نستلهم القوة التى تعيننا على سلوك البناء الفكرى بما يتوافق وواقعنا الاجتماعى..

أما الذين يذهبون إلى القول بإصلاح « العقل العربى » أن نقوم بترميم ما يجب ترميمه وبما يتفق مع الماضى فى نظر من يرون أن معنى انسياق الفكر العربى وراء الفكر الغربى، عليه أن يقف من الدين موقفا يتسم بالعداء والخصومة وذلك حين بدأ عصر النهضة الحديث على أطلال الكنيسة ومعاداة رجالها تم تطور العداء حتى أصبح ضد الدين نفسه كما يقولون: تلك التجربة ثقافية ثبتت فعاليتها فى دفع عجلة التقدم الحضارى.

لكننا نلاحظ: أن تلك المقولة الداعية إلى معاداة الدين وخصومته وخصومة رجاله تقوم على افتراض غير واقعى فى المجتمع الإسلامى وهو

أنه ليس هناك طبقة دينية لها من التحكم فى الإنسان ومصيره مثلما كان للطبقة الدينية فى أوروبا بل وليس فى الدين الاسلامى مايسمح بذلك أى أن النظام الإسلامى لايشرعها وليس فى تاريخ الاجتهاد من تأول النصوص ليقيمها. لذلك لايجوز أن تقاس بلادنا بمفاهيم أوروبية فليست بنية المجتمع العربى الإسلامى كبنية المجتمعات الأوربية وليست بنية الدين الإسلامى كبنية المسيحية وليست أحوال تاريخنا مع الإسلام كأحوال تاريخ الغرب مع الكنيسة. ومن جانب آخر: لايخفى على أى مراقب للحضارة الغربية أن الخلل الذى وقع فى بداية النهضة الحضارية بين الدين والحضارة ظهرت عوارضه المرضية على الإنسان المعاصر معنى ذلك أن ثمة مشكلات من نوع خاص بدأ يعانيها الإنسان الغربى من بداية النصف الثانى للقرن العشرين.. فلو أخذنا بمبدأ نقل نسخة من الحضارة الغربية إلى الشعوب الأخرى التى تتطلع إلى ذلك التقدم تحت مبدأ يقول: بأن الحضارة إنسانية أى ملك الإنسان وليست تخص شعبا من الشعوب وأن نسبتها إلى الغرب عرض طارىء نقول بأن هذا صحيح. ولا نجادله إنما نناقش قضية «نقل نسخة الحضارة» ثم تفصيل قوام الشعوب على هذا «الموديل» فذلك ما نناقشه ونحرص على بيان مواقع الزلل فيه وذلك شيء يختلف كلية عن قضية إنسانية الحضارة، ولا يمنع القول بإنسانية الحضارة مناقشة قصة «النسج الحضارى» لأن القول بإنسانية الحضارة يقرر القول بالفروق الثقافية بين الشعوب والمحافظة على هويتها وذاتيتها، أما القول بالنسخ الحضارى فضلا عن أنه يلغى القول بالمبدأ المقرر وهو الفروق الثقافية بين الشعوب فإن الأخذ به يعنى أن على الإنسان العربى أن يقع من حيث يعلم أو لايعلم فى نفس الأمراض التى اغتالت الإنسان الأوروبى وهى أمراض القلق والتوتر وكان معنى نسخنا للحضارة أى نقلها بخللها الذى وقعت فيه وذلك من جراء معاداتها للدين. لذلك ننادى «بمبدأ الاستفادة» الذى يعيننا كثيرا على فرز المفيد من غيره وعزله عن الأمراض الحضارية الخبيثة ويحافظ على بيئتها الثقافية والدينية ويكسبنا وسائل العصر الحضارى ويرفعنا من ورطة التقليد والمحاكاة التى تجعل حالنا كشأن القردة تجيد سلوك المحاكاة والتقليد فإن وقف حالنا إلى هذا الحد غدونا ألاعيب دمى تثير الضحك فى نفس المقلد الذى يأجرنا جزاء على تقليدنا إياه بما يحمله من سقط المتاع.

ولا شك أن معاداة الدين فى ظل الحضارة الغربية أوقعت الإنسان العربى فى حرج بين نفسه ودينه وحضارته وكانت السبب المباشر فى محنة الإنسان المعاصر.. لماذا؟ لأن التدين يعنى عند الإنسان أن وجوده يصبح له معنى أمام مايحيط به من أسئلة قد تحطمه إذا لم يجد لها فى نفسه معنى. وكان ذلك سر قلقه وتمرده من هذه الأسئلة. ما معنى الوجود؟ وماهو وجودى؟ وماهى علاقة «الذات» أى «وجودى» بالموضوع «أى» «الوجود»؟

مثل هذه الأسئلة قد لايجاب عنها إجابة مطمئنة تطمئن إليها الذات عند فقدان الدين.. وهى وجدانية يعيشها الإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن زمانه ومكانه أو انتمائه فهى انسانية منذ بدأ الوعى الإنسانى يفكر فى

نفسه وفى وجوده ومن علو شأن خطرها بنى عليها الفيلسوف العقلى فلسفته العقلية، وبنى عليها المتدين حياته الدينية من هنا كان الدين إنسانيا فى أعماق طبيعته ويمكن القول بأن الدين من حيث مفهومه التاريخى حالة من اهتمام الإنسان بوجوده الخاص وبالوجود العام فلعل هذا يفسر القول بأن الدين فطرة إنسانية فما من إنسان إلا وهو مهتم بالدين والدينونة له حتى الذين يشعرون بأنهم جد بعيدين عن الدين فإنهم أكثر الناس اهتماما بالقضية الوجودية: وجودهم العام ووجودهم الخاص ونلاحظ أن ثورة الإنسان الأوروبى على الكنيسة فى أوائل عصر النهضة بدأت حين شعر الإنسان بأن هذا الدين القائم بطقوسه أخفق فى التعبير عن اهتمامه العميق فى صورة غير كافية وغير مناسبة. وهذه التجربة النفسية التى مر بها الإنسان مع سيطرة الكنيسة هى التى جعلت المختصين أن يميزوا بين: معنى الدين الذى يعايشه الإنسان فى عمقه الوجدانى بعيدا عن التعبيرات الخاصة أو الطقوس الكنسية التى سادت وقتئذ والتى حرصت عليها الكنيسة، وبين كون رموزه كهنوتية ومؤسسات كنسية.

من هنا راح يرى مع زهوه بالتقدم الحضارى المذهل وعدم تمييزه بين مفهوم الدين من حيث هو دين وبين المفهوم الكنيسى أن الدين لاجدوى منه والعودة إليه بائسة. ومع هذا الزهو بالتقدم الحضارى بدأ الإنسان ينفلت من نفسه فى وقت أصبحت الطبيعة تخضع له علميا وتقنيا وخايله ظنه أن طموح التعالى الروحى، الذى يهبه الدين، أنه خرافة وسوف يخبو كلما تقدم فى عالم الفضاء على متن الأقمار الصناعية ومازال يصارع فى الطريق إليها ليتربع على متنها. ولقد تخيل من حيث سولت له نفسه أن أمانيه فى التعالى الروحى الآن تحققت مع عالم الأقمار الصناعية أنها تعكس الرؤى والمشاهدة على مستوى العالم وتحمله إلى أعلى حيث العلو الحقيقى كل ذلك جعل الإنسان يثق بنفسه وأنه على حق فى إحساسه وأنه قادر على معرفة هذا العالم وباستطاعته السير إلى الأمام وفى جميع الاتجاهات دون حد معين. وعلى كل فإن كل مايخايله من طموح يشده إلى السير فى أبحاث الفضاء غير المحدود السفر إليه ليتغلب على طموح التعالى الدينى . لا شك أن الإنسان يجد النشوة التى لاحدود لها وهو يسير عبر الزمان والفضاء وهو يصنع أدواته التى تعينه على تخطى عقبات الصعود إلى الفضاء. وهو يقنع نفسه بأنه يتحرك إلى الأمام. من هنا بدأ الإنسان يبحث عن ذاته وعن مكانه فى هذا البعد الكونى أنه فى خضم حركى بين مايجب عمله أو رؤيته أو قوله أو صنعه أنه يحول كل ما يواجهه إلى أداة الى آلة حتى أصبح هو ذاته أداة.. أنه يود أن يكون تلك الآلة الصاعدة أدراج الفضاء. لقد غاب عنه عمق ذاته ولايمكن الوصول إليه دون أن يمنح نفسه لحظات يثبت فيها ذاته التى فقدها منذ أن فقد الدين ذلك صوت الحق الأبدى وبجانب زهو الإنسان بتقدمه الحضارى، قويت حركة النقد العلمى التى وجهت إلى الدين إبان النهضة الحديثة ذلك الطاغوت المادى، وفى الحقيقة أن حركة النقد العلمى التى وجهت إلى نقد الدين كان سببها فى غالب الأمر نزوات عصبية اندفعت إلى الثورة

العلمية ـ كرد فعل ـ لحركة مقاومة العلم التى قامت بها الكنيسة. ومن سوء فهم كامل لمعنى الدين وعدم الفهم السليم للنقد العلمى حين أعطى رجل العلم نفسه الحق فى مهاجمة الدين هذا اذا استثنينا موقف رجال الدين أنفسهم حين دافعوا عن مظاهرهم الكنسية التى اكتسبوها من فساد الوضع الاجتماعى فى العصور الوسطى فهى ليست من الدين فى شىء واعتبرها رجاله أنها هى الدين نفسه. وبذلك عمل رجال الدين أنفسهم على تلطيخ سمعتهم حين جندوا الدين للدفاع عن مكتسباتهم الشخصية فأفقدوا الحياة الدينية قوتها ومعناها وأصبح الدين فريسة سهلة للهجوم العلمى الذى أدى بدوره إلى شيوع الحياة اللادينية.

وحينما يحرم الإنسان من الدين يحرم من ذاته ويصبح عندئذ جزءا من المستوى الأدنى أى مستوى عالم الأشياء أى شيئًا من مجموعة الأشياء أى سلعة مستهلكة فى عملية الإنتاج .. وهكذا أصبح الإنسان بإرادته أداة من الأدوات التى يتحكم فيها منهجه المادى دون أن يكون له حرية التصرف أو له حسن تقدير المسئولية الذاتية فى ذلك تمكن منهجه المادى وولعه به أن يحول ذاته إلى مادة قابلة تصنعها الآلة من عملية الإنتاج والاستهلاك. ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يجتث من ذاته: إنسانيته، أخذ يقاوم جبروت هذه الآلة لقد أصبح واعيا بهذا الفراغ الداخلى واشتد وعيه بفراغه الداخلى وأصبح يعانيه حين داخله الإحساس بالشيئية أى أنه شىء من أشياء الحضارة ومستهلكاتها. هذه المشاعر أثارت فى نفسه معنى السؤال الدينى بأكثر معقولية وأبعد عمقا ليسمو بذاته.

من هنا بدأ يبحث الإنسان عن ذاته وعن عمقه الدينى الذى فقده وبفقده فقد معنى الحياة لا ليجد إجابة لمعنى وجوده وإنما ليجد جوابا أمينا وليس معنى الرجوع إلى الدين رجوعا إلى تقاليد قديمة وعودة إلى أساليب بناء قديم لا يتناسب وهذا العصر وتوصم عودته إلى الدين بأنها هروب من حداثة العصر ليس الأمر كذلك. لذلك قلنا فى بداية البحث: إن التاريخ الثقافى تاريخ تجربة إنسانية ذات ماض متجدد دائم الحضور، والدين وهو توجيه إلهى ثبتت فعاليته فى حياة الإنسان الوجدانية فهو ذلك الماضى المتجدد. فإن ما نحتاج إليه هو ذلك الإدراك الصحيح لوعينا.

لقد عزلت شيئية الحضارة الإنسان عن نفسه وعن القيمة الحقيقة لمعنى الوجود وكون الإنسان بدأ يعانى عزلته عن المصدر النهائى لمعنى الوجود فإن إدراكه لذلك ليدلل على أنه ليس مفرداً معزولاً عن خالقه بل متحد مع معنى الوجود الإلهى لذلك هو يقاسى البعد عنه.

من هنا إذا تمكنا من إحياء المفاهيم الإسلامية كانت قوة خلاقة فى ثقافتنا وإذا ماقدرنا على ذلك استطعنا أن نفتح بابا جديدا للحوار الحضارى بين ماضينا ومعاصرتنا وفهما جديداً لأساليب الماضى لنجعله أكثر ملاءمة لوضعنا الحالى بدلا من أن نقدم أجوبة خادعة أو غير مكتملة النضج.. من هنا نكون أكدنا على أهم العوامل الخلاقة فى الثقافة وأبرزنا عاملاً شافيا للكثيرين ممن يعيشون فى عزلة وقلق ويأس.

الأمة مصدر السلطات

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

يحرص الإسلام على إقامة دولته القوية التي يسودها العدل والأمن والأمان والاستقرار والاطمئنان، والمساواة في الحقوق والواجبات بين أفرادها لا فرق بين الحاكم والمحكومين، ولا يتحقق ذلك إلا إذا توفر لكل فرد فيها حق الحرية السياسية، وحق التعبير عن رأيه في كل أنظمة الحياة السياسية للدولة، وذلك في نطاق الآداب والأخلاق التي تحترم رأي ومشاعر الآخرين دون طعن أو تجريح إذا كانت مخالفة لرأيه، وفي الوقت نفسه احترام رأي الأغلبية والامتثال له ولو كان مخالفاً لرأيه.

ومعنى ذلك أن الأمة هي مصدر السلطات، فهي التي تختار الحاكم الذي تريده حاكماً عليها، وتختار الشكل العام لنظام الحكم التي تعيش في كنفه، ولكل فرد من أفرادها الحق في هذا الاختيار المطلق.

ومتى كانت الأمة هي مصدر السلطات فإن حاكمها يكون تحت سلطانها، فتكون لها حريتها السياسية بأكمل معانيها، وهذا هو حقها الذي أعطاه الإسلام لها، لم تأخذه منحة من حاكم من حكامها، لأنه لو كان منحة من حاكم لم يكن حقاً صحيحاً لها، لأن من له حق المنحة له حق استردادها، فتكون حريتها مهددة بحق الحاكم في استردادها منها متى أراد.

ولهذا حرص الإسلام على أن يجعل حق الأمة في حريتها السياسية حقاً طبيعياً لها، تستمده من كونها مصدر السلطات في الحكم.

ويرى أستاذنا المرحوم فضيلة الشيخ / عبدالمتعال الصعيدي في كتابه «حرية الفكر في الإسلام» أنه على هذا الأساس قام الحكم في عهد النبي ﷺ، وقام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين.

وأن النبي ﷺ أثناء فترة تأسيس الدولة الإسلامية في مراحل نشأتها الأولى بعد الهجرة إلى المدينة كان يتلقى الوحي الذي يحدد معالم نظام الدولة، ويضع الأسس العامة لقيامها، ويرسم العلاقة بين الأمة والحاكم، فكانت فترة عهده ﷺ

فيها التزام بما ينزل به الوحى من أوامر وتكليفات.

ومع هذا كان ﷺ يشرك الأمة فى بعض أمور الحكم التى لايكون فيها وحى، والأمثلة كثير فى ذلك.

فقد استشار الصحابة فى غزوة بدر، إذ جمع كبراء جيشه وقال لهم: «أيها الناس، إن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين أنها لكم: العير أو النفير» وكانت العير قادمة مع أبى سفيان بتجارتها فى الشام، وكانت النفير قد خرجت من مكة لتمنع المسلمين من هذه العير، فاستشار النبى ﷺ كبراء جيشه فيمن يقصده بالقتال من الطائفتين ـ وكان قد تبين له أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة من الطائفتين وهى العير ليستعينوا بما فيها من الأموال.

فقام المقداد بن الأسود ـ رضى الله عنه ـ فقال له: يارسول الله، أمض لما أمرك الله، فوالله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾(١)

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، والله لو سرت بنا إلى برك الغمام «موضع جنوب المدينة الغربى» لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فدعا له النبى ﷺ بخير.

ثم قام سعد بن معاذ، سيد الأوس من الأنصار فقال للرسول: فقد آمنا بك وصدقناك، وأعطيناك عهودنا فامض لما أمرك اللّه، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر «البحر الأحمر» فخضته لنخوضه معك، وما نكره أن تلقى العدو بنا غداً، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل اللّه يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله.

الشيخ/ عبدالمتعال الصعيدى
نادى بحق الأمة فى الحرية السياسية

فأشرق وجهه ﷺ وسر بذلك سروراً عظيماً لأنه حصل على موافقة كبراء المهاجرين والأنصار ماكان يريده من اختيار ذات الشوكة من الطائفتين لينال به نصراً حاسماً على قريش، أما المال الذى كان مع العير فإنه لايهمه بشىء لأنه لم يكن يقاتل من أجل المال، وإنما كان يقاتل دفاعاً عن الدعوة التى يقوم بها.

ثم نزل ﷺ على رأيهم فى هذه الغزوة أيضاً حين سار بجيشه حتى نزل أدنى ماء من بدر، فقال له الحباب بن المنذر ـ وكان مشهوراً بجودة الرأى ـ: يارسول اللّه أهذا منزل أنزلكه اللّه ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة.

فقال له: «بل هو الرأى والحرب والمكيدة».

فقال الحباب: يارسول اللّه، ليس لك هذا بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم، فإنى أعرف غزارة مائه وكثرته، فتنزله وتغور ماعداه من الآبار، ثم تبنى عليه حوضاً فتملؤه ماء فتشرب ولايشربون.

---

(١) المائدة (٢٤).

فقال له: «أشرت بالرأى». ونهض حتى نزل أدنى ماء من القوم، ثم أمر بالآبار التى خلفهم فغورت، ليقطع أمل المشركين فى الشرب من وراء المسلمين، وكان بعد هذا له ما كان من ذلك النصر العظيم.

وكتب السيرة مليئة بهذه الاستشارات النبوية - فى الأمور التى لم يكن للوحى فيها نص - منها ما كان فى أسرى بدر، ومنها ما كان فى غزوة أُحد، ومنها ما كان فى غزوة الأحزاب، وغير ذلك كثير.

وفى هذه الأمثلة مايكفى لبيان ماكان يتمتع به المسلمون فى عهد النبوة من الحرية السياسية، ولبيان ما كان لهم من المشاركة فى أمورهم التى لا شأن لها بالوحى، ولأن هذا الوحى سينقطع بعد عهد النبوة، فلابد أن يعطوا شيئاً من السلطة فى بعض أمورهم، ويترك للوحى ماعداه من الأمور، حتى إذا انقضى عهد الوحى كانت السلطات كلها فى أيديهم قياساً على ما أعطاهم الوحى من السلطة فى بعض أمورهم.

وقد عرف جمهور المسلمين هذا الحق لأنفسهم بعد وفاة النبى ﷺ، بل بادروا إلى استعماله وبعض أصحابه مشتغل بتكفينه وتجهيزه للدفن، حرصاً منهم على هذا الحق أن يُسلب منهم، لتقوم كسروية أو قيصرية فيهم.

فاجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة لينظروا فيمن يتولى أمر المسلمين منهم، وقد ظنوا أنهم أصحاب الدار، وأن المهاجرين طارئون فيما عليهم، فهم أحق بأمر الحكم فى المسلمين منهم، وقد فاتهم أن الإسلام لايعرف حدود الدار، ولا يعرف حدود القومية، وإنما هى المصلحة العامة للمسلمين جميعاً.

ولما علم أبوبكر - رضى الله عنه - باجتماعهم فى سقيفة بنى ساعدة ذهب إليهم فى نفر يعد على الأصابع من المهاجرين، ودار النقاش بين الفريقين فيمن يولونه على المسلمين فى حرية تامة، وإخلاص تام حتى اتفق الفريقان على تولية أبى بكر، فتمت توليته باختيارهم له، وعلى ذلك الأساس الذى تكون فيه الأمة مصدر السلطات كلها.

وقد اعترف سيدنا أبوبكر - رضى اللّه عنه - بهذا الحق لهم فى أول خطبة له عقب توليه الحكم وأعلن أن حكمه سيكون بتوجيههم له فقال: «أيها الناس، إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى، القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له».

وليس أصرح من هذا الاعتراف فى خطبته بأن الأمة مصدر السلطات، لأنه اعترف بأن توليه الحكم كان منحة منها له، وبأنه لم يستحقه لفضل له على أفرادها، لأنه قد يكون فيهم من هو خير منه.. ولهذا طلب منهم أبوبكر مشاركتهم له فى حالتى إحسانه وإساءته فى الحكم، لأنه يجتهد فيه برأيه فيصيب ويخطىء مثل كل مجتهد، ومشاركتهم فى حالة الإحسان فى الحكم بإعانتهم له، ومشاركتهم له فى حالة الإساءة فى الحكم بتقويمهم له، فإذا لم يخضع لتقويمهم فلهم حق عزله، كما لهم حق توليته، لهذا تكون الأمة مصدر السلطات أولاً وأخيراً فى الحكم.

مواقف إسلامية

مسئولية الزوجة عن استقرار البيت

للدكتور/ محمود محمد عمارة

إذا بذلت الزهراء.. وأسماء - رضى الله عنهما - إذا بذلتا من ذاتهما حين نهضت كلتاهما بأعباء البيت على ما فيها من تضحية وعناء.. إسهاما منهما فى تحمل مسئولية المعيشة.. وفاء لرب البيت وانتماء..

إذا حدث ذلك فقد كانت «زينب الثقفية» واحدة من سيدات سائحات مجاهدات.. حين كانت تعمل.. بيديها.. ثم تنفق من مالها راضية على زوجها.. فكان لها فى حسن التبعل يد صناع. وباع طويل.

وذلك ما نفهمه من هذا الموقف الفريد:

روى البخارى بسنده[1] عن زينب قالت:

كنت فى المسجد. فرأيت النبى ﷺ. فقال: تصدقن. ولو من حليكن.

وكانت زينب تنفق على عبدالله. وأيتام فى حجرها.

فقالت لعبدالله:

سل رسول الله ﷺ: أيَجزى عنى أن أنفق عليك. وعلى أيتامى فى حجرى من الصدقة؟ فقال: سلى أنت رسول الله ﷺ.

فانطلقتُ إلى النبى ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب: حاجتها مثل حاجتى فمر علينا بلال. فقلنا: سل النبى ﷺ: أيجزى عنى أن أنفق على زوجى وأيتام فى حجرى. وقلنا: لا تخبر بنا.

فدخل، فسأله. فقال: من هما؟

قال: زينب.. قال: أى الزيانب؟ قال: إمرأة

(١) فتح البارى - ج٣/ كتاب الزكاه/٣٢٨.

عبدالله. قال: نعم. ولها أجران: أجر القرابة. وأجر الصدقة.

تمهيـــد

يقولون:

عندما ينفق الصديقان من كيس واحد.. تكون النتيجة: أن أحدهما يضحك.. بينما الآخر يبكي!

وهكذا تكون عقبى التعامل بين طلاب الدنيا: فالدافع يبكي.. بينما يضحك المنتفع.. أو النفعى!

ولكن المؤمنين.. فى تعاملهم محكومون بقيم الإيمان.. حين يتصرفون خارج الزمن الردئ.. بقانون: الإيثار.. الإيثار.. الذى يصل إلى الحد الذى يشكر فيه المعطى من أخذ منه.. فكأنما كان بالأخذ متفضلا عليه.

فإذا كان المعطى زوجة.. هى «زينب» الثقفية.. وإذا كان الآخذ هو زوجها.. عبدالله ابن مسعود. فإنها تتخذ من العطاء سبيلا إلى إرضاء زوجها.. وكسب مودته. إنها لا تتخذ من العطاء سبيلا إلى لىّ الذراع.. أو فرض نفسها قوة تحت سقف البيت.. بما أنفقت من مالها.. وبما بذلت من عرق جبينها.. وإنما هى تعطى: زوجها.. رجلها.. والد ذريتها.. تعطى الذى طالما أعطاها من نفسه.. وماله.. وطاقته فإذا عجزت يده يوما عن الإمساك بالمجداف.. نابت عنه هى فى قيادة السفن.. بلا من وبلا أذى.

إنها تلك الزوجة الأديبة الأريبة. والتى أرادت أن تجامل زوجها بهدية.. فكان أجمل من الهدية محاولتها التخفيف من مشاعر الإحراج.. حين كتبت على الهدية:

إلى الرجل الذى هو.. كل شئ.. بعدما كان الرجل.. الذى يملك كل شئ!!

ولنبدأ القصة من أولها:

كانت «زينب» - رضى الله عنها - امرأة صناع اليدين.. كانت تعمل.. لا بيدها.. وإنما كما تقول رواية أخرى «تعمل بيديها» أى أنها تعانى لا من أجل حياتها هى.. وإنما تدخل فى حسابها: الأسرة كلها: الزوج.. وأيتام له..

الزوجـــة..الإنســـان

وقد أحست الزوجة الإنسان.. بما يعانيه زوجها من شظف العيش فتحركت فى نفسها الرغبة فى أن تنوب عنه فى الإنفاق على البيت.. شريطة ألا يصطدم ذلك بقاعدة شرعية مقررة. ولا بأس أن تساعد الزوجة رفيقها.. وإذا جفت ينابيع الحقل يوما.. وأوشكت أعواده أن تصفر.. فإن قلب الزوجة الوفية يكون عندئذ ذلك النبع الرائق.. الذى يمد البيت بماء الحياة.. وتلك سنة الحياة..

لقد كان الوالد سيد البيت.. فلما وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا.. كان من الطبيعى أن يتقدم الجيل الجديد ليمسك بالمجداف.. على حد قول الشاعر:

كـــفـــانى الذى كنت أســـعى له
فـــصـــار أبا .. وصـــرت الوليـــد !

وهاهى ذى زينب -رضى الله عنها- تتهيأ لتحمل مسئولية نفقة البيت.. مستعلية على ضغوط نفسية قد تحول بينها وبين اتخاذ قرارها..

ولكنها كانت كما قيل بحق:

وواحد كالألف إن أمرٌ عنا !

احترام مشاعر الزوج

كانت الزوجة هنا تدرك عروبة زوجها.. وإسلامه قبل ذلك. وإذن فليس من السهل أن يخضع لقرارها.. وإن جاوز الحزام الطبيين.. فهو من هذا الصنف الذى عناه الشاعر:

وأعرض عن ذى المال حتى يقال لى
قد أحدث نخوة وتعظما
وما بى كبر عن صديق ولا أخ
ولكنه فعلى إذا كنت معدما

ويعنى ذلك:

أن له رافدين يمدانه بالعزة: عروبته.. وإسلامه ولكن الواقع الأليم يفرض نفسه.. ولابد من مواجهته بلا حساسية..

وقد كانت لها صاحبة على نفس الطريق: «خوله بنت مالك»: لقد ظاهر منها وزوجها.. فاستوعبت المشكلة بآثارها النفسية والاجتماعية.. مشكلة الأولاد الذين سوف يجوعون أو يضيعون..

وكان زوجها الذى ظاهر منها ابن عمها.. فساعدته فى تدبير كفارة الظهار!!

بيوت زمان

كانت البيوت زمان تقل من الكلام.. ثم تبالغ فى العمل..

معصومة من الزلل فى جو يظلله الوفاء.. مدفوعة بالإخلاص.. وبما تقرر فى العقول من [إن الناس يعملون الخير. وإنما يعطون أجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم].

إن البيوت معادن : فنجاره
ذهب .. وكل جدوده ضخم(٢)
متهلل «بنعم» لِلاءٍ مجانب
سيان منه الوفر والعُدم
نزر الكلام .. من الحياء تخاله
ضمنا .. وليس بجسمه سقم
عقم النساء فلا يلدن شبيهه
إن النساء بمثله عقم

ومن مثل هذا البيت العريق خرجت «زينب» الثقفية – رضى الله عنها – ولم يكن أجمل منها فى أريحيتها.. إلا ابن مسعود فى عزته:

إذا أعسرت لم يعلم رفيقى
وأستغنى.. فيستغنى صديقى
حيائى حافظ لى ماء وجهى
ورفقى فى مكالمتى رفيقى
ولو أنى سمحت ببذل وجهى
لكنت إلى الغنى سهل الطريق

بالحوار.. لا بالشجار

كان الموقف مشكلة عائلية تريد حلا: فالزوج هنا عزيز أبى ومن الصعب أن يعدل عن مقتضيات العزة التى هى دينه.. وحياته:

خلقان لا أرضى طريقهما :
بطر الغنى .. ومذلة الفقر

(٢) أصله طيب. والأخوال والأعمام كذلك.

وإذا غَنِيت .. فــلا تكن بطرا

وإذا افتقرت .. فته على الدهر !

أما هى فقد كان إيمانها بالفكرة قويا: لقد أمر الرسول ﷺ النساء بالذات.. أن يتصدقن.. ولو من حليهن.. وقد اقتحمت المرأة العقبة فاستغنت عن مالها.. لا بل عن زينتها. وفاء لزوجها.. وقبل ذلك استجابة لأمر الرسول.. وكان لابد أن يبدأ الحوار الهادف سبيلا إلى الاتفاق على رأى تستقر به أوضاع البيت..

وقد عرضت على زوجها أن يذهب هو إلى رسول الله ﷺ ليسأله عن حكم نفقتها عليه.. وعلى عياله.. ولكن الرجل اعتذر.. مقترحا أن تذهب وتسأل هى رسول الله ﷺ .

وانتهى الحوار الخاطف بتحملها مسئولية سؤال الرسول ﷺ .

لقد كانت نبرة الزوج هنا هادئه.. لكن صوت برهانه كان أعلى.. إن الموقف فى حس العربى الأبى صعب.. فهو الرجل القوام على زوجته.. وتوشك هذه القوامة أن تهتز قواعدها بهذا الوضع المقلوب! ثم إنه لا يريد أن يجمع إلى مرارة «الإشفاق عليه» مرارة عرضه قضية هو موضوعها..

إنه «عبدالله بن مسعود»:

عميد القراء.. وشيخ فقهاء الإسلام.. فكيف تطاوعه نفسه أن يقف هذا الموقف الصعب؟!

الزوجة المطيعة

وتدرك الزوجة كل هذه المعانى.. فلا تمارى.. وفى رواية [أن ابن مسعود زعم أنه وولده أحق] ومع ثقتها المطلقة بزوجها.. إلا أنها أبت أن تتخذ قرارها إلا بإذن من الرسول ﷺ . والذى حرضها على هذا الإنفاق الذى تحقق به أمرين: أجر الصدقة.. وأجر صلة الرحم.

ويلاحظ أنها لم تذهب متثاقلة الخطى.. بما يفهم منه أنها مرغمة لا مطمئنه.. وإنما كما تقول الرواية: [فانطلقت].

لقد انطلقت.. فيما يشبه الاندفاع الذى يعكس رغبتها الملحة فى تحقيق الفكرة.. على أن يظل الزوج كما يحب.. بعيدا عن مواطن الإحراج.. ليظل سيد البيت مع نفقتها عليه!

النظافة.. قبل الثقافة !

كتب الكاتبون عن مواصفات الزوجة سلبا وإيجابا.. فقالوا:

[الزوجة الجاهلة : لا تفهم عنك، والمتعلمة أكثر منك : لا تفهم عنها، والمساوية لك فى الثقافة: أن تزيد عنها برجولتك، وهى تزيد عنك بغرورها، والرجولة تستوجب التحكم.. والغرور يستلزم التمرد، وبين التحكم والتمرد يولد شقاء الأسرة فمن الخير أن تكون أكثر ثقافة من زوجتك.. لتفثأ حدة الغرور بسلطان العلم]

ونقول نحن – ومن خلال هذا الموقف – إن من الخير أن نكون أكثر نظافة.. ولا تكفى كثرة الثقافة..

ونعنى: نظافة القلب.. ونظافة الضمير.. ولقد أوتيت بيوت كثيرة من كثرة الثقافة التى جعلت المنزل قاعة للحوار الفلسفي. والذى جعل منه ساحة للمراء الذى ينتهى بتدميره لا بتعميره.

أما إذا عمرت القلوب بالإخلاص.. وقامت علاقاتها على أساس التعاون.. فقد تمت كلمة ربك

صدقا وعدلا.. وإذا كانوا يقولون: إن المرأة قد تغضب.. وقد تذهب إلى بيت أهلها.. لكنها لا تطيق أن تطبق شفتيها.. فقد كانت زوجة ابن مسعود -رضى الله عنهما- تلك المرأة التى تعمل فى صمت.. والتى كان صوت عملها أبلغ من صوت لسانها.. فكانت مثالا للزوجة: العاملة.. العاقلة:

أما أنها عاملة..

فــتلك آثارنا تدل علينا

فــانظروا بعــدنا إلى الآثار

لقد كانت تلك التى عناها الشاعر «طاغور» بقوله:

[يجب عليك أن تتوقف عن إنشاد أناشيدك. وتلاوة تراتيلك.

من الذى تعبده فى هذ الزاوية المظلمة؟

هذه الزاوية المعزولة.. المنفردة..

فى معبد أبوابه كلها مغلقة؟

عليك أن تفتح عينيك.. وتنظر.

إن إلهك ليس هنا.. إنه هناك.

حيث الفلاح.. يحرث الأرض القاسية.

وحين يشقى عامل فى كسر الحجارة.

إنه معهم: فى الشمس الساطعة.. وفى الأمطار الهاطلة..

فلتنزع معطفك القدسي.

ولتترك تأملاتك.. ولتتخل عن البخور والزهور

أى سوء سوف يصيبك.. لو تمزقت ثيابك أو تلطخت؟ فلتذهب إلى هناك: حيث العمل وحيث عرق الجبين].

ولقد تخلت «زينب» -رضى الله عنها- عن البخور والعطور.. وخلعت المعطف الفضفاض.. ثم جلست فى بيتها.. عاملة.. تفيض أناملها بالرخاء.. حتى إذا تعرضت الأسرة لمشكلة اقتصادية كانت هى خط الدفاع الأخير.. ولم تكن هى المشكلة التى يؤتى البيت من قبلها.. كما قد يحدث اليوم.

الزوجة العاقلة

وإذا كانت شيم الرجال تظهر بالولاية.. فإن العقل يظهر بالمعاملة.. وبهذا المقياس: كانت الثقفية عاقلة النساء.. التى تقى مالها بسلطانها.. ونفسها بمالها.. ودينها بنفسها.

ومن دلائل عقلها:

أنها عرفت كيف تحقق رغبتها دون مساس بكرامة زوجها.

وقد قيل:

إياك أن تزدرى الرجال.. فما

يدريك.. ماذا يكنه الصدف

نفس الجواد العتيق باقية

يوما.. وإن مس جسمه العجف

والحر حر وإن ألم به الضر..

وفيه العفاف والأنف

تكييف القضية

وقد تتقبل النفس الإنفاق على الصاحب.. من حيث كانت سعادته راجعة إلى صاحبته..

لكن الإنفاق على أبنائه من أخرى.. فذلك مما لا يساعد الطبع عليه..

وكثيرات من النساء يسقطن فى هذا الامتحان.. حين تتأبى الزوجة عن بذل ما يعود بالنفع على أبناء ضرتها.. وإن كان ذلك مراغمة لزوجها!

وذلك من سوء تصرفها حين لم تحسن تصور القضية كما تصورتها «زينب» -رضى الله عنها- والتى لم تتصور الأيتام على أنهم أبناء ضرتها.. وإنما تخيلتهم إخوة أولادها.. وأبناء زوجها الذى يحب من أحسن إليهم. إنهم جميعا يحملون نفس الاسم.. اسم الوالد الواحد.. وتجرى فى عروقهم دماء واحدة.

حتى لا يستنوق الجمل

وإذا كانت هناك من الزوجات من تريد بالمال أن تتملك زوجها.. لتستقل هى بإدارة البيت.. فإن «زينب» - رضى الله عنها - لا تفعل ذلك:

إنها تشهده ﷺ.. والذى أقر أن ما يأخذه الزوج هنا هو حقه المعلوم.. الذى لم يجعله تحت رحمة أحد! وأما هى فقد عادت بنصيب الأسد: بأجر الصدقة.. وأجر الصلة.

وتظل «زينب» - رضى الله عنها - مثلا أعلى للزوجة الصالحة.. والتى تعرف كيف تصون كرامة زوجها بين الرجال فى المجتمع.. وتحت سقف البيت أمام الصغار..

لقد خصمت من «راتبها» ما تسد به حاجة زوجها.. فلم تكن الزوجة الجميلة المشاكسة كالزهرة بلا رائحة.. وإنما كانت تلك الزوجة «الكاملة» الكاملة بفضيلتها التى حققت بها أعظم النجاح وهو:

التوفيق بينها بين زوجها.. ثم التوفيق بينها.. وبين أهله وأهلها..

وما يترتب على ذلك من ذرية ينشأون على ما عودهم آباؤهم وأمهاتهم من خلال الخير..

ثم بما رفعت رأس زوجها الذى لم تلجئه إلى سؤال الغير.. وما وفرت من أعصاب كان يمكن أن تحترق فى معارك جانبية.. حين تقدمت بالحل العملى للمشكلة ولو على حساب أعصابها، منطلقة من القاعدة التى تقول:

نغيّر ما هو كائن.. حتى نصل إلى ما ينبغى أن يكون..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٣)

إن ما مضى.. لم يبق منه شئ.. وما بقى.. لا تدرى هل تبلغه! فاشغل نفسك بالحاضر! قبل أن تذهب نفسك حسرات.

بعض الزوجات

وقد كانت «زينب» - رضى الله - حجة أقامها الله -تعالى- على زوجات مشاكسات..

ومنهن تلك الزوجة التى تحاول افتراس زوجها كالذئب.. أو تمكر به كالثعلب.. والتى قالت لزوجها يوما محرضة له على أهله:

أقرباؤك لا يأتوننا إلا وقت الرخاء.. ثم لا يزوروننا وقت الشدة.. فرد عليها مؤكدا مسئولية الزوج عن أمن الأسرة.

انهم قوم كرام: لأنهم لا يزوروننا إلا فى الوقت الذى نستطيع فيه مجاملتهم!

---

(٣) الرعد: ١١.

وفى الوقت الذى تصبح الزوجة فيه مصدرا للمتاعب التى تصنعها.. ثم تشكو منها..

وفى الوقت الذى يعود فيه الزوج محملا بهموم العيش الثقال.. مضافة إلى هموم البيت.. يعود عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- ليجد البيت جنة ظليلة.. وتظل صورة هذا البيت السعيد ماثلة فى خيال كل زوج سدت فى وجهه السبل لتقول له: عد إلى زوجتك الوفية المؤمنة

فبين الطرق المتشعبة طريق واحد. هو الباقى الذى يصل بك إلى السعادة. إنه الطريق إلى بيتك. ففيه زوجتك. ففيه .. جنتك. تسلّيك .. أو تنجيك .. أو تتوجع !

من الآثار الاجتماعية

كانت لزينب - رضى الله عنها - صاحبات على ذات الطريق.. وقفن إلى جانب أزواجهن ساعة العسرة.. مؤكدات بهذا الموقف مسئولية الزوجة المباشرة عن سعادة الأسرة كلها.. معلنات فى نفس الوقت:

١- أن للمرأة ذمتها المالية المستقلة.. والتى تمنحها حق التبرع بمالها بدون إذن زوجها.

٢- وجواز التحدث مع النساء.. متى كانت الفتنة مأمونة.

٣- ازدهار قيمة الحياء وقت أن كانت الحياة حياة! يوم أن كان الإيمان صاحيا فى القلوب.. ويوم كانت الهيبة سمة الرجال.. فكان من هذا الحياء وتلك الهيبة مزيج كان هو إكسير الحياة.

٤- وتبرز قيمة الشورى التى يتهادى فيها الزوجان الآراء.. ويتبادلان الأفكار.. بعيدا عن الشجار وما يخلفه من بوار..

وما أحوج البيوت اليوم إلى قيمة الشورى.. التى نحل بها أعقد المشكلات.. لو أردنا..

ولقد كان لهذه القيمة فى حياة أمتنا قيمة.. جعلت منها مرفأ النجاة.. لمن أراد النجاة

قال حكيم :

إذا استخار العبد ربه.. واستشار صديقه.. واجتهد رأيه. فقد قضى ما عليه.. ويقضى الله فى أمره ما أحب

وقيل :

عليك بالمشورة :

فإنها تأمر بالتى هى أحسن.. وتهدى للتى هى أقوم.

ولذا قالوا:

لا تستبد بتدبيرك. ولا تستخف بأميرك

فمن استبد بتدبيره.. زل

ومن استخف بأميره.. ذل

لا تدخل فى مشورتك بخيلا فى عطاء.. فيقصر بك.

ولا جبانا فى حرب.. فيخوفك

ولا حريصا فى بذل.. فيصدك

فان البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله - تعالى -.

قال الشاعر:

خصائص من تشاوره ثلاث
فخذ منها جميعا بالوثيقة.
وداد خالص ووفور عقل
ومعرفة بحالك فى الحقيقة
فمن حصلت له هذى المعانى
فتابع رأيه والزم طريقه

رمضان فى بلاد الأمريكان

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

قيل لأحد الصاحين: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم، والذى أفهمه من هذه العبارة - فوق أن العارفين يرون الله - تعالى - فى كل شىء، ويتعرفون عليه مع كل نفس من أنفاسهم - أن الإنسان قد يتجه إلى شىء بهمته كلها. وبلا مقدمات يتحول الاتجاه إلى شىء آخر وإلى وجهة قد تكون مختلفة تماماً ويكون التحول بنفس العزم والتصميم فمن الذى حول القلوب والهمم؟ الله!! هكذا يقول العارفون.

فقد ترغم على شىء غير الذى كنت تنويه. وعوامل التحويل بادية أمامك لكنك مرغم على تغيير الاتجاه. فليست هذه تلك. الذى نتحدث عنه أنك أنت بنفس الحماس. وبنفس الاندفاع. وبنفس القوة. تمشى وتسير وتجد فى السير وتحس أنك راغب غير مكره!! أما الإكراه فتلك قضية أخرى خصوصا إذا كانت أسبابه بادية ومؤثراته واضحة. فأنت لم تغير عزمك وإن تغير مسارك، فما زال خاطرك الأول يتراءى لك باديا يلوح - فأنت والحالة هذه مكره غير راغب فيما صرت إليه، وما زالت تداعبك أمنيات الأمس، أما ما نحن بصدده فهو أن العزم نفسه قد تحول والهمة اتجهت إلى اتجاه آخر فسبحان مقلب القلوب.

لست ممَّن يألفون السفر فى رمضان اللهم إلا لزيارة المصطفى ﷺ أو أداء عمرة أو زيارة الأهل وقد أكره على زيارة عمل قصيرة تفرضها ظروف خاصة. أما أن يكون رمضان كله خارج الوطن بعيدا عما اعتاد الإنسان وألف فذلك ما لم أدبر له أو حتى أفكر فيه. على أننى وجدت نفسى مندفعا بلا تردد أسير فى اتجاه السفر. رغم أن الظروف فى ظاهرها ضد الفكرة وتحققها إلا أننى وجدت التيسير فى كل خطوة يجتاز كل عقبة أو ظرف معوق. وكانت نهاية الرحلة فى ولاية (واشنطن) وهى غير العاصمة (واشنطن) وفى بلدة ((Spokane) اسبوكان استقرَّ بنا المقام. وتتبع ولاية واشنطن هذه مدينة اسمها « سياتل » وتعتبر أكبر مدن الولاية وأجملها وهى المدينة التى انعقد فيها مؤتمر التجارة

العالمى وأظن أن العالم الثالث نسى المدينة والمؤتمر لكنى أعتقد أن ما اتخذ فى هذا المؤتمر من قرارات سوف تجعل العالم الثالث يتذكرها جيدا.

وتقع مدينة سياتل فى شمال غرب الولايات المتحدة وتطل على المحيط الهادى كما أن مدينة نيويورك تطل على المحيط الأطلنطى. ويمكن – تجاوزا – أن نقول: إنها فى مواجهة الدار البيضاء بالمغرب العربى حيث وقف عقبة بن نافع على شاطىء المحيط وهو يقول كلمته المشهورة «لو أعلم أن خلفك من يوحد الله لسرت إليه». ومن المعروف أن مدينة اسبوكان مثل باقى مدن الشمال الأمريكى تغطى بالثلوج فى فصل الشتاء. وسوف أرجىء الحديث عن رحلة السفر من القاهرة إلى اسبوكان والتنقل بين مطارات القاهرة ونيويورك وسياتل واسبوكان ورحلة طيران من القاهرة إلى نيويورك (١١) إحدى عشرة ساعة لكن لنقصد سويا إلى الحديث عن المسلمين هنا. هم مجموعة قليلة من جنسيات مختلفة. الباكستانى والأفغانى والعربى والبوسنوى والأمريكى أيضا وبعض الطلبة العرب جاءوا فى مهمة دراسية قصيرة.

بالليل وعقب صلاة التراويح تدور حوارات بعضها يواجه به المسلمون من الأمريكيين خصوصا من يريد منهم أن يدخل فى الإسلام وهى أسئلة تافهة لكن الإعلام الأمريكى والاستشراق الغربى يلوكها مصورا للنشء أنها معضلات فى الديانة والإسلامية. وأول ما يثيره مسألة تعدد الزوجات ثم يتبعه باستفهام أبله أو سؤال مرذول فج فحواه: ما دام الإسلام قد أباح التعدد للرجل فلماذا لا يبيحه للمرأة؟

ورغم أن مسألة تعدد الزوجات فى الإسلام فيها حجته القوية وأن معارضيه لا يملكون غير اللجاجة والعناد حتى هؤلاء الذين يصورون المسألة على أنها ضرورة فى مجاملة سخيفة للغرب المسيحى. فإنه – أى التعدد – أفضل بكثير – فى عرف كل إنسان نبيل – من الحيوانية التى يمارسها الغرب فى حياته اليومية. والذين يزعمون أن مبدأ المساواة يقتضى أن يباح التعدد للمرأة كما يباح التعدد للرجل إن كان فى شريعة الإسلام إنصاف. أما أن يباح للرجل ويمنع عن المرأة فذلك هو التحيز والجور الذى ترفضه الحضارة الغربية!!

أقول لهم: أليس ذلك بلها فى التشريع وجمودا فى تطبيق مبادىء المساواة والعدالة؟ إن تلك المساواة الغبية وهذه العدالة الخرقاء يذكرانى بقصتين فى كتب المطالعة الأولية كنا درسناهما فى مراحل التعليم الأولى وهما وإن كانتا من حكايات الأطفال وأدب الأطفال إلا أنه يمكن أن يكون فى أدب الأطفال رادعا للحقد الصليبى الذى يرفض العدل والأنصاف والسمو ما دامت هذه القيم متدثرة بثوب الحياء الإسلامى ويقبل الظلم والتحيز بل والانحطاط الخلقى إن قدم له من أى مذهب أو عقيدة أو فلسفة شريطة أن تكون غير إسلامية!!

إن الغرب لا يمكن أن يفهم معنى الحياء

والعفة إنها خارج نطاق تفكيره واهتمامه إنها أصيلة فى الإسلام. عربية أبية حتى قبل الإسلام وجاء الإسلام وأقرها وهذبها كما أقر كل خلق حسن فى سلوك الجاهلية فهذا عنترة الجاهلى قال بيتا من الشعر يمكن أن يتغنى به كل مسلم لأنه عفيف طاهر لكنه خارج نطاق الأدب والأخلاق فى قاموس الغرب.

يقول عنترة:

وأغض طرفى ما بدت لى جارتى

حتى يوارى جارتى مأواها

ونعود إلى قصص المطالعة الأولية نذكر بها كل سادر فى غى الصلف الغربى والاستشراق الأعمى. تقول القصة الأولى: إن امرأتين تنازعتا طفلا كل تدعى بنوتة وأدلت كلتاهما بحجتها أمام القاضى. فهل يطبق القاضى العدالة الغربية العمياء ويقسم الطفل نصفين بين المرأتين أو يحكم بنزع الطفل من كليهما ويودعه دار الأيتام؟!!

أم ماذا يفعل؟! إن مبادىء العدالة والمساواة المزعومة تؤكد ذلك الغباء.

القصة الثانية بعنوان مسكين والد حسَّان. ذلك أن والد حسان أعطاه شاة يوصلها من الحقل إلى الدار فحمل الشاة على كتفيه وكانت ثقيلة حتى أرهقته فقال له أبوه: يا ولدى إذا كلفتك بتوصيل شىء فجرّه بحبل ولا تحمله على كتفك ثم أعطاه فى المرة الثانية بطة فما كان من حسان إلا أن ساوى بين البطة والنعجة وربط البطة من رقبتها فاختنقت وماتت.

حقا مسكين والد حسان!! أليس فى هذين المثلين تطابقا مع ما يزعمون أنهم يحرجون الإسلام به وأنهم أكثر عدلا لأنهم يطلبون المساواة فكما أن الرجل فى شريعة الإسلام يتزوج أربعا فالمرأة كذلك ينبغى أن تتزوج أربعة؟!

قل لى بربك: أليس ذلك الصلف الغربى يشبه غباء حسان عندما ساوى بين البطة والنعجة ومثل ذلك القاضى الذى حكم بإيداع الطفل دار الأيتام؟ ونحن نسأل أصحاب الرأى: هل يوجد فى أى شريعة وأى دين أن تتزوج امرأة واحدة أربعة رجال؟ وهل وجد فى الشرائع السابقة سماوية أو أرضية؟ وهل يسمى ذلك زواجا وتسمى المرأة زوجة؟ وإذا كان هذا الوضع لم يوجد ولن يوجد هذا النظام الظالم لطبيعة المرأة وللطبيعة الانسانية كلها إناثها ورجالها على السواء ولا يمكن لهم أن يحققوه حتى فى سلوكهم الإباحى الشاذ وما دام كذلك فلماذا يريدون أن يفرضوه على شريعة الإسلام السمحاء التى لا تعرف الخنا بأى شكل. المسألة تصبح عنادا لا أكثر وليست حوارا بغية الوصول إلى الحق. والإسلام دين الفطرة لا يمكن أن يرغم الآخرين على اعتناقه والإيمان به. فليس من مبادىء الدين نفسه ولا من سلوك النبى ﷺ ولا من خلق أتباع الدين الإكراه لأننا نعتقد كما أن هناك نفوسا تعاف الرذيلة فهناك نفوس كالخنازير لا تعيش إلا فى المستنقعات ولا تأكل إلا الجيف.

ولو أنا سألنا العقلاء فى كل دين وفى كل

ملة إنسانية سؤالا واحدا محددا. ما هو الهدف من الزواج؟ لقال كل عاقل ذو فطرة سوية: إن هدف الزواج حفظ النوع الإنسانى وإشباع الغريزة بطريقة تحفظ الحياء وفق منهج الله. تلك إجابة الحنفاء أصحاب الفطرة السوية كما جاء فى حديث النبى ﷺ: «إن الله خلق عباده كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم»(١).

أما إجابة من اجتالتهم الشياطين فشوهت فطرتهم فيقولون: إن هدف الزواج هو المتعة!!! فهل يمكن أن نعقد مقارنة بين هدف هؤلاء وأولئك؟ وهل يمكن أن يقاس نبل الأولين وعبث الآخرين أو إن شئت فقل: دنس الآخرين؟ عجبا؟ أيقاس بالكافور نبت الشيح.

ولسنا فى حاجة إلى إجابة عن هذه الأسئلة لأننا على قناعة تامة بما نحن عليه لكنا نوجه سؤالا آخر أو استفهاما عاما ونقول: اسألوا أصحاب المتعة، هل تغنى عنهم متعتهم لو أنهم تزوجوا أجمل الجميلات وحرموا من نعمة الولد؟ أو تغنى عن الإنسانية شيئًا؟

ليتهم يفيئون إلى ظلال الهدى النبوى الذى يقول فى الحديث:

«سوداء ولود خير من حسناء لا تلد»(٢).

وبعد: ماذا أجدى على الإنسانية فى تحقيق هدفها وهو حفظ النوع؟

هل لو تزوجت امرأة بعشرة رجال لا أربعا، أم لو تزوج رجل بأربع نسوة؟

وبعد: فإن إجابة قوم لوط هى إجابة كل شرير عابث بالإنسانية وبالمثل العليا عندما يضيق بالطهر والعفاف.

﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾(٣).

اؤلئك صرف الله قلوبهم عن الهدى وأعمى أبصارهم عن الحق، فالإسلام سما الله به عن أن يسكن هذه القلوب الصدئة.

يقول الله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾(٤).

ويقول:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(٥).

فالله - سبحانه وتعالى - أغفل هذه القلوب وصرفها عن الحق فلا تؤمن به ولا ترضى بالإسلام دينا، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المجرمون.

وإلى لقاء آخر

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) مجمع الزوائد ٢٥٨/٤.

(٣) سورة النحل الآية ٥٦.

(٤) الاسراء (٤٦).

(٥) الكهف (٢٨).

قضية.. وكتابان

بين

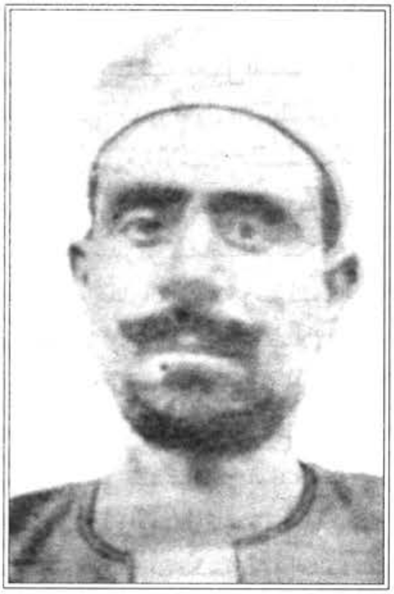

الخضر حسين و على عبد الرازق

٥

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

وإذا كان «الدين» وضعا إلهيا، ثابتا.. فإن «الصبغة الدينية» للدولة الإسلامية وسياستها لا تعنى ثبات نظم هذه الدولة وثبات قوانينها، ولا تعنى «الإلهية» و«الثبات» لهذه النظم والقوانين جميعا.. فالثابت هو المقاصد والفلسفات والغايات، وبعض قليل من الأحكام التى تعلقت بثوابت لا تتغير ولا تتطور بتغير الزمان والمكان.. أما ماعدا هذا القليل فهو متغير ومتطور يلعب فيه العقل المسلم والإبداع التشريعى للمسلمين الدور الأول والأعظم دونما قيد إلا الروح العامة لشريعة الإسلام والمصلحة المبتغاة للأمة الإسلامية.. فلقد «أجمع المسلمون على أن إصلاح السياسة شطر من مقاصد الإسلام- (ولكن)- هل ادعوا، مع هذا، أن الإسلام رسم للسياسة خطة معينة ووضع لكل واقعة حكما مفصلا؟!!.. الحق أنهم لم يفعلوا ذلك بل ملأوا كتبهم ببيان أن الشريعة فصلت بعض أحكام لا تختلف فيها أحوال البشر، ثم وضعت أصولا ليراعى تطبيقها على الوقائع حال الظروف الحافة بها، ومن هذه الأصول قاعدة «رعاية المصالح المرسلة»، وقاعدة «العادة محكمة»، وقاعدة «سد الذرائع»، وقاعدة «المشقة تجلب التيسير»، وقاعدة «ارتكاب أخف الضررين»، وقاعدة «الضرر يزال»[1].. ولقد عنيت الشريعة فى الأكثر بتفصيل ما لاتختلف فيه مصالح الأمم ولا يتغير حكمه بتغير الزمان والمكان، وذلك ما يرجع إلى العقائد والأخلاق ورسوم العبادات، ثم جاءت إلى قسم المعاملات والسياسات فأتت على شئ قليل من تفاصيله، وطوت سائره فى أصول عامة ثلاث:

إحداها: أن أحكام هذا القسم تختلف بحسب ما يقتضيه حال الزمان وتطور الشعوب، فإذا وقعت الواقعة أو عرضت الحاجة نظر العالم فى منشئها وما يترتب عليها من أثر، واستنبط لها حكما بقدر ما تسعه مقاصد الشريعة ومبادئها العليا.

ثانيها: أن وقائع المعاملات والسياسات تتجدد فى كل حين، والنص على كل جزئية غير متيسر، علاوة على أن تدوينها يستدعى أسفارا لا فائدة للناس فى كلفة حملها.

ثالثها: أن الشريعة لا تريد أسر العقول وحرمانها من التمتع بلذة النظر والتسابق فى مجال الاجتهاد[2]..

ولذلك وجدنا فقهاء المسلمين يجتهدون، كل من منظوره، وعلى ضوء واقعه، ووفق مقتضيات عصره، يجتهدون فى «وضع» القوانين الإسلامية المسترشدة بروح الشريعة والحكومة بمنطقها الإسلامى العام.. فهم ينظرون إلى المصالح ويوازنون بينها وبين المفاسد.. كما ينظر إليها أصحاب القوانين الوضعية، من حيث عظمها وصغرها، ومن حيث ما يترتب عليها فى الخارج من آثار نافعة أوعواقب سيئة[3].. ثم يصوغون القوانين، التى كونت تراثنا فى فقه المعاملات.

.. فالذين يتصورون أن «أسلمة القانون» فى الدولة الإسلامية، يعنى إلزام الحاضر باجتهادات الماضى، أو إلزام كل عالم الإسلام باجتهاد واحد لا يفقهون هذا الجانب من سياسة الإسلام.. بل إن بلوغ عالم الإسلام فى التقارب والتضامن والاتحاد درجة إقامة الخلافة الواحدة، أو الحكومة الواحدة لايعنى وحدة النظم والقوانين إذا ما اختلف الواقع فى إطار عالم الإسلام..

---

(١) الباب الثالث من الكتاب الثانى «ص١٧٧ من طبعة الأصل».

(٢) الباب الثانى من الكتاب الثانى «ص١٥٤، ١٥٥ من طبعة الأصل».

(٣) الباب الأول من الكتاب الثالث «ص٢٠١ من طبعة الأصل».

ذلك «أن أخذ الأمم الإسلامية بحكومة واحدة لا يقتضى توحيد قانونها السياسى أو القضائى بل يوكل أمر كل شعب إلى أهل الحل والعقد منه، فهم الذين ينظرون فيما تقتضيه مصالحه.. ولا يقطعون أمرا حتى يشهدهم من أوتوا العلم بأصول الشريعة لئلا يخرجوا عن حدودها ومقاصدها.. فالتشريع الإسلامى قائم على رعاية المصالح، وما هى إلا المصالح التى توضع فى ميزانه المستقيم، وهذا الميزان المستقيم لا يبخس شعبا من الشعوب مصلحته التى يشهد بها العقل السليم، ولا يفصل حكما واحدا يجريه على كل شعب وفى كل زمان، إلا إذا لم تختلف فيه مصالح الشعوب، فإن اختلفت اختلافا يعقله العالمون فلكل شعب حكم وسياسة، وذلك تقدير العزيز العليم..»(٤).

.. فالدولة الإسلامية: دولة دستورية.. ورأسها: حاكم دستورى.. وأمتها: هى مصدر السلطات.. وقانونها إبداع وثمرة لعبقرية فقهائها، يصوغون أغلبه بالاجتهاد المحكوم بروح الشريعة ومصلحة الأمة المرتبطة بظروف الزمان ومقتضيات المكان.. وهى فى ظل الخلافة والحكومة الواحدة، أشبه بعصبة الأمم الإسلامية وجامعة الدول الإسلامية منها بالدولة الواحدة التى يسود فيها القانون الواحد والنظام الواحد فى واقع متغاير رغم وحدة الإسلام!..

وإذا كان هذا هو حال «الإسلام السياسى»، وإذا كانت تلك هى قاعدة «سياسة الإسلام».. **فهل بنا من حاجة «لعلمانية» الحضارة الغربية، نتنكر باستعارتها لطبيعة إسلامنا؟!.. وألا يرعوى أولئك الذين يزيفون تاريخنا السياسى وفكرنا الإسلامى السياسى**، لا لشئ إلا لافتعال التماثل بينه وبين تاريخ الكهانة الكنسية فى أوروبا العصور المظلمة والوسطى، بل ويزيفون صورة الإسلام، بجعله «علمانية» أو «كهانة»..لا لشئ إلا ليبرروا استعارتهم «للعلمانية» الغربية.. فهم يستوردون «مشكلة» ليستوردوا لها «الحلول»؟!

هكذا نظر الشيخ الخضر الى القضية المحورية والجوهرية فى كتاب (الإسلام وأصول الحكم).. وحدد حيالها، رؤيته لموقف الإسلام.

●●●

على أن إعجاب الباحث والقارئ بهذا (النقض) الذى نهض به الشيخ الخضر لدعاوى صاحب (الإسلام وأصول الحكم)، ولقلم الشيخ الذى تجلى عفيفا ودقيقا وجيد التذوق والاختيار لألفاظه وعباراته.. إن هذا الإعجاب لاينقضه «هنتان» ننبه عليهما، وقع فيهما قلم هذا الشيخ الجليل:

الهنة الأولى: هى أن الشيخ الخضر برغم مجئ كتابه نموذجا فى أدب البحث والجدل والمناظرة، وتميزه بالعفة والترفع عن إلقاء التهم جزافا.. إلا أنه استخدم عبارة «الوقوع فى حمأة الإلحاد» على نحو «يوحى» بأنه يتهم بها الشيخ على عبدالرازق!..

ونحن برغم رفضنا للفكرة المحورية والجوهرية لكتاب (الإسلام وأصول الحكم)، وإيماننا بخطر الكتاب على التوجه الفكرى للأمة الإسلامية، ومعرفتنا بالتأثير الذى أحدثه فى دعم «العلمانية» الغربية عن المناخ الإسلامى والفكر الإسلامى.. برغم ذلك، إلا أننا ننكر استخدام ألفاظ من مثل «الكفر» أو «الإلحاد» فى وصف «الاجتهادات الخاطئة» بميدان الفكر السياسى الإسلامى بوجه عام..

(٤) الباب الثالث من الكتاب الثانى «ص١٧٩، ١٨٠ من طبعة الأصل».

لقد استقر الرأى فى علم الكلام الإسلامى على أن مباحث «الخلافة - الإمامة - الدولة» هى من «الفروع» وليست من «عقائد» الدين ولا «أصوله» ومن ثم فإن الخلاف والاختلاف فيها أليق به أوصاف: «الخطأ» و«الصواب» و«الضرر» و«النفع»، لا «الكفر» و«الإيمان» أو «الإلحاد».. الخ.. الخ..

.. «إن الإمامة مستخرجة من «الرأى» وليست مستخرجة من الكتاب أو السنة..»(٥).. والجوينى، إمام الحرمين (٤١٩ - ٤٧٨ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٨٥ م) يقول: «إن الكلام فى الإمامة ليس من أصول الاعتقاد»(٦).. والإمام الغزالى (٤٥٠ -٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م) يقول: «إن نظرية الإمامة ليست من المهمات، وليست من فن المعقولات فيها، بل من الفقهيات..»(٧).. أما ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨م) فإنه يقول: وإنها ليست من أركان الإسلام الخمسة، ولا من أركان الإيمان الستة، ولاهى من أركان الإحسان»(٨)..

وفوق ذلك، وتبعا له، يقول الإمام الغزالى: «واعلم أن الخطأ فى أصل الإمامة وتعينها وشروطها وما يتعلق بها لايوجب شئ منه التكفير..»(٩).

هذا هو موقف علماء الكلام من طبيعة الإمامة، وطبيعة الاختلاف فى مباحثها، بدءا من «أصلها» إلى «تعينها وشروطها ومايتعلق بها».. وهذا الموقف هو الذى تبناه- كما سبقت إشارتنا - الشيخ الخضر، عندما قال: «إن الخلافة ليست من نوع العقائد.. والبحث فيها يرجع إلى النظر فى حكم عملى لا فى عقيدة من عقائد الدين» وأنها، لذلك، يكتفى فى مستندها «بالأدلة المفيدة ظنا راجحا»..

فإذا جاء الشيخ على عبدالرازق وقال عن «المملكة النبوية»: إنها «عمل منفصل عن دعوة الإسلام وخارج عن حدود الرسالة».. وإذا وصف هذا الرأى بأنه، على غرابته، ليس «كفرا ولاإلحادا». فنحن ننكر هذا «الرأى»، لكننا معه فى نفى صفة «الكفر والإلحاد» عن قائليه، لأنه «رأى» فى مبحث من مباحث الفروع، وهو خطأ، لكنه كما قال الغزالى «لايوجب التكفير».

ولذلك، فما كنا نود أن يكون تعقيب الشيخ الخضر على قول على عبدالرازق هذا هو قوله: إن «تصرف النبى ﷺ فى مثل الجهاد والزكاة والجزية والغنائم يستند الى صريح القرآن، فلا مفر لمنكره من الوقوع فى حمأة الإلحاد.. ولا أرانى فى حاجة الى نقل شئ من نصوص الراسخين فى علم الشريعة وفتواهم بأن من أنكر حقيقة معلومة من الدين بالضرورة فقد انقلب على عقبه مدبرا عن الإسلام ولايحق له بعد ذلك الإنكار أن يتأثم من المسلمين إذا طرحوه من حساب أولياء دينهم الحنيف»(١٠).

فنحن نعتقد أن الخلاف والاختلاف حول «الخلافة.. والإمامة.. والدولة» لا يدخل فى باب إنكار «ماهو معلوم من الدين بالضرورة»، لأن المراد

---

(٥) أبو حفص عمر بن جميع «عقيدة التوحيد» ص٥٠٦ طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣هـ.

(٦) «الإرشاد» ص٤١٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م.

(٧) «الاقتصاد فى الاعتقاد» ص١٣٤ طبعة صبيح - القاهرة - بدون تاريخ.

(٨) «منهاج السنة» ص٧٠ - ٧٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م.

(٩) «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» ص١٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

(١٠) الباب الثانى من الكتاب الثانى «ص١٤٨، ١٤٩ من طبعة الأصل».

هنا هو إنكار الأصول والأركان.. وليس الخلاف فى قضية أو أكثر من قضايا الفروع.. وعلى عبدالرازق، برغم مجانبته للصواب فى بحثه حول الخلافة، لم ينكر ركنا من أركان الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، وإنما أنكر إسلامية الخلافة، وهى من الفروع.. فما كان يليق بالقلم العف للشيخ الخضر أن يدخل هذا «الخطأ»، برغم فداحته ومضاره، تحت باب «الالحاد» حتى ولو أخذنا «الإلحاد» بمعناه الأصلى، وهو «الميل عن القصد» ولاأن يصف صاحب هذا «الخطأ» بأنه «قد انقلب على عقبة مدبرا عن الإسلام»؟!..

تلك هى «الهنة» الأولى فى الكتاب..

والهنة الثانية: هى تلك الصفحة التى صدر بها الشيخ الخضر كتابه، والتى طبعها «بماء الذهب» وسطر فيها إهداء كتابه العظيم «الى خزانة حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر المعظم»..

ذلك أننا، برغم إدراكنا لخطأ تقييم مثل هذه الامور، التى كانت طبيعية ومألوفة فى عصرها، بمعايير عصرنا، وهى غير مألوفة، بل مستنكرة فيه.. إلا أننا نعتبرها «هنة» لنا عليها ملاحظات:

● ففى هذا «الإهداء» يقول الشيخ الخضر: «شهدت من حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم غيرة على الدين الحق، وعناية برفع شأن المعاهد العلمية الإسلامية، فقلت: إن فى هذه الغيرة والعناية لحماية الدين الحنيف من نزعة ترمى حوله بشرر الكيد والأذى».

وما كان يليق بالعالم والقاضى المحقق الشيخ الخضر أن «يشهد» بغيرة الملك فؤاد على الدين الحق!.. فتلك قضية إن لم يختلف فيها «الشهود»، فإن إجماعهم، أو إجماع أغلبيتهم سينقض «شهادة» الشيخ الجليل..؟!.

● ثم.. ما كان يليق بالشيخ الجليل أن يغفل عن أن «عناية» **الملك فؤاد** بالمعاهد العلمية الإسلامية – بالأزهر – **لم تكن بالأمر** الخالص للأزهر وعلوم الإسلام، **وإنما كانت** – كما ثبت فى الواقع – سبيلا لإفقاد الأزهر استقلاله، وإحكام قبضة «القصر الملكى» على مشيخة الأزهر، لاستغلالها فى صراعه ضد حزب الوفد وزعيمه سعد باشا زغلول «١٢٧٣ – ١٣٤٦هـ / ١٨٥٧ – ١٩٢٧م» الممثل لسلطة الشعب – فى ذلك التاريخ.

● وأخيراً.. فإن هذا «الإهداء» قد ألقى ظلالا على هذا العمل العلمى الفذ، جعلت منه – ولو ظاهراً – جهدا مكرسا لخدمة طموحات الملك فؤاد الأول «١٢٨٤ – ١٣٥٥هـ – ١٨٦٩ – ١٩٣٦م» فى منصب خلافة المسلمين.. ولقد كان الشيخ فى غنى عن هذه «الشبهات» التي ألقتها على عمله العلمى الفذ هذه الظلال التى تمثلت فى ذلك الإهداء.

هاتان هما «الهنتان» اللتان نأخذهما على كتاب الشيخ الخضر حسين.. وإذا كان «ضد» المعايب فى عمل من الأعمال هو شهادة تقدير للعمل وصاحبه.. فما بالنا إذا كانت هذه «المعايب» «هنات».. و«هنات» من هذا القبيل، لا تقدح فى تألق هذا العمل العلمى الفذ: جهدا مخلصا ونبيلا وعميقا فى الدفاع عن علاقة ديننا الإسلامى بدولتنا الإسلامية، ونقض أعظم الشبهات التى أثيرت حول هذه العلاقة فى عصرنا الحديث؟![11]

(١١) هذه آخر مرحلة من حلقات البحث، وسيوالى الكاتب مقالاته فى موضوعات شتى.

الدكتور محمد السعدى فرهود مفسرا

للدكتور/ رضا عبد المجيد المتولى (*)

تعرض أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومى إلى كثير من جهود الدكتور محمد السعدى فرهود فى مقاله عنه «بمجلة الأزهر» وقد رأيت أن أشبع الحديث فى ناحية هامة من نتاج الدكتور السعدى وهى ناحية التفسير القرآنى فأقول:

تكمن جهود الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود فى التفسير فى نوعين منه، هما:

أولاً: التفسير الإجمالى.

وهو تفسير القرآن الكريم بطريق الإيجاز، والاختصار والإجمال من غير إسهاب ولا تطويل، ولا إطناب، وهو أن يقصد المفسر إلى توضيح معنى الآية وبيان المقصود منها بعبارة وجيزة مقتضبة، تبين معناها فقط من غير تعرض إلى شىء آخر غير المعنى المقصود، وذلك بتتبع آيات القرآن آية آية، وسورة سورة حسب ترتيب المصحف بعد أن يكون قد وضع هذه المعانى فى إطار من العبارة السهلة التى يصوغها من ألفاظه والأسلوب السلس الذى يفهمه العالم والأمى والمتوسط، فهو يخاطب الناس كلهم بأيسر أسلوب وأوضح المعانى حتى يسهل لهم إدراك ما فى القرآن الكريم من نور وهداية من غير تعقيد ولا بعد عن هدف القرآن وقصده.

(*) المدرس بكلية أصول الدين بالمنصورة.

وقد يفسر القرآن بلفظ القرآن حتى يشعر السامع أنه لم يبعد به فى عبارته عن سياق القرآن الكريم وأسلوبه السمح الجميل. وقد يشير فى بعض المواضع إلى سبب نزول الآية أو إلى حادثة توضح المعنى، أو حديث نبوى، أو أثر عن السلف الصالح، حتى تكمل الفائدة المرجوة، ويصل إلى غرضه بأوجز أسلوب وأحسن عبارة(١).

وهذا بالفعل ما قام به الدكتور فرهود حين أدرك حاجة الناس إلى تفسير ميسر يبرز لهم جوانب هداية القرآن فى شئون الحياة المختلفة بأسلوب سهل سلس. ومن ثم كان تفسيره للقرآن الكريم الذى أذاعته إذاعة القرآن الكريم المباركة صباح كل يوم طيلة سنوات عديدة تحت عنوان: (على هامش التلاوة)، ويوم أن يظهر هذا التفسير مدونا بين أيدى الناس سوف يعظم نفعه، ويأخذ مكانه مستريحا بين كبار التفاسير الميسرة للقرآن الكريم كتفسير الأستاذ محمد فريد وجدى، وتفسير صفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف، والتفسير الميسر للشيخ عبدالجليل عيسى، وتفسير تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى، وغير ذلك كثير.

ثانياً: التفسير البيانى.

وهو التفسير الذى يعنى بالجانب البيانى فى القرآن الكريم من حيث إبراز الترابط بين الآيات والجمل، وتناول الألفاظ بالتحليل اللغوى الدقيق مما يظهر أسرار التعبير بها وسر العدول عن مرادفاتها، والتعرض لأوجه الإعراب المختلفة وبيان الأسرار والمزايا البلاغية التى تكمن وراء العبارات والتراكيب، وغير ذلك.

وقد أسهم ـ رحمه الله ـ فى هذا الجانب بمؤلَّفين عظيمين: الأول (فى رحاب البيان القرآنى لسورة الرعد)، والثانى: (فى رحاب البيان القرآنى لسورة إبراهيم) حيث تناول فيهما الجانب التطبيقى للتفسير البيانى فى سورتين من سور القرآن الكريم، فبدأ بسورة الرعد، وثنى بسورة ـ إبراهيم عليه السلام ـ ولعله كان ينوى إتمام التفسير البيانى للقرآن الكريم، لكن الظروف والأعمال الإدارية لم تمكنه، ومن ثم قال ـ رحمه الله ـ فى مقدمة كتابه الأول: (الحمد لله رب العالمين، وبعد فإنى لأرجو أن أبدأ – بهذا المصنف – تفسير القرآن الكريم تفسيراً بيانياً، وآمل أن يوفقنى الله إلى المضى فيه قدماً، وأن يهدينى فى بيانه سواء السبيل، وأن يجنبنى الهوى والزلل والرأى الفطير، ومن الله العون والسداد)(٢).

وسأقطف لك – أيها القارىء الكريم – من هذين المؤلَّفين قطفين يدلان على الجهد المشكور الذى بذله أستاذنا فى هذا الجانب.

– قال عند تفسير قوله تعالى:

(١) تاريخ علم التفسير ومناهج المفسرين للدكتور على حسن العريض ص ٧٩، ط دار الاعتصام.

(٢) مقدمة فى رحاب البيان القرآنى سورة الرعد ـ دار الطباعة المحمدية بالأزهر، الطبعة الأولى، المحرم ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾(٣).

أى والقــرآن الذى أنزله الله ربك إليك – يامحـمـد – هو الحق الذى لا مـزيد عليـه. أو والقـرآن الذى أنزله الله إليك هو من عند ربك وهو الحق، فـالاسم الموصـول على التـقـديرين فى مـوضع المبـتـدأ، وعلى التـقـدير الأول يكون ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ خبره، وعلى التقدير الثانى يكون ﴿مِن رَّبِّكَ ﴾ فى موقع الخبر، ويكون ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ خبراً بعد خبر، وقيل: يكون ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ جملة جديدة فهو خبرمبتدأ محذوف تقديره (هو)، وعلى هذا كله تكون الجملة معطوفة على الجملة السابقة:

﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ومن المعربين من يرى أن العطف من عطف المفــردات، إذ عطف ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ على ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ من قبيل عطف إحدى الصفتين على الأخرى، أو من باب عطف أحـد المترادفين على الآخـر إذا فسرت الكتاب بالقرآن، ومن باب عطف العام على الخاص أو من باب عطف الكل على الجزء إذا فسرت الكتاب بالسورة وأردت من اسم الموصول القرآن. ويتعين لدى القول بعطف المفردات أن يكون ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ جـملة جـديدة فـ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والقول بعطف الجمل أوضح وأشهر وأقرب. وهذه الجملة تتصل بما قبلها اتصالا معنويا جليلا، فقد جاءت هذه الجملة لتقرير معنى الجملة السابقة والاستدلال عليها بأن كل المنزل حق وصدق.

ويرى الزمخشرى: أن هذه الجملة جاءت للاسـتـدراك على وصف السـورة فـقـط بالكمـال، فـإن القـرآن أثبت لهـذه السـورة الكمـال ثم اسـتـدركه بأن كل المنزل كـذلك لاتختص به سورة دون سورة، والقرآن كله هو الحق لا هذه السورة وحدها. قال الزمخشرى: ومثل هذا قول فاطمة الأنمارية حين سئلت: أى بنيـهـا أفـضل؟ أجـابت: الربيع، بل عـمـارة، بل قيس، بل أنس، ثم اسـتـدركت فقالت: ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل، إنهم كـالحلقـة المفرغـة لايدرى أين طرفـاها، فـفـاطمـة بإثباتـهـا آخـرا لكل ابـن من أبنائهـا الكمـال فقـد نفت التـفاضل للدلالة على أن كـمـال كل واحـد منهم كـمـال لايحـيط به الوصف.

ثم قـال الدكـتـور فـرهود ـ رحـمـه الله ـ: ولايغيب عن البال أن فى صياغة الجملة:

﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾.

بالعـبـارة بالاسم الموصـول، وإسناد الإنزال إلى الله ولا منـزل للقـــرآن إلا هو، فى هذه الصياغة مايشير أولا إلى فخامة شأن القرآن، ومـايومىء ثانيـاً إلى شـرف المنزل إليـه وهو الرسول بما خاطبه الله بالحديث وبما عرضه من صفة الربوبية مضافة إلى ضميره ﷺ وكذلك ما يدل عليه ثالثاً الحكم على القرآن بأنه الحق

---

(٣) الرعد (١).

ولاحق غيره. والحق هو الصدق وهو الصواب، ولكن غلب استعمال الحق في المسائل الاعتقادية، واستعمال الصدق في الأخبار والأنباء، واستعمال الصواب في الأجوبة، والمعنى قريب(٤).

وبهذا ترى أن الدكتور السعدى فرهود لم يترك شاردة ولا واردة في تفسير هذه الجملة الكريمة إلا وذكرها، حيث بدأ ببيان الإعراب، ونوع العطف، ثم رجح من وجهة نظره ما رآه راجحاً، ثم بين مناسبة الجملة لما قبلها، ثم استدل بما ذكره إمام البيان الزمخشرى في كشافه، ثم أمتعنا بأسرار التعبيرات في الجملة الكريمة وإيحاءاتها المباركة، ثم ختم كلامه ببيان بعض الفروق اللغوية بين لفظ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾، (الصواب)، (الصدق).

- وقال عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾(٥)

(من) ابتدائية أو بيانية، فهى تشعر أن كل رسول من الرسل دعا قومه بلسانهم. واللسان: يطلق على اللغة على سبيل المجاز المرسل وعلاقته الآلية. وفى الجملة قصر إرسال الرسول على التلبس بلسان قومه، وحكمة ذلك: أن يكون ما يبلغه إياهم عن الله مفهوما لديهم غير غريب على أسماعهم، حتى يتلقوه منه بسهولة وسرعة، فيمتثلوا ذلك من غير حاجة إلى الترجمة، وعليهم - بعد ذلك - إذا نشروا دين الله فى الأرض بين أقوام غير عرب أن يترجموا القرآن لهؤلاء الأقوام حسب الحاجة، فكما يسَّر الله عليهم ولم يشاقهم وجب أن ييسروا على الناس ولايشاقوهم، وهذا واضح فى عموم النصوص إلا ماجرى به التعبد منها، وعلى هذا جاء نزول القرآن باللغة العربية، ولايلزم منه القول باختصاص بعثة محمد ﷺ بالعرب كما هو زعم طائفة من يهود، فإن هناك من الدلائل والقرائن الأخرى مايدفع هذا الزعم ويحقق عموم رسالة محمد ﷺ :

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾.

ليوضح لهم أمور الدين. وحذف المفعول به فنزل الفعل منزلة اللازم للإشعار بأن وظيفة الرسول التبيين والبلاغ، وليس من وظيفته الهداية أى خلقها فى النفوس، فالهداية بهذا المفهوم من شأن الله. وهنا إيجاز بالحذف مفهوم من السياق، والتقدير (فبين - أى الرسول - لقومه) . ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى الكتابين ذاتهما وللأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدى بحث شاف فى هذا المجال نود أن ينشره للقراء، رحم الله الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والعطاء جزاء ماقدم للقرآن والإسلام والعربية.

---

(٤) فى رحاب البيان القرآنى، سورة الرعد ص ٨ : ١١.

(٥) إبراهيم (٤).

فى نقد سيرة ابن إسحاق / ابن هشام

٢ رد على الدكتور إبراهيم عوضين

للدكتور / محمود على مراد (*)

على الرغم من أن الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين يشكك كثيرا فى معرفتي باللغة العربية، فإنه لم ينتقد تحليلى لما جاء فى سيرة ابن إسحاق من شعر، ولم يطعن فى النتيجة التى خرجت بها من هذا التحليل وهى أن أكثر هذا الشعر منحول، وأن نحل الشعر، الذى هو ديوان العرب، قرينة لا تقبل إثبات العكس على رغبة فى تزوير السيرة عن طريقه، ومع أن الشعر عنصر أساسى من عناصر «السيرة» الثلاثة، إلى جانب السرد التاريخى وشرح الاقتباسات القرآنية، وأن ابن إسحاق استخدمه على نطاق واسع فى الموضوعات التى طرقها الدكتور فى مقاله الثانى، الصادر فى عدد جمادى الآخرة ١٤٢٢ لهذه المجلة الغراء، فإن كون هذا الشعر منحولا لا يزعزع ثقة الدكتور فى صدق ابن إسحاق، والدكتور يغمض عينيه عنه وعن ملاحظاتى بشأنه ويعتبره، ببساطة، كأن لم يكن، ويمضى فى دعواه بأن الكاذب والمزور والمختلق هو ناقد ابن إسحاق، وأننى كذبت وزورت واختلقت تحقيقا لغرضى الأصلى وهو نسف السيرة النبوية تزلفا لأساتذتى المستشرقين وتأثرا بأفكارهم.

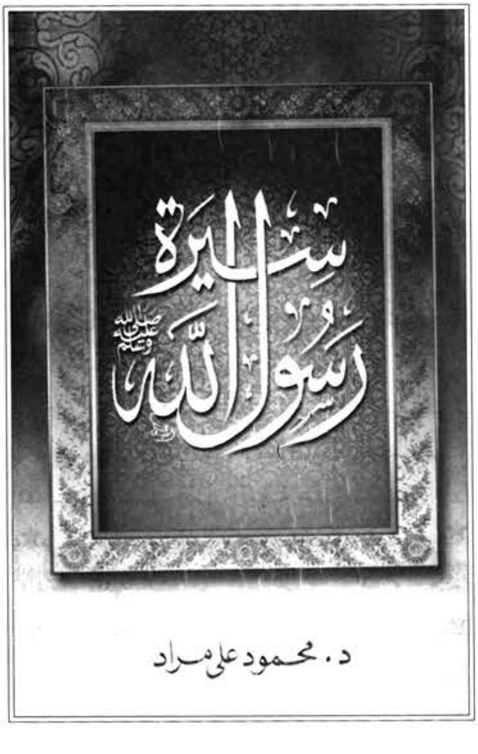

(*) بهذا المقال تتضح فكرة الدكتور مراد، وننهى الكتابة عن هذا المؤلف لضرورات خاصة من ناحية الناقد والمنقود.

الــــــرد

فيما يلى ملحوظاتى على معظم ما جاء فى مقال الدكتور عوضين الثانى.

أ ـ الدكتور عوضين يقول: إننى أقيم رسالتى على فرض سلمت به مقدما مفاده أن ابن إسحاق عميل عباسى قصد من وراء كتابه الدعاية للعباسيين. وهذا غير صحيح، فإنى لم أسلم مقدما بهذا الفرض بل كانت هذه إحدى النتائج التى أفضى إليها تفكيرى حين حاولت استكناه الأسباب الخفية التى تكمن وراء الغرض المعلن من تأليف الكتاب وهو كتابة سيرة للرسول ﷺ، بعد أن اكتشفت أن هذا الكتاب ليس سيرة للرسول ﷺ.

أساس رسالتى إذن هو هذا الاكتشاف أما ما قلته عن مقاصد ابن إسحاق من كتابة سيرته، ومنها أنه كتبه دعاية للعباسيين، فشئ فرعى. وخطئى فى استشفاف هذه المقاصد ـ إن كنت قد أخطأت ـ لا يغير شيئا فى الحقيقة الأساسية، وهى أن سيرة ابن إسحاق تفتقر إلى جميع المقومات التى تتكون منها أى سيرة لأى رسول، وهى حقيقة ثابتة كل ما فعلته بشأنها هو أن سلطت عليها الأضواء.

ب ـ إذا كان العقل لا يقبل قصة حفر زمزم، فلا يكفى أن يكون الزهرى قد رواها لكى يقبلها العقل. ويلاحظ فى هذا الصدد أن الدكتور إبراهيم عوض، الذى نصب نفسه للدفاع عن ابن إسحاق، درس هذه القصة وعلق عليها فى صفحة ونصف من كتابه «إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية» وانتهى إلى أنها، أغلب الظن، خيال قصصى جميل (أى أنها ليست تاريخا). (ص ١٢٨)

ج ـ القول بأن ما ينال العباسيين من رفعة ينال محمدا، كما ينال العلويين قول فيه نظر للأسباب الآتية:

١- إذا كانت قصص أبرهة وزمزم والفداء ـ كما أوضحت ـ قصصا مختلقة فإن عبدالمطلب يصبح رجلا عاديا لا رفعة له تميزه على معظم أقرانه من أرباب الأسر فى مكة غير أنه كان يتولى مهمة السقاية.

٢- شرف محمد ﷺ بالرسالة لا يقاس إليه شرفه بالانتساب إلى عبدالمطلب، حتى إذا كان عبدالمطلب الشخصية الأسطورية التى يصفها ابن إسحاق.

٣- حين كتب ابن إسحاق سيرته كان الرسول ﷺ قد لحق بالرفيق الأعلى منذ أكثر من قرن، وكان العلويون قد أقصوا من الخلافة بيد العباسيين، وكان المستفيد الوحيد الفعلى من رفع شأن عبدالمطلب هو الخليفة العباسى الذى كان سند شرعيته هو انتماؤه لا إلى الرسول ﷺ، وإنما إلى القبيلة التى تجمعه هو والرسول، القبيلة التى كان يعنيها أول خلفاء بنى العباس حين قال فى خطبته الأولى: «وبنا هدى الله الناس».

٤- القول بأن الحديث عن عبدالمطلب هو فى الواقع حديث عن محمد كان يكون صحيحا لو أن المؤلف خصص للرسول ﷺ الجزء الأكبر من حديث الفترة. أما وقد جعل الرسول لا يحتل إلا عشر الحيز الذى يحتله عبدالمطلب، فالأصح أن يقال: إن الحديث عن محمد هو حديث عن عبدالمطلب.

د ـ أنا، كما قلت فى رسالتى، أرفض تصديق القصة التى يقول فيها ابن إسحاق إن الرسول ﷺ بكى فى حضرة عمه حين تصور أنه تخلى عن حمايته. وأنا أصدق أن الرسول قال: «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، ولكننى أرى أنه قاله فى مناسبة أخرى، وأن ابن إسحاق استخدمه فى هذه المناسبة لكى يسهل «بلع» قصة بكاء الرسول ـ ولكن، حتى إذا أضفنا العبارة المذكورة إلى المنظر الذى يصوره ابن إسحاق، فإن إيمان الرسول يبدو فى القصة أضعف من إيمان عبدالمطلب فى موقفه من أبرهة. فعبد المطلب لم يخف على نفسه خوف محمد، كذلك فقد جعلته ثقته فى أن للكعبة ربا يحميها دون وسيط، يتحدى أبرهة على الرغم من أنه كان فى معسكر جيشه. أما محمد فإنه، على الرغم من إصراره على المضى فى رسالته بالعزم الذى تنطق به عبارته، لم يكن على ثقة من أن رب الكعبة سيمنعه، وكان محتاجا إلى وسيط يحميه، ولما خيل إليه أن هذا الوسيط لن ينصره بكى.

فتـــرة الاســـتخفاء

١ـ يسألنى د. عوضين عمن يتجه إليه نبى أوحى إليه بدين يختلف تماما عما عليه قومه أول ما يتجه. وجوابى وارد فى رسالتى، وهو أنه يتجه أولا ـ فى النظام القبلى ـ إلى أقرب الأقربين إليه، أى إلى أبناء قبيلته. ولكن ابن إسحاق يخبرنا أنه ﷺ كان يخفى صلاته مع علىّ عن أعمامه، وهو لا يحدثنا أبدا عن رد فعل أى قريب من أقاربه حين عرض عليهم الإسلام.

٢ـ يسألنى د. عوضين بعد ذلك عن تفسيرى لنزول الوحى عليه آمرا إياه بإنذار عشيرته الأقربين. وجوابى عن هذا وارد فى كتابى (الصفحات ٦٩ :٧٢). وقد وجهت النظر فى صفحة ٧٢ إلى أن الذى يخطر على البال لأول وهلة لدى قراءة آية:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(١).

من سورة الشعراء، هو أن المقصود هم قبيلتا الرسول ﷺ أو حتى قبيلة بنى عبدالمطلب وحدها. ومع ذلك فإن الذين سيتجه إليهم الرسول بعد نزول الآية، فى نص ابن إسحاق، ليسوا هم أفراد قبيلته بل هم قريش فى مجموعها. إذن فنحن، سواء قبل نزول هذه الآية أو بعدها، لا نعلم شيئا على الإطلاق عن نتيجة اتصالات الرسول بعشيرته الأقربين، وهذه فى رأيى قرينة قوية على أن ردود فعل هذه العشيرة لم تكن سلبية فحسب بل كانت عدائية.

٣ـ يسألنى الدكتور: ماذا أقول فيما رواه الإمام البخارى والإمام مسلم عن أبى هريرة من أنه لما نزلت آية «وأنذر عشيرتك الأقربين» دعا رسول الله ﷺ قريشا فعمَّ «وخصَّ» فى التحذير من النار، مبتدئا ببنى كعب بن لؤى ومنتهيا ببنى هاشم وبنى المطلب وبابنته فاطمة ويضيف الدكتور، قاصدا إحراجى: «أم لعل الدكتور يضم البخارى ومسلم بأحاديثهما مع ابن

(١) الشعراء (٢١٤).

هشام.. ليضع ثلاثتهم مع ابن إسحاق فى طابور المتهمين بتزييف الحقائق وتلفيق الأحداث واصطناعها لينالوا رضا أبى جعفر المنصور أو غيره من بنى العباس؟ ».

وجوابى عن هذا هو أن هذا السؤال ليس له موضع هنا، لأننا بصدد ما جاء فى سيرة ابن إسحاق لا فى صحيحى البخارى ومسلم، والحديث الذى يرويه الدكتور لم يرد عند ابن إسحاق.

على أننى لا أتردد فى أن أقول: إن أبا هريرة إذا روى شيئا يتعارض مع ما يستفاد بشكل واضح من القرآن الكريم، فإنى آخذ بالقرآن ولا آخذ بما قاله أبو هريرة، والذى يتضح بصورة لا لبس فيها من القرآن الكريم أن دعوة الرسول ﷺ كانت علنية من اليوم الأول، وهذا على أى حال هو حكم العقل وهى طبيعة الدعوة، ولم يرد فى قصص الأنبياء كلام عن نبى كانت دعوته سرية فى بدايتها أو فى أية مرحلة من مراحلها.

وأنتهز هذه الفرصة لأضيف أن سبب نزول الآيتين الأولى والثانية من سورة المسد، الذى يذكره ابن إسحاق، يختلف عن ذلك الوارد فى الرواية التى يسوقها الدكتور والتى فحواها أن أبا لهب قال للرسول عبارة « تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ » فى الاجتماع الذى يتحدث عنه أبوهريرة، فإن ما يقوله ابن إسحاق هو: وحُدثت أنه ـ أى أبولهب ـ كان يقول فى بعض ما يقول: يعدنى محمد أشياء لا أراها، يزعم انها كائنة بعد الموت، فماذا وضع فى يدى بعد ذلك، ثم ينفخ فى يديه ويقول تبا لكما، ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد فأنزل الله فيه:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾(٢).

(السيرة، القسم الأول، ص٣٥١) هنا إذن تعارض بين ما يقوله ابن إسحاق وما يقوله الإمامان. وقد أبديت عدة ملحوظات على قول ابن إسحاق هذا في تعليقى على الاقتباس رقم ١٧ (ص٢٨٨ من كتابى).

٤ ـ ويقول الدكتور عوضين: إننى أتجاوز كتب السنة الصحاح فلا ألتفت إلى ما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « ثم فتر الوحى عنى فترة، فبينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء الآن قاعد على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلى، فقلت: زملونى، زملونى، فأنزل الله ـ عز وجل ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾(٣).

وتعليقى على هذا هو، أولا، أني لم أرجع إلى كتب السنة الصحاح بصدد إعداد بحثى لأننى اقتصرت على القرآن الكريم كمرجع وحيد، وثانيا أننى لم أنكر فتور الوحي عن الرسول ﷺ، وثالثا، هو أن الرواية التى يسوقها الدكتور عوضين تتعارض مع ما ذكره

(٢) المسد (١).

(٣) المدثر (١:٥).

ابن اسحاق كسبب لنزول آيات سورة المدثر، فهو يقول: إن أشد ما لقى رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه، لا حر ولا عبد، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه، فأنزل الله عليه قوله: «يأيها المدثر قم فأنذر»، وقد تحدثت عن هذا الموضوع في ملحوظتي على الاقتباس رقم ٢ (ص٢٦٢ من كتابى).

٥ ـ لمعرفة ما إذا كان فى القران الكريم ما يؤيد مقولة الاستخفاء رجعت إلى ترتيب بلاشير لسور القرآن واستخرجت منه مجموعة السور التى يرجح أن تكون نزلت فى السنوات الثلاث الأولى من البعثة، وآياتها تبلغ نحو ١٢٠٠ آية، ولخصت مادتها، فوجدت الآتى:

أ ـ أن معظم مبادىء الإسلام الأساسية نزلت فى هذه الفترة، وهذا أمر لا غرابة فيه.

ب ـ أن مادة هذه الآيات كانت تتجه إلى الكافة لا إلى دائرة محدودة من الناس، الأمر الذى يستحيل معه تصور إمكانية إخفاء الدعوة.

ج ـ أن بعض الآيات القرآنية التى اقتبسها ابن اسحاق وأدرجها فى حديث الفترة التالية لفترة الاستخفاء والتى يرد فيها القرآن الكريم على دعاوى الكفار ويهددهم، إنما نزلت فى فترة الاستخفاء المزعومة وهو ما ينفى احتمال السرية.

والدكتور عوضين يخالفنى في هذا التخريج، ولكنه بدلا من أن يقدم أدلة عقلية أو نصية أو قرآنية تثبت عكس ما أقول، أى أن ما نزل من القرآن الكريم فى السنوات الثلاث الأولى من الدعوة كان أقل بكثير مما قدر بلاشير أو أن مبادىء الإسلام الأساسية لم ترد فيه أو أن الرسول ﷺ كان يأمر أصحابه بألا يذيعوا القرآن الذى تلقوه منه، أو أن ما نزل من القرآن الكريم فى السنوات الثلاث الأولى ليس فيه رد على دعاوى الكفار أو تهديد لهم، أثار مسائل مثل:

بلاشير

٦ ـ كيف تأخذ بترتيب بلاشير وتتجاهل كل التراث الإسلامى والعربى مما قدمه العلماء المسلمون على مدى تلك القرون المتطاولة؟

وإجابتى عن هذا السؤال هى:

أ ـ أن التراث الإسلامى والعربى لم يتفق على ترتيب واحد لسور القرآن الكريم، وهناك ـ فضلا عن ترتيب المصحف ـ بدل الترتيب ستة لعلماء مختلفين.

ب ـ أن الأستاذ ريجى بلاشير، الذى توفى عام ١٩٧٣ كان واحدا من أكبر المستشرقين الفرنسيين فى العصر الحديث، إن لم يكن أكبرهم وقد ترجم القران الكريم إلى الفرنسية ووضع ترتيبا لسوره اعتمد فيه على أعمال العلماء المسلمين والعلماء الألمان، الذين كان لهم باع طويل فى هذا الموضوع، وشفع

ترجمته للقرآن بمقدمة قيمة له. وقد ألف كتابا صغيرا عن الرسول ﷺ وآخر عن مشكلة كتابة السيرة المحمدية أفدت منه فى بحثى، وكان الأستاذ بلاشير يتردد كثيرا على مصر، وكانت له اتصالات عديدة بعلماء الأزهر الشريف، ولم يعرف عنه أنه كان معاديا للإسلام، وكانت جامعة القاهرة تدعوه أحيانا لإلقاء محاضرات فيها. وكان مديرا لمعهد الدراسات الإسلامية بباريس وأستاذا للفلسفة الإسلامية في جامعة السوربون العريقة «التى تفرعت عنها جامعة السوربون الجديدة التى قدمت إليها رسالتى»، وقد وجدت من اللائق والمفيد أن أستخدم ترتيب سور القرآن الكريم الذى وضعه الأستاذ بلاشير نظرا لأنى استخدمت ترجمته للقرآن في رسالتى، ونظرا لمكانته العلمية فى فرنسا، ولأنه كان أستاذا فى الجامعة التى فتحت لي أبوابها، وأتاحت لي فرصة تقديم دراسة علمية تصحيحية عن كتاب فى سيرة رسول الإسلام.

جـ - أن الجامعة الأزهرية كانت توفد إلى جامعة السوربون، التى كان الأستاذ بلاشير من أعلامها، بعض خريجيها للحصول منها على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، وقد ذكر الأستاذ الدكتور عبدالعظيم المطعنى أسماء بعض هؤلاء العلماء، فى أحد مقالاته عن كتابى فى صحيفة «عقيدتى» مثل الدكتور عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق، والدكتور محمد عبدالله دراز عضو جماعة كبار العلماء وأحد أعلام الأزهر فى العصر الحديث، والدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر فى الستينيات، ويمكن أن يضاف إليهم الدكتور عبدالحليم محمود، الذى تولى هو الآخر مشيخة الأزهر الشريف، وبين جامعة السوربون والجامعات المصرية علاقات ثقافية مختلفة فى الوقت الحاضر وتضم مدرجات هذه الجامعة والجامعات المتفرعة عنها كل عام آلافا من الطلبة العرب والمسلمين، بعضهم من مبعوثى الدول العربية والإسلامية، وتقدم إليها عشرات من رسائل الدكتوراه سنويا فى فروع الدراسات العربية والإسلامية.

على طريق التلاعب بالقرآن الكريم

تحت هذا العنوان يقرر الدكتور عوضين أن اندفاعى إلى غايتى الأصلية وهى نسف السيرة النبوية، دون أن يمنعنى من ذلك عقل أو قيم أو دين، جعلنى أوظف القرآن الكريم فى تحقيق مقصدى بتأويل ما جاء فى سورة البروج من حديث عن قصة أصحاب الأخدود.

والمجال لا يتسع هنا لعرض جميع الأسباب التى حملتنى على الشك فى أن يكون أصحاب الأخدود هم نصارى نجران الذين قتلهم ذو نواس ملك اليمن اليهودى لأنهم رفضوا اعتناق اليهودية، وترجيح أن يكونوا

شهداء من المسلمين أحرقوا فى أخدود حفر بمكة لأنهم رفضوا أن يفتنوا عن دينهم، وقد أعددت فى هذا الموضوع بحثا أرجو أن ينشر مع غيره فى وقت قريب، وأكتفى بأن أذكر هنا من هذه الأسباب سببين:

الأول هو أن وصف « المؤمنين » فى القرآن الكريم ينصرف دائما إلى المؤمنين بدين محمد ﷺ، والثانى هو أن رقم عشرين ألف قتيل من نصارى نجران، الذى يذكره ابن اسحاق، يعادل أربعين مثلا لمجموع من قتلوا فى حروب الرسول ﷺ، من المسلمين والكفار، أجل أربعون مثلا!!

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الخصوص أن د. إبراهيم عوض، الذى يخالفنى، مثل د. عوضين، في كل ما قلته عن سيرة ابن اسحاق، تناول موضوع أصحاب الأخدود بحذر شديد، فهو يقول إن كتب التاريخ والتفسير والسيرة تشير عند تعرضها لهذه الحادثة إلى ملك قديم « من العرب أو من غيرهم » كان يضطهد طائفة من رعاياه آمنوا بدين غير الدين الذى كان يعتنقه هو ورجال دولته فأضرم لهم نارا فى حفرة ورمى بهم فيها عقابا لهم على انشقاقهم على دين الدولة الرسمى، وهو يرى إن ما تقوله الكتب المذكورة معقول جدا ولكن على أن يفهم أن النصارى المضطهدين فى هذه القصة كانوا من الموحدين لا من أهل التثليث، وإلا لما وصفهم الله بالمؤمنين. (الصفحات ٦٧ : ٦٩ من كتابه) فالدكتور يتحفظ إذن بالنسبة للحاكم وبالنسبة لضحاياه وبالنسبة لباقى عناصر القصة.

وكلمة أخيرة:

يقول الدكتور إن وهم خيالى المريض جعلنى أملأ مائة وخمسين صفحة من كتابى بافتراضات مؤسسة على قولة (لابد). وهذا غير صحيح، فإن أكثر استخدامى لهذا التعبير لم يكن فى معرض التحليل، الذى يشغل الجانب الأكبر من رسالتى، ولكن فى معرض استخلاصى النتائج. وقد أكثرت - لدرجة الإفراط - فى استخدامه لكى يدرك القارئ أن الاستنتاجات التى خرجت بها من التحليل ليست جزما يقينا بشئ، وإنما هى ترجيحات ظنية تحتمل الخطأ، وما كان يمكن أن تكون غير ذلك.

وهذا التعبير مألوف عند المؤرخين والنقاد فى الغرب فى معالجتهم لاشياء لا تؤيدها وثائق ولا تقوم عليها شواهد أو أدلة قطعية، لا سيما حين يتعلق الأمر بالتاريخ القديم. والتحفظ الذى ينطوى عليه هذا التعبير يقابل ذلك الذى نجده عند المؤرخين والفقهاء المسلمين فى عبارة « والله أعلم ».

***

كتاب الشهر

عالم المعرفة

١٤٩

ماهية الحروب الصليبية

تأليف الدكتور

قاسم عبده قاسم

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

فى أعقاب ما أصاب الولايات المتحدة الأمريكية فى ١١ من سبتمبر سنة ٢٠٠١ جهر كثير من زعماء أمريكا ودول الغرب بما كانوا يضمرونه من عداوة وحقد على الإسلام والمسلمين، فلم يتورع كبيرهم عن التصريح بالدعوة إلى التحالف لحرب الإسلام والمسلمين بدعوى أنه بذلك يحارب الإرهاب والإرهابيين، ثم عاد هؤلاء جميعا، فزعموا أنهم ما أرادوا بما قالوا حقيقته، ولكنهم قصدوا جماعة محدودة جدا من بين المسلمين، هم الذين يدانون بالإرهاب والتعصب.

وقد بات كثير من المسلمين فى حيرة من أمر هؤلاء القادة الكبار حتى تفرق أمر المعلقين المسلمين حول ذلك بين مصدق مزاعم قادة الغرب بأنه سبق اللسان، ومكذب هذا الزعم، مستقر على أن الحقد الدفين استغل الموقف، فطفا على السطح، وجرى على الألسن فى هيئة تلك التصريحات المتوالية، فما أن صدر من الرئيس «جورج بوش» تصحيحه حتى بادرنى صديق سبق له الحوار معى فى ذلك قائلا: ألا تجد فى هذا التصحيح تأكيدا لما قلته لك من أنه لم يقصد بما قاله عن الإسلام والمسلمين تعميم الحكم، ولكن انفعاله أمام الحادث أنطقه بما قال؟

قلت: مهلا يا أخى، فالذى اعتدناه من هؤلاء الغربيين يؤكد أنهم ينطوون على تعصب أعمى ضد الإسلام، وحقد مرير عليه وعلى المسلمين، فهم ليسوا من السذاجة بالدرجة التى يندفعون معها إلى تعبير يخالف عقيدتهم، خصوصا أولئك الذين أقاموا حياتهم على النفعية البراجماتية.

ولو أمعنت النظر فى الظروف التى واتت هذه الأحقاد لتطفو على السطح، وتبرز من مكامنها، والظروف التى أحاطت بهؤلاء الزعماء والقادة، فنفوا قصد الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، وادعوا أنهم لا يكنون للإسلام والمسلمين إلا كل الخير لوجدنا اختلافا بينا بين هذه الظروف وتلك.

فهم فى الحالة الأولى يخاطبون شعوبهم ليدفعوها إلى كراهية الإسلام، ومعاداة المسلمين، وبذلك يضمنون استنفار شعوبهم ليضحوا فى سبيل تلك الحرب بأموالهم وأبنائهم، كمايضمنون ما هو أهم من ذلك، وهو صرف الكثيرين منهم عن الإقبال على الإسلام، فلقد طالما أقلقهم ما لاحظوه فى الأيام الأخيرة من أحاديث طيبة واعية عن الإسلام، مما كان وراء دخول كثيرين من بينهم فى الإسلام عن يقين وإيمان بأنه المرفأ الأصلح الآمن فى هذا الزمن المضطرب الرهيب.

وهم فى الحالة الثانية يجعلون من خطاب المقاصد حقنة مخدرة يحقنون بها المسلمين ليضمنوا سكوتهم على عربدتهم، إن لم يضمنوا عونهم على تلك العربدة.

ولا تظنن يا أخى أن فى هذا الكلام مبالغة، أو أن فى هذه النظرة انحرافا وتجنيا على الحقيقة، فعلاقة الغربيين بالإسلام والمسلمين منذ نحو ألف عام تقرر هذا فى إجماله وتفصيله، وماعلينا إلا أن نصيخ السمع لما يصيح به تاريخ الحروب الصليبية لنتأكد من أن الحركة الصليبية حركة استعمارية استيطانية تمثل السابقة الأولى لمحاولة استعمار العالم العربى بضرب الإسلام تحت راية الدين المسيحى، وتحت شعار الصليب، وتذكرنا دوافعهاوأطوارها ونتائجها بالحركة الاستيطانية الصهيونية التى تتخذ من الدعاوى التاريخية الدينية تعليلا لها.

من هنا.. وجدت المناسبة تفرض علينا أن نستعرض واحدا من الكتب التى تناولت أطوار الحروب الصليبية وأهدافها فى إيجاز غير مخل.

ماهية الحروب الصليبية.. الكتاب والكاتب

أما الكتاب فهو من إصدارات المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت - سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٤٩ فى شوال سنة ١٤١٠هـ مايو ١٩٩٠م، ويشغل ستا وخمسين ومائتى صفحة من القطع المتوسط، ويضم مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

وأما الكاتب فهو الدكتور قاسم عبده قاسم، وهو - كما جاء فى ذيل الكتاب - من مواليد القاهرة، حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٧٥، عمل أستاذا بقسم التاريخ بجامعة الزقازيق ٨٤ - ١٩٨٧م، وحصل على جائزة الدولة التشجيعية من مصر ١٩٨٣م، وحصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من مصر سنة ١٩٨٣م، وله كثير من المؤلفات التى تدور حول تاريخ الحروب الصليبية، ويعمل حاليا - يعنى سنة ١٩٩٠م - أستاذا بجامعة الكويت.

والكتاب ليس تاريخا للحروب الصليبيةولكنه بحث فى الأفكار التى وجهت لها، والدوافع التى دفعت إليها، والنتائج التى تخلفت عنها، فهو إلى فلسفة التاريخ أدنى منه إلى التاريخ.

ولقد حرص المؤلف على أن يعتمد على الوثائق القديمة والحديثة قدر الإمكان، وأن يستقرىء ما قدمه المؤرخون الأوروبيون والعرب على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم منذ بدأت تلك الحروب، وأن يوازن بين ما يقال وما وقع بالفعل بعد أن يربط الأحداث بعضها ببعض.

فالمؤلف يحاول التعرف على التفكير الأوروبى الذى أفرز تلك الحروب، والوقوف على الدوافع والأسباب التى دفعت عجلة أحداثها، والظروف التاريخية التى أحاطت بها، ثم الوقوف على آثارها فى العالم العربى الذى عانى من جراء وقائعها على مدى أكثر من قرنين من الزمان.

والمؤلف - فى محاولاته تلك - يومىء إلى العلاقة بين تلك الحروب، وما يتعرض له المسلمون اليوم فى الأرض العربية وغير العربية من غزو غربى صهيونى، تحت مختلف العناوين والمصطلحات.

ارتباط الحرب بالصليب

وفى الفصل الأول «فكرة الحروب الصليبية.. منظور تاريخى» يذكر المؤلف أن هذه الحروب ارتبطت بالصليب بعد حوالى قرن ونصف من بداية أحداثها، ليكشف التناقض بين ما يرمز إليه الصليب من الفداء والتضحية بالنفس فى سبيل

الآخرين، وما امتزجت به أحداثها من القسوة والوحشية والتدين المشوب بالتعصب.

ويذكر أن تلك الحرب كانت فى البداية تتخفى وراء الستار الدينى فكان من يشاركون فيها يوصفون بأنهم حجاج، وكان يطلق فى الغالب على الحملة «رحلة الحج».

ومع ذلك... فلقد وسمت هذه الحروب فى كثير من كتابات المؤرخين اللاتين الذين عاصروها بأسماء مختلفة منها: «الحملة، والرحلة إلى الأرض المقدسة، والحملة العامة، ومشروع يسوع المسيح».

كما أن مؤلفاتهم جميعًا خلت من ذكر كلمة «الصليبيين» أو «الحملة الصليبية»، ولكنها دارت حول الحملة، أو «حجاج البيت المقدس» أو «الفرنج»، وعلى الرغم من الفشل النهائى الذى منيت به هذه الحرب، تحول المثال الصليبى بمرور الوقت - بفعل الخداع الإعلامى - من العمل فى خدمة الاستعمار الأوروبى، إلى مثال براق خير يوحى بالتضحية بالنفس فى سبيل المثل الأعلى، حتى أصبح مصطلح «الحملة الصليبية» يستخدم بهذا المفهوم النبيل، والخير والعادل.

ويذكر المؤلف أن الأدبيات العربية القديمة التى تناولت تاريخ الحركة الصليبية لم يستخدم فيها مصطلح «الصليبيين» أو «الحملة الصليبية» أو «الحرب الصليبية»، وإنما عبر عن ذلك بعبارات مثل «حركة الفرنج»، كما وصفوهم على الدوام بكلمة «الفرنج».

وعندما بدأت من جديد فى القرن التاسع عشر محاولات النهوض الثقافى والفكرى فى العالم العربى - بعد أن توقف مدة طويلة - وقع كثيرون من المؤرخين والأدباء العرب فريسة الانبهار بالتقدم الأوربى، فبدأوا يستخدمون مصطلح «صليبى»، و«حملة صليبية»، و«حروب صليبية» فى تناولهم للظاهرة التى درج أسلافهم على معالجتها تحت مصطلح «الفرنج»، و«حركة الفرنج».

ويعلق المؤلف على ذلك بأن مكمن الخطورة فى هذا التغيير أنه يوحى بأن هذه الحركة كانت حركة دينية ترتبط بالصليب رمز المسيحية ولا تضعها فى إطارها الصحيح باعتبارها مغامرة استيطانية متعصبة، كما إن هذا التغيير - من ناحية أخرى - يظلم المسيحيين الشرقيين الذين عانى كثير منهم من وحشية الفرنج وعداوتهم.

الأفكار التى أفرزت هذه الحروب

ومن النظر فى التطور التاريخى فى العقلية والوجدان الأوربيين بسماته الثقافية المعروفة فى العصور الوسطى يقفنا المؤلف على أن الافكار التى أفرزت هذه الحروب تولدت عما شاع فى أوروبا الغربية من قرب نهاية العالم، مع اكتمال الألف الأولى بعد المسيح، حيث ظهر فى عدة أماكن فى أوروبا الغربية بعض ظواهر فلكية وطبيعية، مثل ثورة بركان فيزوف فى إيطاليا رآها الناس دليلا على اقتراب نهاية العالم، وساعد على نشر هذه الشائعات ما كان عليه الأساقفة والقساوسة من تدن فى مستواهم الفكرى، وسلوكهم الأخلاقى، وما كان عليه الغرب الأوروبى من جهل جعل الدين عندهم مزيجا من الخرافة، وطقوس عبادة الطبيعة، وبعض تعاليم الكنيسة ويسر لديهم رد الظواهر الطبيعية إلى قوى غيبية من ناحية، وربطها باقتراب نهاية العالم والأفكار الألفية الأخرى من جهة أخرى.

وفى ظل سيطرة المشاعر الألفية والأخروية على وجدان الناس أصبحوا تواقين لضمان الخلاص الذى تحول إلى التأكيد على ضرورة الرحلة إلى بيت المقدس.

ومن هنا تداول الناس - على اختلاف مشاربهم فى غرب أوروبا الكاثوليكية - أخبار الإشارات المقدسة، مثل هجوم الجراد بشكل وبائى، والنجوم التى أمطرتها السماء، وغير ذلك مما ربطه الناس بما جاء فى سفر الرؤيا.

ويروى المؤلف عن « بلدريك الدوللى » أن هذا الخبر الذى ارتبط بسفر الرؤيا لم يكن نتيجة الدعوة الرسمية التى وجهتها البابوية إلى الفرسان الإقطاعيين للمشاركة فى الحملة الصليبية، وإنما كانت نتيجة استجابة الفقراء السريعة التى نجمت عن معاناتهم بسبب تدهور المحاصيل فى السنوات القليلة التى سبقت خطبة البابا « أربان الثانى »، إذ كان من السهل عليهم أن يرحلوا من بلادهم بحثا عن خلاصين، خلاص دنيوى من الفقر، وخلاص أخروى من جزاء الخطايا، وبحثا عن سبيل يوصلهم إلى مستقبل أفضل، وهو مستقبل حملته الجموع الجاهلة بأحلام أخروية غامضة.

وعلى الرغم من أن هذه الأفكار والتوقعات التى دارت حول اكتمال الألف الأولى فى التقويم المسيحى، وما أفرزته من أخبار المعجزات والخوارق والأحلام المقدسة كانت كل هذه الأفكار من روافد « الأيديولوجية » التى صاغت الحملة الصليبية، إلا أنها فى التحليل الأخير لم تكن عامل الحسم فى الوصول إلى صيغة الحملة الصليبية، وإنما كان الفضل فى ذلك راجعا إلى تسليح الحج المسيحى من ناحية، وفكرة المكافأة التى ينالها الصليبى من ناحية أخرى،.. تلك التى تطورت لتصل إلى صكوك الغفران.

ومن ناحية أخرى لعبت تجارة « الذخائر المقدسة » دورا هاما فى إثارة الاهتمام بالأرض المقدسة فى الغرب الأوربى، من رفات القديسين وملابسهم، وأدواتهم الشخصية.

هذا إلى أن عجز الكنيسة عن التصدى لتيار الحج العاطفى الذى ظل يجذب الناس فى غرب أوروباإلى الأرض التى شهدت قصة المسيح.. هذا العجز جعلها تلجأ إلى اختراع الحج التكفيرى « حج التوبة » ليكون عقوبة كنسية على الجرائم الكبرى، مما كان سببا فى تزايد الناس فى الإقبال على المشاركة فى رحلات الحج.

وبذلك استقر فى ضمير الناس فى غرب أوروبا فى القرن الحادى عشر الميلادى، أن رحلة الحج تتويج لحياة المرء، يتمنى المتدينون أن تكون هى الخاتمة المناسبة لرحلتهم فى الحياة الدنيا، فكثرت تلك الرحلات.

من ذلك يرى المؤلف أن الحملة الصليبية كانت التطور المنطقى للحج المسيحى إلى فلسطين، إذ لم تكن فكرة الحملة الصليبية لتطرأ على بال أحد لو لم تكن رحلات الحج الكاثوليكية قد استمرت منذ فترة باكرة، وحتى أخريات القرن الحادى عشر.

وهكذا اختلطت فكرة الحج بفكرة الحملة الصليبية، وأصبحت كل منهما تعنى الأخرى فى بداية الحركة الصليبية، ثم توارت فكرة الحج فى الخلفية، على حين صارت فكرة الحملة الصليبية تعنى « جندى الرب » فكان الغفران استجابة لحاجة

الناس التواقين إلى الخلاص من ناحية، واستجابة لمتطلبات الحركة الصليبية من ناحية أخرى.

ثم حدث تطور جديد وهام، فقد صارت البابوية تمنح الغفران لمن يرسلون المحاربين بدلا منهم، ولمن يساهمون بأموالهم فى تمويل إحدى، الحملات الصليبية، عوضا عن المشاركة بأنفسهم.

ونتج عن توسع البابوية فى استخدام الفكرة الصليبية فى شن الحرب ضد خصومها داخل أوربا الكاثوليكية نفسها.. فتح الباب على مصراعيه أمام فكرة شراء الغفران بالمال، وهو الأمر الذى أدى إلى ظهور مشكلة صكوك الغفران التى ثار ضدها مارتن لوثر فيما بعد.

ومن هنا.. كانت الدعوة إلى أى حملة صليبية تبدو فى نهاية القرن الثالث عشر للكثيرين من رجال الكنيسة والعلمانيين مجرد وسيلة لجمع الأموال للبابوات والفرسان لاستخدامها فى عدة أغراض لا تتصل بالحرب ضد المسلمين فى فلسطين.

ويرى كثير من الباحثين أن « جريجورى السابع » هو الذى صاغ فكرة الحرب المقدسة فى شكلها النهائى، وأحدث نقلة نوعية فى موقف المسيحية من الحرب، وقد استخدم عبارة جيش المسيح للمرة الأولى بالمعنى الدنيوى، وليس المعنى المجازى الذى استخدمه القديس بولس.

تحالف المنتفعين للدعوة إلى الحملة

وفى الفصل الثانى « الظروف التاريخية والدوافع » ذكر المؤلف أن أوربا حتى القرن الحادى عشر كانت مجرد منطقة جغرافية لم تتشكل بعد على المستوى السياسى وأنها كانت مجرد منطقة ريفية متخلفة بالقياس إلى العالم البيزنطى، والعالم العربى الإسلامى، إذ كان حضارة هذين العالمين قد وصلت إلى قمتها، وبدأت فى التآكل، بسبب الصراع الداخلى بين البيزنطيين، وبسبب التشرذم السياسى فى العالم العربى الإسلامى رغم احتفاظه بإمكانياته العسكرية والبشرية الهائلة، وثرواته الأسطورية، بينما كانت الكنيسة الكاثوليكية فى أوربا تسعى لفرض السيادة المطلقة على العالم المسيحى متضامنة مع العلمانيين الذين خضعوا للتنظيم الإقطاعى، والذين كانوا يتوقون إلى توسيع سلطانهم وأملاكهم على حساب الملكية، ومع البرجوازيين الناشئين الساعين لفرض سيطرتهم على تجارة البحر المتوسط، وتجارة العالم.

ومن تضامن هذا الثالوث برزت الدعوة إلى غزو العالم العربى الإسلامى استجابة للفكرة الصليبية، وفق التفسير الخاص الذى يناسب مصالحهم وساعد هؤلاء فى تحالفهم أن أوربا قد أيقنت فى ذلك الوقت أن طاقتها الحضارية النامية أكبر من أن تستوعبها أراضيها الضيقة، فأخذت تسعى لإيجاد منافذ خارجية لها، وقد كان هذا هو أهم أسباب التوسع الذى شمل جهات عديدة.

وقد شهدت السنوات العشر التى سبقت الدعوة إلى الحملة الصليبية الأولى سلسلة متصلة من الفيضانات والمجاعة، والأوبئة الفتاكة، فكان من الطبيعى أن يكون رد فعل الناس التعلق بأهداب الدين، أو محاولة التكفير عن الذنوب، والتجمع حول الزاهدين والنساك بحثا عن الخلاص، ولذا راقت الدعوة التى وجهها البابا لشن حملة صليبية ضد المسلمين فى عيون الفلاحين والفقراء، ورأوا فيها نبوءة تعدهم بالخلاص، خصوصا أنهم كانوا

يستمدون معلوماتهم من قساوسة الأبرشيات الأميين، فكانت كلها معلومات تتسم بالجهل والتعصب، والتزمت المقيت.

وهكذا كانت الأوضاع الاجتماعية المحيطة، والجو الفكرى المشبع بالخرافات، والتدين العاطفى، والتعصب الأعمى من أهم الدوافع التى حركت المقهورين من أبناء الغرب الأوربى فى القرن الحادى عشر الميلادى إلى المشاركة فى الحملة الصليبية وكانت هذه الحملة تعنى بالنسبة للفلاحين وعامة سكان المدن الذين ساهموا فيها شيئا يختلف عما قصده البابا.

أى أن رغبة بعض الأفراد فى المغامرة والنهب، مع تطلع رجال الكنيسة إلى السيطرة، قد اجتمعا لدفع عامة الأوربيين للقيام بتلك الحملة، سعيا وراء التوسع، وبحثا عن فرصة لحياة أفضل تحت سماء الشرق ومحاولة للفوز بالثروة الطائلة التى ينعم بها العالم الإسلامى، وقصدا للحصول على دور المسلمين فى تجارة العالم، فتجمعت كل هذه القوة - الفلاحون والفرسان ورجال الكنيسة - فى شبكة واحدة للتوسع والنمو فى مشروع الحملة الصليبية الذى طرحه البابا «أربان الثانى» فى خطبته التى ألقاها فى ٢٧ من نوفمبر سنة ١٠٩٥م.

وقوع العرب فريسة للتمزق السياسى والتناحر العسكرى

وكما أظهر المؤلف دوافع التحالف بين رجال الكنيسة والإقطاعيين، والبرجوازيين - على الرغم مما بينهم من تنافر - للقيام بتلك الحملة الصليبية، أظهر فى المقابل ما كان عليه العرب من تمزق سياسى وتناحر عسكرى كان له الفضل الأكبر فى تحقيق انتصارات الحملة الصليبية الأولى والاستيلاء على الإمارات العربية والإسلامية الصغيرة فى بلاد الشام.

ففى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى كان المسلمون فى المنطقة العربية موزعين فى ولائهم السياسى بين الخلافة العباسية السنية فى بغداد، والخلافة الفاطمية الشيعية فى القاهرة.

وقبيل الحملة الصليبية الأولى كانت كل مدينة كبيرة فى بلاد الشام إمارة مستقلة، تحت حكم حاكم عربى، أو حاكم تركى سلجوقى، وكانت مشاعر الحقد والشك المتبادلة بين هذه الكيانات السياسية الصغيرة سببا فى العداء السياسى والعسكرى والذى نشأ عنه تنافر هذه القوى، وعدم توحدها فى جبهة تواجه الغزو الصليبى، بل كانت سببا فى تورطها فى الحروب المنهكة على مدى قرن كامل قبل قدوم الصليبيين، فلما قدموا لم يكن لدى الحكام العرب سوى ميراث طويل من الشك والمرارة يسود علاقة بعضهم ببعض.

ومن هنا.. مضت قوات الصليبيين كما تمضى السكين فى قطعة الزبد، فسقطت الإمارات العربية واحدة تلو الأخرى، مما أحدث صدمة عنيفة لجميع القوى الإسلامية أثارت فيهم الفزع والاضطراب.. ومع ذلك فإن الأنانية وضيق النظر جعل تلك الصدمة وذلك النذير بدون فائدة.

اندفاع أوربى جارف للحملة الأولى

وفى الفصل الثالث «الحملات الصليبية.. عرض تاريخى» قدم المؤلف عرضا تاريخيا للحملات الصليبية بدءا من الحملة الأولى، وانتهاء بالحملة السابعة مبينا ما كان وراء كل حملة من

دوافع، وما كان لها من مقاصد، وما ووجهت به من مقاومة عربية إسلامية، فأبرز دور الخطبة التى ألقاها البابا «أربان الثانى» فى إثارة الجماهير الأوربية، مستغلا سلطته الدينية، فى تفسيره لبعض النصوص الإنجيلية، فقد دعا فى هذه الخطبة إلى حملة مقدسة هدفها فلسطين، زاعما أنه يدعو إلى ذلك باسم الرب، لأنه نائب عنه فى الأرض، ومستثيرا الفرنج بامتداح شجاعتهم وقدراتهم القتالية، والتذكير بأمجاد أسلافهم، وواعدا بمنح غفران جزئى لكل من يشارك فى هذه الحملة سواء مات فى الطريق أو قتل فى حرب المسلمين، مردداً، Deus lo Volt أى الرب يريدها، فأصبحت شعارا يردده الصليبيون فى كل معاركهم ضد المسلمين.

وكانت استجابة الناس من أبناء الطبقة الدنيا فى غرب أوربا سريعة وحماسية، كما كانت بمثابة صدام حضارى وسياسى بين البيزنطيين ورجال الحملة الصليبية، وعلى الرغم من زعمهم أنهم جاءوا لنجدتهم، إذ كان عليهم أن يعبروا إلى الشرق العربى مدينة القسطنطينية الجميلة، بوابة الشرق، والمدخل الكبير إليه.

وأمام التشرذم السياسى للحكام العرب، صادفت الحملة أنسب الظروف لتحقيق انتصار سريع لم يخطر لهم ببال، تمكنوا من اقتحام مدينة القدس، يوم الجمعة ٢٢ من شعبان سنة ٤٩٢ هـ - ١٥ من يوليو سنة ١٠٩٩، فعاثوا فيها فسادا وظلوا بين النهب والقتل عدة أيام، حتى فاض الدم فى الشوارع وظلت الجثث مطروحة عدة أيام.

هكذا أسفرت الحملة الأولى عن قيام مملكة بيت المقدس وإمارتين صليبيتين فى الرها وأنطاكية.

ولما أدرك الأوروبيون أنهم أقل كثيرا من العرب والمسلمين أصحاب البلاد، عملوا على تشجيع الهجرة الأوروبية إلى فلسطين، كما إن أخبار النجاح شجعت عناصر أوروبية جديدة على القدوم إلى الشرق، سعيا وراء المغانم التى شاعت أخبارها.

مع التحول الإسلامى فى مواجهة الحملات الأخرى

وكان رد الفعل الإسلامى منطلقا من جماهير الناس العاديين، فشكل رأيا عاما قويا بدأت على أثره الدعوة إلى الجهاد تسرى بين الناس بسرعة كبيرة، وكانت ثمرة ذلك ظهور عماد الدين زنكى ليقود حركة الجهاد والمقاومة العربية بعد أن تغلب على النعرات الفردية، والانعزالية فى بلاد الشام والعراق، والجزيرة، وأصبح الطريق ممهدا أمامه لتوجيه ضربة قوية للصليبيين سنة ٥٣٩ هـ - ١١٤٤م.

ولكن الأوروبيين بدأوا يدعون إلى حملة أخرى سنة ١١٤٥م - فتجمعت قوات «كونراد الثالث» إمبراطور ألمانيا، وقوات لويس السابع ملك فرنسا بعد أن أخذا شارة الصليب، فوصلت القوات فى أواخر سنة ١١٤٧، وبداية سنة ١١٤٨ مشكلة الحملة الثانية، لتلقى على أيدى المسلمين هزيمة فادحة، نجا منها الملك الفرنسى من الأسر والقتل بأعجوبة، بعد تمزق جيشه.

ومع توحيد الجهة الشمالية تحت قيادة نور الدين محمود، واستمرار هجماتها ضد الصليبيين اتجهت الأنظار إلى مصر التى كانت تعانى من الضعف السياسى آنذاك، ولكنها بمواردها البشرية والاقتصادية الكبيرة كانت كفيلة بترجيح كفة من يضمها إلى جانبه.

ومن هنا عمل نور الدين محمود على أن يسبق الصليبيين ليضمها إلى صفه دون انتظار لنهاية الدولة الفاطمية، فنشب صراع عنيف بينه وبين الملك الصليبى « أماليك » المشهور باسم « عمورى » الذى نتج عن فشله فى محاولاته تقلص الموارد البشرية والمادية لمملكة بيت المقدس اللاتينية من جهة، وتغيير خريطة العلاقات السياسية لصالح القوى العربية الإسلامية من جهة أخرى.

وبموت نور الدين محمود وانفراد صلاح الدين الأيوبى بالسلطة فى مصر الذى تمكن من توحيد الجبهة العربية الإسلامية، وتحقيق الانتصار على زهرة جيوش الفرنج عند حطين فى ٢٤ من ربيع الآخر سنة ٥٨٢ - ٤ من يوليو سنة ١١٨٧م - فقدت مملكة بيت المقدس قواتها العسكرية الرئيسية، ولم يتبق بأيدى الصليبيين سوى « صور - أنطاكية - طرابلس » وبعض القلاع والحصون المتناثرة فى بلاد الشام.

عندئذ قام البابا « جريجورى الثامن » بإرسا خطاب بابوى لكل المؤمنين فى الغرب يحضهم على التحرك لحرب المسلمين، فتدافعت القوى من كل جانب إلي بلاد الشام لتبدأ معارك الحملة الصليبية الثالثة التى خيبت آمال الأوروبيين والفرنج، وحولت آمالهم إلى إحباط.

ومرت بالبلاد العربية عدة تقلبات، حيث مات صلاح الدين فى ٢٧ من صفر سنة ٥٨٩ - ٤ من مارس ١١٩٣، وساد العلاقة بين الأيوبيين شيء من التوتر والخلاف، فتجددت آمال الأوروبيين فى الاستيلاء على بيت المقدس، وضرب مصر، ونهض البابا « إنوسنت الثالث » يدعو إلى حملة جديدة يكون هدفها مصر، فبدأ الاستعداد للحملة الرابعة، ولكن الصليبيين بعد تجمعهم توجهوا لحصار القسطنطينية بدلا من القاهرة.

ثم خرجت من أوربا الغربية حملة عجيبة عرفت باسم « صليبية الأطفال » تعبيرا عن التدين العاطفى الذى ملك على الأوروبيين عقولهم، واستجابة لرد الفعل الشعبى لفشل البابوية وحكام أوربا فى أخذ مدينة القدس.

ومع ذلك نهض البابا « إنوسنت الثالث » يدعو لحملة صليبية جديدة، هدفها مصر، لتمكين المدن التجارية الإيطالية من السيطرة علي تجارة المتوسط، وضرب المنافسة المصرية، ولتحييد مصر بعد هزيمتها، ولاسترداد الشرف العسكرى الذى تمرغ فى التراب، بهزيمة حطين.

ولكن هذه الحملة انتهت بهزيمة منكرة، قضت على أحلام الصليبيين فى شهر رجب سنة ٦١٨ هـ - سبتمبر ١٢٢١م، فكانت آخر المحاولات البابوية المنفردة لتوجيه حملة صليب.

البابا يعاقب من رغب فى السلام

ويذكر المؤلف أن الصليبيين والبابوات فى فلسطين لم يحاولوا الإفادة من سياسة المهادنة التى اتبعها المسلمون بقيادة السلطان الكامل الأيوبى، ولم يستجيبوا لها، ولكن « فردريك الثانى » إمبراطور ألمانيا ١٢١٥ - ١٢٥٠ كان مختلفا، حيث أبدى استعدادا للإفادة من الروح السلمية البادية فى موقف السلطان الكامل، لأنه كان واسع العلم، غزير المعرفة، يكن للمسلمين ودينهم وحضارتهم تقديراً كبيراً، فتواصلت المراسلات بينه وبين السلطان الكامل، لتسفر عن قدوم الإمبراطور إلى

فلسطين سنة ٦٢٥ هـ-١٢٢٨م، مما أثار غضب البابا فى روما، الذى دعا إلى شن حرب صليبية ضد «فردريك الثانى» بعد أن وقع ضده عقوبة الحرمان، بينما كان الإمبراطور فى فلسطين يؤدى واجبه الصليبى الذى تجنب فيه إراقة الدماء وعقد هدنة مع السلطان الكامل مدتها عشر سنوات يتسلم بمقتضاها مدينة القدس وبيت لحم وشريطا من الأرض يصل بين عكا والقدس على أن يبقى فى حوزة المسلمين المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمناطق الريفية وفى المقابل يتعهد «فردريك» بمنع أى حملة صليبية من أوربا طوال عشر سنوات ثم عاد إلى أوربا فى يونيو سنة ١٢٢٩م متوجا ملكا على مملكة بيت المقدس ومحققا كسبا لم تستطع أى حملة قبله أن تحققه، وأمام غضب العالم الإسلامى لهذا الاتفاق بعث السلطان سفراءه إلى كل مكان ليبرروا فعلته.

وفى سنة ٦٤٧هـ- سنة ١٢٤٩م تواترت الأنباء عن قدوم حملة جديدة تحت راية الصليب بقيادة «لويس التاسع» لاحتلال مصر وفى العشرين من شهر صفر سنة ٦٤٧هـ- ٤ من يونيو سنة ١٢٤٩م نزل الصليبيون قبالة دمياط التى لم تصمد طويلا فنقل السلطان معسكره إلى مدينة المنصورة حيث بدأت حرب العصابات إلى أن أصبح الظاهر بيبرس سلطانا فقاد الجيش فى معركة رهيبة قرب فارسكور قضى فيها على الجيش الصليبى وتم أسر «لويس التاسع» حيث بقى سجينا حتى أفرج عنه لقاء فدية كبيرة مع الجلاء عن دمياط.

وكانت تلك الحملة الصليبية السابعة آخر المحاولات الأوربية ضد مصر لكنها لم تكن آخر الجهود الصليبية على أى حال.

وظلت الجهود العربية الإسلامية بقيادة بيبرس ثم بقيادة السلطان المنصور قلاوون تطارد الصليبيين إلى أن انحصروا فى عكا وصيدا وعتليت سنة ١٢٨٩م ولما اعتدى بعض الصليبيين الإيطاليين سنة ٦٨٩هـ- سنة ١٢٩٠م على المسلمين نهض السلطان لتأديبهم ومع وفاته تولى ابنه الأشرف خليل قيادة الجيش ليقضى على الصليبيين تماما وتنتهى دولتهم فى فلسطين تماما.

ومع ذلك ظلت بقايا الصليبيين الذين فروا إلى قبرص ورودس مصدر إزعاج للمسلمين فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

أبرز آثار الحملات الصليبية

وفى الفصل الرابع «الحصاد، أو أثر الحروب الصليبية فى العالم العربى» يذكر المؤلف أن من أبرز آثار الحملات الصليبية إدراك العالم العربى أن مؤسساته السياسية القائمة غير قادرة على قيادته سياسيا وعسكريا ومسارعته إلى فرض صياغة سياسة جديدة تضع الدولة الموحدة بدلا من الكيانات السياسية الهزيلة وتقوم على أسس عسكرية تضع كل الموارد فى خدمة المجهود الحربى.

٢- أما آثار تلك الحروب الاجتماعية فقد كانت أكثر وضوحا فى بلاد الشام لأن البنية السكانية وعلاقات القوى الاجتماعية والنظام القيمى والأخلاقى قد اهتزت كثيرا نتيجة الاستيطان الصليبى الذى مكث حوالى قرنين من الزمان بالإضافة إلى ما أحدثه استمرار الحروب من تأثيرات.

وكان من آثار ذلك أن أصبحت مصر هى

المعقل الأخير الآمن للحضارة العربية والإسلامية حيث دفعت الغزوات التترية بالكثيرين من أهل العراق والشام إلى مصر، ودفع هجوم الكاثوليك على مسلمى الأندلس بالكثيرين كذلك إلى مصر.

٣- وفى الميدان الأخلاقى كان لتلك الحملات من الإفزازات السلبية ما يفوق إفرازات الحروب العادية فقد امتلأت النفوس بالغضب ومشاعر الإحباط والمرارة.

٤- وفى المجال الاقتصادى عانت الزراعة من التدهور والتخريب فى بعض المناطق واضمحلت بعض المدن التى كانت التجارة فيها مزدهرة كما ساءت أحوال الفلاحين.

هذا إلى أن بلاد الشام عرفت عددا من الصناعات والحرف التى اكتسبت لنفسها شهرة تاريخية فى العالم المعروف آنذاك بينما تجلى فى التجارة الآثار السلبية للحروب الصليبية.

وهكذا يتضح أن الحروب الصليبية كانت صداما عسكريا ومواجهة حضارية طويلة مضنية بين الشرق العربى الإسلامى والغرب الأوروبى الكاثوليكى.

فالكتاب- على وجه الإجمال- محاولة جادة من مؤلفه لرسم صورة شاملة لحقيقة الحركة الصليبية بعيدا عن التفاصيل التاريخية وهو مسعى عقلى- كذلك- للوقوف على الأفكار التى أفرزت تلك الحركة كما أنه نظر فاحص لتبيان الدوافع المتنوعة التى حركتها وتتبع مدقق لإبراز تأثيراتها السلبية فى العالم العربى وفى الحضارة العربية الإسلامية بوجه عام.

ولقد بذل المؤلف جهدا شاقا فى محاولاته تلك بدت فى تقلبه بين خضم هائل من الوثائق القديمة والحديثة وبحر محيط من المراجع والمصادر المتضاربة مع نظر يقظ مقارن بين ما كان وما هو كائن اليوم من أحداث مازالت تفرزها الأفكار والأيديولوجيات الصليبية نفسها كان وراء ما يعانيه العالم العربى والإسلامى من تآمر وضغط واستعمار واستيطان وعمل متواصل حتى يظل على جموده الحضارى وخوائه الاقتصادى وفراغه الثقافى.

وعلى الرغم من أن المؤلف حرص كل الحرص على أن يجنب دراسته تلك أسباب التعقيد فقدمها فى أسلوب عربى سهل لكنه لم يستطع تجنيب القارىء الخوض فى غمار الأحداث التاريخية الكثيرة، بل إن الملاحظ أنه - وقد حاول تجنيب القارىء ذلك - أوقعه فيما هو أخطر وهو تكرار كثير من الأحداث حيث يقدم الحدث مجملا ثم يذكره معززا بالوثائق التى تنبئ به ثم يعود فيذكره عند الموازنة أو استخلاص الأثر أو التعريف بالنتيجة من كل ما يحوج القارئ إلى التأنى ومعاودة النظر فيما تقدم.

ومع ذلك.. فالكتاب جهد مشكور يذكرنا مضمونه بأن ما يصنعه الغرب الأوروبى والعصابات الصهيونية اليوم فى العالم العربى الإسلامى ان هو الا امتداد لما حاولوه فى القرون الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر الميلادية ويجعلنا نضرع إلى الله أن يوفق أمتنا إلى من يوحد كلمتها ويجمع شملها كما وفقها من قبل ليدفع عنها ما دفعه عنها من قبل والله المستعان فى البدء والمنتهى.

عرض وتقديم
الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

د/ عاصم حمدان

لقد شعر المؤلف بدين أدبى فى عُنقه حول مدينة رسول الله ﷺ وتاريخها الحافل بأدبائها وشعرائها وأحداثها، فأخرج من الآثار العلمية ما ينبىء عن هذا الحب الخالص مُؤلفا ومُترجما ومبدعا، ومازال بعد ذلك يحس قصورا فيما أبدع وألف وترجم، فهو يَعدُ القراء بالمزيد، ونحن منتظرون.

وقد صدَق حين جعل العنوان « صفحات من تاريخ الإبداع الأدبى بالمدينة » لأن « مِن » التبعيضية هذه تدل على أن التاريخ الحافل للمدينة لا تسعه صفحات كتاب، وحَسبُ المؤلف أن يختار من هذا التاريخ ما يمثل لبنة متواضعة فى هذا الصرح الحافل، على أنه أجاد إجادة تامة فى كثير مما عناه بالتحليل.

وفى مقدمة الكتاب وما يليها حديث عمّن كتبوا عن المدينة على مر العصور فأحصاهم عدا قدر ما يستطيع إذ أن فى رَحِم الغيب من هؤلاء من لاتزال آثاره مطمورة تُسائل الباحثين هاتفة بقول الله:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾(١).

وفى رأيى أن الدكتور عاصم أصْلَح من يكتبُ عن هذه الأسفار كتابة مستفيضة شافية، بحيث يستقل جزء ضاف بهذا المنحى، فيبرز أثر كل مؤرخ، وممن أخذ وما أضاف وما أخطأ فيه وهذا عمل شاق تنوء به العصبة أولو القوة ولكن الثقة فى الدكتور عاصم تدفعنا إلى رجائه أن يكون بمقدرته المعهودة مؤرخ المؤرخين، وناقد الموجهين، ومؤلفاته الجيدة ترشحه لذلك عن اقتدار، وذلك حق لا مرية فيه، وقد آثر الباحث الشاعر « جعفر البيتى » ببحثه الخاص، ودفعه هذا الحب إلى النظر إليه أو إلى شعره على وجه الدقة بمنظار مكبر، حيث ألبسه لباساً فضفاضا كاد يغرق فى ذيوله الضافيات، فالشاعر البيتى هو فى الحقيقة دون إجحاف ابن عصره، ولم يخرج عن منحى العصر الأسلوبى فى شىء مهما نظم القصائد المطولة، التى عدها الباحث العطوف من طراز الملاحم! وقد خالف جمهرة الباحثين فى الحكم على شعر هذا العصر بعامة وعلى الشاعر بخاصة حين عد جعفر البيتى استثناء من نفر متواضع زاملوه وَسَاَوْوه، وأنا أدله على كتاب تحت عنوان « الأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى » ظهر فى الستينيات للأستاذ محمد سيد كيلانى حيث تحدث عن

(١) التكوير (٨).

معاصرين للشاعر بمصر، بلغوا مبلغه المتواضع، وإن لم يسترسلوا مثله استرسالا فى نظم الأحداث كما استرسل، وأقول فى نظم الأحداث عن عمد فالبيتى فى أكثر ما تحدث به عن ما شاهد من المواقف والوقائع ناظم، وقد اعترف الباحث بذلك فى بعض تعليقاته، لذلك أجدنى مخالفا للدكتور عاصم فى محاباته للبيتى، ونحن لا نقسو عليه لأنه ابن العصر، وفضله الأثير فى مختاراته الشعرية الطيبة لا فى قصائده المنظومة، فقد دل على ذوق واستيعاب وجهد، وحسبه هذا وحبذا لو أعيد نشرها كمختارات البارودى.

وقد كنت أطمع أن يتحدث الباحث أولا عن شعراء المدينة فى عهد الازدهار الأول فيتحفنا بنماذج رائعة ممتازة لأمثال عبدالرحمن بن حسان ولأبيه، والنعمان بن بشير، والأحوص، وقيس بن ذريح، وابن قيس الرقيات، ونصيب - الشاعر المهضوم - والحسين بن على، والعرجى - وإن سكن بالطائف حينا - وابن أراطأة، وابن هرمه، والسرى بن عبدالرحمن، وعروة بن أذينه، وعبيدالله بن عتبة بن مسعود، وعبدالله بن الحسن، وجعفر بن الزبير، وهؤلاء وأكثَر منهم محتاجون فعلا إلى دراسة شافية مفصلة تبين أثر المدينة فى الشعر أيام الديباجة الصافية والطبع الآسر، لأن الذين كتبوا عن هؤلاء الأماثل لم يطيلوا القول بل ألموا به إلمامة الطغرائى بالجزع، هُنا يظهر شعر المدينة رائعا مهيبا زاهرا، لا شاحبا ممتقعًا باهتًا كما نرى فى شعر المتأخرين، ومؤرخ الأدب يكتب عن القمم وعن السفوح، لذلك كان من هدف الباحث أن يتحدث مشكورا عن أنوار مشعة ظهرت فى ظلمات التقهقر، وهى بما قامت به أدت دورا مشكورا، إذ كانت تشق طريقها الصعب، بين جلاميد الصخور، ونحن نحكم هنا على شعر العصر بأجمعه فى مختلف الدول العربية ولا نخص الحجاز بعينه فليس البلاء بواحد.. أما الرائع حقا فهو تلك الفصول النيّرة التى تحدثت عن أعلام المدينة المنورة، وأعظم ما قرأته فى هذه الفصول هو ما جاء تحت عنوان «الدور الرائد لحلقات العلم فى المسجد النبوى الشريف» فهو تسجيل شاف للحركة العلمية المعاصرة فى المسجد النبوى، ويصلح أن يكون فهرسا لكتاب مستقل يبين فضل المسجد النبوى فى الحاضر العتيد، مذكرا بما كان من فضله من قبل فى عهود الإسلام الزاهرة التى أخرجت حلقاتها مدرسة الإمام مالك الفقهية ومدرسة القراءات التى تزعمها نافع وتلاميذه وبه إشارات طريفة لنوادر علمية دَوّى صداها فى العالم الإسلامى جميعه، كالمعركة اللغوية التى نشبت بين العلامة البرزنجى والإمام الشنقيطى، وبسببها كتب الشنقيطى الكبير

كتابا حافلا كان له رنة فى مساجد الأزهر بمصر، والزيتونة بتونس، حيث امتد الشرر إلى عالمها الكبير الشيخ سالم أبى حاجب، فليت الدكتور عاصم يُهيئ بعض طلاب الدراسات العليا بكلية الآداب بجدة إلى تدبيج رسالة علمية عن تاريخ الحركة العلمية المعاصرة فى المسجد النبوى الشريف، لاسيما أن بعض أعلام التدريس قد تحدث عنهم هذا الكتاب فى فصول تالية مثل الشيخ محمد أمين الشنقيطى والشيخ عطية سالم وغيرهما، ومن الشخصيات الأدبية الشجاعة الباهرة التى تحدث عنها الدكتور حمدان شخصية الأستاذ محمد حسين زيدان وقد جعل عنوان حديثه «فارس الكلمة المرتجلة» وهذا ما كنت أجهله لأنى فى قراءتى الكثيرة لآثار الأستاذ زيدان كنت ألحظ التأنى الشديد المتريث، الذى يُوحى بإعمال الفطرة، فأفكاره ذات غوص بعيد، ثم هى تحمل تعبيرا صافيا لا يتاح للكاتب بديهة، إذ لابد حينئذ من إعمال الروية، لذلك قرنه مؤرخه بالأستاذ مصطفى صادق الرافعى، وهو أستاذ البيان العالى فى أرقى مصاعده، وأعمق أغواره، وقد غاب عن عينى ما كنت أنتظره من حديث واف عن الأستاذ عبدالقدوس الأنصارى - رحمه الله - فهو جدير بفصل مستقل، ومجده الأدبى أوضح من أن يشار إليه، بل هو أولى وأجدر من كثير بشهادة الواقع الذى لا يمترى فيه.

هذا وقد ذكرنى قول جعفر البيتى ص١٥٣

رأى البقَ من كل الجهات فراعه

فلا تنكروا إعراضه وامتناعه

بقصيدة رنانة لابن النحاس من شعراء العصر المتحدث عنه، وممن أقاموا بالمدينة المنورة وقتا طويلا، ودفن بالبقيع فى الثانى عشر من صفر سنة ١٠٥٢هـ، قال ابن النحاس فى مطلعها:

رأى اللوم من كل الجهات فراعه

فلا تنكروا إعراضه وامتناعه

ولا تسألونى عن فؤادى فإننى

علمت يقينا أنه قد أضاعه

والقصيدة طويلة وهى روح مضرجة بالدم كما يقول الدكتور زكى مبارك - رحمه الله - وقد غنتها أم كلثوم فى عهدها الأول، ومن يدرى فقد يكون البيتى قد استعان بغيرها.

وبعد فهذه خطرات سريعة عن كتاب قيم نرجو أن يكون طليعة لكتب فائقة من هذا الطراز، وأشكر للمؤلف تفضله بإهداء كتابه إلىّ، وقد عهدت لديه نبلا يفسح صدره لقبول بعض ما ذكرت.

القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة

٣

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

ويأخذ فتحى رضوان طرف الخيط من سلفيه: طه حسين، وسيد قطب، ويحاول أن يضىء فى كتابيه: (الإسلام والمذاهب الحديثة) و(القصة القرآنية) بعض خصائص النوع القصصى كما ورد فى القرآن الكريم، مع مُسَلَّمة أنه ينطلق فى بحثه من منطلق إيمانه بخصوصية القَصِّ القرآنىِّ، ويَعْبُرُ - واثقاً - فوق موضوعات القصة كما تلوح فى إبداع البشر، وكما يؤصل لها الفكر النقدى فى القديم والحديث.

ولعله كان أميل الثلاثة إلى إيجاز خصائص القصة القرآنية، ربما فى سطور لينتقل بعد ذلك إلى تفرس السياقات القرآنية القصصية، يأخذ منها شواهده التطبيقية على ما ارتأى أنه أصول القص القرآنى، أو خصائص القصة القرآنية، وهو يوجز هذه الخصائص فيما يلى:

أولاً: أن القرآن الكريم لايعرِّف بالشخصيات التى يدور حولها الكلام فى القصة...

ثانياً: أنه يجرد كلامه - تعالى - من الزمان والمكان...

ثالثاً: أنه يصطنع أسلوباً من الإيجاز العام الذى لا نعرف له نظيراً فى آثار الأمم الأخرى مهما سمت مكانتها البيانية...

رابعاً: وحدة الغاية فى كل ما ورد فى القرآن من أنباء وأخبار وأحاديث وذكر)[١].

ويوجه كل طاقته بعد ذلك إلى استقصاء هذه الخصائص من واقع النص القصصى فى القرآن الكريم بشكل عام، وفى قصة موسى عليه السلام بشكل خاص، حتى ليجوز لنا أن نقول إن كتابه: (القصة القرآنية) موجه ربما بكامله إلى استجلاء خصائص الفن القصصى القرآنى من خلال قصة موسى وحده، مع تفرق إشارات عابرة هنا وهناك إلى بعض قصص الأنبياء الآخرين فى تضاعيف هذه الدراسة، قد تكون الحاجة إلى تضوييء قصة

(١) فتحى رضوان: الإسلام والمذاهب الحديثة - نقلا عن كتابه (القصة القرآنية ص٨).

موسى هى التى دعت إلى الإشارة إليها مرة بعد مرة، وحينا بعد حين.

والذى يهمنا هنا، أن نشير إلى طبيعة خصائص القصة القرآنية، سواء وردت هذه الخصائص فى قصة يوسف أو قصة موسى، أو قصة إبراهيم، لأن المنهج فى النهاية واحد، والإعجاز الإبداعى الذى يستهدى هذا المنهج واحد كذلك، ولكن فتحى رضوان ينبه إلى ما يبدو إشكالية حقيقية: هل فى القرآن قصص كثيرة؟ أم أن فيه قصة واحدة يمكن أن يطلق عليها هذا المصطلح وهى قصة يوسف؟ والغريب أنه بعد التنبيه على هذه الإشكالية لايقدم إجابة واضحة على ما أثاره، واكتفى بعرض تساؤلاته على هذا النحو:

ولقد يثور التساؤل: هل فى القرآن قصص، أم فيه قصة واحدة هى قصة يوسف؟ فالقرآن يستعمل أكثر ما يستعمل لفظ نبأ وأنباء وحديث وذكر، وهو يروى ما جرى للأنبياء مع أقوامهم، فى أدوار رسالتهم المختلفة، من ذلك ما جاء فى سورة إبراهيم:

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾(٢)

وفى سورة الشعراء:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾(٣).

وفى سورة هود:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ ﴾(٤).

طه حسين

سيد قطب

كما قال تبارك وتعالى:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾(٥)

وفى سورة النازعات:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ ﴾(٦)

وفى القرآن الكريم يتحدث عن أخبار الماضى بأنها أنباء الغيب، أو أنباء ما سبق، كقول الله تعالى فى سورة آل عمران:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾(٧)

ولكن الأمر يختلف فى سورة يوسف، فهى القصة التى جاء فى صدرها قول الله تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾(٨).

وهى السورة التى تروى قصة أحد أنبياء الله ـ تعالى ـ ورسله من الصبا حتى بلغ أعظم درجات

(٢) التوبة (٧٠).
(٣) الشعراء (٦٩).
(٤) هود (١٢٠).
(٥) الذاريات (٢٤).
(٦) النازعات (١٥).
(٧) يوسف (١٠٢).
(٨) يوسف (٣).

النفوذ والجاه، فى حين أن الأنبياء الآخرين جميعا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ توزعت وتناثرت أخبارهم فى عشرات من سور القرآن، وقد اتصل الحديث عن يوسف ـ عليه السلام ـ فى السورة المسماة باسمه، دون أن يتخلل الكلام عنه أمور أخرى، أو وقائع خارجة عن سياق حكايته كما هو العهد بالقرآن الكريم بالنسبة لجميع رسل الله. والأهم أن يوسف عليه السلام استأثر بسورة كاملة، ثم لم يرد بعد ذلك إشارة إلى شيء من أعماله أو أقواله فى مواضع أخرى من القرآن الكريم، كما هو الحال مع غيره ممن اصطفاهم الله برسالاته)[٩].

إن فتحى رضوان هنا يرصد الظاهرة، ظاهرة توزع الحديث القصصى عن الأنبياء والمرسلين فى مواضع شتى من القرآن الكريم، وتخصيص قصة يوسف وحدها بسورة كاملة، ثم لايستطرد إلى ذكرها بعد هذه السورة، مما يعطيها خصوصية معينة، هذه هى الظاهرة، أما تحليلها أو تعليلها أو الإجابة عما تثيره من تساؤلات فلم يتطرق إليها، واكتفى بمجرد رصدها وتسجيلها.. على النقيض مما فعل سيد قطب مثلا، حين علل لهذه الظاهرة تعليلا نقديا ثاقبا، من خلال ما قرره من أن طبيعة القصة – قصة يوسف – هى التى أوجبت أن تكون على هذا النحو من التلاحم والتكامل: (لأن طبيعتها تستلزم هذا اللون من الأداء، فهى رؤيا تتحقق رويدا رويدا، ويوماً بعد يوم، ومرحلة بعد مرحلة، فلاتتم العبرة بها – كما لا يتم التنسيق الفنى فيها – إلا بأن يتابع السياق خطوات القصة ومراحلها حتى نهايتها، وإفراد حلقة واحدة منها فى موضع لايحقق شيئا من هذا كله، كما يحقق إفراد بعض الحلقات فى قصص الرسل الآخرين، كحلقة قصة سليمان مع بلقيس، أو حلقة قصة مولد مريم، أو حلقة قصة مولد عيسى، أو حلقة قصة نوح والطوفان.... الخ، فهذه الحلقات تفى بالغرض منها كاملاً فى مواضعها، أما قصة يوسف فتقتضى أن تتلى كلها متوالية حلقاتها ومشاهدها من بدئها إلى نهايتها)[١٠].

(فالقصص القرآنى – غير قصة يوسف – يرد حلقات تناسب كل حلقة منها أو مجموعة حلقات، موضوع السورة واتجاهها وَجَوّها، وحتى القصص الذى ورد كاملاً فى سورة واحدة كقصص هود وصالح ولوط وشعيب، ورد مختصراً مجملاً، أما قصة يوسف فوردت بتمامها وبطولها فى سورة واحدة، وهو طابع متفرد فى السور القرآنية جميعاً، هذا الطابع الخاص يتناسب مع طبيعة القصة، ويؤديها أداء كاملاً، ذلك أنها تبدأ برؤيا يوسف، وتنتهى بتأويلها، بحيث لا يناسبها أن تكون حلقة منها، أو جملة حلقات، فى سورة، وتكون بقيتها فى سورة أخرى. وهذا الطابع كفل لها الأداء الكامل من جميع الوجوه، فوق تحقيقه للهدف الأصيل الذى من أجله سيقت القصة، والتعقيبات التى تلتها)[١١].

ولا يخفى أن سيد قطب هنا يمثل عقلاً نقدياً مرهفاً، يرصد الظاهرة الفنية، ثم يتطرق

---

(٩) فتحى رضوان – القصة القرآنية – ص٨ – ٩.

(١٠) سيد قطب – فى ظلال القرآن – المجلد الرابع – ص٢٠٣٧.

(١١) سيد قطب – فى ظلال القرآن – المجلد الرابع – ص١٩٥١.

إلى تحليلها وتعليلها والإجابة على ما تثيره من أسئلة، فقصة يوسف وردت كاملة فى سورة واحدة لأن مضمونها يحتم هذا الأداء السياقى، فهى تبدأ برؤيا وتنتهى بتأويل هذه الرؤيا، وليس من الطبيعى أن نبعْثر الحديث عن رؤيا وتأويلها فى مواضع شتى، أو أن نجسّد رؤيا خاصة بمصير نبىٍّ، ثمّ لا نهتدى إلى تأويلها، أو أن نترك السياق يتنامى فى اتجاهاتٍ متعاكسة قد تُفَضى بنا إلى ضياع المضْمون النهائى الذى تشعه رؤيا صادقة، تنتهى إلى تأويل صادق كذلك... وقد كان يتحتم على فتحى رضوان، وقد أشار إلى إشكالية التنصيص على أن السياق الذى جسَّدَ ما حدث ليوسف ـ عليه السلام ـ سماه القرآن الكريم (قصّة).. فى حين أن السياقات الأخرى التى جسّدتْ ما حدث للأنبياء الآخرين سمّاها القرآن الكريم نبأً مرة، وحديثاً مرة أخرى، وأنباءً آنا، وذكراً آنا آخر.. كان يتحتم على فتحى رضوانَ وقد أشار إلى هذه الظاهرة أن يتأمّلها على هذا النحو الذى فعله بجدارة سيد قطب، ولكنه لم يفعل.

ولعل فتحى رضوان اكتفى بمجرد استقصاء الخصائص التى حددها فى مطالع حديثه عن القصة القرآنية، وهى: خاصية الإيجاز المعجز، وخاصية وحدة الغاية، وخاصية تجريد الكلام من عنصرىْ الزمان والمكان، وخاصية عدم التعريف بشخوص القصص فيما يتعرض له من قصّ متكامل فى موضعٍ واحدٍ، أو مفرّق فى عديدٍ من المواضع والموضوعات.. ولكن تكثيفَ الحديث عن هذه الخاصيات يتجسد أساساً فى تأمله المستفيض لقصة موسى ـ عليه السلام ـ كما وردت فى القرآن الكريم نصاً متكاملاً، وبناء فنياً، ورؤية تنطلق من خصوصية البطل واللحظة والمكان، إلى مطلق الشخوص والزمان والمكان، وإن مال أحياناً إلى تكديس آراء المفسرين، وانكبّ أحياناً على استقصاء جوانب المضامين، وانصرف أحياناً عن تأمل خصائص الشكل الفنى الحامل، مع أنه محور الحركة فى هذا المجال، أو ينبغى أن يكون محور الحركة فى هذا المجال.

على أن فتحى رضوان فى دراسته للقصة القرآنية لم يتحدد فى هذه الخصائص التى قدم بها فحسب، ولكنه استطرد منها إلى خصائص أخرى: كالحوار، والتكرار واستعمال ألفاظ بأعيانها.. وإن حاول إخضاع هذه العناصر لتدخل ضمن الخصائص الأربع التى حددها فى مطالع حديثه عن: (القصة القرآنية).

ومهما يكن من شىء، فقد قدّم فتحى رضوان دراسة جيدة للقصة القرآنية، إذا نحن تجوّزْنا فسميْنا حديثه عن (قصة موسى) حديثاً عن مطلق القصة فى القرآن الكريم.

ويبقى فى النهاية أن نؤكد أن للقصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة مساحةً أكبر من هذه المساحة، وأن جانباً من الاجتهادات التى توفّرت على هذه النوعية من الدراسة قد وصل إلى نتائج فنية هامة، تجعل من تأمل القصّ القرآنى ليس حتميةً عقيديةً فحسب، وإنما حتميةً فنيةً ونقديةً كذلك، ويبقى النصّ القرآنىُّ مَنْجَماً قابلاً لمزيدٍ من الكشوف، ومزيد من الاستقصاء بلا حدود!!!

قصة العدد

أم عربية تضحى (*)

للكاتب السورى/ الأستاذ خليل هنداوى

وتأبى المقادير إلا أن تخلق (ذاقار) ثانية فى ضاحية السواد، ولكن وقعة ذى قار الثانية تمتاز عن الأولى بأن العرب حشدوا ما عندهم من المقاتلة يدفعون بصدورهم صدور مقاتلة الفرس الذين أقبلوا من أقاصى فارس وأدانيها يذودون العرب عنهم!

أحست القادسية وطء هذه الجموع الزاحفة بخيلائها وعزائمها وأدركت أنه يوم سينضح ثراها فيه بالنجيع، ويسطع على سمائها كوكب عهد جديد!

أشرق الفجر تغمر أنواره الباهتة جموعاً تيقظت قبل أن يتيقظ وعلت أصوات تخللها نداء وصهيل ورغاء! والقوم خلال ذلك منكبون على جيادهم يمسحون أعرافها، أو متلمسون مقابض سيوفهم يهزونها، أو مادون برماحهم يُسرون إليها ما يُسرون! ففريق يتبعه فريق، وكردوس يشد خلفه كردوس، يمشون والأهازيج ملء الفضاء، والنقع يوشك أن يحجب السماء. فهذه فئة مقاتلة تمشى إلى النصر بأهازيجها وتلك فئة منصتة يدوى فيها صوت يرجع صوتاً رن منذ عهد لم يطل عليه الأمد فوق هذه الأرض التى أرادت الفارسية أن تقهرها وما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

صوت هانىء بن مسعود يدوى كالرعد القاصف: «يا معشر العرب هالك معذور خير من ناج فرور، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، والطعن فى ثغر النحور أكرم منه فى الأعجاز والظهور، وإن الصبر من أسباب

(*) مجلة الرسالة - ١٩٤٠/٣/٤م

الظفر، قاتلوا فما للمنايا من بد، فتح لو كان له رجال! يا معشر العرب شدوا واستعدوا، وإلا تشدوا تردوا».

تسمع هذه الأقوام أصوات خطبائها فتحن أنفسها لذلك اليوم الذى هو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وإن هذا ليوم آخر أقبلت فيه الفارسية الوثنية تنازل الجزيرة المسلمة التى تغلى بدم الحياة!

وغير بعيد عن الساحة المستوية التى أعدت للقاء الأبطال -بطحاء انتصبت فيها خيام تقيم فيها الظعائن، وكانت أهازيجهن تجاوب أهازيج الرجال، ومن فوقها الصدى يكاد يلائم بينها، يحملها إلى القيعان البعيدة التى حنت إلى الحرية المكتوبة على أسنة العرب.

فى خيمة منفردة حمراء الأديم عجوز تخدد وجهها، ولعل الكبر قد نال منها شيئاً، لكن أحداث الدهر لم تبق منها إلا على شبح نسيه الموت أو تناساه، تمشى بهراوتها الغليظة مشية وئيدة مستقيمة، وعلى بدنها صدار أسود ممزق الإهاب، يدل على أنه علامة فاجعة قديمة العهد، لكنها حية كأنها بنت ساعتها، وقفت فى ناحية لا يصل إليها تيار الزاحفين، وحولها أربعة فتية ما أنضر الشباب الذى تفيض به أعينهم، وما أسمى العزيمة التى تتلألأ على وجوههم! تلمست العجوز هؤلاء الفتية بيديها، وتلمست محاسنهم وأكبت على رءوسهم ووجوههم تشم ريحهم، وما إن انتهت من ذلك حتى بادرتهم بوصيتها:

«أى بنى! إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله إلا هو، إنكم لبنورجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية. اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها، تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والقيامة.

أى بنى! اطلبوا الموت توهب لكم الحياة».

كانت تسيل هذه الكلمات العاصفة من فمها دون ما تلجلج ولا اضطراب، لم ينل منها موقف التوديع شيئاً، وكان أولادها يسمعون خطابها، وكأن نفوسهم ارتابت فى شك أمهم منهم، وهم الذين أقدموا إلى الجهاد مختارين بعد أن باعوا أرواحهم واستقلوا ذلك فى جنب الله.

قبلوا يد أمهم، وودعوها توديع مفارق لن يؤوب، وزحفوا على جيادهم وهى لا تزال تتجه بمسامعها نحو وقع الحوافر حتى تلاشى وقعه، وقرت كل حركة حولها، فعادت إلى خيمتها، وكأنما ضاقت بها نفسها فهى لا تستطيع القعود إلا قليلاً فنهضت تتلمس الأرض بعصاها، ولكن أين تريد أن تدب؟ فى نفسها خواطر كثيرة، منها ما يتعلق بالمعركة ونهايتها، ومنها ما يخص أبناءها وحدهم. أتلقاهم كدأبها فى المساء؟ أم تلقى بعضهم، والآخر أكلته شفرات السيوف!

خواطر كثيرة تحاول أن تطغى على طمأنينتها وإيمانها، ولكنها لا تريد الآن أن تعرف شيئاً عن رجوعهم وعن مصارعهم، وإنما تريد أن تعرف كيف استقبلوا الموت، بنحورهم أم بظهورهم! ولكن فيم تشك فى أشبالها، وما علمتهم يوماً إلا أهل مروءة ونجدة!

قضت يومها تغالب هذه الخواطر، وما إن دنا الأصيل حتى هتفت أصوات البشرى فى القوم بهزيمة الفرس، فخرجت النساء يستقبلن البعولة والإخوة والأبناء، ومن مثل الخنساء تنشط إلى تنسم الأخبار وهى متوكئة حانية على عصاها ترتفع الأصوات من فوقها ومن تحتها، وعن يمينها وشمالها، والظافرون عائدون بالأردية الحمراء، والسيوف المضرجة بالدماء، قد أذهلهم النصر عن النصب، يحيى بعضهم بعضاً وما تحيتهم إلا مصافحة بالسيف أو السنان!

تعلو الضجة آناً وآناً تخفت، وإنها لتدل على أن أكثر المقاتلة أووا إلى بيوتهم إلا مصاباً يتحامل على نفسه، أو فارساً يتظالع به فرسه بعد أن أبلى، ولكن ما لأولاد الخنساء لم يطل أحد منهم على هذه العجوز المرتقبة التى أخذت ترتجف من الريح الباردة! ومن ذا ينبئها بمصيرهم بعد أن أبطأوا عليها.

ولكنها اعتقدت أن واحداً منهم أدركه مصرعه، وأن إخوته قعدوا يبحثون عنه بين القتلى لأنهم يؤثرون أن يدفنوه بأيديهم.

ها هى ذى تنتظر! يمر بها أحد رجال القادسية ممن شهدوا مصرع أولاد الخنساء، يراها شاخصة فى الناحية التى أطل منها وقد رفعت رأسها تهم بتكليمه لو لا أنها خفضت رأسها لأنها تريد أن تكون كلمتها الأولى لأحد أولادها.

شاهدها الرجل وغلبت على عينيه دمعتان محرقتان أسقطهما الحزن على هذه العجوز التى نالت منها القادسية أعظم تضحية. حتى لتحسب فيها رمزاً للأمومة التى ضحت بأبنائها فى هذه الوقعة.. آثر أن يمشى وهو يخطو الخطوة ويلتفت إلى خلفه. كأن شيئاً – لا يستطيع أن يدركه– يبعث الروع فى نفسه. حاول أن يخبرها أكثر من مرة، وتردد أكثر من مرة، وأقل ما يحمله على التردد أنه لا يريد أن يكون ناعياً لأربعة أولاد فى يوم واحد، ولكن ماله يكتم عنها ما كان، وماله لا يشفق على هذه العجوز التى تنتطر، والتى لا تزال تنتظر حتى مطلع الفجر! فلينبئها بمصيرهم، وليعزها بكلمة قد تقع موقعاً حسناً أو لا تقع وليصنع الله بها بعد ذلك ما يشاء! وإن أعظم ما ينتظره لها الموت، وما يدريه أنها هى التى تفتش عن الموت بعد مصرع بنيها. فعاود إليها مرة ثانية، وسمعت الخنساء وقع الخطا من ورائها فهمت بالاستغراب، ولكنها شعرت أن هذه الخطا تسر أمراً لها وحدها، فناداها:

– يا خالتاه! لا إخالك تألمين إذا أنبأتك أن أولادك الأربعة يسرحون هذا المساء مع شباب.. الجنة!

فاه بهذه الجملة، والحزن يكاد يقطع عليه أنفاسه، ولم يبلغ كلمة «الجنة» إلا بعد أن

قاسى من ألم النفس مثل ما قاساه من نصب يومه، فتقدمت منه وكأنه الخبر لم يعصف بنفسها، ولم يظهر أثره على وجهها...

- ويك ماذا تعنى؟ أقتلوا جميعاً؟

- رأيتهم الواحد يُصرع بعد الآخر، يذودون عن موقف تهافت العدو على أخذه تهافت الجراد على النار.

- أذهبوا متاعاً رخيصاً؟

- إنهم - وحدهم - كانوا جيشاً - كأنما الموت مورد عزموا أن يردوه جميعاً، كلما فترت عزيمة واحد منهم هتف به الآخر «وصية العجوز يا أخاه»!

وكأن هذه الكلمة أيقظت فيها الروح التى كلمت بها أولادها فقالت:

- ذلك ما يبعثنى على أن أقول: الحمد لله الذى شرفنى بقلتهم، وإنى لأرجو الله أن يجمعنى وإياهم فى مستقر رحمته، ولكن أنبئنى ما صنع الله بكم؟

- جئنا بالنصر معقوداً على راياتنا

- هذه التعزية المثلى لى فيما تبقى من أيامى المعدودة، لقد مات أخى صخر من قبل، فلم يسعنى من دنياى بعده إلا هذا الصدار الأسود، وهيهات أن أجد مكاناً للتعزية فيه، وها يموت أبنائى الأربعة فيعزينى عن موتهم هذا الظفر

والتفتت إلى ناحية بيتها، وأخذت تدب وئيداً، والرجل يتبعها صامتاً حتى توارت عنه، فوالله ما إن سمع لها أنة، ولا رأى لها عبرة، وذهب وهو لا يكاد يوقن بأن هذه التى كانت مثل الأخت المفجوعة الحزينة التى لا يسرى عنها شىء، والتى قضت أيامها تبكى حتى ابيضت عيناها من البكاء، هذه الأخت الولهى تصبح المثل الأعلى للأم التى تعتقد أن أولادها للوطن والواجب قبل أن يكونوا لها، وإذا أراد الوطن استئثاراً بهم قدمتهم، وإذا استوهب الوطن منهم أنفسهم لم تضن بها ولم يضنوا، وكأنها بعد ذلك لم تبذل شيئاً ولم تفقد شيئاً.

فى الإيمان سر تنحنى الإرادة عنده، وكيف يريد علماء النفس أن يعللوا مزاجين مختلفين فى نفس واحدة، هذه المرأة التى فجعتها إحدى الوقائع بأخيها الجرىء الجميل فى الجاهلية، والتى لم تترك منها هذه الفاجعة إلا لساناً يندب وصدراً يزف! جاء الإسلام، فلم يقدر أن يصرفها عن حزنها، ولكنها أصيبت فى الإسلام بفاجعة قد تهون الأولى عندها وهى فاجعة أبنائها، فلم تحرك من نفسها شيئاً، لأنها وهبت مصيبتها لله!.

فكرت فى المصيبة الأولى، فلم تجد ما ينفس عنها، فاحتفظت بأثرها فى منطقة منعزلة من مناطق نفسها، تكشف فيها عن ذكرياتها، وتخوض فى أرجائها وحدها.. أما المصيبة الثانية، فقد تولاها الإيمان الذى فاض على نفس الخنساء كلها، حتى أصبح سواء عندها أفقدت واحداً أو أربعة، أو جميع من فى الكون فى سبيل هذا الإيمان..

رباه!.. ألست بقادر على أن تحيى الموتى؟!

القيم في عصر المعلومات

١

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

مفهوم «القيمة»

إن مفهوم «القيمة» Value من المفاهيم المراوغة التى اهتم بها كثير من الباحثين فى مجالات مختلفة كالدين والفلسفة والفن والتربية والاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها.

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة لشئون البيئة، وقد شارك بهذا البحث فى المؤتمر الثقافى العربى السابع للمجمع الثقافى العربى حول «الثقافة والقيم» الذى عقد بجامعة السلطان قابوس فى مسقط عاصمة سلطنة عمان فى الفترة من ٢١ - ٢٣ اكتوبر ٢٠٠١م.

وقد ترتب على ذلك نوع من الخلط والغموض فى استخدام المفهوم من تخصص لآخر، واستخدمت أدوات ومقاييس مختلفة، تتحد معالمها فى ضوء الإطار النظرى الذى يحكم كل باحث من الباحثين فى ميدان القيم.

بل إن «بولكينجهورن» Polkinghorn – فى كتابه الصادر عام ١٩٩٦ من مطبعة جامعة كمبردج بعنوان «ما وراء العلم»– يسلم باختلاف القيم باختلاف الأمم، ربما على الأقل فى التفاصيل والجزئيات، ويرفض هذا الفيلسوف ما يُقال من أن أحكامنا التقديرية للقيم استجابات لما هو مبرمج فى جينات فينا تسمى «الجينات الأنانية» Selfish genes. والواقع أنه لا يمكن دراسة قيمة معينة أو فهمها بمعزل عن القيم الأخرى، ولهذا يفضل الحديث عما يسمى «نسق القيم» Value System الذى ينتظم به مجموعة من قيم الفرد أو المجتمع تبعا لأهميتها، ويتسم بالديناميكية والتفاعل بين عناصره، وعند انضمام قيمة جديدة إلى النسق يتطلب الأمر نوعا من إعادة الترتيب أو التوزيع لمجموعة القيم وفقا لأولويتها.

القيم فى الدين والعلم

تتفق الأديان جميعا على استنادها إلى موقف معين من القيم، ولعلها هى نفسها –أى الأديان– موقف قيمى صريح لأنها تحدد ما ينبغى للإنسان أن يقوم به إزاء هذا الكون، حيث يكبر الحكم على قيم الأشياء والأعمال بشعور ما يترتب عليها من ثواب، فثمة ما هو أسمى وما هو أدنى، ومتى عرف ذلك التدرج فى المنزلة، كان التزام المؤمن إزاءها بمواقف محددة. ويسلم هذا التدرج القيمى إلى قيمة عليا تكون منبع القيم جميعا، ومصدر السلطة والإلزام. وعلى هذا يكون الخلاص أو الفوز فى الدنيا والآخرة مصحوبا بمدى الامتثال للقيم الدينية والأخذ بما تأمر به واجتناب ما تنهى عنه.

وفى الإسلام، يعتبر الخطاب الإلهى هو الفيصل فى الحكم على الحسن والقبيح، وعلى المباح والمحرم، والحسن ما وافق الشرع واستوجب الثواب، والقبيح ما خالف الشرع ويترتب عليه العقاب فى الآخرة، وقيم الأشياء من حيث ما تحصله للإنسان من حسن الأفعال أو قبحها.

أما بالنسبة للعلاقة بين القيم والعلم فإن هناك موقفين رئيسيين منها: أحدهما ينكر تعلق العلم بالقيم لأن مجاله الوقائع والقوانين التى تجرى على سنن حتمية وتثبتها الملاحظة والتجربة الموضوعية؛ فالحقيقة العلمية قائمة هنالك، محايدة مستقلة عن الإنسان، وعلى رجل العلم أن يكشف عنها النقاب. وأصحاب هذا الموقف إنما يقولون باغتراب العلم عن الإنسان: صانعه ومنشئه، ويقصرون نظرهم على ما أثمرته فاعلية الإنسان فى العلم، فأصبح عندهم نبتا مقطوع الجذور. وهذه نظرة قاصرة عن فهم مصدر العلم فى الفاعلية الإنسانية ذات الطابع القيمى، فالعلم ليس كيانا مستقلا عنا، متمردا علينا، لا ندرى أيفى بمطالبنا أو لا يبالى بها. وهنا تظهر أهمية الموقف الثانى الذى يقرن القيم بالعلم، وإن كان يقف أحيانا عند صورة الاعتراف بعلاقة العلم بقيمة الحق، لأن مدار بحث العلم هو نشدان الحق وتجليته والتطابق معه. غير أن صلة العلم بالقيم لا تقف عند هذا الحد، لأن القيم تنفذ إلى كل نشاط علمى ابتداء من الملاحظة حتى صوغ النظرية وتطبيقها.

ولقد قدمت الحضارة العربية الإسلامية نموذجا رائعا لما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين عناصر ثلاثية القيم والدين والعلم. فقد نقلت حضارات الأقدمين -دون مانع من جنس أو لون أو دين- ولخصتها وتمثلتها وطورتها، وقدمتها علما عالميا موحدا، وثيق الارتباط بمبادىء الدين والخُلق القويم، لأن الإسلام جاء ليكون دينا للحياة فى جميع جوانبها، وأمدنا بمنهج رشيد يعلو على كل ضروب الهوى والتحيز، ويجعل من تحصيل العلم النافع فريضة واجبة الأداء.

وعندما انتقلت راية الحضارة إلى أوروبا، نشأ العلم الغربى الحديث منذ بداية عهد النهضة متمردا على الدين والقيم- وكان لهذا أسبابه التاريخية والسياسية المعروفة. وكان اليقين عند علماء الغرب أن العلم مجرد عن القيم لأنه موضوعى. ولكن مآسى الحربين العالميتين الأولى والثانية، التى كانت من ثمار العلم الخاطئة، جعلت القوم يدركون أن العلم قادر على إحداث أضرار بليغة بالإنسانية. ثم امتدت آثار العلم -فى بعض جوانبه التطبيقية- إلى إحداث التغيرات المنذرة فى بيئة الإنسان، بل إلى الاجتراء على أخص خصوصيات الإنسان وجوهر ميراثه المكنون فى أعماقه. وكان من أبرز الذين رفعوا صوتهم بالنذير والتحذير فى عقد الثمانينيات من القرن الماضى «نيكولاس ماكسويل» Maxwell الذى لخص دعوته فى عنوان كتابه المثير: «من المعرفة إلى الحكمة -ثورة فى أهداف العلم وطرائقه». ومن هنا أخذ فلاسفة العلم المحدثون يطامنون من استعلاء العلم ويكفكفون من غلواء العلماء، وأصبحوا ينادون باجتماعية أو (سوسيولوجية) العلم Sociology of Science، وبأن العلم نشاط إنسانى يرتبط بقيم المجتمع فيتأثر بها كما يؤثر فيها... وهذا الذى بلغته الحضارة المعاصرة بعد خلاف وصراع داما نحو خمسة قرون، كان -فى واقع الأمر- ضمن هبة الحضارة العربية الإسلامية للغرب، ولكن الغرب لم يوفق إلى الإفادة منه.

حرية البحث كقيمة أخلاقية

إن الوعى المتزايد بنتائج العلم والتقنية وانعكاساتها المؤثرة على مختلف جوانب الحياة، جعل من الضرورى على العلماء أن يكونوا أكثر إقداما من غيرهم على التبصير برسالة البحث العلمى وصناعة المعرفة، بل إن الأمر يتطلب منهم أن يمتنعوا أصلا عن مواصلة البحث فى مجال معين إذا أيقنوا أن نتائج أبحاثهم لن يكون لها إلا أوخم الآثار.

وعندما نتحدث عن مسئولية العلماء بصورة عامة، تبرز قضية الحرية- كقيمة أخلاقية- وكأنها محل جدل تتفاوت بشأنه الآراء:

١- فهناك شبه إجماع على اعتبار السعى من أجل العلم ونشره ضرورة معرفية وحضارية فى آن معا، وعلى الباحثين أن ينهلوا ما استطاعوا من بحور العلم، وأن يحرصوا على نشر ما يتوصلون إليه من نتائج فى مجلات متخصصة. ولا يشترط أنصار هذا الاتجاه أن يؤدى السعى من أجل العلم إلى تطبيقات عملية مباشرة.. ولهذا فانهم يعتبرون الحرية المطلقة هى من أهم دعائم البحث العلمى وتطوره، ويدعون إلى رفع كل قيد على العلم وأبحاثه ونتائجه.

٢- وهناك من يضيقون مسئولية العلماء إلى الحد الذى لا تتعدى فيه حدود معمل الأبحاث ولا شأن للباحث بما يحدث خارج هذه الحدود.

٣- وهناك من يوسعون هذا المسئولية إلى الحد

الذى تمتد فيه إلى المجتمع بأسره وشجع هذا على الاعتقاد بحق العلماء والتقنيين فى إدارة المجتمع واتخاذ القرارات الكبرى بشأنه.

٤- وهناك من يتخذون موقفا وسطا.

ولكل من هؤلاء حججه ومبرراته التى يدعم بها موقفه.

ودونما استرسال فى مناقشة تفصيلية لتلك المواقف، فإن الوضع الراهن يفرض على العلماء فى عصرنا أن يكونوا على دراية كاملة بالنتائج المترتبة على أبحاثهم، لأن طبيعة العلوم وتقنياتها تقتضى ذلك. فحين تتغير وظيفة العلم من نشاط لا يؤثر إلا تأثيراً محدوداً، إلى نشاط مصيرى يمتد تأثيره إلى مختلف جوانب الحياة البشرية، يكون طبيعيا أن تتغير نظرة الباحث من الإطار المهنى الضيق إلى الميدان الإنسانى الشامل. وما يستوجب التنبيه إليه هو أن البحث العلمى فى عصرنا أصبح مرتبطا بمؤسسات أكبر من العالم، هى التى تقدم إليه الإمكانات، وكثيرا ما تفرض اهتماماتها الخاصة على مجالات البحث وتوجيهه.. وهذا من شأنه أن يحد من حرية العلماء فى التعبير عن آرائهم فى كثير من المجتمعات. الأمر الذى ينعكس على المجتمع مباشرة بتغييب ممارسة المنهج العلمى عند بحث الموضوعات التى تمس حياة الإنسان.

وإذا كان من المسلم به ضمان حرية البحث والابتكار للعلماء والباحثين، فإن ذلك يجب أن يقترن بمسئولية أكبر من جانب العلماء والمبتكرين أنفسهم على أساس الالتزام بميثاق أخلاقى يحدد مسار البحث العلمى ووجهته، بحيث لا يقتصر الأمر على عدة خواطر تلاحق أى اختراع أو ابتكار عند حدوثه، بل يجب أن يسبق أى مشروعات علمية نوع من التفكير العميق فى النتائج والآثار، بغض النظر عن القيمة المعرفية ذاتها.

والحديث عن أخلاقيات وقيم البحث العلمى فرضته خلال العقود الأخيرة مشكلات أخلاقية عديدة ومتنوعة أفرزتها ثورة العلوم الفيزيائية البيولوجية المتطورة، وفجرتها تقنيات المعلومات والاتصال. فعلى قدر ما تضيف هذه العلوم والتقنيات إلى حصيلتنا المعرفية وتزيد من قدرتنا على التحكم بالأشياء، وتتيح لنا خيارات جديدة على الدوام، نجدها تثير أيضا قضايا جديدة تدور حول ما هو صواب وما هو خطأ، ما هو خير وما هو شر، ما هو حلال وما هو حرام.. أما المعايير التى تحدد صواب الأمور أو خطأها، خيرها أو شرها، حلالها أو حرامها، فإنها تنبع من مصادر متباينة بشأن المبدأ الأخلاقى والموقف القيمى.

ومن فضل الله ـ تعالى ـ علينا أن أمدنا بمنهاج إسلامى قويم، وأمرنا بالسعى فى ظله إلى تحصيل العلم وفهمه ونقده وتمحيصه -دون أى قيد- ثم علينا أن نعرضه على قيمنا وحاجاتنا، فيكون لنا من بعد ذلك فيه رأى واختيار، على ضوء ما فى شريعتنا الإسلامية من أصول كلية دقيقة يمكننا أن نتخذها نبراسا يعصمنا من الخطأ إذا حالفنا الصواب فى تطبيقها، وذلك من قبيل ما نتعلمه من الفقهاء، من أن الأصل فى الأمور الإباحة مالم يكن هناك حكم شرعى قاطع بعكس ذلك، وهذا يفتح لنا أبواب الإفادة المشروعة من كل جديد ينفع البشر أفرادا أو جماعات، وكذلك قواعد المفاضلة بين المصالح والمفاسد، مثل ترجيح المصلحة الأعلى على المصلحة الأدنى، ومثل الرأى باختيار أخف الضررين، وأن درء المفاسد أولى من جلب المنافع، وأن الضرورات تبيح المحظورات، وما إلى ذلك.

(يتبـــــع)

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾

سورة يوسف : ٨٤

الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم

العمى النفسى المؤقت

للدكتور / السيد الجميلى

توطـئة طـبية:

قد يحدث عمى البصر بسبب تلف أو تدمير للجهاز البصرى فى جسم الإنسان، سواء أكان هذا التلف فى التركيب التشريحى، أم فى آلية الإبصار الوظيفية لسبب من الأسباب الكثيرة التى تلابس الشخص ذاته، ولعل أهم هذه الأسباب ذيوعاً، بل إن أكثرها شيوعاً ما ينجم وما يترتب على جلطات الشريان الشبكى المركزى. Central Retinal Artery Emboli.

ويسمى هذا اللون من فقدان البصر المعروف بالعمى العضوى Organic Blindness وهو الذى يكون نتيجة «مباشرة» لأسباب محدودة بعينها. ثم إنه ليس عارضاً ولا عابراً أى ليس وقتياً ولا رجعياً، لكن مع محاولات جراحى العيون فى حصر الأسباب المفضية والمؤدية إليه، والمسارعة الفورية القوية بالتعامل الحاسم مع أسباب هذا العمى جراحياً أمكن فى أحيان قليلة إعادة حالة الإبصار مرة أخرى للمرضى.. لكن نجاح مثل هذه الجراحات الحرجة Urgent Surgeries لايزال مرهوناً بشروط صعبة، ولا ريب أنه يعتبر نوعاً من المعجزات، ولوناً من التوفيق المدهش الذى يلفت الأنظار لعدم تواردە وتكراره.

لكن نوعاً من العمى الوقتى العابر، وهو المسمى بالعمى المؤقت الرجعى النفسى - Psychological Transient (Recurrent)

Blindness وهو ذلك العمى الذى يعترى الشخص ويعتوره بسبب أزمة نفسية أو إصابة وعاهة نفسية فادحة As a result of Psychic Trauma فإذا أمكن إزاحة أسباب هذه الإصابة وإزالة دواعيها كان ممكناً أن يعود البصر ويرجع الإبصار من تلقاء نفسه (تلقائياً بدون مقدمات) لمجرد أن تطمئن نفسه ويهدأ روعه وينكشف عنه الحزن الذى ألمَّ به واستولى عليه.

●●●

قد يكون أعمى البصر فاقداً للإبصار ومع ذلك يكون ناظراً للأمور ببصيرته، والأغلب الملحوظ فى أكثر الأحيان أن يتفوق ويتعاظم دور البصيرة على مدى البصر والإبصار العينى والعضوى فى مجال الإحساس والشعور والتقويم.

من ثم كان عمى البصيرة أشد قسوة وأقوى تأثيراً من عمى البصر فى الطبع والشخصية والسلوك. وحسبنا من دليل على ذلك أن البصر محصور مقيد بمدى مكانى، أما البصيرة فهى تنتظم اتساعاً مديداً غير محصور ولا مقيد بحدود المكان أو الزمان.

●●●

ابتلاء يعقوب ـ عليه السلام ـ :

لما حدث ما حدث من أمر سيدنا يوسف ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ حيث كان يوسف ضحية لنزوات أنفس شريرة قاسية القلوب، جاسية الأكباد، كأنها الصخر الصلد - كانت الهموم والأحزان وتفطر الصدر - نصيباً مقسوماً لأبيه الشيخ الكبير المسن يعقوب ـ عليه السلام ـ ذلك الشيخ الفانى الذى ناهز العمرين والذى صار مفجوعاً بأصغر أبنائه، وأحبهم إليه وأقربهم منه.. وهذه سنة الله ـ تعالى ـ فى خلقه... أن يكون أحبَّ الأبناء إلى الآباء وإلى الأمهات: الصغيرُ حتى يكبر، والغريبُ حتى يرجع، والمريضُ حتى يشفى ويبرأ.

لكن نزق العاطفة وتدهور الفكر، وتهور الخرق كان مراسه قوياً مسيطراً على إخوة يوسف، حيث تغلب هذا الشعور بالحزازة والغيرة على أطواء صدورهم واستولى على إحساساتهم فأعمى البصائر وأطبق على الرحم الماسة، وأجهز على واشجة الدم وآصرة القربى، وشجنة الرحم.

كان يوسف فى مهده وفى صغره أشد احتياجاً للشفقة شأنه فى ذلك شأن كل صغير يكون دائماً مرعياً مستوجباً للحدب والشفقة، واستدامة الرعاية والتعهد بالعناية، حتى يستوى صلبه، وتقوى شوكته، ويستعجم عوده، وتستقيم قناته.

وكان يعقوب قد أنجب أحد عشر رجلاً فتياً، فأعقب رجالاً أشداء، وهو قد وصل إلى مراحل متقدمة من الشيخوخة والكهولة التى صار بموجبها ومقتضاها غريباً فى دار غربة، يستعد للرحيل والظعن إلى الآخرة... وهذا الشعور يجعل الشيخ أكثر تعلقاً بأصغر أبنائه الذى لم ينل ولم يحرز إلا أدنى وأقل فترة مع أبيه دون سائر إخوته، فلابد أن يستعيض رصيداً أكبر من العطف والحنان ودفء

الإشفاق والرعاية من ثم كانت العلائق راسخة مكينة ضاربة أصولها فى أعماق نفس يعقوب، مسيطرة على مطاويه وعلى كل أنحاء دخيلته.

وكان صعباً جداً ومتعذراً غاية التعذر أن يكتم يعقوب فى نفسه حبه العارم وشوقه الجارف وعاطفته الهادرة الدافقة إلى يوسف.. لم يكن سهلاً أن يكتم، ويضمر هذا الشعور وذلك الإحساس الذى يسيطر على دخائله وخوالج نفسه ومكنون ضميره.

وقد بدا هذا واضحاً من المردود العنيف والانتقام الشرس العنيف الموسوم بالشناعة الموصوم بالجفاء المتجرد من كل القيم الإنسانية والآدمية، وهو فى قوته وضلاعته ينم ضمنياً ويقر بمدى قوة الواشجة الأبوية من يعقوب على يوسف التى حرمت هذا الصبى الصغير من شفاعة من الشفاعات عند إخوته المتهوّكين. لا شفاعة الصغر ولا شفاعة الأخوة ولا الأبوة ولا غير ذلك من الشفاعات التى تعمد إلى التروّى أو الإغماض والتردد فى تنفيذ المخطط الإجرامى للحيلولة دون وقوعه أو التخيف من وطأته وشرته وجماحه.

حيلة مفتراة:

احتال الأبناء على أبيهم، وانتزعوا أخاهم يوسف (على ما نعرفه جميعاً من قصة يوسف) من حضن أبيه برفق شديد ثم ألقوا به فى بئر عميقة (الجب) ثم قفلوا إلى أبيهم راجعين باكين شاكين، وقد افتعلوا قصة مختلقة مكذوبة زاعمين أن الذئب أكل فلذة كبد الشيخ.

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(١).

وقد بلغ بهم الاحتيال والتدليس على أبيهم غاية المدى حيث اختلقوا وافتعلوا دليلا فاسداً مدخولاً مكذوباً فيه عندما عرضوا قميص يوسف مضرجاً ملطخاً بدم شاة ذبحوها، وادعوا بأن هذا هو دم ابنه يوسف إذ أكله الذئب وقضمه.

بيد أن بصيرة الشيخ وعمق إدراكها، ومضاء هذه البصيرة المشحوذة كان أقوي من أى تزوير أو تدليس أو اختلاق، إذ إنه كان يبصر من خلال مشكاة النبوة والذكاء والحصافة والجلاء البصرى، فردَّ على افتراء أبنائه بقوله: ما أحلمك ياذئب! تأكل ابنى يوسف ولا تمزق قميصه؟؟!!

استنباط «لطيف» واستدلال «مرهف» مدهش قال تعالى:

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ ﴾.

أى مكذوب فيه، وهذا وصف بالمصدر على سبيل المبالغة أى كأنه الكذب نفسه وعينه.(٢)

---

(١) يوسف (١٧، ١٨).

(٢) قال ابن عباس – رضى الله عنهما –: ذبحوا شاة، ولطخوا بدمها القميص، راجع القصة بتمامها فى تفسير الطبرى ١٢/١٦٤ وما بعدها.

يقول الإمام الرازى[٣]: إنما جاءوا بهذا القميص الملطخ بالدم ليوهم كونهم صادقين في مقالتهم.. قيل: إنهم ذبحوا جدياً ولطخوا ذلك القميص بدمه ولو أنهم خرقوه مع لطخه بالدم لكان الإيهام أقوى فلما شاهد يعقوب القميص صحيحاً علم كذبهم أهـ.

الهموم والأحزان:

أطافت الهموم والأحزان النوازل على يعقوب وأنشبت الأنكاد أظفارها فى لحمه، وأغارت جيوش الفزع على خوالجه وأطواء كيانه تنهش فى بدنه وتأتى على روحه بلا شفقة ولا هوادة.

يذكر لنا الإمام الرازى أن يعقوب ـ عليه السلام ـ كان قد سقط حاجباه، وكان يرفعهما بخرقة، فقيل له: ما هذا؟ فقال: طول الزمان وكثرة الأحزان.. فأوحى الله ـ تعالى ـ إلى يعقوب: أتشكونى؟ فقال: يارب، خطيئة أخطأتها، فأغفرها لى[٤].

ثم ذهب بصره، وصار ضريراً بسبب الزلزال النفسى والبركان العصبى والإعصار المدمر الذى أتى على قواعده إن كظم الغيظ وكتم الأحزان، وتراكم الألم الوجيع بين حنايا الضلوع مجلب للعذاب، وجالب للمرض النفسى والانهيار العصبى بكل ألوانه وأشكاله.

لم يكن العمى الذى أصاب يعقوب ـ عليه السلام ـ عضوياً أى لم يكن معزواً مرجوعاً إلى تلف أو دمار وظيفى أو تشريحى فى أعضاء الإبصار فى العين، ولكنه نتيجة محتومة للحزن وكظم الغيظ وقلة الحيلة وطول البكاء[٦].

إن العمى النفسى Psychologic Blindness يحجب الرؤية تماماً مثله مثل العمى العضوى تماماً لكن الأول مؤقت وعابر مرتجع، وليس أبدياً، فهو يدهم وينزل بالمنزول به بسبب جائحة أو مصيبة أو كارثة نفسية عنيفة لكنه سرعان ما يزول بزوالها، وينكشف بانكشافها قال تعالى: على لسان سيدنا يوسف:

﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٧].

هذه الحالة المعروفة فى الطب النفسى تقطع قطعاً جازماً وتقرر تقريراً حاسماً بأن القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

(٣) التفسير الكبير ١٠٤/١٨. وذكر السدى أن يعقوب عليه السلام قال: إن هذا الذئب كان رحيماً، فكيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه؟!!

(٤) من التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ١٠٦/١٠٥/١٨ بتصرف.

(٥) وهذا هو المسمى بالعمى غير العضوى ويطلق عليه فى الطب النفسى مسمى: العمى الهستيرى.

(٦) قال بعض المفسرين: إن مدار العذاب والألم والمضاضة إنما هو بسبب كظم الغيظ، ثم قالوا: (وابيضت عيناه من الحزن): كناية عن كثرة البكاء، والدليل على صحة هذا القول أن تأثير الحزن فى غلبة البكاء لا فى حصول العمى... أهـ. لكن هذا الرأى لم يلق قبولاً عند كثير من العلماء..

قال مقاتل: لم يبصر بهما (أى بعينيه) ست سنين حتى كشف الله ـ تعالى ـ عنه بقميص يوسف عليه السلام.

(٧) يوسف ٩٣.

الفرق بين الحزن وبين البث:

إنه بينما يكون الحزن مدمراً ومقوضا للبدن والنفس والروح، فإن البث غير ذلك، وذلك لأن الحزن يكون مطوياً فى الصدر تتأجج نيرانه بين أنحاء الضلوع ولا تجد مخرجاً. ولا متنفساً للتفريج والتسرية.

أما البث: فهو الحزن المنتشر أى المبثوث من خلال الزفرات وفيه من التسرية والترويح والسلوان ما يعالج ويداوى سلبيات الكظم والانطواء من ثم يزيح أثقال الهموم من الصدر.

كان يعقوب مهموماً بالاثنين معاً: الحزن والبث، لقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٨).

أما قوله: ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ فيجوز أن يكون بمعنى الكاظم(٩) وهو الممسك على حزنه فلا يظهره.(١٠)

ويجوز أن يكون أيضاً بمعنى مملوء من الغيظ على أولاده، واعلم أن أشرف أعضاء الإنسان هذه الثلاثة، فبين الله ـ تعالى ـ أنها كانت غريقة فى الهم:

فاللسان كان مشغولاً بقوله: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ ﴾ والعين بالبكاء والبياض، والقلب بالغم الشديد الذى يشبه الوعاء المملوء الذى شد ولا يمكن خروج الماء منه، وهذه مبالغة فى وصف ذلك الغم.

●●●

الخلاصة: أن المختار الذى يرتضيه صاحب هذه الدراسة المتواضعة أن العمى الذى أصاب يعقوب ـ عليه السلام ـ لم يكن مجازياً (أى على سبيل المجاز) كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين (وهم مأجورون على اجتهادهم) لاعتقادهم أن رجوع الإبصار إليه يتعارض مع حقيقة الإصابة... فهى فى تصورهم لم تخرج عن غشيان طائف محدود.

لكن الحكمة تكون أعلى، والموعظة أبلغ والمعجزة أرقى وأسمى عندما يكون العمى حقيقياً مانعاً من الإبصار كلية ثم يعود مرة أخرى.. والطب النفسى يقرر هذا تماماً ولا يرى حرجاً فى الأخذ به والتعويل عليه.

إن الضغوط النفسية الرهيبة المكبوتة المضغوطة فى العقل الباطن لابد أن تجد متنفساً ومخرجاً عن طريق تحويل المسار إلى مشكلة بدنية وجسدية صرفة، فالمشكلة النفسية فى قرار اللاشعور سرعان ما تتحول إلى مشكلة عضوية صارخة مثل العمى، أو الشلل الهستيرى، أو فقدان النطق تماماً أو الصمم، أو التشنجات العصبية أو الغيبوبة، أو القيىء واحتباس البول، وقد يظهر ذلك أيضاً فى صورة فقدان الإحساس أو ظهور حركات لا إرادية Involuntary Movements فى الأعضاء أو رعشة فى الأطراف أى: Tremors.

كان يعقوب يعلم يقيناً أن يوسف لم يمت، ولكن لواعج الحزن والأسى من لوعة الفراق وموجدة البعد، وما أضنى فراق الأحبة جمعنا الله بهم فى الدنيا والآخرة.

((٨) يوسف (٨٦).

(٩) وذلك لأن فعيل تأتى بمعنى فاعل.

(١٠) وقال ابن قتيبة: ويجوز أن يكون بمعنى المكظوم، ومعناه المملوء من الحزن مع سد طريق نفسه المصدور من كظم السقاء إذا اشتد على ملئه. أهـ

من قادة الفتوحات الإسلامية :

عكرمة بن أبى جهل

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

ذاك رجل من أجله، ومن أجل ضربائه، أبى رسول الله ﷺ أن يدعو على قومه، أو أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم عندما كذبوا رسلهم، ولجوا فى الكفر والعصيان.

أخرج البخارى فى صحيحه عن عروة بن الزبير، أن عائشة - رضى الله عنها - حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟

فقال : لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم استفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد

أظلتنى، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فنادانى، فقال: إن الله - عز وجل - قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

قال: فنادانى ملك الجبال وسلم علىّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثنى ربى إليك لتأمرنى، فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين.

فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»[1].

واستجاب الله - سبحانه وتعالى - لرجاء نبيه ﷺ، فأخرج من أصلاب رؤوس الكفر رجال قال فيهم المولى عز وجل:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[2].

من هؤلاء كان رجلنا.. عكرمة بن أبى جهل.. فأى رجل كان.. وأى رجل صار..؟!

يوم دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحا يحطم الأصنام يتلوا قول الله عز وجل -:

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[3].

كان عكرمة واحدا من الذين أهدر رسول الله ﷺ دماءهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة، ويكفى فى هذا دلالة على ما كان من عكرمة قبل الإسلام.

ففى يوم أحد كان عكرمة قائد ميسرة جيش الكفار، وحرص على اصطحاب زوجته معه أم حكيم بنت الحارث بن هشام[4].

غير أن أشد ما أغضب رسول الله ﷺ على عكرمة ما كان منه يوم الرجيع سنة ثلاث للهجرة، حيث قدم على رسول الله ﷺ رهط من (عضل والقارة) وقال: «يارسول الله: إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ ستة من أصحابه، وقيل عشرة، وخرجوا معهم إلى قومهم حتى إذا كانوا على مقربة من بئر الرجيع (ماء لهذيل بناحية الحجاز) غدروا بهم فقتلوا بعضهم، وباعوا الباقين فى مكة لكفار قريش الذين نكلوا بهم أيما تنكيل وشارك عكرمة فى التنكيل بالصحابة حيث كان من الذين أجلبوا على الصحابى الجليل خبيب بن عدى - رضى الله عنه..[5].

ومن هنا ما إن دخل رسول الله ﷺ مكة حتى فر عكرمة إلى اليمن، ولكن الله أراد بالرجل الخير كله استجابة منه - عز وجل - لدعوة رسوله الكريم ورجائه ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده

---

(١) أخرجه البخارى.

(٢) الأحزاب (٢٣).

(٣) الإسراء (٨١).

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ٢، ٦٠، ٦٢.

(٥) المصدر السابق ٢، ١٦٩ : ١٧٩.

لا يشرك به شيئا » فأسلمت زوجته: أم حكيم بنت الحارث بن هشام، واستأمنت لزوجها من رسول الله ﷺ، فأمنه فخرجت فى طلبه إلى اليمن حتى أتت به ليلقى رسول الله ﷺ(٦) .. ويا له من لقاء! ويلقى عكرمة رسول الله ﷺ، الذى ابتدره هاشا باشا وقد علم من إشراقة وجهه أن الإسلام قد عرف طريقه إلى قلبه، فقال له ﷺ: « مرحبا بالراكب المهاجر » فقال عكرمة: يارسول الله علمنى خير شىء تعلمه حتى أقوله فقال له النبى ﷺ: « شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ».

فقال عكرمة: « والله لا أدع نفقة كنت أنفقها فى صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها فى سبيل الله، ولا قتالا قاتلته إلا قاتلت ضعفه، وأشهدك يا رسول الله ».

وبرَّ عكرمة بقسمه ووعده لرسول الله ﷺ فكان فى طليعة الذين لبوا النداء استجابة لقوله تعالى:

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٧).

وقوله عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾(٨).

ولم يكن أبدا من الذين قال فيهم المولى تبارك اسمه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٩).

حتى قيل عن عكرمة: إنه لا يعرف له ذنب بعدما أسلم، وكان يقبل المصحف ويبكى ويقول « كلام ربى.. كلام ربى » وبه احتج الإمام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته(١٠).

وينتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة فيعتقد الناس أن الإسلام قد مات بموت رسول الله ﷺ، وترتد العرب قاطبه عن الإسلام، بحيث لم يبق للإسلام ذكر إلا فى مكة والمدينة، فيقرر الصديق، خليفة رسول الله ﷺ حربهم جميعا، فيجيش لذلك الجيوش، حيث عقد اللواء لأحد عشر قائدا من أعلام الصحابة كان فيهم عكرمة - رضى الله عنه - حيث وجهه الصديق إلى اليمامة لحرب مسيلمة الكذاب مدعى النبوة، وكانت تعليمات الخليفة له أن ينتظر المدد القادم إليه بقيادة شرحبيل بن حسنة وألا يتعجل الهجوم قبل ذلك، ولكن رغبة عكرمة فى الجهاد والانتصار لله ولرسوله، أو قل هى

---

(٦) المصدر السابق ٢، ٤١٠، ٤١٨.

(٧) التوبة (٤١).

(٨) النساء (٧١).

(٩) التوبة (٣٨).

(١٠) ابن كثير، البداية والنهاية ٣٨/٧.

روح الفدائى التواقة لنيل الشهادة، كانت أقوى من تعليمات الخليفة، فلم يطق صبرا، فهجم على مسيلمة الكذاب، ولكن الأخير تمكن منه وأوقع به، فغضب الخليفة الصديق أشد الغضب، فهو لم يرسله لمجرد أن ينال الشهادة التى يتوق إليها - وكم هى عزيزة على نفس عكرمة - وإنما أرسله ليجعل كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا هى السفلى، وكتب إليه يأمره بألا يرجع المدينة فيوهن الناس، وأن يمضى مددا إلى حذيفة بن محصن لحرب المرتدين فى عُمان ثم إلى عرفجة بن هرثمة لحرب أهل مهرة الذين ارتدوا عن الإسلام.

وكانت المرة الأولى والأخيرة التى عهد فيها الصديق لعكرمة بقيادة عمليات عسكرية رئيسية، وإنما جعله تحت إمرة من هم أقدر منه دون أن ينال من كرامته ومكانته، فقد تأكد الصديق أن عكرمة لديه رغبة أكيدة فى الجهاد، هدفه الأوحد نيل الشهادة، ليمحو كل ما كان منه قبل الإسلام، وأن يتخلص من عار لم يكن له دخل فيه، وهو أنه ابن أبى جهل رأس الكفر فى الجاهلية، وهو إحساس عظيم المرارة حمله عكرمة فى نفسه يعتصر قلبه هما وكمدا، حتى أن رسول الله ﷺ لما رأى ذلك وأحسه فى عكرمة قال لأصحابه: «إن عكرمة يأتيكم، فإذارأيتموه فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذى الحى ويؤلمه»[(١١)] وتستمر رحى حروب الردة فى دورانها، ويكتب الصديق إلى الأشعث بن قيس ومن معه من قبائل كندة - وكانوا قد ارتدوا عن الإسلام - يأمرهم بتقوى الله وأن يرجعوا إلى الحق، ولكن الأشعث يمزق الرسالة ويقتل الرسول الذى حملها فكتب الصديق إلى عكرمة يقول: «بلغك ما كان من أمر الأشعث بن قيس وقبائل كندة.. فإذا قرأت كتابى هذا فسر إلى زياد بن لبيد فى جميع أصحابك واسمع له وأطع فإنه الأمير عليك، وانظر لا تمرن بحى من أحياء العرب إلا استنهضتهم فأخرجتهم معك إلى محاربة الأشعث بن قيس وأصحابه إن شاء الله».

فسار عكرمة، حتى صارإلى صنعاء، فاستنهض أهلها فأجابوه إلى ذلك، ثم سار إلى مأرب فنزلها، وبلغ ذلك أهل (ذمار) فغضبوا من مسير عكرمة إلى محاربة كندة وجعل بعضهم يقول لبعض: (تعالوا حتى نشغل عكرمة عن محاربة أبناء عمنا من كندة وقبائل اليمن ووثبوا على عامل الخليفة أبى بكر الصديق فطردوه، فعلم الصديق بذلك فكتب إلى عكرمة يقول: «سر إلى أهل دباء (ذمار) على بركة الله، فأنزل بهم ما هم له أهل، ولا تقصر فيما كتبت به إليك، فإذا فرغت من أمرهم فابعث إلىّ بهم أسيرا، وسر إلى زياد بن لبيد، فعسى الله أن يفتح على يديك بلاد حضرموت إن شاء الله تعالى».

ولحق عكرمة، بزياد وأصحابه قرب حضرموت حيث حملوا على الأشعث وأصحابه كحملة رجل واحد فهزموهم حتى ألجأوهم إلى حصنهم الأعظم، فحاصرهم زياد

(١١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ١٠٨٢/٣.

وعكرمة وسدوا عليهم كل مهرب، وسمعت بذلك كندة فسارت لحرب المسلمين.

وعلم عكرمة بحشود كندة الزاحفة فاقترح على زياد أن يخرج هو (عكرمة) لمواجهة كندة، ويظل زياد مقيما على باب حصن حضرموت، واستحسن زياد رأى عكرمة.

فجيوش المسلمين أن بقيت على حصارها لحصن حضرموت لدهمتهم جموع كندة وحصرتهم بينهم وبين المقيمن فى الحصن الذين كانت معنوياتهم سترتفع ولاشك وهم يرون كندة قد هبت لنجدتهم.

وبالفعل ييأس الأشعث بن قيس من طول الحصار فيستسلم ويطلب الأمان وهو لا يعلم بقدوم كندة، ويكتب زياد إلى عكرمة بذلك فيستبشر عكرمة، ويصيح فى جموع كندة قائلا: «يا هؤلاء، على ماذا تقاتلون، فقالوا: نقاتلكم على صاحبنا الأشعث بن قيس، فقال عكرمة :إن صاحبكم قد طلب الأمان» فاستسلمت كندة.

وهكذا يحقق عكرمة أمل الصديق فيه ودعاءه له «عسى الله أن يفتح على يديك بلاد حضرموت إن شاء الله تعالى».

وعندما قرر الصديق حرب الروم فى الشام جيش لذلك الجيوش، إذ خرج خالد بن سعيد على رأس جيش فى ٢ من ربيع الآخر سنة ١٢ هـ، وتبعه يزيد بن أبى سفيان فى ٢٣ من رجب سنة ١٢ هـ، تبعه شرحبيل فى ٢٧ من رجب، ثم أبى عبيدة بن الجراح فى ٧ من شعبان للعام نفسه.

ولكن الروم فى المقابل حشدوا حشودا هائلة وضعوا فيها كل مقدرات إمبراطوريتهم مما أعجز القادة عن تحقيق الهدف المنشود، فكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى الخليفة الصديق فى ٢١ من شوال عام ١٢ هـ يسأله المدد والمشورة.

فجمع الصديق أشراف المهاجرين والأنصار، وأهل السابقة منهم، ثم دعا بأشراف أهل مكة، فقال له عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - «لأى شيء دعوت بأهل مكة من المهاجرين والأنصار»(١٢).

فقال له الصديق: «لأستشيرهم فى هذا الأمر الذى كتب إلينا فيه» فقال عمر: «أما المهاجون والأنصار فأهل المشورة والاستنصاح، وأما رجال أهل مكة الذين كنا نقاتلهم لتكون كلمة الله هى العليا ويقاتلوننا ليطفئوا نور الله بأفواههم جاهدين على قتلنا وذلنا، أن قلنا ليس مع الله آلهة أخرى، وقالوامع الله آلهة أخرى، فلما أعز الله دعوتنا وصدق أحدوثتنا ونصرنا عليهم تريد أن تقدمهم فى الأمور وتستشيرهم فيها وتستنصحهم وتدنيهم دون من هو خير منهم؟ فما نصحنا إذا بصلحائنا الذين كانوا يقاتلونهم فى الله حين تقدمهم تدونهم فلانراهم إذا وضعهم عندنا جهادهم إيانا وجهدهم علينا، والله لا تفعل ذلك أبدا فقال له أبو بكر: إنه قد حسن إسلامهم، ولقد كنت أريد أن أدنيهم أنزلهم بالمنازل التى كانوا بها فى قومهم من الشرف، فأما إذا ذكرت ما ذكرت فقد رأيت أن الرأى فى هذا رأيك»

---

(١٢) الأزدى (٥٢).

وبلغ هذا الحوار عكرمة، ونفر من أشراف قريش المعنيين بهذا الحوار وكان فيهم سهيل بين عمرو وكان شريفا عاقلا فشق الأمر عليهم فخرجوا للقاء الصديق، وعمر، وتحدث عكرمة والألم يأكل قلبه: «إنكم كنتم تجدون فى عداوتنا قبل اليوم مقالا فلستم اليوم بأشد على من ترك هذا الدين، وعادى المسلمين منا»

فقال عمر بن الخطاب: «إنى والله ما قلت ما بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم بالإسلام وتحريا للعدل فيما بينكم وبين من هو أفضل منكم من المسلمين»

فقال عكرمة وهو فى قمة التأثر: «أنا أشهدكم أنى حبيس فى سبيل الله»

فقال الصديق: «اللهم بلغ بهم أفضل ما يأملون واجزهم بما كانوا يعملون، قد أصبتم فيما صنعتم فأرشدكم الله»

وخرج عكرمة ورفاقه وهو يبكى دمًا من كلمات عمر فهو لم يكن فقط ممن حاربوا الإسلام قديما، ولكنه ابن رجل هو مضرب لمثل فى الكفر، ولا مناص من دفع العار إلا بالشهادة، ولم يفق عكرمة من شروده الحزين إلا على قول سهيل بن عمرو: «ما من أعمال عند الله أفضل من الجهاد فى سبيل الله، فانطلقوا حتى تكونوا بين المسلمين وبين عدوهم فتجاهدوهم دونهم حتى تموتوا فلعلنا أن نبلغ بذلك فضل المجاهدين»

فخرجوا جمعيا إلى جهاد الروم بالشام وكان خروج عكرمة مع نفر من المسلمين مددا لخالد بن سعيد بن العاص فلحق به فى إيلياء حيث كلفه بأن يبقى ردءا للجيش يحمى مؤخرته ويؤمن انسحابه إن دعت الضرورة وجدت أن تورط خالد بن سعيد فى هجوم فاشل على دمشق أغراه به (ماهان) قائد جيوش الروم الذى ألحق به الهزيمة فانسحب خالد بن سعيد تجاه عكرمة الذى أحسن توزيع رجاله بشكل حال بين الروم وبين مطاردة جيوش المسلمين المنسحبة بل وثبت فى مواجهة جيوش الروم التى فضلت الانسحاب والعودة إلى دمشق، ولكن عكرمة فى هذه المرة لم يتورط فى مطاردة المنسحبين وإنما ظل ملتزما بدوره الذى كلفه به قائده خالد بن سعيد وهو أن يبقى ردءا للجيش(١٣).

لقد تعلم عكرمة الكثير من حرب اليمامة وأول ما تعلمه الطاعة للقائد وعدم الاندفاع الحماسى، تماما مثلما فعل فى فتح حضر موت عندما التزم بالطاعة الكاملة للخليفة الصديق الذى رأى فيه نموذجا للمجاهد فى سبيل الله الباحث عن إعلاء دينه، ولكنه كان فى حاجة الى تدريب وتعليم فعمد إلى تكليفه بمهام عسكرية ولكن تحت إمرة من هم أقدر على تعليمه وتدريبه حتى يكسب للإسلام قائدا يحسن القيادة والتوجيه، فالشجاعة والتضحية والفداء صفات مطلوبة فى أى مقاتل ولكن القائد ينبغى أن تتوفر فيه صفات أخرى، حرص الصديق على إكسابها لعكرمة من خلال عمله تحت قيادة رجال خبروا المعارك والحروب.

---

(١٣) ابن كثير، البداية، والنهاية ٣٨/٧.

وتتجمع قيادة جيوش الشام فى يد خالد بن الوليد سيف الله المسلول، الرجل الذى لم يهزم فى أى معركة خاضها، فيعيد تنظيم الجيش، ويجعل عكرمة والقعقاع بن عمرو على مجنبتى قلب الجيش[١٤]، لم يجد خالد من يفوقهما جرأة وبسالة ومقدرة ليقفا بجواره فى الصفوف الأمامية استعدادا للمعركة الفاصلة فى مواجهة جحافل الروم فى اليرموك سنة ١٣ هـ حيث وقعت المعركة الفاصلة التى مثلت بداية ونهاية، بداية ظهور الدولة الإسلامية خارج نطاق الجزيرة العربية، ونهاية الدولة البيزنطية.

وحمى وطيس المعركة، وضغطت جموع الروم على المسلمين فتراجعوا عن مواقعهم، فصاح عكرمة: «قاتلت رسول الله ﷺ فى مواطن وأفر منكم اليوم!» ثم نادى: «من يبايع على الموت؟» فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور فى أربعمائة من وجوه المسلمين[١٥] ويقاتل عكرمة كما لم يقاتل مبديا من ضروب الشجاعة والبسالة ما كان مضرب الأمثال حتى سقط شهيدا وبه بضعة وسبعون ما بين ضربة ورمية وطعنة[١٦].

ليس هذا فقط، بل كانت لشهادته قصة تجعله مضرب المثل فى الإيثار استشهد البطل عكرمة، ومعه الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، هؤلاء الثلاثة تحديدا الذين خرجوا سويا من المدينة طلبا للشهادة فى سبيل الله والألم يعتصر قلوبهم بعد أن رفض عمر بن الخطاب أن يكونوا وضرباءهم ممن أسلموا يوم الفتح أن يكونوا ممن يؤخذ منهم رأى ومشورة، كان لهؤلاء الثلاثة مشهد لا ينسى، الثلاثة سقطوا صرعى واستشعروا العطش فأتوا ماء فتدافعوه، كلما دُفِعَ إلى رجل منهم قال اسق فلانا، حتى ماتوا ولم يشربوه قال عبدالله بن مصعب: طلب عكرمة الماء، فنظر إلى سهيل ينظر إليه فقال: ادفعه إليه فهو أحق به منى، فنظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه فقال: ادفعه إليه. فلم يصل إليه أحد منهم حتى ماتوا جميعًا[١٧] وحتى اللحظة الأخيرة أبى عكرمة ورفاقه رضى الله عنهم ـ إلا تمثل قول الله – عز وجل:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١٨].

ومتى؟ وهم يعانون سكرات الموت، فكانوا حقا.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾

(١٤) المصدر السابق ١٣/٧.

(١٥) المصدر السابق ١٣/٧.

(١٦) المصدر السابق ٣٨/٧.

(١٧) الاستيعاب ١٠٨٤/٣.

(١٨) الحشر (٩).

غَدْرُ اليَهُود

للشاعر الكبير الأستاذ / أحمد محرم

ترامى الجيش، واندفع الرعيل ... فقل لبنى قريظة ما السبيل؟[1]
سلوا كعبا وصاحبه حييا ... نزيل الشؤم هل صدق النزيل؟[2]
أطعتم أمره، فتلقفتكم ... من الأحداث داهية أكول
وكان دليلكم، فجنى عليكم ... وقد يجنى على القوم الدليل
دليل السوء، لا عقل حصيف ... يسدده، ولا رأى أصيل
تفرقت الجموع وأدركتكم ... جنود اللّه يقدمها الرسول[3]
جهلتم ما وراء الغدر حتى ... رأيتم كيف يتعظ الجهول
ألم تروا اللواء مشى إليكم ... به وبسيفه البطل المهول؟
حذار بنى قريظة من على ... ولا يغرركم الأطم الطويل[4]
وما يجديكم الهذيان شيئا ... وهل يجدى المُخبَّل ما يقول؟

---

(١) الرعيل مقدمة الخيل أو القطعة القليلة منه تقدر بالعشرين أو الخمسة والعشرين.

(٢) إشارة إلى ما كان من أمر حيى بن أخطب مع كعب بن أسد حين ذهب إليه وحمله على نقض العهود وتمزيق الصحيفة. راجع غزوة الخندق وإلى أنه معه فى الحصن وفاء بعهده.

(٣) الذين جاءوا لحرب النبى فى غزوة الخندق.

(٤) الأطم: الحصن.

وما لبنى القرود سوى المواضى يكون لها بأرضهمُ صليل[٥]

***

تواروا كالنساء محجَّبات حمتها فى المقاصير البعول

خلا الميدان، لا بطل ينادى ألا بطل؟ ولا فرس يجول

أقاموا مُحْجَرين على هوان أقام، فما يريم ولا يحول[٦]

يرنِّق عيشهم جوع وخوف كلا الخطبين أيسره جليل[٧]

يبيت الهم منتشرا عليهم إذا انتشرت من الليل السدول[٨]

يلفهم السهاد، فلا رقاد يطيب لهم، ولا صبر جميل

يخاف النومَ أكثرُهم سهادا كأن النوم فى عينيه غول

إذا مالت به سِنَة تنزّى يظن جوانب الدنيا تميل[٩]

تطوف بهم مناياهم ظنونا توهَّجُ فى مخالبها النصول

بهم وبحصنهم مما دهاهم وحاق بهم جنون أو ذهول

***

يقول كبيرهم ياقوم ماذا ترون؟ أهكذا تَعمَى العقول؟[١٠]

---

(٥) إشارة إلى قول الرسول الكريم لهم وقد دنا من حصنهم - يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟، فإن عليا ـ كرم الله وجهه ـ أقبل على الحصن فى جماعة من المهاجرين والأنصار، وغرز اللواء عند أصله، فسمع من بنى قريظة كلاما بذيئا فى رسول الله وأزواجه، ثم رآه مقبلا فأوصى أبا قتادة الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ أن يلزم اللواء وخف إليه فقال: يا رسول الله لا عليك ألا تدنوا من هؤلاء الأخابث، قال: لعلك سمعت منهم لى أذى قال: نعم فدنا من الحصن وقال لهم: يا إخوان القردة...».

(٦) أحجره غطاه وستره، كناية عن بقائهم فى الحصن رام مكانه زال عنه وفارقه.

(٧) يرنق بمعنى يكدر. (٨) جمع سدل وهو الستر.

(٩) تنزى توثب وتسرع.

(١٠) كعب بن أسد، قال لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا، أيها شئتم فذاك. قالوا: وما هى؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب، حيث لم يكن من بنى إسرائيل، ولقد كنت كارها لنقض العهد، ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس (يعنى حيى بن أخطب) أتذكرون ما قال ابن خراش حين قدم عليكم، أنه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له أنصارا فتكونوا قد أمنتم بالكتابين. الأول والآخر - قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره: قال: فهلم فلنقتل أبنائنا ونسائنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ثقلا، وإن نظفر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء.. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؟؟ قال: إن الليلة ليلة السبت. وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة، فقالوا نفسد سبتنا وأبوا.

أليس محمد من قد علمتم | فما الخَبَل الملحُّ، وما الغفول؟[11]
رسول الله ما عنه صدوف | لمن يبغى النجاة، ولا عدول
أبعد العلم شك؟ بل ضللتم | على علم، وذلكم الغلول[12]
هلموا نتبعه، فإن أبيتم | فليس لنا سوى الأخرى بديل
نضحّى بالنساء وبالذرارى | ونخرج، والدم الجارى يسيل
بأيدينا السيوف مسللات | نصون بها الذمار إذا نصول
فإلا تفعلوا فالقوم منا | بمنزلة تنال بها الذحول[13]
لهم منا غدا بالسبت أمن | فإن تك غرة شُفِىَ الغليل
هلموا بالقواضب إن أردتم | فما يغنى التردد والنكول
عصوه، وراضهم عمرو بن سعدى | فما اجتُنِب الجماح ولا الجفول[14]
أبوها جزية ثقلت عليهم | وقالوا: بئسما يرضى الذليل
ففارقهم على سخط وضغن | وراح يقول: لا نعم القبيل
نهاهم قبل ذلك أن يخونوا | فكان الغدر والداء الوبيل

***

توالىَ الضُّر عبئا بعد عبء | فهدّ قواهم العبء الثقيل
دَعَوْا يستصرخون: ألا دواء | فقد أشفى على الموت العليل؟

---

(١١) الغفول بمعنى الغفلة.

(١٢) الغلول - الخيانة.

(١٣) الذحول جمع ذحل والذحل الثأر.

(١٤) قال لهم عمرو بن سعدى: خالفتم محمدا ولم أشرككم فى غدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية، وأعطوا الجزية. فأبوا وغضب فقال: إنى برىء منكم، ثم فارقهم ولم يعد إليهم.

الجفول: النفور من كل شىء.

لعل أبا لبابة إن ظفرنا ... بمقدمه لعثرتنا مقيل[١٥]
وأرسله النبى فخالفوه ... وقالوا: لا يصاب لنا قتيل
لكم منا السلاح إذا أردتم ... وتنطلق الركائب والحمول
وعاد، فراجعوه على اضطرار ... وهان عليهم المال الجزيل
إليك أبا لبابة ما منعنا ... وشرُّ المال ما منع البخيل
خذوه مع السلاح، وأطلقونا ... فحسب محمد منا الرحيل
فقال: دماؤكم لابدّ منها ... وذلك حكمه، فمتى القبول؟
أجب يا كعب إن الأمر حتم ... فماذا بعد إلا المستحيل
وما من معشر يا كعب إلا ... على حكم النبى لهم نزول
نصحت لكم، وما للقوم عذر ... إذا نصح الحليف أو الخليل

***

هوَوا من حصنهم، وكذاك تهوى ... وتهبط من معاقلها الوعول[١٦]
وجاءوا ضارعين، لهم خوار ... يجاوبه بكاء أو عويل
يبثُّ الوجدَ مبتئس حزين ... وتذرى الدمع والهة ثكول
قضاء اللّه من قتل وسبْى ... مضى، والبغى دولته تدول

(١٥) لما جاءهم أبو لبابة ـ رضى الله عنه ـ واسمه «رفاعة بن المنذر» قام إليه الرجال وأسرع النساء والأطفال يبكون فى وجهه، وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد «أن لا تحقن دماؤهم وأن تترك لهم نساؤهم وأبناؤهم» قال - نعم، فأبوا وقالوا: نترك السلاح ونجلو، فلم يقبل النبى، وعادوا فقالوا نترك السلاح والمال، فكذلك.

(١٦) نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فبرزوا من الحصن. وجاءوه أذلاء ضارعين. فأمر بهم فكتفوا، وأخرج النساء والذرارى فجعلوا ناحية - الوعول جمع وعل. وهو التيس الجبلى أو ذكر الأروى.

يقـــــول الأوس إن القــــــوم منـا على عـــهـــد، وقـــد طمتِ السيـــول[١٧]
مـــــواليـنـــا، إذا خَـطـبٌ عـنـاهـم عنـانا مـــا يُشقُّ ومـــا يعـــول
وهم حلفـــاؤنا، نحنو عليـــهم ونحـــدب إن جـــفـا الحـدبُ الوصــول
أنقـــتلهم بأيدينا؟؟ فـــعـــفـــواً رســـول اللّـه إن أثم الضلـول
فـــقـــال: جـــعلت أمـــر القـــوم طراً إلى ســـعـــد فنعم هو الوكـــيل
وجـيء بـه، يقـــــول لـه ذووه ترفـق، إنـك المولى النبـــيل[١٨]
فـــقـــال: دعـوا اللجـاج فـإن سـعـداً بنصـــرة ربه الأعلى كـــفـــيل
فـــصـــاح يقـــول: واقـــومـــاه منهم رجـــال عـــزمـــهم واه كليل[١٩]
أتى، فـــأقـــرَّ حكم اللَّه فـــيـــهم وآل الأمـــر أحـــسن مـــا يؤول[٢٠]
عليٌّ والزبيـــر لكل عـــضـب صـــقـيل منهـمـــا عـضب صـقـيل[٢١]
همـا استـبـقا نفوس القـوم نهـبـاً وروح الله بينهـــمـــا رســـيل[٢٢]

***

تقـــدم يـا حـــييُّ فـــلا مـــحـــيص ورِدْ يا كـــعب مـــا ورد الزمـــيل[٢٣]

---

(١٧) تواثبت الأوس وقالوا: يا رسول الله.. موالينا وحلفاؤنا، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع حلفاء الخزرج وقد كلمه فيهم عبدالله بن أبى بن سلول، فوهبهم له على أن يجلوا - فقال: أما يرضيكم يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم، قالوا: بلى - فقال: فذلك إلى سعد بن معاذ.

(١٨) بعث النبى إلى سعد بن معاذ وكان فى خيمة رفيدة الأسلمية فحمله بعض قومه على حمار وهم يقولون له: يا أبا عمرو أحسن فى مواليك. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فقد رأيت ابن أبى وما صنع فى حلفائه - كانوا يقولون ذلك له وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال ـ رضى الله عنه ـ: لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فصاح بعضهم: واقوماه.

(١٩) واه كليل: بمعنى ضعيف.

(٢٠) جاء سعد فقال لبنى قريظة: أترضون بحكمي؟ قالوا: نعم - قال: فإنى أحكم فيكم أن تقتل الرجال، وتغنم الأموال. وتسبى الذرارى والنساء.

(٢١) كان الذى تولى قتلهم على بن أبى طالب والزبير بن العوام ـ رضى الله عنهما ـ.

(٢٢) الرسيل المرسل، والموافق فى النضال وغيره.

(٢٣) جيء بحيى بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فقال له النبى: ألم يمكن الله منك يا عدو الله؟ قال: بلى، أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك، ولكن من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه. أما كعب بن أسد فقال له بعض قومه: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: فى كل موطن لا تعقلون، أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع؟ هو والله القتل.. قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتم على، قالوا: ليس حين عتاب.

لكل من شقاء الجِدِّ ورد ... وسَجْل من منيته سجيل[٢٤]
أصابكما من الأقدار رام ... هوى بكما، فشأنكما ضئيل
لبئس السيدان لشر قوم ... همُ البرحاء والداء الدخيل[٢٥]
منابت فتنة خبثت وساءت ... فلم تطب الفروع ولا الأصول
قلوب من سواد القوم عمْىٌ ... وألباب من الزعماء حول
أضلّهُمُ الغباء، فهم كثير ... وعمهم البلاء، فهم قليل

***

تخطّفهم هريت الشدق ضار ... له من محكم التنزيل غيل[٢٦]
فما نجت النساء ولا الذرارى ... ولا سلم الشباب ولا الكهول
تهلّلت المنازل والمغانى ... وأشرقت المزارع والحقول
وبات الحصن مبتهجاً، عليه ... لآل محمد ظل ظليل

***

لعمر الهالكين لقد تأذّى ... تراب فى حفائرهم مَهيل[٢٧]
طوى رجساً تكاد الأرض منه ... تمور بمن عليها أو تزول[٢٨]
يساق السبْىُ، شرذمةٌ بنجد ... وأخرى بالشآم لها أليل[٢٩]

---

(٢٤) السجل: الدلو. وسجيل بمعنى عظيم، ولا يقال له سجل إلا إذا كان ممتلئا، والجد الحظ.

(٢٥) البرحاء الأذى الشديد.

(٢٦) واسع الشدق. من صفات الأسد، والمراد به النبى صلى الله عليه وسلم.

(٢٧) أمر النبى فحفرت الحفائر، ثم ألقى قتلى بنى قريظة فيها وهيل عليهم التراب.

(٢٨) تمور تضطرب.

(٢٩) بعث النبى سعد بن زيد الأنصارى ببعض سبايا بنى قريظة إلى نجد، وسعد بن عبادة ببعض منها إلى الشام ليبتاعا بها خيلا وسلاحا - الأليل: الأنين، ورفع الصوت بالصراخ عند المصيبة.

جـــلائب، لا أبٌ في الســـوق يحـــمى ... ولا ولـــد يـــذبُّ، ولا حـــلـــيـــل(٣٠)

تُجَــر على الهــوان، ولا مــغــيث ... بـأرض مـــا تجـــرُّ بهـــا الذيول

أصـــاب المسلمـــون بهـــا ســـلاحـــاً ... وخـيـــلا في قـــوائمـــهـــا الحـــجـــول

مـكـرمـــــة، تُعـــــدُّ لـكـل يـوم ... كـــريم الذكـــر، ليس له مـــثـــيـل

إذا ذكـــرت مناقـــبـــه الغـــوالي ... تعـــالت أمـــة، واعـــتـــزَّ جـــيـل

مـنـاقـب مـــايزال لهـــا طـلوع ... إذا الأقـــمـــار أدركـــهـــا الأفـــول

لهـــا من نابه الأدب انبـــعـــاث ... فـــمـــا يُخـــفى زواهرها الخـــمـــول

ضـــمنت لهـــا البـــقـــاء وإن عنتنى ... من الدهر العـــوائق والشـــغـــول

ومـــا تغنى الخـــزائم حـــين تُلوَى ... إذا انطلقت لحـــاجـــتـــهـــا الفـــحـــول

تُخلِّدُها مـــصـــونات حـــســـان ... حـــرائرُ، مـــا لهـــا أبداً مُـــذيل

صـــفـــايا الشِّـــعـــر، لا خلق زرِيٌّ ... يخـــالطهـــا، ولا أدب هـزيل

لعلَّ اللَّه يجـــعـلهـــا ربيـــعـــاً ... لألبـــاب أضـــرَّ بهـــا المحـــول

فـــوا أســـفـــا، أتُطمـــعنى القـــوافى ... فـــيـــخلف مطمع، ويخـــيـب ســـول؟

وواحـــربا، أمـــا يُرجَى فكـاك ... لأســـرى مـــا تفـــارقـــهـــا الكبـــول؟(٣١)

***

(٣٠) جلائب: مسوقات؛ يذب: يدفع.

(٣١) يقصد الأمم الإسلامية المغلوبة على أمرها فى أيامنا هذه.

العصر الذهبى للصهيونية العالمية فى مواجهة الإسلام

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

بعد اندلاع أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ولأول مرة فى تاريخ أمريكا المعاصر، وأول اختبار للرئيس الأمريكى الجديد بوش (الابن) ترى الإدارة الأمريكية أنها أمام خيارين لا ثالث لهما، الجماعات الإسلامية والمسلمين والإسلام فى كفة وكرامة وكبرياء وقوة أمريكا فى كفة أخرى، وحسمت الأمر منذ البداية مخاطبة العالم أجمع بأن أمريكا ستقود حربا شرسة ضد ما أسمته بالإرهاب برغم أن العالم حتى الآن يتساءل ما مفهوم أمريكا للإرهاب، وأعلن بوش صراحة أن العالم أجمع أمام خيارين لا ثالث لهما، من معنا ومن ضدنا، وسنبدأ بأفغانستان وبعدها دولا أخرى، والحرب قد تستمر لأعوام، وكان الخطاب بمثابة إرهاب للعالم أجمع، من معنا سيكافىء، ومن ضدنا سيذوق الأهوال السبعة.

إذاً فالحرب ضد جماعات إسلامية تنتمى لدول إسلامية، والصورة قد اتضحت، وأعداء أمريكا دول معروفة على خارطة العالم، وعلى العالم المشاركة فى تدميرها، والبداية أفغانستان معقل بن لادن الأسطورى الذى يمتلك مصباح علاء الدين والقادر على تدمير أى قارة على الكرة الأرضية!! وأصبح الشجب الذى يعلقون عليه أخطاءهم ويبررون به أفعالهم تجاه الإسلام

والمسلمين، والذى زرعه وغذاه اللوبى الصهيونى طوال عقود مضت.

منذ شهرين تُضرب أفغانستان المسلمة بكل ما وصل إليه الغرب من اختراعات لأحدث أنواع القنابل والصواريخ برغم التصريحات البراقة والمواد الغذائية التى تلقيها الطائرات الأمريكية لأطفال أفغانستان. أو وليمة الإفطار التى أعدها بوش فى البيت الأبيض لتناول طعام الإفطار مع ٥٣ سفيرا من الدول الإسلامية فى حادثة لم يشهدها المجتمع الأمريكى من قبل.

ومع مدفع الإفطار تتساقط القنابل على أفغانستان وتحصد الأبرياء. وسجون أمريكا وأوروبا تعج بالسجناء العرب والمسلمين الأبرياء المشتبه فيهم. وبعد أيام تصدر مصلحة البريد الأمريكى طابعاً تذكارياً بمناسبة عيدالفطر المبارك.

وقد شهدت الساحة العالمية نشاطا غير عادى للصهيونية العالمية واللوبى الصهيونى فى حملة شرسة استهدفت المسلمين والعرب داخل الولايات المتحدة وخارجها مسخرة أبواق إعلامها. وتدخلها المباشر أو غير المباشر فى صنع القرار وكانت النتيجة مصادرة أموال البنوك الإسلامية والجمعيات الخيرية الإسلامية وأموال أثرياء المسلمين بحجة أنها توجه للإرهاب.

وعن طريق إعلام اللوبى الصهيونى قلبوا الموازين وألصقوا تهمه الإرهاب بالمسلمين وحولوا الكفاح المسلح الوطنى الفلسطينى المشروع إلى إرهاب، وحولوا إرهاب إسرائيل الموجه لتصفية الوجود الفلسطينى إلى دفاع عن النفس، وفرضوا النظرة الأحادية على الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت أمريكا تنظر إلى مشاكل الشرق الأوسط بعيون إسرائيلية والإعلام الصهيونى يلعب على كل الأوتار، ولدى اللوبى الصهيونى سيناريوهات جاهزة التحضير والرؤية المستقبلية المحتملة لاستغلال ما يحدث لصالحهم، أو يفعلوه هم ويلصقوه بالآخرين. فإن الرعب الذى اجتاح أمريكا بكل ولاياتها بعد ظهور ميكروب الجمرة الخبيثة «الإنثراكس» فى عدة أماكن، وبث اللوبى الصهيونى البلاغات الكاذبة عن وجود بودرة بيضاء يشتبه أن تكون ميكروب الجمرة الخبيثة فى الأماكن الحساسة بأمريكا. أو بالبريد. كى يقنع العالم أجمع ويسكب البنزين على النار المشتعلة بأن وراء هذا الرعب عربياً مسلماً ذا لحية سواء أكان من قارة آسيا أو أفريقيا أو أوروبا أو حتى إن كان قد ولد وعاش هو وأجداده فى أمريكا إنها حملة مسعورة يخوضها اللوبى الصهيونى لأنه المستفيد الوحيد لما يحدث الآن، والجميع يتساءل عن اليد الخفية التى تبث الرعب فى كل مكان بأمريكا فى الكونجرس الأمريكى تعلن الحكومة أنها عثرت على جراثيم الجمرة الخبيثة فى أجهزة التكييف.. الخ.

وعمدة نيويورك عثر عليها فى مكتبه.. إلخ. كيف يخترق أى عربى مسلم هذه الأماكن؟؟ الذى يمكنه اختراقها هم اليهود الذين يعملون ويتقلدون المناصب المهمة فى أمريكا وسيطروا تقريبا على كل المؤسسات الحساسة بها.

كما استغل الإعلام الصهيونى الوضع المتردى للمسلمين فى أفغانستان، وقام بنشر وبث صور بعض الأفغانيات وقد خلعن الحجاب على أنها ظاهرة صحية تعبر عن القهر الإسلامى الذى

عانت منه نساء أفغانستان والذى يتعارض مع حقوق المرأة ويتعارض مع حقوق الإنسان وكذلك صور بعض الشباب وهو يقوم بحلق لحيته (تحت تهديد قوات التحالف الشمالى التى تدعمها أمريكا) على أنه كان مجبراً لإطالة لحيته، والآن تحرر منها.

وكذلك يطالعنا الإعلام الغربى الصهيونى بأن القضية الفلسطينية لن تحل إلا إذا قدم الفلسطينيون تنازلات لإنجاح المفاوضات. أى تنازلات يقدمها صاحب الأرض لمن احتلها!!

وتسعى الصهيونية منذ احتلالها فلسطين إلى تفريغها من العرب سواء بالترحيل أو الإبادة وعجزت آلة الحرب التى تدور رحاها منذ سبتمبر ٢٠٠٠ ضد أطفال الحجارة لإبادة هذا الشعب الأعزل. واستغلت سيناريو «الحرب ضد الإرهاب» مسخرة وسائل إعلامها وتغلغلها المباشر أو غير المباشر فى صنع القرار الأمريكى كى تحظى بتأييد أمريكا باعتبار ما يقوم به الفلسطينيون من مقاومة مشروعة للاحتلال إرهاب.

وبعد الجهود العربية والدولية والمطالبة بمحاكمة ارئيل شارون كمجرم حرب، يسعى اللوبى الصهيونى جاهدا للمطالبة باعتبار ياسر عرفات مجرم حرب، وأود أن أشير إلى أن الجرائم التى ارتكبها سفاح إسرائيل لا تعد ولا تحصى، أليس هو الذى قتل زوجات وأطفال الضباط البريطانيين عندما نسف مقر إقامتهم فى فندق الملك داود بمعاونة عصابات الأرجون وشتيرن!!

وما حدث فى أمريكا من إرهاب مأساوى لا يرضى الإسلام والمسلمين، وحتى كتابة هذه السطور لم يجزم التحقيق الأمريكى بمرتكب هذه الحادثة الشنيعة التى تدمى القلوب، وسواء قام بها الموساد الإسرائيلى لزرع فتيل العداء بين العالم الغربى والعالم الإسلامى، أم قام بها بن لادن الذى صنعته أمريكا فى حربها ضد السوفييت أو قامت بها مؤسسات إرهابية أمريكية فما صلة كل هذا بالدين الإسلامى الحنيف؟ وإذا بحثنا عن المستفيد الأول فهو اللوبى الصهيونى الذى غزا المؤسسات الامريكية جميعاً، واستغل الموقف على مرأى ومسمع من العالم أجمع فى التنكيل بالفلسطينيين وضم الأراضى الفلسطينية والعالم فى ذهول من هول الحادث الأليم وقد سبق اعتقال خمسة عسكريين إسرائيليين سابقين يوم ١١ سبتمبر وهم يلتقطون صوراً لمركز التجارة العالمى أثناء انهياره وفى حوزتهم خرائط وأسلحة بيضاء يقول المحققون إنها تشابه الأسلحة التى استخدمها المختطفون، وإسرائيل تنفى وأمريكا فرضت السرية على التحقيقات!!

والآن تعترف السلطات الفيدرالية الأمريكية باعتقال ٦٠ اسرائيليا وترفض الإفراج عنهم بكفالة للاشتباه فى تورطهم فى أحداث الحادى عشر من سبتمبر، وكلهم من الشباب اليهودى المتشددين أدوا الخدمة العسكرية فى إسرائيل.

هناك تنسيق أمريكى – إسرائيلى مشترك لكل ما يحدث حتى يفوز اليهود بنصيب الأسد فى فلسطين وتصفية الوجود الفلسطينى وتدمير القوى العربية المحيطة بحجة أنها تأوى الإرهاب أو تغذيه كى تدخل فى خارطة الدول

التى عليها الدور. كمكسب أمنى وأمريكا تثبت تعاليها وكبرياءها على العالم أجمع وتفرض وجودها وسط آسيا لمواجهة إيران والصين عن قرب ولاستغلال بترول بحر قزوين، والذى يؤكد هذا عرض إسرائيل المساهمة فى تجريد باكستان من سلاحها الذرى برغم امتلاكها لترسانة ذرية!!

رصدت اسرائيل ٢٠٠ مليون دولار لتحسين صورتها وإلصاق الإرهاب بالفلسطينيين وفى نفس الوقت هناك قلق فى الدوائر العربية على أموالها المملوكة للحكومات والشركات والأفراد والتى تقدر بحوالى ألف مليار دولار فى البنوك الأمريكية، والتى قد تتأثر بالحرب ضد الإرهاب.

أما تداعيات ما حدث فى الحادى عشر من سبتمبر فكثيرة طالت كل مناحى الحياة فى العالم أجمع سواء السياسية أو الأمنية أو الاقتصادية.

وإذا كان قدرنا أن نعيش عصر التكتلات التى لها نظرياتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية تحت شعارات جديدة سواء أكانت العولمة أو العلمانية أو الحداثة.

وكلها تحت سيطرة اللوبى الصهيونى الذى **حدد العالم الإسلامى** هدفا لتجريده من **خصوصياته وتذويب** مقوماته وطمس حضارته **الروحية والفكرية مستغلاً** الانفتاح الإعلامى الذى يسيطرون عليه. وعلى سبيل المثال:

فى إسرائيل: كشفت صحيفة (ها آرتس) الإسرائيلية أن شارون قد عقد اجتماعاً مع قادة الليكود، أكدوا فيه أن أية اجتماعات أو مباحثات يجريها بيريز أو غيره من الإسرائيليين مع عرفات أو مساعديه ليس لها أى ثقل وغير معترف بها.

القدس: بلغ التطاول على الإسلام والمسلمين طلب وزير البيئة الصهيونى اليمينى المتطرف (تساحى هنبخى) إلغاء الآذان فى مساجد القدس جميعا بما فيها المسجد الأقصى - وذلك للضجيج المنبعث من مساجد مدينة القدس!!

فى مصر والسعودية: استغلت الصهيونية العالمية الوضع الراهن وحاولت النيل من مصر والمملكة العربية السعودية، ونظرا لثقل مصر فى الشرق الأوسط على وجه الخصوص والعالم على وجه العموم، ولوضع السعودية المتميز بالنسبة لأمريكا. وقد أعلنت الدولتان العربيتان الإسلاميتان رفضهما القاطع للممارسات الصهيونية فى فلسطين المحتلة وسياسة الكيل بمكيالين التى تتبعها أمريكا وكذلك رفضهما بأن تطول الضربات دولا عربية أخرى.

وسخر اللوبى الصهيونى وسائل إعلامية فى الهجوم على مصر والسعودية فى محاولة لتسميم الأجواء بينهما وبين الولايات المتحدة.

وخلاصة القول أن هناك هجمة شرسة يتعرض لها الإسلام فى وسائل الإعلام الغربية تغذيها وتخطط لها الصهيونية العالمية، ولا خوف على الإسلام فإن له رب يحميه، ولكن علينا مراجعة أنفسنا نحن المسلمين، وماذا أعددنا لمثل هذا اليوم، وماذا علينا فعله فى عصر لا يعترف إلا بالقوة وليس فيه مكان للضعفاء، وقد منحنا الله كل شىء.

الأزهـــر

الجامعة الإسلامية الكبرى

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

نستطيع أن نقول: إن أقدم الجامعات الإسلامية هى الحلقات العلمية التى كانت تنعقد فى مسجد رسول الله ﷺ فى عهد صاحب الرسالة العظمى بعد هجرته إلى المدينة المنورة ﷺ، وفى مختلف العصور الإسلامية حتى العصر الحديث.

وقد قامت الحلقات العلمية فى المسجد الحرام بعد فتح مكة فى العام الثامن للهجرة النبوية، وتصدرها كبار الصحابة ثم التابعون من بعدهم، ثم تابعو التابعين، واستمرت هذه الحلقات تؤدى رسالتها فى خدمة الثقافة الإسلامية، والفكر الإسلامى، وشباب المسلمين، فى مختلف العصور حتى العصر الحديث، وكانت هذه الحلقات العلمية تشكل ثانى جامعة إسلامية كبرى.

ثم بعد أن بنيت الفسطاط وبنى فيها جامع الفتح، الذى سمى تاج الجوامع، أو جامع عمرو بن العاص، لم يلبث أن قامت فيه حلقات علمية كبيرة، كان منها مثلا حلقة عبد الله بن عمرو بن العاص، ثم حلقة الليث بن سعد، وحلقة الإمام الشافعى، وغيرهم، فكانت هذه الحلقات العلمية تشكل ثالث جامعة إسلامية كبيرة فى بلاد الإسلام.

وقبل إنشاء الأزهر كان جامع عمرو هو المكان المختار لإلقاء الدروس العلمية، فقد كان مركزا اتخذه الصحابة والتابعون لنشر الدين والعلم ولإقامة الحلقات العلمية فيه، وأخذت الحركة العلمية فى هذا المسجد تنمو وتتسع حتى أمه الكثير من العلماء والأعلام الذين تركوا ثروة جليلة من الكتب والتآليف، كما كان لتلك الحلقات فضل إخراج عدد كبير من الفقهاء والمحدثين حتى أوائل القرن الرابع الهجرى، وأشهر هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص،

ويزيد بن حبيب، وعبدالله بن وهب، وسعيد بن الصلت، ويحيى بن أزهر، وسعيد بن عبد الرحمن، وغيرهم.

وكانت الدراسة فى أول أمرها دراسة دينية فقهية قامت فى الزوايا التى أنشئت على مر السنين بالجامع العتيق، وأشهر تلك الزوايا، زاوية الإمام الشافعى التى كان الناس يهرعون إليها لسماع شروح الإمام ومحاضراته والتى تخرج فيها عدد من أعظم الفقهاء والعلماء فى ذلك العهد. ثم بنى محمد بن مجد الدين أبى المحاسن الأزدى البهنسى الشافعى، وزير الملك الأشرف موسى بن العادل أيوب، زاوية سميت الزاوية المحمدية، ورتب فى تدريسها قاضى القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسى وأوقف عليها عدة أوقاف بمصر والقاهرة، ثم الزاوية الصاحبية التى أنشأها صاحب التاج محمد بن فخر الدين، وجعل لها مدرسين أحدهما مالكى، والآخر شافعى، وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة، ثم حذا حذوه كثير من الأمراء وذوى اليسار المهتمين بالعلم، فما وافى عام ٧٤٩هـ حتى زادت حلقات جامع عمرو على الأربعين حلقة.

وكانت هذه الحلقات العامة والخاصة منها تؤدى رسالتها، فالعامة منها ما كان يقام يوميا بجامع عمرو والخاصة في يوم الجمعة الذى كانت حلقته تفوق حلقات بقية الأيام أهمية، إذ كان يوم الجمعة هذا يعد موسما علميا هاما، يهرع الناس فيه لسماع أكبر عدد من الفقهاء والشعراء والأدباء، وهم يتناقشون ويتباحثون فى الفقة واللغة ويتطارحون الشعر ويروون الأخبار.

أما الحلقات الخاصة فهى التى كانت تعقد فى منازل أكابر العلماء والفقهاء حيث كانوا يجتمعون بتلاميذهم وأصدقائهم يقرأون عليهم بعض شروح الفقة الإسلامى وبعض كتب العبادات ويروون بعض الأشعار. وقد تألَّقَتْ بعض تلك الحلقات، اشتهر منها حلقة ببيت عبد الله بن الحكم الفقيه المالكى وولديه عبد الرحمن ومحمد وكانوا من أنبغ الفقهاء المحدثين حتى أوائل القرن الثالث.

وكانت حلقاتهم موضع التقاء أكابر العلماء والأدباء المعاصرين الذين كانوا يفدون على مصر من مختلف الأقطار، فما أن وفد الإمام الشافعى إلى مصر، حتى وجد من تلك الأسرة كل عناية ورعاية وإكرام. فلما أقام حلقته فى جامع عمرو، كانوا هم أول من شجعه وحضر درسه.

وظل التدريس فى جامع عمرو على هذا المنوال عامر الحلقات، وموضعا لنشر العلم والتعليم مدة طويلة، واقتفى أثره كثير من الجوامع الشهيرة كجامع أحمد بن طولون، فلم يأت القرن الرابع حتى كان العلم فى جامع عمرو قد وصل الى مرحلة مثلى بفضل من كان يؤمه من أقطاب الفقة واللغة، وأشهرهم أبو القاسم بن قديد وتلميذه الكندى الذى ترك كتابا عظيما فى تاريخ ولاة مصر ومن تولى قضاءها – وأبو القاسم ابن طباطبا الحسنى الشاعر.

فلما أن كان عصر الأمير محمد بن طغج الإخشيدى، أصبحت مجالس الدراسة والحلقات الأدبية الخاصة من تقاليد الحياة الرفيعة، وقد لقيت العلوم والآداب بفضل هذا الأمير وولده أنوجور ووزيره كافور وكثير من أمراء الدولة كل حماية ورعاية. وكانت حلقات الشاعر أبى الطيب المتنبى الذى وفد على مصر عام ٣٤٦هـ (٩٥٧م) على إثر مفارقته لبلاط سيف الدولة فى حلب، من أهم حلقات الشعر والأدب واللغة فى ذلك العهد.

كما قامت حلقات للمسجد الأموى بدمشق، وفى مساجد البصرة والكوفة وبغداد وفى مسجد القيروان، وفى مسجد القرويين وفى المسجد الجامع بقرطبة، وفى غيرها من المساجد الكبرى، ولكن هذه

الحلقات لم يكتب لها الدوام والاستمرار ماعدا حلقات مسجد القرويين بفاس بالمغرب.

وكان إنشاء الأزهر عام ٣٦١هـ وقيام الحلقات العلمية فيه منذ إنشائه حتى اليوم وطيلة ألف عام أو يزيد معجزة من معجزات الثقافة الإسلامية التليدة الخالدة، لأن الأزهر اليوم هو أم الجامعات الإسلامية، وهو الذى يمدها بالتوجيه وبالأساتذة، وبالخطط العلمية المدروسة.

وقامت بعد ذلك الجامعة النظامية التى أسسها الوزير نظام الملك وزير السلطان السلجوقى ألب أرسلان وصديق الشاعر الصوفى الكبير عمر الخيام، وذلك عام ٤٥٧ هـ، ثم الجامعة المستنصرية فى بغداد، كما قامت جامعات إسلامية أخرى فى نيسابور ودمشق وبيت المقدس والإسكندرية والقاهرة وغيرها من عواصم العالم الإسلامى، ولكنها اندثرت ولم يبق منها شىء.

والأزهر على أية حال هو الصورة المشرقة لكل الجامعات الإسلامية، وهو الذى يلخص تاريخ الحضارة الإسلامية كلها طيلة ألف عام، فقد ازدهر بازدهارها وضعف بضعفها، ولأنه لم يكن جامعة إسلامية لمصر وحدها، بل كان جامعة إسلامية للعالم الإسلامى كافة، يؤمه طلاب العلم من كل مكان فى بلاد الإسلام، وهو مفخرة حقا، لأنه روح الحضارة الإسلامية ودرعها الواقى. وبحسبنا أنه عاش موئل العربية وملاذها الأمين.

والفاطميون هم الذين أنشأوا الأزهر فى مصر، إثر فتحهم لها مباشرة، حيث أمر قائد الفتح جوهر الصقلى عام ٣٥٩هـ بالبدء فورا فى إنشائه، لا ليكون مكانا للعبادة والصلاة فحسب، ولكن ليكون منبرا دينيا للدولة الفاطمية لنشر مذهبها والدعوة إليه.

وقد شرع فى بناء الأزهر فى الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ - ٩٧٠م وأقيمت الصلاة فيه أول مرة فى اليوم السابع أو التاسع من رمضان عام ٣٦٢هـ - ٩٧٢م، واختير لبنائه مكان فى الجنوب الشرقى من القاهرة بالقرب من القصر الكبير بين حى الديلم وحى الترك.

وسمى الأزهر لأنه كان محاطا بقصور زاهرة، ولأنه كان أكبر الجوامع على الإطلاق فخامة ورواء، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنه سمى باسم فاطمة الزهراء التى ينتسب إليها الفاطميون، ويقال إنه سمى كذلك تفاؤلا بما سيكون له من الشأن والمكانة بازدهار العلوم فيه.

وما كاد جوهر يضع أساس الأزهر، حتى كان بعد تسعة شهور قد تم بناء المسجد ويتلقى الناس فيه عقائد المذهب الفاطمى.

والأزهر أول مسجد أنشئ بالقاهرة المعزية، وعندما أنشأه جوهر الصقلى ترك أمامه رحبة واسعة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الأزهر، تدخل العساكر كلها وتقف فى هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة إلى الجامع.

وبقيت هذه الرحبة إلى وقت الدولة الأيوبية. ثم شرع الناس بالعمارة فيها حتى لم يبق لها أثر. وكان الأزهر كسائر الجوامع الإسلامية فى العصر الذى بنى فيه يشتمل على محل مسقوف للصلاة يسمى مقصورة وآخر غير مسقوف يسمى صحنا.

فلما أن تحول الجامع الأزهر إلى جامعة منذ انشائه، اتخذت الدراسة فيه طابع الحلقات الموجود فى ذلك الوقت، إذ لم يكن قد استعيض عنه بنظام آخر.

وبانتقال هذا النظام إلى الأزهر انتقلت معه دراسة العلوم بمختلف أنواعها، فازدهرت فيه وترعرعت أيما ازدهار وصار الأزهر جامعة إسلامية كبرى يؤمه الطلاب والعلماء من كل مكان.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

التقوى زينة الصالحين

خرج بعض الزهاد في يوم عيد، وليس عليه جديد، فقيل له: لم تخرج في مثل هذا اليوم في مثل هذه الهيئة؟

والناس متزينون؟

فقال: ماتزين لله - تعالى - بمثل طاعته..

بلوغ المنزلة

قيل لبعض الملوك، وقد بلغ في القدر مالم يبلغه أحد من ملوك زمانه: ما الذي بلغ بك هذه المنزلة؟.، قال: عفوي عند قدري، ولينى عند شدتى، وبذلي الإنصاف ولو من نفسي، وإبقائي في الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال.

الحياء

قال الشاعر:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولاخير في وجه إذا قل ماؤه
وحياؤك فاحفظه عليك وإنما
يدل على فعل الكريم حياؤه

لماذا لا تخالط الناس؟

قال سفيان الثوري: دخلت على جعفر الصادق، فقلت له: ياابن عم رسول الله ﷺ مالي أراك سكنت دارك ولا تخالط الناس؟

فقال: نعم يا ابن سعيد، في العزلة دعة، وفي الدعة راحة، وما قدر لك يأتيك، ياسفيان: فسد أهل الزمان، وتغير الأصدقاء فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد.

نصيحة

لا تكن ممن يقول فى الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، فإن أُعطى منها لم يشبع، وإن مُنع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى، ويبتغى الزيادة فيما بقى، وينهى الناس ولا ينتهى، ويأمر بمالا يأتى، يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم، ويبغض الطالحين وهو منهم.

لا تقنع بأدنى منزل

من يستطيع بلوغ أعلى منزل
ما باله يرضى بأدنى منزل؟

معاوية.. والأحنف

كلم معاوية الأحنف بن ياسين فى شئ بلغه عنه، فأنكره الأحنف، فقال له معاوية: بَلَّغَنى عنك الثقة، فقال له الأحنف: إن الثقة لا يبلغ مكروها.

وصية جامعة

يا ابن آدم:

- عف عن المعاصى تكن عابدا.
- وارض بما قسم لك تكن غنيا.
- وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما.
- وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عدلا.

دعاء

اللهم أعد علينا رمضان أياما عديدة وأعواما مديدة.

اللهم اجعلنا ممن صام الشهر وأدرك ليلة القدر، وفاز بالثواب والأجر.

اللهم وفقنا لما وفقت إليه عبادك الصالحين واهدنا صراطك المستقيم.

آمين

مكتبة مكة المكرمة - المولد النبوى

للأستاذ / عبد السلام ناصف

اذا سعدت بزيارة البيت الحرام حاجا أو معتمرا، وأردت الخروج من أحد أبوابه عبر المسعى حيث ساحته الشرقية، صافحت عيناك مبنى متواضعا فى نهايتها تحت أعتاب جبل أبى قبيس، وحيداً، شامخاً، يشد بصرك، ويلفت انتباهك، وترتاح نفسك لرؤيته، ويهفو إليه قلبك، ويجذبك إليه حنين جارف لا تعرف له سببا، تتسابق إليه أقدام الحجاج والمعتمرين، فإذا ما اقتربت منه طالعت على مدخله لافتة تحمل اسم (مكتبة مكة المكرمة) ولو سألت أى قاصد إليها لأجابك بأنها بيت سيد الرسل وخاتم النبيين. صلوات الله وسلامه عليه. ففيها ولد الهادى البشير محمد ﷺ الذى ملأ بمولده الأرض نوراً وهداية لكل شعوب الدنيا وكأن الله - سبحانه وتعالى - قد أراد لهذا المكان الطاهر البقاء الأبدى فجعله خزانة رائدة للمعارف الإسلامية - بكل ما تحتويه من نفائس ومخطوطات نادرة عبر القرون الأربعة عشرة..

والمكتبات مقياس لتقدم الأمم وعنوان حضارتها - أما مكتبة مكة المكرمة خاصة فإنها تفخر بأنها من أحدث المؤسسات الحضارية فى العالم الإسلامى إضافة إلى أنها شيدت فوق بقعة شهدت وسعدت بمشاهدة مولد المصطفى الهادى البشير ـ صلوات ربى وسلامه عليه ـ أسهم فى إثرائها نخبة فاضلة من أهل الخير العلماء العاملين كرمها ربها ودفعها لفعل الخير - خاصة فى هذا الميدان - ولنعرض لموقعها وشكلها ومبناها.

الموقع

تقع هذه المكتبة المباركة (المولد النبوى) فى وسط البلد الآمن على حدود البيت المعمور من الجهة الشرقية تحيط به الأنفاق والطرق الممهدة المعبدة التى تصل بينه وبين كل أحياء مكة المكرمة لتربط العالمين بمولد الحبيب المصطفى ﷺ ذلك الحدث الجلل الذى سعدت به الدنيا والتى شرفها به ربها - جل وعلا - والمكتبة قريبة من الأسواق والحوانيت التى تقضى للقارئ والرائد كل ما يطلب وكل ما يحتاج.

الوصف العام

تتكون المكتبة من طابقين بطول أربعة وعشرين مترا، وعرض ثلاثة عشر متراً، وبارتفاع عشرة أمتار، مبنية بالحجر الأحمر،

ومسقوفة بالخرسانة المسلحة، ومطلية باللون الأبيض، وعلى الجزءالسفلى من جدرانها رخام رمادى اللون مشابه ومماثل للرخام الملصق على جدران المسجد الحرام. كل نوافذها مغلقة اعتماداً على الإضاءة الكافية وتكييف الهواء بداخلها.

الوصف الداخلى

يتكون كل طابق من صالة كبيرة فسيحة مجهزة بالأرائك والكراسى والمناضد، لتسهيل عملية الاطلاع والقراءة والبحث - مهما طال الوقت أو تعدد التردد عليها - وعلى جوانبها خزانات زجاجية مليئة بالكتب والمراجع والمؤلفات والدوريات والحوليات، ويوجد على يمين الداخل قاعة زودت بمكتبة خاصة مهداة من أحد أهل الخير وعلى يساره قاعة كبيرة مليئة بالمخطوطات النادرة فى شتى العلوم الإسلامية، وفى نهاية صالة المطالعة من جهة الشرق توجد قاعتان مماثلتان للغرفتين الغربيتين إحداهما خصصت للمكتبات المهداة والأخرى تعج بالكتب والمؤلفات. يفصل بينهما مدخل لسلم الطابق الثانى الذى يماثل ويشابه الطابق الأرضى.

تاريخ المبنى

حظى المبنى باهتمام الأمة الإسلامية، فحسبها فخراً وشرفا ورفعة أنها دار المولد - كما سماها الأزرقى فى كتاباته إذ يقول عنها: إنها البيت الذى ولد فيه النبى ﷺ، .. كان ملكا خاصا بجده عبد المطلب الذى قسمه بين بنيه فى حياته وكان لعبد الله - والد رسول الله ﷺ - نصيب فيها، فصارت ملكا لسيدنا رسول الله الصادق الأمين - صلوات ربى وسلامه عليه - ففيها ولد وفيها تربى ونشأ النشأة النبوية الرفيعة التى رباه عليها ربه - جل وعلا. -

ولقد تواتر هذا السرد التاريخى للمبنى فى كل المراجع الكبار التى يعتمد عليها ومنها نختار ابن اسحاق فى سيرته سنة ١٥١هـ، وابن هشام فى تهذيب السيرة سنة ٢١٣هـ، وابن سعدفى طبقاته سنة ٢٣٠هـ الأزرقى فى أخبار مكة سنة ٢٤٤هـ، والفاكهى فى أخبار مكة سنة ٢٧٢هـ، والطبرى فى تاريخه سنة ٣٠١هـ، وابن عبد البر فى الاستيعاب سنة ٣٦٨هـ، والسهيلى فى الروض الأنف سنة ٥٨١ هـ، وابن الأثير فى الكامل سنة ٦٣٠ هـ، والمحب الطبرى فى «القرى لقاصد أم القرى» سنة ٦٩٤ هـ، وابن سيد الناس فى عيون الأثر سنة ٧٣٤هـ، وابن كثير فى سيرته سنة ٧٧٤ هـ، والفاسى فى شفاء الغرام سنة ٨٣٢هـ، وابن فهد فى اتحاف الورى سنة ٨٨٥ هـ.

فقد أجمعوا - بلا استثناء - على أن مولد الهادى كان بها، ولما أمر - صلوات ربى وسلامه عليه - بالهجرة تركها واستولى عليها ولدعمه عقيل بن أبى طالب وتوارثها أبناؤه وأحفاده حتى سعد بشرائها محمد بن يوسف الثقفى شقيق الحجاج - ولما علمت بقصتها والدة الخليفة العباسى هارون الرشيد أمرت بشرائها وجعلتها مسجداً يصلى فيه عام ١٧١هـ ولقى المسجد المبارك كل عناية وكل تقديرممن ولى أمر

المسلمين من الأمراء والخلفاء والحكام اهتماماً يليق بقدره حتى رؤى تحويله إلى مكتبة عامة تكون محرابا للعلم والعلماء وخزانة لأنفس المخطوطات وأندر الكتب والمؤلفات الإسلامية عام ١٣٧٠هـ، فأضحت أثراً حضاريا ومعلماً تاريخيا شهد أعظم حدث فى تاريخ البشرية، وكانت تابعة وقتها لوزارة الإعلام وفى عام ١٣٨٠هـ صدر قرار بتبعيتها لوزارة الحج والأوقاف، وانتهى بها المطاف لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة عام ١٤١٤هـ.

ويقصد المكتبة المباركة الباحثون والمفكرون فى مجالات الفكر الإسلامى لتوافر المصادر النادرة من الكتب والمخطوطات وساعد على علو قدرها وكثرة روادها قربها من الكعبة المشرفة والبيت الحرام وتوفر سبل ووسائل المواصلات وكثر ة أماكن انتظار السيارات بالقرب منها.

ثم هى تضم مجموعات خاصة أهديت إليها - تبركا وتقربا - من أفاضل المؤلفين والعلماء الأحياء أو ذويهم وهى تنمو وتضطرد وتتطور وتتضاعف باستمرار بجهود هؤلاء المتبرعين وفى مقدمتهم فضيلة الشيخ حسين عرب الذى أهداها مكتبة كاملة تزيد محتوياتها على ٤٢٠٠ بين كتاب مطبوع ومؤلف ومخطوط، خصص لها قاعة كبيرة على يسار الداخل، والشيخ الكردى الذى كان يمتلك مطبعة خاصة بمكة المكرمة أسسها عام ١٣٢٧هـ لطباعة الكتب والمؤلفات الإسلامية دون سواها والذى وهب كل ما يملك للمكتبة الحبيبة وخصص لها قاعة فى الدور الأول تضم مايزيد على خمسة آلاف مؤلف هى كل ما أنتجته مطبعة الترقى الماجدية. ومنها مكتبة «الشيخ قدسى» التى تزيد على ألف وستمائة كتاب ومؤلف، والشيخ المالكى شيخ علماء زمانه فى الفقه المالكى بأكثر من ألف ومائتى مؤلف، والشيخ حسب الله فى الفقه والمناسك والفتاوى بأكثر من خمسمائة مؤلف وكتاب، إلى جانب ما أهدى إليها من وزارة الاوقاف التى تربو على ٣٥٠٠ ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب ومؤلف، ويضيق المقام عن ذكر أعداد الكتب والمؤلفات التى قدمها كل من أصحاب الفضيلة العلماء أمثال الشيخ الششة، والسادة الأدارسة والشيخ شطا، والأستاذ علاف، والشيخ صدقه، والشيخ رشيد الفارسى، إضافة إلى الكتب والمؤلفات التى تهل عليها طوال فترة استقبالها للجمهور على مدار اليوم وبعض الليل، وإضافة للصحف والمجلات والدوريات والحوليات والبحوث والمخطوطات، ولا يزال المواطنون يواصلون إهداء المزيد والمزيد لهذه المكتبة الرائدة كل يوم ترحما على موتاهم وتخليداً لذكراهم أمثال المغربى وخوجة والجفرى - رحم الله الجميع.

ولقد تم تصوير مخطوطاتها على (ميكروفيلم) للمحافظة على هذا التراث الفريد الخالد، وصنفت الكتب والمؤلفات والمخطوطات حسب نوعياتها وموضوعاتها ومؤلفيها فى شتى المجالات لتسهيل استخراج الكتاب المطلوب لتصبح هذه المكتبة المباركة أول مكتبة تعمل بهذا النظام الآلى والإفادة منه منذ عام ١٤١٥هـ.

خصائص المجموعات الخاصة المهداة

١ - تحتوى هذه المجموعات على مؤلفات ومخطوطات وكتب نادرة طبعت فى الهند وقازان وتركيا والبلاد الشرقية والبلاد المغربية - يندر تواجدها فى أى مكان آخر - ويرجع تاريخ طباعتها لأكثر من مائة عام كالدرر البهية سنة ١٣١١هـ، وصلح الجماعتين بجواز تعدد الجمعتين سنة ١٣١٢ هـ، سبل السلام لمن دخل المسجد الحرام سنة ١٣١٢هـ، القصد الثمين فى فضائل البلد الأمين سنة ١٣١٤هـ، شرح المسالك المقسط على المنسك المتوسط سنة ١٣١٩هـ، حاشية المسلك القديم على حل ألفاظ المنهج القويم على مسائل التعليم سنة ١٣٢٦هـ، الوسيلة المرعية لمعرفة الأوقاف الشرعية سنة ١٣٣٨، هداية العوام إلى معنى حديث نبى الإسلام سنة ١٣٣١ هـ، تحفه الأنام فى مآثر البلد الحرام سنة ١٣٢٩هـ، تحفه السالك لمذهب الإمام مالك سنة ١٣٣٢ - الترغيب والترهيب سنة ١٣٣٨ هـ، الأزهار الوردية نظم التحفه السنية سنة ١٣٥٤هـ، حق المعرفة وحسن الإدراك بما يلزم فى وجوب الفطر والإمساك - قازان، سنة ١٢٩٧، زيد الإسراء شرح مختصر المنار - قازان سنة ١٣٠٤هـ، جهد المقل مع شرح الموسوم بيان جهد المقل - بترسبورج سنة ١٣١٦ هـ، قيام الليل وقيام رمضان وقيام الوتر سنة ١٣٢٠ لاهور، صحائف العامل بالشرع الكامل سنة ١٣٢٣ مصر، مختصر الوقاية سنة ١٣٢٤ هـ قازان.

المخطوطـــات

تنال المخطوطات عناية فائقة فى كل مكان فى جميع المكتبات الخاصة والعامة، ومن ثم أفردت لها المكتبة الرائدة فى مكة المكرمة بدار المولد الشريف قاعة مستقلة على يمين الداخل تطل على ساحة البيت الحرام مفهرسة بنظام الحاسب الآلى الحديث تسهل للباحث والمطلع الوصول إلى ما يريد بسرعة وسهولة ويسر وهى تذخر بالمخطوطات فى شتى فروع الميدان الإسلامى، خاصة ميدان التفسير الذى يزيد عدد مخطوطاته النادرة على أربع وتسعين مخطوطا والحديث (١١٨) والفقه المالكى (٦٢) والسير (١٢٢) والأدب (٤٥) والدواوين الشعرية (٤٣) والعلوم العربية (١٧٤) والفتاوى (٦٧) وأصول الفقه (٢٥) والتوحيد (٨٨) وعلم النفس (٧) ومتنوعة (١١) والمجاميع (٤٧) والحساب والفلك (٢٤) والفرائض (٣٥) والمنطق (٤١) والتصوف (١٦٩) والمناسك (١٧).

ومن بين هذه المخطوطات النادرة مخطوطات باللغة الفارسية والأندلسية محلاة بزخارف نادرة فريدة وبديعة برسم اليد.

والآمال معقودة على أن تنال هذه المكتبة المباركة كل عناية وكل رعاية لتؤدى دورها العلمى بما يواكب تقدم العصر ويتناسب مع مكانتها الرفيعة فى النفوس والقلوب لتكون واجهة حضارية مشرقة ومعلماً لخير رمز وذكرى لمولد الهادى البشير.

والله من وراء القصد، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ فى الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

في وداع رمضان

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

ها قد غادرنا شهر عظيم وضيف كريم هو شهر رمضان، شهر القرآن والإيمان شهر المغفرة، والإحسان، شهر أزدهت فيه المساجد بكل راكع وساجد، واستنهض فيه للخير كل قاعد وراقد. انقضى شهر التعبد والتراويح والذكر والتسابيح. شهر لبست فيه السنة ثوب الفريضة، بينما ارتفع أجر الفريضة الواحدة فيه إلى أجر سبعين فريضة.

شهر امتاز على سواه من الأشهر بليلة القدر التى يفوق قيامها صلاة ألف شهر، شهر الاستقامة والاعتكاف، من صامه وقامه إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه.

ودع المؤمنون شهر البركات والرحمات بقلوب محزونة وأنفس يملؤها الأسى لفراقه.

وأناس هذا حالهم جدير بهم أن يسألوا أنفسهم ويلحوا فى السؤال ويحاسبوا مدققين فى الحساب ماذا ربحنا فيه؟ وما مدى استفادتنا منه؟ وكيف تأثرت سلوكياتنا به؟

نعم يراجعون أنفسهم مخافة أن يكونوا قد خسروا فيه وهل تقبل اللَّه أعمالنا فيه أم تراه ردها علينا؟.

أقول هذا وعينى على السلف الصالح ـ رضوان اللَّه عليهم ـ واهتمامهم منصب على قبول العمل أكثر من اهتمامهم بالعمل نفسه. يصور ذلك الإمام على بن أبى طالب ـ كرم اللَّه وجهه ـ بقوله: كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل. ثم يستلهم روح الدين فى استفهام ينبه به الغافلين فيقول: ألم تسمعوا اللَّه يقول:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(١). انهم يجتهدون فى إتمام العمل وإكماله وإتقانه؛ لأنهم

(١) المائدة (٢٧).

يخشون رده، يصور ذلك القرآن فى قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾(٢).

ويوضح أحدهم هذه الحقيقة ويجليها فى أنصع بيان حين يتمنى لو قبل اللّه مثقال حبة من خردل من عمله، الأمر الذى يفوق فى تقديره وتقدير كل مؤمن الدنيا وما حوت. فعن فضالة بن عبيد قال: "لأن أكون أعلم أن اللّه يتقبل منى مثقال حبة من خردل أحب إلىّ من الدنيا وما فيها"، ثم يتلوا آية المائدة سالفة الذكر. وفى لفظ صريح يقول مالك بن دينار: "الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل". وهذه المسألة تؤرق المؤمن الحق لدرجة يستغربها المسلم العادى، فقد بين ذلك عبد العزيز بن أبى رواد فقال: "أدركتهم يجتهدون فى العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا"؟!.

ورمضان الذى رحل إما شاهد لنا أو علينا فيا ليت شعرى! ماذا أودعناه، وبأى الأعمال ودعناه أتراه ذهب عنا حامدا صنيعنا؟ أو ذاما تضييعنا وتفريطنا؟ فالمطلوب من المسلم أن يظل - كما عهد نفسه فى رمضان - حرا غير مملوك، عزيزا لا ذليلا، قويا لا ضعيفا. ولكن ترى كيف تتحقق تلك المآرب العظمى والمناقب الكبرى؟ دعنى أوضح لك. فحرية المسلم تتحقق بإخلاص العبودية للّه وحده وعدم الشرك به سبحانه، لا تستعبد المسلم نزواته أو شهواته ولا يستدرجه إغواء، سلاحه فى ذلك كبح جماح نفسه الأمارة بالسوء والارتقاء بها إلى مرتبة النفس اللوامة التى تستلذ العبودية للّه بل تجد فيها فخرا لا يضارعه فخر أو يساويه وفى تصوير ذلك المعنى الفريد يقول الشاعر:

ومما زادنى شرفا وتيها
وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى
وأن صيرت أحمد لى نبيا

وأما عزة المؤمن ففى طاعته لربه وامتثاله أوامره واجتناب نواهيه متمثلا مكانته عند ربه وأنه معه كلما ذكره يناجيه وقتما شاء ويتضرع إليه ويبتهل كلما أحب ورغب.

لقد اعتاد المؤمن فى ذلك الشهر التشبث بأهداب الفضيلة وتفويض أموره كلها إلى اللّه يستلهم فى ذلك صورتين رسمهما اثنان من الشعراء. الأولى محببة إلى النفس تصفى القلب من الهموم حينما يتجه المرء بكليته إلى ربه يقول الشاعر:

لا تسألن بنى آدم حاجة
وسل الذى أبوابه لا تحجب
اللّه يغضب إن تركت سؤاله
وترى ابن آدم حين يسئل يغضب

(٢) المؤمنون (٦٠).

وأما الصورة الثانية فمقيتة وبغيضة تبين ضيق الإنسان – قليل الإيمان – بأخيه الإنسان كلما اشتدت حاجته إليه. ولو درى ما لتفريج الهموم من جزاء ومكافأة عند اللّه لاقتصرت وظيفته على تنفيس الكروب وما أجلها من مهمة يقول الشاعر:

لا ترفعن إلى صديق حاجة
فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فإنه
ما صان عرضك لا يقال قليل
من عف خف عن الصديق لقاؤه
وأخو الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفرت ما فى كفه
ومتى علقت به فأنت ثقيل

ولربما شممت من تلك الأبيات دعوة إلى التعفف عما فى يد الغير وهذا صحيح لكن ما بين السطور شيء يثير الاشمئزاز والتقزز ويشى بضيق الإنسان بحاجة أخية الإنسان.

وعود على بدء نقول: إن للقبول والربح وهما هدف كل العاملين فى هذا الشهر علامات، وكذلك للخسارة إشارات يعرفها كلا الفريقين لشدة وضوحها. فمن واظب على الخير وداوم على الاستقامة والصلاح بعد رمضان وكانت حاله أحسن وتحسنت أخلاقه وعظمت رغبته فى الطاعة وابتعد عن المعاصى ونفر منها فقد ربحت تجارته وازداد رأسماله وكان من الفائزين. ومن ظل على حاله كما كان قبل رمضان أو أسوأ مصرا على المعاصى بعيداً عن الطاعات يرتكب ما حرم اللّه ويترك ما أوجب فما استفاد من رمضان أنه لم يستفد إلا البوار والخسران والحسرة والندامة والعقاب، ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر والتعب فيا من تلذذتم بالقرآن والصلاة فى رمضان وأدركتم أن الإسلام حريص على الجوهر والمحتوى لا يهتم كثيرا بالشكل أو يأبه بالمظهر كيف تجاهلتم ذلك بعد رمضان أما تخافون شكوى الرسول إياكم لربه التى سجلها القرآن فى قوله:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾(٣).

إنه وإن انقضى شهر رمضان فإن عمل المؤمن يقينه كما جاء فى الكتاب العزيز فقال تعالى:

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾(٤).

ولعمرى كيف يتخاذل المسلم عن أن يكون من المتقين وهو أمر مفيد له حتى فى صحته وبدنه، قيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال: إنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره" فمن منا لا يحب أن يكون صبوح الوجه مشرق الطلعة وضئ المحيا، ولكن الرسول الرؤوف الرحيم بأمته يستديم لها البركة والخير العميم بعد انتهاء شهر رمضان بأن

(٣) الفرقان (٣٠).

(٤) الحجر (٩).

شرع لنا أعمالا صالحة تذكرنا بشهر الصيام وتربطنا به ففى صحيح مسلم عن أبى أيوب – رضى اللَّه عنه – أن رسول اللَّه ﷺ قال: "من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر" وكان ﷺ يصوم الاثنين والخميس ويقول "إن الأعمال تعرض يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم" وفى الحديث أيضا: "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله" وكذا صيام يوم عرفة وعاشوراء وأوائل ذى الحجة وأفضل الأعمال أدومها وإن قل كما هو مشهور.

ومن تمسك بهذه الشمائل الطيبة فرح بفطره وأحس أن رمضان فى قلبه لم يفارقه البتة وشكر اللَّه على ذلك شكرا حقيقيا فقد نظر وهب بن منبه إلى قوم يضحكون فى يوم عيد فقال "إن كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كانوا لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين" وهى دعوة إلى الالتزام الذى هو الهدف الأول لكل من رام خيرا والسعداء حقا هم من حافظوا على مكارم الأخلاق بعد رمضان لأنهم يعلمون أن المسلم يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم والشاعر الذى فهم المغزى الفعلى من صوم رمضان يقول:

طوبى لأهل المال والعلماء بل
طوبى لأهل مكارم الأخلاق
فالمال يجعل أهله فى منزل
سام وإن كانوا من الفساق
والعلم يرفع قدر مشتغل به
ويذيع صيت المرء فى الآفاق

ولا أجد تصويرا لرحيل ذلك الشهر المبارك النفحات، العظيم الفيوضات، الميمون الغدوات والروحات، من موعظة قالها أبو الدرداء حينما دخل الشام ونصح أهلها فى كلمات مؤثرة نبعت من قلب مفعم بالإيمان مترع بالزهد، همه الجنة وما قرب إليها فقال: "ياأهل الشام اسمعوا قول أخ ناصح». فاجتمعوا إليه فقال مستطردا: «مالى أراكم تبنون ما لا تسكنون!! وتجمعون ما لا تأكلون!! وتؤملون ما لا تدركون!! إن الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا وأملوا بعيدا وجمعوا عتيدا فأصبح أملهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا". فليس رمضان إذن هو الراحل وحده، وإنما الكل راحل ومفارق، والكيس الفطن من لم تغره أمانى، وعمل لما بعد الموت، وأيقن أن الأمانى بضاعة الأحمق ورأس مال المفلس، وأن خيرنا من طال عمره وحسن عمله ورأى بثاقب بصيرته أن كل ما فى الكون من إنسان وحيوان وشهور وأيام وأزمان ونبات وجماد كل ذلك فانٍ ولا يبقى إلا الديان.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٥).

(٥) الرحمن (٢٦، ٢٧).

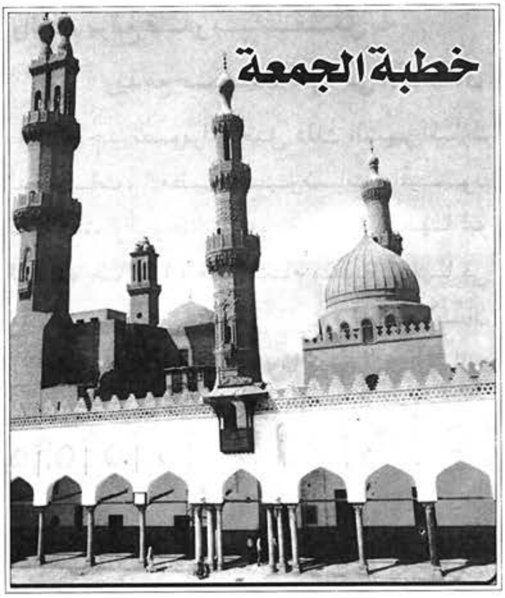

حرب على الإسلام[1]

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله - عز وجل - هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون... أشهد أن لا إله إلا الله، أتم النعمة وأكمل الملة:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2].

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وترك الناس على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامة عليه، وعلى آله المستجيبين لربهم، وأصحابه المعتزين بيقينهم؛ وأتباعه الثابتين على دينهم وإيمانهم:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة ٢٠ من شوال سنة ١٣٧٧هـ الموافق ٩ من مايو سنة ١٩٥٨م.

(٢) المائدة (٣).

(٣) النحل (٣٠).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

كم تود النفس المؤمنة أن تجد من حولها متنفساً تستريح فيه ـ ولو إلى حين– من الشكوى والأنين، وكم يتمنى المسلم الغيور أن لو استقام أمامه الطريق، حتى يهدأ ويطمئن، ويخلص للتحدث بنعم ربه، والتأمل فى جمال كونه، والاستمتاع بما شرع الحكيم العليم من أسباب الخير ووسائل النعيم؛ ولكن ماذا يصنع المرء وهو لا يكاد يخلو من شجن حتى يصطدم بشجن، فيظل مرغماً على مواصلة التوجع والبكاء؟

ماذا يصنع المرء والشواهد تتكاثر من حوله دالة على أن هناك حرباً واسعة منظمة ضد الإسلام وتعاليم الإسلام وأخلاق الإسلام، وأن هذه الحرب تسفر عن وجوهها الكالحة وأساليبها الخبيثة الفاضحة فى كل مناسبة وكل مقام، ويظهر لها جنود وأنصار وأتباع، ويتسع نطاقها يوماً بعد يوم بما تعانُ به من ألسنة وأقلام، وصحف ومجلات، وكتب ونشرات، وأعوان وأموال، وبما تتفنن فيه تفنن الشياطين من مكائد ومفاسد، ودعوات ومحاولات، تتوسل بها جميعها لكى يصبح هذا الدين نسياً منسياً، وبعدها يقترف هؤلاء ما يشاءون!...

ليتكم تستمعون واعين إلى جانب من فصول هذه المأساة التى لم تتم بعد.. إن هؤلاء قد بدأوا محاولاتهم بالطعن فى علماء الدين والتندر عليهم والسخرية منهم، ولم يكن قصدهم من وراء ذلك أن يشوهوا علماء الدين بذواتهم وأنفسهم، فقط ولكنهم يقصدون تشويه الدين بتشويه حملته ونقلته، حتى يصبح سلطانه فى النفوس ضعيفاً ضئيلاً، وقد يكون فى رجال الدين ما يؤاخذون عليه ولكنهم على كل حال يستطيعون أن يميزوا لنا بين الحلال والحرام، ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه... ثم انتقل أعداء الإسلام من الطعن فى العلماء إلى الطعن فى الفقهاء وأئمة المذاهب الأعلام، فأخذوا يكتبون فى صحفهم ومجلاتهم، ويقولون فى مجتمعاتهم وأنديتهم ما لا يصح أن يُقال فى هؤلاء الأئمة الكرام، والرواد العظام الذين مهدوا لنا الطريق، وبينوا الشريعة، وجعل هؤلاء المتطاولون يصفون الكثير من أقوال الأئمة ومذاهبهم بالجمود والرجعية وضيق الأفق، ولو نصبت موازين الحق والعدل لما صلح أحد هؤلاء المهاجمين أن يكون تلميذاً صغيراً لواحد من أولئك الأئمة الخالدين.. ثم انتقلوا إلى الطعن فى حديث الرسول ﷺ، فأخذوا يكتبون فى صحفهم ومجلاتهم يشككون فى الأحاديث ويطعنون عليها. ويحكمون على أحاديث رواها الإمامان البخارى ومسلم بأنها موضوعة أو باطلة أو لم يقلها الرسول، وهم يحاولون من وراء ذلك أن يبطلوا الاحتجاج بالسنة والاستدلال بالأحاديث، ليكون ذلك فصلا هاماً من فصول المأساة المبكية وهى محاولة القضاء على الدين... وأغلب الظن أنه إذا

استمرت الحال على ذلك دون ردع لهؤلاء من ولاة الأمور أو احمرار من عين الدولة فإن الخطوة القادمة منهم ستكون هى نقد القرآن والطعن فيه بصراحة(٤)، فيبلغون قمة الإجرام ويقولون مثلا على آيات من القرآن لا تعجب فجورهم وتحللهم: هذه آيات مكذوبة، أو هذه آيات غير سليمة، أو هذه آيات استنفدت أغراضها، أو هذه آيات شرعت لحياة الصحراء لا لحياة المدنية، أو هذه آيات لأبناء القرن السابع لا لأبناء القرن العشرين! .. وهكذا.. وهكذا تتم المأساة وتقبل الطامة الكبرى!..

أتظنون أنهم لا يفعلون؟... وكيف وقد فعلوا ذلك بطريق غير مباشر أو من وراء ستار!.. أليست دعواتهم التحللية والإلحادية التى يرددونها الآن دليلا على إنكارهم لتشريع القرآن وهدى السماء؟.. إنهم مثلا يشككون الناشئة فى وجود الله ـ عز وجل ـ أفليس هذا إنكاراً منهم لقوله عز وجل:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٥).

وهم ينادون بمنع تعدد الزوجات إطلاقاً، ومعنى هذا فى زعمهم الأثيم أن نلغى قوله تعالى:

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾(٦)

وهم يطالبون بإلغاء الطلاق، ومعنى هذا فى باطلهم الأثيم أن نلغى قوله تعالى:

﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾(٧)

وهم ينادون بالتسوية المطلقة الشاملة بين الرجال والنساء، مدعين أنه لا فرق بين النوعين فى أى شأن، مع أن الله خلقهما نوعين:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾(٨).

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾(٩).

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾(١٠).

وأشار القرآن الكريم إلى الذكر والأنثى فى نحو سبعة عشر موضعاً منه... وإذن فالطبيعة البشرية قائمة على ذكر وأنثى، وستبقى مكونة من ذكر وأنثى، وكلما استأنث الرجال، أو استرجل النساء، أو طغى أحد الفريقين على الآخر فى حق من حقوقه أو اختصاص من اختصاصه فسدت هذه الطبيعة؛ فمن التبجح أن يُقال: إن الرجل والمرأة سواء فى كل شىء، لأن الله ـ تعالى ـ لا يخلق نوعين متمايزين وهو يريد أن يكونا متساويين فى كل شىء، وإلا لكان ذلك عبثاً،

---

(٤) وكأن الشيخ رحمه الله يقرأ المستقبل بفراسة المؤمن.

(٥) البقرة (١١٥).

(٦) النساء (٣).

(٧) الطلاق (١).

(٨) الحجرات (١٣).

(٩) النجم (٤٥).

(١٠) آل عمران (٣٦).

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً... وهم يطالبون بأن يكون نصيب النساء فى الميراث كنصيب الرجال[11] فماذا نصنع فى قوله تعالى :

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾[12]...

وهم يطالبون بإلغاء رعاية الرجل للمرأة، فماذا نصنع فى قوله تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[13].

وقوله :

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[14]...

وهم يعملون لإشاعة التبرج وإظهار مفاتن النساء، فهل نلغى قوله تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[15].

وهم يطالبون بإبقاء الخمر مباحة حلالا، فهل نلغى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[16].

أرأيتم ماذا يريدون وماذا يحاولون؟... إنهم يريدون ألا يبقى من الدين شيء. ولذلك أصبح الذين يتحدثون فى دين الله على صفحات الجرائد والمجلات المتحللة هم الذين لا يؤمنون بالدين ولا يؤمنون بوجود الله، أصبح الذين يفصلون فى أمر الحديث النبوى هم الذين لا يعرفون النبى، أصبح الذين يتحدثون عن القرآن والأخلاق والأعراض هم الذين لا يغارون على الأعراض ولا يؤمنون بالقرآن ولا بالأخلاق والبقية تأتى، فإن الرواية لم تتم فصولها...

يا أتباع محمد ﷺ... إن أعداء الله وأعداء دينه ورسوله يبذلون الجهود الجبارة للقضاء على الإسلام وإخراج المؤمنين من دينهم إلى ساحات الإلحاد ومواخير الفجور. فابذلوا جهودكم المستطاعة فى الإعراض عنهم والإقبال على ربكم، ذاكرين دائماً أن ربكم يدعوكم إلى دار السلام، ويهديكم إلى أكرم مقام، وأن شياطين الفجور والإلحاد يدعونكم إلى الضلال والفساد :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[17]

فاستمسكوا بدينكم ولو وجدتم فى ذلك لذع الجمر أو لفح الهجير، فلأن تكونوا مؤمنين معتزين بعزة الله مع التعب والنصب والمجاهدة، خير لكم ألف مرة من أن تكونوا ذيولاً أو خيولا يركبها هؤلاء الفاسقون ليصلوا بها إلى ما يشاءون من إلحاد وإفساد، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

---

(١١) وقد قالوا ذلك فعلا «إن يقولون إلا كذبا».
(١٢) النساء (١١).
(١٣) النساء (٣٤).
(١٤) البقرة (٢٢٨).
(١٥) النور (٣١).
(١٦) المائدة (٩٠).
(١٧) البقرة (٢٥٧).

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس

● **سؤال عن حكم الشرع فى الزواج العرفى ؟**

●● **الجـــواب :**

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد .

فى الحقيقة لا تمر ساعة إلا ويسأل بعض الشباب فى لجنة الفتوى عن حكم الشرع فى الزواج العرفى، وهل هو حلال أو حرام؟

●● **الجـــواب :**

وقبل أن نجيب عن هذا السؤال لابد أن نشير إلى رأى الفقهاء فى تعريف الزواج وأركانه وشروطه وآثاره . أولاً : الزواج (النكاح) لغة : الضم والجمع . وشرعا عقد يبيح حل الاستمتاع للرجل بالمرأة . وأركانه : إيجاب وقبول أى موافقة ولى الزوجة ومن يريد الزواج بها على هذا الزواج وشاهدين، ومهر .

وشروطه : أن يكون العقد على امرأة خالية من الموانع؛ وأن لا تكون المرأة من المحرم على الزوج نكاحها؛ وأن يكون النكاح معلنا وأن لا يكون سراً فإن ذلك يكون زنا .

واتفق الفقهاء جميعاً على أنه لا نكاح إلا بولى فى المرأة الصغيرة والكبيرة لما روى عن أبى موسى عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا نكاح إلا بولى »[(١)] وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل »[(٢)] وقد أخذ الأئمة الثلاثة بهذا الحديث فاشترطوا لصحة النكاح الولى ما عدا أبو حنيفة الذى لم يشترط الولى . إن كانت المرأة بالغة أو ثيبا فزوجت نفسها فزواجها صحيح مع استيفاء بقية الشروط . أما الزواج الذى اشتهر فى هذه الأيام باسم الزواج العرفى

(١) أخرجه أحمد.

(٢) أخرجه الطبرانى.

فهو مغالطة وتسمية الأشياء بغير اسمها الصحيح فاسمه فى الحقيقة «الزواج السرى» وهو اجتماع الرجل مع المرأة فقط سراً مع كتابة ورقة بينهما يعترف فيها الرجل بأنه تزوج المرأة حتى ولو كان هناك شهود على هذه الورقة فهذه مغالطة لتبرير فعلتهم، هذا بالإضافة الى أن مثل هذا الزواج لا تترتب عليه آثاره.

كما أننى ألفت النظر إلى عدم الاستجابة إلى تقنين هذا الزواج ما دام قد تم فى السر؛ لأن معنى هذا أننا نقنن لإباحة الزنا وفى هذا ما فيه من خطر على المجتمع وكثرة الأبناء غير الشرعيين (أبناء الزنا) وأيضا بتقنين هذا الزواج كأننا نقول للبنت افعلى ما شئت، واخرجى على طاعة الآباء والأولياء فتنقطع بذلك الروابط الأسرية وتتفكك الأسر.

ولا تظن البنت أن فى هذا التصرف قيداً على حريتها وتصرفاتها أو قيدا على فكرها ومحو شخصيتها، فالإسلام لم ينكر حقها فى الاعتراض على الزواج، بل أمر الأولياء بأخذ رأيهن فيمن يتزوجنه ومنع الأولياء بتزويج البنت إلا برضاها فإن كانت بكراً فرضاها سكوتها، وإن كانت ثيبا فتعرب عما فى نفسها بالقول.

وختاما أقول للقائمين على أمر الإعلام فى مصر والعالم الإسلامى وضحوا للناس مخاطر هذا النوع من الزواج، وبينوا للناس كيف يكون سببا فى ضياع حق المرأة وهيبتها وكرامتها هى وأسرتها، وأن يشرح العلماء والخطباء على المنابر وفى المحافل الإسلامية، ويلفتوا النظر إلى ضرورة التمسك بتعاليم الإسلام وترسيخ مبادئه فى نفوس الناس. كما أننى أهيب بإخواننا العلماء ألا يصدروا كلامهم بكلمة حلال ثم يضعون الشروط بعد ذلك.

ولا تقل لى إن هذا الزواج صحيح لأنه أخذ الشكل الرسمى للعقد، أو أنه يصح على بعض المذاهب، فليس هناك مذهب يجيزه على هذا الصورة المهينة التى تستبيح الأعراض، وتساعد على انتشار الرذيلة فى المجتمع، فهذا لم يسلم به أحد مطلقا من علماء الإسلام قديما أو حديثا.

هذا وقد يكون الشئ مباحا ثم يطرأ عليه ما يجعله غير مباح لما يترتب عليه من ضياع الحقوق والآثار المترتبة عليه والإسلام يقول: «لا ضرر ولاضرار».

هذا والله أعلم،

● **سؤال من السيد / ربيع إبراهيم محمد يقول فيه:**

شخص يريد الزواج من فتاة، وقد رضع أخوه الأكبر على أختها الكبرى رضاعة كاملة فهل يصح لهذا الأخ أن يتزوج هذه البنت بعد أن رضع أخوه الأكبر من أمها؟

●● **الجـــواب :**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد، فقد قال الله ـ تعالى ـ فى المحرمات من النساء:

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾(٣).

قال رسول الله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب».

من هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية

---

(٣) النساء (٢٣).

والتى تنص على أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب مادام الرضاع قد وقع فى مدته الشرعية وهى سنتان قمريتان من تاريخ الولادة فى هذه الفترة التى يكون فيها الرضاع منبتا للحم ومنشرا للعظم، . . .

وقد اختلفت آراء الفقهاء فى عدد المرات التى تحرم، فقال علماء الأحناف والمالكية : قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم ولو مصة واحدة، وعند الشافعية والظاهر من مذهب الإمام أحمد أنه لا يحرم إلا ما كان خمس رضعات متفرقات مشبعات فأكثر . . .

أما الواقعة موضع السؤال، فنفيد بأنه يجوز للأخ الأصغر الزواج من الأخت الصغرى حيث إنه لم يرضع من أمها ولم ترضع من أمه ولم يلتقيا على ثدى آخر، وإنما التحريم ينصب على الأخ الأكبر على الأخت الكبرى وعلى جميع بنات الأم اللاتى رضعن منها سواء قبل رضاعته أو بعدها لأن جميع أولاد هذه السيدة صاروا إخوة له . هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال والله أعلم،

● **سؤال من أحد المواطنين يقول فيه :**

ما هو الحكم الشرعى فى إزالة الشحوم والزيوت عن أعضاء الوضوء حيث إنه يعمل فى محطة بنزين مع أنه يحافظ على الصلاة، ولكنه كان يتوضأ من غير إزالة الشحوم والزيوت حتى علم أخيرا من أحد العلماء أنه لابد من إزالة كل ما يمنع وصول الماء إلى البشرة فى جميع أعضاء الوضوء، ويسأل كذلك عن حكم ما أداه قبل ذلك من غير إزالة الشحوم والزيوت ؟

●● **الجـــواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

فمن المعلوم أن الوضوء شرط من شروط صحة الصلاة، ومن شروط صحة الوضوء عموم البشرة بالماء الطهور، حتى قال الفقهاء : إنه لو بقى مقدار مغرز إبرة لم يصبه الماء من المفروض غسله لم يصح الوضوء، ومن شروط صحته كذلك إزالة ما يمنع من وصول الماء إلى الجسد، حتى يمكن أن يعم الماء جميع البشرة التى يفترض غسلها، وقد مثل العلماء والفقهاء لذلك المانع بالشمع والشحم لأنهما يستران البشرة، ويحولان دون وصول الماء إليها، ومن ذلك - أيضا - العجين فإنه يمنع وصول الماء إلى البشرة، وشبيه ذلك ما تضعه السيدات على أظافرهن (كالمانوكير) مادام له جرم .

أما الزيوت فإنها سوائل لا تستر البشرة، ولا تحول دون وصول الماء إليها، ولذلك فإن وجودها لا يؤثر فى صحة الوضوء، ومثلها مثل الحناء لا تمنع وصول الماء إلى البشرة، والقاعدة فى ذلك، أن كل ما له جرم فإنه يمنع وصول الماء إلى البشرة فلا يصح معه الوضوء أو الاغتسال ولابد من إزالته وماليس له جرم فوجوده لا يضر، لأنه لا يمنع وصول الماء إلى البشرة والأصل فى ذلك قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾(٤) .

فلابد أن يصل الماء إلى جميع أعضاء فرائض الوضوء .

هذا وعلى السائل أن يعيد ما أداه من صلوات سابقة، ولا يعفيه من أدائها وقضائها جهله بالحكم الشرعى . والله أعلم .

(٤) المائدة (٦).

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

رسالة هذا العدد من القارىء محمد عبد الحافظ سالم من حى المنتزة بالإسكندرية يقول فيها:

قال تعالى فى سورة الإسراء:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ (١)

هل المقصود بها اليهود أم المسلمون لقد ذكر المفسرون أن المقصود بها اليهود وأنا غير مقتنع بما قالوا لأن الآية التى تليها مباشرة بها حديث عن القرآن وأهله كقوله سبحانه:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٢).

لذلك أرجح أن المقصود بالآية السابقة عليها المسلمون لا اليهود خلافا لما ذهب إليه المفسرون القدامى الذين كتبوا تفسيراتهم يوم أن كان المسلمون مسلمين على حق سائرين على الصراط المستقيم، والحال قد تبدل الآن ففينا من عبد الشيطان وفينا من فعل فعل قوم لوط. فما رأيكم فيما ذهبت إليه؟ أرجو الإفادة وشكرا.

بداية أقول للأخ السائل: شكر الله لك غيرتك على الإسلام إن تفسير القرآن الكريم لا يكون بالرأى والهوى، مهما كان الرأى نابعا من حرص على المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، وأذكر هنا ما قاله بعض السلف - رضى الله عنهم -: «أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى القرآن برأيى». ثم إن المفسرين القدامى الذين لم يعجبك تفسيرهم وضعوا نصب أعينهم أولا النصوص القرآنية ولذا قالوا: القرآن يفسر بعضه بعضا، وقالوا: لا تفسير أبين من تفسير الله - عز وجل - ثم أقوال الرسول الكريم ﷺ الذى أمر أن يبين للناس ما أنزل إليهم، ثم أقوال الصحابة الأبرار كل ذلك إلى جانب العلم التام باللغة العربية نحوا وبلاغة ولغة

(١) الإسراء (٨).

(٢) الإسراء (٩).

لأن القرآن نزل بلسان عربى مبين مع الفقه التام بمقاصد الإسلام وأهدافه وروحه.

ثم إن الآية لا تفسر بعد استيعاب كل ما سبق مقطوعة عن سابقتها أو لاحقتها فكثيرا ما يوضح السياق المعنى وبخصوص الآية موضوع السؤال:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

يقول صاحب الظلال - رحمة الله عليه - مراعيا سياق الآيات كلها: (ولقد قضى الله لبنى إسرائيل فى الكتاب الذى آتاه الله لموسى أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين وأنهم سيعلون فى الأرض المقدسة وسيتخذون ذلك وسيلة للإفساد فى الأرض فيسلط الله عليهم من يقهرهم ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميرا وذلك قوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾(٣).

فهذه هى الأولى يعلون فى الأرض المقدسة فيفسدون فيها فيبعث الله عليهم عبادا من عباده أولى بأس شديد يستبيحون الديار ويروحون فيها ويغدون باستهتار ويطأون ما فيها ومن فيها بلا تهيب

﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ لا يكذب ولا يتخلف.

حتى إذا ذاق بنو إسرائيل ويلات الغلب والقهر فرجعوا إلى ربهم وأصلحوا أحوالهم وأفادوا من البلاء المسلط عليهم وحتى إذا استعلى الفاتحون وغرتهم قوتهم فطغوا هم الآخرون وأفسدوا فى الأرض أدال الله للمغلوبين من الغالبين ومكن للمستضعفين من المستكبرين وذلك قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾(٤).

وفى ثنايا القصة يقرر الحق - سبحانه - قاعدة العمل والجزاء:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾(٥)

القاعدة التى لا تتغير فى الدنيا والآخرة والتى تجعل عمل الإنسان كله له بكل ثماره ونتائجه وتجعله مسئولا عن نفسه إن شاء أحسن إليها وإن شاء أساء فلا يلومن إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء.

وبعد أن يقرر السياق هذه القاعدة يمضى ليكمل القصة والنبوءة الصادقة

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾(٦)

وذلك بما يرتكبونه فيهم من نكال يملأ النفوس بالإساءة حتى يفيض على الوجوه.

ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعيد فسلط الله على بنى إسرائيل من قهرهم أول مرة ثم سلط عليهم من شردهم فى الأرض ودمر مملكتهم تدميرا - أى فى المرة الثانية - ويعقب السياق على

---

(٣) الإسراء (٥).
(٤) الإسراء (٦).
(٥) الإسراء (٧).
(٦) الإسراء (٧).

النبوءة الصادقة والوعد المفعول بأن هذا الدمار قد يكون طريقا للرحمة إن أفادوا منه العبرة:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾(٧) فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد فى الأرض فالجزاء حاضر والسنة ماضية ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها ثم عادوا إلى الإفساد فلسط الله عليهم عبادا آخرين حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم هتلر.

ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد فى صورة إسرائيل التى أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات ومازالوا يفعلون ذلك على مرأى ومسمع من العالم أجمع فى تبجح منقطع النظير ووحشية لم يسبق لها مثيل وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعد الله القاطع وفاقا لسنته التى لا تتخلف وإن غدا لناظره قريب(٨).

هذا يا أخى كلام أحد مفسرى العصر الحديث المجددين وهو يجزم كالمفسرين السابقين بأن المقصود بالآية موضوع السؤال:

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾

هم اليهود لا المسلمون وزيادة فى الفائدة والتأكيد يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى التفسير القرآنى للقرآن وهو تفسير أحدث من الظلال يقول عن الآية نفسها: «هو خطاب لبنى إسرائيل وإلفات لهم إلى بأس الله الذى لا يرد عن القوم الظالمين وأنهم بعد أن ينفذ فيهم قضاء الله ويقعوا تحت وعد الآخرة لن يرفع عنهم التكليف المفروض على كل إنسان فهم - شأنهم شأن الناس - معرضون لرحمة الله إن نزعوا عما هم عليه من شر وفساد ورجعوا إلى الله واستقاموا على طريق الحق والخير فإن عادوا بعد أن يضربوا الضربة الثانية عاد الله عليهم بالبلاء والنقم وسلط عليهم من عباده من يأخذهم بالبأساء الضراء ثم حشروا محشر الكافرين فكانت لهم النار حصيرا أى: سجنا مطبقا عليهم يحصرون فيه ولا يجدون لهم طريقا للخلاص منه.

أما قولك يا أخى إن قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

تخاطب أهل القرآن واستنتجت منها أن الآية السابقة عليها من المسلمين أيضا فيقول عنها: «مناسبة هذه الآية لما قبلها هى أن بنى إسرائيل قد تنكبوا طريق الحق وركبوا طريق الباطل والضلال فضربهم الله - سبحانه وتعالى - هاتين الضربتين المدمرتين وكانت إحدى هاتين الضربتين على يد المسلمين أصحاب المسجد الذى استولى عليه بنو إسرائيل فكان قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾.

دعوة لبنى إسرائيل إن هم أرادوا أن يرفع عنهم بلاء الله وتستقيم طريقهم فى الحياة أن يؤمنوا بهذا

---

(٧) الإسراء (٨).

(٨) فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب جـ٥ ص٣٠٦ وما بعدها ط دار إحياء التراث العربى ببيروت بتصرف.

القرآن الذى يهدى للطريق المستقيم وألا يبحثوا عن دواء غيره يطبون به لدائهم إن أرادوا أن يخرجوا من البلاء الذى ضربه الله عليهم، وفى قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٩).

إشارة إلى بنى إسرائيل وأنهم المرادون بهذا الخطاب فهم لا يؤمنون بالآخرة كما يؤمن بها المؤمنون وإنما يرون أن الجزاء معجل لهم فى هذه الدنيا وأن الجنة والنار هما فى هذه الدنيا حيث السعداء والأشقياء هم الأغنياء والفقراء، هذه هى عقيدة بنى إسرائيل فالمراد بهذه الآية هم اليهود والمطلوب منهم أن يؤمنون بالآخرة فهم إن ذكروا الآخرة لايذكرونها إلا بألسنتهم ولكن قلوبهم منعقدة على إنكارها(١٠).

وقد ذهب إلى التفسير نفسه الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى تفسيره.

ويقول الرازى فى تفسيره مفاتيح الغيب: ثم قال تعالى:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ والمعنى لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يابنى إسرائيل ثم قال تعالى:

﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ يعنى إن بعثنا عليكم من بعثنا ففعلوا بكم ما فعلوا عقوبة لكم وعظة لتنتفعوا به وتنزجروا عن ارتكاب المعاصى، ثم رحمكم فأزال هذا العذاب عنكم، فإن عدتم مرة أخرى إلى المعصية عدنا إلى صب البلاء عليكم فى الدنيا مرة أخرى، قال القفال: وإنما حملنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله تعالى خبرا عن بنى إسرائيل فى سورة الأعراف:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾

وقال العلامة الآلوسى فى روح المعانى:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ بعد البعث إن تبتم وانزجرتم عن المعاصى «وإن عدتم للإفساد بعد الذى تقدم منكم ﴿ عُدْنَا ﴾ للعقوبة فعاقبناكم فى الدنيا بمثل ماعاقبناكم به فى المرتين الأوليين، وقد عادوا بتكذيب النبى ﷺ وأرادوا قتله فعاد الله عليهم فسلطه عليهم فقتل قريظة، وأجلى بنى النضير، وضرب الجزية على الباقين، وقيل عادوا فعاد الله عليهم بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الإتاوة ونحو ذلك(١٢).

وقد ذهب كل المفسرين إلى هذا القول.

على أن معنى الآية العام لا يمنع ماذهبت إليه على أنه قاعدة إلهية عامة فى الثواب والعقاب، فمن أحسن نالته رحمة الله، ومن عاد إلى المعصية من كل ملة عاد الله عليه بالعقوبة لكن الآية قصد بها بنو إسرائيل وخصوص السبب لا يمنع من عموم المعنى، والله أعلم.

---

(٩) الإسراء «١٠».

(١٠) التفسير القرآنى للقرآن للشيخ عبد الكريم الخطيب ط دار الفكر المجلد الرابع ص٤٥٧ وما بعدها.

(١١) مفاتيح الغيب للرازى جـ١٠/٢٤ ط دار الغد العربى.

(١٢) روح المعانى ١٥/٢١ دار إحياء التراث العربى.

رمضان والتحديات المعاصرة

للأستاذ / إسماعيل أحمد أبو الهيثم

رصدنا فى العدد السابق بعض التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية وطالبنا بأن يستغل شهر رمضان المعظم فى شحذ الهمم لمواجهة هذه التحديات، بشىء من الترتيب والتنظيم العلمى والعقلى. حتى يمكن التغلب على هذه التحديات.

وفى هذا العدد يرصد لنا الدكتور محمد سيد أحمد المسير الأستاذ بجامعة الأزهر ثلاثاً من هذه التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية، وهى: الإدمان، والإرهاب، وعدم وحدة الموقف الإسلامى تجاه أغلب قضاياه.

وفى السطور القادمة نرصد الداء ونصف الدواء من وجهة نظر الدكتور محمد سيد أحمد المسير.

الإدمان

الدكتور محمد المسير يرى أن الإدمان من التحديات الخطيرة التى تواجه الأمة بشكل خطير ما لم تواجه هذه الظاهرة بشىء من التنظيم الدقيق. ويعترف بأن طريقة علاج هذا الوباء طريقة خاطئة وتسير بعيدا عن المنهج الإسلامى.

وأرجع الدكتور المسير الخطأ إلى اعتقاد أن التربية الدينية قاصرة على المسجد فقط، ولكن الحقيقة أن الأسرة والمدرسة والنادى شركاء فى التربية. ولكن الأسرة غائبة وفقدناها كموجهة وعامل تربية، والمناهج لا تغنى ولا تسمن من جوع.

ثمة نقطة هامة يجب أن تأخذ وضعها الصحيح وهى العقوبة الشرعية، فلا نستطيع أن نعالج الإدمان بدون عقوبة شرعية. والعقوبة الشرعية هنا هى الجلد، ثمانون جلدة فى ميدان عام. فلو نفذنا هذه العقوبة على بضعة أفراد لامتنع الباقون عن ارتكاب هذه الجريمة.. لأن الله يزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن.. ولو طبقنا هذا الحد.. ستجد من لا يخاف الله.. يخشى العقوبة.

التفرقة بين المخدرات والمسكرات

ثم إن التفرقة بين المخدرات والمسكرات تفرقة مصطنعة لا قيمة لها.. فإما أن نسمح بهما أو نمنعهما. والإسلام يمنع كل مسكر ومخدر..

وبالتالى «فإن محاربة الخمور مقدمة على محاربة المخدرات».

ومالم تتواكب المسيرة فى محاربة كل مغيبات العقل، نكون قد خدعنا أنفسنا!! فإن كنا جادين فى محاربة الإدمان. يجب علينا فورا إغلاق محلات الخمور وعدم استيرادها، وكل مصانع التدخين التى هى الأساس فى صناعة كل مدمن ولا نكتفى بكتابة التدخين ضار جدا بالصحة!! فهذا خداع! لابد من تعميم التجريم لكل من التدخين والخمور والمخدرات.

ثم لابد من إقامة حد الحرابة على كل تجار المخدرات دون تفرقة وفقا للمنهج الإسلامى:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١).

الإرهـــــاب

يرى الدكتور محمد المسير أن الإرهاب من الدعاوى التى ألصقت زورا وبهتانا بالإسلام وتعجب الدكتور المسير من أن الذين ألصقوه بالإسلام، هم الذين صنعوه فالإرهاب صناعة أوروبية وصناعة أمريكية على مستوى الفرد وعلى مستوى الدولة. ودلل الدكتور المسير على ذلك بقوله: إن قيام اسرائيل فى دولة فلسطين هو الإرهاب بعينه، واستمرار وجود إسرائيل هو استمرار للإرهاب!

ثم إن عمليات المذابح التى حدثت مؤخرا فى خان يونس ورام الله وصبرا وشاتيلا وفى كل المواقع المأساوية وقعت على أيدى زعماء إسرائيليين.

وحتى ما يسمى بالجماعات المتطرفة هم صانعوها، وهم الذين أمدوها لاختراق صفوف الأمة الإسلامية ولتمزيق وحدتها. وأن قادتها كانوا إلى وقت قريب يعيشون فى أوروبا وأمريكا. ولما انتهى دورهم المحدد لهم من قبل أجهزة المخابرات والموساد، تخلصوا منهم.

ثم إن أوروبا وأمريكا مليئة بهذه الجماعات. فالمافيا فى إيطاليا، والنازيون الجدد فى المانيا، والجيش الجمهورى فى أيرلندا، وعصابات المخدرات فى كولومبيا، وما يسمونه باليمين المتطرف فى أمريكا. وكلهم متأصل فيهم العنصرية والعصبية البغيضة، وعلى الرغم من ذلك يغضون الطرف عنهم ويلصقون الإرهاب بالإسلام.

وأكد الدكتور محمد المسير: بأن الإسلام لا يعرف الإرهاب، لأن الإرهاب إنما يقوم به أدعياء وليسوا أصحاب حق، ولأن الإرهاب يقوم على الظلم، والإسلام دعوة حق، والإرهاب يقوم به أناس لا يحترمون الإنسانية، وليس عندهم شعور بالولاء نحو البشر، والمسلم هو الإنسان الوحيد الذى يعترف بالأصل الواحد الذى يجمعنا جميعا، ولا يعرف العصبية أو الجاهلية، ويؤمن بقول الله تعالى:

---

(١) المائدة (٣٣).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢).

العمليات الفدائية عمليات استشهادية ودليـــل حيـــاة الأمـــة الإســلامية

هناك فرق كبير بين الدفاع عن الحق، والاعتداء على المظلومين!! كيف يقال عن الفلسطينى الذى يدافع عن أرضه وعرضه ومقدساته إنه إرهابى؟! هذا رأى شائن وفكر لئيم، لا يمكن قبوله.. فمن حق الشعوب أن تدافع عن نفسها.. ومن هنا فكل العمليات الاستشهادية التى يقوم بها الفلسطينيون، عمليات جهادية! ولا تدخل فى إطار الإرهاب.. وعلينا أن نشجعها وأن نقدم العون المادى والمعنوى لها.. وأن الانتفاضة الفلسطينية دليل حياة الأمة الإسلامية، التى أصيبت بصمت الموتى! ولا يكاد يحس بها أحد، وقضايا الأمة الإسلامية، غيبت عن الاهتمام الدولى العالمى. ولولا هذه الانتفاضة، ما سمع أحد عن القضية الفلسطينية ولابد من تدعيم هؤلاء الأبطال ومساندتهم، والوقوف بجوارهم، وإمدادهم بكافة الوسائل حتى يطهروا أرض الإسراء والمعراج من أحفاد القردة والخنازير.

فلندع مثل هذه الأعمال الاستشهادية تأرق مضاجعهم، ولتسلب النوم من عيونهم، ولنجعلهم دائما وأبدا فى حيرة، هذا أقل ما يجب أن يقدم.. فرد العدوان له أساليب شتى تبدأ بالكلمة وتمر بمراحل كثيرة حتى نصل إلى المواجهة الميدانية.. والله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

وكلمة خفافا وثقالا تشمل كل ألوان التعبئة صغيرها وكبيرها، بدءا من الكلمة ومرورا، بالمقاطعة للمنتجات حتى تصل إلى المواجهة الميدانية.. فطالما هناك فرصة متاحة لأن نقتص من عدونا بأى وسيلة مشروعة فلا حرج فى ذلك.

وأيضا لابد أن تكون المواجهة بالمثل امتثالا لقول الحق:

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾(٤).

فما دامت إسرائيل لا تفرق بين الطفل والشاب، والمرأة والعجوز. فلابد من المعاملة بالمثل امتثالا لقوله تعالى:

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾(٥).

الغرب إما حاقد على الإسلام وإما جاهل به:

وعن مسئولية الإعلام العربى والإسلامى فى عدم وضوح سماحة الإسلام للمجتمع الغربى

(٢) الحجرات (١٣).
(٣) التوبة (٤١).
(٤) التوبة (٣٦).
(٥) البقرة (١٩٤).

قال الدكتور محمد المسير: إن الغرب، إما حاقد على الإسلام، وإما جاهل بالإسلام نتيجة الموروثات الصليبية القديمة، ونتيجة للدعاية اليهودية المضللة ونتيجة لعدم تقديم الصورة الصحيحة للإسلام لهم.

فالحقد لا تستطيع أن تستأصله من قلوبهم قال تعالى:

﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾(٦).

أما الجهل فنستطيع أن نستأصله من خلال الإعلام ومن خلال تواجد المسلمين فى المجتمعات الأوروبية بأخلاق الإسلام.

وأكد الدكتور المسير: أن العالم الغربى عندما يتعرف على الإسلام يُقبِل عليه ويعتنقه.. ونلاحظ أن الذين يعتنقون الإسلام فى أوروبا هم الصفوة من السياسيين والفلاسفة والعلماء والباحثين بعكس عمليات التنصير التى تقوم بها الجمعيات التنصيرية فى أفريقيا وآسيا، التى تعتمد على الخداع وتعتمد على لقمة الخبز، أو تقديم الدواء، فهى تحاول أن تخدع الناس فى عقائدهم بما تقدمه لهم من خدمات اجتماعية.

أما الإسلام فينتشر فى أوروبا رغم ضعف المسلمين. وليس لدى المسلمين من إغراء يقدمونه لأوروبا حتى يسلموا.

أوروبا تجتمع فى وحدتها على أوهن من بيت العنكبوت

وعن الوحدة الأوروبية قال الدكتور المسير:

إن أوروبا الآن تجتمع فى وحدتها على أوهن من بيت العنكبوت.. فليس بين الأوربيين ما يجمعهم! وليس لديهم سبب واحد يدفع إلى الوحدة فليس بينهم دين مشترك، ولا لغة مشتركة، ولا تاريخ مشترك.. فدينهم متعدد المذاهب، والمذاهب هناك متأصلة فى الخلاف، ومتعمقة فى التفرقة، فلا يلتقى مذهب مع مذهب.

ونعى الدكتور المسير حالة الأمة الإسلامية الاقتصادية.. التى تصلى على سجادة مصنوعة فى الصين الشيوعية، وتسبح الله بمسبحة كورية.. وتتفاخر باقتناء الأجهزة اليابانية وطرح سؤالا موجها لأرباب الصناعة الإسلامية: هل عجزنا أن نصنع سجادة نصلى عليها؟ هل فقدنا الأمل فى تجويد منتجاتنا؟ ولماذا لا يقتصر المعروض فى موسم الحج على المعروضات الإسلامية بعد تجويدها؟

واختتم الدكتور المسير حديثه قائلا: يجب علينا جميعا كل من مكانه أن نعيد حساباتنا وترتيب الأوراق من جديد، وأن نستثمر السمو الروحى الذى نكون عليه فى رمضان لإعادة صياغة الوضع الإسلامى.

---

(٦) آل عمران (١١٨).

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

قال لي صاحبي

طالعتنا جريدة اللواء الإسلامي بهذا الحوار الصادق للدكتور محمد فؤاد شاكر يرثى فيه العالم الإسلامى وما وصلنا إليه من وهن وقلة حيلة.

كان هذا فى الحوار الثنائى بينه وبين صاحبه فى اللواء الإسلامى فى ٢٩ / ١١ / ٢٠٠١:

مازالت عملية الإبادة الظالمة للمسلمين مستمرة ومازال أعداء الله من شياطين الإنس يتخذون الحجج للإجهاز على أفغانستان المسلمة ونحن نتفرج نعيش حياتنا طولا وعرضا ولا نهتم بل أصبح مألوفا لدينا أن نسمع عن التدمير وعن السفك والقتل ولا يحرك ذلك ساكنا فينا.. ذلك ما افتتحت به مجلسنا الأسبوعى ونحن نجلس جلسة رمضانية نتبادل فيها أمور ديننا وأحوال دنيانا. وسألنى صاحبى لماذا أصبح القرآن مهجورا فى بلاد المسلمين؟ قلت يا صاحبى لأن المسلمين لم يتدبروا آياته قرأوا وما فهموا ولو فهموا ما طبقوا، والقرآن يقول:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٢).

ووصف القرآن الذين يصدون عن تعاليمه بقوله:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾(٣).

---

(١) الأحزاب (٣٦).
(٢) النساء (٥٩).
(٣) النساء (٦١).

فكيف بنا ونحن نحتكم إلى غير شريعة الله ونحتكم إلى قوانين لا تمت إلى الإسلام بصلة بل هى تأتى منافية تماما له فى كثير من تشريعاتها وتتناقض معه ولهذا صبغ الناس فى حياتهم وتعاملاتهم بصبغة غير إسلامية فأصبح الإسلام غريبا لايحتكم أتباعه إلى منهجه وأصبحت القواعد والتعاليم الإسلامية مستنكرة وليس هذا الكلام سبيلا إلى الغلو أو الإفراط. ولهذا انقسم الناس إلى أقسام وشيع كل حزب بما يتبعون ويحتكمون وكثرت الحيل وانتشر التعدى على حقوق الناس وأسرف الناس فى التفريط فى إقامة موازين الحق وأصبح دعاة البدع والضلالات يشار إليهم ويأخذون مواقعهم بل ويتقدمون الصفوف بغير حق، والشريعة الحقة تربى المسلمين على احترام حقوق الناس وحسن التعامل مع غير المسلمين وتضبط حركة الحياة، ولا يصاب خلالها المجتمع الإسلامى بخلل أو خروج عن المنهج القويم، أما قوانين البشر فمن أفظع ما صنعته فى الناس أنها ارتكبت فى الناس أكبر الجرائم حيث بثت فيهم روح التمرد على الدين ونشرت وسائل معاداة الإسلام وأفسحت المجال لحملات التبشير الباطلة لتنشر بين العباد من المنكرات والمفاسد تحت مسمى حرية الأديان، والحق أنه لا يوجد دين حمى حرية الاعتقاد كما فعل الإسلام.

قال صاحبى: فكيف يكون العلاج؟ قلت: بالرجوع إلى كتاب الله بالكلية وألا نفوض أمرنا إلا لربنا فهو المستعان وفى القرآن الخير كله فإن جعلناه بين أيدينا حكما فهو:

﴿ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤).

وهو أيضًا:

﴿ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾(٥).

اللـه أعلـم.. يا أمريكـا

قال فتحى سالم فى أخبار اليوم ١٠ / ١١ / ٢٠٠١

بعد انتهاء مؤتمر ديربان بثلاثة أيام فقط وقع الهجوم الرهيب الذى دمر هيبة سيدة العالم وعمدته وولية أمره وما أن بدأت أمريكا حربها ضد طالبان والقاعدة. وكل ضحاياها حتى الآن من الأفغان البؤساء...حتى أعلن بوش عن تأييده لإقامة دولة فلسطينية دون أن يتبع ذلك بأى قرارات أو تصرفات تلزم إسرائيل التى لا ترضخ ولا تعترف بأى سلطة فى العالم إلا بسلطة أمريكا. بالرجوع إلى الحق والتوقف عن البلطجة والإرهاب. والمدهش أن وزارة الدفاع الأمريكية لا تزال «تستعبط» وتعلن عن

---

(٤) يونس (٥٧).

(٥) فصلت (٤٤).

مسابقة عالمية لتقديم اقتراحات لمحاربة الإرهاب دون أن تعترف بأن السياسة الأمريكية الخاطئة بانحيازها الأعمى لإسرائيل، وتجاهلها لحاجة شعوب العالم الصغيرة للعدل والإنصاف من القوة الوحيدة التى تحكم الدنيا هو المفجر لكل عمليات الإرهاب، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً والمذهل أيضا أن رئيس الأركان الأمريكى أعلن منذ أيام أن الحرب الأمريكية الحالية سوف تستمر إلى الأبد وهو ما يثير الشكوك فى أن هذه الحرب كانت مقررة من قبل ضرب واشنطن ونيويورك فهل الغرض الحقيقى منها هو السيطرة على منابع البترول فى وسط آسيا؟! أم هى حرب صليبية فعلا ضد الإسلام؟! الله أعلم يا أمريكا.

التصريحات الأمريكية الجوفاء

فى أخبار اليوم وفى عددها الصادر فى ١٠ / ١٠ كلمة للأستاذ محمد بركات، قال:

بالتأكيد لم يخطر على بالنا فى لحظة من اللحظات أن رئيس الدولة الأعظم يمكن أن يطلق تصريحات جوفاء، لا يعنيها، أو يقول كلمات لا وزن لها ولا قيمة سوى الضحك على ذقوننا، أو سعياً لامتصاص غضب الشارعين العربى والإسلامى تجاه المواقف الأمريكية المتعاقبة بطول السنوات الماضية، والتى كانت منحازة دائماً لإسرائيل ومؤيدة لكل جرائم الدولة الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى.

وبالقطع. لم نصدق ما يقال: إن بوش الابن اضطر إلى دغدغة المشاعر والآمال العربية والإسلامية، وارتداء ثوب الحياد والعدل. تحت ضغط الحاجة المؤقتة لمساندتهم له فى حملته الجارية ضد أفغانستان، تحت شعار الحرب ضد الإرهاب وأنه - لا سمح الله - سوف ينسى أو يتناسى وعوده بالدولة الفلسطينية فور تحقيق ما يريده منا.

نيـران الحقـد والكراهيـة التى أشعلتها أمريكا فى أفغانستان

نشرت جريدة عقيدتى فى عددها الصادر فى ٢٧ / ١١ / ٢٠٠١ هذا المقال للأستاذ بسيونى الحلوانى والذى فتح الباب على مصراعيه لكى يوضح للعالم الوجه المضىء لأمريكا وها هى توجه للعالم قبحها وشرها والله المستعان عليها.

قد تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال حملتها العسكرية على أفغانستان أن تقضى على تنظيم القاعدة وأن تقتل أو تقبض على أسامة بن لادن.. وقد تستطيع أن تقضى على حركة طالبان وتقتل زعيمها الملا محمد عمر كما قتلت الآلاف من مقاتلى الحركة والآلاف من المدنيين.. لكنها لن تستطيع من خلال هذه الحملات العسكرية أن تقضى على الإرهاب وأن توفر الأمن والطمأنينة لشعبها.

فالحقيقة المرة التى لا يريد الأمريكان الاعتراف بها هى أن الظلم والقهر والعدوان

هو الذى يولد الإرهاب، وأن العدل والإنصاف والانحياز للحق طريق المحبة والأمن والاستقرار.

إن كل التقارير الواردة من أفغانستان تؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يشغلها من حملتها العسكرية إلا الانتقام وإخماد النيران المشتعلة فى قلوب ونفوس الأمريكيين منذ أحداث نيويورك وواشنطن.. وقد دفع الشعب الأفغانى ثمن جريمة لم يرتكبها فقد حصدت الصواريخ والطائرات الأمريكية والبريطانية أرواح الأبرياء وحصدت الكراهية والبغضاء المتأججة فى نفوس «المجاهدين الأفغان» أرواح الآلاف انتقاماً.. ومازال أسامة بن لادن حراً طليقاً وفشلت أمريكا بأجهزتها الدقيقة وقواتها الخاصة المدربة ووسائل التجسس التى تسجل وتنقل كل صغيرة وكبيرة تحدث على الأرض وملايينها التى رصدتها لمن يدلى بمعلومات عن مكان اختفائه.. فشلت كل هذه الوسائل فى تحديد مكان أسامة بن لادن.

لذلك ليس غريباً أن يعلن الرئيس الأمريكى «بوش» ووزير خارجيته «باول» أن الحرب فى أفغانستان لا تزال فى مراحلها الأولى، فكل ما يفقدونه من هذه الحرب هو الصواريخ والقنابل ووقود الطائرات أما الذين يقاتلون ويفقدون أرواحهم ويرتكبون أبشع الجرائم فى حق دينهم ووطنهم فهم إخواننا الأفغان الذين عادوا من جديد إلى مسرح الأحداث وسيكونون مصدراً خصباً لتشويه صورة الإسلام والمسلمين بحربهم ضد بعضهم البعض وتقديم ما تبقى من شعبهم وقوداً لمرحلة جديدة من النزاع والأحقاد والحروب التى بدأت بالفعل على أرض أفغانستان ولن يعلم إلا الله وحده متى ستنتهى.

من هنا فإن الحديث عن مؤتمر للمصالحة بين الأفغان وتشكيل حكومة تمثل كل الأعراق الأفغانية يصبح حلماً بعيد المنال فإخواننا فى أفغانستان أدمنوا الحروب والقتل ولا يمكن أن يعيشوا فى طمأنينة وأمان دون أن يتقاتلوا ويريقوا دماء بعضهم البعض.. فلم يتبق لهم من تعاليم الإسلام إلا تطويل اللحى.

لقد كنا نتصور أن القضاء على حركة طالبان وإزاحتها عن الحكم يعنى عودة الحياة إلى أفغانستان وأن الفصائل الأفغانية التى وحدت جبهتها وفرشت لها الطائرات الأمريكية الطريق إلى كابول ومزار الشريف بالورود قد تعلمت الدرس وأن مرحلة النزاع والصراع قد انتهت لتبدأ مرحلة الوفاق والبناء.. ولكن للأسف كل التقارير الواردة من أفغانستان تؤكد أن مرحلة الصراع والنزاع بين إخواننا المجاهدين قد بدأت على الأرض ليستكملوا هم مسلسل الحروب والصراعات والقتل والتخريب فى أفغانستان.

لذلك فإن الأصوات التى تطالب بعدم التسرع فى تقديم مساعدات من أجل إعمار أفغانستان لها ما يبررها فما سيقدم من الدول العربية والإسلامية للفصائل الأفغانية سيوظف لشراء أسلحة جديدة تحصد أرواح المزيد من أبناء أفغانستان.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

السعادة الموهومة

بينما كان شهر رمضان الفضيل يجمع أوراقه التى ملئت بأعمال العباد، مستعداً للرحيل، شاهداً على ماقدموا من خير أو شر، وعلى اجتهادهم أو تفريطهم. ونحن فى تلك اللحظات نرجو رحمة ربنا الواسعة آملين أن نحظى بمغفرة من الله، وأن ننال براءة من النار بفضله العميم، فنصبح من عتقاء الشهر الكريم. فى هذه اللحظات المباركات، وبعد الافطار بقليل وجدت الأستاذ أحمد عثمان والأستاذ صفوت عكاشة قد أشعل كل منهما سيجارة فى انتظار الملزمة التالية من مجلة الأزهر لتجهيزها للطبع.

فبادرت الأستاذ أحمد: متى دخنت أول سيجارة؟

فقال: منذ كنت فى الصف الرابع الابتدائى.، ثم وجهت نفس السؤال للأستاذ صفوت الذى أفاد بأنه دخَّن فى سن مبكرة أيضاً.

وهنا وجهت سؤالاً آخر:

هل من الصواب أن يظل الإنسان أسير رغبته حين كان (صبيًا - أو مراهقًا) بينما هو الآن يخطو خطواته نحو الأربعينيات والخمسينيات من عمره؟

فكان جوابهما يتلخص فى أنهما يشعران بسعادة!

قلت: سعادة بماذا؟

فجاء الجواب: سعادة وكفى، لا ندرى لأى شىء!! ولكننا سعداء.

انتهى الحوار وواصلنا العمل.

ولكنى وجدتنى أفكر فى هذه القضية، وبخاصة وقد أعطانا رمضان فرصة طيبة للتعود على الامتناع عن التدخين من مطلع الفجر حتى مغرب الشمس، وإن فى ذلك لبرهان ساطع لإمكانية ترك هذه العادة الرديئة!!

.. فقط بعض إرادة وينتصر المدخن على عادة اكتسبها فى غفلة من وعيه!!

.. فقط بعض الإرادة ويكون قد بَعُدَ عن أخطار التدخين وتمتع بصحة جيدة.

إضافة إلى فوزه برضى ربه بخروجه من دائرة الإسراف المنهى عنه شرعاً.

وإذا كانت السعادة الموهومة تجعل المدخن يتغاضى عن الآثار السلبية التى تؤذيه هو شخصياً: صحيا وماديا، فليس من حقه أن يتغاضى عما يسببه لمن حوله من أضرار من جراء تدخينه.

وليس له الحق -أيضاً- أن يتغاضى عما قاله فضيلة الإمام الأكبر ا. د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر - وهو أيسر الأقوال - أن التدخين «خلاف الأولى» أى أن الأولى عدم التدخين.. والأولى: إنفاق المال فيما هو أنفع وأهم مثل الطعام والملبس والمسكن... إلخ. فإن بقى فضلُ مال فليعد به على أصحاب الحاجات والفقراء والمساكين وما أكثرهم.

نعم.. لو أراد المدخن أن يستفيد من رمضان لوعى الدرس واستفاد من الامتناع الجزئى، واستثمره وواصل امتناعه الجزئى هذا بعد رمضان للوصول إلى الامتناع التام، عندها فقط سيشعر بالسعادة الحقيقية لا السعادة الموهومة.

علامة استفهام

وعن نفس الموضوع وردت رسالة القارىء أحمد بسيونى جامعة الأزهر فرع المنصورة تحت عنوان: «علامة استفهام» يقول فيها:

أعجب كثيرا لهذا الإنسان العجيب.. اتذكر صورته الشاردة أمامى دائما، أراه متشبثاً بتلك السيجارة القصيرة التى تشبه فى حجمها حجم القلم الصغير، فهى بالنسبة له قلم البقاء الذى يكتب به قصة نهايته، اندهش لم كل هذا التمسك بتلك السيجارة البذيئة؟

فلم أر من صورته سوى وجها شاحبا فى طريقه للفناء، وذهنا شاردا فى اللاشئ وعينين عكرتين تنظران فى الفراغ، وسعال قاتل يصحبه من آن لآن، وضيق تنفس يخنقه، وبعض الأمراض الحاضرة الملتفة حول عنقه، وقطيع من الأمراض الدفينة الذى ينتظره على شاطىء الموت.

وأسائل نفسى فى حيرة: هل من الممكن أن يمارس ذلك الإنسان هذه العادة البذيئة، ويتحمل فى سبيلها كل هذه الأشياء جملة لمجرد أنها عنده عادة؟..

ولكن يحيرنى ذلك المخلوق الذى جعله الله خليفته فى أرضه وزوده بالعقل والذكاء والرقى.

كيف يتصف بالحمق؟ .. إذن فما الذى يقوده نحو التدخين؟

ربما سوء الفهم هو الذى جعله يعتقد أن التدخين فيه مزية للإنسان كما نسمع من بعضهم أنه يهدئ الأعصاب. فما ثبت علمياً هو عكس ذلك تماماً. فالتدخين ما هو إلا مخدر لأعصاب المدخن للحظات قليلة وإذا تركه المدخن لوقت معين هاجت أعصابه وتوترت تماماً. إذن فهؤلاء قد أساءوا الفهم نحو التدخين.

ومازال السؤال الذى يجول بخاطرى: ما الذى يحمل ذلك المدخن للانسياق نحو التدخين؟

ربما هو التقليد الأعمى.. فهل من الممكن أن هذا الإنسان سيد هذا الكون ينساق خلف التقليد

الأعمى؟.. لا أعتقد ذلك. إلا إذا كان إنساناً شاذاً يتصف بالضعف والهشاشة.

ومازالت حيرتى قائمة، ما هو الدافع الحقيقى لتلك العادة الرديئة؟ أمن الممكن أن يكون الشكل الخارجى للمدخن هو الذى يتطلب منه وضع تلك السيجارة بين شفتيه لتكتمل صورته الخارجية؟

وهل يحافظ عليها كجزء هام يكمل مظهره الخارجى؟.. لا أدرى.

ولكن إذا فهم أنه يعتنى بالمظهر الخارجى فنوجه إليه سؤالا واحدا: لم لا تعتنى بشحوب وجهك، وتعكر عينيك، واسوداد أسنانك، وسعالك المتكرر؟ فعدم الاهتمام بهذه الملامح يشوه صورتك تماماً.

فأنا لا أملك سوى أن أناديك بسيدى الإنسان: أرجو منك العفو والمغفرة من أجل تدخلى فى حياتك الخاصة ولكن معذرة سيدى، فأنا لا أعلم للتدخين اسما سوى أن أسميه (مقبرة الحياة) ولا أدرى لِمَ إصرارك على الولوج بها، والتصدى لأشباحها؟.. ولكنى أدرى تماماً أننى إنسان يعتز بإنسانيته وعقله، وصحته.

فى رحـــاب اللغـــة العربيـــة

يواصل الأستاذ / أحمد ناصر أحمدناصر حديثه عن اللغة العربية، ونشكر له وللأستاذ وائل على عبدالعزيز، سرعة استجابتهما فى الكتابة حول هذا الموضوع.
حيث قال الأستاذ / أحمد ناصر

اللغة العربية

العربية ليست كأى لغة من اللغات الأخرى بل هى فريدة من نوعها؛ فقد اختارها الله - تعالى - واصطفاها لتكون وعاءً لكتابه الخالد، ولذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها حتى نفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول ابن تيمية: «إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب». ا. هـ.

ولا أظن أحداً منصفًا يختلف معى فى ضرورة الاهتمام باللغة العربية إلى أن تصير اللغة العالمية.

وما أحوجنا فى هذه الأيام إلى تعلم العربية وتعليمها ونشرها.

واللغة العربية محفوظة بحفظ الله - تعالى - لها، ومن أجل أن يعود للأمة الإسلامية مجدها الغابر وعزها الداثر، فلنحافظ على لغتنا العربية، الدعامة الأساسية لشخصيتنا، وهويتنا العربية والإسلامية.

ولنردد مع القائل:

أحمى حمى الفصحى فإنها
لغتى وبها جاء الكتاب المنزل

وأخيراً: علينا أن نبذل الجهد فى تعلم اللغة العربية، وعلينا أن نتحدث بها ولاسيما فى الحوارات الأدبية والمناقشات العلمية.

أخطاء شائعة

ونقدم بعض ما أرسل به الأستاذ وائل على عبدالعزيز -كوم النور -ميت غمر- يقول:

١- إن من الخطأ الشائع أن نقول (تلا المقرىء) والصواب (القارىء) لأن الفعل إذا كان ثلاثيا يتم صياغة اسم الفاعل منه على وزن (فاعل) والفعل هنا ثلاثي (قرأ)، يقول تعالى:

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾

[سورة غافر آية ٣]

٢- من الخطأ الشائع أن نقول لأسماء الآلات التالية (مُسمار، مُنشار، مُلقاط) بضم الميم فى كلٍ، والصواب (مِسمار، مِنشار، مِلقاط) بكسر الميم لأن اسم الآلة من الفعل الثلاثي المتعدى له ثلاثة أوزان منها، (مِفعال) بكسر الميم، وليس بضمها.

٣- من الخطأ الشائع أن نعتقد أن كلمة (الشيخ) خاصة بالكبير فى السن فقط، ويقولون أن كلمة (الإمام) كإمام المسجد مثلاً لا نقول عنه شيخ، والصواب غير ذلك؛ ففى المعجم الوجيز ص٣٥٦ (الشيخ) من أدرك الشيخوخة. وهى غالباً عند الخمسين، وهو فوق الكهل ودون الهَرِم، و: ذو المكانة من علم أو فضل أو رياسة. وبناءً عليه فيجوز أن نقول للإمام: شيخ لأنه ذو مكانة ولو لم يكن كبير السن.

منزلة العلماء فى الإسلام

أما القارىء الشيخ / محمد محمد عبدالحى الشافعى - إمام وخطيب بالأوقاف- فيقول:

إن لله عباداً اختصهم بالعطاء الواسع، والكلام النافع، والقلب الخاشع.. قوم لا يملون، بالعلم يعملون، فى جُنح الليل يقرأون، حقاً إنهم العلماء.

زكاهم الله فى قرآنه، ومدحهم بعظيم بيانه؛ فقال فى فرقانه:

﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾.

وصدق النبى إذ يقول:

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علما، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم يستغفر له من فى السموات والأرض، حتى الحيتان فى الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإنهم لم يورثوا ديناراً ولا درهماً لكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ».

[رواه أبو داود، وابن ماجه]

فيا من تريد سعادة الدارين عليك بالعلم لأن العلم بالنسبة للناس كالعافية للبدن لا يُستغنى عنه..

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهُدى لمن استهدى أدلاءُ
وقدر كل امرىء ما كان يُحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
ففز بعلم تعش به أبداً
الناس موتى وأهل العلم أحياءُ

من إبداعات القراء :

«إن بعض الظن إثم»

شعر / حسن أبوالغيط - شبين الكوم / منوفية

ضربوك «أمريكا» ولا تدرين منْ
ضربوا ولا من ذا الذى لا يؤتمنْ
هلاّ نظرت لغيرنا فى هذه؟
هلاّ اتهمت الخائنين على الزمن؟
إن اليهود على الزمان تمردٌ
ولهم أمورٌ من سواهم لم تكُنْ
لم يحضروا يوم القضا كحضورهم
وكأنهم يدرون دون بنى الوطن
غابوا عن الأحداث قبل حدوثها
من ذا الذى فى الناس يدرى الغيب من؟
عيناكِ دوْمًا بارتياب نحونا
كونى كذلك نحوهم ظناً كظن
والظن ظلمٌ بعضه فتفكرى
يا من لهذا الظن فينا تطمئن
بل «إن بعض الظن إثم» فاحذرى
يا من تُقاد بذى الظنون وقد تُجَنْ

فضـــل القرآن

شعر / جابر عبدالعليم مصطفى - سوهاج - دار السلام

إقْرأ كتابَ اللَّه فى إمْعَان ... تُرْضِى إلهك خَالِقَ الإنْسَان
وَابْدأْ بفَاتحَة الكتَاب تَيَمُّناً ... فَهِىَ الثَّنَاءُ وبُغْيَةُ الحَيْرَان
كُنْ طَاهِراً قَبْلَ الْقِرَاءَة وَاسْتَعِذْ ... باللَّه تأْمَنْ سَطْوَةَ الشَّيْطَان
وَالْزَمْ خُشُوعًا حِينَ تَتْلُو مُوقِنًا ... أنَ الجَزَاءَ عطيةُ الرَّحْمَن
يَا أُمَّةَ الْقُرْآن إنَّ كِتَابَكُمْ ... دُسْتُورُ دُنْيَا شَامِخُ الْبُنْيَان
جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَى الْمَحَبَّة وَالتُّقَى ... وَعَلاَ بلَفْظٍ قِمَّةَ الإتْقَان
بُشْرَى لِمَنْ حَفِظَ الكِتَابَ فَإنَّهُ ... بَلَغَ الْعُلاَ وَمَنَازِلَ الْفُرْسَان

رسالة قارىء

ورد إلى إدارة المجلة هذه الرسالة من الأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدى يقول فيها:

أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومى

رئيس تحرير مجلة الأزهر

سلاماً وتحية وبعد:

لاحظت أن المقال المنشور بمجلة الأزهر عدد شعبان ١٤٢٢هـ تحت عنوان: «الإسلام دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية» للمستشار محمد عزت الطهطاوى، هذا المقال مأخوذ من فصل نشر فى كتاب «السيرة المحمدية فى ضوء العلم والفلسفة» للكاتب الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى، وقد قمتم أنتم بجمعه وتحقيقه ونشره فأنتم أدرى به. وقد حاول الكاتب أن يخدع القراء فنقل نصين متفرقين ونسبهما لهذا الكتاب، ومعنى ذلك أن بقية المقال من تأليفه، ولكن الواقع المؤلم أن المقال جميعه بقلم الأستاذ فريد وجدى، حتى المقدمة التى افتتح بها المقال كان مضمونها من كلام الاستاذ فريد وجدى فى صفحة سابقة. ولا أدرى لماذا لم يجعل المستشار مقاله من باب المختارات وينسب المقال إلى صاحبه فهذا أشرف وأجدى!!

رئيس التحرير:

هذه رسالة من ثلاث رسائل هى أهونها تناولا، وكنا نود أن تستقيم الأمور على وجه صحيح.

أنباء العالم الإسلامى

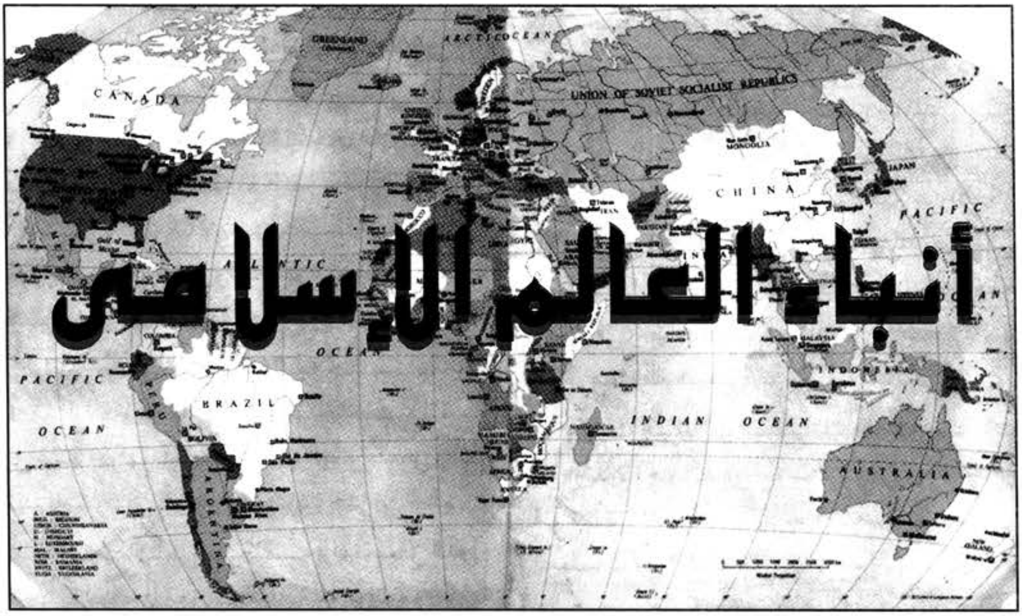

للأستاذ / محمد الشرقاوى

أول فضائية إسلامية فى شرق آسيا

شهدت العاصمة الإندونيسية جاكرتا مؤخرا تدشين البث التجريبى لقناة «الرحمن» الفضائية والتى تعد الأولى من نوعها فى إندونيسيا ومنطقة جنوب شرق آسيا وهذه القناة ستكون موجهة للتعريف برسالة الإسلام وستغطى اهتمامات الناس الدنيوية والأخروية كما صرح بذلك المدير العام لشركة «الرحمن ميديا» التى تدير القناة لشبكة «إسلام أون لاين» ومن المقرر أن تعتمد القناة فى مرحلتها الأولى على برامج القنوات الخاصة الإندونيسية إضافة إلى شراء البرامج من قنوات الخارج لعدم وجود ما يمكن أن تسد به ساعات البث من الإنتاج المحلى الدينى والثقافى العام بما فى ذلك الأفلام الكارتونية المنتجة فى الوطن العربى والتى تحمل مضمونا ورسالة إسلامية على أن تبدأ فى مرحلة لاحقة فى إنتاج برامج دينية لقنوات أخرى وتخطط إدارة القناة الفضائية التى ستبث اعتمادا على أحد على الأقمار الصناعية التوسع مستقبلا فى بث إرسالهم إلى دول مجاورة مثل ماليزيا - سنغافورة - بروناى - التى لا يصل المسلمون فيها ارسال القنوات الإسلامية وقد بدأت إدارة القناة فى تركيب أجهزة استقبال للبث فى المدارس الدينية كخطوة لإشاعة برامجها خاصة أنها متوجهة بالأساس إلى الشباب والمسلمين الذين يمثلون ٨٥٪ من تعداد أندونيسيا البالغ ٢٣٠ مليون نسمة.

آفاق عربية

٢٠٠١/١١/٢٩

٧٠٪ مـن لاجئـى العالـم مسـلمون

صرح كريم الأتاسى المستشار الإعلامى للشرق الأوسط بمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين بأن عدد اللاجئين فى العالم بلغ طبقا لآخر الإحصاءات ٢٢ مليون لاجىء ٧٠٪ منهم مسلمون، ويأتى لجوؤهم بسبب الحروب والنزاعات المسلحة والاضطهاد الدينى الذى أصبح فلسفة للصراع المعاصر.

وأكد أنهم يعانون ظروفا قاسية جدا بسبب عدم كفاية الموارد المالية اللازمة لتقديم الخدمات الأساسية من غذاء ودواء ومأوى لهذا العدد الهائل بالفعل وأكد أنهم يعيشون فى بؤر ساخنة ومتوترة جدا من العالم.

وأعرب الأتاسى عن قلقه إزاء تقليص الدول الأجنبية المانحة للمعونات المقدمة للمفوضية واتجاهها لتسريح بعض عمال الإغاثة وإغلاق بعض المكاتب بسبب قلة الموارد والتمويل وهو ما يؤثر على المواد الإغاثية والخدمات إذا قطعت الدول المانحة دعمها فى أى وقت.

آفاق عربية

٢٢ / ١١ / ٢٠٠١

● **نقول للأستاذ الأتاسى: إن البديل الإسلامى موجود وهو الالتزام بفريضة الزكاة التى فرضها الله لتحقيق العدل والتكافل والأمن الاجتماعى.**

الصين تمنع الحجاب وتجبر المسلمين علـى الإفطـار فى رمضـان

أورد موقع «الإسلام» على الانترنت أن الحكومة الشيوعية فى الصين فرضت الافطار الإجبارى فى شهر رمضان على مسلمى إقليم «تركستان» الشرقية الذى تحتله وتطلق عليه اسم إقليم «سنكيانج» «شمال غرب الصين» وذكرت الأنباء الواردة من الإقليم أن الحكومة الصينية أمرت طلاب المدارس بمن فيها من المسلمين بالأكل في مطعم المدارس وسط النهار؟ وأصدرت أوامر بعقاب المتنعين عن الإفطار بالفصل من مدارسهم وقد أشار أحد المدرسين إلى أن توجيهات الحكومة الصينية للمسلمين بعدم الصيام فى رمضان بدأت العام الماضى ولكنها ازدادت خلال هذا العام بسبب أحداث أفغانستان.

وكانت السلطات الصينية قد منعت المسلمات من ارتداء الحجاب فى المؤسسات الرسمية بحجة أنه مظهر عدائى ـ كما منعت المدرسات المسلمات من ارتداء حجابهن الشرعى.

وأعدمت مؤخرا ٢١ شابا مسلما من تركستان وسجنت عشرين آخرين بتهمة العمل من أجل استقلال الإقليم – وأورد الموقع نقلا عن مصادر تركستانية أن الحكومة الصينية جمعت أئمة المساجد وعددا من علماء المسلمين فى اطار خطة من المقرر أن تمتد إلى تسعة أشهر وتستهدف نحو ثمانية آلاف خطيب وإمام ومدرس شرعى وذلك لإعدادهم فى مواجهة ما يسمونه بالتيار الانفصالى الذى تنتشر أفكاره بين الشباب التركستانى المسلم وإقناعهم بسياسات الحكومة الشيوعية.

شبكة المعلومات الدولية الإنترنت

موقع «الإسلام»

من أخبار أفغانستان المسلمة الجريحة

ضرب وحرق وتدمير بجميع أنواع الأسلحة المحرمة وغير المحرمة.

– قنابل «القلاع الطائرة». – القنابل «الغبية» عفوا «الذكية». – القنابل «الانشطارية» ولاشك النووية والذرية. – الخنق بغاز «السارين».

– استخدام اليورانيوم المشع والأسلحة الكيماوية. – استخدام القنبلة الثقيلة «ديزى كتر» والتى تزن ١٥ ألف طن والتى سقطت منها ثلاثة على المواقع المدنية ومنازل المواطنين الأفغان العزل.

كل هذه الترسانة الحربية بجميع أنواعها تستخدم ضد الشعب المسلم والشيوخ والأطفال والنساء الذين لا حول لهم ولا قوة.

والنتيجة:

إبادة أكثر من ١٥٠٠ مسلم أفغانى

وتحذير من الأمم المتحدة من احتمال موت ١٠٠ ألف طفل أفغانى.

ودماء المسلمين تراق فى كل ركن فى العالم والقاتل أمريكا.

المحرر: افيقوا أيها المسلمون قبل أن تقولوا «أكلنا يوم أكل الثور الأبيض».

حملة يهودية لإغلاق أهم موقع إسلامى على الإنترنت

يتعرض موقع «طريق الإسلام» أحد أبرز المواقع الإسلامية على شبكة الإنترنت لحملة هجوم عنيفة تقف خلفها واحدة من أقوى المنظمات اليهودية فى العالم لإغلاقه.. حملة الهجوم التى انطلقت منذ عدة أسابيع وتتصاعد يوما بعد يوم بدأت بعدما نشر الموقع صورة تفضح الممارسات الوحشية التى يتعرض لها المدنيون العزل فى الأراضى المحتلة وتبدو فيها سيدة فلسطينية تتعرض للضرب من قبل المستوطنين اليهود.

نشر الصورة على هذا الموقع المهم الذى تبثه «مؤسسات التجمع الإسلامى» «بكندا» أثار حالة من الغضب والغليان الشديدين بين يهود أمريكا الشمالية وتحرك اللوبى الصهيونى متمثلا فى «منظمة بناى بيرث» التى تهتم بالدعاية والحماية الإعلامية لليهود بنشر إعلانات تشويهية ضد الموقع فى جريدة «ناشيونال بوست» الكندية واسعة الانتشار تتهمه فيها بأنه يروج للإرهاب ويدعو للجهاد ضد «إسرائيل» وذلك بنشره صور الشهداء ومنفذى العمليات الاستشهادية فى المدن الإسرائيلية وطالبت المنظمة اليهودية الحكومة الكندية بإغلاق الموقع وتقدمت ببلاغ للشرطة الفيدرالية وإدارة الاستخبارات والأمن الكنديتين ضده.

وكشف «محمد الأحمدى» رئيس أمناء التجمع الإسلامى بأمريكا الشمالية والمسئول عن موقع «طريق الإسلام» فى رسالة بثها عبر البريد الالكترونى لعدد من الصحف العربية الأسباب الحقيقية للحملة الصهيونية على الموقع مؤكدا أنها تأتى بعدما أعلنت منظمة «اليكسا» العالمية للانترنت أن «طريق الإسلام» يعد أكبر موقع إسلامى على شبكة الانترنت.. وزاره خلال شهر سبتمبر مليون و٧٠ ألفا من جميع أنحاء العالم، ومما أثار حفيظتهم وحقدهم أن الموقع دفع عددا كبيرا من الأمريكيين لاعتناق الإسلام ونشر قصص إسلامهم على صفحاته.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يشهد:

المسابقة العالمية التاسعة للقرآن الكريم

افتتح الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء وفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف المسابقة العالمية التاسعة للقرآن الكريم التى تنظمها سنويا وزارة الأوقاف بالتعاون مع الأزهر الشريف ويشارك فيها وفود من ٦٥ دولة ويمثلها ٧١ شابا وطفلا وفتاة وافتتحت بتلاوة من القرآن الكريم للطالب الإيرانى مهدى محمد عباس واختتمها بتلاوة للمتسابق احمد ناصيفى عبدالفتاح من أندونيسيا وذلك بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف.

وفى كلمته أكد الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء أن مصر عرفت منذ دخول الاسلام فيها أنها وفية لتعاليم الدين السمحة وقيمه النبيلة، وأن هذا الاهتمام ازداد كثيرا بعد أن ارتفعت مآذن الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام وأصبح كعبة المسلمين العلمية، والذى يهفوا إليه طلاب العلم الدينى والثقافى الصحيح من كل أنحاء العالم وقال أيضا: إن مصر التى عرف أهلها بالحرص الدائم على القرآن الكريم والتزام منهجه السمح المستنير تفتح صدرها وعقلها منذ آلاف السنين وكذلك مؤسساتها للوافدين من أبناء العالم الاسلامى وتوفر لهم كل ما يعينهم على تلقيهم العلوم الإسلامية وغيرها بالأزهر الشريف حتى بلغ عدد الطلاب فى مراحل التعليم الأزهرى المختلفة من الوافدين حتى قبل التعليم الجامعى حوالى ٢٠ عشرين ألف طالب وطالبة وذلك لما يتمتع به الأزهر الشريف ومناهجه وأساتذته من وسطية واعتدال وبعد عن الغلو والتطرف، والإسلام الذى تعرفه مصر هو دين التسامح والسلام والتعايش مع الآخرين، والتعاون معهم على كل ما يؤكد دعائم الأمن والاستقرار والسلام فى ربوع العالم كله والتعاون على البر والتقوى بعيدا عن الإثم والعدوان، وقال أيضا: إن مصر تحرص كل الحرص على تأكيد ضرورة الفهم الصحيح للاسلام انطلاقا من أن الفهم الصحيح يقضى على المفاهيم المغلوطة والأفكار الخاطئة، كما أنه من الثابت يقينا أن

الوحى منذ العصر الإسلامى الأول ركز على العلم وحث عليه وشجع اتباعه فى كل العصور على الاهتمام به . . .

وقال فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فى كلمته: إن القرآن الكريم شرعه الله ـ تعالى ـ هداية للإنسان وللإنس والجن معا وهو كما قصد به التقرب إلى الله ـ عز وجل ـ بقراءته وتلاوته وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يكف عن قراءته وسماعه وتدبره وتبليغه وأنزله الله ـ تعالى ـ للناس كافة وبشر الذين يحفظونه ويعملون به ببشارات متعددة منها قوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ومنها قوله: «الساهر بقراءة القرآن مع السفرة الكرام البررة، ومن قرأه وهو عليه شاق له أجران عند الله تعالى» وقال فضيلته: إن الأزهر الشريف يعاهد الله ـ تعالى ـ ويعاهد كل المسلمين أن يحرص على تعليم المسلمين القرآن الكريم ونكرر دائما أنه ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم، وقال: إن الأزهر يهتم بحفظ القرآن الكريم كاملا فى مراحل التعليم المختلفة. ففى المرحلة الابتدائية من سن ست سنوات وحتى اثنا عشر سنة يحفظ الطالب أو الطالبة ثمانية عشر جزءا وفى المرحلة الاعدادية ومدتها ثلاثة سنوات يحفظ الطالب أو الطالبة سبعة أجزاء، وفى المرحلة الثانوية ومدتها ثلاث سنوات يحفظ الطالب خمسة أجزاء ولا ينتقل من مرحلة إلى أخرى إلا إذا نجح فى القرآن الكريم ويتم الامتحان فى المنهج المقررللسنة وفى المقرر فى الأعوام السابقة ونحن على يقين من أن القرآن الكريم يحفظ من يحفظه وقال: إن الأزهر الشريف والأوقاف وكل المؤسسات الدينية يتعاونون معا لمعرفة كل فرد فى مصر الدين الصحيح الذى ينير العقول ويصحح البصيرة والبصر وأبواب الأزهر، الشريف مفتوحة على مصراعيها لكل وافد إليه وعلماؤه فى خدمة المسلمين فى كل مكان.

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق فى كلمته: أنه فى ظل رعاية كريمة من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية ومن منطلق مسئولية مصر التاريخية إزاء عالمها الاسلامى بوصفها بلد الأزهر الشريف ـ قلعة الإسلام الحصينة تنظم وزارة الأوقاف المصرية بالتنسيق مع مشيخة الأزهر الشريف: المسابقة العالمية التاسعة للقرآن الكريم، وقد كانت مصر ولا تزال وستظل إن شاء الله الى آخر الزمان معنية كل العناية بكتاب الله ولذا كانت هى أول دولة فى العالم الاسلامى تنشئ محطة إذاعية للقرآن الكريم منذ عشرات السنين وتزيع برامجها لبلادنا نهارا دون توقف وستظل مصر دائما وفية لدينها حامية لتراثها الإسلامى راعية للقرآن الكريم فقد شرفها الله بأن انزل فى شأنها قرآنا يتلى، ويتعبد به المسلمون فى كل مكان، وجعل أرضها آمنة تفتح صدرها لكل من يلوذ بها .

وقال: ان هذه المسابقة العالمية تأتى تعبيراً عن حرص مصر الدائم على الحفاظ على كتاب الله الذى أنزله على رسوله الكريم فى ليلة مباركة هى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ليكون هذا القرآن هدى للناس ورحمة للعالمين، وشفاء لما فى الصدور، وقد جاء القرآن الكريم معجزة خالدة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دالة على صدق رسالته وهى معجزة عقلية باقية أبد الدهر تحترم عقل الانسان وتخاطبه

بالحجة والبرهان وقد اشتمل القرآن على العقائد والأخلاق والتشريعات وأخبار الأولين، وأحوال الدار الآخرة، كما اشتمل على الحث على إعمار الكون والتدبر فى ملكوت السموات والارض، وأكد أن المسلمين أدركوا منذ الصدر الأول من الأسلام ما فى القرآن الكريم من إرشادات ربانية وتوجيهات إلهية تهدف الى تحقيق الخير للإنسان فقاموا بحركة علمية كبرى أدت الى صنع حضارة عريقة كانت من أطول الحضارات عمرا فى التاريخ وقد استفادت منها البشرية أعظم فائدة، وهكذا كان القرآن الكريم بما فيه من قيم نبيلة وما اشتمل عليه من تعاليم سامية محور اهتمام المسلمين على المستويين النظرى والعلمى، وقد ظل القرآن بعيدا عن أى تحريف أو تبديل لأن الله تكفل بحفظه منذ أنزل والى أن تقوم الساعة وأكد على أن جميع محاولات الطعن فى القرآن باءت بالفشل الذريع ولم يكن لهذه المحاولات تأثير على هذا القرآن العظيم الذى تكفل الله بحفظه ولا على حقائق الدين الواضحة وضوح الشمس فى وسط النهار ولا على المؤمنين بهذا الكتاب الكريم، وقد دأبت بعض الجهات المغرضة والمشبوهة فى بث سور مزعومة على شبكة المعلومات الدولية فى محاولة مفضوحة لتزييف حقائق الدين، وإشاعة البلبلة فى أوساط المسلمين واذا كانت المحاولات القديمة قد ماتت فى مهدها فإن المحاولات الجديدة ستموت أيضاً فى مهدها، وأبلغ رد على هذا الباطل يتمثل فى تقرير الحقائق الإسلامية والتعريف بالقرآن الكريم بأسلوب علمى سليم ووزارة الأوقاف من خلال المجلس الأعلى للشئون الأسلامية بالتعاون مع الأزهر الشريف يقومان بواجبهما فى هذا الصدد.

حضر حفل الافتتاح عدد من الوزراء والسفراء وفضيلة مفتى الجمهورية، وعلماء الأزهر والأوقاف وأبناء العالم الإسلامى الذين يدرسون بالأزهر والمتسابقون.

الإمام الأكبر يشارك فى احتفالات المملكة العربية السعودية

شارك فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى احتفالات المملكة العربية السعودية بمناسبة مرور عشرين عاما على تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مقاليد الحكم بالمملكة بناء على دعوة كريمة من حكومة المملكة ضمن الشخصيات العالمية رفيعة المستوى وفى حديث فضيلته أشار إلى أن الدور الكبير والمميز الذى تقوم به المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز حفظه الله فى دعم ورعاية مسيرة الدعوة الإسلامية محل تقدير واعتزاز الأزهر الشريف وعلمائه ومؤسساته المختلفة. كما أنه محل تقدير كل مسلم مخلص لدينه وأمته فى شتى أنحاء العالم، وأن دعم ورعاية خادم الحرمين الشريفين لجهود وأنشطة الدعوة الإسلامية لا تتوقف داخل المملكة العربية السعودية وإنما يمتد ذلك الدعم وتلك الرعاية الى مسيرة الدعوة الاسلامية فى مختلف أنحاء العالم لخدمة المسلمين فى كل مكان وإن المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله تبذل جهوداً كبيرة فى دعم مسيرة الدعوة الاسلامية فى كثير من دول العالم.

ويلقـــى دروســـاً بالمغــــرب

كما شارك فضيلته فى المحاضرات الدروس الحسنية التى يلقيها كبار العلماء والمفكرين من شتى أنحاء العالم والتى تلقى أمام وفى حضرة ملك المغرب جلالة الملك / محمد السادس ملك المملكة المغربية بدعوة كريمة من جلالة الملك شخصيا وهى سنة متبعة بدأها جلالة الملك محمد الخامس ـ رحمه الله تعالى ـ كما التقى فضيلته أثناء زيارته لدولة المغرب الشقيقة بمعالى وزير الشئون الدينية بالمغرب وتم التباحث فى أمر النهوض بالدعوة وتنسيق الجهود وتوضيح سماحة الاسلام وخاصة فى هذه الظروف الراهنة.

الإمـام الأكبــر:

الحضـــارات يجــب أن تتعــاون

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر الشريف وفداً أردنياً رفيع المستوى برياسة صاحب السمو الملكى الأمير الحسن بن طلال يرافقه صاحب السمو الملكى الأمير / راشد بن الحسن ومعالى السيد / نذير رشيد ومعالى السيد ناصر جودة.

رحب فضيلة الإمام بسمو الأمير ومرافقيه فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بالدور الكبير الذى يقوم به سموه فى مجال الدعوة الإسلامية وخطواته الطيبة المباركة فيما يتعلق بصراع الحضارات وبكلماته الحكيمة التى ألقاها فى المؤتمرات المتعددة التى حضرها سموه.

وأشار فضيلته إلى أنه من الواجب علينا أن نبين للناس الوجه المضىء والسمح للإسلام، وأن نفتح الأبواب المغلقة لأصحاب الرؤى المختلفة لينفتح بعضهم على بعض ويبين كل منهم وجهة نظره، وقد أكدنا على أن هناك الاتفاق الكامل على أصول الشريعة مثل إخلاص العبادة لله، والصلاة، والزكاة وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، فهى أركان نؤمن بها ونؤديها، وإن وجد خلاف فهى فى الفروع وليس فى الأصول، وفى الأزهر الشريف لجنة الحوار تفتح باب الحوار بيننا وبين إخواننا فى الفاتيكان وغيرها، وتجتمع كل فترة، وقد اتفقنا على أن يكون الحوار فى الأمور التى تتعلق ببيان الفضائل والتعاون على ما يعود على الإنسانية بالخير، لأن الحوار يفتح الأبواب المغلقة.

والأزهر الشريف من جانبه يؤيد كل مجهود من أجل الحوار أو التقريب، وقد أوضحنا وجهة نظر الإسلام فيما حدث فى ١١ من سبتمبر وقلنا أولا: إن هذه جريمة شنعاء، وثانياً: من حق الدولة التى تعرضت للعدوان أن تبحث عن الجناة المجرمين وتتعقبهم وتقبض عليهم وتقدمهم للمحاكمة حتى يقول القضاء كلمته العادلة فيهم، وثالثا: ليس من حق الدولة التى وقع عليها العدوان أن توقع العقوبة على شعب بأكمله فيه الآمنين من الأبرياء الرجال والنساء والأطفال والعجزة، وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بيانا أوضحنا فيه ذلك وبينا وجهة النظر حول ما يثار من صراع الحضارات وقلنا إنه يجب أن تتعاون الحضارات ولا تتصارع ومن يقول بتصارع الحضارات إنما هى وجهة

السفهاء، وكل ما نتمناه أن يكون عدد العقلاء أكثر من عدد السفهاء، ونحن فى الأزهر الشريف ندرس جميع المذاهب الفقهية، وفى الأزهر الشريف الدراسة تمتاز بالتوسط والاعتدال، وفى رأينا أن من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مسلم، والذى يحاسب على العقائد هو الله ـ عز وجل ـ وليس هناك ما يمنع من دراسة المذهب الشيعى أو غيره والأزهر بابه مفتوح لكل ما يعرض عليه، وكان هذا ردا على الأسئلة والاستفسارات التى عُرضت على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف.

شكر سمو الأمير فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على المجهودات الكبيرة والعظيمة التى يبذلها الأزهر الشريف فى مديد العون والمساعدة لبلدان العالم المختلفة من استقدام طلاب على منح للتعليم بالأزهر الشريف وأيضا على البعثات من العلماء الذين يرسلهم الأزهر الشريف لتعليم أبناء المسلمين فى بلادهم وإظهار يسر الإسلام وسماحته وعظمته، وقال سموه: نحن نطالب بضرورة الاتفاق بين قادة علماء الإسلام وبخاصة الأزهر الشريف على أساليب الحوار مع الجانب المسيحى فى مجال حوار الأديان لإظهار القواسم المشتركة بين الأديان، ووجه سموه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الأردن قريبا للمشاركة فى فعاليات وملتقى الفكر العربى » والذى سيناقش موقف العالم العربى والإسلامى من الإرهاب حتى تتضح الحقائق والمفاهيم الصحيحة التى يغفلها البعض عند حديثهم عن العرب والمسلمين كما أعرب سموه عن قلقه الشديد بخصوص ما يحدث حاليا فى آسيا الوسطى.

فى نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف المصحف المفسر طبع الأزهر الشريف لسموه وللوفد المرافق.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الدول الإسلامية تطبق مناهج التعليم الأزهرى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الوفد الإعلامى لدولة أزربيجان حيث أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التى دارت حول دور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين قائلا: لدينا طلاب من أكثرمن ٩٤ دولة ومنهم طلاب من أزربيجان يتلقون التعليم الأزهرى مثلهم مثل طلاب مصر ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية وتهيأ لهم كل سبل المعيشة والاقامة والعلاج، كما أن الأزهر الشريف يرسل العلماء والمدرسين إلى الدول التى هى فى حاجة إليهم وكثير من الدول تطبق مناهج التعليم الأزهرى فى بلادهم ويدرسون المناهج الى تدرس فى الأزهر الشريف، وأوضح أن العلاقة بين الأزهر الشريف ودولة أزربيجان علاقة تاريخية وعلاقة طيبة ويوجد تعاون ثقافى وتعليمى.

وحول سؤال: هل الأزهر يدرس المذهب السنى فقط أم السنى وغيره قال فضيلته: إن الأزهر الشريف يدرس المذهب السنى والمذهب الشيعى بل جميع المذاهب، ونحن نتبادل

الزيارات مع دولة إيران الشقيقة، ومنذ فترة قصيرة زار إيران فد من الأزهر على مستوى عال برياسة فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وكانت زيارة ناجحة وفعالة، وقال فضيلته إنه زار دولة أزربيجان حين كان مفتياً لمصر من عشر سنوات والتقى بعدد من المسئولين بالعاصمة، وزار بعض الأماكن الدينية، كما زار سماحة شيخ الإسلام هناك كما عقد عدة اجتماعات ولقاءات مع المسئولين.

الإمام الأكبر يستقبل قاضى قضاة نيجيريا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الحاج مسى دان لادى قاضى قضاة ولاية كشنة النيجيرية والحاج ثانى أبو بكر السكرتير العام لجامعة كشنة وعضو المجمع الإسلامى بنيجيريا وقد رحب فضيلته بالضيفين وأوضح أن صلة الأزهر الشريف بدولة نيجيريا صلة قوية ووثيقة وقديمة، وللأزهر الشريف علماء فى دولتهم يتعاونون من أجل نشر العلم النافع وتثقيف أبناء نيجيريا وتعليمهم، كما يستقبل الأزهر الشريف طلاباً للدراسة بالأزهر على منح يتلقون العلم بجانب إخوانهم المصريين ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية، وقال فضيلته: إن الأزهر على استعداد لتقديم العون والمساعدة للجامعة الإسلامية سواء بالكتب أو المناهج أو المدرسين، وأضاف فضيلته أن الأزهر يرحب بتعليم اللغات المختلفة بجانب اللغة العربية حتى يمكن قراءة القرآن وفهمه.

وقد أعرب الضيفان عن سعادتهما بلقاء فضيلة الإمام الأكبر فى عام ١٩٨٨ واليوم أيضا، وأن عدد المسلمين فى ولاية كشنة تصل نسبته إلى ٩٩,٩٪ والجامعة الإسلامية بكشنة تختص بالمسلمين وتشتمل على مراحل التعليم الابتدائى والإعدادى والثانوى ومخصصة للتعليم الإسلامى لتربية النشىء على تعلم اللغة العربية والتمسك بالإسلام بعدأن أثر الاستعمار الإنجليزى وحاول طمس اللغة العربية والإسلام فى الولاية.

ويستقبل مدير المركز الإسلامى بأمريكا الشمالية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / على أبو عكوك مدير المركز الإسلامى بأمريكا الشمالية يرافقه الدكتور / بى / دى جون المدير الاقليمى لاتحاد الهيئات المسيحية الأمريكية الهندية بأمريكا الشمالية حيث أبدى الضيفان سعادتهما بكلمات فضيلة الإمام الأكبر على أثر أحداث ١١ سبتمبر وموقف الأزهر من تلك الأحداث، وما كان لها من أثر ايجابى مهم لدى حكومة وشعب أمريكا، كما ثم مناقشة الاضطهاد للأقليات سواء للمسلمين أو المسيحيين أو لغيرهم ،أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام ضد الاضطهاد للأقليات سواء كان ذلك فى الشرق أم فى الغرب وسواء أكان فى الشمال أو الجنوب لأن ذلك يتنافى مع العدالة الاجتماعية والشريعة الإسلامية تدعو إلى السماحة، وإلى الوسطية وإلى اليسر، وتنبذ العدوان، والاضطهاد بكل أشكاله وصوره.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الفهـــرس

● عيد الفطر فى موكب التاريخ (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٦٥٠
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر ١٦٥٦
● الحث على العمل وقوة العزيمة
لفضيلة الشيخ/ إبراهيم الجبالى ١٦٦٤
● التحضر أولا.. والبداوة عند الضرورة
للأستاذ/ عبدالله على الزيدى ١٦٦٩
● جمع القرآن وتدوينه
للشيخ/ صديق بكر عيطة ١٦٧٢
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٦٧٨
● الرفق بالجانى من خلق النبى ﷺ
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ١٦٨٧
● الدين والحضارة.
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٦٩٢
● الأمة مصدر السلطات.
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٦٩٧
● مسئولية الزوجة عن استقرار البيت
للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ١٧٠٠
● رمضان فى بلاد الأمريكان
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٧٠٧
● قضية وكتابان.. بين الخضر حسين وعلى عبد الرازق
للدكتور/ محمد عمارة ١٧١١
● الدكتور محمد السعدى فرهود مفسراً
للدكتور/ رضا عبدالمجيد المتولى ١٧١٦
● فى نقد سيرة ابن اسحاق/ ابن هشام
للدكتور/ محمود على مراد ١٧٢٠
● ماهية الحروب الصليبية
عرض وتقديم الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٧٢٧
● صفحات من تاريخ الإبداع الأدبى
عرض وتقديم الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٧٣٨
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٧٤٢
● أم عربية تضحى
للكاتب السورى خليل هنداوى ١٧٤٦
● القيم فى عصر المعلومات
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٧٥٠
● الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم
للدكتور/ السيد الجميلى ١٧٥٤
● عكرمة بن أبى جهل
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٧٥٩
● غدر اليهود (قصيدة)
للشاعر الكبير/ أحمد محرم ١٧٦٦
● العصر الذهبى للصهيونية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٧٧٣
● الأزهر.. الجامعة الإسلامية الكبرى
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٧٧٧
● طرائف.. ومواقف
للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٧٨٠
● مكتبة مكة المكرمة.. المولد النبوى
للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ١٧٨٢
● فى وداع رمضان
للأستاذ/ مجدى بشير ١٧٨٦
● خطبة الجمعة: حرب على الإسلام
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٧٩٠
● استفتاءات القراء
إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ١٧٩٤
● رسـالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٧٩٧
● رمضان والتحديات المعاصرة
للأستاذ/ إسماعيل أبوالهيثم ١٨٠١
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٨٠٥
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ١٨٠٩
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٨١٥
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٨١٨

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر

- رحلات الحج من مصادر التاريخ

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

- الموقف الإسلامي من الحضارات غير الإسلامية

للدكتور / محمد عمارة

- الإسلام ومشكلة الفقر

للأستاذ الدكتور / محمد شوقي الفنجري

الاشتراك السنوي

- داخل مصر .... ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية .... ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ..٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٦٢٠٠..٨

ذو القعدة ١٤٢٢هـ - فبراير ٢٠٠٢م - الجزء الحادي عشر - السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

رحلات الحج م

من يقرأ كُتب الرحلات التى ألفّها الجغرافيون والمسافرون إلى شتى الأقطار الإسلاميّة يجد أن الحج كان من أهم البواعث على الرحلة، لأنّ المسلم فى كل مكان من بقاع الإسلام يتوق إلى أداء هذه الفريضة التى تعد من أركان الإسلام، فهو يعمل على تحقيقها من شبابه الأول حتى إذا اكتملت له أدوات الرحلة بادر من أقصى المكان إلى زيارة بيت الله الحرام، وفى هؤلاء من رزقه الله نعمة الكتابة والتأليف فيجد من نفسه دافعا إلى تسطير انطباعاته الشخصية فيما يشاهد من الممالك ويرى من الأحداث، ويعاين من الآثار، فإذا جاء الرحالة من الأندلس مثلا فإنه يبدأ بتسجيل مشاهده من أول نقلة ينتقلها، فيمر بالمغرب واصفا محللا، ويشاهد الصحراء الغربية، ومنها إلى مصر ومنها إلى البحر الأحمر حتى يسعد برؤية الحجاز، فتمتلىء خواطره بذكريات الإسلام فى مشرقه الزاهر، ويرسم انطباعاته حول الربوع الطاهرة التى سعدت بوجود رسول الله وصحابته الأكرمين، وتفيض خواطره فى هذا المكان بالذات على نحو متسع لم يعهد فيما ذكره من قبل ومن بعد، فيكون الحج مصدرا من مصادر التأليف العلمى النافع، وكثير من هؤلاء تدفعهم الرغبة العلمية إلى استطلاع سائر الأماكن الإسلامية فلا يرجعون إلى بلادهم قبل أن يواصلوا الرحلة فى كل اتجاه، ومنهم من يمتد به السير إلى أوروبا بعد أن يزور الصين، ثم يعود وقد قدم للقراء على تعاقب الأحقاب تاريخا واقعيا لم يكن ليدون، لولا رحلة الحج المباركة، فإذا قلنا: إن رحلة الحج كانت مصدر ثراء فكرى للمكتبة العربية والإسلامية فى شتى لغاتها ـ فلسنا بمبالغين، ومحاولة رصد كل الرحلات التى كان الباعث عليها حج بيت الله الحرام تحتاج إلى كتاب مستقل لا إلى مقال فى مجلة، لذلك سأقتصر فى هذا المجال على الحديث عن ثلاثة من كبار الرحالة هم: ناصر خسرو، وابن جبير وابن بطوطة، تاركا لغيرى أن يتجه إلى سواهم من الرحالين.

ن مصادر التاريخ

تحفة النظار
في
غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
(رحلة ابن بطوطة)
أبو عبدالله محمد بن بطوطة

سفرنامة
(رحلة ناصر خسرو)

رحلة ابن جبير
فى
مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية
محمد بن أحمد بن جبير

ناصر خسرو

إذا أسرف الإنسان فى لذته وتهالك على الشهوات، فإنه يستشعر ندما لاذعا يدفعه إلى التوبة، ومن مظاهر التوبة لدى النادمين السعى لحج بيت الله الحرام، وافتتاح صفحة جديدة من صفحات الحياة تبرأ من الآثام، وكأن صاحبها يردد قول أبى نواس :

ولقد نهزتُ مع الغواة بدَلوهم
وأسمتُ سرْح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه
فإذا عصارة كل ذاك أثام

وكذلك كان الرحالة الفارسى ناصر خسرو، فقد ولد فى أواخر القرن الرابع بإحدى مدن بلخ، ووجد من نفسه دافعاً للرحلة فقام بأسفار شملت أكثر بقاع العالم الإسلامى شرقاً وغرباً، واستقر فى منصب كبير من مناصب الدولة السلجوقية هائما فى ملذاته اللاهية، ثم رأى فى منامه - كما ذكر فى رحلته - شيخاً وقوراً يدعوه إلى الكف عن الهنات الخلقية الآثمة، وأن يبادر بالسير إلى مكة حاجاً بيت الله الحرام، ويظهر أن هذه الرؤيا جاءت وليدة إحساس مكتوم بالندم قد اعتمل فى خاطره فشغل نفسه متيقظاً، فلما حان نومه كان الحلم تعبيراً واضحاً عن هذه العواطف المكظومة، فبادر بتلبية الدعوة، وأم بيت الله، وقد رأى من أحوال المسلمين فى الجزيرة العربية ما دفعه إلى استقصاء هذه الأحوال عن آخرين فى الدول المختلفة فلم يلبث بعد عودته إلى وطنه أن غادر إيران إلى مصر وقد وصفها وصفاً دقيقاً كان المرجع الحضارى لكل من كتب عن حضارة الفاطميين، لأنه كان ذا ولع بوصف مظاهر العمران والتقدم العلمى، والحالة الاجتماعية، وهذا ما لا يوجد بالدقة المستقصية فى كتب المؤرخين من معاصريه على النحو الذى جذب نظره، فقد يكون حديث المؤرخين كافياً فى تصوير الوضع السياسى، ولكنه يحتاج إلى تكملة نجدها لدى ناصر خسرو، لذلك اعتمد عليه مؤرخو الحضارة اعتماداً أساسياً وترجموا رحلته إلى شتى اللغات، فإذا تركنا حديث الرحالة عن مصر إلى حديثه عن الجزيرة العربية فإنه كان ذا بصر تام بالعلائق الاجتماعية بالذات، ومن أطرف ما ذكره فى هذا النطاق حديثه عن إقليم «الإحساء» إذ وجد أهله فى مستوى رائع من التكافل الاجتماعى، والتعاون الإنسانى، ومن مظاهر ذلك ما لاحظه من العطف التام على الفقير، فإذا أعسر أحد السكان أقرضه جيرانه مايستعين به على إنعاش حياته، وأمهلوه حتى يكسب وينتعش فيؤدى المبلغ، دون ربح ما، لأن المساعدة الإنسانية هى الأصل، والإسلام يحرم الربا، هذا بالنسبة للمواطن الذى ينتمى إلى الإحساء، أما الغريب الوافد الذى يحسن بعض الحرف، ولا يجد المال الذى يعينه على شراء الأدوات وتأجير المكان فإنه يقترض فورا مبلغا من المال يستعين به على تدبير أحواله الكسبية، وإذا تهدمت دار، أو متجر، وعجز المالك عن إصلاح ما انهار، فإن القوم يسارعون إلى إعانته، وبالإحساء مطاحن تطحن القمح بالمجان!

وبعض من كتبوا عن هذه المروءات التى سطرها ناصر خسرو عن الإحسائيين يقول: إن هذه الروح قد عمت القوم بتأثير بعض القراءات فى كتب فارس، وتلك

لعمرى مهزلة المهازل حقا، لأن شريعة الإسلام بما تضمنت من آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم، وسير الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان قد دعت إلى التعاون الأخوى والتكافل الإنسانى، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، فكيف نترك دين القوم وتاريخ نبيهم وتعاليم فقهائهم ثم نبحث عن مصدر فارسى قديم؟! أليست هذه مهزلة حقا!!

ابـــــن جبيـــــر

أما ابن جبير الأندلسى، فقد حج بيت الله ثلاث مرات، وأتيح له أن يتتلمذ على علماء الحرم بعد أن تتلمذ على علماء الأندلس، وقد جعل حجه الثالث كفارة عن ذنب أُرغم على ارتكابه إذ حضر مجلس صاحب غرناطة، فقدم إليه الكأس، فلم يقبل، فتشدد الحاكم وحلف عليه ليشرب سبعا!! فاضطر مكرها، وعزم على أن يكفر عن ذنبه بزيارة بيت الله الحرام ملتمسا غفران ما تقدم من ذنبه، وكانت رحلاته إلى بيت الله مصدر نفع علمى مؤكد لأنها أتاحت له أن يصف كل ما شاهد فيما زاره من بقاع العالم الإسلامي.

وأقصر حديثى عنه على ما ذكره من احتفال مكة المكرمة بشهر رمضان المبارك، إذ كتب فى هذا المجال ما بقى سجلا خالدا لبعض مشاهد رمضان فى أطهر مكان، إذ ما تأتى الليلة الأولى حتى يتلألأ الحرم الشريف بالضياء، ويتفرق أئمة المذاهب الفقهية من شافعية ومالكية وحنفية وحنابلة فى أماكن خاصة بهم، لتأدية صلاة التراويح خلف أتباعهم ـ هكذا كان فى ذلك العصر ـ وقد لاحظ ابن جبير أن كثيرا من أتباع «مالك» الموسرين قد حجوا عند مقدمه، فجلبوا لإمام المالكية شمعا كثيرا، ومن أكبره شمعتان كبيرتان نصبتا فى الحرم كأنهما قمران ساطعان، وليس فى البيت العتيق مكان يخلو من قارئ يصلى فى جماعة، فيرتج المسجد بأصوات القراء.

وقد جرت العادة ـ فى أيام ابن جبير ـ على أن يختم القرآن كل ليلة من ليالى العشر الأواخر من رمضان طفل ممن حفظوا كتاب الله فى هذا العام، وقد شاهد الرحالة أحد أبناء ذوى اليسار من المكيين فى احتفال ختمة القرآن فشاهد ثريات وضيئة من الشمع على هيئة الغصون وقد انتظمت فيها أنواع الفواكه من رطبة ويابسة، وأعد لها من الشمع ما يفوق العدّ، ثم وضع وسط الحرم محراب أقيم على أربعة أعمدة تتدلى منه المصابيح المضيئة، وتحاط دائرته بمسامير مدببة الأطراف

ليغرز فيها الشمع فتتوزع الأنوار على نحو بديع، ويأتى الطفل الذى حفظ القرآن، فيصلى التراويح بالناس، ثم يصعد إلى المنبر، ويجلس بين يديه بعض القراء، يتلون كتاب الله، فإذا فرغوا من التلاوة نهض فألقى خطبة واعظة، وبين يديه قوم يحملون الشمع الموقد، وتتصاعد أصواتهم بالدعاء، ووالد الطفل وأسرته فى ابتهاج وسرور، ويتكرر هذا المشهد فى كل ليلة من الليالى العشر على يد طفل جديد، فإذا كانت ليلة القدر زاد الاحتفال بهاء ورونقا لأن القاضى فى هذه الليلة هو الذى يؤم الناس جميعا، ثم يلقى عظة بليغة بعد انتهاء صلاة القيام.

هذا عن رمضان أما مشاهد الحج فى ذى الحجة فقد أبدع ابن جبير فى وصفها، بما نجده عند سواه أيضا، ولكنه انفرد بذكر اهتمام الحجاج من كل مكان بالدعاء لله كى ينصر المسلمين فى الحروب الصليبية وقد لاحظ الرحالة أن الخطيب فى الحرم إذا ذكر اسم صلاح الدين الأيوبى ضجت الأصوات بالتأمين على دعائه، وخفقت القلوب لذكره، لأن أهوال الحرب فى البلاد العربية كانت شغل الحجاج الشاغل إذ ذاك، وبعضهم قد صادف أهوالا كثيرة فى رحلته إلى بيت الله، حينما أخذت بعض السفن الصليبية تتعرض للمسافرين، وتأتى النجدات لنصرتهم من المهاجمين.

ابن بطوطة

تكاد تكون رحلة ابن بطوطة أشهر الرحلات العربية جميعها، لأن صاحبها قد طاف أكثر مما طاف غيره، وكان ذا عين لاقطة وعقل مفكر، بحيث يخضع كل ما تشاهده عينه اللاقطة إلى بؤرة تفكيره فيأتى بالتعليل الصائب، ولا نطالبه بأكثر مما ينتظر منه فى مثل عصره، لأن بعض الكاتبين يوازنون بينه وبين المرتحلين فى هذا العصر الحاضر فيجحفون به تمام الإجحاف وقد اتفق فى كثير مما كتبه مع من سبقه من الرحالة وبخاصة ابن جبير، حتى عده بعضهم مؤلفا: ناقلا لا مشاهدا، وهذاغبن كبير، لأن التطور الزمنى كان بطيئا فى الأجيال السابقة، فربما شاهد ابن بطوطة ما سبق أن شاهد سواه فنقله كما رآه، وظنه بعض الناس يأخذ من سواه، هذا إلى أن ابن بطوطة لم يدون رحلته بقلمه، لأن السلطان المرينى قد وكل به (ابن جزى) ليسمع ما يرويه ويكتبه عنه، وقد اعترف (ابن جزى) أنه زاد بعض الصفحات تكملة للموضوع من رحلات السابقين، وما كان له أن يفعل ذلك، ولكن هذا ما كان.

وحديث ابن بطوطة عن مشاهد الحج متسع فياح، كدأبه فى حديثه عن كل موضع يحظى باهتمامه وأى مكان أدعى للاهتمام من مكة وأى مشهد أروع من مشاهد الحج!! لقد وصف الرحالة مكة بجبالها وأبوابها وبطحائها وشوارعها، وخص المسجد الحرام بوصف بارع، حيث حدد طوله وعرضه وارتفاع حيطانه، وأعمدته التى ترتكز عليها السقوف، وأبدع فى وصف الكعبة الشريفة والميزاب والحجر الأسود، والمقام الكريم بين الكعبة والركن العراقى، والحجر وزمزم المباركة وأبواب المسجد الحرام وصوامعه، وما حول الحرم الشريف من منازل وجبال وسطوح، كما ألم ببعض المشاهد خارج مكة كالحجون والمحصب وذى طوى، وثنية كداء والتنعيم، وقال عن أهل مكة:

« ولأهل مكة الأفعال الجميلة، والمكارم التامة، والإثيار للضعفاء والمنقطعين، وحسن الجوار، ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة، يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين، ويستدعيهم بتلطف ورفق، وحسن خلق ثم يطعمهم » وأفاض فى ذلك بما يذكرنا بحديث (ناصر خسرو) عن أهل الإحساء وقد سبق.

وفى تفصيل شعائر الحج أفاض ابن بطوطة فى شرح ما يكون عند ابتداء شهر ذى الحجة حيث تضرب الطبول فى أوقات الصلوات بكرة وعشية إشعارا بالموسم المبارك، ولاتزال كذلك حتى اليوم السابع، وهو اليوم الذى يصعد فيه خطيب الحرم المكى بعد صلاة الظهر ليلقى كلمة جامعة لكل مناسك الحج، وتقع المباهاة والمفاخرة بين أهل مصر والشام والعراق فى إيقاد الشمع، ولكن الفضل فى ذلك لأهل الشام دائما، ويتابع ابن بطوطة حديثه عن الرحلة إلى منى، فعرفات، فوادى المحسر، وهو الحد ما بين مزدلفة ومنى، وقد وصف ما شاهده فى عامه هذا من كبار الحجاج وزوجاتهم وصفا صادقاً خالياً من التزويق، لأن بلاغة الصدق وحدها تغنى عن شطحات الخيال.

خاتمـــة

هذا مطاف موجز ببعض ما أوحت به رحلات الحج الى الكُتّاب، فأضافوا بما سجلوه تاريخا يقرأ عبر الأجيال، ولولا الحج ما كتبت هذه المؤلفات الخالدة، ولدينا فى العصر الحديث مؤلفات رائعة عن هذه الرحلة الخالدة قد نعود إليها مؤكدين أن الحج إذا كان مصدر خير دينى فهو ينبوع ثقافة متصلة، ومورد علم غزير.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٣١ - ٢٣٢

بعد أن بين سبحانه فى الآية السابقة أن الزوج مخير بين الإمساك والتسريح فى مدة العدة عقب ذلك ببيان أن هذا التخيير من حقه حتى آخر وقت فى العدة، وذلك لتذكيره بأن الإمساك أفضل من التسريح وأن عليه ألا يلجأ إلى الطلاق إلا إذا سدت طرق الإصلاح والمعالجة.

وأنه إذا اختار الطلاق فعليه أن يسلك فيه طريق الحق والعدل لا طريق الباطل والجور.

قال الراغب: الأجل: المدة المضروبة للشيء قال- تعالى-:

﴿ لِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلاً مُّسَمًّى ﴾ - أى مدة معينة - والبلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكانا كان أو زمانا أو أمرا من الأمور المقدرة، وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته. فمن الانتهاء قوله- تعالى-:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾..

وأما قوله:

﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾.

فللمشارفة فإنها إذا انتهت إلى أقصى الأجل لا يصح للزوج مراجعتها وإمساكها.

والمراد بالأجل هنا عدة المرأة. وببلوغها قرب انتهائها.

والضرار- كما يقول الرازى- هو المضارة. قال- تعالى-:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾.

أى «اتخذوا المسجد ضرراً ليضاروا المؤمنين، ومعناه يرجع إلى إثارة العداوة، وإزالة الألفة، وإيقاع الوحشة، وموجبات النفرة».

والمعنى: وإذا طلقتم - أيها المؤمنون - نساءكم طلاقاً رجعيا، ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أى فشارفت عدتهن على الانتهاء، وقاربت الانقضاء، فعليكم أن تتدبروا مليا فى أمركم، فإن رأيتم الأصلح فى بقائهن معكم فنفذوا ذلك وأمسكوهن بمعروف، أى بما هو المعروف من شرع الله الحكيم، وبما تقره الأخلاق الحسنة والعقول السليمة، وإن رأيتم أنه لا رغبة لكم فى البقاء معهن فسرحوهن بمعروف أى فأمضوا الطلاق، وتفارقوا بالطريقة التى يرضاها الحق - سبحانه - بأن تؤدوا لهن حقوقهن، ولا تذكروهن بسوء بعد انفصالكم عنهن، فهذا شأن الأتقياء الصالحين فقد سئل بعضهم، لم طلقت امرأتك؟ فقال: إن العاقل لا يذكر ما بينه وبين أهله.

قال القرطبى: «معنى ﴿ فَبَلَغْنَ ﴾ قاربن بإجماع من العلماء، ولأن المعنى يضطر إلى ذلك، لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار له فى الإمساك، وهو فى الآية التى بعدها بمعنى الانتهاء، لأن المعنى يقتضى ذلك، فهو حقيقة فى الثانية، مجاز فى الأولى - أى التى معنا -».

ثم نهى - سبحانه - عن الإمساك الذى يكون معه الضرر فقال:

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ ﴾.

أى لا تراجعوهن إرادة الضرر بهن والإيذاء لهن لتعتدوا عليهن، والجملة الكريمة تأكيد للأمر بالإمساك بمعروف، وتوضيح لمعناه، وزجر صريح عما كان يفعله بعضهم من مراجعته لامرأته قبل انتهاء عدتها لا لقصد الإبقاء على الزوجية إنما القصد إطالة عدة الزوجة، أو لقصد أن تفتدى نفسها منه بالمال: و ﴿ ضِرَارًا ﴾ منصوب على الحال فى تمسكوهن أو على أنه مفعول لأجله. واللام فى قوله: ﴿ لِّتَعْتَدُواْ ﴾ هى لام العاقبة أى لتكون عاقبة أمركم الاعتداء.

وحذف متعلق «لتعتدوا» ليتناول الاعتداء عليهن وعلى أحكام الله - تعالى -.

وقوله:

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾.

وعيد شديد لمن يقدم على ما نهى الله عنه. أى: ومن يراجع مطلقته بقصد الإضرار بها والاعتداء عليها فقد ظلم نفسه ظلما مؤكدا، لأنه سيعرضها لعقاب الله وسخط الناس.

وجعل ظلمهم لنسائهم ظلما لأنفسهم، لأن عملهم هذا سيؤدى إلى اختلال المعاشرة الزوجية واضطرابها، وشيوع العداوة والبغضاء بين الزوجين وبين أهلهما. ثم كرر - سبحانه - تحذير المخالفين لشريعته، وذكرهم بألوان نعمه عليهم ليستجيبوا لأمره فقال:

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ ﴾

آيات الله: أحكامه التى شرعها فى شأن الطلاق وغيره.

والهزء - بضمتين - مصدر هزأ به إذا سخر ولعب وهو هنا مصدر بمعنى اسم المفعول أى: مهزوءا بها. وقوله: ﴿ هُزُوٗاۚ ﴾ مفعول ثان لتتخذوا.

والمراد بالحكمة هنا. السنة النبوية المطهرة.

والموعظة والعظة: النصح والتذكير بالخير. بما يرقق القلوب، ويحذر النفوس مما نهى الله عنه.

أى: ولا تتخذوا - أيها الناس - آيات الله التى شرعها لكم فى شأن الطلاق وغيره مهزوءا بها بأن تعرضوا عنها، وتتهاونوا فى المحافظة عليها، والتمسك بتعاليمها، ومن مظاهر ذلك أن بعض الناس كان يكثر من التلفظ بالطلاق متوهما أن ذلك لا يضر، أو كان يتخذ المراجعة وسيلة لإيذاء المرأة.

قال القرطبى: وفى موطأ مالك أنه بلغه أن رجلا قال لابن عباس: «إنى طلقت امرأتى مائة مرة فماذا ترى على؟ فقال ابن عباس: طلقت منك بثلاث، وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هزوا»(١).

والجملة الكريمة نهى أريد به الأمر بضده، أى جدوا فى العمل بأوامر الله وآياته، وارعوها حق رعايتها.

وقوله: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾. الخ

أى تذكروها فى هدايتكم إلى الإسلام، وفى مشروعية الزوجية وفى غير ذلك مما لا يحصى من النعم وتدبروا نعم الله عليكم فقابلوها بالشكر، واستعملوها فيما خلقت له، وتذكروا كذلك ما أنزل الله عليكم بواسطة رسولكم محمد ﷺ من الكتاب وهو القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم، ومن الحكمة وهى السنة النبوية المطهرة، بما جاء فيهما من توجيهات سامية، وآداب عالية.

و«ما» فى قوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم ﴾ موصولة والعائد محذوف أى ما أنزله و«من» فى

(١) تفسير القرطبى جـ ٣ ص١٥٦.

قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ بيانية، وجملة ﴿ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾ حال من فاعل أنزل أو من مفعوله، والضمير فى ﴿ بِهِۦ ﴾ ويعود على الكتاب والحكمة بعد تأويلهما بالمذكور. وجعل ضميرهما واحدا لانهما فى مؤداهما وغايتهما شيء واحد، فالسنة ليست نابعة إلا من الكتاب ومنه أخذت قوتها وسلطانها.

وقوله ـ سبحانه ـ: فى ختام الآية:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

تذكير لهم بتقوى الله وخشيته ومراقبته، وتحذير لهم من مخالفة أمره.

أى: صونوا أنفسكم عن كل ما يغضب الله – تعالى – فيما يتعلق بأمور الزوجية وفى غيرها مما شرعه لكم، واعلموا أنه – سبحانه – عليم بكل شئ، عليم بما تسرونه وما تعلنونه، وسيحاسب كل إنسان بما قدمت يداه:

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾

ثم بين – سبحانه – ما ينبغى اتباعه عند حصول الطلاق وإمضائه حتى لا يقع ظلم أو جور فقال – تعالى – :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

قال القرطبى: «تعضلوهن معناه تحبسوهن، ودجاجة معضل، أى: قد احتبس بيضها، وقيل: العضل التضييق والمنع وهو راجع إلى معنى الحبس. يقال: أعضل الأمر: إذا ضاقت عليك فيه الحيل. قال الأزهرى: وأصل العضل من قولهم: عضلت الناقة إذا نشب ولدها فلم يسهل خروجه. ويقال أعضل الأمر إذا اشتد، وداء عضال أى شديد عسر البرء أعيا الأطباء...»(٢)

والمعنى: وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أى: انقضت عدتهن وخلت الموانع من زواجهن، فلا تمنعوهن من الزواج بمن يردن الزواج به، متى حصل التراضى بين الأزواج والزوجات على ما يحسن فى الدين، وتقره العقول السليمة، ويجرى به العرف الحسن.

والمراد ببلوغ الأجل هنا بلوغ أقصى العدة، بخلاف البلوغ فى الآية التى قبل هذه، فإن المراد به المشارفة والمقاربة كما أشرنا من قبل لأن المعنى يحتم ذلك، والخطاب هنا للأزواج وللأولياء أو لكل من له تأثير على المرأة المطلقة، وذلك لأن منع الزوجة من الزواج بعد انقضاء عدتها قد يكون من جانب الزوج السابق، لاسيما إذا كان صاحب جاه وسلطان وسطوة، فإنه يعز عليه أن يتزوج مطلقته أحد بعده فيمنعها من الزواج.

وقد يكون المنع من جانب الأولياء، وقد أورد المفسرون آثارا تشهد لذلك منها – كما يقول الآلوسى – ما أخرجه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه وأبو داود من طرق شتى عن معقل بن

(٢) تفسير القرطبى جـ٣ ص١٥٩.

يسار قال: «كانت لى أخت فأتانى ابن عم لى فأنكحتها إياه، فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة، ولم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهوته ثم خطبها مع الخطاب. فقلت له: أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ثم جئت تخطبها، والله لا ترجع إليك أبدا، وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فعلم الله - تعالى - حاجته إليها وحاجتها إلى بعلها فأنزل هذه الآية. ففىّ نزلت فكفرت عن يمينى وأنكحتها إياه..»[٣]

وعبر - سبحانه - عن الرجال الذين هم محل الرضا من النساء بالأزواج فقال:

﴿ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ ﴾.

مع أن الزواج لم يتحقق بعد، للإشارة إلى الحقيقة المقررة الثابتة، وهى أن من يقع اختيارها عليه، ولم يكن اقترانها به فيه ما يشينها أو يشين أسرتها، فمن الواجب ألا يمانع أحد فى إتمام هذا الزواج، بل على الجميع أن يقروه وينفذوه، لأن شريعة الله والفطرة الإنسانية يقضيان بذلك.

وقوله: ﴿أَن يَنكِحۡنَ﴾ تقديره: من أن ينكحن فهو فى محل جر عند الخليل والكسائى وفى محل نصب عند غيرهما، وقوله:

﴿ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ ﴾ ظرف لأن ينكحن أو لقوله: ﴿ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ ﴾، وقوله: ﴿ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا، أو هو نعت لمصدر محذوف أى تراضيا كائنا بالمعروف أو هو متعلق بتراضوا. أى تراضوا بما يحسن فى الدين والمروءة، وفيه إشعار بأن المنع من التزوج بغير كفء أو بما دون مهر المثل ليس من العضل المنهى عنه.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾

أى: ذلك القول الحكيم، والتوجيه الكريم المشتمل على أفضل الأحكام وأسماها يوعظ به، ويستجيب له من كان منكم عميق الإيمان بالله - تعالى - وبثوابه وبعقابه يوم القيامة. ذلكم الذى شرعه الله لكم - أيها المؤمنون - من ترك عضل النساء والإضرار بهن وغير ذلك من الأحكام ﴿ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُ ﴾ أى أعظم بركة ونفعا، وأكثر تطهيرا من دنس الآثام، فإن المرأة إذا عوملت معاملة كريمة، ولم تظلم فى رغباتها المشروعة، التزمت فى سلوكها العفاف والخلق الشريف، أما إذا شعرت بالظلم والامتهان فإن هذا الشعور قد يدفعها إلى ارتكاب ما نهى الله عنه. والله - تعالى - يعلم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، فامتثلوا ما أمركم به واجتنبوا ما نهاكم عنه تفوزوا وتسعدوا.

والإشارة بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى ما فصل من أحكام وما أمر به من أفعال والخطاب لكل من يصلح للخطاب من المكلفين.

(٣) تفسير الألوسى جـ١ ص١٤٤.

وخـصص الوعظ بالمؤمنين لأنـهم هـم الذين ينتـفـعـون به، وترق مـعـه قلوبهـم وتخـشـع له نفوسهم.

وأتى - سبحانه - بضمير الجمع ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ بعد أن قال فى صدر الجملة ﴿ذَٰلِكَ﴾ للإشارة إلى أن حماية المرأة من الهوان ومنع التضييق عليها فى اختيار زوجها واجب على جميع المؤمنين، وأن فائدة ذلك ستعود عليهم جميعا ما دام هذا الاختيار فى حدود الآداب التى جاء بها الإسلام. وقوله:

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ رد على كل معترض على تطبيق شريعة الله، أو متهاون فى ذلك بدعوى أنها ليست صالحة للظروف التى يعيش ذلك المعترض أو هذا المتهاون فيها، لأن شرع الله فيه النفع الدائم والمصلحة الحقيقية، والنتائج المرضية، لأنه شرع من يعلم كل شئ ولايجهل شيئا، ويعلم ما هو الأنفع والأصلح للناس فى كل زمان ومكان، ولم يشرع لهم - سبحانه - إلا ما فيه مصلحتهم ومنفعتهم، ومادام علم الله - تعالى - هو الكامل، وعلم الإنسان علم قاصر، فعلينا أن نتبع شرع الله فى كل شئوننا، ولنقل لأولئك المعترضين أو المتهاونين: سيروا معنا فى طريق الحق فذلكم

﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

وبعد: فهذه خمس آيات قد تحدثت عن جملة من الأحكام التى تتعلق بالطلاق، وإذا كان الإسلام قد شرع الطلاق عند الضرورة التى تحتمها مصلحة الزوجين، فإنه فى الوقت نفسه قد وضع كثيرا من التعاليم التى يؤدى اتباعها إلى الإبقاء على الحياة الزوجية، وعلى قيامها على المودة والرحمة، ومن ذلك:

١- أنه أرشد أتباعه إلى أفضل السبل لاختيار الزوج، بأن جعل أساس الاختيار الدين والتقوى والخلق القويم، لأنه متى كان كل من الزوجين متحليا بالإيمان والتقوى، استقرت الحياة الزوجية بينهما، وقامت على المودة والرحمة وحسن المعاشرة.

٢- أنه أمر كلا الزوجين بأن يبذل كل واحد منهما قصارى جهده فى أداء حق صاحبه، وإدخال السرور على نفسه، فإذا ما نجم خلاف بينهما فعليهما أن يعالجاه بالحكمة والعدل، وأن يجعلا الأناة والصبر رائدهما، فإن الحياة الزوجية بحكم استمرارها وتشابك مطالبها لاتخلو من اختلاف بين الزوجين.

٣- دعا الإسلام إلى إصلاح مابين الزوجين إن ابتدأت العلاقة تسير فى غير طريق المودة، فقال - تعالى -:

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

كما دعا أولى الأمر أن يتدخلوا للإصلاح بين الزوجين عند نشوب الشقاق بينهما أو عند خوفه فقال - تعالى -:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾

٤- نهى الإسلام عن إيقاع الطلاق على الزوجة فى حال حيضها، أو فى حال طهر باشرها فيه، لأن المرأة فى هاتين الحالتين قد تكون على هيئة لاتجعل الرجل مشوقا إليها.. وأباح له أن يوقع الطلاق فى طهر لم يجامعها فيه، لأن إيقاعه فى هذه الحالة يكون دليلا على استحكام النفرة بينهما.

٥- نهى الإسلام عن الطلاق البات بالنسبة للمرأة المدخول بها، وأمر الزوج بأن يجعل طلاقه رجعياً، وأعطاه فرصة طويلة تقرب من ثلاثة أشهر ليراجع خلالها نفسه، فإن وجد الخير فى مراجعة زوجته راجعها بقصد الإصلاح واستمرار الحياة الزوجية، وإن وجد الخير فى غير ذلك تركها حتى تنقضى عدتها وفارقها بالمعروف عملاً بقوله - تعالى- :

﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾.

٦- جعل الإسلام الطلاق بيد الرجل، لأنه هو الذى وقعت عليه معظم أعباء الزواج، وهو الذى سيتحمل ما سيترتب على الطلاق من تكاليف، ولاشك أنه بمقتضى هذه التكاليف وبمقتضى حرصه على استقرار حياته، سيتأنى ويتروى فلا يوقع الطلاق إلا إذا كان مضطراً إلى ذلك.

كما أن الإسلام أباح للمرأة أن تفتدى نفسها من زوجها، أو ترفع أمرها للقاضى ليفرق بينها وبينه إذا تيقنت من استحالة استمرار الحالة الزوجية بينهما لأى سبب من الأسباب، وفى هذه الحال فللقاضى أن يفرق بينهما إذا رأى أن المصلحة تقتضى ذلك.

٧- أباح الإسلام للرجل الذى طلق امرأته ثلاثاً أن يعود إليها من جديد، وذلك بعد طلاقها من رجل آخر يكون قد تزوجها زواجاً شرعياً وانقضت عدتها منه، وفى ذلك بما فيه من التأديب لهما، والتهذيب لسلوكهما.

٨- وردت أحاديث متعددة تنهى عن إيقاع الطلاق إلا عند الضرورة وتتوعد المرأة التى تطلب من زوجها أن يطلقها بدون سبب معقول بالعذاب الشديد، ومن ذلك ما رواه أبوداود والترمذى عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس - أى من غير عذر شرعى أو سبب قوى - فحرام عليها رائحة الجنة»، وروى أبوداود وغيره عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق».(٤)

هذه بعض التشريعات التى وضعها الإسلام لصيانة الحياة الزوجية من التصدع والانهيار، ومنها نرى أن الإسلام وإن كان قد شرع الطلاق، إلا أنه لا يدعو إليه إلا إذا كانت مصلحة الزوجين أو أحدهما تقتضيه وتستلزمه.

«يتبـــع»

***

(٤) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ٣ ص٨٣.

محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين

دعوى اقتباس القرآن من التوراة والإنجيل (٢)

الحلقة الأخيرة

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

في الحلقة الماضية أثبتنا كذب هذه الدعوى من خلال نصين:

أحدهما من التوراة تتحدث فيه عن مشهد من مشاهد قصة يوسف - عليه السلام -.

والثاني من القرآن الكريم يتحدث عن المشهد نفسه، الذى تحدثت عنه التوراة.

ثم قارنا بين «معطيات» التوراة في حديثها عن ذلك المشهد و«معطيات» القرآن الأمين عن ذلك المشهد الوارد في المصدرين معا.

وقد تبين لنا من خلال المقارنة أنه محال محال أن يكون القرآن مقتبسا من التوراة. هذا هو ما حكم به العقل، وحكم به الواقع.

وفي هذه الحلقة نقارن بين نصين أحدهما من التوراة والآخر من الإنجيل، وبين نصين من القرآن الكريم يقابلان كلا من نصي التوراة والإنجيل، لنضيف يقينا بعد يقين في أن دعوى اقتباس القرآن من التوراة وحدها، أو منها ومن الإنجيل دعوى كاذبة في حكم العقل وحكم الواقع المحسوس.

حديث القرآن	حديث التوراة
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: (٢٧ - ٣٣)	وحدث بعد أيام أن قدم قابين من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه، ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قابين وقربانه لم ينظر، فاغتاظ قابين جداً، وسقط وجهه فقال الرب لقابين: لماذا اغتظت؟ ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أملا رفع، وان لم تحسن، فعند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها. وكلم قابين هابيل أخاه، وحدث إذا كانا فى الحقل أن قابين قام على هابيل أخيه وقتله، فقال الرب لقابين: أين هابيل أخوك؟ فقال لا أعلم. أحارس أنا لأخى؟ فقال: ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض فالآن ملعون أنت، التى فتحت فاها، لتقبل دم أخيك من يدك، متى عملت الأرض لاتعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون فى الأرض، فقال قابين للرب: ذنبى أعظم من أن يحتمل. إنك طردتنى اليوم على وجه الأرض ومن وجهك اختفى، وأكون تائها وهارباً من الأرض، فيكون كل من وجدنى يقتلنى، فقال له الرب لذلك كل من قتل قابين فسبقه أضعاف ينتقم منه. وجعل الرب لقابين علامة لكى لايقتله كل من وجده، فخرج قابين من لدن الرب، وسكن فى أرض تود شرقى عدن». سفر التكوين الإصحاح الرابع [٣- ١٦]

هذان هما حديث التوراة وحديث القرآن، وضعنا كلا منهما بإزاء الآخر، تيسيرا لنظر القارىء فيهما ومحاولة المقارنة بينهما بغية الوصول إلى نتيجة مهمة يتقدمها هذا السؤال.

هل حديث القرآن عن ولدى آدم صورة طبق الأصل من حديث التوراة عنهما؟

إن كان الأمر كذلك صحت دعوى المستشرقين أن القرآن مقتبس من التوراة وليس له مصدر سماوى غيرها.

وإذا لم يكن حديث القرآن عن ولدى آدم صورة طبق الأصل من حديث التوراة عنهما فالدعوى كاذبة. إن نظرة واحدة تظهر للناظر فى الحديثين: حديث التوراة، وحديث القرآن فى الموضوع المشترك بينهما، أن الحديثين لم يتفقا إلا فى عنصرين من عناصر الواقعة المقصوصة فيهما:

● **العنصر الأول**: مسألة «القربان» الذى قدمه الأخوان.

● **والثانى**: عنصر اعتداء أحد الأخوين على الآخر بالقتل.

وإنصافا للحق نقول:

يمكن إضافة عنصر ثالث إلى الاتفاق بين المصدرين ذلك العنصر هو ندم الإبن القاتل. ومع هذا الاتفاق فان مورده فى القرآن غير مورده فى التوراة، كما سيأتى.

أما فيما عدا ذلك، فإن القرآن يختلف تماما مع ما ورد فى التوراة.

ونستعين على بيان ذلك بالجدول الآتى:

معطيات التوراة	معطيات القرآن
● التوراة تسمى أحد ابنى آدم قابين، وهو القاتل، وتسمى الآخر هابيل، وهو المقتول.	● القرآن لم يطلق أسماء على ابنى آدم واكتفى بأنهما ابنان لآدم – عليه السلام–.
● التوراة تحدد نوعية ما قدمه الابنان من قرابين.	● القرآن لم يحدد نوعى القربان بل اكتفى بذكرهما إجمالا.
● التوراة تروى حوارا مباشرا بين الابن القاتل «قابين» وبين الرب، وأنه حدث مرتين: قبل القتل وبعده.	● القرآن يخلو من ذكر هذا الحوار بين الابن القاتل والرب قبل القتل وبعده لا مباشرا ولاغير مباشر.
● التوراة تقول إن الرب طرد قابين ولعنه.	● القرآن يخبر أن القاتل أصبح من الخاسرين بعد قتله أخاه.
● التوراة تصرح بأن الرب عفا عن قابين القاتل وحصن دمه، وغلظ عقوبه، من يعتدى عليه ووضع عليه علامة تحذر من قتله.	● القرآن يخلو من هذا العفو والتغليظ فى عقوبة من يعتدى على القاتل «قابين» أو من وضع علامة عليه تحذر من قتله.

معطيات التوراة	معطيات القرآن
● الحوار الذى روته التوراة احتوى على عدة أفكار ثانوية منها قول قابين للرب: أحارس أنا لأخى؟ ● التوراة خلت من الحوار الذى دار بين ابنى آدم، وحولته إلى حوار بين الرب، وبين ابن آدم القاتل. ● تحدد التوراة المكان الذى أوى إليه قابين بعد جريمته. ● تجعل التوارة ندم قابين نتيجة للعن الرب إياه، وطرده من وجه الأرض. ● أوردت التوراة الواقعة مجرد سرد لحادثة وقعت. ولم توظفها تربويا، ولاتشريعيا. وفى روايتها عبارات غامضة، وأغرب ما فيها محاماة الله عن قابين.. المجرم، وصون دمه، وتغليظ عقوبة من يعتدى عليه.	● لم يرد شىء من افكار الحوار الذى روته التوراة فى حديث القرآن الكريم، فضلا عن عبارة.. أحارس أنا لأخى؟ مع ما فيها من سوء أدب مع الله. ● القرآن يروى حوارا دار بين ابنى آدم، حوار موجز لكنه صور الواقعة مع مقدماتها تصويرا مقبولا. ● يغفل القرآن هذا الجانب تماما لأنه لايضيف شيئا الى جوهر الواقعة. ● يجعل القرآن ندم ابن آدم القاتل نتيجة لإحساسه بقبح جريمته التى اقترفها، وهى قتل أخيه. ● يوظف القرآن الواقعة توظيفا تربويا وتشريعيا، ويهول من جريمة قتل النفس البريئة، ويجعلها بمثابة قتل جميع الناس، كما يعظم من فضل حماية النفس من الاعتداء عليها ويجعلها بمثابة إحياء الناس جميعا ترغيبا فى صون الدماء.

هذه هى المقارنة التامة بين الحديثين، ومن خلالها يتضح أن القرآن الكريم يكاد أن ينفرد بالحقائق التى ذكرت فيه ولم يرد لها ذكر فيها. وهذا يسلمنا إلى حقيقة غير قابلة للجدل بأى وجه، وهى:

محال عقلا أن يكون القرآن مقتبسا من التوراة، وإضافة إلى ما تقدم نقرر الحقائق الراسخة الآتية:

● أورد القرآن الأمين حوارا دار بين الأخوين، جاء فى نهايته قتل أحدهما الآخر.

هذا الحوار ليس له وجود فى التوراة فإذا كانت التوراة هى مصدر القرآن فى هذه الواقعة فأين نجد فى التوراة هذا الحوار الذى قصه القرآن بين الأخوين؟!

نعم فى رواية التوراة حوار بين قابين – على حد تعبيرها – وبين الرب، لكن القرآن عزف عنه، ولم يقم له وزنا، وعزوف القرآن عن ذكر الحوار التوراتى دليل آخر قاطع بأن للقرآن مصدرا خاصا به، حدد موقفه من التوراة ساميا عليها لا تابعا لها.

● أورد القرآن الأمين قصة لم تعرفها التوراة قبل القرآن ولم يعرفها الإنجيل بعد التوراة.

وهى قصة «الغراب» الذى بعثه الله معلما ومرشدا لابن آدم القاتل، لينقذه من ورطته التى وقع فيها وهى حيرته أمام جثة أخيه «القتيل» كيف يصنع بها؟

ومرة أخرى: لو كانت التوراة هى مصدر القرآن فأين ذكر هذه القصة فى التوراة؟ أو فى الإنجيل، أو فى مصدر سابق على القرآن؟!

إن القاعدة العقلية «فاقد الشىء لا يعطيه» إذا حكمناها هنا صاحت قائلة، بملء فيها:

كاذب من يدعى أن القرآن مقتبس من التوراة.

وعند هذا الحد توقفت التوراة، لأنها بعد سرد ما تقدم انتقلت إلى الحديث عن حياة قابين الزوجية، وتحدثت عمن أنجب وعن أحفاده.(١)

أما القرآن المدعَى أنه رضيع التوراة فقد خطا خطوات إلى الإمام، ورتب على وقائع القصة أمورا ذات شأن عظيم مستثمرا لوقائع القصة فى بناء الأخلاق وحياطة الدماء وذلك خلال التشريعات الآتية:

أولاً: تفظيع قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق.

ثانياً: الحث والترغيب فى رعاية الحرمات.

ثالثاً: سن عقوبات لمن يحارب الله ورسوله، ويسعى فى الأرض فسادا:

أولها: التقتيل.

ثانيها: التصليب.

ثالثها: تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف.

رابعها: النفى من الأرض «التغريب أو الحبس».

هذا ما تفرد به القرآن عن التوراة، فإذا كان هذا هو عطاء القرآن، وأفقه الواسع، الذى استقى منه هذه الحقائق فكيف تصلح التوراة أن تكون أصلا لما هو ذو سلطان أقوى من سلطانها وآفاق أرحب من آفاقها.

وصدق وصحة التوراة خلت منهما؟

والحق الذى لا محيد عنه، حتى فى حكم العقل، أن ما ورد فى التوراة لا يصلح ـ ولن يصلح ـ أن يكون أساسا لما ورد فى القرآن، مهما كانت نسبة التشابه فى عموميات ما ورد فى المصدرين.

ونكتفى بما تقدم فى نفى أن تكون التوراة هى مصدر القرآن وإن بقيت فى التوراة أمور كثيرة صالحة للاستدلال على نفى اقتباس القرآن من التوراة نكتفى به لأنه قدر صالح لإبطال دعوى المستشرقين، وأساتذتهم المبشرين، أن القرآن مقتبس من التوراة.

وبقى علينا خوض هذه التجربة مع الإنجيل الذى بيد النصارى اليوم، لأن المستشرقين والمبشرين زعموا أن التوراة والإنجيل معا كانا أساسى القرآن ولولاهما ما كان القرآن.

(١) انظر التوراة، الإصحاح الرابع، الفقرات من (٧ إلى ٢٤).

الصورة الثالثة من الإنجيل والقرآن: «بشارة زكريا بن يحيى - عليهما السلام -»

حديث الإنجيل

« ولم يكن لهما ولد – أى لزكريا وامرأته – إذ كانت الياصابات – يعنى امرأة زكريا – عاقراً وكانا كلاهما متقدمين فى إياهما فبينما هو يكهن فى نوبة فرقته أمام الله، حسب عادة الكهنوت، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور فظهر له ملاك الرب واقفا على يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف فقال له الملاك لاتخف يا زكريا، لأن طلبيتك قد سمعت، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب ومن بطن أمه يمتلىء بروح القدس ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم.. يرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار، لكى يهيىء للرب شعبا مستعدا فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا؟ لأنى أنا شيخ وأمرأتى متقدمة من أيامها فأجاب الملاك وقال له: أنا جبريل الواقف أمام الرب، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتا ولاتقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته، وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم، ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل، فكان يومىء إليهم وبقى صامتا ».

إنجيل لوقا: الإصحاح الأول
الفقرات من (١ إلى ٢٢)

حديث القرآن

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ (٤١) ﴾

آل عمران: (٣٨ – ٤١)

﴿ كٓهيعٓصٓ (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (٩) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

مريم: (١ – ١٥)

أثبتنا النصوص الواردة فى المصدرين: الإنجيل والقرآن لتكون ماثلة أمام نظر القارىء، تيسيرا للوقوف على ما سنورده فى المقارنة الفاحصة بين ما ورد فى الإنجيل، وبين ما ورد فى القرآن من اتفاق أو اختلاف، بقصد أن نقف معا على الإجابة الواقعية على هذا السؤال:

هل يصلح الإنجيل – عقلاً – أن يكون مصدرا للقرآن، وأن القران لولا الإنجيل لعجز عجزا تاما عن الحديث عن البشارة التى تلقاها زكريا بـ« يحيى » – عليهما السلام–.

وقائع المقارنة

أن المقارنة الأمينة الصادقة، تسفر عن انفراد القرآن بحقائق ودقائق لا وجود لها فى الإنجيل.

كما أنه يصحح أخطاء وردت فى النص الإنجيلى لا ينازع فيها أحد، وهاكم البيان:

«أ» تقدم على قصة البشارة بـ« يحيى » فى سورة « آل عمران » قصة نذر امرأة عمران ما فى بطنها محررا لله تعالى، وهذا لا وجود له فى الإنجيل.

«ب» شكوى امرأة عمران لله أنها ولدت أنثى، ولم تلد ولدا وكأنها تعتذر لله بعدم الوفاء بنذرها، لأن الإناث لا يصلحن للنذر.

وهذا بدوره لم يرد فى النص الإنجيلى

«جـ» كفالة زكريا – عليه السلام – للمولودة ووجوده رزقها عندها، دون أن يعرف مصدره، وسؤاله إياها عنه، وهذا لا وجود له فى الإنجيل.

«د» القرآن يربط بين دعاء زكريا ربه أن يهب له ذرية طيبة، وبين مولودة امرأة عمران، والإنجيل يغفل هذا كله.

«هـ» دعاء زكريا –عليه السلام – منصوص عليه فى القرآن وليس له ذكر فى الإنجيل.

ثانيًا: فى مريم

«و» رتب زكريا على دعائه الله أن يهبه ولدا الغرض من هذه الهبة، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب، ولم يرد هذا فى الإنجيل.

«ز» ذكر القرآن السبب الذى حمل زكريا على دعائه ربه وهو خوف الموالى من بعده، وليس للإنجيل صلة ما بهذا.

«ح» أمر زكريا قومه بعد خروجه من المحراب أن يسبحوا الله بكرة وعشيا، هذا الأمر لم يرد فى الإنجيل.

«ط» الثناء على المولود « يحيى » –عليه السلام– بأنه بار بوالديه وأنه عليه سلام يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حيا، ورد فى القرآن فحسب دون الإنجيل.

«ى» نداء الله يحيى –عليه السلام–، وأمره بأخذ الكتاب، والإخبار بأن الله آتاه الحكم صبيا، انفرد القرآن بذكره، وخلا منه الإنجيل.

هذه أبرز الحقائق والدقائق التى انفرد بها القرآن، ولا دراية للإنجيل بها.

إذًا لو كان الإنجيل مصدرا للقرآن فأين يا ترى مواضع هذه الوقائع فى الإنجيل، التى نقل عنها القرآن هذه الوقائع؟

هل المعدوم يصلح أن يكون مصدرا للموجود؟

العقل والعلم والواقع، كل هذه المعايير تقول: لا، وألف لا.

هذا عن الجديد الذى تفوَّق به القرآن على الإنجيل، والرجوع لنصوص المصدرين يؤكد هذه الملاحظات.

تصحيح الأخطاء

تصحيح الأخطاء هو المهمة الثانية التى قام بها القرآن الحكيم بعد انفراده بإيراد الجديد الذى خلا منه الإنجيل، وهذا هو البيان.

«أ» الإنجيل يجعل الصمت الذى حل بزكريا -عليه السلام- عقوبة من ملاك الرب، لأنه لم يصدق كلامه؟.

فصحح القرآن هذا الخطأ، وجعل الصمت استجابة من الله لدعاء زكريا -عليه السلام-، وقد حرص على هذا التصحيح النصان القرآنيان، فى كل من سورتى «آل عمران - ومريم» ففى آل عمران جاء قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾

وفى مريم جاء قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾

فالصمت كان تكريما لزكريا من ربه، وأمارة على قرب الوفاء بالبشارة، وليس عقوبة من الملاك وإلا فما هو الذنب الذى ارتكبه زكريا -عليه السلام- حتى يستحق العقاب من الملاك أو من الله؟!

هل دعاؤه ربه ذنب؟

أم شكواه لربه من كبر سنه وعقم امرأته ذنب لقد وقع هذا الاستفهام عن الإنجاب بعد الشيخوخة وفى عقم المرأة من إبراهيم -عليه السلام-، ووقع من زوجه سارة ولم يعاقبهما الله عليه، ووقع كذلك من مريم حينما بشّرتْ بعيسى دون أن يكون لها زوج، ولم يعاقبها الله عليه، فما السر - إذن - فى ترك هؤلاء الثلاثة من العقاب، ثم إيقاعه على زكريا؟ أهى محاباة من الله لفريق، وتحامل على فريق آخر؟

كلا، فالله لا يحابى أحدا، ولا يتحامل على أحد، إن الصمت الذى حل بزكريا -عليه السلام-، كان بالنسبة للناس أما لسانه فظل يلهج بثناء الله وتسبيحه بكرة وعشيا كما ورد فى القرآن الآمين.

وكأن الله - عز وجل - فرَّغه بهذا الصمت لذكره هو وحده، وهذه لطيفة تشع من القرآن دونما سواه.

«ب» الإنجيل حدد مدة الصمت من خروج زكريا من الهيكل إلى يوم أن يولد يحيى، وهذا خطأ بيِّن صححه القرآن، وجعل المدة ثلاثة أيام بلياليها.

«جـ» الإنجيل يجعل البشارة على لسان ملاك واحد، فصحح القرآن هذا الخطأ، وجعلها على لسان جمع الملائكة، تكرر هذا فى آل عمران ومريم، والتكرار توكيد وتقرير:

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ﴾.

«د» الإنجيل يجعل التسمية بـ«يحيى» أو «يوحنا» من اختيار زكريا، بيد أن الملاك قد تنبأ، أما القرآن فيعزو هذه التسمية إلى وحى الله- عز وجل- إلى زكريا:

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

يعنى أن الملائكة بشرت زكريا بشرتين:

- أنه سيولد له غلام.
- أن ذلك الغلام سماه الله ﴿يَحْيَىٰ﴾.

«هـ» الإنجيل يقول إن زكريا حين جاءه ملاك الرب وقع عليه خوف واضطراب، أما القرآن فلم ترد فيه نسبة الخوف والاضطراب إلى زكريا، ولو كان زكريا قد خاف واضطرب فعلا لذكره القرآن، فكان سكوت القرآن عن هذا تصويبا لما ورد فى الإنجيل.

ذلك لأن القرآن ذكر هذا الخوف فى مثل هذه الحالة لأنبياء آخرين، لما اعتراهم الخوف حقيقة ذكره فى شأن موسى -عليه السلام-:

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾(٢).

وذكره مرتين أخريين بل ثلاثا فى شأن موسى- عليه السلام - وذلك كله مرتبط بعصى موسى- عليه السلام -.

قال:

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾(٣).

والنهى عن الخوف دليل على وقوعه من موسى، وهذا مألوف من النفس البشرية أمام هذه المفاجأ المذهلة:

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ ﴾(٤).

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾(٥).

وحكاه فى شأن إبراهيم - عليه السلام - حين جاءه رسل ربه:

﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾(٦).

وحكاه فى شأن مريم أمام رسول ربها إليها:

﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾(٧).

هذا هو منهج القرآن فى القص، وتسجيل هذا الانفعال إذ حدث من نبى أو غير نبى.

إذن، لو كان هذا الانفعال قد حدث فعلا من زكريا - عليه السلام - لحرص القرآن على ذكره، وفاء بمنهجه المطرد الذى أشرنا إليه فى القص عن إبراهيم، وموسى، -عليهما السلام- وفى القص عن مريم البتول- رضى الله عنها-.

فسكوت القرآن عن نسبة الخوف والاضطراب إلى زكريا يعد تصويبا لما ورد فى الإنجيل.

وحتى لو لم نعتبر هذه الملاحظات تصويبا لأخطاء، بل مجرد اختلافات بين الإنجيل والقرآن، فإن هذا لا يؤثر على ما أردناه منها فى حسم دعوى (الإنجيل مصدر للقرآن).

بيان ذلك

أن دعوى مصدرية الإنجيل للقرآن لا تثبت عقلا ولا نقلا ولا واقعا.

فبالنسبة للجديد الذى فى القرآن ما كان فى قدرته الإتيان به مع خلو الإنجيل منه.

وبالنسبة للاختلافات الخمسة، أو التصويبات من أين كان للقرآن أن يأتى بها، وأصله الذى اقتبس منه لا يسمح له بهذا الخروج؟

هل يقبل العقل أن نهرا لا يحتوى إلا على نصف مليار متر مكعب من الماء يتفرع عنه نهر يحتوى على مليارى متر مكعب من الماء الصافى؟.

إن صح هذا فى العقل صح أن الإنجيل مصدر للقرآن وإذا لم يصح هذا لم يصح أن الإنجيل وحده أو التوراة وحدها أو هما معا مصدر للقرآن، لا فى كمية المعلومات، ولا فى نوعها، وهذا هو المصير المحتوم فى حسم هذه الدعوى، لأن للقرآن مصدراً إلهياً غير التوراة والأناجيل، وفاقد الشىء لا يعطيه.

---

(٢) طه (٦٧).
(٣) طه (١٩ : ٢١).
(٤) النمل (١٠).
(٥) القصص (٣١).
(٦) الحجر (٥٢، ٥٣).
(٧) مريم (١٨).

الموقف الإسلامى من الحضارات غير الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

من القضايا الفكرية التى يحتدم من حولها الجدل، فى حياتنا الفكرية المعاصرة، قضية: علاقة «الأنا: الحضارية» بـ«الآخر الحضارى».. وعلى وجه التحديد، بـ«الآخر الحضارى» المهيمن عالميا، وهو الحضارة الغربية!.. وفى اعتقادى أن الرؤية الإسلامية لهذه القضية هى من البساطة والتميز والموضوعية، إلى الحد الذى لابد وأن تحسم حسما نهائيا، شريطة أن تفهم عناصر هذه الرؤية الإسلامية فهما جيدا.. وهى العناصر التى نوجزها فى هذه النقاط:

● إن الإسلام ينظر إلى البشر أجمعين باعتبارهم: «وحدة واحدة متساوية فى الخلق لله الخالق الواحد».. وباعتبارهم فى ذات الوقت: «متعددين فى الروابط والجامعات».. وهذه «الوحدة فى الخلق» مع «التعددية فى الجامعات» هما موطن الإشارة فى الآية الكريمة:

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(1).

فالاشتراك والوحدة فى الخلق، وفى الإنسانية، يزامله التعدد والتمايز إلى شعوب وقبائل وأقوام.. بل إن القرآن الكريم

(1) الحجرات: ١٣.

يتحدث عن هذه التعددية باعتبارها آية من آيات الله – سبحانه – وسنة من سننه فى خلقه، فيقول:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾(٢).

وفى الدين أيضا، يؤكد الإسلام على «وحدة البشرية فى دين الله الواحد»، أزلا وأبدا.. مع «تعدد الشرائع بتعدد أمم الرسالات الدينية». أزلا وأبدا كذلك.. فالقرآن الكريم قد نزل:

﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

و ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ ﴾(٤)..

والرسول ﷺ كذلك:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ ﴾(٥).

والله – سبحانه وتعالى – يتحدث إلى رسوله فيقول له:

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٦).

ومع هذه «الوحدة فى الدين» كانت «التعددية فى الشرائع» لدى أمم الرسالات.. فالبعثة المحمدية قد تميزت بالشريعة الخاتمة:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٧).

وكذلك كان حال الأمم السابقة فاليهود

﴿ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾(٨)..

﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾(٩)

وكذلك حال النصارى مع الإنجيل:

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ ﴾(١٠).

ثم كانت الشريعة الخاتمة: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾

ثم تمضى الآية لتقرر أزلية وأبدية هذه السنة الإلهية فى تعدد الشرائع بتعدد أمم الرسالات. فتقول:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(١١).

---

(٢) الروم: ٢٢. (٣) البقرة: ٩٧. (٤) البقرة: ٩١.
(٥) آل عمران: ٨١. (٦) آل عمران: ٨٤. (٧) الجاثية: ١٨.
(٨) المائدة: ٤٣. (٩) المائدة: ٤٤. (١٠) المائدة: ٤٧.
(١١) المائدة: ٤٨.

ففى الدين: وحدة الرسل والرسالات، ووحدة أمم هذه الرسالات.. وفى الشريعة: تعددية تتمايز فيها وبها أمم الرسالات.. للابتلاء والاختبار والتنافس واستباق الخيرات.. ولقد وقف مفسروا القرآن الكريم أمام هذه الآيات فقالوا: «إن الشِّرعة والشريعة: هى الطريقة الظاهرة التى يتوصل بها إلى النجاة.. والمعنى: أن الله جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا فى الشرائع والعبادات. والأصل: التوحيد، لا خلاف فيه..

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾:

أى لجعل شريعتكم واحدة..

﴿ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾..

أى ولكن جعل شرائعكم مختلفة ليختبركم، والابتلاء: الاختبار»[(١٢)].

وعن هذه الحقيقة، التى أفاض القرآن فى تقريرها وفى الإفصاح عنها – حقيقة: الوحدة فى الدين مع التعددية فى الشرائع – يعبر الحديث النبوى هذا التعبير الجميل، عندما يقول صلوات الله وسلامه عليه: «الأنبياء: إخوة من علات – [أى من أب واحد] – وأمهاتهم شتى. ودينهم واحد..»[(١٣)].

فكما توحد الناس ويتوحدون فى الخلق والإنسانية، مع التعددية فى الأقوام والشعوب والقبائل والألوان واللغات.. كذلك قد اتحدوا فى الدين، وتعددت أمم الرسالات فى الشرائع التى شرعها الله.. فالوحدة.. مع التعددية هى سنة الله، التى تلتزمها الرؤية الإسلامية فى هذا الميدان..

● وكذلك الحال فى ميدان الحضارات.. فعلى مر التاريخ عرفت البشرية التعددية فى الحضارات، مع الالتقاء والتبادل والتفاعل فيما هو مشترك إنسانى عام بين هذه الحضارات.. فمع الخصوصيات الحضارية، التى تتميز بها كل حضارة عن غيرها، هناك ما هو مشترك إنسانى عام بينها جميعا، وخاصة فى المعارف والعلوم التى تشترك فى ثبات الموضوع ووحدة المناهج والحقائق والقوانين.

فالعلاقة بين «الأنا: الحضارية» وبين «الآخر: الحضارى» يجب أن يحكمها هذا القانون.. التفاعل والتبادل الحضارى، لا التبعية –بزعم الوحدة الحضارية – ولا الانغلاق والعزلة – بزعم الاختلاف الكامل والكلى – .. فكما أن التعددية فى الأمم هى سنة من سنن الله فى الخلق، كذلك التعددية فى الحضارات لأن هذا التمايز الحضارى هو واحد من أهم أسباب هذه التعددية بين الأمم.. وكما أن «التعارف».. الذى أمرنا الله به ليكون طابع العلاقات بين الأمم والشعوب.. يقتضى العدول عن القطيعة، ورفض «الصراع»..

---

(١٢)القرطبى [الجامع لأحكام القرآن] جـ٦ ص٢١١ طبعة دار الكتب المصرية.

(١٣) رواه البخارى ومسلم.

فكذلك «الاختلاف».. الذى جعله الله سنة ومظهرا للتعددية، يقتضى رفض «التبعية» أو «الهيمنة» بزعم وحدة الحضارة للبشر أجمعين

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(١٤).

ولقد قال المفسرون لقوله تعالى:

﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾: إن معناها: «وللاختلاف خلقهم»(١٥)!.. ففى الاختلاف والتمايز: التنوع، والغنى، والتنافس فى استباق الخيرات..

وهنا.. لسائل أن يسأل: إذا كانت الرؤية الإسلامية مع «التعددية الحضارية» كسنة من سنن الله فى تعدد الأمم التى تتمايز بتمايز الحضارات.. ومع التبادل والتفاعل الحضارى فيما هو مشترك إنسانى عام بينها، امتثالا لأمر الله وحكمته أن يكون التعارف هو رباط وسمة العلاقات بين أمم الحضارات المتعددة.. إذا كانت هذه هى رؤية الإسلام لهذه القضية، فما الموقف إزاء علاقة «النفى والصراع التى مارستها وتمارسها الحضارة الغربية مع وبإزاء غيرها من الحضارات والمواريث الحضارية التى وجدتها لدى الأمم التى اتصلت بها أوغزت بلادها منذ الزحف الاستعمارى الكبير الذى شنه على العالم قبل قرنين من الزمان؟!..

هنا، وفى الإجابة على هذا السؤال، لابد من التنبيه على رفض الإسلام أن يكون «النفى والصراع» هو طابع العلاقة مع «الغير».. فالإيمان بالتعددية يقتضى الإيمان بحق الغير فى الوجود المتميز، حتى تكون هناك تعددية حقيقية.. ولهذه الحكمة كان «التوازن» بين الفرقاء المتميزين هو مذهب الإسلام فى العلاقة بين الطبقات والجماعات داخل الأمة الواحدة، وبين الأمة وغيرها من الأمم الأخرى.. وهذا «التوازن» يفترض، بل ويشترط كى يقوم وجود «فرقاء» متمايزين ومختلفين.. أما «الصراع» فإنه يعنى ابتغاء «نفى» الآخر، والانفراد والواحدية دون شريك!..

ولأن هذه هى فلسفة الإسلام فى العلاقة بالآخر، كان استخدام القرآن الكريم لمصطلح «الدفع» عندما تدعو الحاجة، بسبب اختلال توازن العلاقات مع الأغيار، وحلول «الخلل» محل «التوازن» وسيادة «الظلم» بدلا من «العدل» وقيام «الجور» بدلا من «الوسطية».. هنا يكون «الدفع»، أى الحركة الاجتماعية التى تبتغى إعادة العلاقات إلى مستوى ولحظة ومقام «التوازن» ثانية، مع الاحتفاظ بالتعددية والتمايز للفرقاء المختلفين.. هنا يكون «الدفع» ولا يكون «الصراع»، لأن الصراع يقتضى نفى الآخر، بصرعه، وإنهاء وجوده، والانفراد والواحدية.. فهو ضد فلسفة التعددية وضد شرعية ومشروعية تمايز الفرقاء المختلفين.. ففى «الصراع»..

﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾(١٦)

(١٤) هود: ١١٨، ١١٩.

(١٥) [الجامع لأحكام القرآن] جـ٩ ص١١٤، ١١٥.

(١٦) الحاقة: ٧.

أما فى «الدفع» فإن الغاية مختلفة:

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾(١٧).

فـإذا كـانت الحضـارة الغـربيـة قد تبنت واعـتـمـدت فلسـفـة «الصـراع» فـرأتـه قـانـون العـلاقـة فى الأحـيـاء - صـراع البـقـاء فى الدارونية - وفى الاجتماع - الصراع الطبقى فى الماركسيـة.. وفى العلاقة مع الحضارات الأخرى - المسخ والنسخ والتشويه لمواريث الأمم التى أصـابهـا الاسـتـعـمـار والهـيـمنة الغربية.. إذا كان هذا هو طابع العلاقة، كما فرضتها الحضارة الغربية علينا.. فهو كالقتال الذى فُرض علينا.. وهو كره لنا!- وعسى أن تكون الثمرة، ثمرة هذا الصراع الذى فرض علينا، شحذ الهمة فى معركة التجديد للفكر الإسـلامى، إخـراجـا له من أزمـتـه المعاصرة، وتجديدا لواقع الأمة به، لا لننفى «الآخر الحضارى» وإنما لنقسره غدا، كما قسره أسلافنا بالأمس، على التخلى عن طموح الهيمنة الحضارية، وعلى القبول بالتعددية، ليصبح الكوكب الذى نعيش عليه «منتدى حضارات» تتفاعل وتتبادل العلم النافع، وتحتفظ كل منها بما لها من خصوصيات.. مثلها كمثل الإنسان الراشد المستقل، يصافح الجميع، دون أن يفقد بصمته وهويته التى تميزه عن الجميع!..

إننا نرى الآن قضية علاقة «الأنا: الحضارية» بـ«الآخر: الحضارى»، واحدة من قضايا «أزمة الفكر» الإسلامى المعاصر.. بينما هذه القضية لم تكن بالأمس - عندما قامت علاقة أسلافنا العظام بالحضارات الأخرى، هندية وفارسية وإغريقية.. لم تكن من قضايا «الأزمة».. بل كانت من سمات «الصحة» ومظاهر «النهضة»؟!.. وما كان هذا الفارق بين حال ذات القضية اليوم عنها بالأمس إلا من الفارق بين حالنا اليوم وحال أسلافنا بالأمس.. لقد تفاعلوا مع «الآخر الحضارى» من موقع القوى الراشد المستقل، فكانت «لمعدتهم الحضارى».. إن جاز التعبير - القدرة على التمييز بين الصالح والفاسد، بين النافع والضار، بين الملائم وغير الملائم فى مواريث الآخرين.. فلم تكن فى العلاقة «قضية مشكلة على الإطلاق!.. أما نحن، فإننا نتعامل من موقع الضعيف المهزوم، الذى تحالفت عليه تحديات: التخلف الموروث.. وتحديات: الاستلاب الحضارى الوافد فى ركاب الغزاة!..

وليس كالتجديد للفكر الإسلامى بابا يدخل منه العقل المسلم إلى عالم النهضة - له ولأمته - من جديد، فيتجاوز هذه المآزق ويحل هذه المشكلات.

---

(١٧) فصلت: ٣٤.

الإسلام ومشكلة الفقر

للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى (*)

تمهيد:

١- مشكلة الفقر وإن كانت قديمة، لازمت الإنسانية منذ فجر التاريخ، إلا أننا لم نشعر بوطأتها إلا تدريجيا بتزايد حاجات الإنسان تبعا لدرجة تطوره وتقدمه. فالإنسان الأول، بالرغم من قلة موارده، لم يكن يشعر بوطأة الفقر لقلة حاجاته وتطلعاته الاستهلاكية.

٢- ولقد بلغت مشكلة الفقر ذروة حدتها متأخرا فى عصرنا الحالى، وذلك بحكم سهولة اتصال الناس بعضهم ببعض وظهور الفوارق مع ازدياد الوعى الاجتماعى. فالفلاح فى القرية ذات الاقتصاد المغلق لم يكن يشعر بفقره إلا حين اتصاله بعالم المدينة، ومجتمع كاليمن قبل انفتاحه على العالم الخارجى لم يكن فى عزلته يشعر بفقره أو تخلفه الشديد.

٣- وعليه فإن مشكلة الفقر نسبية، تختلف باختلاف الزمان والمكان. فلاشك أن فقير العصر الحاضر يعتبر غنيا بالنسبة إلى إنسان العصور القديمة، كما أن متوسط الحال اليوم فى مصر أو الهند يعتبر فقيرا بالنسبة لمتوسط الحال الأمريكى أو الأوروبى.

(*) أستاذ الاقتصاد الإسلامى وعضو مجمع البحوث الإسلامية.

أولاً: حقيقة مشكلة الفقر

١- في الفكر الاقتصادى التقليدى، تتمثل مشكلة الفقر فى عدم توافر المستوى الأدنى للمعيشة، وهو ما يعبر عنه أصحاب هذا الفكر بمصطلح «حد الكفاف Minimum Vital» مما يتعلق بمتطلبات البقاء، بمعنى أن الفرد يعد فقيراً عندما لا تتوافر له متطلباته بالقدر الذى يحفظ له حياته وقدراته على العمل والإنتاج.

وفى الفكر الاقتصادى الإسلامى، تتمثل المشكلة فى عدم توافر المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان والمكان وبحسب عمل ومسئولية الفرد، وهو ما عبر عنه فقهاء الشريعة القدامى بمصطلح «حد الكافية M.D'Aisance» مما يتعلق بمتطلبات الحياة الكريمة، وأحيانا بمصطلح «حد الغنى M.DE Richesse» بمعنى أن يعد الفرد فقيرا متى لم تتوافر له متطلباته بالقدر الذى يجعله فى بحبوحة من العيش وفى غنى عن غيره.

ونخلص من ذلك إلى حقيقة هامة، وهى أن التصور الإسلامى للمشكلة الاقتصادية أى مشكلة الفقر، لم يرتبط منذ البداية بهدف توفير الضرورات الأساسية للمعيشة، وإنما بهدف رفع مستوى المعيشة وتحسينه، وهو ما انتهى إليه أخيرا الفكر الاقتصادى الحديث بعد أربعة عشر قرنا معبرا عنه بمصطلح «الرفاهية الاقتصادية» أو «الرخاء المادى».

٢- من ذلك يتبين أن الفقير فى الإسلام فردا كان أو دولة، هو من يعيش فى مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشى السائد فى المجتمع المحلى أو العالمى المتقدم.

ويترتب على ذلك أن المشكلة الاقتصادية فى نظر الإسلام، هى على المستوى المحلى تكمن أساسا فى اختلال التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع، وهى على المستوى العالمى تكمن فى الهوة المتزايدة بين الدول النامية والدول المتقدمة. وهو الأمر الذى سبق به الإسلام كل تفكير متقدم، حيث لا يستهدف اليوم أى تغيير أو إصلاح أو أى نظام اقتصادى جديد، سوى - أساسا - تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع على المستوى المحلى، وتحقيق التوازن الاقتصادى بين دول العالم على المستوى العالمى. الأمر الذى نبه إليه الإسلام منذ أربعة عشر قرنا بقوله تعالى:

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾(١).

بمعنى ألا يكون المال متداولا بين فئة قليلة تستأثر به دون غيرها، سواء على مستوى أفراد المجتمع أو دول العالم، بل يجب أن يعم الخير الجميع.

وخلاصة القول أن الفقير فى الإسلام، فردا كان أم دولة، هو من لا يتوافر له المستوى اللائق للمعيشة بحسب الزمان والمكان وهو باصطلاح الفكر الاقتصادى الإسلامى، من لا يتوافر له «حد الكفاية» أو «حد الغنى» لا مجرد «حد الكفاف».

(١) الحشر (٧).

٣- ومصطلح «حد الكفاية» أو «حد الغنى»، وإن لم يرد صراحة فى أحد نصوص القرآن أو السنة، إلا أنه يستفاد من روح هذه النصوص.

وقد ورد صراحة فى تعبيرات أئمة الإسلام، خاصة فى مختلف كتب الفقه القديمة بمناسبة بحث الزكاة التى هى بالتعبير الحديث مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الإسلام، والتى انفرد بإنشائها منذ أربعة عشر قرنا لمواجهة حالات الفقر والحاجة. فيقول الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: «إذا أعطيتم فاغنوا»، ويقول الخليفة الرابع على بن أبى طالب - كرم الله وجهه -: «إن الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم». ويقول الإمام السرخسى فى الجزء الثالث من كتابه المبسوط ص١٨: «وعلى الإمام أن يتق الله فى صرف الأموال، فلا يدع فقيرا إلا أعطاه من الصدقات - أى فرع الزكاة ببيت المال - حتى يغنيه وعياله، وإن احتاج بعض المسلمين وليس فى بيت المال من الصدقات شىء أعطى الإمام ما يكفيهم من بيت المال - أى الموارد الأخرى ببيت المال كالغنائم والخراج» ويقول الإمام الشاطبى فى الجزء الأول من كتابه الموافقات ص١٠٤: «الكفاية تختلف باختلاف الساعات والأحوال ... وإن صيانة النفس فى كفايتها».

ولقد اعتبر الإسلام ضمان حد الكفاية، هو حق إلهى مقدس لكل فرد كإنسان، أيا كانت ديانته وأيا كانت جنسيته، ما دام ذلك الفرد موجودا فى مجتمع إسلامى. وكلنا يذكر قصة الخليفة عمر بن الخطاب مع المتسول العجوز اليهودى، حيث قرر له راتبا شهريا من صدقات بيت المال، مفسرا آية الزكاة:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾(٢).

على أن المساكين هم فقراء أهل الكتاب. وعليه فإن ضمان حد الكفاية، هو فى الإسلام حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق، وفى إنكاره أو إغفاله إنكار وتكذيب للدين والإسلام ذاته بقوله تعالى:

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾(٣).

بل هو قرين الكفر بالله - تعالى - وموجب لسخطه وعذابه بقوله - تعالى -:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾(٤).

وقد ورد عن الرسول ﷺ قوله: «اللهم أعوذ بك من الكفر والفقر»(٥) قال رجل: أيعدلان، قال: «نعم». وجاء فى الأثر: «كاد الفقر أن يكون كفرا».

---

(٢) التوبة (٦٠).

(٣) الماعون (١:٣).

(٤) الحاقة (٣٠:٣٤).

(٥) مسند ابن عدى ١٨١٩/٥.

ثانياً: سبب مشكلة الفقر

١- فى الاقتصاد الرأسمالى: سبب المشكلة هم الفقراء أنفسهم سواء لكسلهم أو لسوء حظهم بشح الطبيعة أو قلة الموارد. فقضية الفقر هى أساسا قضية قلة إنتاج أو موارد.

وقد رتب على ذلك أن على الدولة أن تبيح الحرية المطلقة للجميع لينتجوا ويكسبوا ويغتنوا دون قيد أو شرط، وأن على من خانه الحظ أن يرضى بواقعه فهو نصيبه وقسم الله له.

وفى الاقتصاد الاشتراكى: سبب المشكلة هم الأغنياء أنفسهم باستئثارهم دون الأغلبية الكادحة بخبرات المجتمع، وبالتالى نشوء التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع. فقضية الفقر هى أساسا قضية سوء توزيع.

وقد رتب على ذلك نظرياته فى الصراع بين الطبقات، والتركيز على تغيير أشكال ووسائل الإنتاج بإلغاء الملكية الخاصة والقضاء على الأغنياء البورجوازيين بحسب تعبيراته.

وفى الاقتصاد الإسلامى: مرد المشكلة ليس الفقراء أو قلة الموارد، كما ذهب الفكر الاقتصادى الرأسمالى. كما أنه ليس سببها الأغنياء أو التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع، كما ذهب الفكر الاقتصادى الاشتراكى. وإنما مرد المشكلة هو:

أولاً: قصور الإنتاج بعدم استغلال الموارد الطبيعية لا قلة هذه الموارد، وهو ماعبرت عنه الآية الكريمة:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(٦).

وقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾(٧)

ثانياً: سوء التوزيع لا الملكية الخاصة ذاتها، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٨).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(٩).

٢- فمشكلة الفقر فى الاقتصاد الإسلامى، مردها الإنسان ذاته وفساد نظامه الاقتصادى، سواء من حيث ضعف الإنتاج أو سوء التوزيع. فهى ذات صفة مزدوجة أو هى كالعملة الواحدة ذات وجهين أولهما يتعلق بوفرة الإنتاج. وثانيهما يتعلق بعدالة التوزيع، بحيث لا يغنى أحدهما عن الآخر. ذلك أن وفرة الإنتاج مع سوء

(٦) ابراهيم (٣٤).

(٧) لقمان (٢٠).

(٨) ياسين (٤٧).

(٩) الاعراف (٩).

التـوزيع هى احـتكار واسـتـغـلال لا يسلم به الإسلام، كما أن عدالة التوزيع دون إنتاج كاف هى توزيع للفقر والبؤس مما يرفضه الإسلام.

على أن ذلك لا يمنع الباحث فى الاقتصاد الإسلامى من التركيز على أحد الوجهين بحسب ظروف بلده ومجتمعه. فيرى أن مشكلة الفقر فى إحدى الدول أو المجتمعات الإسلامية هى مشكلة إنتاج وتنمية أكثر منها مشكلة توزيع وعدالة، بينما يراها فى دولة أو مجتمع إسلامى آخر هى مشكلة توزيع وعدالة أكثر منها مشكلة إنتاج وتنمية. ولا يؤدى به ذلك إلى أن يكون متبعا - الفكر الاقتصادى الاشتراكى، ما دام لا يساير فى الأساس الفكرين الوضعيين فى تشخيص مشكلة الفقر، وبالتالى موقفه فى مواجهتها وحله لها.

٣- وثمة أمر هام يعتبره الإسلام فى تشخيصه لمشكلة الفقر، فهو لا يقف بالنسبة للفقراء موقف الأثرة واللامبالاة شأن الفكر الاقتصادى الرأسمالى، كما لا يقف بالنسبة للأغنياء موقف الكراهية وتغذية الصراع ضدهم شأن الفكر الاقتصادى الاشتراكى، وإنما هو يعمل على التقريب بين الفئتين عن طريق إحلال التعاون والتكامل بينهما لا التناقض والصراع.

ثم هو فى النهاية، وعلى خلاف المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية، لا يستهدف فى تعرضه لمشكلة الفقر الجانب المادى أو الاقتصادى فحسب، وإنما هو يستهدف أساسا الجانب الروحى أو الخلقى. فهو حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله، علل ذلك فى القرآن بقوله تعالى:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾(١٠).

وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه «السياسة الشرعية» ص٢٢: «إن الله تعالى خلق الأموال إعانة على عبادته، لأنه خلق الخلق لعبادته»، وكما يقول الإمام الشيبانى فى كتابه «الاكتساب فى الرزق المستطاب» ص١٤: «إن الله فرض على العباد الاكتساب بطلب المعاش، ليستعينوا به على طاعة الله».

ومن هنا حكم الإسلام بأن الكفاية أو التقدم المادى وحده لا يفيد، كما أن العبادة والتقدم الروحى وحده لا يكفى. وكما نرى ونلمس، لا قيمة لحضارة متقدمة أو تقنية متفوقة بدون مثل وارتباط بالله - تعالى - وخشيته، وإلا فإن هذه الحضارة وتلك «التكنولوجيا» ستصبح بدون صمام أمان، وبالتالى لابد وأن تطغى وتنتهى لتصبح عنصر فساد وتدمير، وهذا هو شأن الحضارة الغربية المتقدمة والتى نلخص معاناتها ومختلف مشكلاتها فى قوله تعالى:

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾(١١).

أو قوله تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾(١٢)

كذلك لا غنى لمثل طيبة وتطلعات تعبدية عن المادة وتوفير حد الكفاية وتعمير الكون، وإلا فإن

(١٠) قريش (٣:٤).
(١١) الحشر (١٩).
(١٢) التوبة (٦٧).

هذه المثل وتلك الروحانية ستصبح بدون عناصر بقائها واستمرارها، وبالتالى لابد أن تضعف وتضمر، وهذا هو شأن الشعوب الإسلامية اليوم التى نسيت قوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(١٣).

وصدق الله العظيم.

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(١٤).

ثالثاً: الحل الإسلامى لمشكلة الفقر

١- يبين مما تقدم أن الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، قد كشف لنا حقيقة مشكلة الفرد، وأنها تتمثل فى عدم توافر حد الكفاية لكل فرد حسب زمانه ومكانه، وليس مجرد حد الكفاف، فالقضية ليست درجات من الغنى أو الفقر، وإنما هى قضية إنسان له احتياجاته الأصلية أو متطلباته التى يتعين أولا وقبل كل شىء، إشباعها فى إطار يحافظ على إنسانيته وينميها، ليكون بحق خليفة الله فى أرضه بقوله - تعالى -:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(١٥).

وليكون صادقا فى عبادته، إذ كما عبر بحق المفكر الجزائرى مالك بن نبى ـ رحمه الله تعالى -: «كيف أصلى وأنا جائع؟».

كما كشف لنا الإسلام عن سبب المشكلة ومردها، وأن القضية ليست قضية ندرة موارد أو أشكال الإنتاج السائدة، وإنما هى بنص القرآن:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(١٦).

أى مردها سلوك الإنسان نفسه سواء بظلمه إزاء أخيه الإنسان، أو بكفرانه النعمة إزاء الموارد الطبيعية.

لذلك كان الحل الإسلامى هو ضمان حد الكفاية لكل فرد يوفره لنفسه ولمن يعولهم بعمله وجهده، فإن لم يستطع ذلك لسبب خارج عن إرادته، كمرض أو عجز أو شيخوخة أو تعطل، تكفلت له بذلك الدولة من مال مؤسسة الزكاة التى انفرد الإسلام بإنشائها منذ أربعة عشر قرنا ليحرر الإنسان من عبودية الفقر والحاجة، وليخلص فى عبادة الله وحده، ويكون بحق خليفته فى الأرض. بل لقد رفع الإسلام من أمر الزكاة إلى مرتبة العبادة، فجعل أداءها فى مرتبة أداء الصلاة. وأنه فى حالة إذا لم تكف موارد الزكاة، بحسب النسب المقررة لها، لسد حاجة الفقراء، فإنها تحصل على ما يلزمها من بيت المال أخذا من فضول الأغنياء.

٢- ولقد عالج الإسلام كفران النعمة بما وضعه للإنتاج من أحكام، كما كفل محو الظلم بما وضعه للتوزيع من تعاليم. وكان له فى ذلك حلوله الخاصة سواء بالنسبة للإنتاج أو بالنسبة للتوزيع، مما يميزه عن سائر المذاهب والنظم الوضعية، ونبينه فيما يلى:

---

(١٣) الأنفال (٦٠).
(١٥) البقرة (٣٠).
(١٤) الإسراء (٧٢).
(١٦) ابراهيم (٣٤).

(أ) بالنسبة للإنتاج: يدعو الإسلام إلى التعمير والتنمية الاقتصادية بقوله تعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[17].

أى كلفكم بعمارتها. ويعتبر العمل والإنتاج والتنمية من ضروب العبادة، بل هو بنص الأحاديث النبوية من أفضل صورها. ولقد سوى الله - تعالى - بين المجاهدين فى سبيل الله وبين الساعين على الرزق بقوله تعالى:

﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[18].

وبلغ حرص الإسلام على التنمية الاقتصادية وتعمير الدنيا أن قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة - أى شتلة - فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك أجر»[19]. وهو فى ذات الوقت ينذر بعذاب أليم الذين يكنزون المال أو يحبسونه عن الإنتاج والتداول، ويصف الكسالى والمستضعفين فى الأرض بأنهم ظالموا أنفسهم وإن مأواهم جهنم وبئس المصير.

كذلك يستلزم الإسلام تنويع الإنتاج بحيث يشبع كافة احتياجات المجتمع، وإن كانت بعض الأحاديث النبوية تعتبر الصناعة والتجارة من أطيب الكسب وأهم أوجه النشاط الاقتصادى.

وهو إذ يشجع الكسب الحلال ويمجد الاغتناء بالعمل وبذل الجهد، فإنه ينهى عن الإنتاج الضار كالخمور، أو الكسب على حساب الآخرين كالربا، أو استغلال ظروف الناس كالاحتكار.

(ب) بالنسبة للتوزيع: يقرر الإسلام ضمان حد الكفاية لكل فرد بإعتباره حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق، وبحيث لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر والحرمان، وإنما يبدأ الغنى والتفاوت فيه بعد إزالة الفقر والقضاء على الحرمان. ومع ذلك فإن هذا التفاوت ليس مطلقا، بل هو تفاوت منضبط بالقدر الذى لا يخل بتوازن المجتمع، وذلك عن طريق منع التبذير والحجر على السفيه بقوله تعالى:

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[20].

وعن طريق تحريم الترف واعتباره إجراما بقوله تعالى:

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾[21].

وكذا عن طريق اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع كلما افتقد أو اختل هذا التوازن إعمالاً لقوله تعالى:

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾

---

(17) هود (61).

(18) المزمل (20).

(19) مسند ابن عدى 6/2294.

(20) النساء (5).

(21) هود (116).

ولقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – سياسة الإسلام فى توزيع الثروة، وذلك فى عبارتين دقيقتين مشهورتين عنه:

أولاهما: قوله: «ما من أحد إلا وله فى هذا المال حق، الرجل وحاجته – أى كفايته – ثم الرجل وبلاؤه – أى عمله».

وأخراهما: قوله: «إنى حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا تآسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف).

ويذهب – رضى الله عنه – عام المجاعة سنة ١٨ هـ إلى أكثر من ذلك فيقول: «لو لم أجد للناس ما يسعهم إلا أن أدخل على كل بيت عدتهم – أى مثل عددهم، فيقاسموهم أنصاف بطونهم حتى يأتى الله بالحيا ـ أى المطر ـ لفعلت فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم.

«وفى آخر أيام حياته، حين بدأت تظهر طبقة من كبار الأثرياء فى شبه الجزيرة العربية وخارجها، ولم يمتد به الأجل ليواجهها بما عرف عنه من حسم حيث طعن تلك الطعنة التى قضى بها، نقل عنه كلمته المشهورة: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت، لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء»، وقوله: «والله لئن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس أعلاهم»، ولكن القدر لم يمهله وخلفه سيدنا عثمان بن عفان، – رضى الله عنه – ويلاحظ هنا دقة العبارة العمرية فهو يقول: «لأخذت فضول الأغنياء»، أى مازاد عن حاجتهم، ولم يقل «لأخذت أموال الأغنياء»، ذلك لأن الإسلام لا يقر مصادرة الملكية الخاصة. كما يقول «لألحقن أسفل الناس بأعلاهم» ولم يقل «لألحقن أعلى الناس بأسفلهم» ذلك لأن الإسلام يحرص على إغناء الفقير دون إفقار الغنى.

ومن هنا يجمع فقهاء الإسلام على اعتبار الحاكم آثما إذا لم يوفر حد الكفاية لكل فرد أخذا مما زاد عن حاجة الأغنياء لقوله تعالى:

﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾(٢٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾(٢٣).

فاستخدم الله – تعالى – مصطلح «حق» ولم يقل «إحسان أو تبرع» وقوله تعالى:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ ﴾(٢٤).

فلم يقل تعالى «ما اكتسبوا» وإنما فقط ﴿ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْ ﴾ إذا كانوا أفرادا، ونصيب مما أفاء الله عليهم دولا. ومن ثم جاء الحديث النبوى صريحا: «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»، ولا يفهم من ذلك نزع الملكية أو الاستيلاء على أموال الناس، وإنما فقط «أخذ الفضل من الغنى بقدر كفاية الفقير»، إذ لا

---

(٢٢) الذاريات (١٩).

(٢٣) المعارج (٢٤:٢٥).

(٢٤) النساء (٣٢).

يتصور الإسلام أن يبيت فرد أو دولة على شبع وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم. وصدق الخليفة عمر بن الخطاب بقوله: «إن الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ونوفر لهم أمنهم، فإن لم نفعل فلا طاعة لنا عليهم».

٣- وخلاصة القول إنه بحسب الإسلام، كل فرد اكتسب مالاً مشروعًا، أو كل دولة حباها الله بموارد وافرة، فإنه يكون لهذا الفرد وحده أو لتلك الدولة وحدها، السيادة على هذا المال أو تلك الموارد لا ينازعها فيها أحد بدعوى عدالة التوزيع.

إلا أنه مقابل ذلك، ولأن المال أصلا هو مال الله، والبشر - بنص القرآن - مستخلفون فيه ومسئولون عنه أمام الله، فإن يدهم على هذا المال أو الثروة هي يد أمانة، وملكيتهم لها هي مجرد وظيفة شرعية أو اجتماعية. ومن ثم فقد أوجب الله - تعالى - على كل فرد غنى، وبالمثل كل دولة غنية، التزامات معينة تتمثل فى تقديم ما يزيد على حاجة الفرد الغنى أو الدولة الغنية إلى الفرد أو الدولة المحتاجة، وذلك دون حدود سوى ما يسد أو يكفى هذا الفرد أو تلك الدولة المحتاجة على أن يبدأ بالأقرب فالأقرب، وكل ذلك إعمالا لقوله تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾(٢٥)

والعفو هنا هو الفضل، أى ما زاد على الحاجة، وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾(٢٦).

وقول الرسول ﷺ: «من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له» ويضيف الرواة أن الرسول ﷺ ذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا فى فضل.

ولقد صاغ الإمام الشافعى العلاقة بين الأغنياء والفقراء، أفرادا كانوا أو دولا فى عبارة دقيقة مشهورة عنه بقوله: «إن للفقراء أحقية استحقاق فى مال الغنى، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير». بينما ذهب الفقيه أحمد ابن على الدلجى فى ص ١٦ من كتابه «الفلاكة والمفلوكون» أى الفقر والفقراء إلى القول: «أن من حق المحروم أن يرى النعم التى بأيدى الناس مغصوبة، والمالك المستحق يطالب باسترداد ماله من أيدى الغاصبين». ومن قبلها صرخ الصحابى أبو ذر الغفارى قائلا: «عجبت لمن لا يجد قوت يومه، كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه».

هذا هو موقف الإسلام بالنسبة لأكبر مشكلة أو أكبر تحد يواجه دائما الإنسانية عبر مسارها وتاريخها الطويل.. بل هذا هو حق الإنسان فى الإسلام، الذى أكده منذ أربعة عشر قرنا، من حيث ضمان «حد الكفاية» لكل فرد، أيا كانت جنسيته أو ديانته، وذلك كحق إلهى مقدس يعلو فوق كل الحقوق، ولو أدى الأمر فى حالات الشح والندرة أو المجاعة، وهى ظروف استثنائية، أن يتساوى الجميع فى حد الكفاف. فأين ذلك من العالم المتقدم اليوم؟؟!!.

نسأله تعالى السداد والتوفيق

---

(٢٥) البقرة (٢١٩).

(٢٦) البقرة (٢٣٧).

الحج منحة ربانية

لفضيلة الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

هذا الإنسان الذى استخلفه الله فى الأرض ليعمرها بالعبادة والعمل، العبادة للذى خلقه وسواه وكرمه وعدله فى أى صورة ما شاء ركبه، لم يخلقه مكبا على وجهه أو زاحفا على بطنه أو من ذوات الأربع، وإنما صوره منتصب القامة عالى الهامة، مزودا بالعقل مميزا به عن سائر المخلوقات التى طوعها لخدمته، تحمل أثقاله، يستخدمها فى زراعته وفى صناعته ومنها غذاؤه، وكساؤه.

ولقد أتم الله عليه نعمته فكلفه بالعبادات التى تهذب نفسه، وتنمى عقله وفكره، ويروض بها سلوكه ويقوم معوجه وتستديم بها المودة فى مجتمعه، فالعبادات التى شرعها الله للناس كان من أبرز أهدافها ترويض المسلمين على الاجتماع والتلاقى فى ظل الرحمن، تعويدا لهم على ضم الصفوف واتحاد الكلمة وتجاوز أسباب الخلف والاختلاف ونزوات التمزق والشقاق.

ومن هذه العبادات فريضة الحج:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(١).

هذه الفريضة تهدف إلى معان سامية، وتدعو إلى التقاء القلوب، واتحاد الأفئدة، وتوثيق الروابط وجمع كلمة المسلمين الذين يتوافدون من مشارق الأرض ومغاربها استجابة لأمر الله ونزولا على حكمه:

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾(٢).

وها هى وفود المسلمين تترى إلى بيت الله الحرام تجمعهم غاية واحدة ويسعون إلى هدف واحد عبادة الله سبحانه استجابة لدعوته، يسارعون إلى أداء المناسك متجردين من زينة الحياة الدنيا من فاخر الملابس وطيب الطعام ولذة الراحة، يرجون رحمة الله، إنهم جاءوا شعثا غبرا يبسطون أيديهم وأرديتهم على عرفات داعين تلهج ألسنتهم بالذكر وقلوبهم مليئة بالشكر لله، الذى أنعم عليهم بأداء هذه الفريضة وزيارة بيته الحرام، يعلمون أن فى الحج حرمتين: حرمة الزمان، وحرمة المكان، وبهما يقوى شعور المسلم بحرمة هذا الركن من أركان الإسلام: الحج، فيصبح المسلم ويمسى مرهف الحس قوى النفس، كأنما يتحرك بين يدى ربه، أنى رحل كان فى طاعة، يحاذر أن يعصى وهو فى الحرم وفى الأشهر الحرم:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾(٣).

وحرمة المكان:

﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾(٤).

لما كانت هذه الفريضة تؤدى فى زمان له حرمة ومكان له حرمة كانت المعصية فيها أغلظ وأشد، بل لقد ذهب فريق من العلماء إلى أن مجرد إرادة المعصية فى هذه الرحلة الربانية أغلظ وأشد منها إذا وقعت فى غير هذا المكان وذات الزمان يقول الله سبحانه:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٥)

فهل رأت الدنيا أمانا فى الزمان والمكان وتدريبا عمليا على الاستقامة كهذا الذى صنعه الإسلام فى فريضة الحج.

فى الحج استشعار القلوب الطمأنينة والصفاء والنقاء والتخلى عن الحقد والبغض والحسد لأنها

---

(١) آل عمران (٩٧).

(٢) الحج (٢٧، ٢٨).

(٣) التوبة (٣٦).

(٤) النمل (٩١، ٩٢).

(٥) الحج (٢٥).

قد اجتمعت لعبادة جماعية فى مؤتمر عام يتساوى فيه الحجاج فى لباسهم وطوافهم وسعيهم وتجمعاتهم وابتهالاتهم وخشوعهم وخضوعهم ودعائهم لربهم. والله أكرم من أن يردهم خائبين.

روى ابن ماجه بسنده أن رسول الله ـ ﷺ قال ـ:

(الحجاج والعمار وفد الله ـ عز وجل ـ وزواره، إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعوا شفعوا)[٦].

ويقول الله ـ سبحانه ـ:

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[٧].

أليس الحج بهذا وغيره من المقاصد والأهداف منحة ربانية ومدرسة روحانية تصفو فيها القلوب وتتخلص من أدران الحياة؟

وأليس الحجاج وفود الرحمن يتعاونون على البر والطاعة ويتعارفون، ويتوادون ويتحابون مع بعد الأوطان واختلاف الألوان واللغات.

أليس الحج موسما لتنمية الصلات وتوثيق الروابط بين شعوب المسلمين وفيه مصلحة للفرد ولجماعة المسلمين؟ هلا أخذ المسلمون من هذه الفريضة ما ترمز إليه فى مناسكها؟ فالإحرام واللباس والتحركات الواحدة يعنى كل هذا وحدة المصير للأمة، والطواف حول الكعبة يعنى إلغاء كل ما يكون من محاور وجماعات وتوجهات والعكوف على محور واحد هو شرع الله رب البيت الذى شرع الطواف حوله، كما شرع التوجه إليه فى الصلاة قبلة لكافة المسلمين توحيدا وتلاقيا على موقع واحد من أهل ملة الإسلام كما اتحدت عقيدتهم وأقوالهم وأفعالهم أثناء عبادة الصلاة وتلك ميزتهم عمن سواهم.

إن من مقاصد الحج وأهدافه تحقيق الوجود الإسلامى الموحد وإظهار قوة المسلمين، فهل لهم أن يستفيدوا من هذه العبادة فى مواجهة ما أحاط بهم وأن يكونوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص: اللهم اهد المسلمين إلى صراطك المستقيم واجمع كلمتهم وكن لهم ولا تكن عليهم فضلا منك ورحمة وانفع الأمة بهذه الدورة التدريبية فى الحج لتجتمع كلمتها ويشتد ساعدها وتسارع إلى ضبط النفس وتتسلح بالصبر وبالعفو حتى تواجه ما حاق بها فى هذا العصر وتجمعاته المناوئه لهذه الأمة.

إن الحج فريضة يؤاخذ الله فيها بمجرد: الهم:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: (لو أن رجلا بعدن هم بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله عذابا أليما).

فكونوا أيها الحجاج على حذر من أية خطيئة وعليكم أن تتوخوا الطاعة ولاء لهذا البيت وحفاظا على ما أنعم الله به عليكم.

ففى الحج منافع ليست مقروءة فى كتاب ولكنها ممارسة فى واقع العمل الصالح الذى تهدونه إلى هذا المقام، وليست المنافع دينية فحسب ولكنها شاملة للدين وللدنيا رحمة من الله وتوسعة على عباده.

---

(٦) أخرجه ابن ماجه.

(٧) الحج (٣٢).

وفى قول الله ـ سبحانه ـ:

﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ فقه التدريب على الأعمال ووجوبه ضمانا لإحسانها وأدائها على وجهها سواء كانت للدين أو الدنيا. ولعلنا فى هذا نذكر من الآثار الكريمة للتدريب. (صلوا كما رأيتمونى أصلى)[8] وفى الحج: (خذوا عنى مناسككم)[9].

مسارات السلوك فى الحج

فى موسم الحج ينبغى أن نتذاكر أدب السلوك السوى الذى شرعه الله ودعا إليه حتى يستقيم أمر المسلمين.

وللسلوك القويم مسارات تدعو بذاتها روادها إلى دروبها المعبدة الموصلة إلى رضا الله ونوال الحسنيين، الاستقامة فى الدين والدنيا وفى إيجاز نرتاد بعض هذه المسارات.

فهذا الأمن المكانى للحج هبة من الله ومنحة لزواربيته يشير إليه قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة البقرة:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[10].

هذا الأمن أساس للاستقرار النفسى وقاعدة للاستمرار فى العبادة وتجويدها بالإخلاص والإنابة، وقد ارتبطت العقيدة بالمكان:

﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[11].

وأول مسارات السلوك ذلك الإحرام ومحظوراته حيث به يتغير ما اعتاده المسلم والمسلمة فى حياته اليومية من لباس ورياش وأحاديث إلى تجرد من ذلك كله وتسربل بسواتر للجسد خلصت من المخيط ومن كل ما يصنعه الإنسان من تجميل وزينة.

إن المسلم حين يتجرد مما اعتاده يكون قد انخلع جسدا ونفسا، ظاهرا وباطنا مما ارتبط به فى حياته اليومية من الشواغل البدنية والنفسية وتفرغ لهذه العبادة: الحج ومناسكه، ها هو يلبى، يكبر ويهلل، ها هو يتلو القرآن ويعرض نفسه وأعماله وسلوكه على آياته حتى يستبين درجته فى الطاعة لله.

ها هو يقاوم نزوات النفس ونزغات الشيطان، فيمسك اللسان عما حرم الله ويغض البصر امتثالا لأمر الله، ويملأ البصر والبصيرة بحرم الله، ها هو المسلم المحرم قد نسى أو تشاغل بحاضره مع ربه عما انشغل به من مال وولد، فحصر فكره وجهده وحاسب نفسه حتى لا يقع فى محظور أو يأتى عملا منكورا، إنه قد استمع إلى قول الله ـ سبحانه ـ:

﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[12].

فاستقرت نفسه بين جنبيه، فقد ضمن الله زاده وريه وطهوره، فما عليه إلا أن ينصرف إلى هذه المهمة: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾.

---

(٨) أخرجه البخارى.

(٩) أخرجه أحمد ومسلم والنسائى.

(١٠) البقرة (١٢٥).

(١١) البقرة (١٢٥).

(١٢) قريش (٤).

إحرام متواصل يذكر الإنسان بمآله، فيخشع منه القلب ويقشعر البدن، وتنصهر الذنوب وتمحى، ويتخلص من عقدة الخطايا والذنوب والآثام: (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)(١٣).

إن الإحرام وما يتبعه من انصهار وإخلاص وانصراف إلى العبادة كل العبادة مسار مستقيم نحو الأمن النفسي للفرد المسلم الذي ارتحل مهاجرا إلى الله مستجيبا دعوته:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾

هذه الهجرة إلى الله تتوافر بها كل مقومات الأمان لنفس المسلم واطمئنانه حيث يتخلص من القلق والتوتر الذي عجزت عن معالجته ووقف آثاره، اجتهادات العلم المعاصر وعقاقيره، ولكنه الله الذي خلق فسوى شرع هذا الحج عبادة ورياضة جسدية ونفسية قوامها النية: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..)(١٤) والإخلاص والتجرد لهذه العبادة.

ثم هذه الأخوة الإسلامية التي تتجلى في هذه الجموع التي حشدت ليوم الحج الأكبر من الذي ناداها؟ ومن الذي هداها؟ ومن الذي حركها من مأواها هذه الحشود المختلفة لونا ولسانا ولكنها تنشد رضا الله الواحد الأحد الذي

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾(١٥).

إنها قد استمرأت وعورة الطريق مهما كانت الوسيلة، وتعالت كل العوائق والموانع لتنعم بالمثول بين يدي الله في حرمه تطوف وتسعى كما أمر، وتلبي وتكبر وتهلل تخلصا مما ران على القلوب من قسوة الحياة ومتاعبها، وإخلاصا لله ولدينه، وشكرا وحمدا له سبحانه على هدايته إلى أداء هذه الفريضة ـ الحج ـ.

إن السلوك في الحج هو الثمرة الطيبة لهذه العبادة، إذ السلوك القويم ما هو إلا تلك المعاني السامية التي ينبغي أن تظهر باعتبارها المقاصد العظمى لهذه الشعيرة والتي رغب الرسول ﷺ في الحرص عليها والبعد عن خبائث السلوك ذلك قوله ﷺ: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)(١٦).

وهذا مصداق قول الله ـ سبحانه ـ:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(١٧).

ذلك تأصيل من الله ورسوله لمسارات السلوك السوي في الحج ومن مقتضى هذا أن يباعد الحجيج بين أنفسهم وبين الرفث والفسوق والجدال في مسالك هذه العبادة، إذ كل أولئك

---

(١٣) أخرجه أحمد والبخاري.

(١٤) متفق عليه.

(١٥) الإخلاص (٣، ٤).

(١٦) أخرجه أحمد والبخاري والنسائي.

(١٧) البقرة (١٩٧).

من مدمرات مهلكات، مثيرات لنوازع الشرور التى غاضت حين تنادت الأنفس المؤمنة إلى اللقاء فى حرم الله الآمن تعبده لا تشرك به أحدا، وفى رحابه تشعر بالأخوة وتصر على تقوية أو اصرها، ولا تبددها بالجدال وبالرفث وبالفسوق.

إن مسارات السلوك فى الحج إذا استقامت على سنن الله ورسوله هديت إلى وعى أخلاقى سليم ليس فحسب فى مدة الحج وإنما صار هذا عرفا قويما وعادة مستقيمة وكسبا محمودا ثم تخليا عن منكرات السلوك التى لا يخلو منها مجتمع، فما بالنا بمجتمع الحج الذى توافدت إليه أجناس متباينة العادات والأعراف وإن جمعها الإسلام فى صلاته وصيامه وزكاته وحجه وفى ظل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

إن هذا الجمع - ولا شك جاء مهاجرا إلى الله وفى مرضاته - ينأى عن كل قبيح من الفعال والأقوال، وهو بهذا ينكر على أولئك الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا؟ فينكر المزاحمة فى هذه البقاع المقدسة، تلك المزاحمة المتعمدة من قبل البعض الذى لا يبالى بما يلحق الآخرين من أذى وضرر لاسيما الضعفاء كالنساء والأولاد والمسنين، وقد تحتمل المزاحمة القردية، لأن آثارها محدودة ولكن المزاحمة الجماعية التى تقوم بها بعض الجماعات باندفاع رهيب مؤذ وغير متناسب مع جلال المكان والزمان والعبادة:

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾

وأى فسوق بعد هذا التدافع بالمناكب الذى يتنافى مع ما يجب أن يكون عليه الحجيج من خشوع وخضوع وذكر وحمد وشكر، إذ هم فى الطواف وفى السعى، وفى الرمى فى عبادات ومناسك كالشأن فى الصلاة..

إن المسلم حين أحرم بالحج حرم على نفسه كل موبقة تعود به إلى ما قبل الإحرام فليتعاون الحجاج جميعا على أداء هذه المناسك وهم رحماء متراحمون وليعملوا بقول الرسول ﷺ (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من السماء)[١٨] وقوله ﷺ: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف)[١٩].. وفى نهى الله ورسوله عن الرفث والفسوق والجدال فى الحج دعوة إلى الامتناع فى الحج عن مزاولة ما اعتاده الناس فى حياتهم اليومية من سباب وشتائم وتنابز بالألقاب مع من تعرف ومن لا تعرف، الأمر الذى يودى بالعلاقات الأخوية التى من مقاصد الحج التمكين لها بين المسلمين، وقد تكون الدواعى لهذه الآثام من توافه الأفعال وسواقط الأقوال.

فليأخذ الحجيج بآداب الإسلام وسلوكياته.

فلا سباب ولا شتائم فإن هذا من الفسوق كما جاء فى الحديث الشريف: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[٢٠].

ولا تنابز بالألقاب فقد اعتبره الله فى كتابه فسوقا:

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ ﴾[٢١].

---

(١٨) أخرجه أبو داود والترمذى.

(١٩) أخرجه البخارى فى الأدب.

(٢٠) أخرجه أحمد والترمذى والنسائى.

(٢١) الحجرات (١١).

ولا تحاسد ولا تباغض ولا تدابر ففى الحديث الشريف: (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا)[٢٢] ولا أنانية ولا شح بين المسلمين:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢٣].

ولا كذب ولاخداع ولاشهادة زور فإن كل أولئك مما حرمه الإسلام فكيف به بين المهاجرين إلى الله ورسوله فى رحلة الحج؟

إن وقت هذه الرحلة يجب أن يكون خالصا لله ـ سبحانه ـ يستثمر فى الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن وذكر الله والتقرب إليه، لاسيما والعبادة فى هذه الأماكن جزيلة العطاء من الله ـ سبحانه ـ فصلاة الجماعة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فى غيره وفى المسجد النبوى تعدل ألف صلاة فأين الحجاج من هذه الميزات والحرص عليها بدلا من اللغو والغيبة والنميمة، والسعى بالفساد فى الأرض:

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

ولعل من السلوك القويم أن يحرص الحجيج على طهارة أماكن الشعائر فإنها أماكن عبادة لا سيما وقد أمر الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ بتطهير البيت فقال:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[٢٤].

فكيف يقدم بعض الحجاج على تدنيس البيت وحرمه وسائر أماكن المناسك دون حياء من الله ولا من الناس

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[٢٥].

إن الإقدام على قضاء الحاجة والتبول فى تلك الأماكن وحولها بل وفى الشوارع والطرق العامة خروج وهتك لحرمات الله ونقض لأوامر رسول الله ﷺ فى آدابه ووصاياه لأمته فقد قال: «اتقوا اللاعنين» قالوا: «وما اللاعنان يا رسول الله» قال: «الذى يتخلى فى طريق الناس وفى ظلهم»[٢٦] وفى رواية اتقوا الملاعن الثلاثة: (البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل).

أليس هذا من سوء الفعال التى ينبغى ألا تصدر ممن أووا إلى حرم الله واستجابة لدعوته؟ أليس هذا منكرا وانتهاكا لحرمات الله، وإفسادا فى الأرض ومضارة للناس أصابهم بالنجس وفعل سوء يتنافى مع وصية الرسول ﷺ فى قوله: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٢٧].

ها نحن فى الأشهر الحرم فى الأشهر المعلومات للحج وهذا توضيح لمسارات السلوك الحميد كما رسم الإسلام فى القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ وبضدها تتميز الأشياء، فلعل من تهيأ لأداء هذه الشعيرة أن يتزود لها وخير الزاد التقوى.

من مختارات مجلة الأزهر عدد ذو القعدة ١٤١٠هـ

---

(٢٢) أخرجه البخارى وابن أبى شيبة.
(٢٣) الحشر (٩).
(٢٤) الحج (٢٦).
(٢٥) الحج (٣٠).
(٢٦) أخرجه ابن حبان.
(٢٧) أخرجه البخارى.

ازدهار الإسلام فى العالم

فى العهد النبوى العظيم دانت جزيرة العرب كلها للإسلام، وقضى أبو بكر خليفة رسول الله على حركة الردة بعد وفاة الرسول الأكرم سيد المرسلين، وخاتم النبيين بأعوام قلائل، حرر المسلمون بلاد الشام من سيطرة الرومان وبطشهم، ثم حرروا العراق من سيطرة الفرس وجبروتهم، وحرروا مصر والشمال الأفريقى كله من سيطرة بيزنطة -دولة الروم الشرقية- وقضى المسلمون على الوثنية وعبادة النار فى فارس، وانتشر الإسلام شرقا إلى حدود الصين والهند، ثم فتحت الأندلس فى أواخر القرن الأول الهجرى، وصار للإسلام والمسلمين السيادة فى الأرض وأصبحت دولة الإسلام ظاهرة غالبة منصورة، ترفرف رايتها فى كل أفق، وفى كل جهة وصقع.

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

وهكذا خفقت راية الإسلام فى كل مكان، وكما فتحت الأندلس، فتحت بعد قرون القسطنطينية وسقط وكر من أوكار التآمر ضد الإسلام، كما سقطت أوكار كثيرة بعد معركة اليرموك والقادسية وذات الصوارى وغيرها من معارك الإسلام الكبرى من أجل القضاء على العبودية والوثنية فى الأرض.

انتشر الإسلام فى العالم لأنه جاء من السماء لتحرير الإنسان، ورعاية حقوقه ولتحرير الشعوب من نير العبودية، وما كانت الحرب فى الإسلام إلا انتصارا للحق، وحماية للضعفاء والمستعبدين، وتحريراً للشعوب من الاضطهاد والظلم والهوان وإلا دفاعا عن الأوطان الإسلامية، والشعوب التى دخلت فى دين الله.

انتشر الإسلام، أو لنقل: انتصر الإسلام، فى كل مكان، وإذا كانت الحروب الصليبية، ثم حروب التتار قد أضعفت القوة الإسلامية قليلاً، فإن دعوة الإسلام سارت فى طريقها إلى كل مكان فى العالم، دعوة إلى الحرية والمساواة ودعوة إلى الإخاء وحقوق الإنسان قبل دعوات أوروبا المدمرة باسم الحرية.. الحروب الصليبية كان يحركها باباوات روما(1)، وغزو التتار المدمر كانت القوى الصليبية هى المحرك

الأول لها[٢] من أجل بلوغهم الأهداف فى تدمير العالم الإسلامى وإيقاف مسيرته، ويذكر التاريخ أن هبتون ملك أرمينية المسيحى سعى فى إقناع حانجوخان المغولى (٦٤٦ - ٦٥٥هـ / ١٢٤٨ - ١٢٥٧م) بإرسال حملة بقيادة أخيه هولاكو لتدمير بغداد (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، كما سعى فى تزويج ابن هولاكو من ابنة إمبراطور القسطنطينية المسيحى[٣].

ومن عجب أن تتآمر أوربا المسيحية مع الوثنية فى كل مكان من أجل محاربة الإسلام بكل وسيلة ممكنة.

وقد قامت دولة الخزر فى آسيا الوسطى فى القرن الثانى والثالث الهجرى بحركات التفاف كبيرة حول العالم الإسلامى الشرقى وفشلت فى مساعيها الخطيرة.

ومع هذا كله فإن الملك البريطانى فى أوفا (٧٥٧ - ٧٩٦م) قد اعتنق الإسلام، وسك نقودا عليها كلمة التوحيد بجانب اسمه وعليها كذلك تاريخ عام ٧٧٤م - أى ١٥٧ هـ فى خلافة المنصور العباسى.[٤]

ويحدثنا التاريخ أن فلاديمير أمير كييف عاصمة روسيا قديما كان على الوثنية، ثم رغب فى اعتناق دين سماوى، وعقد فى بلاطه مناظرة بين دعاة يمثلون الأديان السماوية المعروفة، وقام كل داع بالدفاع عن دينه[٥] وشرح تعاليمه فحال بين فلاديمير وقبول الإسلام تحريم الخمر فى الإسلام حيث أجاب بأن الشراب متعة الروس ولا حياة لهم بدونه، وكذلك أخفق اليهود الذين جاءوا من بلاد الخزر - فى استمالته إلى ديانتهم، فبعد أن أصغى الأمير إلى حججهم سألهم: أين بلدكم، فأجابوا كاذبين: بيت المقدس، ولكن الله شتت شملنا فى كافة أنحاء العالم غضبا منه علينا، فرد عليهم فلاديمير: إذا كان الله قد قطعكم من رحمته فهل تريدون منا اعتناق دينكم فنلقى نفس المصير.. ثم بعث الأمير عشرة من رجال دولته المشهود لهم بالحكمة وسداد الرأى، ووجههم إلى البلاد المختلفة ليدرسوا أمور دياناتها، ودونت هذه السفارات ملاحظاتها عن الأديان ومعتنقيها وكتبوا عن البلغار المسلمين أن أماكنهم حقيرة، ولكنهم أخذوا بمظاهر المسيحية فى القسطنطينية فجهروا بها واعتنقوها عام ٩٨٨م - ٣٧٨هـ، وجهر الشعب كله بها.

ويحدثنا التاريخ كذلك أنه فى عام ٣٠٩ هـ- ٩٢١م اتصل ملك الفولجا بالخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٨-٩٣٢م) حيث أرسل

---

(١) الحركة الصليبية لسعيد عبدالفتاح عاشور.

(٢) راجع: الدعوة إلى الإسلام، وتوماس أرنولد، ترجمة حسن إبراهيم حسن، وعبدالحميد عابدين.

(٣) المرجع السابق ص٢٦٠.

(٤) المجلة العربية، الرياض، عدد ربيع الثانى ١٤٠٩هـ، نوفمبر ١٩٨٨م.

(٥) يماثل ذلك ما فعله بودين (١٥٤٠ - ١٥٩٦م) وهو فيلسوف فرنسى، ألف بحثاً عن الأديان بما فيها الإسلام، وهو حوار بين سبعة يمثلون عقائد مختلفة، ويقررون فى النهاية ليس اتباع عقيدة بعينها من العقائد، ولكن أن يعيشوا معاً بإحسان وتسامح، والكتاب مطبوع فى أوروبا لأول مرة عام ١٨٤١، راجع أ.هـ. ميلتون، الثقافة الإسلامية.

إليه رسالة لكى يبعث المقتدر إليه من يرشده إلى الإسلام، فبعث له بابن فضلان وأسلم الملك وشعبه، وعاد ابن فضلان فكتب رحلته إلى البلاد التى رحل إليها، وهى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، وهذه الرحلة نشرها المستشرق الروسى كراتشوفستى وحققها ونشرها د. سامى الدهان.

وبعد أقل من نصف قرن مرت على تدمير بغداد اعتنق إمبراطور المغول غازان خان الإسلام هو وشعبه وذلك فى الرابع من شعبان ٦٩٤هـ- يوليو ١٢٩٥م، وانتصر الإسلام بذلك انتصاراً شديداً، وقد سبق إسلام غازان خان هو وشعبه أن أسلم أحد سلاطين المغول بأرض فارس وهو تكودار خان (٦٨١-٦٨٣هـ/ ١٢٨٢-١٢٨٤م) وذلك فى عهد السلطان قلاوون بمصر (٦٧٨-٦٨٩/ ١٢٧٩-١٢٩٠م). كما ذكر ذلك القلقشندى.(٦)

وتقوم اليوم الصهيونية العالمية بعملية التمييع التراث العربى والإسلامى فى منطقة الشرق الأوسط على الرغم من تمسكها بتراثها الدينى اليهودى(٧).

وفى فصل مثير من فصول التاريخ نشرت صنداى تايمز البريطانية قصة رواها مؤرخ صحفى إنجليزى ونشرتها صحيفة الأهرام المصرية فى عددها ١١/١١/١٩٧٨ - الصفحة الخامسة، بعنوان «كادت بريطانيا تصبح إمارة إسلامية» قالت الأهرام:

كشف تاريخى فريد أثبت أن بريطانيا أوشكت ذات مرة أن تتحول إلى إمارة إسلامية عربية تابعة لسلطان المغرب والأندلس محمد الناصر أوائل القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) طواعية وباختيار الملك جون الأول الذى عرض أن يعتنق الإسلام هو ورجال بلاطه وشعبه، وأن يكون تابعا مخلصاً السلطان فقط إذا قبل السلطان أن يبسط عليه حمايته(٨).

يقول صاحب هذا الكشف: إن صاحب ذلك السجل التاريخى الذى دونت به هذه القصة هو المؤرخ الانجليزى الفذ «ماثيو باريس» الراهب فى دير «سانت البانى» الذى تفرغ لكتابة أحداث القرن الثالث عشر يوما بعد يوم تماما كما يفعل

---

(٦) صبح الأعشى ١/٦٥: ٦٨، ٢٣٧، ٢٤٤٢.

(٧) الصفحة الثالثة من جريدة الحياة البروتية عدد ١٥ نوفمبر ١٩٧٠، وتتلاقى الصهيونية فى ذلك مع هدف أمريكا السياسى والعلمى والثقافى، وهو تمييع المبادئ، والعقائد الروحية والدينية فى منطقة الشرق الأوسط (المرجع السابق نفسه) وليس هناك دولة تخشى الانتفاضات الإسلامية بمثل ما تخشاه روسيا، لأنها بدون المناطق الإسلامية التى ضمتها إليها لا تستطيع اقتصادياً أن تظل دولة كبرى (المرجع السابق نفسه)، وتتلاقى هذه الأهداف كلها فى منطقة الشرق الأوسط لتعمل من أجل هذه الغاية.

(٨) صاحب هذا الكشف التاريخى هو الصحفى المؤرخ الإنجليزى (جابرييل رونى) مؤلف كتاب: «الإنجليزى سفيرخان التتار.. من الأسقف الإنجليزى روبرت دى لندن» وخيانته منذ كان قسيس الاعتراف الخاص بالملك جون إلى أن أصبح الدبلوماسى والمترجم الخاص لأحد خانات التتار فى منتصف القرن (١٣) الميلادى، وصحب الخان فى إحدى حملاته الرهيبة على شرق أوروبا ضمن غزوات التتار عبر آسيا للعالمين الإسلامى والمسيحى فى ذلك العصر، ويقول صاحب هذا الكشف أنه عثر على القصة الكاملة لمحاولة الملك جون اعتناق الإسلام وتسليم مملكته إلى أمير مغربى يدعى محمد الناصر، وذلك هرباً من مشاكله السياسية الداخلية التى انتهت بهزيمته أمام البارونات والنبلاء، وتسليمه لهم الميثاق الأعظم (ماجنا كارتا) التى تعتبر أول وثيقة قامت عليها الديمقراطية البريطانية.

المؤرخـون المسلمـون والمصـريون بعـد العصـر الفـاطمى، وحـتى عصـر محـمـد على أى منذ المقريزى حتى الجبرتى.

ويؤكد «جابرييل» أنه ليس هناك ما يدعو إلى الشك فى هذه القصة لأن «ماثيو باريس» كان قد سمعها من فم بطلها شخصيا، وهذا البطل هو الأسقف «روبرت دى لندن» نفسه حينما كان لا يزال قسيس الاعتراف الخاص بالملك جون.

قـال «روبرت دى لندن» لماثيـو باريس: إنه كـان أحـد ثلاثة أرسلهم الملك جـون فى بعـثـة سـرية إلى الأمير محمد الناصر عام ١٢١٣م (٦١٠هـ)، وكـان الاثنان الآخـران من رجال الدولة العسكريين وهما: البــارون تومـاس هـارد ينجـتـون، والبـارون رالف فيـتـزنيوكولاس، وقد أرسل الملك قسيسه الخاص معهما حتى يضمن أن لا يخونه أو يفشى سره أحد البارونين وقد كلف الملك جـون رئيس البـعـثـة وهو البارون رالف - أمام البارون الثانى والقس روبرت بأن يقول للملك العظيم ملك إفريقيا والمغرب وأسبانيا بأنه على استعداد لأن يُسَلِّم الملك الناصر طواعية نفسه ومملكته، فإذا شاء الملك الناصر، فليأخذ هذه المملكة كولاية ضمن دولتـه، وكـتب الملك جـون خطابا بهذا المعنى أيضا سلمه البارون توماس للملك الناصر، وأخذ البارون - بمعاونة أحـد المترجمين - يصف للملك الناصر - مستخدماً فصاحته وبلاغته - ثراء أرض انجلترا وخصوبة حقولها وما يتمتع به أهلها من دراية ومهارة ومعرفتهم بثلاث لغات: اللاتينية والإنجليزية والفرنسية، بالإضافة إلى إتقانهم كل حرفة يدوية وميكانيكية أخرى.. إلا أن إجابة الملك الناصر المسلم كانت عاقلة ومتزنة بصورة غير عادية، فقد قال: لم يحدث لى أبداً أن قرأت أو سـمـعت عن ملك أو حـاكم يمتلك هذه المملكة الثرية، وهى مملكة مطيعة لأوامره خاضعة له، ثم يتخلى بهذه الصورة عن سيادته وسلطانه بتحويله بلادا حرة إلى ولاية تابعة، وبأن يمنح لحاكم غريب ما هو ملك خاص له، ورفض الملك الناصر العرض بشدة وبصفة قاطعة.

ويصف ماثيو باريس نقلاً عن قسيس الملك جون أن الملك بكى بكاء مريرا لخيبة مسعاه بهذا الشكل حينما عاد رسله إليه، ولكنه كافأ قسيسه بأن عينه رئيسا لدير سانت البانى وهناك قابله ماثيو باريس وسمع منه القصة لكى يضمنها تاريخـه، وكـان روبرت دى لندن مكروها من رهبان الدير، فدفعوا للملك ٧٠٠ قطعة فضية مقابل عزله من رياسة الدير، وبعزله انهارت علاقة روبرت بالملك، فتخلى القسيس عن الملك، وانضم إلى أعدائه البارونات الذين انتزعوا من الملك الميثاق الأعظم بعد ذلك. وكان الملك جون قد اتفق مع بابا روما - وكانت الكنيسة الإنجليزية تابعة له فى ذلك العصر - على معاقبة البارونات المتمردين والقساوسة المنضمين إليهم لأنهم زعزعوا سلطان الملك فأضعفوا الكنيسة بذلك ولهذا أمر الملك جون كنيسته بإصدار قرار بحرمان القسيس روبرت دى لندن ونفيه من انجلترا، ولكن روبرت هرب إلى آسيا وذهب إلى خان التتار «المغول» فى منغوليا، وأصبح ممثله الديبلوماسى وترجمانه إلى أن عاد إلى أوربا فى إحدى الغزوات المدمرة ولا ريب فى أنه كان صلة وثيقة بين بابا روما والأمبراطور المغولى.

ويضىء الفنان الأديب المعروف الأستاذ جمال قطب هذه القصة المثيرة بمقال نشره فى إحدى

المجلات، وأظنها «آخر ساعة»، يقول بعنوان: «وكادت انجلترا تعتنق الإسلام»:

«عندما توفى ريتشارد الأول «قلب الأسد» خلفه على العرش أخوه الملك جون، الذى كانت أشد أزمة مرت به هى نزاعه مع البابا «أنسنت الثالث» حول الاختلاف على تعيين كبير الأساقفة فى انجلترا فقد اختار جون أحد أصدقائه المقربين لهذا المنصب الدينى الخطير بينما أصر البابا على تعيين راهب آخر يسمى «ستيفن لانجتون»ولكن الملك ضرب برغبة البابا عرض الحائط، وأصر على الاحتفاظ بالمنصب لصديقه دى جراى فغضب البابا وشرع فى وجه الملك سلاح «الحرمان» أى الطرد من عضوية الكنيسة، أى التجريد من المسيحية بكافة مظاهرها وشعائرها، وأن يتبرأ الجميع من المحروم وليس له سلطان عليهم. وأصدر البابا قرار الحرمان وأمعن الملك بدوره فى تعذيب رجال الدين والتنكيل بهم لوقوفهم فى صف البابا ممثل السلطة الدينية العليا وتمادى البابا فى حربه لجون، فأغرى ملك فرنسا بغزو انجلترا وبارك حملته، وعينه ملكا على انجلترا مع فرنسا وتلفت جون حوله فلم يجد من يناصره ضد البابا وفرنسا فاتجه صوب الأندلس وأرسل رسله إلى عبدالرحمن الناصر(٩) مستنجدا به، وتعهد ملك بريطانيا للناصر بأن يكون فى مقابل ذلك تابعا هو ودولته للدولة الإسلامية وبأن يرسل له جزية سنوية وأن يعتنق هو وأسرته وشعبه الإسلام. ولكن الناصر أبى ذلك».

ويسترسل أديبنا الفنان فيشوه صفحات تاريخ جون، وهو فى ذلك معذور لأن جميع المصادر الانجليزية شوهت تاريخه بسبب ما كان قد ترتب عليه من اعتناق الإسلام.

ونسترسل هنا لنذكر – مع صفحات التاريخ – «ماركو بولو» هذا الرحالة ابن البندقية الذى رحل إلى بخارى فالصين ليعيش ضيفا على الإمبراطور المغولى قبلاى خان وموظفا فى قصره، ووكيلا له فى عديد من المهمات السياسية، وحاكما لمدينة «يانغ تشو» الصينية، وأصبح والد ماركو بولو وعمه مستشارين عسكريين للامبراطور المغولى يرسمان له خطط غزو بغداد وتدميرها والاستيلاء على امبراطورية الخلافة العباسية، ثم رحلا عام ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢م مرافقين لأميرة صينية فى رحلة بحرية إلى فارس، ومن فارس عادا إلى البندقية وواصل ماركوبولو عمله فى خدمة الإمبراطور مظهرا كل الولاء له، وكان الواسطة الخطيرة بين بابا روما والامبراطور وهو الذى زين له حملة أخيه وشقيقه هولاكو العسكرية للاستيلاء على دولة الخلافة وتدمير بغداد وبعد أن تحققت أحلامه عاد إلى البندقية عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م وكتب رحلته «التى ترجمت وطبعت فى القاهرة حيث صدرت عن الهيئة العامة للكتاب فى أربعة أجزاء» ورحلة ماركوبولو هى التى أضاءت الطريق للاستعمار الغربى لغزو الهند وسيلان وبورما وغيرها والخرائط التى رسمها ماركو بولو هى التى سار عليها كولومبوس حتى قادته هذه المسيرة إلى اكتشاف أمريكا.

---

(٩) يخطىء الكاتب فى ذلك، لأن جون إنما اتجه إلى المغرب وإلى السلطان الناصر.

وبعد ذلك كله لمحة من مشاهد مسيرة الإسلام فى دنيا الأمس تعرفنا بأشياء كثيرة عن انتشاره وانتشار دعوته فى العالم قرونا طويلة، وما انتشر الإسلام إلا بفضل الله وبما جاء به من مبادئ التوحيد والحق والعدل والقوة والخير والجمال(١٠).

هذه المبادئ كلها التى اعترف بها ولى عهد انجلترا النبيل الأمير تشارلز الذى قال فى محاضرة له فى أكسفورد فى نوفمبر ١٩٩٣م، والذى جاء فيها:

– إن سوء الفهم بين الإسلام والغرب لا يزال مستمرا.

– الوقت ليس متأخرا لأن يقوم الإسلام والغرب بتوحيد قواهما من أجل الصالح الإنسانى المشترك.

– من الغريب أن يستمر عدم الفهم بين الإسلام والغرب لأن ما يربط بين العالمين أقوى مما يفرق بيننا بكثير.

– يشترك الإسلام والمسيحية فى رؤية أن الحياة على الأرض هى فترة انتقالية وفى الجزاء على أعمالنا وفى الثقة فى الحياة الأخروية.

– نحن نشترك فى العديد من القيم الأساسية: احترام: للعلم، للعدالة، للتعاطف مع الفقراء، أهمية الحياة العائلية، احترام الأبوين.

– العالم الإسلامى فى العصور الوسطى من أواسط آسيا وحتى سواحل الأطلسى كان مزدهرا بالمفكرين والعلماء، ولقد قللنا من أهمية ثمانمائة عام من المجتمع والثقافة الإسلامية فى أسبانيا. ولم تكتف أسبانيا المسلمة بجمع وحفظ المحتوى

الأمير تشارلز

الثقافى لليونان القديمة وللحضارة الرومانية فحسب، وإنما فسرت وطورت تلك الحضارة وأضافت اسهاماتها الحيوية الخاصة فى عدد من حقول المعرفة الإنسانية. لقد كان الإسلام جزءا من أوربا فى أسبانيا ثم البلقان، فالإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا فى جميع حقول النشاط الإنسانى، وهو الذى ساعدنا على خلق أوربا الحديثة، إنه جزء من تراثنا وليس معزولا عنا.

– بإمكان الإسلام أن يعلمنا المنهج الذى نعيش به فى عالم افتقرت فيه المسيحية بفعل ما فقدته.

– الإسلام يرفض فصل الإنسان عن الطبيعة وفصل الدين عن العلم، والفكر عن المادة.

وينادى الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا بحوار الحضارات نابزا فكرة صراعها.. حفظا للسلام العالمى.

وبعد، فلسوف يبقى الإسلام فى الأرض، محفوظا برعاية الله، ليبذر فى الأرض بذور العدل والرحمة والخير والسلام، وليضىء الحياة بنور الإيمان والحب والرخاء.

(١٠) راجع كتاب: السر فى انتشار الإسلام للشيخ محمد عرفة ط ١٩٣١، رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ط١٣٦١هـ.

الإسلام .. وقضية الشكل والمضمون

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

ربما يثير هذا العنوان: (الإسلام.. وقضية الشكل والمضمون).. إشكالية فكرية لاتلبث أن تزول، لأن مصطلح (الشكل والمضمون) مصطلح أدبى نقدى يعالج به الفكر الفنى الناقد بعض المحاولات الغاشمة التى تريد أن تعزل -فى العمل الفنى- بين ماهو شكل محض، وماهو مضمون محض، مع بداهة أن مجرد تصور شكل خاو من المضمون،، أو مضمون عار من الشكل، تصور باطل تماما، على الأقل فى العمل الفنى الذى يتدامج فيه الشكل والمضمون تدامجاً عضوياً يبطل معه أى تصور لوجود أحدهما فى غياب الآخر.

وفى يقينى أن قضية التدامج العضوى بين الشكل والمضمون فى الإسلام قضية أولية، ربما بتعديل طفيف ينقلها من التوجه إلى قضايا الإبداع فى الفن إلى قضايا السلوك العقيدى فى المسلم.

فالمسلم الذى يمارس الإسلام شكلا بلامضمون مسلم مرفوض منذ البداية، فلا اللحى المرسلة، ولا المسابح الطويلة، ولا تمتمات الشفاه بلا ملل، ولا العكوف على لزوم المسجد، ولا استنبات زبيبة الصلاة فى الوجه، ولا التشنج الزاعق كلما عرضت آية.. يمكن أن تكون دلالة وجود إيمانى إذا كانت لا تترجم موقفا سلوكيا شاملا يتعامل به هؤلاء مع الواقع، ومع الإنسان، ومع الكون، ومع الله.. وربما كان حصاد الوجود التاريخى لهؤلاء الرجال الجُوف أوبل على مسار الحركة العقيدية من حصاد الوجود التاريخى للملاحدة والرافضة والمارقة غير المقنَّعين.. لأن لدى الجماهير المسلمة حصانة طبيعية ضد هؤلاء وانخداعا ساذجا بمظهرية أولئك.. ومن هنا تصبح خطورة الوجود المسلم الخادع أفدح بكثير لأن الذين يتلقون عنه يخيّل إليهم أنهم يتلقون عن منهج إسلامى صحيح، ومتى فشت هذه الظاهرة وتمددت بجذورها الوبيلة فى التربة التاريخية المسلمة، فقد يمكن أن تشكل واحدا من محاور الاقتلاع العقيدى، أو تزييف ما يمارس الجيل المسلم على الأقل من إيمان..!!

ولو أننا أحصينا أحجام الإحباطات التى يفرزها سلوك هؤلاء الجاهلين بالدين الذين

يبالغون فى التزام الشكل ويهدرون مبالغين كذلك قيمة المضمون، لعرفنا إلى أى مدى تكون فداحة هذا النمط السلوكى، وإلى أى مدى كذلك تكون تأثيراتهم الباهظة فى حركة المد الإسلامى الذى يحسرونه عن الفعل الحقيقى بهذه الانفصامية السوداء!!

ولنتصور تاجراً.. أو طبيباً.. أو رائداً دينياً.. يلتزم حرفية الشكل الدينى ويبالغ فى احتذاء النمط الخارجى الذى يومىء إلى جتمية التزامه العقيدى.. ولنتصور أننا تعاملنا معه.. فوجدناه تاجرا غاشا، أو طبيبا وحشاً، أو رجل دين بلا دين.. ماذا يمكن أن يكون رد الفعل الذى يصيبنا من سلوكيات هؤلاء؟ أوشك أن أؤكد أن الشكل هنا يستحيل ليس إلى لعنة ذاتية، فتلك جريمة محتملة، وإنما إلى اتهام ظالم يتوجه بأصابع الإدانة إلى الدين عند كثير ممن لايتعمقون النظر أو يصححون الحكم.. وهذا هو المخيف!!

والمذهل أننا نعايش هذه الظاهرة الوبيلة ولا نجسر على فضحها، أو الإيماء الرافض إليها، ربما لأننا أقصر قامة من أن نجهر بقضية الحق الذى هو جوهر الإيمان وربما لأن فينا نحن ملامح من هذه الظاهرة الوبيلة، وبلا شعور نمارس لونا من خداع الذات أو تلهيتها عن جنوحها السلوكى.. ولن يغفر التاريخ لنا هذه الوضعية الدميمة، لأن المدخل إلى كل هزائم التاريخ يبدأ من هنا: من نقطة أن نرى المأساة ونغنّى، أو من نقطة أن نراها ونحجب رؤيتنا بأيدينا حتى نهرب من بطولة الشهادة.. أو من نقطة أن نرى ونمتلك الوعى بما نرى، ولكننا نحاصر هذا الوعى الفاهم بأسوار غليظة من اللامبالاة السيئة.. وفى كل وضعية من هذه الوضعيات هوة نحفر قراراتها بأيدينا، ونجهض فى ظلامها التاريخى كل ما نحتاز من انتصارات!!

نحن المسلمين نصاب بالإحباط حين نرسم لهؤلاء صورة عقيدية ملتزمة، ثم نفاجأ باهتراء هذه الصورة عند أول ممارسة حياتية تصل بيننا وبينهم. وتكشف أمامنا عن عالم دميم يسكنه هؤلاء المتاجرون بالشكل..

أما غير المسلمين الذين يتوقون إلى الإسلام كحركة عقيدية تحتوى الآن والما بعد وتمارس الدين والدنيا، وتزاوج بين الكلمة والفعل، وتوحد الجوهر والإطار وتتعامل مع الواقع اليومى كأنها تقرأ من كتاب الله، ومع كتاب الله كأنهاتلمس به مفردات الأشياء.. فإن إحباطهم يوشك أن يكون أفدح، إذا ما صادفوا هذه النماذج الرديئة التى تزحم الهواء بالكلام، وتعجز أن تعطى حتى ذرّة من الفعل الوسيم.. لأن غير المسلمين الذين يتوقون إلى الإسلام يفرون إليه من جحيم واقع غليظ، يدوس على كثير من قيم الحق والخير والجمال، ويحاصر إنسانية إنسانه فى واقع مادى لا يتنفس هواء القيم، ولا يتيح لهذا الواقع أن يكون أعلى من ذاته حتى بقياس ضئيل.. فإذا صادفوا هنا فى هذه النوعية مثل هذا الانحدار السلوكى الذى بَشِمُوا منه هناك أصيبوا تماما بمحنة الإحباط وتمزق الآمال..!!

إن غزو الإسلام للعالم كان بإهداء هذا العالم نوعية من الرجال والنساء جسّدت مضامينه بلا خطابة وبلا وضعيات مظهرية خالية لأن هذه النوعية كانت بؤر إشعاع حقيقى بما تمارس من فعل تواصلت فيه دورات المثال والواقع، فكان

جذبها الخارق أقوى من أن تكفه معاندة غاشمة، أو يكبحه شرود عرقى مريض..

ومن هنا نبع إيمانهم بهذه الحكمة الجليلة:

«فعل رجل فى ألف رجل، أجدى من قول ألف رجل فى رجل».

وكان حرصهم الحريص على أن يكونوا هم أول ضحايا نداءاتهم إذا حزب الأمر، وآخر حاصدى ثمراتها إذا أفاء عليهم التاريخ.. كان جريحهم يؤثر صاحبه بحسوة من الماء وهو صديان.. وكان جائعهم يقدم زاده للوافدين وهو عاصب بطنه بحجر.. وكان قائدهم يعانق الصدمة الأولى ويرفض أن يظل على سرير القرار.. وكانوا كما قيل فيهم بحق:

(رهبان بالليل . وفرسان بالنهار). بكل ما يحمل هذا القول من عناق القيمة والفعل فى جدلية تاريخية رائعة..

هل هذه دعوة إلى تفريغ المسلم المعاصر من مضمونه المادى، وإحالته إلى ربانى جديد؟؟ ربانى نعم.. ولكن تفريغه من مضمونه المادى غير وارد على الإطلاق، فليس هناك دين -غير الإسلام- احتفى بالمادة احتفاءه بها، أو دفع أتباعه إلى الحلول فى التاريخ كما فعل، ولكن دفعه واحتفاءه جميعا كانا يتمان من خلال شمولية تضع المثال فى قلب الواقع، والنموذج فى تلافيف التطبيق، والفعل فى واجهة القول، لأن انشطار المعادلة إلى شكل منخوب، ومضمون مجرد، يحيل المعادلة ذاتها فى النهاية إلى صفر كبير، والإسلام إيجاب ومعادلة صوابية لا بد أن تنجب نتيجة بحجم عطائها العريض.. والعجيب أن القرآن الكريم يقرن فى نداءاته دائما بين الإيمان والعمل، ولكننا نؤثر الأخذ بجانب الإيمان غير المكلف، ونتعامى عن حقيقة أن مثل هذا الإيمان مرفوض، لأن الإيمان كما حدده حامل لواء هذه الدعوة هو: «ما وقر فى القلب وصدَّقه العمل».

هل هى إذن دعوة إلى عصمة غير مستطاعة؟؟؟

أبدا، فنحن أول من يؤمن بحتمية الخطأ الآدمى، وبحتمية القصور الآدمى كذلك، ولكننا نؤمن أيضاً بأن الخطأ الآدمى ليس القاعدة، وبأن القصور الآدمى لا ينبغى أن يظل هو القاعدة، ففى وسع البشر متى شارفوا إيمانهم العقيدى أن يوائموا بين الشكل والمضمون من جهة، وأن يحققوا فى ذواتهم قدر مايستطيعونه بلا ادعاءات، وأن يقفوا فى قضية السلوك عند حد لا يجوز التنازل عنه. من ضرورة تقديم الحب على الكراهية، والتآزر على الافتراس، والمناصحة على الختل، والمواجهة على الكذب، والمشاركة على الأنانية، والود على قطع الأنامل.

وإذن فالذين يفهمون الإسلام شعارات لاسلوكا، مرضى ينبغى أن يعالجوا من صرع التخيل الأصفر..

والذين يأخذون الإسلام شكلا لا مضمونا، مرضى ينبغى أن يعالجوا من سوداوية الانفصام الرهيب.

والذين يركضون إلى غد إسلامى يتعانق فى ساحاته الشعار والسلوك، والمضمون والشكل، والمحتوى والإطار.. هم وحدهم أمل هذه الدعوة، وهم فرسانها القادمون من عصور الغياب على صهوات فَهْمٍ حقيقى نفرش له الدروب بالحب والدماء!!!

حوار الحضارات

تأليف
رجاء جارودى

تعريب
د. عادل العوا

١ عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

منذ بدايات النصف الثانى من القرن العشرين تزايد اشتغال المفكرين والسياسيين بعقد الموازنات بين أمم الأرض، وإسهامات كل أمة فى تحضير البشرية على مدى العصور المختلفة المتوجة بالعصر الحديث.

وقد واكب هذا خروج العالم من الحرب الكونية الثانية، وبدء التفرغ لجنى ثمارها، بما فرضه ذلك من الدخول فى صراع آخر، يكاد لا يقل ضراوة عن صراع المتحاربين منذ ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٥، بيد أن هذا الصراع الأخير أطلق عليه (الحرب الباردة)، وهى حرب – وإن لم تخلف هذه الآلاف من القتلى، والعديد من المدن المهدمة، والمزارع المبادة – خلفت تشويها فى الفكر، وزيفا فى المعتقدات، وخداعا فى الآراء وتحولا حادا فى القيم والأخلاق.

وكان أبرز ثمار هذه الحرب توسيع الهوة الفاصلة، بين الدول والشعوب، تلك الهوة التى قسمت العالم – على وجه الإجمال – قسمين، عالم سيد، وعالم مسود، أو عالم مستعمِر، وعالم مستَعمَر، أو عالم مالك وعالم مملوك، أو عالم غنى وعالم نام.

وفى ظل هذا الشعور بالعلو والسيادة، وما يقابله من الشعور بالدونية والعوز.. سادت أفكار تولدت فى رأس الأقوى، وهيمنت على مشاعره، وتحكمت فى عواطفه، تفرض أن كل ما يصدر عنه هو الأفضل، وهو الأصح، وهو الدواء الناجع لإصلاح كل فاسد، وعلاج كل عليل، أيا كان موقعه، وأيا كانت ظروفه.

رجاء جارودى

ومن هنا.. قر فى معتقد الغربيين أنهم محور الكون جميعه، وأن على الآخرين أن يدوروا فى هذا المحور، وإلا أصيب الكون بالبوار، ولذلك فإن عقاب من تسول له نفسه أن يخرج على هذا المعتقد الهلاك السريع؛ لأنه – بخروجه – كأنه يدمر الكون، ويخل بنظام الحياة المستقرة الآمنة.

وسرعان ما سرى هذا المعتقد الغربى، فانتشر بين كثير من أبناء العالم الثانى – العالم النامى – لا عن اقتناع منهم، ولكن عن توهم أن ما صدر عن السادة فهو الصدق الذى لا ينقض، وهو الصحيح الذى لا يمارى فيه.. وبذلك تأكد لدى هؤلاء السادة الغربيين أن لهم قواعد تكمن بين العالم النامى من أبنائه، تنوب عنهم فى التبشير بمعتقدهم، والدفاع عنه كلما دعت الحاجة، وظهر من تسول له نفسه أن يشك فى سيادتهم، أو أن يتجرأ على سلطانهم؛ فكأن فرعون بعث وعاد إلى الظهور بزعمه أنه الرب الأعلى بحجة ما يحوزه من ثراء وسلطان؛ فأخذ الإنسان الغربى الأبيض يردد فى كل محفل ما قاله فرعون من قبل:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾(١)

وتطور بهذا الزعم، فقال:

(١) القصص (٣٨).

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾(٢) داعما زعمه الكاذب بسعة ما أوتيه من مال وملك، فقال :

﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٣).

مغمضا عينيه وأعين الآخرين عما تستلزمه الألوهية من قدرة مطلقة، ليخدع نفسه ويخدع الآخرين بما أوتيه من ملك ومال، يوشك فى لحظة أن يكون وبالا عليه وعلى من معه.

ومع القرار على هذا المعتقد وإذاعته بكل الوسائل الخادعة. أملى على الجميع أن الغرب – أو الإنسان الأبيض – هو مصدر الخير للبشرية كلها، وهو صانع الحضارات، وأن على الآخرين أن ينعموا فى ظل حضارة الأسياد، وأن لا يتطلعوا إلى غيرها، وإلا كانوا مصدر قلق، وموطن إزعاج يخشى منه على العالم، لأنه يصارع الحضارة، فيجب مقاومته، مادام قد تجرأ على الأسياد، ورفض حضارتهم ونعيمهم، كما صنع فرعون من قبل مع موسى ومن تابعه :

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾(٤)

وقال هو وأتباعه :

﴿ اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾(٥).

فما إن تحلل بناء الاتحاد السوفييتى الذى كان بقوته النووية يشغل البيض الغربيين، وما إن تأكد هؤلاء الغربيون أنهم أمنوا جانبه، ولم يعد مصدر قلق لسيادتهم، حتى تلفتوا باحثين عما يتوقع منه الخروج عن سلطانهم الممتد، فرأوا فى الإسلام تلك القوة الذاتية والقوة المادية التى يخشى جانبها، بما لديها من تراث حضارى فعال، يمكن أن يكشف عوار حضارتهم وزيفها، إذا ما تهيأ للإنسان العصرى أن يوازن بين الحضارتين.

لسان الحق أقوى

وعلى الرغم من صيحات بعض الغربيين البيض التى علت فى الآونة الأخيرة تستعدى الغربيين على الإسلام، وتخيف الآخرين منه، بدعوى أن الإسلام يضاد الحضارة الغربية الحديثة التى تكفل للإنسان من أسباب الترف والنعيم ما لم يكن يحلم به أحد .. على الرغم من تلك الصيحات المحمومة – بل المسعورة – نهض واحد من مفكرى الغرب المعتدلين ليدفع هذا الاتهام الجائر، ويكشف حقيقة الإنسان الغربى، وما صدر عنه من جرائم، وما تنطوى عليه حضارته المزعومة من شراك وخدع، قصد بها تمكين قبضته من عنق الإنسان غير الأبيض، حتى يظل عبدا له، محتاجا له، لا يملك إلا أن يدور فى محوره.

أما هذا المفكر فهو الفيلسوف الفرنسى (روجيه جارودى) الذى أصبح اسمه بعد إسلامه (رجاء)، والذى بدأ تعرفه على الإسلام حين اعتقل فى مارس سنة١٩٤١ لمقاومته الهتلرية، وكان معتقله وزملائه فى (جلفة) جنوبى (الجزائر).

(٢) النازعات (٢٤).

(٣) الزخرف (٥١).

(٤) الشعراء (٢٧).

(٥) غافر (٢٥).

ومنذ أطلق سراحه أخذ نفسه بالتجول فى بلدان العالم الإسلامى وغير الإسلامى فى قارتى آسيا وأفريقيا، فاكتشف الحقيقة التى عمل الغربيون على إخفائها وطمس معالمها، وهى أن الحضارة الغربية زيف، وأن منابع الغرب (الإغريقية، والرومانية، والمسيحية) إنما ولدت فى آسيا وفى أفريقية، فكان هذا الكشف من الدوافع التى قادته إلى تقديم كتابه (حوار الحضارات).

وأما كتاب (حوار الحضارات) فهو من تعريب الدكتور عادل العوا، وطبع (عويدات للنشر والطباعة ببيروت - لبنان)، وتشمل الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٩ من الكتاب على ثلاثين ومائتى صفحة من القطع المتوسط، تضم مقدمة، ومدخلا،وخمسة فصول، وخاتمة.

الغرب المعاصر هو الشر الأبيض

من البداية يتضح أن المؤلف انتزع نفسه من براثن التعصب الأعمى، فوقف على الأعراف بين الغرب والشرق صائحا : إننى لأرجو أن يسهم هذا الكتاب فى توسيع ذلك الحوار وتعميقه، والاستعاضة عن هيمنة (الغرب) الثقافية المفروضة خلال أربعة قرون من الاستعمار، وتجربة سيمفونية، هى تجربة الثقافة العالمية الشاملة.

ويدعم المؤلف رؤيته وصيحته تلك بما استعرضه فى المدخل (شهادة تجربة عالمية) حيث يذكر أن الغرب عارض طارئ، وأن عبارة (الشر الأبيض) هى العبارة التى يطلقها على هذا الجانب من الدور المشئوم الذى نهض به الإنسان الأبيض فى التاريخ، وأن الرؤية الخالصة تقرر أن منابع الغرب (الإغريقية والرومانية والمسيحية) إنما ولدت فى آسيا وأفريقية، وأن عصر النهضة قد هدم حضارات أسمى من حضارات الغرب باعتبار علاقات الإنسان فيها بالطبيعة، وبالمجتمع، وبالإلهى، وأن ابتكار مستقبل حقيقى يقتضى العثور مجددا على جميع أبعاد الإنسان التى نمت فى الحضارات والثقافات اللا غربية.

ويبين المؤلف أنه حصل على رؤيته تلك بعد أن حلق فوق ذرى العالم كلها، واجتاز كل الأبواب، وتأمل فى جميع المرتفعات التى أبدعها الإنسان، وما يحلم به البشر هناك من المشاريع الإنسانية المستقبلية، فاجتمع إليه ما تعلمه من أساتذته الغربيين، وما قرأه فى كتب الإنسان المقدسة من (زاندافستا) الزرادشتيين فى إيران، وملحمة (كلكامش) عن (الخليج العربى). و(باغافاد - جيتا)، وملحمة (رامايانا) فى دلهى وفى (كاتماندو)، و(طاو- ته- كينغ) لـ (لاو - تسى)، كما قرأ (بوبول - فو) (للمايا)، وقرأ القرآن، مثلما قرأ التوراة، إلى غير ذلك من مصادر النور التى كان أناسى عصرنا يمتحون منها معنى وجودهم، وترتدى كل قارة وجهها الإنسانى، وقد ضم المؤلف إلى ذلك ما وقف عليه فى أميركا اللاتينية، وفى أفريقية من مصادر التراث المكتوب، والمنقوش، والمعاش، فتوفرت لديه تلك الرؤية الكاشفة لحقيقة الغرب وحضارته، ومنابع تلك الحضارة.

(الغرب بدءٌ مطلق) : وهمٌ كاذب

وفى الفصل الأول (بلد الفسق وأساطيره «عقدة مارثون») استعرض المؤلف العوامل التى كانت وراء فرصة الهيمنة الغربية، والتى أثمرت الوهم الكاذب القائل أن الغرب بدءٌ مطلق، منطلقا فى استعراضه ذلك من تأكيد (بول فاليرى) أن أوروبا وليدة تقاليد ثلاثة هى : (المسيحية الكاثوليكية فى المجال الأخلاقى، والقانون الرومانى فى مجال الحقوق والسياسة والدولة، والتقليد الإغريقى فى ميدان الفكر والفن، لافتا النظر إلى أن قصد التزييف فرض على الأوروبيين أن يقفوا عند حدود ما أكده (بول فاليرى)، ولو أنهم أرادوا إنصاف الحقيقة لبحثوا عن منابع هذه التقاليد الثلاثة التى تولدت عنها الحضارة الأوروبية، ولكنهم أغفلوا ذلك عن عمد ليخلص لهم الزعم أن حضارة الغرب إنما انبجست انبجاس كائن فريد وحيد، بنوع من معجزة تاريخية.

ولو أنهم بحثوا عن منابع هذه التقاليد الثلاثة لتبين لهم أن ما عرف باسم (الغرب) إنما ولد فى (ما بين النهرين) وفى (مصر)، أى ولد فى آسيا وأفريقية.

ومن هنا.. يأخذ المؤلف فى الكشف عن منابع التقاليد الثلاثة، فيستعرض دور كل تقليد فى حضارة الغرب، وبدء تأثر الغرب به، وأصل هذا التقليد، ومصدره ليخلص من ذلك إلى أن رؤية العالم التى نعتبرها غربية ترجع بتاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، وهى ترتدى شكلها خارج أوروبا فى مصر، وفى بلاد الرافدين.

الزيف المفضوح

ثم يأخذ المؤلف فى الكشف عما أصاب هذه التقاليد من تغيير على أيدى الغرب، فانحرف الغربى بها عن مسارها الإنسانى، حيث أراد أن يكون سيد الطبيعة المطلق، معتزا بفرديته وفكره المجرد، غير مبال بانفصامه عن الرؤية الشرقية التى تؤلف بين حب الطبيعة وبين التقوى؛ فنجم عن ذلك إفقار الإنسان.

وكانت ثمرة هذا الانفصام أن أصبح هذا الغربى بمذهبه الثنائى، وبفرديته استثناء بائسا فى الملحمة الإنسانية التى بدأت قبل ثلاثة ملايين سنة فى أفريقية، والتى استمرت خلال ستين قرنا فى جميع القارات حتى عصر النهضة الغربية.. أصبح الغرب منفردا بامتلاك أسلحة أكثر تدميرا، فاستعبد العالم، وسيطر عليه، بعد أن خنق جميع الثقافات الأخرى.

والمؤلف يرجع هذا الانفصام إلى عصر وفكر (بروتاغوراس)، و(أوربيد)، وسقراط، و(أفلاطون) الذى سعى إلى أن يوحى بنظرياته لطاغية (سيراقوزه). حتى كان (الإسكندر المقدونى) الذى عمل على أن يفرض نفسه على الناس قاطبة، فجعل الغرب يعى وحدته، ويصبح توسعيا.

وفى ظل هذا انطلق المؤرخون الرسميون – وفى مقدمتهم هيرودوت – يزيفون منظور التاريخ العام، فلقنوا الأطفال عبارات أصبحت فيما بعد أسس آرائهم السياسية حيث أغفلوا تأثير الحضارة الآسيوية فى حضارة الإغريق

على الرغم من وضوح ذلك التأثير فى مجال الفن، والأدب، والأخلاق، والسياسة.

ويذكر المؤلف أن من مظاهر الزيف الذى يعتمد عليه الغرب الانتساب إلى المسيحية، مغفلين أن ما عرف بالمسيحية فى الغرب، إنما هو نتاج ما سكب فى قالب الفكر الإغريقى من تصور عن الحياة بعيد غاية البعد عن النزعة الهلينية، فما أدخل إلى الغرب منذ عهد الإمبراطور قسطنطين إنما هو مسيحية أفسدتها تماما الثنائية اليونانية، والمثالية اليونانية على الصعيد الفكرى النظرى، فالتقليد القسطنطينى فى الكنيسة يمضى فى اتجاه يضاد تقليد العناية بالشئون الأخروية.

استمرار الغرب فى الضلال مع النهضة الحديثة

وفى الفصل الثانى (الغرب عَرَض) يذكر المؤلف أن الغرب - مع دخوله فى عصر النهضة - دخل فى طور جديد من الضلال المغرور، حيث أكد على سيادة مبدأ المنافسة، وخصومة الناس بعضهم مع بعض، فى إطار السوق، فخلقت فى المجتمع عقيدة تبرر الممارسة، وتدعم القصور السابق لعلاقة الإنسان بالطبيعة، وعلاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالله، مما فتح المجال لسيادة النزعة الفردية، ورحب بسيطرة إرادة الغازى الذى لا يتردد فى اقتحام تخوم العالم، ولا يتوانى عن تدمير القارات والحضارات، وهيأ النفوس لاعتناق دين قوامه تحريض الرغبة تحريضا دائبا بدلا من الدين الذى يبشر بالصبر. من كل ما تولد عنه الرأسمالية ذات البعد الواحد، والاستعمار الذى يزعم أنه يتخذ هذا الإنسان التقنى مقياس الأشياء كلها.

وبذلك صبغت الحضارة الغربية - فى نموها من القرن السادس عشر، حتى نهاية القرن العشرين - بالصبغة الفاوستية القائمة على ثلاثة موضوعات هى : جعل الفعل والعمل قيمة أساسية، وتقرير أن العقل قادر على حل جميع المشكلات، والاعتقاد بإمكان لا نهائى فى النمو المقصور على الإنتاج والاستهلاك.

ويوضح المؤلف أن قيام الحضارة الغربية على هذه الموضوعات الثلاثة قد حول الإنسان إلى العمل والاستهلاك، وحول الفكر إلى الذكاء، وحول اللانهائى إلى الحكم، فأصبحت حضارة مؤهلة للانتحار، بسبب فقدان الهدف، وإفراط الوسائل.

وبذلك صار النمو محصورا فى الازدياد الاقتصادى، وأصبح الازدياد الاقتصادى هو المعيار الوحيد لتقدير جميع أشكال الحياة الاجتماعية، فهيمن التعارض بين الأقطار المسماة (متطورة) والأقطار المسماة (متخلفة).

ومن هنا.. يبرز عدم إمكان إقامة حوار حقيقى بين الحضارات، إذا لم نبدأ بتحليل الآليات التاريخية التى منعت - أو زيفت - هذا الحوار إلى اليوم.

ازدهار الغرب يفرض الصراع

ويرى المؤلف أن عدم إمكان إقامة حوار حقيقى بين حضارة الغرب وحضارات العالم الثالث يرجع إلى أن نمو الغرب يقوم على نهب ثروات القارات الثلاثة (آسيا وإفريقية، وأمريكا اللاتينية) ونقلها

إلى أوروبا وأمريكا الشمالية. من كل ما دفع الغـرب إلى أن يحـرص على جـعل العـالم الثالث متخلفا، وإلى أن يقاوم كل محاولة للتخلص من التخلف، متوسلا إلى ذلك بكل الوسائل، من إبادة لهنود أمريكا، ونشر لتجارة العبيد، ثم إلغاء الرق، واستبدال الاستعمار به الذى تمكن الغرب بواسطته من السيطرة السياسية والعسكرية على إفريقية، ثم السيطرة على مصادر الثروة فيها بإنشاء الشركات متعددة الجنسيات، وتوسيع أنشطتها التى قامت بتنظيم النهب المستمر لثروات العالم الثالث.

ويدعم المؤلف هذه الرؤية بعرض موجز لما قام به الغرب - فى سبيله إلى إشباع جشعه - من إبادة جماعية للهنود، واستيلاء على الأراضى الإفريقية. وقنص لثروات العالم العظيم، مستغلا فى ذلك ما حققه من اختراعات استمدها من حصيلة ما أخذه من حضارة الصينيين والعرب، خصوصا فى قطاعى البحرية والأسلحة.

ولذلك.. يرى أن التخلف فى إفريقيـة - بجميع صوره - لا يرجع إلى طبيعة المجتمعات الإفريقيـة - كما يزعم الغربيون - ولكنه وليد الاستغلال الخارجى، فلم يظهر الفارق فى مستوى الثقافة بين أوروبا وأفريقية إلا بعد الغزو الأوروبى لأفريقية، وإلا بعد الإبادة الجماعية لهنود أمريكا، حيث أصيب الاقتصاد الأفريقى بالتقهقر.

ويرى أن الازدهار الغربى يرتكز على حجج ثلاثة تستلزم التمسك بإخضاع إفريقية للهيمنة الغربية : أولاها حجة اقتصادية ترى أن تأسيس

هكذا تعامل الغرب مع الشعوب التى استعمرها

مستعمرة يعنى خلق سوق للصناعات الأوروبية. وثانيتهما حجة إنسانية تعلن : أن للشعوب العليا حقا تجاه الشعوب الدنيا. وثالثتهما حجة سياسية تؤمن بأن بحرية الغرب فى حاجة إلى ملاجئ متينة، وتوفير حماية ومراكز تموين.

ويرى أن أنصار الاستعمار يتذرعون بحجة أخرى يخفون بها هذه المرتكزات الثلاثة حيث يزعمون أن الاستعمار ماهو إلا سعى من الغربيين لتمدين الشعوب المتخلفة، يفرض عليهم أن يجلبوا إليها ثقافتهم، ومسيحيتهم، ومدارسهم، ومستشفياتهم. وهى تبريرات يؤكد الواقع زيفها وكذبها، وأوضح مثال على ذلك ما برهن عليه

(جوزه دى كاسترو) من أن كل دولار تقدمه الولايات المتحدة إلى أمريكا اللاتينية يقابله ثلاثة دولارات تعود إلى الولايات المتحدة. وما أعلنه رجل الدولة الأمريكى (هرمان) من أن المعونة المقدمة إلى البلدان المتخلفة وسيلة ممتازة تتيح للبلدان الفقيرة أن تساعد البلدان الغنية.

الغـرب فى مواجهـة الحضـارات

وفى الفصل الثالث (الفرص المفقودة) يستنطق المؤلف تاريخ الغرب فى علاقته بالحضارات التى استمد منها حضارته بواسطة الغزو منذ القرن السادس عشر، حيث حرص (هرمان كورتز) - عندما وطئت قدماه اليابسة - على أن يبيد ثقافة (الأزتك)، وثقافة (المايا) بحجة إدخال المسيحية، ولكن ما بقى من معابد (بالنك) أو (شيشن إيتزا) يعلن أن من شادوا هذه المعابد كانوا قادرين على تقديم الكثير من المظاهر الحضارية لو لم يواجهوا من الغرب بسطوة الغازى المغتصب، فقد سبقت هذه الشعوب إلى إيجاد زراعة متقدمة، وعرفت كثيرا من الأعشاب الطبية، وازدهرت لديهم الكيمياء والأقرباذين ازدهارا عظيما، ، وكان لهم من ناحية أخرى تقويم أدق من تقويم أوروبا فى ذلك العصر، وكان (المايا) يستخدمون الحساب العشرى - الذى أخذوه عن الصينيين والعرب - قبل أن يعرفه الغربيون، وفنهم التشكيلى خير شاهد على تفوقهم الحضارى.

فلما غزاهم الأسبان والبرتغاليون بأسلحتهم النارية أبادوا هذه الحضارات - بدلا من التحاور معها والإفادة منها - فكانت تلك الفرصة الأولى التى فقدتها أوربا فى مواجهة الحضارات.

وكانت الفرصة الثانية التى فقدها الغرب.. أن المستعمرين الفرنسيين والإنجليز، والأسبان عملوا على تشويه ما قدمه العرب المسلمون من إسهامات حضارية، فوصفوا ما قدموه للأسبان من شتى ألوان الحضارة بأنه غزو عسكرى، مغفلين ما قدموه للأسبان من تحرير، حيث أنقذوا الأقنان من وصاية ملوك « الفيريغوط »، وما أقاموه فى إسبانيا من أجمل منشآت الرى التى عرفها العصر، وما نهله الأسبان والأوروبيون جميعا على أيدى العرب المسلمين من علوم الطب، والصيدلة، والكيمياء، والجبر، والرياضة، والجغرافيا، والفلك، والنظم الاجتماعية والاقتصادية.

فالعرب ما دخلوا أوربا غزاة، ولكنهم دخلوها معلمين، ناشرين تلك الحضارة الإنسانية الشاملة، التى حظيت بقبول الجماهير التى كانت ترزح تحت وطأة نظام الرق. ومع ذلك شوهت صورتهم حتى عد المستعمرون معركة « بواتيه » التى انتصر فيها (شارل مارتال) على العرب.. كسبا أوربيا، مغفلين أن ما نشأ عنها من تراجع العلم العربى، والفن العربى، والحضارة العربية جعل هذا اليوم أشأم يوم فى تاريخ فرنسا على ما صرح به العقلاء.

ومع هذا كله نرى أن المصدر الرئيسى الذى يرجع إليه الباحثون يقدم لهذه المعركة الصورة التاريخية المشوهة، كتلك الصورة التى قدمها « هيرودوت » لمعركة « ماراثون » قديما، مغفلين

أن عصر النهضة فى الغرب ما وقف على الثقافات القديمة بدءا من الثقافة الهللينية إلا عن طريق العرب الذين ترجموا «أرسطو» و«جالينوس»، و«أفلاطون» و«بطليموس» و«إقليدس» و«أرخميدس» وقدموه للغرب من جديد مع ما أضافوه إليه.

ولو أن الغرب استقبل هذه الحضارة العربية الإسلامية بالتحاور البناء لأفاد الإنسانية كثيراً ولكنه شوهها، وقلب حقيقتها، فأضاع الفرصة الثانية.

وهناك فرصة ثالثة أضاعها الغرب كذلك، حيث احتقر العلم الصينى الذى قاد إلى كشوف علمية، وتقنية، سبقت ما توصل إليه الغرب بعدة قرون.

فلو أن الغرب حاور الفكر الصينى المستند إلى رؤية جدلية، وليس إلى رؤية منطقية ميكانيكية، لما حبسوا أنفسهم فى ميكانيكية الأفلاك السماوية الشفافة، بل لأتاحوا لأنفسهم الانطلاق من تصور أقل سذاجة للأمكنة السماوية الرحيبة، وإقامة مصورات عن السماء، وسجلات للكسوف وللشهب والآثار العلوية التى لا يزال علماء الفلك إلى اليوم يستخدمون مبادئها.

ولو أن الغرب حاور الفلسفة الصينية المادية العضوية، ولم يعارضها بالمادية الميكانيكية لعرف مبكراً أن كل ظاهرة ترتبط بسائر الظواهر الأخرى، ولعرف ما عرفه الصينيون عن «البوصلة»، ونظرية «المد والجزر»، بدلا من أن يضيقوا ذرعا بالمناقشات الجوفاء حول «التأثير من بعد»، وما يحدثه القمر فى المحيط.

ولو أن الغرب حاور الرياضيات الصينية التى تتسم بروح جبرية، لا بروح هندسية، لما أضاع هذا الزمن الطويل فى إصراره على اعتبار أن الأنموذج الميكانيكى هو الأنموذج الوحيد، والأقدم مبكرا إلى ما اضطر إليه أخيرا من العود إلى الفكر الصينى التقليدى.

وهكذا يتبين أن قرونا من الابتكار الإنسانى قد غلفها الجهل أو الهدم بسبب التعنت الغربى، وإصرار الغربيين على مصارعة تلك الحضارات الإنسانية ورفضهم التحاور معها، حتى أضاعوا على الإنسانية -وعلى أنفسهم- تلك الفرص، وهم فى ذلك مستجيبون لوهم: أنهم وحدهم يملكون الحقيقة، لا لشىء إلا لأنهم غربيون، وأن غير الغربيين بدائيون، سيئو النية، أو مرضى، وأن من واجب الغربيين أن يهبوا لمعالجتهم أو لقمعهم.!

ميراث الجهل، ودوره فى فكر الغربيين

وفى الفصل الرابع «الأبعاد المطلوبة مجددا» حاول المؤلف أن يكشف عن مصدر العلة الغربية -بعد أن شخصها- تمهيدا لوصف الدواء، فذكر أن الغربيين وقعوا فريسة ملاحظة خاطئة أدلى بها «هيرودوت»، وتضمنتها «سياسات» (أرسطو) تفيد أن هناك تعارضا بين تذوق الأوربيين للديمقراطية، وبين خضوع الآسيويين للاستبداد، ورضوخهم له.

والناظر فى سلوك الغربيين وتفكيرهم اليوم يجد أنهم مازالوا فريسة هذا الوهم الخاطىء الذى أصبح نظرية يحرص الشراح على الغلو فى بسطها، متناسين الروابط الكثيرة التى

ربطت جميع ثقافات البحر المتوسط وآسيا الصغرى بعضها ببعض.

وزاد الطين بلة أن هذا التفكير اكتسب - فى القرون الوسطى- بعدا دينيا، فاستقر فى العقل الغربى أن علاقات المسيحية بالإسلام ليست بعلاقات متناظرة، بل إن هناك تعارضا بين المسيحى والكفار -ولا سيما المسلمين- فبينما يجل القرآن المسيح وأمه، نجد «دانتى» يقصى محمدا مع أتباعه إلى الجحيم.

وكان لسيطرة هذا التفكير على الغربيين أثره فى تجاهلهم ما نالوه من غير الغربيين فى شتى مجالات المعرفة والثقافة، حيث وجدت أوربا نفسها -على أثر اكتشاف أمريكا- حيال ثقافات لم تكن لتخطر فى بالها إطلاقا.

توجه الأوربيين إلى الحوار

ومع انفتاح بعض الفلاسفة والمفكرين والرسامين الأوربيين على العالم غير الأوربى فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر بدأت المحاولة الأولى لفهم ما ليس أوربيا، فبدا من الضرورى القضاء على المركزية الأوربية، وأخذت أسطورة «المعجزة اليونانية» المزعومة تتهافت وتتهاوى على محك التحليل التاريخى الذى كشف عن جذورها العميقة الممتدة إلى التاريخ المصرى، والفينيقى، وبلاد الرافدين، وأبانت دراسة عصر النهضة مدى ما تدين به لفنون الإسلام، وفنون الشرق الأدنى والصين.

ومع تواصل هذا الانفتاح فى شتى المجالات لم يعد فى وسع أحد أن يجد أساسا للقيم فى طبيعة جاهزة، فى عقلٍ خالدٍ، ولا فى معيار أخلاقى، أو قواعد جمالية تستطيع أن تزعم أنها تتعالى على التاريخ.

ومن هنا.. لم يبق ما كان يعتبر خلال قرون طويلة على أنه نظام مطلق -فى السياسة أو فى الأخلاق، أو فى علم النفس، أو فى الفلسفة، أو فى الفن- سوى موقف أو مرحلة تاريخية فى سلسلة إبداع الإنسان إبداعا دائبا موصولا.

فكانت هذه الهزة العميقة، وذاك الانقلاب الجذرى نهاية حركة داخلية لدى الإنسان الأوربى، وملتقى خصب بالثقافات اللا غربية.

غير أن حوار الحضارات الحقيقى -فى التوجه الأوروبى- لم يزل فى طور بدء المغامرة الإنسانية، وإن كان أكثر الأمور إلحافا من أجل إقامة علاقات جديدة مع سائر البشر، ومع المستقبل المشترك.

ويدلل المؤلف على هذه التوجهات المتحررة بما أفاده الفن الأوربى فى القرن العشرين من الفنون التى قدمها الصينيون فى القرن الحادى عشر، ومن الفنون الإفريقية التى كشفها التكعيبيون، والتعبيريون، ثم السرياليون، ومن الفنون الإسلامية فى مجالى الشعر والرسم، فيذكر كثيرا من الأمثلة الدالة على ذلك.

ثم يقرر: أن حوار الحضارات لم يستأنف إلا فى القرن العشرين، بعد أن ظلت علاقة أوربا بالآخرين علاقة استعمار، وإزدراء نحو ستة قرون.

ويأمل: أن يتم فى القرن الحادى والعشرين القضاء على العوائق الأخيرة، ليمضى الإنسان إلى النهاية فى تحقيق فن عالمى، وثقافة عالمية.

(يتبع)

مواقف إسلامية

من دروس الدعوة

للأستاذ الدكتور / محمود عمارة

فى المدينة الساحلية.. عاش هذا الغنى السخى.. وإذا شئت أن تتلمس الطريق إلى أعماقه.. بانت لك شواهد من فضله.. من حيث كان من أشد الناس حباً للشيخ الجليل..

والهمة على قدر الاهتمام

وكان من مظاهر حبه للشيخ أن كان يستضيفه فى كل عام مرة أو مرتين..

لكنه هذه المرة.. دعانى وبعض زملائى لنكون مع الشيخ متحدثين!!

قلت: إذا حضر الماء بطل التيمم.. ولكن هذا الغنى السخى: آثر أن يكون العيد مهرجاناً.. يجمع من خدم الدعوة أشتاتاً.. الفاضل والمفضول.

وكأنما كانت عاطفته الدينية.. ورغبته فى إشاعة الخير.. بحيث لا يشفى غليلهاواحد.. مهما كانت قيمة هذا الواحد؟!..

إن الشيخ الجليل.. كان ومايزال.. نقياً..

وإذن فهو المصباح الذى كلما كان نقياً.. كان ضوؤه قوياً.. وإذ يطلع الصباح.. فلنطفىء القنديل؟!..

لكن الرجل لم يطفىء القنديل.. ودعانا إلى ضيافته محققاً بالدعوة ما قرره العلماء:

قد يكون فى المفضول.. ما ليس فى الفاضل..

قد يكون لدى التلميذ.. ما لا يكون عند أستاذه.

وإذا تغالى بعض الناس فى تلك الليلة.. فانسحبوا من بين أيدى المتكلمين.. حتى يجىء الشيخ الجليل.. فقد فاتهم ذلك الفهم الرحب.. وأن الله ـ تعالى ـ أرحم من أن يترك إنساناً بلا مواهب.. وأنه تعالى قد يضع سره فى أضعف خلقه:

وقد يحدثك البليغ.. فلا تتأثر.. لأن لحظة الإجابة لم تحن لك بعد..

ثم يأتي الضعيف.. فيقولها كلمة.. تستمع إليها في ساعة إجابة.. فإذا بها تصنع منك خلقاً آخر!!

ألم تر إلى الأحنف بن قيس؟!..

لقد كان أحلم العرب.. ولما قيل: كيف يكون أحلم من عبدالمطلب وغيره من صفوة العرب؟! كان الجواب:

إن عبد المطلب: كان حلمه.. كمروءته.. كنجدته.. كشجاعته.. في مستوى يقترب به من القمة.. أما الأحنف.. فكان قمة في الحلم.. ثم كان فيما سواه متوسطاً.. إذا صح التعبير!! وهي نفس النسبة بين الأستاذ وتلميذه:

فقد يبز التلميذ أستاذه.. في جزئية واحدة.. ثم يتأخر عنه في الكثير!!

والأمر على ما يقول ابن خلدون:

« من حصل على مَلَكَة عِلْمٍ من العلوم وأجادها في الغاية، فقَلّ أن يجيد مَلَكَة علمٍ آخر على نسبته.. بل يكون مقصراً إن طلبه إلا في الأقل النادر من الأحوال ».. لأن الصناعات تتدافع وتتنازع..

فَقَلّ أن يجتمع لعالم ملكتان تامتان.

ومهما اجتمعت أصول الدعوة في واحد.. فقد بقيت للآخرين بقية من التخصصات نحن أحوج إليها.. وأحياناً يخطف الغلام الصغير الأضواء من كبار المشاهير.

أرأيت إلى ذلك الفتى الذي زار الخليفة داره.. فقال للفتى:

داري أحسن.. أم دار أبيك؟!..

فما كان جوابه إلا أن قال:

دارك ما دُمْتَ فيها.. ودار أبي متى كنت فيها!!

وهكذا.. وبهذا المنطق العفوي.. صار الفتى حديث المدينة.. ومحور الإعلام!!

بداية اللقاء

.. وفي تلك الليلة.. وإلى أن يطلع الشيخ الجليل كالفجر القادم.. كان لابد من أن « نملأ الفراغ » بحديث إلى الناس قبل العشاء.

وكنت أول المتحدثين، وقلت للمستمعين:

لقد جئتم لتستمعوا إلى شيخنا الجليل.. ولهذا السبب جئت مع زملائي.

وأصْدُقكم القول: إن الحديث الذي كنت زورته في نفسي طار مني شعاعاً.

فأنتم جمهور الشيخ.. ولستم جمهوري!

ولا يتم نجاح الخطيب حتى يجد نفسه بين يدي مريديه ليكون ذلك التواصل.. أو هذا الجسر العاطفي بين المُرْسِل والمُتلقي.. والذي من شأنه أن يحقق التجانس المطلوب بينهما.

أما أن تخاطب قوماً سيوفهم معك.. وقلوبهم مع بني أُمَيَّة.. فتلك مجازفة غير محسوبة النتائج وكان ذلك انطلاقاً من قاعدة:

ضرورة فراغ بال المستمعين لك.. حتى يتسنى لهم الاستمتاع بك أو الاستماع إليك وإذا كانت مسئولية الداعى تتم بالبلاغ.. فإن نجاحه لا يتم إلا بالتزام المدعو.. والمدعو هنا.. فى واد.. والداعى فى واد آخر.

وأنا بين أيديكم لست أكاديمياً.

لست بلَيْلِيٍّ ولكنى نَهِر.

لست بلَيْلِيٍّ: يسهر فى المكتبة حتى الصباح، ولكنى نَهِر:

أجوب الديار.. بالنهار:

أتأمل.. وأراقب، ثم أعلق..

وأعالج.. ما استطعت.

لقد حاولت أن أمسك بانتباه الناس بين يدى.. دقائق معدودات.

حاولت أن أدخل إلى قلوبهم: عن طريق العلم.. فالشيخ أعلم!

عن طريق التقوى؟.. فالشيخ أتقى

ولا تزكى على الله أحداً والله حسيبه

ولقد وجدت أن باب التودد.. والتَلَطُف.. هو الباب الوحيد الذى يسمح لك فيه بالدخول..

وإذا كانوا يقولون فى الأثر:

ما عبد الله بمثل جبر الخاطر..

فقد أحسست عندئذ بأن الله جبر خاطر عبده.. على الأقل: ليصلح أن يكون تمهيداً للشيخ الجليل.. وذلك يكفيه.

الـــــدرس المفيـــــد

والدرس المفيد هنا هو:

ضرورة مواجهة الخطيب للمواقف الصعبة.. أما الهروب فما أسهله!

ثم.. عدم الدخول فى موضوع مُعَدٍّ.. بين يدى بحر زاخر سيأتى بعد قليل..

وإنما هى الإشارات.. الوقتية العابرة.. والحادَّة.. والتى تحاول زرعها فى قلوب الناس.. فلا تفارق خيالهم مهما كان من بعدك سحبان..

ولقد تلخصت إشاراتى الخاطفة فيما تلاه القارىء بين يدى الحفل.. والذى تلا من سورة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾(١).

قلت: كان ﷺ سراجاً منيراً.. كان شمساً.. وإذْ تنسخ الشمس الظل.. فماذا نسخ الرسول بشريعته من الضلال؟..

وإذ تقول الأسطورة: إن الشمس تراهنت مع الريح.. مَنْ منهما يجبر الفلاح على خلع عباءته.. فعجزت الريح.. ونجحت الشمس التى اقتربت من الرجل.. فتصبب عرقاً.. فخلعها طواعية واختياراً!..

ولكن الشمس.. ولكن الرسول.. اقترب من هند بنت عتبة مثلاً.. فحملها طواعية أيضاً على

(١) الأحزاب (٤٦).

أن تخلع.. تخلع ماذا؟.. تخلع عقيدتها حين حطمت صنمها وبيدها!!

ولكن بأى شىء كان هذا النجاح الساحق؟ بالأخلاق.

وهذا ما تلاه علينا القارىء أيضاً عندما قرأ:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٢).

وبالخُلْق استطاع أن يغير الإنسان.. وبالخُلْق سينتصر.. وذلك قوله ـ تعالى ـ بعد ذلك:

﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾(٣).

أى: لأنك على خُلُقٍ عظيم.. فسوف يترتب على ذلك أن يعرف الجميع:

من الذى سينتصر غداً.. وهو أنت..

وانتهى التعليق فى دقائق.. بلا إطناب.. حتى يظل تركيزه داعياً إلى استحضاره.

فلما أقيمت صلاة العشاء.. ظهرت بوادر التوفيق حين أصر القائمون على الحفل أن أقدم الشيخ الجليل، فكان التقديم تعليقاً أيضاً على آيات قرأها الإمام..

ومنها:

﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾(٤).

لماذا التمثيل بالزرع؟..

وما مدى صدق ذلك على المؤمن؟..

نجـــاح الخطـــة

وبعد انتهاء الحفل.. أحسست بنجاح الخطة التى بدت بوادرها فى إقبال الناس.. وتساؤلهم، ولكن يبقى عتاب.. أوجهه للغنى الذكى:

لقد كان من رحمته ﷺ أنه فى السباق بين الخيل.. كان يفصل بين الخيل المضمرة والتى لم تضمر ـ أى المعدة للسباق والغفل التى لم تعد له ـ طبق توجيهه ﷺ:

«سيروا بسير أضعفكم»..

ولكن الرجل الطيب جمع فى هذه الليلة بين الخيل المضمَّرة.. والضعاف منها.. فكان هذا الحرج الذى أخرجنا الله ـ تعالى ـ منه بهذا التلطف.. بين يدى أستاذ الأساتذة.

بيــن يــدى الشــيخ

وبدأ الشيخ يتكلم.. بدأ الداعية يهدى إلى الناس ذوب قلبه.

إنه إذا كان هناك دعاة يجيدون الحديث عن النجاح.. ثم لا ينجحون.

فإن الشيخ كان ممن يقولون.. فيعملون.. فيخلصون.. فينجحون.

بل ويُنْجِحون الناس معهم حين يجددون المفاهيم.. ويفضون الاشتباك بين القيم السديدة.. والقيم العَفِنة:

---

(٢) القلم (٤).

(٣) القلم (٥).

(٤) الفتح (٢٩).

بين التوكل.. والتواكُل.

بين التواضع.. والذلة.

بين القناعة.. والخمول.

بين الإبداع.. والابتداع.

الدعوة ليست تجارة

فى كتاب «الحيوان» للجاحظ.. أنه قال للأخفش:

مالك تكتب الكتاب فتبدؤه عذباً سائغاً، ثم تجعله صعباً غامضاً.. ثم تعود به كما بدأت؟..

قال:

ذلك لأن الناس إذا فهموا الواضح فَسَرَّهُم.. أتونى فَفَسَّرْت لهم الغامض.. فأخذت منهم!!

كان ذلك سُنَّة جروا عليها.. وغاية تواطأوا على بلوغها.. فَتَعَقَدَ النحو.

ولكن الشيخ الجليل.. تسمعه:

فإذا هو فى البداية.. كالنهاية.

عذب.. سائغ شرابه.

طيبون مع إيقاف التنفيذ

ويبقى الود ما بقى العتاب.. عتاب هذا الرجل الطيب الذى ضاق صدره أن يتحدث متحدث فى حضرة الشيخ؟!! ونقول له:

اجلس يا رجل.. واستمع.. على الأقل ليظهر لك الفرق.. بين الدُعاة

فإن وجدت جديداً.. فبها..

وإلا.. فقد صار محبوبك بعد ذلك أكثر عذوبة.

وبضدها تتميز الأشياء!

إن الأمر ليوشك هنا أن يكون تعلقاً بأهل الثقة على أهل الخبرة.. ومع عظيم احترامنا للشيخ الجليل فإنا نقول: ظاهرة الملكيين أكثر من الملك.. والتى تحصر النبوغ كله.. والفضيلة كلها فى شخص واحد.. قد يودع الدنيا اليوم أو غداً.. وعندئذٍ تصير الأمة بلا قيادة!!

أما بعد:

فعود على بدء.. لنشد على يد الغنى الذكى.. على ما بذل.. وعلى ما أكرم.

وكثيرهم الباذلون.. فى الدنيا.

لكن النوايا الطيبة.. لكن مصارف المال.

كل أولئك دليل على التوفيق.

إن الفرق لهائل هائل.. بين منفقين.. وإن اتحدت صورة الإنفاق.

لقد قُتل الصائغ اليهودى الذى ثبت الشوكة فى طرف ثوب المرأة المسلمة.

ثم قُتِل المسلم الذى طعنه أيضاً.

ولكن الأول طريد..

والثانى.. شهيد!!

***

فضيلة الأدب

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

الأدب من أفضل الصفات التى يتحلى بها المرء فى حياته ويتصف بها فى سلوكه، فإن حاز هذه الصفة الكريمة وتلك الخصلة الحميدة فقد حاز الخير الكثير، والفضل العميم.. ولسمو مكانة الأدب وعلو منزلته ورفعة شأنه تولى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أدب نبيه محمد ﷺ فأدبه بأحسن الآداب كلها، فكان محمداً الإنسان، عفيف اللسان، بليغ البيان، عالى الهمة، متربع القمة.

لقد جمع الله ـ تبارك وتعالى ـ لنبيه محمد ﷺ جوامع الكلم فى كتابه المحكم، ونظم له مكارم الأخلاق كلها فى ثلاث كلمات، فقال:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[1]

ففى أخذه العفو صلة من قطعه، والصفح عمن ظلمه، وفى الأمر بالمعروف تقوى الله، وغض الطرف عن المحارم، وصون اللسان عن الكذب، وفى الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن ممارسة السفيه ومنازعة اللجوج.

ثم أمره تبارك وتعالى فيما أدبه، باللين فى عريكته، والرفق بأمته، فقال:

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]

وقال:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[4].

(١) الأعراف (١٩٩).
(٢) الشعراء (٢١٥).
(٣) آل عمران (١٥٩).
(٤) فصلت (٣٤، ٣٥).

وأرشده ـ جلّ وعلا ـ إلى الالتزام بالوسطية والاعتدال فى حياته فقال ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾(٥) .

فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير، وأمر بتوسط الحالتين، كما قال ـ عز وجل ـ :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾(٦) .

فلما كملت فى الرسول ﷺ الآداب الربانية قال الله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾(٧) .

ولقد حرص رسول الله ﷺ على إرشاد أمته وتوجيهها إلى مكارم الأخلاق، وجميل الصفات والتحلى بالآداب فقال : « أوصانى ربى بتسع وأنا أوصيكم بها، أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأعطى من حرمنى، وأصل من قطعنى، وأن يكون صمتى فكرا، ونطقى ذكراً، ونظرى عبراً »(٨) .

وقال ﷺ : « ألا أنبئكم بشر الناس؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده، ثم قال : ألا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال من يبغض الناس ويبغضونه »(٩) .

وأوصى بعض الحكماء بنيه فقال : الأدب أكرم الجواهر طبيعة، وأنفسها قيمة، يرفع الأحساب الوضيعة، ويفيد الرغائب الجليلة، ويعز بلا عشيرة، ويكثر الأنصار بغير رزية، فالبسوه حلة، وتزينوه حلية، يؤنسكم فى الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة .

ومن كلام سيدنا على ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال : من حلم ساد، من ساد استفاد، ومن استحيا حرم، ومن هاب خاب، ومن طلب الرياسة صبر على السياسة، ومن أبصر عيب نفسه عمى عن عيب غيره، ومن سل سيف البغى قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن نسى زلته استعظم زلة غيره، ومن هتك حجاب غيره انتهكت عورات بيته، ومن كابر فى الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تجبر على الناس ذل، ومن تعمق فى العمل مل، ومن صاحب الأنذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن حسن خلقه سهلت له طرقه، ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه، ومن خشى الله فاز، ومن استقاد الجهل

(٥) الإسراء (٢٩).
(٦) الفرقان (٦٧).
(٧) التوبة (١٢٨، ١٢٩).
(٨) العقد الفريد ج ٢ ص ٤١٧.
(٩) كنز العمال ج ١٦ ص ٢٦٠، رقم ٤٤٣٦٧.

ترك طريق العدل، ومن عرف أجله قصر أمله، ثم أنشأ يقول:

إلبس أخاك على عيوبه
واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيـ
ـه وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلاً
وكِل الظلومَ إلى حسيبه

وقال شبيب بن شيبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل، ودليل على المروءة، وصاحب فى الغربة، ومؤنس فى الوحشة، وحلية فى المجلس، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بطلب الأدب، فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالاً، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً.

وقال ابن المقفع: إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك: فإن الكرامة تزول بزوالهما، ولكن ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب.

وقال الأحنف بن قيس: رأس الأدب المنطق، ولا خير فى قول إلا بفعل، ولا فى مال إلا بجود، ولا فى صديق إلا بوفاء، ولا فى فقه إلا بورع.

قيل للعباس بن عبد المطلب: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: هو أكبر منى وأنا أسن منه.

وقيل لعمر بن ذر: كيف بر ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى، ولارقى علية وأنا تحته.

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: قال لى رجاء بن حيوة: ما رأيت أكرم أدبا، ولا أكرم عشرة من أبيك، سمرت عنده ليلة، فبينا نحن كذلك إذ عشى المصباح ونام الغلام.

فقلت: يا أمير المؤمنين قد عشى المصباح ونام الغلام، فلو أذنت لى أصلحته! فقال إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه، ثم حط رداءه عن منكبيه، وقام إلى الدبة «الوعاء الذى فيه الزيت» فصب من الزيت فى المصباح، وأشخص الفتيلة ثم رجع. وأخذ رداءه وقال: قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر.

وقالوا: من حسن الأدب ألا تغالب أحداً على كلامه، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه، وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه، ولا تره أنك تعلمه، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به، وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام.

وقال يحيى بن أكثم: ماشيتُ المأمون يوما من الأيام فى بستان مؤنسة بنت المهدى، فكنت من الجانب الذى يستره من الشمس. فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع أردت أن أدور إلى الجانب الذى يستره من الشمس، فقال: لا تفعل، ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتنى! فقلت: يا أمير المؤمنين، لو قدرت أن أقيك حر النار لفعلت، فكيف الشمس؟ فقال: ليس هذا من كرم الصحبة. ومشى ساترا لى من الشمس كما سترته.

قصة العدد

لو كان معه رجال!

للأستاذ/ شوقى محمود أبو ناجى

استيقظ الرجل وهو يشعر بكثير من الراحة، مع أن التورم الذى أصاب قدميه منذ يومين قد ضيَّق من خطوه، ولكن لا ضَيْر فقد طوى الشوط الأكبر من المسافة.. إنه يسير منذ سبعة أيام ولم تبق إلا ساعات قلائل على دخوله المدينة.. وتهادى إلى مسمعه من بين أغصان الشجرة التى يقيل تحتها أصوات زغب تصفق بأجنحتها الصغيرة وهى تعالج ما تقدمه لها أمها من طعام.. وفكر أن يتسلق الشجرة إلى هذه الأفراخ يستعين بها على غائلة الجوع، ولكنه عدل عن هذا الخاطر فما كان له وهو فى طريقه إلى الأمان أن يزعج طيرا فى عشه، وتناول تمرات من صرة صغيرة شارف ما فيها على الانتهاء وأكل بعضا منها وشرب قليلا من ماء وحمد الله وجعل يتمتم ببعض الدعوات، ثم انطلق يوسع الخطا.

منذ متى لم تكتحل عيناه بمرأى الوجه الكريم؟.. منذ ست سنوات أو يزيد، وإنه ليحس فى نفسه وخز الندم لتأخيره إعلان إسلامه إذ فاته شرف الاشتراك فى المواقف الجليلة وشرف المبايعة تحت شجرة الرضوان، ولكنه يحمد الله على أية حال فقد استطاع الهروب من محبسه والإفلات من قبضة هؤلاء الزبانية الذين يسومون المسلمين فى مكة سوء العذاب.. ولكن.. وأراد أن يطرد الخاطر الذى اقتحم عليه تفكيره.. إنه لا يتصور أن يعود مرة أخرى إلى قريش لكى يلقاه الأخنس ابن شريق وأزهر بن عوف.. وتحسس خطوطا بارزة فى ظهره وجنبيه.. لقد نسيها طوال الرحلة فخفف الله عنه آلامها، ولكنه عندما تحسسها فكأنما أيقظ الألم من سباته، فأحس كأن سياط أزهر بن عوف لا تزال تهوى على ظهره، وأبوبصير يردد ما قال حويطب بن عبدالعزى لمكرز بن حفص أثناء مفاوضات الحديبية: «لن نأخذ من محمد نصفا بعد اليوم حتى يدخلها عنوة».. ولشدما أحس بالسرور يملأ أقطار نفسه وهو يسمع فى محبسه ابن عمه عروة بن مسعود الثقفى الجافى، غليظ الطبع وقد أرسلته قريش إلى محمد ﷺ فى الحديبية فعاد يقول: «يا قوم لقد وفدت على كسرى فى ملكه، وهرقل فى ملكه، والنجاشى فى ملكه وإنى والله ما رأيت ملكا قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيهم من محمد فى أصحابه».

كانت هذه الأنباء وغيرها تنزل بردا وسلاما على أبى بصير ورفاقه من المسلمين المحبوسين فى مكة، ولم يكن أبو بصير بقادر على إخفاء مشاعر الشماتة، وإن كان هذا يزيده من المشركين عذابا على ما يلقاه من عذاب.

لقد كان يلقى الحفاوة كل الحفاوة والإكرام كل الإكرام فى قريش قبل أن يعلن إسلامه فهو بن أختهم سالمة بنت عبد بن يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب، ويربطه حلف ببنى زهرة، ولكنه الران على قلوب المشركين يصم آذانهم عن دعاء الرحم والقرابة والحلف، كما صم آذانهم عن دعوة الحق.

كانت مثل هذه الخواطر تدور برأس أبى بصير بينما هو يوسع الخطا مغذا السير ليبلغ المدينة قبل اختفاء الشمس ليتمكن من أداء صلاة المغرب خلف النبى ﷺ، ويجلس إليه يستمع منه وحى السماء ويأخذ عنه النهج الذى ينظم صلة العبد بخالقه والإنسان بمن حوله وما حوله، وكيف يسلك الصراط المستقيم متجنبا السبل التى تَفَرَّقُ بالإنسان عن سبيل الله.. إنها الأمنية التى لم تبارح تفكيره منذ سمع بمقدم الرسول ﷺ، محرما بالعمرة، ونزل بالحديبية وحدث ما كان من أمر الصلح الذى اشترط فيه سهيل بن عمرو: «على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا من عند محمد لم يردوه عليه» فأحس كثير من المسلمين أنهم أعطوا الدنية فى دينهم مع

قوتهم التى يستطيعون بها أن يدخلوا مكة عنوة، ولكنه أمر الرسول الذى يتلقى الوحى من السماء يجب أن يطاع، وقد أسماها الوحى بعد ذلك فتحا مبينا.

كان أبو بصير يسير وحيدا فى الشعب المفضى إلى المدينة والحصى ينغرز فى قدميه فلا يزيده الألم إلا إصرارا على بلوغ المدينة قبل المغيب، وإنه ليتخيل المسافة القصيرة الباقية تمتد طويلة أمام قدميه وقد كان يظن عند خروجه من مكة أنه سيطوى الطريق فى ساعات قصار، ومع هذا فهو يستعذب كل مشقة وألم ما دامت تفضى به إلى أرض يقيم فيها النبى الحبيب.

لم يسأل أبوبصير عن أى من دور أصدقائه أو أقاربه بالمدينة، فليس هناك من هو أحق باللقاء من المصطفى ﷺ، وتنفس أبوبصير الصعداء، وجلس بعد الصلاة مع المتحلقين فى صمت وخشوع يصيخون بأسماعهم إلى الذى لا ينطق عن الهوى: ولكنها فرحة لم تتم وأوقات السرور القصار كأنها تنتزع من براثن المنغصات لتستردها مرة أخرى.

افتقد أزهر بن عوف بين المحبوسين المغلوبين على دينهم ذلك الثقفى الجرىء الذى ما إن يرى رأسا من رؤوس الشرك حتى يسفه أحلامهم ويسخر من صغار عقولهم التى تجعلهم يوفضون إلى تلكم التماثيل الشوهاء خاشعين مقدمين النذور والقرابين.

انطلق أزهر بن عوف مسرعا إلى صديقه الأخنس بن شريق الذى كان قد توعد أبا بصير بأفانين من العذاب لقاء ما فعله معه أول أمس إذ استخلص أبوبصير يده من وثاقه وشد زنمة الأخنس فأكبه على وجهه صارخا ولم يقتصر الضحك على المسلمين المحبوسين ولكنه تعالى من المشركين الذى شاركوا المسلمين السخرية من احمرار هذه الزنمة المدلاة من عنق الأخنس حتى قال صبى منهم: «إنه يحتاج إلى زنمة أخرى ليصبح تيسا».

حز فى نفس الأخنس بن شريق أنه لم يستطع التشفى من أبى بصير: ولم يطل به التفكير وأمسك لحية أزهر بن عوف وصاح فيه:

- عجل بإرسال رجال أشداء ليأتوا بأبى بصير وكن سخيا فى الكراء، وخذ من إبلى رواحل لهم، ثم دفع إليه صرة فيها مال واستحثه فى التعجيل.

لم يبت أبوبصير غير ليلة واحدة فى المدينة حتى قدم مبكرا خنيس بن جابر من بنى عامر ومعه مولى له اسمه كوثر بكتاب من الأخنس بن شريق وأزهر بن عوف الزهرى إلى النبى ﷺ، وقرأ أبى بن كعب الكتاب على رسول الله ﷺ، فإذا فيه: «قد عرفت ما شارطناك عليه، وأشهدنا بيننا وبينك من رد من قدم عليك من أصحابنا.. فابعث إلينا بصاحبنا».

نظر أبوبصير إلى النبى ﷺ، نظرة تقطر حزنا ورجاء وقال فى صوت مختنق:

– يارسول الله: أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟!

وترقرقت الدموع فى أعين الصحابة المحيطين به، وقد أثار أبوبصير كوامن الشجن إذ أضاف حزنا إلى حزنهم على أبى جندل بن سهيل بن عمرو وهو يردد نفس العبارة: «يامعشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟! بينما أبوه يضرب وجهه بغصن ملىء بالشوك ويشده عنوة إلى معسكر المشركين تنفيذا للشرط المجحف والدماء تغلى فى عروق المسلمين ويتعالى صياح الكثير منهم «لم نرض الدنية فى ديننا؟!»

قال أحد المسلمين بتأثر شديد:

– يارسول الله الرجل يكون خيرا من ألف رجل!!

وتحشرج صوته ولم يتم كلامه. قال النبى ﷺ، فى حزن وثقة ويقين لأبى بصير:

– إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا.

وغامت الدنيا فى عينى الرجل وقد قبض العامرى فى قسوة على يده ومشى المولى خلفهما، ولكن ما عتم أن رفع أبوبصير رأسه فى تصميم وقد تردد فى نفسه صدى صوت الرسول ﷺ، «إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا».

تحركت الشمس نحو كبد السماء تحكم تصويب أشعتها الملتهبة إلى الرؤوس والأعناق الثلاثة، ولم يعد بهم طاقة على تحمل المزيد من هذا الهجير، كما إن السير قد أجهدهم بعد أن بعدوا عن المدينة ستة أميال دون راحة فى الطريق، إذ كان العامرى والمولى فى شوق إلى بلوغ مكة لصرف المكافأة السخية من أزهر بن عوف، والأخنس بن شريق وليتحدث الناس عن شجاعتهما فى استقدام أول مهاجر إلى المدينة بعد صلح الحديبية تنفيذا للاتفاق المبرم بين الفريقين.. ونبه المولى سيده إلى شجرة وارفة الظلال من أشجار ذى الحليفة فاتجهوا نحوها.

كان العامرى والمولى يأكلون كسرهم فى شهية بالغة، ولو أن بالزاد وفرة لالتهموا أضعاف ماطعموا، وازدرد أبوبصير لقيمات وحسا حسوات من ماء وجلس يسمع إلى ذلك العامرى المغرور وقد استل سيفه وجعل يهزه فى الهواء قائلا:– لأضربن بسيفى هذا فى الأوس والخزرج إلى الليل.

وأحس أبوبصير أنه قاب قوسين أو أدنى من تنفيذ مايدور فى رأسه.

فقال للعامرى:

– أوصارم سيفك هذا يا أخ بنى عامر؟

– نعم.

– ناولنيه أنظر إليه إن شئت.

وما إن استمكنت كف أبى بصير من مقبض السيف حتى علا العامرى به وجعل يضربه حتى جعله فى الغابرين.

وأذهلت المفاجأة المولى كوثرا ولكن خوف الموت خف به إلى ظهر راحلته يستحثها فى العودة إلى المدينة وما إن فرغ أبوبصير من سلب العامرى حتى كاد المولى أن يغيب عن نظره فوثب على بعير العامرى يجد فى إثر المولى فى مطاردة خيم عليها شبح الموت، وما إن بلغ العامرى مداخل المدينة حتى قفز عن الراحلة وانطلق يعدو إلى المسجد والحصى يطن تحت قدميه.

نظر الصحابة فى دهشة إلى ذلك القادم يعدو نحوهم فقال النبى ﷺ:

- لقد رأى هذا فزعا.

وأقبل المولى يلهث والخوف يطل من عينيه وقال بصوت مرتجف:

- لقد قتل صاحبكم صاحبى وأفلت منه ولم أكد، وإنى لمقتول.

واستغاث برسول الله ﷺ، فأمنه.

وقدم أبوبصير وأناخ بعير العامرى بباب المسجد وعلى وجهه مشاعر متباينة من الاعتزاز بالنفس والخوف والرجاء، وشغله الموقف عن إفشاء السلام فابتدر الرسول ﷺ، قائلا: - يارسول الله: وفت ذمتك وأدى الله عنك.. أسلمتنى بيد القوم وامتنعت بدينى أن أفتن فيه فقال له الرسول ﷺ:

- اذهب حيث شئت

- يارسول الله هذا سلب العامرى.. رحله وسيفه، فخمسه.

- إذا خمسته لم أوف بالذى عاهدتهم عليه، ولكن شأنك وسلب صاحبك، واذهب حيث شئت.

خرج أبوبصير من مسجد الرسول ﷺ، ليلتف حوله خمسة الرجال الذين قدموا مهاجرين من مكة، ولم يرسل فى طلبهم أحد بعد، وفى أعينهم تساؤل عن المصير المجهول.

وقبل أن يبدأ أى منهم بحديث ترامى إليهم صوت النبى ﷺ، عن أبى بصير:

- ويل أمه مشعل حرب لو كان معه رجال.

ودون أن ينبس أحد ببنت شفة سار الرجال الخمسة خلف أبى بصير.

استقر المقام بالرجال بين العيص وذى المروة من أرض جهينة على طريق قوافل قريش مما يلى سيف البحر. وبلغ أباجندل بن سهيل بن عمرو والمحبوسين بمكة ما قاله النبى ﷺ، عن ابى بصير: «ويل أمه مشعل حرب لو كان معه رجال» فجعل أبوجندل يزين لأصحابه المحبوسين بمكة الانفلات إلى أبى بصير.. وما إن أسدل الليل ستوره حتى كان سبعون من الرجال يطوون الأرض تحت جنح الظلام إلى سيف البحر.

لم يخلص إلى أبى بصير هؤلاء الفارون من

بطش قريش وحدهم بل تسامع المغلوبون على دينهم من غفار، وأسلم، وجهينة، وطوائف من الناس فخفوا إلى ذى المروة فكانوا ثلاثمائة فدائى أو يزيد وتنحى أبوبصير عن القيادة والإمامة لأبى جندل الذى عرف كيف يزعج قوافل قريش حتى وصلت العير القادمة من الشام والتى أودعت فيها قريش أموالها فلم يبق من بين بطونها أو أفخاذها إلا وله مال أو فلذة كبد فى هذه العير.. وأحس الفدائيون أن فى هذه العير مايعوضهم عن أموالهم التى تركوها بمكة وعن نفيهم بعيدا عن الأهل والأرض الحبيبة.

انقض الرجال على القافلة انقضاض الأسود الكاسرة فلم يمض وقت طويل حتى كانت العير أنفالا والحراس فى عالم الغيب إلا من أبقوا على حياتهم ليحملوا إلى قريش نبأ الكارثة.

طال انتظار أصحاب الأموال فى مكة وساورهم الهم والقلق وكلهم يخشى أن يصرح بمايدور فى خاطره من شكوك حتى ظهر رجال امتد بهم حبل الأجل فأفلتوا من مخالب الموت ولكن صفرته لازالت ترسم وجوههم وفى أعينهم ما يغنى عن التفصيل. وتقدم أبوسفيان من الرجال وهو لايريد أن يصدق مايرى وقد دفع الغيظ الدماء فى عروقه حتى برزت أوداجه فقال: ماذا أصاب العير؟

فراح رجل ينشد ما قال أبوجندل:

أبلغ قريشًا عن أبى جندلٍ
أنا بذى المروة بالساحل
فى معشر تخفق راياتهم
بالبيض فيها والقنا الذبل
يأبون أن تبقى لهم رفقة
بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا
والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه
أو يقتل المرء ولم يأتل

ولم يخل بيت من بيوت مكة دون أن يخيم عليه الحزن على قتيل لا يودى أو مال لايسترد ولم يجد غضب أبى سفيان على سهيل بن عمرو الذى اشتط فى اشتراطه على الرسول ﷺ، أن يعيد إلى قريش من ذهب منها إليه، فلولا هذا الشرط ولولا حبسه لابنه أبى جندل ما حلت بهم النكبات.

ولم يكن أمام أبى سفيان خيار فى الأمر، فلابد أن يتوجه بنفسه إلى محمد ﷺ، ويطلب منه إلغاء هذا الشرط الذى كان فى ظاهره إجحاف بالمسلمين فإذا به يرسل تباشير الفتح.. وقدم أبوجندل إلى أبى بصير كتاب النبى ﷺ الذى يخبرهم فيه بإلغاء الشرط، ويطلب إليهم القدوم إلى المدينة.. ورفع أبو بصير عينين واهنتين إلى الكتاب يقرؤه فاطمأنت نفسه وحمد الله قبل أن يسلم الروح إلى بارئها.

القيم في عصر المعلومات

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

تحديات القيم فى عصر المعلومات والاتصال

لقد دخلنا مع بداية القرن الواحد والعشرين عصراً جديداً للمعلومات والاتصال يسمى «كوم-كوم» (COM-COM) Computer-Communication.

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة لشئون البيئة، وقد شارك بهذا البحث فى المؤتمر الثقافى العربى السابع للمجمع الثقافى العربى حول «الثقافة والقيم» الذى عقد بجامعة السلطان قابوس فى مسقط عاصمة سلطنة عمان فى الفترة من ٢١ - ٢٣ اكتوبر ٢٠٠١م.

فقد أصبحت تقنيات المعلومات والاتصال وجهين لعملة واحدة، على أساس أن ثورة تقنية الاتصال قد سارت على التوازى مع ثورة تقنية المعلومات التى تدفقت نتيجة للتفجر المعرفى وتضاعف الإنتاج الفكرى فى مختلف المجالات، وظهور الحاجة إلى تحقيق أقصى سيطرة ممكنة على فيض المعلومات المتدفق، وإتاحته للباحثين والمهتمين ومتخذى القرارات فى أسرع وقت وبأقل جهد وتكلفة، عن طريق استحداث أساليب جديدة فى تنظيم المعلومات تعتمد بالدرجة الأولى على الحاسب (الكومبيوتر) واستخدام تقنية الاتصال لمساندة مؤسسات المعلومات ودفع خدماتها لتصل عبر القارات. والواقع أن تعريف «المعلومات» ينطوى على معنى هذا التزاوج، إذ ينص فى إحدى صيغه على أنه «اقتناء واختزان المعلومات وتجهيزها (معالجتها) فى مختلف صورها وأوعية حفظها، سواء كانت مطبوعة أو مصورة أو مسموعة أو مرئية أو ممغنطة أو معالجة بالليزر، وبثها وتبادلها ونقلها باستخدام توليفة من المعلومات الالكترونية، ووسائل أجهزة الاتصال عن بعد».

وهكذا لا يمكن الفصل بين تقنيات المعلومات والاتصال، فقد جمع بينهما النظام الرقمى الذى تطورت إليه نظم الاتصال، فترابطت شبكات الاتصال مع شبكات المعلومات، وهو ما نلمسه واضحاً فى حياتنا اليومية من التواصل بالفاكس عبر شبكات التليفون، وفى بعض الأحيان مروراً بشبكات أقمار الاتصالات، وما نتابعه على شاشات التليفزيون من معلومات تأتى من الداخل، وقد تأتى من أى مكان فى العالم أيضاً.

وإذا كان عصر المعلومات والاتصال يشهد حالياً ثورة هائلة للعمل على السرعة فى الحصول على المعلومات ونشرها وتبادلها ونقلها من مكان إلى مكان آخر بأقصى سرعة ممكنة، إلا أن هذه التقنيات الجديدة لم تكن خيراً محضاً، بل أصبح لها عديد من التأثيرات السلبية التى تهدد منظومة (نسق) القيم الإنسانية. ويمكن إيجاز ذلك فيما يلى:

١- حق الإنسان فى الحصول على المعرفة بصورة عامة لم يعد مكفولاً للجميع بسبب اتساع فجوة المعرفة Information gap بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون لدرجة أصبحت تشكل انزعاجاً وقلقاً بشأن من لا يمتلكون القدرة على الوصول إلى خدمات الإنترنت والقنوات الفضائية العالمية. ذلك أن تكاليف أجهزة الحاسب (العتاد والبرامج)، وأطباق الاستقبال، والاشتراك فى شبكات المعلومات، ليست فى متناول نصف سكان العالم تقريباً من الطبقات الفقيرة التى لا تستطيع حتى الآن أن تصل إلى الخدمة التليفونية. ومن المعروف أن التليفون يمثل القاعدة الأساسية للوصول إلى شبكة المعلومات. وحتى فى أكثر الدول ثراء وليبرالية، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، نجد أن حوالى ٩٥٪ من المنازل يوجد بها تليفونات، بينما تقل هذه النسبة إلى ٨٥٪ فى المنازل التى يقطنها أمريكيون من أصل أفريقى African Americans.

ويعـول البـعض فى حل هذه المشكلة ـ لتحقيق المساواة الاجتماعية فى إتاحة القدرة للحصول على المعلومات ـ على ما يسمى بالطريق السريع للمعلومات Information Superhighway لتحقيق التدفق الحر Free Flowing للمعلومات ووصولها إلى أية مكتبة أو مدرسة أو مستشفى.. ولكن هذا الحلم يعوق تحقيقه واقع الحال فيما يتعلق بالبرامج المنافسة وتحديد أسعار الخدمات والممارسات التسويقية للشركات.

٢- ترتيبا على وجود فجوة المعرفة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وصعوبة تحقيق المساواة الاجتماعية، يخشى أن يصبح أثرياء المعلومات أكثر ثراء، وفقراء المعلومات أكثر فقراً، الأمر الذى ينذر بخطر إعادة تشكيل أخلاقيات مجتمع الرفاهية والثراء بصورة مغايرة للقيم الإنسانية. ذلك أن أثرياء المعلومات يتمتعون بالمزايا التى تساعدهم على أن يتسيدوا التقنيات الجديدة ويتفوقوا فى استخدامها بشكل أسرع، وهذا يؤدى فى النهاية إلى تشكيل مجتمع من طبقتين Two-Layered Society تباعد بينهما عوامل أخرى ـ بالإضافة إلى تقنيات المعلومات والاتصال ـ مثل حالة الكساد الطويلة والضرائب المتزايدة، وانخفاض معدلات التعليم المجانى.

٣- تدل الإحصاءات الحديثة على تزايد ظاهرة إدمان الإنترنت والتليفون المحمول، حيث يقضى بعض مستخدمى الإنترنت أكثر من ١٨ ساعة يومياً فى الاتصال المباشر معها (ثرثرة ومناقشات تافهة)، ويجد مستخدمو التليفون المحمول أنفسهم مدفوعين لاستخدامه دون وعى منهم. وقد أوضحت إحدى الدراسات الحديثة أن الموجات الكهرومغناطيسية التى يولدها التليفون المحمول، والتى يتسرب تأثيرها إلى المخ، تسبب إفراز نوع من «الأندومورفينات» يشبه مخدر «المورفين» ويسبب «الإدمان» المرتبط بإهدار قيمة الوقت.

وقد لوحظ أن ما بين ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من إجمالى عدد الحاسبات تترك فى وضع التشغيل طوال أيام وليالى الأسبوع دونما حاجة لذلك لتستهلك طاقة كهربية تعادل الطاقة التى تنتجها ١٢ محطة توليد كهرباء. ولم تلفح كثيرا جهود خفض استهلاك الحاسبات والشاشات والطابعات للطاقة الكهربية من خلال وجود ما يسمى «بنظام نوم الطاقة» «Power Sleep mode»فى فترة عدم الاستخدام، أو تشغيل خط إنتاج لما يسمى «بالحاسبات الخضراء» التى تحد من استهلاك الطاقة وتحافظ على البيئة المحيطة.

٤- مع انتشار تقنيات المعلومات والاتصال بصورة كبيرة انتشرت أيضاً الجرائم الجنائيةوالأخلاقية المرتبطة بها، وتعددت وتنوعت هذه الجرائم التى يتمحور أغلبها حول سرقة معلومات أو بيانات، أو مجرد الاطلاع عليها والانتفاع بها بصورة غير شرعية أطلق على معظمها اسم «القرصنة» وعلى مرتكبيها اسم «القراصنة»، قياسا على ما يقوم به قراصنة البحار من استيقاف بعض السفن والمراكب والانتفاع بمكوناتها المادية

وسرقة من هم على متنها بصورة غير شرعية. وكما أن الإنترنت تتطور، فإن القراصنة أيضا يتميزون بسرعة التكيف مع هذا التطور ويسعون لإيجاد طرق جديدة تتمشى مع تطورات الإنترنت.

كذلك تصاعدت فى الآونة الأخيرة سرقة المطبوعات والمنشورات مباشرة من الإنترنت، الأمر الذى يهدد الصناعات الإبداعية ويعطل مسيرة تطور التجارة الإلكترونية. وأصبح معروفا أن أسلوب الدفع النقدى الإلكترونى E-Cash عن طريق بطاقات الائتمان تكتنفه مخاطر عدة أهمها سرقة أرقام هذه البطاقات، وتزوير الرسائل والبيانات بسبب غياب المستند الورقى الموقع بخط اليد، وتسويق سلع غير أصلية على شبكة الإنترنت دون أدنى حماية للمستهلك، وغيرها.

أيضا انتشرت خلال السنوات الماضية ظاهرة سرقات عتاد الحاسب والبرمجيات، وزادت سرقة الوقت والخدمات الكابلية والتليفونية، وتصاعدت جرائم تعمد الأذى والتدمير، وتنوعت أساليب حرب الفيروسات وأعمال التجسس والإرهاب وطرق التزييف وإفشاء الخصوصيات، وغيرها.

٥- ومن المخاطر التى تهدد العلاقات والقيم الإنسانية وجود مواقع على شبكة الإنترنت للحب والزواج والعلاقات غير الشرعية. وقد استغلت شبكة المافيا العالمية بعض هذه المواقع لتحقيق أرباح طائلة من هذه العلاقات المحرمة.

كذلك بدأ ما يسمى «الإباحية الإلكترونية» فى الانتشار عبر شبكة الإنترنت حيث يتم تبادل الصور الفوتوغرافية المخلة بحرية تامة عن طريق هذه الشبكة، وأصبح هناك نواد للإباحية فى الغرب، تباشر أعمالها بالاستعانة بشبكة «الويب» العالمية. ورغم أن الغرب كان يتغاضى أحياناً عن إباحية الكبار بدعوى الحق فى حماية الخصوصية Right of Privacy إلا أن ذلك لا ينطبق على الأطفال والصبية الصغار بعد ما انتشرت «دعارة الأطفال» ونظرا لخطورة هذه المشكلة، فقد نظمت اليونسكو خلال شهر يناير ١٩٩٩م المؤتمر الدولى لمكافحة دعارة الأطفال عبر الإنترنت.

٦- تحاول بعض المنظمات المشبوهة ـ من خلال شبكة الإنترنت ـ تشويه الإسلام وتحريف القرآن الكريم وتلفيق أقوال مكذوبة على لسان الرسول الأمين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وهذا التحريف المتعمد يتنافى مع كل الأعراف والمواثيق الدولية التى تؤكد على ضرورة احترام المعتقدات وعدم المساس بالمقدسات.

٧- حماية الملكية الفكرية Intellectual Property Rights فى عصر تقنيات المعلومات والاتصال تعد أمراً مهماً بعد أن أصبحت عمليات النسخ أسهل بكثير مما كانت عليه فى الماضى.

● خاتمـــة:

يتضح من هذا العرض العام الذى قدمناه بشأن القيم فى عصر المعلومات والاتصال أن الموضوع بحاجة ماسة إلى اهتمام الباحثين

بدراسة التأثيرات المختلفة لهذه التقنيات الجديدة على جوانب الحياة البشرية، وبيان أهمية الحرص على صيانة الذاتيات واحترام اللغات والثقافات القومية وعدم المساس بالمقدسات، خاصة وأن مخاوف البلدان النامية تتزايد يوماً بعد يوم مع اتساع الفجوة بينها وبين البلدان الأكثر تقدماً. ويخشى أن تفرض المعلوماتية عبر انتشار البرمجيات نموذجاً ثقافياً موحداً، منبثقاً عن بلدان الشمال، وأن يكون هذا التوحيد مصدر إفقار للبشرية جمعاء، لأن الثروة ـ كما نعلم ـ كامنة فى التنوع، بل يخشى أن تفضى المعلوماتية داخل البلد الواحد إلى تعميق الهوة وتوسيع حالات التفاوت بين فئات المجتمع على حساب الأقل حظاً. وعندما يشار إلى التغير الاجتماعى الذى يفضى إلى إعادة صياغة منظومة القيم، فإن ذلك يعنى التغيرات التى تحدث فى بنية المجتمع ووظائفها المتعددة، ولهذا يكون التغير الاجتماعى جزءاً من موضوع أوسع هو التغير الثقافى فى مختلف ميادين العلم والتقنية والفلسفة والفن وغيرها. وعلى كل حال، فإن العلاقة بين القيم الثقافية والتغيرات التقنية علاقة تبادلية تقوم على التأثير والتأثر، وآية ذلك أن القيم عامل حاسم فى اختيار التقنيات، مثلما أن التقنيات عامل مؤثر فى تغيير القيم.

أهم المراجع

١- د. عبداللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم (دراسة نفسية)، عالم المعرفة (١٦٠)، الكويت ١٩٩٢م.

٢- د. صلاح قنصوة، نظرية القيمة فى الفكر المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦م.

٣- د. شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال ـ المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٠م.

٤- د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز المنيف، حرب المعلومات- الحرب القادمة، د. ت.

٥- د. أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٧.

٦- د. عبدالمحسن الحسينى، العصر التكنولوجى والإسلام- دراسة نقدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٩٨٦.

٧- **Maxwell, N., 1988. From Knowledge to Wisdom: A Revolution in the Aims and Methods of Science Blackwell, New York.**

٨- **Polkinghorne, J ,.1996. "Beyond Science". Cambridge University Press**

رمضان فى بلاد الأمريكان (٢)

الأرض الخصبة والمشاكل الصغيرة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

دأب الغرب على زعم أن الإسلام انتشر بحد السيف والغريب فى الأمر أن الغرب يدعى الحيدة فى دراسة التاريخ والسير، ويزعم أنه يستخدم أساليب موضوعية فى تحليل الأحداث!!

وتلك أردية مللناها، وسئمناها. لكنه مازال يرتديها. ودعايات مازال يطلقها، ولا يصدقها هو، فهو يعلم يقينا أن مزاعمه مفتراة وأن أرديته كاذبة.

وأكاد أوقن أنه يضحك فى خبث ودهاء عندما يرى أناساً من بنى جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا يرددون زعمه ويرتدون أرديته.

والحق الذى لا مرية فيه والذى يعلمه الغرب يقيناً وفى نفس الوقت يخافه على مستقبله ويرهبه، أن الإسلام انتشر بالدعوة الهينة والقدوة الحسنة، ودعاة الإسلام وعلماؤه يقولون:

«إن حال رجل فى ألف رجل خير من مقال ألف رجل فى رجل».

ولم يدخل الإسلام حرباً إلا دفاعًا عن نفسه ضد من أرادوا أن يغتالوا الدعوة فى مهدها، خوفاً على مواقعهم فى المجتمع أو على مصادر الثروة فيما يقدسون من حجارة يرتزقون من خلالها أو خداع وشعوذة، وكهانة يمارسونها يدعمون به المكانة الاجتماعية ومصادر الدخل، حيث إن الجاهلية كانت تعلم صدق الداعى، ونبالة الدعوة، وصدق الله حيث يقول:

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾(١)

(١) الأنعام (٣٣).

وكم عانى المسلمون من ألوان التعذيب والصد عن الدعوة!! وكتب السيرة والتاريخ خير شاهد على ذلك.. لكن مالنا وللتاريخ! وأعداء الإسلام يشوهون التاريخ ويمسخونه، ويمسخون عقولاً، ويستأجرون أبواقاً تهلل لكل ناعق بما يزوّرون.

وفجأة أقبل عليَّ صاحبى -بعد طول غياب- مقاطعاً مشوقا متهللاً فى عتاب يقول: جئت إليك أود أن أرى بلاد الأمريكان من خلال حديثك ولكنى أراك تدخلنا فى منعطفات وعرة وقضايا معقدة.

قلت: والأسى يكاد يقطر فى كلماتى ومرارة الألم تملأ حلقى، أحاول جاهداً أن أخفى ما أصابنى من وقع الكلمات، ليس فيما أقول قضايا معقدة، ولم أصحبك بعد إلى منعطفات صعبة وكل ما قلته هو بعض افرازات الرحلة فى بلاد الأمريكان، فلم يكن الأمر كما توهمت وأنا لست ابن بطوطة ولا ماجلان، وعلى أى حال ربما يتيح المستقبل وقتاً للحديث عما تريده من الرحلة.

قال صاحبى فى مودة ومجاملة -فيهما من المجاراة اكثر مما فيهما من الموافقة والاقتناع-: لك ما تريد، لكنى بربك أريد أن أعرف مرادك من الدخول فى هذه القضية وماذا تريد من عرضك لهذه المزاعم القديمة.

قلت لصاحبى -وقد أبهجتنى موافقته-: لا يخفى عليك ما تعانيه الولايات المتحدة والعالم مما حدث فى الحادى عشر من سبتمبر، كما لا يخفى عليك رد الفعل الأمريكى الأهوج المتهور المدمر الذى حطم فيما حطم ما كان يتغنى به من ديمقراطية وحرية وعدالة أيضاً، لا فيما تعامل به مع الآخرين؛ فذلك معروف وقائم فى تعامل الغرب مع العالم القديم كله، واذكر لنهرو رئيس وزراء الهند الأسبق كلمة رقيقة لكنها حادة مثل السيف يصف بها الغرب فى تعامله مع الشعوب الأخرى عندما قال: «إن الغرب يعتقد أن الديمقراطية والحرية والعدالة فراء ثمين لايناسب أبناء المناطق الحارة». لكنى أقصد ما كان يتغنى به الغرب ويعيش به داخل المجتمع الأمريكى نفسه. حيث أقر الكونجرس الأمريكى ما عُرف بقانون الاشتباه وهو ما يبيح للسلطة التنفيذية سلطة القبض والحجز لمدة تصل إلى ستة أشهر لمجرد الاشتباه!! ومع هذا يتباكى على ما يدعيه من حقوق الإنسان المهدرة وتقييد الحريات فى عالمنا الثالث. كيف ولماذا؟

أما كيف.. فذلك بواسطة جماعات حقوق الإنسان المبثوثة فى بلادنا التى ترسل تقاريرها المشبوهة الملوثة بالعمالة والارتزاق والخيانة المملوءة بالصراخ والبكاء على الحريات المهدرة!

أما لماذا.. فذلك بهدف التدخل والابتزاز والسيطرة ولا عزاء للحرية والديمقراطية.

معذرة.. لقد أطلت عليك، لكنى أردت أن أبين لك شعارات وذرائع لانتهاك حريات الآخرين!! وإن ربك لبالمرصاد..

ها هى حرية الإنسان مرغها الأمريكيون فى وحل الا ستبداد أمام الخوف والهلع، وصدق المثل العربى الذى يقول: «بالكيل الذى كلت يُكال لك به».

وصدق الله حيث يقول فى حق أسلافهم:

﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢)

وأثناء ذلك اشتدت الحملة على الإسلام، وبدأ الغرب كله يقلب فى مخزونات الاستشراق البغيضة، وينشر على العالم كله ما يمكن أن نسميه «جمرة الحقد الخبيثة» من مزاعم وأباطيل، فندنا إحداها فى المقال السابق واليوم نفند زعماً آخر وأكذوبة قديمة، وهى أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأنه دين لا يعرف السلام.

قال صاحبى - وقد أحسست بوادر ملل تتسرب إلى كلامه -: معذرة إليك، لماذا كل هذا الجهد الذى تبذله وهذه المقدمات الطويلة فى دحض شبهة قديمة مع أن الإسلام يكاد يركع تحت سيطرة النيران الغربية، فالغرب ليس فى حاجة إلى حجج من هذا القبيل.

قلت لصاحبى -مقاطعاً-: أولاً: أنا لا أقبل قولك أن الإسلام يكاد يركع، لأن الإسلام دين لا يعرف الركوع لغير الله، ولا السجود إلا لسلطانه، أما المسلمون فقد أُسَلِّم بأن بعضهم يدفعهم للركوع، ما أخبر به المصطفى ﷺ بأنه الوهن الذى سيصيب المسلمين بعده وهو «حب الدنيا وكراهية الموت» أما الإسلام فلا.

إن الذى يزعج أمريكا الآن ليست الدول الإسلامية، إنما الذى يزعجها ويؤرقها هو انتشار الإسلام فى داخلها.

قال صاحبى -وفى صوته نبرة سخرية-: كيف ينتشر الإسلام داخل أمريكا حتى يزعجها؟

قلت لصاحبى: الآن اقتربت بى أو اقتربت بك من الحديث عن رحلتى فى بلاد الأمريكان، والإجابة على السؤال أيضاً.. إن المواطن الأمريكى العادى مغلق لا يكاد يعرف عن العالم الخارجى إلا ما يقدمه تليفزيون تافه مهرج ملئ بزخم إعلانى فج عن بضائع ومأكولات وأدوات زينة، وعلى قمة ذلك المرأة، فهى سلعة رخيصة تقدم وتقدم إلى درجة مقززة، يعف لسانى وأربأ بمجلتنا عن وصفها، فهل تتصور أن التلاميذ الأمريكان لا يدرسون إلا التاريخ الأمريكى فقط؟ وأين هو؟ إنه أقل من ثلاثمائة عام؟ إننا هنا فى مصر.. ندرس تاريخ العالم القديم وتاريخ اوروبا الحديث وأكثر بلاد العالم. وهى مسألة نفسية بالدرجة الأولى، فأنت عندما تدرس التاريخ القديم تفاخر بتاريخ تدرسه تنافح الأمم، أما أمريكا فسوف ينشأ الطفل مهزوماً نفسيا عندما يدرس تاريخ مصر القديمة والآشوريين والفينيقيين والرومان، حتى إن أحد الأمريكيين من أصول شرقية ناقش المسئولين فى مدرسة «لماذا لا تدرسون تاريخ العالم؟ ولماذا تدرسون تاريخ أمريكا فقط؟»

أجاب المسئولون -بكل عجرفة وعجز عن الإجابة السوية-: «مالنا وللعالم»؟!

على أنى أعتقد أن التاريخ الأمريكى الذى

---

(٢) الحشر (٢).

يدرس للطلاب فيه كثير من التدليس وأظنهم لا يدرسون أن أمريكا كانت منفى للمسجونين الخطرين على الأمن فى أوروبا وقطاع الطرق واللصوص، الذين يتكون منهم المجتمع الأمريكى نفسه الآن.

وأن فصائل محدودة هى التى هاجرت طواعية إلى أمريكا بعد أن استقرت الأمور، ولذلك فهم يفاخرون البيض كأنهم أشراف، أما عن الزنوج فحدث عن التفرقة ولا حرج، فلا يمكن أن يدرس تاريخ اختطافهم من أفريقيا وبيعهم فى سوق النخاسة الأمريكية.

وكل ما يتطرق لهذا التاريخ الأسود الذى يمكن أن يخرج النور على هيئة كتب وأفلام خارج فصول الدراسة ولذلك فهو يحدث دوياً يحرك المياه الراكدة فى المجتمع الأمريكى، والتى ما تلبث أن تعود إلى هدوئها تحت وطأة طاحونة العمل اليومى الرهيب.

على أن الأمريكى كمواطن فيه من الطيبة ما يبلغ حد السذاجة، ومن الغطرسة ما يصل إلى حد الغرور والكبر، ومن الشراسة ما يطاول الوحوش المفترسة.

والمجتمع الأمريكى مجتمع عمل عنيف، ونظام، وطوابير أيضاً، ونظافة، لكنها شكلية مظهرية مجتمعية.

قال صاحبى: كل ذلك مقبول، أما أن تكون النظافة شكلية مجتمعية، فذلك مالا أفهمه وأحسبه نوعًا من التحامل منك.

قلت لصاحبى: لا أرى داعيًا للتحامل؛ فأنا أنقل والناقل يجب أن يقدم رؤيته بأمانة وتحليله صادقاً. أما التبرير فليس من مهمتى ولا طبعى، على أى حال سوف أنقل لك ما رأيت بأمانة، وأحكى ما شاهدته بصدق وعليك أن تجد من الأوصاف للذى أحكيه ما يروق لك، أو ما يوافق الحقيقة فى تقديرك.

فى طريق عودتى نزلت فى مدينة شيكاغو وتسميتها مدينة فيه تجاوز كبير حيث إن مقاييسنا تختلف من القاهرة إلى أمريكا وكل شىء هناك ضخم وواسع وكبير حتى الأقداح التى يتناولون بها الشاى والقهوة والمياه الغازية، الأقداح كبيرة، كنت أسميها «القُلة الأمريكانى» نسبة إلى القُلة قبل عصر الثلاجة والديب فريزر.

قال لى صديق مصرى -يحمل الجنسية الأمريكية- والعهدة على الراوى: إن مدينة شيكاغو قريبة من حجم الدلتا وبها أكثر مطارات العالم حركة، ففى كل ٣٠ ثانية حركة إقلاع وهبوط، المهم أن هذه المدينة على اتساعها المهول نظيفة تماما، لم أر ورقة أو علبة سجائر فارغة أو أحد أقداح القهوة ملقىً على الرصيف، إن الأمريكى يحمل ما تبقى معه ولا يلقيه من يده حتى يجد سلة مهملات، وتلك خصلة حميدة. ونظافة يحمد عليها و تحمد له، لكنى شاهدت فى مطار شيكاغو على مقعد أمامى فى صالة الانتظار شاباً يحمل كلباً صغيراً فى حجم قطة فى لون البقر ذو شعر قصير ملامح كلب عادى كالذى نراه فى مصر -مثلاً- فليس هو فصيلة نادرة أو غريبة الشكل، مسافر معه،

يحمله فى قفص خاص به، أخرجه من محبسه ووضعه على حجره يلاعبه ويلاطفه كل هذا منظر مقزز، لكنه كثير مشاهد، أما الذى راعنى هو أن هذا الشاب كان يأكل من (كيس) عليه علامة أحد المطاعم الشهيرة التى ابتلينا بها فى الشرق به قطع من الدجاج والبطاطس، فكان يأخذ قطعة الدجاج الصغيرة ويطعمها للكلب وبيده نفسها التى لامست فم الكلب ولسانه يقطع أخرى ويأكلها هو!

وليس ذلك فحسب، بل إنه يقدم قطعة بطاطس للكلب، فيلحسها الكلب فى مجاملة لصاحبه، ثم يرفضها، فيعاود صاحبه فيأكلها فى حبور أبله.. ياسبحان الله!! كيف يتوافق هذا مع أنه يرفض إذا ناوله البائع رغيف خبز بيده من غير منديل ورقى يرفض أن يأخذ هذا الرغيف مع أن العامل الذى يقدمه أمريكى أبيض، فهل فم الكلب ولسانه أكثر نظافة! ومستساغ أكثر من يد أمريكى أبيض؟! أم أنها النظافة الشكلية التى فرضها المجتمع الغبى، التى تُميز فى غطرسة أنف الكلب وفمه ولسانه على يد إنسان خلقه الله فسواه فعدله.

ومهما يكن عندنا من بُغض يزعمه الأمريكان ضدهم، فلن نفضل الكلاب عليهم!!

قلت لصاحبى: أعتقد أنى جنحت بك جنوحاً بعيداً عما كنت أريد.

قال صاحبى: لا عليك، فلست أرى فيما قلت جنوحاً، على العكس، فأنا أحب وصف هذه المشاهد، فذلك ما أرجوه من حديثك عن الرحلة «الأمريكانى» البلاد والناس.

قلت: لك هذا إن شاء الله، لكن الذى أحب أن تعرفه، والسؤال الذى أرجوك أن تسأله لنفسك: «لماذا يثير الغرب كله - وليست أمريكا وحدها- ضد الإسلام هذه التهمة القديمة، «أن الإسلام انتشر بحد السيف»؟ وواصلت قائلاً: هل تعلم أن أمريكا تخاف من انتشار الدين الإسلامى الآن أكثر من أى وقت مضى داخل أمريكا نفسها حيث إن نسبة مبيعات الكتب الإسلامية تجاوزت نسبة مبيعات اللهو الأمريكى! .. وأن كثيراً من الأمريكيين جاءوا إلينا يسألون عن الإسلام، فلما عرفوا عقلانية الإسلام وسماحته كانوا فى ذهول مما يقدم فى الإعلام الأمريكى عن بدوية الإسلام وتسلطه وعدوانيته.

إن حملة أمريكا العسكرية يحاول الإعلام الأمريكى تبريرها للمواطن العادى هناك بزخم دعائى حتى تؤهله نفسياً لتحمل تبعاتها المادية بعكس حرب العراق، فإن الذى تحمل تبعاتها مباشرة هم العرب والمسلمون. أما هذه الحرب فقد يتحملها الاقتصاد النفطى على المدى البعيد، لكن الخزانة الأمريكية هى الممول المباشر، فهذا مالا يرضاه الأمريكى ولا يحبه، وهو ما يزعج الإدارة الأمريكية، فكان لابد من «هوجة» إعلامية، قالت فيما قالت، وافترت فيما افترت: أن الإسلام دين الإرهاب وأنه انتشر قديما بحد السيف، فبدأ الأمريكى يسأل عن الإسلام وهؤلاء العرب، فلم يجد أمامه إلا

ترجمات كاسدة فى المكتبات الأمريكية، تناولها فى لهفة، وعرف منها بعض الحقائق عن هذا الدين، بدا من خلالها كذب ما يفتريه الإعلام الأمريكى، وتلك سقطة للإعلام الأمريكى تشهد أن الإسلام قد استفاد منها، فلو لم يربط الإعلام الأمريكى بين ما حدث فى ١١ سبتمبر وبين الإسلام لكان دور الفعل الأمريكى والعالم حرباً عادية مثل كل العبث الأمريكى الأهوج فى العالم، لكن كما يقولون: «رُب ضارة نافعة».

وكما يقول الشاعر:

قــد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبـــتلى الله بعض الناس بالنعم

فمن نعم الله - تعالى - المغلفة بالتدمير الأمريكى الأحمق ربط ما حدث فى ١١ سبتمبر بالإسلام، مما جعل المواطن الأمريكى يسأل عن الإسلام، ويتعرّف على هذا الدين، فيجده ديناً سمحاً نبيلاً إنسانياً شاملاً.

إن المواطن الأمريكى إذا رأيته وهو يأكل، يلتهم كميات لا يتناول ربعها أكثر سكان العالم قهراً لأنه لا يجد أو أفضلهم سلوكاً لأن دينه يقول: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾(٣).

وجسم الأمريكى ضخم مترهل والسمنة منتشرة بينهم بدرجة مقززة تجعلك تحمد الله على النحافة وعلى لقيمات يقمن الصلب، هذا الأمريكى خواء من الداخل، نفسياً وروحياً وأسرياً، يجعلك تحمد الله وتتذكر قوله تعالى بيقين:

﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾(٤)

هذا الأمريكى تحركه أجهزة إعلام رهيبة متسلطة لاهية ولابد لها من دق طبول عنيفة حتى يتنبه ويسمع ويحس بما يدور حوله حيث إنه بليد الإحساس غالباً، فدقت طبول الحرب ضد الإسلام، لكن انقلب الحال فتحرك الوعى الأمريكى يريد أن يعرف ما هو الإسلام أولاً. فإذا عرف الإسلام فذلك مكمن الخطر على النظام الأمريكى نفسه، وهذا هو الذى حدث، وهذا سر الفزع الأمريكى الآن، إنهم لايخافون من المسلمين، ولكن يخافون الإسلام داخل بلادهم الذى ينساب إلى القلوب الظمأى كالماء العذب فى هدوء رقراق جميل، ولنا أمل عظيم أن يحول هذا الفقر النفسى والروحى إلى رياض نضرة من الرى والأمن والاطمئنان بالإسلام.

فهل بعد ذلك يسوغ لعاقل أن يقبل قول مستشرق أحمق يزعم أن الإسلام ينتشر فى أمريكا بحد السيف أم أن الواقع يكذب هذا، ويدحضه وعلينا أن نؤهل أنفسنا لمرحلة جديدة من الدعوة داخل المجتمع الأمريكى والغربى تناسب هذه الفترة. وإلى لقاء آخر بإذن الله نحاكى فيه أحداث التاريخ حول انتشارالإسلام فى العالم ونحكى فيه بعض المشاكل الصغيرة التى يمكن أن تعوق ذلك الآن.

---

(٣) الأعراف (٣١).

(٤) محمد (١٢).

في ظل آية كريمة

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾

للدكتور / حمدى فتوح والى

لم يشهد تاريخ أمة (ماشهده) تاريخ بنى إسرائيل من قسوة وجحود واعتداء وتنكر للهداة، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عددا من أنبيائهم، وهى أشنع فعلة تصدر عن أمة مع دعاة الحق المخلصين، وقد كفروا أشنع الكفر واعتدوا أشنع الاعتداء، وعصوا أبلغ المعصية. وكان لهم فى كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل!

وما نشهده اليوم فى أرض الإسراء من أفاعيل تذهل العقول وتحير القلوب من سفك للدماء وتمزيق للأشلاء، وحرق للزروع وهدم للبيوت، وما نراه من قتل للأطفال وهتك للأعراض وضرب للشيوخ وتكسير للعظام يشهد بهذه القسوة وينطق بتلك الوحشية.

ولعل صورة الطفل الذى حاول الاحتماء بظهر أبيه لينجو من رصاص اليهود الغادر، وتوسلاته إليهم بصراخ يدمى العيون ويمزق القلوب، ومشهد الأب الحزين المكلوم وهو يتوسل إليهم جاعلا من صدره درعا لولده فى وجه هذه الكلاب المسعورة. خير شاهد على هذه القسوة التى لم ترحم براءة الطفل ولاتوسلات الأب ومازالت بالطفل حتى ذبحته فى حضن أبيه.

وتساءلت فى مرارة كيف يقوى مثل هذا القاتل أن يعود إلى بيته ويحتضن طفله فى لهفة ويقبل ما بين عينيه فى حنان، وهو الذى فرغ منذ قليل من ذبح زميل ابنه فى الطفولة وخدنه فى البراءة.

لقد حاولت أن أجد تفسيرا لهذه القسوة الكافرة التى فاقت كل ما يتصوره البشر من الذئاب الجائعة والوحوش الضارية فوجدته شافيا كافيا فى قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١).

---

(١) البقرة آية ٧٤.

والمتأمل فى الآية الكريمة يلحظ مقارنة فى القسوة بين قلوب اليهود وبين الحجارة. وهذا كاف فى إلحاق صفة القسوة بهذه القلوب الكافرة، لكن الخالق -سبحانه وتعالى- يزيدنا علما بطبيعة تلك القلوب فيخبرنا أن هذه القلوب قد فاقت الحجارة فى قساوتها فالحجر قد تمر به حالات يندى فيها ويرق، ويخشع ويلين لكن قلوب اليهود ليست كذلك، فهى من الغلظة والقسوة والشدة والجفوة بحيث لايمر بها أدنى خاطر من خواطر الرحمة أو الرأفة.

والحجارة التى يقيس الله قلوبهم إليها فإذا قلوبهم منها أجدب وأقسى، هى حجارة لهم بها سابق عهد، فقد رأوا الحجر تنفجر منه اثنتا عشرة عينا، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله، وخر موسى صعقا، ولكن قلوبهم لاتلين ولاتندى، ولاتنبض بخشية ولاتقوى. قلوب قاسية جاسية، مجدبة كافرة، ومن ثم ختمت الآية بهذا التهديد:

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

ولغرابة هذه الصفة وشناعتها أتساءل: كيف وصل الحال باليهود إلى هذه الدرجة من الكفر والجحود والفجور والكنود، ولماذا استحقوا من بين سائر البشر أن ينعتوا بهذا الوصف البغيض؟

وجواب ذلك نجده فى المقصود بالإشارة من قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾.

واسم الإشارة هنا يشير إلى تجربة الحق - تبارك وتعالى- معهم عندما أخذ عليهم الميثاق فغدروا، ودعاهم إلى الإيمان به فتمردوا وكفروا.

وقد سجل الله -سبحانه وتعالى- عليهم ذلك وقصه علينا فقال:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٢).

تلك كانت صيغة العهد الذى أخذه الله عليهم وواثقهم به، إنه ميثاق بين طرفين: الحق -سبحانه وتعالى- طرفه الأول، وبنو إسرائيل طرفه الثانى. والميثاق يتضمن شرطا وجزاء. والنص القرآنى يثبت نص الميثاق وشرطه وجزاءه، بعد ذكر عقد الميثاق وملابسات عقده، لقد كان عقدا مع نقباء

(٢) المائدة آية ١٢.

بنى إسرائيل الإثنى عشر، الذين يمثلون فروع بيت يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ وهم ذرية الأسباط ـ أحفاد يعقوب ـ وعدتهم إثنا عشر سبطا.

وهذا نص الميثاق: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾

ثم يضع الحق -تبارك وتعالى- شرطا جزائيا فى هذا الميثاق بقوله:

﴿فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾

فماذا كان من بنى إسرائيل: لقد جاءت النتيجة مذهلة للعقول، محيرة للألباب. فبرغم ما فى الميثاق من وعد كريم يغرى بالالتزام والمسارعة إلى التنفيذ وهو الوعد بمعيته سبحانه لهم، إن هم وفوا وصدقوا، فإن ذلك لم يحملهم على الوفاء، واستحضار الحياء، وجاءت النتيجة نقضا للعهد، وغدرا بالميثاق، وخروجا على الطاعة وتمردا على الله. فكان الجزاء ماقرره الحق -سبحانه وتعالى- بقوله:

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ﴾(٣).

لقد نقضوا ميثاقهم مع الله فقتلوا أنبياءه، وعصوا رسله، وحرفوا كتابه ونسوا شريعته، وتطاولوا عليه سبحانه وقالوا:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾(٤).

وزادوا على ذلك قولتهم الكافرة الفاجرة ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ﴾(٥).

ووقفوا من خاتم الأنبياء ﷺ موقفا لئيما ماكرا عنيدا فباءوا بالطرد من رحمة الله. وقست قلوبهم فلم تعد صالحة لاستقبال هدى الله.

يقول صاحب الظلال رحمه الله:

«وصدق الله -سبحانه- فهذه سمات يهود التى لا تفارقهم.. لعنة تبدو على سيماهم إذ تنضح بها جبلتهم الملعونة المطرودة من الهداية. وقسوة تبدو فى ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة، وفى تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية، ومهما حاولوا ـ مكرا ـ إبداء اللين فى القول عند الخوف، وعند المصلحة والنعومة فى

---

(٣) المائدة آية١٣.

(٤) آل عمران آية ١٨١.

(٥) المائدة آية ٦٤.

الملمس عند الكيد والوقيعة، فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشى بجفاف القلوب والأفئدة.. وطابعهم الأصيل هو تحريف الكلم عن مواضعه، تحريف كتابهم أولا عن صورته التى أنزلها الله على موسى - عليه السلام - إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم الملتوية ويبررها بنصوص من الكتاب مزورة على الله! وإما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى والمصلحة والهدف الخبيث! ونسيان وإهمال لأوامر دينهم وشريعتهم، وعدم تنفيذها فى حياتهم ومجتمعاتهم. لأن تنفيذها يكلفهم الاستقامة على منهج الله الطاهر النظيف القويم»(٦).

لقد عجبت لقوم يدعون إلى هذا الخير العميم، ويعدهم الله -سبحانه- هذا الفضل الكريم، ويمنيهم بهذا الجزاء العظيم، ثم يخوفهم عاقبة الكفر، ويبين لهم سوء المصير، فتأبى فطرهم النكدة وطباعهم النجسة إلا أن تختار الضلال على الهدى، وتستبدل الكفر بالإيمان، فيحل الله بهم غضبه، وينزل عليهم نقمه وتحق عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة. وكما عاقبهم ربهم بالطرد من رحمته فقد أنزل بهم عقوبة أخرى، هى ثمرة طبيعية للطرد من رحمة الله وهى عقوبة القسوة ونزع مشاعر الرحمة من أعماق تلك القلوب فصارت كما صورها ربنا -سبحانه- كالحجارة بل أشد من الحجارة.

وهذه القسوة التى استحقوها بكفرهم وفجورهم، وغدرهم بميثاق ربهم ظلت هى السمة التى تحكم علاقاتهم بكل من خالطوه وعاشروه من أمم الأرض جميعا، فكانوا على مدى تاريخهم كله مصدرا للشر والغدر، والخداع والمكر، والإفساد فى الأرض، وكلما ظهرت مؤامراتهم وفاحت روائح جرائمهم، صبت عليهم الأمم جام غضبها وأقسى لعناتها. مما جعلهم يجتهدون فى تحريف كتبهم ويضعون فيها من النصوص ما يتوافق ومشاعر البغض والغدر لجميع البشر. «وهذا دفعهم إلى أن جعلوا يوم الغفران أو التكفير يوما يعلنون فيه نقضهم للعهود والمواثيق التى قطعوها لغير اليهود. وأفتى فقهاؤهم بأن الداعى إلى ذلك كان إكراه اليهود على تغيير دينهم، وشاع بين اليهود أن يوم الغفران هذا يجوز فيه أكل الديون التى على غير اليهودى وعدم أدائها، كما يجوز فيه الرجوع فى كل وعد أو تعهد قطعه اليهودى على نفسه طوال السنة معتمدين فى ذلك على نص يتعبدون به باللغة الآرامية يبدأ بعبارة: «كل ندرى وأسَّارى وشُبوعى.. ألخ» ومعناها «كل

(٦) فى ظلال القرآن - سيد قطب - الطبعة السابعة جـ٢ صـ٨٥٩.

النذور والتحريمات والأيمان.. ألخ ملغاة، وأن النذور ليست نذورا والتحريمات ليست تحريمات، والإيمان ليست أيمانا»(٧).

وإذا كان العالم كله قد وقف مذهولا أمام عملية اصطياد الطفل الفلسطينى محمد الدرة كنوع من التسلية الشيطانية من هؤلاء المجرمين ـ انتهت بذبحه بين يدى أبيه، فلأنها كانت المرة الأولى التى يقوم فيها الدليل مشاهدا مصورا أمام أعين أهل الأرض جميعًا. هذا العالم الذى لم يكن يصدق ما يقال عن فطيرة عيد الفصح أو فطيرة الدم كما يحلو لليهود أن يسموها. وخلاصتها كما يقول الدكتور حسن ظاظا: «إن خبز الفطير المفروض على اليهود فى فصحهم قد جرت العادة أن يدخلوا فى عجينته دما بشريا يأخذونه من ضحية يقتلونها من أمة أخرى غير اليهود، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين»(٨).

وقد حاول اليهود إبعاد تلك التهمة عنهم معتمدين على نفوذهم الواسع فى استغلال وسائل الدعاية، لكن سجل الوقائع التى سجلت عليهم كانت أكبر من أن تدفع عنهم بالكلام والإنكار. خاصة وأن قائمة الأسماء التى وقعت ضحايا فى أيدى هؤلاء الكلاب المسعورة جاءت مسجلة بالأسماء والأماكن والتواريخ مما يجعل من الصعب على اليهود نفيها.

ويعلق صاحب كتاب «الفكر الدينى اليهودى» بعد أن ساق سجل تلك التهمة موثقا ومفصلا فيقول:

«ويتساءل الإنسان إزاء سيل من مثل هذه التهم يغطى كل العصور الوسطى والجزء الأكبر من العصر الحديث، أهذه كلها إشاعات، وهى من الممكن أن تنشأ إشاعة وتهمة ووصمة عار لها كل هذه الضخامة، فتغطى رقعة العالم كله، على مدى عشرات من الأجيال، دون أن يكون لها أدنى نصيب من الواقع؟»(٩).

وفى ضوء هذه الحقيقة الإلهية وتلك اللعنة الأبدية التى أصابهم الله بها، فصارت جزءا من كيانهم، وسمة أصيلة من سماتهم يمكننا أن نفسر سر هذه الوحشية الضارية التى يمارسونها قتلا وذبحا وتشريدا وهتكا وإبادة لكل مظاهر الحياة فى أرض فلسطين المباركة أرض الإسراء والمعراج.

إن قوما هذا شأنهم لايستغرب منهم مانراه من مظاهر الوحشية والدموية ومشاهد

(٧) الفكر الدينى اليهودى ـ د. حسن ظاظا ـ دار العلم ـ دمشق سنة ١٩٨٧ ص ١٦٩.

(٨) الفكر الدينى اليهودى ص ١٨٦.

(٩) المرجع نفسه ص ١٨٧.

الرعب. التى تعقد الألسنة وتذهل العقول.

ولقد دفعنى ذلك إلى تعقب لفظ القسوة فى القرآن فوجدته قد ورد فى سبعة مواضع، ثلاثة منها بلفظ الفعل (قست) وثلاثة بلفظ الاسم (قاسية) ومرة واحدة بلفظ المصدر، والذى يلفت النظر فى هذه المواضع هو ارتباطها جميعا ببنى إسرائيل وهى تأتى بصيغ مختلفة فهى مرة تأتى بضمير المخاطب مباشرة كقوله تعالى فى سورة البقرة:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(١٠).

تعقيباً على لجاجهم وعنادهم ومكرهم وخداعهم واستهزائهم بربهم.

ومرة تأتى بصيغة أهل الكتاب فى معرض تحذير أمة الإسلام من الوقوع فى قسوة القلب التى أصيب بها بنو إسرائيل نتيجة إعراضهم عن كتاب ربهم ونسيانهم لشريعته وفسقهم عن أوامره فى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(١١).

وثالثة تأتى بالإشارة إليهم بقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(١٢).

وواضح من خلال الآيتين مدى ما أصاب قلوب القوم من جمود وبلادة وجحود إلى الدرجة التى لم تعد تنتفع بشئ من هدى الله ورحمته وسننه.

وفى هذه المواضع الثلاثة جاء التعبير بالفعل الماضى دليلا على نسبة القسوة إليهم، وارتباطها بهم، وظهور آثارها فى حياتهم. لكن صفة القسوة تتحول إلى وصف ثابت دائم، لاينفك عنهم بحال من الأحوال عندما يأتى التعبير بالإسم وقد جاء وصف القسوة بصيغة الاسم فى ثلاثة مواضع، منها ماجاء حكاية عن بنى إسرائيل وتعقيبا على نقضهم الميثاق وذلك فى الآية التى جعلناها عنوانا لهذا المقال وهى قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾(١٣).

والقسوة هنا جاءت بلفظ الاسم دليلا على ثبوتها ودوامها، وارتباطها بهم ارتباط الاسم بصاحبه، لايبرحه ولاينفك عنه.

---

(١٠) البقرة أية ٧٤.

(١١) سورة الحديد أية ١٦.

(١٢) سورة الأنعام أية ٤٢، ٤٣.

(١٣) المائدة أية ١٣.

كما جاءت القسوة بصيغة الاسم فى موضعين آخرين أحدهما يربط بين القلوب الشيطانية التى تستمع إلى إلقاءات الشيطان لأنها قلوب مريضة ولأنها قلوب قاسية

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾(١٤).

فانظر أين وضع الحق – تبارك وتعالى– فئة القلوب القاسية؟.

والموضع الثانى يأتى بيانا لمصير هذه القلوب المتحجرة الكافرة الفاجرة، فى مقابل القلوب الإيمانية الحانية التى شرحها الله لدينه، وأمدها بنوره، واصطفاها لنفسه، وزينها بحبه:

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(١٥).

أما الموضع الذى جاءت القسوة فيه مصدرا فهو خطاب مباشر لليهود فى آية سورة البقرة ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾.

وهكذا نرى أن القسوة بالنسبة للقلب اليهودى صارت أمرا غريزيا فطريا يجرى فى دمائهم، وينضح على وجوههم، ويبدو فى ملامحهم ويظهر فى سلوكهم. ومانشاهده ويشاهده العالم كله معنا من مذابح تدور رحاها بالليل والنهار على أجساد الضحايا من أبناء المسلمين فى فلسطين، وما رأيناه من نقضهم للعهود وغدرهم للوعود، وتطاولهم على الله يجعلنا نتدبر رسالة ربنا إلينا وهو يقول:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١٦).

ألا ياليت قومى يعلمون

ياليت قومى يعلمون

***

(١٤) الحج آية ٥٣.

(١٥) الزمر آية ٢٢.

(١٦) البقرة آية ٧٥.

إن الوعد بالنصر لخالد

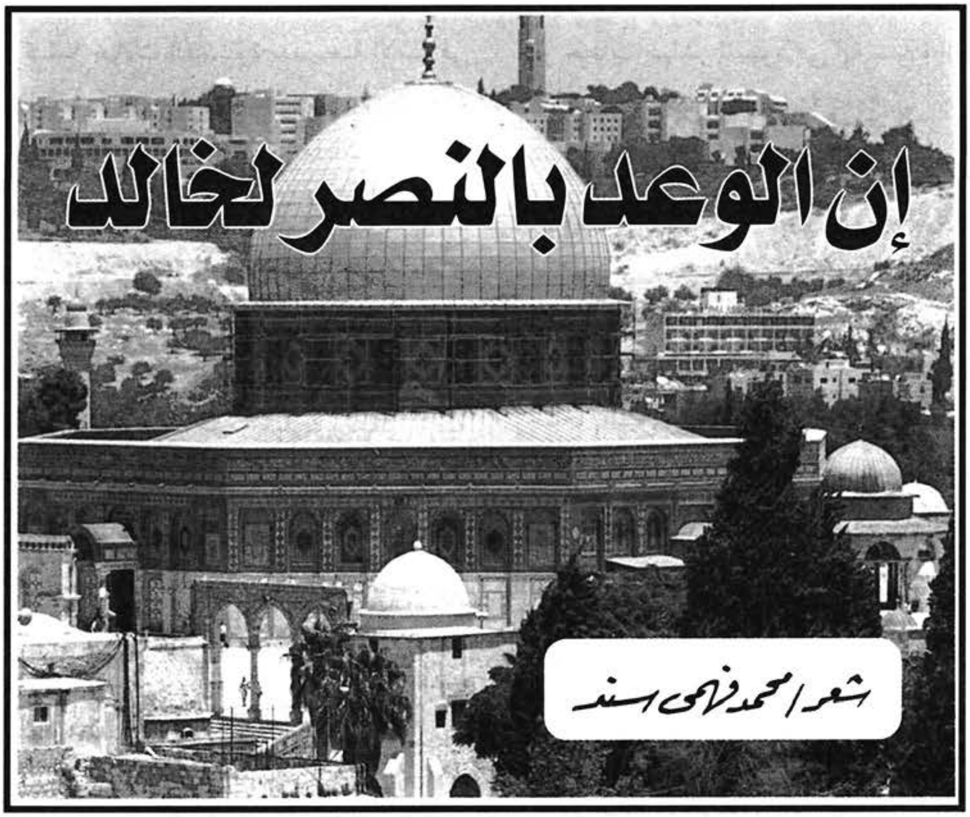

شعر / محمد فهمى سند

عـــادت الأيام والتـــاريخ شـاهـد   أن هـذا الطـفـل فى المهــــد يجـــاهـد

قـــد رأى الحـــاخـــام يـطـوى وطـنـاً   بين عــينيـــه ويغــتـــال العــقـــائد

ورأى أعـــمـــامـــه فى مـــجلس الأمن يـصــيــحـــون، يدقـــون المناضـــد..!

ينظمـــون الشـــعـــر حـــزناً، يملأون العـــالم الصَّـــخـــرىَّ حـــربا فى الجـــرائد

ويدورون عـلى أبـواب دنيـــانا، يـبـــيـــعـــون انتـــهـــا كـــات المعـــابد..!

ودمـــوع القـــدس والأطـفـــال والأشـــجـــار تغلى فى ســـحـــابات المواجـــد

تملأ الـدنيــــا عـــــتـــــابـا أن هـذا الـوطـن الحـــــر يعــــانى ويعــــانـد

باعــه الشُّـــذَّاذ ليـــلاً لخـــفـــافـــيش بلادٍ جـــمَّــعــوا منهــا الشـــوارد

مـــرت الأيام والســـفـــاح والحـــاخـــام فى القـــدس يحـــيكون المكائد

ينزعـــون الغـــد من أحـــلام دنيـــاه، يعـــيـــشـــون فـــســـادا فى المســـاجـــد

عـــصـــبـــة الظـلـم تـدارى ســـوءة الظُّلاَّم بـالـنـار عـلـى كـل المـوائـد

بذراع البطش - والنـاس عـــبـــيـــدٌ ليـــد البطش التى تحـــمى المفـــاســـد

دارت الأيـام والأقـــصـى يـنـادى أين ســيف الله فى كل الســواعـــد؟

ياصـــلاح الديـن إن القـــدس كـنـزٌ يتـــهـــادى فـــوق أعـنـاق القـــلائـد

أصـــرخ اليـــوم بجند الحق يســـمـــعك صـــبىٌّ كـــان فى المهـــد يكابد

تنطق الأحـــجـــار فى كـــفـــيـــه: إن الحـــجـــر الحـــر كـــســـيف فى الشـــدائد

صـــاحت الأحـــجـــار فى كـــفـــيـــه: هذا حـــجـــر النار سَـــيُـــفْنى كل جـــاحـــد

إن أبـنـاء فـلـسـطـين أطـاعـــوا صـــوت أحـــجـــار تغنى للمـــراصـــد

فـــاشـــهـــدوا الآن بأنا قـــد عـــرفنا دربنـا للثـــأر والكـل مـــشـــاهد

إن طـفـل الـيـــوم قـــد علَّم كـل الـنـاس أن الأرض نـارٌ تـتـــصـــاعـــد

قـــد رأى أعـــمـــامـــه فى مـــجلس الظُّلم يشـــورون يدقُّـــون المناضـــد

يحـــملون الجـــســـد النازف فى العين، يغنون بأن الشـــعب صـــامـــد

وزمـــان الحق آتٍ، يحـــمـل النصـــر، وإن الوعـــد بـالـنصـــر لخـــالد

***

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

ثلاثة من قريش

قال عبدالله بن عمرو بن العاص : ثلاثة من قريش أحسنها أخلاقاً، وأصبحها وجوها، وأشدها حياءً، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحق أو باطل لم يكذِّبوك : أبوبكر الصديق، وأبوعبيدة بن الجراح، وعثمان بن عفان ـ رضى الله عنهم ـ.

عقل المرء وراء لسانه

عن طاهر الزهرى، قال : كان رجل يجلس إلى أبى يوسف فيطيل الصمت، فقال له أبويوسف : ألا تتكلم؟ قال : بلى! متى يفطر الصائم؟ قال : إذا غابت الشمس، قال : فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبويوسف، وقال : أصبت فى صمتك وأخطأت أنا فى استدعائى لنطقك.

فى فضل المال

● قال الجاحظ : اعلم أن تثمير المال آلة للمكارم، وعون على الدِّين، وتأليف للإخوان، وأن من فقد المال قلت الرغبة إليه والرهبة منه، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به، فاجهد جهدك كله فى أن تكون القلوب معلقة برغبة أو رهبة فى دين أو دنيا.

● وقال حكيم لابنه : يابنى، عليك بطلب المال، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز فى قلبك، وذل فى قلب عدوّك، لكفى.

● وقالت الحكماء : لا خير فيمن لايجمع المال يصون به عرضه، ويحمى به مروءته، ويصل به رحمه.

● وقال عبدالرحمن بن عوف : ياحبذا المال أصون به عرضى، وأتقرب به إلى ربى.

حقائق

لو أراد البعد عنى
نور عينى ماتبعته
إن قلبى وهو قلبى
لو تجنى ماصحبته
كل شىء من صديقى
ما خلا الغدر احتملته

من نتائج المعصية

قله التوفيق، وفساد الرأى، وخفاء الحمق، وفساد القلب، ونفرة الخلق، والوحشة مع الرب، ومنع إجابة الدعاء، ومحق البركة فى الرزق والعمر، ولباس الذل وضيق الصدر.

النزاهة فى الخصومة

يروى أن رجلا شتم المهلب بن أبى صفرة فلم يجبه، فقيل له : لم حلمت عنه؟ قال المهلب : لا أعرف مساوئه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه.

أفضل المعرفة

قال حكيم قس بن ساعدة الإيادى : أفضل المعرفة : معرفة الرجل نفسه، وأفضل العلم : وقوف المرء عند علمه، وأفضل المروءة : استبقاء الرجل ماء وجهه.

نصيحة

خذ من الدنيا ما أتاك، وتول عما تولى عنك، فإن لم تفعل فأجمل فى الطلب، واعلم أن الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر.

دعاء

اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع، ومن قلب لايخشع، ومن عين لاتدمع، ومن دعاء لايسمع أعوذ بك من هؤلاء الأربع.

القدس فى عيون يهودية

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

فى هذه العجالة سنحاول النظر إلى القدس الحبيبة من خلال عيون يهودية، لنتعرف على مابذلوه من أجل تزييف الحقائق وطمس تلك الهوية العربية.

فقد استغلت الصهيونية مدينة القدس كورقة رابحة لتحقيق أهدافها، كما استغلت بعض العبارات التى وردت فى كتبهم المقدسة التى كتبها حاخاماتهم سواء فى المشنا أو الجمارا أو التلمود، بالإضافة إلى ماكتبه الأدباء عنها، والتى وجدوا بها مادة خصبة لتعميق الوعى الدينى اليهودى الزائف بالعاصمة الأبدية الموحدة لشعب الله المختار، ومركزا لأرض إسرائيل الكبرى التى لم ترسم حدودها حتى الآن.

١

وتخوض الحكومة الإسرائيلية سباقا عنيفا مع الزمن من أجل فرض الأمر الواقع بالاستيلاء على القدس الشرقية ومخطط تهويد المدينة قائم، وقد رفعت الصهيونية منذ بداية أيامها شعار مزمار داود «إن نسيتك ياأورشليم تنسى يمينى»(١). وحاولت ترسيخ هذا الشعار فى الوجدان اليهودى. وأصبح بركة يتلوها اليهودى فور أن يستيقظ من النوم بعد عبارة: «أحمدك ياالله أنك خلقتنى رجلاً ولم تخلقنى امــرأة».

(١) شموئيل يوسف عجنون: تاهيلا ص٥٣.

ويحمل الأدب الصهيونى المعاصر مهمة تعبئة اليهود نفسيا حيث قفز الأدب الصهيونى إلى مهمته الأساسية مع بداية القرن العشرين، مدفوعاً من قبل الصهيونية المنظمة إلى المشاركة فى طمس الحقائق وربط مآسى الماضى فى تبرير أعمال مشينة ضد العرب مع أن العرب ليسوا الألمان، وياسر عرفات ليس هتلر أو حفيده حتى يأخذوا الثأر منه.

واليهود الإشكناز الذين يتسلطون على أمور الحكم لا تربطهم أية صلة بيهود العهد القديم، فقد نجحوا فى تحويل اليهودية إلى دولة وقومية على حساب شعب آخر، وقاموا بتسييس الدين لحساب مصالح سياسية واستعمارية والعجيب أن عدد المتدينين لا يصل بأى حال من الأحوال إلى ٣٠٪ والباقى علمانيون ولكنهم اتفقوا جميعا على أن القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل. حتى أن أبرز ما حققه الأديب الصهيونى (عجنون) والحاصل على جائزة نوبل، أنه كان من أقدر الكتاب اليهود على دمج الموقف الدينى بالموقف السياسى، فتحت رداء الدين الفضفاض تقف بطلته المفضلة تاهيلا لتعلن: «إننى أدعو الله أن يأتى اليوم الذى تتوسع فيه حدود أورشليم حتى تصل إلى دمشق وفى كل الاتجاهات»، وباختصار فإنه كان يكرر هذه «الرسالة التوسعية» فى كل مكان من مؤلفاته[٢].

● وكذلك فى رواية (يعيش) يقول الأديب[٣]:

«وعندما كان (يعيش) يسير مع ابن أخيه، كان الفتى يحدث عمه عن طموحاته التى تتلخص فى الذهاب إلى القدس التى كانت فى مقدمة تطلعاته».

ويقول أيضًا: «وذات يوم ظهر رجل غريب فى شوارع المدينة (باليمن) وبسؤاله اتضح أنه قادم من فلسطين، وسرعان ما انتشر الخبر وتوافد القوم عليه يسألونه:

ـ كيف حال القدس؟

ـ تبارك الله، رد عليهم الضيف بهدوء، لقد جاء اليهود إليها من كل مكان، بنوا بيوتا وزرعوا كرما، وتدفق المال عليهم من كل مكان من روسيا وبولندا وأمريكا، وخاصة من أغنياء اليهود فى العالم، فقط لكى يقيموا شعيرة استيطان أرض إسرائيل.

ـ ماذا يعملون هناك؟ وهل الطعام هناك رخيص أم غال؟

ـ هناك كل شىء رخيص جداً، رد عليهم، وكل شىء موجود بكثرة ولاينقصها أى

(٢) حاييم هزاز: يعيش ج٣ – ص١٠٩/١١٠.

(٣) المصدر السابق ج ٤ – ص١٢١.

شىء؛ فدائماً عين الله ترعاها من أول العالم وحتى آخره[٤].

ويصعد (يعيش) إلى الملائكة كى يحدثهم عن القدس وجمالها والهيكل المصنوع من الذهب والأحجار الكريمة[٥].

ومن دفن فى القدس دخل الجنة، ووصف الجنة لم يرد فى التوراة ولكن حاخامات اليهود وتلمودهم، وصفوها بأنها ستكون كالقدس ولكنها بمساحة أكبر كى تتسع لجميع اليهود.

وفى التلمود: تزحف جثة اليهودى تحت الأرض بعد دفنها حتى تصل إلى القدس، ومن مات يدفن فيها ومن انتحر يدفن خارج أسوار المدينة. وقد تتدخل عدالة السماء فى تحديد مقابر الموتى، وقد ورد هذا المفهوم لتعميق الإيمان بقدسية تراب القدس.. حيث يقول أحد العجائز أبطال رواية (الجالس فى الجنات) مايلى:

إعلم يا ولدى أن هذا حدث فى أيامى.. حضر بعض الناس المعروفين لحفار القبور ومعهم جثة يهودى... وبعد أن وصلوا إلى المقابر، أمروه قائلين: احفر هنا!

فأجابهم: حرام.. هنا قبر وشاهد.. وهددوه، ففعل ما أرادوا، ثم أخذوا رفات من كان فى القبر وهربوا.. فذهب إلى (الحاخام باشى) يشكو إليه ما حدث، ولما أرسل الحاخام فى طلبهم وجدهم قد ماتوا جميعا منذ فترات طويلة.. وفى النهاية يعرف السر بأن قد مات حديثا يهودى صالح مات خارج القدس، وأن الميت الذى سرقوا رفاته لا يستحق أن يدفن فيها... وقد صدر حكم من المحكمة العليا فى السماء بدفن هذا مكان ذاك »[٦].

وعن حفلات الزواج يقول الأديب:

أعادوا العريس إلى بيته بالغناء والرقص... وجاءت زوجة أخيه وربطت ورقتين خضراوتين إلى شاله وإلى قبعته ووضعت فى يده قليلاً من التراب (الذى أحضروه من القدس) فأخذه العريس ووضعه على جبهته وقال:

« إن نسيتك يا قدس تنسى يمينى »[٧].

● والمناسبات الدينية والأعياد الحزينة ترتكز على القدس:

فيوم التاسع من آب (وهو يوم صوم وحداد عند اليهود.

يصف « هزاز » جو الحزن المخيم على البلدة، ويقول:

---

(٤) المصدر السابق ج ٤ -ص١١٦.

(٥) المصدر السابق ج ٤ - ص٢٠٣.

(٦) حاييم هزاز: الجالس فى الجنات ص١١ ، ١٢.

(٧) حاييم هزاز: يعيش ج٢ - ص١٣٥.

- يذهب الرجال إلى المعبد أما النساء فيبقين فى بيوتهن يبكين وينحن وكانت «نعمة» تولول وتقول:

«يا ويلى يا ويلى على بيت مقدسنا الذى أحرق، يا ويلى على القدس التى خربت - حتى اليوم مهجورة خربة- يا ويلى.. كالمرأة التى فقدت قلبها أصبحنا، وكالأرملة فى حياة زوجها...» ... يا ويلى. يا ويلى القدس القدس»[٨].

وطوال وجود اليهود فى المنفى حرصوا على إحضار تراب وحجارة من القدس وكانوا يقومون بتهريبها أو بيعها لليهود خارجها، وحسب ما زرعه حاخاماتهم فى عقولهم أن من دفن فى الأرض المقدسة دخل الجنة، ومن مات خارجها تظل روحه هائمة ويحاسب اليهود جميعاً على ترك هذه الروح الهائمة، ونظراً لوجود اللوبى الصهيونى فى أمريكا أو وجود أثريائهم وزعمائهم خارج أرض الميعاد؛ فقد أفتى حاخاماتهم بنثر تراب تحت جثة اليهودى من تراب القدس، وبهذا يكون كمن مات فى القدس.

وإذا كان اليهود يعتمدون على بعض العبارات التى وردت فى التوراة.

فهناك العشرات من المجلدات التى قام بكتابتها علماء يهود تناولت نقد التوراة، وقد ابتدأ نقد التوراة منذ القرن الثامن الميلادى اعتمادا على أن القنوصية هى بداية نقد التوراة ومنهم على سبيل المثال حَبر علماء اليهود سبنوزا ١٦٣٢ - ١٦٧٧ أمستردام الذى أرجع كتابة التوراة إلى عزرا وآخرون برغم معاداة اليهود له بعد ذلك.

هكذا نجد أن الأدباء الصهاينة شاركوا بشكل مباشر فى خلق هذه الشخصية الصيهونية شديدة التعلق بالقدس شديدة الفتك بالآخرين لأجل تحقيق أهدافها فإذا أضفنا إلى ذلك اتصافهم بالقسوة وهو ما ورد فى قوله تعالى فى شأنهم:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[٩].

لعلمنا أن شارون مجرد مثال لكثيرين يمارسون البطش والتعذيب ضد الفلسطينيين غير أن شارون يمارس بطشه علانية أمام العالم كله بحكم موقعه رئيساً للوزراء، أما غيره فكثير يمارسون البطش بعيداً عن الأضواء وتحت ستر الظلام وليس حادث محمد الدرة ببعيد.

***

(٨) حاييم هزاز: يعيش ج٢ - ص٤٨ - ٤٩.

(٩) البقرة: (٧٤).

كشمير

أمة تبحث عن حق تقرير المصير

كتب:
أحمد السيد تقى الدين

مرة أخرى عادت قضية (كشمير)، أو قل قضية شعب كشمير المسلم المضطهد المفتون فى دينه.

انتهزت الحكومة الهندية الفرصة، فرصة الخلط أو الربط بين الإسلام والإرهاب، على نحو ما فعلت وتفعل الولايات المتحدة فى حربها فى أفغانستان، وكما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن مضطرة للإعلان عن وجود أدلة مادية تبرر حملتها العسكرية فى أفغانستان، فإن الهند كذلك لن تكون فى حاجة إلى أدلة مادية تبرر حملتها العسكرية على باكستان التى دعمت ولازالت تدعم رغبة الشعب الكشميرى المسلم فى نيل استقلاله من نير الاحتلال الهندى.

ومادامت إسرائيل ترى فى مقاومة الشعب الفلسطينى للاحتلال الغاشم الواقع على أرضه إرهابا، وتحصل على الدعم والتأييد الأمريكى والأوروبى لهذا الوصف، لذلك أعلنت الحكومة الهندية أنها ترى فى مقاومة الشعب الكشميرى للاحتلال الهندى الغاشم الواقع على أرضه إرهاباً.

ومن ثم قررت الحكومة الهندية أن العدوان الذى تم على البرلمان الهندى فى أواخر أيام العام المنصرم تم بتدبير من المنظمات الكشميرية التى ترفع راية العصيان فى وجه الحكم الهندى لأرض كشمير.. هكذا.. بدون أى تحقيق وبدون أى أدلة مادية ملموسة، رغم أن الثابت فى التاريخ الهندى الحديث والمعاصر أن الهند دولة تعانى من صراعات عرقية متعددة، ورئيسة وزراء الهند الشهيرة (انديرا غاندى) قتلت على يد متطرفين من طائفة السيخ، فى ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٨٤ حيث تطالب طائفة السيخ بالحكم الذاتى فى اقليم البنجاب الذى تتجمع فيه تلك الطائفة وتأسيس دولة تعرف باسم (خالصتان)، الأمر الذى رفضته الحكومة الهندية بزعامة (أنديرا غاندى) فلقيت حتفها على يد اثنين من السيخ من حرس الأمن الخاص بها.

وإلى يومنا هذا لم تتنازل طائفة السيخ عن مطالبها فى تأسيس دولتها المزعومة.

فلماذا، والأمر كذلك تصر الحكومة الهندية على اتهام مسلمى كشمير وباكستان التى تدعم رغبتهم فى التحرر على تحميلهم مسئولية الاعتداء على البرلمان الهندى؟

الإجابة هى أن الحكومة الهندية لن تلاقى عناءً كبيراً فى سحق السيخ، فقد سبق للحكومة الهندية فى يونيو ١٩٨٤ أن سحقت تمردا قام به السيخ فى إقليم البنجاب، قُتل فيه (١٠٠٠) من السيخ و(٢٠٠) من القوات الهندية، فالسيخ طائفة لا تحظى بأى دعم أو تأييد دولى، ومن ثم من السهل التعامل معها.

أما كشمير فالأمر مختلف، فقد وقف المجتمع الدولى بجوارها ممثلاً فى قرارات الأمم المتحدة،

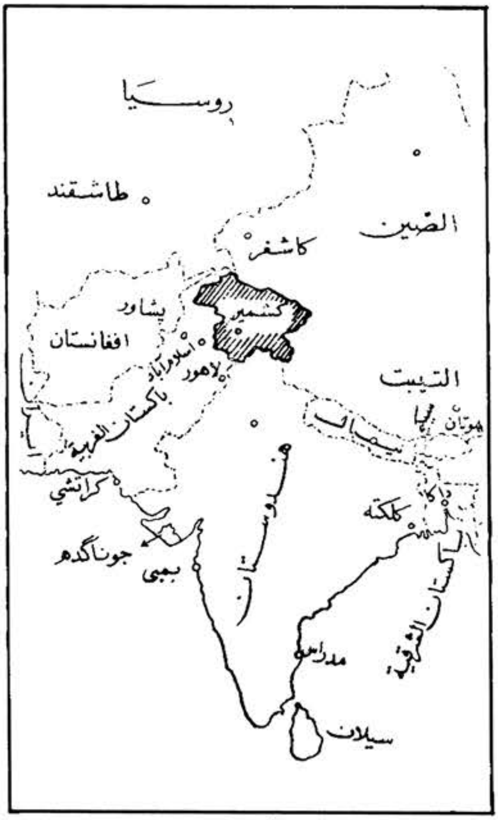

■ خريطة كشمير ■

فضلاً من احتضان باكستان -العدو اللدود للهند، والتى خاضت حرباً مريرة ضد الحكم الهندى حتى استقلت عنه بعد مذابح دموية مروعة فى منتصف أغسطس ١٩٤٧- مؤيدا لرغبة الشعب الكشميرى فى نيل الاستقلال.

فقررت الحكومة الهندية استغلال الاتجاه العالمى المعادى للإسلام للحصول على التأييد الدولى فى مواجهة الدعم الباكستانى لرغبة الشعب الكشميرى فى الاستقلال، وها هو تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا يعلن صراحة فى ٥ يناير ٢٠٠٢ دعم

المتطرفون السيخ فى المعبد الذهبى فى اضطرابات ١٩٨٤م التى شهدتها الهند

بلاده للحكومة الهندية ضد باكستان .

● ولكن . . ما هى قصة كشمير؟

ـ بعد انتهاء الحرب وإعلان قيام باكستان بقيت بعض الإمارات المستقلة عن الحكم فى باكستان وفى الهند، وكان على هذه الإمارات أن تقرر مصيرها، إما بالانضمام إلى باكستان أو الهند،

فقد كانت هذه الإمارات أقرب إلى المجتمعات القبلية منها إلى الدول وهو الأمر الذى تجلى فى مقولة اللورد (مونتباتن) نائب ملك انجلترا فى الهند إبان مرحلة استقلال الهند وباكستان، حيث خاطب أمراء تلك الإمارات بقوله : « إنكم أحرار بأن تنضموا إلى الهند أو إلى باكستان، ولكنكم لا تستطيعون أن تتغاضوا عن الأوضاع الجغرافية لإماراتكم، ولا أن تبتعدوا عن الدولة التى تجاوركم ولا أن تتغاضوا عن مصالح شعوبكم » .

وكانت كشمير –ويسكنها آنذاك نحو خمسة ملايين نسمة– ٨٠٪ منهم مسلمون تحت حكم أسرة هندوكية اختارت الانضمام إلى الهند، وذلك على الرغم من أن تقسيم هندوستان إلى دولتين : الهند وباكستان تم على أساس دينى، فضلاً عن أن كشمير تُعد امتدادا حيويا لباكستان، خاصة وأن ثلاثة أنهار كبرى تنبع من كشمير وتغذى باكستان بالمياه وهى : السند، جليم، جناب .

وعلى الرغم من رغبة الشعب الكشميرى الجامحة فى الانضمام إلى باكستان إلا أن الحكومة الهندية اعتبرت أن قرار الأسرة الحاكمة فى كشمير الانضمام إلى الهند إرادة معبرة عن رغبة الشعب، ليس هذا فقط بل انقض الجيش الهندى على مسلمى كشمير فى واحدة من أبشع المذابح التى عرفها التاريخ والتى راح ضحيتها نحو ٢٧٠ ألفا من المسلمين فى نهاية أغسطس ١٩٤٧ أى بعد استقلال باكستان بأيام قلائل .

أحدثت هذه المذابح ردود فعل قوية لدى الشعب الباكستانى حيث هبت القبائل الباكستانية للدفاع عن مسلمى كشمير، واستطاعوا أن يدحروا الجيوش الهندية ويستخلصوا قسما من كشمير أطلق عليه اسم (كشمير الحرة)، واضطر أمير كشمير الهندوكى (هرى سنج) إلى الفرار خوفاً من بطش الشعب الكشميرى به، وكتب إلى حاكم هندوستان (الإنجليزى) اللورد مونتباتن كتابا يعلنه فيه برغبته ضم إمارة كشمير إلى الهند، فأوفدت الحكومة الهندية مندوبا من قبلها يحمل وثيقة طلب الانضمام، وطلبت من الأمير الفار أن يوقع عليها ففعل، وذلك فى ٢٧ من أكتوبر ١٩٤٧ مع إضافة مادة تنص على : « يُستفتى الشعب الكشميرى بتقرير مصيره »، وذلك فى الوقت الذى قامت فيه الحكومة الهندية بنقل قواتها بالطائرات إلى كشمير للسيطرة عليها .

وفى الوقت نفسه كتب (جواهر لال نهرو) رئيس وزراء الهند إلى الزعيم الباكستانى (محمد على جناح) رسالة يؤكد فيها على « سحب الجيوش الهندية من كشمير عند استتباب الأمن فيها »، علماً بأن أحداً لم يطلب من الحكومة الهندية إرسال جيوشها إلى كشمير، وقال فى رسالته : « سنترك تقرير مصير الإمارة إلى شعبها، ولا نقطع هذا العهد معكم فقط، بل ونقطعه مع شعب كشمير ».

فدعا محمد على جناح، اللورد مونتباتن الحاكم العام لهندوستان (باكستان والهند) ونهرو - رئيس وزراء الهند - إلى عقد مؤتمر فى لاهور فى ٢٩ من أكتوبر ١٩٤٧ لبحث الموقف، ولكن نهرو تعلل بمرضه فألغى المؤتمر، فاقترح جناح عقده فى الأول من نوفمبر ولكن نهرو تهرب منه أيضاً، فاجتمع محمد على جناح مع اللورد مونتباتن حيث قدم له عدة مقترحات تضمنت سحب القوات الهندية، ورجال القبائل الباكستانية، وإدارة كشمير بواسطة هيئة مشتركة من حكومتى الهند وباكستان، واتخاذ الإجراءات اللازمة لاستفتاء عاجل تحت رقابة الحكومتين وإشرافهما المشترك.

ولكن الحكومة الهندية رفضت المقترحات الباكستانية؛ فاقترحت باكستان رفع القضية إلى هيئة الأمم المتحدة للفصل فيها، ولكن الحكومة الهندية رفضت هذا الاقتراح، وتقدمت إلى هيئة الأمم المتحدة بشكوى ضد باكستان تطلب فيها إلزام الحكومة الباكستانية بعدم مساعدة الشعب الكشميرى، وهو الأمر الذى رفضته هيئة الأمم

إحدى المقابر الجماعية لمسلمى كشمير والمقبرة خاصة فقط بالأطفال

المتحدة، فهددت الهند باكستان بأنها ستقتحم بلادها دفاعاً عن النفس!!

ورغم قرارات الأمم المتحدة المؤكدة على حق الشعب الكشميرى فى تقرير مصيره فقد ظلت الأوضاع على ما هى عليه، وحتى اليوم يرزح شعب كشمير المسلم تحت نير الاحتلال الهندى، ولم تجد الحكومة الهندية أفضل من حادث الاعتداء على البرلمان الهندى لحسم صراعها مع شعب كشمير، وما أيسر توجيه التهمة بلا دليل، فما دامت الولايات المتحدة اجتاحت افغانستان بلا دليل، فلماذا لا تفعل الهند الأمر ذاته؟ بل لماذا لا تجتاح باكستان هى الأخرى بلا دليل؟، وإذا كانت إسرائيل تقمع الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال وتصمها بالإرهاب، فلماذا لا تقمع هى الأخرى الانتفاضة الكشميرية وتصمها بالإرهاب؟! من الذى سيحاسبها ويقول لها « لماذا »؟ بل من الذى سيجروء أصلاً على الكلام؟!

المسلمون أمة مبعوثة

للأستاذ / محمد حسن دراز

أحمد الله ـ تبارك وتعالى ـ وأصلى وأسلم على صفوته من خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله، محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته ـ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يتعرض العالم الإسلامى ـ اليوم ـ إلى هجمة شرسة، يتولى كبرها أعداء المسلمين جميعا، على اختلاف نحلهم ومذاهبهم وحيثما وجه الناظر بصره إلى بلاد الإسلام، رأى الجراح التى تدمى القلوب، وتفتت الأكباد، وراعه توالى النكبات، وتعدد الطعنات التى توجه إلى هذا العملاق الدامى الجريح. المتآمرون لا يستخفون بمؤامراتهم، ولا يتسترون بجرائمهم، بل يتخذون من الإسلام خصما، ومن المسلمين أعداء، يخشون أن يسترد المسلمون وحدتهم التى أضاعوها، وقوتهم التى افتقدوها، وأن يعودوا إلى عقيدتهم الصلبة النقية، التى تحيل ضعفهم إلى قوة، وفرقتهم إلى وحدة، وتدابرهم إلى ولاء وأخوة.

ويشاء الله ـ عز وجل ـ أن تكون هذه الضربات المتوالية، والعدوان الصارخ على المسلمين فى مقدساتهم وأعراضهم وأرواحهم سبيلا ليقظتهم، وطريقا لألفتهم ووحدتهم، ودعوة لالتزامهم بكتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ.

وتتنامى صحوة العالم الإسلامى، وتنتشر شرقاً وغرباً، وتتحقق سنة من سنن الله ـ تبارك وتعالى ـ، وذلك أنه ينصر دينه بأعدائه كما ينصره بأوليائه، كما قال رسول الله صلوات الله عليه: «إن الله ينصر الدين بالرجل الفاجر»[1] وعندئذ يعز الله ـ جل وعلا ـ أولياءه، ويعيد بهم سيرة السلف الصالح، الذين شرفوا بصحبة محمد ﷺ، وكان منهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وفازوا برضى الله ـ عز وجل ـ عنهم، وجاهدوا مع

(١) ابن الأثير الجزرى، جامع الأصول (١/١٤٥).

رسـول الله ﷺ وتلقـوا عنه القـرآن الكـريم، ورووا سنتـه الشـريفـة، وتخلقـوا بأخـلاقـه السـامـيـة الجليلة، وتحلوا بسـمـتـه وهـديه، وحملوا من بعده راية الجهاد، وأمانة التبليغ، ونشر الرسالة، ففتح الله بهم الأمصار، وهدى بهم الأمم والشعوب.

شـرقت راياتـهم حـتى وصلوا إلى حـدود الصين، وغـربت حـتى وقـفـوا على شـاطىء الأطلسى، وحتى خاض عقبة بن نافع بفرسه فى مـاء المحـيط، وقـال: لو أعلـم أن وراء هذا البحر أرضا لخضته مجاهداً فى سبيل الله، وانطلقوا شمالاً حتى فتحوا (باب الأبواب)، وغـزوا (بلـتـجـر والتـرك) أى بلنجـراد وتـركـسـتـان، ووصلوا إلى أسـوار (القسطنطينيـة) عاصمة الدولة الرومانية الشرقيـة، واستـشـهد حـولها بعض صحابة رسـول اللـه ﷺ، ومنـهـم (أبـو أيـوب الأنصـارى) الذى اسـتـضـاف رسـول الله صلوات الله وسلامه عليه يوم الهجرة، حتى بنى مسجده الشريف ودوره المكرمة لأمهات المؤمنين.

وبذلك كـان أصـحـاب رسـول الله ﷺ، والمسلمـون من بعـدهم أمـة مـبعـوثة، تحمل رسالة الإسلام إلى أمم الأرض جميعاً.

ويعرض القرآن الكريم هذه الحقيقة فى قول الله - تعالى - :

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٧٥ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٧٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧ وَجَٰهِدُوا۟ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾(٢).

تبـتـدىء الآيات الكريمة بتـقـرير هذه القاعدة الكلية:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾

يجـتـبى ويخـتـار رسله من الملائكة ومن الناس. ويستخدم القرآن الكريم هذه الكلمة الجامعة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾، لتشتمل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتحتمل - كـذلك - حملة الرسالات من بعدهم، وإن لم يكونوا مرسلين: مثل أنبياء بنى إسرائيل، وحواريى عيسى - عليه السلام -، وأصحاب محـمـد ﷺ، ومن تبـعـهم بإحسـان إلى يوم الدين.

وتزكى الآيات الكريمة هذا المعنى، فـيأتى

---

(٢) الحج (٧٥: ٧٨).

فى هذا السياق نداء الله ـ تبارك وتعالى ـ للذين آمنوا ليقيموا الصلاة، وليعبدوا الله ـ تعالى ـ ، وليفعلوا الخير، وليجاهدوا فى الله حق جهاده، لأنهم مجتبون ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾، وبين اجتبى واصطفى صلة واضحة، وترابط وثيق، وتذكر الآيات بعض خصائص الأنبياء فى صفات أولئك المؤمنين:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾

﴿ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴾

وقد عرض القرآن الكريم هذه الخاصية الأخيرة لأمة محمد ﷺ فى قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾(٣).

وقدمت الآية الكريمة من سورة البقرة شهادة المسلمين على شهادة رسول الله ﷺ، مع أن الأصل سبق شهادته ﷺ، وشهادة المسلمين تبع لشهادته صلوات الله وسلامه عليه.

وأرى أن ذلك لأمرين: الأول أن آية سورة البقرة وردت فى معرض تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وقد اعترض اليهود على أمر الله العزيز الحكيم بهذا التحويل سفاهة وافتراء وبغيا، والله ـ عز وجل ـ يثبت المسلمين، وينزل عليهم السكينة، لكيلا يبالوا بأقوال هؤلاء السفهاء وذلك بتقرير هذه القاعدة، وهى أنهم أهل الحق، وأصحاب الشهادة المقبولة بين يدى الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة، وهم فى موقف من مواقف الأداء لهذه الشهادة، وهى ثمرة هذه الوسطية التى ميزهم الله ـ عز وجل ـ بها، والوسط العدل، كما أخبر الرسول الكريم، فكان من الأنسب أن تتوالى سنن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

الأمر الآخر: أن شهادة محمد ﷺ على أمته ثابتة مؤكدة، قال تعالى:

﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾(٤).

وقال تعالى:

﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾(٥).

أما شهادة أمته على الناس، فذلك فضل من الله العزيز الحكيم، منحه أمة محمد ﷺ، ولأنه أمر غير مسبوق، فقد احتاج إلى مزيد من التأكيد، واقتضى ذلك أن يقدم فى الذكر تثبيتا له وتأكيداً، وذلك فى سورة البقرة، أول سور القرآن فى المصحف بعد

---

(٣) البقرة (١٤٣).

(٤) النحل (٨٩).

(٥) النساء (٤١).

الفاتحة، ولما ثبتت هذه القضية وتأكدت بهذا التقديم فى سورة البقرة، جاءت على النسق المناسب فى سورة الحج، قال تعالى:

﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾(٦).

وسورة البقرة أول السور نزولا بالمدينة، وسورة الحج مدنية متأخرة فى النزول. وتختص آية (البقرة) كذلك بتقديم الجار والمجرور فى قوله تعالى:

﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

وذلك لأن الله ـ عز وجل ـ يمتن على المسلمين بفضله وبره، وأنهم وحدهم المشهود لهم بالتزكية من هذا الرسول المعظم، وقد أفاد تقديم الجار والمجرورهذا الاختصاص!

وتؤكد أحاديث رسول الله ﷺ هذه الخاصية من خصائص المرسلين لأمة محمد ﷺ. روى البخارى وأحمد والترمذى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد. فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فذلك قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

قال: «الوسط العدل، فتدعون، فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم». جمع هذه الخصائص حديث رسول الله ﷺ، والذى رواه الترمذى الحكيم فى (نوادر الأصول) عن عبادة بن الصامت عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال: (أعطيت أمتى ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء، كان الله إذا بعث نبيا قال له: (ادعنى استجب لك) وقال الله لهذه الأمة:

﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٧).

وكان الله إذا بعث نبيا قال له: (ما جعلت عليك فى الدين من حرج).

وكان الله إذا بعث نبيا جعله شهيدا على قومه، وجعل الله هذه الأمة شهداء على الناس.

ويصرح رسول الله صلوات الله عليه لأمته أنهم مبعثون، فى حديثه عن الأعرابى الذى بال فى المسجد، فقام أصحابه ليقعوا به، فقال لهم: (لاترمزوه «لاتقطعوا بوله» فلما انتهى قال: (أريقوا على بوله سجلا من ماء، فإنما بعثتهم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين) صلوات الله وسلامه على نبى الرحمة ونبى الملحمة وهذا التيسير يقدمه المسلمون للناس من خلال دينهم لتستقيم دنياهم وعلى المسلمين أن يقدموا الإسلام للناس دينا يقيم اعوجاج الدنيا حتى تنصلح به الآخرة.

---

(٦) الحج (٧٨).

(٧) غافر (٦٠).

مع كتاب القضاء والقدر لمونتجمرى وات

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

انشغل المستشرقون المهتمون بالفكر الإسلامى بقضية القضاء والقدر وهم يستعرضون تلك القضية فى القرآن والسنة وتاريخ المذاهب الإسلامية لم يجمعهم رأى واحد وسبيل واحدة، إنما تباينت آراؤهم بين مؤيد للفكرة القائلة بالتواكل ونفى الإرادة الإنسانية وعلى هذا الرأى أرضوا الجبرية واتهموا القرآن - زيفا - بأنه سبب تأخر المسلمين وبين ناف لفكرة الجبرية ووجدوا فى القرآن والسنه الصحيحة ما يعين على الاعتقاد بأن الإنسان مسئول عن أفعاله البشرية.

وربما كان الخلاف الشديد حول تلك القضية دافعا للمستشرق الإنجليزى؛ والدكتور مونتجمرى وات لأن يسلك سبيل تلك القضية ويسير معها وهو فى صدر حياته العلمية فسجلها موضوعا لنيل درجة الدكتوراه.

الحرية الإنسانية فى مفهوم علم الكلام

يقول مونتجمرى وات: تم اكتمال هذا العمل فى خريف ١٩٤٣ وقبل كرسالة للحصول على درجة الدكتوراه فى الفلسفة بجامعة أدنبره ١٩٤٤ ثم قال: وقد غدوت خلال الأعوام التى تلت ذلك على وعى بجوانب القصور التى اعترت هذه الدراسة فكان ينبغى على أن:

- أولى اهتماما بالحسن البصرى.
- وكان من الممكن جمع معلومات عنهم من كتب التراجم العربية.
- وكان ينبغى التعمق فى البحث للتميز الدقيق بين مصطلحى القضاء والقدر بالرجوع إلى القرآن الكريم والأحادث الصحيحة.
- كما كان من المفيد مراجعة تفسير الطبرى بحكمة ودقة.

ورغم اعترافى بأوجه القصور فقد سمحت بنشر عملى فلا يبدو أن مزيدا من المادة العلمية يؤدى إلى تغيير جوهرى فى العناصر المهمة.. ثم قام بترجمته إلى اللغة العربية د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، وأقام دراسة مهمة عليه مع الرجوع إلى المصادر التى اعتمد عليها المؤلف مونتجمرى وات وأثبت فى الهامش بعضا من نصوص اقتضاها المقام، دقة فى التحرير، وبسطا للمسائل التى أخرجتها الترجمة عن معناها.

والمترجم قديرٌ كفء تحكمه الغيرة الإسلامية والأمانة العلمية والتروى الهادئ المتزن وعبارته أدبية علمية مع فصاحة اللفظ والمصطلح والأسلوب ووجهة نظر المترجم فى قيمة الكتاب العلمية يعرب عنها بقوله: رغم أن الكتاب الذى بين أيدينا رسالة حصل بها المؤلف على درجة الدكتوراه من جامعة أدنبره العريقة، إلا أن المؤلف كان حريصا على تبسيط كل معقد، وتوضيح كل غامض كما كان حريصا على مد الجسور بين الثقافات المختلفة والأديان المختلفة، وغالبا ما يصل الباحثون من هذا النمط إلى ما يؤكد تقارب الأديان وتعانق الحضارات، فهم يتجاوزون كل ما يعوق أبصارهم عن الوصول للنظرة الشاملة فلديه ليست قضية القضاء والقدر قصرا على الفكر الإسلامى وإنما تعرضت لها كل الأديان فهى قضية عامة إذن.

والكتاب: عرض تاريخى دقيق لفكرة القضاء والقدر، بين استطاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ واستطاعة الإنسان، قد تبدوان حقيقتين متعارضتين أو متواجهتين أو حتى متكاملتين، ولا يمكن للإنسان فى هذه المرحلة من تطوره الفكرى أن يوفق بينهما، لكن لابد أن يعتقد فى صحبتهما، أى لابد أن يؤمن بالله أنه على كل شئ قدير، وأن يؤمن أيضا بأن الإنسان مسئول عن تصرفاته.

لكن مونتجمرى وات يرى أن الإسلام قد نقل الفكرة عن القضاء والقدر نقلة حضارية محكمة فقد كانت فكرة الزمن أو الدهر قبل الإسلام تسير بأمور أو الأفعال الإنسانية «خبط عشواء» فتصيب هذا بالخير وتصيب هذا بالشر.

غيّر الإسلام ذلك المعتقد وجعل الأمور تسير وفقا لإرادة حكيم عليم، عادل رحيم، مقدر مدبر ذلك ما عليه الروح العامة للقرآن الكريم تحمل الإنسان مسئولية عمله مع عدم إغفال لطف الله ورحمته وهدايته.

وكان المؤلف حريصا كل الحرص فى عرض القضية وفق منطقها فى الفكر الإسلامى ومنطق تداعياتها أن يخرج بنتائج تعرب عن صدقه وعدم تحيزه، ورغم عرضه لآيات القرآن وبعضا من الأحاديث التى تعرضت للقضاء والقدر والفعل الإنسانى، فإنه كان يذهب فى تأصيله إلى أبعد من القرآن فى ظهور فكرة القضاء والقدر ربما كان ذلك تأييدا لوجهة نظر فى أن مسألة القضاء والقدر فكرة إنسانية وليست دينية تخضع للتطور التاريخى وتبادل الثقافات.

ولقد تكلف المؤلف فى أمانة علمية أن يرصد مصادر الموضوع ويقارن بينها ممسكا بالخيط الرفيع الرابط بينها وما أضافه تطور التاريخ الفكرى الثقافى إليه.

الكعبة الزهراء

للشاعر/ بدوى الجبل

مهداة الى أعتاب أبى الزهراء صلوات الله عليه

قصيدة رائعة من عيون الشعر العربى نظمها الشاعر الكبير بدوى الجبل وهو معالى الأستاذ محمد سليمان الأحمد، الوزير السورى الأسبق، وقد وصفت من المشاعر المؤمنة، والعواطف الضارعة ما يجده القارئ فى أبياتها الرصينة.

بنورٍ على أم القرى وبطيب ** غسلتُ فؤادى من أسىً ولهيب
لثمت الثرى سبعا وكَحَّلتُ مقلتى ** بحُسنٍ كأسرار السماءِ مهيب
وأمسكت قلبى لا يطير إلى (منىً) ** بأعبائه من لهفةٍ ووجيب
فيا مهجتى: وادى الأمين محمد ** خصيبُ الهدى: والزرعُ غيرُ خصيب
هنا الكعبةُ الزهراءُ والوحىُ والشذا ** هنا النُورُ فَافْنَىْ فى هواهُ وذوبى
ويا مهجتى: بين الحطيم وزمزمٍ ** تركتُ دموعى شافعًا لذنوبى
وفى الكعبةِ الزهراءِ زَيَّنتُ لوعتى ** وعطَّرَ أبوابَ السماءِ نحيبى

●●●

مواكب كالأمواج عجَّ دُعاؤها ** ونارُ الضحَى حمراءُ ذاتُ شُبُوب
وَردَّدَت الصحراءُ شرقًا ومغربًا ** صدى نَغَم من لوعةٍ ورتوب
تلاقوا عليها من غنى ومعدم ** ومن صبيةٍ زُغْبِ الجناح وشيب
نظائر فيها: بُرْدُهم بُرْدُ مُحْرِمٍ ** يضوع شذًا: والقلبُ قلبُ مُنيب
أناخوا الذنوب المثقلات لواغبًا ** بأفيحَ - من عفو الإله - رحيب
وذَلَّ لعزِّ الله كُلُّ مسوَّدٍ ** ورقَّ لخوفِ الله كلُ صَليب

●●●

ولو أن عندى للشباب بقيةً ** خففتُ إليها فوقَ ظهر نجيب
أنام على الكثبان يؤنسُ وحدتى ** بُغَامُ مَهاةٍ أو هَمَاهِمُ ذيبِ
ولى غفوةٌ فى كل ظلٍّ لقيتهُ ** ووَقْفةُ سُقْيَا عند كل قليب
هتَكْتُ حجابَ الصمتِ بينى وبينها ** (بشَبَّابةٍ) سَكْرَى الحنين خَلوب
حَبَسْتُ بها جنِّيَّةً (معبديةً)[1] ** وفَرَّجْتُ عن غمَّائها بثُقوب

●●●

وركبٍ عليها وَسمُ أخفاف عيسهم ** وهامٍ تهاوتْ للكرَى وَجُنُوب
وألفُ سَرابٍ، ما كَفَرْتُ بحُسْنَها ** وإنْ فاجأتْ غُدْرَانُها بنُضُوب

---

(١) نسبة إلى شيخ المغنيين معبد، قال الشاعر القديم: وما قصبات السبق إلا لمعبد.

وَضَجَّةُ صَمْتٍ جَلْجَلتْ. ثُمَّ وادعَتْ ** وَرَقَّتْ كَأَخْفَى هَمْسَةٍ وَدَبِيبِ
وَأَطيافُ جِنٍّ في بِحَارِ رِمَالِهَا ** تُصَارِعُ حَالَىْ طَفْوَةٍ وَرُسُوبِ
وَتَعطِفُني الآرامُ فيها نَوافِرًا ** إلى رَشَأٍ في الغُوطَتَيْنِ رَبِيبِ
يُعَلِّلُني - وَالصِّدْقُ فيه سَجِيَّةٌ ** بِوَعْدٍ مَطُولٍ بِاللِّقَاءِ كَذُوبِ
وَبُدِّلْتُ حُسْنًا ضَاحِكَ الدَّلِّ نَاعِمًا ** بِحُسْنٍ عَنِيفٍ في الرِّمَالِ كَئِيبِ
وَمِنْ صَحْبِ الصَّحْرَاءِ هَامٍ بِعَالَمٍ ** مِنَ السِّحْرِ جِنِّيِّ الطُّيُوفِ رَهِيبِ
وَلِلْفَلَكِ الأَسْمَى فُضُولٌ لِسِرِّهَا ** فَفِي كُلِّ نَجْمٍ مِنْهُ عَيْنٌ رَقِيبِ

●●●

أرى بخيال السحب- خَطْوَ محمد ** على مخصب من بيدها وجديب
وَسُمْرَ خِيَامٍ مَزَّقَ الصَّمْتُ عِنْدَهَا ** حَمَاحِمُ خَيْلٍ بُشِّرَتْ بِرُكُوبِ
وناراً على نَجْدٍ منَ الرملِ أُوقِدَتْ ** لِنَجْدَةِ مَحْرُومٍ وَغَوْثِ حَرِيبِ
وَتَكْبِيرَةً فِي الفَجْرِ سَالَتْ مَعَ الصَّبَا ** نَعِيمَ فَيَافٍ وَاخْضِلالَ سُهُوبِ
أَشُمُّ الرِّمَالَ السُّمْرَ: في كُلِّ حَفْنَةٍ ** مِنَ الرَّمْلِ، دُنْيَا مِنْ هَوًى وَطُيُوبِ
عَلَى كُلِّ نَجْدٍ مِنْهُ نَفْحُ مَلائِكٍ ** وَفِي كُلِّ وَادٍ مِنْهُ سِرُّ غُيُوبِ
تَوَحَّدْتُ بِالصَّحْرَاءِ. حَتَّى مَغِيبُهَا ** وَمَشْهَدُهَا مِنْ مَشْهَدِي وَمَغِيبِي
وَمِنْ هَذِهِ الصَّحْرَاءِ، أنوارُ مُرْسَلٍ ** وراياتُ منصورٍ وبدْعُ خطيبِ
وَمِنْ هَذِهِ الصَّحْرَاءِ شِعْرٌ تَبَرَّجَتْ ** بِهِ كُلُّ سَكْرَى بِالدَّلالِ عَرُوبِ
تُعَطِّرُ في أَنْغَامِهِ وَرَحِيقِهِ ** وَرَيَّاهُ: عِطْرَى مَبْسِمٍ وَسَبِيبِ[٢]
تَرُشُّ النُّجُومُ النُّورَ فِيهَا مُمَسَّكاً ** فَأُتْرِعُ أَحْلامِي وَأُهْرِقُ كُوبِي
وَمَا أَكْرَمَ الصَّحْرَاءَ.. تَصْدَى.. وَنَمْنَمَتْ ** لَنَا بُرْدَ ظِلٍّ كَالنَّعِيمِ رَطِيبِ
وَيَغْفُو بِهَا التَّارِيخُ، حَتَّى تَرُجَّهُ ** بِدَاهِيَةٍ صُلْبِ القَنَاةِ أَرِيبِ
شَكَا الدَّهْرُ مِمَّا أَتْعَبَتْهُ رِمَالُهَا ** وَلَمْ تَشْكُ فِيهِ مِنْ وَنًى وَلُغُوبِ
وَصَبْرٍ مِنَ الصَّحْرَاءِ، أَحْكَمْتُ نَسْجَهُ ** سَمَوْتُ بِهِ عَنْ مِحْنَتِي وَكُرُوبِي

---

(٢) السبيب: خصلة الشعر.

وَمنْ هَذه الصَحْراء.. صِيغَتْ سَجِيَّتى ** فَكُلُ عَجيب الَدهر غَيْرُ عَجِيب
يُرنِّح شِعْرى باللوى كُلَّ بانة ** ويَنْدى بشِعْرى فيه كُلُ كَثِيب
وَلَوْلا الجِراحُ الدامياتُ بُمهْجَتى ** لأسْكر نَجْداً والحجَاز نَسِيبى
وَهَيْهات مَا لومُ الكَريم سَجِيَّتى ** ولا بُغْضُهُ عنْدَ الجَفاء نَصيبى
نَقلْتُ إلى قَلبى حَيَاءً وعِفَّة ** أسارير وَجْهى من أسىً وقُطُوب
وَعَرَّتْنِى الأيامُ مِمَّنْ أُحِبُّهُمْ ** كَأيْك -تحَامَاهُ الربيعُ- سَليبَ
وَرُبَّ بَعيد عَنكَ أحلى من المُنى ** ورُبَّ قَريب الدار غَيْرُ قَريب
وويحَ الغَوانى: مَا أمنتُ خُطُوبهَا ** وقد أمنتْ بَعْدَ المشيب خُطوبى
وكيف وثوبى للزَّمَان وأهْلِه ** وللشَيب أصْفَادٌ يَعُقْن وُثُوبى
أفي كُل يومٍ لَوعَةٌ بَعْدَ لَوْعَة ** لغُرْبَة أهْلٍ أوْ لفَقْد حَبِيب
وَيارَب: فى قَلْبى نُدُوبٌ جَديدَةٌ ** تُريدُ القِرَى من سَالفات نُدُوب
يُريدُ حِسَابى ظَالمٌ بَعْدَ ظَالمٍ ** وَمَا غَيْرُ جَبَّار السَمَاء حَسِيبى
وَيارب: صُنْ بالحُب قَومى مُؤلفاً ** شَتَات قُلُوبٍ لا شَتَات دُروب
وَيارَب: لا تَقْبَلْ صَفَاءَ بَشَاشة ** إذا لَمْ يُصاحبْهُ صَفَاءُ قُلوب
تَداوَوْا من الجُلى بِجُلىً.. وَخَلَّفُوا ** وَرَاءَهُمُ الإسلامَ خَيْرَ طَبِيب

●●●

وَيارَب: فى الإسلام نُورٌ وَرَحْمَةٌ ** وَشَوقُ نَسِيب نَازحٍ لِنَسيب
فَألّف عَلىَ الإسلامِ دُنْيا تَمَّزقتْ ** إلى أُمَمٍ مَقْهُورَةٍ وَشُعُوب
وكُلُّ بَعِيدٍ حجَّ للبَيْت أوْهَفَا ** إلَيْه - وَإنْ شطَّ المَزَارُ - قَريبى
سَجَايا من الإسلامِ: سَمْحٌ حَنَانُهَا ** فَلاَ شَعْبَ عَنْ نَعْمائها بِغَريب

●●●

وآمَنْتُ أنَّ الحُبَ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ ** ولا خَيْرَ عندى فى وَغىً وَحُرُوب
وَكُلُ خَضِيبِ الكَف فَتْحاً وَصَوْلَةً ** فِدَاءٌ لكف بِالعَبِير خَضِيب

وآمَنْتُ أَن الحُبَ والنورَ واحدٌ ** وَيَكْفُرُ بالألاءِ كُلُ مُريب
ولو كان فى وُسْعى حَناناً وَرَحْمَةً ** لجَنَّبْتُ أعدائى لِقاءَ شَعُوبِ(٣)

●●●

وَيَارَب لَمْ أُشْرِكْ ولَمْ أَعْرِف الأَذَى ** وَصُنْتُ شَبابى عنهما ومشيبى
وَإنى- وَإِنْ جَاوَزْتُ هَذين سَالماً ** لأُكْبِرُ لَوْلا جُودُ عَفْوِكَ حُوبى(٤)
وَأَهرُبُ كِبْرَاً أَوْ حَيَاءً لِزَلَّتى ** ومِنْكَ، نَعَمْ، لَكِنْ إِليكَ هرُوبى
وَأجلو عُيوبى نادماتٍ حواسِراً ** وَأسْتُرُ إلاَّ فى حِمَاكَ عُيوبى
وَأىُ ذُنُوبٍ ليس تُمحَى لِشاعِرٍ ** مُعَنَىً بألوانِ الجَمالِ طَرُوب
وَلَوْ شَهِدتْ حُورُ الجِنانِ مَدَامِعى ** تَرَشَّفن فى هَوْلِ الحَسابِ غُروبى(٥)
وَأَنْزَلْتُ أَحْزانِى عَلَى قَبْرِ أَحْمَدٍ ** ضُيوفَ كَريمِ النَّبْعَتينِ وَهُوب
مَدَحْتُ رَسُولَ الله أَرْجو ثَوابَه ** وحاشا النَدَى أنْ لا يَكُونَ مُثيبى
وَقَفْتُ بَبابِ الله ثُمَّ بَبَابِه ** وُقُوفَ مُلحٍّ بالسُؤالِ دَؤُوب
صَفَاءٌ على اسْمِ الله غَيرُ مُكَدَّرٍ ** وَحُبٌ لذاتِ الله غيرُ مَشُوب
وأزهى بتَظْليلِ الغَمَامِ لأحْمَدٍ ** وَعَذْبٍ بَرُودٍ مِنْ يَدَيْه سَرُوب
فَإنْ كانَ سِرُّ الله فَوْقَ غَمامَةٍ ** تُظِلُ وماءٍ سائغٍ لِشُرُوب(٦)
فَفى مُعْجزِ القرآن والدولةِ التى ** بناها عليه مُقْنِعٌ لِلَبيب

●●●

وَيارَبِ عِنْدَ القَبْرِ قَبْرِ مُحَمَدٍ ** دُعاءُ قَريحِ المُقلتَيْنِ سَليب
بجَمْرِ هَوىً عِنْدَ الحَجيجِ لِمَكَّةٍ ** وَدَمْعٍ عَلَى طُهْرِ (المَقامِ) سَكُوب
بِشَوْقٍ على نُعْماهُ، ضَمُ جَوانِحٍ ** وَوَجْدٍ على رَيَّاهُ زَرُّ جُيوب
تَرَفَّقْ بِقَومى واحْمِهِمْ مِنْ مُلمةٍ ** لَقَدْ نَشِبَتْ أَوْ آذَنتْ بِنُشوب

---

(٣) شعوب، بفتح الشين: الموت.

(٤) الحوب: الذنب.

(٥) الغروب: الدموع.

(٦) شروب بضم الشين والراء: جمع شارب.

وَرُدَّ الحُلومَ العـــازِباتِ إلى الهُـــدى ** فَـقَـــدْ تَرْجِعُ الأحـلامُ بَعْـدَ عُـزوبِ
وَرُدَّ القلوبَ الحـــاقِـــداتِ إلى نَدٍ ** مِنَ الحُبِّ فَـوَّاحِ الظِلالِ عَـشـيبِ

●●●

تَدَفَّقَتِ الأَمواجُ والليلُ كافِرٌ ** وَهَبَّ جُنونُ الريحِ كُلَّ هُبوبِ
رَمى اليَمُّ أنْضاءَ السَّفينِ بِمارِدٍ ** مِنَ اليَمِّ تَيَّاهِ الحُتوفِ غَضوبِ
يُزَلْزِلُها يُمْنى ويُسْرى مُزَمْجِراً ** ويَضْغَمُها مِنْ هَوْلِهِ بِنُيوبِ
يُرَقِّصُها حيناً وحيناً يَرُجُّها ** ويُوجِزُ حالَيْ هَدْأَةٍ وَوُثوبِ
وَتَرْفَعُها عَجْلَى وعَجْلى تَحُطُّها ** لَعُوبٌ مِنَ الأَمواجِ جِدُّ لَعُوبِ
وأَيْقَنَ أنضاءُ السفينةِ بالردى ** يُطالِعُهُمْ في جيئةٍ وذُهوبِ
ولَمَّا اسْتَطالَ اليأسُ يَكْسو وُجُوهَهُمْ ** بألوانِهِ مِنْ صُفْرَةٍ وَشُحوبِ
دَعَوْا يا أبا الزَهْراءِ والحَتْفُ زاحِفٌ ** عَلَيْهِمْ: لَقَدْ وُفِّقْتُمُ بِمُجيبِ
وأَسْلَسَتِ الريحُ القِيادَ كأنها ** نَسيمٌ هَفا مِنْ شَمْألٍ وجنوبِ
وَبادَهَ لُطْفُ اللهِ مِنْ يُمْنِ أَحْمَدٍ ** بِبُرْدٍ على عُرى الرَجاءِ - قَشيبِ

●●●

وَأَقْعَدَني عَنْكَ الضَّنى فَبَعَثْتُها ** شَوارِدَ شِعْرٍ لَمْ تُرَعْ بِضَريبِ
أَقَمْتُ وآمالي إِلَيْكَ مُجِدَّةٌ ** تَلُفُّ شُروقاً مُعْتِماً بِغُروبِ
وَتُرْشِدُها أَطْيابُ قَبْرِكَ في الدُّجى ** فَتَعْصِمُها مِنْ حَيْرةٍ وَنُكُوبِ
وَعِنْدَ أبي الزهراءِ حَطَّتْ رِحالَها ** بِساحِ جَوادٍ لِلْثَناءِ كَسُوبِ

●●●

جَلَوْتُ على وادي العَقيقِ فَريدَتي ** فَفازَ حَسيبٌ مِنْهُما بِحَسيبِ
تَتيهُ حَضاراتُ الشُعوبِ بِشاعِرٍ ** وَتَكْمُلُ أَسْبابُ العُلى بِأَديبِ

●●●

خطبة الجمعة

الطريق إلى الله (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

الحمد كل الحمد لله - تبارك وتعالى - أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله هو ولى النعمة ومصدر الرحمة :

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، نبى المرحمة، وقائد الملحمة :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢).

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين، وأستفتح بالذى هو خير :

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٣)

أما بعد :

فإن الطريق إلى الله - تبارك وتعالى - عماده العلم والمعرفة، مع الإيمان واليقين، مع تحديد الغاية والهدف، مع سلوك الطريق باعتدال واستقامة حال، ومحاذرة الانحراف والضلال، ولذلك نرى الحق جل جلاله يقول لرسوله الأكرم ﷺ :

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٤).

أى الزم الطريق المستقيم المعتدل الذى لا عوج فيه، المتوسط بين طرفى الإفراط والتفريط، أنت ومن آمن معك، كما أمرك الله ودعاك، ولا تتجاوزوا طريق ربكم فهو مطلع على كل أحوالكم ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

(*) ألقيت بمسجد الإمام الرفاعى بالقلعة يوم الجمعة ١٨ من أغسطس سنة ١٩٧٢م.

(١) الأعراف (٥٦).
(٢) الأنبياء (١٠٧).
(٣) الممتحنة (٤).
(٤) هود (١١٢).

وللإمام السيد أحمد الرفاعى – رضى اللّه عنه – عبارة موجزة مركزة، كأنها تستضىء وتستمد من هدى هذا النور الإلهى الساطع يقول فيها: «المتلفت لا يصل». وهى كلمة عميقة المدلول دقيقة المفهوم. لو جعلها المؤمن البصير جزءاً من شعاره، واستجاب لها على هدى وبصيرة، لدفعت به إلى مراحل فى سبيل الاستقامة والاعتدال. ولو أخذنا بطريقة الصوفية وأسلوبهم فى تفهم هذه العبارة، لقلنا: إن من يشغل نفسه أو حسه عن ذكر ربه وطاعته، يظل محروماً من دخول حماه، فعليه أن يلزم طاعة مولاه، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، حتى يبلغ رضا اللّه عنه وقبوله له، فيفوز لديه بالأمان والاطمئنان

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾(٥).

ونحن نستطيع أن نفهم عبارة: «المتلفت لا يصل» بأسلوب عصرنا، فندرك أنها دعوة إلى وضع منهج، وتحديد خطة، ومواصلة مسيرة، ودوام عمل، حتى يبلغ الكتاب أجله، ويحقق المناضل عمله، وهذا لا يكون إلا بدعامتين: العقيدة القائمة على العلم الصحيح الثابت، ثم العمل المستقيم المستمر الدائم، ومن هنا قال القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾(٦).

فقولهم: ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ عقيدة وعلم، واستقامة تطبيق والتزام ولهذا قال اللّه – تعالى – لرسوله:

﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾

وقال له:

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٨)

وحينما سأل بعض الصحابة رسول اللّه ﷺ عن قول فى الإسلام لا يسأل عنه أحداً بعده أجابه بقوله: «قل آمنت باللّه ثم استقم».

والقرآن الكريم يجمع بين الدعوة إلى الدوام على العمل، والاستمرار فى بذل الجهد حتى النهاية، والتحذير من التلفت أو الانحراف، فيقول:

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾(٩).

أى داوم على طريق الطاعة والعمل الصالح حتى الموت، ويقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(١٠).

ويقول:

---

(٥) الفجر (٢٧: ٣٠).

(٦) فصلت (٣٠).

(٧) يوسف (١٠٨).

(٨) يوسف (١٠٨).

(٩) الحجر (٩٩).

(١٠) آل عمران (١٠٢).

﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴾(١١).

والمتلفت إنسان قلق مبعثر، لا منهج له ولا خطة، فهو كل حين بمبدأ، وكل يوم بسلوك، إذ لا عقيدة عنده يخضع لها فتسيطر عليه فى وجدانه وإيمانه، ولا خطة بين يديه يلتزم بها، أو يثابر على تنفيذها وتحقيقها، فلا استقرار عنده ولا ثبات؛ والمتلفت أيضاً يتطلع إلى هؤلاء من الناس فينخدع ببريقهم وتزويقهم فيميل نحوهم على غير رشاد أو اعتقاد، ثم يتطلع إلى أولئك من الناس، فيغتر بظواهرهم ومناظرهم، فيرتد إليهم بلا تفكر أو تدبر، وهكذا يظل كرة تتلاعب بها الأقدام:

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾(١٢).

ومع الحيرة والاضطراب لا يتم إصلاح ولا يكمل بناء:

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١٣).

والعامل أو الصانع إذا تلفت فى عمله أو صنعته، فلم يجمع شتات ذهنه وهو يعمل، ولم يركز جهده وطاقته فى إنتاجه وهو يصنع، وشغل نفسه بتضيع الوقت تارة، ومخادعة صاحب العمل أو غشه تارة أخرى، فإنه لا يصل إلى جد الإتقان والإجادة، ومن هنا لا يستحق توفية أجر ولا تكريم ذكر، فقد نسى قول الرسول ﷺ: «إن اللّه يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه». وقوله: «إن اللّه كتب الإحسان على كل شيء». وقوله: «من غشنا فليس منا». والتلميذ إذا تلفت ذات اليمين وذات الشمال، وشغله عن دروسه وتحصيله لعب يستبد به، أو لهو يسيطر عليه، لا يمكن أن يصل إلى مقدمة الصفوف أو يفوز بالنجاح، وهكذا كل إنسان فى الحياة لا يمكن أن يتم عملا، أو يحقق أملا، إلا إذا عرف الهدف، ثم سلك الطريق ثم بذل الجهد، ثم واصل العزم. بلا تردد أو اضطراب، ولعل هذا هو بعض ما نفهمه من قول اللّه -تعالى-:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١٤).

يا أتباع محمد ﷺ: الغاية الكريمة أمامكم، وطريق اللّه مفتوح لكم، والطاقة موفورة بفضل اللّه لديكم، فأقدموا، وتطلعوا إلى الأمام، وواصلوا المسير، ولا يشغلكم عن رسالتكم صارف أو لافت، فإن المتلفت لا يصل.

وبعد: فإن خير ما يحرزه الإنسان فى حياته من توفيق هو أن يعمق علمه. وأن يستقيم اعتقاده، وأن تدوم على طريق الحق خطواته، حتى يحقق فى دنياه ما أراده له خالقه من حرية وعزة وكرامة، وأن يفوز بما عنده من نعيم فى دار الخلود والبقاء.

---

(١١) المائدة (٢١).
(١٢) النساء (١٤٣).
(١٣) الملك (٢٢).
(١٧) الأنعام (١٥٣).

رسالة .. و .. ردّ

لفضيلة الشيخ / عبد الفتّاح سيّد جمعان

رسالة هذا العدد وردت من القارئ خالد شاكر هلال من قرية زاوية البحر - كوم حمادة محافظة البحيرة يقول فيها:

لقريتنا مقابر يمتد تاريخها لقرن من الزمان ومازالت تستعمل حتى الآن حيث لا بديل لها وهى عبارة عن أبنية متراصة فى صورة مجموعات تتكون كل مجموعة من عدد من المقابر، وكل مقبرة عبارة عن جزء فى باطن الأرض وجزء علوى فوق سطح الأرض من الطوب الأحمر يغطى المقبرة، وهذا الجزء مغطى بالأسمنت وقد تساقطت هذه الطبقة الأسمنتية أو كادت وعندما حاولنا إصلاحها نصحنا البعض بالتوقف لأن هذا العمل تعدى على حرمات الأموات وفيه إيذاء لهم وليس من الضرورات التى تبيح اعتلاء المقابر والسير عليها، وتضاربت الأقوال حول هذا الموضوع فبم ينصحنا علماؤنا الأجلاء أثابهم الله؟

بداية أقول للأخ الكريم إن دفن الموتى فرض كفاية بالإجماع بمعنى إذا قام به البعض سقط عن الباقين وإذا لم يقم به أحد أثم جميع من حضروه أو علموا به لأن فى ترك الميت بلا دفن هتكا لحرمته ويتأذى الناس من رؤيته ورائحته، وعليه عمل الناس من لدن سيدنا آدم - عليه السلام - إلى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد أرشد المولى - سبحانه وتعالى - ابن آدم الآثم قابيل إلى دفن أخيه المقتول هابيل حيث:

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾(١).

وذلك أن هابيل كان أول ميت على الأرض من بنى آدم قال تعالى:

(١) المائدة (٣١).

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾(٢).

وقال جل شأنه:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾(٣).

والمعنى أنها تكفتهم أى تضمهم وتجمعهم أحياء وأمواتا أحياء على ظهرها فى المساكن والمنازل وأنها جامعة لكل ما يحتاج إليه الناس من مأكل ومشرب ومسكن لأن كل ذلك خارج من الأرض وكما تضم الأرض الإنسان حيا تكفت الأرض وتضم كل ما ينفصل عنه من الأمور المستقذرة.

وكما تكفت الأرض البشر أحياء على ظهرها تكفتهم أمواتا فى بطنها فالأحياء يسكنون المنازل والأموات يسكنون القبور أى يدفنون فيها والتنكير فى كلمتى أحياء وأموات للتفخيم أى تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون ولهذا المعنى سميت أُما لأنها فى ضمها للناس كالأم التى تضم ولدها وتكفله، قال الشاعر:

منها خلقنا وكانت أمنا خلقت
ونحن أبناؤها لو أننا شُكُر
فيها القرار فما نبغى به بدلا
ما أرحم الأرض إلا أننا كُفُر

ولا تقتصر فائدة القبر على مداراة بدن الإنسان وستر عورته، بل فيه إلى جانب ذلك تسهيل زيارته والترحم عليه والدعاء له فزيارة القبور سنة مستحبة، وقال الظاهرية: هى واجبة ولو فى العمر مرة حملا للأمر على الوجوب، والأمر هو قوله صلوات الله عليه كما فى مسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة» وفى رواية: «فإن فى زيارتها تذكرة» والسر فى نهى النبى ﷺ عن زيارة القبور أولاً ثم إباحتها بعد ذلك، قرب عهد الناس بالجاهلية، فربما تكلموا عند زيارة القبور بما اعتادوه فى الجاهلية مما يخالف الإسلام، ثم لما بعد العهد بالجاهلية وانتشر الإسلام وعرفت أحكامه وتعاليمه أمرهم ﷺ بالزيارة مع مراعاة الأحكام الشرعية التى عرفوها فمن زار قبرا ودعا لصاحبه واستغفر له وقرأ القرآن على قبره خاصة سورة:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾(٤).

وسورة الكهف فهو على رجاء القبول كما جاء فى الأثر خاصة إذا كان الزائر ابنا لصاحب القبر، والقبر ليس مثوى للجسد فقط على الصحيح فإن روح الميت لها تعلق ببدنه بعد قبره فقد دلت الأحاديث الصحيحة أن روح العبد الصالح تخرج بسهولة وتصعد إلى الملأ الأعلى فتحوز الرضا والقبول ثم ترجع إلى جسدها فى القبر فيسأل ويجيب أحسن الجواب، ويفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها وتكون روحه فى عليين إلى يوم البعث والنشور، وأما الفاجر والمنافق فتحضره ملائكة العذاب ويرى مكانه فى النار وتصعد روحه إلى السماء فتغلق دونها وترجع إلى جسدها ملعونة ممقوتة فيسأله الملكان وهما على أقبح صورة فلا يجيب فيذوق العذاب ألوانا ويضيق عليه القبر ويفرش له من النار ويفتح له باب من جهنم وتكون روحه فى سجين إلى يوم الدين، فعن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله

---

(٢) طه (٥٥).

(٣) المرسلات (٢٥، ٢٦).

(٤) الملك (١).

عنه ـ « تخـــرج روح المؤمن أطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة الذين يتوفونه فتتلقاه الملائكة من دون السماء فيقولون: هذا فلان ابن فلان يعمل كيت وكيت بمحاسن عمله. فيقولون: مرحبا بكم وبه فيقبضونها منهم فيصعد به من الباب الذى كان يصعد فيه عمله فتشرق فى السماوات ولها برهان كبرهان الشمس حتى ينتهى بها إلى العرش، وأما الكافر فإذا قبض انطلق بروحه فيقولون: ما هذا؟ فيقولون: فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت بمساوىء عمله. فيقولون: لا مرحبا لا مرحبا ردوه فيرد إلى أسفل الأرض إلى الثرى» أخرجه أبو داود.

وبعد أن تكون روح المؤمن الصالح فى عليين وروح الفاجر والمنافق فى سجين ترد كل منهما إلى قبرها حيث الجسد لقوله تعالى كما فى حديث البراء: « وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى».

هذا والسنة أن يرتفع القبر عن الأرض قدر شبر حتى لا يوطأ بالأقدام ولا يجلس عليه ولكى يعرف أنه قبر فيدعو المار لصاحبه، والأصل فى هذا عمل النبى ﷺ فقد روى ابن ماجة عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ أعلم قبر عثمان بن مظعون بصخرة أى وضع عليه الصخرة ليتبين به، وفى هذا الحديث أن النبى ﷺ حمل الصخرة فوضعها عند رأسه وقال: « أتعلم بها قبر أخى وأدفن إليه من مات من أهلى» وروى أن القاسم بن محمد بن بكر ـ رضى الله عنه ـ قال: « دخلت على عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقلت: يا أماه اكشفى لى عن قبر النبى ﷺ وصاحبيه ـ رضى الله عنهما ـ « يعنى أبا بكر وعمر» فكشفت له عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء» ومعنى لا مشرفة أى ليست مرتفعة عن الأرض كثيرا ومعنى لا لاطئة أى ليس لاصقة بالأرض، وارتفاع المقابر عن قدر شبر يكون على وجهين، إما أن يسنم القبر أو يسوى وقد اختلف الفقهاء فى الأفضل منهما « التسوية والتسنيم» فذهب أبوحنيفة ومالك وأحمد ـ رضى الله عنهم ـ وكثير من الشافعية أن التسنيم أفضل، وذهب الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ أن التسطيح أفضل لأمر الرسول ﷺ بالتسوية كما جاء فى حديث ثمامة بن شقى قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبر فسوى ثم قال: « سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها» رواه مسلم.

وارتفاع القبر عن الأرض قدر شبر يكون بأحد أمرين: إما بجمع التراب الخارج من حفر القبر فوقه أو بالبناء عليه بالطوب اللبن لأن القبر للبلى لا للبقاء، ولذا لا يجوز البناء على القبر بالآجر « الطوب الأحمر» إذا كانت الأرض رخوة فإذا لم تكن الأرض رخوة فلا يبنى عليه بالآجر لأنه من زينة الدنيا ولا حاجة للميت إليها ولأنه حرق بالنار فيكره أن يجعل على الميت تفاؤلاً(٥).

أما وقد بنيت مقابركم على النحو الذى ذكرتم فى الرسالة والموضح فى الرسم فلا مانع من بقائها على النحو الذى هى عليه، ولا داعى لترميمها أو إصلاحها إذ سوف يترتب على الإصلاح والترميم المشى على هذه المقابر وهو أمر منهى عنه فى صريح حديث رسول الله ﷺ.

هذا والله أعلم وبه التوفيق

(٥) الدين الخالص حـ ٧ ص٤٦٥.

على باب الأمل

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

ما إن يحل الشتاء حتى تتنامى الآمال فى تطوير أدوية جديدة لمقاومة نزلات البرد والأنفلونزا وذلك فى صراع الإنسان الذى لا يكاد ينتهى مع المرض؛ ففى كل عام يصاب الملايين بتلك الأمراض اللعينة التى كان المرء -حتى وقت قريب- لا يملك حيالها دفاعاً إلا أن يرقد طريح الفراش ملازماً بيته مستسلماً للمعاناة والألم الذى يدوم أياماً. لكن مع قدوم العام الجديد يمكننا أن نزف البشرى لكل بنى البشر قائلين لهم: تشجعوا ولترتفع معنوياتكم، هذا الكلام لا ينبعث من فراغ، بل هو يتسند إلى أسس علمية راسخة يمكن تلخيصها فى ثلاثة أمور رئيسية:

أولاها: تطوير عقاقير جديدة مضادة للفيروسات.

والثانية: أن تلك العقاقير ستؤدى إلى تقليل مدة المرض وحدته هذا بالنسبة للأنفلونزا.

أما ثالث الأمور: فإنه يلوح فى الأفق علاج وشيك لنزلات البرد العادية.

ونركز الحديث الآن لبعض الوقت عن الأنفلونزا، فهى يمكن أن تكون عدوى فتاكة وداءً خطيرا لصنف من الناس بعينهم ونعنى بهم أولئك المصابين بعلل تنفسية حادة، ولهؤلاء يقول الأطباء: إن أكثر وسائل الدفاع فائدة وأعظمها جدوى هو أخذ اللقاح السنوى الذى يكون مؤثراً بنسبة تتراوح ما بين ٦٠٪ إلى ٨٠٪ حيث إنه لايمنع الأنفلونزا فقط بل يقى من الإصابة بأمراض أخرى خطيرة، أهمها تلك التى تصيب الرئتين. ولأهمية ذلك الأمر فقد قامت الأكاديمية الأمريكية لأطباء العائلة بتخفيض السن التى كان قد أوصى بإعطاء اللقاح السنوى المضاد للأنفلونزا فيها من سن الخامسة والستين إلى سن الخمسين، الأمر الذى يعنى زيادة أعداد من سيعطون هذا اللقاح.. والجدير بالذكر أن الأطفال -وهم الهدف الأول لكل أنواع العدوى التنفسية

وأمثالها- نادراً مايطعمون ضد الأنفلونزا، والسبب -كما يبدو- هو ما يتملك الآباء والأمهات من خوف ناشئ عن عدم اتخاذ الاحتياطات الكافية عند التعامل مع الأدوات المستخدمة فى الحقن من كل من أولياء الأمور والصغار على السواء. لكن الأمل كبير فى أن يزول شبح ذلك الانزعاج مع التقدم فى إنتاج أحد اللقاحات الذى سيكون فى شكل نقط للأنف بعد أن ثبت تأثيره الفعال حينما تم تطعيم البعض به، مما أدى إلى تخفيف هذه الأنفلونزا، وذلك عند البالغين والأطفال على حد سواء. وقد أصبح ذلك العلاج ميسوراً منذ العام الماضى ولأولئك الذين لم يحصلوا على أى تطعيم من قبل نقول: إن جيلاً جديداً من عقاقير الانفلونزا تمت الموافقة عليه من هيئة الأغذية والعقاقير هو الحل الأمثل لمن يعانون من الآلام. وهذه العقاقير والأدوية الحديثة تمثل تقدماً رئيسياً فى مقاومة ذلك المرض الذى جعل أسرة المستشفيات تكتظ بضحاياه، بل السبب فى كثير من الوفيات. والأهم من ذلك كله مايترتب عليه من تكلفة الرعاية الطبية التى تقدر بحوالى خمسة بلايين دولار، ناهيك عن ساعات العمل المهدرة كل عام فى جميع أنحاء العالم. ويقول أحد أساتذة المركز الطبى المتخصص فى أبحاث الأنفلونزا فى أمريكا: إن كل تلك العلاجات الجديدة سيكون لها أثر بالغ فى تغيير الطريقة التى يتعامل بها كل من الأطباء والمرضى مع الأنفلونزا.

يضيف قائلاً: إن لطرق العلاج الفورى تلك أثر لا ينكر فى سرعة تحسين الأحوال الصحية للمرضى وعودتهم إلى أعمالهم ودراستهم دون تأخير.

وتنتمى الوسائل سالفة الذكر إلى مجموعة من العقاقير تعرف بـ« المثبطات » التى قالت عنها الأوساط الطبية: إنها تقوم بضرب حصار حول أحد البروتينات حتى لا يسمح له بنقل فيروس الأنفلونزا من خلية إلى أخرى وبالتالى انحصار العدوى.

ويصف الأطباء بخاخة تستخدم عن طريق الفم مرتين يومياً لمدة خمسة أيام لسن ١٢ فما فوق بهدف وصول ما بالبخاخة إلى سطح الرئة باعتباره المرتع الأول لعدوى الأنفلونزا.

أما الدواء الثانى وهو للبالغين فقط، فيؤخذ مرتين كل يوم لمدة خمسة أيام وهو على شكل أقراص وتكمن أهمية هذه العلاجات الجديدة فى أنها على خلاف عقاقير الأنفلونزا السابقة التى اقتصرت مهمتها على مقاومة الفيروس؛ فإن لها القدرة على مقاومة فيروسات الأنفلونزا من النوع (أ) والنوع (ب) ومن مميزاتها أن آثارها الجانبية طفيفة. وقد اتضح فى التجارب المعملية أن لها مزايا أخرى نذكر منها اثنتين لايمكن لأحد الاستهانة بهما. الأولى: تقصير مدة الأنفلونزا

بمقدار يومين اثنين. الثانية وهى الأهم: التقليل من احتمال نشوء التهابات شعبية أو نزلات شعبية وكذلك الحد من التهاب الجيوب الأنفية والتجاويف العظمية وما يمكن أن يصيب الإثنين من عدوى.

ولا ننسى قدرة تلك العقاقير على منع انتشار المرض بين أفراد الأسرة الواحدة؛ ففى دراسة شملت ٩٧٥ أسرة تم إجراؤها وقت تفشى الأنفلونزا لم تتجاوز نسبة الأسر التى أصيب منها فرد بالأنفلونزا ٤٪ مقارنة بنسبة ١٩٪ من أسر تناولت أدوية تقليدية.

ولا يفوتنا التنبيه إلى التيقظ للمرض والتعامل معه مبكراً حيث إن الشفاء يكون أرجى إذا تم اللجوء للعلاجات الجديدة فى مدة لاتتعدى ٣٦ - ٤٨ ساعة من بداية ظهور أعراض الأنفلونزا والاختبارات الجديدة متوافرة فى كثير من العيادات وعند كثير من الأطباء. ويمكن أن تجعلك متيقناً من صحة التشخيص فى مدة قصيرة لاتزيد على عشر دقائق وهى مسألة جوهرية. والسبب أن ثلث الأمراض التنفسية ليست فى حقيقة أمرها سوى انفلونزا بالفعل، كما أن علاجات نزلات البرد التى لاتزال في مرحلة التجريب تقتصر فى تركيزها بشكل مكلف على الفيروس أكثر من اهتمامها بعلاج الأعراض المصاحبة.

وفى نبرة تفاؤلية محببة يقول رئيس قسم أبحاث مضادات الفيروسات بالولايات المتحدة: دعك من المثل السائر القديم الذى طالما روج لفكرة مؤداها أن بمقدور العلم أن يضع الإنسان فوق سطح القمر لكن لا حيلة له مع نزلات البرد، إذ لا يملك إزائها أى شىء؛ فهذا كلام غير صحيح،`سرى بين الناس سريان النار فى الهشيم، وتتعجب حين تعلم أن نصف الإصابات، هى إصابات بالفيروس، بينما النصف الآخر يشمل فيروسات تصيب الغدد وفيروسات تصيب الشرايين التاجية وفيروسات تصيب أغشية الخلايا والأنسجة المبطنة للأجهزة التنفسية.

ويوضح رئيس قسم أبحاث مضادات الفيروسات خطورة المشكلة قائلاً: إن لفيروس الأنف وحده أكثر من نوع من الأمصال، تتخذ أشكالاً عديدة.

ويستطرد مؤكداً أن هذا هو السبب فى أن معظم العلماء وضعوا فرضية مؤداها أنه ليس هناك مركب بمفرده من مضادات الفيروسات يمكنه مقاومة ذلك الجيش الجرار من الفيروسات. ثم ينبه المتحدث إلى خطأ ذلك الافتراض، ودليله على ذلك ما قام به فريقه الطبى من تحديد الذرات التى تعد المفاتيح لأحد الانزيمات التى تلعب دوراً جوهرياً حاسماً فى تناسل تلك الفيروسات وتكاثرها وهو أنزيم تشترك فى

الاستفادة منه كل فيروسات الأنف . وعن طريق نموذج « حاسوبى ثلاثى الأبعاد » تمكن فريقه الطبى من تطوير أحد المركبات الذى يقوم بالاحتباس داخل ذرات ذلك الأنزيم بهدف عرقلة الفيروس عن التوالد وإيجاد نظائر له .

وفى تجارب أولية تبرع للقيام بها متطوعون تم تعرضيهم لفيروس الأنف وذلك باستخدام معطرات أنفية يحوى كل منها مثبطاً للأنزيم السابق وهو مشابه للعقاقير التى كان لها قصب السبق فى محاربة الفيروس المسبب لمرض نقص المناعة المكتسبة، استطاع الفريق الطبى تقليل مستويات الفيروس وتحجيمها والتهوين من شأن الكيماويات التى تسبب المتاعب؛ فينشأ عنها أعراض نزلات البرد . كما أنه يتم حالياً اختبار أحد الأقراص التى يقوم العلماء بإدخال ما بها من مواد إلى الغلاف الخارجى الواقى لفيروس الأنف ثم يسمحون لها بتبديل شكلها حتى لا تلتصق بالخلايا فى داخل الأنف، إضافة إلى معطر للأنف يحوى الأنترفيرون وهو المقاوم الذى زود الله به جسم الإنسان لمحاربة الفيروس .

وقد بينت دراسات سابقة أن الأنترفيرون يستطيع تخفيض مستويات البرد ومنع انتقال البرد وسريانه إلى باقى أفراد الأسرة، لكن للأسف ليس بمقدوره تقصير عمر نزلات البرد، ولا يهدىء من حدة أعراضه، وفى نغمة مبشرة بالأمل يقول أحد أبرز خبراء مقاومة نزلات البرد بجامعة فرجينيا : إننا -حلاً لكل تلك المشاكل القائمة حالياً- نقوم باختبار أحد المركبات التى تم فيها دمج الأنترفيرون مع بعض الأدوية التى تؤخذ عن طريق الفم بغرض إيقاف وتعطيل أو على الأقل تحييد العمليات الكيماوية التى تسبب أعراض البرد . . وينهى خبره معلقاً : أن ذلك يمكن أن يكون أكثر جدوى وأشد أثراً فى علاج نزلات البرد .

ولا تتوقف مجهودات العلماء حيث إنهم قاموا بتخليق معطر أنفى مضاد للفيروسات مهمته غلق أجهزة الاستقبال لدى فيروسات الأنف وموصلاتها، إضافة إلى دواء آخر من الزنك يؤخذ أيضاً عن طريق الأنف ولا يزال الحكم على أيهما اكثر فائدة للمريض أمرا سابقا لأوانه، ومن ثم فعلى المرضى أن يواجهوا بصبر واحتمال عدة مواسم من العطاس وأعراض أخرى قبل أن يكتشف الدواء الناجع .

هذا وقد كان الزكام معروفاً على عهد النبى الأعظم ﷺ وعلى أيام الصحابة الكرام باسم « الخثام » وقد وصفت له السنة النبوية المشرفة نبات « المردقوش » وهو نبات طبى يزرع فى صعيد مصر ويعرف باسم « البردجوش »، تشبه أوراقه أوراق نبات النعناع، وتستورده دول أوروبا وأمريكا حيث يباع بأغلى الأسعار؛ فهلا انتبهنا إلى ما بأيدينا من كنوز السنة النبوية المطهرة التى بذل الطب النبوى فيها جهدا لابأس به .

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

أين مؤتمر مكافحة الإرهاب؟!

تحت هذا العنوان تحدث الكاتب عبدالعزيز النحاس فى جريدة الوفد فى عددها الصادر فى ٣٠/١٢/٢٠٠١ قائلا

● يبدو أن القانون الأمريكى هو الذى أصبح يحكم العالم بأسره وهو ما أكده تصريح كولين باول وزير الخارجية منذ أيام بإضافة منظمتين جديدتين إلى المنظمات الإرهابية وتتخذان من باكستان مقرا لهما وطالب بضرورة تصفيتهما.. وسبق هذا التصنيف تحديد عدة منظمات كان منها منظمتا الجهاد وحماس فى فلسطين على أنهما منظمتان إرهابيتان يجب تصفيتهما، كما قامت الولايات المتحدة من قبل بتجميد أرصدة الكثير من الجمعيات الخيرية الإسلامية باعتبار أنها جميعات تساعد المنظمات الإرهابية.. الأمر لم يقف عند حد التصنيف ولكن تتم الاجراءات الفعلية فور هذا التصنيف والتصفية من قبل المجتمع الدولى الذى يرضخ للقانون والقرارات الأمريكية خوفا من البطش والعدوان والحصار الاقتصادى.

● هذه الأحداث تجيب عن السؤال الذى يتردد عن أسباب عدم عقد المؤتمر الدولى لمكافحة الإرهاب الذى نادى به الرئيس مبارك أكثر من مرة، وحذر مرارا وتكرارا من خطر الإرهاب على العالم.. فالمؤتمر الدولى لمكافحة الإرهاب سوف يناقش جوانب كثيرة أهمها تحديد معنى الإرهاب بدقة وتصنيف أنواع الإرهاب وأسبابه ودوافعه والحقوق المشروعة للشعوب المحتلة فى الدفاع وتحرير أراضيها بكل السبل والوسائل وهذا ما لا تريده أمريكا لأنه ببساطة شديدة يغل يدها عن تنفيذ مخططاتها فى ضرب كل المنظمات والدول التى لا تسير فى ركابها أو التى تقف عائقا أمام مصالحها الخاصة فى شتى بقاع الأرض سواء أكانت السيطرة على منابع النفط فى دول الشرق الأوسط أو السيطرة على مناطق النمو الاقتصادى التى تهدد عرشها أو عولمة وتغريب عقول شعوب الدول الإسلامية بوجه خاص التى تقف عائقًا أمام السياسة والأفكار الأمريكية.. قد تكون أمريكا نجحت فى تنفيذ بعض المخططات والأفكار التى يرسمها لها اللوبى الصهيونى، ولكنها قد لا تدرى

أن النجاح الأكبر كان فى استعداء معظم شعوب الكرة الأرضية بشكل لم يحدث مع أى إمبراطورية سابقة صالت وجالت حتى انهارت.. ورب ضارة لشعوب مغلوبة على أمرها نافعة للأجيال القادمة.

بداخلنا مأتم..ولكن!!

فى جريدة اللواء الإسلامى فى عددها الصادر فى ٢٧/١٢/٢٠٠١ كانت هذه الكلمات المؤلمة لحال أمتنا الإسلامية للدكتور محمد محمد داود قال فيها:

● قسوة الظروف الحالكة التى تمر بها أمتنا الإسلامية من طغيان المارد الأمريكى وإرهاب إسرائيل المدمر فى مقابل الصمت الرهيب من العرب والمسلمين هذه المأساة جعلت الكثيرين من المسلمين فى حالة إحباط فبداخل كل منا مأتم!! وأدى ذلك إلى أن الأعم الأغلب من الكتابات والحوارات فى إعلامنا أشبه بالنواح والولولة وصفا لحال مأساتنا وحزنا على أحوالنا ولوما وسبا لأمريكا وإسرائيل.

● وهكذا نقع فى هذا الفخ ننتظر من عدونا أن يرأف بنا ولا نرأف بأنفسنا، ننتظر أن تنجز لنا يد القدر آمالنا ولا نتقدم لندفع المهر لتحقيق الآمال بالعمل الدءوب والكفاح مازلنا نبكى على ما ضاع منا ولا ننتبه إلى ما بين أيدينا من أسباب وفرص.

● فلننتبه فمازال بأيدينا الكثير فلنصنع شيئا ولنبدأ بأنفسنا نتخلى عن كل سلبية بغيضة فينا، نتخلى عن تفرقنا وتمزقنا، نتخلى عن قيم الهدم من رشوة وظلم ومحاباة، وليعد إلينا وعلينا المفقود بأسباب تقدم الأمة من تحقيق قيم العدالة والأمانة بيننا ومعرفة أن العلم هو سر الحضارة، ولنعلم أولادنا الدرس كى لا يكونوا ألعوبة بين يدى الأعداء.

● فلنتحول عن البكاء والأحزان إلى العمل من أجل أمة الإسلام ولنعلم أن جراحات الأمة لا تداويها الانفعالات الطائشة ولا العواطف المتهورة وإنما العمل المخلص الذى يؤسس على علم وتدبير بعيدا عن العشوائية وضربات الحظ والمجازفة.

● ولنتأس برسول الله ﷺ فى مواجهة الأزمات فقد علمنا ﷺ ألا ننهار ولا نيأس وإنما نبحث عن الحلول الممكنة فقد ذهب النبى ﷺ إلى الطائف والتقى بوفود الحجيج وأرسل من يهيئ المدينة للإسلام قبل هجرته ﷺ، فلنعمل فمازال بأيدينا الكثير وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

●● **تعليق:**

قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها: فقال قائل: أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».(١)

(١) رواه أبوداود فى سننه جـ٤/٤٨٣، ٤٨٤ برقم ٤٢٩٧.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة

بين الجد والفكاهة

منذ عدة أشهر أرسل إلينا **الأستاذ هلال الحبشى من برهمتوش - دقهلية -** رسالة تناول فيها أصل كلمة «أرشانة» ونشرناها فى هذا الباب تحت عنوان: «بين الجد والفكاهة».

ثم شارك أساتذة أفاضل فى إثراء هذا الجانب الذى نكاد نفتقده برغم ماله من تأثير إيجابى فى تخفيف الضغط النفسى الذى أصبح سمة من سمات العصر.

غير أن أحداث سبتمبر ألقت بظلال قاتمة على كثير من رسائل القراء.

ولكن يبدو أن القارىء نفسه صاحب الطرفة الأولى. أعنى **الأستاذ هلال الحبشى** لم يعجبه أن يرى هذا الجانب الفكاهى الجاد وقد أصابه الفتور فأراد أن يعيد إليه النشاط، ونحن نرحب بذلك حتى نخرج - ولو للحظات - مما ألم بنا من ألم.

ولعل الأستاذ الحبشى قد أصابه ما أصابه من أدعياء الطرب والغناء الذين يصدعون الرءوس فى غير طائل فأرسل هذه الأبيات الفكاهية الرائعة التى قالها الشاعر الكبير أحمد الزين فى مطرب شبيه بهؤلاء:

حمارٌ لا يمل من النهيق
يضيق به التَّجلدُ أى ضيق
مُنى الأوتار لو كانت سياطًا
يصبّ بها على الجلد الصفيق
بطانَتُه حماك الله منها
كأن صياحهم جرس الحريق
دعانى للسماع رفيقُ سوءٍ
فقلت جزاك ربى يا رفيقى
وكانت ليلة يا ليت أنى
دُفعْتُ بها لقطاع الطريق

العلم والعقل

ولم تكن الرسالة السابقة فقط هى التى جاءت تتناول موضوع الجد والفكاهة بل أرسل إلينا القارىء حسام جابر محمد عبدالعزيز - محرم بك الإسكندرية - هذه الكلمة فى الفرق بين العلم والعقل وأيهما أفضل يقول القارىء:

العلم هبة من الله – عز وجل – يهبها لمن اصطفى من عباده، والعقل كرم الله به الإنسان على سائر الكائنات الحية، وهما سبيل المؤمن إلى الجنة إن صلحا أدخلا صاحبهما الجنة، وفى هذه الطرفة، يتخيل الشاعر اختلاف العقل مع العلم، فقال العقل: أنا أفضل لأن الله – عز وجل – عُرف بى، وقال العلم: أنا أفضل لأن الله اتصف بى فى الكتاب، فوافقه العقل واعترف له بالفضل. فكانت هذه الأبيات:

علمُ العليمِ وعقلُ العاقلِ اختلفا
من ذا الذى منهما قد أحرز الشرف
فالعلمُ قال أنا أحرزت غايته
والعقل قال أنا الرحمن بى عرف
فأفصح العلم إفصاحاً وقال له
بأينا الله فى فرقانه اتصف
فبان للعقل أن العلمَ سيدُهُ
فقبل العقلُ رأس العلمِ وإنصرف

كيف نربى أولادنا على الطاعة؟

ومن الرسائل التى نحرص على نشرها تلك الرسالة التى وردت من القارىء / محمد عباس محمد، حيث تتناول موضوعًا تتمناه كل أسرة ويرجوه المجتمع بأسره حيث يقول:

أقام الإسلام قواعد التربية الفاضلة فى نفوس الأفراد صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً شيباً وشباناً.. على قواعد تربوية باقية، وأصول نفسية نبيلة ثابتة.. لا يتم تكوين الشخصية الإسلامية إلا بها، ولا تتكامل إلا بتحقيقها. وهى فى الوقت نفسه قيم انسانية خالدة. ومن الثابت تجربة وواقعاً أن سلامة المجتمع، وقوة بنيانه وتماسكه.. مرتبطتان بسلامة أفراده وإعدادهم.. ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأولاد اجتماعياً وسلوكياً.. حتى إذا تربّوا وتكونوا وأصبحوا يتقلّبون على مسرح الحياة أعطوا الصورة الصادقة عن الإنسان المتّزن العاقل الحكيم.

ومن أهم الأصول التى يحرص الإسلام فى تربية الأولاد عليها: الطاعة، فالطاعة إذا أُحسن استخدامها تلعب دوراً لا غنى عنه فى حياة كل فرد، وفى تحقيق نضجه ونموه، وكذلك فى تحقيق

الفرد لذاته. ولذلك فإنه من اللازم أن يفهم الآباء طبيعة الطاعة ومخاطر إساءة استخدامها.

إن الطاعة وسيلة لتحقيق أهداف تربوية كثيرة، وهى ليست هدفا فى حد ذاتها. فنحن لا نجبر أطفالنا على الطاعة حباً فى الطاعة نفسها، ولكننا نطلب منهم أن يكونوا مطيعين فى بعض المواقف سعيا وراء القيم التربوية لهذه الطاعة بالنسبة لهم. فعن طريق طاعة الأبناء للآباء يكتسب الأبناء الكثير من القيم والاتجاهات الطيبة والخبرة النافعة، كما أنهم يتدربون منذ طفولتهم على احترام النظم والقواعد والتقاليد السليمة. والطاعة عموما يعتبرها الناس فضيلة من الفضائل، وعادة ما يكون وصف الطفل بأنه مطيع أمر يدعو إلى السرور والغبطة.

كيف نجعل للطاعة قيمة تربوية؟

أولاً: الصراحة: فلابد أن يسود جو الصراحة للعلاقة بين الآباء والأبناء. فالطفل إذا لم يكن مقتنعا بأمر من الأوامر، يجب أن يصارح والديه بوجهة نظره فى هذا المجال قبل طاعته، فالطفل يجب أن يكون مقتنعا بقيمة الأمر وفائدته بالنسبة له وبالنسبة للأسرة التى يعيش فيها. ولابد أن تقوم صراحة بين الآباء والأبناء تمكن الأبناء من الاستفسار عن بعض الأوامر وابداء الرأى فيها فى حدود قدراتهم ومستوى نضجهم ودون خروج عن حدود الأدب واللياقة.

ثانيًا: شعور الأمن: شعور الطفل بالأمن يجعل العلاقةَ بينه وبين أسرته علاقة ود وتفاهم، وهذا يجعله أكثر تقبلا لأوامر الوالدين، أما الطفل الذى لا يشعر بالأمن والذى يحس بأن شخصيته فى البيت مهددة، فإنه عادة يتقبل أوامر الوالدين ليس عن اقتناع ولكن خوفا من أن تؤدى معارضة هذه الأوامر إلى تعريض شخصيته فى الأسرة لمزيد من التهديد.

وقد يؤدى عدم شعور الطفل بالأمن فى الأسرة إلى سلوك مضاد للسلوك الذى سبق ذكره فقد يدفع ذلك الطفل إلى عدم إطاعة أوامر الوالدين.

من الأخطاء الشائعة

أما القارئ إبراهيم نصحى محمد - من ديرب نجم - شرقية: فيرسل بعضاً من الألفاظ التى شاع استخدامها بطريقة خاطئة ويقدم تصويباً لها، يقول:

١- من الخطأ أن تقول: لقد وصينا المدير على أحمد، وهذا كتاب موصى عليه. والصواب أن تقول: وصينا المدير بأحمد، وهذا كتاب موصى به.

لأن هذا الفعل لا تستعمل معه إلا الباء سواء كان ربا عيا مضعفا، كما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾. لقمان/ ١٤

وقوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

الأنعام/ ١٥٣

أم كان رباعيا مهموزا كما ورد فى الأثر : « أوصيك بتقوى فإنها رأس الأمر كله » . وفى قوله تعالى :

﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ مريم / ٣١ .

٢ – من الخطأ أن تقول : لن أحضر طالما أننى مريض .

والصواب : استعمال (مادام) بدلا من طالما فيقال : لن أحضر ما دمت مريضا لأن طالما بمعنى طال وكثر فتقول : طالما كلمتك عن هذا الأمر : أى طال كلامى عن هذا الأمر .

٣ – من الخطأ أن تقول : هذا الحزن أثر عليه ، والصواب : هذا الحزن أثر فيه . لأن أثر يحتاج إلى حرف جر (فى) وليس (على) .

٤ – من الخطأ : كلما اجتهدت كلما تفوقت ، والصواب : كلما اجتهدت تفوقت . لأن (كلما) الشرطية لا تتكرر فى الجملة . قال تعالى :

﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ .
المائدة / ٦٤

٥ – من الخطأ : أرسل له خطابا والصواب : أرسل إليه خطابا قال تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ﴾ المائدة / ٧٠

من شروط تحصيل العلم

أما القارىء عبدالغنى عبيد عبدالغنى سكرة – خريج جامعة الأزهر – فرع المنصورة فيصدر رسالته بقول الامام الشافعى :

أخى لن تنال العلم إلا بستة
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء ، وحرص ، واجتهاد ، وبلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

ثم يلقى الضوء على الشرطين الأخيرين حيث يقول :

على الرغم من بلوغ الغاية فى الابداع فى هذين البيتين إلا أننا سنركز كل أو معظم اهتماماتنا على الشطر الثانى من البيت الثانى وهو قول الشافعى (وصحبة أستاذ ، وطول زمان) لننهل من الحكمة الصادرة من أحد مؤسسى المذاهب الشرعية الاسلامية فى العالم أجمع ، وذلك لندلل بذلك على ما نرمى إليه من رأى ، وجدية المقصد .

فما هو آكد ومعلوم لكل امرىء منا ، أن لكل حدث جديد ، إيجابياته التى ترفع من مستوى الذين سينتهجون قواعده ، وكذا سلبياته التى تؤدى فى بعض الأحيان إلى إحساس بعدم الإفادة والراحة .

ولقد ظهر فى عصرنا الحالى حدث جديد فى الجامعة سنخصص كلامنا لذكر بعض السلبيات التى يسببها .

ويُدْعَى هذا الحدث الفصل الدراسى الواحد أو كما يطلق عليه الكثيرون (التيرم) ، فمن سلبيات هذا الحدث بل وأهمها (عدم المعرفة أو قلة المعرفة وعدم

المصاحبة للأستاذ، وضيق فترة لقائهما، وضيق الوقت لعلوم عميقة الأغوار كثيرة القواعد تحتاج إلى تطبيق وجهد وصبر.

فمع مضى الكثير من العصور بل القرون والتلميذ له شيخ أو معلم يلقنه ما لذ وطاب من شتى أنواع المعرفة والحكمة، وإذا كان التلميذ نابغاً، ولم يكن سئل عنه فيقال من أستاذه؟ فيجاب: إنه تلميذ فلان، أما فى ظل هذا الحدث (التيرم) فلا نجد هذه الأواصر والروابط بين الأستاذ والتلميذ، التى كانت على مدى عصور متتالية أقوى من صلة الأسرة بعضها ببعض.

فماذا تفيد هذه الشهور القلائل التى لا تسمن ولا تغنى من جوع.

ان هناك من العلوم ما يحتاج إلى سنوات كى يعرفها الطالب ويفهم فحواها.

إن هذا التجديد فى نظم التعليم من الممكن أن يخلق لنا أجيالاً لا تدرى ماذا تعلمت، وممن تعلمت، وكيف تعلمت وكيف تطبق فى الحياة ما تعلمت؟

ونعود إلى الامام الشافعى (وصحبة أستاذ وطول زمان) فيالها من حكمة ومن ركائز، وما أبدعها من نصيحة، ولنجعل من هذه الشروط دليلا واضحا على ضرورة تعدد اللقاءات وكثرتها بين الأستاذ والتلميذ، فإن ذلك هو الذى يأتى بالخير والمصلحة وصدق من قال: «فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة» وأتمنى من الله أن يهدينا سبلنا.

من إبداعات القراء :

شهيد الفدائية

للطالب: أحمد حمدى والى – مدرسة الهدى والنور الثانوية بالمنصورة

وهبتَ الروحَ يا بن الأكرمينا ... وسطرت العُلاَ صرحاً متينا
فعشتَ على الشهادة فى إباءٍ ... ومُتَّ وأنَتَ لا تُحْنى الجبينا
فلم تَرهب أساليبَ المنايا ... ولم ترهبْ صُراخاً أو أنينا
أذقت الكفر كأساً من هوان ... فصاروا كالنّعام مهرولينا
رأيت أخاك يُقتل من رصاص ... وراحَ الوغد يذبح ذا الجنينا
وأختك يستباح العرض منها ... وقومك فى الديار مشتتينا
فأقسمت اليمين بأن ثأراً ... سيوقف مدفع الكفر اللعينا
خرجت من الدَّنايا فى شموخٍ ... وودّعْتَ الأحبة والعرينا
وأمّكَ بالحزام تلف صدراً ... كتابُ الله كان له معينا
وتخرج والإله عليك يرضى ... تفَجر منبع الطهر الأمينا
هنيئاً يا حبيّب الله عرسٌ ... لدى الجنّاتِ بين المؤمنينا

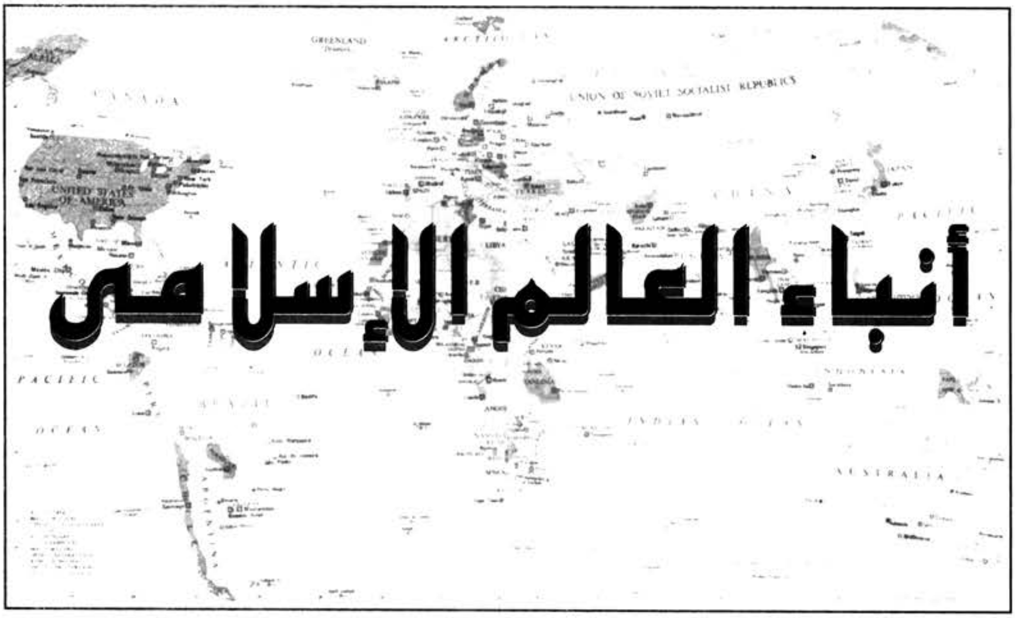

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

دراسة أمريكية

مصرع (٣٨٠٠) مدنى أفغانى فى الغارات الأمريكية على أفغانستان

أعلن باحث أمريكى أن عدد الضحايا من المدنيين الأفغان لعمليات القصف الجوى التى قامت بها الطائرات الأمريكية فى أفغانستان فاق عدد ضحايا الهجمات التى تعرضت لها الولايات المتحدة فى ١١ من سبتمبر الماضى حيث لقى أكثر من (٣٨٠٠) مدنى أفغانى مصرعهم منذ بدء الغارات الأمريكية على أفغانستان فى حين بلغ إجمالى عدد الضحايا فى الهجوم على مركز التجارة العالمى (٢٩٩٨) شخصاً.

وقال الباحث (مارك هيرولد) الأستاذ فى جامعة (نيوهامبشير): إنه عكف على جمع معلومات عن الضحايا من المدنيين الأفغان منذ بدء العمليات العسكرية من تقارير وكالات الأنباء والصحف الكبرى وروايات شهود العيان فى الفترة من السابع من أكتوبر وحتى السابع من ديسمبر الماضى.

وكشفت الدراسة التى قام بها عن أن (٣٧٦٧) مدنياً أفغانياً قُتلوا فى الغارات الأمريكية، تضمنت الدراسة تفاصيل مطولة عن مواقع مقتل هؤلاء الأفغان والأسلحة التى تسببت فى مصرعهم ومصدر المعلومات. وأشار الباحث إلى أن المعلومات التى توصل إليها تعتبر متحفظة للغاية وأن العدد الحقيقى للضحايا من المدنيين الأفغان يمكن

أن يصل إلى أكثر من خمسة آلاف شخص. وقال: إن تقديراته تستند فقط إلى الأنباء التى أوردتها وكالات الأنباء والصحف الكبرى، وبالتالى لا تتضمن ما سقط من ضحايا مدنيين أبرياء فى المناطق النائية بأفغانستان، كما أنها لا تتضمن أيضاً من قُتلوا بطريقة غير مباشرة عندما أدت الغارات الأمريكية لمنع المدنيين من الوصول إلى المستشفيات أو الحصول على الغذاء أو الكهرباء أو المياه الصالحة للشرب. كما أنها لا تتضمن جرحى الغارات الأمريكية الذين لقوا مصرعهم فى وقت لاحق.

مسلمو استراليا يساعدون ضحايا حرائق الغابات

تجمع نحو أربعة آلاف من الجالية المسلمة فى مدينة سيدنى الاسترالية بالقرب من مسجد «لاكيمبا» فى شمال غرب المدينة وأدوا صلاة الاستسقاء داعين الله أن يهطل المطر لإخماد حرائق الغابات المحتدمة.

وذكرت تقارير إخبارية أن التبرعات التى تم جمعها عقب صلاة الجمعة فى المسجد سوف يتم تخصيصها لصندوق حرائق غابات منطقة «نيوساوث ويلز» الاسترالية.

مستعمرون يهود يحولون مسجداً إلى معبد يهودى

ذكرت جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية داخل الخط الأخضر أن المستعمرين من مستعمرة «سانور» المقامة على أرض قرية «سيلة الظهر» قرب «جنين» استولوا على مسجد بالقرب من القرية وقاموا بتحويله إلى معبد يهودى بعد أن علقوا عليه الأعلام والشعارات اليهودية.

سيناتور أمريكى ينتقد أسلوب التعامل مع المعتقلين المسلمين

انتقد السيناتور الأمريكى «روس فينجولد» ممثل الحزب الديمقراطى عن ولاية «ويسكونست» الأسلوب الذى تتبعه وزارة العدل الأمريكية تجاه الأشخاص الذين تعتقلهم السلطات الأمريكية للاشتباه فى تورطهم أو صلتهم بالهجمات التى تعرضت لها الولايات المتحدة فى سبتمبر الماضى وانتقد السيناتور الديمقراطى بشكل خاص إصرار وزارة العدل على عدم توفير معلومات كافية عن الأشخاص الذين تم اعتقالهم منذ وقوع الهجمات.

كما أن الوزارة لم تستجب لمطالب عديدة قدمها عدد من رجال الكونجرس وبعض جماعات الحقوق المدنية الأمريكية لتوفير معلومات كافية عن المعتقلين تسمح بالتعرف على طبيعة المعاملة التى يلقونها داخل السجون الأمريكية المحتجزين بها، وما إذا كانت تلك المعاملة تنتهك حقوقهم الدستورية أم لا. وقال «فينجولد»: إن الوزارة اعترفت بأن معظم من اعتقلتهم منذ ١١ سبتمبر والذين زاد عددهم على (١١٠٠) شخص ليست لهم علاقة بالهجمات أو بتنظيم القاعدة ومع ذلك لم توفر الوزارة معلومات عما حدث لهم.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

تدريس مناهج الأزهر بدولة الإمارات العربية المتحدة

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالى الشيخ / محمد بن النخيرة الظاهرى وزير العدل والشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة والوفد رفيع المستوى المرافق لسيادته.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه فى مصر والأزهر الشريف مشيدا بعمق العلاقات بين مصر وأزهرها الشريف ودولة الإمارات العربية المتحدة التى نكن لها فى مصر رئيسا وحكومة وشعبا كل الاحترام والتقدير لأن على رأسها رجل حكيم وشجاع وهو صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

ودار الحديث حول التنسيق فى مجال الشئون الإسلامية والتعليم والدعوة ومدارسة الأساليب العلمية والتعليمية التى يسير عليها الأزهر الشريف فى معاهده وجامعته العريقة فى تعليم أبناء مصر والعالم، وإمكانية تطبيقها فى دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك لما تمتاز به الدراسة فى الأزهر الشريف من التوسط والاعتدال والبعد عن المغالاة.

وأعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة فى مجال التعليم والدعوة والثقافة الإسلامية مع جميع الدول وخاصة دول الإمارات العربية المتحدة الشقيقة.

وقد شكر الضيف فضيلته على هذا اللقاء الطيب وأبلغ فضيلته تحيات صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان وقال: إن مصر والأزهر الشريف فى قلوبنا وعقولنا، ومصر هى الرائدة والأزهر الشريف هو المعلم لنا ومن

أجل ذلك حضرنا لعقد اتفاقية تعليمية ثقافية بمقتضاها ندرس علوم الأزهر الشريف فى معاهدنا ومدارسنا حتى يكون هناك المزيد من التعاون وتوحيد الرأى والفكر المعتدل.

وتم تشكيل لجنة مشتركة برياسة فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف لدراسة كيفية تطبيق مناهج وكتب الأزهر الشريف فى مدارس ومعاهد دولة الإمارات العربية المتحدة وبعد عدة اجتماعات تم عقد اتفاقية تعليمية ثقافية مشتركة يتم بمقتضاها تدريس مناهج وكتب الأزهر الشريف فى المعاهد والمدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية بدولة الإمارات تمهيدا لإنشاء كليات جامعية على نسق كليات جامعة الأزهر الشريف، وتم تسليم الوفد الكتب الدراسية المقررة والمناهج.

الإمام الأكبر يستقبل السفير الصينى

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / ليوشيوا مينج سفير الصين بالقاهرة بمناسبة توليه وتسلمه عمله كسفير لبلاده فى القاهرة.

رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف مستعرضا تطور العلاقات بين مصر والصين منذ زمن بعيد وموقف الصين المعتدل بالنسبة للدول العربية والإسلامية بصفة عامة وموقفها الحسن والجيد لمصر بصفة خاصة، والعلاقات الطيبة التى تربط بين البلدين فى المجالات المختلفة.

قدم السيد السفير شكره وتقديره لدولة مصر الصديقة ولاستقبال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف له وقال: إنه تسلم عمله منذ ثلاثة أشهر، وأشاد بعمق العلاقات بين البلدين وأنهما يقدمان مساهمات طيبة لتقدم البشرية وتطور المجتمعات، واستعرض التطور بين البلدين منذ عام ٥٦ والتعاون المستمر، وأضاف أن العلاقات الدبلوماسية قائمة على أفضل وجه، وأن الصين بها أكثر من عشرين مليونا من المسلمين يعيشون فى مساواة وتسامح ويتمتعون بكل الحقوق المشروعة كما يؤدون أيضا واجباتهم على أحسن وجه، وقال: إننا نعارض ربط الإرهاب بدين معين وبخاصة دين الإسلام، ونشارككم الرأى فى أن الإسلام يعارض الإرهاب وينبذه، وقال: إننى أقدم خالص الشكر نيابة عن بلادى للمساعدات التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء الصين فقد أرسلت الحكومة ٦٥ من أبنائها للدراسة بالأزهر منذ عام ٥٤ ومنذ ذلك الحين يتوالى إرسال أبناء الصين للدراسة بالأزهر الشريف، كما ترسل حكومة الصين عالما إسلاميا للمشاركة فى حفلات توزيع جوائز القرآن الكريم الذى ينظمها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأعرب السيد السفير عن عزمه على تعزيز وتقوية العلاقات بين الصين والأزهر الشريف، وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة الصين على أن يكون فى القريب العاجل.

شكر فضيلته الضيف على هذا العرض

الطيب وأوضح فضيلته بأنه يوجد ١٠٧ طلاب من دولة الصين يدرسون فى الأزهر الشريف وعلى نفقته ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية ويتلقون التعليم بجانب إخوانهم فى مصر، وأوضح بأن الدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالتوسط والاعتدال وتدعو إلى التسامح والتواصل بين الأمم والشعوب وتبتعد عن العنصرية والعصبية الذميمة والمقيتة وتبتعد عن التطرف والإرهاب، وهذا هو الإسلام، وأيضا يستقبل الأزهر الشريف عددا من الدعاة والعلماء من دول العالم ومن الصين أيضا كل ثلاثة أشهر فى دورة تدريبية يتلقون فيها المحاضرات الدينية من كبار علماء الأزهر الشريف حتى يكون هناك تلاق للأفكار وتواصل بين العلماء وتبادل العلم النافع بينهم.

وقد وعد فضيلته بدراسة الدعوة تمهيدا لتلبيتها فى القريب إن شاء الله – تعالى.

الإمام الأكبر يستقبل مدير عام الصليب الأحمر الدولى

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / بول جروسر يدر المدير العام للجنة الدولية للصليب الأحمر يرافقه السيد / برنارد فغرلى رئيس بعثة القاهرة وقد دار الحديث حول تبادل المشورة بشأن حماية ضحايا النزاعات المسلحة فى القانون الدولى الإنسانى، وذلك ضمن زيارات الضيف لمنطقة الشرق الأوسط حيث قدم فضيلة الإمام الأكبر الشكر للمجهودات التى تقوم بها اللجنة الدولية للصليب الأحمر، موضحا لهم أن شريعة الإسلام وجميع الشرائع تأمرنا بإغاثة المنكوبين سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين وبغض النظر عن أوطانهم، وجنسياتهم، وشريعة الإسلام تعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة والأزهر الشريف متفهم لدور اللجنة التى تقوم بتقديم العون والمساعدة للجرحى والمنكوبين والمحتاجين والفقراء، ونحن نؤيد ذلك ونعمل على نشره فى كل ندوة أو لقاء أو كتاب، وذلك من منطلق تعاليم الإسلام السمحة.

أعرب الضيف عن سعادته لهذا اللقاء المشرف الطيب للمؤسسة الدينية الأزهرية وإمكانية تبادل اللقاءات مع المؤسسات الدولية بمؤسسات الصليب الأحمر الغير سياسية لأننا لا نفرق بين ضحية جيدة وأخرى سيئة، ولكننا نساعد جميع الأشخاص الذين يعانون من ويلات الحروب فى أى مكان أو أية جهة، وأضاف الضيف قائلا: إن حديث فضيلتكم يمثل هذا الانفتاح بالرأى والمشورة، والفكر الصائب، وذلك بشهادة الرأى العام، وهو ما يتفق وأعمال اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وأوضح الضيف بأن لهم مندوبين فى فلسطين وأفغانستان والأماكن التى تحتاج إلى مساعدة، فنقدم العون والمساعدة الإنسانية سواء كانت طبية أو غذائية أو كساء، كما أن عملنا مع الحكومات يساعدنا فى نشر المبادىء التى شرحتموها فضيلتكم، وقمنا بترجمة مقدمة

كتاب « حماية ضحايا النزاعات المسلحة » فى القانون الدولى الإنسانى والشريعة الإسلامية الذى تفضلتم بكتابة مقدمته، وقد حظى باهتمام واسع، وتوزيع كبير وأشكركم للتعاون معنا فى مجال العمل الإنسانى، كما أقدم شكرى للمسئولين بمصر لتقديم كافة التسهيلات والمساعدات.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس رابطة الثقافة الإسلامية بإيران

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف آية الله / محمود حمدى العراقى رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بإيران يرافقه حجة الإسلام / حسين الثقفى والوفد المرافق لهما وقد دار الحديث حول توطيد العلاقات بين البلدين من ناحية التعاون الثقافى والعلمى والتعليمى بين الأزهر الشريف وإيران، والتصدى لتيارات الانحراف، والتجمد، والتطرف الدينى وبخاصة فى عصرنا هذا والتى من شأنها إيجاد الفتنة فى الثقافة الإسلامية، وأوضح فضيلته بأننا فى مصر ضد تلك التيارات، وأننا نسير على تعاليم الدين الإسلامى السمح الذى يمتاز بالوسطية والاعتدال، والبعد عن المغالاة، كما وضح فضيلته المنهج والأسلوب الذى يدرس فى الأزهر والذى يمتاز بالسماحة واليسر، ورعاية مصالح الناس، لأن شريعة الإسلام واضحة فى عقائدها لأنها تدعو إلى إخلاص العبادة لله التى تطهر القلوب والنفوس والعقل.

الإمام الأكبر:

قيم الإسلام تدعو إلى التعاون ونبذ الفجور والإرهاب

– التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بوفد جمعية المراسلين الأجانب بالقاهرة ويمثلون خمسة وخمسين دولة حيث شرح فضيلته تعريفا مبسطا عن الإسلام وأن الإسلام دين السماحة واليسر ويمتاز بالوضوح فى كل شأن من شئونه فى عباداته ومعاملاته وأن قيم الإسلام تدعو إلى التعاون والتعارف وإلى العدل والصدق والمروءة والإخلاص وتنبذ المنكر والإثم والفجور والعنف والإرهاب وأكل أموال الناس بالباطل والاعتداء على الغير أيا كان هذا الغير بغير وجه حق، فهى شريعة تعطى لكل ذى حق حقه لا فرق فى ذلك بين المسلم وغير المسلم، ثم أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات المراسلين والتى دارت حول موقف الإسلام من الإرهاب، أوضح فضيلته بأن الإرهاب بمعنى العدوان على نفس الإنسان أو على أمواله أو أرضه أو حريته أو كرامته الإنسانية، شريعة الإسلام ترفضه ولا تقره بل تحاربه فالإرهاب تنبذه جميع الأديان السماوية وجميع العقول الإنسانية السليمة وحول سؤال عن: هل إنشاء أحزاب سياسية مثل الإخوان المسلمين يحد من الإرهاب؟ أجاب فضيلته نحن عندنا فى مصر دولة مؤسسات وكل إنسان يتكلم فى الأمور التى تخصص فيها فما يتعلق بالأحكام الشرعية يؤخذ من الأزهر الشريف والمؤسسات الدينية، والنواحى التجارية يسأل فيها المتخصصون فى

النواحى التجارية وفى الزراعية والاقتصادية وغيرها يسأل كل فى تخصصه.

وحول سؤال عن الجهاد فى الإسلام والفرق بينه وبين الإرهاب قال فضيلته: بأن الفرق بينهم كالفرق بين السماء والأرض، لأن الإرهاب هو عدوان على الآمنين من المدنيين سواء أكانوا رجالا أم نساء أم أطفالا أم شيوخا، أما الجهاد فى الإسلام فهو الدفاع عن النفس وعن المقدسات وعن الأرض والوطن وعن العرض وهو دفاع ضد الظلم وضد الاغتصاب لحقوق الغير وكان الرسول ﷺ حينما يرسل جيشا للدفاع كانت وصيته يقول لهم: لا تقتلوا امرأة ولا صبيا، ولا تقتلوا الرهبان الذين هم فى أماكن عبادتهم، ولا تقطعوا شجرا، وكل هذا يدل على أن القتال يكون ضد المقاتلين، أما الاعتداء على الآمنين والأبرياء فشريعة الإسلام تحرمه تحريما قاطعا، وحول سؤال عن تنظيم القاعدة هل هو ضد الإسلام أو مع الإسلام؟.

أجاب فضيلته: إذا كانت القاعدة تدعو إلى تنظيم العمل وإلى الأمان فلا مانع منها أما إذا كانت تدعو إلى الظلم والشر والعدوان فهى ملعونة، ومنذ أن أوجد الله - تعالى - الناس على الأرض وفيهم العقلاء وفيهم السفهاء سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم يهود فوجود بعض المسلمين الذين لا يفهمون الإسلام ووجود بعض المسيحيين الذين لا يفهمون المسيحية هؤلاء موجودون فى كل مكان وزمان، وكل ما نريده أن يكون عدد العقلاء فى كل دولة أكثر من عدد السفهاء والذين يؤيدون العدوان والظلم هم السفهاء وإن شئت فقل المجانين.

وحول سوال عن رأى الأزهر فى أحداث ١١ سبتمبر قال فضيلته: إن ما حدث من عدوان على مركز التجارة العالمى وما ترتب عليه من قتل الآلاف من الآمنين الأبرياء الذين يؤدون أعمالهم قلنا إن هذه جريمة قذرة لا يقوم بها إلا السفلة والجبناء لأنه عدوان على أبرياء آمنين منهم الرجال والنساء والأطفال منهم الأمريكيين والأوروبيين والأسيويين ومنهم المسلم ومنهم المسيحى وهذه جريمة ولا يؤيدها إنسان عاقل أو إنسان عنده ذرة من مروءة، وقلنا إن الدولة التى وقع على أرضها العدوان من حقها أن تبحث عن الجناة المجرمين الذين فعلوا ذلك وأن تتعقبهم فى كل مكان وأن تقبض عليهم وأن تقدمهم للمحاكمة العادلة وللهيئات القضائية لتقول كلمتها العادلة فيهم، وقلنا أيضا إنه ليس من حق الدولة التى وقع العدوان عليها أن تعاقب شعبا بأكمله فيه النساء والصبيان والشيوخ والعجزة والأبرياء وفيه أيضا من ينكرون هذه الجرائم.

تعيين (٥٠٦) وعاظ بالأزهر

أعلنت نتيجة الوعاظ بالأزهر الشريف وتم اختيار ٥٠٦ وعاظ ممن تقدموا عن طريق المسابقة وتم تعيينهم فى محافظات الجمهورية على النحو التالى: ٥٠ واعظا لمنطقة سوهاج، ٢٥ واعظا لمنطقة القليوبية، ٥١ واعظا لمنطقة المنوفية، ٢٥ واعظا لمنطقة الشرقية، ٥٠ واعظا لمنطقة الغربية، ١٠٢ واعظ لمنطقة كفر الشيخ، ٢٨ واعظا لمنطقة البحيرة، ١٠٠ واعظ لمنطقة الدقهلية، ٢٥ واعظا لمنطقة الإسماعيلية، ٥٠ واعظا لمنطقة أسيوط.

الفهــرس

● رحلات الحج من مصادر التاريخ (الافتتاحية).
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٨٢٦
● تفسير سورة البقرة.
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٨٣٢
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين.
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٨٣٩
● الموقف الإسلامى من الحضارات غير الإسلامية.
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١٨٤٨
● الإسلام ومشكلة الفقر.
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ١٨٥٣
● الحج منحة ربانية.
لفضيلة الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق ١٨٦٢
● ازدهار الإسلام فى العالم.
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٨٦٩
● الإسلام وقضية الشكل والمضمون.
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٨٧٥
● كتاب الشهر: حوار الحضارات لرجاء جارودى.
تقديم الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٨٧٨
● من دروس الدعوة.
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٨٨٨
● فضيلة الأدب.
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٨٩٣
● قصة العدد: لو كان معه رجال.
للأستاذ/ شوقى محمود أبو ناجى ١٨٩٦
● القيم فى عصر المعلومات.
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٩٠٢
● رمضان فى بلاد الأمريكان (٢).
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٩٠٧
● فى ظل آية كريمة.
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٩١٣
● إن الوعد بالنصر لخالد (قصيدة).
للأستاذ/ محمد فهمى سند ١٩٢٠
● طرائف ومواقف.
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٩٢٢
● القدس فى عيون يهودية.
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٩٢٤
● كشـــمير.
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٩٢٨
● المسلمون أمة مبعوثة.
للأستاذ/ محمد حسن دراز ١٩٣٢
● الحرية الإنسانية فى مفهوم علم الكلام.
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٩٣٦
● الكعبة الزهراء (قصيدة).
للشاعر/ بدوى الجبل ١٩٣٨
● خطبة الجمعة: الطريق إلى الله.
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٩٤٤
● رسالة..و..رد.
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٩٤٧
● على باب الأمل.
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٩٥٠
● بين الصحف والمجلات.
للأستاذ/ محمود الفشنى ١٩٥٤
● بين المجلة والقارىء.
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٩٥٦
● أنباء العالم الإسلامى.
إعداد/ محمد الشرقاوى ١٩٦١
● أنباء مكتب الإمام الأكبر.
إعداد فضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٩٦٣

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر

- الحج قراءة ميدانية لسيرة الرسول ﷺ

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

- لماذا نحج إلى البيت العتيق؟!

للدكتور / محمد عمارة

- بين إعلان حراء وإعلان عرفات

للأستاذ / مصطفى البيسونى

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيهًا مصريًا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارًا أمريكيًا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارًا أمريكيًا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارًا أمريكيًا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ..٥٧٨٦١ - ٨٥٧٦٢٠٠

ذو الحجة ١٤٢٢هـ - مارس ٢٠٠٢م - الجزء الثانى عشر - السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

الحجُّ قراءة ميدانية

نعم، الحج قراءة ميدانية لسيرة رسول الله ﷺ لأن زائر مكة يتطلع إلى رؤية الأماكن التى كانت مشرق الرسالة، وهو يعرفها معرفة جيدة لطول ما ترددت أمام عينيه فى صفحات السيرة المطهرة، يعرفها بعقله، ويسعد حين يراها بعينه فتكون بمثابة تعبير رائع لحلم تحقق، ونقل من دنيا، الخيال إلى أرض الواقع.

هكذا كان شعورى قبل أن أشرف بحج بيت الله الحرام لأول مرة منذ ربع قرن، فقد تمثلت وقائع السيرة المطهرة فى خاطرى وحاولت أن أستعيدها على الخريطة الجغرافية التى انبسطت أمامى حين توجهت إلى المسجد الحرام، وقد عبرتُ عن ذلك شعرا فى قصيدة نشرتها «مجلة الحج» لحينها وفيها أقول:

تسمع للأباطح حين تمشى ... فإن لكل ناحية لغاها
لتلك منازل القرآن أصغت ... لأول آية دوى صداها
تبخترت الحجارة فى حراء ... بربك أى إحساس عراها
ترى الروح الأمين سعى إليها ... يسامر عندها بالوحى طه
فَلمْ لَمْ تنتفض تيها بمجد ... لو انَّ البدر أحرزه تباهى

الصفا

وكان أول ما رأيت حين دخلت المسجد الحرام «الصفا»، قبل أن ألج إلى الداخل لأرى الكعبة المشرفة، فوقفت مليا أستعرض ما أعلم عن هذا المكان الطاهر فى الزمن البعيد منذ أخذت هاجر تسعى رائحة غادية بينه وبين المروة باحثة عن الماء حتى عثرت على زمزم!

ثم انتقلتُ من سيرة إسماعيل – عليه السلام – وأمه الحنون طاويا الأعوام إلى مسيرة ولده خير

ـــة لســيرة الرسول ﷺ

بين الصفا والمروة حيث سعت هاجر رائحة غادية بحثًا عن الماء

الأنبياء محمد ﷺ فتذكرت أن أول ذكـــر للصفا ورد فى السيرة المطهرة كان قبل مبعثه ﷺ حين أصر المجتمعون على أن يكـون أول داخل من باب الصـــفـــا هو الذى سيحكم بينهم ليُحدد مَن مِن العرب سيحمل الحجر الأسود ويضعه فى مكانه، وتطلعت الأنظار إلى القادم من أعلى الصفا فإذا هو محمد بن عبدالله، وإذا كل أسرة تود أن تكون المختارة لهذا الشرف الرفيع ويلحظ الرسول ما يعتلج فى النفوس من توثب، فيأمر ببساط ينشر ثم يوضع عليه الحجر ويحمله المجتمعون من أطرافه حتى إذا بلغوا مكانه من الكعبة حمله بيده الشريفة ووضعه فى مكانه، فكان حلا سعيدا رضى به الجميع وهذا فيما أعلم أول ذكر للصفا فى سيرة الرسول الأمين.

وكرت الأيام، وأشرق نور الرسالة على الكون، بدءا من مكة، وأُمر رسول الله أن يصدع بما يؤمر، فينذر عشيرته الأقربين، وهنا كان « الصفا » موضع البلاغ الأول للرسالة المحمدية، فهو أعلى مكان يصعد إليه المتحدث ليسمع من بالبيت الحرام كافة، وقد رأى الناس رسول الله يصعد إلى الصفا، ويهم بالكلام فأقبلوا عليه يستمعون.

فقال رسول الله ﷺ : « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تُريد أن تغير عليكم، أكُنتم مصدّقى؟ فقالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا، فقال ﷺ : إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غششت الناس جميعا ما غششتكم وإنى لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا »(١).

وتتوالى المشاهد على الصفا، ومنها هذا المشهد الأليم الذى تحمَّله رسول الله صابرا، حين تجرأ أبوجهل فضرب رسول الله بحجر فى رأسه فشجه، ورسول الله ساكت، حتى أطلّت جارية لعبد الله بن جدعان من مسكن لها على الصفا فرأت فعلة أبى جهل، ثم نظرت بعد حين فرأت حمزة بن عبدالمطلب مُقبلا من صيده، متوشحا قوسه فأخبرته بما كان من أمر أبى جهل مع ابن أخيه، فغضب حمزة، وانصرف إلى أبى جهل فصاح به أتشتم ابن أخى وأنا على دينه! ثم ضربه بالقوس فشج رأسه شجة مُنكرة، وكادت تقوم الواقعة بين بنى هاشم، وبنى مخزوم وخاف أبوجهل العاقبة فهدأ قومه، وقال: دعوا أباعمارة، فإنى سببت ابن أخيه.

وهذا المشهد الحزين قد تلاه فيما بعد مشهد سارٌ مبهج، حين زحفت جيوش رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة يوم الفتح فدخلت المسجد الحرام، وتقدم خالد بن الوليد، فقابل رسول الله على الصفا، وهنأه بنصر الله.

دار الأرقم

« دار الأرقم » يذكر المؤرخون أن دار الأرقم كانت على الصفا بناحية منعزلة على الجبل بعيدة عن أعين الطغاة، وفيها ظل المسلمون يؤدون فرائضهم بعيدا عن المشركين، وقد تساءلت عنها بمكة اليوم فلم أجد لها من أثر، وكُتب التاريخ تروى أنها كانت ناهضة كهيئتها القديمة حتى جاء أبوجعفر المنصور فاشتراها من أحفاد الأرقم بمال كثير، وجاء المهدى فأهداها لزوجته الخيزران التى جددت بناءها، ووسعتها وضمت لها بعض الدور المجاورة لتُصبح ذات شأن، ثم جُددت بعد ذلك مرات فى عهود تالية وحلت عهود لم ترع مكانتها، فغابت عن الوجود، وقام مكانها بُنيان ممتد!

وقد قال الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه « فى منزل الوحى » : إنه حاول أن يزورها مع بعض أصدقائه المكيين فلم يهتد إليها(٢)، أما الأستاذ عبدالحميد العبادى فقد

(١) صحيح البخاري ومسلم علي اختلاف يسير.

(٢) فى منزل الوحى: ٢١٧.

ذكر فى «مجلة الثقافة» بعض حديثها، وقال[٣] بشأنها: ليت القائمين بالأمر يُعنون بها، فينشئوا مكانها مدرسة تحمل اسم الأرقم تعلم فيها أصول الدين لأن هذه الدار كانت أول مدرسة فى الإسلام، ومنها سال السيل، وانبثق النور، فقد حقق النبى ﷺ فى هذه الدار غرضين عظيمين، أولهما: تقريره أصول الرسالة فى نفوس أصحابه، وثانيهما: بث الدعوة من هذه الدار فى جميع آفاق المجتمع المكى، أما صاحبُها الأرقم بن الأرقم المخزومى فقد كان سابع سبعة سبقوا الناس إلى الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع المهاجرين، وشهد بدرا والغزوات من بعدها، وقد عمر طويلاً ومات عن بضع وثمانين سنة.

لقد تشبعت بما قرأت فى سيرة الرسول عن أثر هذه الدار فى بناء الدعوة الإسلامية منذ أشرق طورها فى مكة، ونظرت إلى الصفا متسائلا عن مكانها دون إجابة، وفى علماء مكة المعاصرين من يقدر على تحديد موضعها، وما أظن اقتراح الأستاذ العبادى بإقامة مدرسة دينية تحمل اسم صاحبها إلا واجدا من يسعى إلى تنفيذه، إن لم يكن نفذ فعلا فقد كتب العبادى مقاله منذ نصف قرن أو يزيد.

الحجـــــون

الحجون مكان: مشتهر بمكة وهو طريق بين جبلين، يقع أولهما بأعلى مكة ويسير الآخر حتى يصل إلى أسفلها، وكلنا نعرف قول الشاعر العربى القديم:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وندع الشاعر القديم لنذكر أن الحجون كان مجتمع نفرٍ من الجن برسول الله فى مكة فقد روى المفسرون عند تفسير قول الله – عز وجل –:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٤]

روى المفسرون[٥] أن رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه «إنى أريد أن أقرأ القرآن على الجن الليلة فأيكم يتبعنى؟ فقال ابن مسعود: أنا يا رسول الله قال: ولم يحضر أحد غيرى، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبى ﷺ شعبا يقال له «شعب الحجون» وخط لى

(٣) مجلة الثقافة ١٩٤١/١/٢٨م.

(٤) الأحقاف: ٢٩ – ٣٠

(٥) تفسير القرطبى ص٦٠٣٢ ط كتاب الشعب.

خطا وأمرنى أن أجلس فيه وقال: لا تخرج حتى أعود إليك، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وتمشى فى رفرفها، وسمعت لغطا وغمغمة حتى خفت على النبى ﷺ، وغشيته أسودة كثيرة.. حالت بينى وبينه، حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ النبى ﷺ مع الفجر».

وما جاء فى هذا القول يؤازره قول الله - تعالى - على لسان نفر من الجن:

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾(٦).

الثنيـــــة

هذا وفى عمرة القضاء دخل الرسول مكة من الثنية التى تطلعه على الحجون فمر به، أما الزبير بن العوام يوم الفتح الأعظم فقد تقدم براية رسول الله حتى نصبها بالحجون عند مسجد الفتح ولم يبرح المكان حتى جاء رسول الله إليه وجلس تحت قبة ضربها الزبير ليجلس تحتها ﷺ.

غـــــار حـــــراء

نعرف جميعا عزلة رسول الله فى حراء قبل أن يهبط عليه الوحى، ونعرف أن بدء الوحى كان بهذا الجبل الموحش، وما أريد أن ألم بهذا الذى يعرفه الجميع، ولكنى أقول إن الذين صعدوا إلى قمة الجبل ونزلوا إلى الغار رأوا أعجب العجب! فبين الغار وقمة الجبل ما يبلغ عشرين مترا، والذهاب إلى الغار - كما يقول الدكتور هيكل - يقتضى المرور بين صخرتين تكادان تتلاصقان فلا يتخطى الإنسان ما بينهما إلا بمشقة، والغار داخل الجبل محجوب عن كل ما حوله بالصخور التى تحيطه، وهو لا يتسع لأكثر من شخص واحد ينام فيه نوما متقشفا! فى هذا المكان الموحش كان رسول الله يتمتع بالأنس الروحى الذى يملأ نفسه هدوءا واطمئنانا، إنه فى عزلته يفكر فى السموات والنجوم وما خلق من كائنات، كما يفكر فى الحياة بدءا وخاتمة، ويفكر فى الناس وما يعبدون من أصنام لا تملك لهم ضرا ولا نفعا، لقد كان الرسول من أفكاره فى عالم فسيح، فهو بتفكيره فى دنيا شاسعة وإن أقام بغار ضيق مخيف، وكأن الله - عز وجل - قد حبّب له هذه

(٦) الجن: ١٣/١٤.

العزلة فى هذا المكان ليفرغ إلى تفكيره، فإذا فاجأه الوحى كان نتيجة لمقدمات، حاول أن يصل إليها، وطالما فكر فيها فجاء الجواب على لسان جبريل!! إن قوة الرسول الروحية فى هذا المكان الموحش لم تجعله يفكر فى وحشة الموضع، وما قد يكون به من حيوان مفترس، أو حشرة مؤذية إذ كانت الوحدة سبيلا إلى ارتقاء روحى يبدد كل مخاوف الإنسان، ويشرئب بصاحبه إلى خالق الكون! هذا بعض ما تبعثه رؤية حراء فى نفس الزائر العابد، إنه ليطيل التفكير فى هذا الذى يرى، ثم لا يسعه إلا أن يعترف بأن عابد الغار هذا ليس فردا كالناس، وليس له ما لديهم من الشهوات والأمانى المادية، إنه مبعوث السماء وكفى.

غـــار ثـــور

وننتقل من غار حراء إلى غار ثور، وهل فى المسلمين من يجهل أن غار ثور كان معجزة الإنقاذ لنبى تربص به قومه كى يقتلوه، وإذا كان غار حراء موحشا قابضا للنفس البشرية التى ليست نفس نبى، فإن غار ثور كان أشد إيحاشا وأدعى للانقباض، كان الغار من الوحشة والرهبة والظلام بحيث تأكد من رأوه ساعة اختفاء الرسول به وصاحبه أنه لا يمكن أن يكون مأوى لإنسان، وقد انقطعت آثار السير عنده، وذلك ما يرجح أن بالغار من انقطعت آثار أقدامه، ولكن رهبة الغار منعت كل تفكير فى أن يكون المهاجر الأمين مقيما به مع صاحبه! لقد كان الرسول يعتقد أن الله معه فيمده هذا الاعتقاد برضا هانىء لا يعرف معه معنى التوجس والوجل، وأبو بكر - رضى الله عنه - يظهر من الهلع ما لا يخفى على صاحبه فيقول له فى ثقة: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾!(٧)

يضربون الأمثال الكثيرة على قوة العزيمة لدى نفر من الأبطال!! فأى عزيمة أقوى من المكث فى هذا الجب المظلم الضيق، حيث تقذف كل دقيقة بخطر متوقع، هذا الخطر لم تدفعه إلا السكينة المطمئنة التى قال الله عنها فى كتابه:

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٨).

---

(٧)، (٨) التوبة: ٤٠.

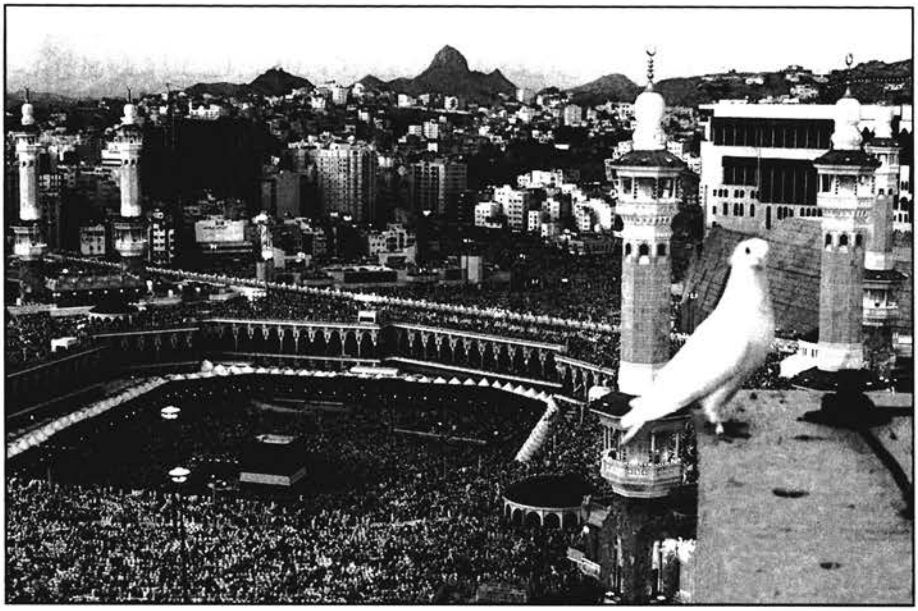

العقبـــــــــة

وفى العقبة اليمنى كانت بيعة الأنصار لرسول الله، وكتاب السيرة يجعلون البيعة مرتين فحسب، فقالوا بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، ولكنى بمراجعة صحف السيرة أرى العقبة قد شهدت ثلاث بيعات لا اثنتين، لأن الاجتماع الأول فى السنة الحادية عشرة من النبوة قد هيأ للرسول أن يجتمع بسبعة رجال من شباب الخزرج، هم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر وعتبة بن عامر السلمى وعتبة بن عامر الكعلى، وجابر بن عبدالله، وقد آمنوا بمحمد وعزموا على نشر الدعوة بيثرب، وهذا ما كان، ثم كان الاجتماع الثانى بالعقبة فى السنة الثانية عشرة، و« هو المعروف تاريخيا ببيعة العقبة الأولى » وقد حضره السبعة الذين تقدموا مع سبعة آخرين، خمسة من الخزرج واثنين من الأوس، وقد بايعوا الرسول وسار معهم مُصعب بن عمير سفيرا للإسلام بالمدينة وانتشرت الدعوة حينئذ على نحو واسع، حتى كان الاجتماع الثالث الحاسم فى السنة الثالثة عشرة، وهو الاجتماع الأشهر الذى حضره العباس بن عبدالمطلب، وتأكدت فيه البيعة للرسول على أن يمنعه الأنصار مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وكان هذا الاجتماع فاتحة النصر الحقيقى للإسلام فى معركة الشرك. أقول: مَن مِن المسلمين القادمين يبيت بمنى بعد قفوله من المشعر الحرام ثم لا يذكر ما كان بهذا المكان من بيعات العقبة وما أعقبها من اندحار المشركين.

علـــى عرفـــــــات

هما خطبتان رنانتان للرسول أكدتا مبادىء الإسلام، وأوضحتا أن العاقبة للمسلمين، إذ كانتا بعد أن أتم الله نوره، وأظهر دينه على الدين كله، ولو كره المشركون.

أما الخطبة الأولى ففى ساحة المسجد الحرام بعد أن تم الفتح المبين، ودعا الرسول بمفتاح الكعبة ففتحها، ودخل فصلى ركعتين، ثم دار فى البيت مكبرا، ونظر فإذا قريش تملأ المسجد فخطب الناس قائلا: «يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب».. ثم قال: «يا معشر قريش: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ فقالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء».

وأما الخطبة الثانية فهى فى حجة الوداع بين الجموع فى مشهد عرفات، وقد أعلنت حقوق الإنسان لأول مرة فى العالم كله حين قال ﷺ: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع، فدماء الجاهلية موضوعة، وربا الجاهلية موضوع وأول ما أبدأ به ربا العباس بن عبدالمطلب، اتقوا الله فى النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا، كتاب الله وسنتى».

وبعد: أفلا يصح بعد ما تقدم - وهو جزء من كل - أن أقول: إن الحج قراءة ميدانية فى سيرة رسول الله يقرؤها المسلم فى خاطره، قبل أن تتلفظ بها شفتاه! وإذا كان للحج مزايا كثيرة، وفيه منافع للناس فلنضف إلى هذه المزايا تأمل سيرة رسول الله واضحة للعيان فى مشهد الحج.

د./ محمد رجب البيومى

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

بمناسبة حلول أيام الحج المباركة تنشر المجلة هذه الآيات من تفسير سورة الحج لفضيلة الإمام الأكبر

قال الله - تعالى - :

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا
مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا
الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

الحج: ٢٧ - ٢٩

قال الإمام الرازى: اعلم أنه- تعالى- بعد أن فصل بين الكفار والمؤمنين ذكر عظم حرمة البيت، وعظم كفر هؤلاء الكافرين فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(1).

قال ابن عباس: الآية نزلت فى أبى سفيان بن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية عن المسجد الحرام، عن أن يحجوا ويعتمروا، وينحروا الهدى. فكره رسول الله ﷺ قتالهم، وكان محرما بعمرة، ثم صالحوه على أن يعود فى العام القادم(2).

وصح عطف المضارع وهو ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ على الماضى وهو ﴿كَفَرُوا۟﴾ لأن المضارع هنا لم يقصد به زمن معين من حال أو استقبال، وإنما المراد به مجرد الاستمرار، كما فى قولهم: فلان يحسن إلى الفقراء، فإن المراد به استمرار وجود إحسانه.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أى: وهم يصدون عن المسجد الحرام. وخبر إن فى قوله- سبحانه-:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ محذوف لدلالة آخر الآية عليه.

والمعنى: إن الذين أصروا على كفرهم بما أنزل الله- تعالى- على نبيه محمد ﷺ واستمروا على منع أهل الحق من أداء شعائر دين الله- تعالى- ومن زيارة المسجد الحرام.. هؤلاء الكافرون سوف نذيقهم عذابا أليما.

ويصح أن يكون الخبر محذوفا للتهويل والإرهاب. وكأن وصفهم بالكفر والصد كاف فى معرفة مصيرهم المهين.

قال القرطبى: قوله- تعالى-:

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قيل إنه المسجد نفسه وهو ظاهر القرآن، لأنه لم يذكر غيره، وقيل الحرم كله، لأن المشركين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عنه عام الحديبية، فنزل خارجا عنه.. وهذا صحيح لكنه قصد هنا بالذكر المهم المقصود من ذلك(3).

وقوله- سبحانه-:

﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾.

تشريف لهذا المكان حيث جعل الله- تعالى- الناس تحت سقفه سواء، وتشنيع على الكافرين الذين صدوا المؤمنين عنه.

ولفظ «سواء» قرأه جمهور القراء بالرفع على أنه خبر مقدم، والعاكف: مبتدأ، والباد: معطوف عليه أى: العاكف والباد سواء فيه. أى مستويان فيه.

وقرأه حفص عن عاصم بالنصب على أنه المفعول الثانى لقوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ بمعنى صيرناه. أى: جعلناه مستويا فيه العاكف والباد. ويصح أن يكون حالا من الهاء فى ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ أى: وضعناه للناس حال كونه سواء العاكف فيه والباد.

---

(1) الحج (25).

(2) تفسير الفخر الرازى جـ 6 ص 154.

(3) تفسير القرطبى جـ 11 ص32.

والمراد بالعاكف فيه: المقيم فيه. يقال: عكف فلان على الشيء، إذا لازمه ولم يفارقه. والباد: الطارئ عليه من مكان آخر. وأصله من يكون من أهل البوادى الذين يسكنون المضارب والخيام، وينتقلون من مكان إلى آخر.

أى: جعلناه للناس على العموم، يصلون فيه، ويطوفون به، ويحترمونه ويستوى تحت سقفه من كان مقيما فى جواره، وملازما للتردد عليه، ومن كان زائرا له وطارئا عليه من أهل البوادى أو من أهل البلاد الأخرى سوى مكة.

فهذا المسجد الحرام يتساوى فيه عباد الله، فلا يملكه أحد منهم، ولا يمتاز فيه أحد منهم، بل الكل فوق أرضه وتحت سقفه سواء.

وقوله- تعالى- :

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

تهديد لكل من يحاول ارتكاب شيء نهى الله عنه فى هذا المسجد الحرام.

والإلحاد الميل. يقال: ألحد فلان فى دين الله، أى: مال وحاد عنه.

و ﴿ مَن ﴾ شرطية وجوابها ﴿ نُّذِقْهُ ﴾ ومفعول ﴿ يُرِدْ ﴾ محذوف لقصد التعميم. أى: ومن يرد فيه مرادا بإلحاد، ويصح أن يكون المفعول قوله ﴿ بِإِلْحَادٍ ﴾ على أن الباء زائدة. أى: ومن يرد فى هذا المسجد الحرام إلحادا، أى: ميلا وحيدة عن أحكام الشريعة وآدابها بسبب ظلمه وخروجه عن طاعتنا، نذقه من عذاب أليم لا يقادر قدره، ولا يكتنه كنهه. وقد جاء هذا التهديد فى أقصى درجاته لأن القرآن توعد بالعذاب الأليم كل من ينوى ويريد الميل فيه عن دين الله، وإذا كان الأمر كذلك، فمن ينوى ويفعل يكون عقابه أشد، ومصيره أقبح. ويدخل تحت هذا التهديد كل ميل عن الحق إلى الباطل، أو عن الخير إلى الشر كالاحتقار، والغش.

ولذا قال ابن جرير بعد أن ساق الأقوال فى ذلك: وأولى الأقوال التى ذكرناها فى تأويل ذلك بالصواب: القول الذى ذكرناه من أن المراد بالظلم فى هذا الموضع، كل معصية لله، وذلك لأن الله عم بقوله: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ ولم يخصص به ظلما دون ظلم فى خبر ولا عقل، فهو على عمومه، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام: ومن يرد فى المسجد الحرام بأن يميل بظلم فيعصى الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له(٤).

ثم تحدثت السورة بعد ذلك عن بناء البيت وتطهيره فقال- تعالى- :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾.

وبوأنا من التبوؤ بمعنى النزول فى المكان. يقال: بوأته منزلا أى: أنزلته فيه، وهيأته له، ومكنته منه. والمعنى: واذكر أيها العاقل لتعتبر وتتعظ وقت أن هيأنا لنبينا إبراهيم مكان بيتنا الحرام، وأرشدناه إليه، لكى يبنيه بأمرنا، ليكون مثابة للناس وأمنا.

(٤) تفسير ابن جرير جـ ١٧ ص ١٠٥.

قال بعض العلماء: والمفسرون يقولون بوأه له، وأراه إياه، بسبب ريح تسمى الخجوج، كنست ما فوق الأساس: حتى ظهر الأساس الأول الذى كان مندرسا، فبناه إبراهيم وإسماعيل عليه.. وأن محل البيت كان مربض غنم لرجل من جرهم.

وغاية مادل عليه القرآن: أن الله بوأ مكانه لإبراهيم، فهيأه له، وعرفه إياه ليبنيه فى محله، وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن أول من بناه إبراهيم ولم يبن قبله.

وظاهر قوله- تعالى- على لسان إبراهيم:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾

يدل على أنه كان مبنيا واندرس كما يدل عليه- أيضًا - قوله هنا ﴿ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ لأنه يدل على أن له مكانا سابقا كان معروفا(٥).

و «أن» فى قوله- تعالى-:

﴿ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا ﴾ مفسرة، والتفسير- كما **يقول الآلوسى**: باعتبار أن التبوئة من أجل العبادة، فكأنه قيل: أمرنا إبراهيم بالعبادة، وذلك فيه معنى القول دون حروفه، أو لأن بوأناه بمعنى قلنا له تبوأ.

والمعنى: واذكر- أيها المخاطب- وقت أن هيأنا لإبراهيم- عليه السلام- مكان بيتنا الحرام، وأوصيناه بعدم الإشراك بنا، وبإخلاص العبادة لنا، كما أوصيناه- أيضا- بأن يطهر هذا البيت من الأرجاس الحسية والمعنوية الشاملة للكفر والبدع والضلالات والنجاسات، وأن يجعله مهيأ للطائفين به، وللقائمين فيه لأداء فريضة الصلاة.

قال الشوكانى: والمراد بالقائمين فى قوله:

﴿ وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ ﴾ المصلون..

وذكر ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ بعده، لبيان أركان الصلاة دلالة على عظم شأن هذه العبادة، وقرن الطواف بالصلاة، لأنهما لا يشرعان إلا فى البيت، فالطواف عنده والصلاة إليه(٦).

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة، أنه لا يجوز أن يترك عند بيت الله الحرام، قذر من الأقذار ولا نجس من الأنجاس المعنوية ولا الحسية، فلا يترك فيه أحد يرتكب مالا يرضى الله، ولا أحد يلوثه بقذر من النجاسات.

ثم ذكر- سبحانه - ما أمر به نبيه إبراهيم بعد أن بوأه مكان البيت فقال:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾

والأذان: الإعلام. و ﴿ رِجَالٗا ﴾ أى: مشاة على أرجلهم، جمع راجل.

يقال: رَجِل بزنة فرح فلان يَرْجَل فهو راجل إذا لم يكن معه ما يركبه.

والضامر: البعير المهزول من طول السفر، وهم اسم فاعل من ضمر- بزنة قعد- يضمر ضمورا فهو ضامر، إذا أصابه الهزال والتعب.

وجملة ﴿ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾ صفة لقوله:

---

(٥) تفسير أضواء البيان جـ ٥ ص ٦٢.

(٦) تفسير فتح القدير للشوكانى جـ ٣ ص ٤٤٨.

﴿ كُلِّ ﴾ . والجمع باعتبار المعنى . كأنه قيل : وركبانا على ضوامر من كل طريق بعيد .

والفج فى الأصل : الفجوة بين جبلين، ويستعمل فى الطريق المتسع . والمراد به هنا : مطلق الطريق وجمعه فجاج .

والعميق : البعيد ، مأخوذ من العمق بمعنى البعد ، ومنه قولهم : بئر عميقة، أى : بعيدة الغور .

والمعنى : وأَعْلِمْ يا إبراهيم الناس بفريضة الحج يأتوك مسرعين مشاة على أقدامهم، ويأتوك راكبين على دوابهم المهزولة، من كل مكان بعيد .

قال ابن كثير : أى : ناد– يا إبراهيم– فى الناس داعيا إياهم إلى الحج إلى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه، فذكر أنه قال : يارب، وكيف أبلغ الناس وصوتى لا يصل إليهم؟ فقيل : ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه،وقيل : على الحجر، وقيل : على الصفا وقيل : على أبى قبيس، وقال : يأيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأجابه كل شىء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة : « لبيك اللهم لبيك »(٧) .

وقيل : إن الخطاب فى قوله– تعالى– :

﴿ وَأَذِّن ﴾ للرسول ﷺ وأن الكلام عن إبراهيم– عليه السلام– قد انتهى عند قوله– تعالى– :

﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ .

وجمهور المفسرين على أن الخطاب لإبراهيم– عليه السلام– لأن سياق الآيات يدل عليه، ولأن التوافد على هذا البيت موجود منذ عهد إبراهيم .

ومايزال وعد الله يتحقق منذ هذا العهد إلى اليوم وإلى الغد، وما تزال أفئدة ملايين الناس تهوى إليه، وقلوبهم تنشرح لرؤيته، وتسعد بالطواف من حوله . .

وقوله – سبحانه – :

﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ يَأۡتُوكَ ﴾ .

أى : يأتيك الناس راجلين وراكبين من كل مكان بعيد ، ليشهدوا وليحصلوا منافع عظيمة لهم فى دينهم وفى دنياهم .

ومن مظاهر منافعهم الدينية : غفران ذنوبهم، وإجابة دعائهم، ورضا الله– تعالى– عنهم .

ومن مظاهر منافعهم الدنيوية : اجتماعهم فى هذا المكان الطاهر، وتعارفهم وتعاونهم على البر والتقوى، وتبادلهم المنافع فيما بينهم عن طريق البيع والشراء وغير ذلك من أنواع المعاملات التى أحلها الله– تعالى– .

وجاء لفظ ﴿ مَنَٰفِعَ ﴾ بصيغة التنكير، للتعميم والتعظيم والتكثير. أى : منافع عظيمة وشاملة لأمور الدين والدنيا، وليس فى الإمكان تحديدها لكثرتها، وقوله :

﴿ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ ﴾

---

(٧) تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٤١٠.

معطوف على قوله: ﴿لِيَشْهَدُوا﴾.

والمراد بالأيام المعلومات: الأيام العشر الأولى من ذى الحجة، أو هى أيام النحر، أو يوم العيد وأيام التشريق.

والمراد: ببهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم.

أى: ليشهدوا منافع لهم، وليكثروا من ذكر الله ومن طاعته فى تلك الأيام المباركة. وليشكروه على ما رزقهم من بهيمة الأنعام التى يتقربون إليه- سبحانه- عن طريق ذبحها وإراقة دمائها، واستجابة لأمره- عز وجل-.

وقوله – سبحانه –:

﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ إرشاد منه- تعالى- إلى كيفية التصرف فيها بعد ذبحها.

أى: فكلوا من هذه البهيمة بعد ذبحها، وأطعموا منها الإنسان البائس، أى: الذى أصابه بؤس ومكروه بجانب فقره واحتياجه.

قال الآلوسى: والأمر فى قوله:

﴿فَكُلُوا مِنْهَا ..﴾ للإباحة بناء على أن الأكل كان منهيا عنه شرعا، وقد قالوا: إن الأمر بعد المنع يقتضى الإباحة ويدل على سبق النهى قوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن أكل لحوم الأضاحى فكلوا منها وادخروا»(٨).

وقيل: لأن أهل الجاهلية كانوا يتحرجون فيه، أو للندب على مواساة الفقراء ومساواتهم فى الأكل منها(٩).

ثم بين- سبحانه- مايفعلونه بعد حلهم وخروجهم من الإحرام فقال:

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

والمراد بالقضاء هنا: الإزالة، وأصله القطع والفصل، فأريد به الإزالة على سبيل المجاز. والتفث: الوسخ والقذر، كطول الشعر والأظفار يقال: تفث فلان- كفرح- يتفث تفثا فهو تفث، إذا ترك الاغتسال والتطيب والتنظيف فأصابته الأوساخ.

والمراد بالطواف هنا: طواف الإفاضة، الذى هو أحد أركان الحج، وبه يتم التحلل. والعتيق: القديم حيث إنه أول بيت وضع لعبادة الله فى الأرض، وقيل سمى بالعتيق لأن الله- تعالى- أعتقه من أن يتسلط عليه جبار فيهدمه أو يخربه.

والمعنى: ثم بعد حلهم وبعد الإتيان بما عليهم من مناسك. فليزيلوا عنهم أدرانهم وأوساخهم، وليوفوا نذورهم التى نذروها لله- تعالى- فى حجهم، وليطوفوا طواف الإفاضة، بهذا البيت القديم الذى جعله الله- تعالى- أول بيت لعبادته، وصانه من اعتداء كل جبار أثيم.

وبذلك نرى الآيات الكريمة قد توعدت كل من يصد الناس عن هذا البيت بأشد ألوان الوعيد، وبينت أن الناس فيه سواء وتحدثت عن جانب من فضله – سبحانه – على نبيه إبراهيم- عليه السلام- حيث أرشده إلى مكان هذا البناء، وشرفه بتهيئته ليكون أول مكان لعبادته- تعالى- وأمره بأن ينادى فى الناس بالحج إليه، ليشهدوا منافع عظيمة لهم.

---

(٨) أخرجه البيهقى ٧٦/٤.

(٩) تفسير الآلوسى جـ ١٧ ص ١٤٦.

السنة

الطاعات تفرج الكربات

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ / إبراهيم الجبالى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: « خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا فى غار فى جبل فانحطت عليهم صخرة، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إنى كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجىء فأحلب بالحلاب فآتى به أبوى فيشربان ثم أسقى الصبية وأهلى وامرأتى، فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلى، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج عنهم. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنى كنت أحب امرأة من بنات عمى كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة. قال: ففرج عنهم الثلثين.

قال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقراً وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطنى حقى، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزىء بى؟ قال: فقلت: ما أستهزىء بك ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم » صدق رسول الله ﷺ.

هذا الحديث رواه البخارى واللفظ لغيره وحوى من فضائل وأحكام وفوائد، من بر الوالدين، وخشية الله حين استحكام أسباب الفتنة، وإجابة دعاء من اتقاه، وإكرام أهل طاعته؛ وكالتصرف فى مال الغير بغير إذنه لمصلحته على ما سيجىء. وسنعرض لشرح مفرداته ثم نعود للكلام عليه جملة بتوفيق الله وتيسيره.

قوله: « خرج ثلاثة » جاء فى بعض الروايات « ممن كان قبلكم » وفى بعضها « من بنى إسرائيل » ولم يذكر الشراح أسماءهم، وقوله: « يمشون » روى بدلها: يرتادون لأهلهم، والارتياد: البحث عن الكلأ والمرعى والماء وأمثالها مما يجعل المكان صالحا للإقامة فيه، فالمعنى أنهم كانوا مسافرين يبحثون عن مكان يرشدون أهلهم لينتقلوا إليه. وقوله: « فدخلوا غارا » روى « فأووا إلى غار » وفى رواية « حتى أووا المبيت إلى غار » والمعنى أنهم دخلوا الغار ليؤويهم من المطر وليبيتوا فيه. وقوله: « فانحطت عليهم صخرة » روى « فانحطت على فم غارهم صخرة فانطبقت عليهم » أو فأطبقت عليهم، أى انطبقت على فم غارهم فسدّته، أو أطبقت عليهم فم الغار، وفى رواية « فسقط عليهم حجر متجاف حتى ما يرون منه خصاصه » ومعنى متجاف: غليظ، فهو بمعنى الصخرة، والجفاء: الغلظ فى الخلقة أو فى الخلق، أو متجاف متباعد عنهم لم يصبهم بل سد عليهم باب غارهم وخصاص الباب ونحوه: الثقوب والفرج التى يرى منها الضوء. وقوله: « ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه. فى رواية أنهم قالوا: عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم مكانكم إلا الله ادعو الله بأوثق أعمالكم. وروى أنهم قالوا: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه صدق فيه. وروى مثل ذلك. والروايات متقاربة واضحة. وقوله: فقال أحدهم، الروايات المعتمدة متفقة على هذه القصص الثلاث المذكورة، وإنما تختلف بالتقديم والتأخير بينها. وفى رواية ضعيفة الإسناد عن عقبة بن عامر جاء بدل الأجير: أنه كان له غنم يرعاها فحضرت الصلاة فقام يصلى فعدا الذئب على غنمه فكره أن يقطع صلاته فأتم صلاته.

والحلاب: الإناء الذى يحلب فيه. والمقصود اللبن ومعنى احتبست أى استأخرت كما فى رواية أخرى، وروى أنه نأى به الشجر أى بعد، وهذا سبب تأخره. ومعنى يتضاغون يبكون، والضُغاء الصياح. وفى رواية يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى. وقوله: دأبى ودأبهما أى شأنى وشأنهما. وروى فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما. وسبب كراهته إيقاظهما أن يسبب لهما الأرق على ما هو عادة الشيوخ إذا أوقظوا بعد هجعة، ولأن الإنسان يتأذى لإيقاظه من نومه قبل أن يستوفيه، وكراهة أن يدعهما خشية أن يستكنا لشربتهما أى أن يضعفا بسبب فوت العشاء كما هو شأن الهرم الضعيف من الاستكانة وهى الضعف. وقوله: إن كنت تعلم هذا من باب الأدب برد كل شىء إلى علم الله، كأنه يشك فى نيته ومقصده، ويدع ذلك إلى من يعلم السر وأخفى، وهو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، فهو أعلم به من نفسه. أو كنى بقوله: تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك، عن أنه مقبول عند الله. وقوله: فافرج عنا، روى ففرج عنا. وقوله: فقالت « لا تنال ذلك منها » فى الإتيان بضمير الغيبة مع أنها تحدث عن نفسها لطف لا يخفى مع مراعاة أن الحكاية عن غائب. وقوله: « حتى تعطيها مائة دينار »

جاء فى رواية «فامتنعت منى حتى ألمت بها سَنة» أى سنة قحط، ويكون امتناعها أولا عفة، وإجابتها ثانيا تحت تأثير القحط الذى ألم بها. وقوله: «فقالت اتق الله ولا تفض الخاتم» روى إلا بحقه، وهو يعطى أنها لم تكن ذات زوج، وأنها كانت بكرا، وإن كان يحتمل أن يراد بفض الخاتم ذلك الفعل المشين.

وقد روى أنها ارتعدت وبكت فسألها فقالت: إنى أخاف الله رب العالمين، فقال: خفته فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء، لأنا أحق أن أخاف ربى. وفى رواية أنها قالت: أذكرك الله أن تركب منى ما حرم الله عليك.

وقوله: «بفرق من ذرة» فى رواية بفرق من أرز. والفرق: مكيال يسع ثلاثة صيعان. وقوله: فأبى ذاك أن يأخذ، روى فى سبب إبائه أنه جاء أجير آخر اشتغل نصف يوم كشغل أحد الأجراء يوما كاملا فأعطاه كأحدهم، فغضب هذا وقال: تعطيه فى نصف يوم كما تعطى أحدنا فى يوم كامل: فقال: يا هذا هو مالى أعطى منه ما أشاء ولم أظلمك حقك. وهذه عادة فى الأجراء إلى الآن. وقوله: «حتى اشتريت منه بقرا وراعيها» فى رواية: بقرا وإبلا وغنما. ولعله اشترى الأنواع الثلاثة، وكان أغلبها البقر، فذكر الكل مرة، واقتصر على النوع الغالب مرة أخرى.

أما بعد: فقد أرشدنا هذا الحديث الشريف إلى طريق الفلاح، وصور لنا طاعة الله والزلفى إليه بأجمل مظاهرها، وجلاها فى أبهى حلاها، على وجه أخاذ يجتذب القلوب إلى التأسى بفاعليها، وانتهاز الفرصة للحاق بمن استحقوا هذا الثناء وتخليد الذكر بسببها. انظر إلى صاحب القصة الأولى وما قضى به يومه من كدح وكد فى رعى غنمه، فهو طوال يومه فى حركة ويقظة، يتلمس المرعى ويوجه غنمه ويحرسها ويسوسها، ثم يجدب عليه مكان فيرتاد غيره حتى يتطوح به السير وينأى به الشجر فلا يرجع إلا وقد نام الشيوخ ومتى ينام الشيوخ! ثم يحلب بنفسه ويجىء لتعهد أبويه وأبنائه وأهله، ولا تسل هنا عن المعركة بين ميل الإنسان الفطرى نحو أبنائه وزوجه، وبين معرفة الجميل وتقدير الضعف المستحكم فى أبويه، معركة وجدانية يدريها من وقع فيها، فالمرء وإن أحب والديه وبالغ فى محبتهما فإن محبته لأبنائه أغلب على طبعه. تجد محبة الآباء مبناها الوفاء، ومحبة الأبناء مبناها الرجاء، وهل الأمر بينهما على حد سواء؟ نعم يحب المرء أبويه ويكرمهما ويبالغ فى تكريمهما، ولكنه ينظر إلى ذلك نظر المرء إلى ما يجب عليه ويكلف حمله وأداءه، لا نظر الغبطة والابتهاج الذى يشمله حينما يغدق على أبنائه ويرفه لهم العيش. سأل بعض الناس: إنى ألِى من أبوى الآن كل ما كانا يليانه منى فى الطفولة: أفأكون وفيتهما كل حقهما؟ فقال: لا، لأنك تفعلَ ذلك وأنت تحب أن يموتا، وكانا يليان ذلك منك وهما يحبان أن تعيش، وسئل بعضهم: لماذا نحب أبناءنا أكثر مما يحبوننا؟ فقال: لأنهم قطعة منا ولسنا قطعة منهم.

هذه المعركة الوجدانية الهائلة تجد فيها هذا الابن الأب يتغلب على عاطفة البنوة التى ملأت قلبه نحو أولاده وفلذات كبده، عاطفةُ الأبوة المبنية على عرفان الجميل الماضى، ومراعاة الشيخوخة المتهدمة، والضعف الذى لا يحتمل معه تأخير عشاء. ثم انظر إليه وهو يضحى براحته، ويضيف إلى كده طول يومه سهره واقفا متحيرا طول ليله، يتقطع قلبه لأطفال صغار يتضاغون من الجوع تحت قدميه واللبن فى

يديه، ولكنه ينتظر أبويه. ولقد كان يريحه من كل هذا العناء أن يوقظهما ولو بعد الوقت الذى يظن أنهما أخذا قسطهما فيه من النوم، ولكن تأبى شفقته إلا أن يلمح أنهما قد يتأذيان من الإيقاظ قبل أن يستوفيا قسطهما من النوم ويستيقظا بأنفسهما، وأنه قد يندّ عنهما النوم بعد ذلك فلا يجدان السبيل إليه، فيكون قد أساء إليهما أكثر مما أحسن، أما صبيته وبكاؤهم تحت قدميه من الجوع فأمر هين، فالأطفال مرحون بطبعهم، وما هو إلا أن يسقيهم حتى ينسوا كل شى، وفى طبيعتهم قوة التحمل.

أما إنها لإحدى الفضائل العظمى التى لا تصدر إلا عن قلب ملأته خشية الله وتقواه، وحق لمن هذا شأنه أن يرعاه الله، ويجعل له مخرجا، ويجعل له من أمره يسرا. مثل هذا يدخل فى مضمون ما ورد «رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره». إن نفسا كهذه بين رعاة الغنم تحمل النفوس على احترام طائفة بأسرها، ولكن من هذا وقد كان من بينهم خيرة الخلق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. ولقد سمع الله من هذا الراعى فكشف عنهم، ولله فى خلقه إرادة، فلقد كان قديرا أن يكشف الباب جميعه، ولكنه أراد أن يوجه كل من الثلاثة قلبه نحو خالقه، ويمنحه شطرا من كرامته، حتى يتبين للناس إكرام الله لأهل طاعته، جعلنا الله منهم.

ثم انظر إلى صاحب القصة الثانية: شاب يملأ الحب شغاف قلبه، ويحب ابنة عمه كأشد ما يحب الرجل النساء، يتدله فيها ويهيم، ويسأل عنها ضوء الكواكب ويستنشق منها ريا النسيم، تتطاول به السنون، وهو يعلل النفس بما يكون أولا يكون، ثم تسعفه الفرصة، ويكاد يبل تلك الغصة، أصابتها سنة قحط فلوت قيادها، وألانت عنادها، فجاءته تزجيها الحاجة وتعلوها الذلة، فطلبت إليه مع ذلك شططا: طلبت إليه مائة دينار فى تلك السنة المجدبة، ليس معه منها درهم، يقول: فسعيت حتى جمعتها، وفى رواية: جمع لها عشرين ومائة. ما أشد سلطان الحب! يخلق من الجبان أسدا، ومن الضعيف ماردا. الحب، وما أدراك ما الحب:

الحب أول ما يكون مجانة
فإذا تمكن صار شغلا شاغلا
لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها

نقدها الدنانير الكثر، ليصل إلى ذلك الأمر، ولقد استسلمت الفريسة، ولكن خشية الله لم تتخل عنها. الله أكبر: إن مجرد كلمة الرجل فى أذن المرأة وقوله لها: أحبك، تعمل فى نفسها كل عمل، وتملأ قلبها بالأمل بعد الأمل فكيف به وهو ابن عمها، يقضى الأيام الطوال يترضاها، ويبدو لها منه ما هى أدرى به، ثم تتحداه بالمرهق المعجز فى السنة الجدباء، فيحضره لها ثمنا لما أراد، وبرهانا على صدق الوداد. وهل كانت إلا فتاة لها حظ فى الرجل كحظه منها؟

أنظر اليها فى هذه الساعة الرهيبة تدركها خشية الله، فترتعد وتبكى، وتذكره الله ألا يركب منها ما حرم الله عليه، فتلحقه هو أيضا الخشية، وتحوطه تقوى الله، ويتذكر حين ذكرته أن الذكرى تنفع المؤمنين، فيقول: هذه تخاف الله فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء، فينصرف عنها طاهرين تقيين نقيين. الحمد لله، هذا هو مقام الخشية والخوف من الله. هذا هو ما جاء فى قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾(١) .

وفى قوله عز وجل:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾(٢) . يردف هذا بمنة عظيمة فيدع لها المائة دينار، وينفلها عليها عشرين دينارا، كما جاء فى بعض الروايات . اللهم لا توفيق إلا توفيقك، ولا معصوم إلا من عصمت .

رب إن الهـــــدى هداك وآيا

تك نور تهـــدى بهـــا من تشـــاء

أما إن للشيطان فى مثل هذه الحال الجولات وصولات، فكم يغرر بهما ويسهل الأمر عليهما، ويضمن لهما أن لن يقترفا جرما ولا إثما، وإنما هى المداعبات البريئة، حتى إذا غشى قلبهما ما غشى، ووقعا فى الشرك الذى نصبه لهما، تولى عنهما بفرح وسرور، وقال: ما كان لى عليكما من سلطان إنما دليتكما بغرور . اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان ومن الهوى .

وهذا الثالث صاحب الأجير: ترى الأجير فى طمعه يحسد من عمل فى نصف يوم مثل عمله فى يوم على أن يأخذ مثل أجره، والمالك لو أعطاه بلا مقابل فلا سبيل عليه، فيذهب به الغضب إلى الإباء، فينصرف مغاضباً رافضا أخذ أجره، ثم يمكث السنين الطوال كما يدل عليه أنه زرع الفرق ونماه واشترى من غلته بقرا وراعيها وإبلا وغنما، وهل يأتى ذلك فى عام أو عامين والفرق ثلاثة آصع من ذرة أو من أرز؟ يجىء هذا المغاضب المحتج فيطلب أجره، ولو شاء المستأجر لتجاهله وأنكره، ولو سمح فأعطاه ذلك الفرق لكان جميلا منه، ولكنه امتحن الله قلبه للتقوى فوفقه لزرعه وتنمية غلته حتى اشترى منها بقرا وراعيها، وأضاف إليها إبلا وغنما، فأصبح مالا وفيرا ورزقا كبيرا، ومتى تبتلى النفوس بالشح إلا حينئذ؟ جاءه الأجير راضيا يأخذ الفرق الذى استحقه على عمل يومه، فقال: دونك هذه النعم فاستقها براعيها، ويروى برعاتها، فقال الرجل - وحق له أن يقول: أتستهزىء بى؟ وهل يظن هذا إلا أنه استهزاء؟ يقول له: أعطنى فرق ذرة أو فرق أرز، فيقول له: استق هذه النعم برعاتها ويصر على أن الأمر جد وأنها له حتى ليأبى أن يقول له: لقد منحتكها ولكنه يقول: أنا لا أستهزىء ولكنها لك، فلا يقبل على نفسه ولا أنه صاحب جميل فيما أعطى، ويقول إنها وديعة يأخذها صاحبها وكفى! هذه هى الأمانة حقا، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم .

إن هذا لهو القصص الحق، يبين لنا المصطفى ﷺ سبيل الهدى لنسلكه، ويقرب لنا سبب الخير لندركه، ويصور لنا روح الطاعة لنتحلى بها، ويجمل لنا وجه الزلفى لنتعلق بسببها . اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه، فلا حول ولا قوة إلا بالله ثم يشرح لنا كيف كانت نجاتهم بسبب لجئهم إلى من تعرفوا إليه فى الرخاء فعرفهم فى الشدة؛ وكيف يكون يُمن الطاعة فى الدنيا، والدار الآخرة خير وأبقى .

نسأل الله أن يسلكنا فى زمرة المتقين، ويجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة النازعات (٤٠، ٤١).

(٢) سورة الرحمن (٤٦).

لماذا نحج إلى البيت العتيق؟؟

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

عندما كتب حُجة الإسلام أبو حامد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م] كتابه الفذ [إحياء علوم الدين] كان إعلانًا عن ضرورة « الثورة الثقافية التصحيحية » لما أصاب الجوانب الكثيرة من ثقافتنا الفقهية يومئذ من « جفاف.. وشكلية » يهددانها بالموات.. فهذا الكتاب - بعنوانه ومضمونه - دعوة « لإحياء » علوم الدين، الإحياء الذى يعيد تزامل « القلب » مع « العقل » فى اكتشاف أبعادها ومقاصدها، وذلك بعد أن وقفت الكثير من تآليفها عند « أشكال.. وحركات.. ومظاهر » كثير من الشعائر والمناسك والعبادات.

وإذا شئنا أن نضرب أمثالا على ضرورة هذا « الإحياء » لفقه المناسك الإسلامية. الذى لانزال فى أمس الحاجة إليه - فإنا واجدون الكثير والكثير:

١ ـ ففى القرآن الكريم وصف للعلاقة الزوجية «بالميثاق الغليظ» الذى أقامته وعقدته الفطرة الإلهية بين الرجل وزوجه

﴿ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾(١).

وهذا الميثاق الفطرى هو الذى يجعل الزوجة تفضى إلى الزوج – وهى حديثة عهد بمعرفته – بما لا تفضى به إلى أهلها الذين نشأت وتربت فى كنفهم وأحضانهم، بل وتكشف له وتسر إليه بما تضن به على أقرب الأقربين من أولى الأرحام!.

بل إن التعبير القرآنى ليصل، فى وصف رباط الزوجية وميثاقها، إلى الوصف الذى لو أفاض فيه كل شعراء الدنيا وبلغائها لما استطاعوا الاقتراب من عمقه وسموه وجمال دلالاته.. وصف «السكن» و«السكينة» التى تمثلها الزوجة بالنسبة لزوجها، الذى يسكن إليها!.. فهى له سكن يسكن فى مودته ورحمته.. يعبر القرآن الكريم عن هذا المستوى السامق للعلاقة الزوجية، تلك التى جعلها الله – سبحانه وتعالى – آية من آياته فى بناء أولى لبنات الاجتماع البشرى – الأسرة – فيقول:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

فماذا صنعت كتب الفقه بهذه المعانى الجميلة والعظيمة والعميقة التى تتحدى لغة البشر أن تبلغ سماء دلالاتها؟ لقد عرّف الفقهاء عقد الزواج – هذا الميثاق الإلهى الغليظ.. وهذه الفطرة المنشئة للمودة والرحمة والسكن والسكينة – بأنه: «عقد تمليك منفعة بضع الزوجة»!!.. فقتلوا روح هذه العلاقة السامية، عندما اختزلوها فى البعد «الغرائزى» للزواج!..

ولذلك كانت دعوة الغزالى إلى «إحياء» علوم الدين، بعد أن أصابها الموات!..

٢ ـ والصلاة، التى هى عماد الدين.. نجد القرآن الكريم لا يستخدم فى التعبير عنها مصطلح «الأداء» لأنه يقف بالدلالة عند «الشكل.. والحركات.. والسكنات».. ويستخدم – بدلا من ذلك – فى التعبير عنها مصطلح «الإقامة»، لما يعنيه ويتطلبه من «الحضور» عندما يكون العبد فى لقاء مع مولاه

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾(٣)

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾(٤)

ففى «الإقامة» استقامة وحضور.. بينما «الأداء» أشكال وحركات ورياضات للأبدان!..

وإذا كانت الصلاة عماد الدين، فإن السجود

(١) النساء: ٢١.
(٢) الروم: ٢١.
(٣) البقرة: ٤٣.
(٤) الأعراف: ٢٩.

فيها هو القمة التى يكون العبد فيه أقرب ما يكون إلى الله.. إنه قمة الحضور للمصلى بين يدى الله.. لذلك، نعجب من الفقه عندما وقف، فى تعريفه للسجود، عند شكل الحركات، فغاب عنه – وغَيّب – المقصد واللب والمضمون.. فجاء تعريف السجود فى كثير من كتب الفقه بأنه «اطمئنان الأعضاء»!.. حتى لكأنه تمرين رياضى، وليس الدرجة العليا فى سلم الحضور بين يدى الله!

ولذلك – أيضا – كانت ضرورة دعوة أبى حامد الغزالى إلى «إحياء علوم الدين».

وإذا نحن طالعنا جميع أبواب الحج، بأغلب كتب الفقه – فى سائر المذاهب الإسلامية – .. أو قرأنا آلاف الكتيبات التى يتداولها الحجاج إلى بيت الله الحرام، والتى تتبع تفاصيل التفاصيل فى مناسك الحج والعمرة – والمطبوعة بكل لغات الدنيا – فسنفاجأ بأننا أمام سرد لكيفية «أداء» المناسك، هو أقرب ما يكون إلى «خرائط وأدلة» السياح، منه إلى روح العبادة، ومقاصد المناسك، والمعانى العظمى التى وقفت فوق ووراء أماكن وأشكال ومواقيت مناسك الحج إلى بيت الله الحرام.. الأمر الذى يدعو إلى فقه جديد يعيد «الروح» إلى المناسك التى وقف الناس ويقفون عند «أشكالها»، ويذكّر «بالمعانى» التى نسيها الناس للأماكن التى يترددون عليها، ويستدعى «المقاصد» التى ما شرعت الشعائر إلا للاقتراب منها.

إننا فى حاجة إلى «إحياء» لفقه الحج إلى بيت الله الحرام، حتى يصبح الحج قصداً، إلى المعانى والمقاصد والدلالات العظمى لهذا المنسك العظيم، وليس مجرد سياحة نزور فيها الأماكن، «نؤدى» فيها الواجبات والفرائض والأركان.. وعلى سبيل المثال:

١ – فنحن فى حاجة إلى «الوعى» بحكمة جعل الله – سبحانه وتعالى – حج أمتنا الإسلامية إلى بيت الله الحرام، وليس إلى مكان آخر سواه؟..

وفى فقه هذه الحكمة ووعيها يمكن أن يقال الكثير.

لقد شاء الله أن يكون حج الأمة الخاتمة لرسالات السماء – أمة الإسلام – إلى البيت الحرام، لأن هذا البيت هو أول بيت عُبد الله فيه على هذه الأرض.. ففيه بدأ الدين، وإليه يكون حج الأمة الخاتمة، رمزا وتجسيدا لوحدة دين الله – من آدم إلى محمد ﷺ ورمزا وتجسيدا – كذلك – لاكتمال لبنات هذا الدين الواحد بشريعة الاسلام، ورسالة محمد بن عبدالله ﷺ .. وهو أيضا تكريم لهذه الأمة، عندما جمع الله لها طرفى المجد الدينى، فكانتا قبلتها، وكان حجها إلى أول بيت وضع للناس فى الأرض التى هى دار الأمانة والتكليف والاستخلاف.

ولما كان أبو الأنبياء إبراهيم الخليل، وابنه إسماعيل – عليهما السلام – قد أقاما قواعد هذا البيت العتيق، فلقد شاء الله أن يكون إليه حج أمة خاتم الأنبياء، الذى أحيت شريعته ملة إبراهيم.. والذى تعيد أمته – فى مناسك حجها – مناسك إبراهيم وإسماعيل وهاجر، مجسدة بهذا الإحياء وَحْدَةَ دين الله:

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥].

فإلى أول بيت تحج الأمة الخاتمة، لتحيى أمة خاتم الأنبياء مناسك ملة أبى الأنبياء.

٢ - ونحن فى حاجة إلى فقه الإعجاز الخالد الذى يشعر به ويعيشه كل من حج إلى بيت الله الحرام.. فلقد دعا إبراهيم الخليل ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى بيته الحرام، فتجسدت الإجابة فى هذا الحج، الذى ربط القلوب - وليس الأجساد - بهذا البيت العتيق.. بل وليس مطلق القلوب، لأن «الأفـئـدة» هى «القلوب المتوقدة» بالأشواق.. وهى «تهوى» إلى هذا المكان اشتياق النفس إلى ما تشتهيه![٦].. لقد تجسدت معجزة الإجابة الإلهية لدعوة أبى الأنبياء فى حجيج أمة محمد - خاتم الأنبياء -.. تجسدت آية من آيات الله المبثوثة فى النفوس والأفئدة المتوقدة شوقاً إلى بيت الله الحرام، توقدا دائما، وشوقا خالدا، عند كل مؤمن، وعلى مر سنوات عمره، وعبر القرون، والقارات، وفى كل القبائل والشعوب.

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[٧].

٣ - ونحن فى حاجة إلى فقه الحكمة التى جعلت من حجة رسول الله ﷺ سنة ١٠ هـ لحظة اكتمال الدين، فعندما أتم الرسول والمؤمنون مناسك الحج، ووقفوا بعرفة، وأعلن خاتم الأنبياء فى العالمين ميثاق حقوق الله وحقوق الإنسان المستخلف عن الله، نزل الروح الأمين بوحى الله الذى يقول:

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٨].

فعندما أقام النبى الخاتم والأمة الخاتمة مناسك حج ملة إبراهيم - أبى الأنبياء - مثّل ذلك اكتمال أركان الإسلام، واكتمال هذا الإسلام، الذى هو الدين الله الواحد عبر كل رسالات السماء

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٩].

وليس المراد باكتمال الدين هنا اكتمال الوحى القرآنى، أو الشريعة المحمدية، فبعد هذه الآية نزلت آيات وتشريعات من مثل آيات الربا والكلالة.. وغيرها.

---

(٥) آل عمران: ٩٥ - ٩٧.

(٦) الراغب الأصفهانى [مفردات غريب القرآن] - مادة «فأد» - طبعة دار التحرير - القاهرة.

(٧) إبراهيم: ١٤.

(٨) المائدة: ٣.

(٩) آل عمران: ١٩.

٤ ـ ونحن فى حاجة إلى فقه سر معجزة الأمن والأمان، الذى يغمر المؤمن فى بيت الله الحرام، حتى ليزيد هذا الأمن على ما يشعر به الإنسان فى مسكنه الخاص.. فبصرف النظر عن جغرافية الأوطان، واختلاف الألوان، وتعدد اللغات، وتنوع الشعوب والأمم، يجد الحاج من الأمن والأمان فى بيت الله الحرام ما يجسد ويفسر الإرادة الإلهية والجَعْل الربانى الذى عبر عنه القرآن الكريم عندما قال:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾(١٠).

وحتى يكون هذا البيت آمنا، ومحققاً قمة الأمن والأمان للطائفين والعاكفين والركع السجود، منذ أن وُضع للناس فى الأرض، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلقد شاء الله أن ينفرد بالحرية والتحرر من استعباد الجبارين والمستعمرين عبر قرون التاريخ، فلم يخضع لجبار ولا لمستعمر، وكان الناس من حوله تتخطفهم مخاطر الاستبداد والاستعباد، وهو آمن أبداً

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾(١١).

ولأنه كان الحرم الآمن، الذى حفظه الله من الاستعباد والاستبداد، سماه الله – فى كتابه – ﴿ ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾، أى الحر الذى انعتق وتحرر من كل ألوان الاسترقاق..

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾(١٢).

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾(١٣).

فهو الحر – دائما وأبدا – حتى يكون حرما آمنا – دائما وأبدا – .. وعندما هددت غزوة الفيل حرية هذا الحرم الآمن، لم يخالج الشك أهل مكة يومئذ فى انتصار البيت العتيق على هذا التهديد، فكانت ثقة عبدالمطلب بأن «للبيت رباً يحميه»!.. وجاء الإعجاز الإلهى ﴿ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ تحيل مصادر التهديد وقوى الاستعباد إلى «عصف مأكول».

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾(١٤)

فهناك حاجة إلى فقه معجزة «الأمن».. فى هذا البيت «العتيق»..

٥ ـ ونحن فى حاجة إلى أن يفقه الحاج إلى بيت الله الحرام ما يمكن أن نسميه بـ «أبعاد

---

(١٠) البقرة: ١٢٥، ١٢٦.

(١١) العنكبوت: ٦٧، ٦٨.

(١٢) الحج: ٢٩.

(١٣) الحج: ٣٢، ٣٣..

(١٤) الفيل: ١ – ٥.

فلسفة المكان ورسالته الخالدة».. فحول هذه الكعبة نزلت كلمات الله على خاتم الرسل والأنبياء.. وبهذه الكلمات تمت فى مدرسة النبوة إعادة صياغة الجاهليين - أسرى الحمية الجاهلية وعبدة الأوثان - حتى غدوا الجيل الفريد الذى غيّر مجرى الدنيا والحضارة وأمسك بدفة سفينة التاريخ.. فدخل دار الأرقم بن أبى الأرقم أعراب حفاة غلاظ جفاة ليخرجوا منها وقلوبهم تفيض بالتقوى، يزيحون عن كاهل الإنسانية جبروت الكسروية واستبداد القياصرة، ليخرجوا من شاء من عباد الله من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن العبودية للطواغيت إلى قمة حرية إخلاص العبودية لله!.. وليكونوا - وهم أسد الله الذين أزالوا جبروت الاستكبار - أهل الرفق والرحمة، لا بالإنسان فقط، وإنما بالحيوان أيضا.. بل وبالنبات وسائر الطبيعة، لأن هذه المدرسة، التى بدأت دروسها فى حرم الله الآمن، قد علّمتهم أن كل ما فى هذا الكون حىّ يلهج - على طريقته - بتسبيح الحى القيوم

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(١٥)

فنحن نحج إلى المكان الذى بدأت فيه «النعمة» التى هى أعظم نعم الله على المؤمنين.. «نعمة الإسلام».. وأعْظِم بها من نعمة تعطى هذا المكان خصوصية فى فلسفة المكان.. وفى رسالة المكان..

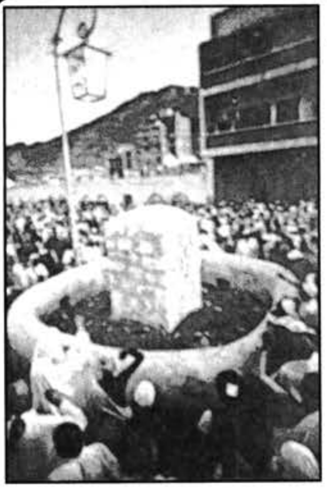

رمى الجمرات

٦- ونحن بحاجة إلى أن يتذكر الحاج - وهو ذاهب ليرمى جمرة العقبة - ما هو أكثر من رمى الجمرات! - ففى هذا المكان - العقبة - عقدت «الجمعية التأسيسية» التى تعاقدت وتعاهدت على إقامة الدولة الأولى فى تاريخ الاسلام والمسلمين، الدولة التى غيرت الواقع، وجيشت الجيوش، وحولت مسار التاريخ، وجعلت المستضعفين فى الأرض الأئمة والوارثين لمواريث النبوات والحضارات، وذلك عندما بايع الأنصار رسول الله ﷺ على إقامة الدولة، بعد أن سبق لهم بيعته على إقامة الدين.. فولدت فى العقبة الدولة التى حرست الدين، والتى ساست الاجتماع والعمران بشريعة هذا الدين..

٧- ونحن بحاجة إلى أن يتذكر الحاج - وهو بالعقبة أيضا - أن رسول الله ﷺ قد أراد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى على البيعة والشورى والاختيار، فعندما همّ الأنصار بمبايعته على إقامة الدولة، وحماية قائدها مما يحمون منه أنفسهم ونساءهم وذراريهم، رغب إليهم أن تتم البيعة بواسطة «مؤسسة دستورية» تنشأ بالاختيار والانتخاب، فقال لهم: «اختاروا منكم اثنى عشر نقيبا».. فولدت - بالشورى والاختيار والانتخاب - أولى المؤسسات

(١٥) الإسراء: ٤٤.

الدستورية فى الدولة الإسلامية.. وهى التى نهضت بمسئوليات «الوزارة.. والمؤازرة»، مع مؤسسة «المهاجرين الأولين» - التى نهضت فى دولة الخلافة بمسئوليات الإمارة - وتوزعت بينهما الاختصاصات يوم «السقيفة»، عندما قال أبو بكر الصديق - باسم المهاجرين الأولين - لممثلى النقباء الاثنى عشر: «منا الأمراء ومنكم الوزراء».

الحجاج فى منى

فمن العقبة - يا من ترمى الجمرات - بدأ تراث أمتنا فى المؤسسات الدستورية، القائمة على الشورى والاختيار والانتخاب - بمشاركة الرجال والنساء - قبل أن تعرف الأمم والحضارات لها تراثاً فى هذه المؤسسات!

٨ -ونحن فى حاجة إلى أن يتأمل الحاج - وهو فى «منى» - هذه «الغابة» من الجبال السوداء الكالحة التى تحيط بمنزل الوحى وبيت الله الحرام.. ففى هذا المنظر الموحش لهذه الجبال السوداء معجزة من معجزات إلهية وصدق القرآن الكريم، ونبينا ﷺ..

لقد اتفق البشر - من كل الفلسفات والثقافات والحضارات - على العلاقة التبادلية بين «المكان» وبين «الفكر» الذى يولد وينمو فى «المكان».. وإذا كان واقع «المكان المكى» هو هذه الجبال الكالحة السواد، فَأنَّى لهذا «الواقع» أن يثمر «فكرا» يستحق مضمون هذا الاصطلاح؟! وذلك فضلا عن أن تكون «الثمرة» هى هذا القرآن المعجز الذى تحدى - ولايزال - أساطين البلاغة والفكر عبر الزمان والمكان والفلسفات والثقافات والحضارات.. إنها شهادة على صدق النبوة والرسالة، شاء الله أن ينطق بها هذا المكان الموحش.. فَعَجْزُه عن إبداع «الفكر» شاهد على أن هذا الذى جاء به محمد بن عبدالله إنما هو نبأ السماء العظيم!

هذه نماذج لخواطر - مجرد نماذج لخواطر - تدعو إلى أن نفكر ونجتهد لفقه جديد - هو فقه المقاصد والمعانى والدلالات - لتعود به «الحياة الحقة» و«الإحياء الحقيقى» لمناسك الحج إلى بيت الله الحرام.. إحياء لعلوم الدين.. وإنقاذا لكتب الحج من جفاف وشكلية «الخرائط» التى يستخدمها السائحون.

إن مناسك الحج إنما تبتغى «تقوى القلوب».

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(١٦)

وحرام أن نختزلها فى الحركات والسكنات، أو نغرق مقاصدها الروحية السامية فى التفريعات والجزئيات.

---

(١٦) الحج: ٣٢.

الحج من الناحية التربوية

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي (*)

يعنى علماء الأخلاق عناية تامة بانتقال نظرياتهم السلوكية إلى ميدان التطبيق العملى، ليجدوا الثمار المرتقبة لما غرسوه من مبادىء وأفكار، وهم ينظرون الى الحج فى الإسلام نظرة تطبيقية تجعله ميدانا للتمرين السلوكى لدى المسلم، والحج بهذا الاعتبار دعامة قوية من دعائم الشخصية المؤمنة التى ترتكز على أسس ذات قوة وتمكين.

فالنية فى الحج شرط أساسى لصلاحيته، وهى عند علماء الأخلاق من المسلمين: مدار الحكم الخلقى وموضع تقديره، إذ يوجد من الأعمال ما يروق الناس فى ظاهره ولكن بواطن أصحابه المغرضة تجعله من الناحية الخلقية عملا مدخولا عليه لا اصلاح فيه ولا فائدة مهما خدع الناس بزيفه البراق، فكم فى الناس من قصد الى الحج تاجرا أو دليلا، أو مبتغيا للكسب بوجه غير الوجه الشرعى المقصود، وهو أمام الناس حاج يؤمّ بيت الله، وعند الله محترف ينشد المنفعة العاجلة فى الدنيا، لذلك كانت النية المخلصة أول خطوة صحيحة فى طريق الحج المبرور، وبصلاح السرائر وخلوص النيات يستقيم أمر المجتمع الإسلامى على سنن صحيحة.

فإذا عقد المسلم عزمه على الحج، وتوجه فى بلده النازح الى إجراء لوازم السفر فإنه من وراء هذه النيه الصادقة مأجور مثاب على كل عمل يقوم به جليلا كان أو هينا، والسفر فى كل زمان ومكان ذو مشاق ومتاعب مهما تيسرت الآن وسائل السرعة من طائرات وسيارات وبواخر فالزحام عليها والاقتراع فى بعض البلدان على نوال الأسبقية فى الرحلة مما يدفع المسلم الى سلوك خلقى يعتمد على الصبر والاحتمال ويتطلب التسامح والبشاشة، فإذا تهيأ الأمر واستقل الباخرة أو السيارة أو الطائرة فقد أصبح زميلا لأناس يشاركونه الرحلة وعليه أن يُطبق

(*) الأستاذ بكلية اللغة العربية بالمنصورة.

آداب الاسلام الخلقية فى حسن الرفقة وجمال الصحبة، ودماثة الخلق، والسفر ليس قطعة من العذاب فى طول الطريق وحده ولكنْ فى تحمل ما بالرحلة من مصاعب يذللها الخلق الإسلامى الداعى إلى التسامح واللين والرفق، لذلك كانت رحلة الحج فى نظر الأخلاقيين ميدانا فسيحا للتجربة، وعلى الحاج أثناء ذلك أن يختبر احترامه لأخلاق الإسلام وقوانينه، فعليه وهو يقصد البيت العتيق أن يكون مُسلما من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه، لا يصدر عن غير أخلاق الإسلام، واذا تعود ذلك فى رحلة الحج فإنه سيعود إلى بيته وأهله وقد اكتسب السلوك الإسلامى الصحيح، وتخرج فى مدرسةٍ خلقية نظيفة ترعى المروءة وتتجّه إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مستّنة بهدى الإسلام.

فإذا ما انتهت مسافة الطريق ووجد المسلم نفسه فى مكة فإن هذه الربوع الطاهرة ستذكره أقوى التذكر بصاحب الدعوة الإسلامية فى مسارح صباه وأماكن شبابه، فهو يستعيد مما يعلم شريطاً حيّاً يريه أماكن النبوة متجسدة مجسمة، وفى هذا من إيقاظ الخلق، وصحوة الضمير ما يرتفع بمستوى المسلم من عصره الراهن الى أرقى عصور الإيمان فى صدر الإسلام، فالبيت الحرام بمكة يُذكّر الحاج برواح صاحب الدعوة ومغداه إليه، وما كان يأمر به أصحابه من عبادةٍ وخشوعٍ وها هو ذا الصّفا وها هى تلك المروة، وها هو ذا غار حراء: فكل هذه المشاهد تسمو بنفس المسلم البصير إلى أفق من الصفاء النفسى فهو يطأ أجملَ أرض حملت أشرف

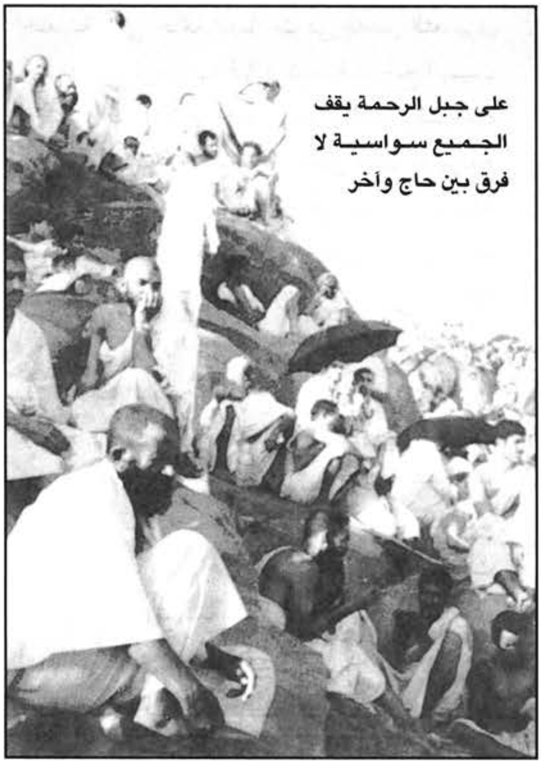

على جبل الرحمة يقف الجميع سواسية لا فرق بين حاج وآخر

الدعوات وأنجبت أكرم الخلق، وهو يَسْتعرض ما تحمل صاحب الدعوة فى هذه الربوع من أذَى الشرك وعفونة الكفر فصبرَ وصابرَ، وتحمل كل شاق فى سبيل مبتغاه!

وإذا كان الله ـ عز وجل ـ يقول:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(١).

فإن كل شِبْرٍ فى أرض مكة يذكر المسلم الدارس بخلق حىّ من أخلاق الرسول فيحاول أن يحتذيه فى سلوكه المثالّى لقدْ ترك وطنه وبلاده ليكون صورةً كاملة للمسلم الذى أدّى الفريضة

(١) الأحزاب (٢١).

الخامسة وهى خاتمة العبادات فى النسق التعبيرى لأحاديث الرسول، فإذا كان قد حج البيت ووطئت أقدامه تُراباً حمل رسول الله، وشمّ هواءً تَنَفّسَ فيه كرام الصحابة، فكل ذلك مما يرتفع بشخصه إلى مستوى المسلم الحى صاحب الرسالة النظيفة والهدى القويم، وبعد حين يقف بعرفات فيجتمع بمئات المسلمين من شتى الممالك والأجناس والألوان ويسمع هدير التلبية ينعش روحه ويبهج وجدانه، فيحسّ أنّه ليس وحيدا فى العالم وأن آلاف الآلاف يشاركونه عقيدته الصحيحة عنْ وعى وإيمان فيزداد يقينه ثَباتاً ورسوخا، فإذا امتد بساط الحديث بين المسلم والمسلم فقد وقف على طبائع جديدة وعادات طريفة لأناس يسمع عن بلادهم ولا يراهم رأى العين فى غير موسم الحج، وإذا كان المسلم أخ المسلم فى كل مكان فإنّ هذه الأخوة تدفع المسلمين فى هذا المؤتمر الإسلامى الطبيعى إلى التعاطف والتشاكى وطرح الآمال وشرح الآلام، ومن هنا كان الحج مُؤتمراً عالميا واسع الرقعة ينظم المسلمين فى سلسلة متصلة الحلقات فيتعارفون ويتعاونون ويتساندون، وذلك مكْسب تَعَاونىّ يُقدره الأخلاقيون حق تقديره ويدعونَ إليه بكل ما وسعهم من الأدلة والبراهين، فإذا كانَ الحج ميداناً لهذا المؤتمر الإسلامى فإن ـ الله عز وجل ـ كان أدرى بحاجات البشر حين دعا إلى عقده فى كل عام، وحينَ جعلَ أفئدة من الناس تهوى إلى البيت الحرام ليشهدوا منافع لهم وليذكروا اسم الله فى أيام معدودات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. وأى منفعةٍ أقوى من تَسَاند المسلمين وتعارفهم فى يوم مجموع له الناس، وأىّ طبٍ لعلاج الأدواء المتأصلة أعظم من مكاشفة صريحة فى مكان رُوحى تغمره الرحمات، وتصعد فيه المناجاة الخالصة صادقةً إلى السماء: بل أى سعادة يشعر بها الفرد فى إطوائه حين يجد نفسه لَبنةً قويّة فى جدار قوى لا تزلزله العواصف، ثم يرجع الى أهله أشدّ تمسكاً بدينه وأقوى دراية بإخوانه وأوسع معرفة بعصره ومن وراء ذلك كله سموّ مكانته لدى نفسه وحرصه على التمسك بآداب شَرْعه، وفضائلِ قرآنه وارتفاعه بمستواه الخلقى إلى أوْج مثالى معْطار، فإذا تجرّد من ملابسه ووقفَ مع الجموع الزاخرة بملابسِ الإحرام فقد لمس المساواة الصحيحة بين الناس على مُختلف المستويات إذ لا تتضّح هذه المساواة فى شعيرة إسلامية كما تتضح فى حج البيت العتيق، ففى الصلاة مثلا قد يقف المسلمون صفوفا صفوفا فى صلاة الجماعة وفى مشاهد الجمعة ولكنَّ ملابس الفقير تدلّ عليه وملابسَ الغّنى تظهر مستواه المادىّ وهو بجانب صاحبه فإذا تساوى معَهُ فى المكان فقد بَدتْ فروق أخرى واضحة للعيان وفى الصوم قد يتساوى المسلمون معاً فى الانقطاع عن الطعام والشراب فى وقت معلوم يبتدىء من طلوع الفَجرْ إلى غروب الشمس ولكنّهم لا يتساوون فيما يأكلون من الزاد ويتناولون من الشراب، فلكلِ إنسان الطعامْ المناسب والنظامْ الخاصْ أما الحج فقد طبّق المساواة بجميع شرائطها فَلكّلِ محرمٍ لباسٌ يرتديه مكشوف الرأس، يجأر بتلبية واحدة ويضج بهتاف واحد ويسير فى ركب واحد ليؤدى مناسك متّحدة لا يَلتزمُ بها فَرْدٌ دون فرد، فالسعى والطواف والوقوف بعرفات والمبيت بمنى ورمى الجمار كلُّ أولئك مما يؤديه الناس جميعا

فى مساواة لا تعرفَ التفضيل وإذا قامَ المسلم الحاج بذلك على وجهه الصحيحَ فقد فهم معنى الأخوة فَهْماً دقيقا يغنى عن مئات الشروح وعشرات المؤلفات إذ مارسها عملياً غير مكتفٍ بالنظريّات، وهو ما يَحْرص عليه الأخلاقيون دَافعينَ بالناس إلى واقع عملى لا إلى شروح تعجّ بالتعريفات وتموج بالنظريات.

فإذا رجع المسلم من حجه وقد أدّاه أكرم أداء، اعتقد فى ذات نفسه أنه أصبحَ مغفورَ الذّنب وأنّه استجابَ إلى داعى الله ليمحَو عنه ما أسلفَ من الخطايا والأوزار، وهوَ بذلكَ قد صار نقيَّ الصحيفة طاهرَ العرض، وهذا الشعور القوى بطهارته يدفعه إلى التمسك بالفضائل ليزداد فضلاً على فضل ويحول بَينَه وبين الرذائل كىْ لا يسود صحيفته بذنوب جديدة، وإذن فقد كسبَ سلوكا جديدا ينأى به عن المحارم وينجو معه من الشبهات وكأنه يقارن بين أمسه قبل الحج ويومه بعد الحج فيرَى درجته قد ارتفعتْ إلى أفقٍ لا يجوز معه الهبوط والإسفاف، وإذا أحسّ المسلم ذلك عن يقين فقد سَلم من رذائل السقوط ونأى عن مكيدة الشيطان وبعبارة أخرى فقد استجاب إلى فضائل الخلق الإسلامى وأصبح من الوجهة السلوكية مُسلما بصيراً تحلّيه المروءة ويزينه الشرف، ويضيئه الإيمان وإذا كانت صَلاَبَةُ العقيدة مما يهتم به الأخلاقيون فى الإسلام ففى مناسك الحج ما يؤكد هذه الصلابة ويجعلها صَخْرةً متماسكة لا تزعزعها ريح الشك لأن الإسلام هو الانقياد الممتثل لما جاء به الرسول عن ربه، ومما جاءَ به ما يرتفع عن العقول فى إدْراك حكمته كرَمْى الجمار وتقبيل الحجر مما يُحسَب فى باب الأمور التعبدية، وقد حاول كثير من العلماء افتراض علل لهذه الأشياء، ولكن العقيدة فى المعيار الخلقى ترتفع عن الشبهات فإذا اعتقد المسلم صحةَ دينه اعتقاداً لا يتطرق إليه الشك. فإن ما يخفى عليه من علّة بعضِ المناسك يدفعه إلى الإيمان المطلق بها اعترافا بقصور عقله، وانخفاض تفكيره عن مستوى الإدراك الطبيعى لعلل هذه الأشياء، والمؤمن الحقيقى هو من يقوم بهذه المناسك معتقدا حُسْنَها وأفضلّيتها، ولا عليه إذا خفيت عليه حكمتها، فقد يأتى يوم يتّضح للخلق أشياء اشتبهتْ على من قبله من السلف، ومازال العقْل لأوامر الله تلميذاً يحاول الصعود إلى مستوى التعليل والتحليل، فيصيب تارة، ويقف تارة دون الصواب، وصاحب العقيدة الصّلْبة فى مأمنٍ من كل هاجس، وهو لدى علماء الأخلاق مثال طيب للمؤمن المطمئن الذى يجد من إيمانه مرفأ تصل إليه السفينة آمنةً وادعة، ولولا قوة اليقين لزلّت قدم بعد ثبوتها، ومن هنا كان نظر الأخلاقيون للأمور التعبّدية فى الحج وفى غيره نظرا حاسما يجزم بالإذعان المطلق دون تحرج والتواء.

هذا بعض ما يقال عن النظرة التربوية للحج باعتباره هدفا حقيقيا تَعْقُبُه الراحة النفسية من ناحية ويضىء بالسلوك الطيب على صاحبه فيُصْبح أنموذجَ الرجلِ العالم ذِى النفع الطيب والسعى النبيل.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢).

---

(٢) ق (٣٧).

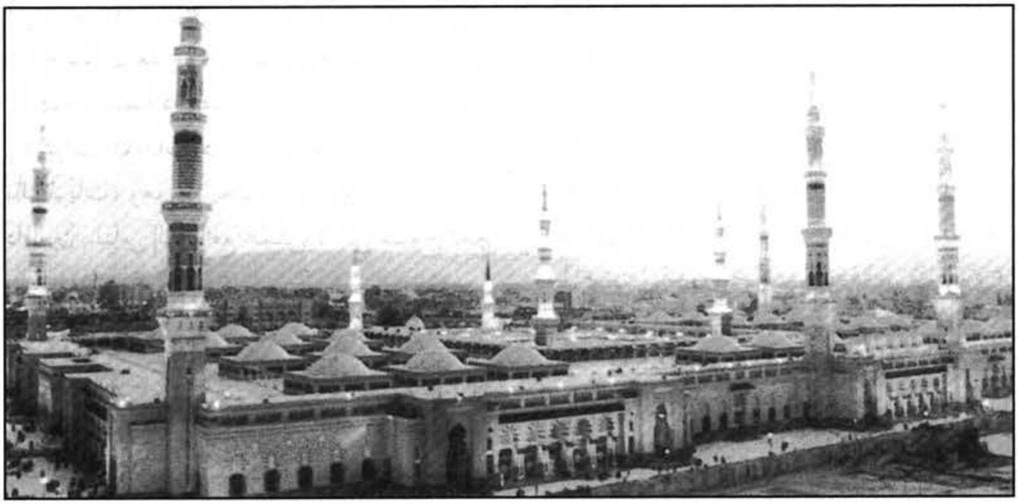

فى أرض النبوة

للأستاذ/ محمود غنيم

من وحى زيارة الشاعر للأراضى المقدسة حين حج فى عام ٦٨م، أنشد هذه القصيدة المعبرة عن عاطفته الدينية الأصيلة:

صوت من العالم العلوىِّ نادانى ... لبَّيْكَ لبَّيْكَ لاَ آنٍ، ولا وانى(١)

ما أعذَبَ الصَّوتَ! ما أَشجاه من نَغَمٍ ... سمعتُهُ بجَنانى لا بآذانى!(٢)

وكيف تسمعُهُ أُذْنٌ، ويحملهُ ... موْجُ الأَثير حروفاً وهُوَ رُوحانى؟

لبَّيْتُه بفؤادٍ ملؤه وَجَلٌ ... وصيِّبٍ من دموعِ العين هتَّان(٣)

(١) أنى أُنيا كجثى جُثيًا ورَضِى رِضَى: تأخر وأبطأ، وأن: متأخر، ووان: ضعيف متكاسل.

(٢) الجنان -بفتح الجيم-: القلب والرُّوح.

(٣) الصيب: المطر، والهتان: الغزير.

كـيف الوقـوفُ على باب الرسـول، وفي ... يدى صـحـائفُ زلأَتي وعـصـيانى؟
دارَ النُّبُـوَّة، ذنبي عنك أَبْعَـدَنى ... وحُـسْـنُ ظَنِّى بربِّى منك أدنانى
لم يَدرِ قَـدْرَكَ مَنْ فى ذات أَجنحة ... أَتى يـزورُك، أَو فى ذات سُـكَّان(٤)
هلاَّ أَتيتُك سيَّارا على قـدمى ... أَوْطَارَ من حَـرِّ شوقى بى جَناحان؟
مـا غبت عنى، وإن لم يمتلئْ بصرى ... من أَهلك الصِّيد أو من رَبْعك الغانى(٥)
قـد كنتُ أَلقاك فى لَوْحى، وفى كُتُبى ... وفى سطور أَحاديثى، وقـرآنى
مـا زلت رسمًا جميلاً فى مُخَيِّلتى ... حتى كـأَنَّا التقينا منذ أَزمان
كـأننى لستُ ضيفاً عند أَهلك، بل ... هم فى ربوعهمُ الفيحاء ضيفانى
ومـا طَرِبْتُ لِلَحْنٍ ليس يذْكُرُ لى ... مـا فيك من علمٍ، أو فيك من بان
الله يعلم كم حركت فى خلَدى ... من ذكريات، وكم هيَّجت أشجانى!
كم فى دُروبك من درب أَصَخْتُ له ... كأنه بحديث الأمس ناجانى
لى من صعيدك أَفواهٌ، وأَلسنةٌ ... بقدر ما فيه من رَمْل، وكُثْبَان
يا جيرةَ الحرَمَيْن الآمنينَ، لكُم ... أُهدى التحيَّة من رَوْح ورَيْحان
الله أَورثكم مجدا يُقرُّ به ... قبل الحبيب لسانُ الحاسد الشانى(٦)
والله شرَّف مغناكم، وشرَّفكم ... خيرُ البقاعِ أَقلَّت خيرَ سُكَّان
ما للشرابِ وردنا ماءَ زمزمكم ... بل للطهارة من رجس وأَدران
بالله، لا تُتْرعوا من مائها قدحى ... بل فاغْمروا جسدى منها بطوفان(٧)
هنا رحيق، عتيقٌ، حلّ مشربه ... فيه طهارةُ أرواح وأَبدان
هنا مفاتيحُ أَغلاق السماء، هنا ... باب الوصول إلى جنَّات رضوان
هنا بنى المصلحُ الأُميُّ جامعةً ... على أَساسَيْنِ من: علم، وعرفان
على قواعد من هدْى النُّبوَّة، لا ... على قواعدَ من صَخْر وصَفْوان
وكيف لا ورسولُ الله منشؤها؟ ... جلّ البناءُ، وجلَّ المنشىءُ البانى!
ما كان طلابُها إلا شراذمَ من ... رعاة إِبْل،، ومن عباد أَوثان

---

(٤) ذات أجنحة: كناية عن الطائرة، وذات سكان: كناية عن السفينة، والسكان: الدفة.

(٥) الصيد: جمع أصيد، وهو الشريف العظيم.

(٦) الشانى -أصلها الشانىء-: المبغض الكاره.

(٧) لا تترعوا: لا تملئوا، والقدح: الآنية.

ربَّى العتيقَ أبابكر بها ، وأبا — حفص، وربّى عليّا ، وابْنَ عفّان
طلاّبُها فى ربوع العالم انتشروا — مبشّرين بإصلاح وعمران
وسمحة من سماء الله مُنْزَلة — ومُحْكم من كلام الله ربّانى
فيها تخرّج سُوّاسُ البريّة من — أدنى المحيط إلى أقصى خُراسان
ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب؛ فما — أحسّ شعبٌ بجَوْر، أو بطغيان
سماحةٌ عُرفَ الدّينُ الحنيفُ بها — ما فرّقَتْ بين ألوان وأديان
من كلّ مِسْعَرِ حرب يوم معركةٍ — وكلّ نابغة فذّ وفنّان[٨]
أجلّهم كلّ ذى علم وفلسفة — وهابَهم كلُّ ذى جاه وسلطان
«الله أكبر» كانت سرُّ قوّتهم — على الجبابرِ من فُرْس ورومان
شاد البُداةُ حضاراتٍ بها، وبها — ثَلّوا عروشا، وسَلّوا دُرّ تيجان[٩]
لا حصنُ قيصر أغنى عنه زحفهمو — ولا احتمى منهمو كسرى بإيوان
والأمر لله، دارَ الدهر دورتهُ — فأصبح القومُ شاءً بين ذؤبان!
قد جال فى أَمْسهم فكرى؛ فأضحكَنى — وجال فى يومهم فكرى؛ فأبْكانى!!
يا ويحَ قومى! نَسُوا الله الكبيرَ، فلم — يذكرْهُم اللهُ، نسيانٌ بنسيان!
يارَبِّ، شعبُك يشكو ما أحاط به — من الخطوب، فأدركْ شعبَك العانى[١٠]
أدْركْ بلطفك شعبا غطّ فى وَسَن — على تُخوم عدوٍّ غير وَسْنان[١١]
يا سيّد الرُّسْل، لم أنْشدْك ممتدحاً — فأنت فوق مزاميرى وألحانى
وما علىَّ -إذا أنشَدْتُ- من حَرَجٍ — كمْ كنتَ تُصغِى إلى إنشاد حسّان
لمّا رأيتُ القرابينَ التى قدمَتْ — بها الوفودُ، جَعلتُ الشعر قُرْبانى
لو استطعتُ، نظمتُ الشعر من بصرى — ونور قلبى، وبعضُ الشعر نورانى
يهونُ عندىَ إن أكْسِبْ رضاك به — ما نال أحمدُ من كفٍّ ابن حَمْدان
بل دون نظرة عطف منك واحدةٍ — ملكُ السماء وملك الأرض فى آن
إلى لأَطْرُقَ بابَ المصطفى بيدٍ — بيضاءَ لم تتعوّدْ طرقَ بيبان
وأبسطُ الكفَّ أستجدى رضاه، وما — بسطتُ كفى لذى مَنٍّ وإحسان

---

(٨) مسعر حرب: موقد نارها.

(٩) البداة: جمع البادى؛ وهو من يسكن البادية.

(١٠) العانى: الأسير، أو المرهق الذى أصابه العناء.

(١١) التخوم: جمع تخم، وهو الحد بين البلاد والدول.

وأسفحُ الدمعَ سهلاً فى حماه، وكم ... كفَّتْ عن الدمع يوم الروع أجفانى(١٢)
لا أكتم الله ماأسلفْتُ من زَلَلٍ ... وهل يغطِّى عليه طولُ كتمانى؟
إذا جوارحِىَ الأَتى جَنتْ شهدتْ ... بما جنت، كان إقرارى كنكرانى
جاهدتُ، ياربِّ، أعدائى فما وهَنت ... قواى، لكن جهادُ النفس أعيانى
إنْ عدتُ من حربها الشَّعْرَاءِ منتصرًا ... حينا، فكم عدتُ أحيانا بخذْلان!
والنفسُ أفتكُ بالإنسان من سَبُعٍ ... ضارٍ، وأردَى له من ناب ثعبان
ماذا أقولُ؟ أقول الله: قدَّر لى ... إن شاء أسْعدنى، أو شاء أشقانى
أو أدَّعى أنَّ لى أمَّارةٌ أمَرتْ ... أو أن شيطانىَ الشِّرِّيرَ أغوانى(١٣)
أستغفرُ الله! ذنبى لستُ أجحدُهُ ... لكنْ على الغير يُلقى التهمةَ الجانى
يارَبِّ، إن لم تُقِلْ ذا عثرةٍ، فلِمَنْ ... ما فى جنَانكَ من حُور وولدان؟
لمن بنيْتَ جنانَ الخُلْد دانيةً ... قطوفُها، ذاتَ أشجار وأفنان؟
لذاتكَ العصمةُ الكبرى بها انفردت ... وعصمةُ الناس من زور وبهتان
وأنت أحْنَى على العاصين أنفسهم ... من كل أمٍّ رءوم، أو أب حان!
ما زاد فى ملكك الأوَّابُ خردلةً ... أو ناله المذنبُ العاصى بنُقصان(١٤)
يجنى على نفسه الجانى، ومن زَرَعَتْ ... يمينُه الخيرَ فى الدنيا هو الجانى!
ومن أكون بكَوْن أنت مُبْدعُه ... أقطرة بين أمواج وشُطْآن؟
أم ذرَّةٌ فى فضاء لا يُحسُّ بها ... لم أدر ما كُنْهُها فى العالم الفانى؟
سبحان من يعلم الأسرار أجمعها ... وسرُّه هو أعيا كلَّ إنسان!
وما أبرىءُ نفسى من جَهالتها ... جَهلى، وعلْمى بجهلى كم أراحانى
ياربِّ، إن كنتُ قد قصَّرتُ فى نُسُكى ... فما تسرَّبَ شكٌّ نحو إيمانى(١٥)
ما جاءنى فيك شيطانى يشكِّكُنى ... إلا وعاد بثوب الخزى شيطانى
وكيف لا، ورسولُ الله بيِّنتى ... وحجَّتى أنت، والقرآن برهانى؟

---

(١٢) أسفح الدمع: أرسله منهمرا، وسفح الدمع سفحا وسفوحًا: انصب، والروع: الفزع.

(١٣) النفس الأمارة: التى تأمر صاحبها بالسوء، وتزينه له، وأغواه الشيطان: استهواه، وأضله.

(١٤) الأواب: العابد، والذى يرجع إلى ربه من قريب، ولا يتمادى فى الذنوب.

(١٥) النسك: العبادة.

يارُبَّ يوم نهانى فيه خوفُك عن ... لهو، وغيرىَ يلهو بابنة الحان(١٦)

ورُبَّ يومٍ كبحتُ النفس عن عبث ... فيه، وكنتُ شَبابا بين شُبَّان

ورُبَّ معصيَة لم آتِها وَرَعًا ... والنفسُ تأمرُنى، والدينُ ينهانى(١٧)

ولا أَمُنُّ على ربِّى بطاعته ... إنى أعوذ به من كل مَنَّان

عصيانُ ربِّكَ ذنب واحد، فإذا ... يئستَ من عفوه، فالذنب ذنبان

لبَّيْكَ، يارب، لا آلُوك تلبية ... حتى تمنَّ على ذنبى بغُفران(١٨)

سيَّان: إن أقضِ، أو أرجعْ إلى وطنى ... ما دمتَ تشملُنى بالعفو،، سِيَّان

فإن أعُدْ عدتُ مغفورَ الذنوب، وإن ... أمُتْ فصحبُ رسولِ الله جيرانى

ليس التَّشبُّثُ بالأوطان من أربى ... كُلُّ البلاد -بلاد العرب- أوطانى

كَهْفٌ بأرض رسول الله أرْوَحُ لى ... من قُبَّة ضُرِبَتْ فى ظلٍّ بستان

فيم القباب على الأموات نَنْصبها؟ ... يكفى الدفينَ بجوف الأرض شبران!(١٩)

الخاملون من الأحياء كم طلبوا ... على حساب دفينٍ رِفْعَةَ الشان

لا تبتغوا المجدَ من تشييع مَيِّتكم ... أو المغالاةَ فى قبرٍ وأكفان

يا رَبِّ، قد عشتُ فى دُنياى مغترباً ... ويلاه إنْ أغْتربْ فى العالم الثانى!

حاشاك، يارَبِّ. فى أُخراى تَحْرِمُنى ... يارَبِّ، حَسْبِىَ فى دنياى حرمانى

أستغفر الله من كُفران نعمته ... بل فوق ما أَسْتحقُ الله أعطانى

ألم يجدْنى أخا غىٍّ فأرشدَنى؟ ... وهائماً غير ذى مأوىً فآوانى؟

ألم يجدْنى أخا جهلٍ فعلَّمَنى؟ ... وعائلاً غير ذى وجْدٍ فأغنانى؟

وما البكاء على الدنيا وزخرفها؟ ... شاهت ولو أنها دنيا سليمان!

وما أُبالى بما فى الكون أجمعه ... إنْ صحَّ منه الرضا عنى وأرضانى

لبيك مِلْءَ فمى، لبَّيْكَ مِلْءَ دَمى ... لبَّيْك يارب من قلبى ووِجدانى

إليك شفَّعْتُ من تُرجَى شفاعته ... يارب، إن خَفَّ يوم الحشر ميزانى

---

(١٦) ابنة الحان: كناية عن الخمر، والحانة: موضع بيعها.

(١٧) رب فى هذا البيت والبيتين قبله -للتكثير، أى أنه كان كثير الخوف، وكثير كبح النفس، وكثير الطاعة.

(١٨) لا آلوك تلبية: لا أقصر فى الإقبال عليك والاستجابة إليك.

(١٩) ينكر الشاعر أن تُنصَب القباب على الأموات أسوة بأهل السنة، وذلك مخافة أن يصاب مقدسو هذه القباب بلوثة من الوثنية.

أسرار علمية فى ألفاظ قرآنية

الذبح والنحر.. فى القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور/ عفيفى محمود عفيفى (*)

[الثراء اللفظى من أبرز ميزات اللغة العربية التى شرّفها الله بأن جعلها وعاءً لمعانى أكمل كتبه وأشملها ألا وهو القرآن المجيد.. ومن مظاهر حُسن استغلال هذا الثراء فى التعبير القرآنى: استعمال لفظين أو أكثر للدلالة على شىء واحد على التعميم ولكنه متعدد الوجوه على التخصيص. مع اختلاف الألفاظ المستعملة فى مبناها بما يتفق مع أوجه معناها.. وبهذه المقدرة المتفردة تحدى القرآن - وقت نزوله - أفصح فصحاء العرب فأعجزهم.. ثم جاءت العلوم الحديثة بعد ذلك بأكثر من ألف عام لتكشف عن المزيد من أبعاد هذا الإعجاز].

(*) الأستاذ بكلية العلوم بجامعة المنصورة والخبير البيولوجى بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

الذبح والنحر من أشباه المترادفات

والمقصود بأشباه المترادفات الألفاظ التى تشترك فى معنى عام، ولكن يندرج تحته مفاهيم خاصة لا يعبّر عن كل منها إلا واحد من أشباه المترادفات.. وفى حالتنا هذه يشترك اللفظان فى التعبير عن عملية الإجهاز على الحيوان بفصل رأسه عن بدنه عن طريق جز رقبته. والفرق الجوهرى بين الذبح والنحر هو أن الأول أوسع فى دلالته إذ أن معناه يشمل العملية بأكملها: أيّا كان الهدف منها، والأسلوب الذى تجرى به ونوع الذبيح، ولعل هذا هو السبب فى كون لفظ « ذبح » أكثر استعمالا بين الناس وأكثر ورودا فى القرآن كما يتضح من الأمثلة التى سنوردها بعد أن نضع بين يدىْ القارىء بعض الحقائق العلمية الأساسية المتعلقة بالموضوع.

معبر الحياة بين الرأس والجسد

هو العنق الذى عن طريقه تمر مقومات الحياة وهى: ١- الهواء عن طريق الحنجرة (وجزء من القصبة الهوائية فى الإبل والأوز والنعام وغيرها من طوال الأعناق).

٢- الطعام والشراب عبر البلعوم (وجزء من المرىء فى طوال الأعناق).

٣- الدم الذى يضخه القلب إلى الرأس عبر شريانين رئيسيين غائرين فى لحم العنق، ويعود عبر وريدين رئيسيَّيْن تحت الجلد مباشرة أسفل الصدغين.

٤- الإشارات العصبية الصادرة من مراكز الحركة فى الدماغ (المخ) إلى العضلات، عبر الحبل الشوكى الممتد داخل نفق يخترق سلسلة الفقرات.

(مع ملاحظة أن هذه الممرات قد ذكرت بترتيب وضعها فى العنق بدءاً من السطح الأمامى إذا كان العنق قائما وهو نفسه السطح البطنى إذا كان العنق أفقيا).

نهر يجرى بأسباب البقاء والفناء

هو الدم: ذلك السائل النفيس الذى ينساب فى عروق كل فرد حىّ - إنسانا كان أم حيوانا - ويتغلغل فى أعضائه وأحشائه حاملا معه الأكسجين والغذاء وغيرهما من المواد النافعة، لتأخذ كل خلية ما تحتاج إليه لمزاولة نشاطهما الحيوى، وفى اللحظة ذاتها تلفظ فى تياره ما تولّد فيها - نتيجة لهذا النشاط - من مواد ضارة، فيحملها إلى أعضاء الإخراج لتستخلصها منه وتطرد أولا بأول خارج الجسم.

وفى تيار الدم تسبح ملايين الخلايا التى تقتل الميكروبات الضارة التى قد تتسلل إليه، وتلتهمها وتحلل مادتها.. وهكذا يمكن القول باختصار شديد - أن الدم يغذو كل خلايا الجسم ويرويها ويغلسها ويحميها (مادام متجدد التيار دوَّارا فى حنايا جسم حىّ».

وأن الدم والحياة قرينان متلازمان إن توقف أحدهما توقف الآخر فورا.

وتوقف الدم معناه تراكم المواد الضارة فيه، وموت خلاياه يفسح الساحة للميكروبات كي تغتذى بمادته وخلاياه الميتة وتتكاثر بسرعة فائقة منتجة ملايين متضاعفة تفرز سمومها لتضاف إلى ما فى الدم أصلا من سموم داخلية، وبهذا يتحول من نهر يحمل فى تياره كل أسباب الحياة إلى مستنقع فاسد يعج بكل أسباب الهلاك (ولعل هذا هو أحد الوجوه الظاهرة لحكمة الإسلام فى تحريم الدم والميتة كطعام، وهى قضية تحتاج إلى دراسة مستقلة).

آيات ورد فيها لفظ «ذبح»

ورد لفظ «ذبح» ومشتقاته فى مواضع عديدة من القرآن الكريم نكتفى بإيراد بعضها كأمثلة تعين على فهم مختلف وجوه القضية التى بين أيدينا.

● الآية ٤٩ من سورة البقرة:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾

الذبيح فى هذه الآية بشر، والهدف من الذبح هو قطع دابر بنى إسرائيل قبل أن يخرج من ذريتهم نبى يهدى آل فرعون إلى الله الواحد فيحرم فرعون من ربوبيته المزعومة.

● الآية ٦٧ من سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾

والذبيح هنا حيوان من الأنعام، ولكن الهدف من الذبح هو اختبار صدق إيمان أتباع موسى وإتيانهم بمعجزة حسية وهى إحياء قتيل بضربه بجزء من بقرة فارقتها الحياة على أيديهم، ليقوم ويدلهم على قاتله (وهذا وارد فى الآية ٧٣ من نفس السورة).

● الآية ٢١ من سورة النمل:

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾.

والمستهدف بالذبح هنا نوع من الطير وهو الهدهد، والهدف من الذبح هو عقابه على تهمة ظنّية هى غيابه بدون إذن من مجلس نبى الله سليمان ـ عليه السلام.

● الآية ١٠٢ من سورة الصافات:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾

الذبيح هنا بشر وهو فلذة كبد المأمور بالذبح، والهدف ذو شقين: الأول هو الابتلاء كما هو واضح من الآية ١٠٦:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾، والشق الثانى هو سن القربان كشعيرة إسلامية تبقى لآخر الزمان، وهذا واضح فى الآية التالية مباشرة:

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

* ولعل هذه الأمثلة القليلة كافية لتوضيح

أن معنى الذبح يشمل اختلاف نوع الذبيحة والهدف من الذبح؛ أما عن الطريقة التى تم بها فليس بين أيدينا ما ينم عنها إلا فى الحالة الأخيرة، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى فى الآية ١٠٣ من نفس السورة:

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾.. التى يقول المفسرون إن الذبيح كان مُكِباً بوجهه فى حجر الذابح حتى لا تلتقى أبصارهما فتأخذ الأب الشفقة بولده فتثنيه عن تنفيذ أمر ربه.

لفظ «نحر» فى القرآن

* لم يرد لفظ «نحر» ومشتقاته فى القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وذلك فى الآية الثانية من سورة الكوثر حيث يقول سبحانه:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾.

ولعل هذه الندرة تتفق مع ما يتميز به النحر عن الذبح من وحدة الموضوع ومحدودية الهدف والأسلوب كما قد يتضح من الفقرات التالية.

والنحر - فى الأصل - مكان فى قمة التجويف الصدرى لكل ذى عنق من الفقاريات، وهو ملتقى الترقوتيْن أسفل الحنجرة بمسافة تتناسب مع طول العنق.. وبتعبير معاصر هو معقد ربطة العنق (الكرافتة) حيث تتكون فجوة يكسوها جلد رقيق يهبط فيها مع الضغط الخفيف فيما يشبه النقرة الصغيرة التى يمكن تحسُّس أبعادها وحدودها، ويسهل النفاذ إليها باختراق الجلد.. وهذه المعلومة قد لاحظها من قديم الزمان رعاة الغنم فاتخذوا هذا الموضع منفذا سهلا للسكين عند ذبح الشاة؛ ومن هنا أطلق العرب لفظ المكان على الفعل نفسه فقالوا: «نحر الشاة نحرا أى ذبحها من نحرها.

● وتأسيساً على ذلك يمكن الاطمئنان إلى القول بأن النحّر هو الخطوة الأولى فى عملية الذبح إن استهدفنا إتمام هذه العملية فى سهولة على الذابح ورفق بالذبيحة، إذ إن السكين تمر بخفة وسرعة بين الترقوتين. لتشق طريقا ممهدا بين غضاريف القصبة الهوائية والحنجرة، ومع تحريك السكين يمينا وشمالاً تقطع الوريدين العنقيّيْن فينبثق منهما الدم بقوة الضخ الصادرة من القلب الواقع على هذا السطح من الجسم قريبا من موضع النحر. أما إذا بدأ الذبح من جهة القفا فالسكين تحز فى جلد سميك تحته طبقة من اللحم، ثم تصطدم بالهيكل العظمى لإحدى فقرات العنق، فإن تحاشاها الذابح دخلت السكين بين فقرتين لتعالج تمزيق قرص ليفىّ شديد المقاومة.. كل هذا قبل أن تصل السكين إلى الوريدين العَنقيّيْن.. وفى هذا ما فيه من عناء وتعذيب للذبيحة.. وحتى فى المجازر الآلية حيث تتوفر الأسلحة البتارة (وهذا

شائع فى كل البلاد التى لا تدين بالإسلام) فإن هذه الطريقة تخفق فى تحقيق هدف آخر يحرص عليه الإسلام ولا تتحقق إلا بالنحر.. ألا وهو « تذكية الذبيحة » واليكم بيان ذلك.

النحر ضرورى لتذكية لحم الذبيحة

* النسيج العضلى - وهو ما نسمّيه لحما - من أغنى أجزاء الجسم بالشعيرات الدموية، وهذا من متطلبات نشاطه الحركى، ويظل الدم متجددا فى أنسجة الجسم مادامت الحياة لأن تياره يظل متدفقا بفعل القوة الدافعة التى هى جماع تضافر عاملين هما: نبض القلب وتقلّص الألياف العضلية، ولكن بعد الذبح يضعف تيار الدم سريعا نتيجة لتلاشى القوة الدافعة، وبهذا يبقى بين الألياف العضلية بعض الدم الذى تحوّل من مادة نافعة إلى مادة ضارة يجب تنقية اللحم منها ليحلّ أكله، وهذا من أركان التذكية المنصوص عليها فى الآية الثالثة من سورة المائدة.

* ومن الثابت علميا أن تقلص الألياف العضلية يتم وفقاً لإشارات عصبية واردة من مركز الحركة فى الدماغ (المخ)، تسرى منه عبر الحبل الشوكى الذى ذكرناه ضمن الممرات الحيوية الممتدة فى العنق، وأى خدش للحبل الشوكى يؤدى إلى عدم وصول هذه الإشارات إلى الألياف العضلية بالقوة الكافية لحفزها على التقلص.. وهذا أمر لا يمكن تحاشيه لو تم الذبح من القفا حيث يكون الحبل الشوكى أول ما تجزه السكين بعد نفاذها من بين الفقرات.. وبهذا يحتبس الدم الفاسد فى العروق وما أكثرها فى ثنايا اللحم.

* أما فى حالة النحر - أى بدء الذبح من ناحية الصدر - فإن أول ما يقطع بعد الجلد هو الوريدان العنقيان، وبهذا ينبثق أغلب الدم من خلالهما بالقوة الدافعة المذكورة حتى يتخلص الجسم من معظمه، ولكى يتم التخلص من بقاياه فى الشعيرات التى تتخلل اللحم على الذابح أن يرفع السكين بمجرد قطع الوريدين، ليظل الحبل الشوكى سليماً وموصلاً جيداً للسيالات العصبية، وبهذا يستمر تقلص الألياف العضلية (حتى بعد توقف القلب عن النبض)، ويعمل هذا التقلص على « اعتصار » الدم من الشعيرات، وهذا يمكن مشاهدته بعد سلخ الشاة فى شكل ارتعاشات يلى الجلد من لحم، وهو فى الطيور أكثر وضوحا حيث تظل الدجاجة تقفز عدة مرات إلى أن يموت الدماغ وتتوقف السيالات العصبية المحركة.. وهنا فقط يمكن إكمال الذبح بفصل رأس الذبيحة عن جسمها مع ذكر اسم الله كى تتم تزكيتها بشرع الله ويصبح لحماً حلالاً طيباً.

بين
إعلان حراء وإعلان عرفات

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

بدأت الرسالة المحمدية على جبل، وتمت على جبل، فعلى جبل النور حيث غار حراء بمكة المكرمة التقى أمين السماء جبريل - عليه السلام - وأمين الأرض محمد ﷺ اللقاء الأول ليوحى إليه إرادة الحق - عز وجل - أن يحمل مشعل الهداية للخلق على حين فترة من الرسل بعد أن حنّ البشر إلى غواياتهم فاستأنفوا أباطيلهم فى القول والفعل، وسدروا فى غيهم يعمهون.

وعلى جبل الرحمة عند الصخرات الكبار فى ساحة عرفات المباركة أثناء الحجة المعروفة بحجة الوداع أو «حجة الإسلام» التقى الأمين السماوى مع الأمين المحمدى مرة أخرى ليعلن إليه وإلى بنى الإنسان جميعاً فى كل زمان ومكان أن الله - سبحانه وتعالى - قد أكمل للناس دينهم وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الإسلام دينا خاتما جامعا لكل خير مانعاً من كل سوء

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١).

لماذا الجبل؟

ومما يلفت التأمل هنا أن تبدأ الرسالة الخاتمة على جبل وتكمل على جبل، ولانقول تنتهى، لأن رسالة محمد ﷺ لاتنتهى حتى بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وإنما تستمر وتتواصل على أيدى أمة المسلمين طالما أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وحتى تستحق هذه الأمة وصف العليم الحكيم

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٢).

---

(١) المائدة - الآية ٣.

(٢) آل عمران الآية ١١٠.

نقـول: إنه مما يلفت التـأمل أن الرسـالة المحمدية الهادية قد بدأت على جبل وكملت على جبل. فهل حدث هذا - والله بحكمته أعلم - لأن الجبل هو رمز التميز والرفعة والسمو ومن هنا جاءت الإشارة إلى تميز هذه الرسالة ورفعتها وسموها؟.

أم إن هذا يرجع إلى فطرية الجبل ونقاوته وطهارته التى لم يقربها العامل البشرى بعد، ومن هنا جاءت الإشارة إلى فطرة هذا الدين النقى الطاهر الذى لاينبغى أن يتناوله البشر بالتغيير والتبديل:

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾(٣)

حتى ترك النبى ﷺ أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، أم إن هذا يشير إلى صمود الجبال كأوتاد فى الأرض:

﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾(٤) تعمل على توازن الأرض واستقرارها مما يوحى بأن الإسلام هو الرسالة الصامدة عبر الزمان والتى تعمل على توازن قوى الإنسان واستقرار المجتمع البشرى والتمكين له فى الأرض.

وهى على كل حال مسألة مثيرة للتأمل الإيمانى شأنها شأن الإعجازات السماوية، والإشارات الإلهية التى لا تعد ولاتحصى، ولايبلغ التأويل مداها لأنها أمور مرتبطة بالإرادة الإلهية المطلقة اللامحدودة فأنى للفكر البشرى النسبى المحدود أن يبلغ مغزاها .. وكيف يحيط العبد القاصر بحكمة الرب القادر؟ وسبحان الله عما يصفون.

احتفالات تقليدية موسمية ليس إلا

وكلما أقبلت ليلة السابع والعشرين من رمضان فى كل عام وهى الليلة المرجحة بليلة القدر، ليلة (إعلان حراء) حيث بداية نزول القرآن الكريم على سيد الخلق عليه الصلاة والسلام. وكذلك كلما أتى موسم الحج رأينا صفحات الكتب والصحف وموجات المذاييع وقنوات التلفازات تزدحم بالأقوال المكررة التى قلما تأتى بجديد أو تجود بمفيد وذلك فى احتفالات تقليدية موسمية ليس إلا!!

هذا إلى ابتداع البعض إضافة بعض الأوصاف للحج ومنها (الحج الممتاز) و(الحج السريع)، و(الحج السياحى) تمشيا مع الطفرات الاقتصادية المحمومة لدى البعض الذين يجدون مالا ينفقون، بينما الحج كما قضى الإسلام هو فقط (الحج المبرور) إن برىء من الرفث والفسوق والجدال.

أين معايشة الدين؟

وإذا كان من المطلوب والمرغوب نشر الوعى لدى المسلمين الذين صحت لديهم نية أداء فريضة الحج وشرعوا فى أدائها فإن هذا

(٣) الروم - الآية ٣٠.

(٤) النبأ - الآية ٧.

لاينسينا أن نحاول معايشة ديننا الحنيف بفكرنا ووجداننا وسلوكنا فى مسيرته المضيئة الباهرة بين موقف ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ وبين موقف ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾، فلكم كانت هذه المسيرة حافلة بالجهاد الأكبر وبالجهاد والأصغر جميعا، وكم كانت غنية بالقيم المثلى، والمثل العليا، وكم كانت زاخرة بالمواقف الرائدة من خيرة الرجال والنساء والولدان، وذلك كله فى إطار البلاغ الذى تحمله محمد ﷺ للعالمين فى صبر واحتمال، وأمانة واقتدار صادعا بما يؤمر طيلة ثلاثة وعشرين عاماً هى طاقة النور الباهر التى لم تزل تشع على الوجود وستظل مادامت السموات والأرض:

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٥).

بين القراءة والاستقراء

وعندما تستشرف أرواحنا الأمر الإلهى ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ فإننا نتذكر اللفظ المشتق من القراءة وهو (الاستقراء) الذى يطلق اليوم على المنهج العلمى أو التجريبى حتى سمى هذا المنهج أحيانا (بالمنهج الاستقرائى) لأنه يشير إلى فحص الجزئيات (بالتجربة) لاستنتاج الكليات (القوانين) كما يسير القارئ من الحروف إلى الكلمات ثم إلى العبارات وهكذا.

ولعلنا هنا - والله دائماً أعلم بمراده - نحس بأن (القراءة) التى بدأ القرآن الكريم بالحض عليها لايقصد بها فقط عكس (الأمية الأبجدية). وإنما هى تتسع لاستقراء الكون والنظر فيه لنفع الإنسان وتعميق الإيمان، وقد تعرضت آيات قرآنية كثيرة لهذا المعنى لدفع الإنسان إلى البحث والتنقيب، حتى لقد كلف بعض العلماء بأن يدعوا دائما إلى (قراءة الكون) فى استزادة واعية، واستفادة شافية.

كما توفرت الأحاديث النبوية الشريفة التى تستثير فى عقول المسلمين الرغبة الدافعة إلى طلب العلم ولو فى الصين، ومن المهد إلى اللحد.

ومن هنا لم تكن الدعوة الإسلامية منذ بزوغها على (غار حراء) تدعو لتقوقع المسلمين وانطوائهم وبعدهم عن استنطاق الطبيعة والأرض التى جعلها الله ذلولاً للإنسان الذى - هو منذ خلقه - وجد ليكون خليفة فى الأرض يمشى فى مناكبها ويستكنه أسرارها، ويكتشف خباياها.

ومن هنا كان البحث فى مخلوقات الله ضرباً من العبادة وصورة من صور الإيمان، ولهذا نرى أن كثيراً ممن فتح الله عليهم مغاليق المعرفة والعلم من مشاهير العلماء المسلمين الأوائل كانوا يعبدون الله فى أبحاثهم ويتقونه فى اكتشافاتهم

(٥) الحجر - الآية ٩.

واختراعاتهم ويرجون من وراء نشاطهم العلمى (الاستقرائى) عفو الله ورضوانه لأنه هو الذى أمرهم بالبحث فى مخلوقاته فأطاعوه فى خشية وامتثال. ولأنهم لم يريدوا أن يكونوا علماء صاروا بفضل الله علماء.

علماء رواد

ولنا فى سيرة جابر بن حيان صاحب علم الكيمياء وابن سينا صاحب علم الطب، والحسن بن الهيثم صاحب علم البصريات وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية بعض مايشفى غلة الراغبين فى معرفة أن العقيدة الصادقة كانت دائما وراء التقدم العلمى عند المسلمين.

حتى إذا اختلطت الأمور بين حركات المستشرقين والمستغربين وجدنا أن هذه المعانى تذهب فى معظمها أدراج الرياح ولاسيما فى المناهج التعليمية أو فى الوسائل الإعلامية والثقافية التى تتحمل مسئولية التثقيف «والتنوير».

إلى عرفات الله

ولئن عبرنا فى عجالة من بداية الدعوة الإسلامية الرائدة إلى اكتمالها فلننظر ببصائرنا دون أبصارنا إلى جوار الصخرات الكبار عند سفح جبل الرحمة فى رحاب عرفات، ولنستمع فى ذلك اليوم (الجمعة) بكل كياناتنا إلى صدى الصوت المحمدى الكريم الذى لاينطق عن الهوى وهو يهيب بالعالمين فى كل زمان ومكان عبر هذه الأفواج السابقة إلى الإسلام والتى كانت هى خط الدفاع الأول عنه والتى تحملت عنا وعن كل الأجيال آلام المعاناة والتضحية بالنفس والمال والولد لتصل إلينا نعمة الإسلام سهلة هنيئة لعلنا نعرف لها قدرها ونحفظ لها دورها فى هداية العالمين.

الإعلان الحق

عبر هذه الأفواج والآلاف المؤلفة من الصحابة الأبرار يعلن محمد ﷺ أول إعلان

لحقوق الإنسان تدوى أصداؤه فى كل الوجود كى يتدبر الناس ويعملوا لخير الانسانية جمعاء، وذلك قبل أن يدعى المدعون « وضع » حقوق الإنسان التى كثيراً ما خضعت للتغيير والتبديل وفق الأهواء والأغراض حتى صارت « حقوقهم » حقوقاً وغنماً للأقوياء، وواجبات وغرما على الضعفاء والمستضعفين، ولك أن تصنف مسلمى هذا العصر ضمن أى الفريقين وفق ما ينطق به الواقع المرير.

وتتناقل أجواء عرفات بنود الإعلان « الأبدى » وليس مجرد « العالمى » لحقوق الإنسان الذى يعلنه محمد ﷺ للبشر كافة بقوله: « أيها الناس » وليس « أيها المسلمون »، وما أعظم هذا الدين الحنيف الذى يخاطب الناس جميعاً دون تفرقة فى الحقوق بين إنسان وآخر.

ثم يستهل الصادق الأمين بيانه بالتأكيد على حرمة الدم الإنسانى ومال الغير وعلى أن الأمانة ينبغى أن تؤدى إلى أهلها وأن ربا الجاهلية ودم الجاهلية، كل هذا موضوع وتتجلى الأسوة المحمدية الحسنة هنا فى التنبية إلى أن ربا « العباس » عم محمد أول ما يوضع من الربا وأن دم عامر بن ربيعة بن الحارث « بن عبدالمطلب » أول ما يوضع من الدم.. فلا قرابة ولا « محسوبية » فى الحق.. ثم ينص الإعلان المحمدى على أن المزايا الطبقية مرفوضة حين يقول: « وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ».

وإعلان عرفات يقدر الوقت وينظم علاقات الناس من خلاله، فيحرم النسىء. ويقرر ما جاء فى كتاب الله ـ عز وجل ـ:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾(٦).

ويفسر الرسول ﷺ هذه الأشهر الحرم بأنها ثلاثة متواليات وواحد فرد: « ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جماد وشعبان ».

المـــرأة بلا مزايـــدات

وحاشا لنبى البشرية ألا يذكر المرأة وخاصة حريتها بوجهيها: الحقوق والواجبات.. وهى الحرية التى عبث بها العابثون وأكثروا حولها المزايدات والمناقصات.. فلله درك يا محمد عندما تعلن فى عدالة ووضوح « أيها الناس. إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً » ثم يحدد الالتزامات الأخلاقية التى ينبغى أن يلتزم بها الرجال والنساء فى علاقاتهم الزوجية.

ويؤكد (إعلان عرفات) بعد ذلك على أن هذه الحقوق الإنسانية جميعها تنبع من الإيمان بإله واحد، وأن الجميع أمام الله سواء

(٦) التوبة ـ الآية ٣٦.

أكرمهم عند الله أتقاهم، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى.

وغير هذا وذاك من النصوص التى ينبغى أن تنشر على الناس فى هذا الزمان الذى نسى الإنسان فيه نفسه وغفل عن الدور المنوط به فى الحياة.

وحبذا لو أدرجت هذه المعانى السامية والهادفة ضمن النصوص المدرسية والجامعية، وخصصت لها الدراسات اللائقة التى تضىء أمام الإنسان المعاصر طريق الفلاح والرشاد فى حركة الحياة.

أما بعد:

فالحديث عن ليلة القدر ينبغى أن يرصع بالإيحاءات الإيمانية والعلمية التى توحيها الآية الكريمة ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ كما أن الحديث عن الحج ينبغى أن يتحلى بالمعانى التى جاءت فى حجة الوداع حيث أحس النبى ﷺ بأنها قد تكون آخر ملتقى له مع الناس فى عرفات (أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا (والبلد هنا مكة المكرمة) .. ومعنى هذا أن ماذكر محمد فى هذا اللقاء هو خلاصة التجربة، وعصارة الرحيق، وجوهر الحكمة فى الوحى والإلهام.

وماكان أحرص النبى ﷺ أثناء إلقائه بيانه الهادى الخاتم على أن يشهد ربه مراراً بين فقرات هذا البيان على أنه قد بلغ ما أمره الله به فيكرر ﷺ طيلة الخطبة (ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد) راجياً أن يكون قد بلغ رسالة ربه استجابة لقوله ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾(٧).

وعندما أجاب الحجيج (نعم) قال ﷺ : (فليبلغ الشاهد الغائب).

وفى هذه العبارة الأخيرة تقع مسئوليتنا ومسئولية الأجيال المسلمة القادمة جميعاً فى تلقى هذه التعليمات المحمدية وفى تبليغها للآخرين.

ولما كان دور محمد ﷺ محدداً بأن يكون الأسوة الحسنة للبشر جميعاً منذ ولادته حتى اختاره الله ـ عز وجل ـ إلى جواره فقد شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ ألا يحج إلا مرة واحدة يبين للناس فيها مناسك الحج (خذوا عنى مناسككم) لكى نعلم نحن أن حجة واحدة نقية خالصة كافية لأداء الفريضة.

فلله ما أحوجنا – مسلمى هذا العصر وكل عصر – إلى التأمل العميق والعمل الجاد الدءوب وفق ما تلقينا من مسيرة الهدى منذ (إعلان حراء) حتى (إعلان عرفات).

والله – من قبل ومن بعد – ولى التوفيق.

---

(٧) المائدة – الآية ٦٧.

الجبل

للأستاذ الدكتور / صابر عبد الدايم يونس (*)

أنَّى أسـيـر يضـمنى الجبـلُ ** فكأننى فى الصخر أرتحلُ
مـن كـل زاوية .. ملامُحُه ** تبْدو ... وفى الأجواء تنْتقلُ
فكأنه عيْنُ الوجود.. إلى ** قلب الخفايا لَمْحُها يصلُ
حمل العصورَ الشُّمَّ كاهلُهُ ** وهو الفتىُّ .. وليس يكْتهلُ
متجهمٌ .. جرْداءُ قمتُه ** لكنه بالخير يشْتعلُ

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق وعضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر.

مُدَّتْ إلى الغيمات راحتُه ** فإذا بجُرْح الكون يَنْدمِلُ
وإذا العوالمُ من بُحَيْرته ** يُسْقَوْن فَيْضَ العزِّ إذْ نهلُوا
قَدَمُ الرضيع تَهُز جَبْهتَهُ ** فإذا به للطفلِ ... يَمْتثلُ
وإذا بعين الحُبِّ مشرقةُ ** والأم يهجر قلبَها الوجَلُ
وإذا الطيور على مباسمها ** تضْوى الأغانى وهىْ ترتجلُ
وإذا الوجود الطفل تحضنه ** أم القرى .. ويكبِّرُ الجبلُ
أنشودة التوحيد منْطقُه ** وعليه من لألائها حُللُ
دعواتُ إبراهيم صاعدةٌ ** فإذا الصَّحَارَى وجْهُها خضلُ
وحراءُ نبعٌ فى تماوجه ** الأرض بالعلياء تتَّصلُ
صخْرٌ ومنه تفجرت شهب ** ولها بكل منارة شعَلُ!!!
إقرأْ .. تعالى اللّه قائلها ** فإذا الجبال الصمُّ تبْتَهلُ
وكأنّ زمزمَ منْهُ قدْ سُقِيَتْ ** والعالمون ليسرِّها ارْتحلوا
فهْى الأمان لأمَّةٍ غرقت ** ولكل مَنْ ضاقَتْ به السُّبلُ
والأمَّةُ الحَيْرى .. ممزَّقةً ** تسْعَى .. ولكنْ سَعْيُها فشَلُ!!!
لم تصْفُ أنْهارُ الحياة بها ** فحقولها ينمْو بها الكللُ!!!
ما شادَهُ الأمجاد قدْ وأدتْ ** وبدَتْ كأنَّ جديدَها طللُ
جبلان تسعى الدَّهرَ بينهما ** لمْ تدرِ .. كيف السَّعْىُ والعملُ!!!
والأمنياتُ إلى منىً سبقتْ ** والقلب تسبق نبْضَه المقَلُ
فهنا الجبال تخلَّقتْ شرراً ** فهل الرَّماةُ فسادَهُمْ قتلوا؟!!!

هل يرْجمون الإثم فى زمن ** الآثمون به .. همُ المثَلُ؟!!!
أم يرجمون الكفر فى زمنٍ ** الكافرون: سيوفهم صَقلوا؟!!!
أم يرجمون الخُلْفَ بينَهمُ ** وقلوبُهُمْ .. تغْلى .. وتَقْتَتلُ!!!
صاروا قبائل ما وعَتْ نسباً ** بدم الشهيد تظلّ تغتسلُ!!!
هذى حدودُهمُ .. قد اشتعلتْ ** والنار شيطان له حِيَلُ!!!
هل يرجمون الجوع فى غدهمْ؟ ** والسارقون لكنْزهم وصلوا!!!
أم يرجمون الحقد بينهمُ؟ ** والحاقدون بذاتهمْ دخلوا!!!
أم يرجمون الجدْب فى زمنٍ؟ ** المجدبونَ همُ .. وقدْ كسلوا!!!
لم يقطفوا الأسْرار إذْ بزغتْ ** توحى إليهمْ ... أنّهم رَجُلُ
عَرَفَاتُ .. عرَّفَهمْ مسالكهمْ ** فالكل .. قلب صارمٌ .. وَجلُ
رحَمُ الوجود هنا .. قد ائتلفتْ ** والرحمة الكبرى هنا جَبَلُ
وهنا خطى المختار قد خَطَرتْ ** فاخضرَّ فى أرواحنا الأمَلُ
وهَجُ الوداع .. حروفُه ألقُ ** أحْيا الوجودَ .. فما به عِللُ
من كل فجٍّ أقبلتْ زُمَرٌ ** وقلوبها .. للّه تمْتَثلُ
لبَّتْ نداء الحق ضارعةً ** فسمت وعنْها قدْ نأى الزللُ
الطائفون .. الراكعون همُ ** ليْسُوا بغير اللّه قد شغلوا
ألِفُوا بظلِّ البيت أمْنَهمُ ** فسقَتْهُ من أشواقهمْ قُبَلُ
وإذا الوجود الطفل تحضنُه ** أمُّ القرى .. ويُكبِّر الجبلُ
أنشودة التوحيد منطقُهُ ** وعليه منْ لألائها حُلل

كتاب الشهر

حوار الحضارات

تأليف

رجاء جارودى

تعريب

د. عادل العوا

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

رجاء جارودى

استطاع المفكر والفيلسوف رجاء جارودى - من فوق الأعراف بين الشرق والغرب - أن يبصر واقع الغرب فى غروره، وافتتانه بقوته العسكرية والاقتصادية، وأن يوجه صيحته الموقظة الناصحة إلى الغربيين من أبناء أمته، ليطلعهم على هذا الواقع المشين، ويبين له ما حصله من سياحاته البحثية فوق ذرى العالم؛ من أن منابع الغرب (الإغريقية، والرومانية والمسيحية) إنما ولدت فى آسيا وإفريقية، وأن عصر النهضة الأوروبية قد هدم حضارات أسمى من حضارات الغرب باعتبار علاقات الإنسان بالطبيعة وبالمجتمع وبالله. وأن الغربيين لذلك يعيشون فى وهم كاذب، مفاده: «أن الغرب بدء مطلق» بعد أن شوهوا ما استمدوه من الشرق.

كما يبين للغربيين - من الأحداث الواقعية - أن عدم إمكان حوار حقيقى بين حضارة الغرب الحديثة وحضارات العالم الثالث يرجع إلى أن نمو الغرب يقوم على نهب ثروات (آسيا - وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية)، وإلى حرص الغربيين على جعل العالم الثالث متخلفا.

ويوضح لهم أن الغربيين - بتلك المواقف المتعصبة - قد أضاعوا فرصا كثيرة كانت كفيلة بإقبالهم مبكراً على التحاور البناء مع تلك الحضارات الإنسانية السابقة، وبالتالى.. كانت كفيلة بأن تكلل الجهود بالنجاح فى الوصول إلى حضارة عصرية إنسانية.

فالغربيون المعاصرون - باعتمادهم على المصادر التاريخية المزيفة - هم الذين رفضوا التحاور البناء مع الحضارات الشرقية اغتراراً بأنفسهم، واستسلاما لمقررات وهمية - كما كان عليه حال أسلافهم - فرضت عليهم هذا الجهل الفتاك الذى استبد بهم كما استبد بآبائهم من قبل على مدى هذه القرون الممتدة.

ويلفت الأنظار إلى مايوحى بالتفاؤل فى سلوك بعض الغربيين وتفكيرهم، حيث أخذ بعض الفلاسفة والمفكرين والفنانين ينفتحون على العالم غير الغربى منذ القرن الثامن عشر.

فى الطريق إلى اللقاء الجديد

وفى الفصل الخامس من الكتاب (المشروع الكونى) يذكر المؤلف أن اللقاء الجاد المثمر بين الحضارات يحتاج إلى الوقوف على شروطه، ووسائل تيسيره، والفوائد الإنسانية المرتقبة من وراء تحققه.

ويذكر أن الوقوف على هذا وذاك يتطلب منا أن نتأمل اللقاءات السابقة المختلفة بين الحضارات؛ كى نستمد منها هذا الزاد الحاضر.

وفى هذه السياحة التأملية جاب مواطن الحضارة فى أفريقية، وفى الهند، وأمريكا اللاتينية، والصين، مقررا: أنه لا توجد حضارة منعزلة فى جزيرة، وأن الحضارة منذ أولى

خطواتها تتألف من شبكة انتشار كلى، وأن حوار حضارات حقيقيا قد يساعد على تحقيق الوعد بوحدة الإنسان، وهو كائن يولد دوما، وينمو دائما فى ماضيه وفى مستقبله.

ومقرراً: أن الحوار بين طرفين يفترض أن يكون كل طرف مقتنعا بأن ثمة شيئا يتعلمه من الطرف الآخر، وأن مجتمع اللاعنف لا يمكن أن يقام بالعنف.

وفى ظل هذه المقررات رأى أن شروط إمكان هذا اللقاء الجاد المثمر بين الحضارات تجمل فى أربعة شروط هى:

١ـ إبراز النقاط التى يتقارب فيها الطرفان: لأن كل تفجير ثقافى لابد من أن يسبق بتعبئة، أى بتقارب الروافد الثقافية المتعددة فى نقطة متميزة.

٢ـ التجرد من سيطرة (الأنا) حتى تخلص الرؤية من آثار المصائب العظمى التى أصيب بها التاريخ المكتوب، لأن من كتب هذا التاريخ إنما هم المنتصرون الذين أرادوا دائما البرهان على أن سيطرتهم واستبدادهم بالآخر كان ضرورة تاريخية، فرضها تفوقهم الثقافى والحضارى؛ إذ التفوق التقنى والعسكرى الذى تمكنوا به من السيطرة والاستبداد لم يكن ينطوى ـ فى أغلب الأحيان ـ على تفوق الثقافة، ولا على مشروع إنسانى يحلم به المنتصرون، بل إن الغزوات الكبرى التى قامت بها أوروبا فى أفريقية وآسيا لم تكن إلا وسائل هدم وتخريب للقيم الثقافية العليا.

٣ـ انتزاع جبرية التاريخ، على معنى: أن اللقاء بين الحضارات لايكون جاداً مثمراً فى ظل تاريخ مزيف لتبرير سلوك أحد الطرفين؛ فلابد لنا من أن نبحث عن الأبعاد التى فقدها الإنسان خلال فرص التاريخ المفقودة لنعيد غزوها؛ إذ التاريخ الشامل الخالى من الزيف لايمكن أن يكون إلا تاريخ الإمكانات البشرية، تنعكس على صفحته كل الآثار الإنسانية العظيمة، فكل أثر إنسانى عظيم أيا كان ميدانه لم يكن البتة مجرد انعكاس واقع، بل إنه أنموذج ـ أو مشروع ـ لعالم ينبغى تحويله كى يخلق نظاماً لما يوجد بعد.

٤ـ اعتبار التاريخ سلسلة من الحوادث متواصلة نامية، وليس سلسلة حوادث وحيدة البعد، مترابطة بحتمية قدر قاهر، فلابد من أن تَمثُل قراءة التاريخ فى اعتباره لانهاية إمكانات ذاخرة ومتبرعمة.

أى إن الحوار الحقيقى بين الحضارات لايصح إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر، والثقافة الأخرى جزءا من ذاتي، يعمر كيانى، ويكشف لى عما يعوزنى؛ إذ الإنسان لايحل المشكلات التى يضطلع بمسئوليتها إلا بلقاء جديد، وبحوار مع ضروب الحكمة والتمرد القائمة فى آسيا وأفريقية والبلدان الإسلامية، وأميريكا اللاتينية، فبذلك النهج وحده يمكننا التوصل إلى أن نتصور علاقات جديدة بين البشر والطبيعة، ونحيا هذه العلاقات، بدلاً من قيام العلاقات على أساس التفوق التقنى، ومايستتبعه من غزو تسلطى.

الوسائل التى تقود إلى الحوار مع الآخر

وأما وسائل تيسير هذا اللقاء فيجملها المؤلف فى ثلاث وسائل هى:

١ـ الإيمان بأن دراسة الحضارات اللاغربية ذات أهمية تعادل دراسة الثقافة الغربية على أقل تقدير؛ إذ لايستطيع الإنسان أن يتخصص فى

ميدان إذا كان قد أوقف نفسه على دراسته فى بقعة دون أخرى.

وقدم المؤلف نفسه مثلا يوضح ذلك، فقد حاز درجة التخرج فى الفلسفة، واجتاز جميع الامتحانات، دون أن يعرف كلمة واحدة عن فلسفة الهند، والصين والإسلام، وماكان ذلك إلا لأن الباحثين الغربيين فهموا الفلسفة على أنها فلسفة الغرب وحده، واعتبروها بحثاً فكرياً محضا، بدلا من أن يفهموها على أنها طراز حياة.

وكان من ثمار ذلك النهج الحصرى: أن أصبح غير المتخصصين فى دراسة الفلسفة الشرقية يجهلون جهلاً مطبقا كل ما يتصل بالثقافة اللاغربية.

٢ـ أن يشغل مبحث الجمال فى الدراسة منزلة تعادل فى أهميتها ـ على الأقل ـ أهمية تعليم العلوم والتقنيات.

٣ـ أن يكون الاهتمام بالنظر إلى المستقبل، والتفكير فى الغايات والأهداف مماثلا للاهتمام بالتاريخ.

ويذكر المؤلف أن هذه التغيرات الثلاثة تغيرات أساسية ينبغى أن تسود المنظومة التربوية فى الغرب، فلا تقصر على الأطفال وحدهم، بل ينبغى كذلك أن يوجه فى شكل تربية مستمرة إلى الجماهير فى جملتها، فإذا أقيم معرض مثلا وجب أن تنال المعروضات منازل متعادلة، بدلا مما هو حادث الآن، حيث يتمتع المعروض الغربى دائما بمنزلة أساسية، إن لم نقل وحيدة، على معنى: أن المعرض إذا ضم مائة أثر تمثل مائة وجه من وجوه البشر والآلهة، وجب أن لا يشتمل هذا المعرض على أكثر من عشرين أثرا من أصل غربى، وذلك احتراماً لمنظور ثلاثة آلاف سنة من التاريخ.

فمثل هذا السلوك جدير بأن يعيد الاتصال بين الشعوب وبين ثقافتها الخاصة التى فصلت عنها، ونهبت منها.

الثمار المأمولة من هذا اللقاء

ويذكر المؤلف أن الأوروبيين إذا ما وفروا هذه الشروط، وأخذوا أنفسهم بتلك الوسائل، أصبح فى وسعهم الحصول على النتائج التالية:

١ـ إسباغ النسبة على المفهوم الغربى، لأن هذا الحوار الجديد للحضارات سوف يتيح نزع صفة الجبرية عن المستقبل، ويتيح التدرب على تصور إمكانات أخرى وتحقيقها، ويتيح العثور من جديد على توازن مع الطبيعة.

وبالتالى.. فإن هذا التحول الفكرى يقود إلى عدد من التحولات الاجتماعية، يتحقق معها إخراج الإنسان من حبس نفسه فى مشاغله اليومية.

٢ـ تحويل نظرة الغربيين إلى العالم من تركزها حول (أنا) الصغيرة؛ فالحضارات اللا غربية تعلم الغربيين بادىء ذى بدء أن الفرد ليس مركز كل شىء، كما تعلمهم أن فضلها الأعظم يرجع إلى أنها تجعل الإنسان يكتشف (الآخر)، دون فكرة مبيتة تضمر التنافس والسيطرة.

فالغربيون لا يتصورون علاقات الناس بعضهم ببعض إلا فى شكل ندب للسلطة، وهذا ما أطلق عليه (روسو) سلفا فى (العقد الاجتماعى): اسم الانخلاع؛ ولذلك كان مهما للغاية أن يتعلم الغربيون من الحضارات الأخرى المعنى الحقيقى لعلاقة المشاركة الإنسانية، من كل ما يستتبع الانتقال من ديمقراطية تمثيلية إلى ديمقراطية المشارك التى تستند إلى أساس الندب للسلطة،

بل إلى الإسهام فى جميع المستويات.

٣ـ تحديد الغربيين غايات أعمالهم، وذلك بالتخلص من الوثوقية التى تقود إلى تصلب العلم، وفقدان الإحساس الإنسانى، والغائية الإنسانية، فهذا الضرب من التفكير يتيح للغربيين الانفتاح على المستقبل، بترجيح كفة بروز الإنسان من الناحية الشعرية، فالمستقبل غير معنى إلا بقدر مايكون إبداعاً حقيقيا.

فهذه النظرة إلى السمة الوحيدة الجانب، الوحيدة البعد، فى مفهوم الغربيين عن الإنسان، وعن الثقافة ستتيح لهم أن يفهموا أولا مختلف ارتكاسات اللاغربيين حيال الغربيين.

ردُّ الفعل المواجه للغطرسة الغربية

ويستعرض المؤلف رد الفعل فى المجتمعات غير الغربية، الرافض لمايقدمه الغربيون باسم الحضارة، فيقدم فى هذا الاستعراض خمسة أنماط من الارتكاسات الرئيسية على التحدى الأوروبى:

١ـ أما الارتكاسة الأولى فتتمثل فى سعى اليابانيين جهد المستطاع لفصل المعارف التقنية عن القيم الثقافية، والرهان على نقل التقنيات الأوروبية لدعم القيم المحلية.

وكان نتائج هذه الزيادة إقامة رأسمالية جشعة جشعاً عظيماً، يسندها تسلسل اجتماعى، وعلاقات إنتاج موروثة مباشرة عن الإقطاع ومسيرة اليابان فى درب الامبريالية. وعلى هذا النحو وضعت أحدث تقنيات الحرب والإنتاج فى اليابان فى خدمة عقائدية تقليدية محافظة.

٢ـ وتبدو الارتكاسة الثانية فى موقف أميريكا اللاتينية، حيث انصرفت البرجوازيات المحلية عن تقنيات الإنتاج الحديثة، ولم يتم دخولها إلا عن طريق الرأسمال الأجنبى. وفى المقابل: حاولت منافسة أوروبا على الصعيد الثقافى بقبول قيمها وأذواقها وأزيائها؛ فتعلقت بالاستهلاك أكثر من تعلقها بالإنتاج.

ومن هنا.. تولدت الصعوبات التى تعانيها اليوم الشعوب اللاتينية الأوروبية، حين حاولت تقليص هذه التبعية الخارجية، وقد نجم عن تحرير العقول على هذا النحو فساد الضعفاء، وتمرد الأقوياء، حتى ارتدى ارتكاس التمرد أشكالا متنوعة.

٣ـ وتبدو الارتكاسة الثالثة فى التوجه إلى تمجيد القيم التقليدية بحسبانها تحمل الحل، فى مواجهة التنكر الأوروبى للقيم الإفريقية، والهندية، على الرغم من أن ذلك لايقدم خلاصا من مشكلة الحيرة، أمام الإفادة من القيم الأوروبية، على نحو ما يعلنه تيار الدعوة الزنجية من الحنين إلى الماضى التقليدى، ومايحدث فى الهند كذلك.

٤ ـ وتبدو الارتكاسة الرابعة فى عدم الاقتصار الأفريقى على تمجيد الماضى، بل فى تجاوز ذلك إلى الرفض القطعى للحضارة الأوروبية الذى يدفع إليه السلوك الاستعمارى السيء ويغذيه بما يتضمنه من سخرة وإذلال ونهب، واغتصاب، واحتقار، وعجرفة، وتبجح، وغلظة تجعل من المستعمِر شرطيا يحرس محكوما عليه بالأشغال الشاقة، وتجعل من المستعمَر أدوات مسخرة للإنتاج.

٥ـ وتبدو الارتكاسة الخامسة فى انتهاء غير الغربيين إلى وضع أكثر إرهافا من موقف العداء، الخالص للتراث الأوروبى.

غير الغربيين على طريق الحوار الجاد

وفى مواجهة هذا الصلف الغربي، ومانتج عنه من أوهام غربية كاذبة، قدم المؤلف بعض النماذج التطبيقية غير الغربية التى حاول بها طائفة من غير الغربيين أن يقدموا شكلا حيوياً، يعتمد على تقدير الآخر، والتحاور معه، والإفادة منه فى محاولة للجمع بين ماهو غير غربى وماهو غربى.

١ـ فقدم من غرب إفريقية المحاولة التى جاء بها الإفريقى (بوبوهاما) فى كتابه (تأخر إفريقية) المنشور سنة ١٩٧٢، حيث لاحظ أن الناس يعرفون الآن إنسانين: أحدهما روحى ـ هو إنسان الهند القديمة ـ والآخر مادى : وهو إنسان الحضارة التقنية الغربية.

ثم تساءل (بوبوهاما) عن إمكان تحقيق تركيب يؤلف هذا التداول للمادة مع ثقافة الروح. وخلص إلى دعم محاولته بإبراز الآثار السيئة التى تصيب الإنسان من جراء الاستمرار الهندى على إغفال المادة، والاستمرار الغربى على تجاهل الروح؛ مقرراً: أن الثقافة الغربية القائمة على أساس وحيد من العلم والتقنية قد عكفت على حاجة معينة واحدة من حاجات الإنسان؛ فتوغل بالإنسان فى درب تقنى مسدود. كما إن الهند قد نالت تقدما روحيا إنسانيا ساقها ـ كذلك ـ إلى درب مسدود فى مجال الفكر. وأن علينا أن نعمد إلى التفكير فى مصيرنا الإنسانى العالمى، وذلك إذا قدرنا فى آن واحد ماتسهم فيه الهند القديمة والغرب الصناعى.

فالهند القديمة والغرب الصناعى يمثلان نجاحين حققهما الإنسان فى دربين مختلفين، ولكنهما إنجازان جزئيان للإنسان.

وفى مكنتنا تصور معونة لاتكون وحيدة الاتجاه، حيث يستطيع الشرق أن يسهم فى تقديم معنى عن الإنسان، وهو المعنى الذى يفتقر إليه الغرب اليوم افتقاراً رهيباً؛ ففى التأليف بين جميع طاقات الفكر والمادة وعد الإنسان الشامل.

٢ـ وقدم المؤلف من شرق إفريقية نموذجاً إفريقياً آخر لمحاولة التركيب والجمع بين الإنسانين، قدمه (يوليويس نيريرى) وترجمت إلى ممارسة سياسية فى هيئة اشتراكية (الجماعية) فى تنزانيا، التى تتوخى منح المجتمع والإنسان وجها جديداً بابتكار اشتراكية إفريقية نوعية، تقوم على أساس أن ملكية الأرض هى ملكية مشتركة، وليست مثل الاشتراكية الأوروبية المولودة من ثورة زراعية تعارض فيها مالكو الأرض مع غير مالكيها، ومن ثورة صناعية تعارض فيها الرأسماليون والبروليتاريون.

ويدعو (نيريرى) إلى رفض الاشتراكية الأوروبية التى جلبها الاستعمار معه لدمج إفريقية فى سوق الرأسمالية العالمية، لأن المجتمع الإفريقى لم يعرف الإقطاع ولا الرأسمالية، قبل مجىء الأوروبيين، ولذلك قامت هذه الاشتراكية الأفريقية، على مبادىء ثلاثة هى :

أ) الاحترام المتبادل ـ بخلاف الفردية الأوروبية ـ فيجب أن يعى كل امرىء أنه جزء من الآخر.

ب) الاشتراك فى ملكية جميع الخيرات الحيوية، بحيث يوزع محصوله بالجهود المبذولة بحسب عرف يقره الجميع، إذ لايمكن أن يبقى إنسان جائعاً إذا كان الآخر متخما.

جـ) وجوب العمل على الجميع.

وفى سبيل نيريرى لتوضيح هذه الاشتراكية (الجماعية) يذكر أن الخطأ الأساسى الموروث عن الاستعمار، هو اعتبار التعليم الابتدائى إعدادا للتعليم الثانوى الذى يقود بدوره إلى طبقية تحسب فى ظلها من ينتقلون إلى التعليم الثانوى أنهم يستحقون أجوراً أعلى ومناصب قيادية، ويرفضون الرجوع للعمل فى الريف. كما أنه من الخطأ الظن أن كل معرفة تنال بواسطة الكتب المدرسية، ولاتنال عن طريق الحياة، وممارسة العمل فليست المسألة مسألة امتحانات تنسج على منوال وأنموذج دوليين لاصلة لهما بحاجات البلد.

٣ـ وقدم المؤلف من شمال إفريقية نموذجاً إفريقيا ثالثاً يتمثل فى ميثاق الجزائر سنة ١٩٦٤ الملتزم بالإسلام، حيث أعلن: أنه يترتب على الثورة الجزائرية أن تعيد إلى الإسلام وجهه الحقيقى؛ وجهه التقدمي؛ «فمن الجلى أن الإسلام يمثل حصنا من أمنع الحصون ضد جميع محاولات سلخ الشخصية» وفى وسع المسلم أن يمضى نحو الاشتراكية على غير الدروب الغربية، كما نرى فى فريضة الزكاة التى تتيح إعادة توزيع الثروات، وتؤلف شكلاً إسلاميا نوعيا للاقتسام.

٤ـ وقدم المؤلف من الهند النموذج الذى قدمه (غاندى) فى (ساتيا غراها) التى تعني: التعلق بالحقيقة، حيث رفض النموذج الأوروبى الاستعمارى الذى يدعو إلى الانتقال من سياسة دون إله، إلى سياسة دون إنسان، سواء كان ذلك تحت عنوان (علم السياسة) البرجوازى، أو كان باسم (الاشتراكية العلمية) ودعا الى دمج معنى الاستقلال الذاتى، ومعنى مسئولية الشخص البشرى فى منظور أوسع، صادر عن التقليد الشرقى للإحساس الجماعى، وللعلاقة بين الأشخاص؛ مقرراً أن الحرية الفردية وحدها تستطيع أن تجعل الإنسان قادراً على الانصراف إلى خدمة المجتمع انصرافاً كليا.

فمن يمارس (ساتيا غراها) لاينحدر بمطلبه الرفيع إلى درك الحل التوفيقى أبدا، وهذا يدعو بدوره إلى (الاعنف) حين لايكون هناك خوف، أولا يترتب عليه جبن، أى أنها تدعو إلى مبدأ (لاعنف) الأقوياء الذى ينطوى على شكل العلاقات الإنسانية، فالعنف المرفوض هو استخدام قوة فيزيائية لإبادة العدو أو لإلزامه ـ على الأقل ـ بأن يعمل على غير مايريد، وبخلاف حكمه وحقيقته.

ويتوج غاندى نموذجه ذلك بقوله: «إن الإنسان يجهل كل شيء فى الدين إذا لم ير بينه وبين السياسة أية علاقة.. وليس فى وسعى أن أحيا حياة دينية دون أن تطابق هويتى كل المطابقة هوية الإنسانية بأسرها، وهذا يتعذر دون الإسهام فى الحياة السياسية.. إننى واثق بأن الله واحد فقط.. وأنه الحقيقى وحده.. وأن الإنسانية تؤلف كلا واحدا، وأن لها بالرغم من تعدد الأجساد روحا واحدة.. ونحن قد أقمنا ملكوت الله فى السياسة ايضا».

٥ـ كما عرض للنموذج التربوى الذى قدمه (باولو فريرى) البرازيلى، قاصداً بها محو الأمية، والتعليم لإيقاظ الشعور الانتقادى والنضالى فى نفوس الجماهير، فقوام التوعية عنده تمثل فى إدراك التناقضات السياسية والاقتصادية، والوقوف فى وجه عناصر الاضطهاد الموجودة فى الواقع، لأن الثقافة ليست ترفاً ولامجرد متعة جمالية، بل هى جملة الحلول التى رددها الإنسان للمشكلات التى

تطرحها عليه بيئته الثقافية والاجتماعية، ولكن الأمور تجرى فى الغرب اليوم كما لو أن التقنية تحل محل الثقافة لحل مشكلات الإنسان.

وعرض للنموذج اللاهوتى الجديد الذى قدمه (الاب كوتيرز) من (بيرو)، والذى لا يكتفى بأن يكون اللاهوت حكمة ومعرفة عقلية، بل تفكيراً فى ضوء الإيمان يتناول الممارسة التاريخية لرجال ونساء انخرطوا فى النضال، فيقلب بذلك المسيرة التقليدية رأسا على عقب.

وعلى هذا النحو نجد الإيمان والعمل السياسى يتفاعلان تفاعلا خصباً فى خلق مجتمع جديد وإنسان جديد، يصنع قدره الخاص، على خلاف ضروب اللاهوت الأميريكية القائلة (بموت الله).

ثم عرض للنموذج الذى قدمته الثورة الثقافية فى الصين المعلن عنها بشعار: (محاصرة المدينة بالريف) لمجابهة تراث ثلاثى مشئوم كانت تخضع له الصين، هو: التراث التقليدى المأثور عن البيروقراطيات، والتراث الرأسمالى الذى أدخل أول ما أدخل إلى المدن الساحلية، ثم انتشر فى الصين، والتراث التحريفى الذى يفرض اشتراكية غربية بصورة نمطية، هدفها اللحاق بالرأسمالية وتجاوزها.

الحوار المنشود

وفى الخاتمة (الحلف الثالث) ذكر المؤلف أنه لايدعى ـ بما قدمه ـ الإجابة عن جميع المشكلات التى طرحتها الهيمنة الغربية خلال خمسمائة عام، ولكنه اقتصر على إبراز مدى مايستطيع أن يحققه بحث لايستند إلى الهيمنة، بل يستند إلى النظر نظرة سيمفونية إلى الثقافة.

وقرر: أن المشكلة هى مشكلة إحداث تغيير جذرى فى الأنموذج الغربى لعلاقة الغربيين بالطبيعة بفضل حكمة الصين، وأفريقية، والهند، والإسلام؛ فهى مشكلة إقامة توازن فى مفهوم الغربيين ذى النزعة التقنية بالإفادة من تجربة حية.

فحوار الحضارات الملمح إليه يكافح عزلة (الأنا) الغربية الصغيرة المتبجحة، ويبرز واقع (الأنا) الحقيقى الذى هو بالدرجة الأولى علاقة بالآخر، وعلاقة بالكل، وهو يعلمنا أن لانتصور المستقبل فى شكل إيمان ساذج بالتقدم، ولا فى صورة فيض من إنجاز مشاريعنا إنجازا تقنيا.

وحوار الحضارات هذا يساعدنا بذلك على أن ننفتح ـ فى الصعيد الثقافى ـ على آفاق لانهاية لها فى المنظور الذى توحى به فى جميع المجالات أحدث تجددات الثقافة الغربية.

فهو حوار يعلمنا من جديد حرية جديدة، لاتتحقق إلا مع الآخرين فى الحب، لا فى مجرد المطالبة الفردية.

وهو حوار كما يحرر الغربيين من البؤس، يحررهم من الوفرة والتخمة، والصراع وراء الربح الذى يخلق حاجات جديدة لانهاية لها، وما يتولد عن تلك الحاجات من وسائل تلبيتها تلبية ناقصة على الدوام.

وهو حوار يذكرنا دائما أنه لايمكن أن يوجد إنسان حر فى مجتمع يرضى عن الرق فى داخله، أو يفرضه على شعوب أخرى فى أشكال مختلفة من التبعية.

ثم هو حوار يقضى على طائفة من ضروب القسر، ويدفع إلى إبداع إمكانات تتوخى أن تحقق لكل إنسان ـ وبكل إنسان ـ فرص حياة مادية

متوازنة ـ وإمكان التعبير والثقافة، والمساهمة، والنمو بالمعنى الكامل لهذه الكلمات.

وبعــد :

فالكتاب ـ كما وضح ـ التفاتة مفكر غربى حر، رأى أن يكشف حقيقة ماتعانيه البشرية، ودور أمته فى فرض هذه المعاناة، وانسياق الغرب ـ أفراداً وجماعات ـ وراء قيادة ضالة جاهلة، استعبدها (أنا) التعالى، والتكبر، والوهم الكاذب فى تحقيق الذات بالتنعم على حساب ظلم الآخر، وقهره، ونهب ثرواته، والعمل الدائب على إبقائه فى تلك الحال لإشباع حاجاتهم الكاذبة المهلكة.

فهو صيحة إنسان غربى فى بنى جنسه ـ على منهج النقد الصادق للذات ـ بغية إيقاظهم من غفلتهم التى تكاد تهلكهم وتهلك الآخرين معهم.

وكذلك.. نرى أن الخطاب ـ فى صياغاته ـ خطاب موجه للغربيين التزم فيه مؤلفه باللغة التى تناسبهم، سواء فى سرد الأحداث التاريخية، أو فى الإشارات والرموز التى تضمنتها الوثائق الداعمة لخطابه، لأن المؤلف يدرك أن مخاطبيه لن يستعصى عليهم إدراك مايومىء إليه.

ومن هنا... أرى أن المعرب ـ وقد التزم بحرفية الأصل ـ قد فاته أن يتنبه إلى حاجة الكتاب فى حال تعريبه إلى بسط وتفسير ـ ولو فى الهامش ـ يحول به الخطاب فى الكتاب إلى القارىء العربى، حتى تتحقق الغاية من التعريب، وهى إيقاف الإنسان العربى على حقيقة الغرب المتأله، وكشف الخدع التى عزز بها تألهه، وتعريفه بالدور الحضارى لأسلافه، ومالديه من قوى كامنة يمكن أن تغير من معالم الحياة، وتقود البشرية فى طريق الحضارة الحقة خطوات مثمرة.

فلو أن المعرب تنبه إلى ذلك لأسهم كثيراً فى التيسير على القارىء العربى، وبذلك تتحقق الفائدة المرجوة من تعريب الكتاب.

ولم يكن ذلك ـ على خطره ـ هو المأخذ الوحيد على التعريب، فقد أسهم المعرب فى تعسير الكتاب، إذ أغفل وضع الجمل المعترضة بين شرطتين، على الرغم من طول الاعتراض، وكثرة الجمل المعترضة، متغاضيا عما يستلزمه ذلك من خلط وتشويش يصيب القارىء، ويصرفه عن المضمون.

وكذلك أهمل المعرب الربط بين الجمل فى كثير من الأحيان ـ على عادة الغربيين فى كتابتهم ـ ولم يحسن استعمال علامات الترقيم حسب النهج العربى.

واستعمل فى النفى (لن) مكان (لم) ، على الرغم من الاختلاف البين بينهما ، مثل قوله: (وهى لن تظهر فى أوربة الا فى سنة ١١٨٠) صـ٩٥ ، يقصد (لم تظهر).

كما إن المعرب عبر كثيراً عن الواقع بجمل مسبوقة بحرف (السين) التى تفيد الاستقبال، مثل قوله: (وسيصوغ « بول كلى » قانون هذا الانقلاب) صـ١١٤ يقصد : وقد صاغ.. إلى غير ذلك من الهنات التى لوحرص المعرب على تلافيها ليسر كثيراً على قارئة العربى.

ومع ذلك.. فالكتاب جهد يُشكر مؤلفه المفكر رجاء جاروى على مابذله فيه من جهد، وماضمنه إياه من صدق فى زمان عز فيه الصدق. ويشكر معربه لإسهامه فى إسماعنا ذلك الصوت الجاد الصريح . والله من وراء القصد، نرجوه التوفيق والهداية.

وجوه الغرب في بهو المرايا

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

> ذلك ما تعمد الفكر الغربي أن يقدمه لنا، ألوانا من البغضاء الدفينة ونوعا من سوء الفهم المتعمد، فكيف استطاع أن يزيف ما رواه التاريخ عن تعاليم الإسلام ورسوله، حين قدم تفسيراته للقرآن وتاريخ الإسلام، وحين قدم الإسلام على أنه مزيج من الفلسفات القديمة وبقايا ملل مرفوضة من اليهودية والمسيحية. وحين قدم من تحت عباءته صورة الرسول مشوهة مكذوبة على التاريخ وعلى الرأى العام الغربى، أصبحت تلك الرسالة التى تشكل حياة المسلم، تنتهى وفق التفكير الغربى إلى التهافت والاندثار.

إن الفكر الغربى ليس له عذر يعتذر به عما قدمه من تشويه الإسلام والرسول ﷺ. وكيف يعذر عما قدمه؟ وهو الذى أحكم دراسة التاريخ وأحداثه، علما ومنهجا فبنى له علما له نظامه وفلسفته، وهو ما عرف بـ « علم التاريخ وفلسفته »، وكانت الغاية التى رمى إليها الغرب من وراء بنائه هذا العلم، أن يشيع روح السكينة فى نفس الدارس المتفحص للتاريخ وأحداثه، حتى لايعجل الحكم على ما يستقرئه التاريخ تعصبا لرأى فرضته عليه مزاعمه، أو لايدخل على التاريخ وجهة نظر تعبر عن موقف مسبق على الحدث التاريخى، ثم يتكلف له فهم الأحداث التاريخية ويتأولها على مقتضى ذلك الموقف السابق على الحدث، وليس على مقتضى سير الأحداث التاريخية..

فهناك مبادىء أحكمها الغرب فى هذا العلم ـ علم التاريخ ـ لتعينه على تحرى الموضوعية الفكرية، وتوخى النزاهة العلمية التى يطلبها الغرب دائما من وراء مناهجه التى عرفت لديه منذ أوائل عصر النهضة « بمناهج البحث العلمى » التى تساعده على تحرى: « الحقيقة التاريخية » أو « الحقيقة العلمية » هذا ما عرفناه عن الغرب: لذلك نالنا العجب حين رأينا الغرب يتنكب سبل البحث العلمى فى فهم مسائل الشعوب التى أطلق عليها هو نفسه « دول العالم الثالث » أو (النامى) وجعلها موضوع تجاربه ليقيم قواعدها وفق مناهج أخرى غير علمية تدخل فى نطاق « الرؤية الاستعمارية » وتلك مبادىء أخرى غير مبادئه العلمية. وكنا لانرى لذلك مبررا لتراجعه عن مناهجه فيما يخص تلك الشعوب إلى وضعها ميزانا علميا لدراسة

مسائل الشعوب ليزيف بها عن قصد حضارات الشعوب غير الأوروبية، وتلك هى الثنائية الغربية المزدوجة التى تنطوى على التناقض المر الأليم: وجه علمى دقيق هو وجه الغرب للغرب، ووجه قبيح شره هو ذلك الوجه الكالح أو القناع المزيف الذى يخيف به العالم.

يحرص الغرب على فهم حقيقة تلك الشعوب وفق رؤيته الاستعمارية أو اكتشافها أيا كان نوعها أو انتماؤها ليستبقيها مكتومة فى حوزته لنفسه، وما يبديه منها يزيفه ويعرضه للضياع ليضل بها كثيرا ويشتت بها كثيرا وما يضل بها إلا أولئك الذين يتولون الولاء الغربى من حيث يشعرون أو لايشعرون. لذلك يرى الغرب مثلا وبالرغم من، أنه يفهم الإسلام فهما حقيقيا ويعى دوره التاريخى إلا أنه يرى أنه ليس فى حاجة إلى أن ينسج علاقته مع الإسلام على ضوء ما يفهم إنما على ضوء مصالحه مع دول الإسلام وعلى ضوء عداوته التاريخية مع الإسلام وماضيه الحضارى، وليس على ضوء ما ينبغى أن تكون عليه العلاقات الصحيحة، وهو يعلم تقاليدها العلمية، فهو لايريد أن يهملها إهمالا إذ آثر تعليق الحكم، وفق رؤيته الاستعمارية وفكره الاستعمارى ليبنى عليه علاقات مزيفة تتناسب ورؤيته الاستعمارية التى زيفت التاريخ كثيرا.

ويرجع اهتمامى بتلك الدراسة إلى دوافع مختلفة يرجع بعضها إلى دعوتى من بعض الجامعات العربية لإلقاء بعض محاضرات فى تاريخ الفكر الإسلامى الحديث، ومنها ما كنت أدعى إليه من بعض الندوات أو المؤتمرات، ومنها ما كان رصيدا ثقافيا تجمع لدى من مراجعات ومطالعات لبعض الكتابات التى كانت تصدر هنا أو هناك، كل ذلك تجمع لدى على مدار خمسة عشر عاما يتراكم بعضه فوق بعض، وما كان يدور بخلدى أنى سأجمع هذا الرصيد، ولاسيما أنه قد نشر بعضه فى الصحف والمجلات أو فى حوليات المحاضرات.

لولا ظروف جدت على الساحة الثقافية والسياسية، بعضها على مستوى العالم العربى وبعضها على مستوى العالم الإسلامى، وبعضها على المستوى العالمى.. وكلها تفجرت تحت ضغط عاملين:

العامل الأول:

من الخارج وهو الغرب أمريكى.

العامل الثانى:

من الداخل وهو العالم الإسلامى نفسه.

أما عن العامل الأول: فبعد انتثار عقد الاتحاد السوفيتى واندثاره، تبعه سقوط حائط برلين، انتشى على أثره المارد الأوروبى، تحت ظل وحدة أوروبية جديدة عله يرث زعامة الاتحاد السوفيتى، ويكون عدلا لأمريكا فيما تطلبه من تغيير خريطة العالم والعالم الإسلامى من جديد، بما يهيىء لها أن تكون القوة المهيمنة والمنفردة المتحكمة فى مصير العالم ومسيره، ولايعنى اختلاف الميول والأطماع، عدم التنسيق فى الجهود.

فلقد اتفق الغرب ـ أمريكى، على أن القوة الناهضة بعد اندثار الاتحاد السوفيتى، هى الإسلام. وأخرج رئيس أمريكى أسبق «ريتشارد نيكسون» كتابه «انتهزوا الفرصة» ألا وهى ضرب الإسلام، وما جاء فى الكتاب ليس بجديد ـ إنما

هو ترجيع ورجع صدى لما هو كامن فى أضابير سياسة الغرب الاستعمارى وفى تقارير المبشرين.. والمستشرقين.

أما ما أضافه الكتاب جديدا، فهو: إعلان ساعة الصفر، وأن الفرصة قد حانت، فعلى الغرب أمريكى أن يقوم قومته. ولقد قام فعلا فى شراسة، ونذالة، متآمرا. وضرب دولة مسلمة فى أوروبا «البوسنة والهرسك» عصف ، فى سبيل ضربها، بكل القيم الأخلاقية والدينية والأعراف الدولية، وما تمخضت عنه ثورات الإنسانية على مدى تاريخها الطويل ورفعته ميثاقا دوليا فيما بينها، وقامت عليه أركان الأمم المتحدة، ولقد باشر معها كل ألوان التعذيب والقتل والتمثيل فى غير رحمة. وفى بلادة مشاعر كانوا يسبون أحياءهم ويستحيون نساءهم. أما الأطفال والعجزة والشيوخ فينتظرون الموت صبرا. ذلك هو وجه الغرب ـ أمريكى القبيح..

ثم بدأ الغرب ـ أمريكى ينشد قصة الذئب والحمل فى أنه عكر عليه الماء. فشن هجومه على الأقليات الإسلامية حتى لايستجير بها ضعفاء البوسنة والهرسك. وكل حدث إرهابى يقع فى أى مكان يجرم فيه أفراد الجاليات الإسلامية العربية.. والأوصياء على الإرهاب فى نظر الغرب، دائما، دول عربية إسلامية. وما ترددت فرنسا فى إغلاق الباب فى وجه دعاة إسلاميين رسميين، درجت مصر منذ تاريخ طويل أن ترسل فى شهر رمضان بعض الدعاة وقارئى القرآن لإحياء هذا الشهر، إلى الجاليات الإسلامية المقيمة فى دول العالم. فتلك هى بدايات انتهزوا الفرصة. ولقد نشر الأهرام حوارا مهما مع المفكر الفرنسى المسلم روجيه جارودى عن التطرف ـ حوار أجراه د. سعيد اللاوندى بتاريخ ٢٩/٣/١٩٩٣ يقول فيه:

«ولقد وضعت هذا المؤلف الذى ترجم فور صدوره إلى عدة لغات منها الأسبانية والتركية، لكى أدافع به عن وجه الإسلام الحقيقى، بعدما لاحظت أن الغرب يخلط متعمدا بين الأصولية المتطرفة، وبين الدين الإسلامى الحنيف.

بعبارة أخرى كان على كمسلم يعتز بدينه أن أكشف هذا الزيف الذى لاتكف وسائل الإعلام الغربية عن تكراره فى هذه الفترة ، حيث تسعى إلى إلصاق صفات التطرف والجمود بالإسلام.

وبداية. أؤكد أن هذه الأصوليات المتطرفة، ليست ظاهرة خاصة بالإسلام وحده دون الديانات والعقائد الأخرى، فالثورة الثقافية الصينية، على سبيل المثال، لم تكن ظاهرة إسلامية عندما تمردت على النموذج التنموى الغربى، وأعلنت رفضها لكل أشكال الثقافة الغربية، واستبدلت النظريات الاقتصادية الغربية بالنظرية الأخلاقية لكونفوشيوس، كما وضعت تراث ثورات الفلاحين بدلاً من الفكر الاشتراكى الطوباوى، ورفضت موسيقى بتهوفن لأنها ـ من وجهة نظرها ـ كانت موسيقى برجوازية!.

ولقد أوضحت فى كتابى أن الأصولية المتطرفة التى ظهرت فى العالم الثالث فى السنوات الأخيرة هى ردة فعل طبيعية للأصولية المتطرفة فى الغرب.. بمعنى أن الأصولية الغربية هى الأصولية «الأم» التى ولدت منها كل الأصوليات الأخرى سواء الأصولية الإسلامية فى أفغانستان وإيران

وباكستان ، أو الأصولية العربية الإسلامية فى تركيا ومصر والجزائر وتونس ولبنان » .

أما العامل الثانى فهو مرض الخوف الذى تفشى فى العالم الإسلامى. وهو فى حقيقة الأمر مرض وهمى وهو نوع من سوء التفكير، وهذا النوع من مرضى الوهم، لايتعاملون مع العالم الخارجى، إلا من خلال ما يتوهمون، ولايتعاملون مع أنفسهم إلا من خلال أوهام سيطرت عليهم، فهم يعيشون فى وهم، فهم مع أنفسهم واهمون، ومع العالم الخارجى فى خوف دائم منه، تلك هى مشكلة العالم الإسلامى.. مشكلته مع نفسه.. يتوهم الخوف فيخاف، ويتوهم الوهم فيتوتر، يخاف الحرية ويدعيها، يخاف الديمقراطية من أن تحيل النظام إلى فوضى.

ولما كانت حال المتوتر فى هلع دائم وخوف على مصيرها تميزت بنوع من التفكير السيىء الذى يحيل النزوات العصبية تفكيرا.. ومن كان هذا شأنه.. كيف تصدق لديه موازين الأمور.. وقد صارت موازين الأمور التى هى من صميم اختيار الشعوب إلى حالة مزاجية لدى الحاكم. فمن الصعب التمييز بين الخصم والحكم، ومن هو صاحب القضية.

لذلك جمعت هذه الدراسة. فهى تحكى من خلال التاريخ ووثائقه قضية الصراع الغرب ـ أمريكى مع الإسلام، آملا إبراز الوسائل الدنيئة التى ابتدعها لضرب العالم الإسلامى.. وهى متعددة، استعمار مسلح، وجاليات الامتياز، وسماسرة تبشير، وجماعات تزييف الثقافة الإسلامية، وتوضيح أن العالم الإسلامى يرتكز على عناصر القوة الحقيقية على أى مستوى من مستويات العظمة الروحية والمادية، وبيان أن الإسلام مهما تناوشته قوى الغدر والخيانة فى الداخل أو الخارج فله مستقبل السيطرة والسيادة العالمية.

فمتى يتخلص مرضى الوهم من أنفسهم؟ ومتى يتخلص العالم الإسلامى من مرضاه؟ تضيق حينئذ الفجوة بين الإسلام وشعوبه، وتزول الجفوة التى قد رانت على القلوب حتى جفانا الإسلام. ولقد نشرت مجلة النيوزويك الأمريكية مقالا تحت عنوان : « هل يجب أن نخشى الإسلام ـ للكاتب الأمريكى كريستوفر ديكى ـ أحدث رد فعل كان من أثره أن نشرت المجلة من ردود الفعل ثلاث رسائل: الرسالة الاولى من محمد صديق قال فيها: إن المقال نجح فى تصوير مخاوف المسلمين ـ لكنه فشل فى ذكر معلومات كافية عن الإسلام. وانتقد الاعلام الغربى الذى يروج لتعبيرات تشوه الإسلام مثل: المتطرفون ـ المتعصبون ـ الإصوليون.. تلصقها بالإسلام لصقا.

والرسالة الثالثة للأمريكية: نورما تارازى. دافعت فيها عن جماعات الإقليات الإسلامية فى مواجهة عنف الدول البوليسية التى تعيش فيها.. وقالت: إن بعض المسلمين يريدون الإصلاح السياسى فى بلادهم من أجل الإصلاح الاجتماعى والاقتصادى وهو أمر لاتتعاطف معه الولايات المتحدة التى تكيل بمكيالين فى التعامل مع الدول العربية « روزاليوسف عدد ٣٣٨٠ » وتلك هى القضية.

مَنْ الإرهابى؟

١

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

كان من أبرز الأوصاف، التى وصف بها الغرب فى العصر الحديث الإسلام والمسلمين، هو الإرهاب فالإسلام عندهم دين إرهابى دموى، لا يعترف لغيره بحق الوجود فى الحياة، وأنه ساد وانتشر بالسيف، وأن المسلمين كانوا صورة طبق الأصل من كتابهم «القرآن» ومن رسولهم «محمد ﷺ» وتعاليمه التى طبعتهم على القسوة، وحثتهم على العدوان؟!.

هذه التهم مرت بمرحلتين حتى الآن، كانت المرحلة الأولى - وما تزال قائمة - تعتمد على القول، وكان جنود المبشرين ثم تلاميذهم المستشرقين، وقد أحصى باحث أتيحت له فرصة العيش فى الغرب، ومتابعة ما تفرزه المطابع هناك أنه من عام ١٨٠٠م إلى ١٩٥٠م بلغ ثلاثة وستين ألف مجلد، كتبها المبشرون والمستشرقون فى الهجوم على الإسلام والمسلمين.

ثم جاء محللون آخرون، ونظروا فى تلك المطبوعات نظرة أخرى، لا من حيث عددها، ولكن من حيث محتواها وغاياتها، وقد - رصدوا - بعد التحليل الأهداف الثلاثة الآتية:

الأول: محاولة القضاء على الإسلام كلية إن أمكن ذلك، فإذا لم يكن ممكنا فأمامهم بديلان يبدوان أنهما ممكنان، وهما:

الثانى: تحجيم الإسلام وحصره فى بيئته حتى لا يغزو الغرب ويحقق انتشارا جديدا فى أى بقعة من الأرض، سواء كان ذلك فى العالم الصليبى، أو الشيوعى، أو فى غيرهما؟.

الثالث: تكثيف الحملات العدائية ضده، والعمل الدءوب لتشويه حقائقه وتكريه أبنائه فيه؟(١)

هذه المحاور الثلاثة صال وجال من أجلها فريقان فى بداية الأمر:

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية (٢٩) باول شمتز تعريب د/ محمد شامة

● **المبشرون**: وكان هدفهم تضليل العامة، ومن لاحظ لهم من ثقافة عالية واعية يمكن أن تحصنهم من هذه الأوبئة، التى تعرض فى أساليب ماكرة خادعة.

● **المستشرقون**: وكانت مهمة هؤلاء هى تشكيك المثقفين عن طريق الفكر المبرمج المنظم، فهم لا يثيرون معارك هامشية ضد الإسلام، وإنما يوجهون سهامهم نحو أصول الإسلام ومبادئه وقيمه الراسخة، وهم أكثر نتاجا من المبشرين، وماتزال أعمالهم العدوانية على الإسلام فى النمو والانتشار.

وقد أتاح لهم الاستعمار الأجنبى لكثير من البلاد الإسلامية فرصة التحرك الواسع والمعلن فى الديار الإسلامية كما حدث فى الهند وفى مصر وفى الجزائر منذ زمن مبكر.

وبالإضافة إلى الفريقين التقليديين فى مجال ما أسموه بالتبشير والاستشراق، نجح المستعمرون فى تكوين فريق ثالث ربما كان أشد خطرا من المبشرين والمستشرقين وهم العملاء منا نحن – المسلمين – وهؤلاء العملاء روعى فى تجنيدهم أن يكونوا فى قطاعات مؤثرة فى صنع الرأى والتأثير بالكلمات المكتوبة أو المسموعة فى مجال الرأى العام، وذلك من خلال هذه المعابر: الصحافة والإعلام، التأليف والنشر، الأدب والفن، الجامعة، العمل السياسى، المبرات الخيرية، المؤسسات العلاجية الأجنبية، البعثات، ودور التعليم الأجنبى فى البلاد الإسلامية التى تسمح بهذا النوع من التعليم الدخيل.

هؤلاء العملاء يؤدون أدوارهم حتى الآن، بعد رحيل الاستعمار الذى طوق كل البلاد الإسلامية والعربية، إلا البلاد السعودية موطن الدعوة الأول، والحرمين الشريفين.

ومنذ الجولة الأولى لجيوش المبشرين فى مجاهل آسيا، وأفريقيا، والديار الإسلامية، ظهر لأعداء الإسلام خيبة رجائهم فى القضاء على الإسلام، وهو الهدف الأول الذى وضعوه فى خطتهم لمواجهة الإسلام.

وقد سجل هذه الحقيقة المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد، فى كتابه: «الإسلام فى القرن العشرين»(٢) فقد قال: «إن قوافل المبشرين لم تجد استجابة من أى مسلم لتحويله عن دينه إلى النصرانية، فكتب رؤساء تلك القوافل تقارير رفعوها إلى قياداتهم فى أوروبا فجاءتهم ردود قياداتهم أن يحولوا نشاطهم التبشيرى من الإسلام إلى النصرانية إلى التبشير بين المذاهب النصرانية نفسها.

فيدعو المبشرون الكاثوليك أتباع المذهبين الأرثوذكسى والبروتستانى إلى اعتناق المذهب الكاثوليكى، والكنائس البروتستانية تدعو غير البروتستانيين إلى اعتناق البروتستانية، وهكذا يئسوا من تنصير المسلمين وخاب ظنهم فى القضاء على الإسلام مهما بذل المبشرون من جهود، وقدموا من إغراءات عينية وغير عينية إلا حالات نادرة لم تبل لهم صدى، ولم تشف لهم غليلا.

(٢) ص (١١) وما بعدها.

لذلك قصروا أنشطتهم على المحورين الثانى والثالث المشار إليهما قبلا، ومايزال العمل من أجلهما قائما ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا التمهيد، حقيقة لا يعرفها كثير منا، وهى تبين لنا جوانب خفية ذات أهمية قصوى، فى الكشف عن موقف الغرب الآن، وبخاصة أمريكا – من تأليب المجتمع الدولى ضد الإسلام، ووصف العرب والمسلمين بأنهم إرهابيون يجب التصدى لهم بكل قوة.

تلك الحقيقة أنه فى الفترة التى أعقبت سقوط الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى. كان الشغل الشاغل للغرب أن يبحث عن وسيلة يواجه بها الشرق الإسلامى ليقضى عليه قضاء مبرما.

وفى هذا الشأن ظهرت مشروعات بلغت مائة مشروع فى كل منها خطة ومنهج لإضعاف المسلمين، وجعلهم يعيشون على هامش الحياة، لا يشعر بهم أحد، ولا يحترمهم أحد وقد اشترك فى صياغة تلك «المشروعات المائة» سياسيون ومفكرون وعسكريون، وأساقفة وغيرهم، وغيرهم وقد سجل تلك المشروعات ولخصها وبين أهدافها وذكر مؤلفيها المجاهد الإسلامى الكبير الأمير شكيب أرسلان[٣] ـ رحمه الله ـ «حاضر العالم الإسلام» وإنى أهيب بكل الدعاة والإعلاميين والشباب أن يطلعوا على هذه «الوثائق» لأن لها صلة قوية بالسياسات

شكيب أرسلان

الغربية، التى تصاغ الآن لوقف الخطر الإسلامى كما يزعمون، ويلتمسون المبررات لضربنا، ولف حبل المشنقة حول رقابنا

هذه هى أهم ملامح المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية فهم يحاولون الانتقال فيها من القول إلى العمل، والعمل هو «الحرب المسلحة»، التى أعلنوا أنهم سيستعملون فيها كل «الأسلحة» حرب صليبية جديدة كما قالوا.. وسوف يعتمدون فيها على الزعم بأننا إرهابيون، ونحن لسنا إرهابيين، وهذا ما سنبينه فيما يأتى، بعد هذا المدخل أو التمهيد، الذى رأينا أن نذكره بين يدى دفاعنا عن الإسلام بأنه دين سماحة وسلام، وعن المسلمين بأنهم مسالمون، وأنهم ضحية الإرهاب العالمى فى الماضى والحاضر.

«يتبع»

---

(٣) حاضر العالم الإسلامى «جـ٣ من ص ٢٠٨ إلى ٣٤٢» والكتاب من تأليف الباحث الأمريكى الشهير لوتروب ستودارد، وقد أثراه الأمير شكيب أرسلان بتعليقات ومقالات دفعت الكثيرين إلى نسبة الكتاب إليه.

مواقف إسلامية

قصة زواج ناجح

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

تمهيد

النفس. والهوى. والشيطان. والدنيا.. كلها تزين الإثم.. وتغرى بالاسترسال مع الدنيا بمباهجها.
وانحدار الإنسان إلى هذا الدرك سهل.
فالغرائز غلابة.. تجنح به دائماً إلى الهبوط منحدراً إلى الرذيلة.
الذى تطمس فيه ملكة التمييز.. حتى إنه ليرى حسنا ماليس بالحسن.
ولو شاء الله. تعالى. لرفعه إلى أعلى.
ولكن الإنسان.. لم يتجه إلى هذه الهداية وإنما:
أخلد إلى الأرض.. واتبع هواه.. فكان جزاؤه الخسران.. الذى لا يبقى فى داره ثاغبة.. ولا راغبة!

موقف المسلم

ولكن المسلم الذى لم يخلد إلى الأرض .. ولم يتبع هواه .. يفر من هذا الحصار المضروب عليه .. محلقا فى السموات العلا .. متغنيا بهذا الشعار :

إن النهار لنا .

أذن مؤذن النهضة فينا : حى على الفلاح .. فقمنا .

وصاحت ديكة الفجر تطرد بقايا النوم من عيون الزهر .

والمستقبل لنا:

للذين أدركوا أن لهم أجنحة النسر. الذى خلق ليضرب فى كبد السماء مشرقا.. يحدق فى عين الشمس.

وليس هو بالذى يطير بجناحى دجاجة.. يلتقط بقايا.. مائدة الغرب» من مزابل الحياة.

للذين طمحت بهم هممهم.. ليسيروا على درب المجرة:

الذى فرشت أرضه بالنجُوم.. ليصلوا بقلوبهم إلى الله.

والفرق هائل بين طلاب الدنيا الذين غذوا بالنعيم.. فأفسدهم النعيم.. بل صاروا به كالحلْفاء فى لهب الحريق.. وبين أناس صلبت فيهم إرادة من صنع الإيمان.. فكانوا أكبر من هذا الزمان: يفوضون أمرهم.. لمن يملك أمرهم. ويقدر على ضرهم ونفعهم.. وإذا دهمهم أمر لم يحاولوا دفعه بمعصية الله ـ تعالى ـ.

إذا وقعوا فى محنة.. لم يسألوا إلا الله.. ولم يتوكلوا إلا عليه، ولم يفوضوا إلا إليه.

ومن هؤلاء بطل قصة اليوم:

القاضى: «أبو بكر محمد بن عبدالباقى بن محمد البزار البغدادى الأنصارى»

ذكر الحافظ بن رجب الحنبلى: أن الشيخ الصالح أبا القاسم الخراز البغدادى قال:

سمعت القاضى أبا بكر .. بن البزار يقول:

كنت مجاورا بمكة المكرمة.

فأصابنى يوما من الأيام جوع شديد. لم أجد شيئاً أدفع به عنى الجوع.

فوجدت كيسا مشدودا بشرابة. فأخذته.

وجئت به إلى بيتى.

فحللته. فوجدت فيه عقدا من لؤلؤ . لم أر مثله.

وخرجت فإذا بشيخ ينادى علىّ . ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار

وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ.

الاختبار الصعب

كان الرجل يحس بالجوع.. ولكن إحساسه بالغربة فى مجتمعه كان أشد.

لقد تلفت حوله فلم يجد ما يدفع به غائلة الجوع.. وفتح عينه على كثير.. ولكن.. لم ير أحداً..

لقد انفض السامر من حوله.. لما صار فقيراً:

وكان بنو عمى يقولون: مرحباً

فلما رأونى مفلسا مات مرحب!!

وإذن فقد كان الامتحان صعبا.

ومن تدبير ـ الله تعالى ـ أن يتخلق الفرج من الضيق نفسه، فهذا هو العقد الغالى.. رزقا يسوقه الله إليه.. وهو على أى حال خيط الأمل يخترق الليل .. ليل الهم الذى أرخى عليه سدوله.. يتبدى فى حضور صاحب العقد الذى سيضع الله ـ تعالى ـ به حدا لهمه الثقيل المقيم

الاختيار الأصعب

وإذا كان البلاء قد أناخ بكلكله على الرجل.. فإن أصعب منه أن يحدد موقفه الآن من هذا العقد.. وبعد ما لاح صاحبه.

فى الأفق.

لكن الرجل ـ وتحت ضغط الجوع ـ قرر أن يأخذ جائزته

ثم يرد على الرجل عقده.. بعد معركة فى نفسه بين مروءته التى تأمره أن يرد اللقطة.. بلا عوض.. وبين حاجته الملحة إلى لقمة الخبز وشربة الماء.

وعلى مضض يتخذ قراره حين قال:

قلت: أنا محتاج. وأنا جائع: فآخذ الذهب. فأنتفع به. وأرد عليه الكيس.

فقلت له: تعال إلىّ.

فتوجهنا إلى بيتى:

فأعطانى علامة الكيس. وعلامة الشرابة. وعلامة اللؤلؤ وعدده. والخيط الذى هو مشدود به.

فأخرجته ودفعته إليه.

فسلم لى خمسمائة دينار.. فما أخذتها وقلت: يجب علىّ أن أعيده إليك.. ولا آخذ له جزاء.

فقال لى: لابد أن تأخذ.. وألح علىّ كثيرا. فلم أقبل ذلك منه. فتركنى

ومضى].

العظماء بين همومهم.. وهممهم

يقولون:

إن الجمع بين العلم والعمل.. صعب.. لكن ذلك العالم الجليل قد جمع بينهما:

وينوب عنا ابن الجوزى فى التعليق على موقف هذا الرجل:(1)

من رزق همة عاليه.. يعذب بمقدارها. كما قال الشاعر:

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الأجسام

وقال الآخر:

ولكل جسم فى النّحول بلية
وبلاء جسمى من تفاوت همتى

وبيان هذا:

أن من علت همته، طلب العلوم كلها، ولم يقتصر على بعضها وطلب من كل علم نهايته وهذا لا يحتمله البدن.

ثم يرى أن المراد العمل.. فيجتهد فى قيام الليل.. وصيام النهار.

والجمع بين ذلك وبين العلم صعب.

ثم يرى ترك الدنيا.. ويحتاج إلى ما لابد منه.

ويحب الإيثار.. ولا يقدر على البخل.

ويتقاضاه الكرم البذلَ.

ويمنعه عز النفس عن الكسب من وجوه التبذل.

فإن هو جرى على طبعه من الكرم.. احتاج وافتقر.. وتأثر بدنه.. وعائلته.

وإن أمسك فطبعه يأبى ذلك.

وفى الجملة: يحتاج إلى معاناة. وجمع بين أضداد.

(1) صيد الخاطر ـ ٥٧٠ وما بعدها.

فهو أبدا فى نصب لا ينقضى. وتعب لا يفرغ] أ. هـ

وقد واجه الرجل هذا الامتحان الصعب.. فاصطبر.. ورفض الجائزة وهى حقه.. فى ظروف لا يتحملها بشر وكان أمره على ماقال الشاعر:

إذا قيل هذا مورد.. قلت: قد أرى

ولكن نفس الحر تحتمل الظما

وقد تحمل الرجل: الجوع.. والظمأ معا.

الثرى..والثريا

إذا كان هناك ناس ذممهم واسعة.. ترمح فيها الخيل.

وإذا كان هناك من يرون الحلال هو: ماحل فى أيديهم.

فإن عالمنا الجليل.. كان تلك الثريا.. التى صعدت فى السماء.

فوق هذا الثرى الهابط الرخيص.

لكن الثمن كان غالياً:

فقد كان عليه أن يصبر.. فى زمان قل فيه الأثرياء الأوفياء:

لقد كان العلماء يسكنون إلى عطاء الزملاء الذين لا يمنّون:

كان ابن المبارك يبعث إلى الفضل وغيره.

وكان الليثى بن سعد يتفقد الأكابر:

فبعث إلى مالك ألف دينار. وإلى ابن لهيعه ألف دينار. وأعطى منصور بن دينار ألف دينار.

ومازال الزمان على هذا.. إلى أن آل الأمر إلى انمحاق ذلك.

فقلّت عطايا السلاطين. وقلّ من يؤثر من الإخوان..

إلا أنه كان فى ذلك القليل ما يدفع الزمان](٢).

ولكن.. إذا توقف عطاء الإخوان.. فما توقف عطاء رب الإخوان الذى يرزق المتقى من حيث لا يحتسب.

وصدق الله العظيم:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(٣).

وهذا هو الذى حدث بالفعل.. لعالمنا موضوع حديثنا.

بركة القرآن

قال القاضى:

وخرجت من مكة. وركبت البحر فانكسر المركب. وغرق الناس. وهلكت أموالهم. وسلمت أنا على قطعة من المركب.

فبقيت مدة فى البحر. لا أدرى أين أذهب. فوصلت إلى جزيرة فيها قوم. فقعدت فى بعض المساجد. فسمعونى أقرأ. فلم يبق فى تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلىّ وقال:

علمنى القرآن.

فحصل لى من أولئك القوم شىء كثير من

---

(٢) صيد الخاطر ٤٨٥ .

(٣) جزء من الآيتين: ٢ و٣ من سورة الطلاق.

المال. وقالوا لى: تحسن الكتابة؟ فقلت: نعم فقالوا: علمنا الخط. فجاءوا بأولادهم. فكنت أعلمهم. فحصل لى أيضا من ذلك شىء كثير.

وتأمل كيف يبلغ اليأس مداه.. ليشع الأمل فى نفس اللحظة التى توشك فيها النفس أن تطير شعاعاً.

ثم كيف يستبد الحزن بالمسلم الذى تتخلى عنه الدنيا.. ثم هو غافل عن ذلك الكنز الثمين الذى يختزنه فى قلبه وهو: القرآن الكريم.. والذى أثبت.. وفى الوقت المناسب كيف كان غوث اللهيف.. على نحو يؤكد للحيارى.. أن الخيرة فيما اختاره الله - تعالى -

وإذا كان الشاعر يقول:

يعللنا هذا الزمـــان بذا الوعــــد

ويخـــدع عـــمـــا فى يديه من النقــد

إذا كان الزمان يفعل هذا.. فإن خداعه لن يعمر طويلا.

لأن الله - تعالى - أرحم بعبده المتوكل عليه أن يرد يديه صفرا.

وإن من حكمته تعالى أن يربى عبده حين يضربه بالحوادث التى يخرج منها ذهبا خالصاً:

قال ابن الجوزى(٤).

من العجب إلحاحك فى طلب أغراضك. وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك. وتنسى أنها قد تمتنع لأحد أمرين:

إما لمصلحتك: فربما معَّجل أذى.

وإما لذنوبك: فإن صاحب الذنوب بعيد من الإجابة.

فنظف طرق الإجابة من أوساخ المعاصى. وانظر فيما تطلبه: هل هو لإصلاح دينك؟ أو لمجرد هواك.

فإن كان للهوى المجرد.. فاعلم أنه من اللطف بك. والرحمة لك. تعويقه:

وأنت فى إلحاحك بمثابة الطفل:

يطلب ما يؤذيه. فيمنع .. رأفة به، وإن كان لصلاح دينك: فربما كانت المصلحة تأخيره.. أوكان صلاح الدين بعدمه.

وفى الجملة: تدبير الله - تعالى - لك خير من تدبيرك. وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء .. ليبلو صبرك.. فأره الصبر الجميل.. ترَ عن قرب ما يسر.

ومتى نظفت طرق الإجابة من أدران الذنوب.. وصبرت على ما يقضيه لك. فكل ما يجرى أصلح لك: عطاء كان أو منعا].

قضـــــية الـــــرزق

إنها إذن قضية الرزق .. ماديا كان أو معنويا ..

وواجب العبد هو التسليم.. كهذا العالم الذى صابر زمانه.. فكان تفسيرا عمليا لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(٥).

لقد قدم الرجل من نفسه تقواها.. فحقق الله تعالى بالتقوى ثمارها:

---

(٤) صيد الخاطر / ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٥) الطلاق/ ٢، ٣.

أ ـ أخرجه من البحر سالما.

ب ـ ثم رزقه من حيث لا يتوقع الرزق.

ومعنى ذلك:

أن يشغل العبد نفسه بطاعة خالقه – عز وجل – مقبلا بقلبه عليه سبحانه.. مستدبراً الأسباب.. مؤملا الخير فى مسبب الأسباب تعالى..

إن التمساح الهائل الضخم.. يخرج رأسه من البحر.. ثم يفتح فاه.. فيأتى طائر.. صغير.. لينظف أسنانه.. فلا يؤذيه.. ثم يعود الطائر إلى وكره شبعان ريان!!

من دروس شيخى

ومما تعيه الذاكرة من دروس شيخى[٦].

يقول الله – تعالى –:

﴿ فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾[٧].

ومعنى المشى فى المناكب: طلب الرزق بكل أسبابه:

بالزراعة، والصناعة، والتجارة

أى: استنفاد الطاقة كلها فى طلبه.

وذلك مفتاح من مفاتيح الحضارة.. يتفرد به الإسلام فى قيادته للحياة.. إلى التى هى أقوم

أجل: مفتاح الحضارة، لأنها قبل ذلك، مفتاح عزة الأمة وكرامتها.

فالآية الكريمة تعنى:

أن رزق العبد محفوظ، وهو بين عطائه تعالى.. وسعى العبد شخصياً.

وإذن: فلا واسطة:

ليس فى قضية الرزق عنصر ثالث.. من مدير يستذلك.

أو مالك يستبد بك.

ومغزى هذا:

أنك لا تطلب الرزق من المخلوق.

وإنما تطلبه من الخالق سبحانه.

ويترتب على ذلك:

أ ـ أنك لن تحزن على ما فاتك منه.

ب ـ ولن تقلق على ما تترقبه.

جـ ـ وذلك أزكى وأحفظ للكرامة.. لأن القضية أساسا فى يد أمينة!!

سنة التعويض

قال القاضى:

وقالوا لى بعض ذلك: عندنا صبية يتيمة. ولها شىء من الدنيا. نريد أن تتزوج بها.

فامتنعْتُ.

فقالوا: لابد. وألزمونى. فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إلىّ. مددت عينى أنظر إليها. فوجدت العقد بعينه معلقا فى عنقها!!

فما كان لى حينئذ شغل إلا النظر إليه. فقالوا: ياشيخ!!

كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد.

---

(٦) د. محمد سعاد جلال.. وكالعادة: له الفكرة.. وعلينا التبسيط.

(٧) الملك/١٥.

ولم تنظر إليها!

فقصصت عليهم قصة العقد.

فصاحوا بالتهليل والتكبير. حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة.

فقلت: ما بكم؟! فقالوا:

ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد. هو أبو هذه الصبية.

وكان يقول:

ما وجدت فى الدنيا مسلما إلا هذا الذى رد علىّ هذا العقد.

وكان يدعو ويقول:

اللهم اجمع بينى وبينه حتى أزوجه بابنتى!

والآن قد حصل.

من دروس الموقـــــف

أ ـ المجتمع يكرم اليتيم.

إنه مجتمع الأبرار الذى لا يكتفى فقط بكفالة اليتيم.. وإنما يكرمه.

ومن مظاهر التكريم هنا: أنهم يسعـــون ويتواصون بتزويجها.

ولا بأس أن يكون الزوج شيخا.. ففارق السن.. لا يمنع من زواج توفرت دواعى نجاحه.

ب ـ يعلمنا الزوج أن هناك شيئاً أقوى من الغريزة.. حين استغرق فى سبحاته وذكرياته أياما وليالى.. متدبرا فى صنع الله – تعالى –.. والذى رد العقد إليه.

ولم يسقه إليه فى شرابته كما سلمه لصاحبة.

وإنما يأتى إليه فى جيد فتاة.. حلال له.

لقد رفض مئات الدنانير.. فجاء الله – تعالى – بما هو أغلى من ملء الأرض ذهبا.

جـ ـ ولم يكن المجتمع مجرد «خاطبة» تشرف على العقد.. ثم ينتهى دورها.

وإنما كان المجتمع يتابع.. ويراقب.. حتى يطمئن على الأمانة.. على اليتيمة التى كانت وديعة فى يديه.. وما كان على اليتيمة من حرج فى أن تخبر «أهلها» بمشكلتها حين أعرض عنها الزوج.

وكان لابد أن يتدخلوا لمعرفة السر.. وكان هذا العتاب الرقيق.. والذى انتهى بهذا الدرس البليغ.. فى ضرورة تعويض من ترك شيئاً لله.. عوضه الله – تعالى – خيراً منه.

د ـ وما أكثر الأصدقاء الذين يبكون اليوم ذلك الراحل العزيز.. وما أشد ما يتوجعون لمشهد أيتام زغب الحواصل: لا ماء.. ولا شجر.

وعند ما يوارونه التراب.. يعود كل واحد إلى دنياه مؤثرا هواه على كل ماعداه:

ويصمت الحديث عن الأيتام.. الذين يضيعون على موائد اللئام.

لكن هذا الموقف العظيم.. تشع من ورائه ظلال وألوان.. من القيم الأصيلة النبيلة التى تعمر بها قلوب الأصدقاء الأوفياء.

الأوفياء.. الذين يبدأ دورهم الحقيقى بعد رحيل الصديق أن ينوبوا عنه فى تربية أيتام.. لا يشعرون بالفراغ من بعد أبيهم.. فى ظل آباء

جدد.. ربما كانوا أقل الناس بكاء على أبيهم..

لقد شغلهم البكاء لأيتامه.. عن البكاء عليه؟!

آبـــاء صـــدق

وتأمل كيف كان صاحب الكيس يتخير لابنته.. التى طال من أجلها بحثه عن ذلك الذى وجد الكيس فى الطريق.. ليكون لها زوجا.. لأنه لم يجد فى حياته من استكمل عناصر الإيمان إلا هو.. وكيف حقق الله أمله وزكى عمله.. تبصرة وذكرى لكل أب يبحث عن الاسم الذائع. والصيت الذائع.. ثم لا يجنى فى النهاية إلا رجع الصدى.

من آيـــات اللـــه

قال القاضى:

فبقيت معها مدة. ورزقت منها بولدين.

ثم ماتت . فورثت العقد أنا وولداى.

ثم مات الولدان.. فحصل العقد لى.. فبعته بمائة ألف دينار.

وهذا المال الذى ترونه معى.. من بقايا هذا المال] أ. هـ

من فقـــه ابـــن الجـــوزى

أما بعد

قال ابن الجوزى[8]:

ينبغى للعاقل أن يتخير امرأة صالحة. من بيت صالح. يغلب عليها الفقر. لترى ما يأتيها به كثيرا!]

ثم قال:

وليتزوج من يقاربه فى السن.. فأما الشيخ: فإنه إذا تزوّج صبية آذاها:

وربما فجرت. أو قتلته. أو طلبت الطلاق. وهو يحبها فيتأذى. وليتمم نقصه بحسن الأخلاق. وكثرة النفقة]

هكذا قال ابن الجوزى.. قبل أن يرى قصة هذا الزواج الناجح:

بين شيخ.. وفتاة..

ولو قد رأى .. لغيّر رأيه.. الذى حاول أن يجعل منه قاعدة.

ولكن الواقع شاهد بأن لكل قاعدة استثناء.

اســــتدراك

لكن ابن الجوزى كانت له نظرته المستقبلية الصائبة مع هذا.. ولعله كان يقصد بالشيخ.. ذلك العجوز الذى يحاول استئناف حياة فات أوانها مع بنت فى عمر أحفاده!

والواقع شاهد بما يقول:

فقد وافتنا وسائل الإعلام بنبأ هذا العجوز. الذى هرع إلى قسم الشرطة بشكوى ضد زوجته.. والتى اكتشف أنها ـ وهى فى عصمته ـ تزوجت بغيره؟!

---

(٨) صيد الخاطر/٦٠٣.

لقد تجاوز العجوز السبعين خريفا.. بينما كان عمر الزوجة عشرين ربيعا.

هذا العجوز الذى لولا زوجته الأولى.. ماكان غنيا.

ولولا غناه.. ماكانت الزوجة الثانية.

لكنه تناسى وضعه وتزوجها.. فكان أن تزوجت من هو فى مثل سنها.

لقد ارتكبت البنت خطأ فاحشا.. نعم.. وكان موقفها نقدا ذاتيا مدمرا.. نعم لكن الوالد.. الطامع.. والعجوز.. الطاعن.. كلاهما قد ارتكب خطيئة!!

وإذ يذهب العجوز بجلها.. فإن الوالد يذهب.. بكلها!!

والمطـــــلوب

محاكمة هذا الوالد الأحمق:

بل إنه لم يترك من الحمق شيئا.. لأنه ذلك الرجل الذى يحاول أن يُحدث فى الزمان.. مالا يقبله الزمان!

لقد رفض الفتى.. الشاب.. القادر على إسعاد ابنته.. وهرول وراء الغنى، فكأنه يبحث عما يسعده هو.. لاعما يسعد ابنته فكان رد البنت عنيفا.. مدمدما.

كان ردا على كل من يُقدم ابنته لتكون أمة.. يبيعها فى أسواق النخاسة.. فكان على ما قال الشاعر:

قد استرد السبايا كلُّ منهزم

لم يبق فى قيده إلا سبايانا!!

الربيـــع الصـــامت

إنه الحمق بعينه:

أن يؤثر الإنسان حَفنة من ذهب.. تذهب بمستقبله ومستقبل أهله معه.

وماذا يبقى من المال.. بعدما راحت هيبة الرجال.

وأذكر هنا ذلك الربيع.. الذى صوره الشعراء من قبل يأتى.. مختالا.. ضاحكا.

إنه يأتى اليوم.. صامتا كئيبا:

إن طيوره المغردة.. ماتت بالمبيدات.

فى الوقت الذى بقيت فيه الحشرات حية.. لأنها طورت نفسها مع المبيدات.. حتى صارت غذاء لها.. وكانت أمريكا تخسر ثلث محصولها بالحشرات.

فاشترت المبيدات.

واشترتها بثلث المحصول.

ويعنى هذا:

أن النتيجة كانت أشد ضررا:

فقد دفعت ثمن المبيدات.. ثم خسرت الإنسان.. والحيوان والزرع!!

وهكذا نحن فى دنيا الناس: إننا نصنع المتاعب.. ثم نشكو بعد ذلك منها:

نشترى المتعة.. ثم فى النهاية نخسر الكرامة

نمزق دنيانا بتمزيق ديننا

فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

قصة العدد

إسلام عدى بن حاتم

جلس عدى بن حاتم فى ملأ من طيئ، وكان سيدا مطاعًا، له المال والإبل والعبيد، فأخذ يتسمع الأنباء عن سرايا المسلمين إلى القبائل الضارية فى أحشاء الجزيرة، إذ يدعون إلى الإسلام كما جاء به نبيهم محمد بن عبدالله القرشى المكى، وقد أتم الله عليه نعمته، فانتصر فى حروبه شرقا وغربا، ثم هو عادل أمين منصف، لا يميز بين الفقير والغنى، بل إن الضعيف لديه فوق القوى حتى يأخذ الحق له!

بقلم: عابر سبيل

١

قال عدى: ماهذا، لا يميز بين الغنى والفقير، والضعيف عنده قوى حتى يأخذ الحق له، وأنا سيد مطاع، ولى الأمر النافذ، أبعث عبيدى فيغيرون، ولى المرباع مما يغنمون، وأقضى بين المتنازعين فى طيئ، فلا يخالفنى أحد إن قضيت كما أشاء! ثم إنى نصرانى أدين بدين المسيح، ولى أصدقاء من ملوك الشام بنى غسان، أرحل إليهم فيعرفون قدرى، ويذكرون مآثر والدى حاتم سيد كرماء العرب فى البادية والحضر، والله ما أبغض شيئا كما أبغض حديث الإسلام، ولا أمقت رجلا كما أمقت هذا الذى جاء ليجعل العبيد مع السادة على صراط سواء قال له أحد جلسائه: ولكن فريقا من سادة طيئ قد آمن بدعوته، وقد خف إليه ملأ منهم بقيادة زيد الخيل فرجعوا مسلمين تائبين!

قال عدى: عجبا! أيذهب زيد الخيل، وهو فارس العرب جميعها لا فارس طيئ وحدها، ليلقى زمامه بيد رجل مكى من قريش، قد مد سلطانه على يثرب، وتبعه من لا يدينون بدين

المسيح! ليتنى أعرف ما كان من أمر زيد مع من يزعم أنه نبى بعد عيسى بن مريم!

فرد عليه صاحبه: علمنا من أصحاب زيد، أنهم اتجهوا إلى المدينة، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد، وجلسوا قريبا من رسول الله حيث يسمعون صوته، فلما نظر إليهم قال لهم: أنا خير لكم من العزى ومما تعبدون من دون الله، فقام زيد الخيل - وهو من أعظمهم خلقا وأحسنهم وجهًا - فقال له محمد وهو لا يعرفه: الحمد لله الذى أتى بك من حزنك وسهلك، ويسر قلبك للإيمان، ثم قبض على يده وقال: من أنت؟ قال: أنا زيد الخيل ابن مهلهل، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، فقال له محمد: بل أنت زيد الخير، وما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاء لى إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل، فبايعه هو وصحبه، وأسلمت الصفوة من طيئ.

قال عدى: ولكنى لا أسلم، ثم نادى أحد غلمانه فقال له: لا أبالك، أعدد لى من إبلى جمالا ذُللا سمانا فاحبسها قريبا منى، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأعلمنى، لأرحل بأهلى إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان، إذ يطيب لديه المقام، ويحمينى من بنى قريش!

ولم تمض أيام حتى تحقق ما ظنه عدى، فجاء غلام يصرخ: جاءت خيل المسلمين يتقدمها على بن أبى طالب، وهى تدعو إلى الإسلام، وتفرض الجزية على من يأبى، فدهش عدى، وسار بأولاده متجها إلى الشام حيث دبر من قبل، ذاهلا عن أخته سفانة بنت حاتم، وفى وهمه أن جبلة بن الأيهم سيأخذ بناصره، ويرسل معه من يحميه فى طيئ فيقف حائلا دون امتداد الإسلام، وراعيًا لمن خالف ولم يذعن.

وما كاد عدى يلقى رحله لدى الغساسنة حتى فوجئ بما لم يتوقع، إذ وجد ملكهم الكبير ينتفض رعبا من المسلمين بعد غزوة تبوك، فقد أجفل سيده هرقل عن لقاء المسلمين، وضرب رسول الله الجزية على متنصرة العرب، وذهبت سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة فأسرته وفتحت مدينته، وجعل عرب الشام يطلبون الأمان فى ظل محمد، وقد يئسوا من قوة الرومان فعاهدهم على السلام وكتب لهم أمان المصالحة! فماذا عسى أن يصنع عدى، وقد اهتز تقديره للأشياء وتلاشت ظنونه فى قوة هرقل وبأس بنى غسان! إنه انتبذ بمن معه مكانًا أمينا فى جوار بعض المنتصرة من العرب بدومة الجندل شاردًا بتفكيره إلى حيث لا يستقر، فقد كان عزيزًا منيعًا فى ملئة من طيئ، لديه المال والكراع والعبيد، وإذا لم يكن يريد الإسلام فلا أحد يجبره عليه، ولكن عليه أن يدفع الجزية لمن يقومون بحمايته، ويحافظون على كيانه، وهى ليست ضريبة تؤخذ بغيًا، ولكنها عوض عن جهاد يقوم به من يبذل الدم، وهو أغلى من المال! لقد حار الرجل فى أمره ولا يدرى ماذا سيصنع! ولم يلبث أن وجد الحل، فقد علمت أخته سفانة بنت حاتم بمقامه فى دومة الجندل،

فرأت أن تذهب إليه لائمة معنفة حين تركها ورحل بأهله وأولاده وكأنها ليست ابنة أبيه، وكان الرجل منصفا فقال لها: لا عذر لى يا سفانة، ولكنه قدر كتب على وعليك.. وأرجو أن أسمع منك ما يضئ لى الطريق، فقالت سفانة: لقد جاءت خيل على بن أبى طالب، فصبحت القوم واستاقت الخيل والإبل والناس إلى رسول الله، فلما عرض الأسرى بيثرب نهضت إليه فقلت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد، فإن أردت أن تخلى عنى، ولا تشمت بى أحياء العرب، فإن أبى كان سيد قومه، يفك العانى، ويقتل الجانى، ويحفظ الجار، ويحمى الذمار، ويفرج عن الكروب، ويطعم الطعام، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا، أنا سفانة بنت حاتم طيئ.

فقال رسول الله: يا جارية، هذه صفات المؤمنين حقا، ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، ثم قال: ارحموا عزيزاً ذل، وغنيا افتقر، وعالما ضاع بين جهال، ومنّ علىَّ فأطلق من معى تكريما لى، فاستأذنته فى الدعاء له، فأذن لى فقلت: أصاب الله ببّرك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم، إلا جعلك سببا فى ردها عليه.

قال عدى: هل امتن على القوم فأطلقهم من أجلك، قالت: نعم وإله محمد، فقال عدى: وبماذا تشيرين على؟ قالت: أرى أن تذهب إلى هذا النبى قبل أن تعلقك حبائله، فإنى رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة، ورأيت خصالا تعجبنى، رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ،ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود منه ولا أكرم، فإن يكن نبيا فللسابق فضله، وإن يكن ملكا فلن تذل فى عز ملكه!

قال عدى: هذا ما انتهيت إليه يا سفانة، وسأرحل إلى يثرب منذ الآن.

٢

خف عدى إلى يثرب، وفى خواطره شجون تتضارب، فهو تارة يتخيل رسول الله غاضبا ينقم عليه هروبه واستخذاءه فيعامله بما يعصف بمكانته لدى نفسه ثم لدى قومه حين يطير النبأ فى الناس، وله خصوم سيتداولون ما كان، ويقارنون بين لقاء رسول الله ﷺ لزيد الخيل ولقائه لعدى، فيروون من الثناء المستطاب لزيد ما شرفه حيا، وما سيظل ذكره مترددا فى أفواه لا تنسى حرفا واحدا مما يقول رسول الله، ثم يتجه عدى بتفكيره اتجاها آخر فيقول: إن سفانة تحدثت عن شمائل النبى بما يروق ويعجب، وروت أنه أطلق قومها من أجل أبيها، وأنا عدى ابن حاتم، فلابد أن يشملنى ما شمل أسرى طيئ من قبول وصفح، ثم إنى أعلم أن أناسا من المشركين شاقوا الله وعصوه، وحاربوا الإسلام فى مكة، حتى ضاقت به فهاجر النبى إلى المدينة فرارا مما يلقى ثم حاربوه فى غزوات بدر وأحد والخندق وغيرها، ومنهم من تولى زعامة الحرب،

فرسم الخطط، ودبر المكايد، وساق الجيوش، ومع ذلك فقد عفا رسول الله عنهم جميعا، وأنا ما حاربت، ولا دبرت، وظنى تبعا لذلك أننى أحق بالقبول من هؤلاء هكذا كان عدى بن حاتم يفكر فى طريقه إلى المدينة حتى وجد نفسه فى مسجد رسول الله، وقد تقدم إليه معرفا بنفسه فقال فى أدب: من الرجل؟ فرد: عدى بن حاتم، فعرف فى وجه رسول الله ﷺ ما ينبئ عن الارتياح، وكأن عبئا ثقيلا قد انزاح عن كاهل عدى، فلم يعد لشجونه الثائرة مجال تضطرب فيه، ورسول الله يعرف كيف يعامل الغريب الوافد، إذ من شمائله الكريمة أن يؤنس وحدته، ويذهب وحشته، فقال له: هيا، وسار معه فى الطريق إلى منزله، إنه إلهام من الله لرسوله، حيث أخذ يعطى للزائر الوافد من الشواهد العملية ما يدل على أن الرسول نبى صاحب رسالة إنقاذ، وليس ملكا ينشد السيطرة والجاه، وأى دليل يقتنع به السيد الوافد أكبر من أن يرى امرأة مسكينة تنادى رسول الله وهو متجه إلى منزله، لتسأله عن بعض شأنها، فيقف معها طويلا سائلا عن حاجتها، وعاملا على قضاء مآربها، أى ملك يقف للمساكين فى رعاية وعطف، ويسير مع ضيفه دون حرس من جند، أو حاشية من أتباع، هذه إحدى دلائل النبوة، ثم تلتها دلالة ثانية حين وصل عدى إلى منزل مضيفه، ولم يجد أثير الفراش ولا عزيز الرياش، وإنما وجد حجرة خالية ليس بها غير وسادة من جلد قد حشيت ليفا، فتقدم بها رسول الله إلى عدى ليجلس عليها، وجلس هو على الأرض!

أهذا نبى أم ملك، ثم جاءت الدلالة الثالثة حين بدأ رسول الله فى الحديث، فتكلم كلام من يعرف عن عدى كل ماضيه، فقال له: ألم تكن تأخذ المرباع من الأموال، وهذا ما لا يحل لك فى مذهبك وأنت تتعبد على دين المسيح؟ فرد عدى بالإيجاب إذ لم يجد مجالا للكذب، فانتقل رسول الله إلى إيضاح ما يجول بخاطر عدى دون أن يقدر على الإفصاح به فقال رسول الله ﷺ: لعلك ياعدى بن حاتم إنما يمنعك من الدخول فى الإسلام ما ترى من حاجة المسلمين فوالله ليوشكن المال أن يفيض عليهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من كثرة عدو المسلمين وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ولعله إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين أن ترى الملك والسلطان فى غير المسلمين وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت! هذا ما قاله رسول الله لعدى فى منزله، وهو ما قذف بعدى إلى محيط من الدهشة المذهلة، لقد كان حقا يفكر فى أمر الإسلام بينه وبين نفسه، فيقول: كيف سينتشر هذا الدين الجديد فى الآفاق، وأهله قلة محصورة فى إقليم من الجزيرة العربية لا يساوى شيئا إذا قيس بأطباق الأرض، فرد عليه الرسول بأن أوضح له بأن الإسلام سيغمر الآفاق المترامية حتى تسير المرأة من القادسية حاجة بيت الله لاتخاف من أحد، واختار الرسول المرأة دون الرجل لأنها أضعف

وأخوف فإذا ذهب عنها الضعف وفارقها الخوف فالرجل أولى وأجدر، كما كان عدى يفكر فى افتقار المسلمين وقلة المال لديهم إذا قيسوا بملوك الأرض، والمال باب الجاه، وركيزة السلطان، فقال له الرسول: إن الفقر البادى على المسلمين اليوم مؤقت بميعاد، وسيطل يوم قريب يفيض فيه المال لديهم حتى لا يجد من يأخذه! ثم هو قد فكر فى عظمة قيصر ومنعة كسرى وكيف للإسلام بالانتصار على أكبر مملكتين قويتين تحكمان العالم فقال له الرسول: وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت! كيف أدرك الرسول خواطره وهى دفينة فى صدره فأجاب عنها بما يشفى الغليل! إنها النبوة الصادقة لا محالة، وإذن فالإسلام حق، ولابد أن ينضوى تحت لوائه، بعد أن اقتنع أكبر اقتناع! وقد كان.

وانتقل عدى من المنزل الشريف إلى المسجد ثانية، فوجد جماعة ينتظرون رسول الله سائلين عن التصدق بالقليل، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: لكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل، بصاع أو ببضع صاع، بقبضة أو ببعض قبضة، وإن أحدكم سيلاقى الله فيسأله: ألم أجعلك سميعا بصيرا؟ ألم أجعل لك مالا وولدا؟ ماذا قدمت، فينظر بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله فما يجد شيئا، فما يتقى النار إلا بوجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة لينة، إنى لا أخشى عليكم الفاقة، لينصرنكم الله- أو ليفتحن عليكم- حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب، وما تخاف.

سمع عدى حديث الرسول لأصحابه، فنزل من نفسه منزلة الماء من ذى الغلة، نقع أواما وشفى غليلا، ثم ودع المدينة، وسار إلى منزله الأول بمضارب طيئ ليجد من سبقوه إلى الإيمان يستقبلونه فرحين.

٣

آمن عدى عن اعتقاد، فصار الإسلام آثر عنده من أهله ومن نفسه، وصار يحث قومه على تعاليم الحنيف، وحفظ القرآن، آسفا أن تأخر إسلامه، فلم يصحب رسول الله ﷺ فى غزواته، وقال لقومه: أريد معارك إسلامية تسبق فيها طيئ إلى رفع اللواء كما سبق المهاجرون والأنصار، وقومه يقولون: لو أقدمت من قبل لكنا من خلفك، ولعل لله حكمة فى تمهلنا، ألست تذكر أن الإسلام سينشر فى ربوع الروم وبلاد فارس ولن ينتشر إلا بقتال الكفر، ونحن متربصون لنجاهد.

ثم حانت المعركة الأولى حيث قامت حرب الردة، فقد انتفضت قبائل الجزيرة على الإسلام انتفاضا كاد أن يحدث أعنف الزلازل، لولا إيمان أبى بكر الصديق، فقد عرف أن الله ناصر دينه مهما تألبت الجموع، وعارض من دعا إلى الاعتصام بالمدينة ونبذ القتال، فقال مقولته الشهيرة: والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه! ومن ثم توجهت جيوش الإسلام إلى شتى القبائل، وتوجه خالد بن الوليد على رأس من خفوا

لمحاربة المتنبئ الكاذب طليحة الأسدى، حيث ادعى النبوة، والتف حوله ذوو المطامع ومنهم من قال لأن نتبع نبيا من أسد وطيئ خير من أن نتبع نبيا من قريش، واستمع عدى إلى ما يقال فعرف أن المرتدين كذابون يلتفون حول كذاب، وأن أوان الجهاد الذى يتشوق إليه قد حان، ولكنه كان ذا حنكة عاقلة، وتفكر أريب، إذ آثر أن يبلغ بالرأى أضعاف ما يبلغه المجاهدون بالسيف، فذهب إلى خالد بن الوليد، وقال له: إن طيئا ذات فرعين كبيرين هما الغوث وجديلة، ولى برؤسائهما صلة وإعزاز، فأجل هجومك ثلاثة أيام حتى أفعل ما أرى، فإذا يسرالله الأمر وأقنعت من أعلم، فقد كفينا من شر كبير، قال له خالد: فماذا ستصنع، قال: سآتى إلى الغوث فهم ألين وأطوع، وأبين لهم كذب هذا المفترى حتى يعرفوا طليحة الأسدى على حقيقته، وما أزال بهم حتى ينفضوا عنه، فينضموا إلى جيشك، وهذه هى الأولى، أما الثانية فأذهب إلى جديلة وأقول لهم ماذا ستصنعون وحدكم؟ وقد اقتنع الغوث بكذب طليحة، ولئن قاتلتم جيش خالد فستقاتلون إخوانكم من الغوث وهم فى طليعة جيش المسلمين، ولا يلبث الواحد منكم أن يرى صهره وصديقه أمامه وجها لوجه فيحار فيما يصنع، قال خالد: على بركة الله يا عدى، فقد أوصانى أبوبكر بالاستماع إليك، وهو يراك رجل صدق ومعروف، قال عدى: حيا الله خليفة رسول الله، وقد جاءت نوبتنا فى الجهاد.

اتجه عدى إلى زعماء الغوث، فقال لهم: الإسلام منتصر، وقد ذهب المسلمون من قبل لقتال الروم فى تبوك والبلقاء ودومة الجندل وذى أوان فانتصروا انتصارا كبيرا، أفيثبت لهم طليحة، وأكثر من معه لا يصدقونه، ولكنهم خرجوا عصبية لا دينا، فإذا حمى الوطيس تركوه ولاذوا بشقاق الجبال، فتنهزمون بانهزامهم، وتدور عليكم الدائرة، ويقع فى الأسر من سلم من الموت، وتسبى الذرارى والنساء! هذا هو المآل فماذا تنتظرون؟ قالوا لعدى، آثرت بالخير، وانتظر حتى نرسل لأشياعنا فى جديلة، فنكون جميعا على كلمة سواء! وبادروا فآتوا بأوليائهم من جديلة، وسر خالد بما كان من عدى، فقال له: بلغنا نصف ما نهدف فهلم!

توجه عدى إلى جديلة فقال لهم: لقد انضمت الغوث إلى خالد، ومن ورائه مدد من المسلمين لا يحصى ولا يعد، وقد تحصن طليحة وترك القتال لأصحابه زاعما أنه يسبح ربه، ولو كان صادقا لانتصر حين دعا النبوة من قبل وزعم أن جبريل ينزل عليه، فهزمه ضرار بن الأزور، وأنتم الآن محاصرون بين شقى الرحى من المسلمين، إذا جاءوكم من شمال ويمين، فكونوا مع الكفة الراجحة التى فاء إليها إخوانكم من الغوث، واتقوا قتل الرجال وسبى الذرارى والنساء! فقالوا لعدى: نعهدك ذا أمانة، ونحن من ورائك فسر بنا إلى خالد! ولحق بالمسلمين ألف راكب من طيئ.

ثم دار القتال فى أماكن لم يعرفها المسلمون من قبل، فكان أعداؤهم يتحصنون فى المغاور والكهوف حتى طال الأمد، فقال خالد لعدى: ماذا ترى؟ فقال عدى: الرأى أن تنتظر معى فى طيئ حتى أبعث إلى كل قبائلها، فأجمع منهم أكثر مما معك، وقد عجل فجمع كثيرا من الناس، ولكن أسدا وغطفان قد انضموا إلى جيش طليحة، وقال أناس من طيئ: إن أسدا أصهارنا، ولن نحاربهم، بل نقتصر على غطفان، فصاح بهم عدى: والله لو كان ولدى وإخوتى فى جيش طليحة لقاتلتهم حتى أبيدهم، والأمر أمر إسلام وكفر لا أمر مصاهرة وأنساب! ثم تقدم إلى خالد بمن معه، فتقدم المخالفون من ورائه، ودارت معركة رهيبة انتهت بخذلان طليحة وفراره، رجع الطائيون مسرورين يشيدون برأى عدى، ويقولون له: أنت أحسننا نقيبة، لأنك خير مولود فى طيئ كفاها الخذلان! قال عدى: كنت أرى ما سيكون بلحظ الغيث منذ شهدت محمد ابن عبدالله، إذ كان وجهه وجه نبى، وقوله قول نبى، وفعله فعل نبى، أفيبلغ بى الهوس أن أقرن به كذابا مثل طليحة الأسدى! لقد جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس فى دين الله فلا نكوص ولا ارتداد.

انتهت حروب الردة بانتصار الإسلام، وأحس عدى برد الراحة لأنه أدى عملا بطوليا يحسب له فى سجل الوقائع، وقد قال لقومه من طيئ: لن يفخر علينا أحد بعد أن كسبنا النصر بالرأى والسيف معا، وإنى لأستعد لمثلها!

فقال أحد سامعيه!: وما مثلها بعد اليوم وقد انهزم المرتدون فى كل موقعة، وألقوا السلم عن قهر، وفاز المسلمون برضوان الله!

فرد عدى: لقد وعد رسول الله أن تسير المرأة من القادسية إلى مكة آمنة فى كنف الإسلام! كما وعد أن تكون قصور بابل فى حوزة المسلمين وإنى لأنتظر هذا اليوم وهو قريب!

ولم يتخلف ظن عدى، فقد انتقل خالد من حرب الردة إلى فتح العراق، وتدفقت الجيوش إلى لقاء القائد الفارسى هرمز، وكان فى طليعة الغزاة أبطال عظام مثل: المثنى بن حارثة وأخويه والقعقاع بن عمرو، وعياض ابن غنم، وعدى بن حاتم وتهيأ هرمز بمن لا يحصون من الجنود فى غزوة ذات السلاسل، ولكن ثقة عدى فى قول رسول الله، جعلته يستهين بالفيلة الضخمة فوقها الفوارس المدرعون بسيوفهم الباترة! ولم يكن رأى فيلا من قبل! فحين رأى تردد بعض المسلمين صاح بهم: النصر مكتوب وقد سمعت حديثه من رسول الله!

واشتعلت المعمعة بنيرانها الملتهبة، فكان النصر للأبطال من أصحاب خالد، وسجل التاريخ فى أمجاد المثنى والقعقاع وعدى وعياض بأحرف من ضياء! وصاح عدى الآن تسير المرأة حاجة من القادسية إلى مكة، وغداً ياقوم سنحتل قصور بابل فلا مناص.. وقد كان.

رمضان فى بلاد الأمريكان (٣)

الأرض الخصبة والتأهب للغرس

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

إن الذى يعاين تاريخ الإسلام يدرك أن هذا الدين يمتاز فيما يمتاز به بخصلتين بارزتين لا تخطئهما عين المعاين للتاريخ الناصع البياض أولهما: أنه دين ذو طبيعة خاصة يمتاز بالديناميكية الذاتية.
ثانيهما: وهى مؤسسة على الأولى - أنه يترعرع فى أوقات السلم.

بادرنى صاحبى مهللا: على رسلك وقبل أن تسترسل أقول لك: إن كلامك فى حاجة إلى بيان وتوضيح.

قلت: لا تثريب عليك فيما تطلب من بيان وتوضيح وليس لى عندك إلا مطلب واحد هو ألا تكتم شيئا مما تريد فيما تحسبه يحتاج إلى بيان وتوضيح وأرجو ألا يمنعك الحياء أن تسأل عما بدا لك فنحن - أنا وأنت - طلاب معرفة سوف نخسر كثيراً إذا كتمت أنت شيئا ولم تفصح عنه وكذلك سوف نخسر كثيراً إن أنا كتمت عنك علما أعرفه فذلك ينافى أدب الإسلام الذى أدبنا به رسول الله ﷺ حيث أخبرنا بما توعد الله به كاتم العلم فقال: « من علم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة »[1] وعلى أى حال الحمد لله فأنا لا أزعم أنى عالم ولا أحب أن أكتم شيئا علمنى الله إياه.

قال: جزاك الله خيراً لكنى أرجو ألا تغضب منى إن طلبت شيئا أو ألحت فيه.

قلت: لن أغضب منك - إن شاء الله - مادام الذى تطلبه فى حدود الحوار المهذب أما إن كانت الأخرى فاسمح لى أن أقول لك - بلا حياء مصطنع - كلمة مأثورة تنسب للإمام الشافعى - رضى الله عنه: (من استغضب ولم يغضب فهو حمار) ولست كذلك ولا أحب أن أكون.

(١) كتاب جامع بيان العلوم وفضله.

قال: إنك تكاد أن تخرج عما نريد، لكن اسمح لى أن أقول لك إن بعض تعبيراتك غريبة لا أكاد أفهمها من أول وهلة فمثلا قولك فى بداية حديثك (إن الذى يعاين تاريخ الإسلام) فلماذا لم تقل إن الذى يقرأ تاريخ الإسلام وهى كلمة واقعية لأننا فى الواقع (نقرأ) ما سطره المؤرخون فلماذا تركت نقرأ وآثرت (نعاين) وهى على خلاف الواقع؟

قلت لصاحبى: لقد أحسنت فيما سألتنى عنه، فهذه الكلمة هى ما أريده بالضبط من التاريخ، فالمؤرخ يسجل الأحداث فقط وقصارى ما نطلبه منه أن يسجل بأمانة ودقة وحيدة أما إذا حاول أن يكتب رؤيته وتقريره للأحداث فإنه - حتى وإن كان صادقا موفقا - فى التفسير والتحليل والاستنباط.

أما التحليل والتعليل فتلك مهمة أخرى تأتى بعده منه أو من غيره شريطة أن يفصل هو بين تسجيل الحدث والرؤية الخاصة أو التعليل لما حدث: وأنا أريدك أن تعاين التاريخ كأنك تشاهده أو كأنك داخل الحدث. أو أحد أفراده. إذ بالقراءة المجردة نكون قد أضفنا إلى نسخ الكتاب نسخة أخرى ليس إلا، وليس فى ذلك كبير فائدة فيما أعلم. ثم أردفت قائلا: على أى حال تعال بنا نعاين التاريخ ونعايشه.

كان النبى ﷺ فى طريق عودته من مكة إلى المدينة بعد أن منعه المشركون من أداء العمرة فتحلل منها وكانت نفوس المؤمنين يملؤها الغيظ والأسى، على أن بعضا منهم كانت تطل من رأسه علامات استفهام وتعبث بعقله كثير من الشكوك والظنون على هيئة أسئلة لا يستطيع لها جوابا. ألم يخبرنا رسول الله ﷺ برؤياه الذى سيدخل فيها البيت الحرام ونحن معه آمنين محلقين وخرجنا يحدونا الأمل ويدفعنا الشوق إلى مكة والبيت وها نحن عائدون يمزقنا الغيظ لم ندخل مكة ولم نعتمر؟! كانوا كذلك إلا واحدا منهم كان يضطرب اضطراباً شديداً خوفاً أن يحل به عذاب لأنه خيل إليه أنه كان يعارض الرسول ﷺ فى رأى رآه! ذلكم هو سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقد كان شديد العناد فيما طلبه المشركون يوم ذاك ونزلت على رسول الله ﷺ فى طريق عودته سورة. تصور ابن الخطاب أنها نزلت فيه تنذره بعذاب لأنه كان يرى غير ما رآه الرسول ﷺ لكن السورة لم تنزل بعذاب أو وعيد بل نزلت بالبشرى وأى بشرى؟ وقد عادوا ولم يحققوا شيئا مما جاءوا من أجله؟.. فى رأيى أن الصلح الذى تم بين الرسول ﷺ وبين المشركين بما حققه من وقف حرب المشركين للدعوة أعطى أعظم فرصة للإسلام دين السلام أن ينتشر وأن يغزو القلوب فى يسر وسهولة دعك من كل الشروط المجحفة أو المنصفة ولكن المهم أن يتهيأ السلام وأن يأمن الناس فذلك هو حقل الدين الخصيب لأن أول ما نزل على رسول الله ﷺ بشأن تبليغ الدعوة:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(٢) إذن هو إنذار وبلاغ وإعلام وليس قتالاً وحربا، ولما كان مطلوبا منه أن يتسع فى مجال الدعوة خارج دائرة العشيرة قال الله - تعالى - له:

(٢) سورة الشعراء/ ٢١٤.

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾(٣) .

فدعوة الإسلام ليس وارداً فيها لتبليغ الرسالة حرب أو قتال إنما هو البلاغ. وثمة ملمح جميل نراه متأصلاً عفوياً محصلة لهذه المعانى لدى فقهاء المسلمين جميعا عندما نتصفح كتب الفقه فى أحكام العبادات يقولون إن الأحكام الإسلامية لا يلتزم بها أو لا تجب على من لم يسمع بالدين الجديد لأن المسئولية تقع على حملة الدعوة عند تقصيرهم عن أداء الأمانة وعدم التبليغ ولهذا الفهم المستقيم الذى تأسس على مبادىء دين سليم مستقيم نجد من أول شروط وجوب الأحكام الشرعية يذكر الفقهاء شرطا يحدد هذه القضية تماما فيقولون من شروط وجوب الأحكام (بلوغ الدعوة) جميع الفقهاء ذكروا ذلك بالنص وليس ذلك إلا من روح الإسلام الذى ينبذ العنف والقتال فلم يشرع القتال إلا دفاعا عن الدعوة ضد من أرادوا اغتيالها.

كان المسلمون يتحملون العنف من المشركين صابرين مسالمين ممنوعين من القتال ومن رد العدوان. ولذلك فإن أول آية نزلت كانت بالإذن لرد العدوان وليس للقتال؟

يقول الله تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(٤) .

ومعنى هذه الآية فيما أفهم أنه بعد أن نفد صبر هؤلاء المعتدى عليهم لم يعد فى إمكانهم التحمل لألوان الأذى والعدوان أذن الله لهم فى الدفاع عن أنفسهم.

قال صاحبى: يا سبحان الله - مالك قد طوحت بنا من التاريخ إلى الفقه إلى التفسير وأسباب النزول وأحس كأنك لم تقض وطرك بعد من الحديث ورغم كل ذلك لا أكاد أفهم مرادك.

قلت لصاحبى: الحمد لله أنك كنت معى فيما طوحت إليه من مجالات؟ وأشهد أنك متابع جيد وهذا يثلج صدرى، أما أنك لم تفهم مرادى فهذا أحمده لك حيث إنك أضفت به إلى جانب المتابعة الفهم الصحيح حيث إننى لم أصل إلى مرادى حتى الآن فأنا أشكرك. أولاً على المتابعة. وثانيا على الفهم الصحيح. وأحمد لك أولاً وأخيراً الصدق فى الإفصاح عن أنك لم تفهم مرادى حتى الآن فلم تجاملنى أو تخدع نفسك!!!

ثم أردفت قائلاً إن الإسلام عقيدة. والعقيدة لا يمكن فرضها بالحرب هذه حقيقة نفسية لا ينكرها خصومنا إذ ليست هى قرآناً ولا حديثاً نبوياً يسارعون إلى رفضه. فأنت تستطيع أن تتغلب على شعب عسكرياً لكنك لا تستطيع أن تُكْرِه إنساناً واحداً على حبك.

ثم قلت لصاحبى - وأنا أحاول أن أحمله برفق إلى معاينة التاريخ -: ما لنا نعتسف الموضوع كله تعال معى نشاهد الأحداث فى عهد النبوة فهناك حادثة مهمة فى تاريخ الدعوة

---

(٣) سورة المائدة/ «٦٧».

(٤) سورة الحج (٣٩).

الإسلامية في رأيي لم تأخذ حقها من رجال الدعوة طلاباً وأساتذة فدلالتها بليغة عميقة في حياة الدعوة ونموها. هذه الحادثة هي صلح الحديبية فلقد تكلم العلماء كثيراً عن بيعتي العقبة الأولى والثانية. وبينوا أهميتهما في تأسيس الدعوة كما تحدثوا عن الهجرة ودورها في بناء الدولة الإسلامية وانتشارها حيث أمن المسلمون وبدأوا عصرا جديدا في بناء الدولة وكذلك بيَّن المفسرون أصحاب علوم القرآن فيما بينوا فروقاً عدة بين القرآن في عصره المدني وعصره المكي كدلالة على أن المرحلة المدنية مرحلة تأسيس وبناء الدولة وتكلموا عن خصائص الآي فيما نزل بمكة وما نزل بالمدينة فهي في مكة قصيرة متتابعة، أما في العصر المدني فإن الآيات طويلة والسور أيضاً فأكثر السور المدنية تمتاز بالطول فإنها تتكلم عن الأحكام غالباً وهي تحتاج إلى بسط وتطويل.

كما تكلم العلماء عن دخول مكة وسموه فتحاً فهي مهبط الوحي وركن الحج.

أما الحدث الذي لم يأخذ حقه من الدراسة والتحليل في رأيي فهو صلح الحديبية فهو بداية عصر جديد ونصوع وظهور لمنهج الإسلام السلمي وكما أن الكائنات الحية - الإنسان والحيوان والنبات - تحيا على الهواء فكذلك هذا الدين أنه دين إنساني ينمو ويترعرع في ظل الأمن وينساب إلى القلوب في أجواء السلام والاطمئنان.

وكانت الحديبية - في رأيي أيضا - بداية عصر جديد وأهم ما فيها أنها أنهت أسطورة القوة الغاشمة لعناصر الشر والجاهلية وأرغمتهم على طلب التراجع أمام الهدى الإسلامي.

قال صاحبي - في نبرة تهكم غير خافية: كيف؟

قلت مبادراً: إن قوى الشر استطاعت أن تفرض بغطرستها شروطاً مجحفة ظناً منها أنها تخنق الدعوة الوليدة في مهدها وليس خافياً أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يرفضون هذه الشروط وكادت أن تحدث فتنة أو ما نسميه بلغة العصر تمرد وعصيان بين المسلمين لولا حكمة أم سلمة - رضي الله عنها - حيث كانت هذه الشروط مؤلمة يكفي أن توجع منها ذلك الجسور عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وما أدراك ما عمر ذلك الوحيد الذي خرج شاهراً سيفه يوم أن هاجر يزأر متوعداً كل من تسول له نفسه أن يعترض طريقه.

أسرع صاحبي والتقط كلمة من الحوار يسألني عنها: لماذا تصف الفاروق عمر بأنه يتوجع مع أنه كما عرفنا موقفه يوم الهجرة جسوراً؟!.

قلت لصاحبي: كان عمر جسوراً يوم الهجرة جسارة الإيمان في مواجهة الكفر وجسارة العلم والنور في مواجهة الجاهلية والظلام؛ أما في يوم الحديبية فإن الوضع مختلف تماماً إنه ثار على الشروط المجحفة في جسارته المعهودة في غير تكلف أو اصطناع لكن رسول الله ﷺ كتم ثورته وكبح جماحه بقوله: «أنا رسول الله ولن يضيعني» فلم يستطع أن يقف أمام هذه القوة الإلهية التي واجهه بها رسول الله ﷺ فكان يتوجع من كتمان الثورة الهائلة في داخله ثم أردفت قائلاً - في مقارنة إيمانية بين الكلمات - هل تذكر ماذا قال سيدنا العباس لسيدنا أبو

سفيان – رضى الله عنهما – يوم دخول مكة وكانت كتائب المسلمين تمر أمام أبى سفيان فهالته العدة والعتاد؟ قال: – ولم يكن قد أسلم بعد – قال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال العباس كلمة نبيلة فيها تقييم للموقف كله وللعصر كله تقييم مختلف فيه استيعاب رائع للتغيير الذى طرأ على البشرية فأنار أفئدتها وأكسبها رحابة تسع الكون كله فى رضى وإخاء.

قال العباس – رضى الله عنه: «إنها النبوة» – نعم فذلك الذى جعل الجسور عمر يكتم ثورته ويتوجع فى صمت تحول إلى قبول ورضاً فى حجر النبوة لما سمع قول رسول الله ﷺ: «أنا رسول الله ولن يضيعنى» هذه الثورة الجامحة وهذا التحول الربانى لم يستمر إلا بمقدار الزمن الذى سار فيه عمر من عند رسول الله ﷺ إلى أبى بكر – رضى الله عنه – ليسمع الكلمة ذاتها: «إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا» وأبادر فأقول لصاحبى محذراً إن هذا الزمن الذى استغرقه تغير عمر ليس راجعاً إلى القوة الإلهية، لأن القوة الإلهية لا يحدها زمن، لأن أمرها كن فيكون إنما هو مقدار الفترة التى استغرقتها جزئيات عمر لتتحول من الاعتراض إلى الرضا والقبول فطابت نفسه – رضى الله عنه.

عن سهل بن حنيف قال: «لقد كنا مع رسول الله ﷺ – يوم الحديبية – ولو نرى قتالا لقاتلنا – وذلك فى الصلح الذى كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين – فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال بلى، قال أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار؟ قال بلى؟ قال ففيم نعطى الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يابن الخطاب إنى رسول الله ولن يضيعنى الله أبدا».

فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطى الدنية فى ديننا فنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا».

فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه قال: يا رسول الله أوَفَتْحٌ هو؟ قال: نعم. فطابت نفسه ورجع(٥).

ولست أدرى لماذا لم يسمه كتاب السير فتحاً وإنما سموه صلحاً وأدرجوه أيضاً فى ثبت الغزوات – سامحهم الله – مع أن الله – سبحانه وتعالى – سماه فتحاً وأنزل فى شأنه سورة سماها باسمه. ورسول الله ﷺ سماه فتحاً لما سأله عمر أو فتح هو قال نعم فطابت نفس عمر بالتسمية وكذلك قال ابن مسعود – رضى الله عنه –: إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية؟ وعن جابر بن عبدالله: «ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية» وقال البخارى عن البراء – رضى الله عنه – قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان

(٥) البخارى كتاب الجهاد والسير حديث رقم «٩٥».

فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية »(٦).

وأنا أرى أن تسمية الله - سبحانه وتعالى - له فتحاً وجواب النبى ﷺ الذى طابت به نفس عمر أنه فتح لأن الله - تعالى - هيأ الأسباب لنشر دينه فكما يقول بعض الصالحين: « إذا أراد الله شيئاً هيأ له الأسباب ».

قلت لصاحبى كأنى بصلح الحديبية وقد نشر الأمن وأوقف القتال فظهرت قوة الإسلام الحقيقية التى هى أساس نشر الدين الإسلامى والتى ضج منها المشركون يومئذ يلتمسون إلغاء الصلح وذلك ليس فى بدء الدعوة فقط بل لو تصفحت التاريخ لعرفت أن الإسلام انتشر حتى الصين شرقاً عن طريق التجار وكذلك وصل إلى مجاهل إفريقيا عن طريق التجار أيضا؟ أعتقد أنك تعلم أن التجار المسلمين لم يكونوا يخفون فى طيات ملابسهم أسلحة بيضاء ولا سوداء ولا أسلحة دمار فتاكة.

فلم تكن هناك حرب واحدة فى إفريقيا لنشر الإسلام غير ما كان فى الشمال الأفريقى.

والأعجب أنك ترى الإسلام ينساب إلى قلوب الغزاة الغلاظ فيحيلهم إلى قوة سلام دافعة للبشرية، فإن المغول دخلوا غزاة غلاظاً مدمرين فاتحين وتمت لهم السيطرة العسكرية على بلاد الإسلام، التى وصلوا إليها ثم تحولوا إلى الإسلام، فهل دخل الإسلام وانتشر بينهم بقوة السيف؟ وكما يقولون: ما أشبه الليلة بالبارحة إن أمريكا تسيطر الآن على مقدرات العالم والعالم الإسلامى بالذات لكنى أرى أن الإسلام سوف ينتشر داخل أمريكا نفسها بالسلم والإقناع.

ومهما ألقت من قنابل محرقة مدمرة فإننى أرى هذه النيران تشعل عيدان الإسلام فتظهر رائحتها الذكية وصدق الشاعر حيث يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت
أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وبرغم فعال الهوج والتهور الأمريكى فإننا نرجو الخير والهداية لهم.

والوقت الآن مناسب وأمريكا بالذات مهيأة للإسلام.

قال صاحبى: كنت استمع إليك محللاً مدققاً فيما قلت، لكنى أراك تحلم مفرطاً فى أحلامك فما الذى دهاك هل أخذتك سنة من النوم ؟ قلت لصاحبى: سامحك الله إنه واجب الدعوة نؤديه فنحمله إلى البشرية فى أمن وسلام وإصرار.

وأمريكا الآن أرض خصبة فالمواطن الأمريكى خاو من الداخل يفتقد روح المودة والأسرة فهذه عملات لا يعرفها وعلينا أن نتسلح بأسلحة العصر فى مخاطبة الآخرين وأن نقدم الإسلام جادين غير هازلين أو مستهترين من خلال أناس مهيئين علمياً وثقافياً وأن نترك مخاطبة أنفسنا والحديث عن أمجادنا .فأمريكا أرض خصبة وقد آفاق المواطن الأمريكى وسمع بالإسلام فعلينا أن نقدمه كما أُنزل ديناً رحيماً طاهراً عفيفاً.

والله الموفق والهادى إلى سواء الصراط.

---

(٦) ابن كثير تفسير سورة الفتح.

دمعة على طريق التوبة

شعر / محمد فهمى سند

من دَمْعَــة فى الحنايا ** ولَوعَــة فى الحشايا
من أَوْبَتى من طريقٍ ** أضَعْتُ فيه خُطايا
أطَعْتُ نفسى فَراحَتْ ** تهيم بين الشظايا
حسبْتُ بعض غِنائى ** أنشودة للرعايا
وغنوة تتهادى ** على شفاه البرايا
كنتُ انْطَلقْتُ بشعرى ** خلف الهوى والصبايا
أهيم فى سكرة الْعُمْـ ** ـر سادراً فى شقايا
بحفنة من غناء ** وحفنة من شكايا
وجلسةٍ عند لَيلى ** أبثُّ فيها هوايا
وموعد لاقتسام الْـ ** أشواق بين الضحايا
رأيت نفسى تهاوتْ ** وعربدت فى الرزايا
تناثرت كرماد ** يلوح خلف البقايا
فى يوم ريحٍ وشوكٍ ** قد لملمته الزوايا
أضم بعضى لبعضى ** كآهة فى الحنايا
دم ودمع، وأفعى ** نهَّاشة كالمنايا
تفحُّ شيئاً فشيئاً ** وتختفى فى النوايا
ويسحب الصمت همساً ** على شفاه المرايا
صرخت: روحى، اتْركوها ** لم تأت بعد المطايا
هذا أوانُ رجوعى ** إلى دروب هُدايا
قدْ كنتُ عبداً شروداً ** تخطَّفَتْه الدنايا
رجعت يوم دعانى ** نورٌ أضاء الحنايا
قد عدتُ للنور أشدو ** بما مُنحْتُ هدايا
فاصْفح وخُذْ بيد التّا ** ئب الكثير الخطايا
أنت الكريم وذنْبى ** عند الكريم عطايا

الظلم

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

الظلم كلمة بغيضة، وصفة مذمومة، ينفر منها أصحاب النفوس الكريمة، ويتجنبه ويبتعد عنه أصحاب الهمم العالية الرفيعة، يخشاه الأتقياء، ويخاف منه الأولياء. ولقسوة وقع الظلم على المظلومين، والمرارة التى يتجرع كأسها المظلومون، والإحساس بالغبن والألم الذى يعانيه المظلومون حرم الإسلام الظلم تحريما قاطعا، وتوعد من يرتكبه بالعذاب الأليم، وبلغ من شدة تأكيد الإسلام على تحريم الظلم إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قرن تحريم الظلم على نفسه بأمر العباد بتحريم الظلم فيما بينهم.

فعن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ فيما روى عن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: «ياعبادى: إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالمو، ياعبادى: كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم، ياعبادى: كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم، ياعبادى: كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسونى أكسكم، ياعبادى: إنكم تخطئون بالليل والنهار. وأنا أغفر الذنوب جميعا. فاستغفرونى أغفر لكم، ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، مازاد ذلك فى ملكى شيئا، ياعبادى: لوأن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكى شيئا، ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، ياعبادى: إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(١).

ويحذرنا رسول الله ﷺ من الظلم، ويصف

(١) الترغيب والترهيب ٢/٤٧٥، ابن عساكر ٧/٢٠٦.

لنا سوء عاقبته فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: « إياكم والظلم فإن الظلم هو ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش والمتفحش، وإياكم والشح فإن الشح دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ».[٢] والظالم الذى يستغل موقعه، أو يستغل قوته، أو يستغل غلبته بعد أن تمكن الشيطان منه وسخره أداة للشر، وجعله مناعا للخير معتد أثيم يعتدى على حقوق الآخرين، ويسلب مالهم أو عرضهم أو شرفهم محاباة لنفسه أو لأقربائه أو لأصدقائه أو إرضاء للحكام والرؤساء، هذا الظالم قد عمى بصره، وفرغ قلبه، وأفقده طبعه الدنئ، ونفسه الأمارة بالسوء، وغروره بدنياه الفانية، أفقده ذلك خشية الله والخوف منه، وأنساه قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[٣].

ولقد أكثر القرآن الكريم فى النهى عن الظلم وتحريمه، والتحذير من سوء عاقبته فى الدنيا والآخرة، فقد وردت مادة: الظلم وتصرفاتها: أظلم، يظلم، ظالم، مظلوم، ظالمون، تظلمون... الخ فى مائتين وتسعة وثمانين آية من سور القرآن الكريم.

كما وردت مادة قسط يقسط بمعنى جار وحاد عن الحق فى آيتين من سور القرآن الكريم..

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى التحذير من الظلم وسوء عاقبته.. وللمعاناة التى يكابدها المظلوم، والجراح التى يقاسى ألمها المظلوم، أقسم الله بذاته على ذاته بالاستجابة لدعوة المظلوم ونصرته حتى لو كان المظلوم فاجرا أو كافرا.. فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين »[٤]، وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا، ففجوره على نفسه »، وعن أبى عبد الله الأسدى قال: سمعت أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ يقول: قال رسول الله ﷺ: « دعوة المظلوم وإن كان كافرا ليس دونها حجاب »[٥].

وقد يزداد غضب الله على الظالم فيؤخر عقابه بعض الوقت فيتمادى الظالم فى غيه وهو غير مدرك أن الله يمهله ليزيده عقابا وعذابا. فعن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ[٦]: « إن الله يملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[٧].

---

(٢) أخرجه أحمد ٢/١٠٦، ١٩١، ١٩٥، ٤٣١، ٣/٣٢٣.

(٣) إبراهيم (٤٢، ٤٣).

(٤) ابن عدى ٧/٢٥١٧، الترغيب والترهيب ٣/٦٨٨.

(٥) مجمع الزوائد ١٠/١٥٢، الترغيب والترهيب ٣/١٨٨.

(٦) أخرجه البيهقى ٤٠١٨.

(٧) هود (١٠٢).

هذا فى الدنيا أما فى الآخرة فهو الخسران المبين.. فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىّ ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شئ فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولادرهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»(٨). وعنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار»(٩).

وعاقبة الظلم وشره، وحسابه الشديد، وسيئاته، لا تقع على الظالم وحده، بل يشاركه فى الحساب والعقاب من أعان الظالم على الظلم وزينه له، بل ومن رأى وعلم وشاهد الظلم يقع على المظلوم ولم يهب يدافع عنه. فعن جابر وأبى طلحة ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يخذل امرءاً مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته»(١٠).

وإذا تفشى الظلم فى مجتمع من المجتمعات، وتخاذل أفراد المجتمع عن منع الظالمين من ظلمهم، عمت نقمة الله على هذا المجتمع، وذاق أفراده الذل والهوان، وحرموا نعم الله، وأغلقت أبواب رحمته أمامهم. فعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «لا تظلموا فتدعوا فلا يستجاب لكم، وتستسقوا فلا تسقوا، وتستنصروا فلا تنصروا»(١١).

هدانا الله إلى الحق والصواب، وأرشدنا إلى الصراط المستقيم، وجنبنا الزلل والوقوع فى إثم الظلم والظالمين، وأعاننا على منع الظلم وعلى نصرة المظلوم، وصلاة وسلاما عليك ياسيدى يارسول الله فقد أرشدتنا إلى منهج الاسلام فى نصرة الظالم والمظلوم. فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن الظلم، فإن ذلك نصره»(١٢).

---

(٨) أخرجه البخارى ١٣٨/٨، وأحمد ٥٠٦/٢.

(٩) أخرجه أحمد ٣٠٣/٢، ٣٧٢، والبيهقى ٢٢٩/١، ٩٣/٦.

(١٠) الترغيب والترهيب ١٩٠/٣.

(١١) مجمع الزوائد ٢٣٥/٥، الترغيب والترهيب ١٤٨/٣.

(١٢) أخرجه البخارى ١٦٨/٣، ٢٨/٩، وأحمد ٩٩/٣، ٢٠١، والبيهقى ٩٤/٦.

من آيات الله فى السماء

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

إن للقرآن الكريم أسلوبه الحكيم فى الدلالة على آيات الله فى الكون، وإن الهداية التى جاء القرآن الكريم من أجلها تقتضى ألا يخاطب الناس عن الكون بما ينكرون أو بما يستعصى على أفهامهم، فيقوم ذلك حجاباً بينهم وبين قبول دعوته، وحاملاً على أن يكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. أيضاً، تقتضى الهداية التى جاء القرآن الكريم من أجلها ألا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية فى عصر نزول الوحى به، فيقوم ذلك حائلاً دون قبول دعوته فى عصور ازدهار العلم الكونى التى علم الله الذى أنزل القرآن أنها ستكون.

وتجنُّب هذين العائقين عن قبول هداية القرآن هو من بدائع إعجاز أسلوبه، ومن أكبر الدلائل على أنه حقاً من عند الله فاطر الناس وفاطر الكون.

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة.

السماء لغـة واصطـلاحاً

كلمة «السماء» في اللغة تعنى في قول الجمهور «المظلة»، وهي أيضاً السماء الزرقاء التي تبدو النجوم كأنها فيها وهي فوقها. ثم هي تطلق أيضاً على السحاب، وعلى ما ينزل من السحاب من أمطار، وهي استعارة حسنة معروفة عند العرب. قال حسان بن ثابت:

ديار من بنى الحَسحَاس قفر
تعفيها الروامس والسماء

يعنى ماء السماء، ومنه أيضاً قول معاوية بن مالك:

إذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وإن كانوا غضابا

وربما توسعوا فأطلقوا لفظ «السماء» على العشب لأنه يكون عن السماء، أي المطر، ومن بين قولهم:

«مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم»

والسماء لغة: من السُموّ وهو العلوّ والارتفاع، يقال: سما يسمو سمواً، وسماءً إذا ارتفع وعلا، والسماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت سماء، وتجمع على أَسْمِية وسماوات وسُمِيّ.

والسماء في إطلاق الشرع هي: ما يقابل الأرض، ويراد بها تلك الطبقات السبع التي خلقها الله ورفعها فوق أرضه، وجعل علمها وتفاصيل أخبارها من الغيب الذي لا يُعْلَم إلا عن طريق الخبر السمعي، قال ـ تعالى ـ:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾(١).

السماء في القرآن والعلم

أما في العلوم الكونية فإن كلمة «السماء» تعنى سماء الغلاف الجوى للأرض ولغيرها من الأجرام السماوية، وهي تعنى أيضاً سماء الشمس والقمر والشُهُب والكواكب والنجوم والسدِم والمَجَرَّات.

والناظر في آيات السماء كما وردت في القرآن الكريم عليه أن يميز بين ما هو خاص بسماء جو الأرض من سحاب وما إليه من زُرْقة الطبقات العليا من هوائه، وهو عادة أول ما يفهم من لفظ السماء ومن وصفها، وبين ما هو عام يشمل الكون بما فيه من نجوم وكواكب ومجرات، وبين ما تعنيه الكلمة في لغة العرب وسياق المعنى.

فقد جاءت السماء في القرآن الكريم بمعنى سقف البيت، كما في قوله ـ تعالى ـ:

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾(٢).

(١) فصلت (١١، ١٢).
(٢) الحج (١٥).

فالسبب هنا الحبل، والسماء هنا سقف البيت، وشبهه من الأشياء تعلق منها الحبال. والمعنى أن من كان من الكفار يظن أن الله لا ينصر نبيه فليمدد بحبل إلى سقف بيته، ثم ليختنق به وليقدر فى نفسه وينظر، هل يُذْهِبُ فعْلُه ذلك ما يغيظه من نصر الله لرسوله؟.

كذلك جاءت كلمة السماء فى القرآن الكريم بمعنى السحاب والمطر والغيث، كما فى قوله تعالى:

﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾(٣).

والسماء فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾(٤).

ليست هى سماء الكواكب والنجوم، ولكن هى سماء السحاب الذى ينزل الله منه الماء المُصَرَّح به فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾(٥).

وجاء التعبير القرآنى ﴿ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ليعنى سماء السحاب المعروف عند العرب على سبيل المجاز.

وإذا تجاوزنا السماء الزرقاء بتجاوز الغلاف الجوى للأرض، فإن السماء عندئذ تبدو كما بدت لملاحى الفضاء سوداء حالكة تلمع فيها الشمس والنجوم كأجسام مضيئة من غير أن يكون لأضوائها أثر فى تخفيف ذلك الظلام، فلولا ما يحمله الهواء فى جو الأرض من جسيمات ضئيلة لبدت السماء للناس حالكة السواد حين تكون الشمس ساطعة، ولكانت الظلال على سطحها سوداء مثل ظلال القمر وسمائه، إذ هو قد فقد هواءه (غلافه الجوى) منذ زمن بعيد، فشتان بين نهار الأرض ونهار القمر، وشتان بين سماء الأرض تضىء جَوَّها الشمسُ فلا يلقى العين منه إلا نور، كما نَبَّه الله إليه بقوله: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾(٦). وبين السماء إذا تجاوزنا جَوّ الأرض وغلافها الهوائى بالنهار، فلا تقع العين منها إلا على ليل مظلم تبدو الشمس فيه قُرْصًا فيه زرقة، وإلى ليل السماء الكونية هذا، وآية الله فيه أشار القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾(٧).

وهذا مثال واضح نسوقه لبيان الإعجاز الإلهى فى التعبير القرآنى عن حقيقة كونية قبل أن يهتدى إليها الناس من علم، فيصرف الإنسان النظر عن المعنى الحرفى الذى يجهله إلى أقرب معنى يعرفه، ولو فطن الإنسان ولزم النص وكان منطقياً معه حسب القاعدة

---

(٣) نوح (١١).
(٤) القمر (١١).
(٥) الواقعة (٦٨، ٦٩).
(٦) الشمس (٣).
(٧) النازعات (٢٩).

النحوية التى قَعْدها لسبق العلم الحديث إلى حقيقة عن السماء لم يكشفها العلم إلا بعد قرون من نزول القرآن بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾(٨).

لكن الحق والإنصاف يقتضيان ألا نتوقع من قدامى المفسرين أو من محدثيهم الذين لم يدرسوا جانباً كافياً من العلم الكونى أن يتصوروا سماء حالكة والشمس فيها ساطعة لا حجاب دونها، وقد كانوا فيما مضى يظنون نور النهار ممتدا إلى أقصى الكون الذى يعرفونه، وأقصى الكون عندهم كانت السماء الزرقاء التى تضيئها الشمس نهاراً وتنيرها الكواكب والقمر ليلاً.

أفلاك السماء

الفلك لغة: المدار يسبح فيه الجرم السماوى، وجمعه أَفْلاك وفُلُك. وفَلَك كل شىء: مستداره ومعظمه.

والفَلَكُ: التل المستدير من الرمل حوله فضاء.

والفلك من البحر: موجه المستدير المضطرب.

والفلْكةُ من المغزل: القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تُجعل فى أعلاه، وتُثبتُ السنارة من فوقها وعود المغزل من تحتها.

يقول الراغب الأصفهانى: والفلك مجرى الكواكب، وتسميته بذلك لكونه كالفلك. وفى حديث عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: «تركت فرسى كأنه يدور فى فلك»، شبهه لدورانه بفلك السماء الذى تدور عليه النجوم.

وعلم الفلك: علم يبحث فى الأجرام العلوية وأحوالها، وقد عُرِفَ عند العرب باسم «علم الهيئة» لأنه ارتبط بدراسة تركيب الأفلاك وأحوال النجوم السماوية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها. وقد وصفه عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) فى كتابه: «المقدمة» بأنه «صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع، وغير ذلك، يعرف به مواضع الكواكب فى أفلاكها لأى وقت فُرِض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة».

وعرفته دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى بأنه علم مداره الأجرام العلوية، أى الشموس والسيارات والثوابت (فى رأى العين) وتوابعها وذوات الأذناب، وهو قسمان نظرى وعملى، الأول: يصف تلك الأجرام ويبين لنا أبعادها وحركتها وفصولها السنوية وهيئاتها، والثانى: يبحث عن كيفية رصد

(٨) النازعات (٢٧: ٢٩).

تلك الأجرام.

وقد وردت كلمة «فلك» فى القرآن الكريم مرتين: فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(٩).

وقوله:

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١٠).

وقال أهل التأويل فى معنى الفلك الذى ذكره الله ـ تعالى ـ فى هاتين الآيتين الكريمتين أنه كهيئة حديدة الرحى، أو كفلكة المغزل، لا يدور المغزل إلا بها ولا تدور إلا به، كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به، ولا يدور إلا بهن ويقول الرازى: «الفلك فى كلام العرب، كل شىء دائر، وجمعه (أفلاك)». اختلف العقلاء فيه، فقال بعضهم: الفلك ليس بجسم، إنما هو مدار هذه النجوم، وهو قول الضحَّاك. وقال الأكثرون: بل هى أجسام تدور النجوم عليها، وهذا أقرب إلى ظاهر القرآن. ثم اختلفوا فى كيفيته، فقال بعضهم: الفلك موج مكفوف تجرى الشمس والقمر والنجوم فيه. وجاء فى المنتخب أن لكل جرم سماوى مجاله، أو مداره، الخاص الذى قدره الله له، وأجرام السماء كلها لا تعرف السكون، كما أنها تتحرك فى مدارات خاصة لا تحيد عنها هى الأفلاك.

ولقد حثت آيات القرآن الكريم فى مواضع كثيرة على النظر فى ملكوت السماوات والأرض، وكان اهتمام المسلمين بعلم الفلك بالدرجة الأولى بسبب احتياجهم لمعرفة الزمن وتحديد مواقيت الصلاة وظهور الهلال ومواعيد الأعياد وتأدية المناسك والعبادات وتحديد اتجاه القبلة ومواقع البلدان، وغير ذلك مما يتعلق بأمور دينهم الحنيف الذى فرض على الناس أن يتفكروا ويعقلوا ويعلموا، مثلما فرض على أتباعه أن يتعبدوا ويذكروا الله ـ تعالى ـ فى جميع الأحوال وعموم الأوقات. قال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(١١).

وقال أبو عبدالله القزوينى فى كتابه: «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات».. مسترشداً بقوله ـ تعالى ـ:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾(١٢).

(٩) الأنبياء (٣٣).
(١٠) يس (٤٠).
(١١) آل عمران (١٩٠ ، ١٩١).
(١٢) ق (٦).

إن المراد من النظر التفكير فى المعقولات والنظر فى المحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريفها لتظهر لنا حقائقها، فإنها سبب اللذات الدنيوية والسعادات الأخروية، وكل من أمعن النظر فيها ازداد من الله هداية ويقيناً، ونوراً وتحقيقاً، ثم يقول: «وليس المراد من النظر تقليب الحدقة نحو السماء، فإن البهائم تشارك الإنسان فيه، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها، ومن الأرض إلا غبرتها، فهو مشارك للبهائم فى ذلك، وأدنى حالاً منها، وأشد غفلة كما قال ـ تعالى ـ:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(١٣).

وقد ازدهر علم الفلك كثيراً فى عصر الحضارة الإسلامية، وكان من مظاهر هذا الازدهار تصنيف العديد من أمهات الكتب فى هذا الفن وتطوير أجهزة الرصد والقياس الفلكية وإقامة المراصد فى البلاد الإسلامية.

أهـــم المراجـــع

١- التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب.. للإمام فخر الدين الرازى.. دار الكتب العلمية ببيروت ـ لبنان (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

٢- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد على الصابونى.. دار القرآن الكريم.. بيروت.

٣- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط ١٨، القاهرة (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٤- لسان العرب لابن منظور.

٥- محمد أحمد الغمراوى، الإسلام فى عصر العلم، الرسالة والرسول والقرآن، والإعجاز العلمى فى القرآن. دار الإنسان، القاهرة (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٦- إعداد مجلة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامى.

٧- د. أحمد فؤاد باشا، رحيق العلم والإيمان، دار الفكر العربى، القاهرة (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

(١٣) الأعراف (١٧٩).

يا قدس(*)

للشاعر السكندرى

ربيع عبدالعزيز

يا قدس ضاع الشذى في حمأة الطين   فمن يغيث الربى يا قدس دلينى ؟
على ضفاف الندى للحب أغنية   روت عطاش الهوى فى يوم حطين
ماتت فكيف وشمس الله ما برحت   تغاضب الكون أحييها لتحيينى ؟؟
يا قدس طال النوى والشوق مذ رحلت   منى السنون .. إلى اللقيا ينادينى
ياقدس ضج الجوى فى القلب ضمينى   فنظرة من سناء الله تكفينى
إنى لأجمع أنفاسى على سفر   إلى حماك برغم الشوك والطين
آت إليك وأيامى مؤججة   فجحفل النار من أصفى قرابينى
والناصرى الذى ضاءت لبسمته   سنابل القمح والزيتون والتين
آت إليك بنهر العشق فاغتسلى   وخلصى العطر من أسر الشياطين
من يفتدى الشمس لا يفني فقودينى   يا ربة الحسن للعليا وساقينى
أعانق الحلم في الأسحار مؤتلقاً   وآمر النار أن تأتى فتأتينى
إنى لأجمع أنفاسى علي سفر   إلى حماك برغم الشوك والطين
آت إليك وأيامى مؤججة   فجحفل النار من أصفى قرابينى
والهاشمى الذى سارت برحمته   كتائب الفتح فى الدنيا وفى الدين
آت إليك بيوم العتق فانطلقى   وهيئ لى هوى بيتى وضمينى

(*) من ديوان سؤال من زمن السامرى للشاعر.

بين النازية و الصهيونية

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يبدو أن العلاقات الثنائية التى كانت تجمع بين النازية والصهيونية لم تكن علاقات طارئة أو استثنائية، بل كانت علاقات استراتيجية بسبب ما يؤلف بينهما من مبادىء مشتركة، وطبيعة واحدة ترتبط بالمشروع الاستعمارى من جهة، والعنصرية من جهة أخرى، فألمانيا النازية كانت تطمح إلى بناء أمة قوية متميزة، والصهيونية كانت تحلم ببناء دولة يهودية فى فلسطين. فبعد موت هرتزل أبى الصهيونية تولى اليهود الألمان من شباب الجامعات الألمانية إدارة الحركة الصهيونية، متأثرين بزملائهم من الطلبة الألمان من أنصار «ألمانيا الكاملة» وحركة «الطيور الجوالة» أو حركة «الأرواح الحرة» الذين هيمنوا على الساحة الجامعية فى ألمانيا قبل عام ١٩١٤، وكان الشباب الألمان المتعصبون يعتبرون يهود ألمانيا من دم غير ألمانى، فهم - لذلك - ليسوا جزءاً من الشعب الألمانى، بل هم غرباء عنه.

وقد برزت على الساحة الجامعية شريحة من اليهود تبنت أيديولوجية حركة «الطيور الجوالة» فترجمتها إلى أفكار، ومفاهيم صهيونية، فسايروا أفكار الشباب الألمان المعادين للسامية الذين ينظرون لليهود الألمان على أنهم منفصلون جسداً وروحاً عن الشعب الألمانى، ولذلك لابد أن يصبح لليهود تراب خاص بهم، وهى أرض فلسطين. وأحسب أن الاتحاد الصهيونى كان قد سعى فى ألمانيا ـ من أجل تحقيق أهدافه ـ أن يتكيف سياسيا مع نظريات، وسياسات النظام النازى الجديد فى ألمانيا للحصول على دعم «أودلف هتلر» وحمايته بعد عام ١٩٣٣ . وصار الهدف الرئيسى للاتحاد الصهيونى هو الحصول

على تأييد النازيين الجدد لهجرة جيل من اليهود الأصغر سنا إلى فلسطين.

ويقال إن « كورت توخلر» عضو اللجنة التنفيذية للاتحاد الصهيوني الألماني كان قد ألح على البارون « ليوبولد إتز إدلر فون ميلدتشتين» من قوات العاصفة الألمانية (إس.إس) أن يكتب مقالاً في الصحافة النازية يؤيد فيه أهداف الصهيونية. كما أجرى بعض قادة الاتحاد الصهيوني اتصالاً مع أحد الشخصيات البارزة في حكومة ألمانيا النازية في مارس عام ١٩٣٣، استدعى على أثرها « هيرمان جورينج» قادة المنظمات اليهودية الكبرى للاجتماع بهم لبحث مايريدون.

ويذكر أن الاتحاد الصهيوني في ألمانيا أرسل « مادلين روزنبلوت »، و« ريتشارد لبشتهايم »، والدكتور « لودفيج تيتز» إلى لندن حيث قابلوا أربعين يهودياً في اجتماع رأسه « سوكولوف » رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، وكان أمام الوفد اليهودي مهمتان : الأولى التأكيد على أن فلسطين هي الملاذ الآمن لليهود، والثانية العمل على وقف الجهود المناهضة للنازية في الدول الأوروبية المختلفة. وبذلك تعاون الاتحاد الصهيوني مع النظام النازي الألماني لتحقيق أهداف كل منهما.

وفي عام ١٩٣٧ كتب الحاخام « يواخيم برنتس» عقب مغادرته برلين إلى أمريكا عن تجاربه، في ألمانيا، مذكرة أرسلها الاتحاد الصهيوني إلى الحزب النازي جاء فيها : « كان كل واحد في ألمانيا يعرف أن الصهاينة فقط هم

هرتزل

هتلر

الذين يمكن أن يمثلوا اليهود في أي اتفاقات مع الحكومة النازية، ولقد شعرنا جميعا بأنه من المؤكد أن الحكومة سترتب يوما مؤتمر مائدة مستديرة مع اليهود بعد أن تهدأ حوادث الشغب، للنظر في وضع اليهود الألمان. ولقد أعلنت الحكومة أنه لايوجد في العالم بلد حاول حل المشكلة اليهودية بالجدية التي تفعلها ألمانيا» وكان في اعتقاد الحاخام « يواخيم برنتس» أنه يمكن التوفيق بين النظام النازي الألماني واليهود من خلال التوصل إلى اتفاق صهيوني نازي يدعو إلى إعلان « أن دولة تقوم على مبدأ نقاوة الأمة والعرق، لايمكن إلا أن تحترم أولئك اليهود الذين ينظرون إلى أنفسهم بنفس الطريقة» . وقد كرس قادة الاتحاد الصهيوني الألماني جهودهم من أجل إقناع « أدولف هتلر» على منح اليهود حق وجود اقتصادي لهم، وحمايتهم من أي هجوم مناوىء لهم، وتدريبهم لإعدادهم للهجرة إلى فلسطين، لذلك بدأ الاتحاد الصهيوني تعبئة كافة المؤسسات اليهودية المنفصلة لتوحيدها، وصهرها في بوتقة واحدة لخلق روح قومية

يهودية. ومع بزوغ فجر النازية الألمانية عام ١٩٣٣ نظرت الطائفة اليهودية الألمانية الصهيونية إلى نفسها باعتبارها مؤهلة تاريخياً للتفاوض سراً مع النازيين، ومعارضة غالبية يهود العالم الذين أرادوا مقاومة هتلر فى مقابل أن يساعد هتلر يهود ألمانيا للهجرة إلى فلسطين. ولقد ذكر «أدولف هتلر» فى أحاديثه أن فلسطين هى المكان المناسب لليهود، وهناك فقط يمكن لليهود الحصول على حقوقهم، وبدأت تتدفق المقالات التى تؤيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين فى مجلة حزب الاشتراكيين الوطنيين الذى التحق به هتلر عام ١٩١٩. ولقد ذكر هتلر فى كتابه بعنوان «كفاحى» أن اليهود الصهاينة يريدون أن يجعلوا دول العالم تؤمن بحق اليهود فى إقامة دولة لهم بفلسطين، وأن اليهود من أجل تحقيق ذلك الهدف يحاولون خداع الأمم غير اليهودية، فلم يحدث أبداً أن استقر فى عقولهم أنهم سيبنون دولة يهودية بهدف الحياة بفلسطين، فكان كل مايريدونه هو مجرد مأوى لهم». كما كان شعار: «أركلوهم إلى فلسطين» هو شعار معاداة السامية السائد فى دول أوروبا للتخلص من شرورهم. وفى الفاتح من إبريل عام ١٩٣٣ ـ خلال المقاطعة المعادية لليهود ـ سارت تظاهرة ألمانية كبيرة أمام المحلات الكبرى اليهودية، وكان المشتركون فيها يوزعون على المارة من ذوى السحنة اليهودية نموذجا لتذكرة ذهاب إلى فلسطين دون عودة. وصدر بيان نازى رسمى ـ فى إطار المقاطعة المعادية لليهود ـ جاء فيه: «إن المشاعر المعادية للنازية فى مختلف دول العالم ترجع إلى أن يهود العالم يسعون لتحريك الدول الأجنبية ضدنا بدعوى معاداتنا لليهود».

وظل هتلر حتى وصوله إلى السلطة لم يفكر بشكل جدى فيما يمكن أن يفعله مع اليهود، ففى ٢٤ اكتوبر عام ١٩٣٣ ألقى هتلر خطاباً قال فيه: «يؤكد الناس فى انجلترا أن أذرعهم مفتوحة للترحيب بكل المقهورين خصوصا يهود ألمانيا الذين تركوا ألمانيا شريطة أن يمتلك كل يهودى ألف جنيه استرلينى، ولكننا لم نشترط على كل من يدخل ألمانيا أن يكون فى حوزته ألف جنيه استرلينى، وهكذا أثبتنا نحن الشعب الألمانى الذى يوصف بالوحشية أننا أكثر إنسانية، ومازلنا حتى الآن كرماء بنفس الدرجة، ونعطى الطائفة اليهودية فى ألمانيا من امكانيات العيش أكثر مما نملك نحن» وعلى إثر هذا الخطاب الذى ألقاه هتلر بدأت تصدر السياسات المؤيدة للصهيونية بصورة علنية تدعو إلى تشجيع الهجرة إلى فلسطين. وفى هذا الإطار قام «هانس فرانك» وزير العدل الألمانى وقتئذ بإبلاغ مؤتمر الحزب فى «نورنبرج» أن الحل الأفضل للمسألة اليهودية هو أن يكون لليهود وطن قومى فى فلسطين، كما بدأت شركة الشحن الأمريكية «هامبورج ساوث» خطاً مباشراً إلى حيفا تحت إشراف حامية هامبورج، وكان اليهود فى ذلك الوقت لايزالون قادرين على مغادرة ألمانيا إلى أى بلد يريدون ومع حلول عام ١٩٣٤ أصبحت قرارات قوات العاصفة (إس.إس) مشجعة للصهيونية فى الحزب النازى، فقد كان البارون «فون ميلدتشتين» من أكبر

المتعاطفين مع الصهيونية، فلقد زار فلسطين، واستمرت زيارته هناك ستة أشهر عاد بعدها ليصبح المسئول ـ في ألمانيا ـ عن القسم اليهودي في جهاز الأمن الخاص بقوات (إس.إس) وبدأ الاهتمام بدراسة اللغة العبرية، ونمت قوة الصهيونية داخل ألمانيا. ولقد بلغ التعاون النازي مع الصهيونية درجة أصبحت معها الصهيونية هي الحزب الآخر الوحيد المعترف به في الرايخ الألماني، وصارت الراية الصهيونية هي الراية الوحيدة التي يسمح بها النظام النازي لترفرف فوق أرض ألمانيا. وكتب «الفريد برندت» رئيس التحرير المسئول في مكتب أخبار ألمانيا حول وضع اليهود الألمان يقول: «كرر كل المتحدثين في المؤتمر الصهيوني العالمي في لوسيون أن يهود العالم لابد أن ينظر إليهم باعتبارهم شعباً منفصلاً بغض النظر عن مكان إقامتهم، وحسنا إذن أن كل مافعله هتلر هو تلبية مطالب المؤتمر الصهيوني العالمي إذ جعل اليهود الذين يعيشون في ألمانيا أقلية لها اعتبارها». وفي إطار التعاون النازي مع الصهيونية، وخدمة لليهود صار لليهود الألمان جيتو ثقافيا مستقلا إلى درجة جعلت الحاخامات اليهود لايستعملون اللغة الألمانية في احتفالات «عيد الشانوكاه» في السادس من ديسمبر. ويأتي ذلك في سياق الجهود التي يبذلها النازيون للسماح لليهود الألمان باستخدام اللغة العبرية في أحاديثهم باعتبارها أداتهم الثقافية. ومما يؤكد التعاون النازي الصهيوني، توقيع «أودلف هتلر» في أوائل عام ١٩٣٣ اتفاقية «الهعفراه» مع زعماء الصهيونية العالمية، وكان لها هدفان:

الأول: القضاء على المقاطعة التي ينظمها يهود العالم ضد ألمانيا في البلاد الأجنبية الأخرى.

الثاني: تسهيل الأمر أمام اليهود في ألمانيا للهجرة إلى فلسطين كما سبق أن نوهنا قبل ذلك. وبمقتضى هذه الاتفاقية سمح النازيون لليهود بالهجرة، ووافقوا على الإفراج عن أموالهم على أن تودع في أحد المصارف، ويصرح لهم بتحويلها إلى بضائع ألمانية تصدر إلى فلسطين. وقد تم تنفيذ الاتفاقية تحت إشراف الوكالة اليهودية، وسمحت بتوفير أمهر الفنيين اليهود الألمان لإرسالهم إلى فلسطين، وتصدير الآلات والمعدات اللازمة لبناء المستوطنات الصهيونية فيها. وأتاحت هذه الاتفاقية أيضا هجرة ١٧٢ ألف يهودي ألماني إلى فلسطين في الفترة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٧، بل إنه في عام واحد هو عام ١٩٣٥ سجلت السلطات في فلسطين ـ التي كانت تحت الانتداب البريطاني ـ وصول ٦٥ ألف مهاجر يهودي من ألمانيا. ولم يكن أمام الصهيونية من سبيل آخر غير هذا التعاون مع النظام النازي لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مما يدل بوضوح على أن ألمانيا النازية كانت صاحبة الفضل الأساسي في قيام الكيان الصهيوني في فلسطين العربية. وأخيراً يمكن القول إن اليهود ينبغي أن يذكروا هتلر النازي بكل الامتنان لأن التعاون الألماني مع الصهيونية أتى أكله بتمكين اليهود من الاستيلاء على فلسطين.

القدس فى عيون يهودية

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

كان بناء اليبوسيين لمدينة القدس البناء الأول لها، وعلى مدى التاريخ جددت المدينة ثوبها ثمانى عشرة مرة، فهدمت أو دمرت ثم أعيد بناؤها فى كل هذه المرات حتى استقرت على هيئتها فى العهد العثمانى، وقد جاء الاحتلال على مرحلتين عام ١٩٤٨، وعام ١٩٦٧ تتويجا لسلسلة متلاحقة من البروتوكولات التى تستهدف فى النهاية تهديد القدس وفرض واقع سكانى جديد عليها. وفى القدس يتداخل ماخلقه الله مع ما ألهمت اليد البشرية صناعته فالجبال والوديان والتلال تتداخل مع الأسوار والأبواب التاريخية، أما سور القدس فقد أقيم أول مرة فى عهد اليبوسيين قبل الميلاد بعشرات القرون والسور الحالى أقامه السلطان العثمانى سليمان القانونى ١٥٣٦م وطوله ٤٢٠٠ متر يشغل الجدار الشرقى والجنوبى للحرم الشريف ٦٠٠ متر وارتفاعه يختلف وأعلاه يصل إلى ٣٠ مترا وسمكه لايزيد على المترين. وقد بذلت الحكومات الصهيونية جهودا مضنية لتفريغ القدس من سكانها العرب برغم أن الإحصاءات الإسرائيلية نفسها تشير إلى أن تزايد نسبة السكان الفلسطينيين تصل إلى ٢٧٪ من عدد السكان والدراسات اليهودية تؤكد أن هذه النسبة قد تصل إلى ٣٨٪ عام ٢٠٢٠م.

٢

والقدس هى المحور الأساسى الذى استخدمه الأدباء اليهود فى معظم أعمالهم الأدبية يستوى فى ذلك الأدباء الاشكنار (يهـود الغـرب) والأدباء السفارد (يهود المشرق العربى) يعيش فيها معظم أبطالهم، ينعمون بقدسيتها، ويحن إليها اليهود من كل بلاد العالم وقد ركزوا عليها فى أدبهم كى تصبح الأمل المنشود ليهود العالم، فى البداية ليهاجروا إليها وبعد قيام دولتهم ليحتلوها وبعد ذلك طمس معالمها وتفريغ العرب منها. وهذا المخطط قديم جدا، وضعوا له العديد من الخطط، ومهدوا له جيدا، وكانوا ينتظرون الظروف الملائمة لتنفيذ أحد هذه الخطط، وأخذ الأدب على عاتقه مهمة غسل العقول وتسييسها سواء اليهودية أو الغربية، قبل قيام الدولة الصهيونية بعقود كثيرة، كتب الأدباء عنها ووصفوا شوارعها وأزقتها، مبانيها وأفنيتها وسكانها، ومن هذه الأفنية خرج معظم أبطال أعمالهم.

والعلاقة بين فلسطين والأدباء اليهود واضحة والأكثر منها وضوحاً علاقتهم بالقدس، ولكنها تختلف بين نظرة الأدباء الاشكناز قبل مجيئهم إليها ونظرة الأدباء السفارد الذين عاشوا فيها أو زاروها. فقد اعتمد الأدباء الاشكناز على الكتب والخيال ورثاء البعيدين، أما الأدباء السفارد وعلى وجه الخصوص من ولد منهم فيها، فقد أبدعوا فى وصفها بقدر ما أبدعوا فى التغنى بقدسيتها وفى تزييف الحقائق والتجنى على العرب للوصول إلى تحقيق الحلم الصهيونى مثل مافعله الأديب الصهيونى المعاصر (يهودا بورلا) الذى ولد بالقدس سنة ١٨٨٦ .[١] وبعد حرب الأيام الستة استعرض بورلا مكان ميلاده حيث يقول :

« أمس وأول أمس أحاطتنى أزقة وأروقة المدينة القديمة، وقد أوضحت لأبنائى وبناتى عديدا من الضواحى والأماكن الغير معروفة من بوابة الربع اليهودى وحتى آخره.. وقد استجابت لى قدماى كأيام الصبا، فكانت خطواتى خفيفة وسريعة، قفزت هنا وهناك ولم أشعر بالانهاك ».

ويقول أيضاً :

« من هنا ارتشفت ماء الحياة الأدبى، ومن هذا الشارع حكمت العالم »[٢] وقد احتلت القدس رقعة كبيرة فى أدبه حيث يقول فى قصة « فى كنفنا ».

« لقد سكن أبناء الديانات الثلاث فى مدينة الإيمان والأديان متفرقين ومنعزلين لم يقترب هذا من ذاك طوال الأيام، وإذا اضطر يهودى أن يمر فيما ندر بين شوارع المسلمين، بين الأزقة الصامتة، ترتعد أوصاله من الخوف لأنه يعتقد فى قرارة نفسه أن هذا السكون لل« جوى » (أى غير اليهودى) الغريب المنتشر هنا، ليس إلا سكون الكمين فى الخفاء. حيث يكن سكانه من العرب العداء دائما لليهود، وفى كل لحظة يخشى أن ينقض عليه من خلف كل باب أو جدار ظالم يسبب له الفناء[٣] .

كما وصف بورلا الأفنية والبيوت حيث يقول :

« لقد أقيمت الأفنية والبيوت فى القدس القديمة منذ أيام خلت وأنك لا تستطيع أن تحكم على من بناها وعلى أصحابها بأنهم أهل معرفة أو على الأقل كان لهم قدر ضئيل من تذوق الجمال، كيف يصح لبشر عقلاء أن يقيموا بيوتهم وأفنيتهم وليس بها أى نظام وليست إلا تجميع أحجار وتكديس مصاطب على سطح الأرض.. تزيد ظلمتها على نورها..

---

(١) توفى عام ١٩٦٩، وقد تخصص فى الكتابة عن يهود المشرق العربى، كما شارك بالكتابة فى معظم الأنشطة الخاصة بالدولة الصهيونية.

(٢) الحنانى: أبراهام حاييم: الأربعة الذين قصوا «أربعاه شيسبرو» إصدار بمعرخاه القدس ١٩٧٨ ص ٣٠ (مصدر عبرى).

(٣) بورلا : فى عقبيا (بيتسيل قوراتينو) ص ٨٧ (مصدر عبرى).

وكان سكان هذه الغرف لايجدون بها « حاشا لله » أى عيب، بالعكس كانوا يشعرون فيها بالنعيم والهناء كالوزراء سكان القصور.. هكذا كانت المساكن قبل ٤٠ أو ٥٠ سنة[٤].

وهناك قاسم مشترك لكل هذه الأفنية تقريبا وهو مدخلها المظلم، وبخروجك من أحد هذه المداخل يخيل إليك أنك ستقع أو تصطدم بشئ، وبالمحاولة فقط تخرج إلى مايشبه الساحة. وهو مايسمى بالفناء، ثم تتراءى لك أقسام أو أجنحة هذا الفناء »[٥].

ولنا أن نتأمل نحن العرب، وإنها لدعوة لكل منصف من غير العرب ليتأملوا ماجاء على لسان هذا الأديب الصهيونى الذى يعترف بالحق لأهله دون قصد منه إنه الحق الذى لايحتاج إلى برهان وإنما يظهر واضحاً وكفانا أنه من أفواه الأعداء.

وكل الأفنية فى القدس يملكها العرب منذ أجيال عديدة، أما إدارة هذه الأفنية فكانت فى أيدى اليهود، حيث يؤجر العربى مايمتلكه منها لأحد اليهود سنويا حيث يقوم اليهودى بتأجيرها ويحظى بأضعاف مادفعه للعربى بالإضافة إلى حجرة يعيش فيها بلا مقابل »[٦].

ويصف بورلا مدخل فناء « يعقوب حى » ويقول:

« والدهليز هو قلب البيت الذى يؤدى إلى كافة أرجائه، والحائط الغربى للدهليز به باب منخفض يشبه المغارة، وبداخل الحائط من ناحية اليمين مجرى مائل، وفى أيام الأمطار يسمعون من داخله خرير المياه كمجرى مائى متدفق، لأن مياه الأمطار تسقط فوق الأسقف وتنساب خلال المسالك الخفية إلى ذلك البئر.

ومن ناحية الجنوب نافذتان تطلان على غرفة « التوراة » الطويلة والضيقة التى تستخدم كمكان مخصص للنساء فى الأعياد »[٧].

وعن ندرة المياه فى القدس يقول:

« وتحل أيام الصيف، وترتفع الحرارة فى البلاد وتقل المياه فى الآبار، وفى شهر أغسطس تكون تلك الآبار قد نضبت »[٨].

وكما وصف الأفنية من الخارج، وصفها أيضا من الداخل حيث يقول فى رواية « عقبيا »:

« وبجانب المعابد الأربعة للطائفة السفاردية، توجد أفنية تنزلها ببضعة سلالم، وهناك يسكن العديد من العائلات اليهودية الفقيرة، وكل عائلة تعيش فى غرفة واحدة، والغرف سراديب محفورة داخل الأرض مظلمة تماما بلا نوافذ، الأرضية رطبة، والحوائط بدون طبقة من الجص، أحجار قديمة مجوفة يغطيها التراب، وعندما دخل « عقبيا »، مع اثنين من اليهود رأوا على الأرضية أرائك بالية.. ملساء من كثرة القذارة وعندما رفعوا الحصير أمام « عقبيا » رأى ديدانا كثيرة على الأرض، وكأنه نزل إلى قبر، واللون الأسود يغطى الجدران نتيجة لإشعال لمبات الكيروسين ليلا، ومروا من قبو لآخر، وهذه مساكن عشرات وعشرات من عائلات إسرائيل »[٩].

وأود أن أشير إلى أن الحى اليهودى فى المنطقة الجنوبية من القدس كان قبل حرب ١٩٦٧ اثنى عشر فدانا فقط والآن زحفوا على الأراضى العربية وهدموا ماحوله من أراض وأوقاف أثرية عربية ووسعوه حيث تضاعفت مساحته إلى أكثر من خمس وعشرين مرة.

---

(٤) بورلا : بالتقديس (بقدوشاه) دار نشر متسفاه. تل أبيب ص ١٣٩.

(٥) بورلا : بالفخر والعار (بجيئون أوبشيفل) سفاريم، القدس١٩٧١ ص ٥٦.

(٦) المصدر السابق ص ٥٧.

(٧) بورلا : بالتقديس ص ١٤١ (مصدر عبرى).

(٨) بورلا : حادث بشع «معسيه نورا» ص ٩ [مصدر عبرى].

(٩) بورلا: عقبيا ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

والسكن فى هذه الأفنية له دلالته الدينية الخاصة.

« فالحاخام شبتاى » لايسكن إلا فى الأفنية التى تطل على بيت المقدس ويقول الجيران ساخرين، إنه يرى من النافذة ملوك الهيكل الثانى ، وكان لايتضايق من هذه الكلمات ويقول: « نعم على كل يهودى أن يفكر ساعة فى اليوم على خراب هيكلنا المقدس، وكانوا لاينكرون عليه أفكاره »(١٠).

وقداسة القدس لها طابعها الخاص حيث يقول الأديب على لسان زوج « ديامنطى » فى رواية عقبيا:

« إن القداسة أمر عجيب، فعند داود الملك لم أعرف نفسى.. إنها الشعيرة والأفضلية! هذه الأفضلية كى يصبح الإنسان محظيا للوقوف هناك، أمامهم. فى بيتهم فى البيت، تبارك الله، وقد رأيت القداسة واضحة أمام الجميع.. هذه القداسة لاتوجد خارجها، وإن وجدت فإنها تختلف، سواء فى المعبد أو فى اليوم المقدس للغفران « الكيبور » انها تشبه إنساناً يقف أمام قداسة بعيدة، مختفية، كأنك تقف أمام ستارة، لكن هنا، تحل القداسة بقلب الإنسان.. وتشعر بأن القداسة تحتضنك أو أنك حتى تستحم بها »(١١).

كما يصف الأديب عجائزالقدس وهم ينعمون بهذه القداسة فى قصة « غروب » ويقول:

« فى كل فناء من أفنية القدس القديمة ، كنت ألتقى بهم، بالعجائز الذين هاجروا من بلاد الدنيا المختلفة فى أواخر أيامهم، يسكنون فرادى وجماعات فى حجرات كالأكواخ.. صغيرة ومظلمة كرهبان أو كهنة فى دير كبير، وحتى تقاطيع وجوههم تختلف عن وجوه الرهبان المعزولين تماما، بالعكس تغلفهم السكينة، وترى فى وجوه العديد منهم النور والطهارة وتسودهم الثقة والطمأنينة .. لأن القدس المنحوتة فى قلوبهم منذ القدم والتى يحنون إليها منذ أجيال هى اليوم من نصيبهم وهى زهرة خلاصهم، تسكب عليهم نور قداستها وبهائها.. »(١٢).

والقدس هى المحور والملاذ والجنة والحساب والعقاب، مفاهيم رسخها فى عقولهم حاخاماتهم.، ففى القدس أربعة أودية **الأول**: هو « وادى قدرون » شرقا وهو اسم جدول مائى يجرى الماء فى قاعة عندما يسقط المطر، ويسميه اليهود « وادى يهوشا فاط » وطوله نحو كيلو مترين، وتعتقد كثير من الطوائف اليهودية أن الحشر يوم القيامة سيكون فى هذا الوادى.

والثانى: « وادى سلوان » جنوباً، ويقال إنه كانت هناك قبيلة فى قديم الزمان تسمى هُنَّم بتشديد النون.، وكان يقال: وادى هُنَّم: وكلمة وادى تعنى فى اللغات السامية كلمة (جى) وكانت هذه القبيلة فى الوثنية الغابرة تقدم الضحايا البشرية الى إلهها « مولك » فى هذا الوادى، ويقال إن كلمة جُهَنَّم جاءت من هذه التسمية، وقد اعتنق اليهود نفس الفكرة وأضفوا عليها شيئاً من القداسة.

ثم « وادى الجبانة » و« وادى الأرواح » وبه مدافن الموتى.

ترى.. ماذا يقول الأدباء عنها بعد أن حولها شارون إلى ثكنة عسكرية تبيد شعبا أعزل على مسمع ومرأى من العالم أجمع.

هل سيسير الأدباء فى ركب شارون ويتغنون بسفك الدماء وقتل النساء والأطفال والشيوخ وهدم المنازل على رؤوس أصحابها العرب أصحاب الأرض؟... اللهم لطفلك.

---

(١٠) بورلا : فى كنفنا (مصدر سابق) ص ٩٢.

(١١) بورلا : عقبيا (مصدر سابق) ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠

(١٢) بورلا : غروب ص ٢٢٢.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

هل ركب محمد البحر؟!

سمع بعض علماء الطبيعة من غير المسلمين هذه الآية:

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(١).

فسأل: هل ركب محمد البحر؟.. فقالوا: لا، فقال: أشهد أنه رسول الله، قالوا: وكيف عرفت؟.. فقال: إن هذا الوصف للبحر لا يعرفه إلا من عاش عمره في البحار، ورأى الأهوال والأخطار، فلما أُخْبِرت أنه لم يركب البحر عرفت أنه كلام الله ـ تعالى ـ.

ما بين ذلك

دعا أعرابي، وهو يطوف بالكعبة، فقال: اللهم قد أطعناك في أحب الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك؛ ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك؛ فاغفر اللهم ما بين ذلك.

ولكن اسأل الله

قال حكيم لابنه: يا بني، أكلت الحنظل، وذقت الصبر، فلم أر شيئاً أمر من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك، ولكن اسأل الله ـ تعالى ـ من فضله فمن ذا الذي سأل الله ـ تعالى ـ فلم يعطه، أو دعاه فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به.

(١) النور (٤٠).

حقـــــــا

النفس تجــزع أن تكون فــقــيــرة
والفــقــر خــيــر من غنى يطغــيـهــا
وغنى النفـوس هو الكفـاف فـإن أبت
فـجــمـيع مـا فى الأرض لا يكفـيــهــا

رأى الشـــــباب

كان مجلس عمر بن الخطاب، غاصاً بالقراء شباباً وكهولاً فربما استشارهم ويقول: «لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإن العلم ليس على حداثة السن وقِدَمِه، ولكن الله ـ تعالى ـ يضعه حيث يشاء».

للغنى مدح .. وللفقير عيب

ليس من خِلَّة هى للغنى مدح إلا هى للفقير عيب:

فإن كان شجاعاً سُمى أهوج.
وإن كان جواداً، سُمى مُفْسِداً.
وإن كان حليماً، سُمى ضعيفاً.
وإن كان وقوراً، سُمى بليداً.
وإن كان لَسِناً، سُمى مهذاراً.
وإن كان صَموتاً، سُمى عَيِيَّاً.

رباعيـــــات

للشاعر محمد حسن فقى

هذا الحــجــيج إليك يهــفــو
بدعــائه فــعــســاك تعــفــو
كــدر الحــيــاة إذا رضــيــت
فــإنه برضــاك يصــفــو
إنـا نُـمــــزِق فـى الـرداء
الذى نَسَـجـتَ .. وأنت ترفــو

كـــرم حـــاتم

أغار قوم على قبيلة طيىء، فركب حاتم فرسه، وأخذ رمحه، ونادى فى جيشه وأهل عشيرته ولَقِىَ القوم فهزمهم وتبعهم، فقال له كبيرهم: يا حاتم هب لى رمحك، فرمى به إليه، فقيل لحاتم: عرضت نفسك للهلاك، ولو عطف عليك لقتلك، فقال: قد علمت ذلك، ولكن ما جواب من يقول: هب لى؟!..

دعـــاء

يا رب: اغفر لى جِدِّى، وهزْلى، وخطئى، وعَمْدِى، وكل ذلك عندى.

دراسات أدبية

لزوم ما لا يلزم

بين أبى العلاء .. وسابقيه

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

يقول العلامة أحمد تيمور باشا عن أبى العلاء: (هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد ابن سليمان بن أحمد بن سليمان ابن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم ابن أرقم ابن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو بن بريخ بن خزيمة ابن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة التنوخى المعّرى. هكذا ساق نسبه ابن خلكان، وهو أصح ما وجدناه بالمعارضة على ما فى كتب الأنساب، فإن فيما ذكره ياقوت فى إرشاد الأريب إسقاطًا لبعض الأسماء واضطرابًا فى ترتيب بعضها فاعتمدنا على رواية ابن خلكان بعد تصحيح ما حرّف منها...

وكان أبوالعلاء من بيت علم وقضاء، ورياسة وثراء، تولى جماعة من أهله قضاء المعرّة وغيرها، ونبغ منهم قبله وبعده كثيرون رأسوا وساسوا، وكان فيهم الكاتب والشاعر...

ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣هـ. وعمى بالجدرى أول سنة ٣٦٧. غشى يُمنى عينيه بياض، وذهبت اليسرى جملة. وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، لأنهم ألبسونى حين جدرْتُ ثوبا معصفرا، لا أعقل غير ذلك... وتوفّى - رحمه الله - يوم الجمعة، ثالث وقيل ثانى وقيل ثالث عشر ربيع الأول سنة ٤٤٩هـ بالمعرّة، فى خلافة القائم العباسى، وله من العمر نحو ستّ وثمانين سنة[1].

وكان مطلعا على العلوم، لا يخلو فى علم من الأخذ بطرف، متبحرا فى اللغة، متّسع النطاق فى العربية، جامع الشعوب للطرق الأدبية.. كما يقول عنه ابن فضل الله العمرى فى كتابه: (مسالك الأبصار).

وكان أبوالعلاء يتعصّب للمتنبى، ويزعم أنه أشعر المحدثين، ويفضله على بشّار ومن بعده، مثل أبى نواس، وأبى تمام.. كما يقول ياقوت الحموى فى كتابه: (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب).

يقول ابن خلكان: (وكان متضلعا من فنون الأدب، قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرّة، وعلى محمد بن عبدالله بن سعد النحوى بحلب، وله التصانيف الكثيرة المشهورة، والرسائل المأثورة. وله من النظم «لزوم ما لا يلزم» وهو كبير يقع فى خمسة أجزاء، أو ما يقاربها، وله «سقط الزند» أيضا، وشرحه بنفسه وسماه: «ضوء السقط». وبلغنى أن له كتابا سماه: «الأيك والغصون» وهو المعروف بالهمزة والردّف، يقارب المائة جزء، فى الأدب أيضا، وحكى لى من وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف، وقال: لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلّد؟ ولما فرغ من تصنيف كتاب: «اللامع العزيزى» فى شرح شعر المتنبى وقرىء عليه، أخذ الجماعة فى وصفه فقال أبوالعلاء: كأنما نظر المتنبىّ إلىّ بلحظ الغيب حيث يقول:

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى
وأسمعت كلماتى من به صمم

واختصر ديوان أبى تمام، وشرحه، وسماه: «ذكرى حبيب» وديوان البحترى وسماه: «عبث الوليد» وديوان المتنبى وسماه: «معجز أحمد» وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها، ومآخذهم من غيرهم، وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم، والنقد فى بعض المواضع عليهم، والتوجيه فى أماكن لخطئهم[2].

أثبتنا هذه النقول عن حياة أبى العلاء وثقافته، لنخرج من ذلك إلى أننا معه بإزاء رجل كان مؤهلاً بالفعل لريادة اتجاهات متعددة فى الإبداع وليس اتجاها واحداً بذاته.. فقد اشتق فى الشعر العربى اتجاها إلى الرثاء من خلال داليته التى يرثى بها صديقه الفقيه الحنفى وغيرها ما نظن أنه كان موجوداً قبْل أبى العلاء بهذه اليقظة الفنية التى تتأمل - فى رثاء إنسان - كلّ مظاهر الكون، بدءا وصيرورة ومصيراً.. كما اشتق فى

---

(١) أحمد تيمور باشا: أبوالعلاء المعرى - ص ١٧ - ٢٨.

(٢) ابن خلكان - وفيات الأعيان - عن (تعريف القدماء بأبى العلاء - ص١٨٢.

النشر العربى اتجاها إلى الفَرَادَة الفنية من خلال عمله الرائع فى (رسالة الغفران) التى جلى فيها جانباً من عبقرية الخيال العربى وعبقرية اللغة العربية على السواء، وكشف فيها كثيراً من جوانب الحقائق العلمية المتصلة بتاريخية الشعر وأصولية اللغة فى ذكاء مثير.

فإذا تصدى فى ديوانه (لزوم ما لا يلزم) إلى ريادة أخرى من نوع مختلف. فذلك مبرر له وإن كان فى حاجة إلى استقصاء للمحاولات التى وجهته - على الأقل - إلى اقتحام هذا المجال ربما فى شعر الشعراء السابقين عليه.

وبداية يلوح فعل أبى العلاء فى (لزوم ما لا يلزم) نوعاً من التحدى العبقرى الذى يريد من ورائه صاحبه أن يؤكد جدارته الفنية واللغوية بشكل خارق تماماً، فقد أحصى أبوالعلاء حروف المعجم فوجدها - كما يقول الدكتور طه حسين - ثمانية وعشرين حرفا، ثم أحصى الحركات التى يمكن أن تختلف على هذه الحروف فوجدها ثلاثاً - وأضاف إليها السكون، فحصلت له من هذا أشكال أربعة للقافية، فلما استقام له هذا الحساب أخذ نفسه بأن ينظم شعراً يقفيه بكل هذه الحروف مضمومة ومفتوحة ومكسورة وساكنة، ولو قد اكتفى بذلك لكان فيه الجهد كل الجهد، والعناء كل العناء، ولكنه أضاف إليه التزام الحرف الذى يسبق القافية فى البيت الأول من القصيدة أو المقطوعة، بحيث لا توجد القافية فى أى بيت من أبيات القصيدة أو المقطوعة، إلا ومعها هذا الحرف الذى سبقها فى البيت الأول(٣).

وإذن فإن معنى (لزوم ما لا يلزم) أنه يلتزم قبل الروىّ حرْفا إذا غُيّر لم يكن مخلا بالنظم كما يلوح فى سائر محاولته الفذة، ولكن الرجل أخذ نفسه بهذا الشرْط الفنىّ، وحاول أن يوائم بينه وبين ما وضعه النقاد الذين رصدوا هذه الظاهرة من شرط أساس لها، وهو عدم الانزلاق بلزوم ما لا يلزم إلى نوع من التكلف أو الاعتساف الذى يحيل الإبداع إلى مهارات لغويّة فارغة من النبض الشعورىّ، وإن لم تسْلم له هذه المحاولة بالكامل، فوقع أحيانا كثيرة فى شرك الاعتساف والتكلف، مع أنه كان يعى بالتأكيد مثل هذا الشرط الذى أكده مثل ابن سنان الخفاجى فى كتابه: (سرّ الفصاحة) حين قال: (وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفنّ - لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه - شىء من عيوب القوافى، لأنه إنما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير إلجاء ولا إكراه، ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل، وليس بنا حاجة إلى المتكلف المطرح، وإن ادعى علينا قائله أن مشقة نالتهْ، وتعباً مّر به فى نظمه(٤).

فإذا تركنا ذلك إلى قضية البحث عن جذور هذه الظاهرة فى التراث السابق على أبى العلاء، هالنا أن الإجماع النقدىّ يوشك أن ينعقد على أن المعرى هو أول من راد هذا الطريق، وأول من أصل لهذا الاتجاه، فإذا أوغلوا فى التحوط أشاروا إلى قصيدة يتيمة فى التراث الشعرى لكثير عزّة، التزم فيها اللام قبل التاء وقد أشار أبوالعلاء نفسه إلى هذا السبق التاريخى لكثير فى قوله:

(٣) أنظر: مع أبى العلاء فى سجنه - للدكتور طه حسين - ص١١٠.

(٤) ابن سنان - سر الفصاحة - ص١٨٠ - ١٨١.

كـــثـــيــــرّ أنا فى حـــرفى أهبتُ له
فى التـــاء يلزم حـــرفـــا ليس يلتـــزم

يريد حرف اللام الذى التزمه كثير قبل التاء فى قصيدته التى مطلعها:

خليليّ هذا ربع عـــزّة فـــاعـــقـــلا
قلوصـــيكمـــا ثم ابكيـــا حـــيث حلّت

فإذا كانوا يقصدون أن أبا العلاء هو أول من كشف الإبداع على هذا النسق حتى بلغ ذلك ديوانا بكامله سماه: (لزوم ما لا يلزم).. فهم على حق فى هذا الإطلاق بلا جدال.. أما إذا كانوا يقصدون أن أبا العلاء هو أول من ألف شعره فى هذا الاتجاه، أو حتى هو ثانى من ألف شعره فى هذا الاتجاه بعد كثير عزة الذى اعترف له بريادة هذا النسق الإبداعى، فذلك هو مناط الجدل لأن واقع الإبداع العربى يتجاوز هذا التحديد الضيق والمغامر فى آن.. ولأننا نعتقد أن الإطلاق هنا نوع من التبسيط المخلّ، ربما لأننا نؤمن بأن أية ظاهرة فنيّة لا يمكن أن تتخلق فى معزل عن سائر الظواهر الأخرى – فضلاً عن مسلّمة كونها لا يمكن أن تتخلّق فى فراغ كامل – بمعنى أن كل ظاهرة تؤثر فى سائر الظواهر، وتتأثر كذلك بسائر الظواهر، ولا يهمّ بعد ذلك أن تكون الظاهرة المتأثرة تنويعاً حرْفياً على الظواهر المؤثرة، فقد تتخذ لها اتجاها مغايراً أو حتى نقيضا، ومع ذلك تؤكد أنها امتداد من لون ما لهذه الظواهر التى دفعتها إلى هذا المنطلق أو ذاك.

وفى ضوء هذه الملاحظة النقدية يمكن أن نفهم أن اتجاه أبى العلاء إلى (لزوم ما لا يلزم) فى شعره، لم يكن انطلاقا من الفراغ كما يحاول الاجماع النقدى أن يصوره. وإنما كان امتداداً لظواهر أخرى من جهة، وتطويراً لتكثيف (الإيقاع والموسيقى) فى هذه الظواهر من جهة أخرى.. بمعنى أن أبا العلاء فتن بريادات تلتزم فى شعرها ما لا يلزم، فحاول أن يقبض منها على الراية فى هذا الصدد وقد استطاع... ثم هو فتن بإيقاع بعض الشعر وموسيقاه، فحرص على تكثيف هذه الموسيقى وهذا الإيقاع، ربّما ليعوّض حاسة الرؤية بحاسة السمع، فحرص على التقفية ليس بحرف واحد كما فعل سابقوه، وإنما بحرفين وأحيانا بثلاثة حروف... إلى جانب ما عرف عنه من حب جارف لاستعراض ملكاته اللغوية والتركيبية فى تصميم شكل القصيدة العربية وقد يؤيد ما نذهب إليه قول ابن سنان الخفاجى: (وقد التزم بعض الشعراء فى القوافى إعادة ما لا يلزمه طلبا للزيادة فى التناسب، والإغراق فى التماثل، كقول الحطيئة:

ألا من لقـلـب عـــــــارم الـنـظـرات
يـقـطّع طول الليـل بـالـزفـــــرات
إذا مـــا الـثـريـا آخـر الليل أعـتـقـت
كــواكـــبـــهـــا كـــالجـــزع منحـــدرات

فالتزم الراء فى جميعها قبل الرويّ، وهى غير لازمة[٥]... فإذا كان ذلك عند غير أبى العلاء، فما نظن إلا أنه كان حريصا على ذلك بأكثف من هذا كثافة بما لا يقاس.

وإذن فالتزام ما لا يلزم كان موجوداً قبل أبى العلاء، فى الشعر وفى النثر على السواء، حتى إن رجلا كابن الأثير أخذ يستقصى ما جاء منه، أو

(٥) ابن سنان – سر الفصاحة – ص١٧٩.

فلنقل بعض ما جاء منه فى القرآن الكريم، وانتهى إلى أنه (ورد فى القرآن الكريم شىء من هذا اللزوم – إلا أنه يسير جدا، فمن ذلك قوله تعالى:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾(٦)

وقوله تعالى:

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴾(٧) وكذلك ورد قوله تعالى فى هذه السورة:

﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ۝٢٩ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾(٨).

ومن هذا الباب قوله تعالى:

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴾(٩).

وكذلك ورد قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٣٩ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾(١٠).

وعلى هذا الأسلوب جاء قوله تعالى فى قصة إبراهيم – عليه السلام –:

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾(١١).

وعلى نحو هذا جاء قوله تعالى:

﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٢٧ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴾(١٢).

ولا تجد أمثال ذلك فى القرآن إلا قليلا(١٣).

كما جاء اللزوم كذلك فى الحديث النبوى الشريف من مثل قوله ﷺ: (شرّ ما فى المرء: شحّ هالع، وجبن خالع)(١٤).. وقوله: (الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)(١٥).

أما فى الشعر – وهو ما يهمنا هنا بالدرجة الأولى – فقد وردت نماذج متفاوتة بين القصيدة والأبيات.. وتسلسلت هذه النماذج فى عصور الجاهلية والإسلام والأمويين والعباسيين.. مما يؤكد أن الظاهرة اللزومية كان لها حلول تاريخى فى هذا الشعر. وإن كانت لم تأخذ شكلها النهائى المستقر إلا على يد أبى العلاء المعرى من غير شك.. فابن الأثير يقول: (ومما ورد من ذلك أيضاً قول طرفة بن العبد البكرى:

ألم تر أن المال يكسب أهله
فضوحاً إذا لم يُعط منه نواسبُه
أرى كل مال لا محالة ذاهبا
وأفضله ما ورث الحمد كاسبه(١٦)

---

(٦) العلق (١ ، ٢). (٧) الطور (١ ، ٢). (٨) الطور (٢٩ ، ٣٠).
(٩) الواقعة (٢٧ ، ٢٩). (١٠) الأنفال (٣٩ ، ٤٠). (١١) مريم (٤٥ ، ٤٦).
(١٢) ق (٢٧ ، ٢٨). (١٣) ابن الأثير: المثل السائر – ج١ – ص٣٧٦ – ٣٧٧.
(١٤) (١٥) (١٦) ابن الأثير: المثل السائر – ج١ – ص٣٧٠.

ويقول: (وقد ورد للعرب شيء من ذلك إلا أنه قليل، فمما جاء منه قول بعضهم[١٧].

في أبيات الحماسة:

إن التي زعمت فؤادك ملها
خُلقتْ هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فأدقها وأجلها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبي
ما كان أكثرها لنا وأقلها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة
شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه[١٨].

ويقول: (ومما يجرى هذا المجرى قول حجر بن حية العبسيّ من شعراء الحماسة أيضا:

ولا أدوّم قدرى بعد ما نضجت
بخلاً فتمنع ما فيها أثا فيها
حتى تقسَّم شتى بين ما وسعت
ولا يؤنب تحت الليل عافيها[١٩]

ويتبدّى من خلال استشهادات ابن الأثير على هذا النحو الذى ألمّ بالشعر الجاهلي والقرآن الكريم، والحديث النبوى، وكلام العرب. ثم شعر العصور التالية، أن لزوم ما لا يلزم ظاهرة فرضت وجودها على الذاكرة الإبداعية وجاء القرآن الكريم ليبرر وجودها الجماليّ، ويضعها نسقا من أنساق الخطاب الآسر الذى يستولى على مشاعر المتلقين... ولكننا نلاحظ على مجمل هذه الاستشهادات أنها ليست أعمالاً كاملة، وإنما هى أبيات من قصائد، وفقرات من حديث، وآيات من القرآن الكريم.. أى أنها كانت ظاهرة قليلة الورود. حتى جاء أبوالعلاء فكثرها وعممها.

حتى القصيدة اليتيمة الكاملة التى استشهد بها مؤرخو هذه الظاهرة وهى لكثير عزة. لم تسلم لهم جميعها وحين لم تسلم لهم حاولوا تنحية النُتُوء الذى يمكن أن يخرجها عن كلية التوجّه للزوم ما لا يلزم.. يقول ابن سنان الخفاجى:

وكان شيخنا يذهب إلى أن قصيدة كثير التى أولها:

خليليّ هذا ربع عزّة فاعقلا
قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

قد لزم اللام فى جميعها، فلما سألناه عن البيت الذى يروى فيها وهو:

أصاب الردى من كان يهوى لك الردى
وجن اللواتى قلن عزة جُنتَ

قال: هذا البيت ليس من القصيدة[٢٠].

وينحو هذا المنحى داود الأنطاكى فيقول: ومن أول القصيدة إلى قوله: فما أنصفت: لزوم ما لا يلزم، ولم يخالفه إلا فى البيت المذكور[٢١]. وإن تحرز فلم يطعن فى نسبة البيت.

وفى ذلك كله ما يدل على اتجاه الكثيرين نحو الالتزام.

---

(١٧) يعنى عروة بن أذينة.

(١٨) ابن الأثير: المثل السائر - ج١ - ص٣٧٠.

(١٩) ابن الأثير: المثل السائر - ج١ - ص٣٧٠.

(٢٠) ابن سنان: سر الفصاحة - ص١٨٠.

(٢١) داود الأنطاكى: تزيين الأسواق - ص٧٧.

الدعاة واللسان

للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفنى

لا نزاع فى أن الرسالة التى أرسل الله بها رسله هى أن يبلغوا للناس الدين الصحيح، فينتزعوهم من الضلال والجهل إلى المعرفة الصحيحة لله أولاً، ثم يبينوا لهم الأسلوب الأمثل لتطبيق شريعة الله، سواء منها ما يتعلق بالعبادة لله، أو الصلة بين الناس فى علاقاتهم أو سلوكهم، كل رسول حسب ما تتضمنه رسالته من تفاصيل، وفى كل ذلك يكون الرسول صاحب رسالة ودعوة، كل همه أن يقنع الناس بها ليؤمنوا بها ويطبقوها، وهذا بطبيعة الحال يستلزم الحوار الدائم والمتواصل بينه وبين الناس، هو يريد أن يقنعهم بدعوته وهم يجادلونه للتمسك بتقاليدهم وكيانهم الاجتماعى الذى صاغوه من هذه التقاليد.

وحينئذٍ تبدو أهمية اللسان من حيث أنه السلاح الأساس فى هذه الخصومة الإعلامية والنفسية، وإذا كانت سائر الأسلحة العسكرية والنفسية يمكن لشىء منها أن يؤدى بعض الغرض الذى يؤديه السلاح الآخر، فإن اللسان هو السلاح الوحيد الذى لا يستغنى عنه الداعى ولا يجد شيئاً قط يحل محله، أو يغنى عنه أى غناء، وإذا قيل فإن القلم قد يؤدى ما يؤديه اللسان أو بعض ما يؤديه، فالواقع أن القلم مطية اللسان، فالداعى يصل إلى سامعه مباشرة باللسان، ويصل إلى قارئه ممتطياً قلمه.

ولعلنا نجد شيئاً من مضمون أهمية اللسان فى قوله -تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾(١).

فإنه وإن كان المعنى منصباً على أنه لابد أن تكون لغة الرسول والمرسل إليهم واحدة، إلا أن دور اللسان فى الآية وكونه الأداة الوحيدة للبيان والبلاغ، وكونه ملازماً لكل رسول ملازمة جوهرية أمر واضح شديد الوضوح، ولذلك جعل موسى ـ عليه السلام ـ اللسان مطلباً أولياً يدعو ربه أن يحققه له فيقول داعياً:

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾(٢).

بل نلحظ أنه حينما تحدث عن اللسان ربط به جوهر رسالته كلها فى فهم الناس عنه فى قوله:

﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ لأنهم إذا لم يفقهوا قوله فقد انفصمت الروابط بينه وبينهم، لانعدام وسيلة الاتصال والتفاهم.

وفى إصرار موسى –عليه السلام– على أن يكتمل لديه هذا السلاح الذى لا بديل له عند الداعية، وهو البيان ممثلاً فى اللسان، فحينما كلفه ربه إعلان رسالته وتبليغها إلى أعتى طغاة عصره، فرعون، لم يطلب موسى حينئذٍ قوة ولا سلاحاً فى هذا الصراع الرهيب المقدم عليه سوى لسان كامل البيان ولم يكن لسانه هو كامل البيان والطلاقة، فطلب الاستعانة بأخيه الفصيح الطلق اللسان، فيقول:

﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾(٣).

وحين يكتمل ما لدى موسى من شخصية قوية، وعلم واسع، وحجة دامغة، بما لدى هارون من طلاقة اللسان وحسن العرض وبلاغة الصياغة، فهذا كل ما هو فى حاجة إليه، وهو أيضاً كل أو خير ما يحتاج إليه أى داعية، ولم يكن ينقص موسى ـ كما يفهم من أغلب الروايات ـ شيئاً يتعلق بالعجز عن النطق أو عن وضوح الألفاظ نفسها، وإنما يتعلق بطلاقة اللسان فى استرساله ومقدرته السريعة المتلاحقة ليس على توضيح الكلمات ونطقها، وإنما على تنسيقها وعرضها بالصياغة والإلقاء الجذاب المؤثر، والزمخشرى يبرز هذه الملحوظة فى تعبير طريف عميق، حيث يقول: إن (الفصاحة لا يحتاج إليها لمجرد إلقاء المعنى ليصل السامع إلى فهمه فيقول للمتكلم صدقت أو كذبت، فهذا القدر يستوى فيه من يُضْرَب به المثل فى البلاغة وهو سحبان، ومن يضرب به المثل فى العى، وهو بأقل، وإنما يحتاج إلى الفصاحة لشىء فوق فهم المعنى، وهو التأثير فى السامع، وكسب مشاعره).. وهذا جانب وإن كان يبدو دقيقاً فى التعبير عنه وفى تحديده، إلا أنه واضح ملموس فى واقع الحياة، فمن المعروف مثلاً أن أمير شعراء عصره أحمد شوقى كان يستعين بشخص آخر ليلقى شعره فى المحافل نيابة عنه مع وجوده، فهذا الشخص لم يصنع شيئاً أكثر من أن صوته وإلقاءه يضفى على الكلام شيئاً يزيد من جماله، ويجعل النفوس أشد تأثراً به، ولم يكن أحمد شوقى يخصص شخصاً معيناً تميز عن غيره بموهبة الإلقاء الحسن، وإنما يختار شخصاً لمجرد أن إلقاءه خير من إنشاد الشاعر نفسه، ولعلنا نستشف من هذا المثال الواقعى حين

---

(١) إبراهيم (٤).

(٢) طه (٢٥ : ٢٨).

(٣) القصص (٣٤).

نظر من خلاله إلى استعانة موسى بأخيه هارون أن موسى لم يكن لديه عجز أو عيب فيما يتعلق بوصفه رسولاً ونبياً، كما أن شوقى لم يكن لديه عجز فيما يتعلق بوصفه شاعراً، وكما أن استعانة شوقى بمنشد لشعره بدلاً منه لم تقلل من قيمته بوصفه شاعراً، بل أميراً للشعراء، فكذلك استعانة موسى بأخيه هارون لا تحمل دليلاً على عجز فيه بوصفه نبياً ورسولاً، وإنما تحمل دليلاً على ميزة فيه، وهى حرصه على أن يهيىء لرسالته أقصى ما يستطيع من وسائل النجاح.

اللســـــان والســـــيف

كلاهما سلاح فى الخصومة، ولكن إذا كان السيف أشد رهبة وأصلب عوداً، فإن اللسان أنفذ طعناً وأبقى أثراً، سواء فى أثناء الخصومة أو عند تحقيق الغاية والنتيجة حين يراد بسط النفوذ وإحكام القياد بأى منهما.

وإذا أردنا شيئاً من إيضاح، نقول إن اللسان والسيف كلاهما سلاح تخاصم وتنافس، وكلاهما كان كذلك منذ خلقه الله، فإذا أردنا الموازنة بينهما فى التأثير نجد النتيجة لا تخلو من غرابة فى ظاهر الأمر، وتطبيق ذلك أن نضرب مثلاً بصاحب سلطان أو قوة يريد أن يفرض وضعاً معيناً أو مذهباً من المذاهب على شعب أو جماعة وهم لا يرغبون فى هذا، ونبى صاحب رسالة أو مصلح صاحب مذهب، يريد أن ينشر هذا الدين أو هذا المذهب فى جماعة من الناس وهم غير راغبين فيه، لمخالفته ومناقضته لواقعهم، كما يحدث دائماً للأنبياء ودعاة الإصلاح، ووسيلة صاحب السلطان عادة السيف، وأما وسيلة الأنبياء، والمصلحين فهى اللسان، وقد يكون صاحب السلطة أسرع فى تنفيذ غرضه وفرض إرادته، ولكننا على المدى البعيد نجد الأمر مختلفاً من عدة وجوه.

أولها: أن خضوع الذين خضعوا لصاحب السلطة إنما يستمر طالما كان سيفه مشهراً وليس فيهم سيف يكافئه، فإذا انخفض سيفه أو قام سيف أقوى منه أسرع هؤلاء الخاضعون إلى التحلل من خضوعهم، أما انقياد الأتباع للنبى أو صاحب المذهب فإنه يستمر حتى بعد موته، بل وبعد موت الأتباع أنفسهم، حيث يحرصون على أن يورثوا هذا الانقياد لأجيالهم التالية، لأن انقيادهم فى حقيقته ليس انقياداً لشخص، وإنما لمبادىء هى مضمون العقيدة أو المذهب الذى أقنعهم به هذا الشخص.

ثانيها: أن السيف فى انتصاره إنما يكسب الأعداء، أما اللسان فانتصاره يكسب الأصدقاء، ذلك أن انتصار صاحب القوة إنما يمثل هزيمة الآخرين، وهؤلاء المهزومون غالباً ما يخضعون للقوة خضوعاً ظاهرياً، أما فيما بينهم وبين نفوسهم فهم أعداء لصاحب هذا السيف، لأن الهزيمة لم تكن يوماً محببة إلى أحد، أما صاحب اللسان فإنه حين ينتصر فإن انتصاره هو اقتناع المدعوين والمخاطبين، وهذا الاقتناع يحولهم عادة إلى معجبين وأحبة، إضافة إلى تبعيتهم للداعية صاحب اللسان.

وثالثها: أن السيف لا يؤثر غالباً فى السلوك، ولا يغير من الطابع العام للفرد والجماعة إلا بمقدار الضرورة التى يضطر فيها الفرد اضطراراً إلى تغيير شىء من عاداته أو رغباته، ثم يكون هذا التغيير مؤقتاً بوقت زوال كابوس السيف ورهبته، فإذا تنسم الفرد حريته عاد إلى ما كان عليه، ولكنه فى غالب الأمر ينفذ مطالب صاحب القوة فى الظاهر،

ثم يتمرد ما وجد إلى التمرد سبيلاً، أما صاحب الدين أو المذهب، فإنه عند اقتناعه واعتناقه ما اقتنع به يبدأ فى توجيه سلوكه بما يتلاءم مع عقيدته الجديدة، فإذا أصدر صاحب السيف مثلاً أمراً إلى الخاضعين لسيفه بالامتناع عن شيء كشرب الخمر أو التدخين مثلاً، فإن الخاضعين سينفذون هذا الأمر ظاهراً، ثم يتلمسون كل وسيلة للتمرد على الأمر، ويجدون متعة فى التمكن من مخالفة هذا الأمر، أما أتباع الدين أو المذهب فإنهم حين يجدون الخمر أو نحوها محرمة عليهم يبدأون فى رياضة أنفسهم على هذا التحريم، وإذا غلبتهم أنفسهم فخالفوا، فإنهم يشعرون بتأنيب الضمير لأنهم على أيسر الفروض فعلوا شيئاً مخالفاً لعقيدتهم أو مذهبهم.

والنتيجة إذن أن اللسان ـ بوصفه أداة الإقناع ـ هو الوسيلة المثلى لتغيير السلوك وبالتالى للإصلاح الاجتماعى.

ومن هنا يتضح لماذا لم يكن رسل الله من الملوك أصحاب السلطان، ولا من القادة أصحاب القوة والنفوذ، برغم أن هذا فى الظاهر يبدو أنجح فى تبليغ الرسالة، وأسرع فى كسب انقياد الأتباع، وإنما يرسل الله النبى وليس معه إلا (اللسان) أدوم الأسلحة، وأقوى وسائل الإصلاح، والهدف الوحيد للأديان السماوية وهو الإصلاح، سواء كان فى العقيدة أم فى السلوك أم فى الصلات.

ورابعها: أننا لو وازنا انتصار السيف بانتصار اللسان، نجد انتصار اللسان هو النصر الحقيقى، لأن المقتنع بدعوة اللسان هو الذى يستسلم لصاحب اللسان استسلاماً كاملاً ونهائياً، ولا يتصور أن يعاود الخصومة معه فيما اقتنع به واعتنقه، إلا فى حالات شاذة لا تُنْقض حكماً، ولا يُبْنَى عليها حكم، أما انتصار السيف فلا يعد انتصاراً كاملاً ونهائياً، بل هو نصر وقتى، لأن المهزوم فى أغلب الأحيان يحاول غسل الهزيمة عن نفسه، ومن ثم فإنه يبدأ فى التفكير والمحاولة للانتقام ما أمكنته الفرصة، ويبقى صاحب السيف متوجساً ومترقباً هذا الانتقام، ولذلك ليس من الشطط أن يقال إن نصر السيف لا يعد فى حقيقته نصراً كاملاً مهما بدا من استسلام المهزوم، فالنصر حينئذ أقرب إلى التفوق منه إلى النصر الكامل، أما النصر الكامل والحقيقى فهو نصر اللسان.

على أن مجرد مقدرة اللسان على إظهار الحجة وإفحام الخصم حتى إذا لم يعتنق الخصم هذا اليقين، فإن تفوق صاحب اللسان حينئذ أبلغ وأعمق من تفوق صاحب السيف فى الوضع المشابه لذلك.

والقرآن الكريم يضرب مثلاً لهذا فى قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ صاحب اللسان والحجة مع خصمه صاحب السيف والقوة والمُلْك العريض

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤).

---

(٤) البقرة (٢٥٨).

من قادة الفتوحات الإسلامية

جرير بن عبدالله البجلى

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

«نعم السيد كنت فى الجاهلية ونعم السيد أنت فى الإسلام» عبارة قالها الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لرجل قال له رسول الله ﷺ:

«أشهد أنك لاتبغى علوا فى الأرض ولا فساداً» .

فمن ياترى يكون الرجل؟ وبم استحق شهادة رسول الله ﷺ، وإطراء أمير المؤمنين الفاروق عمر؟

الرجل هو: جرير بن عبدالله بن جابر الشليل بن مالك بن نضرة بن ثعلبة بن جُشم ابن عوف بن خزيمة بن حرب بن على بن مالك ابن سعد بن نذير بن قسر مالك بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث من القحطانية باليمن، ونسبو جميعاً إلى «بجيلة» بنت مصعب بن على بن سعد العشيرة زوجة أنمار.

واشتهر الرجل باسم جرير بن عبدالله البجلى .

أسلم فى السنة التى قبض فيها النبى ﷺ وسلم العاشرة للهجرة، وقد وفد عليه فقال له رسول الله ﷺ: «ماجاء بك؟» قال: جئت لأسلم. فألقى إليه النبى كساءه، فجلس جرير على الأرض فقال النبى ﷺ: «أشهد أنك لاتبغى علوا فى الأرض ولا فسادا»[١]

وكان أول عمل يكلف به رسول الله صلى الله عليه وسلم جريرا أن قال له: «ألا تريحنى من ذى الخلصة؟» وكانت صنما لخثعم وبجيلة باليمن. فقال له جرير: «يارسول الله إنى رجل لا أثبت على الخيل» فمسح رسول الله ﷺ على صدره وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» فخرج جرير فى مائة وخمسين فارسا فحطموا ذا الخلصة فأتى النبى ﷺ فأخبره بذلك فدعا له[٢]

وينتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه، ويختار المسلمون أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ عليهم، فيجابه المرتدين حتى يدحرهم ثم يشرع فى فتح العراق ويُسير خالد بن الوليد الذى نجح فى اجتياح العراق حتى وصل الحيرة ملحقا الهزيمة بجيوش الفرس فى كل المعارك التى خاضها ضدهم، ويرسل خالد إلى الخليفة يسأله المدد فيمده الصديق بجرير بن عبدالله البجلى، ومعه قيس بن أبى حازم.

ومع خالد بن الوليد شهد جرير معارك طاحنة

(١) بلوغ الإرب (٣٠٢/١)، أسد الغابة (٧٣٠)، سير أعلام النبلاء (٣٨١/٢)

(٢) بلوغ الإرب (٣٤٦/١)

دارت رحاها ضد الفرس ومن حالفهم من قبائل العرب حيث شارك فى معركة الأنبار فى ٤ من رجب ١٢ هـ ثم معركة عين التمر فى ١١ من رجب، ثم فتح دومة الجندل فى ٢٤ رجب، ثم معركة «حصيد» فى ١٠ من شعبان ثم «الخنافس» فى ١١ من شعبان، ثم المصيخ فى ١٩ من شعبان.

وهكذا تربى جرير فى مدرسة خالد العسكرية ليصبح فيما بعد واحدا من أبرز قادة الفتوحات الإسلامية بالعراق، ليس هذا فحسب بل إن خالد بن الوليد غادر العراق فى ٢٥ من ذى القعدة ليؤدى فريضة الحج، وهو تصرف غريب من خالد اعتبره بعض الناس غروراً ومغامرة ليس لها ما يبررها، ولكن هذا التصرف إن دل على شىء فإنما يدل على ثقة خالد برجاله أمثال جرير وضربائه: المثنى، والأقرع، وعاصم، ومذعور، وعدى، وغيرهم فقد صقلتهم التجارب، وصهرتهم المعارك، وعاشوا على ظهور الخيل، وتحت ظلال السيوف والرماح، فاطمأنت نفسه أن يخرج ليحج ثم يعود.(٣)

ثم يقرر الخليفة الصديق أن الشام قد صار فى حاجة لجهود خالد بن الوليد، فقد تجمعت جيوش المسلمين فى مواجهة جيوش الروم بالشام على مقربة من اليرموك، وكان الموقف فى غاية الحرج، فقال الصديق كلمته المشهورة: «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد» فكتب الصديق إليه قائلا: «.. سر بنصف الناس حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك..» فبدأ خالد يستعد للرحيل عن العراق وشرع يقسم الجيش إلى شطرين شطر معه، وشطر مع المثنى بن حارثة الشيبانى ـ الذى تولى قيادة جيش المسلمين بالعراق ـ، ولكن ابن الوليد استأثر بأصحاب رسول الله ﷺ، وترك للمثنى مثل عددهم ممن لم يكن له صحبة وكان جرير فيمن استأثر بهم خالد لنفسه، ورفض المثنى هذه القسمة مصرا على أن ينفذ أمر الخليفة حرفيا، فمادام الخليفة قد أمر بتقسيم الجيش نصفين إذا فليكن نصف الصحابة مع خالد، والنصف الآخر مع المثنى، وهو ما حدث فعلا، ولكن خالدا تمسك بجرير معه فى صحبته. إلا أن جرير بن عبدالله كان يفكر فى أمر آخر كان يفكر فى قومه، هؤلاء المقاتلين الأشداء كيف ينجح فى تجميعهم وكسبهم لمعارك الإسلام المرتقبة.

بجيلة

كانت بجيلة من قبائل العرب الكبيرة، غير أنها تشتت فى جزيرة العرب نتيجة بعض المعارك فى الجاهلية. وكان جرير بن عبدالله من سادة بجيلة وأشرافها ـ قد كلم رسول الله ﷺ فى شأن بجيلة ليجمعها فوعده بذلك. ولحق النبى بربه ولما يتم فى الأمر شىء. فقدم جرير على أبى بكر وذكر له وعد النبى صلى الله عليه وسلم وأتاه على ذلك بشهود وسأله إنجاز ذلك. غير أن أبا بكر كان مشغولاً بالفتوح، واعتبر الوقت غير مناسب لذلك، فقال لجرير: «ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بإزائهم من الأسدين فارس والروم، ثم أنت تكلفنى التشاغل بما لايغنى عما هو أرضى لله ورسوله! دعنى وسر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر مايحكم الله فى هذين الوجهين».(٤)

ونفذ جرير أمر الخليفة، فسار نحو العراق

(٣) أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن ص٣١٥، ٣١٦

(٤) الطبرى (٤/١٥ ـ ١٦)

لينضم إلى خالد بن الوليد فلزمه حتى خرج معه من العراق نحو الشام. فلما ولى عمر ذكر له جرير مسألة جمع بجيلة فطالبه عمر بالبينة فأقامها. فكتب عمر إلى عماله على القبائل: «من كان فيه أحد ينسب إلى بجيلة فى الجاهلية وثبت عليه فى الإسلام يُعرف ذلك فأخرجوه إلى جرير» (٥) وواعدهم مكانا بين العراق والمدينة. فكان ممن أخرج لهم قيس كُبَّة وعُرَيْنَة وسُحْمَة (٦)، وكانوا فى قبائل بنى عامر بن صعصعة. فلما أعطى جرير حاجته من ذلك وتم له جمع بجيلة، قال له عمر: «اتخذونا طريقاً» فخرج وجهاء بجيلة فى وفد منهم نحوه وخلفوا الجمهور. واجتمع بهم عمر فقال لهم: «أى الوجوه أحب إليكم؟» قالوا: «الشام أسلافنا بها».

فقال لهم عمر: «بل العراق، فإن أهل الشام قد قووا على عدوهم وإن الشام فى كفاية».

فلم يزل بهم ويأبون عليه حتى أكرههم على ما أراد، وعوضهم عن إكراههم واستصلاحاً لهم، فجعل لهم ربع خمس ما أفاء الله عليهم فى غزاتهم هذه بالإضافة إلى نصيبهم من الفيء، لجرير ومن اجتمع إليه ممن أخرج إليه من القبائل. (٧)

وجعل عمر عرفجة بن هرثمة على من كان مقيماً من جديلة من بجيلة وجعل جريراً على من كان من بنى عامر وغيرهم. فكانت إمارة عرفجة على أكثر بجيلة وأمرهم أن يسمعوا له وأمر الآخرين أن يسمعوا لجرير. فسأل جرير بجيلة: «هل تقرون بهذا وقد أدخل علينا ما أدخل؟» وكانت بجيلة قد غضبت من قبل على عرفجة. فاجتمعت بجيلة ثم أتوا عمر فقالوا: «أعفنا من عرفجة».

قال: «لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاماً، وأعظمكم بلاء وإحساناً».

قالوا: «استعمل علينا رجلاً منا ولا تستعمل علينا نزيعاً فينا».

فظن عمر أنهم ينفونه من نسبه فقال: «انظروا ما تقولون». قالوا: «نقول ما تسمع».

فأرسل عمر إلى عرفجة وقال له: «إن هؤلاء استعفونى منك وزعموا أنك لست منهم، فما عندك؟».

قال: «صدقوا، وما يسرنى أنى منهم، أنا امرؤ من الأزد ثم من بارق فى كهف لا يحصى عدده وحسب غير مؤتشب».

فقال عمر: «نعم الحى الأزد يأخذون نصيبهم من الخير والشر».

قال عرفجة: «إنه كان من شأنى أن الشر تفاقم فينا ودارنا واحدة، فأصبنا الدماء ووتر بعضنا بعضاً، فاعتزلتهم لما خفتهم، فكنت فى هؤلاء ـ يعنى بجيلة ـ أسُودُهم وأقودهم، فحفظوا علىّ لأمر دار بينى وبين دهاقينهم فحسدونى وكفرونى».

قال عمر: «لا يضرك، فاعتزلهم إذ كرهوك».

واستعمل جريراً مكانه، وأظهر لجرير وبجيلة أنه يبعث عرفجة إلى الشام (٨).

ويفجع المسلمون فى معركة الجسر بهزيمة خسروا فيها عدداً غير قليل من خيرة الرجال فى مقدمتهم قائد الجيش أبوعبيد بن مسعود الثقفى، وسليط بن قيس الأنصارى، والحكم بن مسعود الثقفى، وقيس بن حبيب وعدد كبير من وجوه الصحابة.

---

(٥) الطبرى (٧٠/٤)
(٦) أسد الغابة (٧٣٠)
(٧) أسد الغابة (٧٣٠) ، فتوح البلدان (٦٢٨)
(٨) الطبرى (٧٠/٤: ٧٢)

ويستنفر أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب المسلمين للقتال فتزاحفوا من كل صوب ملبين نداء الفاروق، فعقد لواءهم لجرير بن عبدالله البجلى، فسار بهم حتى وافى الثعلبية حيث عسكر فيها المثنى بن حارثة الشيبانى بمن بقى معه من المسلمين بعد معركة الجسر، فضمه إليه، وسار نحو الحيرة، فعسكر بدير هند على طريق النجف، ثم بث الخيل فى أرض السواد.

وعلم الفرس بخبر جيش المسلمين فحشدوا جيشاً قوامه إثنى عشر ألفاً من الفرسان المقاتلة فى حين كان جيش المسلمين يقل عن خمسة آلاف مقاتل.

والتقى الجمعان، ووقف جرير فى قلب الجيش يحرض قومه من بجيلة قائلاً: «يا معشر بجيلة لايكونن أحد أسرع إلى هذا العدو منكم، فإن لكم فى هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظوة ليست لأحد من العرب، فقاتلوهم إلتماس إحدى الحسنيين». (٩)

فتداعى المسلمون وتحاضوا ووقف الناس تحت راياتهم وحملوا على الفرس حملة صدقوا الله فيها فكان النصر المؤزر لهم.

ولا ييأس الفرس أبداً إذ أعاد الفرس حشد جيوشهم وولى يزدجرد كسرى فارس قائده الشهير رستم قيادة الجيش فى مواجهة المسلمين، وبلغ ذلك جرير بن عبدالله، فكتب من فوره إلى عمر بن الخطاب، فوقف عمر فى مسجد رسول الله ﷺ خطيباً، يحض المسلمين على حرب الفرس، فاجتمع له نحو من عشرين ألف رجل، فولى أمرهم سعد بن أبى وقاص الذى سار بالجيش حتى بلغ القادسية فانضم إليه جرير بجيشه.

وتدور رحى الحرب طاحنة فى القادسية أياماً وليالى، وثبت المسلمون فى مواجهة فيلة الفرس وكانت بجيلة وعلى رأسها جرير فى المقدمة حيث أبدت من ضروب الشجاعة والبسالة ما يجل عن الوصف. وقف فرسان بجيلة خلف قائدهم وقد شرعوا رماحهم فى عيون الفيلة، فى حين انقض المشاة منهم يقطعون أحزمة هوادج الفيلة لتسقط بمن فيها من الجنود ليكون النصر المؤزر للمسلمين.

وشارك جرير فى معارك فتوح فارس كلها فى «جلولاء» و«تستر» و«نهاوند» ومن خلفه قومه بجيلة فلم يخسر معركة واحدة.

ومضى جرير بن عبدالله البجلى مجاهداً بسيفه فى سبيل الله لايخشى فى الله لومة لائم.

وقيل أن وفاته كانت سنة إحدى أو أربع وأربعين(١٠) أو سنة واحد وخمسين للهجرة(١١).

ومما يروى عن جرير بن عبدالله أنه كان فى مجلس يضم عمر بن الخطاب الذى وجد رائحة منفرة من بعض جلسائه فقال: «عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام فتوضأ» فقال جرير: «علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم». فقال عمر: «عليكم كلكم عزمت ياجرير، مازلت سيدا فى الجاهلية والإسلام». (١٢)

ومن مأثور قوله: «الخرس خير من الخلابة، والبكم خير من البذاءة».

رحم الله جرير بن عبدالله البجلى وجزاه عما قدم لأمة الإسلام خيراً.

(٩)الأخبار الطوال (١١٥)
(١٠) أسد الغابة (٧٣٠)
(١١) الذهبى، سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٤)
(١٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٣)

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس

● **سؤال من السيد منير أحمد محمد.. يقول فيه: بعد ثلاثة أشواط من الطواف، تَعِبْت فجلست للراحة، ثم أكملت الطواف، فهل يصح ذلك؟. أو لابد من استئنافه من الأول، وما الحكم إذا انتقض الوضوء أثناء الطواف، هل يبطل ما فات أم يجوز أن يبنى عليه لو تطهر؟.**

●● **الجواب:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد:

فنفيد بأن موالاة الطواف (السعى) بين الأشواط شرط لصحته عند الإمام مالك وأحمد، فإذا كان هناك فاصل يسير لغير عذر فلا يضر، وإن كان كبيراً فإن كان بعذر فلا يضر، أما إن كان بغير عذر، بَطُلَ الطواف.

أما الموالاة عند الحنفية والشافعية فهى سنة، فلو كان فاصلا طويلا بغير عذر لا يَبْطُل الطواف، ويبنى على ما فات، ويدل عليه ما رواه سعيد بن منصور عن حميد بن زيد قال: رأيت عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما- طاف بالبيت ثلاثة أشواط أو أربعة ثم جلس يستريح، فقام فبنى على ما مضى من طوافه.

هذا وإذا كان من شروط صحة الطواف الطهارة، فلو أحدث وانتقض وضوؤه فى أثناء الطواف، خرج وتوضأ، ثم يدخل المطاف ويبنى على مافات ليكمل الطواف.. ومما يؤكد أن الفصل بين الطواف لا يضر أن عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما- كان يطوف بالبيت فأقيمت الصلاة فصلى مع القوم، ثم قام فبنى على ما مضى من طوافه ولم يعارضه أحد من الصحابة. والله أعلم.

● **سؤال من السيد/ إبراهيم موسى النمر: هل الزوج ملزم بأن يدفع تكاليف أداء زوجته لفريضة الحج؟ وهل للزوج أن يأخذ من مال زوجته ليؤدى فريضة الحج؟.**

●● الجـواب :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد.

فنفيد بأنه لا يجب على الزوج لزوجته إلا نفقتها من مأكل ومسكن وكسوة، أما أن يدفع تكاليف حجها فليس بواجب عليه، فالحج فرض على القادر المستطيع، فإن كانت الزوجة تملك مالاً خاصاً بها يكفى للحج وجب عليها الحج من مالها هى خاصة، ولا يُلْزم الزوج بأن يدفع أى شىء لها ولا يعاقب على التقصير، أما أن يتبرع بذلك، فهو خير له وثواب جزيل على هذا إن شاء الله، لأنها شريكة حياته.

كما أنه لا يجوز للزوج أن يحج من مال زوجته إذا كان لها مال خاص بها ورثته عن أهلها، أو ملكته من أى جهة كانت فهو حق خالص لها، ويجب عليها الحج منه، ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً منه ليحج إلا بإذنها ورضاها.

ولو استعان الزوج بمال زوجته على سبيل الهبة أو القرض ليحج فلا مانع منه ولها ثواب مساعدتها لزوجها على الحج. والله أعلم.

● **سؤال من السيد / محمد معوض.. يقول فيه:**

رجل حج فى العام الماضى وكان عليه ديون كثيرة ولم يردها، فقيل له إن حجك باطل، فهل هذا صحيح؟.

●● الجـواب :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

فنفيد بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ قد فرض الحج على المسلمين لمن استطاع إليه سبيلاً، والاستطاعة تشمل الصحة والمال وأمن الطريق، فإذا توفرت هذه الشروط فقد وجب الحج.

والرجل الذى عليه ديون كثيرة، فإن الواجب عليه سدادها قبل تأدية الحج، فإن بقى معه بعد سداد الديون ما يفى بالنفقة على تكاليف الحج، فلا مانع من هذا، وإن لم يتبق معه شىء فلا حج عليه، لأنه أصبح غير مستطيع، لأن سداد الديون مقدم على تأدية الحج لأن الدَّيْن يجب سداده.

ومادام هذا الرجل قد أدى فريضة الحج فإنها سقطت عنه ولا يبطل الحج، ويجب على هذا الرجل المسارعة بسداد دينه حتى يتقبل الله منه.. والله أعلم.

● **سؤال من السيد / محمد إسماعيل.. يقول فيه:**

مَنَّ الله علىَّ بالحج هذا العام وأرغب فى الحج عن والدى المتوفى.. فهل يصح أم لا؟.

●● الجـواب :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد.

فنفيد بأنه لا مانع شرعاً من أن تؤدى فريضة الحج عن والدك الذى توفى دون أن يؤديها خاصة وأنك قد أديت الفريضة عن نفسك.. فقد ورد عن ابن عباس أنه قال: قال رجل: يا رسول الله إن أبى مات ولم يحج أفأحج عنه؟.. قال: أرأيت لو كان على أبيك دَيْن، أكنت قاضيه؟. قال: نعم. قال: فَدَيْن الله أحق.»[1].

(١) رواه النسائى فى كتاب الحج جـ٥ ص ١١٨.

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

رسالة هذا العدد وردت من القارئ الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب شرف - كلية الزراعة جامعة المنصورة بها قصة لأخوين عقا أمهما العجوز وحرماها بعض أموالها ويسأل: كان الإبنان العاقان « الأخوان » قد أودعا مالاً فى البنك ولما انفصلا اقتسما هذا المال بينهما ولم يعطيا لإمهما شيئاً فما نصيب الأم فى هذا المال مع العلم بأن أحد الإبنين توفى وترك زوجة وأولاداً

وهذه الأم لها ابن ثالث يعمل موظفاً أعطته أمه مبلغاً من المال ليبنى به بيتاً حيث يعمل وهو بار بها فهل لهذين الإبنين العاقين طلب المساواة بأخيهما البار.

وفى آخر رسالته يطرح سؤالاً ثالثاً وهو: هذه الأم لها أرض خاصة بها وتريد أن تبيعها حتى تعيش عيشة كريمة وتبتعد عن ذل السؤال فهل يجوز لها ذلك؟

بداية أقول للأخ الكريم إن بر الوالدين من أفضل الأعمال قربة لله - تعالى - بتوحيده وعدم الإشراك به فى أكثر من موضع فى كتابه فقال جل شأنه :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(١) .

وقال :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(٢) .

قال أهل التفسير فى هذه الآية : « كما قضى الله

(١) النساء (٣٦).

(٢) الإسراء (٢٣، ٢٤).

على عباده أن يوحدوه بالطاعة ولا يشركوا به أحداً ألزم الأولاد أن يحسنوا إلى والديهم بالقول الطيب والرعاية التامة فهما أحق الناس بحسن الصحبة ورضا الله فى رضاهما وسخطه فى سخطهما فإذا تقدمت بهما أو بأحدهما السن وانتهيا إلى ضعف بعد قوة ومرض بعد صحة ولم يستطيعا القيام على أمرهما وتدبر شأنهما لما أصابهما من وهن الجسم والحاح العلة وضعف التفكير وتلك الحال مظنة أن يصدر منهما ما يغضب أو يثقل على النفوس إن حدث ذلك فلا تقل لهما أو لأحدهما ما يدل على ضجرك أو يسىء إليهما من قول بعيد عن حسن الأدب أيكون جزاء الأب الحانى غلظة القول وجفاء الخلق أو يكون جزاء الأم الرؤوم أن تقابل بما يكسر قلبها وهى التى كان بطنها له وعاء وثديها شفاء وحجرها مهاداً أو وطاء تؤثره على نفسها وتفديه بنفسها هذا فضلاً عن الجنة تحت قدمها.

إن بر الوالدين يعدل الجهاد فى سبيل الله، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال: «جاء رجل إلى نبى الله ﷺ فاستأذنه فى الجهاد فقال: أحى والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد» متفق عليه، وفى رواية لمسلم: «أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله قال: هل من والديك أحد حى؟ قال: نعم، بل كلاهما حى. قال: تبتغى الأجر من الله؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك؟»

وروى عن طلحة بن معاوية السلمى - رضى الله عنه - قال: أتيت النبى ﷺ فقلت: يارسول الله إنى أريد الجهاد فى سبيل الله قال: أمك حية؟ قلت: نعم قال النبى ﷺ: «إلزم رجلها فثم الجنة» رواه الطبرانى. وقال ﷺ لمن سأله عن حق الوالدين على ولدهما: «هما جنتك ونارك».

وعن جابر - رضى الله عنه - قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يارسول الله إن أبى أخذ مالى. فقال له: ائتنى بأبيك. فنزل جبريل - عليه السلام - على النبى ﷺ فقال: إن الله - عز وجل - يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شىء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه فلما جاء الرجل قال له النبى ﷺ: ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال: سله يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى؟ فقال له رسول الله ﷺ: إيه دعْنا من هذا أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك. فقال الشيخ: والله يا رسول مازال الله - عز وجل - يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسى شيئا ما سمعته أذناى قال: قل وأنا اسمع، قال: قلت:

غذوتك مولودا وصنتك يافعا
تُعَلُّ بما أجنى عليك وتُنهل
إذا ليلة نابتْك بالسقم لم أبت
لسقمك إلا ساهرا متململاً
كأنى أنا المطروق دونك بالذى
طرقت به دونى فعينى تهملى
تخاف الردى نفسى عليه وإنها
لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلمَّا بلغت السن والغاية التى
إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة
كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك أن لم ترع حق أبوتى
فعلت كما الجار الملاصق يفعل
فأوليتنى حق الجوار ولم تكن
على بمال دون مالك تبخل

قال: فعندئذ أخذ النبى ﷺ بتلابيب ابنه وقال: «أنت ومالك لأبيك» رواه الطبرانى.

وقد أشار السائل الكريم فى رسالته إلى أن عقوق

الأم يكون بسبب تفضيل العاق زوجته على أمه لذا أسوق هذين الحديثين الشريفين عسى أن يكون فيهما عظة لهذا العاق وأضرابه.

الأول عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: كان تحتى امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لى: طلقها، فأبيت فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لى رسول الله ﷺ: «طلقها» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

الحديث الثانى عن عبدالله بن أبى أوفى - رضى الله عنه - قال: «كنا عند النبى ﷺ فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه فقيل له: قل لا إله إلا الله فلم يستطع فقال: كان يصلى، فقال: نعم، فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: قل لا إله إلا الله قال: لا أستطيع قال: ثم قال: كان يعق والدته فقال النبى ﷺ: أحية والدته؟ قالوا: نعم قال: أدعوها فدعوها فجاءت فقال: هذا ابنك؟ قالت: نعم قال: أرأيت لو أججت نار ضخمة فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له قالت: يا رسول الله إذاً أشفع له قال: فأشهدى الله وأشهدينى قد رضيت عنه قالت: اللهم إنى أشهدك وأشهد رسولك أنى قد رضيت عن ابنى فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فقالها. قال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذى أنقذه بى من النار» رواه الطبرانى وفى بعض الآثار أن الأم ذكرت أن سبب غضبها على ابنها أنه كان يفضل زوجته عليها.

– ويا أخى الدكتور لم تذكر هل كان المبلغ الذى فى البنك موروثا عن الوالد المتوفى والذى كان زوجا لهذه الأم، إن كان الأمر كما فهمت فإن للأم فيه نصيبا وهو ثمن التركة كلها وإن كان هذا المبلغ من كسب الأخوين وحصلاه بجدهما وكسبهما من تجارة أو وظيفة أو ما شابه ذلك فليس للأم فيه إلا ما يقتضيه البر، وقياساً على ما قاله رسول الله ﷺ للابن الذى شكا أباه «أنت ومالك لأبيك» لأن للأم كما قال العلماء ثلاثة أرباع البر وللأب الربع لأنها تحمل ولا يحمل الأب وتلد ولا يلد وترضع ولا يرضع، لذا قال رسول الله ﷺ لمن سأله عن أحق الناس بحسن صحابته: أمك ثم أمك ثم أمك وقال فى الرابعة ثم أبوك، ثم إن لهذه الأم نصيبا فى تركة الابن الذى توفى وهو سدس ما كان يملك.

– هذا ولا يجوز للأخوين العاقين أن يطالبا بمثل ما أعطته أمهما لأخيهما الثالث لأن كلا من الأب والأم له الحق فى إعطاء من شاء من أبنائه حال حياته لأن ذلك من باب الهبة بشرط أن يكون آخذ هذه الهبة محتاجا إليها وإلا أثم المعطى لأن الإسلام أمر بالتسوية فى العطية بين جميع الأولاد فقال صلوات الله عليه ما معناه: «اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم» وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بالتسوية بين الأولاد حتى فى القبل لكن عدم التسوية إذا كانت بلا مبرر من سفر أو طلب علم أو زمانة أو عَيْلَة لا تبطل العطية والهبة.

– أما عن رغبة الأم فى بيع ما يخصها فى الأراضى الزراعية لتعيش بعيدا عن زوجة ابنها المتوفى فتصبح حرة ذات كرامة فهو جائز شرعا وقانونا ولا يمنعها من ذلك أى مانع.

وأختم هذا الرد بذكر ما قاله الرسول ﷺ لمن قال له إنى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة؟ فقال صلوات الله عليه: «هل لك من أم؟ قال: لا. قال: هل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: برها» رواه الترمذى عن ابن عمرو – رضى الله عنها – فإذا كان بر الخالة يكفر الذنب العظيم فما بالك ببر الأم.

والله – تعالى – أعلم

سؤال وجواب

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

ربما احتدم النقاش بين الأطباء حول كمية الماء الواجب على الإنسان شربها فى اليوم لكنهم متفقون على أنه لا غناء للإنسان عن الماء بحال واختلافهم هذا يعزى إلى عوامل يمكن إجمالها فيما يلى :-

- الأدوية التى يستخدمها المرء فى علاجه.
- ونوعية الرياضات التى يمارسها.
- والغذاء الذى يتناوله الإنسان وصحة الكلى وسلامتها وعوامل أخرى.

ترى إذن ما فوائد الماء للجسم؟!

منافعه جمة متنوعة منها أنه ينظم درجة حرارة الجسم ويساعد فى عمليات التنفس وفى نقل المواد الغذائية داخل الجسم وتخليصه من الفضلات والمخلفات كما يساهم فى بناء الأنسجة وتليين أعضاء الجسم.

إن شرب الكثير من السوائل عموما والماء خصوصا يقى الإنسان من أمراض أهمها :

حصيات الكلى فقد كان « ابقراط » يوصى مرضاه بشرب الكثير من الماء لوقايتهم من تكرار المرض وهو أمر أثبتت الأبحاث صحته.

فشرب الكثير من الماء يساعد فى منع الإمساك وانقباض الأمعاء ويقلل الإصابة بالسرطان.

والسوائل هنا جوهرية لأنها تقوم بطرد المواد المسرطنة إلى خارج الجسم قبل أن تجد تلك المواد فرصتها فى الفتك بالأنسجة القابلة للعدوى ولابد هنا من بعض التفصيل فإن داخل الأحشاء والقناة البولية تتعرض بطبيعة عملها إلى مواد سامة قادمة من خارج الجسم تماما كما يحدث لسطح الجلد والأغشية المبطنة للقناة التنفسية.

وباستخدام البيانات الناتجة عن دراسة دامت وقتا طويلا وشملت (٤٨٠٠٠) من الذكور صحيحى الأبدان فقد نشر باحثو جامعة « هارفرد » فى الجريدة الطبية « ليوانجلاند » وذلك لعدة سنوات أن خط الإصابة بسرطان المرارة تقل نسبته عن ٥١٪ فى أولئك الذين يشربون ستة أكواب من الماء يوميا إذا ما قورنت بأولئك الذين لا يشربون إلا كوبا واحدا فى اليوم وهنا أيضا يتفوق الماء على ما سواه من السوائل.

كما أثبتت أبحاث أخرى أهمية الماء فى تخفيض نسبة الإصابة بسرطان القولون.

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : أى ماء ذلك الذى نتحدث عنه؟ فقد أثبتت دراسات أخرى زيادة متواضعة فى خطر الإصابة بسرطان المرارة فى أولئك الذين يشربون الماء المكلور وعلى أية حال فهو أمر لايزال قيد البحث وإذا كان الخطر حقيقيا فإنه ناشىء عنه النواتج الفرعية التى تتمخض عن التفاعلات الداخلية الناتجة عن امتزاج الكلور بالمواد العضوية الداخلة إلى الجسم ولذا فإن مياه البحيرات والأنهار والخزانات بها نسب أعلى من المواد العضوية والخطر منها كبير على خلاف المياه المستخرجة من مصادر تحت أرضية كالعيون والآبار. فما الغرض الحيوى من تناول الماء؟

إنه طبعا تعويض ما نفقد من سوائل ومقدار المفقود يعتمد بشكل كبير على كمية ما يفرزه الجسم من عرق. فمثلا يفقد المصارع فى يوم عمل شاق حوالى ٢ قوارت (القوارت يساوى ١٠٠٠

مللى لتر) من الماء فى الساعة الواحدة.

بينما يفقد الشخص العادى فى الأحوال المعتادة ما بين ٢ إلى ٣ أكواب أى من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ مللى لتر فى اليوم الواحد أما ما يفقد عن طريق البول فيتراوح ما بين واحد إلى اثنين كوب أى من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ مللى لتر ترتفع إلى ١٥٠٠ مللى لتر وإن كان كل ذلك يعتمد على ما بالجسم من مخزون السوائل إلا أن هناك عوامل أخرى تتحكم فى ذلك فما هى؟.

النظام الغذائى والأدوية وسلامة الكلى كما أسلفنا كما يفقد بعض الماء فى الغائط ٢٠٠ مللى لتر وبخار الماء المصاحب لهواء الزفير، فما هى المصادر التى تعوض ما يفقده الجسم من ماء؟.

ثلاثة مصادر: الأول:– التفاعلات الكيماوية الحيوية التى يكون الماء أحد نواتجها الفرعية ويلى التفاعلات كل من الغذاء وماء الشرب أما التفاعلات الكيماوية فلا تزيد نسبة مساهمتها عن ٢٥٠ مللى لتر أما الشخص البالغ فيحصل على «قوارت» ماء من الطعام والسبب أن الكثير من الفواكه والخضر يشكل الماء ما بين ٨٠ إلى ٩٠٪ من تركيبها وكذلك اللحوم.

فمنذ عشر سنوات قرر مجلس الأبحاث القومى الأمريكى أنه من المستحيل وضع قاعدة عامة لما يحتاج إليه الفرد من الماء فما السبب؟.

السبب أن ما يحدد ذلك ويقرره هو مستويات النشاط ولذا كان القرار الصائب والعملى هو أن يشرب الفرد مللى لتر من الماء مقابل كل سعر حرارى يقوم الجسم بحرقه فالذى يحرق ألفى سعر حرارى يوميا يحتاج إلى ألفى مللى لتر من الماء يوميا فإذا خصت ما يساهم به الغذاء والعمليات الأيضية بالجسم من ذلك ومقداره ١٢٥٠ مللى لتر فإن ما تحتاج إليه من السوائل لا يزيد عن ٧٥٠ مللى لتر وهو ما يساوى ٣,١ كوبا من الماء لكن المجلس أكد أنه إذا زادت النسبة إلى ١,٥ مللى لتر بدلا من واحد فقط كان ذلك موائماً لتنوع النشاطات والعرق ولو تم تطبيق ذلك المعيار لاحتجنا إلى ٣٠٠٠ مللى لتر وهو ما يعادل ٧,٢٩ كوبا وليس ثمانية أكواب.

هل من الضرورى أن تكون كل تلك الأكواب من الماء فقط بالطبع لا فالأبحاث تدمج بين الماء والسوائل وتركز على الأخير دون التهوين من شأن الماء القراح ولذا أكدوا أنه إذا كان لابد من الانتقاء فإن الماء هو الخيار الصحيح وبينت الأبحاث أن للماء ثلاث مزايا لا تتوافر فى غيره أولاها:–

رخص ثمنه والثانية خلوه من السعرات الحرارية والثالثة إحساس شاربه بالامتلاء غير الممض «المتعب» وهل معنى ذلك أن للمشروبات الأخرى عيوبا؟

أجل الإخلال بالنظام الغذائى إن وجد لأن العصائر التى يتناولونها تمتلىء بالسعرات الحرارة وإذا كان اللبن بديلا جيدا للماء إلا أنه إن لم يكن منزوع الدسم كان مصدرا لإمداد الجسم بالدهون المشبعة ولمركبات بعض الأشربة آثارا ضارة على طريقة تعامل الجسم مع الماء الذى بها وأوضح الأمثلة على ذلك المنبهات التى تحوى الكافيين والكحول فما أضرارهما؟

كلاهما يدفع الجسم إلى أن يفرط فى إدرار البول وهنا مكمن الخطر فهذه المشروبات كالشاى والقهوة التى تحتوى على الكافيين رغم أن الماء أساسى فى تركيبها إلا أنها تخلى الجسم من الماء أيضا.

ما كمية الماء التى يحتاج إليها كبار السن توطئة لذلك نقول إن الجفاف هو المشكلة الكبرى التى تسبب كل شىء ابتداء من الهذيان إلى الإمساك فالطاعنون فى السن يغيب عن بالهم كثيرا تناول الماء لأن حاسة الشعور بالظمأ لديهم تقل بتقدم السن ولذا طلع علينا الباحثون بهرم غذائى يخص من تجاوزوا السبعين قاعدته شرب ٢ قوارت من الماء يوميا وقد أشار أحد أطباء الشيخوخة على كثير من مرضاه بأن يفكروا فى الماء كعقار طبى وشىء لازم تناوله لبقائهم أصحاء.

كيف نقدم إسلامنا للغرب؟

للأستاذ / إسماعيل أحمد أبوالهيثم

يسر «مجلة الأزهر» أن تقدم إجابة نخبة من مفكرى مصر للإجابة عن هذا السؤال ويسعدنا أن نقدم اليوم الدكتور أحمد كمال أبوالمجد، والدكتور محمد عمارة.

وسط الغضب الشديد فى الأوساط الغربية، وكيل الاتهامات للإسلام والمسلمين حاليا، وبعد الصدمة التى تعانى منها الولايات المتحدة، يعتبر توصيل المعلومات الصحيحة عن الإسلام مطلوبا للغاية ويستحق الجهد من جانب كل العلماء والمؤسسات الإسلامية المؤهلة لهذا الأمر، والاستفادة من كل أدوات الاتصال، خصوصا وأننا فى ظل نظام عالمى يكرس القوة فى يد واحدة متسلطة، وفى ظل نظام عالمى لايعترف إلا بالأقوياء، وفى ظل ظواهر جديدة تستهدف تدمير هوية الشعوب وخصوصيتها الدينية، وفى ظل عصر (العولمة) الذى يهدف إلى تدمير قوى المناعة الثقافية والحضارية للأمم ومحو شخصيتها واذابتها فى ثقافات عالمية بلا هوية أو ملامح! وفى ظل « صراع الحضارات » ترى فى الإسلام عدواً جديداً بعد سقوط الشيوعية! فى ظل كل التحديات الراهنة والمخاطر المستقبلية.

يجب أن نجيب وبصراحة. هل لنا من استراتيجية واضحة نعمل من خلالها على جذب الفكر الغربى ونجبره على احترامنا؟! وإذا كانت الإجابة بالنفى قطعاً فالسطور القادمة ربما تضع أساس هذه الاستراتيجية (خصوصا إذا نجحنا أن نقدم اسلامنا للغرب).

الدكتور أحمد كمال أبوالمجد وزير الإعلام الأسبق والمفكر الاسلامى الكبير، يرى أن السؤال عنوان المقال قد تأخر عشرات السنين! وأرجع ذلك الى آفة فى العقل العربى والإسلامى وحذر من تأخر العلاج السريع لهذه الآفة خصوصا وأن الأعمال العظيمة لابد وأن تؤدى فى الأوقات المناسبة وإن هذا الوقت المناسب جدا لطرح هذا السؤال نظراً للظروف العالمية. وأضاف أن الإجابة على هذا السؤال تستدعى أولا معرفة حجم الصورة التى راجت فى الغرب عن الإسلام فما هى الأسباب التى أدت إلى ذلك.

وأرجع الدكتور كمال أبوالمجد الأسباب إلى :

التقصير الجسيم جدا وطلب وضع عدة خطوط حمراء تحت كلمة جداً فى مخاطبة الآخر. ذلك أن الرؤية التى كانت سائدة ولاتزال فى كثير من الدوائر الإسلامية هى رؤية محلية (جوانية) أى تشتغل بمخاطبة الذات عبر التوّجه للآخرين ويرى أن هذا مخالف لروح الإسلام وتوجهه الأساسى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم توجه بخطابه فى بواكير دعوته إلى ملوك الأرض فى عهده وإلى شعوبهم.

ثانيا : أن مؤسساتنا الدينية وعلى رأسها الأزهر لم تعن عناية كافية بتعليم وتعلم اللغات ودراسة الحضارات دراسة موضوعية تحيط بالتفاصيل الدقيقة، تصل لأن تعرف الآخرين كأنها منهم. فكانت النتيجة، أن الخطاب الثقافى والدينى الذى يستخدم

فى الداخل صار يستخدم فى الخارج، فصار لايؤتى أكلاً على الاطلاق.

ثالثا : إننا ـ وهذا مانسيناه وقصرنا فى التعامل معه تقصيراً طويلاً ـ لسنا وحدنا فى الساحة. وأن هناك قوى سياسية تعرفنا حق المعرفة، حريصة الحرص كله على تشويه صورتنا وصورة حضارتنا وشريعتنا وعقيدتنا.

فخلق ذلك حالة من النفور الشديد لنا لدى شعوب كثيرة ليس بيننا وبينها خصومة، وتخشى هذه الدوائر من أن نلتقى مع تلك الشعوب والحضارات خوفا على مصالحها من الضياع. فكانت النتيجة أن غُسلت الأدمغة والقلوب فى كثير من البلاد ولدى الحكام والمحكومين على السواء ورُسمت للعربى والمسلم فى أجهزة الإعلام والأفلام السينمائية ـ وهما مصدران للتأثير على العقول يتجاوز آثارهما كل ما يقوله العلماء ـ واستقرت للعربى والمسلم (لدى كثير من حَسنى النية فى الغرب) إحدى صور ثلاث :

أولها : صورة الشخص المتخلف الذى ليس بينه وبين الحضارة المعاصرة وآدابها وطرق المعايشة السائدة فى الدول المتقدمة أية علاقة.

ثانيها : صورة الغنى المسرف فى الغنى إلى درجة الترف المضل الذى يسقط كل القيم.

ثالثها : صورة المتوحش الذى يضرب بسيفه عن يمين وعن شمال، والذى يجسد صور العنف والإرهاب ومعاداة الدنيا كلها، فضلا عن تصوير المجتمعات العربية والإسلامية بأنها مجتمعات تمارس وأداً سياسيا واجتماعيا للمرأة، كما تمارس اعتداء لاحدود له على حقوق وحريات الأقليات الدينية والعرقية والسياسية.

وأضاف الدكتور أبوالمجد : إنه لمن دواعى الأسف الشديد أن الخطاب الدعوى الإسلامى فى عدد غير قليل من مواقفه ساهم فى تثبيت تلك الصورة، وأصحاب هذا التوجه أعلى صوتاً وأكثر دأباً !! وأكد أن هؤلاء فى بعض المواقع صاروا أكثر تأثيراً من العلماء المحققين الذين يمثلون الاعتدال والوسطية وروح السماحة (التى جعلت من الإسلام) ومن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رحمة الله للعالمين، وأرجع الدكتور أبوالمجد ذلك إلى تقصير الجميع. بقوله : لقد جاملنا كثيرا من صور التعسف والتشدد، والتخلى عن دعوة الإسلام الصادقة للتواصل مع الدنيا كلها، ثم عدنا نستهجن هذا الفكر المتشدد المتشنج الذى يحركه الغضب وضيق الصدر، مع أننا مسئولون مع عوامل أخرى عن نموه وانتشاره حتى تصور البعض أنه المعبر عن الإسلام.

وأكد أنه كلما قوى الأزهر وزاد عطاؤه وازداد تواصله مع الدنيا، وكلما اكتملت لعلمائه رؤية الواقع مع رؤية الحق. بذلك كله نمتلك عقول الناس وقلوبهم كلما انزوى الفكر المتطرف وتراجعت الصورة السيئة التى يرسمها البعض للإسلام والمسلمين، واقترح الدكتور أحمد كمال أبوالمجد ثلاثة اقتراحات كحل لهذه المعوقات :

أولا : أن يخرج نفر من العلماء المحققين ذوى الهمة العالية والعلم الغزير، والبصر الدقيق الذى يتابع أولاً بأول ويوماً بيوم كل تفاصيل مايجرى فى هذا الكون فى بلاد غير المسلمين لتصحيح الفهم الخاطىء وتوضيح حقيقة الإسلام وسماحته ومابينه وبين حضارات أخرى معاصرة من قواسم مشتركة تسمح بالتعاون على البر والتقوى، كما تسمح بمطاردة الإثم والعدوان.

ثانيا : توجيه دعوات من جانب الحكومات والمؤسسات الدينية ومؤسسات المجتمع المدنى (الأحزاب والنقابات والجامعات) لحضور عدد من العلماء المشهود لهم بالدراية والموضوعية فى الجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث والدراسات ليحضروا إلى بلادنا ويستمعوا إلى علمائنا ومفكرينا ليزدادوا معرفة

بواقعنا وحقيقة ثقافتنا لينقلوا ذلك كله إلى بلادهم، حكامها ومحكوميها.

ثالثا : إعادة النظر فوراً فى توجهات أجهزة الاعلام حتى لايكون اشتغالها كله بالأمور الداخلية، وحتى تتحسن لغة خطاب الآخرين - خصوصا وأن تقنيات الإعلام الآن - متاحة لنا كما هى متاحة للآخرين.

واختتم الدكتور أحمد كمال أبوالمجد حديثه قائلا : ويبقى بعد ذلك أن نرتفع عن تملق أنفسنا، وأن نصدق فى أقوالنا، وأن ننقل صوراً حقيقية، لا صوراً ملونة بالألوان التى تعجبنا. وأن نعرف أن الأمر يحتاج إلى عمل كثير وكلام قليل، وأمانة وشجاعة فالأمر أمر دين وأمر مصلحة الأمة ومن الكوارث أن تدخل نيات أخرى وحسابات أخرى. تلك أمانة العلماء. نسأل الله ألا يضيعوها.

الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامى، يرى أن تصحيح صورة الإسلام سواء أكان ذلك فى الغرب أم الشرق، لا يتم بحملة علاقات عامة أو بمسخ الإسلام كى يتفق مع الصورة الغربية، أو بتجريد الإسلام من خصوصيته، وإنما يتم بترتيب البيت العربى والإسلامى، وإبراز الوسطية الإسلامية، وترجمة الأعمال الفكرية التى تمثل حقيقة الإسلام وتقديمها إلى الإنسان الغربى، خصوصا وأن الغرب لا يحترم سوى الأقوياء وإذا لم يكن لنا وضع يحترمه الغرب. فلن يسمع لنا كلاماً حتى ولو كان معسولاً.

وأكد الدكتور عمارة أن الإسلام ليس فيه ما يجب الاعتذار عنه، وإذا كانت الساحة الفكرية فيها بعض الأصوات الشاذة والمغالية فإن التيار الوسطى المعتدل هو يمثل القاسم الأساسى والغالب على الفكر الإسلامى.

ومن المحال ان تخلوا أمة من الأمم من بعض الغلو سواء أكان غلو إفراط أم غلو تفريط.

المشكلة أن الغرب يريد إسلاما معدلاً، يريد إسلاما شبيها بالنصرانية يدع مالقيصر لقيصر وما لله لله. أى أنه يريد إسلاما يقف عند الشعائر والعبادات والعلاقة الفردية بين الإنسان وخالقه.

أى أنه باختصار يريد علمنة الإسلام. فلا يريد إسلاما مجاهداً يتصدى للغزو والاستغلال الغربى والهيمنة الغربية، يريد إسلاما لا علاقة له بالسياسة والاجتماع والاقتصاد. بل ولا بمنظومة القيم، أى أنه يريد إسلاما ينحدر بالأمة بدلاً من أن يوقظها لتحرر أرضها، وتستعيد ثروتها وتحتل مكانتها اللائقة فى المجتمع الدولى.

وأضاف الدكتور عمارة، بأن الذين يريدون تحسين صورة الإسلام بمسخه على النحو الذى يريده الغرب من الإسلام. هؤلاء إما عملاء للغرب يقفون من الإسلام نفس موقف الغرب، أى أنهم علمانيون مثل الغرب تماماً، أو أنهم مهزومون نفسيا. يريدون الانحناء للعاصفة الغربية والحل ليس عند هؤلاء؟ وإنما هو عند المسلمين المرابطين على ثغور الفكر الإسلامى، الذين يقدمون وسطية الإسلام للعالم والذين يسعون إلى جعل الإسلام طاقة إيمانية محركة للأمة كى ترتب بيتها وتعظم إمكاناتها كى يكون لها صوت مسموع فى المحافل الدولية.

واقترح الدكتور عمارة لنجاح ذلك بالدعوة إلى إنجاز مشروع اختيار ألف كتاب إسلامى يعبر عن حقيقة الوسطية والاعتدال الإسلامى، وترجمة هذه الكتب إلى اللغات الدولية المختلفة ونشرها وتوزيعها على العالم لتكون المجال الذى يلتمس فيه العالم حقيقة الإسلام فضلا إلى تفعيل المنظمات الإقليمية مثل الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى. واختتم الدكتور عمارة حديثه بالدعوة إلى تعميق الروابط بين البلاد العربية والإسلامية والانفتاح على حضارات الجنوب من الصين إلى اليابان حتى الهند لتتساند جميعا فى مواجهة الهجمة الغربية الأمريكية.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

مشاهد من جنازة الضمير العربى هذا هو الإرهاب الحقيقى يا من تدعون أنكم تحاربون الإرهاب، إنه فساد فى الأرض.

هكذا عبر عزازى على عزازى في جريدة «الأسبوع» الصادرة فى ٢١ / ١ / ٢٠٠٢ قائلاً:

لتشتعل كل الحرائق فى الأكباد والصدور لأننا لا نستطيع إشعالها فى هشيم العجز العربى وطالما تحوّل شعارنا الذى كان «فلسطين من النهر إلى البحر» إلى شعار «أفرجوا عن جثث أبنائنا»..

● شيعوا الكرامة العربية – إذن – إلى مثواها الأخير..

● إحملوا نعشها القديم خافضى الرءوس ذلة وهوانا..

● إحنوا هاماتكم الورق حتى تلتقى الجباه بالنعال..

● ثم ازحفوا فوق رفات رجولتكم وولوا للوطن أدباركم.

● وتحسسوا – صماً وعميانا – طريقكم للموت المجانى.

● لكن حذار أن يمتد بصركم لرؤية هذه الصورة المنشورة..

ففى مرآتها تظهر سوءاتكم، وعورات قلوبكم الخشب.

إلى الذين مازالت حرائق ضميرهم مشتعلة نسرد وقائع آخر جنازات المهانة العربية.

● الزمان.. فى يوم عربى غائم ملبد بالمهانات.. الأحد ٣٠ / ١٢ / ٢٠٠١.

● المكان.. فى الطريق من غزة إلى بيت لاهيا.

● الأبطال: شبان فلسطينيون ثلاثة «محمد أحمد لبد – محمد المدهون – أحمد بنات» كانوا أصدقاء وجيرانا فى حى الشيخ رضوان بغزة.

الأحداث: خرج الأصدقاء الثلاثة لزيارة صديق رابع فى بيت لاهيا. فخرجت عليهم مجنزرات العدو الصهيونى لتصطادهم مدفعيتها.. تمزق أجسادهم النحيلة وتحولها إلى أشلاء متناثرة تحرق الوجوه وتنثر الأحشاء، وتحيل الملامح إلى كتل من الشواء المتفحم الناطق الصهيونى يقف أمام فوهة الكاميرات الصهيونية ليؤكد أنهم وجدوا بحوزة هؤلاء الشهداء وسائل قتالية وأسلحة وسكاكين.

● حتى الزيارة البريئة متهمة! من يحمل الزيتون يقتل ومن يحمل القنبلة، من يفاوض ومن يقاوم.

● إرجعوا البصر – إن استطعتم – وانظروا لصورة الشهيد الأول، الذى فتكوا بنصفه الأسفل، وأضرموا النيران فى يده اليمنى، ومزقوا ذراعه اليسرى، وعبثت

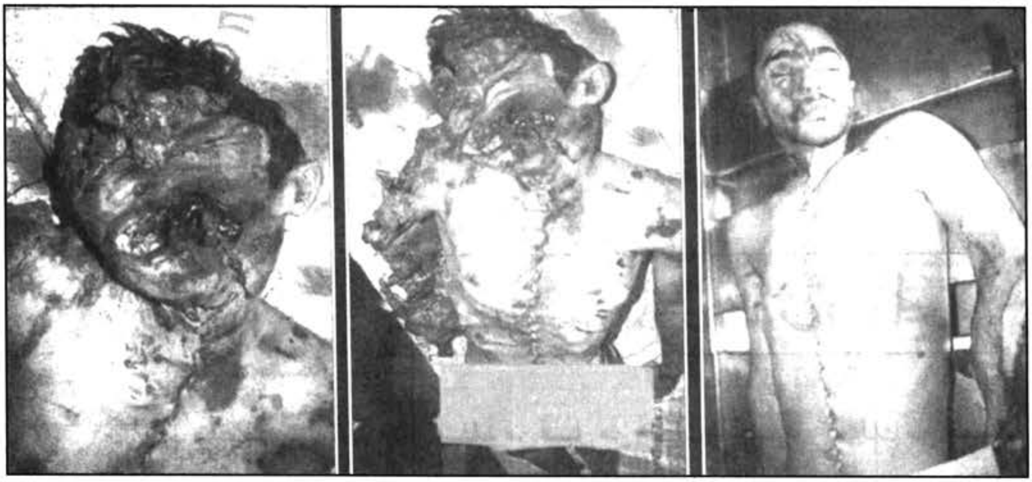

القذائف بتضاريس وجهه، هل ترون مثلي سمت التحدى مرسوما على ما تبقى من جسده؟

هل رأيتم ضلوعه «الدروع» تكاد تقفز من تحت الجلد؟.

● هل دققتم النظر في غضب التقاء الحاجبين، وإطباق الشفتين وطول الرقبة؟ ربما كانت تلك هي أسلحة الفلسطيني الأعزل، والتي أرهبت عدو الله وعدوهم فصب عليها القتل صباً.

● هل جحظت أعينكم حتى سقطت المقلتان وأنتم تسترقون النظر - فزعاً ولهواً - لصورة جثمان الشهيد الثاني؟

هل استقرت أوتار الحناجر بعد صراخها المكتوم، وهل لطم القلب جدار الرئتين وخرَّ صريعاً في ممرات الساقين؟.

● أرجوكم، أستحلفكم، بالعز المنهوب والمجد المسلوب ألا تنظروا إلى وجهه، وحش الفحم الذى سقط بين مطرقة جيش الدفاع وسندان الهوان العربى، وجه عجزنا السرمدى الذى أطلقنا عليه قنابل صمتنا وقذائف شجبنا الحماسى، ثم تقاذفناه في عراكنا المجانى، بينما كنا نتابع المسلسل العربى، نصفق ونهلل لفحولة الحاج متولى ثم نتابع ببرود روتيني مسلسل نهر الدماء في الأرض العربية المحتلة وجنازات الورد السماوى في غزة ورام الله وجنين.

● لم يبتروا ساعده الأيمن - كما تشاهدون الآن صورته - بل بتروا سواعدنا جميعاً، تلك الأكتاف والأذرع والأكف التى لم تعد تجيد سوى التصفيق طرباً أو خوفاً أو طمعاً، ولم تعد تحمل خبزاً أو مدداً للواقفين تحت ظل المذبحة.

● أما الشهيد الثالث فدعوه وشأنه، يسند رأسه المذبوح بنصلنا البارد، يستريح قليلاً من فساد ضمائرنا، وبلادة مشاعرنا، ليس مهماً أن تختفى عيناه في تجاويف الأذن اليمنى.. ليس مهماً أن يلتصق الفك العلوى بفروة الرأس، أن يتحول الوجه القديم كله إلى جبهة محترقة، لا يهم كل ذلك، طالما تأكد انعقاد القمة العربية في موعدها، وطالما تأكد صعود ثلاث دول عربية لنهائيات كأس العالم.

بين المجلة ... والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

فى هذا الشهر المبارك

تلقينا بريدا لم نتلق مثله من قبل من حيث الكثرة وكذلك من حيث الموضوعات فإذا كانت الرسائل بصفة عامة فى كل شهر تتنوع من حيث الموضوعات ومن حيث أسلوب التناول أيضا فقد جاءت رسائل هذا الشهر تتناول : الحجيج المتجهين إلى عرفات ، وعرفات المحاصر فى فلسطين ومن معه من رجال ونساء وأطفال يذوقون من العذاب فوق طاقة البشر جاءت كل الرسائل عن هذين الموضوعين اللهم إلا رسالة واحدة تناولت بعض أوجه الجمال فى اللغة العربية ونلاحظ أن بقية الرسائل اشتركت فى كونها كتبت شعرا بالإضافة إلى طول تلك القصائد ، حتى بلغت إحدى هذه القصائد ما ينيف على خمسين بيتا على غير المعتاد فى رسائل القراء ، ولصاحب هذه الرسالة تحديدا أقول :

شكر الله لك هذه الحمية الدينية على حرمة المقدسات الإسلامية ، وبارك فيك ، وأرجو أن **تتقبل** اعتذارى عن عدم نشر بعض أبيات القصيدة برغم نبل المقصد ، وذلك لبعدها عن الوزن السليم ، وعليك أن تتخير أحد أمرين إما أن تكتب نثرا ، وأعتقد أنك لا تحتاج إلى كثير إعداد .

وإما أن تعود إلى دواوين الشعر العربى القديم ثم الجيد من الشعر الحديث فتقرأها قراءة جيدة حتى تتكون لديك تلك الملكة التى يمكن أن تستخدمها بعد ذلك فى تقديم ما يجيش بصدرك وما يدور بخاطرك .

وإليك وإلى كل قراء المجلة أقدم التحية والشكر وآمل أن يستمر العطاء والتواصل فيما بيننا .

وبعد . . فندعو الله أن يوفق حجاج بيته الحرام إلى حج مبرور وأن يتقبل دعاءهم ودعاءنا أن يرفع الظلم عن إخواننا المحاصرين فى فلسطين . . . اللهم آمين .

من وجوه الجمال فى اللغة العربية

الرسالة الأولى من القارىء/ وائل على عبدالعزيز بدير - ميت غمر - كوم النور
يقدم فيها بعضا من الشذرات ووجوه الجمال فى اللغة العربية فيقول :

١- من وجوه الجمال فى اللغة العربية : أن الكلمة الواحدة يتغير معناها بتغيير الشكل للحرف الواحد «فتحة، ضمة، كسرة، سكون»،
مثل كلمة : البر

أ- فـ البَرُّ: بفتح الباء : اسم من أسماء الله الحسنى، يقول تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(سورة الطور آية ٢٨)

وكذلك ما انبسط من سطح الأرض، يقول تعالى :

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾

(سورة الروم آية ٤١)

ب- والبِرُّ: بكسر الباء معناه الخير، يقول تعالى :

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾

(سورة البقرة ٤٤)

جـ- والبُرّ: بضم الباء معناه حب القمح، والقمح : نبات عشبى معروف «المعجم الوجيز ص ٥١٤».

٢- مثال آخر : «كلمة جنة»

أ- جَنَّةُ : بفتح الجيم : الحديقة أو البستان، يقول تعالى :

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾

(الكهف ٣٥)

وكذلك دار النعيم فى الآخرة، يقول تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾

(الرحمن ٤٦)

ب- جِنَّةُ : بكسر الجيم : الجنون، يقول تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾

(الأعراف ١٨٤)

وكذلك الجن، يقول تعالى :

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾

(الناس ٦)

جـ- جُنَّةُ : بضم الجيم : الستر، وكل ما يقى الإنسان، و فى الحديث الشريف :

«.. **والصيام جُنَّة**»

(جزء من حديث رواه البخارى)

الحج وضرورة التوبة

ويرسل القارىء الأستاذ / محمد عباس محمد عرابى هذه الكلمة التى جاء فيها:

من الآداب التى ينبغى لكل من يريد أداء فريضة الحج التحلى بها كثرة الاستغفار والتوبة والإنابة والتذلل لله «عز وجل» فلعل الله - سبحانه وتعالى - أن يَمُنَ على عباده القاصدين بيته الحرام بالغفران وقبول التوبة. أقول ذلك حينما رأيت الشاعر الصوفى محيى الدين بن عربى وهو ينشد موشحته التى أنشدها قبيل ذهابه لأداء مناسك الحج، وقد سرح بخاطره فى فضل الله، فتخيل أهل الجنة وهم متكئون على الأرائك، فتشوق أن يكون منهم، واتجه بقلبه إلى بيت الله الحرام ليعلن توبته، فسالت دموعه، لكنه اعترف بأن هذه الدموع وحدها لا تكفى، بل لابد من إخلاص التوبة، ثم أخذ يطلب من الله أن يفيض عليه من كرمه وعفوه، فقد ابتعد عن الرفاق وتعب فكره وتحير من الصحاب الذين عملوا على إبعاده عن الله، ورجاه أن يقبل توبته حيث يقول فى موشحته الشهيرة:-

عِنْدَمَا لاَحَ لعيْنى الُمتَّكا ... ذُبْتُ شَوْقاً للذى كَانَ مَعى

أَيُّهَا الْبَيْتُ الْعَتيقُ المشرفُ
جَاءَكَ العَبْدُ الضَّعيفُ الُمسْرِفُ
عَيْنُـهُ بالدَّمْعِ دَوْماً تـذْرِفُ

فريةٌ منْهُ وَمكْرٌ فَالْبُكَا ... لَيْسَ مَحْمُوداً إذا لمْ يَنْفَعِ

أَيُّهَا السَّاقى اسْقِنى لاَ تَأْتَلِ
فَلَقَدْ أَتْعَبَ فكْرِى عُـذَّلى
ولَقَدْ أَنْشـدُهُ مَا قيـلَ لى

أَيُّهَا السَّاقى إِلَيْكَ المشْتَكَى ... ضَاعَتِ الشَّكْوَى إذا لمْ تَنْفَعَ

لإتاحة الفرصة أمام أكبر عدد ممكن من القراء سنقتصر على نشر بعض الأبيات.

رجـــــوع

اخترنا تسعة أبيات من قصيدة رجوع للشاعر نجاح عبدالقادر سرور - كوم حمادة - كفر بولين، يقول:

(١) يخــبِّئُ قلبى.. والدمـــوعُ تُذيعُ ... وتكشفُ عــمـــا تحــتـــويه ضلوعُ!
(٢) تَقَطَّر ســـرِّى.. قطرةً إثر قطرةٍ ... ليُـعلن حـزنى.. منذ كــان رجــوعُ!
(٣) غرَستُ ضلوعى.. وسط روضة أحمدَ ... فـمــازال قلبى بالحنين يضــوعُ!
(٤) وعلّقتُ قلبى.. ستـْر بيت مُـحَّرمٍ ... يحـومُ.. فـيحـتـضن الفـؤادَ خـشـوعُ!
(٥) ورغم أشُـــدّى.. إنْ أتيتُ إلى هنا ... كـأنىَ فى حـجــر الذبيح رضـيـعُ!
(٦) وأعطشُ.. أُرْوَى من طوافٍ وزمــزمٍ ... ومـائِدتى القـرآنُ.. حــين أجــوعُ!

(٧) فيـاهل تُرى.. هل كنتُ إلا نُجَـيْـمـةً إذا مـا احـتـوانا فى الصـفـوف ركـوعُ؟!
(٨) نعـودُ.. فـلا الدنيـا تُضـمّـدُ جُـرحنا ولكن تُطوّحُ.. تشــتــرى.. وتبــيعُ!
(٩) نعـــودُ.. وآهٍ من رجـــوعٍ بلا مُنَى فــقـــد ذاب قلبى.. منذ كـــان رجـــوعُ!

موكب الحجيج

ومن موكب الحجيج للأستاذ جابر عبدالعليم من دار السلام - سوهاج نقدم هذه الأبيات:

(١) ترك الخليلُ وحـيـده فـتـفـجـرتْ من تحـتــه بمصــادر البـــركـــاتِ
(٢) من بعـدِ سَـعْىٍ بين مـروة والصـفـا والأمُ تسـأل باريءَ النَّسَـمَـاتِ
(٣) فَـيُـجـيـبُـهَـا رَبُّ العـبـاد وَتَرْتَوى ووليــدَها والطَّيْــرَ فى الفلواتِ
(٤) وعلى نداء الحق يشــرعُ مُنْجــزاً رُؤيـا رآهـا فـى هُـدىً وثَبَـــاتِ
(٥) لكن فـضـلَ الله يسـبقُ عَـزْمَـهُ ولقـــد فـــداهُ بأعْظَمِ القُـــرُبَاتِ
(٦) يا أيهـــا الركبُ المبــجَّلُ إنكم فى خـــيـــر أرض مـــهـــبط الآيات
(٧) لكم التـحـيَّـةُ والمثُـوبَةُ والرضَـا والـفـــــوزُ عـنـد الـلـهِ بـالجنَّـاتِ

يا قاصد البيت الحرام

ومن قصيدة «يا قاصد البيت الحرام» نقدم هذه الأبيات للقارىء المهندس أسـامة نصر عبده من دمنهور - بحيرة. يقول:

(١) يا قـاصـد البـيت الحـرام تحـيـةً من عـــاشقٍ للكعـــبـــة الغـــراءِ
(٢) للمـرسلين جـمـيـعـهم للأولينَ وقـــد عَلَواْ بالرايةِ الســـمـــحـــاءِ
(٣) يا قـاصـدَ البيتِ العـتيقِ ملبيـاً والبــيـــد تُســقى من عظيم رواءِ
(٤) وجـبـال مكة كلُّهـا قـد رجّـعت فـــيطوف دمع العـــين بالبـــيـــداءِ
(٥) طوبى لكم ندعـو الإله جـمـيـعنا مـــبـــرور حج فى رضىً وصـــفـــاءِ

ونتقل إلى القسم الثانى من رسائل القراء، التى تناولت المحاصرين فى فلسطين، فنقدم هذه الأبيات من قصيدة طويلة بقلم الأستاذ حسين إبراهيم حسين تحت عنوان «سيكبر التاريخ عند مجيئنا» يقول فيها:

(١) مَرَّ الزَّمَانُ عَلَى كَثِيرٍ قَبْلَنَا — لَكِنَّهُ مَا صَادَفَ الشُّجْعَانَا
(٢) وَإِذا به نَصَبَ الخِيَامَ بِأَرضِنَا — وَأَقَامَ دَهْراً يَغْسِلُ الأَحْزَانَا
(٣) وَيَقُولُ لِلأَبطَالِ طابَ مَقَامُكُم — فَاسْتَبْشِرُوا بَلْ بَشِّرُوا الوِلْدَانَا
(٤) شَارُونُ فِيهِ سَفَاهَةٌ لا تَنْتَهِى — مَهْمَا يُبَالِغُ ذُو الهِجَاءِ بَيَانَا
(٥) قُولُوا لَهُ إِنَّ اللِسَانَ يَعَافُهُ — وَالنَّفْسُ تَكْرَهُ ذَلِكَ الشَّيْطَانَا
(٦) قُولُوا لَهُ مَهْمَا أَقَمْتَ فَإِنَّنا — سَنُحَطِّمُ الطُغْيَانَ والأَوْثَانَا
(٧) سَتَرَوْنَ رَعداً قاصِفاً لن ينتهى — سَتَرَوْنَ طِفْلاً يَسْبِقُ الرُكْبَانَا
(٨) سَيُكَبِّرُ التَّارِيخُ عِنْدَ مَجِيئِنَا — وَيَقُولُ هَيَّا نَشْكُرُ الرَّحْمَانَا

صمود أمة

ويواصل القارىء/ أحمد حمدى والى بمدرسةالهدى والنور الثانوية بالمنصورة إبداعاته الشعرية فيرسل تحت عنوان «صمود أمة» هذه الأبيات التى تتسم بالرصانة والتحدى حيث يقول:

(١) برغم القتل والتشريد فينا — وزعمهمُ الحضارة والمعالى
(٢) برغم جهال الطغيان ظلماً — ودفن الناس فى حر الرمال
(٣) برغم عصابة الموساد حمقاً — وعشقهم أساليب الجدال
(٤) برغم تمايل الجبناء فخراً — بأجسام تراها كالبغال
(٥) سنبذل ما يكون لنا خلوداً — ونرفع راية الإسلام عالى
(٦) نبدد موجة الطغيان قهراً — على عزم لتحطيم المحال
(٧) ويصرخ طفلنا فى كل وادٍ — يؤججها جحيماً للنضال
(٨) ويقذف صقرنا المغوار ناراً — يدعمها بصاروخ القتال
(٩) ولكن لن نميل لهم ونرضى — بمال أو بعيش من خيال
(١٠) فنحن أسود إسلام حنيفٍ — وقدوتنا رجال كالجبال

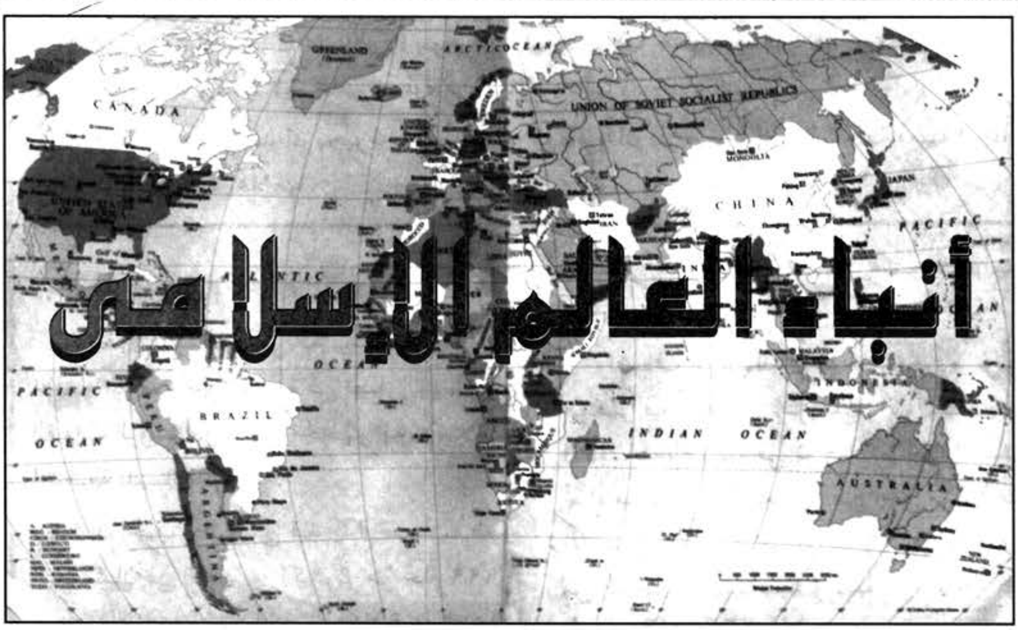

للأستاذ / محمد الشرقاوى

مجمع البحوث الإسلامية يقرر:

عدم الموافقة على مشروع قانون الزكاة

قرر مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة فى ١٠ / ١١ / ١٤٢٢هـ – ٢٤ / ١ / ٢٠٠٢م عدم الموافقة على مقترح بمشروع قانون الزكاة لأسباب من أهمها :-

(١) أن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة؟ وما كان ركناً من أركان الإسلام الخمسة لا يصح أن تتدخل القوانين بشأنه .

(٢) مصادر الزكاة واضحة كل الوضوح بنص الآية القرآنية التى تقول :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾(١)

(١) التوبة آية «٦٠».

(٣) كل مسلم وجبت عليه الزكاة بتوافر شروطها إن تركها جحودا بها فهو خارج عن الإسلام أما إن تركها تهاوناً بها وكسلاً فهو عاص ندعوه إلى الإلتزام بأدائها ونرجو له التوبة.

(٤) لا يستطيع أحد أن يجبر أحداً تجب عليه الزكاة - أن يلزمه - بدفعها إلى جهة معينة؟ وإنما هو يدفع الزكاة لمن يراه أهلاً لها.

أطفال الشيشان ضحايا الألغام الأرضية

الأطفال المسلمون فى الشيشان هم ضحايا الألغام الأرضية فى طليعة من تصل إليهم نيران القوات الروسية فى هذه الجمهورية الإسلامية الخاضعة للسيادة الروسية.

كان الجيش الروسى قد بدأ حملته ضد الشيشان فى الأول من أكتوبر من عام ١٩٩٩ وحتى الآن لم تفلح الحملة فى القضاء على المقاومة الإسلامية فى الشيشان التى تعرض العديد من منشآتها للدمار إلى جانب ارتفاع أعداد القتلى والجرحى ونزوح آلاف اللاجئين.

بحجة محاربة الإرهاب

اعتقال أكثر من ٣ آلاف مسلم بالصين

حذر مركز تركستان الشرقية للمعلومات من محاولات السلطات الصينية الرامية لتحويل مسلمى «الأيغور» إلى ضحايا للحملة الدولية ضد ما أسموه بالإرهاب وذلك بإلصاق تهمة الإرهاب بالناشطين والدعاة المسلمين منهم.

واكد المركز فى تقريره الموسع لوكالة «قدس برس» أن تفجيرات سبتمبر قد أحدثت تحولاً كبيراً على صعيد الأوضاع فى العالم وهو ما جعل دولاً كروسيا والصين وجمهوريات آسيا الوسطى وباكستان تتسابق لتحقيق منافع خاصة بها.

وأضاف المركز الذى يتخذ من «ميونيخ» مقراً له: أنه وفى ظل تلك الأوضاع بدأت السلطات الصينية فى توجيه سهامها المسمومة تجاه مسلمى «الأيغور» من أجل ملء الفراغ الاستراتيجى وتلافى الأضرار التى لحقت بها من الناحية السياسية والدبلوماسية - فقد قامت الحكومة الصينية بوصف واتهام مسلمى «الأيغور» بالإرهاب وذلك من أجل تبرير ممارساتها الوحشية ضدهم.

وأشار المركز إلى محاولة الصين الدخول فى مساومة مع الولايات المتحدة بشأن القضية «الأيغورية» إذ أكدت بعد مضى أسبوع على وقوع أحداث سبتمبر على لسان المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية أنه يجب على الولايات المتحدة، إن أرادت دعم الصين لحملتها ضد الإرهاب، أن تتفهم وتتقبل حملاتنا ضد الانفصاليين فى «سينج يانج»، و«تركستان الشرقية». وأكد مركز تركستان الشرقية للمعلومات أنه بينما تحاول السلطات الصينية بكل جهد تلفيق تهمة الإرهاب لمسلمى «الأيغور» فإنها تقوم من جهة أخرى بتصعيد حملاتها المستمرة تحت غطاء مكافحة الإرهاب ضدهم فى تركستان الشرقية.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

توقيع اتفاقية الحوار بين الأزهر والأسقفية الأنجليكانية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة للمملكة المتحدة (بريطانيا) فى الفترة من ٢٩ - ٣١ يناير ٢٠٠٢ تلبية للدعوة الموجهة من الدكتور جورج كارى كبير أساقفة كانتربرى ورافقه فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف وتم خلال الزيارة توقيع اتفاقية الحوار بين اللجنة الدائمة للحوار فى الأزهر وبين الأسقفية الإنجليكانية التى يرأسها د / جورج كارى وذلك على غرار الاتفاقية التى سبق أن وقعها الأزهر الشريف والفاتيكان فى مايو سنة ١٩٩٨م والهدف من تلك الاتفاقيات الاستفادة من القيم الروحية للأديان فى نشر السلام فى العالم ونبذ الإرهاب وتقديم العون والمساعدة للدول الفقيرة، وكذا تصحيح المفاهيم التى تسىء للإسلام والمسلمين، وتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام لدى الإعلام الغربى من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وفى لقاء فضيلته برئيس وزراء بريطانيا تونى بلير طلب ضرورة تدخل بريطانيا إيجابيا لوقف الاعتداءات الإسرائيلية على الفلسطينيين، ورد بلير بالتعهد بأن تبذل بلاده كل ما فى وسعها حتى تنتهى إراقة الدماء فى الأراضى الفلسطينية، وأوضح فضيلته أن بلير أبلغه بأنه يقرأ بانتظام تعاليم الإسلام وأنه وصل فى قراءة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى (سورة يوسف) وأعرب فضيلته عن اعتقاده بأن الحكومة البريطانية جادة فى تحسين صورة المسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر، وقال فضيلته: إن الإسلام يصون الحقوق والأعراض وليس صحيحا أنه مع العنف والإرهاب كما يردد ذلك بعض الخصوم، وأكد على ضرورة إعطاء كل ذى حق حقه، ووقف اغتصاب الأراضى الفلسطينية، والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطينى المظلوم حتى يحصل على حقوقه كاملة غير منقوصة، وحقه فى إقامة دولته المستقلة، وفيما يتعلق باتفاق الحوار التاريخى قال فضيلته: إنه خطوة لخدمة السلام والأمان والرخاء فى العالم وإقامة العدل بين الناس، وتنص الاتفاقية على المساهمة فى حل

المشاكل وإنهاء الصراعات التى تحدث أحيانا بين المسلمين والمسيحيين فى بعض أماكن فى العالم، وتشجيع القادة الدينيين على استخدام تأثيرهم الدينى فى المصالحة وصنع السلام والعمل معا على تحقيق كرامة الإنسان فى العالم، ومنع الظلم والاعتداء على الحقوق المشروعة للشعوب كما تنص الاتفاقية على عدم الفصل بين السلام والعدل ونشر الفضائل المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية وتشجيع المؤسسات التابعة للطرفين على القيام بدورها الإيجابى فى تحقيق التنمية لمصلحة شعوب العالم لنشر الرخاء والتقدم، كما تضمن البرنامج لقاء مع صاحب السمو الملكى الأمير تشارلز أمير ويلز وقد رحب الأمير تشارلز بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مؤكدا على الأهمية التى تعطيها بريطانيا تجاه فهم الإسلام فهما صحيحا مشيرا إلى أنه قد تحدث فى هذا الشأن أمام مركز الدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد بلندن عن ضرورة فهم الإسلام ورفض اعتبار الإسلام مسئولا عما يرتكبه بعض المسلمين، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على موقف الإسلام من التطرف والعنف ونوه بالأهمية التى تعطيها الأديان لنصرة المظلوم واسترداد حقوقه مشيرا إلى أن الأزهر الشريف على استعداد لأن يتحمل المسئولية القيادية التى تتطلبها إدارة الحوار والذى تطلبه الكثير من العواصم الأجنبية وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدعوة إلى الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا لزيارة الأزهر الشريف، وقد رحب الأمير بزيارة مصر مرة أخرى.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى كل لقاءاته على أن الأديان السماوية والفطرة السليمة تدعو إلى منع الظلم والقتل بغير حق والاعتداء على الشعوب، ومنع اغتصاب الأراضى وإخراج أصحابها الآمنين منها ولابد من إعادة الحق لأصحابه وقد لمس فضيلته من المسئولين تجاوبا مع هذه المعانى.

ومن ناحية أخرى دعا فضيلته المسلمين فى كل مكان إلى الاستمساك بشريعتهم التى هى شريعة الخلود والبقاء وشريعة الحق والعدل والسلام.

فى رسالة إلى فضيلة الإمام الأكبر:

السلطان قابوس: الأزهر هو المرجعية الدينية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/يوسف بن علوى وزير الدولة للشئون الخارجية بسلطنة عمان ومعالى الوزير/أحمد ماهر وزير الخارجية المصرية وسعادة السفير/عبد العزيز الهنائى سفير سلطنة عمان بالقاهرة والوفد المرافق.

وتأتى تلك الزيارة فى إطار تنسيق التبادل العلمى والثقافى والدينى بين وزارة الأوقاف والشئون الدينية بسلطنة عمان والأزهر الشريف، وتبليغ رسالة جلالة السلطان قابوس للأزهر لدوره الرائد فى خدمة الإسلام والمسلمين وللتعاون المثمر بين الأزهر والسلطنة، وقدرحب فضيلة الإمام الأكبرشيخ الأزهر بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بمواقف جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعتدلة الواضحة مع مصر، والعلاقات القائمةفى النواحى التعليمية والثقافية والتعاون العلمى الصادق وتبادل المعرفة، وأوضح فضيلته دور الأزهر الشريف فى إمداد دول العالم بالمناهج الدراسية التى يدرسها الأزهر والتى تمتاز

بالاعتدال والتوسط ودراسة جميع المذاهب الإسلامية بدون التحيز لمذهب معين، وأن الأزهر يستقبل طلابا من أكثر من ٩٤ دولة للدراسة به ويتلقون العلم بجانب إخوانهم فى مصر، كما يوفد الأزهر العلماء والمدرسين لدول العالم المختلفة، كما ينظم الدورات التدريبية لأئمة ووعاظ العالم ليكون الترابط الدينى قائما ودائما.

وأضاف فضيلته بأننا فى الأزهر الشريف نوضح صورة الإسلام الصحيحة والسمحة وتشريعاته وآدابه، ونبين أن الإسلام يحترم النفس الإنسانية ويصونها من الاعتداء عليها، وحدد المفاهيم الإسلامية لتبصير ذوى الأهواء والأغراض الخاصة.

شكر معالى الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن اللقاء ونقل تحيات جلالة السلطان قابوس للأزهر ولشيخه، وسلم لفضيلة الإمام رسالة خاصة من جلالة السلطان قابوس أكد فيها على دور الأزهر فى خدمة الإسلام والمسلمين وأنه المرجعية الدينية التى يرجع إليها، كما وضح الضيف مكانة الأزهر فى قلوب الشعب العمانى، وبين أن للأزهر فضلا عظيما لدى دول العالم الإسلامى فى تعليم أبناء المسلمين صحيح الدين الإسلامى ووسطيته وأشاد بدور الأزهر فى إرسال البعثات لدول العالم، وفى نهاية اللقاء شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على التعاون المثمر والمزدهر بين السلطنة وبين اللجان المشكلة لتدارس المناهج التعليمية والدينية. حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

تدريس المناهج الدراسية الأزهرية بدولة أريتريا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ / الأمين عثمان الأمين مفتى دولة أريتريا يرافقه معالى السفير محمود عمر طروم سفير دولة أريتريا بالقاهرة.

حيث رحب فضيلته بالضيفين فى الأزهر الشريف مشيدا بعمق العلاقات والروابط بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أريتريا الشقيقة، وأوضح أن الأزهر يرسل العلماء والمدرسين لدولة أريتريا لتعليم أبنائهم فى المعاهد هناك، ويستقبل الطلاب الذين يدرسون فى معاهد الأزهر وجامعته على منح دراسية ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية كما يستقبل الأئمة والوعاظ لحضور الدورات التدريبية التى يقيمها الأزهر كل ثلاثة أشهر ويقوم بالتدريس فيها كبار العلماء والمفكرين.

كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور فضيلة المفتى ومعالى السفير حيث تم مدارسة تطبيق المناهج والخطط الدراسية والكتب التى تدرس فى الأزهر ليتم تدريسها بدولة أريتريا فى القريب العاجل تمهيدا لقبول الخريجين من أريتريا بجامعة الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل السفير الجزائرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير الدكتور / سليمان الشيخ سفير جمهورية الجزائر الديمقراطية بالقاهرة حيث أعرب الضيف عن شكر وتقدير بلاده رئيسا وحكومة وشعبا للأزهر الشريف على ما يقدمه من تدريب للسادة الأئمة والوعاظ الذين يفدون للأزهر من دولة الجزائر والاستجابة السريعة لهذا الأمر حيث يتلقون فى هذه الدورات من العلوم والمعارف الدينية والدنيوية بما يوضح الصورة الحقيقية للإسلام لدى أبناء الجزائر وخاصة الجاليات التى استقرت بالجزائر، وطلب السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر زيارة دولة الجزائر وهى رغبة السيد الرئيس حيث ستوجه الدعوة رسميا.

وزير شئون البيئة الأندونيسى:

الأزهر يمثل المكانة الإسلامية العالمية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/عقيل حسين المنورة وزير الشئون الدينية بدولة أندونيسيا، وسعادة السفير الدكتور محمد قريش شهاب سفير أندونيسيا بالقاهرة والوفد المرافق لهما.

حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف موضحا بأن الطلبة والطالبات من دولة أندونيسيا يدرسون فى الأزهر الشريف فى معاهده وجامعته العريقة وأنهم يتلقون تعليمهم بجانب إخوانهم من الطلبة المصريين ويقيمون بمدن البعوث الإسلامية، وأوضح أن عدد الطلبة يزيد على خمسة آلاف طالب وطالبة، وأن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالتوسط والاعتدال فتدرس علوم الشريعة وعلوم اللغة والسنة النبوية المطهرة والمذاهب الإسلامية جميعها مأخوذة من الكتاب والسنة والاهتمام الأكبر بحفظ القرآن الكريم كاملا فى سنوات الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية وحين يلتحق بالجامعة يكون حافظا للقرآن الكريم كاملا شكر الوزير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة هذه الفرصة لهذا اللقاء الكريم وعلى الجهود التى يبذلها الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين وخاصة لدولة أندونيسيا، وأن الأزهر الشريف يمثل المكانة الإسلامية العالمية لأبناء المسلمين والتعليم الإسلامى المعتدل، وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء أندونيسيا وأوضح أنه حضر لتجديد الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة أندونيسيا ولتفقد بعض الجامعات الإسلامية هناك، وأشار إلى أن المعهد الأزهرى بأندونيسيا تحت إشراف الأزهر الشريف والبعثة الأزهرية من العلماء يؤدون واجبهم على أتم وجه والبعثة قوامها خمسون عالما من الأزهر يقومون بتدريس العلوم الشرعية والعربية طبقا للخطط والمنهج الأزهرى، وأوضح بأن الدراسة الأزهرية تفيد أبناء المسلمين وتعصمهم من الزلل.

ومما يذكر أن سعادة السفير الدكتور/ محمد قريش تعلم فى الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وزيرة الدولة للشئون الخارجية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة الوزيرة الدكتورة/فايزة أبو النجا وزيرة الدولة للشئون الخارجية بجمهورية مصر العربية وهى أول زيارة لها بعد توليها مهام منصبها الجديد، ودار الحديث حول دور الأزهر الشريف ورسالته العلمية والتعليمية فى تعليم أبناء المسلمين فى الداخل والخارج وتبصيرهم بأمور الدين الحنيف بعيدا عن العصبية والعنصرية والتطرف والبعد عن المغالاة، كما يوفد الأزهر العلماء لدول العالم المختلفة لشرح تعاليم الإسلام والرد على استفسارات المسلمين فى بلاد المهجر، كما يستقبل طلابا من مختلف دول العالم من أبناء المسلمين الذين يدرسون بالأزهر ويقيمون بمدن البعوث الإسلامية بالقاهرة والإسكندرية ومنهم البنين والبنات وبعد حصولهم على الشهادات العليا من الأزهر يعودون إلى بلادهم ليكونوا رسلا

للأزهر فى بلادهم يؤدون واجبهم نحو تعليم أبناء بلادهم ما تعلموه من علوم ومعارف إسلامية، كما تعقد الدورات التدريبية للعلماء والدعاة والأئمة الجدد من بلاد العالم المختلفة وذلك لدراسة المستجدات التى تطرأ على الساحة من جراء التطورات التى يشهدها عالم اليوم إلى جانب دراسة المواد الدينية والفقهية والعربية والبلاد التى بها معاهد أزهرية، كأندونيسيا والسنغال وجنوب إفريقيا ونيجيريا وغيرهم نرسل إليهم العلماء والمدرسين ليقوموا بالتدريس لهم فى معاهدهم ويقومون بإلقاء خطب الجمعة بالمساجد ويقيمون الندوات والحلقات الدراسية وذلك كله لتوضيح صورة الإسلام الصحيحة.

وتم فى اللقاء مناقشة ضرورة تصحيح صورة الإسلام فى الخارج بالتنسيق مع علماء مصر وسفرائها وذلك لإظهار سماحة الإسلام ويسره والرد على الشبهات التى تحاول وسائل الإعلام الأجنبية إلصاقها بالإسلام ظلما وعدوانا وهو منها براء.

وفى نهاية اللقاء شكرت الوزيرة فضيلة الإمام الأكبر على هذه المعلومات القيمة التى استفادت منها والتى ستساعدها فى أداء عملها.

زعيم الأقلية بمجلس النواب الأمريكى:

الدين الإسلامى أسرع الأديان انتشاراً

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / ريتشارد جب هارت زعيم الأقلية بمجلس النواب الأمريكى والسيد السفير / ديفيد ولش سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة والوفد المرافق لهما، رحب فضيلته بالسادة الضيوف شارحا لهم نظام الدراسة بالأزهر الشريف وأنها تمتاز بالتوسط والاعتدال لأنها مستمدة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، وبين أن الناس جميعا خلقهم الله ـ عز وجل ـ من أب واحد وأم واحدة وذلك لكى يتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى وعلى نشر الإسلام والأمان والرخاء وتبادل المنافع التى أحلها الله ـ عز وجل ـ فيما بينهم، وأن يشيع الخير بينهم لا الشر، وتشيع السماحة وليس الإرهاب، وأوضح أن هناك فرقاً كبيراً بين الجهاد والإرهاب كالفرق بين السماء والأرض ومن يخلط بينهما يكون خاطئا، لأن الجهاد معناه الدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن وعن الحرية الإنسانية، أما الإرهاب فهو الاعتداء على الآمنين وهو قمة الظلم والغدر، فتحديد المفاهيم واجب، وعندما تفهم الحقائق، ترتاح النفوس والعقول والعقلاء هم الذين يفهمون هذا جيدا، وهذا لمن يفهم الأديان فهما صحيحا، أما من يفهم الأديان فهما خاطئا لا يفسر الأمور تفسيرا صحيحا، بل يفسرها حسب أهوائه، ونحن لا نؤيد من يفهم فهما خاطئا، والأزهر الشريف يرحب بالحوار وبتعاون الحضارات، لأن فى هذا سعادة للبشرية، فالغرب يأخذ من الشرق ما يناسبه والشرق يأخذ من الغرب ما يناسبه، وأبواب الأزهر مفتوحة لكل زائر وعلماء الأزهر يذهبون إلى كل مكان من أجل تصحيح المفاهيم والرد على الشبهات، وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية، عقب أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ بيانا مطولا أدان فيه العدوان إدانة تامة.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حديثه القيم وأنه يقدر آراء فضيلته الجريئة والصريحة وهو ما أكده الرئيس بوش للمسلمين فى أمريكا بأن ما حدث لا علاقة له بالإسلام، وأوضح

الضيف بأن ما قلته فضيلتكم يعتقده ويحترمه الشعب الأمريكى وقال: إننا جميعا فى خندق واحد وإننا نتعاون من أجل إسعاد البشرية وتفسير فضيلتكم لوسائل الإعلام، والمراسلين الأجانب فى غاية الأهمية، لأن هناك عددا كبيرا من الناس يستمعون لما تقولونه باهتمام شديد، وتصريحات فضيلتكم القوية سوف أنقلها بصفتى زعيما للأقلية بمجلس النواب الأمريكى، والآن أصبح الشعب الأمريكى يفهم الإسلام بصورة أوضح، وما قلتموه فضيلتكم يوضح الصورة الصحيحة للدين الإسلامى، وأستطيع أن أقول إن الدين الإسلامى أسرع الأديان انتشارا هذه الأيام.

الإمام الأكبر:

شريعة الإسلام تمد يدها بالسلام

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / أندرو ناتسيوس المدير الإدارى بهيئة المعونة الأمريكية بواشنطن يرافقه السفير / دافيد ولش سفير أمريكا بالقاهرة والوفد المرافق لهم، وقد أوضح فضيلته للوفد الدورالأساسى الذى يقوم به الأزهر الشريف فى التعليم بالمراحل المختلفة وحتى المرحلة الجامعية حيث يتخرج العلماء والمدرسون المدركين لأمور الدين الإسلامى مبينا أن الدراسة فى الأزهر الشريف تقوم على الاعتدال والتوسط لأنها تقوم على دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعلومهما وهو الأساس فى التعليم الأزهرى إلى جانب المواد الأخرى من اللغات المختلفة والمواد التى تؤهل للدراسة بكليات الطب والهندسة والزراعة وغيرها، والقرآن الكريم أوضح أن الله خلق الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة ليتبادلوا المنافع التى أحلها الله ـ عز وجل ـ ويتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان والحضارات تتعانق وتتعاون ويأخذ بعضها من بعض النافع المفيد، وتنبذ الضار، والحضارات حينما تتآذر وتتكاتف يعم الخير على البشرية، ونحن كأزهريين وعلماء للدين الإسلامى الحنيف من منطلق تعاليم ديننا الحنيف نؤكد على أن الله ـ عز وجل ـ خلقنا قبائل وشعوبا لكى نتعاون على نشر الحق ونبذ الباطل ونشر الخير والتصدى للشر والتعاون على البر والمعروف، ولنا فى كثير من بلدان العالم علماء ينشرون هذه المعانى السمحة التى هى مستمدة من شريعة الإسلام ونحن نؤمن بتعاون الحضارات لا بتصارعها، ونؤمن بحرية العقائد وأنه لا إكراه على العقائد لأن الإكراه عليها لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، ونؤمن أيضا بأن الذى يحاسب على النفاق هو الله ـ عز وجل ـ وشريعة الإسلام تمد يدها بالسلام لكل من يمد يده بالسلام، ويأمرنا الإسلام أن نلتزم بالعدل، وفى الوقت نفسه ينهى عن العدوان والظلم.

أما الذين يعتدون على أرضنا أو مقدساتنا أو أموالنا فقد أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا وعن أموالنا وأرضنا ومقدساتنا.

وعن دور الأزهر فى تعميق الحوار، أوضح فضيلته أن شريعة الإسلام تؤمن بالحوار إيمانا عميقا لتوضيح وتصحيح المفاهيم ونحن على استعداد للحوار وأبوابنا مفتوحة، وقد زار بابا الفاتيكان الأزهر الشريف منذ فترة.

والأديان جميعها تدعو إلى السلام والمحبة ونبذ العدوان والاعتداء حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الفهرس السنوى لعام ١٤٢٢ هـ

المحـــرم

● الافتتاحية: المثقفون والأدب الهابط
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ٧
● العناية بكتابة السنة النبوية
للأستاذ الدكتور / أحمد معبد ١٩
● الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى ٢٥
● دعوة الإسلام إلى الوحدة
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ٣٠
● لا حياة بلا دين
لفضيلة الشيخ / إبراهيم الدسوقى ٣٦
● الإسلام وحوار الحضارات
للأستاذ الدكتور / محمد عبدالمنعم خفاجى ٤٢
● الإسلام.. والغرب.. وحقوق الإنسان
للدكتور / محمد عمارة ٤٧
● محمد - ﷺ - فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور / عبدالعظيم المطعنى ٥٣
● استفتاءات القراء
إعداد وتقديم الشيخ / عبدالفتاح حسين الزيات ٦٠
● دار الهجرة والتحذير من هجرها
لفضيلة الشيخ / عبدالحفيظ فرغلى القرنى ٦٦
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد الشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٧٢
● أبو عبيد بن مسعود الثقفى
للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين ٧٨
● لمحات عن صاحب الفضيلة الشيخ عبدالرحمن تاج
للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى ٨٢
● الشيخ / إبراهيم الدسوقى فى رحاب الله ٨٥
● مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى
للمستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى ٨٧
● مواقف إسلامية: بين الأشرار والأخيار
للأستاذ الدكتور / محمود عمارة ٩٣
● طرائف ومواقف
للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٩٦
● قصة العدد: إرادة جبارة ٩٨
● روضة الشعر ●
- نور الإسلام
للشاعر / محمود حسن إسماعيل ١٠٣
- الـرأى
للشاعر / أحمد زين ١٠٧
● من عيون التراث
للأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم ١٠٨
● الحوارات الأدبية: نوعياتها.. دلالاتها (١)
للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب ١١٣
● القصيدة العربية بعد البارودى بين الشكل والمضمون
للأستاذ الدكتور / محمود جمعة أمين ١١٧
● لمحة عن الاتجاه الإسلامى فى شعر إبراهيم عيسى
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ١٢١
● مايقال عن الإسلام:
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى........ ١٢٥
● كتاب الشهر: عصر الإلحاد
للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٣٢
● المجتمع الإسرائيلى
للدكتور / محمد حسن عبدالخالق ١٤٢
● التراث العلمى الإسلامى
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا........ ١٤٦
● من الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور / السيد الجميلى ١٥١
● قبل أن تصير حصيدا
للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير........ ١٥٤
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ / محمود الفشنى ١٥٨
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم / الأستاذ عادل خفاجة ١٦٣
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى ١٦٩

صفـــــر

● الدين مرتكز الخلق الحميد (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ١٧٨
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر ١٨٣
● وحى الألفاظ فى أسلوب القرآن
للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفنى ١٩٢
● العناية بكتابة السنة فى عصر الرسول ﷺ وصحابته
للأستاذ الدكتور / أحمد معبد عبد الكريم ١٩٨
● الدعوة كما ينبغى أن نبلغها (٤)
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى ٢٠٥
● دعوة الإسلام إلى الوحدة
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ٢١١
● إسلامية المعرفة.. ماذا تعنى؟
للأستاذ الدكتور / محمد عمارة ٢١٧
● أمتنا وفن إدارة الأزمات
للدكتور / محمود محمد عمارة ٢٢٤
● محاولة لفهم العولمة
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ٢٢٧
● نقد موضوعى للأفكار الهامة فى كتاب اليمين واليسار فى الفكر الدينى
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ٢٣٤
● شئون المرأة والوثب الأشل على الإسلام
للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى ٢٤٠
● المثنى بن حارثة الشيبانى
إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين ٢٤٧
● حول الشعر العذرى
للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب ٢٥٥
● عبد العزيز البشرى فى المرآة
للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى ٢٥٨
● رثاء الأديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشرى (قصيدة)
للأستاذ / خليل مطران ٢٦٣
● فقيد الأزهر: الدكتور محمد أحمد سحلول
للأستا ذ الدكتور / أبو حسام ٢٦٦
● القلادة المباركة
للأستاذ / محمد فريد أبو حديد ٢٦٩
● دعوة إلى نحو عصرى بين الوهم والتخريب
للأستاذ الدكتور/ مبروك عطية أبو زيد ٢٧٨
● الغرام السوقى (قصيدة)
للأستاذ / محمد الأسمر ٢٨٢
● يهود الشرق فى الأدب العبرى
للدكتور / محمد حسن عبدالخالق ٢٨٤
● دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية
عرض الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين ٢٩٢
● الحقائق العشر لحتمية تحول النبوة من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل
للدكتور / محمد عبد العليم ٣٠٠
● مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى (٢)
للمستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى ٣٠٩
● التراث العلمى الإسلامى
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ٣١٧
● جنون البقر.. والخروج عن الفطرة
للأستاذ الدكتور / عبد الراضى حسن المراغى ٣٢٢
● هل تغرق السفينة.. لطفك اللهم
للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ٣٢٦
● طرائف.. ومواقف
لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٣٣١
● إلى الجيل الجديد
أسرة التحرير ٣٣٣
● منبر الجمعة: من أضرار المعاصى
لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم ٣٣٥
● رسالة و.. رد
لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان ٣٣٩
● استفتاءات القراء
إعداد الشيخ / عبد الفتاح حسين الزيات ٣٤٤
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم الأستاذ / عادل رفاعى خفاجة ٣٥٠
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ / محمود الفشنى ٣٥٧
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الشيخ / عمر البسطويسى على ٣٦٢

ربيـــع الأول

● فى ذكرى المولد النبوى (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٣٧٠
● مع سورة الفتح فى ذكرى مولد رسول الله ﷺ
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ٣٧٨
● ذكريات وتأملات فى يوم مولده ﷺ
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٣٨٨
● أنشودة فى محراب نور البشرية
شعر/ محمد فهمى سند ٣٩٤
● وثيقة دستور دولة النبى فى المدينة
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٣٩٧
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ٤٠٤
● فى ذكرى ميلاد سيد البشر
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٤١٣
● يا خير من يشفى الضنا مس كفه
لفضيلة الشيخ/ محمد الطاهر الحامدى ٤١٧
● قصة العدد: بشائر النبوة ٤٢٠
● من روائع الماضى فى مجلة الأزهر:
إعداد الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٤٢٥
● إنها النبوة
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ٤٣٤
● فى ذكرى المولد النبوى
للأستاذ/ أحمد محرم ٤٣٨
● سيرة النبى محمد
عرض الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ٤٤٢
● درس فى الإنصاف
للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ٤٥٠
● أشواق حجازية الإيقاع
شعر للدكتور/ صابر عبدالدايم ٤٥٨
● مشكلات أعجزت العلم وحلها الإيمان
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٤٦٠
● ما يقال عن الإسلام
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٤٦٣
● الإسلام وإشكالية الفكر الحضارى
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ٤٦٨
● محمد رسول الله ﷺ
شعر للأستاذ الدكتور/ محمد بدر معبدى ٤٧٤
● التراث العلمى الإسلامى
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٤٧٦
● إسرائيل من الداخل ٤٨١
● عرب فلسطين
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ٤٨٢
● إسرائيل والبحث عن الهوية
للأستاذ/ صلاح الدين عبدالرحيم محمد ٤٩٠
● القعقاع بن عمرو التميمى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٤٩٧
● الرافعى ومواقفه من قضايا الشعر
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٥٠١
● السيد حسن القاياتى
للأستاذ محمد مصطفى البسيونى ٥٠٥
● هل تغرق السفينة؟! لطفك اللهم
للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ٥١١
● طرائف.. ومواقف
إعداد الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٥١٦
● منبر الجمعة: مولد خير الأنام
لفضيلة الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ٥١٨
● استفتاءات القراء
إعداد وتقديم/ عبدالفتاح حسين الزيات ٥٢٢
● فقه العبادات فى ضوء غاياته
بقلم/ أبو محمد الأقصرى ٥٢٨
● أسس العلاقات الاجتماعية فى الإسلام
للأستاذ الدكتور عبدالحليم حفنى ٥٣٣
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة ٥٣٩
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٥٤٤
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ٥٥٣

ربيـــــع الآخـــر

● العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خلقية (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٥٦٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ٥٦٧
● قضايا قرآنية: قضية الوقف على رؤوس الآيات
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة ٥٧٣
● الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٥٨١
● الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٥٨٨
● اختلاف فقهاء الشريعة حول التأمين
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ٥٩٥
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور عبدالعظيم المطعنى ٦٠١
● بلبل الفردوس.. بلال بن رباح (قصيدة)
بقلم/ أبوحسام ٦٠٨
● العربى بين الأصالة والمعاصرة
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ٦١١
● مواقف إسلامية: من دروس التربية العملية
للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ٦١٦
● قصة العدد: الحق المر
بقلم/ عابر سبيل ٦٢٦
● ما يقال عن الإسلام: نقد علمى لمقال دينى
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٦٣١
● (عرض كتاب) سيرة النبى محمد ﷺ
للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ٦٣٩
● من عيون التراث: الأضداد
تحقيق الأستاذ/ محمد أبوالفضل إبراهيم ٦٥٢
● صرعى الأغراض (قصيدة)
للشاعر/ أحمد الزين ٦٥٧
● طرائف ومواقف
إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٦٦٠
● من مختارات مجلة الأزهر:
العلم والدين للأستاذ/ محمد أحمد الغمراوى ٦٦٢
● ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٦٧٢
● الشيخ محمد الخضر حسين
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٦٧٧
● العقاد الشاعر بين منهجين فى النقد
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٦٨٥
● فقيد الأزهر: الأستاذ الدكتور/ ابراهيم الدسوقى خميس
للدكتور/ رضا عبدالمجيد المتولى ٦٩٠
● القعقاع بن عمرو التميمى (٢)
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين ٦٩٤
● الجيتو والكيبوتس فى الوجدان اليهودى
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ٦٩٨
● من صفحات الخير
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٧٠٣
● رسالة و رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ٧٠٧
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ٧١١
● خطبة الجمعة: من ملامح الشخصية المسلمة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٧١٤
● فقه العبادات فى ضوء غاياته
للشيخ/ أبومحمد الأقصرى ٧١٧
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ محمد الفشنى ٧٢٠
● بين المجلة والقارئ
للأستاذ/ عادل خفاجة ٧٢٤
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ٧٢٨
● من أخبار العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى ٧٣٤

جمـــــادى الأولـــــى

● الافتتاحية (لغو عن ميراث المرأة)
فضيلة أ.د. محمد رجب البيومى ٧٣٧

● تفسير سورة البقرة
فضيلة أ.د. محمد سيد طنطاوى ٧٤٢

● التثبت من رواية الحديث
فضيلة أ.د. أحمد محمود شيمى ٧٤٨

● الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان (٢)
فضيلة أ.د. أحمد عمر هاشم ٧٥٢

● الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٧٥٩

● حول الأصالة والمعاصرة
فضيلة أ.د. محمد إبراهيم الفيومى ٧٦٤

● بين على عبد الرازق والخضر حسين
فضيلة أ. د. محمد عمارة ٧٧٠

● محمد (ﷺ) فى كتابات المستشرقين
فضيلة أ. د. محمد عبد العظيم المطعنى ٧٧٥

● حول نقد سيرة رسول الله لابن إسحاق
نقد وتعليق أ.د. إبراهيم عوضين ٧٨٢

● ما يقال عن الإسلام
فضيلة أ.د. محمد رجب البيومى ٧٩٢

● الزوجة الوفية .. كأنك تراها
فضيلة أ.د. محمود عمارة ٧٩٩

● من مختارات مجلة الأزهر: لا تيأسوا من روح الله
لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ٨٠٧

● إحساس النبات (قصيدة)
بقلم : أبو حسام ٨١٠

● القعقاع بن عمرو التميمى
للأستاذ / أحمد تقى الدين ٨١٢

● ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية (٢)
أ.د. أحمد فؤاد باشا ٨١٦

● أثر العقيدة على التقدم العلمى عند المسلمين
للأستاذ/ مصطفى البسيونى ٨٢٢

● الغد المحجب (قصيدة)
للأستاذ عبد المغنى المنشاوى ٨٢٨

● قصة العدد: (المهاجرة الصبور)
للأستاذ شوقى أبو ناجى ٨٣٢

● من بلاغة الخطابة النبوية
فضيلة أ.د. عبد الحليم حفنى ٨٣٦

● قضية للمناقشة
أ.د. محمد أحمد العزب ٨٤٢

● الشاعرة جليلة رضا .. وداعاً
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ٨٤٥

● الجيتو والكيبوتس فى الوجدان اليهودى
د/ محمد حسن عبد الخالق ٨٤٨

● من منظمات الإرهاب الصهيونى فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ٨٥٤

● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٨٦٠

● تهنئة ودعاء ٨٦٢

● خطبة الجمعة: نزهوا الإسلام عن صغائركم
أ.د. أحمد الشرباصى ٨٦٣

● فضل قراءة القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف ٨٦٦

● رسالة ... و .. رد
لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان ٨٧١

● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ٨٧٥

● الزواج: مشكلات .. وحلول
للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ٨٧٨

● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ٨٨١

● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ٨٨٥

● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد عبد الحميد الشرقاوى ٨٨٩

● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ/ عمر البسطويسى ٨٩١

جمـــادى الآخـــرة

● افتتاحية العدد : إنسانية الغرب فى الميزان
لفضيلة أ.د. محمد رجب البيومى ٨٩٨
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة أ.د. محمد سيد طنطاوى ٩٠٢
● قضية الوقف على رؤوس الآيات
لفضيلة الشيخ صديق بكر عيطة ٩٠٩
● حذف جواب : لو ترى
أ.د. عبدالحليم حفنى ٩١٤
● من القصص التربوى فى القرآن الكريم : وَلدان
للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى ٩١٩
● دعوى بشرية القرآن
أ.د.محمد إبراهيم الفيومى ٩٢٤
● من ركائز التضامن الإسلامى
أ.د.أحمد عمر هاشم ٩٣٢
● الدعوة كما ينبغى أن نبلغها
لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى ٩٣٩
● مساجلة بين فقيهين
للدكتور حمدى فتوح والى ٩٤٤
● بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق : قضية وكتابان..
أ.د.محمد عمارة ٩٤٩
● مصر
شعر الأستاذ على الجارم ٩٥٦
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
أ.د. عبدالعظيم المطعنى ٩٦٠
● كتاب الشهر
نقد كتاب (سيرة رسول الله ﷺ لابن اسحق للدكتور على مراد)
نقد وتعليق أ. د / إبراهيم عوضين ٩٦٧
● ما يقال عن الإسلام (الأذان فى الإسلام)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ٩٧٧
● مواقف إسلامية : وفاء الأشقاء
أ.د. محمود عمارة ٩٨٢
● قصة العدد .. القمة الموحشة
للأستاذ محمد فريد أبو حديد ٩٨٧
● القط الأعمى
شعر : أبو حسام ٩٩٤
● عالم زاهد .. وتقى ورع
لفضيلة الشيخ / على محمود أبو الحسن ٩٩٧
● مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
أ.د.أحمد فؤاد باشا ١٠٠٢
● الفكر التلمودى فى الوجدان اليهودى
للدكتور / محمد حسن عبدالخالق ١٠٠٨
● حجر من أرض الإسراء
شعر الأستاذ / السيد صديق حافظ ١٠١٨
● القعقاع بن عمرو التميمى
للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين ١٠٢٠
● من قضايا النقد : ثقافة الناقد فى مرآة ابن المعتز
أ.د.محمد أحمد العزب ١٠٢٣
● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٠٢٨
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر ١٠٣٠
● خطبة الجمعة
لفضيلة أ.د.أحمد الشرباصى ١٠٣٤
● الإنفاق فى سبيل الله
لفضيلة الشيخ / فوزى فاضل الزفزاف ١٠٣٨
● رسالة ..و..رد
لفضيلة الشيخ / عبدالفتاح سيد جمعان ١٠٤٣
● المفهوم الصحيح للحرية
لفضيلة الشيخ محمد فوزان ١٠٤٧
● أيها الإعلاميون رويدكم
للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ١٠٥٠
● قلعة القاهرة
للأستاذ / أحمد إسماعيل إبراهيم ١٠٥٥
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ محمود الفشنى ١٠٦١
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ / عادل رفاعى خفاجة ١٠٦٥
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ محمد الشرقاوى ١٠٧٠
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ عمر البسطويسى على ١٠٧٣

رجـــــب

● افتتاحية العدد: ثقافة الداعية المعاصر
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٠٩٠
● مع سورة الإسراء.
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٠٩٨
● جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم ١١٠٤
● الإسلام والعلاقات الاجتماعية
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١١١٢
● الإسراء والمعراج.. تأملات جديدة (١)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١١١٧
● الإسراء والمعراج
لفضيلة الشيخ/ يوسف الدجوى ١١٢٤
● مساجلة بين فقيهين كبيرين
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١١٣٢
● فلسفة خطاب الإعلام العربى
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١١٣٦
● بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١١٤١
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١١٤٦
● سيرة رسول الله ﷺ لابن اسحاق للدكتور على مراد
عرض الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١١٥٤
● المبادئ فوق المنافع
للأستاذ الدكتور/محمود عمارة ١١٦٣
● الإنفاق فى سبيل الله
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١١٦٨
● قصة العدد: لا أستجير بغير الله
للأستاذ / شوقى محمود أبوناجى ١١٧٥
● طريق الحق شائك
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ١١٧٨
● عدى بن حاتم الطائى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١١٨٤
● فدائية تستشهد (قصيدة)
بقلم/ أبوحسام ١١٨٨
● القدس الماضى والحاضر
للشاعر/ عبدالفتاح الطاهر الخطيب ١١٩٠
● إسرائيل من الداخل ١١٩١
● القدس بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١١٩٢
● بروتوكولات حكماء صهيون
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٢٠٣
● نصرت يا مسجد الأسراء «قصيدة»
للشاعر/ السيد الصديق حافظ ١٢١١
● مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٢١٢
● هرمون «دهيا» ترياق الشيخوخة
للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ١٢١٦
● من قارة إلى قارة «قصيدة»
للشاعر المهندس/ على محمود طه ١٢٢١
● أصول القصة الشعرية
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٢٢٤
● طرائف.. ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٢٢٨
● الأسرة ومكانتها فى الإسلام
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٢٣٠
● إستفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ١٢٣٥
● خطبة الجمعة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٢٣٩
● رسالة.. و .. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٢٤٢
● فى رياض الأمل
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٢٤٥
● بين المجلة.. والقارىء
إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة ١٢٤٩
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٢٥٦
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ١٢٥٩

شـــــعبان

● لابد للعلم من خلق عاصم (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٢٦٦
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ١٢٧١
● دعوة القرآن الكريم إلى بناء المجتمع
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٢٧٨
● تعظيم القرآن
للأستاذ الدكتور/ أحمد عبدالواحد ١٢٨٧
● المعيار المعتبر لقبول الرواية عند المحدثين
للدكتور/ أحمد محمود شيمى ١٢٩١
● الإسراء والمعراج (٢)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٢٩٦
● سيرة رسول الله لابن اسحق للدكتور على مراد
للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٣٠١
● موقف الإسلام من أهل الكتاب
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٣١٠
● الإسلام فى دراسات أكاديمية غربية
للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ١٣١٤
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٣٢١
● فلسفة خطاب الإعلام العربى
للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومى ١٣٣٠
● الإسلام دين السلام
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٣٣٤
● أم المؤمنين عائشة (قصيدة)
للشاعر/ أحمد محرم ١٣٣٩
● الأخلاق والاقتصاد
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ١٣٤٥
● بين الخضر حسين وعلى عبد الرازق
للدكتور/ محمد عمارة ١٣٥٤
● قصة العدد: إسلام بغى
للأستاذ/ محمود غنيم ١٣٦٠
● عدى بن حاتم الطائى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٣٦٥
● الشهيد (قصيدة)
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم ١٣٦٩
● الصهيونية وأرض الميعاد
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٣٧٢
● الإرهاب الصهيونى فى الأدب العبرى
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٣٧٧
● مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٣٨٣
● الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم
للدكتور/ السيد الجميلى ١٣٨٧
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٣٩٤
● صلة الأرحام
لفضيلة الشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ١٣٩٨
● الإسلام دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية
للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى ١٤٠٣
● طرائف.. ومواقف
إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٤٠٦
● واقعة حال (قصيدة)
للشاعر/ أحمد مصطفى حافظ ١٤٠٨
● المعادلة الصعبة
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٤٠٩
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ١٤١٤
● خطبة الجمعة: فى الطريق إلى فلسطين
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٤١٨
● رسالة... و... رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٤٢٣
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٤٢٥
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٤٣٢
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٤٤١
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى ١٤٤٦

رمضــــــــان

● الرئيس حسنى مبارك فى لقائه مع علماء الأزهر
إعداد / أحمد السيد تقى الدين ١٤٥٨
● رمضان غريب بين أهله (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ١٤٧٦
● تفسير سورة القدر
لفضيلة الإمام الاكبر ١٤٨٢
● فى ظلال الحديث النبوى: السنة... الصوم
لفضيلة الشيخ / إبراهيم الجبالى ١٤٨٧
● شهر رمضان عند المحدثين
للدكتور / أحمد الشيمى ١٤٩٣
● رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية
للدكتور / محمد عمارة ١٤٩٨
● قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة
للدكتور / أحمد فؤاد باشا ١٥٠٣
● رمضان ناسك الزمن (قصيدة)
للشاعر محمود حسن إسماعيل ١٥٠٨
● رمضان يا أكرم الشهور
للشيخ / الطاهر الحامدى ١٥١١
● الصيام ورخصة الفطر
للدكتور / عفيفى محمود عفيفى ١٥١٦
● رمضان موسم الخيرات
للشيخ / السيد عبد المقصود عسكر ١٥٢٠
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للدكتور / عبد العظيم المطعنى ١٥٢٤
● الأوزاعى بين العلم والعمل
للدكتور / حمدى فتوح والى ١٥٣٣
● صفحة من حياة الدكتور محمد السعدى فرهود
للدكتور / محمد رجب البيومى ١٥٣٨
● فى صحبة الدكتور محمد الطيب النجار
للدكتور / محمد إبراهيم الفيومى ١٥٤٤
● حديث فى علوم الدين وعلوم الحياة
للدكتور / إبراهيم عوضين ١٥٤٨
● كارل بروكلمان وبحوثه عن الإسلام
للدكتور / مصطفى رجب ١٥٥٧
● فى نقد سيرة ابن اسحق / ابن هشام
للدكتور / محمود على مراد ١٥٦٣
● الأزهر المعمور
للدكتور / صابر عبد الديم يونس ١٥٧١
● الإسلام دين السلام (٢)
للشيخ / فوزى الزفزاف ١٥٧٣
● قصة ميلاد إنسان
للدكتور / محمود عمارة ١٥٧٩
● قصة العدد: باسمك اللهم
للاستاذ / محمد سعيد العريان ١٥٨٦
● تقرير لجنة كاهان الصهيونية
للدكتور / محمد حسن عبد الخالق ١٥٩١
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للدكتور / محمد أحمد العزب ١٥٩٨
● الابداع وحرية المبدع
للدكتور / متولى محمد البساطى ١٦٠٣
● طرائف ومواقف
للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٦٠٦
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر ١٦٠٨
● يا أمة الإسلام أفيقى
للدكتور / حسين الأنصارى ١٦١٢
● استقبال شهر رمضان
للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ١٦١٦
● رمضان والتحديات المعاصرة
للأستاذ / إسماعيل أبو الهيثم ١٦١٩
● رسالة .. و.. رد
للشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٦٢٢
● تأملات فى غزوة بدر
للاستاذ / أحمد إسماعيل ١٦٢٥
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ / محمود الفشنى ١٦٣٠
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم / عادل خفاجة ١٦٣٣
● أنباء العالم الإسلامى
للاستاذ / محمد الشرقاوى ١٦٤٠
● أنباء مكتب شيخ الازهر
للشيخ / عمر البسطويسى ١٦٤٢

شـــــوال

● عيد الفطر فى موكب التاريخ (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٦٥٠
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر ١٦٥٦
● الحث على العمل وقوة العزيمة
لفضيلة الشيخ/ إبراهيم الجبالى ١٦٦٤
● التحضر أولا.. والبداوة عند الضرورة
للأستاذ/ عبدالله على الزيدى ١٦٦٩
● جمع القرآن وتدوينه
للشيخ/ صديق بكر عيطة ١٦٧٢
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٦٧٨
● الرفق بالجانى من خلق النبى ﷺ
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ١٦٨٧
● الدين والحضارة.
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٦٩٢
● الأمة مصدر السلطات.
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٦٩٧
● مسئولية الزوجة عن استقرار البيت
للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ١٧٠٠
● رمضان فى بلاد الأمريكان
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٧٠٧
● قضية وكتابان.. بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
للدكتور/ محمد عمارة ١٧١١
● الدكتور محمد السعدى فرهود مفسراً
للدكتور/ رضا عبدالمجيد المتولى ١٧١٦
● فى نقد سيرة ابن اسحاق/ ابن هشام
للدكتور/ محمود على مراد ١٧٢٠
● ماهية الحروب الصليبية
عرض وتقديم الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٧٢٧
● صفحات من تاريخ الإبداع الأدبى
عرض وتقديم الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٧٣٨
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٧٤٢
● أم عربية تضحى
للكاتب السورى خليل هنداوى ١٧٤٦
● القيم فى عصر المعلومات
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٧٥٠
● الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم
للدكتور/ السيد الجميلى ١٧٥٤
● عكرمة بن أبى جهل
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٧٥٩
● غدر اليهود (قصيدة)
للشاعر الكبير/ أحمد محرم ١٧٦٦
● العصر الذهبى للصهيونية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٧٧٣
● الأزهر.. الجامعة الإسلامية الكبرى
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٧٧٧
● طرائف.. ومواقف
للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٧٨٠
● مكتبة مكة المكرمة.. المولد النبوى
للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ١٧٨٢
● فى وداع رمضان
للأستاذ/ مجدى بشير ١٧٨٦
● خطبة الجمعة: حرب على الإسلام
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٧٩٠
● استفتاءات القراء
إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ١٧٩٤
● رســالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٧٩٧
● رمضان والتحديات المعاصرة
للأستاذ/ إسماعيل أبوالهيثم ١٨٠١
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٨٠٥
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ١٨٠٩
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٨١٥
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٨١٨

ذو القعـــــدة

● **رحلات الحج من مصادر التاريخ (الافتتاحية).**
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٨٢٦
● **تفسير سورة البقرة.**
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٨٣٢
● **محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين.**
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٨٣٩
● **الموقف الإسلامى من الحضارات غير الإسلامية.**
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١٨٤٨
● **الإسلام ومشكلة الفقر.**
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ١٨٥٣
● **الحج منحة ربانية.**
لفضيلة الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق ١٨٦٢
● **ازدهار الإسلام فى العالم.**
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٨٦٩
● **الإسلام وقضية الشكل والمضمون.**
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٨٧٥
● **كتاب الشهر: حوار الحضارات لرجاء جارودى.**
تقديم الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٨٧٨
● **من دروس الدعوة.**
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٨٨٨
● **فضيلة الأدب.**
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٨٩٣
● **قصة العدد: لو كان معه رجال.**
للأستاذ/ شوقى محمود أبو ناجى ١٨٩٦
● **القيم فى عصر المعلومات.**
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٩٠٢
● **رمضان فى بلاد الأمريكان (٢).**
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٩٠٧
● **فى ظل آية كريمة.**
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٩١٣
● **إن الوعد بالنصر لخالد (قصيدة).**
للأستاذ/ محمد فهمى سند ١٩٢٠
● **طرائف ومواقف.**
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٩٢٢
● **القدس فى عيون يهودية.**
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٩٢٤
● **كشـــمير.**
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٩٢٨
● **المسلمون أمة مبعوثة.**
للأستاذ/ محمد حسن دراز ١٩٣٢
● **الحرية الإنسانية فى مفهوم علم الكلام.**
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٩٣٦
● **الكعبة الزهراء (قصيدة).**
للشاعر/ بدوى الجبل ١٩٣٨
● **خطبة الجمعة: الطريق إلى الله.**
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٩٤٤
● **رسالة .. و .. رد.**
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٩٤٧
● **على باب الأمل.**
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٩٥٠
● **بين الصحف والمجلات.**
للأستاذ/ محمود الفشنى ١٩٥٤
● **بين المجلة والقارىء.**
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٩٥٦
● **أنباء العالم الإسلامى.**
إعداد/ محمد الشرقاوى ١٩٦١
● **أنباء مكتب الإمام الأكبر.**
إعداد فضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٩٦٣

ذو الحجـــــــة

● الحج قراءة ميدانية لسيرة الرسول ﷺ
للأستاذ الدكتور/محمد رجب البيومى ١٩٧٠
● ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾
لفضيلة الإمام الأكبر ١٩٧٨
● الطاعات تفرج الكربات
لفضيلة الشيخ/إبراهيم الجبالى ١٩٨٤
● لماذا نحج إلى البيت العتيق؟!
للدكتور/محمد عمارة ١٩٨٩
● الحج من الناحية التربوية
للأستاذ الدكتور/عبداللطيف الحديدى ١٩٩٦
● فى أرض النبوة (قصيدة)
للأستاذ/محمود غنيم ٢٠٠٠
● الذبح والنحر فى القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور/عفيفى محمود عفيفى ٢٠٠٥
● بين إعلان حراء وإعلان عرفات
للأستاذ/مصطفى البسيونى ٢٠١٠
● الجبل (قصيدة)
للأستاذ الدكتور/ صابر يونس ٢٠١٦
● حوار الحضارات (كتاب الشهر)
عرض وتقديم ا.د.ابراهيم عوضين ٢٠١٩
● وجوه الغرب فى بهو المرايا
للأستاذ الدكتور/محمد إبراهيم الفيومى ٢٠٢٨
● من الإرهابى؟!
للأستاذ الدكتور/عبدالمعظيم المطعنى ٢٠٣٢
● قصة زواج ناجح
للأستاذ الدكتور/محمود محمد عمارة ٢٠٣٥
● إسلام عدى بن حاتم
عابر سبيل ٢٠٤٤
● رمضان فى بلاد الأمريكان (٣)
لفضيلة الشيخ/الطاهر الحامدى ٢٠٥١
● دمعة على طريق التوبة (قصيدة)
للأستاذ/محمد فهمى سند ٢٠٥٧
● الظلم
لفضيلة الشيخ/فوزى الزفزاف ٢٠٥٨
● من آيات الله فى السماء
للأستاذ الدكتور/أحمد فؤاد باشا ٢٠٦١
● ياقدس (قصيدة)
للأستاذ/ربيع عبدالعزيز ٢٠٦٧
● بين النازية والصهيونية
للأستاذ/صلاح عبدالرحيم محمد ٢٠٦٨
● القدس فى عيون يهودية
للدكتور/محمد حسن عبدالخالق ٢٠٧٢
● طرائف .. ومواقف
للشيخ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٢٠٧٦
● لزوم مالا يلزم
بين أبى العلاء وسابقية
للأستاذ الدكتور/محمد أحمد العزب ٢٠٧٨
● الدعاة واللسان
للأستاذ الدكتور/عبدالحليم حفنى ٢٠٨٤
● جرير بن عبدالله البجلى
للأستاذ/أحمد السيد تقى الدين ٢٠٨٨
● استفتاءات القراء
إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ٢٠٩٢
● رسالة .. و .. رد
لفضيلة الشيخ/عبدالفتاح جمعان ٢٠٩٤
● سؤال وجواب
للأستاذ/مجدى بشير ٢٠٩٧
● كيف نقدم إسلامنا للغرب؟
للأستاذ/اسماعيل أبو الهيثم ٢٠٩٩
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/محمود الفشنى ٢١٠٢
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم/عادل خفاجة ٢١٠٤
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/محمد الشرقاوى ٢١٠٩
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ/عمر البسطويسى ٢١١١
● الفهرس السنوى لعام ١٤٢٢هـ ٢١١٧